ثورة ٢٣ يوليه

أحمد حمروش

ثورة ٢٣ يوليو

الجزء الأول

- مصر والعسكريّون
- مجتمع جمال عبد الناصر
- عبد الناصر والعرب

أحمد حمروش

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٢

الاخراج الفنى : عمر حمادى على

مصـــر والعســكريون

الإهــــداء

إلى والدى علاء وهانى

وجيل مصر الجديد

مقـــدمة

كانت وفاة جمال عبد الناصر المفاجئة صدمة هزت مشاعر الأمة العربية ، فقد رحل الرجل الذى عاش زعيما تلهب كلماته ومواقفه حماس الملايين ، وانقضت بموته مرحلة هامة من مراحل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

غاب القائد الذى يملك كل الأسرار والمعلومات ... قبل أن تكتب قصة الثورة التى دبرها وقادها .

وشعرت بمسئولية كبيرة ، تدفعنى الى ضرورة البحث والدراسة لمحاولة تقديم ثورة ٢٣ يوليو ، التى شاركت فيها بقدر متواضع مع غيرى من الزملاء العسكريين وضباط الجيش المصرى .

لم تكن البداية سهلة ... فان شيئا رسميا لم يسجل عن تاريخ الحركة ... وكل ما نشر لا يعدو أحاديث صحفية ... والمعلومات عندى شخصية ... وبعض الذين أسهموا فى الحركة تقدم بهم العمر ... والذكريات كادت تضيع .

المسئولية جسيمة ... واكتشاف الحقيقة كاملة ضرورة لا شك فيها ... ولم تأخذنى الحيرة طويلا .

بدأت بعقد اجتماعات وأحاديث شخصية مع الذين قاموا بالحركة من العسكريين ... أعضاء مجلس قيادة الثورة ، والضباط الأحرار ، والذين وصلوا الى مركز المسئولية .

ولم تقتصر الاجتماعات والأحاديث على العسكريين فقط ... فقد قابلت بعض السياسيين القدامى الذين أضيروا من الثورة ، وبعض الذين شاركوا فى السلطة .

عدد الذين قابلتهم تجاوز المائة ... وفى نهاية الكتاب سجل بأسمائهم .

الدور الرئيسى للعسكريين ٠٠٠ ولكنه دور لا يبدأ يوم ٢٣ يوليو ٠٠٠ وانما يمتد قبل ذلك شهورا وسنين ٠

ليس هناك تاريخ محدد يمكن القول بأنه نقطة البداية ٠٠٠ فان نضال العسكريين المصريين مترابط الحلقات ٠٠٠ يعود الى بداية القرن التاسع عشر عندما جند الفلاح المصرى لأول مرة بعد تاريخ طويل ، ليقوده ضباط من الأتراك والشراكسة ٠

الباب الأول ٠٠٠ يقدم فى ايجاز دور العسكريين المصريين ، ونضالهم ضد سيطرة الأجانب ، وثورة أحمد عرابى ، وموقف الجيش المصرى فى عهد الاحتلال البريطانى ٠٠٠

وجدت ذلك ضرورة حيوية حتى لا تكون ثورة يوليو مقطوعة الصلة بالماضى ، فتيار النضال متدفق لا ينقطع ، والعسكريون فى مصر لهم تاريخ قبل أن يصلوا الى قمة السلطة ، ويحكموا مصر بثياب عسكرية أو مدنية ٠

(مصر ٠٠٠ والعسكريون) اسم هذا الكتاب الذى يصدر فى أربعة أجزاء تنتهى بوفاة جمال عبد الناصر القائد الذى خرج من صفوف الجيش ليقود الشعب ويحكم مصر ٠

الجزء الأول ٠٠٠ بين يديك ٠٠٠ يقدم ـ بعد العودة لدور العسكريين فى تاريخ مصر الحديث ـ قصة ثورة يوليو منذ بدأت فكرة فى ضمير بعض الضباط الوطنيين من مختلف الاتجاهات والمدارس الفكرية ، حتى انتهت الى تدبير وتنظيم وحركة ٠

الوصول الى القمة كان دورا بسيطا من أدوار الثورة ، التى بدأت من اليوم الأول تواجه مصر : الشعب والقضايا الوطنية والاجتماعية ٠٠٠ وتواجه أيضا الاحتلال البريطانى والضغوط الامبريالية ٠

... الجزء الأول يمضى خلال مرحلة هامة من مراحل الثورة ، خاضت فيها صراعات مختلفة ، انتهت الى عزل محمد نجيب ، وتولى مجلس قيادة الثورة المسئولية وحده بعد تعيين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء ٠

فصل من فصول الثورة ، تعقبه فصول أخرى فى الأجزاء التالية ٠

وقبل أن أترك الكتاب لك ٠٠٠ أحب أن أقول ان فى عنقى دينا من الشكر لكل هؤلاء المعارف والزملاء والأصدقاء الذين تفضلوا فمنحونى بعض

وقتهم وقدموا لى فى سخاء ما عنـدهم من معلومات وذكريات ٠٠٠ كانت السند الرئيسى فى ظهور هذا الكتاب ٠

وفى صـدق أقول لا أعتقـد أنى قد أحطت بكل شىء ٠٠٠ ولكنى حاولت ٠٠٠ فلم أكتب الكلمة الأولى فى الكتاب الا بعد عام ونصف من البحث والتدقيق والسؤال ٠

وأخـيرا ٠٠٠ كلمـة وفاء ٠٠٠ للرجل الذى قاد ثورة يوليو ٠٠٠ لجمال عبد الناصر ٠

أحمـد حمـروش

الباب الأول

الفصل الأول : **محمد على واليا ... وابو خليل قائدا للجنود**

(محمد على هو الشخص الوحيد الذى كان فى قدرته تحويل تركيا من العمامة الفاخرة الى رأس حى حقيقى)

كارل ماركس

الفصل الثانى : **الأميرالاى احمد عرابى .. ثائرا وقائدا**

(السلطة التى أتمتع بها الآن لم أقم باغتصابها)

احمد عرابى

الفصل الثالث : **الجيش المصرى تحت الاحتلال البريطانى**

(من الحكمة ألا نمكن العدو من رقابنا وأنا لا أود أن يدخل ضباط الجيش فى حركتنا السياسية)

مصطفى كامل

الفصل الأول

محمد علي واليا ... وابو خليل قائدا للجنود

(محمد علي هو الشخص الوحيد الذي كان
في قدرته تحويل تركيا من العمامة الفاخرة
الى رأس حتى حقيقي)

كارل ماركس

الحديث عن العسكريين في مصر ليس حديثا عن طبقة ... فالجيش المصري يتكون من مختلف طبقات الشعب ... عمالا وفلاحين ، وبورجوازية صغيرة وكبيرة ... والى عهد قريب كان يضم الاقطاعيين أيضا ..

والحديث عن العسكريين في مصر أيضا ، ينفرد بخاصية غريبة ... لأنه منذ اللحظة الأولى التي لبس فيها الفلاح المصري ملابس الجندية في عهد محمد علي ، وانتظم في صفوف الجيش ، نبت تناقض طبقي أخذ ينمو بين الجنـــود وصغار الضباط أبنـاء الفلاحين المصريين ، وبين الأتراك والشراكسة الذين تولوا مناصب القيادة العليـا في الجيش ، حتى وصل الصراع ذروته مع الثورة العرابية .

ولم يخمد الصراع مع هزيمة الثـورة العرابية واحتلال البريطانيين لمصر ... ولكنه أخذ طابعا وطنيا بين المصريين في صفوف الجيش ، وبين قوات الاحتلال البريطاني .

حركة الصراع ، ونمو التناقضات ، وتغير صورة النضال داخل الجيش المصرى لم تهدأ أو تتوقف منذ مطلع القرن التاسع عشر ... وهى تشكل صورة فريدة من صور نضال الشعب المصرى .

والمثير أن الجيش المصرى الحديث لا تمتد جذوره الى الماضى السحيق ، ولا يرتبط بصورة متصلة متجددة مع الجيش المصرى فى عهد الفراعنة ... هناك ثغرة زمنية طويلة فى تاريخ الجيش المصرى ، وفاصل عازل امتد مئات السنين بين آخر معاركه وبين العودة الى تجنيد المصريين .

خلال مئات السنين من حكم المماليك والعثمانيين لم يكن للمصريين دور فى الخدمة العسكرية ، كان حكام مصر يخشون أن يحمل الفلاحون السلاح وتنتظمهم صفوف الجيش .

الرفض المطلق لتجنيد المصريين يعطى مؤشرا هاما لتخوف الحكام غير المصريين من بعث الروح العسكرية فى الشعب ، أو السماح لأبنائه بحمل السلاح .

وأصبحت هذه هى القاعدة .

ورث حكام مصر الأتراك الذين غزوا مصر ١٥١٧ من السلاطين المماليك عادة تكوين حرس خاص لهم من المماليك الذين كانوا أرقاء مستوردين فى الغالب من الدول المحيطة بالبحر الأسود أجبروا على اعتناق الاسلام ودربوا خصيصا للخدمة العسكرية ، وكان الحكام الأتراك يعينونهم فى مراكز الدولة الهامة ويهبونهم أرضا واسعة ... ثلثا الأرض المصرية كانت فى حوزة المماليك فى نهاية القرن الثامن عشر مما جعلهم فئة سائدة من الاقطاع فى مصر .

وعندما اضمحلت الامبراطورية العثمانية فى القرن الثامن عشر ... تدهور الاقتصاد وسرى الفساد فى أجهزة الدولة ، وانحطت الثقافة ، وخرجت الأقاليم عن طاعة الحكومة المركزية وفقد الجيش قدرته القتالية ، وانتهز على بك الكبير فرصة اندلاع الحرب بين تركيا وروسيا وأعلن استقلاله عام ١٧٦٩ ، وصار اسمه يذكر فى خطب الجوامع مقرونا بلقب « سلطان مصر وخاقان البحرين » .

وفى مواجهة ذلك كان الفلاح المصرى يتعرض لعذاب شديد من الضغط والسخرة ونهب المحاصيل .. وكانت الهجرة من القرى ظاهرة منتشرة فى أرجاء الامبراطورية العثمانية ، وفى مصر خاصة ... وتكررت المجاعات ، وأصدر الأتراك تشريعات باسم « قانون نامة مصر » تجبر الملتزمين والمشايخ على عدم إبقاء قطعة أرض واحدة من الأرض غير مزروعة ، وأن يحولوا دون

هرب الفلاحين ، وأن يسعوا لاسكانهم فى القرى الخربة والخاوية ، وفى حالة فرار الفلاح من أرضه يتحمل الشيخ إلتزاماته المادية .

من أجل هذه الحالة كان الفلاح يقف بعيدا عن الجيش ، لا يجنده الحكام الأتراك أو المماليك ، لما يمكن أن يحمله للجيش من روح النقمة والثورية .

وعندما غزا نابليون مصر عام ١٧٩٨ كان يدرك هذه الحقيقة ، فشاء أن يتخذ منها ستارا يخفى أغراضه الاستعمارية ، وقال فى بيانه عن المماليك (فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم ، ويختصوا بكل شيء أحسن ما فيها من الجوارى الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة) .

كان المماليك يعتبرون جيشهم المدرب المحترف (جيشا لا يقهر) . ولكنه كجيش اقطاعى هزم فى أول معركة أمام جيش نابليون الذى عركته حروب الثورة الفرنسية . وكانت لنابليون فى ذلك نظرية عبر عنها بقوله (لا شك أن مملوكين يتفوقان على ثلاثة من الفرنسيين ، وان ١٠٠ مملوك يعادلون ١٠٠ فرنسي ، ٣٠٠ فرنسى يتفوقون عادة على ٣٠٠ مملوك . أما ١٠٠٠ فرنسى فيهزمون دائما ١٥٠٠ مملوك) (١) .

المقصود من ذلك هو أن التطور الحديث للجيوش يستطيع الانتصار على المهارة والقدرة الفردية .. وفى ذلك كتب فردريك انجلز فى كتابه (ضد دوهرنج) موضحا (كل ما يحتاج اليه نابليون هو قدر محدود من الخيالة ليظهر قوة ومفعول الضبط الذى تنطوى عليه الصفوف المتراصة والعمليات المخططة ، لكى تتحول قوة الضبط هذه الى تفوق حتى على حشود أكبر من الفرسان غير النظاميين الذين يملكون خيولا أجود أو يتصفون ببراعة أكبر فى الفروسية وفى المبارزة والذين لا يقلون عن غيرهم بسالة) .

ولم تكن المعركة بين نابليون والمماليك فقط ، وانما دخلها الشعب المصرى رغم انه لم ينتظم فى صفوف الجيش .. ولكنه اتخذ موقف المقاومة ضد القوات الأجنبية الغازية ، وجمعت التبرعات لشراء السلاح ، وأسهم سكان القاهرة اسهاما فعالا فى الدفاع عنها ، وغرق الألوف منهم فى النيل أثناء التراجع — بعد معركة امبابة الغربية — من الأهرام على الضفة الغربية للنيل ، والتى انتصر فيها نابليون بعد أن سقط فى المعركة ٣٠٠٠ مملوك من مجموع ٦٠٠٠ وفر الباقون : البعض منهم الى الوجه القبلى مع مراد بك والبعض الى سوريا مع ابراهيم بك .

---

(٥) تاريخ الأقطار العربية الحديث — لوتسكى .

الشعب المصرى لم يتردد فى دخول المعركة دفاعا عن أرضه رغم عزل المماليك له عن الجيش ، واستمر فى نضاله العسكرى الذى كان يشبه (حرب العصابات) التى اشتعلت نتيجة أسلوب الادارة الفرنسية فى فرض اتاوات نقدية وعينية تجاوزت فى بعض الأحيان ما كان يحصل عليه المماليك، كما صادرت الأغـذية والعلف ٠٠ وكانت هـذه هى أول مجابهة لغزاة غير مسلمين بعد الحرب الصليبية .

اشتدت (حرب العصابات أو الأنصار) وخاصة فى الدلتا بعد دخول الأتراك للحـرب ، فهجم الفلاحون المصريون على السعاة العسكريين والدوريات ، وأربكوا خطوط الاتصال الفرنسية ، وقتلوا الضباط والموظفين وجباة الضرائب الفرنسيين ، فأرسل نابليون حملات تنكيل للدلتا ، وحرق ضباطه القرى المتمردة ، غـير ان ذلك لم يخمـد اللهب الذى امتد الى القاهرة ، حتى أصبحت تشبه باريس خلال الأيام الأولى للثورة الفرنسية على حد تعبير القنصل الفرنسى فى ذلك الحين (٢) .

وتحولت القاهرة الى مدينة ثائرة ، انسحبت منها القوات الفرنسية ، وهرب نابليون نفسه الى جزيرة من جزر النيل ، واحتشد ١٥ ألف ثائر فى الجامع الأزهر واقاموا المتاريس والحواجز حول الطرق المؤدية له ، وسارع الى القاهرة ٥ آلاف فلاح من القرى المجـاورة ، وبضعة آلاف من بدو الصحراء الغربية (٣) .

وأرسل نابليون كتيبة ضـد الفلاحين وأخرى ضد البدو ، وحشد قواته الأساسية بالقرب من القاهرة ، حيث وجه نيران مدافعه الى المعتصمين فى الجامع وما حـوله ، فقتل الآلاف منهم ومن نجا قتلته حراب الجنـود الفرنسيين ، ولم يتخذوا أحدا أسيرا .

ورغم طلب الثوار وقف القتال الا أن نابليون لم يتوقف ، ونفذت خطته ببشـاعة ، وفى ذلك كتب نابليون للجنرال مينو حاكم رشيد يقول له (لا يمكن اخضاع هؤلاء القوم الا بالقسوة) .

ولم تكن هـذه هى الانتفاضة الوحيـدة لسكان القاهرة ٠٠ ثارت القاهرة مرة أخرى ضد كليبر فى مارس ١٨٠٠ بعد عودة نابليون سرا الى فرنسا ، وأبادوا حامية فرنسية صغيرة كانت فى المدينة ، وقاوموا حصارا امتد شهرا حتى ١٥ ابريل عندما دكت القوات الفرنسية بولاق وحولتها الى رماد ، وقتلوا بالحراب عدة آلاف من الثوار .

---

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

وتعرضت القاهرة لمذبحة ثالثة بعد اغتيال كليبر بيد سليمان الحلبى فى ١٤ يونيو عام ١٨٠٠ ، واجتاحت الجنود الفرنسية شوارع القاهرة تقتل وتحرق بلا حساب •

كان المصريون يدافعون عن وطنهم خلال سنوات الاحتلال الفرنسى الثلاث وهم يحملون السلاح بطريقة تلقائية ٠٠ وقد استفادوا من ذلك خبرة كبيرة ، انعكست على الحركات الوطنية فى المستقبل ، وساعدهم فى ذلك ان الأسلحة كانت فى بداية تطورها تضم السيف والخنجر والسهم الى جانب البندقية البدائية ٠٠

وأثبت المصرى بعد مئات السنين من حكم المماليك والعثمانيين انه لم يفقد صفته كجندى محارب يتحمل قسوة المعارك فى صبر وشجاعة ٠٠ وفى ذلك يكمن سر ابعاده عن التجنيد وعزله عن صفوف الجيش وتعامل الحكام الأجانب معه فى حذر •

وبعد مغادرة الفرنسيين مصر ، عقب توقيع معاهدة الصلح مع تركيا فى ٩ أكتوبر ١٨٠١ تركوا دراسة شاملة لمصر فى ٢٠ مجلد من كتاب « وصف مصر » تضم بحوثا لامعة فى مختلف المجالات ، حلت بعض القضايا الحربية العملية مثل صنع البارود من الموارد الطبيعية المتاحة فى مصر ، ووضع الخرائط الحربية ودراسة الطبوغرافيا ، وعلاج الأمراض التى تتفشى بين الجنود ٠٠٠ وذلك الى جانب دراسات وأبحاث أخرى فى مختلف نواحى الحياة •

وكانت هذه الدراسات موضع تقدير ومتابعة فى المستقبل ٠٠ كما كانت المقاومة الشعبية للحملة الفرنسية بداية الاهتمام بدخول المصريين الى ساحة العسكرية المنظمة ٠٠ أى الانضمام للجيوش •

خرج الفرنسيون من مصر ، وخلفوا بها أيضا قوات احتلال ثلاثية شاركت فى هزيمتهم (٤٠ ألف تركى ، ٢٠ ألف انجليزى ، ٤ آلاف مملوك) ، وأعقب خروجهم ظهور تناقضات بين الأتراك الذين استقر رأى سلطانهم سليم الثالث على التخلص بصورة حاسمة من المماليك ، بينما ساندت انجلترا المماليك وعملت على اعادة ممتلكاتهم ومناصبهم فى الدولة ، وهددت الباشا التركى بقصف القاهرة اذا لم يطلق سراح المماليك الذين كان قد أسرهم فى حملة لابادتهم ، فاضطر الى اطلاق سراح ٢٥٠٠ مملوك استقبلتهم القيادة البريطانية بمراسم احتفال عسكرية •

ولم يستقر الانجليز طويلا فى مصر ، خرجت آخر قواتهم فى مارس ١٨٠٣ تطبيقا لشروط معاهدة صلح اميان التى وقعت بين انجلترا وفرنسا في ٢٧ مارس ١٨٠٢ ، واستصحبوا معهم قائد المماليك الموالى لهم محمد

الألفى ٠٠ واستمرت الحرب بين الأتراك والمماليك ، حتى وصل الى مصر (محمد على) ضابطا فى القوة الألبانية التابعة للجيش التركى ، تم سرعان ما عين قائدا لها ٠

عقد محمد على حلفا مع المماليك لضرب الباشوات الأتراك ، ولما بدا للمصريين أن المماليك على وشك استعادة سلطتهم وممتلكاتهم ومعاودة النهب من جديد ، قرروا الامتناع عن دفع الضرائب وقتل الجباة ، وترأس الانتفاضة شيوخ الأزهر ، ودارت المعارك فى شوارع القاهرة ، وحوصر قصر عثمان البرديسى قائد المماليك فى ١٢ مارس ١٨٠٤ ففر من القاهرة ٠

ولم يتردد محمد على ٠٠ انحاز للثوار بعدما أدرك قوة الحركة الشعبية ، وسارع الى الأزهر معلنا نفسه حاميا لحقوق الشعب المصرى ، ووجه كتائبه الألبانية لمحاربة المماليك والاقطاعيين فى الوجه القبلى تحت قيادته خلال عامى ١٨٠٤ ، ١٨٠٥ واختاره مجمع الشيوخ قائمقاما (أى نائبا لباشا مصر التركى) ٠٠ واختير خورشيد الحاكم التركى للاسكندرية باشا لمصر ٠٠ وهنا انتهى دور السيد عمر مكرم الرجل المثالى الذى سلم الحكم لمحمد على ثم انزوى فى بيته لمثاليته ٠

وتابع الأتراك أسلوبهم فى سلب جهد المصريين ٠٠ فقرر خورشيد جباية الضرائب مقدما لمدة سنة كاملة ٠٠ ولكن الشعب المصرى الذى حارب الفرنسيين وطرد المماليك لم يقبل الخضوع للانكشارية حرس الباشا التركى ٠٠ واندلعت انتفاضة جديدة فى مايو ١٨٠٥ عمت القاهرة كلها ، ونادى مجمع الشيوخ بمحمد على حاكما على مصر ٠٠٠ واضطر السلطان سليم الثالث الذى تهتكت امبراطوريته بالانتفاضات التحررية الى الاعتراف بمحمد على واليا على مصر فى نفس العام ١٨٠٥ لانشغاله بانتفاضة وطنية تحررية فى صربيا ، وعدم استقرار الأوضاع فى بلغاريا واليونان ٠

وفى ذلك الوقت كانت الحرب قد استؤنفت بين انجلترا وفرنسا ، وامتدت الى الشرق ٠٠ واستطاع محمد على بمهارته أن يهزم محمد الألفى (صنيعة الانجليز) ثم تخلص من عثمان البرديسى (الموالى للفرنسيين) ٠

وحاول الأسطول البريطانى أن يغزو استانبول لوقوف تركيا مع فرنسا ، ولكنه اتجه الى الاسكندرية وأنزل فيها ٥ آلاف محارب فى ١٧ مارس ١٨٠٧ تحت قيادة فريزر) :

وهنا اتجه محمد على لمقاومة القوة الغازية ٠

لم يعتمد على الانكشارية ٠٠ كانوا قد انتهوا ٠٠ ولم يعتمد على المماليك ٠٠٠ كانوا قد هزموا وتشتتوا ٠٠٠ ولم يعتمد على الألبانيين وحدهم فقد كانوا قلة لا تستطيع المواجهة ٠

ولكن محمد على اعتمد على المصريين للمرة الأولى كقوة شعبية مسلحة ٠ خاض المصريون الحرب وسحقوا ــ فى نهاية مارس ١٨٠٧ ــ وحدة عسكرية انجليزية عددها ٢٠٠٠ فى شوارع رشيد ، ثم سحقوا واحدة أخرى أكبر منها وجهها القائد البريطانى لنجدة قواته ٠٠

أسهم فى معركة رشيد الفلاحون والبدو الى جانب العساكر الأجانب المحترفين ٠٠٠ وانسحب الانجليز الى الاسكندرية ، ومن خلفهم محمد على ٠٠ واضطر القائد البريطانى الى طلب الصلح والانسحاب بعد حملة لم تتجاوز مدتها ستة شهور ٠

دخل محمد على الاسكندرية ٠٠٠ وارتفعت شعبيته الى القمة ٠٠ واعتبره المصريون بطلا وطنيا ٠

وقد تابع محمد على خطوات نابليون ، الذى كان جيشه أو جيش فرنسا الثورة هو بداية العسكرية العصرية الأوروبية ٠٠ وكان بداية الانتقال من فرق الملوك والأمراء والباشوات ، أى الجيوش الاقطاعية ، الى الجيوش القومية النظامية (البرجوازية) ٠

كان محمد على قد اضطرته ظروف محاربة الانجليز الى مهادنة المماليك الذين اعتبروه واليا عليهم ، ولكنهم احتفظوا بالسلطة فى الوجه القبلى وجعلوا منه وكرا لمؤامراتهم وتمرداتهم ٠

وبعد أن سحق محمد على الانجليز صادر عام ١٨٠٨ أملاك الملتزمين الذين امتنعوا عن دفع الضرائب ، وفى عام ١٨٠٩ حرمهم من نصف الفائض، وفى عام ١٨١٢ وضع يده على جميع الأراضى التى كانت فى حوزة المماليك، وفى عام ١٨١٤ ألغى نظام الالتزامات نهائيا ٠ وأصبح الفلاح يدفع الضرائب لأول مرة الى الدولة مباشرة ، كما قضى على تبعية الفلاحين الشخصية للملتزمين ٠

خلال هذه الفترة قام المماليك بانتفاضتين ضد محمد على عامى ١٨٠٩ ، ١٨١٠ بعد تقلص نفوذهم وأخذ اقطاعياتهم ، الأمر الذى دفع محمد على الى ارتكاب مذبحة المماليك الذين حاصرهم فى القلعة يوم أول مارس ١٨١١ خلال عرض عسكرى اشترك فيه ٥٠٠ مملوك بمناسبة ارسال قواته الى الجزيرة العربية لمحاولة القضاء على الدولة الوهابية بناء على أوامر الباب العالى ٠

المماليك الذين نجوا من المذبحة هربوا الى دنقلة وأقاموا حكما خاصا بها حتى تم غزوهم عام ١٨٢٠ ٠

بعدما عزز محمد على سلطنته فى مصر ، قـرر أن يتخطى حدودها ساعيا وراء آماله وطموحه اللذين وصفهما فيما بعـد الجنرال بوابيه فى كتابه الى كيرمون ـ تونير وزير الحربية الفرنسى فى أول ديسمبر ١٨٢٤ بقوله (ان محمد على يشكل فى الامبراطورية التركية حدثا غريبا لا يخلو من العبقرية فله تفكير واسع صحيح وآراء جريئة فى الاصلاح والتنظيم ، وهو يعلم ان عقبات عصيبة تقوم فى سبيل مشاريعه ، ولكنه كبير الأمل فى تخطيها جميعا) (٤) •

ولذا فانه عنـدما اقترح السلطان محمود الثانى عليه تجريد حملة ضد الوهابيين فى الجزيرة العربية سرعان ما استجاب لذلك ، وأرسل ابنه طوسون ـ ١٦ سـنة ـ على رأس حملة فى سبتمبر ١٨١١ ، وأرسل معه مستشارا سياسيا مصريا هو التاجر القاهرى محمد المحروقى ••• وكانت الحملة موضع اهتمـام التجـار المصريين الذين تكبدوا خسائر فادحة من توقف الحج وما يتصل به من تعامل تجارى فقدموا الأموال بسخاء لتجهيز الحملة •

كان هدف محمد على المباشر هو السيطرة على التجارة معتبرا الجزيرة العربية مفتاحا لسوريا والعراق ، ناظرا الى الوهابيين نظـرته الى خصوم يصارعونه من أجل الاستحواذ على الأقاليم العربية التابعة للامبراطورية العثمانية ••• وكان محمد بن عبد الوهاب مؤسس الوهابية يحلم بتحرير عرب سـوريا والعراق من النير التركى ، ولم يعترف بخـلافة السلطان التركى ، وكان يعتبر كافة العرب اخوة ويدعوهم الى الوحدة (٥) •

تعرضت الحملة التى استولت على مكة والطائف وجـدة الى مصاعب ومقاومة شديدة وقتل حوالى ٥ آلاف جندى من حوالى ١٠ آلاف جنـدى شكلت منهم الحملة ، مما اضطر محمـد على الى أن يقود الجيش المصرى شخصيا فذهب الى جدة مع امدادات جـديدة فى سبتمبر ١٨١٣ حيث أنزل بالوهابيين هزائم ساحقة أباد فيها جيشا مكونا من ٣٠٫٠٠٠ شخص •

وعـاد محمد على الى مصر فى مايو ١٩١٥ لتواصـل الحملة الوهابية مسيرتها بقيادة طوسون ثم ابراهيم ، حتى أدخل القسم الأكبر من الجزيرة العربية ضمن الامبراطورية العثمانية ، وتحولت الحجاز الى اقليم مصرى يعين محمد على حكامه •

---

(٤) السياســة الدولية فى الشرق العربى ـ الجزء الثانى ـ اميل خورى وعادل اسماعيل •

(٥) تاريخ الأقطار العربية الحديث ـ لوتسكى •

وقد كانت الحملة الوهابية أولى حملات محمد على خارج مصر نقطة تحول استراتيجية فى تفكيره ... اذ قرر خلالها عدة قرارات هامة :

أولا ـ القيام باصلاحات عسكرية حديثة ، فالغى نظم الجيش القديمة واستعاض عنها بأنظمة أوروبية تتناسق مع تطور التسليح الذى تمخضت عنه الثورة الصناعية الأوروبية ... فبدأت تختفى الأسلحة التقليدية مثل السيوف والدروع ... وارتبطت العسكرية الحديثة بالصناعة الحديثة .

ثانيا ـ قرر ـ من أجل الوصول الى أفضل المستويات ـ الاستعانة بخبراء ومدربين عسكريين من النمسا وايطاليا وروسيا وفرنسا بصفة خاصة .

ثالثا : اتخذ قرارا ثوريا بتجنيد الفلاحين المصريين فى الجيش النظامى لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث ، مقتنعا بكفاءة وصبر المقاتل المصرى التى لمسها فى معركة رشيد ضد حملة فريزر وفى الانتفاضات الشعبية المتعددة..ومقتنعا أيضا بأن فى ذلك تأمينا حقيقيا لحكمة المستقل عن الباب العالى ... ومقتنعا أخيرا بأن ذلك سوف يخلصه من أخطار المماليك أيضا ... وقد اتخذ محمد على هذا القرار ضاربا عرض الحائط بنصيحة بعض الذين أحاطوا به وصوروا له أن فى ذلك مخاطرة شديدة .

وجد محمد على أن طموحه لبناء مصر الحديثة لابد أن يعتمد على عسكرية حديثة .. وهذه لابد أن تعتمد على أمرين :

١ ـ تجنيد أبناء مصر بعد الاستغناء تدريجيا عن الجنود والفرسان الأتراك والارناؤوط والمماليك ، وهم المرتزقة الذين لم يتعودوا تماما على انضباط الجيوش النظامية الحديثة .

٢ ـ بناء صناعة حديثة .

تمصير الجيش :

وبدأ محمد على تنفيذ خطته فأقام معسكرا تدريبيا فى أسوان ، جند فيه الآلاف من المصريين والسودانيين تحت اشراف مدربين فرنسيين وايطاليين كان أبرزهم الضابط الفرنسى « جوزيف انتلم سيف » الذى حضر مصر عام ١٨١٩ وعرف فيما بعد باسم « سليمان باشا الفرنساوى » بعد أن أسلم وتزوج وأنجب فى مصر .

ولم يكن تجنيد الفلاحين فى الجيش أمرا سهلا ... فقد أخذوا من التجنيد موقفا سلبيا بعد معاناة قرون طويلة من الاضطهاد والارهاب

والسخرة ، وحدثت بعض تمردات فى المنوفية والوجه القبلى وبلبيس قمعها محمــد على الذى لم يقابل هــذا الموقف بالعنف ، وانما طلب من الشيخ العروسى شيخ الأزهر أن يوضح الأمور للفلاحين عن طريق رجال الدين ٠٠٠ وكتب محمد على رسالة يقول فيها للمسئولين عن التجنيد (انه لما لم يكن من عادة الفلاح أن يقبل هــذا الوضع فلم يكن ثمــة ما يجب ارغامه عليه ولا معاملته بالعنف فيه ، بل يلزم تحرير الفلاحين وتجنيدهم باستدراج عقولهم اليه ، وذلك بتفهيمهم تدريجيــا أنه أمر منطو على خير ، ولا تعتبر كمسائل السخرة) (٦) ٠

وقد أثبت الجنود المصريون تفوقهم وقوة احتمالهم ، وساندهم محمد على وابراهيم فى مواجهة المتاعب التى تعرضــوا لها من الضباط الأتراك أو مماليك محمد على ٠٠٠ فقد أمر محمد على فعلا بجلد ناظر سلخانة تركى مائة جلدة لانه قال فى حفل استقبال أحد الآلايات بدمياط (صار الفلاحون العمى عساكر) ٠

وبدأ الفلاح المصرى يتدرج فى رتب الجيش ٠٠٠ بعــد أن قام محمد على بفتح المدارس الحربية لاعداد الكوادر القيادية المصرية مثل مدرســة المشاة فى دمياط ، ومدرسة الخيالة فى الجيزة ، ومدرسة المدفعية فى طره بضــواحى القاهرة ، ثم أنشئت أكاديمية الأركان العــامة عــام ١٨٢٦ ٠٠٠ وترجمت الأنظمــة العسكرية الداخليــة الفرنسية الى العربية لتطبق فى الجيش المصرى الذى كان يسير على تنظيمات جيش نابليون تماما ٠

وهكذا حقق محمد على هدفه الأول ٠٠٠ وهو تجنيــد أبناء مصر ٠٠٠ وسجل التاريخ حقيقة هامة ، وهى ظهــور جيش من الفلاحين يعتبر بداية فى الحركة القومية الحديثة للأمة المصرية ٠

وعن الهدف الثــانى وهو بنــاء صناعة حديثة تكون فى خدمة الجيش الحديث ، أنشأ محمد على مصانع لصب الحديد بلغ انتاجها ٢٠٠٠ طن من حديد الزهر سنويا ومصــانع للبارود ، ومصانع للأقمشــة والأشرعة والحبال والزيوت والصابون وغيرها ٠

وبنى محمد على كذلك ترسانة الاسكندرية عــام ١٨٢٩ بعد تحطيم جميع سفن الأسطول المصرى فى موقعة (نفارين) وفى يناير ١٨٣١ أنزلت الى البحر أول سفينة ذات مائة مدفع ٠

وظهرت (البروليتاريا الصناعية) لأول مرة فى مصر ٠٠٠ الترسانة كان يعمل بها ٨٠٠٠ عامل ، ومجموع العمال فى مختلف المصانع وصل الى

---

(٦) ميلاد ثورة ـ محمد عودة ٠

٠٠٠ر٤٠ عامل ٠٠٠ وكان العمــال يخضعون للنظام العسكرى ، يقسمون الى فصــائل وسرايا وكتائب ويعيشون فى الشكنات ، ويعملون فى المصانع نتيجة التجنيد الاجبارى ٠

كانت الصــناعة مرتبطة ارتباطا وثيقا باحتياجات الجيش ٠٠٠ وكان العمــال يحصلون على أجور زهيدة ، وتشير أرقام ميزانية ١٨٣٣ فعلا الى أن مصروفات الجيش بلغت ٢٨ مليون فرنك ، ونفقات محمد على الشخصية ٥ر٣ ملايين فرنك ، بينما دفع لنفقات المصانع وأجور العمال ٧٥ر٢ مايون فرنك لا أكثر ٠

وكمــا تقدمت الصناعة فى خــدمة الجيش ، تقدمت الزراعة أيضا ، وتحسنت ظروف الفلاح نسبيا عن ذى قبل ٠٠٠ وأصبحت مصر مصدرة للقطن والأرز ، وأنشئت الترع والمصارف وبدىء فى بناء « القناطر الخيرية أول سد يقام فى تاريخ مصر ٠٠ وزادت بذلك مساحة الأرض المزروعة من مليونى فدان عام ١٨٢١ الى ١ر٣ مليون فدان عام ١٨٣٣ ٠

وانتقل محمد على بمصر ـ التى كانت تعتبر شكليا احدى الولايات التابعة للامبراطورية العثمانية ـ الى عصر جديد ٠٠٠ أصبحت فى الواقع دولة مستقلة ذات حــكومة وجيش وقوانين ونظـــام ضرائب خاص بها ولا يربطها بالسلطان الا ضريبة سنوية يدفعها محمد على له وقيمتها ٣٪ من ميزانية الدولة ٠

وأعيد تنظيم جهاز الدولة ، وأنشئت الوزارات على النظام الأوروبى ٠٠٠ وتطلب تكوين الجيش وجهاز الدولة الجــديد توافر كثير من المثقفين والمتعلمين ٠٠ فأرسل محمد على الذى بدأ يتعلم القراءة والكتابة وهو فى الخامسة والأربعين (٧) بعثات كثيرة الى أوروبا لدراســة العلوم الحربية والهندسية والطب واللغات والحقوق ٠

ولكن هذه الدراســات جميعــا كانت تدور حول محور رئيسى هو الجيش والاهتمام به ٠٠٠ ومثال ذلك ان رفاعة رافع الطهطاوى بدأ حياته واعظا واماما فى احدى فرق الجيش المصرى عام ١٨٢٤ ثم أرسل فى بعثة الى باريس عاد منها عام ١٨٣١ ليعمل فى المدرسة التجهيزية للطب ثم مدرسة المدفعية فمدرسة الألسن ٠

لم يكن هناك حد فاصل بين المدارس المدنية ومدارس الجيش ٠٠ بل ان الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى كان حاصلا على رتبة عسكرية منذ عمل

---

(٧) مقال رفاعة رافع الطهطاوى فى ذكراه المئوية ـ محمود يوسف ـ الهلال ـ يوليو ١٩٧٣ ٠

اماما فى الجيش ٠٠٠ كان يوزباشى فى باريس ثم ترقى حتى وصل فى آخر حياته الى رتبة الأميرالاى (٨) ٠

هذا يوضح انه كما كان العمال يجندون للعمل فى المصانع كان بعض المثقفين يحصلون على الرتب العسكرية ٠

وقد زاد عدد الجيش المصرى حتى بلغ ١٨٠ الف جندى نظامى ، ٤٠ الف جندى غير نظامى عام ١٨٣٣ ووصل عدد البحارة المصريين الى ١٥ الف بحار ٠٠ وهذا يعنى أن ربع مليون مصرى من ثلاثة ملايين كانوا مجندين فى الجيش ٠

ومع ذلك ظلت ترقية الجندى المصرى حتى آخر عهد محمد على لا تتجاوز رتب صغار الضباط ، بينما كان هناك عدد كبير من الضباط الأجانب فى رتب كبيرة ، وفى نفس العام (١٨٣٣) كان هناك أكثر من ٧٠ ضابطا ايطاليا و٧٠ ضابطا فرنسيا ممن خدموا مع نابليون ولم يجدوا عملا يناسب مهنتهم بعد هزيمة الامبراطور ، و١٢ ضابطا اسبانيا ، وعدد من الضباط البريطانيين ، وكان هؤلاء بمثابة الخبراء المكلفين بنقل مدنية أوروبا ونهضتها العسكرية الحديثة الى مصر ٠

وكان هؤلاء الضباط الأجانب يمثلون جانبا محدودا من ضباط الجيش المصرى ٠٠٠ الأغلبية كانوا من الأتراك ثم المماليك الذين دربوا على يد محمد على بعد أن فقد الآخرون شوكتهم بعد مذبحة المماليك ٠

وأغرى محمد على الضباط الأتراك والأجانب على الخدمة فى الجيش المصرى برفع مرتباتهم عن نظيرها فى الجيش التركى نفسه ٠٠٠ هذا بينما كان الجنود وصف الضباط المصريين يتناولون مرتبات أقل كثيرا من مرتبات جنود السلطان التركى كما يتضح فى الجدول الآتى :

رتبة	الجيش المصرى	جيش السلطان	النسبة
عسكرى	١٥ قرشا	٢٠ قرشا	٠ر٧٥ الى ١
باشجاويش	٤٠	١٢٠	٠ر٣٣ الى ١
ملازم ثان	٢٥٠	١٢٠	٢ر١٠ الى ١
يوزباشى	٥٠٠	١٨٠	٢ر٨٠ الى ١
بكباشى	٢ر٥٠٠	٤٠٠	٦ر٢٥ الى ١
أميرالاى	٨ر٠٠٠	١ر٢٠٠	٧ر٧٦ الى ١

(٨) المصدر السابق ٠

يتضح من هذا الجدول أن الأميرالاى فى الجيش التركى كان يحصل على مرتب يعادل مرتب الجندى ٦٠ مرة بينما كان يحصل فى الجيش المصرى على مرتب يعادل مرتب الجندى ٥٢٣ مرة ، وذلك حرصا من محمد على على الارتفاع بمستوى الجيش •

ولم تقتصر مكافأة الضباط فى مصر على هـذه المرتبات المرتفعة وانما كانوا يمنحون أيضا وجبات طعام ودخانا ، والضباط العظام كانوا يمنحون قطعا من الأرض •• أما الخبراء الفرنسيون فقد أجزل محمد على لهم العطاء وخصص لكبار الضباط منهم راتبا لا يقل عن ٣٦ر٠٠٠ فرنك فى السنة عدا الهدايا والهبات فى وقت لم يتجاوز فيه راتب المدرب الأوروبى ١٨٠٠ فرنك فى السنة •

وكان محمد على قد عاد بعد تحويل الأرض لملكية الدولة الى توزيع بعض منها لتصبح أرضا خاصة اعتبارا من أول ديسمبر ١٨٢٩ وهو التاريخ الذى بدأ يهب الأرض فيه الى أقاربه وحاشيته وبعض كبار الضباط •

نشأت من ذلك فى صفوف الجيش فروق طبقية حادة بين الضباط والجنـود ••• أو بين الأجانب والمصريين ••• وأصبح هنـاك نوع من الاقطاعية العسكرية التى لا تتناسب مع اتجاهات محمد على التقدمية •

أدى ذلك الى بقاء الفلاح المصرى أو الجندى المصرى فى موقعه عاجزا عن التعبير عن ارادة الجمـاهير التى نبت بينها ، خاضعا لتعليمات قادته وضباطه الذين لا تربطهم بمصر أكثر من رابطة المصلحة المادية •

ورغم ذلك اشترك المصريون فى كل حملات محمـد على العسكرية وخاصة تحت قيادة ابراهيم باشا الذى كانت له قدرة خارقة على استثارة حماسة الجنود ، وكان لا يرضى أن تعمل أصغر رتبة فى جيشه ما لا يطيق هو نفسه عمله ••• وكان اسمه الشائع هو (أبو خليل) الذى كان يحمى الفلاحين من الجنود من التصرفات المهينة لبعض الضباط الأتراك أو المماليك•

ولابد لنا من جـولة قد تطول قليلا فى تاريخ حمـلات محمـد على العسكرية ، ولكنها ضرورية لانها تظهر الدور الذى لعبه الفلاح المصرى فى ملابس الجندية ، والمؤهلات التى توافرت لنضاله وتضحياته •

محمد على وثورة اليونانيين التحررية :

أسهم العسكريون المصريون أبناء الفلاحين فى حملات عديدة ، بدأت بحملة لاحتلال شرق السودان مستهدفة ضرب فلول المماليك الذين تجمعوا

في دنقلة ، وقد بدأ زحف الجيش المصرى البالغ تعداده ٥ آلاف محارب تحت قيادة اسماعيل باشا أحد أبناء محمد على فى أكتوبر ١٨٢٠ ٠

ولم يقابل الجيش المصرى مقـــاومة شديدة كمـا حدث فى الجزيرة العربية ، اذ لم يكن لدى السودانيين أسلحة نارية ٠٠٠ حاربوا بالرماح والحراب والتروس ، بينما كان الجيش المصرى مسلحا بالمدفعية ٠

وانتهت الحملة بالاستيلاء على شرق السودان ٠٠٠ وأصبحت الخرطوم مركز الممتلكات المصرية ، وتحولت بسرعة الى مدينة تجارية كبيرة ٠

وقد زار محمد على السودان عام ١٨٣٨ حيث جهز بعثات للبحث عن الذهب فى النيل الأبيض والأزرق ، وقسم السودان الى سبعة أقاليم عين محمد على عليها باشوات من حاشيته الأتراك ٠

كان المصريون قد دخلوا صفوف الجيش ٠٠٠ ولكنهم لم يكونوا قد فرضوا أنفسهم بما يسمح بتعيينهم حكمدارات أو حكاما للأقاليم المفتوحة ٠

كان محمد على قد سيطر بحملته على السودان على مجرى النيل كله تقريبا واستقر سلطانه فى مصر ٠

ولكن هذا لم يضع حدا لطموحه ٠٠٠ فان قدرات مصر فجرت فى نفسه كثيرا من الأهداف ٠

كان يأمل فى تكوين دولة عربية مستقلة ٠٠٠

أخـذ محمد على يجاهر بأن الشعوب العربية التى تكون مصدر قوة السلطان بالمال والرجال تعيش فى الامبراطورية العثمانية حيـاة التابع البائس المستضعف ، وأقام ينادى باسناد المناصب فى الادارة والجيش الى العرب ليمارسوا حق السلطة كما يتحملون تكاليفها ٠

كانت مصر قد أصبحت أضيق من أن تتسع لأحلامه ٠

يؤكد الذين رافقوا ابراهيم باشا فى حملته على سوريا فيما بعد بأنه سئل أثناء حصار عكا الى أى مدى ستصل فتوحاته فأجاب :

(الى حـدود البلاد التى لا يتكلم فيها الناس ويتفاهمون باللسان العربى) (٩) ؟

وكان محمد على مصمما فى قرارة نفسه فى حال نجاح سياسيته أن يدفع هـذه الشعوب لمبايعته بالخـلافة فيعزل الأتراك نهائيا عن العـالم الاســـلامى (١٠) ٠

---

(٩) السياسة الدولية فى الشرق العربى ، الجزء الثانى ـ اميل خورى وعادل اسماعيل ٠

(١٠) السياسة الدولية فى الشرق العربى ، الجزء الثانى ـ اميل خورى وعادل اسماعيل

ولكن الظروف التى تعرضت لها الامبراطورية العثمانية غيرت قايلا من مسار خطة محمد على ۰۰۰ فقد كان القرن التاسع عشر عصر القوميات فى البلاد الأوروبية ، وقامت فى أنحاء الامبراطورية عـدة ثورات تحررية وانتفاضــات شعبية ۰۰۰ ثورة الصرب ١٨١٥ والحـركة الوهابية ١٨١٨ واعلان العصيان فى حلب ١٨١٩ ۰۰ وأخيرا ثورة اليونان ١٨٢١ ۰

واذا كان محمــد على قد استجاب لاقتراح السلطان بالقضـــاء على الوهابيين مرحبـا بخروج جنوده من مصر ، فانه تعرض مرة أخرى لموقف جـديد فى مواجهة ثورة اليونانيين التحررية التى كانت تعطف عليها كافة الشعوب الأوروبية ۰

كان السلطان محمود الثانى قد تورط فى مقاومة الثورة اليونانية التى استطاعت البرجوازية اليونانية ـ النامية بسرعة شديدة من التجارة البحرية ـ أن تجذب اليها الفلاحين الذين قاسوا من اضطهاد الاقطـاعيين الأتراك ، وارتكب جنوده فظائع وحشية شديدة توترت لها أعصاب الجماهير الأوروبية ، وتطوع فى جيش الثوار عدد من القادة العسكريين ورجال الفكر فى أوروبا كالوزير سانتاروز الايطالى ، والشاعر لورد بيرون ، ولورد ستانهوب والسير ادوارد تشرش البريطانى ، والجنرال روش ، والكولونيل فافبيه ، والكولونيل فيليب جوردان الفرنسيين (١١) ۰

ولم يجد السلطان محمود الثانى بدا من الاستعانة مرة أخرى بمحمد على بناء على نصيحة مترنيخ الألمانى ،وكان يستهدف بذلك أمرين كلاهما له فيه مصلحة ، الأول القضاء على الثـورة اليونانية بســلاح محمد على وما يؤديه ذلك الى خلاف بينه وبين الدول الغربية ۰۰ والثانى اضعاف محمد على بسلاح اليونانيين ومن ورائهم الشعوب الغربية ۰

ودعا السلطان محمود محمد على الى تركيا وأحاطه بكل مظاهر العطف والتكريم وأقطعه جزيرة كريت ثمنا لتدخله ، وفى ١٦ ديسمبر ١٨٢٤ صدر فرمان شاهانى بتعيينه قائدا عاما للقوات العثمانية فى المورة ، فندب لذلك ابنه ابراهيم مع ٣٠ ألف جندى واسطول مؤلف من ٥٦ سفينة حربية كبيرة ، و ٢٥٠ سفينة نقل ۰

ولكن لم يكن محمــد على جاهلا بنيــة السلطان ، ولكنه وجد فرصــة لتحقيق أهدافه ۰۰۰ فان ضعف الباب العالى واشتعال ثورات التحرر فى أرجاء الامبراطورية العثمانية يعطى محمد على خير فرصة لتحقيق استقلال مصــــر ۰

---

(١١) (نفس المصدر) ۰

ولعل أصدق توضيح لخلفية فكر محمد علي ما ورد فى خطاب صديقه الجنرال بواييه كبير المدربين العسكريين الفرنسيين بتاريخ ١٨ يوليو ١٨٢٥ مرسلا الى وزير حربية فرنسا :

(من واجبى أن أطلعك على حديث سرى جرى لى مع الباشا أطلعنى فيه على حقائق أفكاره ومراميه وما هيأه من مشاريع · ان محمد على يثق ثقة كاملة بعبقرية ابنه وصلابة عود جيشه ، ولا يشك مطلقا بأن حملته على المورة ستكلل بفوز تام · وقد قال لى « ان الانتصارات التى سأحرزها فى هـذا الجزء من الامبراطورية ستوسـع مدى صـيتى وتزيدنى نفوذا · والسلطان لم يبق له من وسائل القوة والبأس ما يمكنه منأن يحول دون تنفيذ مشاريعى · ولقد أصبح النصر حليفى وبات اسمى ومجدى على كل شفة ولسان فى الامبراطورية · أنا من الترك ولهم · ولكنى أيضا للتاريخ · لقد أقلت الدولة من عثراتها ونهضت بها مما كانت فيه من خراب وذلك على كره من الديوان الذى يأبى على غيره أن يكون عظيما ويريد أن تكون العظمة وقفا عليه · وأنا مدرك أن الامبراطورية ماضية قدما الى هلاكها وأن يوما سيأتى يستعصى على فيه أمر انقاذها ، فلا مغنم لى ولا فائدة فى أن أغامر بامكاناتى ووسائلى فى سبيل أمر مستحيل ، ولكننى سأقيم على أنقاضها مملكة واسعة · وأنا أملك كل ما يلزم لتحقيق هذه الغاية · ولى من جيوشى وعملائى المنتشرين فى كل جانب ما يجعل كلمة واحدة منى كافية لفتح حصـون عكا وأبواب دمشق وبغداد · وشعب جبل لبنان سيحمل سلاحه عند أول اشارة منى للاسهام فى تحقيق أهدافى وتنفيذ ارادتى · ولا أطلب من الزمن الا أن يكون حليفى لثلاث سنوات وهى مـدة تكفيكم لتجهزوا وتنظموا لى جيشـا اضافيا من خمسين ألف مقاتل ومائة وخمسين مدفعا · وعندئذ أصبح مستكملا أسباب العمل · وسأفيد من السـنوات الثـلاث لتعزيز جيـوشى فى سنار وبلاد الحبشة والحجاز · وسأجد فيما تحت حكمى من البلاد الأسيوية وشعوبها الكثيفة عددا لا يستهان به من العساكر · وفى هذا الوقت يتم احتلال المورة وتنظيمها سلميا · وعندئذ أصبح بفضل قوتى متحررا من كل هم خارجى فينطلق ابنى الظافر لتقرير المصـير على ضفاف دجلة والفرات اللذين أريدهما حدودا حصينة للأراضى التى أنوى اقطاعه اياها والتى له من البأس والشجاعة وقوة العزيمة ما يضمن انتزاعها وبسط سلطانى عليها) ·

يظهر هذا الخطاب ان محمد على لم يأخذ موقفا مبدئيا فى مساندة حركات التحرر القومى ، رغم أن محاولته الاستقلال بمصر كانت واحدة من

أهم هذه الحركات التى تفجرت فى الامبراطورية العثمانية مع مطلع القرن التاسع عشر •

ولكن ظروفه الخاصة فى مصر وظروف العصر الذى كانت تتناطح فيه الدول الاستعمارية الأوروبية دفعته الى الاقدام على مشاركة السلطان فى محاربة الثورة اليونانية مما بذر تناقضا محدودا بينه وبين فرنسا التى ساندت الحركة التحررية فى اليونان ، وفى ذلك يقول محمد على للجنرال بوابيه :

« انتم فى أوروبا لكم من تربيتكم ودينكم وتقاليدكم ما يجعلكم تستفظعون ما هو واقع فى بلاد اليونان فاكتب الى أصدقائك أنى فى الساعة التى يلقى فيها هذا الشعب المتمرد سلاحه ويعلن خضوعه سأجمع فى كل البلاد التى أحكمها ، الأرقاء الذين أسرهم جنودى وأعيد عليهم ، ذكورا واناثا ، حريتهم وأرجعهم الى بلادهم • فأنا أريد أن أكون ملكا على شعوب حرة لا على عبيد • ومتى تقدمت فى تنفيذ مشاريعى فانى سأطبق قوانينكم فى تنظيم الادارة واقتفى خطى الشعوب المتحضرة فى قارتكم السعيدة ، فكل ما يعمل عندكم ليس اعتباطيا بل مدروسا • وكل أنظمتكم موجودة لدى بنصها وترجمتها ولن يمضى وقت طويل قبل أن أجعلها مطبقة ونافذة فى بلادى » •

« وأنا لا أشعر بخوف الا من بريطانيا لان باستطاعة أساطيلها أن تشل ارادتى وفعاليتى وتخرب ماليتى بحصار تضربه على سواحلى ، ولكن لى سياسة ، وسأسهر على ألا يكون فيها ما يغضب هذه الدولة • فاذا ساعدتنى الحظوظ ومكنتنى من كسب الوقت الكافى فانى سأخرج من هذه الظروف الصعبة وأنا على أطيب حال » (١٢) •

وكان وصول القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا انعطافا حادا فى طبيعة الحرب اذ توالت انتصارات الجيش المصرى ، فتم تدمير حصن ميسولونجى مركز مقاومة اليونانيين الرئيسى فى ٢٢ ابريل ١٨٢٦ •••

وشاءت مصادفات القدر أيضا أن يستسلم الاكروبول وتحتل قوات ابراهيم أثينا يوم ٥ يونيو ١٨٢٧ وهو نفس التاريخ الذى هزمت فيه القوات المصرية أمام اسرائيل بعد ١٤٠ عاما •

اظهر الجندى المصرى قدرته على التحمل والتضحية بأسرع مما توقعه أكثر القادة العسكريين تفاؤلا •

---

(١٢) السياسة الدولية فى الشرق العربى ، الجزء الثانى – اميل خورى وعادل اسماعيل•

وقد جذبت انتصارات محمد على أنظار الدول الغربية اليه باعتبارها خطرا يهدد أوروبا ... ونصحه القائد الفرنسى بليار خلال مستشاره بوابيه بقوله « غريب أن يستمر الباشا فى عمله ويواصل ارسال عساكره وأمواله الى بلاد لا حظ له ببقائها تحت حكمه والتى أرادوا أن تكون مقبرة لقواه ومجده » ... « ان سر عظمة محمد على الحقيقية هى فى أن يكون قويا جدا ومنيعا فى داره أى فى حدود ملكه ، وأمامه مجالات واسعة لامتداد سلطته .. أمامه سوريا وافريقيا وآسيا ، ففى هذه البلاد ميادين تليق بمجده » .. ونصحه أيضا بأن يسارع لعقد معاهدة تعاون وصداقة مع اليونانيين اذا لقى من يحدثه فى ذلك (١٣) .

ولكن محمد على بقى مترددا فى الانسحاب من المورة وترك جيوش السلطان تحت رحمة اليونانيين وعبر عن حقيقة تفكيره بما قاله للجنرال بوابيه .

ولما تحرج الموقف بعد سقوط أثينا عقدت انجلترا وفرنسا وروسيا معاهدة فى لندن بعد شهر واحد من سقط الاكروبول ـ يوم ٦ يوليو ١٨٢٧ ـ وقررت فيها حل المسألة اليونانية بأن تصبح اليونان دولة مستقلة تحت اشراف السلطان ، أى فصلها مدنيا عن تركيا ، وتضمنت بنودا سرية فى حالة رفض السلطان للمعاهدة تقضى باتخاذ اجراءات عملية لانهاء الحرب والاعتراف بالدولة اليونانية .

رفض السلطان المعاهدة ، وطلب من محمد على تحريك أسطوله فى اليونان فتحرك فعلا فى شهر أغسطس ١٨٢٧ ، وفى نفارين يوم ٢٠ أكتوبر حدث تصادم بين بحارة سفينة عثمانية وملاحى احدى السفن البريطانية انتهى الى معركة طاحنة انتهت بتدمير الأسطولين العثمانى والمصرى تدميرا تاما .. ولم يكن ابراهيم وقتها فى مكان المعركة ، بل كان فى المورة .

وكانت معركة نفارين بداية حرب روسية تركية رفض محمد على الاشتراك فيها وأظهر من الحكمة والتعقل ما جعله يقبل طلب الدول الكبرى الجلاء عن اليونان بعد أن تكبد خسائر فادحة بلغت ٣٠ ألف مقاتل وأسطولا كاملا .

وغادر ابراهيم باشا المورة والتعاسة تثقل قلبه ، وأثناء تسليمه للقائد الفرنسى جنرال ميزون قال الأخير أن الغاية من قدومه ليست الا تكريس استقلال اليونان ، ورد عليه ابراهيم باشا ساخرا « اذا كان الأمر هكذا واذا صح ان فرنسا حريصة على استقلال الشعوب فلماذا تستبعد

(١٣) السياسة الدولية فى الشرق العربى ، الجزء الثانى ـ اميل خورى وعادل اسماعيل.

(١٤) السياسة الدولية فى الشرق العربى ، الجزء الثانى ـ اميل خورى وعادل اسماعيل.

الاسبان وترسل اليهم الجيوش للقضاء على حركتهم التحررية .. أيكون الاسبان أقل حقا من اليونانيين بأن يكونوا أحرارا ؟ » (١٤).

وفى ٩ سبتمبر غادر ابراهيم باشا المورة مع فلول قواته بعد أن انتهى التعاون العثمانى المصرى ، وانفرط أيضا عقد التحالف الثلاثى بين روسيا وانجلترا وفرنسا ، خشية تسرب النفوذ الروسى ، ووعدت فرنسا محمد على بمساعدته فى بناء أسطول جديد .

من اجل دولة عربية مستقلة :

ولم تصب هزيمة نفارين محمد على باليأس . وانما بعثت فيه نشاطا جديدا فى صراعه من أجل سوريا وفلسطين وتكوين الدولة العربية الكبيرة التى كان شديد الطموح لتكوينها .

وفى ذلك كتب كارل ماركس (لقد فقد الباب العالى هيبته فى عيون رعيته نتيجة لحرب ١٨٢٨ ـ ١٩٢٩ الفاشلة ، وعندما تضعف السلطة العليا ـ كما هو مألوف عادة فى الامبراطوريات الشرقية ـ تستمر انتفاضات الباشوات ومنذ أكتوبر ١٨٣١ نشب خلاف بين محمد على باشا مصر الذى كان قد آزر الباب العالى أثناء الانتفاضة اليونانية (١٥) .

كانت العلاقة بين السلطان ومحمد على تزداد توترا يوما بعد يوم .. رفض محمد على الاسهام مع تركيا فى حربها مع روسيا ، ورفض المساهمة فى دفع التعويضات مع السلطان .

وكان مفروضا أن تؤول ثورة محمد على التحررية الى حرب فعلية ضد السلطان عقب انهاء حرب المورة ولكنها تأجلت مدة عامين بسبب الخطط المصرية الفرنسية الرامية الى فتح شمال افريقيا والتى انتهت الى رفض محمد على للمشاركة فى هذا الفتح لان الاتفاق كان على حد قوله للمفاوضين الفرنسيين « يعتبر تآمرا على الباب العالى مع دولة أجنبية » ... ويلقى محمد على مزيدا من الضوء على أسباب رفضه فيقول أيضا « لست مستعدا للمجازفة بمركزى وشعبيتى ، واذا قبلت الاتفاق فانى أخسر كل ما أكسبتنى اياه أعمالى وجهودى ، وأخسر معه شرفى فيحتقرنى أبناء أمتى وينصرف الناس عنى ، وثقوا أن قرارى وما أقوله لكم الآن لا ينبع من عاطفة دنيئة فأنتم تعرفوننى وتعلمون اننى متحرر من هذه الاعتبارات التى يتقيد بها قومى وأن تفكيرى يسمو فوقها ، ولكنى أفعل وأقول هذا لانى لست كبيرا الا بفضل عطف أمتى على وثقتها بى . قد تقولون ان مواطنى

---

(١٥) تاريخ الأقطار العربية الحديث (لوتسكى) .

حمير وثيران . هذا حقيقة أعلمها . ولكن هؤلاء الثيران والحمير هم قوتي . ان الاتفاق الذى تفرضونه على اذا قبلته كان قبولى حكما منى على نفسى بالهلاك ولا أقول لكم هذا اعتباطا ولكن عن علم صحيح وبعد تفكير طويل . والبدوى فى الصحراء أصدق علما بمرض بعيره من أكبر طبيب فى أوروبا . وأنا لا أجزع من القيام بالحملة ، ولكنى لن أقوم بها الا منفردا وعلى أساس الاتفاق الأول » .

رفض محمد على أن يسهم فى حملة ضد السلطان مشتركا مع دولة غربية ، وأصر على أن تكون حركته منفردة حتى لا توصم بغير حقيقتها القومية والتحررية .. كما زاد ارتباطا وثقة بالشعب والجيش المصرى .

وعندما وصلت محاولة الاتفاق لغزو شمال افريقيا مع فرنسا الى نهايتها ، بدأت فورا حركة محمد على للاستيلاء على فلسطين وسوريا من أجل تكوين دولة عربية واحدة مستقلة مستندا الى أن جزيرة كريت ليست كافية وحدها لتعويض النفقات والمصاريف التى تكلفها فى حملة المورة .

واستخدم محمد على نزاعا نشب بينه وبين عبد الله باشا والى عكا الذى رفض اعادة ٦٠٠٠ جندى هارب الى صفوف الجيش المصرى ... وكان عدد من الجنود المصريين يعمد الى الهرب من العسكرية للمتاعب الشديدة التى يتعرضون لها فى الحملات الخارجية ، ولشعورهم بأنهم يحاربون فى معارك (لا ناقة لهم فيها ولا جمل) كما ان محمد على كان قد ضاعف عدد المجندين لسد الثغرات التى فتحتها فى صفوف جيشه حروب الحبشة وآسيا والمورة - على حد تعبيره ، وتجنيد عشرين ألفا من البحارة لتعزيز أسطوله الجديد الذى أنشأه بالتعاون مع فرنسا بعد هزيمة نفارين وضم ثلاث سفن ضخمة ذات ثلاثة طوابق ، وعشر بواخر ، وخمسة عشر طرادا ، كما ان محمد على كان يتخذ أسلوبا عنيفا فى معاملة الهاربين من الجندية اذا ظلوا فى مصر وهو فى ذلك يقول « ولا يخفى على أن عددا غير قليل من عساكرى البريين والبحريين يفرون من الخدمة العسكرية ولذلك أمرت بشنق كل رجل يأوى الى بيته جندى فار سواء أكان هذا الرجل شيخ القرية أو القائمقام أو حاكم الاقليم » (١٦) .

ولذا استخدم محمد على رفض والى عكا اعادة الستة آلاف من الجنود الهاربين ذريعة للهجوم على سوريا وفلسطين فى وقت كان الشعور فيه معاديا للسلطان نتيجة لضيق الجماهير الشعبية من الضرائب التى أجبر السلطان على فرضها للنفقات والغرامات الحربية .

---

(١٦) السياسة الدولية في الشرق العربي ، الجزء الثاني - اميل خوري وعادل اسماعيل.

واستقبل المصريون كمنقذين ومحررين من نير السلطان ، لا من قبل سكان المناطق العربية فحسب ، بل من قبل سكان المناطق التركية الصرفة التابعة للامبراطورية (١٧) ٠

كانت حركة الجيش المصرى فى سوريا وفلسطين مختلفة تماما عن حركته فى بلاد اليونان ٠٠٠ انه يناصر الشعوب العربية ضد الظلم الواقع عليها من السلطان التركى بينما كان فى السابق يعادى حركة الشعب اليونانى التحررية ٠

بدأت الحملة تحت قيادة ابراهيم باشا فى ٤ نوفمبر ١٨٣١ وتساقطت المدن واحدة بعد الأخرى : غزة ويافا وحيفا ثم عكا بعد حصار طويل ، وأخيرا دمشق وحمص وحماة وحلب ٠٠٠ وأثناء ذلك وجد الجيش المصرى قوات الأتراك التى تمركزت قرب حمص ، وكبدها خسائر بلغت ٤٠٠٠ قتيل وجريح ٠٠٠ ودخل بلاد الأناضول حيث هزم الجيش التركى للمرة الثانية فى بيلان فى ٢٩ يوليو ١٨٣٢ وهرب قائده مع فلول قواته الى اطنه ٠٠٠ وواصل الجيش المصرى زحفه حتى التقى بحشد من القوات التركية بلغ ٦٠٠٠٠ يواجهون ٣٠٠٠٠ جندى مصرى فى مدينة قونية ، وكانت النتيجة انتصارا باهرا للجيش المصرى الذى أسر القائد محمد رشيد باشا الصدر الأعظم ، وفتح الطريق بعد ذلك الى الأستانة ووصل الى كوهيه ٠

وكتب ابراهيم باشا الى والده بعد المعركة بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٨٣٢ يقول :

« انى أعتقد ان مشكلاتنا يجب أن تسوى فى الأستانة لا فى غيرها من الأماكن ٠ ففى الأستانة اذن يجب أن ندق أوتادنا لنملى ارادتنا ونحقق أهدافنا ٠٠ ويجب الا ننسى أن الأتراك لم يعقدوا الصلح مع روسيا الا بعد أن وصلت جيوش القيصر الى أبواب الأستانة ٠ لذلك يجب علينا أن نسرع بالتقدم الى بروسه على الأقل ونحتل البلاد الواقعة على ساحل بحر مرمرة ونتخذها قواعد بحرية لتموين جيشنا ٠ ومتى دخلناها يصبح سهلا علينا نشر الاشاعات التى تؤدى الى اسقاط السلطان ٠ واذا عجزنا عن خلعه فاننا لن نعجز عن املاء شروط الصلح التى نريدها » (١٩) ٠

---

(١٧) نفس المصدر ٠

(١٨) تاريخ الأقطار العربية الحديثة ٠٠ (لوتسكى) ٠

(١٩) السياسة الدولية فى الشرق العربى ٠

ولكن محمد على كان له رأى آخر صرح به لقنصل روسيا فى الاسكندرية بعد رؤيته لفزع الدول الكبرى من انتصاراته الخاطفة اذ قال له :

« اننى لا أسعى للجلوس على عرش السلطان رغم علمى بما يدور فى الآستانة واطلاعى على امكانات الباب العالى الحقيقية . ان باستطاعتى أن أنزل السلطان عن عرشه بهجمة موفقة يقوم بها أسطولى ولكننى لا أحب الاعتداء على حقوق أبنائه لانهم خلفاء النبى . وليس معنى هذا اننى أرهب جيوش السلطان .. ان السلطان يتهمنى بالعصيان وينسى اننى استوليت على مصر بسيفى وان أحدا لا يستطيع أن يخرجنى منها الا بحد السيف . أنا تابع للسلطان ولكنى فى مصر بحق الفتح . واذا كتب لى البقاء فى الشام فسأظل تابعا له ودعامة لعرشه » .

وكان محمد على أبعد نظرا اذ سرعان ما طلب السلطان محمود الثانى المعونة من روسيا فى ٣ فبراير ١٨٣٣ فدخل أسطولها مياه البوسفور فى ٢٠ فبراير وأنزل فيلقا عسكريا من ٢٠ الف محارب ، وأسرعت بريطانيا وفرنسا خوفا من تغلغل النفوذ الروسى الى مصالحة محمد على مع السلطان الأمر الذى تحقق فى كوتاهيه بتاريخ ٤ مايو ١٨٣٣ عندما أصدر السلطان فرمانا يثبت فيه حقوق محمد على فى مصر والجزيرة العربية والسودان وكريت وتعيينه حاكما عاما على فلسطين وسوريا ، بعد ان كان قد أصدر فى ٤ مايو ١٨٣٣ نطقا يعلن فيه خروج محمد على عن الطاعة هو وابنه ابراهيم وعزله عن ولاية مصر ...

ظل صلح كوتاهيه شفهيا ورفض السلطان أن يسجل أحكامه فى معاهدة خطية مما جعله بمثابة تجميد للمشكلة وليس حلا لها ... هدنة وليست صلحا .

كان السلطان يريد الانتقام من محمد على ، ولكنه كان عاجزا وحده عن أن يفعل شيئا ، فاتجه الى روسيا التى ساعدته على الاحتفاظ بعرشه ، وعقد معها معاهدة (هنكار اسكلسى) فى ٨ يوليو ١٨٣٣ فور جلاء القوات الروسية عن الأرض التركية .

وأثارت هذه المعاهدة التى عقدت لمدة ثمانى سنوات ونصف وكانت احدى موادها السرية تشير الى تعهد الباب العالى باقفال الدردنيل بوجه كل أسطول أجنبى يرى الروس فيه ما يهدد سلامة ممتلكاتهم الواقعة على البحر الأسود مع فتح المضايق أمام الأساطيل الروسية فى سيرها الى البحر الأبيض المتوسط فى حال وقوع حرب بين روسيا واحدى الدول الأخرى .

---

(٢٠) نفس المصدر .

أثارت هذه المعاهدة عاصفة في السياسة الدولية لانها تمت تحت ضغط حقد السلطان على محمد على وفى ذلك قال لمندوبى انجلترا وفرنسا بأن « الدولة العثمانية وعاصمتها لا قيمة لهما فى نظره وانه مستعد للنزول عن عاصمته لمن يجيئه برأس محمد على » (٢١) ٠

ماذا فعل محمد على فى الأرض التى احتلها الجيش المصرى ؟

كتب بالمرستون عن محمد على فى عام ١٨٣٣ قائلا « ان هدفه الحقيقى هو تكوين مملكة عربية تضم كل الأقطار التى تتكلم بلغة الضاد » ٠٠٠ وأبلغ البارون بوالكمت الممثل الفرنسى لدى ابراهيم بأنه يرمى « الى بعث الوعى القومى العربى واحياء الأمة العربية وغرس شعور وطنى أصيل عند العرب » (٢٢) ٠ وسبق أن ذكرنا تصريحا لابراهيم قال فيه ان فتوحاته ستصل « الى حدود البلاد التى لا يتكلم فيها الناس ويتفاهمون باللسان العربى » ٠

وهكذا كانت القومية العربية تلهب خيال محمد على وتدفعه الى تجريد الامبراطورية العثمانية من سكانها العرب ٠

وبذل ابراهيم فى سبيل ذلك الى جانب خطواته الحربية خطوات أخرى اجتماعية ٠٠ فقام بعدد من الاصلاحات مثل التى قام بها والده فى مصر لتصفية العسف الاقطاعى وتغيير أسسه ، فحرم الابتزاز وأعفى الأرض البكر من الضرائب وسكن البدو فى الأرض المناسبة ٠

زادت مساحة الأرض المنزرعة فى سوريا خلال العامين الأولين من ٢٠٠٠ الى ٧٠٠٠ فدان فى حوران واستطاع الفلاحون أن يتاجروا بمحاصيلهم بدلا من تخزينها خوفا من الباشوات الأتراك وكبار الاقطاعيين الذين أجبرهم ابراهيم على الخضوع للسلطة المركزية ٠

وأعاد ابراهيم تنظيم البلاد على أساس ست مديريات بنظام عصرى مركزى ، كما أصلح نظم التعليم وأنشأ المدارس الابتدائية فى كافة أنحاء سوريا ، والمدارس الثانوية فى المدن الكبيرة ، وجعل كلوت باشا مشرفا عليها طالبا منه غرس الوعى القومى العربى فى نفوس الطلاب ٠٠٠ وأنشأ ابراهيم أيضا أول دار للطباعة فى لبنان (٢٣) ٠

وكان ابراهيم مثل والده محمد على بعيدا عن التعصب الدينى فحرر المسيحيين من القيود التى فرضها عليهم الباشوات والأتراك ٠

---

(٢١) السياسة الدولية فى الشرق العربى ٠
(٢٢) تاريخ الأقطار العربية الحديث — لوتسكى ٠
(٢٣) السياسة الدولية ٠

ولكنه رغم كل ما قام به محمد على وابراهيم من اصلاحات فى سوريا وفلسطين الا أن تجمعا معارضا بدأ يتحد ضده من الاقطاعيين الذين قهر نفوذهم ومن الفلاحين الذين بدأ يطبق عليهم قوانين التجنيد فقامت عدة انتفاضات من الفلاحين ضد التجنيد فى فلسطين وفى مناطق الدروز ، وتعرضت القوات المصرية وابراهيم نفسه لأخطار شديدة ، تغلب عليها بعد مقاومة عنيفة ٠

وانتهز السلطان هذه الفرصة متذرعا بالاضطرابات ليعاود موقفه العدائى من محمد على مستهدفا ابعاده عن سوريا لانه على حد تعبيره « غير أهل للحكم وعاجز عن تأمين الأمن والراحة للاهلين » ٠٠٠ ولكن الأمر كان يجاوز حدود قدراته لفقدان الباب العالى لهيبته وعجزه عن ارغام محمد على عسكريا على الانسحاب ٠

ولكن تطورات السياسة الدولية ساعدت السلطان على اتخاذ موقف صريح ضد محمد على ، فان فرنسا فشلت فى انجاح المفاوضات بين السلطان ومحمد على ، وانجلترا برزت فى الميدان تستهدف تحطيم نفوذ فرنسا ووقف نمو النفوذ الروسى والتصار محمد على فى وقت واحد ٠

كان محمد على يخشى انجلترا ٠٠٠ ولم تكن الحكومة البريطانية من جهتها مرتاحة الى نجاح محمد على والتقدم الزراعى والصناعى والعسكرى الذى أحرزه فى مصر وبسطه لسيطرته على الجزيرة العربية وسوريا مما يجعل طريق الهند تحت رحمة رجل قوى منظم يقود قوة عسكرية هائلة ٠

ولعب بالمرستون وزير خارجية بريطانيا دورا خبيثا فى تحقيق هذه الأهداف معتمدا على ضعف السلطان ٠٠ وقد وصف كارل ماركس هذا الرجل الداهية بقوله :

« أنه محافظ من رأسه الى أخمص قدميه ، ألبس السياسة البريطانية نسيجا من الكذب والنفاق فكان فى هذا خير ممثل للمحافظين وأصح ناطق باسمهم ٠ وكان ماهرا فى صب الآراء والأفكار الاقطاعية فى قالب كلامى ديموقراطى ، وفى اخفاء ما فى صدره من أطماع تجارية رأسمالية وراء ستار الحرص على السلام والاستمساك الشديد بالقيم الروحية » (٢٤) ٠

وكان محمد على قد استدعى قنصلى بريطانيا وفرنسا وأبلغهما انه قرر اعلان استقلاله تمشيا مع سياسته الاصلاحية وتطور بلاده ، وان بقاء

---

(٢٤) السياسة الدولية ٠

مصر وســوريا فى حظيرة السلطان يتنافى والواقع السياسى والاجتماعى فى الشرق ٠٠٠ وكان قد سبق له حديث قاس مع القناصل سألهم فيه كيف تقبل دولهم استقلال الولايات المتحدة واليونان وبلجيكا وتأبى على مصر أن تستقل قائلا لهم « خبرونى أيها القناصل عن التاريخ الذى قرأتم فيه أن رجلا كان له من القوة والشأن مثـل ما لى فاستكفى بوضع التابع ولم يحطم الغير ليتحرر ويستقل » ٠

وكان بالمرستون يعتقد ان أى تصادم بين محمد على والسلطان سيكون فيه القضاء على الجيوش العثمانية قضاء تاما فيتدفق الروس الى الآستانة ودمشق ويصعب اخراجهم منها ، كما أن انتصار محمد على لابد أن يحمل انتعاشا للنفوذ الفرنسى ٠٠٠ ولذا عقد معاهدة تجـارية مع تركيا عـام ١٨٣٨ ، حولت بها الامبراطورية العثمانية الى مصدر تابع للدول الأجنبية يزودها بالمواد الأولية ، وألغت احتكار الخزينة الدولية لمختلف أنواع المواد الأولية .

ولكن السلطان محمود الثانى عندما شعر بمساندة الدول الأوروبية له (روسيا وانجلترا والنمسا وبروسيا) استعد للحرب بصورة محمومة وعبأ جيشا من مائة ألف جندى ٠

الحملة السورية الثانية :

عبرت القوات التركية الفرات فى ٢١ ابريل ١٩٣٩ وهاجمت قوات محمـد على ولكنها منيت بهزيمة شديدة فى ٢٤ يوليو قرب نصيبين رغم أن القوات العثمانية كانت تحت ادارة القائد الألمانى المشهور (فون مولتكه) الذى أصبح فيما بعد القائد الأعلى للجيش البروسى فى عهد بسمارك ٠

أصبح الطريق مفتوحا للمرة الثانية أمام ابراهيم باشا الى الآستانة وتوفى السلطان محمود بعد ستة أيام من هذه الهزيمة ٠ واعتلى العرش ابنه عبد المجيد ٠٠٠ وانضم الأسطول العثمانى كله بقيادة الأميرال أحمد فوزى الى جانب محمد على ٠

ومع ذلك لم يتقدم ابراهيم باشا الى الآستانة ٠٠٠ واستجاب لرأى والده الذى أراد تفادى القيام بأى عمل استفزازى ضد الروس ٠

تردد محمد على فى فرض ارادته كما فعل بعد انتصاره فى المورة ٠٠٠ وكان عـدد كبير من المفكرين الأوروبيين يرون أنه كان على محمد على أن يعلن استقلاله بالقوة أثناء حرب المورة فتضطر الدول الى معاملة مصر على قدم المساواة مع اليونان ٠ وكان من أبرز هؤلاء المفكرين الأمير البروسى

بوكلر ــ موسكو وهو عالم أثرى ، فكتب أن الدول الأوروبية ظنت وأعلنت أن واجب الشرف قضى عليها بخوض معركة نافارين دفاعا عن حرية اليونانيين واستقلالهم ، وواجب الشرف يقضى علينا نحن بأن نسألها لماذا لم تنظر الى استقلال بلاد الفراعنة بالعين التى نظرت بهـا الى الحرية اليونانية . ان علماء الآثار ورجال التاريخ والجغرافيا لا يفرقون بين حضاة البلدين وحق كل منهما فى الاستقلال والحرية ، ولكن القوة العسـكرية ليست بيدهم . ان راحة أوروبا وآسيا ومصلحة العلوم والفنـون والحضارة أحق بالرعاية والاحترام من الغايات المادية . ولقد كان على محمد على أن يمضى الى هدفه غير متأثر أو متعثر بالاعتبارات الخارجية . واخشى أن ينطبق عليه قول حكيمنا شيللر « ان الفرصة التى أعطاكها الدهر فرفضتها لن تعيدها لك الأبدية » .

وتحقق قول شيللر فعلا فضاعت الفرصـة من محمـد على ووقعت الدول الأربع مذكرة الى تركيـا تطالبها بعدم اتخاذ قرار نهـائى وبدون مساعدتهم لها وان ترقب نتائج التعاون المشترك الذى اتخذ من قبلهم من أجل مصيرها (٢٥) .

وقامت فى فرنسا معارضة قوية ضـد الرأى الذى بدأ يسود بتسوية الأوضاع فى الشرق على أساس اعادة سـوريا الى السلطان دون تعويض محمـد على .. وشنت الصحافة الفرنسية حملة شـديدة على السياسة البريطانية التى استشعرت خطرها على مستقبل فرنسا فى البحر المتوسط وهم يحتلون أهـم المراكز الاستراتيجية فى جبل طارق ومالطة وكورفو ويتحينون الفرصة للاستيلاء على الاسكندرية والسويس .

خطب الشاعر المعروف لامارتين فى الجمعية الوطنية الفرنسية فى أول يوليو خطابا كان له دوى عظيم فى المحافل السياسية قال فيه :

« أجل ان الدولة التركية تميل الى الانهيار . وكبار الرجال والعناصر الفتية والقوية ينفخون روح الرجولة فى الامبراطوريات الهرمة ويجددون لها شبابها. انظروا الى باشا مصر يبعث البلاد العربية فهل هو ابن سلطان. ان هو الا عبد متمرد . وهل فى هـذا ما يحط من شأنه أو من قيمته . هو الرجل الذى تتجسم فيه الشرعية الوحيدة فى الشرق الناهض . وقد حقق المعجزات . هو رسول الحضارة الى الشرق وسيد مصر وبلاد العرب وسوريا . ولو انكم لم تحولوا دون زحفه بعد وصوله إلى كوتاهيه لكان

---

(٢٥) تاريخ الأقطار القومية الحديث . لوتسكى .

الآن فى الآستانة رأس الامبراطورية يبعثها جديدة قائمة على أنقاض دولة بنى عثمان » (٢٦) ٠

ومضى ما يقرب من عام كامل والدول الكبرى تتفاوض حول مصير تركيا ومصر ٠٠٠ مؤتمر للسفراء ينعقد بصفة مستمرة فى لندن ٠٠٠ وفرنسا تنجح فى مايو ١٨٤٠ فى عقد اتفاقية بين مصر وتركيا يمنح السلطان فيها محمد على حكما وراثيا فى مصر وسوريا ، ولكن الدول الكبرى تعمل على احباط هذه الاتفاقية ٠

وتنشط بريطانيا فى استفزاز قوة محمد على دون توريط قواتها التى كانت تعانى فى الصين مما أجبرها على اجلاء الرعايا البريطانيين من الأماكن التى كانت تحتلها فى ماكاو ، واضطرابات عدن وهجمات البدو على الحامية البريطانية فيها ، وتدهور الحالة الداخلية فى الهند ٠

أطلق البريطانيون الجواسيس والعملاء يشجعون اللبنانيين على الثورة ضد ابراهيم باشا والأمير بشير لزيادة الضرائب التى بلغت ثمانية ملايين وسبعمائة وخمسين ألف قرش عام ١٨٤٠ بعد أن كانت لا تزيد عن المليونين ونصف المليون قبل مجيء الجيش المصرى قبل ذلك بثمانى سنوات ، وصدور قانون الخدمة العسكرية الاجبارية على جميع اللبنانيين مسلمين ونصارى ، وكذلك استخدم الأمير بشير للسخرة ٠

وعندما فشلت ثورة لبنان التى كانت ضعيفة التنظيم حاول البريطانيون خلق المتاعب لمحمد على بتحريض بحارة الأسطول العثمانى اللاجيء الى الاسكندرية على رفع راية العصيان والعودة الى الآستانة ٠

وساءت العلاقات بين محمد على والقنصل البريطانى هودجز الذى قال عند تقديم أوراق اعتماده بأن بريطانيا عازمة عزما أكيدا على مواصلة سياستها القائمة على سلامة الامبراطورية العثمانية ووحدتها مما يحمل شبهة اعلان الحرب على محمد على الذى انصرف الى تقوية دفاعه وتوسيع استعداداته العسكرية ، فبدأ بتشكيل فيالق جديدة ، وبناء تحصينات قوية على الشواطيء وفى داخل القطر ، وجمع الضرائب واستنفر الرجال ٠ فأقلقت استعداداته قناصل الدول فى مصر وسوريا فكتب هودجز الى بالمرستون فى ٢٢ فبراير ١٨٤٠ « ان الدول الأوروبية تخطيء خطأ فادحا اذ تعتقد أن محمد على زعيم عصابات من الأفارقة السود الذين لا معنى عندهم للقيادة ولا قيمة للنظام ، فهو فى الحقيقة رئيس لدولة غنية بالرجال والأموال وقائد لجيش مدرب على أحدث الطرق الأوروبية ٠ وهو ينظر بعين

---

(٢٦) السياسة الدولية ٠

ملؤها الحذر الى تنكر أوروبا لنهضته وتجهمها له ويستعد للقائها • وقد تلمست في نشاطه ، في كل نواحي هذا النشاط ، فكرة يقظة وارادة منظمة كنت بعيدا كل البعد عن الاعتقاد بوجودهما عنده » • ولكن بالمرستون كان مصمما على القضاء عليه فكتب الى هودجز يقول له بكل صراحة أن الدول الأوروبية قد قررت استعمال القوة ضده اذا لم ينفذ قراراتها وأقام على موقفه من السلطان •

كان تفكير محمد على سليما فى استعداده لمواجهة بريطانيا بالقوة ، ولكن حيل بالمرستون لم تنضب فركز على النشاط الدبلوماسى ، ودفع عجلة المفاوضات بين السفراء فى لندن حتى نجح فى الحصول على توقيع النمسا وبروسيا وروسيا وتركيا على اتفاقية لندن فى ١٥ يوليو ١٨٤٠ وهى الاتفاقية التى قررت مصير محمد على •

اعتبرت اتفاقية لندن عام ١٨٤٠ نصرا كبيرا للدبلوماسية البريطانية، والتى وجهت الى محمد على انذارا فى ١٩ أغسطس بشروط الاتفاقية وهى :

١ ــ تسلم محمد على بمقاليد مصر كملك وراثى •

٢ ــ اناطة ادارة فلسطين (ولاية عكا) به كملك عليها مدى الحياة •

٣ ــ اعادة جميع الممتلكات الأخرى الى السلطان •

٤ ــ فى حالة عدم موافقة محمد على على الشروط المقترحة خلال عشرة أيام يحتفظ بمصر وحدها •

٥ ــ ان لم يوافق خلال عشرين يوما على هذه الشروط يعمل على عزله عندئذ بجهود الحلفاء المشتركة •

رفض محمد على الانذار ، وأعلن أنه ينوى أن يبقى بالسيف ما ربحه بالسيف ، وبدأت الحرب بنزول قوات بحرية بريطانية ونمسوية مشتركة على شواطىء لبنان وانتهت بسقوط بيروت واللاذقية والاسكندرونة وعكا وتهديد الأسطول البريطانى بضرب الاسكندرية •

واضطر محمد على الى التوقيع على الاتفاقية يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٤٠ تحت فوهات المدافع البريطانية بعد أن اقتصرت مساعدة فرنسا حليفة مصر على الامداد بالأسلحة والتأييد المعنوى ، متحاشية دخول حرب أوروبية ضد روسيا وانجلترا فى وقت واحد ••• فتركت مصر وحدها فى كفة الأقدار •

أصدر محمد على مرسوما بالجلاء عن سوريا وفلسطين ، واضطر ابراهيم باشا للانسحاب فى ظروف صعبة عبر السهول والصحارى الأردنية

فلم يصل من قواته التى بلغت ٦٠٫٠٠٠ جندى مصر الا ٢٤٫٠٠٠ وهلك الباقون من العطش والجوع والبرد والمرض وهجمات العرب عليهم ٠

تمت تسوية الموقف فى أول يونيو ١٨٤١ باصدار مرسوم سلطانى يحتفظ فيه محمد على ضمن ممتلكاته الوراثية بمصر والسودان مع اعادة جميع الأراضى الباقية ، وانقاص عدد الجيش ليصبح ١٨٫٠٠٠ فقط مع حرمان محمد على من حق تعيين اللواءات فى جيشه أو بناء السفن الحربية ، مع اعترافه بأنه تابع للسلطان ، يتعهد بدفع جزية كبيرة الى خزينته ٠

وهكذا تحالفت البرجوازية الأوروبية وخاصة الانجليزية لضرب مصر التى حقق فيهـا محمد على انجازات هائلة فى ميـدان الصناعة والزراعة والثقافة والحرب الحديثة ٠٠٠ وضعفت تبعية مصر الشكلية لتركيا لتقترب وتقع فى دائرة النفوذ البريطانى ٠

لم يكن محمـد على مثلما حاول لامارتين الشاعر الفرنسى أن يصف صورة السيد فى الشرق مظهرا الخلاف بينها وبين صورة السيد الذى يحكم فى الغرب عندما وقف خطيبا أمام الجمعية الوطنية الفرنسية قائلا :

« فى الشرق لا وجـود للنظم والأجهـزة بمفهومها الصحيح ولا أثر للتقاليد السياسية ٠ ولا وجود فيه الا لسيد من ناحية ولعبيده من ناحية أخرى ٠ والرجل الكبير فيه ليس سوى شخصية أو حدث ، بل هو أشبه بنجم يتلألأ لحظة فى ظلمات البربرية ٠ هو رجل يقوم بأعمال كبيرة يسخر لها آلافا من الناس الذين يحكمهم ولكنه لا يغير شيئا فى مسـتوى هذا الشعب ولا يؤسس دولة وطيدة الأركان ، ولا يخلق أجهزة أو يضع قوانين، فاذا غادر هذه الدنيا طوى عبقريته كما يطوى البدوى خيمته وتوارى معها تاركا المكان خاليا كما كان قبل قيامه » ٠

لم يكن محمد على مثل البدوى الذى يطوى خيمتـه ويغـادر الأرض بلا أثر ٠٠٠ فانه أقام فى مصر نظاما اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا انتكس بعد موته ولكنه لم يندثر ٠

كان محمد على قد وضع أساسا سليما لاقامة بناء ينفرد به المصريون ولا يخضعون فيه لسلطة قوة خارجية عنهم ٠

وضعت اتفاقية لندن نهاية لحكم عصرى متحضر امتد ما يقرب من ٤٠ عاما استطاع فيها أن يستنفد جانبا من طاقات الشعب المصرى ، ويتيح الفرصة لأبنائه فى مجالات التعليم والثقافة والحرب أيضا ٠

وكتب كارل ماركس قائلا (ان محمد على كان الشخص الوحيد الذى كان فى قدرته تحويل تركيا من العمامة المفتخرة الى رأس حى حقيقى) ٠

الفصل الثاني

الأميرالاى عـرابى ثائرا وقائدا

(السلطة التى أتمتع بها الآن لم أقم باغتصابها بل قلدنى اياها الشعب) .

احمـد عـرابى

اثر الاستسلام على قدرة محمد على العقلية وهو فى الواحدة والسبعين من عمره فتنحى عن ادارة شـئون الدولة لابنه ابراهيم باشا الذى أدارها فى الأربعينيات حتى أصبح حاكم مصر الرسمى عام ١٨٤٨ الا أنه توفى بعد ثلاثة شهور فقط فى ١٠ نوفمبر ولحق به محمد على الذى مات عن ثمانين عاما فى ٢٠ اغسطس ١٨٤٩ .

تولى عباس باشا الحكم فى ٢٤ ديسمبر ١٨٤٨ ومحمد على ما يزال على قيد الحياة ...

وانحسرت خلال حكمه منجزات محمد على ، لانه كان معاديا للتطور . نفورا من الحضـــارة الأوروبية ، منجذبا الى السلطنة التركية ... فاغلق المصانع والمدارس وهدم ما بنى من القناطر الخيرية ... وخضع لتعليمات الانجليز خضوعا تاما . واستند فى حكمه الى كبار الاقطاعيين الذين تكونوا فى عهد محمد على ، وأضاف عباس لهم مزيدا من الأرض ، وكان هو نفسه أكبر مالك فى مصر .

منح عبـاس الانجليز امتياز مـد السكة الحديد من الاسكندرية الى القاهرة والسويس لتسهيل تجارتهم مع الهند ... وأصبحت انجلترا هى الدولة الأولى فى التعامل التجارى مع مصر .. وفى أواخر الأربعينيات كان ربع الاستيراد منها وثلث الصادرات اليها .

ووصل الانحسار الرجعى فى مصر الى صفوف الجيش أساسا فانقص عدده عما حدد له حتى هبط فى وقت ما الى ٥٠٠٠ جندى ، حوله كما كان فى عهد بكوات المماليك الى حرس خاص له ... ومع ذلك كانت نهايته القتل بواسطة حرسه والاعلان فى بيان رسمى صدر فى يوليو ١٨٥٤ بأنه مات بالسكتة القلبية .

ولم يكن سهلا على عبـاس أن يرجع بمصر التى تألقت باصـــلاحات محمد على الى الأنظمة التركية القديمة ...

كانت مصر قد بعثت فيهـا القوى الانتاجية ، واتضحت العـلاقات الرأسمالية وتكونت البرجوازية ، وارتبطت بالسوق العالمية .

وفى ١٤ يوليو ١٨٥٤ تولى الحكم سعيد باشا أحـد أولاد محمد على الصغار وكان مختلفا فى طبيعته عن عباس باشا ... تميز بتفكير حر واعتبر نفسه مصريا الا أن ميوله كانت غربية...منح صديقه فرديناند دى ليسبس امتياز شق قناة السويس بعد ثلاثة شهور فقط من حكم مصر .

كانت بعض شروط الامتياز شـديدة الاجحاف بمصر التى تعهدت بتقديم أربعة أخماس العمـال المطلوبين للحفر مجانا ، والذين بلغ عددهم بصفة مستمرة ما بين ٢٥ الى ٤٠ ألف فلاح ، عملوا فى سخرة مطلقة وتحت ظروف رهيبة القسوة ؛ فمات منهم خلال العمل ٢٠ ألفـا ، شيدوا بحياتهم وبعرق زملائهم أضخم مشروع للبرجوازية الأوروبية فى القرن التاسع عشر .

وفى نفس الوقت حرم سعيد باشا نظـام وتجارة واستيراد الرقيق ، وحرر العبيد الذين كانوا يعيشون فى مصر ... وأعطى للفلاح حق تملك الأرض ، وحـرية زراعة وبيع المحصـولات الزراعية بعد أن ألغى نظـام الاحتكارات وقام بتصفية الجمـارك الداخلية .. وقد كون هـذا الوضع ظروفا ملائمة لتطور العـلاقات الرأسمالية فى القرية حيث أتيح للتجـار وأثرياء الفـلاحين شراء الأرض مما نقـل مســاحات كبـيرة الى المرابين والرأسماليين الأجانب .

وفى عهد سعيد أصبحت اللغـة العربية هى اللغـة الرسمية الوحيدة فى مصر .

وكان سعيد باشا مع ضعفه وتناقضـاته يحب مصر حبـا عميقا ، ويتحمس للمصريين ، وانعكس ذلك على الجيش أساسا ، فأعاد له صبغته الوطنية ، ونجح فى تغيير بعض القيود التى فرضت على الجيش عام ١٨٤١ فحصل فى عام ١٨٥٦ على موافقة من الباب العالى بزيادة الجيش المصرى من ١٨ الفا الى ٣٠ الف جندى ، وكان يقضى معظم وقته مع الجيش ، يقدم لجنوده جيد الطعام ، ويوفر لهم أفخم الملابس الزاهية ، ويشجع المصريين على دخول مدارس الجيش التى أعاد فتحها ٠٠ يقول عرابى فى مذكراته ان سعيدا أهداه تاريخ نابليون بالعربية طبع بيروت وهو بادى الغيظ لتمكن الفرنسيين من التغلب على البلاد المصرية ٠

وسن قاعدة جديدة تسمح بترقى صف الضباط والضباط المصريين الى رتب كبار الضباط ٠٠٠ وكسر بذلك نهائيا الحاجز الذى كان يسـد طريق وصول المصريين الى قيادة الجنود لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث ، وفى نفس الوقت مهد الطريق لثورة حقيقية فى المجتمع المصرى ٠

وصل الى رتبة البكباشى ــ المقدم ــ فى عهده ضابطان مصريان ، هما أحمد عرابى وعبد العال حلمى ٠٠ ووصل الأقباط كذلك الى رتب الضباط لأول مرة ٠

وأحمـد عرابى ولد عام ١٨٤١ ابنـا لشيخ بلد قرية (هرية رزنة) بالشرقية ، تعلم القراءة والحساب على يد صراف قبطى ثم انتقل الى الأزهر ومنه الى الجيش ، حيث سـاعده تعليمه وزيادة عـدد الجيش على سرعة الترقى حتى أصبح ملازما عام ١٨٥٨ وبكباشى وياورا لسعيد عام ١٨٦٠ ٠

ولكن أحمد عرابى لم يواصل ترقياته السريعة فى عهد اسماعيل الذى اقتصر منذ تولى الحكم بعد سعيد عام ١٨٦٣ على ترقية الضباط الألبانيين والشراكسة الى المناصب القيادية ، وابعاد الضباط المصريين الى المناصب الثـانوية ، مما أحـدث خلافا فى صفوف الجيش بين العناصر الوطنيـة الديمقراطية من الضباط الذين كانوا يسمون أنفسهم (الفلاحين) والآخرين الذين لقبوا باسم (الشراكسة) وزادت حدة التناقضات بتوزيعه خمسمائة فدان لكل لواء ، ٢٠٠ فدان لكل أميرالاى ، ١٥٠ لكل قائمقام ٠٠٠ ومعنى هذا حرمان المصريين من هذه الهبات ٠

ومع هـذا لم يكن عهد الخديوى اسماعيل يمثل انحسارا فى تطور الجيش ٠٠٠ العكس هو الصحيح ٠

أتاحت الفرمانات التى حصل عليها من الباب العالى فرصـة كبيرة لتطوير الجيش والمجتمع أيضا ٠

وصــل الجيش فى السبعينيات الى ثمانين ألفــا ، وأرسل ١٥ فرقة عســكرية الى مولدافيا وكريت لمعاونة الجيش العثمــانى فى القضاء على ثوراتها ، وكما حضر الضباط الفرنسيون بعد هزيمة نابليــون للعمل فى الجيش المصرى ، حضر أيضا عدد من الضباط الأمريكيين بعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ ـ ١٨٦٥) ٠

وقد احتجت انجلترا وفرنســـا على ذلك ولكن اســماعيل قابلهما بالسخرية وعدم الاكتراث ٠

كان الخديوى اسماعيل يفضـــل الضباط الأمريكيين لان الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك الوقت كانت بعيدة عن الأطماع الاستعمارية ٠٠٠ وخلال الفترة من ١٨٧٠ ـ ١٨٧٩ كان هناك ٥٤ ضابطا أمريكيا يخدمون فى الجيش المصرى ، أحدهم فى رتبة لواء واثنان فى رتبة أميرالاى ، ولكنهم سرحوا جميعا عام ١٨٧٩ كنتيجة للأزمة المالية الطاحنة ، ولم يبق الا اللواء ستون باشا الذى كان رئيسا لهيئة أركان الحرب من ١٨٧٠ الى ١٨٨٢ ٠

ولم يكن الضباط الأمريكيون يعينــون فى قيادة الوحــدات ،ولكنهم كانوا يتولون مناصب فى الرئاسات وفى الأسلحة المساعدة ٠٠ قام البعض منهم باعداد خرائط حربية لمنابع النيل وغرب السودان وتشاد ٠

ونتيجــة لزيادة عدد الجيش المصرى ، وصدور قرار بتعيين ضباطه من خريجى مدارس الجيش فقط ، زادت نســبة الضباط المصريين حتى أصبحوا الأغلبية التى ترأسها وتتحكم فيها الأقلية الشركسية ٠٠٠ كمــا انتشر التعليم فى الجيش بحيث لم يكن فيه ســوى ٤٢ جنـــديا أميـــا فقط (٢٧) ٠

أحمد عرابى الذى وصل الى رتبة البكباشى فى عهد سعيد ٠٠ أمضى ١٩ عاما بلا ترقية خلال حكم اسماعيل ، ولم يصل الى رتبة الأميرالاى الا بعد خروج اسماعيل فى صيف ١٨٧٩ ٠

وتألفت فى الجيش المصرى عام ١٨٧٦ أول (جمعية سرية) فى تاريخه الحديث برئاسة على الروبى للدفاع عن مصالح الضباط الوطنيين باسم (مصر الفتاة) وزاد نشاطها عقب انضمام أحمــد عرابى لها بعد حرب الحبشة ٠ التى اتهمه الأتراك خلالها ظلما بالرشوة ، عندما كان مأمور الحملة فى (مصوع) وأصبح عرابى بجرأته وفصاحته الرئيس الفعلى لهذه الجمعية عام ١٨٧٧ ٠

---

(٢٧) روزتلسين ـ الثورة العرابية / صلاح عيسى ٠

واختبرت الأحداث قوة الضباط الوطنيين فى مواجهة السلطة عندما تأخر صرف مرتبات الضباط ما يقرب من ١٥ شهرا ، ثم سرت اشاعة بنية رئيس الوزراء الأرمنى نوبار باشا ووزير ماليته ريفرز ويلسون الذى عينته الحكومة البريطـــانية لتسـوية الديون بتسريح ٢٥٠٠ ضابط مصرى ، وتخفيض رواتب الباقين الى النصف ٠

وقام الضباط المصريون بقيادة لطيف سليم ناظر المدرسة الحربية بأول مظاهرة فى التاريخ يوم ١٨ فبراير ١٨٧٩ وحاصروا نوبار وويلسون أمـام وزارة المالية وانهالوا عليهما ضربا ، حتى حضر الخديوى شخصيا لانقاذهما ، غير انه لم يتخذ أى اجراء مضاد ، نظرا لعدم تحمسه للاثنين ٠٠٠ ومع ذلك فقد قدم أحمد عرابى وعلى الروبى ومحمد النادى الى المحاكمة بتهمة تدبير التمرد واكتفى المجلس العسكرى بتوبيخهم رغم عدم اشتراكهم فى المظاهرة وهذا دليل على ان حركتهم كانت تحت الضوء ٠٠٠ وقد دفع ذلك عرابى الى التفكير فى تكوين جمعية لخلع الخديوى اسماعيل الذى اقترض ٤٠٠ر٠٠٠ جنيه من بيت روتشيلد لدفع المرتبات المتأخرة ، وأقال نوبار باشا فى ٩ مارس وعين ابنه رئيسا للوزراء ٠

وكانت هذه الحادثة بمثابة الاكتشاف الجديد ، لقوة ضباط الجيش الوطنيين الملقبين باسم (الفلاحين) ، اذ أدركوا امكانية خوضهم النضال ضـــد الظلمة الأوروبيين ، واشتهرت بينهم أســماء عرابى وعلى الروبى وعبد العال حلمى وعلى فهمى ومحمود فهمى وغيرهم من الضباط الوطنيين ٠

ولم تكن حركة الضباط منعزلة عن الجماهير ٠٠ بل كانت مرتبطة بها أشد الارتباط ٠٠ وكان أحمد عرابى يعتبر نفسه من أتباع جمال الدين الأفغانى الذى استقر فى مصر عام ١٨٧١ وأبعد عنها فى سبتمبر ١٨٧٩ ، كما برز بعض المعبرين عن أيديولوجية الحركة مثل الشيخ محمد عبده وأديب اسحق الكاتب والصحفى السورى الذى استوطن مصر عام ١٨٧٦ وعبد الله النديم وسليم نقاش وابراهيم اللقانى وغيرهم من المثقفين ٠

ولم يقف ارتباط حركة الضباط بالقوى السياسية عند هذا الحد بل وصلت اتجاهات المعارضة الى (مجلس شورى النواب) الذى كان مشكلا من أصحاب الأراضى ورجال الدين ، والذى تحولت جلسته الدورية فى يناير ١٨٧٩ الى ساحة لمهاجمة (الوزارة الأوروبية) والتى أصبح الهجوم عليها أساسا لكافة الاتجاهات الوطنية فى الجيش وخارج الجيش ٠

وفى هذه الفترة حدث تجمع العناصر ــ الشراكسة الأذكياء والبرجوازية الزراعية فيما عرف باسم (الحزب الوطنى) بقيادة محمد شريف باشا ٠٠٠

ورغم ان جمعية (مصر الفتاة) كانت تعتبر أكثر تقدما الا أنها تحالفت معه واندمجت فيه ·· ولكن الحزب الوطنى فى تشكيله العام كان قاصرا عن الوعى بأبعـاد التناقضـــات التى تعيش فى الجيش ومدى ما يمـكن أن تؤدى اليه ·

وبدأت تعقد الاجتماعات ضد (الوزارة الأوروبية) علانية ، وترسل العرائض للخديوى من المدنيين والعسكريين مطالبة باقالتها · وثمة اختلاف فى عدد الموقعين على عريضة المطالب وعلى تصنيفهم ، يذكر مراسل التيمس ان هـذه العريضـة قد وقعها سبعون من العلماء على رأسهم شيخ الاسلام وبطريرك الأقبـاط وحاخام اليهود بالنيابة عن طوائفهم ، وسـتون من الباشوات ومثلهم من البكوات وأربعون من الأعيان وكثير من ضباط الجيش· ومعنى هـذا أن الموقعين على البيان هم ٣٢٠ غير ضباط الجيش · بينما يذكر الأستاذ الرافعى أن عـدد الموقعين جميعا ٣٢٧ منهم ٦٠ من أعضاء مجلس الشـورى و ٦٠ من العلماء والهيئـات الدينية و ٤٢ من الأعيان والتجار و ٧٢ من الموظفين والعاملين والمتقاعدين و ٩٣ من الضباط · ويقل العـدد فى مصادر أخرى الى ٢٠٠ عضو فقط منهم ٦٢ من رجال الدين و ٤١ من كبار الملاك الزراعيين والتجار و ٦٠ من أعضاء مجلس الشورى و ٣٧ من الضباط (٢٨) ·

وشرع مجلس النواب يعد خطة مالية خاصـة بخلاف خطة ويلسون ·· وقد ساعد المناخ السياسى على بلورة الاتجاهات السياسية فى الجيش كما ربط بين الضباط والمدنيين ··· وسارع فى خلق علاقة وثيقة بين المطالب المهنية والسياسية ·

وجدت هذه الاتجاهات الوطنيـة صدى عند الخديوى اسماعيل الذى عقد اجتماعا يوم ٧ ابريل ١٨٧٩ فى قصر عابدين أعلن فيه أن الاستياء قد بلغ ذروته فى البلاد وان الأمة تطالب بتأليف وزارة مصرية خالصة وقال « انى أعتبر واجبى المقدس كرئيس دولة وكمصرى أن أراعى وجهة نظر بلادى وأن أحقق أمانى أمتى الشرعية بصورة تامة » ·

وأعلن الخديوى اسماعيل عزل الوزارة الأوروبية وتأليف حـكومة مصرية برئاسة شريف باشا وزير العدل وكان من كبار أصحاب الأملاك وذوى الأفكار الوطنية الحرة ·

أثار موقف الخديوى اسماعيل ثائرة الدول الأوروبية فأخذت تصفه بأنه (طاغية شرقى) بعد أن كانت تثنى عليه باعتباره حاكما مثقفا تقدميا أثناء استدانته للقروض الخارجية ·

---

(٢٨) الثورة العرابية ـ صلاح عيسى ·

وقدم القنصل البريطانى انذارا باسم اللورد سالسبورى وزير الخارجية رفضه الخديوى اسماعيل وتبعه انذار آخر من حكومتى ألمانيا والنمسا ثم وصل انذار نهائى فى ١٩ يونيو ١٨٧٩ قدمته انجلترا وفرنسا تطلبان فيه التنازل عن العرش ، تحت تهديدهما بالالتجاء الى السلطان التركى وخلعه بالقوة •

رفع اسماعيل الموقف بنفسه للسلطان فكانت النتيجة وصول برقية من السلطان يوم ٢٥ يونيو بعزله وتعيين ابنه توفيق خديوى على مصر ••• ورحل اسماعيل وقد ودعته مظاهرة شعبية قدرت موقفه الأخير فى تأليف حكومة وطنية وانتهاج سياسة مستقلة •

وطويت صفحة الخديوى اسماعيل الذى يعتبر رائد التطور الرأسمالى فى مصر ، والذى حقق فى المجتمع انجازات كبيرة شملت الصناعة التى تقدمت فى مجالات النسيج والتسليح وصناعة السكر وبناء السفن التى وصلت بأسطول مصر التجارى الى مستوى تفوقت به على الأسطول الفرنسى من الناحية الفنية •• كما أن نسبة البواخر الى السفن الشراعية كانت ٦٠٪ فى مصر ، ٢٥٪ فى انجلترا ، ١٥٪ فى فرنسا ••• وسبقت مصر فى مجال السكة الحديد عددا من الدول الرأسمالية المتطورة ففى عام ١٨٧٦ مثلا كان فى فرنسا ٣٧ر٥ كيلو متر سكة حديد لكل ألف كيلو متر مربع من الأرض بينما وصلت فى مصر الى ٥٥ كيلو متر •

وارتفع عدد المدارس فى عهد اسماعيل من ١٨٥ مدرسة الى ٤٦٨٥ كان يدرس بها حوالى مائة ألف تلميذ وأنشئت الأوبرا ودار الكتب والمتحف والجمعيات العلمية وانتشرت الصحافة المتطورة •

وكانت سياسته فى الجيش أيضا سببا فى وقوف الضباط المصريين الذى أدى الى وقوعه فريسة لديون الدول الرأسمالية التى أطاحت بعرشه •

وكانت سياسته فى الجيش أيضا سببا فى وقو فالضباط المصريين منه موقف الجفاء ، اذ أدركوا انه لا يساندهم مساندة صريحة ، وانما يستخدمهم لأغراضه •• نبهه جعفر مظهر حكمدار السودان الى ضرورة ارسال ضباط مصريين بدلا من الضباط الأجانب لاكتشاف مناطق خط الاستواء ، ولكنه أرسل صمويل بيكر ثم عين جوردون خلفا له فى حكومة خط الاستواء ، وأخيرا عينه حاكما عاما فى السودان ترضية لانجلترا وبناء على توصية البرنس أوف ويلز ولى عهد انجلترا •

وعقب مظاهرة فبراير ١٨٧٩ أصدر أمرا بنقل أحمد عرابى الى الاسكندرية مغضوبا عليه ••• مما جعل الضباط يجتمعون مرتين

ويفكرون في عزل اسماعيل والتخلص من أسرة محمد علي واعلان الجمهورية كما روى أحمد عرابي ٠

وكان المصدر الرئيسي الذي تشعبت منه هذه المظاهرة هزيمة الجيش المصري في الحبشة عام ١٨٧٦ عندما أرسل الخديوي اسماعيل حملة مؤلفة من ٢٠ الف مقاتل تحت قيادة راتب باشا التركي والجنرال الأمريكي لورنج وأركان حربه ٠٠٠ وحدثت خلافات في القيادة العليا بين الاثنين انتهت بهزيمة منكرة للجيش كلفت الدولة أكثر من مليون جنيه ، وبذرت في الشعب والجيش شعورا بالاستياء العام ٠

وكانت هذه الحملة هي الأخيرة في سلسلة الحملات التي قام بها الجيش المصري خلال ثمانين عاما تقريبا خارج وادي النيل (مصر والسودان) وتحققت فيها انتصارات كبيرة ، أثبت فيها الفلاح المصري انه محارب شجاع وصبور متى توافرت له القيادة القادرة ٠

وكان وصول المصريين الى مراكز القيادة في الجيش ، وتوافر الأغلبية العامة بين الضباط لهم ، وتوحيد الأفكار داخل الجيش وخارجه بين العناصر الوطنية ، دافعا الى اتخاذ مواقف وطنية أكثر جرأة وصلابة ضد الخديوي توفيق الذي بدأ حكمه بعد والده باتخاذ خطوات رجعية متهاونة ٠٠٠ رفض التوقيع على لائحة الدستور التي أعدها شريف باشا ، وأعاد الرقابة المالية الثنائية ، ثم أقال وزارة شريف باشا واستبدله برياض باشا الذي كان شديد الخضوع للمسئولين البريطانيين ، فمارس المراقبون الأجانب وأعضاء (لجنة دين الخديوي) وظائف الحكومة الفعلية في البلاد ٠

وبدأ احتكاك الضباط بالخديوي يظهر في صورة عملية بعد الغاء فرمان ١٨٧٣ الذي حصل عليه اسماعيل ، فتقرر حرمان مصر من عقد قروض خارجية الا بعد موافقة الباب العالي ، وخفض عدد الجيش المصري مرة ثانية ليكون ١٨ ألف شخص فقط ٠ فأحيل عدد كبير من الضباط الى الاستيداع، ووقعوا في ضيق مالي شديد ٠

عادت القسوة في معاملة الفلاحين لسوء جشع المرابين الأجانب ٠٠ وتأخر صرف مرتبات الضباط عدة مرات ٠٠ وتربع الشراكسة تماما في المراكز القيادية التي أبعد عنها الضباط المصريون ٠

وحدث الصدام الأول بين الجيش والحكومة عندما أعد عثمان رفقي وزير الحربية في وزارة رياض باشا مشروعا بقصر مدة التجنيد على أربع سنوات فقط ، الأمر الذي يحرم ترقية الجنود الى ضباط ٠٠٠ أو بمعنى أصح يحرم المصريين من ذلك ٠٠٠ لأن المدة المقررة للخدمة لا تكفي لكي

يصـل العسكرى الساذج الخالى من المعارف العسكرية الى درجة تؤهله لان يكون ضابطا ، فلابد أن ينحصر تعيين الضباط فيمن ينال المعارف العسكرية بالتحصيل فى المدارس الحربية لا غير • وهى حجة واهية لأن المدارس الحربية فى ذلك الوقت كانت فى مسـتوى عادى ، ولم تكن تقدم معارف عسـكرية ذات قيمة فضـلا عن أن دخول العناصر المصرية اليها لم يكن ميسورا • وكان الهدف الحقيقى من اصدار القانون هو حرمان المصريين حرمانا تاما من الوصول الى مراكز قيادية فى الجيش •

وتقـدم أحمد عرابى قائد الكتيبة الرابعة بالجيش وعلى فهمى قائد الكتيبة الأول بعريضة الى رئيس الوزراء يطلبان فيها التحقيقات فى الترقيات الأخـيرة ، وعزل عثمان رفقى وزير الحربية لانه فصـل بعض الضباط دون تحقيق •

واجتمع مجلس الوزراء برئاسة الخديوى يوم ٣٠ يناير ١٨٨١ وأصدر قرارا باعتقال أحمـد عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى ومحاكمتهم لان عثمان رفقى اعتبرها (حركة فلاحين شيالين بالمقاطف) •

استدعى الضباط الثلاثة الى وزارة الحربية يوم أول فبراير ١٨٨١ حيث كان كل شىء معدا للتنكيل بهم ••• المحاكمة الصـورية والأحـكام المسبقة ••• ولكن قرار مجلس الوزراء لم يكن سرا بالنسبة لهم ، فاتخذوا حيطتهم وأبلغوا وحداتهم بأنهم اذا تأخروا عن العودة أكثر من ساعتين فعليهم التحرك مع آلاى مشاة آخر فى طره لانقاذهم •

وما أن بدأت تمثيلية المحاكمة حتى وصلت قوات المشاة المصرية الى الوزارة فطوقتها ، وهرب عثمان رفقى من الشباك ، واقتحم الجنود قاعة المحاكمة وحملوا قادتهم على الأعنـاق ، وتوجهوا فى مظـاهرة الى قصر الخـديوى حيث طالبوا بعزل عثمان رفقى فورا ، واقرار حقوق متساوية فى الجيش •

وتلفت الخديوى حوله فلم يجد أحـدا يسانده ، فعزل وزير الحربية فورا وعين بدلا منـه محمود سامى البارودى الذى كان شاعرا ووطنيـا ديموقراطيا من الحزب الوطنى انجذب بعـد ذلك الى جناح عرابى أكثر من جناح شريف باشا ••• وصدر قرار خديوى بتشكيل لجنة خاصة للتحقيق فى ترقيات عثمان رفقى وعين فيها أحمد عرابى •

كانت هذه هى المظاهرة العسكرية الثانية بعد مظاهرة الضباط ضد نوبار باشا ••• ولكنها كانت قاصرة أيضا على مطالب مهنية محدودة ، ولم

لتتجاوز ذلك الى مطالب وطنية أخرى فلم يعترضوا على صلاحيات المراقبين الأجانب وتركوا رياض باشا في منصب رئاسة الوزراء ·

يرجع ذلك الى السرعة التى تمت بها كرد فعل دون تدبير ··· والى عدم اكتمال تنظيم الحزب الوطنى من المدنيين والعسكريين والاتفاق على برنامج واضح لهم ·

وكانت هـذه المظاهرة تعنى فقدان الخديوى لثقته فى ضباط الجيش وتربصه بهم وتدبيره الخطط للتنكيل بهم ·

نظرة الخديوى توفيق للجيش كانت ترى فيه حاميا للطبقـة السائدة ووظيفته محدودة فيما رسم له وقد عبر الخديوى عن ذلك فى خطاب ألقاه فى احتفال أقيم فى ١٢ فبراير ١٨٨١ عقب الهجوم على قصر النيل وحضره جميع الضباط الكبار فى الجيش ، وفى هذا الخطاب أعلن الخديوى أسفه لمـا حـدث فى أول فبراير ، وعفوه عنه ، ثم أكد للضباط أنه « يلزمكم الا تشتغلوا من الآن فصاعدا بشيء خارج عن حدود وظائفكم » ذلك أن « العسكر ليس لهم وظيفة سـوى التمسك بالقوانين الجهادية والسعى فى أداء واجبـــاتهم العسكرية والامتثال لولى أمرهم » · وان أكمل الصفات العسكرية هى « الاستقامة والامتثال فى كل الأمور والأحوال » · وكرر رياض باشا ـ رئيس الوزراء اذ ذاك ـ هذه الأفكار ، فقد خاطب الضباط قائلا : « أنتم روح الضبط والربط وأنتم قوة الحاكم وآلته المنفذة ، فاذا بدأكم الحاكم بحسن الالتفات ونظر اليكم بعين الرأفة والرحمـة فعليكم وجوبا كما أخذتم ما لكم أن تؤدوا ما عليكم وهو طاعة ولى الأمر الذى هو السبب الأعظم فى جميع هذه الخيرات التى شملتنا · فعليكم أن تكونوا دائما على قدم الاستعداد لتنفيذ أحكامه والمحافظة على أوامره ونواميسه العادلة » ·

أما نظرة ضباط الجيش فقد تمثلت فى رد عرابى على خطاب رياض وتأكيده بأنه وزملاءه « يريدون الاصلاح واقامة العـدل على قاعدة الحرية والاخاء والمساواة » ··· وفى حديثه مع بلفت قال : « ان الجيش هو القوة الواقفة الآن بين مصروحكامها الأتراك الذين لا يحجمون عن تجديد مظالم اسماعيل فى أى وقت اذا لاحت لهم فرصة » ويقول « ان المراقبة الأوروبية تحول بصفة جزئية بين أولئك الحكام وما يريدون ولكنها لا تؤهل البلاد لحكم نفسها حين ينقضى أجل المراقبة » وقال « لقد كسب الجيش للمصريين حق التكلم فى مجلس النواب ، ونحن نؤيدهم ـ أى النواب ـ حتى لايخدعوا ولا يضغط عليهم بالقوة ، ومتى عرف برلماننا كيف تنتهى مهمتنا نحن الجنود ، ونحن مصممون على حراسة الشعب المصرى وحمايته من الذين يحاولون اسكات صـوته » وهو ما عبرت عنه المـادة الرابعة من برنامج

الحزب الوطنى حيث أشارت الى مجلس النواب التركى الذى أكره على الصمت وقالت ان الوطنيين قد « فوضوا أمرهم الى أمراء الجهادية وطالبوا منهم أن يصمموا على طلبهم لعلمهم ان رجال العسكرية هم القوة الوحيدة فى البلاد ، وهم يدافعون عن حريتهم الآخذة فى النمو • وليس فى عزمهم ابقاء الحال على ما هو عليه ، بل متى تحصلت الأمة على حقوقها عدلوا عن السياسة الحاضرة ، وان أمراء الجهادية عازمون على ترك التدخل فى السياسة متى فتح المجلس • فهم الآن بصفتهم حراس على الأمة التى لا سلاح لها » • ومن هذا التصور لدور الجيش كسلطة ثورية تحفظ « حقوق الأمة » انطلقت القوى الثورية لتحقيق مفهومها هذا عمليا •

وهكذا بدأ التناطح وظهر ذلك سريعا اذ لم تكد تهدأ الاضطرابات حتى عزل الخديوى توفيق محمود سامى البارودى ، وقرن ذلك باجتماع دعا اليه كبار الضباط وأبلغهم انه يضع ثقته كاملة فى رياض باشا رئيس الوزارة وأمر بزيادة مرتبات الضباط المصريين الذين أحيلوا الى الاستيداع ، كما أصدر أمرا آخر يقضى بمعاملة جميع الضباط مستقبلا على قدم المساواة سواء أكانوا أتراكا أم شراكسة أو مصريين ، وحاول فى سنة ١٨٨١ أن يضم اليه القوات المرابطة فى الاسكندرية ، وأن يتفاهم مع على فهمى ليضمه اليه هو وقوات حرس الخديوى وخدعه على فهمى وأكد له أنه معه تضليلا ••• كما أصدر من جهة أخرى تعليمات بمنع اجتماعات الضباط فى المنازل أو الأحياء ولكن هذه الخطوات لم تضعف من تأهب كل فريق للآخر وحذره منه ••• كان الضباط يواصلون اجتماعاتهم السرية وارتباطاتهم العلنية مع الوطنيين والمثقفين ••• وكان الخديوى يعد خطته للتخلص من الاتجاهات المضادة له فى الجيش ، فأصدر أمرا يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ ينقل بعض الآلايات الى الريف وكان ينبغى أن يرحل معها أحمد عرابى وعلى فهمى وعدد من الضباط الوطنيين •

وقرر القادة الوطنيون عدم الاستجابة للأمر اذ كانوا على ثقة من أن هذه كانت خطوة تمهيدية للتخلص منهم ، خاصة وأن بذور شك كانت قد بعثت فى صدورهم بوجود مؤامرة لاغتيالهم •

وتحرك الجيش المصرى فى مظاهرته الثالثة خلال فترة أقل من ثلاث سنوات فى نفس اليوم الذى تلقوا فيه الأوامر بتحريك القوات للريف ••• وكان عددهم حوالى ٢٥٠٠ ضابط وجندى اصطفوا فى شكل مربع مفتوح مواجه لسراى عابدين بقيادة أحمد عرابى ، وعندما نزل الخديوى توفيق الى الساحة ومعه أوكلند كلفن المراقب المالى البريطانى ، بعد أن حاول عبثا استثارة وحدات موالية له ••• تقدم له أحمد عرابى ممتطيا جواده ومقدما ثلاثة مطالب محددة هى :

١ ـ اقالة وزارة رياض باشا ٠
٢ ـ اعلان الدستور وتشكيل مجلس نواب على النظام الأوروبى ٠
٣ ـ زيادة عدد الجيش ٠

وارتبك الخديوى ثم دار الحوار المشهور عندما قال له الخديوى :

كل هذه الطلبـات لا حق لكم فيها وأنا ورثت هذه البلاد عن آبائى وأجدادى وما أنتم الا عبيد احساناتنا ٠

وقال عرابى قولته المعروفة :

لقد خلقنا الله أحرارا ٠٠٠ واننا لا نستعبد بعد اليوم ٠

وخاف الخديوى من لهجة الحديث وأشار عليه القنصل البريطـانى الذى كان يقف الى جانبه بالعودة للسراى ، وتصدى هو وكلفن لمناقشـة عرابى الذى وافقهما على تنفيذ المطلب الأول بتعيين شريف باشا رئيسـا للوزراء وتأجيل الباقى لعرضه على الباب العالى فى تركيا ٠

ومرة ثانية ٠٠٠ لم تصل الحركة العسكرية الى غايتها ، ولم تحقق أهدافها كاملة رغم تعبيرها عن ارادة الجماهير كما قال عرابى للقنصـل البريطانى « ان طلباتى المتعلقة بالأهالى لم أعمد اليها الا لانهم أقامونى نائبا عنهم فى تنفيذها بواسطة هؤلاء العساكر الذين هم اخوانهم وأولادهم » ٠

كان النصر مرة أخرى جزئيا ٠٠٠ لان المظاهرة الثالثة أيضا بعـد مظاهرة ١٨٧٩ وأول فبراير ١٨٨١ كانت من رد الفعل الذى أجبر الضباط على تنفيذه دون تخطيط أو تدبير فى نفس اليوم ، حتى يكونوا فى الهجوم بدلا من الدفاع ٠

وكانت العلاقة بين الضباط الثوريين أبناء الفلاحين ٠٠٠ وبين كبار الملاك الأرستقراطيين غير منسجمة بالقدر الذى يحقق لها الوحدة الشعبية الكاملة ٠٠٠ فعندما دعى شريف باشا لتولى الوزارة عارض فى أن تأتيه عن ترشيح الجيش المتمرد ٠

ولم يذعن شريف لرجاء مندوبى انجلترا وفرنسا ٠٠٠ وأراد أحمد عرابى أن يحصل على تأييد مجلس النواب وأعيان القاهرة فجمعه يوم ١٣ سبتمبر ، وعرض عليه نتيجة اتصالاته بشريف وموقف الأخير منها ، حيث كان يصر على انسحاب الآلايات المتمردة الى المواقع التى يختارها لها فى حالة توليه رئاسة الوزارة ٠

ولم يدرك أحمد عرابى فى هذه اللحظة عمق التناقضات الطبقية بين الفلاحين الذين كان يفخر بتمثيله لهم ، وبين الأعيان الذين كان يمثلهم

شريف ... كان كبار الملاك ينتابهم الخوف من اندفاع الحركة الشعبية ... كما أن العناصر المدنية تخشى تأليف حكومة عسكرية كاملة .

ولذا وقف المدنيون من الأعيان وغيرهم الى جانب شريف ، وتوسطوا لديه بقبول الوزارة على أن يكون الجيش خاضعا لها ... وحدثت مساومة قبل فيها عرابى نقل الآلات المتمردة من القاهرة ، وقبل شريف تولى الوزارة مع تعيين محمود سامى البارودى وزيرا للحربية وتنفيذ القانون العسكرى الذى تعتبر أهم مادة فيه زيادة الجيش الى ١٨٫٠٠٠ .

ورغم ذلك تعتبر انتفاضة ٩ سبتمبر ١٨٨١ نقطة انتقال فى تاريخ الحركة الوطنية المصرية ، اذ ربطت لأول مرة بين الشعب والجيش فى نضال مشترك .. ولم يعد عرابى زعيما لفريق من الضباط وانما أصبح فى مركز الصدارة من الزعامة الشعبية ورئيسا فعليا للحزب الوطنى وأصبح الجيش هو المنظمة الوحيدة التى تتطلع اليها الجماهير لتحقيق آمالها .. والدفاع عن حرياتها...وتعزز من مركز الوطنيين فى مصر ووقعوا توكيلات بانابة أحمد عرابى عن الأمة فى كل ما يتعلق بالسياسة الوطنية .

وانتهز شريف باشا الذى أسفر عن موقفه الطبقى المعادى لحركة الجيش فرصة توليه الوزارة فأرسل الى الخديوى يطلب استمرار نظام المراقبة الثنائية الأوروبية على الحكومة كما شرع فى ترحيل الآلايات المتمردة ، فانسحب فى أكتوبر ١٨٨١ آلاى عرابى الى أبو كبير وآلاى عبد العال حلمى الى دمياط .

وكانت تحركات هذه القوات فرصة لقيام مظاهرات شعبية ضد حكومة شريف ، واحتشد عشرات الآلاف من سكان القاهرة لتوديع عرابى وجنوده والاحتجاج على نقلهم من القاهرة .. وقد زاد ذلك فى متانة النسيج بين الشعب والجيش .

ولم تنجح هذه التحركات فى اضعاف المد الثورى اذ واصل جنود حامية القاهرة مساندتهم لعرابى الذى رجع الى القاهرة بحجة توعك صحة زوجته ، وبدأ يواجه الخديوى صراحة ويعارض اتجاهاته علانية .

وظهر عرابى بمظهر الرجل القوى الذى يهدد المصالح الأجنبية فى مصر مما دفع فرنسا وانجلترا لتهيئة خطة مشتركة للعمل فى مصر ... وقرر شريف عندئذ عقد مجلس النواب لكى يحرم الجيش من دوره النضالى مصرحا بأن مجلس النواب سيصبح هيئة يستند اليها الخديوى وحكومته فى نضالهما ضد (الاستبداد العسكرى) .

ورفض شريف اقرار الدستور الذى أعده هو نفسه منذ سنتين ليظل المجلس محصورا فى حدود سلطاته المحدودة ... وهكذا وقف عرابى والجيش مع دستور شريف ، واحتفظ شريف بقانون المجلس القديم .

وتألف المجلس فعلا فى ديسمبر ١٨٨١ برئاسة محمد سلطان باشا ، واتخذ موقف التأييد من الخديوى ، ولكنه أصر على حقه فى التصويت على الميزانية المصرية ... مما دفع حكومتى انجلترا وفرنسا الى تقديم مذكرة أثارت استياء عاما فى مصر وجعلت المجلس يقرر أن حقه فى التصويت على الميزانية لا يمكن أن يكون موضع نقاش مع الدول الأجنبية .

واستقال شريف الذى كان قد قبل المذكرة واقترح على المجلس اجراء مفاوضات مع انجلترا وفرنسا فى ٥ فبراير ١٨٨٢ وتولت الحكم وزارة يرأسها محمود سامى البارودى وعين أحمد عرابى وزيرا للحربية ، وكان ذلك انتصارا للحركة الوطنية وانتصارا للجيش الذى وصل الى قمة المسئولية فيه جندى من الصفوف ، وهكذا نجحت ثورة الجنرالات التى عبرت عن حق المواطن المصرى فى تحقيق ذاته من السلطة الشركسية ومن أجل التغيير الاجتماعى .

وعبرت هذه الحكومة عن ذلك بعمل اجراءات هامة .. أصدر عرابى أوامره بترقية ٤٠٠ ضابط الى رئيس أعلى ، وترقية ١٥٠ صف ضابط الى رتب الضباط واحالة ٣٠٠ ضابط الى المعاش بحجة تجاوز السن القانونية وأغلبهم من الشراكسة والأتراك .

وقررت زيادة المراتبات أيضا :

ملازم ثان من	٣٥٠ قرشا	الى ٦٠٠ قرش
يوزباشى من	٥٠٠ قرش	الى ٩٥٠ قرشا
بكباشى من	٢٥٠٠قرش	الى ٣٥٠٠قرش
رتب أعلى	٥٠٠٠قرش	

ونلاحظ النظرة الاجتماعية فى هذه الزيادات اذ علت نسبة الزيادة للرتب الصغيرة عنها للرتب الكبيرة ، وقلت الفروق الى حد كبير بين الرتب العليا والرتب الصغيرة فى الجيش بعد أن كانت النسبة بين الحد الأدنى والحد الأعلى فى فئة الضباط (ملازم الى فريق) هى ١ : ٣٧ فى القانون القديم ، قلت فى القانون الجديد الى ١ : ١٣ . أما النسب بين الحد الأدنى والحد الأعلى فى فئة صف الضباط (من أومباشى الى صول) فقد كانت فى القانون القديم ١ : ٤ زادت الى ١ : ٦ نتيجة لرفع الصول الى ما يوازى ٢٠٠٪ ، وهذا مع العلم بأنه بعد رتبة الصول مباشرة يحدث تقارب شديد

بين فئات المرتبات • أما رتبة النفر فقد زاد مرتبها الى ما يوازى ١٣٣٪ مما كانت عليه • وبشكل عام فان النسبة بين أدنى فئة وأعلى فئة (نفر ـ فريق) كانت فى القانون القديم ١ : ٣٧٥ قلت ١ : ٢٦٦ ، وهو ما يمثل الى حد كبير تقدما لا بأس به فى ظروف العصر •

وهكذا تبدل الحال ••• وبعد ان كان الضباط المصريون يعيشون فى خــوف التشتيت أو الاحالة الى الاستيداع ••• فاذا بهم يشعرون بالأمن والاستقرار ويحصلون على زيادة فى المرتبات سبق أن حصل عليها المدنيون•

ولم تتوقف الاجراءات عند حدود الجيش فقط ••• اذ أن الوزارة الجديدة أبطلت المراقبة الثنائية ، وأعدت (لا ئحة أساسية) لمجلس النواب تضمن له حقوقه ، وأعدت قانونا انتخابيا جديدا أكثر ديموقراطية ، كما أعدت عدة قوانين تقدمية تقضى بالغاء السخرة وتأسيس البنك الزراعى واصلاح المحاكم المختلفة وتحريم استخدام جباة الضرائب للسياط ، كمــا أعد مشروع أقره مجلس النواب يقضى بانشاء مدرسة فى كل قرية وتعميم التعليم لتخلو مصر من الأميين خلال عشر سنوات •

وقد أدت هــذه المشروعات الاجتماعية المتتالية الى بعث يقظــة شعبية أضعفت من سلطة المديرين المطلقة ، ودفعت بعض الفلاحين الى أخذ حقوقهم بالتهجم على أراضى كبار الملاك ، وأعلن أحد كبار الضباط أثنــاء زيارته للريف بأن الأرض يجب أن تكون لمن يفلحــونها ••• وارتفــع شــعار (مصر للمصريين) كأحد شعارات الجيش وحرص زعماء الحركة العسكرية الثــلاثة أن ينهوا أسماءهم بلقب (المصرى) تمييزا لهم •• ونبتت فكرة الانفصال النهائى عن الخلافة • وظهور فكرة الجمهورية أو الدولة العربية •

وهنا بدأ أصحاب الأملاك يتلمسون خطرا يهددهم ، وتراجع بعض أعضــاء مجلس النواب فى موقفهم ، وقال سلطان باشــا رئيس المجلس للقنصل الانجليزى أن استقالة شريف باشا تمت بضغوط من العسكريين تحت زعامة أحمد عرابى •

وهكذا بدأ تجمع رجعى من الخديوى والضباط الشراكسة وبعض الاقطاعيين •• واكتشف عرابى مؤامرة لاعتقاله فحوكم ٤٨ ضابطا شركسيا من بينهم عثمان رفقى وأصدرت المحكمة فى حقهم حكما معقولا اذ قررت تجريد ٤٠ من رتبهم العسكرية ونفيهم الى السودان ، ولكن الخديوى خفف قرار المحكمة فى مايو ١٨٨٢ بايعاز من القنصلين الفرنسى والانجليزى واكتفى بالابعاد عن القاهرة الى الريف بدلا من النفى •

وكان هذا الموقف من الخديوى تحديا للجيش ومفجرا لطاقات النضال فوقف أحمد عرابى أمام مجلس النــواب مطالبا بخلع الخديوى • ولكن

أعضاء المجلس لم يستجيبوا له ... البعض كان عاطفا على الخديوى والبعض كان فى خشية الوقوع تحت حكم عسكرى .

وطلب الخديوى عقد المجلس بصورة غير قانونية ، مطالبا بحله ، وهنا استقال محمود سامى البارودى ، ورفض الوزراء الوطنيون الاستقالة حتى يصدر مجلس النواب قراره بذلك ... ورفض كافة أعوان الخديوى تولى رئاسة الوزارة ما دام الوطنيون فى قيادة الجيش .

واضطر الخديوى أمام هذا الموقف الى استبقاء محمود سامى البارودى رئيسا للوزراء .. ليدبر مع انجلترا وفرنسا خطة أخرى قضت بحضور بعض قطع الأسطولين الانجليزى والفرنسى الى الاسكندرية يوم ٢٠ مايو ١٨٨٢ وبعد خمسة أيام طلبت الدولتان من الخديوى رسميا فى مذكرة ٢٥ مايو الشهيرة ابعاد أحمد عرابى عن مصر وابعاد على فهمى وعبد العال حلمى عن الجيش الى الريف واقالة محمود سامى البارودى .

قبل الخديوى هذه الطلبات وأعلن اقالة الوزارة بعد أن كانت قد قدمت استقالتها يوم ٢٦ مايو على أساس قبول الخديوى للمذكرة ... وهنا تحركت قوات الجيش فأرسلت حامية الاسكندرية يوم ٢٧ مايو برقية للخديوى ترفض موافقتها على الانذار وتعطيه مهلة ١٢ ساعة للتفكير .

وقد حدد عرابى موقفه فى أنه لا يعتبر استقالة الوزارة انتهاء لوجود القوة الثورية وانحسارا لتأثيرها . وقد صرح للضباط فى اجتماع عقد فى ٢٧ مايو بقشلاق عابدين « انه تنازل عن نظارة الجهادية ولم يتنازل عن رئاسة الحزب الوطنى » . وأكد ذلك فى خطاب أرسله تلغرافيا لجميع مراكز العسكرية قال فيه « اننى وان كنت قد استعفيت من نظارة الجهادية لكن لم أستعف من رئاسة الحزب الوطنى » .

وعقد كبار ضباط الجيش والبوليس فى القاهرة اجتماعات متعددة لبحث الموقف على ضوء احتمالات التدخل الأوروبى . واجتمع كبارهم فى قشلاق عابدين حيث تعاهدوا على الدفاع عن الوطن . وحضر هذا الاجتماع الذى أقسم فيه المجتمعون على مصحف وسيف كل من عرابى وعبد العال وطلبة عصمت ويعقوب سامى وعلى الروبى وعلى فهمى ومحمد عبيد وعبد الغفار الزمر وحسن جاد وعلى يوسف ومحمود فهمى والبارودى . كما حضره عمر رحمى وابراهيم فوزى مأمور الفيلق . ويقال أيضا ان عبد الوهاب قومندان البوليس قد حضره . وقام الشيخ محمد عبده بتلقين الحاضرين يمينا من بين فقراته : « والله العظيم قاهر السماوات والأرض اننى أنا فلان لا أخون وطنى ولا أخون نفسى ولا أغش أحدا من أهل بلادى وأحافظ على عرضى وعلى دينى وعلى عرض أهالى بلادى ما دمت قادرا على

منعه ، واننى أحافظ على النظام وعلى القانون العسكرى بكل ما يمكننى ، واذا حنثت فى يمينى أكون مستحقا لقطع الرقبة وشق الصدر وأن أكون محروما من مزايا الانسانية والآداب » • وذكرت جهات الأمن أنه قد ذكر فى اليمين أن « يكون الضباط يدا واحدة وعصبة واحدة ولا يسمعون أوامر من أحد الا اذا اتفقوا عليها » •

واستبد الذعر بالخديوى فلجأ الى سلطان باشا الذى حاول اقنـاع الوطنيين بالطاعة فى نفس اليوم ، ولكن ردهم كان المطالبة بخلع الخديوى الذى أصبح تابعا للدول الأجنبية • وقال أحد قائمقامات الجيش على حسب رواية كرومر بأن « الضباط يمزقون عرابى اربا اذا هو تخلى عنهم » ••• وكان هذا دليلا على ان جذور الحركة الوطنية قد ضربت بعمق فى صفوف الجيش والشعب معا ، فقامت المظاهرات وعقدت الاجتماعات مطالبة بعزل الخديوى وتثبيت عرابى والوزراء الوطنيين فى السلطة •

وارتبكت أفكار الخـديوى فقرر اعادة عرابى ، وأصبح هو الوزير الوحيد بلا وزارة •• ثم استنجد بالبـاب العـالى الذى أرسل بعثـة من درويش باشا وشيخ السعيد قام الخديوى برشوهما بمبالغ مالية كبيرة ، وطلبت البعثة من عرابى أن يذهب الى استانبول على وعد بأن ينال منصبا كبيرا هناك •

وقضى عرابى قائلا (ان السلطة التى أتمتع بها الآن لم أقم باغتصابها بل قلدنى اياها الشعب ويتوجب على أن أنزل على ارادته وأعطى أذنا صاغية لشكاويه) •

وعقب فشل مهمـة البعثة بدأ تنفيـذ خطة جديدة صاحب فكرتها المعتمد البريطانى مالبث وهى اثارة اصطدامات داخلية تكون سببا فى تدخل خارجى مسلح •

ويوم ١١ يونيو ١٨٨٢ اسـتأجر مالطى كان فى خـدمة القنصـل الانجليزى بالاسـكندرية حوذيا حمله الى احدى الحانات ، وعندما طالبه بأجره حدثت بينهما مشادة أطلق فيها المالطى النار على الحوذى وظهر عدد من الأجانب المشتبه فيهم فأطلقوا النار على الأهالى الهائجين••• وفى توقيت معلوم ظهر فريق من البدو كان الخديوى قد استأجرهم فشاع الاضطراب فى الاسكندرية وقتل ١٤٠ مصريا و٥٠ أوروبيا فى المدينة التى كان الأجانب من المرابين والمضاربين والرأسماليين قد بدأوا يتدفقون عليها بعد بداية الضائقة الاقتصادية الناجمة عن الديون •

ولكن عرابى استطاع السيطرة على الاضطرابات واعـادة الهدوء الى المدينة وانكشف أمر المدبرين ، وفشلت خطة التدخل •

وشقت هذه الحادثة المجتمع الى شقين ... الخديوى وكبار الملاك والأعيان في جانب والقوى الوطنية من المدنيين والعسكريين في جانب آخر .

وسار الخديوى الى الاسكندرية ومعه كبار الرجعيين والاقطاعيين مثل نوبار باشا ورياض باشا وانضم اليهم أيضا شريف باشا وسلطان باشا .. وهناك ألف الخديوى وزارة خاضعة فى الاسكندرية برئاسة راغب باشا .. بينما كانت القاهرة تحت سيطرة الوطنيين .

رتبت خطة ثالثة للتدخل الأجنبى عندما قرر أحمد عرابى ترميم الحصون الساحلية عقب زيارة الأسطولين الانجليزى والفرنسى للاسكندرية، وأرسل الباب العالى يطلب وقف الترميمات ووجد الأميرال سيمور قائد الأسطول البريطانى في ذلك فرصة للتدخل فأرسل انذارا الى رئيس حامية الاسكندرية يوم ٦ يوليو ١٨٨٢ مطالبا بوقف التحصينات ... وأجاب عرابى بأنهم يقومون بالترميم فقط دون اقامة أى تحصينات جديدة .

ومع ذلك قدم سيمور انذارا آخر يوم ١٠ يوليو مطالبا بتسليم التحصينات خلال ٢٤ ساعة ورفض عرابى ذلك رفضا باتا ... فأطلق سيمور مدافع أسطوله يوم ١١ يوليو على الاسكندرية فحولها الى أنقاض .. ومع ذلك ظل الخديوى وكبار الأعيان فى قصورهم بالضواحى بعد تحذير سيمور لهم فى الوقت المناسب ، وأصدر عرابى أمرا بانسحاب الحامية من المدينة المحترقة .. وغادرها معه آلاف السكان ... وبعد ٤ أيام احتل الانجليز المدينة المهجورة ... وكان ذلك ايذانا بالحملة البريطانية على مصر التى صوت مجلس العموم البريطانى على اعتماداتها يوم ٢٧ يوليو ١٨٨٢ تحت قيادة الجنرال ولسلى .

وطلب الخديوى من عرابى أن يوقف العمليات الحربية ضد الانجليز، ولكن عرابى رفض تنفيذ الأمر مخاطبا الشعب بأن حربا قد بدأت بين المصريين والبريطانيين المعتدين محذرا الخونة ... وأسرع الخديوى القابع فى الاسكندرية تحت حماية الغزاة باصدار أمر بعزل عرابى من وزارة الحربية يوم ٢٢ يوليو معلنا عصيانه .

وكان رد عرابى لجماهير الشعب يوم ٢٥ يوليو ١٨٨٢ بيانا قال فيه « ان الخديوى قريب الى الانجليز وكل ما يقوله يعود عليهم بالفائدة ... وهو يقوم بتضحية مصالح البلاد والشعب ... وأما فيما يتعلق بنا فنحن لا نتخلى عن الشعب ما دام لنا قلبٌ ينبض . » .

ونقل عرابى المعركة الى صفوف الشعب ... وتقدم آلاف المتطوعين من الفلاحين وسكان المدن مقدمين تبرعاتهم التى ساعدت على التسليح .

واعتبرت هذه الحركة امتدادا لنضال الشعب المصرى المسلح ضد الحملة الفرنسية • ثم غزو الانجليز للاسكندرية ورشيد عام ١٨٠٧ ، ولكن تميز هذه المرة بوجود قادة مصريين وعساكر نظاميين من العمال والفلاحين •

وتشكل (مجلس الطوارىء) من العلماء والمشايخ والأعيان ، ولكن بعضهم كان مترددا بين الولاء للخديوى وبين الاندفاع مع التيار الوطنى ، وذهب بعضهم الى الخديوى فى الاسكندرية •• وتشكل أيضا (المجلس الحربى) من الضباط الوطنيين •

وأعدت خطة الدفاع عن الشمال اعدادا تاما أعجز الانجليز عن التقدم عند كفر الدوار •• وأعد رئيس أركاب حرب الجيش محمود فهمى خطة أخرى للدفاع عن الشرق تقضى بتعطيل قناة السويس وسد ترعة الاسماعيلية ولكن فرديناند دى ليسبس فزع من هذه الخطة حرصا على أرباحه وتآمره مع الغزاة فتعهد لعرابى بأنه سوف لا يسمح للقوات الانجليزية بالنزول فى منطقة القناة •• وقبل عرابى منه هذا التعهد •

وكانت هذه غلطته الأولى حربيا وسياسيا •

ونزلت القوات البريطانية فى السويس يوم ٢ أغسطس ١٨٨٢ ثم قاموا بعملية انزال فى بور سعيد والاسماعيلية يوم ٢٠ أغسطس رغم وعود دى ليسبس وبدأوا بتنظيم القوات استعدادا للمعركة الحاسمة •

وحدثت موقعة التل الكبير يوم ١٢ سبتمبر ١٨٨٢ بهجوم بريطانى مفاجىء لاذ البدو بعده بالفرار ورموا عرابى بالحجارة •

وهرع عرابى الى القاهرة حيث عقد (مجلس الطوارىء) مصرا على مواصلة النضال ، مقترحا تشييد تحصينات حول العاصمة ، مقترحا اغراق الوادى حول القاهرة ، وأيده فى ذلك عبد العال حلمى وعبد الله النديم ومحمود سامى البارودى ، ولكن كبار الملاك والأعيان صوتوا من أجل الاستسلام وخضع عرابى لهذا القرار ••• رغم وجود قوات الجيش المصرى سليمة فى الشمال •

وكانت هذه هى غلطة عرابى الثانية والأخيرة ••• فقد استسلم للبريطانيين على مشارف القاهرة يوم ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ ، نتيجة لخيانة شيوخ البدو وأعيان القاهرة •

وهكذا طويت صفحة مضيئة من صفحات نضال الشعب المصرى ، بعد أن تكالبت عليه بريطانيا كما تكالبت الدول العظمى على محمد على من قبل ٤٢ عاما فقط •

ولكن هناك فرقا فى الحالتين ..

محمد على لم يكن مصريا صميما ـ قال ابنه ابراهيم « غيرتنا شمس مصر وصهرتنا » ـ ولم يعتمد الا على الأرستقراطية والبرجوازية التى كانت موجودة أو خلقها بهباته من الأرض للمماليك والالبانيين .. كما لم يطور النظم والمجالس التى كونها نابليون .. ولم ينقل من ديموقراطية أوروبا وفكرها السياسى مثلما نقل علومها وصناعاتها .. كما أن غزواته أثارت ضده شعوب الدول المقهورة ومهدت ضده مؤامرات الدول الاستعمارية الكبرى التى وجدت فيه خطرا نابعا من الشرق .

أما أحمد عرابى فكان مصريا صميما .. أقرب الزعماء فى تاريخ مصر الحديث الى قلوب الفلاحين وأول قائد لجيش كامل من المصريين ... وأول ثائر تتجمع حوله الجماهير من العساكر والمدنيين بما استثاره فيها من همة وحماسة ... وهو فى حركته كان يستلهم أفكار الثورة الفرنسية الديموقراطية ، ويحاول أن ينسج بين الشعب والجيش .. وان كان قد فاته ادراك التناقضات الاجتماعية العميقة التى ظهرت فى المجتمع مع ظهور البرجوازية المصرية .. والتى خلقت لحركته أعداء طبقيين يرون خطرا كبيرا فى اطلاق ارادة الفلاحين والبرجوازية الوطنية الصغيرة والبروليتاريا الناشئة ... كما انه لم تتوافر لأحمد عرابى النظرة العلمية الشاملة التى تجعله يحسن تصنيف الأصدقاء والأعداء فخدعه دى ليسبس وخضع لأصوات أعيان القاهرة .

وثورة عرابى لم تحصر فى دائرة التناقضات القائمة بين الضباط المصريين والشراكسة ولكنها امتدت الى رحاب الشعب فكانت انعكاسا لما هو قائم فى المجتمع من فروق طبقية وقهر اجتماعى بين الفلاحين والاقطاعيين وأغلبهم من الأجانب والمرابين والشراكسة .

وهزيمة ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ أدت الى نتائج وخيمة للحركة الشعبية وللقوى الوطنية فى الجيش .

الفصل الثالث

الجيش المصرى •• تحت الاحتلال البريطانى

(من الحكمة ألا نمكن العدو من رقابنا
وأنا لا أود أن يدخل ضباط الجيش
فى حركتنا السياسية) ••

مصطفى كامل

أصـدر الخديوى توفيق يوم ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ مرسوما من جملة واحدة (تسريح الجيش المصرى) •• وعاد الخديوى الى القاهرة فى حماية القوات البريطانية ليتابع اصدار قراراته بتجريد جميع الضباط من رتبة يوزباشى فما دون الذين اشتركوا فى الثورة العرابية من رتبهم وحرمانهم من المعـاش ، وتقديم أعداد كبيرة من الرتب الكبيرة للمحاكمة ، بعد اعتقال ٣٠ر٠٠٠ شخص ، وفرض المحتلون تعويضات على الشعب المصرى قيمتها ٩ ملايين جنيه استرلينى •

واختار الخديوى توفيق (السير فلانتين بيكر) لتنظيم جيش مصرى جديد •• وعين (السير ايفلين وود) قائد جيش الاحتلال ليكون قائدا عاما للجيش المصرى الذى تقرر أن يهبط عدده ليكون ٦٠٠٠ جندى •

وتبع ذلك خطوات أخرى اذ أغلقت كل المدارس الحربية عدا واحدة ، وأغلقت ترسانات الأسلحة والمدرسة البحرية ، وعطلت الترسانة البحرية ، وبيعت السفن الحربية •

وفى بداية عام ١٨٨٣ كان هناك ٢٥ ضابطا بريطانيا يتولون المناصب القيادية فى الجيش المصرى ، أما صغار الضباط فكانوا يختارون من الأسر الموالية للانجليز والخديوى •

وفى ديسمبر ١٨٨٢ حوكم عرابى وصدر الحكم باعدامه هو وأنصاره ، ولكن دوفرين سفير انجلترا فى تركيا الذى كان قد حضر للتنكيل بالمشتركين فى الدفاع عن الاستقلال الوطنى قرر استبدال الاعدام بنفيه هو وسبعة من زملائه نفيا مؤبدا الى سيلان • مدركا ان اعدام أحمد عرابى يمكن أن يؤدى الى انتفاضة شعبية أخرى •

ودخل العسكريون المصريون فى مرحلة جديدة ، لم تعد لهم فيها القيادة ••• وأدخل الاحتلال نظام (البدل النقدى) عام ١٨٨٦ ليصبح التجنيد فى الجيش قاصرا على الفقراء ، ويعفى منه أبناء الضباط ورجال الدين وموظفو الحكومة وطلبة المعاهد الدينية مما أدى الى زيادة الفارق الطبقى بين الجنود والضباط ، كما عمل على قتل روح الجندية فى جماهير الشعب • وكان الجيش المصرى عند وقوع الاحتلال موزعا بين مصر والسودان ••• وكانت ثورة المهدى مشتعلة هناك ، وناور الاحتلال البريطانى أولا بعدم امداد الجيش فى السودان بأية امدادات ثم تعيين ضابط بريطانى هو الجنرال هكس ليقود الجيش هناك خلفا لعبد القادر باشا حلمى وذلك بناء على طلب من رئيس الوزراء شريف باشا •

وأخيرا انتهز الاحتلال فرصة اشتعال الثورة المهدية ليتخلص من الجنود والضباط المصريين الذين اشتركوا فى الثورة العرابية ، فأقاموا معسكرا للتدريب فى القناطر الخيرية جمعوا فيه بقايا جيش عرابى المنحل • وأرسلوا ٥٠٠٠ جندى الى الخرطوم وارتفع العدد عندما وصل هكس باشا يوم ٧ مارس ١٨٨٣ ليصبح حوالى ١٣٫٠٠٠ جندى •

ولكن الجنود الذين أرسلوا الى السودان كانت فى قلوبهم مرارة شديدة لشعورهم بأن بلادهم محتلة ، ولاحساسهم بأنهم انما يرسلون الى هناك للتخلص منهم ، وذلك كما ورد فى تقرير كتبه كولونيل ستيوارت الذى أرسلته الحكومة البريطانية الى السودان لتقديم تقرير عن الحالة •

وقد وقعت الكارثة التى رسمها الاحتلال عندما خرج الجنرال هكس (باشا) يوم ٨ سبتمبر فى حملته التعيسة لمهاجمة كردفان فلما وصل الى غابة شيكان فوجىء بالدراويش يحاصرونه من كل جانب بينما كان جنوده قد أنهكهم التعب والجوع والعطش وأبيد الجيش الذى تجاوز عدده ١٠٫٠٠٠ جندى عن آخره ولم ينج منه سوى ضابطين برتبة الملازم وثلاثمائة جندى معظمهم من الجرحى •

نمت هذه الكارثة بذور الريبة في موقف الحكومة البريطانية التى نادت أولا بعدم التدخل التى ساندت الجنرال هكس باشا فى اعداد حملته على كردفان رغم تحذير الكولونيل ستيوارت من خطرها فى تقرير رسمى ٠

واكتملت أبعاد هذه الخطة بعد مصرع آلاف من جنود الجيش المصرى عندما نصحت الحكومة البريطانية مصر باخلاء السودان ٠

ورفض شريف باشا ٠

وهنا أرسل اللورد جرانفيل وزير المستعمرات برقية فى يناير ١٨٨٤ تفيد بأن من لا يريد اتباع نصائح الاحتلال فعليه أن يتخلى عن منصبه واستقال شريف باشا فى ٧ يناير ١٨٨٤ قائلا (اذا تركنا السودان فالسودان لن يتركنا) ٠

وجاءت وزارة نوبار باشا يوم ١٠ يناير خاضعة للاحتلال البريطانى ساجدة لأوامره مصدرة تعليماتها باخلاء السودان وترحيل الموظفين وسحب الحاميات المصرية التى بلغت ٢٥٠٠٠ جندى وصدر مرسوم فى ١٥ يناير بالحاق ادارة السودان بوزارة الحربية بدلا من رئاسة الوزراء ٠

كان المستهدف هو افناء الجيش المصرى أولا ثم انسحاب مصر من السودان ثانيا ٠

ولذا لم تقف الكارثة عند حدود معركة (شيكان) فقط ، وانما امتدت لتشمل تدبيرا بريطانيا قضى باعلانهم استقلال السودان عن مصر فى مقابل تعيين غوردون حاكما عاما للسودان ٠

ووصل غوردون يوم ١٨ فبراير ١٨٨٤ الى الخرطوم ، وأعلن استقلال السودان وعين المهدى سلطانا على مديرية كردفان ، محتفظا لنفسه بمنصب الحاكم العام ،، وقام بالغاء جميع الضرائب المتأخرة ، وأعلن العفو عن المسجونين الذين تأخروا عن دفعها ٠٠٠ الا أن المهديين اكتشفوا هذه المناورة البريطانية ، ولم يكن فى نيتهم تقديم السودان للسلطة الانجليزية ٠

وعندما فشلت هذه الخديعة تقرر تكليف غوردون بتدبير عملية انسحاب المصريين مدنيين وعسكريين من السودان ، ولكن دون أن تصله أية قوات لتأمين عملية الانسحاب ٠٠٠ الجنرال ولسلى وهو الجنرال الذى فتح مصر وقاد جيشا من ٧٠٠٠ جندى ولم يصل الى الخرطوم ٠

وفى ذلك قال غوردون (لقد عينت لاخلاء السودان وليس للهرب من الخرطوم) وترك الحاميات الأخرى فى جميع المواقع تواجه مصيرها ٠٠٠ واعتبر التخلى عن هذه الحاميات عارا لا يمحى ٠

وفى ٢٣ يناير ١٨٨٥ توقفت الخرطوم المحاصرة عن المقاومة ، واحتلها الثوار المهديون وقتل غوردون والانجليز الذين كانوا معه أثنـاء اقتحام المدينة .

وتركت الحاميات الأخرى تواجه مصيرها قبل سـقوط الخرطوم وبعـدها .

وكان من نتيجة موقف الحكومة البريطانية أن أبيد أكثر من ٣٣٫٠٠٠ جندى مصرى من حاميات المدن السودانية المختلفة وأثناء سقوط الخرطوم وكسلا وسنار خلال عامى ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ .

تفـلت الخطة الاستعمارية لابادة الجيش المصرى فى مصر والسودان لضرب الحركة الوطنية التى تولدت فيه ، ووقف نموها ... وكان انتصار ثورة المهدى عام ١٨٨٥ قد طوى صفحة الجيش المصرى فى السودان الى حين . وبدأ الاستعمار البريطانى مناوراته لتحويل الاحتلال المؤقت الى احتلال دائم عن طريق المماطلة ، حتى عقدت فى ٨ ابريل ١٩٠٤ اتفاقية بين فرنسا وانجلترا ، انطوت على نص يقضى بأن الحكومة البريطانية ليس فى نيتها تغيير الوضع السياسى فى مصر مما يطلق يدها فى مصر ويد فرنسا فى مراكش .

وقبل هذه المعاهدة وخلال ثمانينيات القرن الثامن عشر ، وبعد الضربة الشديدة التى وجهت للقضـاء على الجيش المصرى واعتقال ٣٠٫٠٠٠ مصرى بعـد قمع الثورة العرابية غابت الحركة الوطنية المنظمة ، وتشتت كوادر الوطنيين أو مارسوا نشاطا سريا . .

ولكن لم تكد تسعينيات القرن تهـل حتى نشط مثقفو البرجوازية الوطنية المصرية بعد وفاة الخديوى توفيق وتعيين ابنه عباس حلمى الثانى الذى حكم مصر فى يناير ١٨٩٢ وهو فى الثامنة عشرة من عمره وبرز فى هذه الفترة الشيخ محمد عبده الذى سعى الى تطوير الشريعة الاسلاميه بما يتناسب مع العصر ، وناضل ضد تتريك السكان العرب فى الامبراطورية العثمانية داعيا الى بعث اللغة العربية الفصحى ، وعبد الرحمن الكواكبى (١٨٤٩ ـ ١٩٠٣) المولود فى حلب والذى هاجم الاستبداد فى كتبه ودافع عن الفقراء والبؤساء واستنكر التعصب الدينى ودعا الى تكوين دولة عربية واحدة ، واضعا الوطن فوق الدين والوطنية فوق الخلافات الدينية ... ومصطفى كامل الذى كون حلقة من الشباب وهو ما زال تلميذا ، وطالب بابعاد الانجليز عن مصر ، ففتحت له الأبواب فى فرنسا .

وكان مثقفو البرجوازية المصرية لا يؤمنون بامكانية الحركة المثقفة الجماهيرية فى هذه المرحلة ، تأثرا منهم بنكسة الاحتلال ، ولذا وجهـوا

اهتمامهم فى الحصول على التحرر الوطنى الى محاولة استغلال التناقضات بين الدول الامبريالية وخاصة انجلترا وفرنسا ٠٠ واتجه مصطفى كامل أيضا الى اعتبار التثقيف والدعاية وسيلة أخرى من وسائل التحرر الوطنى وذلك بعد أن أجهده السعى وراء المتناقضات ٠

ولكن الخديوى عباس الثانى له وجهة نظر فى الجيش عبر عنها بقوله « انه الأداة الوحيدة القادرة على ضمان الحريات الوطنية » ٠٠ ولذا فقد ربط نفسه به واظهر اهتماما شديدا باصلاحه ٠٠٠ كان يلبس الملابس العسكرية ويزور الوحدات ويحضر التدريب والمناورات ويرعى حالة الجنود والضباط مما جعل قوات الجيش تتعلق به على عكس والده ٠

وانتهز الخديوى فرصة سفر كرومر الى انجلترا وعين محمد ماهر باشا وكيلا لنظارة (وزاوة) الحربية ، واعتبر هذا الاجراء بداية المتاعب ، فقد أخذ ماهر باشا يحدد سلطة كتشنر سردار الجيش ، ورافق الخديوى فى زيارة تفتيشية مع كتشنر عند حدود مصر الجنوبية ، حيث أكثر الخديوى من انتقاد العيوب وخاصة التى لمسها فى تصرفات الضباط البريطانيين قائلا للجنرال كتشنر عقب استعراض فى وادى حلفا « انه من العار — فى رأيه — أن يكون الجيش المصرى على هذه الدرجة من عدم الكفاءة » ٠

وقدم كتشنر استقالته وأرسل الى كرومر بما حدث فأصر على أن ينقل الخديوى محمد ماهر باشا من (نظارة) الحربية ، تحت التهديد بوضع الجيش المصرى تحت سلطة الحكومة البريطانية رأسا ٠٠ وقد خضع الخديوى عباس للانذار ووجه الى السردار خطابا نشر فى الجريدة الرسمية يبدى فيه الرضى عن حالة الجيش ، ويسجل للضباط البريطانيين خدماتهم فيه ٠٠ وبعد أيام نقل محمد ماهر باشا محافظا الى بور سعيد ٠

كان هذا الموقف نقطة تحول فى تاريخ الجيش ٠٠٠ فبعد أن كان الخديوى توفيق يأخذ موقفا معاديا من رجاله ويلقى بنفسه فى أحضان الانجليز ٠٠٠ اذا بالخديوى عباس يحاول أن يأخذ موقفا معاديا من الانجليز ويلقى بنفسه فى أحضان الجيش ٠

ولكن خضوع الخديوى لانذار كرومر اضعف من نبت الحركة الوطنية فى الجيش التى انتعشت بالأمل ٠٠٠ ولكنها لم تذبل تماما ٠٠٠ تكونت فى صفوف الضباط جمعية سرية اسمها (جمعية المودة السرية) من الضباط الموالين للخديوى لتزويده بالأنباء والأخبار ٠

واتخذ البريطانيون موقفا أكثر تشددا فى تعيينات الضباط المصريين وترقياتهم ، وبدأوا بتعيين ادوارد زهراب باشا وكيلا للحربية وكان ولاؤه للانجليز كما يقول ملنر (أمر لا يحتمل المناقشة) .

وهنا خلقت الظروف موقفا وضع الجيش المصرى أمام مسئولية جديدة .

كانت خطة الاستعمار البريطانى لابادة الجيش المصرى وابعاده عن السودان قد تحققت ... وأراد الاستعمار بذلك أن يكسب السودان صفة الدولة التى لا يستعمرها أحد فى افريقيا لمدة سنوات مما يبعد صلته عن مصر ، ويضعف العلاقات الشعبية الوثيقة بينهما ... ثم يهجم الاستعمار البريطانى عليه من الجنوب ... من كينيا وأوغندا ليحتله بقواته ويصبح مستعمرة بريطانية كاملة لا صلة لها بمصر .

كان الاستعمار البريطانى يريد أن يقيم (عازلا زمنيا) به مصر والسودان .

ولكن عاملا هاما لم يكن قد دخل فى حسابات الخطة البريطانية انقض عليها ، فغيرها تغييرا كاملا .

اعادة تكوين الجيش المصرى :

تسابقت الدول الاستعمارية على اقتطاع أطراف السودان والتوغل فى أرضه على حساب حكومة الخليفة عبد الله التعايشى الضعيفة . وكانت فرنسا تزحف على افريقيا من الغرب ولما كان السودان بعد عام ١٨٨٥ يعتبر دولة مستقلة فانها قررت أن تحتله وزحفت عليه بعثة وارشان حتى وصلت حدوده عام ١٨٩٨ .

وحدث سبب مباشر عند هزيمة الايطاليين فى موقعة عدوة أول مارس ١٨٩٦ على أيدى الأحباش ، وتهديد الدراويش السودانيين لكسلا التى كان الايطاليون قد أخلوها بصفة مؤقتة عام ١٨٩٤ ... وطلب الحكومة الايطالية من الحكومة البريطانية أن يهاجم الجيش المصرى الدراويش فى دنقلة للتخفيف من الضغط عليهم .

ولم يجد الاستعمار البريطانى أمام هذه الظروف المتغيرة من سبيل الا اعادة تكوين جيش مصرى لدخول السودان .

واتخذت الحكومة البريطانية قرارها فى ١٢ مارس ١٨٩٦ باسترجاع دنقلة ، وكان فى هذا نقطة تحول عن سياسة انشاء جيش مصرى صغير للأعمال البوليسية ، الى انشاء جيش محارب قادر على خوض المعارك .

لم يكن قد مضى على حل الجيش المصرى فى مصر الا ١٤ عاما ٠٠ ولم يكن قد مضى على الابادة المتعمدة للجيش المصرى فى السودان الا ١١ عاما ٠٠٠ وبدأ تكوين جيش مصرى جديد ٠

وكان الاستعمار البريطانى يعتمد فى ضمان بقائه بمصر على وجود جيش الاحتلال ؛ وقيادة الضباط البريطانيين للجيش المصرى الجديد ٠

وزاد عدد الجيش المصرى حتى بلغ ١٨,٠٠٠ جندى عند بدء حملة دنقلة وبدأت عملية استرداد السودان تحت قيادة كتشنر سردار الجيش المصرى ٠

كان هجوم البريطانيين على السودان من كينيا وأوغندوا متعذرا فى هذا الوقت الضيق لظروف طبيعية ٠٠٠ كما أن دخول السودان بالجيش المصرى كان يعطى للغزو سندا قانونيا أمام فرنسا التى كانت قواتها قد احتلت (فاشودة) غرب السودان ؛

دخل كتشنر (أم درمان) عاصمة المهديين فى سبتمبر ١٨٩٨ مستخدما الرشاشات كسلاح جديد ، فأصيب جيش المهدى بخسارة فادحة بلغت ٢٠ ألفا واندحر الجيش الى كردفان ٠ وعن هذه المعركة قال الكولونيل مساعد كتشنر « كانت تحركات المهديين دائما الى الأمام تحت وابل رصاصنا ليلاقوا الموت المحتم وجها لوجه ٠ وبعد المعركة التى سجلنا فيها انتصارنا كانت جثث قتلاهم بثيابها البيضاء تغطى ساحة القتال كما تغطيها الثلوج » ولم يقتف أثر المهديين ولكنه اتجه الى (فاشودة) حيث التقت القوات البريطانية وجها لوجه مع القوات الفرنسية ، وحدثت أزمة (فاشودة العالمية) المعروفة والتى قال لينين عنها « كانت انجلترا على شفا الحرب مع فرنسا » وانتهى الأمر بينهما الى توقيع اتفاق ٨ ابريل ١٩٠٤ تتعهد فيه فرنسا بعدم معارضة النفوذ البريطانى فى مصر أو تحديد موعد لجلاء قواتها عنه ٠ كما تعترف بريطانيا بسيادة فرنسا على المغرب ؛

ولكن صنداما لم يحدث اذ حسمت المشكلة على أساس توازن القوى وبعد مفاوضات طويلة أمرت الحكومة الفرنسية (مارشان) بالتراجع يوم ٤ نوفمبر ١٨٩٨ عن (فاشودة) ، ووقعت فى مارس ١٨٩٩ اتفاقية انجليزية فرنسية لتوزيع مناطق النفوذ فى افريقيا ٠

وتم استرداد السودان فى ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩ بعد حرب امتدت أكثر من ثلاث سنوات خاضها الجيش المصرى ٠

وبعد استرداد السودان واجه الاستعمار البريطانى مرة أخرى مشكلة وجود جيش مصرى ، بدأت تنتشر فى صفوفه أفكار الحركة الوطنية التى

كانت قد انتعشت فى صفوف الجمــاهير وبين المثقفين فى التسعينيات من القرن التاسع عشر ٠

ولم تجـد الحكومة البريطـانية مبررا يدفعها الى الغاء الجيش المصرى مرة أخرى ٠٠ كما فعلت فى بداية الاحتلال ٠٠٠ ولكنها أبقت معظم الجيش الذى بلغ فى مطلع القرن العشرين عددا يتراوح بين ٢٠ ألفا ، ٢٥ ألفا فى السودان لعدة أسباب أهمها :

١ ــ ابعــاد الجيش المصرى الذى استرد ثقته بنفســه عن قاعدته الجماهيرية ــ على حد تعبير كرومر ٠

٢ ــ اطلاق الأمر لجيش الاحتلال فى مصر دون منازع ٠

٣ ــ تثبيت الأمن بالسودان ٠

٤ ــ وجود الجيش المصرى فى السودان أعفى الحكومة البريطانية كذلك من تواجـد جيش كبير للاحتــلال ٠ وقد احتلت وحداتهم مواقع استراتيجية هامة مثل القلعة والعباسية وقصر النيل بالقاهرة ٠ ومصطفى باشا ورأس التين بالاسكندرية ٠

وكان استرداد السودان وتوقيع اتفاقية ١٨٩٩ للحكم الثنائى المصرى البريطانى وهى الاتفاقية التى وقعها بطرس غالى عن مصر ولورد كرومر عن بريطانيا ، والتى جاء فى مقدمتها أن الأسباب التى دعت الى الحكم الثنائى هى أن مصر حكمت السودان حكما سيئا مما أدى الى ضياعه (وموافقة) الحكومة المصرية على السماح لانجلترا بادارة السودان لقاء المعـونة التى قدمتها الى مصر فى السودان ٠

ولا شك أن هذه الاتفاقية التى فرضت على مصر ، كانت (اتفــاقية اذعان) أطلق عليها الناس اسم (الاتفاقية المشئومة) ٠

أصبح الحاكم العام البريطانى هو السلطة العليا فى السودان تتجمع فى يده جميع السلطات المدنية والعسكرية والتنفيذية والتشريعية ، وبدأت الحكومة البريطانية ترسم سياسة جديدة نحو الجيش المصرى ٠

قررت تجريد الضباط والجنود المصريين والسودانيين فى السودان من الأسلحة والذخيرة بواسطة الجنرال مكسويل نائب الحاكم العام ٠٠٠ وكان أن تمردت بعض الوحدات ؛ فسجن الضباط المتهمون بالتحريض وحوكموا ثم طرد منهم سبعة من خدمة الجيش وأحيل واحـد الى المعاش وآخر للاستيداع ٠

وأراد كرومر أن يستغل هذا الحادث لاهانة الخديوى وتحقيره أمام المتعاطفين معه في الجيش ، فطلب منه احضار المحكوم عليهم وتوبيخهم ، ليضعه في موقف حرج سواء بالرفض أو القبول ··· وقد قبل الخديوى ذلك ، وأحضر المحكوم عليهم ووبخهم وأعلن تأييده للسردار ونجت باشا ·

وقررت الحكومة البريطانية أيضا انقاص الوحدات المصرية البحتة فى الجيش وزيادة الوحدات السودانية ، وألغوا (أورطتين) كتيبتى مشاه ، وسرحوا المدفعية ، وخفض عدد (الأورطة) الكتيبة المصرية الى ٦٠٠ جندى بدلا من ٨٠٠ جندى للكتيبة السودانية ، ونقص عدد الضباط المصريين فى الوحدات السودانية الى العشر ·

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل شتت الجيش المصرى فى السودان الى حاميات صغيرة مبعثرة فى المدن البعيـدة ، بينما تمركزت الحاميـة البريطانية فى الخرطوم ·

وهكذا ضمر الجيش المصرى بعد أن أدى واجبه فى استرداد السودان ··· وأخذ الاحتلال البريطانى يكلف وحداته بواجبات تعميرية مدنية ·

ولما كان هناك نقص شديد فى الصناع المهرة بالسودان فقد استصدر اللورد كتشنر أمرا خديويا يقضى بتجنيد أبناء القاهرة والاسكندرية ، وكان ذلك موقوفا منذ بدء الاحتلال منعا لتسرب الأفكار الحضارية فى المدن الى صفوف الجيش ، وهكذا تضاعف عدد الصناع فى السودان عدة مرات ·

وقام الجيش المصرى بدور حضـارى فى السودان ··· أنشأ طرق السكك الحديدية فى ظروف بالغة القسوة والصعوبة ··· قال اللورد كرومر انهم مدوا ٣٢٥ ميلا من خطوط السكة الحديد خلال ١٤ شهرا ··· وقال أحد الضباط المصريين (انه توجد تحت كل شبر منها جثة جندى مصرى) ·

وكثير من منشئات السودان فى المدن المختلفة بنيت بواسطة الوحدات المصرية حتى أصبح ذلك طابعـا للجيش ، وهدفا يقصـد به صرفه عن التدريب والتماسك ··· وعندما فكر الرئيس السابق اللواء محمد نجيب فى دخول المدرسة الحربية ، قال له ابراهيم عرابى بن أحمد عرابى وكان مقيما فى السودان ، وهو يحاول أن يثنيه عن عزمه (يابنى ··· ان الضابط فى بلد محتل ليس سـوى مقـاول عمال أو رئيس فعله ولا يتعدى عمله الحفر والردم) ·

وكان كلام ابراهيم عرابى صحيحا الى حد ما ··· فقط روى لى محمد نجيب ان أول عمل كلف به عقب تخرجه كان تمهيـد بعض الطرق فى السودان ·

بعد أن استقرت الأحوال نوعا ما صدر قانون القرعة العسكرية ـ التجنيد ـ عام ١٩٠٢ بعد أن تلاشت الحاجة لأى قوات مصرية من وجهة نظر المصالح البريطانية ، ولذا فقد تضمن اعفاء كل العناصر ذات الفعالية أو التأثير فى الاتجاهات الوطنية لمكافحة الاستعمار ، حتى تظل بعيدة عن الجيش •

أعفى أبناء العمد والمشايخ وموظفى الحكومة والعلماء وطلبة الأزهر وطلبة الجامعة وأبناء واخوة ضباط الجيش •

انخفض بذلك مستوى المجندين ومستوى الجيش بالتالى •

استمر العمل بهذا القانون حتى ١٩٤٧ أى ٤٥ عاما متصلة •

وخلال السنوات الأولى للحكم الثنائى فى السودان قامت عدة انتفاضات شعبية لم يذكر السير (الدون جورست) الحاكم العام شيئا عن دور الجيش المصرى فى قمعها ، مشيرا فقط الى القوات البريطانية والسودانية ••• واذا صح ذلك فانه يشير الى خشية الاحتلال من تحريك الجيش المصرى حركة عسكرية فى مواجهة انتفاضة شعبية خشية حدوث التحام بينهما ، وخاصة ان ضباط الجيش كانوا ما زالوا يتذكرون انتفاضة عرابى ، ويقرأون سرا كلمات الزعماء والمثقفين فى مصر مثل محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبى ومصطفى كامل وغيرهم •

وكان الاتجاه السائد فى الرأى العام المصرى هو الاستفادة من التناقضات الدولية ، والنضال ضد قوات الاحتلال البريطانية باعتبار مصر تحت السيادة الشرعية التركية •

وقد تعرض الجيش المصرى عام ١٩٠٦ لموقف شديد الحرج عندما أرادت الحكومة العثمانية أن تمد خط سكة حديد الحجاز من معان الى العقبة ثم الى قناة السويس ، وما يستتبعه ذلك من ضرورة اقتطاع جزء من سيناء •

وعندما وجدت قوات الاحتلال ان ذلك يهدد قواتها البحرية فى البحر الأحمر أرسلت قوة مصرية صغيرة يقودها مصرى هو الأميرالاى سعد رفعت لاحتلال بلدة « كابا » التى تقع على بعد ٨ أميال برا من قلعة العقبة ، ولكنها عندما وصلت وجدت ان القوات التركية قد احتلتها ، وأصبح الموقف يهدد بمواجهة عسكرية بين القوتين •

كان موقف الجيش المصرى غريبا فى هذه الأزمة التى تتنازع فيها الأرض المصرية دولتان أجنبيتان هما تركيا صاحبة السيادة الشرعية وانجلترا صاحبة قوات الاحتلال •

..ولكن الرأى العام المصرى انجذب الى السلطان الذى كان اسمه يذكر فى خطب الجمعة بالمساجد ويدعى له بالنصر ... وناقشت الصحف صراحة احتمال تمرد الجيش المصرى وانضمامه للقوات العثمانية باعتبارها قوات اسلامية لا يجوز معاداتها .

ووجدت قوات الاحتلال البريطانى انها فى مأزق يهددها بتمرد الجيش فسارعت بزيادة الحامية البريطانية واستدعت قوات هندية للدفاع عن قناة السويس ، ونشرت الصحف البريطانية مقالات تثير بها الشك فى ولاء ضباط وجنود الجيش المصرى ، ونشرت جريدة (ديلى اكسبريس) تصف الضباط الشبان بانهم مصدر خطر لصلتهم بالضباط الأكبر سنا أو المتقاعدين وانهم جميعا يعتبرون خطرا فى حالة القلق القائمة فى ذلك الوقت .

وكان فى حديث الصحيفة البريطانية اشارة غير مباشرة الى أن قوات الاحتلال كانت تختار صغار الضباط من ذوى الولاء لقبول الاحتلال دون معارضة .

وأصبح مؤكدا أن قوات الاحتلال لم تعد تثق فى ولاء الجيش المصرى ، كما انها فطنت الى أن الرأى العام المصرى يلعب على التناقض القائم بينهم وبين الدولة العثمانية ... فكانت النتيجة هى زيادة الحامية البريطانية ، ووقوع حادثة دنشواى بعد شهر واحد من أزمة (طابا) التى انتهت بتفادى القتال .

ورافق هذه الحادثة نشاط عربى فى تركيا ، اذ كونت الجالية العربية فى القسطنطينية منظمة عربية جماهيرية فى ٢ سبتمبر ١٩٠٨ باسم (الاخاء العربى العثمانى) رأسها ضابط سابق لأركان حرب التركى اسمه صادق باشا العظم مرتبطا بجمعية (تركيا الفتاة) .

ولكن انتخابات البرلمان التركى فى ذلك العام وبرنامج جمعية (تركيا الفتاة) الذى نشر فى أواخر هذا العام ، قد أنزل ضربة حاسمة بالأوهام التى كونها القوميون العرب حول تركيا الفتاة .

كان تعداد الأتراك ٥ر٧ مليون وتعداد العرب ٥ر١٠ مليون من مجموع ٢٢ مليون نسمة هم مجموع سكان الامبراطورية العثمانية فى ذلك الوقت .

وتكونت جمعية سرية أخرى عام ١٩١١ باسم (الجمعية العربية الفتاة) فى باريس لعبت دورا كبيرا فى تاريخ الحركة الوطنية العربية ، حيث أعدت برنامجا يقوم على أساس الاستقلال العربى ومحاولة توحيد الحركات العربية المختلفة .

... وفى نفس العام قامت الحرب الايطالية العثمانية (١٩١١ ـ ١٩١٤) حيث بدأت ايطاليا يوم ٣٠ سبتمبر ١٩١١ تستولى على الساحل الليبى

فاحتلت طرابلس ودرنة وطبرق وبنغازي ٠٠ وفكرت الدولة العثمانية في مرور جيشها عبر الأراضي المصرية بعد محاصرة الأسطول الايطالي لسواحل ليبيا ، كما فكرت أيضا في الاستعانة بالجيش المصري في الحرب الى جانب الجيش العثماني ٠

وقد أيد الرأي العام المصري هذا الاتجاه وطالبت العناصر الوطنية أن يمر الجيش العثماني دون استئذان الخارجية البريطانية ، ولكن بريطانيا أسرعت باعلان حياد مصر في الحرب تجنبا لاحتمال اشتباكها مع ايطاليا ٠٠٠ ولم تحاول الدولة العثمانية من جهتها ارسال قوات عبر مصر ، وعندما اتصل بعض الوطنيين المصريين باللورد كيتشنر مطالبين بارسال قوات مصرية لمساعدة الجيش العثماني ، أجاب بأن ذلك يعني زيادة قوات الاحتلال ٠٠ وعندما طلب بعض الضباط التطوع وافقهم على شرط أن يجددوا أنفسهم في الاستيداع بعد العودة ٠٠ وعندما طلب أولاد على من الاعراب التطوع وافق بشرط الغاء النص الذي يعفيهم من التجنيد ٠

ولكن ذلك لم يمنع بعض المصريين من التطوع على نفقتهم الخاصة ٠٠٠ وكان على رأس هؤلاء عبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية فيما بعد ، وصالح حرب الذي رأس جمعية الشبان المسلمين بعد ذلك وتولى منصب الوزارة في احدى وزارات علي ماهر ٠٠٠ وعزيز المصري الذي اشترك في العمليات الحربية وعين قائدا لمنطقة بنغازي وغيرهم كثير من المتطوعين ٠

وبدأت الأسلحة تتدفق عبر الصحراء الغربية الى ليبيـا ، الأمر الذي جعل قوات الاحتلال البريطانية تستبدل مأموري الحدود المصريين بمأمورين من البريطانيين ٠

وهكذا منعت قوات الاحتلال الجيش المصري من المسـاهمة في هذه الحرب التي كان يدفعه اليها اتجاه الرأي العام المصري ٠

وفي ذلك قال يوسف نجيب الضابط في الجيش المصري والذي مات ودفن في السودان لولده محمد نجيب وهو يختار له مهنة المحاماة قبل وفاته (ان الجيش قوة اضافية تتلقى أوامرها من الانجليز) ٠

ولم يكن الجيش المصري يتلقى أوامره من قوات الاحتلال التي يقوده ضباطها البريطانيون فقط ولكن قواعد جـديدة كانت تطبق عليه ٠٠٠ الوحدات السودانية الجـديدة أصبحت تتلقى أوامـرها بالانجليزية ٠٠ وبعض الفرق التدريبية كانت تقتصر على الضباط السودانيين والعرب دون المصريين مثل مدافع الماكينة في مركز التدريب بملاكال ، وذلك حسب رواية اللواء محمد نجيب الذي تخرج في المدرسـة الحربية ، وعين مثل والده في الكتيبة ١٧ مشاة بالسودان أيضا ٠

وأوقف الاحتلال البريطاني الترقية الى رتب الضباط بين ضباط الصف ، وأغلق بذلك الباب أمام الفلاحين والفقراء وحال بينهم وبين الوصول الى المراتب القيادية كما حدث مع أحمد عرابى ٠٠٠ وبدأت الفروق الطبقية تظهر بطريقة حادة فى صفوف الجيش ٠٠٠ الضباط كانوا يختارون اما من أبناء الضباط واما من أبناء العائلات الكبيرة الفاشلة فى التعليم دون التقيد بشهادة مدرسية حتى صدر قانون ١٩٢٨ الذى يقصر دخول المدرسة الحربية على خريجى المدارس الثانوية ٠٠٠ أما الجنود فكانوا من أفقر عائلات مصر ٠

وعادت من جديد حدود الترقية الى الرتب العليا ٠٠٠ المصريون لا يرقون أكثر من رتبة الأميرالاى ، والسودانيون لا يتجاوزون رتبة الصاغ ، بينما البريطانيون يبدأون من رتبة اليوزباشى الى أعلى رتب الجيش ٠

وحدث خلال هذه الفترة انحسار حقيقى فى حالة الجيش ٠٠٠ تدريبا وتسليحا وعددا ٠٠ وارتباطا بالحركة الوطنية ٠ أيضا فقد كان البريطانيون يختارون الضباط خلال ثقوب اختيار ضيقة ، ويحاولون أن يجتذبوهم الى نموذج الحياة البريطانية وتقاليدها مما يعزلهم تدريجيا عن مجتمعهم ٠

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى وكانت تركيا ما زالت فى مرحلة الحياد ، ضغطت الحكومة البريطانية على الحكومة المصرية لمنع اتخاذها قرارا بالحياد وأصدرت قرارا فى ٥ أغسطس ١٩١٤ يقضى بمنع التعامل مع ألمانيا ورعاياها ومنع السفن المصرية من الوقوف فى أى ثغر ألمانى ٠٠٠ ولما نشبت الحرب بين انجلترا وتركيا فرضت الحماية البريطانية على مصر وأسقطت السيادة العثمانية يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ٠

وفى اليوم التالى مباشرة أى ١٩ ديسمبر خلع الانجليز الخديوى عباس حلمى الثانى الذى كان فى القسطنطينية فى ذلك الوقت ، وعينوا الأمير حسين كامل منعمين عليه بلقب السلطان ٠

واقترنت هذه الاجراءات باعلان الأحكام العرفية فى ٢ نوفمبر ١٩١٤ وأصبحت السلطة العليا فى يد الجنرال مكسويل قائد القوات الانجليزية فى مصر ، واعتقل آلاف الوطنيين من المثقفين البرجوازيين ، وعطلت الصحف الوطنية ووضع الباقى تحت رقابة شديدة ٠

ولم يعتمد الانجليز فى حربهم ضد الأتراك على قوات الجيش المصرى اعتمادا كاملا ، بل كلفوا وحدات قليلة منه بالاشتراك فى خطة الدفاع عن قناة السويس ٠٠٠ وحسب ما كتبه الليفتنانت كولونيل كيرزى ، كان يوجد فى مصر فى أواخر عام ١٩١٤ ما يقرب من ٣٢ ألفا من القوات المصرية والسودانية ، بينما كان يوجد ٧٠ ألفا من القوات الهندية والاسترالية

والنيوزيلندية والبريطانية ثم زادت هذه القوات مع استمرار الحرب حتى وصلت ٢٧٥ ألف جندي .

ولم يدفع الانجليز بكل قواتهم الى المعركة ... احتفظوا بحامية كبيرة في القاهرة والاسكندرية خوفا من الانتفاضات الشعبية .

وكانت معاداة البريطانيين هي العامل المحرك للقوى الوطنية في ذلك الوقت ، وخاصة بعد دخول الحرب ضد الأتراك ... وان كانت قد بذرت ونمت فكرة الاستقلال والتحرك الوطني بعيدا عن الدولتين .

وفي الصحراء الغربية كانت القوات المصرية تحت قيادة كولونيل بريطاني (سيسل سنو) بينما كان القائد المصري هو اليوزباشي محمد صالح حرب ـ باشا فيما بعد ـ والذي انتهز فرصة انسحاب (سنو) من السلوم الى مرسى مطروح بعد نشوب القتال مع السنوسيين وعدم اهتمامه بمصير قوات الحدود المصرية في سيدي براني وبقبق ، فانضم صالح حرب ومعه حوالي ٨ ضباط وأكثر من ١٢٠ جنديا الى السنوسيين ضد البريطانيين .

ومع ذلك فقد اشتركت وحدات مصرية صغيرة لمساعدة حركة القوات البريطانية في الصحراء الغربية بعد ذلك .

الاشتراك الرئيسي للجيش المصري في الحرب العالمية الأولى كان في السودان ضد السلطان علي دينار في دارفور بعد أن نبذ ولاءه لحكومة السودان في ١٠ فبراير ١٩١٦ تحت تأثير الأتراك والسنوسيين ، وذلك بعد أن كانت قد اعترفت به حكومة السودان سلطانا على دارفور عام ١٩٠٠ بعد استخلاصه لها من يد دراويش المهدية .

كانت الحملة تحت قيادة ضابط بريطاني اللفتننت كولونيل (كيلي) ولكن الضباط والجنود المحاربين كانوا من المصريين والسودانيين .. وقد انتهت الحملة بانتصار الجيش المصري ودخول (الفاشر) عاصمة دارفور في مايو ١٩١٦ ، وقتل السلطان في احدى المعارك غرب دارفور في نوفمبر ١٩١٦ ، مما دفع الملك جورج الخامس الى ارسال برقية تهنئة عند احتلال الجيش المصري للفاشر ، واشادة الحاكم العام للسودان أثناء احتفاله بعيد الهجرة (١٣٣٥ ـ ١٩١٦) في نادي الضباط المصريين قائلا « الله يذكر بمزيد الفخر والاعجاب الخدمة العظيمة التي قام بها الجيش المصري وضباطه البواسل في دارفور فانها ستبقى مسطورة بأحرف من ذهب في تاريخ الجيش » .

واضح أن الاشتراك المسلح للجيش المصري كان محدودا ومقتصرا على عمليات صغيرة أو قوات مساعدة ... ولم يحاول البريطانيون أن يجندوا

وحدات كبيرة تدخل المعارك الحربية ، كما هو الحال بالنسبة للقوات الهندية مثلا ، وذلك لادراكهم ان ذلك قد يصبح مكمن خطر عليهم لان الروح الوطنية فى الشعب كانت ملتهبة لا تخمد .

خرجت قوات الاحتياط التى استدعيت للخدمة يوم ٢٩ يناير ١٩١٦ من ثكنات عين شمس وسارت فى مظاهرة جماعية حتى سراى عابدين وهم يهتفون ضد الظلم الذى تعرضوا له لاستدعائهم عقب مدة خدمة الزامية امتدت ست سنين .

ولما لم يجدوا أذنا صاغية خرجوا فى مظاهرة فى اليوم التالى ، حيث تصدت لهم قوات البوليس ، وفرقتهم بعد أن تساقط عدد من الجرحى .

واستبدلت الحكومة البريطانية سير هنرى مكماهون المندوب السامى البريطانى ، الذى لم يسبق له الخدمة فى مصر بالسير ريجنلد وينجت حاكم عام السودان الذى كانت له صلات متعددة مع عدد من ضباط الجيش المصرى ... وقد أبقى السير وينجت لنفسه الاشراف على الجيش المصرى وحكومة السودان وعين سير لى ستاك نائبا للسردار ونائبا للحاكم العام للسودان حتى عين سردارا وحاكما عاما فى ٩ مايو ١٩١٥ .

وقد ابتكر وينجت أسلوبا جديدا لاستغلال القوة البشرية المصرية وقدرتها على الصبر والتحمل والتضحية فشكلوا ما سمى (فيلق العمل المصرى) ... وكانوا يحشدون فيه العمال والفلاحين للقيام بالأعمال العسكرية الشاقة مثل حفر الخنادق والآبار واقامة الاستحكامات ومد السكة الحديد وأنابيب المياه عبر الصحراء ونقل الأثقال وتطهير القاذورات وكان ذلك غالبا ما يتم فى ظروف المعركة تحت نيران العدو مما يعرض أفراد الفيالق لأخطار جسيمة ... الأمر الذى جعل الناس يهربون من القرى ويختفون من محال اقامتهم حتى لا تلحقهم يد (التطوع) لهذا الفيلق ، والذى أنشىء فى البداية على أساس (التطوع) شكليا ثم لما نفر الناس منه نفورا شديدا ، وعجزت السلطة البريطانية عن اغراء الناس بالاعلان عن الاعفاء من الخدمة العسكرية لكل من يقضى سنة واحدة فى خدمة اضافى (أى جيوش الحلفاء) ـ تحول التجنيد له الى اجبار عام ١٩١٧ .

كان الحشد لفيالق العمل يتم ثلاث أو أربع مرات فى العام وكل مرة يحشد فيها حوالى ١٣٥ ألف شخص ... يبقون مدة ستة شهور ... وجاوز مجموع من دخل هذه الفيالق رقم المليون ... وبلغ عدد الضحايا ٣٠ ألفا لاقوا حتفهم على حدود مصر أو فى فرنسا والدردنيل وفلسطين حيث امتد نطاق عملهم .

وهكذا جند البريطانيون مئات الآلاف من المصريين وحشدوهم في أعمال خشنة صعبة تحت ظروف شديدة الخطر والقسوة ... ولكن بدلا من أن يضعوا في أيديهم السلاح وضعوا الفؤوس والمعاول وأدوات الحفر والبناء .

كان (فيلق العمل المصرى) جيشا غير مسلح يتعرض لخطر المعارك وليس في يده ما يدافع به عن نفسه .

وخلال سنوات الحرب كانت اقتصاديات مصر قد تأثرت ، فارتفعت أسعار القطن من ١٤ ريالا عام ١٩١٣ الى ٣٨ ريالا عام ١٩١٧ وأثرى كثير من التجار والمضاربين والوسطاء ، وأدت الحرب وقطع الصلات التجارية الى تطوير الصناعة المحلية ، وتنشيط رأس المال المصرى وخلق مئات من المشاريع اليدوية والصناعية ... وزاد عدد العمال حتى بلغ حوالى نصف المليون عام ١٩١٧ .

ومع ذلك لم يتحرر رأس المال المصرى المتطور من وصاية السلطات الاستعمارية ، فقد أودع في الخزينة البريطانية الرصيد الذهبي للبنك الأهلى المصرى ، وانتزعت سلطات الاحتلال العملة الذهبية والفضية واستبدلتها بأوراق نقدية عام ١٩١٦ ، وزادت كمية هذه الأوراق المتداولة حتى حدث تضخم نقدى أودى الى ارتفاع الأسعار كمقارنة مع أسعار ١٩١٤ فوصلت ٢١١٪ عام ١٩١٨ ، ٣١٢٪ عام ١٩٢٠ وخاصة للمواد الأساسية مما أرهق الفلاحين والفقراء ، الذين صادرت سلطات الاحتلال حبوبهم دون ثمن مجز ، الأمر الذى أدى الى شعور كامل بالسخط ضاعفه نظام السخرة والعمل الاجبارى .

وقد أدت مشاعر السخط العفوية ، الى نمو سريع في الاتجاهات القومية وخاصة في صفوف المثقفين والبرجوازية الصغيرة الذين التفوا حول الحزب الوطنى ... بينما جنحت البرجوازية الكبيرة الى التعاون مع الاحتلال بعد أن تضاعفت أرباحها .

ولكن ظروف الحرب والارهاب أوقفت نمو الحركة الوطنية ودفعت باقسام منها الى الأعمال الارهابية ... تمت محاولتان لاغتيال السلطان حسين كامل في ابريل ويونيو ١٩١٥ ومحاولة ثالثة لاغتيال رئيس الوزراء حسين رشدى باشا في سبتمبر ١٩١٥ .

ولم تثمر المحاولات الارهابية الا مزيدا من ضغط قوات الاحتلال ... ومزيدا من انطواء الوطنيين على أنفسهم .

وضعفت جماهيرية الحزب الوطنى التى كانت قد بلغت القمة بتأثير مصطفى كامل ، ويذكر أن ٣٢ ضابطا من حامية سنواكن أرسلوا برقية الى

مصطفى كامل عندما قدم عريضته المشهورة الى البرلمان الفرنسى قالوا له فيهـــا « ان قلمك الحق أمضى من سيوفنا ، وحججك القــوية أمضى من رصاصنا » ... وكان أخوه على فهمى كامل أحد ضباط الحامية .

ولم يدر فى خاطر مصطفى كامل أن يكون عرابيا آخر .. فقد كانت حركته بعيدة عن الارتباط بالجيش بعدا كبيرا ، ولذا فقد أرسل لهم ردا قال فيه « من الحكمة ألا نمكن العدو من زقابنا . وأنا لا أود أن يدخل ضباط الجيش فى حركتنا السياسية دخولا ظاهرا لان هذا يضر بالمسألة ضررا بليغا حيث يجد الاحتلال مسوغا لخلق التهم الثورية بمصر وغير ذلك مما لا يخفى عليكم » .

هكذا كان مصطفى كامل حريصا على عدم اثارة شبهة الصالة بقوات الجيش علنا ، وما أظن ان القادة الوطنيين الذين برزوا بعد أحمد عرابى كانوا راغبين فى الظهور بهذا المظهر تحت سيطرة قوات الاحتلال البريطانى ... خشية من ناحية ... وحذرا من ناحية أخرى .. ورغبـــة فى عدم تكرار مأساة الثورة العرابية ، وبخاصة ان قوات الجيش كانت تشتت وتفنى تبعا لمخططات امبريالية .

على فهمى كامل شقيق مصطفى كامل لم يطل به المقام فى الجيش ، وخاصة بعد نشاطه مع ضباط حامية سواكن اذ حوكم وعزل من رتبته ... ووقف بجانبه بعض الضباط من جانب الوفاء ولكنهم كانوا أعجز من أن يتحركوا حركة اعتراضية ايجابية ... وقد مضى بعد ذلك على فهمى كامل فى خضم الحياة السياسية حتى أصبح وكيلا للحزب الوطنى .

وما أن انتهت الحرب ، حتى بادر الشعب المصرى يعبر عن ارادته .. وفى يوم الهــدنة ١١ نوفمبر ١٩١٨ تقــدم سعد زغلول الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية التى توقف عملها مع اشتعال الحرب وعضوا الجمعية على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك بطلب مقابلة سير ويجنالد وينجت المندوب السامى البريطانى فتحدد لهما يوم ١٣ نوفمبر للمقابلة وهو اليوم الذى ظلت تحتفل به مصر عيــدا للجهاد تعطل فيه الحكومة حتى قيام حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ومنذ هذا التاريخ تشكل (الوفد المصرى) برئاسة سعد زغلول بناء على عرائض وقعتها الجماهير فى مختلف المديريات تفوضهم « فى أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثما وجدوا سبيلا للسعى فى استقلال مصر استقلالا تاما » .

وحينما فكر سعد زغلول ورفاقه فى السفر الى الخارج لعرض قضية مصر على المسئولين فى الحكومة البريطانية ، رفض الجيش البريطانى السماح لهم بالسفر ، وكان هو جهة الاختصاص فى سفر كافة المواطنين ٠

وانفجرت ثورة ١٩١٩ تحت ضغوط اصرار البريطـانيين على فرض الحماية على مصر ، وحالة الارهاب التى امتدت سنوات الحرب ، والمعاملة الخشنة والسخرة للمصريين من جانب قوات الاحتـلال وارتفـاع الأسعار وما صاحبها من ضائقة اقتصادية ، والتطلع الى الاستقلال التام (مصر للمصريين) بعد المبادىء التى أعلنها (ويلسن) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ٠

واشتعلت الثورة بين مختلف الفئات ٠٠٠ بدأت بالطلبـة ثم العمال والفلاحين واضراب الطوائف وتظاهر السيدات ، وأخيرا اضراب الموظفين ٠

ولم يكن للجيش سردار ايجابى فى أحـداث ١٩١٩ ، كما كان فى ثورة عرابى ٠

الأعوام التى انقضت بين الثورتين نفذت فيها قوات الاحتلال مخططا يقضى بفصل الجيش عن الحركة الوطنية ، وتولية نوعية خاصـة من الضباط ذات جذور اجتمـاعية وفكرية تجعلها فى موقع بعيد عن مرجل الثـــورة ٠

كان الضباط يدخلون المدرسـة الحربية بتعليم محـدود لا يتجاوز الابتدائية يمرون خلال مجهر استعمارى خاص يفحص أصولهم الطبقية ، وهم كانوا غالبا اما أبناء ضباط معروفين ، واما أبناء أسر اقطاعية ثرية فشلوا وعجزوا عن مواصلة التعليم ٠

وقد أدى توقف النمو الفكرى والثقافى للضباط الى خلق هوة واسعة بينهم وبين المثقفين الذين انجذبوا الى حضارة الغرب ونقلوا الأفكار العصرية مبشرين بمجتمع جديد ٠

أحمد عرابى وضباط الجيش الوطنيين كانوا أقرب ما يكونون الى مثقفى عصرهم جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده وأديب اسحق وعبد الله النديم ويعقوب صنوع (أبو نضارة) وسليم نقاش وغيرهم ٠

أما ضباط الجيش عام ١٩١٩ فكانوا أبعد ما يكونون عن مثقفى ذلك العهد ٠٠ محمد فريد ولطفى السيد وطه حسين ٠

خطب لورد كيرزون الوزير البريطانى يوم ٢٤ مارس ١٩١٩ والثورة فى قمة التهابها يثنى على « موظفى الحـكومة ورجال البوليس والجيش المصرى » ويشيد بحسن سلوكهم أثناء الاضطرابات فى الوقت الذى أعلن فيه أن الحكومة البريطانية لا تنوى العدول عن الحماية ٠

وكان رد فعل هذا الخطاب عند الموظفين لقيامهم باضراب طويل شامل بدأ فى ٢ ابريل وانتهى بسقوط وزارة حسين رشدى باشا رغم الافراج عن سعد زغلول يوم ٦ ابريل وسفر الوفد بعد ذلك بخمسة أيام الى مالطة ومنها الى باريس ••• وذلك لشعورهم بالحرج لما انطوى عليه الخطاب من اتهامهم بالانحياز الى صف الاحتلال والحماية والتنكر للحركة الوطنية •

أما ضباط الجيش فلم يتحركوا حركة ثورية ••• ليس لانهم قد تنكروا لوطنيتهم ••• فان مواقفهم تدل على عكس ذلك ••• فقد ذهب حشد منهم بملابسه الرسمية الى بيت الأمة عقب نفى سعد زغلول ، وحملوا صورته أمام مصورى الصحف ، دون أن يعبأوا بأثر ذلك عليهم ، وكان من بينهم اللواء محمد نجيب وهو ما زال فى رتبة الملازم •

والفلاحون والعمال الذين يشكلون الطبقة التى يجند منها الجنود قاموا بأعمال ثورية باهرة خلال الثورة•••كانت الأقاليم تلتهب بالمظاهرات وقطع المواصلات والسكك الحديدية الى الدرجة التى أفزعت قوات الاحتلال من حراس الغفر للسكة الحديد فاستبدلوهم بجنود بريطانيين •

رفض الجنود أبناء العمال والفلاحين اطاعة الأوامر باطلاق النار على المتظاهرين ، كما حدث فى المنيا عندما أصدر لهم البكباشى شاهين أمرا بذلك ••• فأطلق هو الرصاص على المتظاهرين وقتل ثمانية منهم •

وبعض ضباط الجيش اندمجوا فى خدمة قوات الاحتلال ونفذوا الأوامر بلا تردد حتى اشتهر بعضهم بالقسوة فى معاملة الجماهير مثل البكباشى شاهين • ومحمد حيدر الذى أصبح قائدا عاما للقوات المسلحة فيما بعد •

والبعض منهم كان متعاطفا مع الثورة ••• بل مساهما فيها ••• مثل عبد الرحمن فهمى الذى كان أحد أعمدة التنظيم والتنفيذ والعمل السرى فى الثورة ••• وهو ضابط سابق من ضباط الجيش المصرى اشترك فى الحملة المصرية بقيادة كتشنر لاعادة فتح السودان ، ثم عين ياورا لوزير الحربية عام ١٨٩٦ ثم انتقل بعد ذلك الى سلك البوليس والادارة •

كانت القيادات العليا وقيادات الكتائب كلها للضباط البريطانيين • الذين رصدوا عيونا لهم تسجل كل كلمة ثائرة أو حركة معادية ••• كما ان قوات الاحتلال تضاعفت خلال سنوات الحرب فى الوقت الذى جمد فيه الجيش المصرى ، واستقرت نسبة عالية من وحداته فى السودان •

قال لى محمد نجيب انه كانت هناك (جمعية سرية للضباط الوطنيين) فى السودان لا يعرف الضابط منها الا من ضمه اليها ••• وعندما حضرت لجنة ملنر كلفت الجمعية محمد نجيب بالوقوف أمام نادى الضباط بالخرطوم

خلف منضدة صغيرة عليها صورة البرقية التى قرر الضباط ارسالها للاحتجاج على لجنة ملنر ، والقول بأنه لا يجوز التفاوض الا مع الوفد المصرى برئاسة سعد باشا زغلول ، حتى يوقع الضباط عليها تضامنا مع الشعب المصرى •

ويقول محمد نجيب ان أحدا لم يتخلف عن التوقيع ولكنه فوجىء باعتقاله فى اليوم التالى واغلاق نادى الضباط بأمر السردار ••• وعرف فى المعتقل بعض أعضاء الجمعية لأول مرة وكان منهم اليوزباشى أحمد الصاوى الذى أصبح وكيلا لوزارة الحربية عام ١٩٣٨ واليوزباشى محمود هاشم الذى أصبح مديرا لسلاح الحدود واليوزباشى عبد الوهاب البهنساوى الذى عين فيما بعد قائدا لقسم القاهرة واليوزباشى أحمد عطية والملازم أول طبيب سليمان أباظة والطبيب البيطرى اليوزباشى سليمان عزت •

واحتجز الضباط فى المعتقل حتى أفرج عنهم بعد أسبوع تحت ضغط الضباط من زملائهم الذين ثاروا لاعتقالهم ولاغلاق النادى الذى فتح بعد أربعة أيام من اغلاقه •

كانت قوات الاحتلال تقبل مرغمة مثل هذه التحركات المحدودة ••• ولكنها لم تكن تسمح أبدا بما يتجاوز هذه الحدود •

وقد استطاعت ثورة ١٩١٩ أن تحقق نتائج ايجابية محدودة ، اذ صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى أعلنت فيه انجلترا انهاء الحماية البريطانية على مصر وأعلن استقلالها يوم ١٥ مارس وبذا انتهت مرحلة طويلة من عدم الاستقرار والتشتت السياسى فى وضع مصر التى كانت تعتبر لفترة طويلة (ولاية عثمانية تحت الحكم البريطانى) •

ولكن الاستقلال الذى ظلت مصر تحتفل به يوم ١٥ مارس وتعطل فيه المصالح كان استقلالا شكليا اذ احتفظت الحكومة البريطانية بتولى الأمور التالية بصورة مطلقة :

١ ـ تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية فى مصر •

٢ ـ الدفاع عن مصر ضد كل اعتداء أو تدخل أجنبى بالذات أو بالواسطة •

٣ ـ حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات •

٤ ـ السودان •

واستطاعت ثورة ١٩١٩ أيضا أن تجبر الاستعمار والسراى على وضع دستور ١٩٢٣ الذى تشبث به الشعب ووجد فى تطبيقه تعبيرا عن

ارادته رغم انه كان ناقصا من الوجهة الديموقراطية اذ كان يعطى للملك حق حل مجلس النواب وتأجيل انعقاده واصدار مراسيم فى غيبته .

ومع ذلك فان القوى المعادية لانطلاق ثورة ١٩١٩ الى أهدافها بادرت قبل أن تأتى وزارة الثــورة الأولى الى اصدار (قانون الاجتماعات العــامة والمظاهرات فى الطرق العمومية وقانون الأحكام العرفية اللذين أصدرتهما وزارة يحيى ابراهيم فى مايو ١٩٢٣ ...) كما عينت سفنكس باشـا البريطانى مفتشا عاما للجيش .

عقب ذلك ظهرت فى السودان حركة وطنية بين الضباط المصريين والسودانيين ، وكان أبرز قادتها الملازم أول على عبد اللطيف من الكتيبـة التاسعة للمشاة والذى نشر منشورا فى مايو ١٩٢٢ بعنوان (مطالب الأمة الســودانية) يطلب فيه استقلال السودان وضمه الى مصر .. فقبض عليه وحوكم بتهـ..ـة اثارة الشغب والاضطراب وفصـــل من الجيش وسجن لمدة عام ... ولكنه بعــد خروجه من السجن كون جمعية (اللواء الأبيض) فى اجتماع عــام لم يحضره مصريون ، واختاروا للجمعية علما أبيض رسمت عليه خريطة النيل وفى ركن منهــا العلم المصرى الأخضر وقد كتبت على أرضيته البيضـاء (الى الأمام) ، وكانت لهذه الأحداث انعكاسات فى (البرلمان المصرى) .

ووصلت المظاهرات فى السودان الى ذروتها يوم ٩ أغسطس ١٩٢٤ عندما تظاهر طلبــة الكلية الحربية بزيهم العسكرى وهم يحملون البنادق، واتجهوا الى منزل على عبد اللطيف وهتفوا بسقوط الانجليز والحاكم العام ، الأمر الذى أدى الى محاكمة على عبد اللطيف وسجنه ثلاث سنوات أخرى .

واجتمعت حـكومة سـعد زغلول فى ١٥ أغسطس لدى الحـــكومة البريطانية بخطاب تقول فيه انها تتتبع بمزيد من الحزن والأسف الحوادث التى تتوالى فى السودان ، والتى اعتبرتها نتيجـة طبيعيــة لأسلوب الموظفين البريطـــانيين .

ولكن الحكومة البريطانية ردت بأنها اتخذت العدة لتعزيز الحامية البريطانية ، وأجازت لحكومة السودان أن تبعد فى الحال أى وحدة من وحدات الجيش المصرى يظهر منها عدم الولاء .

وخلال هذه الفترة التى بدأت فيها ارهاصات ثورة داخل الجيش وخارجه فى السودان قتل السردار العــام سير لى ستاك يوم ٢١ نوفمبر ١٩٢٤ فى أحد شوارع الزمالك بالقاهرة . وانتهزت انجلترا الفرصــة وقدمت انذارا للحكومة المصرية عن طريق اللورد اللنبى الذى توجه الى سعد

زغلول برئاسة الوزارة فى موكب من ٦٠٠ فارس بريطانى مطالبا بسحب الجيش المصرى من السودان ، وتحويل الوحدات السودانية التابعة للجيش المصرى الى قوة سودانية تكون خاضعة ومرالية للحكومة السودانية وحدها على أن تصدر الحكومة المصرية بيانا بذلك خلال ٢٤ ساعة ٠

رفض سعد باشا زغلول الانذار وقدم استقالته يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٢٤ بعد عشرة شهور فقط من توليه الحكم ٠

وأسرعت الحكومة البريطانية لتنفيذ مخططها بمحاصرة القوات البريطانية للقوات المصرية فى الخرطوم ٠٠٠ ورفضت الكتيبة الثالثة السفر الا بأمر وزير الحربية المصرى ٠

وثارت أيضا الكتيبة ١١ السودانية وحاولت الاتحاد مع الجيش المصرى فى الخرطوم بحرى فتعرضت لها قوة بريطانية ونشب قتال لم ينته الا عند منتصف الليل بعد أن نفذت الذخيرة وقتل قائدها الشهيد عبد الفضل ألمظ ٠

وأعدمت قوات الاحتلال ثلاثة شهداء هم الضباط حسن فضل الخولى وسليمان محمد ٠٠٠ وثابت عبد الرحيم ٠٠٠ وكان رابعهم على البنا الذى نجا من الاعدام وعمل فى مصر حتى أصبح كبيرا للياوران بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٣ ٠

وفصل الاستعمار ١٧ ضابطا رفضوا أن يقسموا يمين الولاء للحاكم العام وفروا الى مصر كما حضر اليها عدد من طلبة المدرسة الحربية الذين سجنوا بسجن كوبر بخرطوم بحرى ٠٠ وقد عمل هؤلاء جميعا فى الجيش أو البوليس المصرى ٠

وهكذا حقق الاحتلال البريطانى خطته بفصل السودان عن مصر وسحب الجيش المصرى من هناك كما حدث عام ١٨٨٥ ٠

وأدت انتكاسة انتفاضة ١٩٢٤ الى انحسار موجة العمل السياسى داخل صفوف الجيش وذابت الجمعيات السرية أمام المحاكمات والضغوط الارهابية ٠

ومع ذلك ظلت جذوة الوطنية مشتعلة فى صدور بعض الضباط ، رغم انتهاء التنظيمات الخاصة بهم ، وحدثت بعض تصرفات فردية تدل على ذلك مثل ذهاب محمد نجيب متخفيا الى منزل مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد فى عام ١٩٢٩ عقب حل الملك فؤاد للبرلمان ومنع مجلس النواب من الانعقاد ، لوجود أغلبية وفدية ساحقة ليبلغه استعداد الجيش لمقاومة الاجراءات غير الدستورية التى يرتكبها الملك ٠

حضر هذه المقابلة مصادفة مكرم عبيد باشا سكرتير الوفد ومحمود فهمى النقراشى أحد أعضائه ... ولكن مصطفى النحاس قال لمحمد نجيب انه يؤثر أن يكون الجيش بعيدا عن السياسة وأن تكون الأمة مصدر السلطات ... ولو أنه يتمنى أن يكون ولاء الضباط للوطن والشعب أكثر مما هو لشخص الملك .

واذا تغاضينا عن فردية هذا الحدث فانه يستبين لنا أن الوفد المعبر عن ارادة الشعب كان لا يستجيب لدعوة ضباط الجيش للتحرك ... تقديرا منه لخطورة الصدام مع قوات الاحتلال أولا فى وقت لم تنضج فيه الظروف لذلك بعد ... كما أن خضوع الجيش سنوات طويلة لسيطرة قوات الاحتلال كما يبعث الحذر فى جدية التعاون ... اذ كان معروفا أن اليد العليا فى تحريك الجيش هى لقوات الاحتلال ، وقائد الجيش وكبار قادته كانوا من البريطانيين منذ عام ١٨٨٢ .

عندما فكر البرلمان المصرى عام ١٩٢٨ فى زيادة وحدات الجيش المصرى وتحسين أسلحته ومهماته وترقية التعليم فى المدرسة الحربية ليصبح الدخول لها بالثانوية العامة (البكالوريا) والحد من سلطة المفتش العام البريطانى احتجت أنجلترا وأرسلت ٣ بوارج من أسطولها الى الاسكندرية فاضطرت الحكومة المصرية الى التراجع ومد خدمة سفنكس باشا المفتش العام للجيش ومنحه رتبة الفريق وتعيين ضباط انجليز جنودا بالجيش .

وهكذا كان الفارق الفكرى والثقافى يزداد اتساعا بين الجيش والقوى السياسية أو بين قادة الأحزاب الذين تخرجوا فى الجامعات وحصل البعض منهم على شهادات عالية فى الخارج .. وبين ضباط الجيش الذين كانوا حتى صدور قانون عام ١٩٢٨ القاضى بقصر دخول المدرسة الحربية على خريجى المدارس الثانوية يتخرجون وهم لا يحملون أكثر من الشهادة الابتدائية .

الضباط المتطلعون الى الحياة هم الذين كانوا يواصلون دراستهم لتأكيد شخصيتهم وصقل مواهبهم كما فعل محمد نجيب مثلا عندما درس أثناء خدمته فى الجيش حتى حصل على الشهادة الثانوية وليسانس الحقوق ودبلومين بعد ذلك .

واستمرت حالة الجيش على هذا المنوال ... بعيدا منذ استرداد السودان عام ١٨٩٩ عن خوض أية معارك حربية ، يتعرض للنقصان وليس للزيادة ، يزداد خضوعه لقوات الاحتلال والسراى ومظهر ذلك تدخل الجيش فى الانتخابات بالأقاليم وخاصة فى الانتخابات التى أجراها اسماعيل صدقى

بعد الغاء دستور ١٩٢٣ وعمل دستور جديد ضد ارادة الشعب عام ١٩٣٠

نشرت مجلة روز اليوسف فى عددها أول يوليو ١٩٣٠ ان زيارة النحاس باشا الى الزقازيق مرت بسلام ، فأحيل قائد قوة الجيش الصاغ محمد أمين الى الاستيداع دون تحقيق .

ونشرت أيضا خبر تعيين اللواء عبد العظيم باشا على قائدا لحصار البرلمان وكان قبل ذلك قائدا لقوة المنصورة حيث جرت اضطرابات شديدة سقط فيها بعض الجرحى ، ثم عين لحراسة النادى السعدى وقد صرح بأنه يكون سعيدا يوم يفرغ رصاص مسدسه فى رأس مصطفى النحاس باشا .

وهكذا كانت حالة العسكريين في مصر ، عندما عقدت معاهدة ١٩٣٦ ... لم يكن الجيش قوة سياسية ولم يكن خاضعا لقيادة وطنية ... وكان الاستعمار يسعى جاهدا لتغطية دوره الحربى التاريخى ، ونضاله مع جماهير الشعب ، تحت ستار من النسيان .

وكانت معاهدة ١٩٣٦ بذلك نقطة تحول فى تاريخ مصر الحديث .. ونقطة تغيير فى واقع العسكريين المصريين وفى تفكيرهم .

الباب الثانى

● الجيش والحركة السياسية فى مصر قبل الثورة

الفصل الرابع نضـال الشعب ... وموقف الجيش .. بعـد معـاهدة ١٩٣٦

(لن نطلق الرصاص على مظاهرات الطلبة والعمـال)

قسم بعض ضباط الجيش اثناء وزارة اسـماعيل صدقى
عام ١٩٤٦

الفصل الخامس حـرب فلسطين

(اننى متفائل ونحن نعرف قوة اليهود ، وأنـا أحب أطمئنك الى ان الانجليز هـم الذين شجعونى على ذلك)

محمـود فهمى النقـراشى لفؤاد سراج الدين فى مجلس الشيوخ يوم ٢٢ مايو ١٩٤٨

الفصل السادس الضباط الأحرار

(الشعب والجيش يقفان اليوم بالمرصاد لكل حركة ترجع بنا الى الوراء ... ان الشعب والجيش سيحطمان أى محـاولة لضرب الحركة الوطنية ... لقد أيدنا الحكومة الوفدية فى خطواتها التى اتخذتها بالغاء المعاهدة الاستعمارية)

منشور للضباط الأحرار

الفصل الرابع

نضال الشعب وموقف الجيش بعد معاهدة ١٩٣٦

(لن نطلق الرصاص على مظاهرات الطلبة
والعمال) •

قسم بعض ضباط الجيش
أثناء وزارة اسماعيل صدقى عام ١٩٤٦

الضمور الذى عانى منه الجيش المصرى ، والعزلة عن المجتمع التى فرضت عليه ، والخضوع المطلق لسلطات الاحتلال والسراى ، تغيرت مع عقد معاهدة ١٩٣٦ الى حد كبير ، ولم يعد الجيش محدودا بعدد ١٥ر٠٠٠ جندى فقط •

وقد عقدت معاهدة ١٩٣٦ فى ظروف كان الاحتلال البريطانى يجابه فيها موقفا لم يتعرض له من قبل ٠٠ تناقضات الامبريالية العالميـة تشتد وتقترب من حرب عالمية ٠٠٠ ايطاليـا تغزو الحبشة وتنتصر عليهـا والامبراطور هيلاسلاسى يهاجر الى انجلترا ٠٠ والنازية تصل الى الحكم فى المانيا ٠٠ الحركة الوطنية تشتعل من جديد ضد دستور صدقى ٠٠ وتعم المظاهرات مصر ، ويسقط عدد من الشهداء •

ووصف النحاس باشا هذه المعاهدة بأنها (وثيقة الشرف والاستقلال) ولكنها لم تكن كذلك ٠٠٠ فقد كان فى بنودها سلبيات وايجابيات ٠

أمنت المعاهدة نوعا من التحالف المشترك مثل الذى تم بين بريطانيا والعراق عقب انتهاء الانتداب فى أكتوبر ١٩٣٢ ، وبينما اعترفت المعاهدة بسيادة مصر على أراضيها وحرية التصرف فى الشئون الداخليـة الا انها نصت على ضرورة التزام مصر بعدم انتهاج سـياسة خارجية تتناقض مع التحالف ، كما نصت على وضع مميز للسفير البريطانى يتقدم به سـائر الدبلوماسيين الأجانب .

واحتفظت بريطانيا بقواعد بحرية فى مصر ، مع حقها فى استخدام التسهيلات لقواتها التى تنسحب الى منطقة قناة السويس بعد ٨ سنوات ، وقد اعترفت بريطانيا بسيادة مصر على القناة ، كما اعترفت مصر بأن القناة وسيلة دولية للمواصلات ، وأنها وسيلة مواصلات حيـوية بين الأطراف المختلفة للامبراطورية البريطانية ، وأن من حق بريطانيا أن تبقى قواتها فى منطقة القناة الى الوقت الذى تصبح فيه مصر قادرة عسكريا على حمـاية القناة ، كما أن للجيش البريطانى حق العودة فى حالة الحرب أو خطر الحـرب .

وأعطت المعاهدة بريطانيا حق المطالبة بفرض الطوارىء واعلان الأحكام العرفية فى حالة قيام الحرب .

قال مستر ايدن أمام مجلس العمـوم البريطـانى يـوم ٢٤ نوفمبر ١٩٣٦ إن السبب الذى دعا حكومة انجلترا الى التنازل عن احتلال القاهرة والاسكندرية والاقتصار على منطقة قناة السويس ، هو أن قوات انجلترا اصبحت ميكانيكية تستطيع الحركة فى سهولة على الطرق المعبدة ، ولذا نصت المعاهدة فى ملاحقها على أن تقوم الحكومة المصرية ببناء ثكنات القوات البريطانية فى الأماكن التى تحددها ، مع انشـاء شبكة طرق بمواصفات خاصة عرفت باسم (طرق المعاهدة) بين القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والاسماعيلية والسويس وغيرها .

والطريف أن المعـاهدة قد أعطت للقوات الجوية المصرية حق الطيران فى أجواء بريطانيا ، لأنها أعطت للقوات الجوية البريطانية حق الطيران فى الأجواء المصرية كلها .

معاهدة ١٩٣٦ لم تحقق أهداف ثورة ١٩١٩ .

ومع ذلك لم تكن المعاهدة قيودا كلهـا ... كانت هناك ايجابيات حققت جانبا من أهداف الجماهير .

ألغيت الامتيازات والمحاكم المختلطة ، وأصبحت مصر عضوا فى عصبة الأمم فى مايو ١٩٣٧ ، واقترب الاسـتقلال الشكلى الذى ورد فى تصريح فبراير ليكون أكثر واقعية رغم بقاء النفوذ وسلطة قوات الاحتلال ...

وعادت القوات المصرية الى السودان بعد سحبها عام ١٩٢٤ ، واستقبلتها الجماهير هناك بترحيب كبير .

وحددت المعاهدة مدة عشرين عاما لبقاء القوات البريطانية فى مصر واقترن ذلك حسب نص المعاهدة بقدرة مصر على حماية القناة .

وكان ذلك حافزا على تطوير الجيش المصرى وانقاذه من جموده وعزلته وتشكل مجلس الدفاع الأعلى ، وعين اللواء محمود شكرى باشا قائدا للجيش المصرى بعد سفنكس باشا الذى خرج من قوة الجيش المصرى هو وجميع الضباط البريطانيين .

وكانت المعاهدة قد نصت أيضا على أن تقوم بريطانيا بتدريب الجيش المصرى وتزويده بالسلاح ... وتشكلت البعثة البريطانية من ضباط بريطانيين انتشروا فى مختلف أسلحة الجيش ، وكان لهم نفوذ كبير فى التوجيه والتدريب .. بعض هؤلاء الضباط كانوا صف ضباط فى الجيش البريطانى وحصلوا على الترقية عند الالتحاق بالجيش المصرى ولم يعينوا فى رتبة أقل من يوزباشى ... واتخذت البعثة البريطانية مقرا لها مبنى فى كوبرى القبة مجاورا للمستشفى العسكرى العام .

وبدأ مجلس الدفاع الأعلى برسم سياسة جديدة لزيادة الجيش ... ففتح أبواب المدرسة الحربية التى تحولت الى كلية بعد المعاهدة لدفعات وصلت الى عدة مئات وخاصة عند اقتراب الحرب العالمية الثانية بعد أن كانت الدفعة لا تتجاوز العشرين أو الثلاثين طالبا .

فتح أبواب الكلية الحربية لهذا العدد الكبير نسبيا فى وقت كانت المدارس الثانوية فيه محدودة ولا توجد الا جامعة القاهرة وحدها ، ضيق من امكانية تحديد نوعية معينة من المقبولين ، وجعل عناصر جديدة من الطبقة الوسطى النامية تتسرب الى صفوف الجيش ، رغم وجود لجنة تكشف على المتقدمين (كشف هيئة) تفرز فيه أصولهم العائلية والاجتماعية .

ولكن المقبولين عموما كانوا فى حدود القادرين على دفع مصروفات الكلية التى كانت ستين جنيها فى العام وهو مبلغ كبير اذا قدر بمتوسط الدخل العام ومرتب خريج الجامعة الذى لم يكن يتجاوز ثمانية جنيهات فى الشهر عدلت فيما بعد لتصبح ١٢ جنيها . ولكن قدرة الدولة على استيعاب الخريجين بهذا المرتب كانت محدودة ، الأمر الذى خلق بطالة بين المتعلمين أو اضطرارهم للعمل بمرتبات أقل ... واغرى فى نفس الوقت عددا كبيرا من حملة الثانوية العامة على الالتحاق بالكلية الحربية لضمان الوظيفة والمرتب الكبير نسبيا .

واعد المجلس الأعلى للدفاع خطة لتطوير الجيش وتسليحه عام ١٩٣٨ فى حدود مبلغ ٢٠٠ مليون دولار ، ولكن ذلك لم يتحقق لأن شروط المعاهدة كانت تنص على ضرورة التسلح من بريطانيا فى وقت كانت تحتاج هى فيه لكل قطعة سلاح لما كان يبدو فى الأفق من اخطار حرب عالمية ثانية لم تلبث أن اندلعت عام ١٩٣٩ واستغرقت جهد بريطانيا مما ترك الجيش المصرى دون تسليح يتناسب مع الرغبة فى الوصول به الى مستوى معقول بعد عشرات السنين من الضمور ·

ولم تكد وزارة الوفد التى أتت بها الانتخابات تبدأ تنفيذ سياستها حتى اقيلت فى ٢٩ ديسمبر ١٩٣٧ وكان الملك فاروق قد تولى سلطاته الدستورية فى ٢٩ يوليو من ذلك العام وهو فى الثامنة عشرة من عمره ·

وهكذا عصف الملك بارادة الشعب وبروح الدستور وعين محمد محمود رئيس حزب الأحرار الدستوريين رئيسا للوزراء وتولت الحكم وزارات أحزاب الأقلية ، وكان قد انضم اليها حزب جديد هو الحزب السعدى الذى انشق على الوفد وتشكل برئاسة أحمد ماهر باشا ومعه محمود فهمى النقراشى باشا ، ولعب دورا كبيرا فى خدمة الرأسماليين المصريين ، فأصبح أحمد ماهر رئيسا لمصانع نسيج القاهرة بعد أن كان من تقاليد أعضاء الوفد عدم تولى مناصب الادارة فى الشركات ·

ولعب الجيش دورا سافرا فى تزييف ارادة الشعب أثناء الانتخابات التى أعقبت اقالة الحكومة الوفدية ، لأن الوفد رغم كل شىء كان يمثل القوة السياسية الشعبية القادرة على نيل أغلبية الأصوات ومقاعد البرلمان فى انتخابات ديمقراطية حرة ·

وزعت وحدات الجيش على الأقاليم ووضعت تحت تصرف رجال الادارة يستعينون بها وقت الحاجة كما حدث فى سمنود مثلا وهى بلد مصطفى النحاس باشا التى رشح نفسه فيها ، عندما فتحوا الكوبرى لتعطيل المرور وانتقال الناخبين ·

يروى اللواء صلاح الحديدى قائد المخابرات الحربية فيما بعد ان العمدة دعا الضباط من رتبة البكباشى فما فوق الى مأدبة عشاء ليلة الانتخابات تأييدا للمرشح المضاد للنحاس وكان اسمه على النزلاوى ·· وفى الصباح عندما ظهر التدخل سافرا أبلغ المرشحون النيابة التى قامت باستجواب الضباط ··· ولم يتردد صغار الضباط فى القول بأنه حدث تدخل فعلا لمصلحة المرشحين المعادين للوفد ··· ولكن التحقيق لم ينته مع ذلك الى قرار ·

وخرج الوفد من الحكم بعد ان أدى الدور الذى رسمه الاحتلال له فى

تكوين جبهه وطنية تقر معاهدة تتيح حدا أدنى من الاستقرار فى ظروف اقتراب خطر حرب عالميـة ٠٠٠ وابت ذلك أن معاهدة ١٩٣٦ لم تحقق المضمون الحقيقى للاستقلال الوطنى ، ولم ترسخ القواعد الديمقراطية فى المجتمع ٠

وكان ابعاد الوفد عن الحكم ٠٠٠ ابعـادا له عن النفوذ الى الجيش أيضا ٠٠٠ حيث كان الدخول الى الكلية الحربية يتم خـلال لجنة تشكل من بعض كبار القادة الخاضعين خضوعا كاملا لنفوذ السراى مما لم يتح للوفد فرصة تسريب عناصر كثيرة من أبناء أنصاره الموالين له فى العاصمة والأقاليـم الى صفوف الجيش ، علاوة على بث روح من الجفاء بين الجيش والوفد باعتباره تنظيما يضم جماهير الشارع التى تتنافر فى حركتها مع النظام والانضباط الذى يسود الجيش ، والذى كان كبار الضباط الذين دخلوا الجيش من ثقوب الاحتلال يتشبثون به باعتبـاره المظهر الوحيد لقدرتهم وسلطاتهم ٠

وكان الركود الذى أصاب الجيش خلال السنوات الماضية قد انعكس عليه ، عزله عن الجماهير وعن الحركة الوطنية ٠٠٠ وخاصة فى مناصب القيادة العليا ، بينما كان صغار الضباط المتخرجين فى الكلية الحربية ، والمتدفقين اليها فى دفعات متتالية بلغت ثلاث دفعـات فى كل من أعوام ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ يحمل البعض منهم معه الى الكلية أفكار الطلبة الذين تظاهر معهم من أجل عودة دستور ١٩٢٣ ، وسقوط الاستعمار ٠

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ بادر على ماهر الذى كان قد تولى الوزارة بعد اقالة محمد محمود باشا فى شهر أغسطس الى اعلان الأحكام العرفية تنفيذا لمعاهدة ١٩٣٦ ، والتى قضت بتوقيـع عقوبات شديدة لا على كل من يرتكب الجرائم الضارة بأمن الدولة فقط ، وانما على كل من يرتكب أضرارا ببلد حليف أو شريك لمصر فى العمل ضد عدو مشترك ٠٠٠ وكان الغرض هو حماية انجلترا حماية كاملة ٠

والغريب أن على ماهر الذى تولى الوزارة بعد رئاسته للديوان الملكى لم يكن له حزب ولا عضو واحد فى البرلمان ٠

كان العبث بالدستور واقالة حكومة الوفد فاتحـة لمزيد من العبث ومزيد من الاقالات ٠٠٠ حتى على ماهر نفسه لم ينج منها عندما تلكأت وزارته فى موقفها ازاء رعايا ايطاليا التى أعلنت الحرب فى ١٠ يونيو ١٩٤٠ فاجبر على الاستقالة فى ٢٨ يونيو وخلفه حسن باشا صبرى على رأس وزارة من الدستوريين والسعديين والحزب الوطنى الذى اشترك فى الحكم لأول مرة لأنه كان يرفض دائما الاشتراك فى الحـكم قبل اتمام الجـلاء ٠

الجيش والحرب العالمية الثانية

لم تعلن مصر الحرب على المحور ، ولم يدخل الجيش المصرى فى اطار جيوش الحلفاء ، ولم تستعن به بريطانيا فى عمليات حربية خارج حدود مصر ، كما استعانت بجيوش الهند والسودان وليبيا وغيرها من الدول الافريقية ٠

بلغ عدد الجنود السودانيين فى صفوف الحلفاء ما يقارب سبعين الف جندى ، اشترك منهم حوالى ستين الفا فى معارك ليبيا والصحراء الغربية ٠٠٠

ومع ذلك كان الجيش المصرى رغم تواضعه عددا وعدة محل اهتمام القوات البريطانية التى حاولت فى البداية ان تحتويه وتستعين به فى عملياتها الحربية ، ثم تراجعت عن ذلك لما لمسته من خطورة تحريك الجيش فى ظروف لايحمل فيها الشعب أى ارتياح لقوات الاحتلال ٠

ورفض عزيز المصرى رئيس أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت اشتراك المقاتلات المصرية فى خطة الدفاع البريطانية بدعوى أن مصر لم تعلن الحرب على ألمانيا ، كما رفض تحريك قوات مصرية الى سيوة ضمن خطة الدفاع عن الصحراء الغربية ٠

وكان الجنرال سير هنرى ميتلاند ويلسون قد عثر أثناء فحص الأوراق الايطالية التى وجدها فى مقر رئاسة القوات على الخطة الدفاعية البريطانية عن الصحراء الغربية وهى الخطة التى كان قد أرسلها الى عزيز المصرى منذ شهور ٠

وطلب الانجليز اخراج عزيز المصرى واذعن على ماهر لهم فمنحه أجازة لأجل غير مسمى ٠

ويقول قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد ان الطيارين المصريين قد اشتركوا بعد ذلك فى خطة الدفاع عن القاهرة مع أسراب الطائرات البريطانية ، من مطار حلوان ، وخاصة بعد ان دمرت الغارات الألمانية ٢٠ مقاتلة بريطانية ٠٠٠ ولكن ذلك لم يستمر سوى شهور معدودة تغيرت بعدها الظروف ، وانعدمت ثقة البريطانيين فى امكانية التعاون مع الجيش المصرى ٠

وكان خروج عزيز المصرى من الجيش بداية لاتصالات سرية قام بها مع عدد من الضباط الذين وجدوا فى الاتصال بالألمان فرصة لتحرير مصر من القوات البريطانية دون تقدير سليم لابعاد الفكر النازى القائم اساسا على التعصب والتفرقة العنصرية ٠

وقد بدأت محاولات الاتصال بالألمان فى مجال سلاح الطيران حيث امكانية الحركة متوافرة ... وكانت قد تكونت عام ١٩٣٩ مجموعة من قادة الاسراب والطيارين عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وحسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف ووجيه أباظة وأحمد سعودى وحسن عزت وانضم لهم فيما بعد ضابط الاشارة أنور السادات ٠

وكان محور تفكير هذه الجماعة هو ضرورة خلق دور للشعب المصرى فى المعركة الدائرة على أرضه بين الحلفاء من جهة والقوات الفاشية والنازية من جهة أخـرى ٠

وكانت هذه المجموعة منبهرة بالدعاية والنظم النـازية ، تتطلع الى الانتصــارات الأولى لألمانيا وترى خلالها النتيجة الوحيـدة المحتملة للحرب العالمية الثانية ٠

وعندما تقدم روميل فى هجومه السريع نحو الاسكندرية قررت هذه المجموعة ارسال قائد السرب أحمد سعودى مندوبا عنهم الى روميل لشرح وجهة نظرهم فى التعاون ضد بريطانيا ... وأعدوا له حقيبة من المستندات بها مفجر يفجرها عند الخطر ... وكلف حسن ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد بحمل الحقيبة الى سعودى حتى الطائرة بعد اختفائه فى أحد الخنادق ، كما كلف وجيه أباظة باعداد خط سير الرحلة ٠

لم يصل أحمد سعودى الى الألمان ، سقطت طائرته واذاعت الاذاعة الألمانية خبر اسقاط طائرة قتال بريطانية اقتربت من مرسى مطروح ... وحوكم حسن ابراهيم باعتباره ضابطا مناوبا وتأخرت أقدميته ليصبح آخر دفعته ونقل الى المهمات ٠

ولم تتوقف محاولة الاتصال بالألمان بعد اختفاء طائرة سعودى ... سلك نفس السبيل الصول الطيار محمد رضوان الذى كان وجيه أباظة قد استعان به فى وضع الخطة ٠ ووصل رضوان فعلا الى القوات الألمانية حيث تعاون معها تعاونا كاملا الى ان اعتقل فى برلين عنـــدما دخـــل الحلفاء وحوكم بمجلس عسكرى بعد انتهاء الحرب وحكم عليه بالسجن ١٥ عاما ، ٨٠٠٠ جنيه غرامة حتى أفرج عنه بعد الثورة ، وعمل بعد ذلك فى ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة ٠

ولم تكن هذه هى المحاولات الوحيدة للاتصـــال بالالمان ... عزيز المصرى أيضا قام بهذه المحاولة عقب اشتعال ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ، وكان عزيز المصرى على اتصال بالألمان ، الذين أعدوا معه خطة للهرب بهبوط طائرة ألمانية فى منطقة (جبل رزه) على طريق الواحات البحرية ٠

وكان مفروضا أن يقود قائد الجناح عبد المنعم عبد الرؤوف سيارة عزيز المصرى الى المنطقة المحددة ليستقل الطائرة ولكن الحظ لعب دوره وتعطلت السيارة قرب منطقة الأهرام ... وفشلت خطة الهرب .

ولكن عزيز المصرى لم يقتنع بذلك ... أصر على الهرب مرة أخرى بطائرة مصرية كان يقودها له حسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف .

ولكن الطائرة لم تحقق هدفها لأن الميكانيكى أخطأ فقفل مفتاح الزيت بدلا من فتحه .. ولم تكد تحلق الطائرة حتى هبطت فى قليوب فى احدى الحدائق ... ولجأ عزيز المصرى الى مأمور المركز الذى كان تلميذا له فى كلية البوليس فأعطاه عربته دون أن يعرف سر رحلته الفاشلة ، أوصلته الى ميدان الأوبرا ثم لجأوا الى مدرس فى امبابه كان عضوا بجماعة مصر الفتاة .

وكان هذا المدرس مراقبا من البوليس بحثا عن احمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة الذى كان هاربا وقتها فى طنطا كدرويش من دراويش السيد البدوى ... واعتقل عزيز المصرى وحسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف لمدة تزيد عن عام ونصف الى أن أفرجت عنهم وزارة الوفد فى مارس ١٩٤٢ واعادتهم للجيش مع نقل حسين ذو الفقار الى السودان وعبد المنعم عبد الرؤوف الى المهمات ، حيث لم يعد بعدها للطيران أبدا .. وكان قد نقل مع اعتقالهم ٢٣ ضابطا من الطيران الى أسلحة الجيش المختلفة .

وانتهى عمل مجموعة الطيران مع فشل رحلة عزيز المصرى وانتهت صلاتهم التى لم تكن تنظيمية بالمعنى المعروف للتنظيم ، وانما كانت تضمهم رابطة صداقة ووحدة هدف وطنى .

وكان هناك اتصال آخر بالألمان وضباط الجيش المصرى عن طريق أنور السادات وحسن عزت اللذين قدم لهما عبد الغنى سعيد اثنين من رجال المخابرات الألمانية هما (هانز ابلر) الذى تزوجت والدته الألمانية من مستشار مصرى (صالح جعفر) فى ألمانيا ، ثم حضرت الى مصر ومعها ابنها الألمانى الصغير ، وأراد الزوج المصرى أن يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة فأعطاه لقب أسرته وعرف باسم (حسين جعفر) ، ولكنه انحرف عن حياة المجتمع المصرى وهاجر الى وطنه ألمانيا ليعود بعد ذلك عميلا لمخابراتها هو وزميل آخر اسمه (ساندى) .

وقد انتهى اتصال أنور السادات وحسن عزت بهما الى اعتقال الجميع فى أغسطس ١٩٤٢ بعد افتضاح أمر الجواسيس الألمان الذين أقاموا فى عوامة مع الراقصة حكمت فهمى .

وجرت محاولة لمحاكمة أنور السادات وحسن عزت أمام مجلس عسكرى يضم بعض الضباط الانجليز بتهمة التجسس ، ولكن محمد نجيب مساعد نائب أحكام الجيش في ذلك الوقت اعترض على تكييف التهمة ، وانتهى الأمر بطردهم من الجيش فى ٨ أكتوبر ١٩٤٢ ثم اعتقالهم حتى نهاية الحرب .

وكان الضباط المصريون قد أخذوا موقف المقاومة عندما ظهرت بوادر تنفيذ الخطة البريطانية لنزع سلاح الجيش المصرى اذا حاول مقاومة البريطانيين ... وقد ظهر ذلك فى محاولة سحب الدبابات المصرية بدعوى شرائها بعد معركة (دنكرك) ورفض ضباط الوحدات المصرية تسليم اسلحتها كما حدث فى حامية منقباد ، وفى الصحراء الغربية حيث رفضت الوحدات المصرية تسليم أسلحتها للقوات البريطانية التى ستحتل مواقعها وعادوا بها الى القاهرة كاملة .

وكانت الصحراء الغربية فى ذلك الوقت هى المنفى الذى ينقل اليه الضباط الذين تظهر عليهم أية ميول سياسية ... نقل اليها أنور السادات بعد الاشتباه فى تحركاته ، وتشكلت هناك مجموعة كان فيها مجدى حسنين أحد الضباط الأحرار ومؤسس مديرية التحرير فيما بعد ، وكان هدف هذه المجموعة تدمير مهمات ومعدات الجيش الانجليزى ... وقاموا فى سبيل ذلك بالاتصال مع ضباط الفرقة الرابعة الهندية لاثارتهم ضد القوات البريطانية ، وقد حوكم أربعة من الهنود فعلا فى (فوكة) ونفذ فيهم حكم الاعدام لأنهم رفضوا الخروج للحرب .

ومن مصادفات هذه الفترة أن قافلة عسكرية مصرية من ٦٨ عربة كانت متجهة الى سيوه تحمل تموينا لها وللتأكد مما اذا كانت محررة أو سقطت فى يد القوات النازية .. وعند العودة عثر مجدى حسنين قائد هذه القافلة على ٦ عربات مهجورة للفرنسيين الأحرار وكان بها ٦ صناديق قنابل يدوية (٧٢ قنبلة) حملها الى الطيار حسن عزت .

وكانت هذه هى القنابل التى استخدمت فى الأعمال الارهابية بالقاهرة فيما بعد انتهاء الحرب العالمية .

زاد الشعور المعادى لبريطانيا مع استمرار الحرب ، وفشلت أحزاب الأقلية فى قيادة الدولة ، حتى بلغت أزمة التموين حدا أشاع القلق والسخط ، وأطلق المظاهرات فى شوارع القاهرة ، وأجبر بريطانيا على الاقتناع بضرورة رفع الحظر الذى فرضته على السراى ضد حكم الوفد .

كان الاستعمار البريطانى على حذر شديد من قيام ثورة شعبية فى مصر ضد صفوفه الخلفية ، ولذا فانه عندما ظهر فى الأفق خطر الهجوم النازى رأوا أن يعيدوا الوفد الى الحكم ضمانا لسيطرته على الشعب فى

هذه المرحلة الحاسمة ، وخاصة بعد أن كان الملك وبعض المحيطين به على استعداد كامل للتعاون مع الغزاة الفاشيين والنازيين .

ولما تلكأ الملك فاروق فى الاستجابة لارادة الحكومة البريطانية لاستمرائه الحكم فى ظل حكومات ضعيفة تابعة ، ولأمله فى ان يتغير مسار الحرب لصالح المحور ، قدم السفير البريطانى انذارا للملك يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ بعد ان كانت وزارة حسين سرى قد استقالت يوم ٢ فبراير ... وحاول رئيس الديوان أحمد حسنين المراوغة لتشكيل وزارة قومية رغم مقابلة السفير له يوم ٣ فبراير ، وطلبه أن يعهد الى النحاس بتشكيل الوزارة ، وهو تدخل كان يعتبر حتى هذه اللحظة طبيعيا فى مجال السياسة المصرية .. ولكن مراوغة الملك استمرت حتى يوم ٤ فبراير فقدم السفير انذارا هذا نصه (اذا لم اعلم قبل السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتأليف الوزارة فان الملك فاروق يجب ان يتحمل تبعات ما يحدث) .. ولما لم تتم استجابة فورية لذلك حاصرت الدبابات قصر عابدين فى الساعة التاسعة مساء ، ودخل السفير وقائد القوات البريطانية وأمامهم ثمانية ضباط يحملون المسدسات ، ودخل السفير على الملك فى مكتبه وكان بجواره أحمد حسنين فخيره بين التنازل أو تشكيل وزارة وفدية فقبل الحل الثانى فورا (٢٩) .

أدت مظاهرة السفير العسكرية ، ودعايات أحزاب الأقلية الى الاساءة للوفد ، وأصبح ٤ فبراير مطعنا يطعنه منه كل معاد له أو كل من لم يكتشف حقيقة دور السراى المتعاونة مع السلطة الأجنبية فى الجذور ، أو الذين جرفتهم الوطنية الى قبول الأفكار الفاشية دون بحث أو تمحيص .

ولذا ترك حادث ٤ فبراير فى الجيش تأثيرات بعيدة المدى ... قدم اللواء محمد نجيب استقالته ، ولكن الياور عبد الله النجومى السودانى الأصل أقنعه بسحبها ، واجتمع ضباط سلاح الطيران وقرروا تسجيل أسمائهم فى سجل التشريفات ، وذهب عبد اللطيف البغدادى وعبد الحميد الدغيدى الى أحمد حسنين رئيس الديوان ليحصلوا منه على تقييم لموقف مصطفى النحاس (حتى اذا كان خائنا يقتل) على حد تعبيرهم ، ولكن أحمد حسنين أبلغهم انه سيرفع الأمر الى مولاه ليتصرف بحكمته ، وأوقف مجدى حسنين حفلا فى نادى الضباط بالاسكندرية أقيم بمناسبة عيد ميلاد الملك فاروق فى ١١ فبراير أى بعد الحادث بأسبوع وكانت تشترك فيه الراقصة ببا عز الدين والمطرب جلال حرب ، وقام البكباشى محمد كامل الرحمانى بحركة نشطة فى الجيش تأييدا للملك وانتهت بتشكيل مجموعة متعاطفة معه كنت واحدا من أعضائها هدفها منع البريطانيين عند انسحابهم

---

(٢٩) من أسرار الساسة والسياسة محمد التابعى .

أمام الألمان من تدمير المنشئات المصرية مثل الكبارى والجسور وانتهى به الأمر الى اعتقاله هو والقائمقام فؤاد صادق الذى أصبح قائداً للقوات المصرية المقاتلة فى حرب فلسطين بعد ذلك .

لم تكن هذه هى حوادث الاعتراض والاحتجاج الوحيدة ، فقد كان معظم ضباط الجيش قد تأثروا بهذا الحادث من الوجهة الوطنية ... وأثر ذلك على اتجاهاتهم السياسية وأبعدهم عن الوفد ... وقد تأثرت حقيقة عندما قال لى كمال الدين حسين عضو مجلس الثورة فيما بعد قراءته لمذكرات كليرن ووثائق الخارجية البريطانية من اكتشافه ان النحاس كان بريئا فى ٤ فبراير ...

البراءة بعد ٣٠ عاما تصبح كلمة فى التاريخ ولكن ادراك حقيقتها فى حينها كان كفيلا بتغيير كثير من الأمور .

وانتهز الملك هذه الفرصة ، فأكثر من زيارته لنادى الضباط بالزمالك ... وكانت هذه الفترة هى بداية ظهور حركات سرية بين ضباط الجيش بعد ركود طويل أعقب حادث السودان عام ١٩٢٤ وسحب الجيش المصرى من السودان .

وقد بلغت الاثارة بين الضباط حدا جعل ضابطا فى مصلحة خفر السواحل اسمه شبانة يلقى حذاءه على رئيس الوزراء مصطفى النحاس عند خروجه من مسجد الرفاعى بعد الصلاة فيصيب عربة عبد الحميد عبد الحق أحد الوزراء الوفديين ، وتطوع عدد من الضباط للشهادة معه رغم عدم وجودهم فى مكان الحادث كان منهم اليوزباشى عز الدين ذو الفقار المخرج السينمائى فيما بعد والملازم مجدى حسنين .

وحتى هذه اللحظة كان المحرك الرئيسى لاتجاهات الضباط هو الأمل فى انتصار الألمان وهزيمة البريطانيين .. ولذا كانت هزيمة رومل فى معركة العلمين أمام الفيلد مارشال مونتجومرى نقطة تحول هامة فى تفكير الضباط الذين استبدت ببعضهم الحيرة وهو يرقب الهزائم المتتالية تلحق بالجيوش النازية التى صورتها الدعاية فى صورة القوات التى لاتقهر .

ولم يكن الضباط يتحركون وحدهم فى عزلة أو فى فراغ ... كانت لهم صلات بالقوى السياسية خارج الجيش .

ومع ذلك لم تحل ارهاصات العمل السياسى والوطنى داخل الجيش المصرى بينه وبين تنفيذ واجبات محددة ضمن خطة الدفاع البريطانية ... كان أبرزها ولا شك دور المدفعية المضادة للطائرات والأنوار الكاشفة فى القاهرة والاسكندرية ومنطقة القنال ، رغم أن دخول سيناء كان محظورا الا بتصريح حتى لضباط الجيش ، وكانت السلطة فيها لقوات الاحتلال والمحافظ البريطانى .

قال تشرشل (ان مصر قامت بدور مشرف مهم له قيمته لا في دفاعها عن نفسها فحسب ولكن في الصراع العالمي) وقال الجنرال أوكنلك قائد القوات البريطانية « ان المساعدة التي قدمها لنا الجيش المصري عظيمة فقد حرس المرافق الداخلية ، وتولى أعمال المراقبة ، والأنوار الكاشفة والبطاريات المضادة للطائرات وخفف بذلك الضغط على قواتنا الى حد كبير » •

وعندما انفرجت أزمة العلمين سمحت القوات البريطانية لعدد من الضباط المصريين بالحصول على فرق تدريبية في مدارس الجيش البريطاني بالشرق الأوسط بفلسطين مثل مدرسة المدفعية المضادة للطائرات في حيفا ومدرسة مدفعية السواحل في عكا ومدرسة المشاة في صرفند وغيرها •

وفي هذه المرحلة كانت حكومة الوفد تواصل مسارها ، بعد ان انجذب مكرم عبيد سكرتير الوفد الى السراى ونشر في الأهرام مقالا يقول فيه عقب مقابلته للملك يوم ١٣ مارس ١٩٤٢ « لم البث طويلا حتى أدركت ان ملكنا الشاب قد ملك زمام الأمور بفضل ما أوتى من رجولة مبكرة وخبرة منوعة نادرة قلما أتيحت لملك من الملوك فكان يتنقل من موضوع الى آخر ومن نصح الى نصح في عطف ووداعة وصراحة أخاذة ونفاذة » وشكل حزب (الكتلة الوفدية) التي أصبحت حزبا من أحزاب الأقلية المنفرطة أساسا من مسبحة الوفد ، وتعرض الوفد خلال هذه الفترة الى حملات شديدة ضد سياسة المحسوبية والاستثناءات التي انتهجها لخدمة أنصاره بعد أن أقصى عن الحكم أكثر من خمس سنوات •

ولكن الوزارة الوفدية استطاعت خلال حكمها أن تقدم انجازات ذات تأثير اجتماعي هام مثل اصدار قانون مجانية التعليم الابتدائي ، وانشاء جامعة الاسكندرية ، وديوان المحاسبة ، واستخدام اللغة العربية في مكاتبات الشركات ودفاترها ، واصدار قانون استقلال القضاء ، وخفض الضريبة المربوطة على صغار المزارعين ، ووضع مشروع المجموعات الصحية ، واصدار قانون عقد العمل الفردي ونقابات العمال •

وبعدما أدت وزارة الوفد دورها في تهدئة الجماهير تخلى الاستعمار عنها وأسرع الملك يصدر قرارا باقالتها يوم ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ، بعد ان وقعت بروتوكول الاسكندرية الخاص بانشاء جامعة الدول العربية في اليوم السابق مباشرة •• وكانما انتظر منها ان تختم دورها بتكوين الجامعة التي بارك انطوني ايدن انشاءها •

وكان خطاب الاقالة مهينا مثل خطاب الاقالة السابق اذ قال فيه الملك وهو يقيل وزارة الأغلبية الشعبية انه يقيل الوزارة بدافع الحرص على

ان تحكم البلاد « وزارة ديموقراطية تعمل للوطن وتطبق أحكام الدستور نصا وروحا » وهكذا انتصرت حاشية السراى على ارادة الأغلبية الشعبية .

المد الثورى فى مصر

وأعقب اقالة الوزارة الوفدية عودة أحزاب الأقلية الى الحكم ومعها الحزب الجديد (الكتلة الوفدية) فى وزارة برئاسة أحمد ماهر رئيس حزب السعديين الذى حل البرلمان لاجراء انتخابات جديدة لم يشترك فيها الوفد ، واجتمع البرلمان الجديد فى ١٨ يناير ١٩٤٥ ولكن لم تمض الا أيام حتى اغتيل أحمد ماهر يوم ٢٤ فبراير اعتراضا على اعلانه اشتراك مصر فى الحرب اغتاله المحامى محمود العيسوى الذى كان يعمل محاميا فى مكتب الكاتب المؤرخ عضو الحزب الوطنى عبد الرحمن الرافعى .

وتالفت بعد ذلك وزارة محمود فهمى النقراشى .

كان انتهاء الحرب وانهاء الرقابة على الصحف فى ٩ يونيو ، والغاء الأحكام العرفية فى ١٤ أكتوبر بداية مرحلة جديدة من مراحل النضال الوطنى ضد الاستعمار .

وتحت ضغط الشعور الشعبى العام الذى الهبته الصحافة الوفدية وخاصة بعد المذكرة التى أرسلها مصطفى النحاس الى السفير البريطانى يطالب فيها بالجلاء االكامل عن مصر ووحدة مصر والسودان ، أرسل محمود فهمى النقراشى مذكرة الى الحكومة البريطانية فى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ يطالب فيها بسحب القوات البريطانية وقت السلم ، مشيرا الى ان علاقات مصر وبريطانيا ستكون مستمرة على أساس من التحالف .

ومع ذلك جاء رد الحكومة البريطانية بعد شهر كامل ، ليقول ان المبادىء الأساسية التى قامت عليها معاهدة ١٩٣٦ سليمة فى جوهرها « وان سياسة حكومة جلالة الملك هى ان تدعم بروح من الصراحة والود التعاون الوثيق الذى حققته مصر ومجموعة الأمم البريطانية والامبراطورية فى أثناء الحرب » .

وكان لهذا الرد الذى ربط بين مصر ومجموعة الأمم البريطانية لأول مرة رد فعل شعبى مضاد ، تحركت معه جماهير الطلبة ، فأصدرت اللجنة التنفيذية العليا للطلبة ، واتحاد خريجى الجامعة بيانات احتجاج ... وتقرر عقد مؤتمرات عامة فى المعاهد والجامعة لمناقشة الحالة .

وعقد مؤتمر فى الجامعة يوم السبت ٩ فبراير ١٩٤٦ ضم بضعة آلاف تحركوا بعده فى مظاهرة كبيرة نحو قصر عابدين تحت شعار (لا مفاوضة الا بعد الجلاء) .

وعندما وصلت المظاهرة فى طريقها الى كوبرى عباس وجدته مفتوحا فأصر الطلبة على عبوره وحاصرهم البوليس وانهال عليهم ضربا فى قسوة شديدة ، ثم أطلقت بعض طلقات الرصاص مما دفع بعدد من الطلبة الى القاء أنفسهم فى النيل ، وعرفت هذه الحادثة يومئذ باسم (مذبحة كوبرى عباس) ، التى قدر عدد المصابين فيها بستين طالبا واعتقل ١٥٠ متظاهرا ·

وعمت المظاهرات انحاء مصر احتجاجا على المذبحة وامتلأت الصحافة ببيانات الاحتجاج وصادرت الحكومة بعض الصحف التى نشرت صور المظاهرات يوم ١١ فبراير (عيد ميلاد الملك فاروق) وحطم الطلبة ترتيبات الحكومة التى أقامتها احتفالا بالعيد وداسوا صور الملك بالاقدام وأشعلوا فيها النار وهتفوا ضد الاستعمار والسراى ، وخرجت فى اليوم التالى ١٢ فبراير جنازة صامتة وأقام طلبة الأزهر صلاة الغائب ·

ولم تجد الوزارة أمامها بعد عجزها الفاضح عن مجابهة الانجليز بعد حديث متكرر عن (الصمت) و (الوقت المناسب) ، وبعد قسوتها فى مجابهة مظاهرات الطلبة ، وأمام تصاعد المقاومة الشعبية حيث لم تعد المظاهرات قاصرة على الطلبة بل امتدت الى طوائف الشعب الأخرى ــ لم تجد الوزارة الا أن تقدم استقالتها يوم ١٥ فبراير ، ليتولى الوزارة بعد ذلك اسماعيل صدقى رئيس حزب الشعب السابق الرجل الذى كان قد شكل دستور ١٩٣٠ وعضو ملجس ادارة شركة قناة السويس ، ورئيس اتحاد الصناعات ...

وقد مهد اسماعيل صدقى لوزارته بحديث كان قد نشره فى الأهرام يوم ٧ فبراير يدعو فيه الى المفاوضة بدلا من المباحثات التمهيدية مع السفير البريطانى وهى الخطة التى كانت وزارة النقراشى قد انتهجتها ، وهو فى مقاله يعتبر بريطانيا صديقا وحليفا ويعلن ان الرغبة فى التحالف معهم لا تحتاج الى تدليل ·

وسهل الانجليز أيضا مهمة اسماعيل صدقى بسحب لورد كيلرن السفير البريطانى الذى يرتبط اسمه بحادث ٤ فبراير وعينوا بدلا منه سير رونالد كامبل ···

وقد بدأ صدقى وزارته باسلوب ناعم ··· أقنع السعديين الأحرار بخطر عودة الوفد فضمن تأييد البرلمان له ·· وصرح بقيام المظاهرات لأيام محدودة ، وصرح للطلبة باستعداده ورغبته فى التعاون مع مصطفى النحاس ، ولكن النحاس باشا صرح بأنه لا يقبل أى نوع من أنواع التعاون الا على أساس انتخابات برلمانية جديدة وهو الأمر الذى يعنى انتهاء التحالف القائم بين أحزاب الأقلية التى ارتضت الاشتراك فى الوزارة عدا حزب الكتلة الوفدية ·

ولم تتوقف المظاهرات الشعبية لوعيها بطبيعة وتاريخ اسماعيل صدقي ، وتشككها وحذرها من تصريحاته عن التحالف مع بريطانيا ، وأصدرت لجنة الطلبة التنفيذية بيانا قالت فيه ان الأسباب التي دعت الى الجهاد ما زالت قائمة ... وفي ١٨ فبراير تجمع بميدان عابدين نحو ٤٠ ألف متظاهر ، كما تجمع نحو ١٥ الفا بفناء الجامعة بالجيزة .

وخلال هذه الأيام العامرة بالنضال التقى مندوبو الطلبة والعمال وانبثقت (اللجنة الوطنية للعمال والطلبة) لتؤدي دورا تاريخيا بدأته باعلانها ان نقابات العمال وطلبة الجامعات والأزهر والمعاهد العليا والمدارس الخصوصية والثانوية قررت ان يكون يوم الخميس ٢١ فبراير ١٩٤٦ يوم الجلاء ويوم الاضراب العام لجميع هيئات الشعب وطوائفه ، ونادت أيضا بتعطيل المرافق العامة ووسائل النقل والمحلات العامة والتجارية .

ووصلت المظاهرات قمة النجاح وتعطلت الحياة العامة في القاهرة ، وعقد مؤتمر شعبي في ميدان الأوبرا قرر مقاطعة المفاوضات والغاء معاهدة ١٩٣٦ والغاء اتفاقية ١٨٩٩ وعرض القضية على مجلس الأمن ، ثم تحركت المظاهرات الى ميدان قصر النيل (التحرير بعد ذلك) حيث ظهرت عربات بريطانية مسلحة اخترقت الجموع ودهمتهم فألقى المتظاهرون الحجارة على الثكنات ، فردت القوات البريطانية باطلاق الرصاص من خلف الأسوار ... وتساقط عدد من الشهداء قدروا بعشرين شهيدا وثارت ثائرة الجماهير فانقضوا على بعض المحلات الأجنبية ومعسكر للجنود الافريقيين خلف المحكمة المختلطة ونادى الطيران البريطاني واعتدوا عليهم واستمرت المظاهرات تطوف شوارع القاهرة وتلوح بالمناديل المخضبة بدماء القتلى أمام قصر عابدين حتى منتصف الليل .

ولم تقتصر المظاهرات على القاهرة وحدها ... انتشرت في مختلف المدن ، ولم تنفع بيانات صدقي في التفرقة بين الطلبة والعمال ، وتقرر يوم ٤ مارس يوما للحداد العام على أرواح الشهداء ، فأضربت الصحف عن الصدور ، وأغلقت المصانع والمدارس ، وفي الاسكندرية تحركت مظاهرة شعبية ضخمة من محرم بك الى محطة الرمل ، وحاول بعض المتظاهرين انزال علم بريطاني يرتفع على فندق يقيم فيه بعض رجال البحرية البريطانية فاطلق عليهم جنود البوليس الحربي البريطاني الرصاص من كشك في ميدان محطة الرمل ... وحدث صدام انتهى الى قتل ٢٨ متظاهرا ، ٢ من الجنود البريطانيين وجرح ٣٤٢ .

وكانت الحكومة البريطانية رغم تأييدها لاسماعيل صدقي قد أخذت عليه تهاونه في قمع المظاهرات الأمر الذي يمهد لقيام ثورة شعبية تهدد قوات الاحتلال ، فارسلت بيان احتجاج للملك مباشرة ، وقبل صدقي

الاحتجاج دون ان يعلن ذلك ، ولكن وزير الدومنيون البريطانى أعلن الخبر فى مجلس اللوردات وطيرته وكالة رويتر للصحف المصرية مما أوقع صدقى فى دائرة الحرج ، وكشف تماما عن دوره المخادع عندما أصدر قرارا بمنع المظاهرات ·

وسرعان ما ألف فى ٧ مارس ١٩٤٦ وفدا رسـمـيا للمفاوضة مع الانجليز يضم الى جانبه محمد شريف صبرى وعلى ماهر ومحمد حسين هيكل وعبد الفتاح يحيى وحسين سرى ومحمود فهمى النقراشى وأحمـد لطفى السيد وعلى الشمسى ومكرم عبيد وحافظ عفيفى وابراهيم عبد الهادى ، وهى مجموعة من الأسماء المعروفة فى السياسة المصرية ، يؤمن معظمهم بأن التحالف مع بريطانيا أمر تقتضيه الضرورة والمصلحة ··· أما الوفد فقد أبى الاشتراك فى هذه الهيئة مادام لا يملك رئاستها أو الأغلبية فيها ·

وكان رفض الوفد للاشتراك فى وفد المفاوضـة دافعا الى تساؤلات ظهرت فى الصحافة البريطـانية تشكك فى سـلامة تمثيل هيئة المفاوضة للواقع المصرى ·· وأدى هذا الموقف الى تدهور سريع فى علاقات صدقى مع الوفد تمثل فى مصادرة الحـكومة لصحف الوفد ومحاصرة الجنـود لدورها ، وأوضح ذلك صبرى أبو علم زعيم المعارضـة الوفدية بمجلس الشيوخ فى ٩ مارس ، وأصدر صدقى بيانا فى ٢ ابريل هدد فيه الوفد بعنف واتهمه بأنه يضع العراقيل أمام المفاوضات ، ويدفع الطلبة والعمال الى الاضراب والتظاهر ·

وعندما اطمأنت الحكومة البريطانية الى موقفه المتشدد شكلت حكومة العمال البريطانية وفدا للمفاوضة برئاسـة بيفن وزير الخارجية ولورد ستاتسجيت وزير الطيران ، وأصدرت فى ٧ مايو بيانا حددت فيه سياستها على أساس سحب كافة قواتها من مصر على أسس ثلاثة هى :

أولا : توطيد التحالف مع مصر على أساس المساواة بين أمتين تجمع بينهما مصالح مشتركة ·

ثانيا : أن يتقرر بالمفاوضـات تحديد مراحل الجلاء والمواعيد التى يتم فيهـا ·

ثالثا : الاتفـاق على ما يتخذ بين الحكومتين من التدابير لتحقيق التعاون فى حالة الحرب أو خطر حرب وشيكة الوقوع ·

وقد قوبل هذا البيان بهجوم متعدد الأطراف ··· حمل تشرشل على البيان فى مجلس العموم من ناحية ان القواعد العسكرية فى برقة وفلسطين لن تكون كافية لحماية قناة السويس ، وقال ايدن ان عـدم تمثيل الوفد

فى وفد المفاوضة يجعل العرض البريطانى بالجلاء عرضا مقدما بغير ضمان استيفاء الثمن من مصر .

وفى يوم صدور البيان نقلت وكالة رويتر عن الدوائر الرسمية القول بأن الجلاء لا ينتظر ان يتم بالسرعة التى تم بها عن سوريا ولبنان وذلك بسبب ضخامة حجم القوات البريطانية أولا وبسبب ما يحتاجه الجيش المصرى من استعدادات تؤهله لحمل التبعات ثانيا .

هذا ما حدث فى بريطانيا ... اما فى مصر فقد أهاجت فكرة التحالف شعور المصريين وخرجت المظاهرات الى الشوارع . وفى ١١ مايو اصطدم البوليس بمظاهرة خرجت من الأزهر وجرح فيها ثلاثون متظاهرا وعشرة من رجال البوليس ، وأصدر الوفد والحزب الوطنى بيانا هاجموا فيها البيان البريطانى .

واستمرت المفاوضات حتى قبل الجانب المصرى فكرة تكوين (لجنة الدفاع المشترك) من عسكريين مصريين وبريطانيين ، وما ان عرفت موافقة الحكومة على انشاء هذه اللجنة حتى تحركت المنظمات الشعبية تعقد المؤتمرات وترتب المظاهرات ، وأصدرت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بيانا حددوا فيه يوم ١١ يوليو ١٩٤٦ (ذكرى ضرب الانجليز للاسكندرية عام ١٨٨٢) يوما للحداد العام وبدء الجهاد الوطنى .

وهنا أسفر صدقى عن وجهه الحقيقى وقام فى اليوم السابق على الاضراب باعتقال حوالى مائتين من الكتاب والصحفيين وزعماء اللجنة الوطنية ونقابات العمال والطلبة ، وأغلق كثيرا من دور النشر والجمعيات الجديدة ذات الطابع التقدمى مثل دار الأبحاث العلمية ولجنة نشر الثقافة الحديثة ودار القرن العشرين والجامعة الشعبية الأهلية واتحاد خريجى الجامعة وجامعة أم درمان ومؤتمر نقابات عمال القطر المصرى ونادى الشرقية ورابطة بعثات الجامعة والمعاهد ، كما أغلق نهائيا صحف الفجر الجديد والطليعة وأم درمان والعراق واليراع والضمير والوفد المصرى وصادر لعدة أيام جرائد المصرى والكتلة ومصر الفتاة ، ومنع الاحتفال بيوم ١١ يوليو .

وأطلق على هذه الحملة (قضية المبادىء الهدامة) والصق بالمعتقلين تهمة الشيوعية ، وكان منهم سلامة موسى والدكتور محمد مندور ومحمد زكى عبد القادر وغيرهم ، ورغم الغاء تصريح جريدة (الوفد المصرى) فان معارضة الوفد لهذه الاجراءات لم تكن قوية بالدرجة الكافية ، وضحى الوفد بجريدته مطالبا بصدور جريدة أخرى بدلا منها (صوت الأمة) .

وبقدر ما قوبلت حملة صدقى باشا بالارتياح فى الدوائر الاستعمارية ودوائر السراى والرجعية المصرية ، بقدر ما قوبلت بالرفض من جانب

المثقفين والعمال والطلبة ، فما لبثا ان أضرب عمال شركة الغزل الأهلية بالاسكندرية يوم ١٥ يوليو ، والقيت خمس قنابل يوم ١٧ يوليو على أحد الأندية البريطانية .

وكانت هذه الحملة نقطة تحول فى اسلوب السلطة التنفيذية اذ جعلت تهمة (الشيوعية) سيفا مصلتا على رقاب كل الوطنيين الذين يقفون موقف المعارضة لربط مصر بعجلة الاستعمار .

وحاول صدقى جاهدا ان يصل الى عقد اتفاقيـــة مع الانجليز بعد حملته الصليبية ، وسافر فعلا الى لندن فى ١٥ أكتوبر بعد ان كان قد قدم استقالته فى ٢٨ سبتمبر وكلف الملك خـــاله شريف صبرى بتشكيل وزارة تضم الوفد اليها ولكنه عجز عن تحقيق ذلك لرفض الوفد واصراره على اجراء انتخابات جديدة ، وأدى ذلك الى ذهاب مصطفى النحاس لتوقيع اسمه فى سجل التشريفات بمناسبة عيد الأضحى لأول مرة بعد اقالته .

وقع صدقى اتفاقية بالحروف الأولى مع بيفن ، وعاد يعلن أن الوحدة بين مصر والسودان قد تقررت نهائيـا ، ولكن رئيس الوزراء البريطانى مستر اتلى كذب هذا التصريح مما أضعف من موقف صدقى ، الذى كان يعانى فى الداخل معارضة شديدة ، وخاصة من جانب الطلبة الذين عقدوا مؤتمرا يوم سفره الى لندن حضره ممثلو الطلبة الوفديين والحزب والوطنى والتنظيمات الماركسية والكتلة ورابطة الطلبة المصريين وقرروا الغاء معاهدة ١٩٣٦ وقطع المفاوضات فورا والالتجاء الى مجلس الأمن ، وكان صدقى قد أجل الدراسة الى ١٧ نوفمبر .

وما كادت الجامعة تفتح أبوابها حتى بدأت المظاهرات ، دون توقف، تزداد انتشارا وقوة فى مختلف المدارس والمعاهد والكليات ، وتصطدم بالبوليس يوميا ويتســاقط الجرحى من المتظاهرين ، وخطب مصطفى النحاس فى ذكرى عيد الجهاد (١٣ نوفمبر) مهاجما مشروع صدقى بيفن ومحاولة فرض بريطانيــا معاهدة التحالف على مصر متهما صـدقى بأنه المسئول عما يراق فى الشوارع من دماء .

وتحت هذا الضغط الشعبى أصدر سبعة من أعضاء وفد المفاوضة بيانا أعلنوا فيه معارضتهم للمشروع الذى انتهى اليه صدقى مما أجبره على حل وفد المفاوضة فى ١٦ نوفمبر ... وتعمد الانجليز احراجه أيضا بعد أن وجدوا انه لم يستطع التعبير عن ارادة الشعب المصرى ، فجعلوا الحاكم العام للسودان يصدر تصريحات تتنافى مع بيانات اسماعيل صدقى .

وفشلت دعاية الصحفى مصطفى أمين لمشروع صـــدقى فى مقالاته التى كتبها فى مجلة آخر ساعة تحت عنـوان (أوقعها وألفهـا) واضطر

صدقى لتقديم استقالته يوم ٦ ديسمبر ١٩٤٦ تحت ضغط النضال الشعبى العام والموقف الموحد للجماهير والتنظيمات السياسية والمهنية .

وهكذا انتصرت الإرادة الشعبية ، وسقط مشروع صدقى بيفن . وسقط حكم صدقى بعد عشرة شهور فقط .

وعاد محمود فهمى النقراشى رئيسا للوزراء يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٦.

وتعتبر الفترة التى مضت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة النازى حتى سقوط مشروع صدقى بيفن من أكثر فترات النشاط السياسى خصبا وتوهجا وتأثيرا فى المجتمع .

ولم يكن الجيش خلال هذه الفترة بعيدا عن الأحداث ... ولم تكن هزيمة النازى التى حطمت أحلام كثير من الضباط هى كلمة (النهاية) فى نضالهم .

تحول النشاط عند مجموعات الضباط التى اسقطتها هزيمة النازى فى حيرة شديدة الى البحث عن موقع جديد يواصلون منه نضالهم الوطنى .

وكان الجيش خلال الفترة التى عمت فيها المظاهرات مصر يؤدى دورا بوليسيا .. لم تسحبه اليه وزارة محمود فهمى النقراشى الأولى ، ولكن سحبته له وزارة اسماعيل صدقى التى أعلنت نظام الطوارىء ، وحشدت قوات الجيش فى مناطق مختلفة ... حديقة الأورمان المجاورة لجامعة القاهرة ، وفى منطقة شبرا الخيمة وفى المحلة الكبرى والإسكندرية وغيرها .

وطبق نظام الطوارىء ... كان الجندى يحصل على علاوة طوارىء عشرة قروش يوميا فى الوقت الذى كان مرتبه الشهرى فيه ٥٤ قرشا ، ويحصل الضابط من الرتب الصغيرة على أربعين قرشا يوميا بينما مرتب الملازم ١٢ جنيها شهريا ، وترتفع هذه القيمة حتى تصل الى جنيهين فى اليوم لرتبة اللواء .

كان خروج الجيش علنا لمقاومة المظاهرات ، واجتماع الضباط والجنود قريبا من مناطق تجمع الطلبة والعمال دافعا لهم على مناقشة الموقف السياسى ومحاولة التعرف على أبعاده ، وخاصة بعد حرص كثير من الطلبة على الاجتماع بالضباط فى زيارات ودية أثناء وجودهم فى حديقة الأورمان .

واستقر رأى صغار الضباط من مختلف الاتجاهات السياسية اخوانا أو شيوعيين أو غير منتمين لتنظيمات سياسية فى عدد من الوحدات على عدم اطلاق النار مطلقا على مظاهرات الطلبة أو العمال مهما كانت الظروف .

حرص اسماعيل صدقى على استخدام الجيش كوسيلته الرئيسية للارهاب والتهديد لم يكن مسايرا للتطور الذى أحدثته معاهدة ١٩٣٦ فى صفوف الجيش ... اذ لم يعد الجيش محدود العدد او خاضعا تمام الخضوع لنوعية خاصة من الضباط تمتد من أعلى الرتب الى أصغرها ، وبالتالى لم يعد اداة طيعة فى يد السلطة كما كان فى عهد وزارة صدقى فى بداية الثلاثينيات عندما استخدمه لتزييف الانتخابات .

تطورات كثيرة كانت قد حدثت فى مصر وفى الجيش لم يدركها ذكاء اسماعيل صدقى المعروف ... وظهر رفض ضباط الجيش لأداء هذه المهمة البوليسية التى أوكلت اليهم - الى جانب التقارب وتوحيد آرائهم - فى صورة منشورات كثيرة وزعت خلال هذه الفترة من الضباط المنضمين للاخوان ، أو التنظيمات اليسارية .

وتولد شعور طبقى ناشىء وغير منظور عند صغار ضباط الجيش وعند عدد من صف الضباط الواعين ... بأنهم يعملون فى خدمة طبقة اقطاعية لا ينتمون اليها ... ومن هنا كان اقتناعهم بألا يكونوا أدوات تطلق النار على جماهير الطلبة والعمال .

ورغم هذا الموقف فان الضباط لم ينجذبوا الى الوفد العدو المعارض لأحزاب الأقلية ، والذى لم يطلق خلال تاريخه رصاصة واحدة على المتظاهرين ، والذى كانت صحفه فى ذلك الوقت تلتهب بمقالات الاثارة بأقلام الدكتور محمد مندور والدكتور عزيز فهمى وغيرهما من شباب الوفد .

يرجع ذلك أساسا الى الأسباب الآتية :

أولا : كانت فرص الوفد فى التسلل الى صفوف الجيش عن طريق دفع مؤيديه الى صفوفه محدودة جدا لقلة الوقت الذى بقى الوفد فيه متوليا الحكم مقارنا بحكم أحزاب الأقلية .

ثانيا : تشبث القيادة الوفدية دائما بمبدأ فصل السلطات وابعاد الجيش عن السياسة وحرصهم على تنفيذ ذلك لادراكهم ان الجيش كان فى هذه المرحلة يتحرك بأوامر السراى الخاضعة لنفوذ الاستعمار البريطانى، وهى العدو التقليدى للوفد .. ولذا لم تكن هناك صلات أو محاولة عقد صلات بين الوفد ورجال الجيش .

ثالثا : كانت الدعاية المضادة التى صاحبت حادث ٤ فبراير قوية الى الدرجة التى أثرت فعلا فى سمعة الوفد داخل صفوف الجيش ، وأظهرته بمظهر الحزب المتعاون مع البريطانيين فى وقت كان فيه الارتباط بالنازيين هو الصورة البراقة للوطنية .

رابعا : ظهور تنظيمات سياسية جديدة ذات اتجاهات فكرية واجتماعية مختلفة (مصر الفتاة ـ الاخوان المسلمين ـ الحزب الوطنى الجديد ـ التنظيمات الشيوعية) قادتها أقرب من ناحية السن والتكوين الاجتماعى لصغار ضباط الجيش ... وحركتها التنظيمية أكثر انضباطا من الوفد الذى كان يعتمد على رصيد زعامته وجماهيرية أهدافه وقدراته المالية ، وبالتالى كانوا أكثر جاذبية للضباط الذين اعتادوا الانضباط والضبط والربط ـ على حد التعبير العسكرى ـ فى حياتهم اليومية .

خامسا : كان تكوين القيادة الوفدية متنافرا الى حد بعيد مع طبيعة الجماهير المؤيدة له ... فمعظم القيادة كانت من الاقطاعيين ، ومعظم الجماهير كانت من العمال والفلاحين والمثقفين ... ولذا فان الضباط لم يجدوا فى تكوين القيادة الوفدية ما يجذبهم اليها باعتبارهم أبناء للطبقة الوسطى ، تولدت فى صفوفهم أفكار وطنية وثورية ، أكسبتها الروح العسكرية طابعا حادا يميل الى التغيير السريع .

انجذب الضباط بعد هزيمة النازى وفى مواجهة الموقف الذى انسحبوا اليه لمواجهة جماهير الشعب بطلقات الرصاص الى أحزاب وتنظيمات أخرى .

تعددت الاتجاهات ... وتنوعت قوى الجذب المختلفة .

ويمكن بلورة الاتجاهات داخل الجيش فى ذلك الوقت فى ثلاثة اتجاهات رئيسية :

١ ـ اتجاه جذبه الارهاب واغتيال جنود الاحتلال وامتد حتى وصل الى بعض السياسيين المصريين .

٢ ـ الاخوان المسلمون كقوة سياسية جديدة تظهر على المسرح مصحوبة بدعاية هائلة وتأييد صريح من حكومة اسماعيل صدقى .

٣ ـ التنظيمات اليسارية التى كانت تنمو فى سرية مطلقة مستفيدة من المد الثورى ، ووضوح موقف الدول والقوى الاشتراكية فى تأييد قضينا .

أما بقية القوى والأحزاب السياسية فان فرصتها للعمل والنشاط داخل الجيش كانت محدودة .. بل معدومة تقريبا .

ومصر الفتاة لم تتح لها الحرب العالمية الثانية فرصة النشاط مع الضباط وخاصة الذين تأثروا بمبادئها خلال الدراسة الثانوية . لأنها كانت مطاردة من السلطات لاتجاهاتها الفاشية فى هذه المرحلة .

أما أحزاب الأقلية فان قدراتها كانت أضعف من التأثير على شباب الضباط لاتجاهاتها الرجعية المحافظة .

وهكذا انفردت هذه الاتجاهات الثلاثة لتنمو داخل صفوف الجيش.

اولا ـ الارهـاب :

كان الاتجـاه الارهابى أقدم فى وجـوده من الحركة الشعبية التى انطلقت عام ١٩٤٦ ، وهو يمتد بجذوره الى أفكار (الحزب الوطنى) الذى بدأ أعضاؤه يعتنقون الفكر الارهابى خلال ثورة ١٩١٩ وما بعدها ، بعد أن طغى الوفد عليهم بجماهيريته وشعبيته .

كان ضباط الطيران فعلا على اتصـال ببعض الذين ناضلوا ضد البريطانيين فى جماعة (عصابة اليد السـوداء) خـلال ثورة ١٩١٩ وما بعدها مثل عبد العزيز على الذى أصبح وزيرا فى وزارة محمد نجيب وكان عضوا فى الحزب الوطنى .

وكان أعضاء الحزب الوطنى يعتبرون الاغتيال وسيلة من وسائل النضال ، ومحمود العيسوى الذى قتل أحمد ماهر كان محاميـا تحت التمرين فى مكتب عبد الرحمن الرافعى الذى اعتقل هو وفتحى رضوان عقب حادث الاغتيال ثم أفرج عنهما بعد ان ثبت عدم وجـود صـلة لهما بعملية الاغتيال نفسها .

وحدث التقاء بين بعض الضباط وبين شباب من أعضـاء الحزب الوطنى ، كونوا مجموعة للاغتيالات ... وكانت المحاولة الأولى اغتيـال مصطفى النحاس الذى اجتمع عليـه رأيهم لما تركه حـادث ٤ فبراير فى نفوسهم ، وقد قام بهذه العملية التى لم تنجح أنور السادات ، وحسين توفيق الذى اغتال أمين عثمان بعـد ذلك ، وسعد كامل ابن أخت فتحى رضوان وعضـو اللجنة التنفيذية العليا للحزب الوطنى الجديد فيما بعد ، ومحمد كامل السفير بعد ثورة ١٩٥٢ .

وتشكلت داخل الجيش مجموعة أخرى اتصلت بسعد كامل وضمت الضباط مصطفى كامل صدقى وحسن فهمى عبد المجيـد وعبد الرؤوف نور الدين ، والقوا قنبلتين على منزل عبد الفتاح عمرو سـفيرنا فى لندن بالدقى ، وقنبلة أخرى على الاتحاد المصرى الانجليزى مكان نادى ضباط القوات المسلحة بالزمالك الآن ، وقنابل دخان على دار أخبار اليوم .

وقامت المجموعة التى فشلت فى محاولة اغتيـال النحاس باتسـند باغتيال أمين عثمان بعد ذلك ، ولكنها اعتقلت وحوكمت وحكم على القائل

حسين توفيق بالأشغال الشـــاقة المؤبدة ، وكان والده وكيـلا لوزارة المواصلات •

وأمكن لهذه المجموعة تهريب حسين توفيق واخفاؤه فترة طويلة •

ولم يكن هذا النشاط خارج حدود الجيش ٠٠ بل تبلورت في الداخل حركة مضادة لرئيس أركان حرب الجيش اللواء ابراهيم عطا الله الذى ابتعدت قيادته للجيش عن كل معانى الجدية والتطور ٠٠٠ ذهب مع بعثة من كبار الضباط لزيارة الولايات المتحدة وبعد عدة أسابيع عاد ليصدر قرارا وحيدا يقضى بأن تلبس كل الرتب عدا رتبة اللواء بنطلونات قصيرة أثناء التواجد بالمعسكرات الأمر الذى أثار الضحك على بعضهم لكروشهم البارزة ٠٠٠ ونفاقا للسراى أصدر قرارا بأن يلبس ضباط الجيش ربطات عنق سوداء يوم ٢٨ ابريل ذكرى وفاة الملك فؤاد ، ولكن عددا ملحوظا من صغار الضباط رفضوا تنفيذ الأمر ٠٠ كما أنه أوحى لضباط سـلاح المدفعية بأن يجمعوا نقودا لشراء (عصا الماريشالية) لتقدم هدية للملك فاروق عند زيارته للسلاح ، وقد رفض أيضا عدد من الضباط ان يسهموا في ذلك ٠٠٠ وكانت زيارة فاروق لميس المدفعية بالماظة هى زيارته الأولى والأخيرة ، اذ أثارت مشاعر الضباط لما حوته من بذخ فى الطعام والترفيه ٠٠٠ اذ أقاموا مسرحا خارجيا استضافوا فيه فرقة الريحانى واحدى فرق الباليه الأجنبية التى حضرت من الطائرة الى المدفعية مباشرة قبل ان تظهر فى كباريه الأوبرج ، وأعدوا بيست للرقص لم يشارك فيه الا عدد محدود من زوجات الضباط اللاتى قبلن الحضور ، فقد رفض أغلبية الضباط احضار زوجاتهم فى حفلة يحضرها الملك ٠٠٠ ويذكر خلال هذه الليلة ان الصاغ عبد المنعم رياض — الفريق الشهيد بعد عدوان ١٩٦٧ — كان خالعا طربوشه ، فاقترب منه كبير التشريفاتية وأبلغه بأن ذلك ممنوع فى حضرة الملك ، وحدثت بينهما مناقشة انتهت الى استدعائه فى اليوم التالى للسراى وتصفية الأمر بعد ما لمسوه من غضب الضباط واحتجاجهم على هذا الاسلوب فى مخاطبة أحد المدنيين لضابط مرموق •

وقررت مجموعة من الضباط اغتيـال ابراهيم عطا الله ، وأصدرت منشورات أعدها مصطفى كمال صدقى الذى كان ضـابطا بالمخابرات فى مكتب ادارته ، الأمر الذى كشف مجموعته وأدى الى اعتقاله مع ٢٣ ضابطا وصولا من بينهم البكباشى رشاد مهنا واليوزباشية عبد الرؤوف نور الدين وحسن فهمى عبد المجيد وممدوح جبه والبكباشى أحمد يوسف حبيب والصاغ عثمان نورى واليوزباشية عاطف سعد ومحمد أحمد حسين والملازم عبد القادر طه وأحمد فؤاد •

وسبب اعتقال أفراد هذه الجماعة هو تبليغ أحد ضباط إدارة المخابرات (جمال الدين جلال) الذى استعانوا به فى عملية تهريب سلاح للفلسطينيين عن طريق بور سعيد ، وذلك بعد اتصالهم بالحاج أمين الحسينى فى القاهرة ٠

ولم ينته اعتقال هذه المجموعة الى محاكمة عسكرية ، وانما انتهى الأمر الى الافراج عنهم وعودتهم الى أعمالهم ، واعفاء ابراهيم عطا الله من منصبه وتعيين اللواء عثمان المهدى بدلا منه ، كما عين محمد حيدر وزيرا للحربية ٠

وكان هذا التعيين مفاجأة للجيش ٠٠٠ اذ المعروف ان محمد حيدر ضابط من السجون ، وكان له تاريخ مشهور أثناء ثورة ١٩١٩ فى ضرب المتظاهرين ، وقد استاء من ذلك عدد ملحوظ من الضباط اذ وجدوا فى ذلك امتهانا لهم ، واتهاماً بعدم كفاءة أحد منهم لقيادة الجيش ٠

وكان تعيين محمد حيدر ربيب السراى وياور الملك خطوة لمزيد من السيطرة على الجيش ، التقت فى خطوة أخرى تمثلت فى احتواء عدد ــ وليس كل ــ الضباط الذين اعتقلوا فى حادث ابراهيم عطا الله وتشكيل تنظيم خاص لهم للدفاع عن الملك والسراى عرف باسم (الحرس الحديدى) ٠

ولم يكن هذا التنظيم خاضعا للحرس الملكى أو للجيش ، وانما كان تنظيما سريا خاصا يرتبط بالسراى عن طريق يوسف رشاد الطبيب البحرى وياور الملك ويضم من الجيش أحمد يوسف حبيب ومصطفى يوسف كمال صدقى وسيد جاد وعبد الرؤوف نور الدين وخالد فوزى وحسن فهمى عبد المجيد ٠

وينفى خالد فوزى انه كانت له صلة بالحرس الحديدى ٠٠ ولاشك انه كان الوحيد بين هؤلاء الذى انضم الى تنظيم الضباط الأحرار ، وكان له دور ايجابى معهم فى التحضير لحركة الجيش ٠

وقد بدأ (الحرس الحديدى) فور تكوينه يمارس عملياته الارهابية ٠٠٠ أطلق عبد الرؤوف نور الدين الرصاص ومعه أنور السادات على مصطفى النحاس يوم ٥ ابريل ١٩٤٨ من عربة من عربات القصر الملكى أحضرها اليوزباشى عبد الله صادق من مطافىء القصر كان يقودها حسن فهمى عبد المجيد فأخطأه رغم قرب المسافة ثم شرع مصطفى كمال صدقى وعبد الرؤوف نور الدين فى نسف منزله بسيارة حملت كمية كبيرة من المفرقعات يوم ٢٥ ابريل ٠ وكان ذلك نتيجة موقف النحاس باشا المتشدد فى المسالة الوطنية ، ورفضه لكافة محاولات التقرب من الوفد على غير أساس اجراء انتخابات جديدة ٠٠٠

واستمر هذا التنظيم يواصل عملياته الارهابية السرية ، ويتعرف على أخبار الضباط ليبلغها للسراى ويحاول ان يحيط الملك بهالة مضللة تقنع الناس بأنه يمكن تحقيق الاصلاح عن طريقه .

وكان يساند هذا (الحرس الحديدى) محمد حيدر وزير الحربية واسماعيل شيرين مدير ادارة شئون فلسطين وزوج الأميرة فوزية .

وهكذا انتهى الارهاب الذى اندفع اليه بعض الضباط ومعهم عدد من المثقفين بعد هزيمة النازية لاغتيال جنود الاحتلال الى أن أصبح أداة فى يد السراى للتخلص من أعدائها وأعداء الاستعمار فى نفس الوقت .

لم يستطع الارهاب أن يفرض نفسه داخل الجيش بعد أن وصل نشاط الحركة السياسية فى المجتمع الى ذروته وانعكس ذلك داخل الجيش أيضا ... وعندما تنمو الأفكار يذبل الارهاب ... ومع ذلك فان آثار الارهاب والاغتيال لم تنته تماما ، ولكنها حوصرت فى دائرة الحرس الحديدى والضباط الموالين للسراى .

ومع ذلك فانه فى لحظات اليأس من الموقف والرغبة الجارفة فى التغيير ، وضعف الثقة فى التنظيم ... كان الفكر الارهابى عند الضباط الوطنيين يعاود الظهور ، بل ويتحرك للتنفيذ أحيانا .. ولكنه لم يستطع أن يفرض نفسه سيدا للموقف كما سيأتى تفصيلا فيما بعد .

ثانيا ــ الاخوان المسلمون :

صلة الضباط بالاخوان تعود الى الحرب العالمية الثانية ، ولكنها لم تظهر كتيار رئيسى فى مجال الحركة السياسية بالجيش الا بعد انتهاء الحرب .

ولم تكن اتصالات الاخوان المسلمين مقتصرة على فرد أو افراد محدودين ... وانما كانت منتشرة مع أكبر عدد متاح لهم من الضباط .

ونظرة تاريخية الى حركة الجماعة قد تفيد .

تحول النشاط عند مجموعات الضباط التى أسقطتها هزيمة النازى فى حيرة شديدة الى البحث عن موقع جديد يواصلون منه نضالهم الوطنى .

طوال حكم الوفد خلال فترة ١٩٣٦ ــ ١٩٣٧ لم تتجاوز الجماعة حدود دعوتها الدينية ، ولم تظهر على المسرح السياسى بصورة سافرة الا بعد خروج الوفد عندما أصدرت مجلتها النذير السياسية عام ١٩٣٨ وقال أحمد حسين رئيس مصر الفتاة أثناء مرافعته فى قضية اغتيال محمود فهمى النقراشى بعد ذلك عام ١٩٤٩ ان حسن البنا وقادة الاخوان

كانوا قد اعتقلوا فى بداية الحرب العالمية ، الى ان حضر حامد جودة الوزير السعدى وقابل حسن البنا منفردا ثم تم الافراج عنه بعدها بأيام ... وقال كذلك ان عبد الرحمن عمار مدير الأمن العام كان عضوا فى الجماعة .

وكان حسن البنا مرشد الاخوان ذا شخصية نفاذة يجيد الخطابة ويحيط نفسه بهالة من الغموض تتيح له حسب لائحة الجماعة زعامة فردية مطلقة لا منازع له فيها .

يقول أنور السادات فى كتابه (أسرار الثورة المصرية) ان حسن البنا كان حريصا على ان يظل ما بينهما سرا خافيا (حتى على كبار الاخوان أنفسهم) .

وعقب اقالة الحكومة الوفدية فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ نشط (الأخوان المسلمون) نشاطا شديدا وصرحت لهم وزارة محمود فهمى النقراشي بعقد الاجتماعات والمؤتمرات الشعبية فى أواخر عام ١٩٤٥ بينما حرمتها على كافة الهيئات الأخرى .

وكان حسن البنا طموحا يبغى الاتصال بالملك ليخلق بين الاخوان والسراى نوعا من التعاون الوثيق .. ولجأ فى ذلك الى أنور السادات يوسطه - حسب روايته - ليطرق باب صديقه الدكتور يوسف رشاد ليمهد له مقابلة مع الملك .

وقد وجد عدد ملحوظ من الضباط فى هذه الجماعة مركز جاذبية لهم يختلف عن الأحزاب السياسية التى تعتمد على التنظيمات الجماهيرية المفتوحة ، حيث انه كان لهم تنظيم هرمى يقف المرشد على قمته ، ولهم تنظيم عسكرى خاص لا يخلط بين المدنيين والعسكريين كان يساعد المرشد فى الاشراف عليه ضابط مصرى سابق كان قد هاجر الى ألمانيا ثم عاد منها هو الصاغ محمود لبيب الذى اتصل بمعظم الضباط الذين جندوا فى الجماعة ، هذا الى جانب تنظيم الجهاز السرى الذى كان يصل اليه الموثوق فيهم وكان تحت اشراف عبد الرحمن السندى .

وفى الأيام الأخيرة لوزارة الوفد عام ١٩٤٤ استدعى فؤاد سراج الدين وزير الداخلية حسن البنا ، وأبلغه بأن الوزارة لاتسمح بخروج جوالة الاخوان لاستقباله على المحطات أو القيام بطوابير استعراضية له ... وكان فؤاد سراج الدين قد زار المركز العام للاخوان خلال الحرب عندما كانت جمعية معانة مثل الشبان المسلمين يحرصون على الظهور فى مظهر دينى - وكانت شعب الاخوان قد بلغت ما يزيد عن ٥٠٠ شعبة تقوم بمشروعات اجتماعية تحصل بها على اعانات من الدولة .

واستدعى مصطفى النحاس حسن البنا أثناء الحرب العالمية لمقابلته فى مينا هاوس حيث أقام فترة وحذره من الانغماس فى العمل السياسى وطلب منه الا يتجاوز حدود دعوته الدينية •

ولكن اقالة حكومة الوفد كانت نقطة بدء لتحرك الاخوان المسلمين ليس ضده فقط ••• ولكن ضد كافة التنظيمات الشيوعية والديموقراطية والاتجاهات الاشتراكية •

ووصلت ذروة المساندة لجماعة الاخوان المسلمين عندما تولى اسماعيل صدقى الوزارة بعد مذبحة كوبرى عباس ، ووجد فى الوفد كتلة صلبة لا تلين فى عدائها التقليدى التاريخى له منذ مطلع الثلاثينيات •• هرع اسماعيل صدقى عقب توليه الوزارة الى زيارة مركز الارشاد لجماعة الاخوان المسلمين فى الحلمية الجديدة ، ونسق سياسته معهم ، حتى أصبحوا من مروجى الدعاية له والمدافعين عن سياسته •

عندما كانت الجامعة فى عنفوان اشتعالها الوطنى وقف مصطفى مؤمن زعيم الاخوان فى الجامعة يعلق على وعود اسماعيل صدقى المعسولة بآية من القرآن « وأذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » •

وعندما شكلت (اللجنة التنفيذية العامة للطلبة) شكل الاخوان (لجنة الطلبة التنفيذية العليا) وعندما تكونت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة) التى قادت مظاهرات ٢١ فبراير ، أسرع الاخوان الى تشكيل (اللجنة القومية) وفيها ممثلون أيضا لمصر الفتاة والحزب الوطنى وحزب الفلاح الاشتراكى وجبهة مصر •• والتنظيمان الأخيران من التنظيمات الشكلية التى تعتبر لافتات بلا جماهير • وقد ساندت الحكومة هذه اللجنة واتفق على ان يكون محمد حسن العشماوى وزير المعارف ممثلا للحكومة فى هذه اللجنة •

ومع ذلك لم يستمر الأخوان طويلا فى عضوية (اللجنة القومية) التى شكلت فى مركز الاخوان ، بل أعلنوا عقب يوم ٤ مارس ١٩٤٦ — يوم الحداد العام — انهم يعتبرون أن اللجنة قد شكلت لاظهار شعور الأمة ، وأن مهمتها تعتبر قد انتهت بذلك ••• ولكن بقية أعضاء اللجنة أصروا على بقائها حتى تتحقق المطالب الوطنية بالجلاء والوحدة •

ورغم هذه المواقف السياسية الناشزة من الاخوان المسلمين فان اتصالهم بالضباط كان عريضا ومنتشرا لم يقتصر على أفراد محدودين ••• ضباط الطيران كانوا على اتصال بهم ••• وأنور السادات كان على صلة شخصية بحسن البنا الذى كان أول من أتاح له فرصة التعرف بعزيز

المصرى كما ورد فى كتابه (أسرار الثورة المصرية) ... وقد لعب عبد المنعم عبد الرؤوف قائد السرب الذى حاول الهرب مع عزيز المصرى دورا نشيطا فى هذا المجال استمر الى ما بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ... وخالد محيى الدين عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد قال انه كان عضوا فى الاخوان ومجموعته التى وصلت الى مستوى الانضمام للجهاز السرى العسكرى لهم كانت تضم البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ كمال الدين حسين ... ولم يكن الانضمام لهذا الجهاز السرى مفتوحا الا للخلصاء موضع الثقة ... وكانوا يقسمون يمين الاخلاص للدعوة فى غرفة مظلمة خالية بمنزل عتيق فى حى الصليبة ويد الضباط على مصحف ومسدس معا .

الظاهرة التى تستلفت النظر هى قيـام هذه المجمـوعة المنضمة للاخوان بعقد جلسات لتحضير الأرواح ... يقول ثروت عكاشـة وزير الثقافة فيما بعد أن مجمـوعة كانت تضـمه هو وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين كانت تعقد جلسات لتحضير الأرواح كل اسبوع بحضور الشيخ عبد الرحيم القنـاوى ، ويقول مجدى حسنين ان مجموعة أخرى كانت تضمه أيضا مع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر واللواء طبيب حسين رياض كانت تحضر الأرواح مع وسـيط آخـر هو الدكتور عزت خيرى الذى أصبح عميدا لكلية علوم جامعة القاهرة .

هكذا كانت الاخوان تضم أعدادا من الضباط ينتظمون فى جماعات تنتشر بينهم الأفكار الآتية :

١ ـ معاداة الحزبيـة بأشـكالها القائمة على اختلاف اتجاهاتها وأفكارها الاجتماعية ، مما رسب فى نفوسـهم روحا معادية للديموقراطية ... وكان الاخوان يعتمدون على شعار (الرسول زعيمنا) بمعنى الرفض الكامل للزعامات الشعبية القائمة .

٢ ـ التمسك بالغيبيات التى تنشر الضباب الفكرى وتحول دون انطلاق الرؤية الى آفاق جديدة كما يتضـح من تركيزهم على عقد جلسات لتحضير الأرواح يحضرها الضباط .

٣ ـ الانضباط التام للتنظيم والخضوع المطلق لشخصية المرشـد الذى كان يقف وحده بصلاحيات مطلقة على قمة التنظيم الشعبى والعسكرى السرى معـا .

٤ ـ تبنى مفاهيم عنصرية خاطئة لا ترتبط بالواقع بل تحرف الأنظار عما يدور فى المجتمع مثـل قول المرشد « ان الدور عليكم فى قيادة الأمم وسيادة الشعوب ، وتلك الأيام نداولها بين الناس » وهى ترديد بصورة أخرى لبعض الأفكار النازية العنصرية .

وكانت فرصة تجنيد الضباط لجماعة الاخوان متاحة أكثر من غيرها ... فالارهاب يحتاج الى جرأة وشجاعة وسرية وتعرض الذات للخطر ... كما أن التجنيد للتنظيمات اليسارية كان يتم فى سرية مطلقة فى وقت كانت كلمة (الاشتراكية) وحدها تكفى لالقاء الشبهات على الناطق بها ، وفتح أبواب المعتقلات له فى أول فرصة مناسبة .

ومنع تدفق الضباط على تنظيم الاخوان وكثرة عدد الذين ارتبطوا به ، فان كثيرا منهم لم يجدوا فى الاخوان ما يرضى نزعاتهم الوطنية الايجابية ، ولم يجدوا اجابة وافية مقنعة على أسئلتهم واستفساراتهم ، كما سيتضح فى مسار الحركة السياسية بعد ذلك .

ثالثا ـ التنظيمات اليسارية :

التنظيمات اليسارية لم تعاود نشاطها فى مصر بعد ضرب الحزب الشيوعى المصرى عام ١٩٢٤ ، وحل تنظيماته ومطاردة وسجن أعضائه الا خلال الحرب العالمية الثانية بعد الانفراجة السياسية التى صحبت تحالف الاتحاد السوفييتى مع بريطانيا والولايات المتحدة فى حربهم المشتركة ضد محور النازية والفاشية .

وتشكلت عدة تنظيمات جديدة ...

(اسكرا) وهى كلمة روسية تعنى (الشرارة) بالعربية وكانت واجهتها العلنية دار الأبحاث العلمية .

(طليعة العمال) هى تنظيم سرى أصدر مجلة (الفجر الجديد) وعمل فى أوساط الطلبة والعمال .. كانت له داران للنشر هما دار القرن العشرين ولجنة نشر الثقافة الحديثة ... وكانوا على صلة وثيقة بالشباب الوفدى ..

(الحركة المصرية للتحرر الوطنى) كانت أكثر الحركات الشيوعية ارتباطا بالواقع وانتشارا بين التجمعات الجماهيرية ، وكانت لها صحيفة (أم درمان) العلنية .

وقد حدث اندماج عام ١٩٤٧ بين (اسكرا) والحركة المصرية للتحرر الوطنى فى تنظيم سرى باسم (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) أو حدتو .

وكانت الأفكار اليسارية التى حرصت هذه التنظيمات على نشرها فى صفوف العمال والطلبة والمثقفين ، قد بدأت تمثل مركز جاذبية ملحوظة حتى لعدد من الضباط الذين بهرتهم الأفكار والتنظيمات النازية فى المرحلة السابقة لهزيمة المحور .

اتصل عبد اللطيف بغدادى ومجموعة الطيران ضمن اتصـــالاتهم المتعددة مع (جمعية الرياضة وأوقات الفراغ) التى أسسها جسنى العراقى أحد الأعضـــاء السابقين فى الحزب الشيوعى المصرى القديم ، ولكنهـــم لم يستقروا بها لانها لم تشبع رغبتهم فى العمل والحركة ٠

كما حدث اتصال بين هذه المجموعة وبين ميكانيكية الطيران الذين بدأ انتشار الأفكار الماركسية فى الجيش بينهم ٠٠ ولكن لم يحدث اندماج تنظيمى نتيجة فروق الرتبة والاتجاهات الطبقية والميول الفكرية المتنافرة بين الضباط وصف الضباط ٠

كانت الصلة قد بدأت بين (الحركة المصرية للتحرر الوطنى) وبين صف الضباط المتخرجين من مدرسة ميكانيكا الطيران ، والتى كانت قـــد فتحت أبوابها كمدرسة جديدة بعد المعاهدة عام ١٩٣٧ ودخلها فى الدفعة الأولى ٩٠ طالبا حاصلين على شهادات الكفاءة أو البكالوريـــا أو الفنـــون والصنايع نظام الخمس سنوات ٠

تم اجتذاب الطلبة والخريجين خلال مطالب اقتصادية بدأت بالمطالبة بأن تتـــاح فرصة الترقى لرتبة طيار من ضباط الصف ، وقد عارض ذلك معارضة شديدة الطيارون القدامى ٠٠٠ ولكن تحقق ذلك بالنسبة للدفعة الخامسة مما أثار خريجى الدفع السابقة مطالبين بمساواتهم بنظام الدفعة الخامسة التى كانت دراستها تمتـــد خمس سنين ، مـــع المطالبـــة بتغيير اللبـــاس ٠

كان قادة هذا النشاط من المنضمين سرا الى الحركة المصرية للتحرر الوطنى وبدأوا حركتهم بعمل برنامج يحقق المطالب الوطنية والاقتصادية ، وكونوا تنظيما سريا من ٤٢ شخصا بحيث يمثل كل سرب أو قسم اثنان من المندوبين ، وتكونت لجنة تفيذية عليا من ١١ شخصا كان النفوذ الرئيسى فيها المشيوعيين ٠

ولم يقتصر نشاط هذه المجموعة على سلاح الطيران وانما امتد أيضا الى ميكانيكية سلاح الصيانة ثم الطيران المدنى ٠٠٠ وعندما تحققت مطالب ميكانيكية سلاح الطيران فيما يتعلق باللباس والمساواة ، ارتفعت معنويات زملائهم فى سلاح الصيانة ، وتحرك ٦٠٠٠ طالب وخريج منهم متوجهين الى قصر عابدين ٠٠ ولكنهم صرفوهم على وعد بتحقيق مطالبهم ، ثم اعتقلوا بعضهم ٠

وانتشر هـــذا النشاط حتى وصـــل الى خريجى مدرســـة الكتاب العسكريين والموسيقيين ٠٠٠ ووجدت الأفكار اليسارية مجالا للانتشار بعد

هزيمة رومل فى العلمين وظهور الاتحاد السوفييتى كقوة حربية وسياسية هائلة .

والملاحظ أن نشاط الاخوان كان مركزا على صغار الضباط ، ونشاط الشيوعيين كان مركزا على الميكانيكية وضباط الصف ولم يكونوا قد وصلوا بعد فى هذه المرحلة الى صفوف الضباط ، كما أن السراى كانت تواصل اعتمادها على كبار الضباط الذين خمدت عندهم طاقة الحماسة الوطنية وارتضوا التبعية للسراى والاستعمار ...

وكان موازيا لهذه الحركات فى صفوف الجيش المصرى ، حركات أخرى فى صفوف الجيش اليونانى المعسكر فى مصر ... وكانت اليونان تحت دكتاتورية الجنرال ميتكساس منذ عام ١٩٣٦ ، ولذا كان الحزب الشيوعى اليونانى هو الذى يتولى قيادة الكفاح السرى المسلح فى اليونان ... وتشكلت جبهة التحرير الوطنى (أيام FAM) فى خريف ١٩٤١ ، وتشكل جيش التحرير الشعبى (ايلاس) فى ربيع ١٩٤٢ .

وكانت اليونان بالنسبة للحلفاء نعجة من النعاج السوداء لديكتاتوريتها السابقة ، ولكن الملك ورئيس وزرائه فى المنفى ايمانويل تسودوروس أعلنا أن اليونان حكومة ديمقراطية تحكمها ملكية دستورية .

ومع ذلك ظلت (أيام وايلاس) تهاجمان الملك باعتباره عدوا للشعب اليونانى ، وممثلا لعصبة فاشية ، وامتلأت جدران الشوارع فى القاهرة والاسكندرية بكتابات يونانية وعربية تعلن شعارات المنظمتين ، وأخذت احدى المجلات اليونانية هذا الاتجاه الذى عارضته القوات البريطانية فى مصر لما استشعرته فيه من خطر ، وخاصة بعد ان حدثت اتصالات سياسية بين القوى اليسارية الناشئة فى مصر « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » والقوى اليسارية اليونانية فى مصر .

وفى الوقت الذى كان البريطانيون يقدمون فيه أقصى مساعدة لأيام وايلاس فى اليونان ، بدأوا هجوما على فروعهما فى مصر .. وحدثت فى مصر عدة تمردات فى صفوف الجيش اليونانى .

حدث تمرد فى معسكرهم بمينا هاوس واحتل الكولونيل نيكولامندس مقر قيادتهم فى شارع قصر العينى .. وتمرد اللواء الذى كان معدا للحركة فى ايطاليا ، وأعلنت خمس مراكب بحرية ولاءها للجمهورية ، وكذا بعض وحدات الطيران ...

وتمرد البحارة التجاريون لمدة ثلاثة أسابيع فى الاسكندرية ... ولكن القوات البريطانية استطاعت قمع هذه التمردات ومحاكمة المسئولين

عنها ••• وكانت الحرب الأهلية قد ظهرت بوادرها في اليونان عندما أصدر تشرشل يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٤٣ قرارا بتجهيز ٥٠٠٠ عسكري بريطاني لتولية الملك جورج على عرشه •

وكان اليساريون في صفوف الجيش المصري على صلة بهذه الحركات يقدمون لها المساعدة ويتخذون منها مادة للاثارة والهجوم على البريطانيين دون أن يتورطوا في تأييد النازيين •

وخلال هذه الحركات السرية النشطة داخل الجيش ، التفطت التنظيمات السرية عددا من الضباط في الفترة التى اعقبت الحرب مباشرة وكنت أول ضابط مصرى تتاح له فرصة الانضمام لهذه التنظيمات ، والعمل فى مجموعة واحدة مع صف ضباط الطيران وغيرهم ، وانفتح بذلك مجال لتجنيد عدد من الضباط ليصبحوا ماركسيين •

وكان التجنيد للتنظيمات اليسارية داخل الجيش عملا شديد الصعوبة بالغ التعقيد معرضا فى ذاته لأخطار العصف به من القوى الرجعية المتربصة بأى نشاط تقدمى وخاصة فى صفوف الجيش •

ومع ذلك فان حيرة الضباط الوطنيين بعد هزيمة النازية ، وعجز الاخوان المسلمين عن ارضاء نفوسهم بالاجابة الوافية على أسئلتهم واستفساراتهم ، وحركة المد الثورى التى انطلقت فى المجامع وتمثلت فى حركة المظاهرات والاضرابات المتزايدة ، وادانة الارهاب من أصحاب الضمائر الوطنية والأفكار السليمة ، الى جانب السمعة الطيبة التى احرزتها الحركات المسلحة السوفيتية خلال الحرب والتأييد الواضح المعلن من جانب الدول الاشتراكية لقضيتنا فى هيئة الأمم وخارجها ••• مع توافر التصور الفكرى الواضح لمشاكل المجتمع ووجود اجابة وافية عميقة على تساؤلات الضباط ، الى جانب الثقافة الملحوظة التى يتميز بها اليساريون الذين يعتمدون فى حركتهم على عقولهم وأفكارهم ••• دون الاعتماد على العضلات أو الغيبيات •

كل هذه العوامل مجتمعة كانت تجعل من التجنيد للتنظيمات اليسارية أمرا ممكنا رغم خطورة ذلك فى صفوف الجيش ، الا انه لا يمكن مقارنة نسبة التجنيد لهذه التنظيمات بنسبة التجنيد للاخوان المسلمين مثلا •

الأمر عندالاخوان لم يكن يحتاج الى تغيير الأفكار والمعتقدات القديمة ، والقسم على مصحف ومسدس كان كافيا لضم العضو الجديد ••• أما فى التنظيمات اليسارية فان الأمر كان يحتاج الى مباراة فكرية تهتز فيها الأفكار القديمة الثابتة لتشرق الأفكار الجديدة النامية •••

والانضمام للاخوان لم يكن يعرض الضابط لخطر الارهاب البوليسى ، بينما الانضمام للتنظيمات السرية اليسارية كان يضع الضابط فى مركز خطر شديد لا يملك سلاحا لحماية نفسه به الا السرية والأمان •

وخلال هذه الفترة أمكن خلق نواة من صف الضباط والضباط اليساريين فى صفوف الجيش ، يصدرون منشورات تلاحق الأحداث وتفسرها وتنقد ما فيها من أخطاء ••• وكانت تصدر بتوقيع (رجال الجيش) •

ولم يحدث أن تعرضت هذه التنظيمات لكشف السلطة لها ومحاولة العصف بها الا فى سلاح الطيران عندما اشتدت موجة المطالبات الاقتصادية وما كشفته من اتجاهات سياسية أدت الى نفى ٤٠ صف ضابط الى سيوة •

وكانت الأحداث السياسية قد بدأت اتجاها جديدا مؤثرا ••• كانت له انعكاسات هامة أيضا فى صفوف القوى العاملة داخل الجيش •

استقال اسماعيل صدقى وتولى محمود فهمى النقراشى رئاسة الوزارة بعد توقف المفاوضات •

واستغلت الحكومة قرار البريطانيين بالانسحاب الى منطقة القناة لتهدئة الخواطر ومنع الاحتكاك مع المصريين ، فأقامت احتفالات لرفع العلم المصرى على القلعة وثكنات قصر النيل وغيرها ، ولكن المظاهرات والاضرابات لم تتوقف للكشف عن طريقة (الجلاء الجزئى) والضغط على الحكومة لالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ واللجوء الى مجلس الأمن •

وقدمت الحكومة عريضة المسائل المصرية الى مجلس الأمن يوم ١٣ يوليو بعد ثمانية شهور من توليها الحكم وبعد يوم واحد من فض الدورة البرلمانية تفاديا لمواجهة المعارضة •

وسافر النقراشى الى نيويورك يوم ٢٢ يوليو ١٩٤٧ وعرض القضية المصرية بطريقة عبرت عنها صحيفة التايمز البريطانية « النقراشى يسير سفينته بشراع المعارضة » وركزت الدعاية على قوله « أيها القراصنة أخرجوا من بلادنا » •

أيد مصر فى مجلس الأمن ثلاثة مندوبين ، المندوب السورى فارس الخورى والمندوب السوفييتى اندريه جروميكو والمندوب البولندى أوسكار لانج ، ووقفت فرنسا ضد مصر خوفا من اشتعال الحركة الوطنية فى شمال أفريقيا ضد فرنسا ، بينما وقفت الحكومة الأمريكية موقفا عبرت عنه صحيفة نيويورك تايمز بقولها انها « ليست مستعدة لتأييد مطالب مصر

او جلاء الانجليز عنها ولا الى التصويت ضدها وان مصلحتها تأجيل البت فى النزاع » •

وقد كشف عرض القضية المصرية على مجلس الأمن حقيقة اتجاهات الدول الكبرى بطريقة عملية ••• ارتفعت أصوات فى مصر تطالب بصداقة الاتحاد السوفيتى الذى وقف معنا ، ومثال ذلك مصر الفتاة التى غيرت موقفها بعد ان كان أحمد حسين قد سافر الى الولايات المتحدة فى بداية ١٩٤٧ والقى تصريحات تؤيد السياسة الأمريكية وتؤيد مبدأ ترومان : الذى كان يقضى بالتدخل فى شئون ايران واليونان وتركيا ، وهى الدول المجاورة للاتحاد السوفيتى •

وارسل برقية الى ترومان من ألف كلمة يهنئه فيها بقرار مساعدة تركيا واليونان ، ويرحب فيها باهتمامه بالشرق الأوسط ويقول له « ان السياسة الأمريكية لمقاومة الشيوعية يجب أن تشمل مصر وهى لا تطلب مالا بل تطلب الحرية فانها اذا حصلت على استقلالها ووحدتها مع السودان ستكون سدا منيعا ضد الشيوعية » •

ولكن موقف مجلس الأمن كان تجربة بددت أوهام أحمد حسين فى صداقة الولايات المتحدة لمصر مما جعله يخفف حملته ضد الدول الشيوعية ويذهب بنفسه الى السفارة السوفيتية والبولندية ضمن الوفود التى توافدت عليهما للشكر ••• وكذلك حافظ رمضان زعيم الحزب الوطنى المعروف بمواقفه المحافظة أصدر بيانا يطلب فيه ان توثق مصر علاقاتها مع الدول التى ساندتنا فى مجلس الأمن •

وكان محمـود فهمى النقراشى قد طلب من الولايات المتحـدة وهو بنيويورك أن تمنحه قرضا ومساعدات إقتصادية فلم تجبه ، وطلب اليها أن تمد الجيش المصرى بخبراء عسكريين فكان الجواب آنه ليست لديهم خطة حول هذا الموضوع •

وأمام غموض الموقف السياسى انفجرت المظاهرات الشعبية فى ٢٢ أغسطس ونادى الوفد بالحياد ، وظهرت الدعوة الى الكفاح المسلح برفع شعار (الجلاء بالدماء) وزادت اضرابات العمل زيادة ملحوظة من سبتمبر ١٩٤٧ ، وصلت الى ذروتها عندما أضرب عمال شركـة الغزل والنسيـج بالمحلة الكبرى البالغ عددهم ٢٦٫٠٠٠ عامل واطلق البوليس عليهم الرصاص فقتل آربعة عمال وأصاب ٢٠٠ وشبت بعض الحرائق قـدرت الصحف خسائرها بنحو ٢٠٫٠٠٠ جنيه •

واستدعى الجيش للتدخل فحاصرت قواته المصنع ورابطت عرباته المصفحة بجوار المرافق العامة ، ولكنه كما حدث عام ١٩٤٦ لم يشتبك مع العمال باطلاق الرصاص ٠٠٠ أو لم يطلب منه الدخول فى هذا الاختبار ٠

وفى ٢٦ سبتمبر أضرب عمال الشركة الأهلية للغزل بالاسكندرية واعتصموا بمصنعى الشركة ، وأرسلت اليهم قوات من الجيش أيضا ، وأعلنت حالة الطوارىء فى الاسكندرية ٠

وأضرب عمال شبرا الخيمة تضامنا مع زملائهم وخرجوا فى مظاهرة كبيرة منعتها قوات البوليس من دخول القاهرة ٠

توالت حركات الاضراب حتى أصبحت أبرز ظواهر هذا العام وبداية عام ١٩٤٨ فقد أضرب مدرسو التعليم الحر ، وموظفو التلغراف وامتنع نظار ومعاونو السكة الحديد عن العمل ، وأضرب المدرسون عن تصحيح أوراق الامتحانات ، وأضرب خريجو المدارس الثانوية الصناعية فى مسابك السكة الحديد ببولاق وورش أبو زعبل ، والممرضون بالقصر العينى حيث قتل سليم زكى حكمدار العاصمة ٠

وتعددت اضرابات الطوائف وتصاعدت موجتها حتى وصلت الى غايتها عندما أضرب رجال البوليس أنفسهم مطالبين بمساواة العسكريين منهم برجال الجيش ومساواة الاداريين منهم برجال القضاء ، وقدموا بذلك عدة مذكرات لم يحصلوا منها على جواب فاجتمعوا بناديهم فى حديقة الأزبكية يوم ١٣ أكتوبر ١٩٤٧ وقرروا الامتناع عن العمل يوم ١٥ أكتوبر حتى تجاب مطالبهم وقرروا تسجيل أسمائهم فى قصر عابدين حتى لا يتهمون بالتمرد السياسى ٠

وفى صباح ذلك اليوم أعلنت الحكومة حالة الطوارىء كمحاولة منها لمنع الاضراب ولكن ضباط القاهرة تركوا مكاتبهم وغادروا أقسام البوليس واجتمع ٥٠٠ منهم بالنادى ووصلتهم برقيات تأييد من ١٧٧٢ ضابطا بالأقاليم ٠٠٠ وقرر ضباط الاسكندرية النوم فى ناديهم ٠

وبعد مقابلة الملك لعدد من مندوبى الضباط عدل الضباط عن الاضراب ، ولكن الحكومة شتتت قادتهم ونقلتهم الى الأقاليم وأحالت بعضهم الى الاستيداع ٠

ولم يؤثر ذلك استمرار حركة ضباط البوليس اذ اجتمعوا بناديهم فى مارس ١٩٤٨ وقرروا أن يكون ١٥ ابريل موعدا لنهاية مدة الانتظار لاجابة مطالبهم مع المطالبة باعادة المنقولين والمحالين الى الاستيداع ٠

وفى اليوم المحدد للاضراب احتشد ضباط البوليس فى ناديهم يحاصرهم ضباط الجيش الذى كان مجلس الوزراء قد قرر أن يحتلوا أقسام البوليس ويقوموا بحفظ النظام ٠

تضامن الصولات والكونستبلات وعساكر البوليس مع ضباطهم ، وعندما حاول رجال الحرس الجمركي فى الاسكندرية الخروج فى شبه مظاهرة اصطدمت بهم قوات الجيش وقتل ثلاثة منهم واصيب ٢٧ ٠

وحدث صدام آخر اطلق فيه الجيش الرصاص على المظاهرات التى خرجت فى الاسكندرية تضم العمال والطلبة وجنود البوليس وقد رفع بعضهم ارغفة الخبز فوق بنادقهم ، وعندما امتلأ بهم ميدان المنشية أطلق الجيش عليهم الرصاص ، وجاء رد الفعل فى صورة حرائق صغيرة بقسمى الجمرك والميناء واحترقت ١٥ عربة ترام وبعض المحال ودور السينما وقتل ٢٧ شخصا منهم ٧ من جنود البوليس ٠٠٠

واصدرت الحكومة قرارا بمنع التجول فى الاسكندرية من السابعة مساء ، وسافر النقراشى الى الاسكندرية بعد أن اتخذ مجلس الوزراء قرارا بفصل كل من لا يعود الى عمله فى اليوم التالى مع تقديم المحرضين الى المحاكمة العسكرية ومنع النشر عن أخبار هذا اليوم وصودرت الصحف ٠

وكان هذا الاضراب فى صورته التى تم بها تعبيرا عن التفسخ الذى وصلت اليه الحالة ، وعجز الحكومة عن مجابهة الأمور ٠

وكانت الطلقات التى خرجت من بنادق الجيش ضد جنود البوليس أو مظاهرات الشعب دليلا على أن الخطر قد وصل فعلا الى حد تهديد النظام نفسه اجتماعيا وسياسيا ٠

ولم يكن الجيش نفسه بعيدا عن التأثير بهذه الحركات السياسية ـ مشروع صدقى بيفن ـ فشل القضية فى مجلس الأمن ـ عجز الحكومة عن مجابهة الموقف ـ تصاعد الاضرابات والمظاهرات ٠

وكان أمرا خطيرا أن يصل انفعال الجيش بحركات الجماهير الى الذروة ، لأنه يعنى فى مضمونه احتمال انفجار ثورة شعبية لا تخمدها قوة مسلحة خاضعة للسلطة الحاكمة ٠

كانت هذه الفترة من امجد فترات نضال الشعب المصرى فى حركة سياسية واجتماعية مشتركة ٠٠ وفى تناسق ناشىء بين الشعب والجيش ٠

ولم يكن منتظرا أن تصاب السلطة الحاكمة ومن ورائها الاستعمار بشلل مفاجيء ... بل كان أمرا منتظرا وطبيعيا أن يحدث تدبير ما يجهض هذه الانتفاضات الشعبية ، ينهى رد فعلها فى صفوف الوطنيين بالجيش .

وكانت قضية فلسطين .

الفصل الخامس

حرب فلسطين ١٩٤٨

(انى متفائل ونحن نعرف قوة اليهود ، وأنا احب اطمئنك الى أن الانجليز هم الذين شجعونى على ذلك) •

محمود فهمى النقراشى لفؤاد سراج الدين
فى مجلس الشيوخ يوم ١٢ مايو ١٩٤٨

طلب ترومان رئيس الولايات المتحدة من الحكومة البريطانية فى أكتوبر ١٩٤٥ فتح أبواب فلسطين فى الحال لدخول مائة الف مهاجر يهودى ••• وقد أذعنت الحكومة البريطانية لذلك نتيجة أزمتها الاقتصادية واعتمادها على الولايات المتحدة لاعادة بناء ما خلفته الحرب العالمية الثانية ، ولكنها رأت اشراك الأمريكيين معها فى تنفيذ سياسة التوسع فى تهجير اليهود وذلك حتى لا تتحمل وحدها مسئولية ذلك أمام جماهير الأمة العربية ، فى الوقت الذى ستفيد منه الولايات المتحدة حيث زاد نفوذ اليهود الأمريكيين داخل الحركة الصهيونية حسب ما ورد فى مذكرات وايزمان •

وكان من أهم جوانب هجوم تشرشل زعيم حزب المحافظين البريطانى على سياسة بيفن فى تصريحه بالجلاء عن مصر سنة ١٩٤٦ أن هذا الجلاء

يقضى بالبقاء فى فلسطين الأمر الذى يبعد امكانيات الاتفاق بين بريطانيا وأمريكا ، ومع فشل مشروع صدقي بيفن فى أواخر ١٩٤٧ وضح أن اتفاقا قد تم على أن تترك فلسطين للولايات المتحدة من خلال تمكين الصهيونية فيها على ان يستمر بقاء الانجليز فى مصر ٠

وفى خريف ١٩٤٧ أعلنت بريطانيا عزمها على انهاء الانتداب عن فلسطين فى ١٤ مايو ١٩٤٨، وعرضت الأمر على الأمم المتحدة التى أصدرت قرارها بتقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ٠

وقد صدر هذا القرار فى وقت كانت الحركة الوطنية فيه ملتهبة فى مصر ، واضرابات الطوائف ومظاهرات الطلبة والعمال تتزايد ، وحركات الارهاب ضد البريطانيين وعملائهم تتجسد ٠

وكانت قضية فلسطين تشغل بال الرأى العام المصرى ، ولكنها كانت تأتى بالتأكيد بعد قضية الجلاء والوحدة مع السودان والديمقراطية ٠

ولكن بعض التنظيمات السياسية مثل الاخوان المسلمين ومصر الفتاة دفعت بهذه القضية الى المقدمة وجعلت منها موضوعها الرئيسى ودعت الى الكفاح المسلح ضد الصهيونية ، ونظرت الى فلسطين كمجال لحرب مقدسة وطنية ودينية ٠٠٠ وأخذت جماهير هذه التنظيمات تتظاهر وتعتدى على بعض اليهود المقيمين فى مصر ٠٠٠ وارتفعت دعوة التطوع للقتال وسافر أحمد حسين رئيس مصر الفتاة الى سوريا ، وألف الاخوان المسلمون كتائب الجهاد ٠

وكان حسن البنا قد وجد فى قضية فلسطين فرصة لمضاعفة نشاط جماعته خارج مصر ، فاكتسب تأييد أمين الحسينى مفتى فلسطين ، واتصل بحكام البلاد العربية وملوكها ، وشجعه على ذلك أمين الجامعة العربية عبد الرحمن عزام ٠

وعندما رفضت وزارة النقراشى السماح لهم بادخال أفواج المتطوعين الى صحراء النقب تسللوا عبر سيناء وانضم البعض منهم للجامعة العربية التى شكلت منهم ثلاث كتائب ، وقد بدأ قتالهم الفعلى فى فبراير ١٩٤٨ فى وقت كانت الاضرابات والمظاهرات الوطنية فى مصر من أجل الجلاء قد بلغت الذروة ٠

أما سياسة الوفد فكانت حسب تصريح لمصطفى النحاس الى جريدة الأيام السورية تؤيد ان تكون فلسطين لأهلها مسلمين أو نصارى أو يهودا ولكنه لا يقبل أن تكون وطنا قوميا للصهيونية ، وقال انه أعلن ذلك فى بروتوكول الاسكندرية الذى صدر عام ١٩٤٤ بانشاء الجامعة العربية ٠٠٠

وقد عارض الوفد بوضوح تقسيم فلسطين ولكنه لم يدع الى الكفاح المسلح أو انشاء الكتائب أو دخول الجيش المصرى للحرب واكتفى بأسلوبه التقليدى فى النضال الجماهيرى .

أما الحركات الماركسية وهى (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى) (طليعة العمال والفلاحين) فقد اتخذت موقف العداء للصهيونية ودعت الى مقاومتها وكشف ارتباطها بالاستعمار الأمريكى ، وشجعت اليهود المعادين للصهيونية الذين انتظمتهم (رابطة الاسرائيليين لمكافحة الصهيونية) و (الحركة المضادة للصهيونية) والتى نادت بالقضاء على الحركة الصهيونية والوقوف ضد هجرة اليهود من مصر وتأكيد ارتباطهم بمصالح الشعب المصرى وكفاحه الوطنى .

وعندما صدر قرار التقسيم عارضته (طليعة العمال والفلاحين) وأيدته (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى) مبررة ذلك بقولها « اننا لا نريد أن ننزع فلسطين من العرب ونعطيها لليهود بل ننزعها من الاستعمار ونعطيها للعرب واليهود ، ولا نوافق على التقسيم الا مضطرين كأساس لاستقلال فلسطين ثم يبدأ كفاح طويل للتقريب بين وجهات النظر فى الدولتين العربية واليهودية » .

وقد عارضت (حدتو) الدعوة المحمومة لدخول حرب دينية موضحة انه لن يفيد منها سوى المستعمر منادية كما جاء فى مجلتها الجماهير (لنوجه السلاح الى الاستعمارفى فايد وقنال السويس والسودان فلن يمكن تحرير فلسطين وظهورنا مكشوفة للعدو) وجاء فى بيان للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى «ان الضمان الوحيد لوحدة فلسطين هو العمل على ايجاد جو من الالفة والثقة المتبادلة بين الجماهير الكادحة العربية واليهودية ، وانه اذا كان قد اتخذ قرار التقسيم فان طريق توحيد الدولتين هو طرد الاستعمار » وعلق البيان على موقف الحكومات العربية قائلا انها تهدف الى « وقف تيار الحركات الوطنية الصاعدة وتحويل حربنا المقدسة ضد الاستعمار الى حرب عنصرية دينية تدعم مركز الاستعمار وانه يرمى الى صرف أنظار الجماهير الكادحة عن الكفاح فى سبيل مستوى معيشتها الى أمر خارجى ينسيها هذا الكفاح » . ولكن هذا الموقف لم يجد استجابة لدى الجماهير أمام تيار الدعاية الذى شنته تنظيمات الاخوان المسلمين ومصر الفتاة وساندتهم فيه الجامعة العربية ، وموقف الوفد المتحفظ من القضية وخاصة بعد اقرار الأمم المتحدة لمشروع التقسيم .

وكان تيار التطوع يزداد تدفقا ... كتائب الجامعة العربية تسللت الى فلسطين تحت قيادة القائمقام أحمد عبد العزيز ومعه كمال الدين حسين

عضو مجلس الثورة فيما بعد وعدد من الضباط كانوا جميعا من المنتمين الى الاخوان المسلمين ٠

وقد كان مجمال عبد الناصر رأى فى التطوع أوضحه لوجيه خليل أحد الضباط الوطنيين الذين سعوا الى العمل التنظيمى خلال الحرب العالمية ثم استشهد فى فلسطين اذ طلب منه تأجيل ذلك حتى يدرس الأمر على مستوى الدولة كلها ٠٠

وأما مجموعة الطيران فقد اتصلت بفوزى القاوقجى قائد جيش التحرير السورى عن طريق عبد اللطيف بغدادى الذى ابدى استعداده للتعاون معه بعد أن رفضت الحكومة المصرية تطوع الطيارين عن طريق الهرب الى سوريا بطائرات مقاتلة ٠٠٠ ولم يكن فى سوريا وقتئذ سلاح للطيران ، ولا مطار سرى يصلح للهبوط ٠

وقال فوزى القاوقجى انه سوف يحتاج لهم فى المعركة الفاصلة ٠ وسافر حسن ابراهيم عضو مجلس الثورة فيما بعد وزكريا سليمان وهو فنى تسليح حيث قابلا وزير الدفاع السورى وانشىء مطار سرى شرق دمشق بستين كيلو ٠٠٠ وانتدب القاوقجى شابا كان قد تدرب فى المانيا ليكون ضابط اتصال مع الطيارين المصريين ، ولقد حضر الى مصر مع جهاز لاسلكى وشفرة خاصة ٠

وطال انتظار الطيارين المصريين طويلا فلم يتصل بهم فوزى القاوقجى حتى قامت الحرب فعلا ، بعد ان جندوا ١٥ طائرة سبتفير صالحة للقتال ٠

٠ وكانت فكرة التطوع تجد لها انصارا كثيرين فى الجيش من بينهم محمد نجيب الذى آمن بأن الوسيلة المثلى للقتال فى فلسطين لا تكون الا باستخدام حرب العصابات ٠٠٠ وفى هذه الفترة اصدرت كتابا كان الأول من نوعه فى العربية عن (حرب العصابات) ٠

ولم يكن لجوء النقراشى للقوة المسلحة ودخول الحرب أمرا واردا حتى يوم ١١ مايو ١٩٤٨ عندما تغير رأيه فجأة (بين عشية وضحاها) على حسب تعبير الدكتور محمد حسين هيكل رئيس مجلس الشيوخ فى كتابه (مذكرات فى السياسة المصرية) وطلب فى ١٢ مايو عقد البرلمان فى جلسة سريعة لطلب دخول القوات المسلحة أرض فلسطين ٠

كان هذا التغيير المفاجىء فى موقف النقراشى مثيرا للانتباه والدهشة ٠٠٠ وقد سأله فؤاد سراج الدين زعيم المعارضة الوفدية فى مجلس الشيوخ عما اذا كان قد قدر موقف الانجليز ووعد بلفور وعن احتمالات طعنهم لجيشنا من الخلف ٠٠٠ فكان جواب النقراشى له « اننى متفائل ونحن

نعرف قوة اليهود تماما ، وأنا أحب أطمئنك الى أن الانجليز أيضا هم الذين شجعونى على ذلك » .

واعترض أيضا اسماعيل صدقى على دخول الجيش لأنه غير مستعد من الناحية العسكرية ولكن النقراشى أكد انها نزهة للجيش .

ولم يكن الملك أقل تحمسا للقتال من غيره ... بل انه بادر بتحريك الجيش قبل موافقة البرلمان عن طريق اعطاء الأوامر لمحمد حيدر وزير الدفاع دون علم رئيس الوزراء ... وأدلى الملك فى اليوم السابق لعرض الأمر على البرلمان بحديث الى مراسل اليونايتدبرس تجاوز به حدود اختصاصاته الدستورية وقال أنه سيمد العرب بكل مساعدة عسكرية ومالية واقتصادية وانه لن يقبل قيام دولة صهيونية على حدود مصر ولذا فلابد من استعمال القوة .

اتخذ القرار فى لهفة وعجلة ودون دراسة متروية فى وقت كان الجيش المصرى فيه مازال يعانى من نقص التسليح فلم تكن بريطانيا قد أمدته بالأسلحة التى طلبها بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ ، وكانت بريطانيا قد امتنعت عن تصدير الأسلحة اللازمة نتيجة الوضع الدولى واندلاع الحرب العالمية الثانية ولم تستأنف المفاوضات حول هذا الموضوع الا عام ١٩٤٦ حيث قطعت مرة أخرى بسبب الموقف الداخلى .

كان الجيش المصرى حتى هذه الفترة بعيدا عن تنظيم المعركة ... فلم يكن قد عرف نظام التشكيلات بعد . أى كان أسلحة منفصلة لا تنسيق فيها ولا تجميع للقتال ... وكان التدريب قاصرا ومتخلفا عن مناورات المعركة .

ولم تكن طوابير الجيش تشاهد الا فى المحمل والجنازات ... وكانت هذه الحقيقة يدركها كل ضباط الجيش ، ولكن الدعاية الجارفة أشعلت الحماس للقتال ، وجعلت رجال الجيش يقبلون على المعركة فى البداية بروح معنوية عالية .

حدث فى سلاح الطيران ان جمع اللواء شعراوى قائد السلاح ميكانيكية السلاح الجوى ليمهد لهم دخول الحرب ... وتساءل بعضهم عما اذا كانت المناقشة حرة فلما أجاب بالايجاب ، وقال له بعض الحاضرين ان سلاح الطيران تحت يد رجال البعثة البريطانية بطريقة عملية وانه لن تتوافر للمصريين حرية الحركة ، كما أن هناك تناقضا بين وجود القوات المصرية فى سيناء ومن خلفهم القوات البريطانية ... ووجد هذا الرأى موافقة شبه جماعية ...

ولكن ذلك لم يحل دون دخول الجيش أرض فلسطين يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ ٠

وكان فى هذا الموقف انقاذ لنظام الحكم الذى كان يجابه المشاكل الآتية : ـ

١ ـ القضية الوطنية معلقة بعد فشل المفاوضات وفشل اللجوء لمجلس الأمن والسياسة الاستعمارية تعمل على فصل السودان ، والجماهير لا تغفل لحظة عن مطالبها الجماعية ٠

٢ ـ التهاب الموقف الداخلى بالمظاهرات واضرابات الطوائف والهيئات المهنية والعمالية فى مطالبة جماعية بتحسين الأوضاع الاجتماعية ، وصلت الى ذروتها باضراب رجال البوليس ٠

٣ ـ ضيق الشعب بحكم احزاب الأقلية التى تمثل ارادته مطلقا ٠

٤ ـ استحكام الغلاء الى حد جعل الحياة شديدة الصعوبة بالنسبة للأغلبية الساحقة من الناس ٠

هذه هى الحالة التى كانت تسود مصر قبل حرب فلسطين مباشرة ، وهى مليئة بعوامل التفجر التى تهدد قواعد النظام الذى كان يستند الى ملكية فاحت رائحة تصرفات رجالها الى الحد الذى أضعف تماما من مركز الملك ، واحزاب الأقلية عاجزة عن مجابهة المستعمرين ، الأمر الذى كان يحمل بذور ثورة شعبية ٠

وهكذا وجدت حكومة النقراشى فى دخول الحرب انقاذا لها مما عجزت عن مجابهته ، ووجد فيها الملك والاستعمار طوق نجاة يتعلقان به لانقاذهما من غضب المجتمع المتزايد يوما بعد يوم ٠

وصحب دخول المعركة عدة اجراءات أنهت فترة المد الثورى التى بدأت مع انتهاء الحرب العالمية الثانية ، استصدرت الحكومة فى ١٣ مايو قرارا يخولها حق اعلان الأحكام العرفية وبدأت عمليات الاعتقال فى ١٦ مايو لعدد كبير من المناضلين اليساريين واليهود المصريين بلغ عدة مئات فى معسكر هاكستب ٠٠ وفرضت الرقابة على الصحف ، وقيدت الاجتماعات العامة ، وضربت الحريات الشعبية ٠

وهكذا تراجعت المسألة الوطنية والصراع الاجتماعى ٠٠٠ وبرزت هستيريا الدعاية الحزبية ٠٠

وبدأت قوات الجيش المصرى معاركها الأولى فوق أرض فلسطين ٠٠٠ بعد فترة لم يشترك فيها الجيش فى حرب منذ عاد من السودان عام ١٨٩٩٠

خمسون عاما والجيش تحت الاحتلال البريطانى بلا قتال ·

كان الجيش المصرى غير مهيأ للقتال تسليحا أو تدريبا ··· ولم يكن قد قام بمناورات قتال ضد وحدات عصابات متحركة ·

قانون التجنيد الذى صدر عام ١٩٠٢ لم يتغير الا عام ١٩٤٧ بعد عشر سنوات من معاهدة ١٩٣٦ وقبل عام واحد من حرب فلسطين ·

كان القانون الجديد خطوة الى الأمام نحو تطوير الجيش المصرى ·· اذ الغى البدل النقدى وخفض مدة الخدمة العسكرية الالزامية من خمس الى ثلاث سنوات ، وسنة واحدة لذوى المؤهلات ، وسمح بتأجيل تجنيد الطلبة حتى سن ٢٧ ·

كان غريبا أن يتأخر صدور هذا القانون بعد معاهدة ٣٦ عشر سنين يظل الجيش خلالها تحت ظروف شديدة التخلف مما أدى بالتالى الى دخوله حرب فلسطين وهو غير مهيأ من ناحية المهارة والقدرة الفنية على القتال الحديث ·

ومع ذلك صور له القادة المعركة وكانها أمر يسير لن يحتاج لتضحيات أو جهد كبير ··· قال اللواء عثمان المهدى رئيس أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت لاجتماع من الضباط (أنتم ذاهبون الى فسحة) ·

ولم تكن الدولة قد عبأت نفسها للحرب ··· بل لم تكن هناك ادارة للتعبئة ··· أول كتيبة دخلت أرض فلسطين كانت تحملها عربات أوتوبيس أحضرها أحد المقاولين ·

وبعد الهدنة الأولى التى فرضت يوم ١١ يونيو ١٩٤٨ قدم فؤاد سراج الدين استجوابا للنقراشى باشا فى جلسة سرية بمجلس الشيوخ قال له فيه انه قد تبين منذ اليوم الخامس للقتال أن الحكومة تستولى على وسائل النقل المدنية لحساب الجيش ·

ولم تكن هناك قيادة مشتركة للجيوش العربية السبعة التى دخلت أرض فلسطين : جيوش مصر وشرق الأردن ولبنان وسوريا والعراق والسعودية وفلسطين والسودان ·· وقال النقراشى فى الجلسة السرية أيضا ان نورى السعيد قد عرض عليه تكوين قيادة مشتركة ، ولكنه رفض لانه « لايستطيع أن يتحمل متاعبهم ، ولا يود أن يضع رقبته فى أيديهم » ·

عاد القتال فتجدد مرة أخرى يوم ٩ يوليو حيث توقف مرة ثانية يوم ١٨ يوليو .

وكانت قيادة اللواء أحمد المواوى للقوات المصرية محل شكوى كثير من الضباط ، وخاصة محمد نجيب الذى جرح فى هذه الحرب ثلاث مرات وحدثت بينه وبين المواوى مشادة انتهت الى نقله مديرا لمدرسة الضباط العظام بالقاهرة ، حتى عين اللواء أحمد فؤاد صادق بدلا من المواوى .

وقد تغير الموقف قليلا بعد تعيين اللواء أحمد فؤاد صادق لانه كان يجيد الخطابة وأحاط نفسه بعناصر محبوبة من الجيش ... أعاد محمد نجيب الى ميدان القتال قائدا للواء الضارب ، وعين البكباشى محمد كامل الرحمانى الذى قاد حملة الاحتجاج على حادث ٤ فبراير واعتقل نتيجة ذلك ، اركان حرب له .

وقد فكر الضباط الذين كان قد فاض بهم من تصرفات كبار الضباط فى تعيين اللواء أحمد فؤاد صادق رئيسا لأركان حرب الجيش بطريقة مسرحية خلال حفل توديعه بعد انتهاء الحرب ، ولكنه عندما أحس بذلك خرج من القاعة بعد خطبته مباشرة ، وقبل أن يلقى الضابط المكلف باعلان هذا الخبر كلمته .

والحقيقة أن أحمد فؤاد صادق كان على صلة بعضو الحرس الحديدى مصطفى كمال صدقى الذى كان يهيىء له الأمر ليكون رئيسا لأركان الحرب فعلا بارادة الملك والسراى ، وليس بارادة الضباط الوطنيين .

ومنذ هذه اللحظة تبين لصغار الضباط أن اللواء أحمد فؤاد صادق ليس أهلا لتحمل مسئولية ثورية ، وقد اعترف هو بذلك فى خطاب كتبه الى محمد نجيب بعد الثورة قائلا له : انه كان أشجع منه يوم قبل المهمة التى كلفه بها الضباط الأحرار .

وقد حفلت حرب فلسطين ببطولات نادرة للضباط والجنود المصريين ، الذين حاربوا ببسالة فى ظروف شديدة الصعوبة ، واستشهد منهم ٩٧ من خيرة الضباط .

ولم تستمر الهدنة الثانية أكثر من شهرين وتجدد القتال بهجوم صهيونى فى أكتوبر انتهى الى حصار الفالوجا فى ١٦ أكتوبر واستمرت محاصرة لمدة ١٣٠ يوما حتى بدأت مفاوضات رودس ووقعت بها اتفاقية الهدنه يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٩ بعد ان توقف القتال يوم ٧ يناير ٠

كان أحد قادة الفالوجا قد أعد خطة لفك الحصار عنها مع التضحية بنسبة كبيرة من حاميتها ، ولكن جمال عبد الناصر أحد ضباط حرب الحامية المحاصرة عارض ذلك حتى تكون القوة المصرية بالفالوجا عامل ضغط سياسى للمفاوض المصرى فى رودس ٠٠٠ وهذا يوضح بصيرته السياسية النافذة المبكرة ٠

وضعت اتفاقية الهدنة بسحب القوات المصرية من الفالوجا ، وتبادل الأسرى خلال عشرة أيام ، ومنع الفريقين من القيام بأى حركات عسكرية أو زيادة للذخائر أو المهمات الحربية ، وعدم انشاء مطارات فى فلسطين ٠

والمقارنة بين بنود اتفاقية الهدنة التى أقرت الأوضاع القائمة وأعطت الفرصة لاسرائيل بالاستيلاء على صحراء النقب والوصول الى ايلات وبين قرار الأمم المتحدة الخاص بالتقسيم يوضح أن العرب قد فقدوا فرصة أقامة دولة عربية مستندة الى قرار الأمم المتحدة وفقدوا جانبا كبيرا من الأرض التى كان قد منحها لهم قرار التقسيم ٠

صحيح ان التقسيم كان قد منح اليهود ٥٠٪ تقريبا من مساحة فلسطين بينما حجم الممتلكات اليهودية الفعلية لم يكن يتجاوز ٧٪ من هذه المساحة ٠٠٠ ولكنه صحيح أيضا ان العرب فى القسم العربى كانوا أغلبية كبيرة (٦٨٣ ألف عربى و٨٠ ألف يهودى) وانهم فى القسم اليهودى كانوا ٥٨٤ ألف مقابل ٥٨٣ ألف يهودى (دراسة الكاتب الفلسطينى خيرى حماد)، وان فرصة النضال لتكوين دولة موحدة فى ظل السلام ، كانت أكبر من فرصة فرضها بالقتال ٠

كانت الدلائل توحى بذلك بعد ان تحولت الهاجاناه الى الهجوم بعد رفض العرب قرار التقسيم ٠ وفى الواقع كانت أعمال المقاومة العربية تقتصر فى ذلك الوقت على قطع بعض الطرق أساسا ومحاولة حصار المناطق اليهودية لاحباط الأهداف التوسعية المتبقية ، فخلال الشهور التى اعقبت قرار التقسيم والى أن تدخلت جيوش الدول العربية فى منتصف مايو ١٩٤٨ لم تهجر أو تدمرأى مستعمرة يهودية ، بينما اقتحمت القوات الصهيونية الكثير من القرى العربية « التى تبعد أميالا كثيرة عن المستعمرات اليهودية بحجة مهاجمة العصابات العربية » ٠

ويمكن القول ان الفترة ما بين أول ومنتصف مايو ١٩٤٨ تعتبر من أخطر مراحل المخطط الصهيونى وأعظمها أثرا رغم كونها لم تزد عن ستة أسابيع ، فقبل هذه الفترة كان العرب يسيطرون على معظم أراضى فلسطين الا أنه خلال هذه الفترة كانت قوات الهاجاناه قد استولت على مدن طبريه وحيفا (عدا الميناء لوجود قوات بريطانيا) وصفد ويافا والأحياء الهامة من القدس كما حاصرت عكا واستولت على الجليل الغربى والشرقى (علما بأن الجليل الغربى بما فيه مدينة عكا وكذلك مدينة يافا كانت خارج نطـاق الدولة اليهودية) وتولت العصابات الارهابية (الارجون وشترن) أعمال الارهاب والعنف الرامية الى اجبار السكان المدنيين على ترك مدنهم وقراهم فهاجمت القرى الآمنة وارتكبت مجازر وحشية ضد العرب دون تمييز بين الرجال والنساء والأطفال ومن أكثرها بشاعة مذبحة دير ياسين التى جرت يوم ٩ ابريل ١٩٤٨ وانتهت بقتل أكثر من ٢٥٠ عربيا ٠٠٠ وقد بلغ عدد القرى العربية التى تعرضت للهجوم حوالى مائة قرية عربية ٠

هكذا التقى رفض العرب لمشروع التقسيم ونقص قدراتهم العسكرية مع المخطط الصهيونى التوسعى القائم على استخدام القوة ، وانتهى الأمر باعلان بن جوريون لدولة اسرائيل بمساء ١٤ مايو ١٩٤٨ واعترفت حكومة الولايات المتحدة بها بعد دقائق من اعلانها ووجـه ترومان الدعوة لحاييـم وايزمان رئيس دولة اسرائيل فى اليوم التالى لتعيينه مباشرة ٠

وقد ساعد على تثبيت دعائم اسرائيل رغم دخول الجيوش العربية ساحة القتال وعرض القضية أمام مجلس الأمن ، الظروف التى سبق شرحها لحالة الجيوش العربية ، واستفادة الصهيونيين من الهدنـة الأولى لاعادة تنظيـم وحشد قواتهم واستيراد الأسلحـة الثقيلـة كالمدافـع والدبابات واستخدام الطائرات لأول مـرة ، مع أن قرار الهدنة كان يحظر استيراد الأسلحة ٠

وخلال الهدنة وصل الكونت فولك برنادوت مبعوثـا لهيئـة الأمم المتحدة واعد مشروعا يدعو فيه الى توحيد فلسطين وشرق الأردن فى وحدة مـكونة من جزأين أحدهمـا عربى والآخر يهودى مع تخصيص النقب كله أو معظمه للقسم العربى والجليل كله أو معظمه للقسم اليهودى ، أما القدس فتبقى ضمن القسم العربى مع توفير حكم ذاتى للجالية اليهودية فيها ٠٠٠ وكانت نتيجة تفكيره فى هذا المشروع اغتيال الصهيونيين له يوم ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ وتعيين رالف بانش بدلا منه ٠

وعندما استؤنف القتـال فى ٩ يوليو تمكنت اسرائيل من متابعـة هجومها ضد مناطق سبق تخصيصها للدولة العربيـة والسيطرة على ١٤

مدينة و ٢٠٠ قرية عربية ، واستمر القتال عشرة أيام بدأ خلالها الموقف العسكري العربي يتعرض للاهتزاز خاصة بعد أخلاء الجيش الأردني لمدينتي اللد والرملة واستيلاء الصهيونيين عليهما ... وكان الجنرال جلوب البريطاني هو قائد قوات شرق الأردن .

ورغم اغتيال برنادوت فان مشروعه عرض على هيئة الأمم المتحدة في أواخر سبتمبر وقبلته بريطانيا وأمريكا ولكن رفضه كل من العرب والصهيونيين ... العرب رغم وضوح دقة موقفهم وبوادر هزيمتهم والصهيونيين بحجة (تسهيل الدفاع عن حدود اسرائيل) .

ولم يحافظ الاسرائيليون على الهدنة الثانية واستمروا يضيفون مزيدا من الأرض حتى تجدد القتال في أكتوبر وسقطت بئر سبع في ٢١ أكتوبر ليتوقف القتال بعد ذلك يوم ٢٢ ، وتدخل الأمور في دائرة المفاوضات التي انتهت بالهدنة .

وبينما كان الوفد الأردني يجري محادثاته في رودس اصدر جلوب أوامره بسحب القوات الأردنية من مناطق رأس النقب وأم شرش على خليج العقبة ، حيث احتلتها القوات الاسرائيلية وأقيم ميناء ايلات .

ترتب على الهزيمة رد فعل قوي خارج الجيش وداخل الجيش ... وكانت الحرب قد استغلت اسوأ استغلال وامتلأت المعتقلات والسجون بعدد كبير ، وتوقفت قسرا رحلة المقاومة الثورية ضد الاستعمار والنضال الشعبي ضد الظلم الاجتماعي .

وكانت جماعة الاخوان المسلمين قد انتهزت فرصة حرب فلسطين لتقوية جهازها السري المسلح وامداده بالأسلحة والذخيرة في الوقت الذي اسهم فيه بعض اعضائها بالقتال في فلسطين واستشهدوا هناك فيأرضها .

وانتهزت الجماعة فرصة حرب فلسطين فقامت بعمليات ارهابية القت فيها القنابل والمتفجرات على المحال الكبيرة التي يمتلكها اليهود في مصر كاريكو وشيكوريل في يوليو ١٩٤٨ وبنزايون وجاتينيو في أغسطس وشركة الاعلانات الشرقية في نوفمبر ... وكان قد سبق لهم اغتيال أحمد الخازندار رئيس محكمة جنايات مصر في مارس ١٩٤٨ ، واغتالوا أيضا سليم زكي حكمدار بوليس القاهرة في ٤ ديسمبر بقنبلة ألقيت عليه أمام كلية الطب ، وكان هذا مما دفع الحكومة الى حل جماعة الاخوان .

وردت على ذلك جماعة الإخوان باغتيال رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا يوم ٢٨ ديسمبر في بهو وزارة الداخلية ، ومحاولة نسف دار محكمة الاستئناف في ١٣ يناير ١٩٤٩ .

وهنا تصاعدت موجة العنف من جانب الحكومة عقب تولى ابراهيم عبد الهادى رئاسة الوزارة ، وبدأت عمليات الارهاب والتعذيب تطفو فوق سطح الحياة المصرية ··· واغتيل الشيخ حسن البنا مرشد الاخوان بتدبير من الحكومة والسراى يوم ١٢ فبراير ١٩٤٩ ·

واعتقل فى موجة الاعتقالات عدد من ضباط الجيش ، وكان قاتل النقراشى عبد المجيد أحمد حسن شقيقا لأحد ضباط سلاح المدفعية ··· واستدعى ابراهيم عبد الهادى البكباشى جمال عبد الناصر لمقابلته ، وحضر المقابلة اللواء عثمان المهدى رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، حيث حذره من أى نشاط أو ارتباط بالاخوان المسلمين ·

وخلال فترة حرب فلسطين وما بعدها كانت صلة الاخوان التنظيمية بضباط الجيش قد ضعفت نتيجه عدة عوامل منها حركة الوحدات الى فلسطين وما يصحبها من تنقلات تضعف الاتصالات أو انصراف البعض عن تنظيم الاخوان لما لصق به من تهمة الارهاب ، كما ان عددا من الضباط كانت عقولهم قد بدأت تتفتح على أفكار جديدة ويطلب اجابات لتساؤلات يعجز الاخوان عن الاجابة عليها ، كما أن القتال فى المعركة فتح عيون الضباط على حقائق الحياة وجعلهم يرفضون الخضوع المطلق للتبعيات · ومثال ذلك عندما طلب الشيخ سيد سابق القائد الروحى للاخوان من المتطوعين ان يهجموا متراصين مستندا فى ذلك الى آية قرآنية ، وقد ناقشه فى ذلك ورفض الموافقة على رأيه بعض ضباط المدفعية ·

وقد نمت هذه التناقضات فى نفوس الضباط الى الدرجة التى طلبوا فيها مسئولا كبيرا من الاخوان يجيب لهم على هذا السؤال (ماذا ستعملون فى البلد لو انتصرنا ؟) وكان الجواب غامضا على عادة الاخوان ، خاليا من البرنامج المقنع المدروس ·

ولم تضعف صلة الاخوان التنظيمية بالضباط فقط ، ولكن ضعفت أيضا صلة الضباط بالتنظيمات اليسارية لعوامل أخرى الى جانب حركة القوات المفاجئة وما أثرت به على استقرار التنظيم ··· منها أن عددا من الضباط لم يقتنع بموقف التأييد لمشروع التقسيم وجرفته حماسة الشعور التى ألهبتها الدعاية المكثفة للقتال ، كما أن فتح المعتقلات واحتجاز المئات من الشيوعيين قد أضعف الصلة التنظيمية للحركة بصفة عامة · الأمر الذى أدى الى كتابة المنشورات بخط اليد وبورق الكربون · (كنت أقوم بذلك مع البكباشى يوسف صديق فى منزله بثكنات العباسية) ·

وأدت حرب فلسطين ومواجهة الخطر المشترك وادراك ما يحيط بالجيش والمجتمع من فساد ورشوه وانحلال الى خلق رابطة فكرية مشتركة

بين عدد من الضباط ذوي الميول الوطنية النابعة من اتجاهات سياسية مختلفة ··· وتركزت النقمة على الملك واشتد السخط على حاشيته وعلى احزاب الأقلية أيضا التى صادرت الحريات وانتهزت فرصة حرب فلسطين وحوادث ارهاب الاخوان لترد عليها بارهاب مماثل لم تشهده مصر من فترة بعيدة ·

كان العنف قد أصبح طابعا للمرحلة ··· الاخوان بما يملكون من ترسانة سرية للسلاح وايديولوجية ارهابية ، والدولة بما تملكه من أجهزة مسخرة فى خدمتها مهما كانت الوسائل والغايات ··· وقام الاميرالاى محمود عبد المجيد بتدبير معظم الاغتيالات التى كانت تستهدف تصفية العناصر المضادة مثل حسن البنا وعبد القادر طه ·

وعندما وقعت الهدنة وتكشفت هزيمة الجيش بدأ النظام يدخل مرحلة اختناق جديدة تجسدت فى العوامل الآتية :

أولا : جابهت وزارة السعديين فشلا جديدا هو هزيمة الجيش يضاف الى فشلها السابق فى حل المشكلة الوطنية عن طريق الجلاء والوحدة مع السودان وعجزها عن حل مشاكل الطوائف الثائرة ·

ثانيا : جاءت الهزيمة طعنة قاسية للجامعة العربية التى قامت تحقيقا للاستراتيجية البريطانية ووضح تماما شكلية دورها بالاجراءات التى اتخذها شرق الأردن ، وأدت الى استيلاء اسرائيل على مناطق كبيرة من الدولة العربية الواردة فى التقسيم ، وانتهت الى قيام المملكة الأردنية الهاشمية تحت قيادة الملك عبد الله المعروف بتبعيته للاستعمار البريطانى ·

ثالثا : كان انتهاء الحرب الى الهزيمة يفرض على الحكومة انهاء الأحكام العرفية والافراج عن المعتقلين ، واطلاق حرية الصحافة ، الأمر الذى قوى الجبهة المعادية لحكومة الأقليات والسراى ·

رابعا : سرعان ما طفت الى السطح من جديد المشكلة الوطنية واصرار الشعب على جلاء القوات البريطانية الأمر الذى أدى الى نمو سريع للحركة الثورية التى طال كبتها تحت ضغط الارهاب والأحكام العرفية ·

لم يجد الملك أمامه من سبيل الا التضحية بحكومة ابراهيم عبد الهادى فارسل اليه محمد حيدر وزير الحربية بعد منتصف الليل يأمره بتقديم استقالته قبل يوم ٢٥ يوليو ، دون ان يقابله ، بطريقة وصفها الدكتور هيكل باشا بأنها كانت غير كريمة ، وهللت صحافة أخبار اليوم التى طالما ساندت ابراهيم عبد الهادى بأنها هدية الملك الى شعبه فى العيد ···

والحقيقة أن الملك قد أجبر على ذلك اجبارا بعد أن كان موعد الانتخابات قد اقترب ، وانتصار الوفد فيها مؤكد ٠٠٠ وبعد أن كان ارهاب حكم السعديين وأحزاب الأقلية قد بلغ الذروة دون قدرة على حل المشاكل المتراكمة ٠٠٠

وكانت ظروف الهزيمة تفرض على الاستعمار البريطانى تغييرا استراتيجيا فى المنطقة بعد أن ظهرت اسرائيل الى الوجود ، وبدأت حياتها فى تعاون وثيق مع الولايات المتحدة الأمريكية ، بينما الاستعمار البريطانى يواجه فى مصر أزمة شديدة ٠

ونشرت صحيفة الايكونوميست قبل اسبوع واحد من اجبار ابراهيم عبد الهادى على الاستقالة مقالا تعلن فيه افلاس السياسة البريطانية المعتمدة على الجامعة العربية وتقول « ان السياسة المستقبلة الوحيدة يجب ان تعتمد على التعاون الأنجلو أمريكى وان تكون نقطة البدء فى الشرق الأوسط هى التفاهم الوثيق بين الدولتين » ٠

كان تغيير وزارة ابراهيم عبد الهادى ضرورة تقتضيها الظروف السابقة التى استهدف الاستعمار بها محاولة الخروج من عنق الزجاجة بتكوين حلف عسكرى أنجلو أمريكى فى المنطقة يحفظ له قبضته وسيطرته ٠

وعين حسين سرى باشا فى يوليو ١٩٤٩ رئيسا لوزارة ائتلافية تضم أربعة وزراء لكل من الوفد وحزب السعديين والأحرار الدستوريين ووزيرين من الحزب الوطنى (جناح حافظ رمضان) وأربعة من المستقلين ٠٠٠ وكان حسين سرى معروفا بميله للسياسة البريطانية التى رفعته من موظف الى أحد كبار (الساسة المستقلين) الذين يلجأ اليهم عندما تتأزم الأمور وتتطلب وجها مرضيا عنه من الجميع ٠

وكان ذلك أول اشتراك للوفد فى حكومة ائتلافية بعد أزمته مع الأحرار الدستوريين فى وزارة ١٩٢٧ عندما تآمروا ضده بعد وفاة سعد زغلول ٠

ولم يطل عمر الوزارة الائتلافية كثيرا اذ استقال حسين سرى بعد الانتهاء من تقسيم الدوائر الانتخابية تبعا للتعداد الأخير للسكان ، ومحاولة أحزاب الأقلية تقسيم الدوائر للأحزاب ورفض الوفد ذلك رفضا باتا ٠٠٠ وتشكلت وزارة محايدة أخرى برئاسة حسين سرى فى ٣ نوفمبر ١٩٤٩ لتشرف على اجراء الانتخابات ٠

وحدثت خلال هذه الوزارة عدة أحداث هامة ... اذ أجرى وزير التموين محمد على راتب تحقيقات تناولت سبعة من وزراء الحكومة السعدية وانكشفت كثير من الفضائح التى كانت تدور خلف ستار .

وكان الافراج عن بعض المعتقلين ، ومحاكمة قاتل النقراشي ومحاولة اغتيال حامد جودة التى ترافع فيها محمود سليمان غنام وعزيز فهمى وتخفيف الأحكام العرفية والرقابة على الصحف ، تمهيدا للانتخابات ـ فرصة فريدة كشفت أيضا أهوال التعذيب التى تعرض لها المعتقلون فى فترة حكم ابراهيم عبد الهادى سواء فى معتقل هاكستيب أو الطور ... واستنكر الأحرار الدستوريون ذلك ونفوا أن تكون لهم مسئولية الا عن الوزارة التى يشغلونها ...

وتمزقت بصورة نهائية ثياب أحزاب الأقلية وانكشفت عورة سيئاتهم الأمر الذى جعل فرصتهم للنجاح فى الانتخابات محدودة جدا .

وأجريت الانتخابات فى ٣ يناير ١٩٥٠ وكانت النتيجة انتصارا واضحا للوفد اذ حصل على ٢٢٨ مقعدا من مجموع مقاعد مجلس النواب البالغ عددها ٣١٩ ، وأطلقت صحيفة المصرى على هذا اليوم (يوم ثورة الشعب) .

وكانت نتيجة الانتخابات مفاجئة للملك أيضا ، فأسرع الى منزل حسين سرى ليلا وقرر تعيينه رئيسا للديوان الملكى حتى يمكنه التفاهم مع الوفد من جهة ويحاول تنفيذ الاستراتيجية الأنجلو أمريكية من جهة أخرى .

كانت نقطة الخلاف الأولى بين الملك والوفد أثناء تشكيل الوزارة عندما طلب استمرار بقاء محمد حيدر فى منصبه وزيرا للحربية ، وكان قد احتفظ بموقعه فى وزارات محمود فهمى النقراشي وابراهيم عبد الهادى وحسين سرى ، ليكون عونا للملك فى مجلس الوزراء ، وأداة للسيطرة الكاملة على الجيش ، وهو الذى حرك الجيش الى حرب فلسطين دون انتظار تعليمات رئيس الوزراء .

ولكن النحاس رفض ذلك رفضا باتا وأصر على تعيين وزير وفدى هو مصطفى نصرت ، وتم الاتفاق على انشاء منصب جديد يعين فيه محمد حيدر وهو منصب (قائد عام القوات المسلحة) ... وبهذا لم يعد للوزير الوفدى نفوذ يذكر على الجيش وانقطعت صلة الوزارة الوفدية تقريبا بسياسة الجيش وترقيات الضباط وتعييناتهم وتنقلاتهم واستمرت السلطة العليا فى الجيش للسراى ولمندوبها محمد حيدر .

وكان قبول الوزارة الوفدية لهذا الحل الوسط تنازلا منها عن حقوقها الدستورية التى تمسكت بها منذ عام ١٩٣٧ عندما طالبت بأن يكون لها الاشراف على تعيين موظفى القصر نفسه ، وكان ذلك أحد أسباب اقالتها ٠٠٠

كانت سياسة الحكومة الوفدية تميل الى احتواء الملك بدلا من التصادم معه منذ اللحظة الأولى ٠٠ وخاصة انه رغم التأييد الشعبى الجارف والأغلبية الساحقة فى الانتخابات فان اقالة الحكومات الوفدية أصبحت طابعا متكررا ٠ وابتعادها عن الحكم سنوات طويلة كان يضعف نفوذها فى الأجهزة التنفيذية ، مع ان الوفد في المعارضة كان دائما أشد أثرا وأكثر جاذبية منه داخل الحكم ٠

لم تكن سياسة الوفد تصعيد الخلاف مع الملك الى درجة التأزم حتى لا يقفز الملك خارج اطار دستور ١٩٢٣ ويفرض حكما ديكتاتوريا تستفيد منه القوى الأجنبية المتربصة ٠٠٠ وكان ذلك أمرا طبيعيا من حزب ملكى دستورى لجأ اليه النظام عندما دخل فى أزمة الاختناق ٠

ولكن انتصار الوفد فى انتخابات ١٩٥٠ لم يكن انتصارا له كحزب بقدر ما كان انتصارا لارادة الشعب ضد السراى وأحزاب الأقلية ، وتعبيرا عن الموجة الشعبية الجديدة المؤيدة للوفد ، المطالبة فى نفس الوقت بأهداف اجتماعية أكثر عمقا وشمولا ٠

ومع ذلك فان تشكيل الوزارة لم يأت معبرا عن الاتجاهات اليسارية التى بدأت تنمو داخل الوفد ٠٠٠ بل استنت خطة جديدة هى الاستعانة بالكفاءات والطاقات العلمية لمواجهة مطالب الجماهير الاجتماعية ٠٠ كان فى الوزارة خمسة يحملون لقب (دكتور) لأول مرة فى تاريخ الوزارات المصرية ٠

الفصل السادس

الضـــباط الاحـــرار

كان الجيش فى عام ١٩٤٩ جريحا ومطعونا من أثر الهزيمة ٠٠٠ عندما انتهت الحرب وزعت قوات القتال فى الجبهة على المناطق العسكرية المختلفة ، وضعفت الصلات التنظيمية تبعـا لذلك بين الجيش من جهة والاخوان المسلمين والتنظيمات اليسارية من جهة أخرى ٠

وضعف تيار العمل السياسى فى شعبه الرئيسية الثلاث التى تحدثنا عنها (الارهاب ــ الاخوان المسلمين ــ الشيوعيين) ٠

كان الارهاب الذى تركز فى يد (الحرس الحديدى) تقريبا ، قد عجز عن ايجاد دوافع جديدة للاغتيال ٠٠٠ وخاصة ان حادث ٤ فبراير كان قد ضعف أثره بعد نجاح وزارة الوفد فى الانتخابات نجاحا كبيرا معبرا عن تأييد شعبى جارف ٠

وهكذا توقفت حركة (الحرس الحديدى) ٠

أما الاخوان المسلمون فكانوا قد تعرضوا لحملة ارهاب حكومى شديدة بعد اغتيال النقراشى باشا ، أبعدت الضباط عن الاتصال بهم ٠٠٠ وان كان تنظيمهم قد استمر محتفظا بكيانه تحت قيادة قائد الجناح عبد المنعم عبد الرؤوف ٠ وعاد البكباشى محمد أنور السادات الى صفوف الجيش من جديد ضابطا فى سلاح الاشارة ٠

واستطاع قسم الجيش فى (الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ــ حدتو) أن ينجو سليما من ارهاب الحكومة لشدة الاهتمام بالأمن باعتباره

السلاح الوحيد الذى يحمى قسم الجيش فى وقت كان فيه معظم أعضاء القيادة قد ضمتهم أسوار المعتقلات ... وكان المسئول السياسى لهذا القسم هو كاتب هذه السطور ومسئوله الثقافى أحمد فؤاد وكيل النيابة فى ذلك الوقت ، ورئيس مجلس ادارة بنك مصر فيما بعد .

ولكن ضعف تيار العمل السياسى بالجيش فى شعبه الرئيسية الثلاث لم يدفع حركة الضباط الى الجمود ، ولم يمزق أحلامهم أو يبعثر جهودهم ... بل العكس هو الصحيح .

كان هناك فى كل سلاح ضباط لحقتهم يد السياسة ولم يكن ممكنا لهم أن يتخلصوا منها وخاصة بعد هزيمة حرب فلسطين .

وفى هذه الفترة كان جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين قد تركا الاخوان مع عدد ملحوظ من الضباط .

وكانت طبيعة الأمور تفرض على الضباط أن يتجمعوا ويتبادلوا الرأى فى وحداتهم وأسلحتهم .

كان هناك ضباط وطنيون باتجاهات فكرية مختلفة ، بعيدا عن أية صلات تنظيمية متناسقة .

كان هؤلاء الضباط يمثلون نواة خرجت من حرب فلسطين وهى غير مرتبطة بتنظيم موحد ... ولم يكن لهم حديث الا ما تركته الهزيمة فى نفوسهم من مأساة .

وكان ابتعادهم عن التنظيمات السياسية القائمة (عدا التنظيمات اليسارية) دافعا لهم على البحث عن أرض مشتركة للقاء بعيدا عن التعصب والتحجر الفكرى .

وقد لعب البكباشى جمال عبد الناصر شخصيا دورا رئيسيا بارزا فى تجميع الضباط من مختلف الاتجاهات السياسية . بدأ هذا الدور قبل حرب فلسطين بطريقة محدودة .

ومع انفراج الضغط الارهابى بتولى الوزارة الوفدية مسئولية الحكم فى ١٢ فبراير ١٩٥٠ ، وتجمع الوحدات فى القاهرة بعد تشتيتها عقب الحرب فى منقباد والقنال والاسكندرية وغيرها ، نبت التفكير فى تكوين تنظيم من الضباط المهتمين بأمور السياسة .

وجمع جمال عبد الناصر اللجنة التاسيسية التى كان يتصل بها فى أواخر ١٩٤٩ خلال حكم وزارة حسين سرى ، وكانت مشكلة من خمسة فقط هم جمال عبد الناصر وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين وكمال

الدين حسين وعبد المنعم عبد الرؤوف ... وهم ذوو ميول سياسية مختلفة مع انهم بدأوا جميعا في ساحة الاخوان المسلمين .

ولم يكن قد أطلق على هذه اللجنة اسم (الضباط الأحرار) بعد ، كما انه لم يكتمل الشكل التنظيمي الا مع مطلع عام ١٩٥٠ عندما زاد عدد اللجنة التأسيسية بانضمام صلاح سالم وعبد اللطيف بغدادي وعبد الحكيم عامر وأنور السادات وجمال سالم الذي دخل عليهم الاجتماع فجأة أثناء وجودهم في منزل شقيقه صلاح سالم ، وتم في هذا الوقت انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجنة التنفيذية .

وكانت صلة جمال عبد الناصر قد بدأت بمحمد نجيب أثناء حرب فلسطين من خلال عبد الحكيم عامر ، الذي قال لجمال عبد الناصر انه قد وجد كنزا في محمد نجيب لجرأته وشجاعته ووعيه بأن أزمة الهزيمة في القاهرة وليست في العريش .

وعندما بدأ العمل بين الضباط يأخذ شكلا تنظيميا نبت اسم (الضباط الأحرار) ليكون توقيع أول منشور لهم يصدر في فبراير عام ١٩٥٠ .

وهنا كان تنظيم الضباط الأحرار قد بدأ يأخذ شكلا منفصلا عن القوى السياسية خارج الجيش ... أى أنه لم يعد تنظيما تابعا للاخوان أو الشيوعيين أو الوفديين أو السراى ... ولكن بعض أعضائه في اللجنة التأسيسية لم يقطعوا صلاتهم التنظيمية القديمة ، ولم يغيروا أفكارهم دفعة واحدة ... وانما أصبح انتماؤهم الى مجموعة واحدة يشكل جبهة وطنية متحدة .

كان كمال الدين حسين ما زال على صلة طيبة غير تنظيمية بالاخوان المسلمين ، وكان خالد محيى الدين على صلة بالحركة الديموقراطية للتحرر الوطني ، بعد أن كان قد انضم الى منظمة « اسكرا » عام ١٩٤٧ . وكان أنور السادات على صلة ببعض رجال السراى ... كما كان جمال عبد الناصر الذى انتخبوه رئيسا لهم في بداية ١٩٥٠ شديد النشاط كثير الاتصالات بمختلف القوى السياسية من مختلف الاتجاهات .

ولم يكن محمد نجيب يحضر اجتماعات التنظيم أثناء تكوينه لأنه كان محل رقابة سلطات الأمن المسئولة باعتباره نجما محبوبا من ضباط الجيش ... ولأنه كان في رتبة كبيرة (اميرالاى) بينما كان أكبر الضباط في ذلك الوقت يحمل رتبة (بكباشي) ، والاتصال يبدو مريبا ومثيرا أيضا ... ولذا تم الاتفاق بينه وبينهم على أن تكون الصلة به فردية وليست تنظيمية .

وتوالى صدور منشورات (الضباط الأحرار) ٠٠٠ المنشور الأول كتبه جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين وقام بطبعه مدني اسمه (شوقى عزيز) ثم نقلت ماكينة الجستنر من منزله الى منزل عبد الرحمن عنان أحد ضباط سلاح الطيران ثم منزل حمدى عبيد أحد ضباط المشاة ووزير الادارة المحلية فيما بعد ، وأخيرا استقر أمر طباعة المنشورات وتوزيعها بأجهزة الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) وذلك فى مرحلة تالية بعد حريق القاهرة ٠٠٠ وكانت معظم المنشورات تكتب بأقـــلام الضباط اليساريين ومنهم خالد محيى الدين والقاضى أحمد فؤاد وكاتب هذه السطور ، والبعض كتبه جمال عبد الناصر ٠

وكان استمرار صدور المنشورات بتوقيع (الضباط الأحرار) اعلانا عن بداية مرحلة جديدة بعد فترة امتدت خلال السنوات من ١٩٤٦ حتى ١٩٤٩ عندما كانت تصدر للجيش منشورات من تنظيم الضباط الإخوان وتنظيم الشيوعيين بتوقيع (رجال الجيش) ومنشورات مجهولة كانت تنتسب للحرس الحديدى ٠

منذ صدرت منشورات (الضباط الأحرار) توقفت القوى السياسية عن أصدار منشورات خاصة بها ، وكان هذا اعلانا عن نوع من الوحدة التنظيمية ٠

وكانت المنشورات تصل الى الضباط عن طريق عناوينهم المنزلية أو فى الوحدات بالبريد ٠٠٠ وأحيانا كانت توزع باليد داخل المعسكرات بطريقة سرية ٠

وكانت هناك ظاهرة غريبة يمكن القول بانها قد بدأت مع فترة المد الثورى عام ١٩٤٦ ، وهى حرية الحديث والمناقشـــة بين الضباط فى تجمعاتهم اليومية سواء فى عربات الجيش الكبيرة التى تحمل الضباط من منازلهم الى المعسكرات أو فى الميس أو نادى الضباط ٠

وكانت هذه الأحاديث والمناقشات الصريحة تتابع الأحداث الجارية وتعمقها بالتحليل من وجهات نظر مختلفة ، كانت تلتقى فى النهاية على فساد الحكم والملك ورجال الحاشية ٠

ولكن هذا التيار الوطنى العام فى المناقشـــة لم يكشف عن سرية التنظيم الذى كان يتضاعف فى سرعة شديدة ، ذلك ان الضباط بعد هزيمة فلسطين كانوا يشكلون أرضا صالحة لبذر الأفكار الثورية المضادة لنظام الحكم والملك شخصيا ٠

وعندما بدأ تساؤل الضباط عن البرنامج الذى يرتبطون به ٠٠٠ أعلنت الأهداف الستة وصدرت فى منشور ٠٠٠ أعدها أحمد فؤاد وخالد محيى الدين ٠٠٠ ووافق عليها جمال عبد الناصر ٠

أصبح اسم (الضباط الأحرار) يتردد فى الجيش همسا أحيانا وعلانية أحيانا أخرى كما ان القوى السياسية المختلفة وبعض الصحفيين أخذوا علما به ٠٠٠ حتى المخابرات الحربية والبوليس السياسى كانا يعلمان بوجود هذا التنظيم الوليد ٠

ولكن أجهزة الأمن سواء فى الجيش أو الداخلية كانت محدودة العدد والعدة ٠٠٠ كان ضباط المخابرات الحربية ١٥ ضابطا جند بعضهم فى الضباط الأحرار أو كانوا على صلة هامشية بهم مثل عبد المنعم النجار مدير المعلومات الذى أصبح سفيرا فى باريس والعراق بعد الثورة ومساعده سعد توفيق واسماعيل فريد الذى أصبح سكرتيرا عسكريا لمحمد نجيب ثم محافظا للدقهلية فيما بعد ٠

وكان ضباط القسم المخصوص بالداخلية لا يتجاوزون ٢٤ ضابطا ، ولكن لم يكن يدخل فى اختصاصهم العمل داخل الجيش الا عن طريق المخابرات الحربية ٠

وكانت قبضة أجهزة الأمن لينة ، وقدرتها على النفاذ الى أسرار الجيش محدودة ، لأنهم لم يكونوا قد استخدموا بعد نظام العمالة لرجال الجيش ، وشراء ضمائر البعض بمبالغ ومكافآت متنوعة ٠

يقول عبد المنعم النجار ان وزارة الداخلية قد اتصلت بالمخابرات الحربية للحصول على معلومات عن الضباط الأحرار وانهم حاولوا الكشف عن عناصرهم وخططهم دون استخدام (وسائل قذرة) ٠٠٠ ويقول أيضا ان كلا من المخابرات الأمريكية والانجليزية كان لها خلايا خاصة بها ضد النشاط الشيوعى بالذات ٠٠٠ وقد أكد هذه الحقيقة الماجور سانسوم المسئول فى البوليس السياسى المصرى ثم ضابط أمن السفارة البريطانية بالقاهرة بعد خروج الضباط الانجليز جميعا من البوليس المصرى فى كتابه (تجسست على الجواسيس (Ispied spies

ومع ذلك لم يعتقل أى ضابط من الضباط الأحرار ٠٠ فى الوقت الذى كانوا فيه يزدادون عددا ووعيا ٠

ولم يكن فى سياسة الوزارة الوفدية ما يثير الضباط الأحرار ضدها ٠٠٠ ولم يكن عداء الاخوان التقليدى للوفد ذا تأثير فى اتجاهات الضباط الأحرار ٠٠٠ بل ان جمال عبد الناصر كان ذا ميول وفدية

واضحة ... أمضى ساعات طويلة فى منزلى بالاسكندرية قبل ٢٣ يوليو يدافع عن الوفد فى مناقشة حضرها من الضباط الأحرار (البكباشى صلاح مصطفى الملحق العسكرى فى عمان الذى استشهد بطرد متفجر وصله من اسرائيل والبكباشى عبد الحليم الأعسر أركان حرب منطقة الاسكندرية فيما بعد) .

وقد بدأت الوزارة الوفدية عملها باقرار الحريات العامة ، فالغت الرقابة على الصحف ورفعت الأحكام العرفية بعد تردد فى مايو ١٩٥٠ وسمحت بالمظاهرات داخل الجامعة حيث مزقت صورة الملك وديست بالاقدام ...

والى جانب استقرار الحريات على أسس معقولة ، واصلت الحكومة الوفدية سياستها الاجتماعية ، فاقرت مجانية التعليم الثانوى عام ١٩٥٠ بعد ان كانت قد أقرت مجانية التعليم الابتدائى عام ١٩٤٢ ، وضاعفت جميع الضرائب بما فيها الضرائب العقارية الى ١٠٠٪ . وأعدت مشروعا لتعميم مياه الشرب فى القرى خلال خمس سنوات ، ودفعت وزارة التموين فروق أسعار بعض السلع لتكون فى مستوى محدودى الدخل ، وعمل كادر جديد للموظفين لمصلحة الصغار منهم .

الأساس الثالث الذى بنى الوفد سياسته عليه كان اجلاء الانجليز عن قاعدة قناة السويس قبل الموعد المحدد فى معاهدة ١٩٣٦ وهو عام ١٩٥٦ ، وتأكيد الوحدة بين مصر والسودان ، وقد بدأت المحادثات فى ابريل ١٩٥٠ وكان يتولاها وزير الخارجية محمد صلاح الدين وابراهيم فرج ، وحضر الفيلد ماريشال وليم سليم رئيس أركان حرب الامبراطورية البريطانية وعقد ثلاثة اجتماعات مع الجانب المصرى برئاسة مصطفى النحاس يومى ٥ ، ٦ يونيو ١٩٥٠ ، وقد أوضح له النحاس انه « لا يمكن ان يركن لوعود جديدة أو يقبل نظريات مستحدثة ترمى الى بقاء قوات أجنبية فى مصر تحت أى اسم وبأية صيغة » وذلك ردا على قول سليم بأن النحاس يستطيع بمركزه الشعبى ان يقنع الناس بأن « الجيش المشترك والوجود الأجنبى » مبدأ جديد لا ينطوى على الاحتلال ... وكذلك أصر النحاس على ضرورة جلاء القوات البريطانية واقترح أن تنتقل الى فلسطين ليسهل عودتها الى مصر فى حالة قيام حرب فعلية ، كما طالب النحاس ان تمد بريطانيا مصر بالطائرات مشيرا الى اهتمام مصر بتقوية جيشها ليدافع وحده عن منطقة القناة .

استمرت المفاوضات دون أى تقدم من جانب البريطانيين الذين لم يتراجعوا عن موقفهم خطوة واحدة . وبعد وفاة بيفن وتولى موريسون وزارة الخارجية البريطانية القى خطابا استفز شعور المصريين لما فيه من قول

قاطع بعدم الجلاء ، مع مهاجمة الحكومة المصرية لمنعها مرور البضائع الاسرائيلية فى قناة السويس وخليج العقبة ، ورد عليه محمد صلاح الدين ببيان عنيف أنهى به المحادثات أمام البرلمان يوم ١٦ أغسطس ١٩٥١ وخاصة ان الحكومة الوفدية كانت قد تحملت بداية موجة هجوم ضد موقفها من قضية المحادثات ٠

وهكذا يمكن تلخيص سياسة الوزارة الوفدية فى اتجاهات رئيسية ثلاثة : تأكيد الحريات العامة ، واقرار نوع من العدالة الاجتماعية ، ومواجهة الاستعمار لتحقيق الجلاء ووحدة مصر والسودان ٠

ولم يكن فى هذه الاتجاهات الوطنية ما يثير الضباط أو يجنح بهم الى تيار المعارضة رغم ان الوفد لم يكن له فى الجيش أية شعبية نظرا للظروف التاريخية التى أبعدت الوفد عن جهاز الجيش ، وعن السيطرة على ادخال الطلبة للكلية الحربية ، والاساءة التى لحقت به بعد حادث ٤ فبراير ؛ والتنافر الطبيعى الذى جعل من تأثيره الجماهيرى مطعنا له عند ضباط الجيش الذين لا تستقيم حياتهم الا على أساس من الانضباط والنظام ٠

ولذا تبلورت اتجاهات الضباط الأحرار كما ظهر فى منشوراتهم خلال حكم الوزارة الوفدية فى فضح مفاسد القيادات العليا فى الجيش ، والمطالبة بتحقيق الأهداف الوطنية ٠

وكانت مأساة حرب فلسطين قد عادت تطل على المجتمع بعد رفع الرقابة على الصحف ، وظهور عدة مقالات عن صفقات الأسلحة التى تمت خلال الحرب بوساطة بعض المقربين من السراى ، ومتابعة فى ذلك استقالة محمود محمد محمود رئيس ديوان المحاسبة ، والاستجواب الذى قدمه مصطفى مرعى عضو مجلس الشيوخ عن أسباب هذه الاستقالة ٠

ورغم ان محمود محمد محمود كان حريصا على الصمت الا انه أفضى لمصطفى مرعى بأسباب استقالته ، وكان ذلك لأنه سجل فى تقرير الديوان بعض الملاحظات على مسلك وزارة الحربية فى موضوع الأسلحة المشتراة أثناء حرب فلسطين ، بالاضافة الى حصول كريم ثابت المستشار الصحفى للملك على مبلغ ٨٠٠٠ جنيه من ميزانية مستشفى المواساة تحت باب (دعاية) ، وعندما أرسل التقرير الى المطبعة الاميرية ردت له البروفات ٠

وانتهزت الصحافة فرصة نظر الاستجواب فى آخر مايو ورفع الأحكام العرفية فشنت حملة على ما أسمته (الأسلحة الفاسدة) بدأت فى روزاليوسف يوم ٦ يونيو بمقال لاحسان عبد القدوس ومقالات لحلمى سلام فى مجلة المصور ٠ ووجد بعض الضباط الذين لمسوا بأنفسهم فساد

عمليات الشراء والسمسرة، الفرصة المناسبة للاتصال بالرأى العام عن طريق الصحافة .

البكباشى عبد المنعم أمين الذى كان مدرسا فى مدرسة المدفعية المضادة للطائرات ، وأصبح عضوا فى مجلس قيادة الثورة فيما بعد ، سافر فى بعثة لشراء أسلحة مضادة للطائرات ، بعد أن ألقت احدى الطائرات الاسرائيلية ٣ قنابل على القاهرة كشفت نقص وسائل الدفاع الجوى ... كان معه البكباشى حسين محفوظ ندا مدرس مدفعية الميدان ، وهناك اكتشفوا انحرافات من لجنة الشراء التى اشترت قنابل يدوية بمبلغ ثلاثة أرباع المليون ، واشترت أيضا مدافع ماكينة هوتشكس من التى استخدمت فى حملة السودان (١٨٩٦ — ١٨٩٩) .

وأهملتهم اللجنة على حد قولهم كخبراء واعتمدت على السماسرة المهربين .. ولجأ عبد المنعم أمين الى مصطفى مرعى بما عنده من بيانات بعد تقديمه الاستجواب ، ولكن مصطفى مرعى تشكك فى اتصاله به قائلا له انهم هددوه بالقتل ، وهو لا يعرف ان كان عميلا مدسوسا عليه .

ولم يكن عبد المنعم أمين هو الوحيد الذى لجأ الى مصطفى مرعى ... ولكن عبد اللطيف البغدادى اتصل به أيضا هو وحسن ابراهيم وضباط الطيران محمد شوكت ومصطفى مرتجى ، وعندما قالوا له انهم معجبون بموقفه ، وانهم على استعداد لتنفيذ ما يستقر رأيهم عليه حتى ولو وصل الأمر الى حد قتل الملك ... وهنا جفل مصطفى مرعى من هذا الحديث الخطير الذى ليست له مقدمات من الثقة ، وآثر ان يتحفظ معهم كما تحفظ مع عبد المنعم أمين ، وسافر الى أوروبا .

هكذا كان الضباط غير المنتمين فى حيرة من أمرهم ، تركز غضبهم على السراى وما ارتكبه رجالها من آثام ، ولكنهم لم يجدوا الطريق السليم الذى يسلكونه ... حتى ان أحدهم وهو الضابط محسن عبد الخالق الذى تولى ادارة دار التحرير للطبع والنشر بعد الثورة لجأ الى أمينة السعيد الصحفية ورئيسة تحرير (حواء) والتى اعتادت تحرير باب تحت عنوان (اسألونى) .

كان الضباط فى مرحلة نشاط شديد للاتصال بالعناصر المعبرة عما تطويه صدورهم ، وخاصة ان كثيرا منهم لم يكن قد انضوى واستقر فى (الضباط الأحرار) ، ولم يكونوا قد شعروا بعد بحرارة الانتماء الى تنظيم مقنع لهم ، بعد ان كانوا قد تجاوزوا مرحلة الخضوع المطلق لتنظيم الاخوان المسلمين أساسا .

ولذا كان النشر عن قضية الأسلحة الفاسدة مركز جاذبية شديدة لهم فانهالت منهم البيانات والوثائق والمعلومات على الصحفيين الذين تصدوا للكتابة فى هذا الموضوع الذى الهب مشاعر الرأى العـــام ، ووجد فيه الضباط مشجبا يعلقون عليه هزيمة حرب فلسطين · ويردون به الكرامة لضباط الجيش ·

ولم تجد الحكومة الوفدية بدا من تبليغ النائب العام للتحقيق رغم ان هذا يحدث تصادما مؤكدا بينها وبين الملك لأن الذين مستهم البيانات كانوا من رجال الحاشية مثل أنطون بوللى وادمون صهلان ومحمد حلمى حسين ··· ووصلت الاتهامات الى محاصرة محمد حيدر قائد عام القوات المسلحة باعتباره مسئولا ومتسترا على العملية من بدايتهـا عندما كان وزيرا للحربية ، مما اضطره الى الاستقالة ، هو والفريق عثمـان المهدى رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، بناء على طلب النائب العام ابعادهما عن مناصبهما الحالية ·

بدأ النائب العام محمد عزمى التحقيقات بجرأة واضحة ، بعد ان وصله أمر كتابى من وزير العدل عبد الفتاح الطويل يطلب منه القبض على أى شخص سواء فى الحكومة أو السراى للتحقيق معه ، ولذا أصدر أمرا باعتقال ادمون صهلان الذى هرب الى سراى عابدين ، ولما اتصل حسن يوسف بوزير الداخلية الذى كان موجودا فى بلطيم لم يوافق فؤاد سراج الدين على حمايته وأصر على تنفيذ أمر النائب العام ، فقام صهلان بتسليم نفسه ·

ولكن النائب العـام لم يواصل حملته حتى نهايتها ، بل استجاب لاغراء السراى فافرج عن المعتقلين ، وحفظ التحقيــق بالنسـبة لرجال الحاشية ، ورفع الحظر عن عودة محمد حيدر وعثمان المهدى الى منصبيهما ·

وهاجمت الحكومة موقف النائب العام ، وخيرته بين الاستقالة أو النقل الى منصب آخر ، فوافق على النقل ، وعين رئيســا لادارة قضــايا الحكومة ··· وأعلن الملك عن استيائه من موقف الحكومة عندما قرر منح جميع الوزراء نياشين أعلى عدا وزير العدل ، ورفض الوزراء قبول النياشين تضامنا مع زميلهم ·

وأبرزت هــذه الحادثة التناقض بين الملك وبين ضباط الجيش ، وعمقت فى نفوسهم الشعور بقدرة السراى على وضع الأمور فى طريق مسدود ··· ولذا كانت قضية الأسلحة الفاسدة من أول القضايا التى اهتمت الثورة بتحقيقها وتقديمها للمحاكمة ·

بعد ان استغرقت القضية ٩٠٠٠ صفحة فى محاضر التحقيق ، ٢٣٠٠ صفحة فى جلسات المحكمة ، ١٣٠٠ صفحة أمام قاضى الاحالة فانها انتهت بحكم بسيط هو ١٠٠ جنيه غرامة لكل من القائمقام عبد الغفار عثمان والبكباشى حسن منصور وبراءة بقية المتهمين ·

وهكذا كانت قضية الأسلحة الفاسدة ، قضية دعاية أكثر منها قضية مخالفة للقانون ··· وقضية اثارة أكثر منها قضية اختلاس وسرقة ·· والأقلام التى انجذبت اليها صورتها على أساس انها قضية رئيسية فى هزيمة الجيش ، متجاوزة بذلك قضايا أخرى أكثر أهمية منها وأكثر نفاذا فى التأثير على قدرة الجيش على القتال ··· قضايا تمس صلب النظام الحاكم وقدرته على تعبئة طاقات الجماهير بما فيها القوات المسلحة ·

لم تكن الأسلحة الفاسدة هى السبب فى هزيمة الجيش المصرى فى حرب فلسطين ··· ولكنها كانت بقعة سوداء ضمن بقع كثيرة لطخت وجه النظام وأساءت الى قدرة الجيش ، وأثارت خلال فترة النشر والتحقيق مشاعر الجماهير ضد الملك ورجال الحاشية ، لأنهم ربطوا بين السرقات وهزيمة الجيش واعتقال الوطنيين الأحرار ·

الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطانى

كان الموقف السياسى يتدهور ، وهيبة النظام تتآكل ، وحماقات الملك فى نفس الوقت تتضاعف وتتسم بعدم المبالاة أو سلامة التقدير ··· والتهبت الصحف بمقالات نقدية عنيفة تفضح التصرفات الشخصية للملك ورجال الحاشية بعبارات مستهترة ، ولم يفلح قانون حماية أخبار القصر فى وقف هذه الحملة التى ظهرت فى عدة صحف منها الاشتراكية (مجلة حزب مصر الفتاة) واللواء الجديد (مجلة حزب الوطن الجديد) والجمهور المصرى (مجلة اثارة كان يملكها أبو الخير نجيب) والكاتب (مجلة أنصار السلام) والملايين (مجلة الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى — حدتو) وروز اليوسف التى بادرت بالسبق فى شن الهجوم فيما أطلقت عليه اسم الأسلحة الفاسدة ·

وكان محمد صلاح الدين قد صرح فى مجلس النواب بأن الدورة لن تفض قبل أن يدلى بحديث للمجلس عن نتيجة المفاوضات ، ولذا فان المجلس لم يكن ينعقد ، ولكن الدورة لم تنفض ·

وكانت الحكومة الوفدية قد أعلنت فى خطاب العرش لهذه الدورة التى لم تفض تهديدها بالغاء معاهدة ١٩٣٦ اذا لم تسفر المباحثات عن نتيجة ·

وعندما القى محمد صلاح الدين بيانه أمام مجلس النواب يوم ١٦ اغسطس حمل حملة عنيفة على الاستعمار البريطاني والسياسة الانجليزية في فلسطين التي انتهت بانشاء اسرائيل ، وأشار الى أن الحكومة ما زالت عند وعدها بالغاء المعاهدة كما أعلنه رئيسها مصطفى النحاس في خطاب العرش ٠

والتقطت الجماهير خطاب وزير الخارجية ليكون نقطة انطلاق لها في حركتها التي كانت تتصاعد يوما بعد يوم حتى يوم ٢٦ اغسطس ـ تاريخ توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، فقررت التنظيمات السياسية التظاهر ، وخرجت القاهرة عن (بكرة أبيها) على حد تعبير جريدة المصرى ، وخرج نحو ١٥ ألف متظاهر من عمال الورش الاميرية والسكك الحديدية وورش أبو زعبل ٠٠٠ وحدث تصادم بين البوليس والمتظاهرين فأصيب البعض من الطرفين ، واستمرت المظاهرات تموج في القاهرة حتى المساء ٠

وقد لعبت التنظيمات الوطنية واليسارية دورا بارزا في تحريك الجماهير وقيادتها خلال هذه الفترة كما سيأتي ذكره فيما بعد ٠

ووجدت الحكومة الوفدية انها تفقد كثيرا من رصيدها الشعبي أمام موجة الحماس التي تجتاح الشعب ٠٠٠ ووجدت أيضا أنها قد أصبحت محاصرة بوعدها الذى قطعته على نفسها بالغاء المعاهدة ٠

واستقر الرأى على اصدار قانون بالغاء المعاهدة ، واصدار تشريعات بتعديل موقف السودان ، وكلف بذلك الدكتور وحيد رأفت المستشار الملكى لرئيس الوزراء ٠

توقع الوفد الخروج من الحكم بعد اعداد هذه التشريعات ، ولكن الملك الذى استشار نجيب الهلالى قرر التوقيع لأن نجيب قال له ان الموقف لا يحتمل عدم التوقيع ٠٠٠ وعدم التوقيع سيكون له أثر سيىء عند الشعب ٠

وجمع فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد الهيئة الوفدية البرلمانية في البهو الفرعوني الساعة الرابعة والنصف حيث أخذ يخاطبهم في تنظيمات خاصة بالوفد لضمان تجمعهم لهذه اللحظة التاريخية الحاسمة ٠

ووصل النحاس باشا من الاسكندرية في نفس اليوم ، والجماهير تستقبله بهتاف يكاد يكون واحدا (ألغ المعاهدة يا نحاس) ٠

ووقف النحاس باشا على منبر مجلس النواب ليعلن كلمته التاريخية « من أجل مصر أبرمت معاهدة ١٩٣٦ ومن أجل مصر اطالبكم اليوم بالغائها »

وذلك فى يوم ٨ أكتوبر ١٩٥١ وهو نفس اليوم الذى أقال فيه الملك الوزارة الوفدية بخطابه المهين فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ٠

فوجىء البريطانيون بالصورة التى ألغيت بها المعاهدة ، فقد توقعوا ان يكون الالغاء شكليا وليس بهذه الصورة الدستورية ٠

وحضر السفير البريطانى يحتج لدى فؤاد سراج الدين الذى قال له ان عندكم قواعد أخرى مثل عدن وقبرص ومالطة ، ولكن السفير البريطانى قال له انه لا يوجد فى أى قاعدة منها المزايا التى تتوافر فى قاعدة السويس ، وعندما سأله سراج الدين عن هذه المزايا ، قال السفير البريطانى ان قاعدة السويس تتميز بالآتى :

١ ــ توافر الأيدى العاملة الرخيصة ٠

٢ ــ وسائل النقل متوافرة لها من طائرات وبحر وسكة حديد ٠

٣ ــ الحياة الاجتماعية فى مدن القناة ، وهى مسألة جوهرية للقوات المسلحة ٠

والتقط فؤاد سراج الدين هذه الكلمات لتبدأ منها سياسة الحكومة الوفدية بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ فى مواجهتها للاستعمار البريطانى ٠

وكان الغاء المعاهدة اعلانا ببدء الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطانية فى منطقة القناة ، وحافزا لتجمع القوى الاستعمارية والرجعية فى محاولة للاطاحة بالحكومة الوفدية التى استردت كامل شعبيتها وأزالت كثيرا من التناقضات بينها وبين القوى الوطنية الديمقراطية التى فرضت نفسها على الساحة الشعبية ٠

وبعد خمسة أيام من الغاء المعاهدة تقدم سفراء انجلترا والولايات المتحدة وفرنسا وتركيا يطلبون مقابلة مشتركة مع وزير الخارجية ، ولكن الوزير حدد لهم مواعيد متتالية قدموا له فيها مذكرة واحدة تطالب باستبدال الغاء المعاهدة بعقد اتفاقية دفاع مشترك ٠٠٠ ولكن مجلس الوزراء قرر رفض المذكرة وأعلن ذلك فؤاد سراج الدين فى اليوم التالى مباشرة أمام مجلس النواب بعد سؤال من حامد العلايلى مراقب حزب الأحرار الدستوريين عن سر مقابلة السفراء الأربعة لوزير الخارجية ٠

وفى نفس اليوم كانت ٣ ناقلات جنود بريطانية وصلت الى بورسعيد تحمل امدادات لتنفيذ خطة بريطانية جديدة تقضى باحتلال كافة مرافق مدن القنال ووضع اليد على جميع وسائل عبور القنال ، وبذا تصبح قوات الجيش فى غزة وسيناء تحت سيطرة قوات الاحتلال ٠

وتحركت التنظيمات السياسية تعد نفسها للكفاح المسلح .

الوفد ممثلا فى الحكومة أصدر تشريعا بسجن كل عامل مصرى يعمل فى القاعدة البريطانية ، مع اذكاء الروح الوطنية فى الاذاعة مما أدى الى تحقيق بطالة كاملة لعدد من العمال المصريين كان يتراوح بين ٤٠٫٠٠٠ و ٥٠٫٠٠٠ عامل ، وأصدرت الحكومة فى نفس الوقت تعليمات لوزير الشئون الاجتماعية بصرف مرتبات العمال كاملة وتهيئة العمل المناسب لهم خارج منطقة القناة ، وفى أيام قليلة تجمعت أكثر من ١٧ باخرة بريطانية فى القتال بغير تفريغ لشحناتها .

وصدر قرار وزارى يمنع السكك الحديدية من نقل أى مهمات أو مواد الى القاعدة البريطانية ... وكذا منع النقل البرى والنهرى .

وصدر تشريع بمعاقبة كل من يتعاون مع القوات البريطانية بالسجن .

وتوقفت الحياة الاجتماعية للجنود فى مدن القناة نتيجة لنشاط الفدائيين حتى اعتبرت المدن خارج الحدود للقوات البريطانية .

ويقول فؤاد سراج الدين ان عددا كبيرا من ضباط البوليس فى ملابسهم المدنية قد شاركوا فى عمليات القتال وحرب العصابات ضد الجنود البريطانيين في القاعدة ... ويقول أيضا انه قد أبطل كافة المزايا التى ذكرها له سير رالف ستيفنسون السفير البريطاني وهو يعدد له مزايا قاعدة السويس عن غيرها من القواعد الأخرى فى قبرص ومالطة وعدن .

وعندما تطور القتال فى منطقة القناة بدأت الحكومة تشترى السلاح للفدائيين من الصعيد ... كما قابل فؤاد سراج الدين سفراء يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتى وطلب منهم شراء أسلحة للبوليس ... ولكن هذه المقابلات التى تعتبر بداية الاتصال بالدول الاشتراكية فى موضوع شراء السلاح لم تسفر عن نتيجة ايجابية ، ويعلل فؤاد سراج الدين ذلك بأنهم لم يكونوا قد قرروا بعد مواجهة الغرب بطريقة استفزازية فى المنطقة .

وكانت الحكومة الوفدية تتصل بالسفير الأمريكي جيفرسون كافرى عند مواجهتها بعض المصاعب ، فعندما منع الانجليز تدفق المازوت من السويس الى القاهرة الأمر الذى يؤدى الى توقف المجارى والمصانع والمخابز واللوارى ، اتصل فؤاد سراج الدين بالسفير الأمريكي وحذره من خطر الهجوم على الأجانب اذا نفد المخزون من المازوت وهو لا يكفى لأكثر من

ستة أيام ... وبعد اتصالات بين الحكومة الامريكية والبريطانية عدلت القوات البريطانية عن منع المازوت عن القاهرة .

وكانت الحكومة الوفدية الى جانب اعطائها الأوامر لقوات البوليس بمهاجمة قوات الاحتلال البريطاني فى القناة ، تعقد صلات مع بعض القوى الفدائية غير الحكومية ... فعندما قدم الصحفى المعروف فكرى أباظة رئيس تحرير المصور قريبه قائد الجناح وجيه أباظة الى فؤاد سراج الدين قامت بينهما صلة استمرت طوال معركة القناة كان يحصل فيها وجيه على مساعدات من الحكومة .

وتمت فى هذه الفترة مقابلة اخرى بين فؤاد سراج الدين وأحمد أنور أحد الضباط الأحرار وقائد البوليس الحربى بعد الثورة ...

وافق جمال عبد الناصر على المقابلة محذرا أحمد أنور من الارتباط بشىء لوجود زملاء يجب الرجوع اليهم ، كما حذره أيضا من محاولة فؤاد سراج الدين معرفة معلومات عن (الضباط الأحرار) .

يقول أحمد أنور ان فؤاد سراج الدين حاول أن يعرف منه اسم قائد التنظيم فى سؤال عابر عمن يصلح رئيسا لأركان حرب الجيش ، فقال له : محمود سيف اليزل ، كما يقول انه قد بارك حركة الضباط دون أن يورط نفسه فيها ، وانه حمل له ذلك فيما بعد جميلا لأنه كان يستطيع الاضرار به بعد المقابلة .

ويقول فؤاد سراج الدين ان أحمد أنور قد عرض عليه وقوف الجيش مع الحكومة الوفدية اذا أقالها الملك ، وانه قد علق على ذلك بقوله ان الملك لا يعتمد على الجيش ، ومع ذلك فقد اتفق بعد هذه المقابلة مع مصطفى النحاس على أن يقترح مصطفى نصرت وزير الحربية عزل محمد حيدر القائد العام للقوات المسلحة ، وفعلا ذهب مصطفى نصرت للسراى وطالب بتغيير حيدر ولم يصل الرد حتى اقالة الوزارة ... وتصادف ان احتفل الجيش فى نادى الضباط بعيد ميلاد الملك (١١ فبراير ١٩٥٢) فى حفل تغنى فيه أم كلثوم ، وأناب الملك محمد حيدر فى آخر لحظة حتى يفاجىء الوزارة بذلك ، واستقبله الضباط بعاصفة من التصفيق بينما استقبلوا كلمة وزير الحربية بتصفيق فاتر .

عمق هذا الاستقبال شعور الوفد بانصراف الضباط عنه ، وبأنهم القوة التى يستند اليها الملك ، رغم وجود حركة بين الضباط الوطنيين .

وظلت الحكومة الوفدية تواصل كفاحها ضد القوات البريطانية فى القناة بواسطة البوليس أساسا ... بينما تامر قوات البوليس بضرب

المظاهرات فى شوارع القاهرة ... وأدى هذا التناقض الى وجود نوع من الانفصام فى طبيعة عمل قوات البوليس في هـذه المرحلة الحرجة التى تواجه فيها الحكومة الوفدية عدوا أجنبيا فى القناة ، وتواجه مظاهرات تشب ضدها فى القاهرة ، تتهمها بالتقصير أحيانا ، وتطالب بالسـلاح أحيانا أخرى :

ولم يكن الضباط بعيدين عن معركة الكفاح المسلح فى القنال ... كما ان اتصالهم بالوفد لم يكن هو الاتصال الوحيد .

ولم يكن الوفد هو القوة السـياسية الوحيدة المؤثرة فى تحريك الجماهير للكفاح المسلح ... بل ان تنظيمات سياسية ناشئة استطاعت أن تلعب دورا بارزا فى هذه الفترة التى عمرت بالحرية والديموقراطية .

وحدث تغيير آخر فى ترتيب القوى داخل الجيش ... بعد ان كانت الشعب الثلاث للعمل السياسى هى (الارهـاب ـ والاخـون المسلمين والشيوعيين) ، حدث تحول مواكب للحركة الجماهيرية .

ضاع الاتجاه الارهابى فى تيار الكفاح الشعبى المسلح ، وذبلت قدرة (الحرس الحديدى) على الاغتيال بعد تفجر طاقات الشعب والثورة ، وأصيبت حيويته بالجمود .

وحدث تبدل فى موقف الاخوان المسلمين جعل ارتباط الضباط بهم يضعف عما كان قبل وأثنـاء حرب فلسـطين ... وكانت الصلة بين (الضباط الأحرار) وتنظيم الاخوان قد استمرت قائمة على أسس غير عدائية وغير تنظيمية أيضا .

وكان الاخوان المسلمون قد تعرضوا لهزة شديدة بعد اغتيال المرشد الشيخ حسن البنا ، ولبتت داخل الجماعة خلافات وصراعات على تولى الزعامة من بعده وخاصة ان نظامها الأساسى كان يركز كل السلطات فى يد المرشد العام ، وليس لمكتب الارشاد أو الهيئة التاسيسية الا وجود استشارى بجانبه طوال فترة توليه المسئولية التى تمتد حتى آخر يوم فى حياته دون تحديد لفترة زمنية معينة .

ولذا كان اختيار المرشد يعتبر موضوعا حاسما فى صراع الخلفاء ولم يفز الشخص القوى الذى يفرض نفسه ويدين له الباقون بالولاء ... فكان ان اجتمع رأيهم على تعيين شخص ضعيف . لكى يبدأ كل منهم محاولته فى السيطرة على الجماعة خلاله .

واتفق الرأى على تعيين حسن الهضيبى مرشدا عاما ، وهو مستشار عمل بالقضاء ٢٧ عاما واتصل بالشيخ البنا عام ١٩٤٢ ولكنه لم يكن

عضوا بمكتب الارشاد ولا بالجمعية التأسيسية المكونة من ١٥٠ عضوا ، ولم يكن عضوا بارزا معروفا للاخوان كما أنه كان قد أتم الستين من عمره فى عام ١٩٥٠ .

واتخذ الملك موقف التأييد من انتخاب المستشار حسن الهضيبى رشدا عاما ، بل قيل انه كان العامل الأول فى انتخابه لأنه كان متزوجا من شقيقة ناظر الخاصة الملكية مراد حسن ، وقد نشرت مجلة اللواء الجديد ان مزراحى باشا محامى الخاصة الملكية كان له دور فى تحسين العلاقات بين الملك والاخوان ، ليستميلهم الى جانبه فى مرحلة اتخاذ موقف العداء من الوفد .

ولم يمض شهر على انتخاب الهضيبى حتى ذهب فى احدى عربات القصور الملكية مع بعض زعماء الجماعة لمقابلة الملك ، الذى ذكرهم بوعد حسن البنا لكريم ثابت عام ١٩٤٨ باتخاذ خطة معاداة الشيوعية اذا ألغى الملك قرار حل الجماعة .. وقد تكررت زيارة المرشد للملك عدة مرات صرح بعد احداها بأنها (زيارة نبيلة لملك نبيل) .

وكانت جماعة الاخوان المسلمين قد خرجت من حرب فلسطين ومن فترة الاعتقالات ، وقد مال ميزان قوتها ، وضعفت قبضتها على الضباط الذين نظمتهم فى صفوفها خلال السنوات السابقة ...

ولذا لم تسهم جماعة الاخوان المسلمين خلال فترة الحكومة الوفدية فى أى عمل ايجابى ضد الملك أو الاستعمار ... بل انه عندما عين الملك حافظ عفيفى رئيسا للديوان ، وسارت المظاهرات تهتف ضد الملك وحافظ عفيفى ، كتبت مجلة الدعوة التى كان يصدرها صالح عشماوى عضو مكتب الإرشاد هجوما على رئيس الديوان الجديد ... وأبرقت وكالات الأنباء بهذا الموقف الجديد للجماعة من الملك ... ولكن عبد الحكيم عابدين سكرتير الجماعة سرعان ما اذاع بيانا هذا نصه : « يقرر المركز العام للاخوان المسلمين ان مجلة الدعوة لا تصدر عنه ولا تنطق بلسانه ولا تمثل سياسته وانها صحيفة شخصية تعبر عن آراء صاحبها ولا تتقيد دعوة الاخوان المسلمين بما ينشر فيها » .

وتخلفت الجماعة عن بقية القوى والتنظيمات السياسية التى حاولت أن تجذبها فى اتجاه ثورى ، أو تؤيد اتجاه صالح عشماوى ضد اتجاه الهضيبى المتحفظ والحريص على عدم حدوث احتكاك بينه وبين السراى باعتبارها مركز السلطة فى مصر ... رغم انه كانت تتوافر لهم الأسلحة فى جهازهم السرى .

واقتصر نشاط الاخوان خلال هذه الفترة على الدعوة الى التربية الاسلامية وكأنما هى تناقض الثورة ضد الاستعمار ، وفى حديث للهضيبى

مع مجلة الجمهور المصرى يوم ١٥ أكتوبر ١٩٥١ أى عقب الغاء المعاهدة بأسبوع واحد قال « هل تظن أن أعمال العنف تخرج الانجليز من البلاد ، ان واجب الحكومة اليوم هو أن تفعل ما يفعله الاخوان المسلمون من تربية الشعب واعداده فذلك هو الطريق لاخراج الانجليز » ··· ثم نفى الهضيبى ما أشيع من ان الجماعة طلبت من الحكومة تدريب ١٦ ألف شخص ونفى أن فى نية الجماعة التوجه بهذا الطلب ·

وكان الهضيبى يردد « اذا كانت الحكومة تريد تسليح الشعب فعليها أولا أن تسلحه بالأخلاق فتغلق تلك المواخير الساهرة طوال الليل ودور اللعب التى تفسد الأخلاق » ·

وخطب الهضيبى فى شباب الاخوان قائلا لهم « اذهبوا فاعكفوا على تلاوة القرآن الكريم » ، ورد عليه خالد محمد خالد متهما اياه بالابتعاد عن الدين الذى يفضل الكفاح على العبادة حسبما أثر عن رسول الله وقال « وجد الوطن فى التاريخ قبلما يوجد الدين وكل ولاء للدين لا يسبقه ولاء للوطن فهو ولاء ذاتى ليس من روح الله ، والوطن عماد الدين وسناده » ثم خاطب الاخوان قائلا « اطلقوا سراح الطاقة المحتكرة » ··· وكتبت روز اليوسف تقول انه يجب على الاخوان التحرك فى المعركة والا فقدتم مصر ·

لم يسرع الضباط المنضمون للاخوان المسلمين لمعركة القناة ، كما اسرعوا للتطوع فى حرب فلسطين ·· وبدت منطقة القناة خالية من أية حركة ايجابية لهم ·

وبذلك تخلى الاخوان المسلمون عن أداء دور بارز فى الكفاح المسلح ، وآثروا مهادنة الملك ، وترقب نتائج تورط الوفد فى مواجهة الاستعمار واحتفظوا بأسلحتهم فى المخازن ليوم قريب ·

ونتيجة لهذا الموقف المتهاون انصرف الضباط الذين انضموا للجماعة عدا قلة محدودة جدا وكانت هذه الفترة هى نقطة النهاية فى ارتباط الضباط بالاخوان المسلمين ·

اما التنظيمات الشيوعية فقد اسهمت أيضا فى معركة الكفاح المسلح فى القناة ، ولكن بقدرات بدأت محدودة ثم نمت مع تطور القتال ·

وصدرت فى هذه الفترة طبعة ثانية من كتابى (حرب العصابات) ، ودرست قيادة حدتو الموقف فوجدت أنه لا يجوز أن تضيق حلقة الكفاح لتصبح محصورة فى الفدائيين وحدهم ، وانما يجب ان يتسع نطاق المعركة ليشمل الفلاحين فى القرى المنتشرة بالمنطقة ، وكثير منهم مسلح

بطبيعته ، كما انه تم البحث فى انشاء تنظيمات سياسية لتوعية الجماهير وقيادتها فى القرى ، وجرت اتصالات كثيرة لخلق قيادة موحدة لكافة الكتائب والتنظيمات المقاتلة حتى يزداد تأثيرها وتتوحد أهدافها ، وتكون نواة لجبهة تخلق فى جو المعركة .

وكانت معركة (القرين) تجسيدا لهذه الأهداف التى رسمتها (حدتو) فلم تكن معركة فدائيين فقط ، وانما كانت معركة فلاحين أساسا ، فقد خرجت القرية كلها ، وتسلق الفلاحون النخيل ، وصوبوا مدافعهم ضد دبابات الانجليز التى تراجعت ، وعجزت عن احتلال القرين .

وكانت مشكلة التنظيمات الشيوعية هى نقص السلاح عكس الاخوان المسلمين الذين لهم السلاح ولم تتوافر ارادة القتال ...

كنا نحصل لهم على السلاح من داخل الجيش ... كان يحضره لنا جمال عبد الناصر من مجدى حسنين فى سلاح خدمة الجيش بثكنات العباسية ، وكنت أحمله مع الصاغ عثمان فوزى سفير مصر فى هولندا بعد الثورة الى المقاتلين فى منطقة القناة .

وكان جمال عبد الناصر يعرف حقيقة الدور الذى نقوم به ويوافق عليه ، بعد ان كانت صلته قد توطدت بمندوبى قسم الجيش فى (حدتو) للعمل فى تنظيم الضباط الأحرار وهما القاضى أحمد فؤاد واليوزباشى خالد محيى الدين .

وقد استشهد فى القتال عباس الأعسر الطالب بكلية تجارة الاسكندرية ، وعضو لجنة أنصار السلام بالمدينة ... وتحولت الجنازة الى مظاهرة شعبية كبيرة ، نظمنا اشتراك ضباط الجيش فيها رغم اتصال بعض ضباط القسم السياسى بنا ومحاولتهم أن يثنونا عن ذلك ... وسار ضباط الجيش فى صفوف منتظمة ومن خلفهم الجماهير تهتف ، وأمامهم طالب يحمل تمثالا كبيرا لحمامة السلام البيضاء ... وكان عدد ملحوظ من الضباط وصف الضباط قد وقعوا بيان ميثاق ستوكهولم .

كان عدد الأنصار يتزايد ، ومضمون المعركة يتعمق ... ويلتقى صوت طلقات الرصاص مع رنين الكلمات المطبوعة على صفحات المجلات الوطنية .

ولم تكن التنظيمات والقوة السياسية وحدها فى المعركة ... كان هناك بعض ضباط الجيش أيضا .

كان تنظيم (الضباط الأحرار) قد بدأ يتبلور وتتجدد معالمه ويزداد عدد المنضمين اليه يوما بعد يوم ... وكانت المنشورات هي الوسيلة الأولى لاثارة الضباط وتوجيههم .

كانت المنشورات خالية من الهجوم على الوفد أو الحكومة القائمة ... لما كانت تقوم به من أعمال هي أقصى ما في طاقتها ... وكان كتاب هذه المنشورات من أعضاء قسم الجيش (حدتو) وهم يدركون ان الهجوم على الوزارة الوفدية لاخراجها واسقاطها يلتقى تماما مع رغبة الاستعمار والملك والعناصر الرجعية خارج السلطة وداخلها .

ولكن المنشورات كانت تعلن « ان الجيش هو جيش الأمة وليس جيش فرد من الأفراد ، والأمة هي التي تنفق عليه ودافعو الضرائب من أبناء الشعب هم الذين يدفعون مرتبات هؤلاء الجنود ، وهم الذين يسلحونهم فمهمتهم الأولى أن يكونوا في خدمة الشعب لا في خدمة أي انسان آخر » ... وكانت تهاجم الأموال التي تنفق على زفاف الملك « اليكم يا من تجمعون المال من عرق الشعب لتنفقوه في غير صالح الشعب ... اليكم يا من تسوقون البلاد الى هاوية سحيقة لتصلوا بالبلاد الى مآربكم الخاصة ... اليكم كلمتنا هذه لتكون نذيرا لكم لعلكم تثوبون الى رشدكم وترجعون عن غيكم ... وانتم أيها الضباط اليكم هذا العرض الموجز لما يحدث اليوم من مهازل ، فكونوا متيقظين دائما لما يدبر لجيشكم وبلادكم ، ولا تتهاونوا في حقوقكم قيد أنملة » ... وكانت تعلن موقفها السياسي كما يأتي : « الشعب والجيش يقفان اليوم بالمرصاد لكل حركة ترجع بنا الى الوراء ... ان الشعب والجيش سيحطمان أية محاولة لضرب الحركة الوطنية ... لقد أيدنا الحكومة في خطوتها الوطنية التي اتخذتها بالغاء المعاهدة الاستعمارية » (١) .

وكان جمال عبد الناصر الرئيس المنتخب لتنظيم الضباط الأحرار حريصا على اشتعال حركة الكفاح المسلح في القنال ... يسهل امداد التنظيمات المختلفة بالسلاح والذخيرة اذا طلبت وكما كان يعطيني السلاح لمتطوعي (حدتو) كان يعطي السلاح والذخيرة لعبد القادر عودة وحسن عشماوي ، كما كلف كمال رفعت أحد الضباط الأحرار المرتبطين في البداية بالتنظيمات اليسارية والوزير وعضو مجلس الرئاسة بعد الثورة ، وحسن التهامي ضابط المخابرات وعضو الضباط الأحرار ثم الوزير بعد الثورة بالاشراف على معسكر تدريب الفدائيين في صحراء الفيوم ، ليرسلوا بعد ذلك الى كتائب وجيه أباظة عضو الضباط الأحرار ، والمتصل بفؤاد سراج الدين وزير الداخلية .

---

(١) حرب التحرير الوطنية ــ كمال رفعت .

... واشترك بعض الضباط الأحرار اشتراكا فعليا فى معركة القنال .
ويروى لنا أنور السادات الذى اعادته الوزارة الوفدية الى صفوف الجيش بعد فصله واعتقاله عقب ضبطه متصلا بالجواسيس الألمان فى القاهرة يرى قصة (التيتل) وهو اللغم البحرى الكبير الذى تقرر اغلاق القناة به واشترك فى العملية تخطيطا وتنفيذا جمال عبد الناصر وأنور السادات وصلاح هدايت الضابط المتخرج بعد ذلك فى كلية العلوم ووزير البحث العلمى بعد الثورة وحسن التهامى وضابط خفر السواحل عبد الستار عرفة ... ولكن العملية لم تنجح لأخطاء غير مقصودة فى البداية ثم أخطاء فنية فى النهاية .

لم يكن (الضباط الأحرار) يشكلون وحدات مقاتلة ، ولكنهم كانوا يتصلون بالفدائيين يدربونهم ويمدون معهم الخطط ، ويشتركون أحيانا فى بعض العمليات .

ولكن وحدات الجيش العادية فى منطقة القناة ظلت بعيدة تماما عن أحداث المعركة ، تخضع لتعليمات قادتها التقليديين الذين يتلقون أوامرهم من محمد حيدر رجل السراى وقائد عام القوات المسلحة .

وكان غريبا ان تسهم قوات البوليس بالعبء الأكبر فى معركة الكفاح المسلح بالقناة ، الى جانب الفدائيين والأهالى الذين بدأوا ينضمون الى حرب العصابات .. بينما قوات الجيش تمارس حياتها الطبيعية دون اعتداء على قوات الاحتلال ، ودون تحرش من قوات الاحتلال .

ولولا نشاط بعض (الضباط الأحرار) وروحهم النضالية لعد الأمر باعثا على التناقض الشديد . وأظهر الجيش فى مظهر القوة المستكينة لتعليمات السراى المتعاونة مع الاستعمار .

أرسل ضباط العريش ورفح الى رئيس الوزراء ووزير الحربية ورئيس أركان حرب برقية قالوا فيها « ان مصر العزيزة أولى بسلاحنا من فلسطين ، واذا لم تصدر الينا الأوامر بالتحرك الى القناة فسنتصرف على مسئوليتنا » وقد حضر مفتش عام الجيش بعد البرقية للتحقيق ولكنه لم يصدر أى اتهامات ولم تحدث مساءلة .

وقد أهاجت هذه الحالة مشاعر الضباط ، وجذبتهم الى أحداث البلد السياسية ، وسهلت فرصة التجنيد لتنظيم (الضباط الأحرار) ، وشاءت الظروف أن يدخلوا تجربة عملية لاختبار قوتهم .

وكانت هذه التجربة هى انتخابات نادى الضباط ، وهى فى العادة كانت تمر هادئة ودون اهتمام كبير من جانب الضباط ... ولكنها أقبلت هذه المرة فى ظروف مشحونة بالقلق والتوتر .

(الضباط الأحرار) يعيشون أزمة الوطن دون أن تنطلق طاقتهم في حرية مثل بقية المواطنين يلمسون فساد السراى وتعاونهم مع الاستعمار ولا يجدون وسيلة للتعبير الا في المنشورات ٠

وقد تحدد موعد الانتخابات بعد اسبوع واحد من هدم البريطانيين لقرية كفر أحمد عبده ، وهياج وثورة الرأى العام المصرى ٠

وقرر اللواء محمد نجيب ان يدخل الانتخابات رئيسا للنادى ، وكانت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار قد اختارته لما اتصف به من شجاعة وأمانة وبساطة خلقت له بين الضباط شعبية ملحوظة ٠

وتعتبر انتخابات نادى الضباط هى بداية المواجهة العلنية الصريحة بين الملك وبين (الضباط الأحرار) ٠

وعندما رشح محمد نجيب نفسه رئيسا للنادى لم يكن ذلك مما يريح الملك ، فقد سبق ان نقله منذ شهور من سلاح الحدود الى سلاح المشاة ، ردا على رغبته فى نقل الاميرالاى حسين سرى عامر وكيل الحدود المقرب من السراى والذى تولى قيادة السلاح بعده ، لما أحاط به من شبهات سلوكية ٠

أراد الملك أن يفرض حسين سرى عامر على مجلس ادارة النادى ، وأصدر أمره بتأجيل اجتماع الجمعية المحدد له يوم ١٨ ديسمبر ١٩٥١ ، ولكن الضباط اجتمعوا وقرروا أن تجرى الانتخابات يوم ٣ يناير ١٩٥٢ ٠٠ وفى اليوم المحدد رفضوا اعتبار سلاح الحدود من أسلحة الجيش التى يمثل مندوبوها فى مجلس ادارة النادى باعتباره سلاحا يضم ضباطا منتدبين من مختلف الأسلحة ٠

وكان فى هذا الاجراء صفعة شديدة لارادة الملك ٠٠ وتمت الانتخابات فعلا وحصل محمد نجيب على أغلبية ساحقة (عدة مئات من الأصوات) بينما حصل المرشحون الآخرون لمنصب الرئاسة وهم اللواء حافظ بكرى مدير المدفعية ، واللواء ابراهيم الأرناءوطى مدير المهمات واللواء سيد محمد مدير الصيانة على ٥٨ صوتا فقط ٠

لم ينجح محمد نجيب وحده ٠٠ ولكن نجح معه أيضا مرشحو تنظيم الضباط الأحرار الذين شكلوا أغلبية المجلس وكان منهم زكريا محيى الدين وحسن ابراهيم وابراهيم عاطف ورشاد مهنا الذى عين سكرتيرا لمجلس ادارة النادى ٠

وكان هذا دليلا على تأثير ونفوذ تنظيم (الضباط الأحرار) بين ضباط الجيش كما كان دليلا أيضا على شعبية محمد نجيب ٠

ولم يكد تمضي عدة أيام على الانتخابات حتى قام جمال عبد الناصر ومعه حسن ابراهيم وكمال رفعت وحسن التهامي بمحاولة اغتيال حسين سري عامر أمام منزله يوم ٨ يناير ١٩٥٢ ٠

وهكذا أطلت فكرة الاغتيالات برأسها من جديد ٠٠ ولكن سرعان ما تبين لجمال عبد الناصر بعد تجربته الأولى ان الاغتيالات لن تحقق الهدف لأنها حتى لو نجحت فان فساد النظام سوف يبقى ، كما عبر عن ذلك في كتابه (فلسفة الثورة) ٠٠ وهكذا لم يكد يطل الارهاب برأسه من جديد حتى عاد واختفى ٠

وصرح رئيس شعبة الاخوان بالسويس بانه « ليس للاخوان أى نشاط فى حركة المقاومة » ، وآثار هذا التصريح جدلا بين بعض قادة الاخوان مثل الشيخ محمد الغزالى الذى عارض هذا التصريح ، وسيد قطب الذى قال ان مسئولية التعبير عن رأى الاخوان ملقاة على عاتق المرشد العام وليس على سواه ٠٠ وعقب حسن الهضيبى على هذا الجدل منتقدا كثرة الحديث عن موقف الاخوان ومتسائلا « كان شباب مصر كله قد نفر الى محاربة الانجليز فى القنال ولم يتخلف الا الاخوان المسلمون » ٠

وكتب كمال رفعت فى كتابه (حرب التحرير الوطنية) أن أحد الفدائيين عندما ذهب الى الشيخ فرغلى مسئول الاخوان فى الاسماعيلية يسأله عن موقف الاخوان من احتلال الانجليز للمدينة فقال « نحن لسنا على استعداد لتحمل تهور النحاس ولا يمكن أن نضحى بأولادنا من أجل الوفد ٠٠ الوفد عملها وعليه ان يتحمل نتائجها ٠٠ وما حدث فى الأيام الماضية كلام فارغ وقد راحت الناس ولا أحد يدرى بها ٠٠ كما أن الانجليز لا يمكن أن يخرجوا بالاتفاق مع الوفد وحده ، فهو حاليا لا يخيف الانجليز لأنهم يعلمون ان هناك قوة ثانية فى البلد هى الأخوان ، فاذا لم يقتنع الوفد بقوتنا فلن تفلح أى محاولة له ، وعلينا أن نترك الوفد يغرق وحده وينتهى » ٠

ويقول كمال رفعت انه كان لدى الاخوان أسلحة كثيرة مخبأة لم تستخدم فى القتال ضد الانجليز ٠

ومع ذلك لم يغب الاخوان المسلمون عن معركة القنال غيابا تاما ، فان بعض أعضاء الجماعة من الشباب لم يطق الدخول فى جدل حزبى والمعركة مع الاستعمار تدور فى القنال فاشترك البعض منهم ، وتشكلت منهم عدة مجموعات ، واستشهد منهم بعض طلبة جامعة القاهرة (فؤاد سابقا) عمر شاهين وأحمد المنسى وغيرهما ٠

ولكن هذه الحركات المحدودة لم تكن تعبر تماما عن امكانيات وقدرات الاخوان المسلمين التى اندفعت الى معركة فلسطين بحماسة أشد .

تطور الكفاح الشعبى المسلح تطورا ملحوظا فى منطقة القناة ، وبدأت كتائب التحرير الشعبية تعالج نقط الضعف فيها ، وزاد اقبال (الضباط الأحرار) على المشاركة الصادقة فيها ، وتصاعدت العمليات حتى أصبحت خسائر القوات المحتلة مصدر قلق شديد للقيادة البريطانية .. نشرت جريدة التيمز يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٥١ تقول « ان أعصاب الجنود الانجليز قد أصبحت شديدة التوتر ، وانهم (أى الجنود) يتساءلون عن جدوى الاحتفاظ بقاعدة عسكرية ، فقدت كل قيمة عسكرية لها نتيجة للشعور الوطنى المعادى » .. كما علقت نفس الجريدة على تصريح للشيخ ابراهيم حمروش شيخ الأزهر يحل فيه دماء الجنود البريطانيين ، وكتبت فى صفحتها الأولى تحذر من أبعاد هذا الجهاد الدينى .. وعندما نسف الفدائيون قطارا كاملا محملا بالجنود والأسلحة والذخيرة يوم ١٢ يناير كتبت النيوز كرونيكل تقول « علق الضباط الانجليز على هذه المعركة بأنها أعنف من أية معركة خاضوها أيام الانتداب البريطانى فى فلسطين » .. وكتبت نيوستيتسمان « يبدو واضحا أن حرب العصابات قد أصبحت مسألة مقررة عند الفدائيين فى مصر .. أن مستقبل المصالح البريطانية قد أصبح الآن مظلما .. فاما جلاء مخجل عن مصر . وأما اشتباك عسكرى وفترة طويلة من المعارك فى ظل الأحكام العسكرية » .

ووصل الى القاهرة نجيب الراوى موفدا من نورى السعيد رئيس وزراء العراق حيث قابل فؤاد سراج الدين فى مكتبه وقال له ان الانجليز قد أفلسوا تماما ، وهم يطلبون حلا يحفظ ماء الوجه .. واستطرد قائلا بأنهم مستعدون للموافقة على كل شىء على شرط ايقاف أعمال الكفاح المسلح فى القناة .. وقال له فؤاد سراج الدين ان الموقف قد وصل الى الحد الذى لا يجرؤ فيه مصرى على اعلان ذلك ، وأنه على الانجليز أن يقرروا الجلاء ، وعلينا تأمين ظهرهم أثناء الرحيل .

وفى هذه الفترة كانت خطة تخلص الملك من الحكومة الوفدية تتحرك فى نشاط .. قال لى أحد كبار ضباط البوليس السياسى فى ذلك الوقت ، ان تعليمات قد وصلت لهم خلال هذه الفترة بأنه قد تقرر التخلص من الحكومة الوفدية ، وأن عليهم أن يهيئوا أنفسهم لذلك .. ويقول أيضا أن قوات بوليس القصور كانت عندها ملفات هى صورة طبق الأصل من ملفات البوليس السياسى الذى كان يرسل لهم كل الأخبار وكافة التقارير .

وعند محاكمة كريم ثابت أمام محكمة الغدر ، واستدعاء حافظ عفيفي كشاهد اثبات قال « ان الملك أبلغه أنه يريد التخلص من حكومة الوفد فقلت له أن المعركة دائرة مع الانجليز ولا يمكن اخراجها الآن ، وانه لابد من حدوث شيء هام لاخراجها ٠٠ ولم يملك المستشار نفسه عن التعليق قائلا « وأظن يا باشا وجدتم فى حريق القاهرة الحاجة المهمة » ٠

وكانت الحكومة الوفدية تواجه انفصاما فى سلوكها ٠٠ تمد قوات البوليس وكتائب التحرير بالذخيرة والسلاح وتطلب منهم مقاومة الانجليز ، بينما هى تضطر الى مقاومة المظاهرات فى القاهرة والاسكندرية بالرصاص أحيانا ٠

وكانت المظاهرات عقب الغاء المعاهدة ظاهرة شملت معظم المدن المصرية ، وأفرغت ما فى صدور الجماهير من رغبة فى القتال والمطالبة بالسلاح ٠٠ وكانت القوات البريطانية قد قتلت ٧ متظاهرين وجرحت ٤٠ فى الاسماعيلية وقتلت ٥ وأصيب الكثيرون فى بور سعيد ثم وضعت منطقة القنال تحت حكم عسكرى مباشر تجاهل السلطة المصرية ٠٠ وفى ١٧ ، ١٨ نوفمبر أطلق الانجليز النار على ثكنات البوليس فى الاسماعيلية فرد هؤلاء وسقط القتلى والجرحى من الجانبين ، وشيعت جنازة الشهداء المصريين فى احتفال خرجت له المدينة كلهـا ، وفى اليوم التالى طلب الانجليز الى محافظ القنال سحب قوات البوليس المصرى من الحى الأفرنجى بالاسماعيلية وسحب جنود بلوكات النظام وعدم ظهور الضباط المصريين بهذا الحى بأسلحتهم فقبل الجانب المصرى هذه المطالب ، وفى ٣ ديسمبر أطلق الانجليز النار على بعض قوات البوليس فى السويس واستشهد ٢٨ مصريا منهم ٧ من رجال البوليس وقتل من الانجليز ٢٢ ، وتجدد الاشتباك فى اليوم التالى وسقط ١٥ شهيدا ٠

وفى ٨ ديسمبر طلب الانجليز اخلاء حى (كفر أحمد عبده) بدعوى تحصن الفدائيين به واجتمع مجلس الوزراء وقرر رفض الطلب ، فحشد الانجليز آلاف الجنود ودبابات ومصفحات لم يكن ممكنا لقوة بوليس لا يزيد عددها عن ٤٠٠ أن تقاوم فانسحبت وهدم الانجليز كفر أحمد عبده ٠٠ وردت الحكومة على ذلك باستدعاء عبد الفتاح عمرو السفير المصرى بلندن فعينه الملك مستشارا له للسياسة الخارجية ، وهو المعروف بميوله الانجليزية ، واستولت على نادى الجزيرة الذى أنشأه البريطانيون فور احتلالهم مصر عام ١٨٨٢ وقصروا عضويته على العائلات البريطانية ولا يدخله المصريون الا بعد المرور على مجهر بريطانى دقيق ، وأباحت للشعب حمل السلاح ٠

كانت هذه الأحداث المتكررة تهيج مشاعر الشعب فى مصر فتنطلق المظاهرات ويحدث من بعض أفرادها اعتداء على الممتلكات ٠٠ وأدرك بعض الثوريين ان ذلك يمكن أن يكون ثغرة يتسرب منها المستعمرون ، فكتب سلامة موسى فى صوت الأمة (٢٥ أكتوبر ١٩٥١) يذكر بأن ما حدث من فساد للنظام أمر يخيف الأجانب وان بعض الشعارات كانت سيئة مما يعطى للأعداء فرصة الاندساس فيها لافسادها ٠٠ وخاطب النحاس باشا الشعب طالبا منه الهدوء ٠

وأصدر رؤساء تحرير الصحف بيانا يطالب بالعدول عن المظاهرات حتى لا يستغلها الانجليز ، وقد وقع البيان معظم رؤساء التحرير بما فيهم رؤساء تحرير (الكاتب) و (الاشتراكية) ورفض أبو الخير نجيب رئيس تحرير مجلة (الجمهور المصرى) التوقيع لأن مجلته كانت من مجلات الاثارة غير الواعية ٠

ولكن استشهاد المكافحين فى القنال جعل وقف المظاهرات أمرا صعبا مما اضطر الحكومة عقب اعلان ٢٣ أكتوبر يوما للحداد الى اصدار بيان بأن عناصر غير بريئة اندست فى المظاهرات ، وقررت منع المظاهرات منعا باتا مع التهديد باستخدام العنف ٠

ومع ذلك لم تتوقف المظاهرات تماما ٠٠ ولم تستخدم الحكومة العنف تماما حتى يوم ١٤ نوفمبر حيث صرحت الحكومة بخروج أكبر مظاهرة شهدتها مصر تحت شعار (الصمت ٠ الحداد ٠ النظام) ، وسار فى طليعتها مصطفى النحاس وبجواره على ماهر ورجال الحكومة ، وشيخ الأزهر والبطريرك والحاخام ورجال الدين والقضاء والجامعة والمهنيون وبعض العسكريين كما اشتركت وفود من الدول العربية والسودان ٠٠ وكانت كتائب التحرير تحرس المظاهرة فلم يحدث حادث واحد ، فى الوقت الذى قدر فيه عدد المتظاهرين بمليون متظاهر عدا المتفرجين على الأرصفة ، حتى انها وقد بدأت من ميدان الاسماعيلية (التحرير) لم يعرف لها أول من آخر ، وعم الصمت المظاهرة الكبيرة ، وتساقطت على المتظاهرين المنشورات الثورية وارتفعت لافتات قدرت بعشرة آلاف لافتة كتب عليها (يسقط الدفاع المشترك) (الوساطة الأمريكية خدعة) (يسقط الاستعمار) (الموت للخونة) ٠٠ الى غير ذلك من الشعارات الثورية ٠

ولم تكن هذه المظاهرة التاريخية هى خاتمة المظاهرات ٠٠ فقد كانت حوادث القنال تجد انعكاسا وردود فعل سريعة فى القاهرة لا تجد لها وسيلة للتعبير الا التظاهر رغم حظر ذلك ، حيث كانت المظاهرات تخرج بصفة تلقائية شعبية دون قيادة منظمة قادرة ٠

وزادت حدة المظاهرات فى أواخر ديسمبر وأحرق المتظاهرون بعض عربات الترام ، ورجموا البوليس بالحجارة مما أدى الى تعطيل الدراسة فى الجامعات ، وتجمع الطلبة رغم ذلك فى مظاهرات كانت تزداد عنفا وشدة طوال شهر يناير .

وبدت ظاهرة جديدة أيضـــا هى هجوم بعض الشبان على الملاهى والحانات كما حدث من تحطيم ملهيين بالقاهرة يوم ١٥ يناير ، وانفجار دارين للسينما يوم ١٩ ينـــاير .. وهو اتجاه يتنافر مع المظاهرات الشعبية ، ويشير دون دليل الى فكر الاخوان المسلمين الذين كانوا يرددون دائما الحديث عن الملاهى والحانات ، ولا يخوضون مباشرة فى قضية الكفاح المسلح .. مما يكون قد دفع بعض العناصر لهذا اللون من التدمير .

ومن الاستفزازات البريطانية التى كانت تفتعل فى القناة ردا على نشـاط الفدائيين .. ومن ردود الفعل المنبثقة فى شكل مظاهرات فى القاهرة والأقاليم .. رسم الاستعمار البريطانى والملك وقوات البوليس السياسى خطتهم المشتركة للاطاحة بالحكومة الوفدية :

وصلت الاستفزازات البريطانية الذروة ليلة الجمعة ٢٥ يناير عندما حاصر آلاف الجنود البريطانيين ومعهم المصفحات والدبابات مبنى محافظة الاسماعيلية وأرســل الجنرال اكسهام القائد البريطانى بالمنطقة انذارا لقوات البوليس المصرى بمحافظة الاسماعيلية بتسليم أسلحتها والخروج من المحافظة والثكنات والرحيل عن منطقة القناة كلها .

وجد القـــائد المصرى نفسه أمام احتمالين كلاهما صعب ، تسليم السلاح أو المقاومة مع فارق العدد والعدة وأراد أن يستطلع رأى فؤاد سراج الدين وزير الداخلية فأرسل ضابطا صغيرا قفز من فوق الســور ليتصل به بعد ان كان الانجليز قد قطعوا أسلاك التليفون عن المحافظة .

تمت المكالمة فى الثانية بعد منتصف الليل وكان فؤاد سراج الدين نائما وعندما استيقظ وجد نفسه مضطرا لاعطاء قرار : فسأل الضابط بالايجاب عما اذا كانوا مستعدين للمقاومة حتى آخر طلقة ولما أجـاب الضابط بالايجاب أعطى فؤاد سراج الدين قراره بالمقاومة ، ثم وضع السماعة وهو يبكى .

وكان عدد جنود بلوكات النظام فى الاسماعيلية الف جندى مع كل منهم الف طلقة .. وبدأت المعركة باطلاق قذائف المدفعية والدبابات على مبنى المحافظة ، وقاوم البوليس المصرى مقاومة باسلة وأطلق مليون طلقة رصـــاص ، وانتهت المعركة بمقتل ٧٠ عسكريا مصريا ، ٤٠ عسكريا بريطانيا .

ودخل الجنرال اكسهام مبنى المحافظة وصافح قائد القوة المصرية قائلا له « أهنئك وأهنىء جنودك على الروح التى قاتلوا بها ، ولذا فلن أعاملكم كأسرى حرب ، ولن تخرجوا من هنا رافعى الأيدى » ٠

ورحل جنود بلوكات نظام الاسماعيلية فى عربات السكة الحديد الى القاهرة ، وعندما أذيعت الأخبار كانت لها ضجة عالمية ٠٠ وظهرت صحف انجلترا يوم ٢٦ ينـاير وقد كتبت (انهـا تخجل لأن الجيش البريطانى يحارب البوليس المصرى) ٠

وتحركت فى القـاهرة منذ الصباح الباكر دوامة من المظـاهرات لا تهدأ ولا تتوقف ٠

اتصلت السفارة البريطانية فى الثانية بعد منتصف ليلة ٢٥ ـ ٢٦ ينـــاير بقوات البوليس تطلب حماية طائرة بريطانية هبطت فى مطار القاهرة ٠٠ وموظفو المطار ممتنعون عن تقديم أى خدمات لها ولم ينزلوا الركاب وهددوا بحرق الطائرة بمن فيها ٠٠ وبعد اتصالات طويلة لم يعثروا على اللواء أمام ابراهيم رئيس مكتب الأجانب ، فتحرك الى المطار بعض ضـباط القلم السياسى ٠ وبقوا هناك حتى السـادسة والنصف صباحا ٠

وفى طريق العودة بلغهم ان عساكر بلوكات النظام قد خرجوا فى مظاهرة ، فغيروا خط سيرهم لتفاديها ، وذهبوا الى منازلهم للنوم حتى الحادية عشرة صباحا ٠

وكان جنود بلوكات النظام فى ثكنات العباسية قد خرجوا بأسلحتهم فى السادسة صباحا فى مظاهرة صاخبة احتجاجا على ما أصاب زملاءهم فى الاسماعيلية ، واتجهوا الى جامعة فؤاد بالجيزة حيث اختلطوا بالطلبة المتظاهرين ، وتحركت الحشود المشتركة تنادى بحمل السلاح والسفر لمحاربة الانجليز ، وتهتف أمام قصر عابدين بسقوط الملك ٠

وتجمع المتظاهرون فى مبنى رئاسة الوزراء حيث خرج عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية يخطب فيهم ، وهم يهتفون بالمقاطعة الكاملة للانجليز وارسال القوات المسلحة للقناة ، وابرام معاهدة للصداقة مع الاتحاد السوفييتى ، وتجاوزت بمطالبها قدرة عبد الفتاح حسن على احتوائها وقد أوقف وزير الداخلية حكمدار القاهرة لأنه لم يمنع المظاهرات ٠

وكانت مظاهرة أخرى تسير أمام كازينو أوبرا حوالى الحادية عشرة والنصف صباحا حيث استفزها بعض ما شـاهدته فى شرفته فأحرقت الكازينو ٠

وهنا بلغ الأمر فؤاد سراج الدين الذى أصدر أوامره بفض المظاهرات بشدة ، وكان لدى الحكمدار اللواء مراد الخولى أوامر كتابية باطلاق الرصاص ولكنه لم ينفذها .. وأبلغ امام ابراهيم مرءوسيه بأن الوزير قد أصدر أوامره بعدم التعرض للمظاهرات رغم صحة ذلك ومعروف ان امام ابراهيم كان أحد كبار المسئولين فى القسم السياسى الذى لا يدين بالولاء الأول لوزير الداخلية وانما يدين بالولاء أساسا لسلطات السراى التى كانت لها دائما صلات مشبوهة علنية وسرية بالسفارة البريطانية .

وانتقلت مظاهرات هذا اليوم بعد ذلك الى مرحلة جديدة مشبوهة هى حرق سينما ريفولى ثم سينما مترو ثم نادى (الترف كلوب) البريطانى الذى اشتعل بمن فيه ، وتلاحقت الحرائق فى المتاجر الكبيرة والفنادق حتى شملت ٣٠٠ متجر وفندق شبرد ومترو بولوتيان ، وعشرات من الحانات والبارات ومعارض السيارات وبنك باركليز البريطانى وغيرها مما حول وسط القاهرة الى شعلة من النيران .

ومع بداية هذه المرحلة المثيرة كان ٦٠٠ من ضباط الجيش والبوليس يتوافدون بالمئات على سراى عابدين لحضور مأدبة غداء ابتهاجا بمولد (حضرة صاحب السمو الملكى الأمير أحمد فؤاد ولى العهد) والذى كان قد ولد يوم ١٦ يناير وأصدر مجلس الوزراء قرارا بتعطيل المصالح (ابتهاجا) بمولده يوم ١٧ يناير ، وقرر منح كل مواليد هذا اليوم عشرة جنيهات (لتكتمل البهجة) ، واجتمع البرلمان فى جلسة خاصة للاحتفال بالمناسبة (السعيدة) ، وذهبوا جميعا الى قصر عابدين لقيد أسمائهم فى سجل التشريفات .

وفى مناسبة مرور اسبوع على ميلاد ولى العهد استعرض الملك قوات الجيش من شرفة عابدين وقال « فى هذا اليوم أهدى الى الجيش أعز شىء عندى وهو ابنى » .. وأصدر حركة ترقيات كبيرة فى الجيش ، والقت طائرات الهليوكبتر أكياس الحلوى على سكان القاهرة الذين كانت أفكارهم مع المكافحين فى القناة .

القاهرة تحترق وضباط الجيش والبوليس على مأدبة الملك يتناولون الغداء الشهى ويحتفلون بميلاد ولى العهد ، ووزير الداخلية يحاول الاتصال بحيدر باشا تليفونيا ليصدر أوامره بنزول قوات الجيش ، ولكن حيدر باشا لا يغادر مقعده على المائدة ويرسل له وحيد شوقى مدير خفر السواحل يحدثه مما دفع فؤاد سراج الدين الى مغادرة مكتبه بوزارة الداخلية والذهاب بنفسه الى قصر عابدين ، بعد ادراكه أن الحرائق خطة مدبرة ، ومع ذلك ظل ينتظر حتى الساعة الثالثة الا ربع مساء حتى حضر له حيدر وحافظ عفيفى ثم ذهبا معا لمقابلة الملك وعادا فأبلغاه موافقة (جلالته) على نزول

ضباط الجيش .. وقد نصحهم عثمان المهدى قبل نزولهم بتفادى الشوارع المزدحمة بالمظاهرات حتى الخامسة مساء لم تتحرك قوات الجيش ، وعندما وصلت بعد ذلك الى حديقة الأزبكية أخذت موقفا سلبيا من الذين يحرقون القاهرة بدعوى انه لا توجد عندهم أوامر كتابية باطلاق الرصاص .

ومع الغروب كان كل شيء قد انتهى .. احترقت القاهرة وباتت فيها عصابات اللصوص والمخربين تسرق وتنهب .

واجتمع مجلس الوزراء ليلة ٢٦ يناير بعد ان كانت قد توقفت كل أعمال العنف ، وانطفأت معظم الحرائق ولم يقدم النحاس استقالته للملك كما جاء فى بعض المصادر .

يقول فؤاد سراج الدين انه كان هناك احتمال قائم بتكرار أعمال العنف يوم ٢٧ يناير وخاصة بعد ثبوت ان الحرائق لم تكن تتم بطريقة مرتجلة .. وانما كانت تتم بوسائل حديثة كما ظهر فى حريق شبرد اذ كانت هناك جماعات تفتح غازات معينة ثم تشعلها .

ويشير كمال رفعت فى كتابه (حرب التحرير الوطنية) الى هذه الحقيقة عندما يقول ان هناك فرقا منظمة من محترفى الحرق والتخريب انقضت على قلب العاصمة فى سيارات الجيب ، تحمل أحدث أساليب الحرق والتدمير وأشدها فاعلية .. وكانوا يقومون بمهمتهم بأعصاب باردة دون أن يبدر عنهم شعار أو تصدر كلمة أو اشارة .. كان عملهم مدروسا وخريطتهم مرسومة .. الأماكن التى يقصدونها محددة سلفا تتقدم مجموعة لاقتحام الأبواب اما بنفسها بقنبلة عند أسفلها أو عمل فجوة بمواقد الأستيلين ، وتسرع الى الداخل مجموعة ثانية تقذف فى جوف المبنى بالمواد الناسفة والحارقة وتندفع خارجة بعد ثوان معدودة ، وفى لمح البصر يكون المبنى كله شعلة من النار .

ويستطرد فؤاد سراج الدين فيقول انهم لم يجدوا أمامهم من سبيل الا فرض الأحكام العرفية لسرعة اعتقال بعض الشبان المعروف عنهم التهور واجراء التفتيش للبحث عن المواد التى استخدمت .

فكرت الحكومة الوفدية فى الآثار التى يمكن أن تترتب على فرض الأحكام العرفية وفكروا أيضا فى أمر الاقالة الماثل أمامهم .

وكان حافظ عفيفى قد سأل فؤاد سراج الدين فى مكتبه بقصر عابدين وهو ينتظر حيدر عما اذا كانت الحكومة الوفدية قد قررت قطع العلاقات السياسية مع بريطانيا ، لأن السفير البريطانى أبلغه بوجود معلومات تشير الى ذلك ، وان هذا يعتبر بمثابة اعلان حرب بين الدولتين ، يمكن أن تدخل القوات البريطانية بعده القاهرة .

وعندها قال سراج الدين أنهم لو حضروا الى القاهرة لانقض عليهم الشعب ٠٠ ولكن حافظ عفيفى قال ان الأمر خطير لأنهم عندئذ قد يأخذون الملك أسير حرب وبهذه الطريقة يفرضون شروطهم على مصر ٠

ويقول فؤاد سراج الدين انه أيقن بعد هذه المحادثة أن عمر الحكومة الوفدية قد انتهى ، لأنه طالما وصل الحديث الى احتمال أسر الملك فان الأمر لابد أن يؤدى للاطاحة بالحكومة الوفدية ٠

وقد جاء فى مذكرات ايدن بعد ذلك انهم فكروا فعلا فى دخول القاهرة عندما أزعج الكفاح المسلح قوات الاحتلال ، ولكن القائد البريطانى أبلغه أن قواته لا تستطيع ان تؤدى هذه المهمة ٠

كانت الاقالة ماثلة أمام الوزارة الوفدية وهى تناقش ليلة ٢٦ يناير موضوع فرض الأحكام العرفية ، وكانوا يدركون أيضا أن هذه الأحكام ربما تجعلهم أول من يكتوى بنارها ٠٠ ومع ذلك « لم يكن أمامنا مفر — صيانة للأمة واحتياطا للمستقبل — من فرض الأحكام العرفية » على حد تعبير فؤاد سراج الدين ٠

التبرير غير مقنع ، ومفاجأة الحريق جعلت الوفد يجنح الى طبيعة غير طبيعته ، لأن قبضته على السلطة ضعفت ، واقتناع الناس بقوته قد تأثر من الأحداث ومن الحريق ٠

عين النحاس باشا حاكما عسكريا فى نفس الليلة ، وأوقفت الدراسة فى الجامعة والمعاهد والمدارس الى أجل غير مسمى ، بدأت حملة اعتقالات شملت بعض الثوريين ، وأغلق مبنى الحزب الاشتراكى ، وصدر قرار بمنع التجول فى مدينة القاهرة والجيزة من السادسة مساء الى السادسة صباحا عين عبد الفتاح حسن رقيبا عاما على الصحف ٠ وعين المحافظون والمديرون حكاما عسكريين فى مناطقهم وصدر أمر عسكرى بمنع التجمهر واعتبار كل تجمع مؤلف من خمسة أشخاص أو أكثر مهددا للسلم والنظام العام ويعاقب من يشترك فيه بالحبس سنتين أو بالسجن خمس سنوات ان كان حاملا سلاحا ٠

ولكن هذه الاجراءات العنيفة ، ولبس ثياب الحاكم العسكرى لم تنقذ حكومة الوفد من مصيرها المحتوم فقد أصدر الملك أمرا باقالتها بعد أقل من ٢٤ ساعة فى مساء يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ ٠

وتحديد مرتكبى جريمة حريق القاهرة ، يأتى من تحديد الذين استفادوا من هذه الجريمة ٠

كانت قوات الاحتلال البريطاني تعاني معاناة شديدة من الكفاح المسلح حتى كاد الأمر يصل بهم الى حافة اليأس ، وجاء حريق القاهرة بالأحكام العرفية التي قضت على الحركة الثورية الصاعدة ، ومنعت نشاط الفدائيين واخمدت الجذوة المشتعلة في نفوس الشعب .

ويقول كمال رفعت في كتابه (حرب التحرير الوطني) ان المخابرات البريطانية اعدت معسكرا في (كسفريت) كان معزولا تماما عن العالم الخارجي ، وكان يضم مجموعة من عتاة المجرمين والمغامرين عملاء المخابرت والتجسس ، ويشير الى انهم كانوا العناصر المدربة التي اعتمد عليها البريطانيون في تدبير الحريق ، كما حدث بعد ذلك في حريق طهران الذي صاحب اسقاط حكومة مصدق عام ١٩٥٣ .

وكانت قبضة الملك على السلطة قد ضعفت ، واهينت كرامته وهتف بسقوطه في المظاهرات ، واتخذت الحكومة الوفدية قرارات واجراءات دستورية لم يفلح في مقاومتها الا بالتآمر والتنسيق مع الاستعمار عن طريق تعيين حافظ عفيفي رئيسا للديوان ، والذي قالت جريدة التايمز يوم تعيينه « أنه أول شعاع ضوء يبدد ظلام الجو الشامل في مصر » .

ولذا فان اقامة مأدبة غداء تضم ٦٠٠ ضابط من قيادات الجيش والبوليس في اليوم والموعد المحدد لبدء الحريق ، وابقاء الملك لهم شبه محتجزين في السراى أمام موائد الطعام الى ما بعد الثالثة مساء ، وبعد ان كانت الحرائق قد التهمت معظم شوارع وسط القاهرة ، وهو أمر لا يمكن ان يرتفع فوق الشبهات ، وخاصة انه نفذ في اليوم التالى مباشرة لأكبر الأعمال استفزازا لشعور المصريين وهو معركة الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير ، مما يدل على وجود تنسيق مشترك محكم .

وكان اختيار اليوم مدروسا في الخطة الملكية الانجليزية المشتركة بعناية فائقة ، فان كان مفروضا في هذا اليوم أن تفى الحكومة الوفدية بوعدها في قطع العلاقات نهائيا مع انجلترا ، وعقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتي .. كما ان أخبار اليوم نشرت لمراسلها البريطاني (ايار) صباح يوم الحريق برقية بأن لندن تتوقع اشتراك الجيش المصرى في معركة القنال وذلك بعد البرقيات التي ارسلها بعض ضباط الجيش يطلبون فيها المساهمة في الكفاح المسلح .. كما ان يوم ٢٦ يناير كان اليوم السابق لعقد أول مؤتمر لاتحاد عام نقابات العمال المصريين بتصريح من الحكومة الوفدية .

وقد اسهم البوليس السياسى فى تنفيذ المؤامرة بدوره المرسوم عن طريق غياب بعض قيادته أو اتخاذهم من المظاهرات موقفا سلبيا، أو ادعائهم بأن الوزير قد أمر بعدم التعرض لها .. وهم الذين سبق أن ناقشوا سرا طريقة التخلص من الحكومة الوفدية حسب رواية اللواء صادق حلاوة ..

هكذا تمت فصول الخطة الملكية الانجليزية المشتركة .. واحترقت القاهرة ، وانتكست الحركة الثورية التحررية للشعب المصرى .. ودخلت الحياة السياسية فى مصر مرحلة جديدة .

الباب الثالث

● الجيش فى السلطة

الفصل السابع **حركة ٢٣ يوليو**

(انى اؤكـــد للشعب المصرى ان الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالـح الوطن فى ظل الدستور مجردا من أية غاية) ٠

محمد نجيب فى البيان الأول للثورة

الفصل الثامن **الواقع الاجتماعى والطبقى للضباط الأحرار**

(لم يكن بين قادة الجيش ضابط واحد من اسرة اقطاعيـة كبيرة ٠٠٠ ولم يكن بـين الضباط الأحرار أى باشا أو بك)

حقيقة تاريخية

الفصل التاسع **سقوط الملـك**

(انتم سبقتونى فى اللى عملتـوه ٠٠ اللى عملتوه دلوقتى كنت أنا راح أعمله)

الملك فاروق لمحمد نجيب

وهو يودعه فى رحلته الأخيرة من مصر بعد عزله يـوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢

الفصل العاشر **الضباط فى السلطة ٠٠ لأول مرة**

(ليس من الدقة القول بأن الجيش يمـلأ الفراغ ٠٠٠ ومن الأفضل القول بأنه يفتح طريقا محجوزا بالقوة)

روستو

الفصل السابع

حركة ٢٣ يوليـو

(انى أؤكد للشعب المصرى ان الجيش اليوم
كله أصبح يعمل لصالـح الوطن فى ظـل
الدستور مجردا من أية غاية)

محمـد نجيب

من البيان الأول للثورة

احترقت القاهرة ، وأقيلت حكومة الوفد ، وبقيت الأحكام العرفية التى اعلنتها .

وكان لحريق القاهرة أثر شديـد على الضباط الأحرار .. البعض جمحت به حماسته الى حد المطالبة بضرورة الحركة الفورية مثل عبد اللطيف البغدادى الذى كان يتبنى دائما الرأى المطالب بالاندفاع لأعمال تنفيذية سريعة ، والذى وجد فى الحريق ما يثبت وجهة نظره من ان البلد كانت معرضة للدمار والفوضى وان نزول الجيش كان كفيـلا باعطـاء الضباط الأحرار فرصة فريدة لتغيير شامل فى بساطة شديدة .. وفى غمرة الدفاع عن موقفه قال عبد اللطيف البغدادى انه جاهز فى منزله عندمـا يقررون الحركة فقد سئم تكرار الاجتماعات والحديث .

ويقول عبد اللطيف البغدادى ان عدم تكامل تنظيم الضباط الاحرار كان هو السبب فى عجزهم عن الحركة فور الحريق ·

والبعض دفعه الحادث الجسيم الى التفكير فى الهدف الحقيقى لهذا التجمع من الضباط ·· حتى هذه اللحظة لم يكن التنظيم قد أخذ شكلا هرميا متعدد المسئوليات منضبط السرية ، ولم تكن له لائحة أو برنامج ، كما أن بعض المجموعات لم تكن تواظب على دفع الاشتراكات ، ولم يكن نظام الخلايا قد استقر على أسس ثابتة وخاصة فى سلاح الطيران ·

واذن أصبح من الواجبات الملحة أن يستقر التنظيم على أساس برنامج ولائحة ·· اللائحة لم يتسع الوقت لكتابتها ·· والبرنامج كتبه أحمد فؤاد وخالد محيى الدين وتمثل فى الأهداف الستة للثورة (القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين ـ القضاء على الاقطاع ـ القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ـ اقامة عدالة اجتماعية ـ اقامة جيش وطنى قوى ـ اقامة حياة ديمقراطية سليمة) ·

كان الضباط الأحرار يعتمدون على منشوراتهم التى لم تتوقف والتى تبادل مسئولية طبعها وتوزيعها عدد منهم عبد الرحمن عنان وحمدى عبيد وزير الادارة المحلية فيما بعد ، وخالد محيى الدين ·· وأخيرا استقرت بعد حريق القاهرة لتكون من مسئولية (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) ·

وفى هذا تفسير للأفكار والآراء التى حفلت بها المنشورات والتى كانت تعكس اتجاها أكثر تقدمية ـ الاتجاه الحقيقى لمجموعة الضباط الأحرار ·

ظهر بعد حريق القاهرة منشور يقول :

ايها الضباط ··

« ان الخونة المصريين يعتمدون عليكم وعلى جيشكم لتنفيذ أهدافهم وهم يظنونكم اداة طيعة فى ايديهم للبطش بالشعب وارغامه على قبول ما يكره ·· فليفهم هؤلاء الخونة ان مهمة الجيش هى الحصول على استقلال البلاد وصيانته ·· وان وجود الجيش فى شوارع القاهرة انما هو لاحباط قرارات الخونة التى تهدف الى التدمير والتخريب ·· ولكننا لانقبل ضرب الشعب ·· ولن نطلق رصاصة واحدة على مظاهرة شعبية ·· ولن نقبض على الوطنيين المخلصين ·· يجب ان يفهم الجميع اننا مع الشعب الآن ، ومع الشعب دائما ولن نستجيب الا لنداء الوطن » ·

وفى منشور آخر صدر فى فترة وزارة أحمد نجيب الهلالى الأولى كتب ما يأتى :

« توالت مؤامرات الاستعمار الانجلو أمريكي في الفترة الأخيرة في مصر لمحاولة القضاء على الحركة الوطنية ولصرف أنظار الشعب عن الكفاح المسلح ضد الاستعمار في القنال الى مشاكل داخلية في القاهرة فبعد أن أعلنت حكومة الوفد قطع المفاوضات والغاء المعاهدة ورفض حلف الشرق الأوسط الرباعي الاستعماري وتكوين الكتائب الوطنية ، واشتدت جذوة الوطنية في البلاد حتى كادت إن تصل مصر الى حقوقها الكاملة ، دبر الاستعمار وأذنابه انقلاب ٢٦ يناير ١٩٥٢ (حريق القاهرة) وجاءت حكومة على ماهر وبدأت المفاوضات من جديد ، وكان الاستعمار والخونة المصريون يأملون كثيرا من على ماهر التسليم تسليما كاملا بمطالبهم بقبول واستعمال الأحكام العرفية للتنكيل تنكيلا واسعا بالشعب . ولكن خاب رجاؤهم ولم يجبهم على ماهر الى مطالبهم ، فكان لابد من انقلاب جديد لتحقيق الأهداف الاستعمارية السابقة ، وتحويل الحركة الى الداخل ، والقيام بحركة تطهير واسعة بالبلاد بحجة تقوية الصفوف قبل مجابهة الاستعمار . وهكذا وصل الهلالي الى الحكم بعد تدبير سابق .. وقد جاء الهلالي وأعلن برنامج الوزارة بصراحة ، وان مهمتها الرئيسية هي التطهير وقد تناسى ان الفساد الأكبر مصدره الاستعمار وانه لا يمكن القضاء على الفساد الداخلي الا اذا قضى على أسبابه ومصدره .. أن من أهداف الضباط الأحرار الكفاح ضد الفساد وضد الرشوة والمحسوبية واستغلال النفوذ .. ولكن يجب ألا نتجه الى ذلك الا بعد القضاء على الاستعمار » .

أبرزت المنشورات السابقة اتجاهات وطنية تقدمية تتعارض تماما مع التخطيط الأمريكي للسياسة المصرية .. بل وربطت بين الاستعمارين البريطاني والأمريكي في محاولتهما القضاء على الحركة الوطنية وصرف انظار الشعب عن الكفاح المسلح .

وخلال هذه الفترة تبين أن حريق القاهرة لم يحرق الوفد وحده وانما أحرق معه قواعد النظام الذي فقد قدرته على الاستقرار .

كان نجيب الهلالي ينفرد بالحكم وحده بعد أن عطل الدستور ومنع الصحف من النشر عن الانتخابات ، وحاصر البرلمان بقوات البوليس بعد قرار حل مجلس النواب خشية اجتماعه عنوة ، وصادر مجلات الملايين (التنظيمات الشيوعية) والكاتب (أنصار السلام) واللواء الجديدة (الحزب الوطني الجديد) واعتقل قادة هذه التنظيمات كما اعتقل فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد .

أما الاخوان المسلمون فقد عادوا للنشاط مرة أخرى .. أيدوا على ماهر عندما تولى الوزارة ، وأيدوا من بعده نجيب الهلالي لان وزارته « من رجال

غير حزبيين عرفوا بسلامة القصد وبعد النظر واتصفوا بالجرأة والاقدام ، كمانشرت مجلة (الدعوة) •• وقابل الهلالى الهضيبى ولم يعتقل واحـد من الاخوان المسلمين :

ولكن الأفـكار التى حوتهـا هذه المنشورات لم ترسب فى أعمـاق الضباط ولم يحتشدوا حولها ، ذلك أنه لم تكن هناك جهود مبذولة لتثقيف الضباط ومناقشة المنشورات معهم والايحاء لهم بقراءة كتب معينة •• ولم يكن ذلك الأمر ملحا لان أحـدا لم يكن يتصور ان الظروف سوف تدفـع الضباط الأحرار الى حركة مفاجئة •

قال لى صلاح سالم انه لم يقرأ منشور الأهـداف الستة ولم يناقش هذا الموضوع أو يتعرف عليه الا بعد نجاح الثورة •

وقال جمال عبد الناصر للصحفى البريطانى دافيد مرجان فى حديث نشر بصحيفة الصانداى تايمز البريطانية فى يونيو ١٩٦٢ انه كان فى نيته القيام بالثورة فى عام ١٩٥٥ ، مما يوحى بأن الفرصة كانت ممتدة لمحاولة توحيد الضباط حول القضايا الفكرية الرئيسية ، واثارة اهتمامهم لتعميق مفهوماتهم السياسية والثقافية •

وخلال فترة ما بعد الحريق كان محمد رياض أحد الضباط الأحرار وقائد الحرس الخاص لمحمد نجيب فيما بعد قد اعتقل بتهمة الاشتراك فى حريق القاهرة ، وكان على صلة شبهتنظيمية بأحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى •• وصدر قرار بوضعه فى السجن أثناء التحقيق ، ولكن محمد نجيب الذى كان يعرفه منذ حرب فلسطين توجه محتجـا الى مكتب محمد حيدر وزير الحربية ، ولم يخرج من عنده الا بعد أن نقل محمد رياض الى الحجز فى ميس الضباط ، كما تقضى بذلك قوانين الجيش •

وكان لتوالى ظهور منشورات (الضباط الأحرار) وارتفاع أصواتهم الهامسة أثر على تحركات الملك ، وليس على تصرفاته •• وضاعف الحراسة على نفسه ، وكان خلال سهراته ومباذله سواء فى نادى السيارت أو ملاهى الليل يحيط نفسه بضباط من الحرس فى ملابس مدنية يمضون الليـل ساهرين ثم يحصلون على اجازة لمدة يومين ، وكان يقوم بهذه المهمة اعدد من الضباط لمعت أسماؤهم فيما بعد (سعد متولى كبير الياوران بعد الثورة ، ومحمد صادق وزير الحربية بعد ١٥ مايو ١٩٧١ ، وسعد الشاذلى رئيس أركان حرس الجيش ، وحسين عرفة قائد المباحث الجنائية التابعة للشرطة العسكرية) •

وكانت النقمة على الملك قد بلغت ذروتها وأصبح التركيز على نقده قاسما مشتركا فى أحاديث الضباط ٠٠ وتسلط بذلك الضوء على محمد نجيب أساسا باعتباره أكثر الضباط شهرة وشعبية منذ حرب فلسطين ٠

زاره روما اللواء أحمد فؤاد صادق فى مكتبه وروى له همسا أنه كان فى منزل الدكتور يوسف رشاد واذا به بعد اتصال تليفونى يعود له قائلا بأنه (سوف يقبض على اللواء محمد نجيب لاتهامه بتزعم حركة ثورية داخل الجيش) ولما نفى له اللواء أحمد فؤاد صادق احتمال ذلك ـ على حسب روايته ، قال له يوسف رشاد (ان المسألة خطيرة لانها تتعلق بحياة ملك) (١) ٠

وأدت هذه المعلومات الى اتخاذ الضباط الأحرار جانب الحيطة ، وخاصة بعد ان كانوا قد شكلوا لجانا قيادية للقاهرة ومنطقة العريش حيث تتجمع القوى الرئيسية للجيش ٠٠ شكلت لجنة القاهرة من جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين وحسين الشافعى وزكريا محيى الدين ومجدى حسنين وأمين شاكر ٠٠ وشكلت لجنة العريش من يوسف صديق وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وجمال سالم (٢) ٠

وتصرف رشاد مهنا فى هذه الفترة تصرفا أثار استياء زملائه ، وهو طلبه مغادرة القاهرة والانتقال الى العريش دون استشارة احد ٠٠ مما أدى الى توجه محمد نجيب الى مكتب حيدر محتجا على نقله باعتباره سكرتيرا منتخبا لمجلس ادارة نادى الضباط ولكنه فوجىء بأن النقل قد تم بناء على رغبته ٠٠ وذهب نجيب الى رشاد فى منزله وسمعه يبرر طلبه للنقل برغبته فى الابتعاد عن القاهرة فى الوقت الذى يلاحقهم فيه غضب الملك ٠

وكان رشاد مهنا قد التقى باللواء حسين سرى عامر مدير الحدود بعد محاولة اغتياله وتمت بينهما مصالحة شخصية ٠

وعندما وصل رشاد مهنا الى العريش كانت التعليمات عند البكباشى يوسف صديق مسئول المنطقة هى معاملته باحترام مع ابعاده عن التنظيم وعدم ربطه بحركته ٠

وخلال هذه الفترة أيضا قررت اللجنة القيادية للضباط الأحرار فصل (عبد المنعم عبد الرؤوف) من عضويتها لالتزامه وارتباطه بتنظيم الاخوان المسلمين ومحاولاته المتعددة مع عدد كبير من زملائه لنقل ولائهم لتنظيم الاخوان بدلا من تنظيم الضباط الأحرار ٠٠ فى وقت كانت فيه موجة المد

---

(١) كلمتى للتاريخ ٠

(٢) رواية خالد محيى الدين ٠

السياسي للاخوان قد انحسرت ، وانكشفت اتجاهاتهم المتهادنة مع الاستعمار والسراى ·

ومع ذلك لم تتوقف اتصالات الضباط الأحرار بالقوى والتنظيمات السياسية المصرية من اليسار (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) والى اليمين (الاخوان المسلمين) ·· وكان أبرز العناصر نشاطا ودأبا على هذه الاتصالات (جمال عبد الناصر) الذى كان قد أعيد انتخابه رئيسا للجمعية التأسيسية للضباط الأحرار بناء على طلبه ، عقب محاولته اغتيال حسين سرى عامر والنقد الذى وجه له من زملائه أعضاء اللجنة التأسيسية وخاصة عبد اللطيف البغدادى ، لعدم قيام الجيش بحركة فورية بعد حريق القاهرة ·· وحصل جمال عبد الناصر على أصوات زملائه عدا صوته هو فقد اعطاه لحسن ابراهيم - كما ذكر لى عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم - وكان ذلك تعبيرا منه عن الرغبة فى ترك موقعه ، واصرار زملائه على بقائه وكان اختياره لحسن ابراهيم لانه اشترك معه فى محاولة اغتيال حسين سرى عامر ·

اتصالات خارجية

ولم يقتصر اتصال الضباط الأحرار بالقوى والتنظيمات السياسية المصرية فقط ، ولكنه امتد ليشمل أيضا مندوبى وزارة الخارجية والمخابرات المركزية الأمريكية الذين استثارتهم منشورات الضباط الأحرار ، وانتصارهم فى انتخابات نادى الضباط ، فبذلوا غاية جهدهم للتعرف عليهم ، واكتشاف آرائهم ومحاولة اجتذابهم ·

وكانت حلقة الاتصال مع ضابط فى المخابرات المصرية طبيعة عمله تسمح له بالاتصال بالملحقين العسكريين الأجانب ، بينما هو مرتبط بالضباط الأحرار وبجمال عبد الناصر شخصيا ·

ولم تتسع حلقة الاتصال بين المسئولين الأمريكيين وبين الضباط الأحرار رغم اعتمادهم على الصحفى المقرب منهم محمد حسين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة فى ذلك الوقت ورئيس تحرير الأهرام فيما بعد ، لانه لم يكن قد تعرف بجمال عبد الناصر أو غيره من قادة تشكيل الضباط الأحرار حتى ذلك الوقت أو اكتسب ثقتهم ·

وكان حريق القاهرة حافزا لنشاط الأمريكيين فى المنطقة فقد أرسل دين اتشيسون وزية الخارجية مندوبا عنه استعاره من وكالة المخابرات المركزية هو كيرميت روزفلت لدراسة الأحوال فى مصر ·

وكيرميت روزفلت هو حفيد الرئيس الأمريكى الأسبق تيودور روزفلت الذى زار مصر أثناء ولايته رئاسة الجمهورية (من عام ١٩١٦ الى ١٩١٩ وأثار الشعور العام ضده عندما خطب فى الجامعة المصرية ممتدحا الاستعمار البريطانى لائما المصريين على تنكرهم لفضائله ومزاياه ، وأرسل له محمد فريد زعيم الحزب الوطنى برقية احتجاج ، وخرجت المظاهرات التى شهدتها القاهرة لأول مرة بعد اخماد الثورة العرابية ، تهتف بسقوطه وحياة الاستقلال ٠

بعد ان ظهرت اسرائيل ، وتمت هزيمة الجيش المصرى فى حرب فلسطين ، وتسرب النفوذ الأمريكى للمنطقة ، لم تقف الولايات المتحدة موقفا محايدا من نضال الشعب المصرى ضد الاستعمار البريطانى ، فقد أعلن دين اتشيسون وزير الخارجية الأمريكية عندما الغى مصطفى النحاس معاهدة ١٩٣٦ « ان مصر لم تعط الالتزامات الدولية احترامها اللائق » ووجه اللوم لالغاء المعاهدة ٠

ونشرت مجلة التايم فى أكتوبر ١٩٥١ مقالا جاء فيه « أن الموقف فى مصر أشبه ما يكون بالموقف فى اليونان سنة ١٩٤٧ ، حين اضطرت انجلترا نظرا لضعفها الى سحب قواتها من اليونان ، فحلت أمريكا محلها ، واستأنفت القيام بدورها حتى لاتترك فراغا يتسرب منه النفوذ السوفييتى ٠٠ وأمريكا أعدت عدتها للموقف منذ زمن بعيد حتى لا تفاجأ كما فوجئت فى ايران ووضعت مشروع الشرق الأوسط » ٠

وبدأ الصراع الخفى بين بريطانيا وأمريكا ٠٠ ونجحت المخابرات المركزية فى تدبير انقلاب حسنى الزعيم فى سوريا ، وهو أول محاولة لنقل أسلوب الحكم المفضل لدى الامبريالية الأمريكية والذى مارسته لزمن طويل فى أمريكا اللاتينية ٠٠ وهو حكم العسكريين الذين يقمعون الثورات والقلاقل الداخلية ، ويعملون مباشرة لحساب الشركات والاحتكارات الأمريكية ٠

وابتدأ الصراع الانجلو امريكى بانقلاب دبرته بريطانيا ، هو انقلاب اللواء سامى الحناوى ، وردت عليه الولايات لمتحدة بانقلاب ثالث بقيادة اللواء أديب الشيشكلى ٠

وركزت الولايات المتحدة اهتمامها بعد ذلك على مصر ، فعينت جيفرسون كافرى سفيرا لها بالقاهرة ، وهو من أشهر مدبرى الانقلابات فى وزارة الخارجية الأمريكية ، ويضم سجله سلسلة طويلة منها تقارب الثلاثين فى أمريكا الجنوبية والوسطى (كما ذكر محمد عودة فى كتابه « ميلاد ثورة ») ٠

وكان كافرى أول سفير أمريكى فى فرنسا بعد التحرير .. فى فترة ازيح فيها ديجول عن الحكم وطرد الشيوعيون من الائتلاف الوزارى ، وجذب الاشتراكيون للولايات المتحدة ، وأصبحت فرنسا قاعدة لمشروع مارشال ثم لحلف الأطلنطى .

ولكن كافرى جوبه فى مصر بحركة شعبية متصاعدة ، اضعفت من فرص القدرة على احداث انقلاب مشابه لما حدث فى سوريا ، وقد أسرع هو وسفراء انجلترا وفرنسا وتركيا لتقديم مذكرتهم المشتركة الى محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرى التى تدعو الى اقامة دفاع مشترك فور الغاء المعاهدة .. وهى المذكرة التى أعلن مجلس الوزراء المصرى رفضها أمام البرلمان ..

ولذا كان حريق القاهرة فرصة مواتية انعشت آمال الامبريالية الأمريكية فى التسرب الى مصر ، ووضع قبضتها على مركز الحركة السياسية فيها .. أعلن دين اتشيسون وزير الخارجية الأمريكى ، فى ٣١ يناير قوله « ان قيادة الشرق الأوسط ليست اقتراحا يمكن قبوله أو رفضه مازالت تقر بريطانيا على عدم اعترافها بالغاء مصر لمعاهدة ١٩٣٦ » . ويقول تشرشل وترومان فى بلاغ مشترك « ان أفضل وسيلة لازالة التوتر الراهن فى مصر هى قبول قيادة الشرق الأوسط » .

ولم يكن رجال المخابرات المركزية كيرميت روزفلت مندوب وزارة الخارجية الأمريكية ورئيس بعثتها الى مصر بعد حريق القاهرة ، غريبا على المجتمع المصرى ،فقد عمل فى مصر خلال الحرب ، وتوطدت صلته بالملك فاروق ، ووقف الى جانبه خلال أزمة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وأعد له مقابلة مع الرئيس فرانكلين روزفلت خلال زيارته لمصر عام ١٩٤٥ .

ولم يبدأ كيرمت روزفلت مهمته الجديدة من فراغ .. فان السياسة الأمريكية كانت لها نقط ارتكاز أقامتها خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية .. كانت الوزارة الوفدية قد وافقت على مشروع (النقطة الرابعة) الأمريكى الذى يتيح للولايات المتحدة التغلغل باسم المعونات الاقتصادية والخبرة الفنية لها ، وتعرضت بسببه الى هجمات عنيفة ظهرت فى الصحف خلال عام ١٩٥١ ، ووصلت الى حد مهاجمة الطليعة الوفدية له فى بيان نشرته (الاشتراكية) يوم ٢٢ يونيو ١٩٥١ تتهم فيه أمريكا بأنها سند الاستعمار البريطانى فى مصر :

وكان جيفوسون كافرى نشيطا فى مقابلاته وعلاقاته .. فقد نشرت الصحف — مجلة الجمهور المصرى عدد ٢٢ يناير ١٩٥١ — ان هناك مشروعا

لانشاء مكتب أمريكي انجليزي مصري لمقاومة الشيوعية ، ردا على المظاهرات المعادية التي تهتف بسقوط الاستعمار الانجلو أمريكي ، وان مكتب الصحافة الأمريكي يعمل على كسب بعض كبار الصحفين ويطالب بمبالغ كبيرة لزيادة نشاطه .

وكان مصطفى أمين صاحب دار أخبار اليوم قد أصدر كتابا باسم (أمريكا الضاحكة) فيه دعاية للمجتمع الأمريكي ، يمكن مقارنته بكتاب (الانجليز في بلادهم) الذي أصدره حافظ عفيفي .

وكانت السفارة الأمريكية قد نشطت في الاتصال بعدد كبير من السياسيين المصريين في محاولة لاجتذابهم الى صفها .. كان حافظ رمضان لايخفي صلته بالأمريكيين ، ويقول فتحي رضوان ان حافظ رمضان كان يتصل بمستر ايرلاند مستشار السفارة الأمريكية ، بأمل الضغط على البريطانيين كما صرح عبد الرحمن أمين الجامعة العربية بقوله « اننا على استعداد للتآلف مع أمريكا » .

ويقول مصطفى مرعي ان الأمريكيين قد اتصلوا به ثلاث مرات للتعاون معهم على أسس رفضها ، قال لهم أنه ضد الملك وليس ضد النظام .. وأنه مع الديموقراطية وضد الحكم الفردي .. ورفض اقتراحا خاصا بتطبيق قانون الاصلاح الزراعي ، وابلغهم انه يفضل تطوير قانون عضو الشيوخ محمد خطاب بحيث يضطر كل من يملك أكثر من ٣٠٠ فدان الى بيعها .

ويدل اتصال الأمريكيين بمصطفى مرعي على انهم كانوا يمهدون لنوع جديد من الحكم كان يرفضه لتنافره مع الديموقراطية ، ولتشجيعه للاصلاح الزراعي بطرق غير دستورية .. وهنا يفسر سياستهم التمهيدية لقبول انقلاب يتفادى أخطار الانتفاضات الشعبية بتحقيق بعض انجازات اجتماعية شكلية مع تثبيت قبضة السلطة الخاضعة للامبريالية الأمريكية ، المهددة للديموقراطية الشعبية .

وكان أحمد حسين وزير الشئون الاجتماعية في وزارة الوفد والذي استقال منها في صيف ١٩٥١ هو أحد أصفياء السياسة الأمريكية .. يدعوا لسياسة اصلاح اجتماعي تتفادى خطر الثورة .. وقد اقترح على (علي ماهر) ان يطلب الى الملك ــ مكافحة للشيوعية وتصفية للسخط الشعبي ــ اعلان تنازله عن أملاكه أو عن نصفها للشعب مثلما فعل شاه ايران فيما بعد أثناء معركة البترول كمقدمة لضرب الحركة الشعبية هناك .. كما انه اعتذر عن عدم الاشتراك في وزارة على ماهر عندما عارض في رفع شعار (التطهير قبل التحرير) .

كان أحمد حسين يؤدى دورا نشطا بين الساسة المستغلين بدعوى محاربة الفساد ، وقد اتصل بعد خروجه من الوزارة الوفدية بنجيب الهلالى واتفقا على أسس التخطيط والعمل بعد التخلص من الوفد .

كان أحمد حسين يهدف مع المبعوثين الأمريكيين الذين تركزوا فى القاهرة الى تنظيف ثوب الحكم الملوث ، ورتق ثقوب النظام المتفسخ عن طريق فصل بعض رجال الحاشية ، وتشكيل وزارة لايتدخل الملك فى أختيار اعضائها ، على أن يصدر الانجليز اعلانا بالجلاء من طرف واحد ، ثم يجرى تطهير الأحزاب بعد ذلك .

وكانت هذه هى المحاولة الأخيرة لمساندة النظام ، ووقع الاختيار على نجيب الهلالى الوفدى السابق ، ذى المواقف السابقة الشجاعة فى مواجهة الملك ، المشهور بنزاهته وصراحته .. ولكنه أمام تكليفه بتشكيل الوزارة تغاضى عن المبادىء المتفق عليها ، وقبل وزراء الملك « مرتضى المراغى وزكى عبد المتعال » ولم يتعرض لرجال الحاشية بسوء .. واكتفى بالحديث عن (التطهير قبل التحرير) مما دفع أحمد حسين الى الاعتذار عن عدم الاشتراك فى وزارة كان هو شخصيا أحد المخططين لتكوينها ، وأحد وسائل الاتصال بين رئيسها وبين الأمريكيين خلال عام ١٩٥١ .

ولم تنجح وزارة نجيب الهلالى فى تنفيذ المخطط الأمريكى .. لأن الملك ظل سادرا فى عبثه ، مطمئنا الى سطوته بعد اقالة الحكومة الوفدية ، معتمدا على حسن صلاته بالانجليز والأمريكيين معا .

ولكن كيرميت روزفلت كان قد كون من دراسته لمصر رأيا آخر .. وجد ان الملك أعجز من أن يؤدى دورا ايجابيا فى اصلاح النظام .. لم يكن الملك من ذلك النوع من الرجال الذين كان روزفلت يبحث عنهم فقد كان الملك فاقدا القدرة على تركيز أفكاره ، وكم من جلسة ابدى فيها تفهما عميقا لما يدور فى مملكته ، ووافق على اتخاذ بعض الاجراءات الأساسية فى خطة روزفلت ، ولكنه فى اليوم التالى يختفى عن الانظار مفضلا ممارسة هوايته فى العربدة والجنس وضاربا عرض الحائط بكل ما اتفق عليه فى اليوم السابق ، ولا يحرج فى الأسبوع التالى من اتخاذ اجراء ينسف خطة روزفلت برمتها ، وقد أمضى روزفلت فى القاهرة الشهرين الأولين من سنة ١٩٥٢ مع الملك يلهوان بتنفيذ مخطط (الثورة السلمية) وذلك بأن دفعا رجلى الحكم القويين مرتضى المراغى وزكى عبد المتعال لخلق أزمة وزارية ، بينما أوعز الملك الى البوليس السرى لجمع الأدلة والوثائق ضدهما ليثبت حين تحين الفرصة — انهما عميلان للمخابرات المركزية الأمريكية ، ثم قام الملك بتكليف نجيب الهلالى ذى الشهرة الواسعة والسمعة الجيدة بتولى مهام

رياسة الوزراء ، ولكن الملك لم يستدعه بلباقة كافية ، مما جعل الهلالى برفض تسلم الوزارة حتى اتصل به روزفلت سرا وأسر له بأنه اذا لم يتسلم رئاسة الوزارة ، ويقوم بتطهير جهاز الدولة من المرتشين والفاسدين ، ويكون رائدا للثورة السلمية فأن الثورة لن تبقى سلمية ابدا ٠

وهكذا يفسر مايلز كوبلند فى كتابه (لعبة الأمم) موقع وحركة مرتضى المراغى وزكى عبد المتعال ٠٠ ويلقى الضوء على حقيقة الدور الذى كان مفروضا ان يؤديه نجيب الهلالى ويكشف محاولة التمسك بثورة سلمية تحاشيا لثورة غير سلمية ٠

ويحاول مايلز كوبلند فى كتابة (لعبة الأمم) الايحاء بأن جمال عبد الناصر كان على اتصال بكيرميت روزفلت عندما ذكر « وقد أخبر عبد الناصر كيرميت روزفلت صراحة انه مع ضباطه لن ينسوا ذلك الاذلال الذى لاقوه على أيدى الاسرائيليين عام ١٩٤٨ ، الا أن نقمتهم ستنصب بالدرجة الأولى على كبارضباط الجيش المصرى ثم بقية حكام العرب والبريطانيين ، وأخيرا على الاسرائيليين » ٠

وكان ذلك فى معرض حديثه عن اهتمام الأمريكيين بتوضيح موقف المصريين من قضيتين هامتين أولاهما اسرائيل وثانيتهما القومية العربية ٠٠ ويبدو حديث جمال عبد الناصر كأنما وجهه لروزفلت قبل ٢٣ يوليو ، اذ ان كبار ضباط الجيش جميعا عدا قلة محدودة جدا منهم قد عزلوا واحيلوا الى التقاعد فور نجاح حركة الجيش ٠

ولكنه لايوجد دليل واحد على أن جمال عبد الناصر قد اتصل شخصيا بكيرميت روزفلت قبل الحركة ٠٠ ولو أن اتصالات بعض زملائه بالأمريكيين قد جعلته يطلب من خالد محيى الدين عدم استخدام عبارة (الاستعمار الانجلو أمريكى) فى منشورات الضباط الأحرار ، والاكتفاء بذكر الاستعمار البريطانى ،وكان ذلك فى شهر مارس ١٩٥٢ ، وذلك للتأييد الذى لمسه هؤلاء الزملاء من المسئولين الأمريكيين فى المنطقة ٠

والمقطوع به أن الأمريكيين قد وجدوا فى النشاط السرى لحركة الضباط الأحرار ما يحقق لهم أهدافهم فى المنطقة ، ولكنهم لم يستطيعوا أبدا أن يكونوا مسيطرين عليه ٠

وعندما عاد كيرميت روزفلت الى واشنطن فى مايو ١٩٥٢ بعد اقامة امتدت ثلاثة أشهر قدم تقريرا الى وزير الخارجية الأمريكية دين اتشيسون حسب رواية مايلز كوبلند فى كتابه (لعبة الأمم) تتضمن النقاط الآتية :

١ ـ لم تعد الثورة الشعبية التى كان يسعى اليها كل من الاخوان المسلمين والشيوعيين ـ وتخشاها وزارة الخارجية الأمريكية ـ واردة فى الحسبان •

٢ ـ لم يعد هناك أى أمل فى ابعاد الجيش عن القيام بالانقلاب قريب وأثنائه عن عزمه على استلام السلطة ، رغم كل التحفظات التى كان يبديها واضعو مخططاتنا فى واشنطن من أن تكون النتائج مشابهة لما جرى فى سوريا على أيدى العسكريين •

٣ ـ ان قادة الانقلاب المحتمل ، يرفعون شعارات قياسية تخالف ما اقترحه كثير من المراقبين الدبلوماسيين وتجعل منهم وهم فى السلطة طرفا لينا ومرنا فى أية مفاوضات نخوضها معهم كما انها تزيد من فرصتهم فى النجاح •

٤ ـ يجب أن توافق الحكومة الأمريكية على اقصاء الملك فاروق ، وربما النظام الملكى نهائيا فى مصر ، ولا يمنع هذا من اتباع بعض الشكليات للدبلوماسيين بارسال مذكرة احتجاج رقيقة تفسح المجال أمام السفير كافرى لاظهار قلقه المصطنع على سلامة الملك فاروق •

واذا صح ان كيرميت روزفلت قد وصل الى هذه النتائج فان هذا لا يعنى ارتباط تنظيم (الضباط الأحرار) بالمسئولين الأمريكيين ارتباطا عضويا ، ولا يدل على ان حركتهم تتم بتوافق وتنسيق مع الاتجاهات الأمريكية ، وانما يدل على اتساع دائرة معرفتهم ، وخبرتهم السياسية فى دول تتعرض لأزمات وطنية وحركة جيوشها فى مواجهة هذه الأزمات •

التحضير للانقلاب :

دليل ذلك أن (الضباط الأحرار) لم تكن لهم خطة عمل •• ولم يحددوا تصورا لحركتهم ، ولم يقرروا أسلوب انقضاضهم الى ما قبل ٢٣ يوليو بأيام قليلة •

كانت الاتجاهات متضاربة ، والرغبات مشتتة ، والحلول المقترحة متعددة •

وظهر ذلك واضحا بعد أن أصدر الملك قرارا بحل مجلس الادارة المنتخب لنادى الضباط وتعيين مجلس مؤقت برئاسة اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة وشقيق اللواء محمد نجيب ، وعضوية يوسف العجرودى ، وجلال صبرى ، ومصطفى كمال عبد الرازق ، ومحمد حسنى وعلى صبرى ضابط مخابرات الطيران ونائب رئيس الجمهورية فيما بعد •

وكان هذا القرار الذى صدر فى ١٧ يوليو صدمة جعلت (الضباط الأحرار) يهرعون الى التفكير فى تنفيذ شيء ما .. دون إن يستبينوا حقيقة هذا الشيء .. ودون أن يعدوا لكل أمر عدته .

وتأرجحت الآراء ..

يقول محمد نجيب انه ظهرت أمام الضباط ثلاثة طرق مفتوحة :

الأول : ارسال برقيات احتجاج من الضباط للملك .

الثانى : احتلال النادى بالقوات المسلحة .

الثالث : تجميع كبار الضباط واعتقالهم وفرض شروط الضباط على الملـك .

ولم تكن هذه الحلول هى التى فرضت نفسها فقط على تفكير الضباط .. برزت مرة أخرى فكرة الاغتيالات بطريقة ملحة .. وساندت مجموعة الطيران فكرة اغتيال قادة الأحزاب ورجال السراى وبعض رجال السياسة .. وسرت الفكرة الى مجموعات أخرى تجند للاغتيال ، وتشكلت مجموعة لذلك فعلا من كمال رفعت وعباس رضوان وزير الداخلية فيما بعد واسماعيل فريد محافظ الدقهلية السابق ومحمد البلتاجى محـافظ الجيزة السابق وعبد الحليم عبد العال الملحق العسكرى فى واشنطن فيمـا بعد ، كانت تنتظر أوامرها من عبد الحكيم عامر .. ولكن هذه الأوامر لم تصدر ولم تطلق رصاصة واحدة للاغتيال .

وكانت فكرة الاغتيالات تراود الضباط دائما ، فهى أقرب اسلوب يتفق مع منطقهم وطبيعتهم .. وساعد على ظهورها مرة أخرى فى هذه المرحلة – بعد ان ذوت وتراجعت فى فترة الكفاح الشعبى المسلح ضد الانجليز فى القناة ، وتجمع الارهابيين فى تنظيم (الحرس الحديدى) التابع للسراى ، وعدم وجود ظروف تؤهل لهم خلـق اعداء تتجسم فيهم فـكرة الاغتيال – ساعد على ظهورها اغتيال ملازم الصيانـة الفنى (عبد القادر طـه) فى مايو ١٩٥٢ الذى كان عضوا فى الحرس الحديدى ثم كفر به وبدأ اتصالاته مع القوى الوطنية واليسارية .. ونشرت الصحف وقتها اتهاما الى اللواء حسين عامر الذى بادر الى اعداد تكذيب له فى جريدة (الأهرام) ولكنـه تراجع عن نشره فى آخر لحظة حتى لا يكون فى هذا التكذيب توجيه لاتهام للسراى فى وقت كان يتطلع فيه الى منصب الوزارة .

هكذا كانت فكرة الاغتيالات تطرح نفسها دائما ٠٠

ولكن الظروف كانت تتغير بسرعة شديدة ٠٠ والمناطحة أصبحت متوقعة بين السراى والضباط الأحرار فى أية لحظة ٠

السراى فى مركز السلطة وتملك القدرة على اعتقال المشتبه فيهم من الضباط ٠٠ والضباط الأحرار يشعرون باقتراب الخطر منهم دون أن يكون عندهم تصور كامل أو خطة معدة لحركتهم ٠

وكان حسين سرى قد اقترح عند تشكيل وزارته يوم ٢ يوليو ١٩٥٢ بعد استقالة نجيب الهلالى تعيين محمد نجيب وزيرا للحربيــة ولكن الملك رفض ذلك رفضا باتا ٠٠ وغضب أيضا على محمد حيدر الذى لم يجد سبيلا الا حل مجلس ادارة النادى ترضية للملك ونقل محمد نجيب من قيادة سلاح المشاة ليكون قائدا للمنطقة الجنوبية فى منقباد بأسيوط ٠

وفكر محمد نجيب فى الاستقالة ٠٠ بل وكتبها فعلا ٠٠ ولكن موقف بعض الزملاء منه دفعه الى التراجع عنها وسحبها قبل وصولها ٠٠ فقد قال له يوسف صديق (اذهب الى منقباد وسنعيدك الى القاهرة بالدبابات) واقتنع محمد نجيب ، وقرر أن يواصل المقاومــة مع زمــلائه من موقعــه فى أى مكــان ٠٠

وفى هذه المرحلــة أيضا كانت صيحة المناداة بالحاكم (العاقــل المستبــد) قد علت وترددت ووصلت الى الــذروة ٠٠ سواء فى الخــارج الداخل ٠

نشــر الكاتب الأمــريكى ســتيورات السلوب مقـــالا فى صحيفة (شيكاغوصن تايمز) يقول فيه « اذا كانت بريطانيــا قد استطاعت فيما مضى ان تحافظ على سيادتهــا على مصر بخلــق الباشوات وجعلهم أصحاب النفوذ ، وبرشوتهم بعد ذلك ليكونوا أداة تسهيــل مصالــح بريطانيــا الاستعمارية فإن هذه الطريقة لم تعد عملية ولا مجدية اليوم ، ان الشعب الفقير قد أخذ يستيقظ ويشعر بالضيــق الفاحش اللاحــق به » ثم أنهى مقاله بقوله « ان الحديث عن انعاش الديموقراطية فى بلد كمصر يعيش فيه اغلبية الشعب عيشة أحط من عيشة الحيوانات ، هو لغو فارغ ، ان مصر لا تحتاج الى ديموقراطية بل تحتاج الى رجل فرد ، الى رجل ككمال اتاتورك ليقوم بالاصلاحات الضرورية اللازمة للبلاد ، لكن مشكلة مصر كيفية العثور على الديكتاتور ، فليس بين رجالها من لديه المؤهلات اللازمة للديكتاتور » ٠

كتب احسان عبد القدوس مقــالا بعنوان (ان مصر فى حاجــة الى ديكتاتور ٠٠ فهل هو على ماهر ؟) تحمس فيه للدفاع عنه وقال أنه معروف

عنه انه يعتد برأيه الى حد لا يسمح معه للوزراء بالتفكير ثم قال : ومصر تقبل معه أن يعتد برأيه الى حد أن صبح ديكتاتورا للشعب لا على الشعب ، ديكتاتورا للحرية لا على الحرية ، ديكتاتورا يدفعها الى الأمام ولا يشدها الى الوراء » ٠

وفى نفس الوقت تقريبا ظهرت عدة مقالات كتبها جوزيف السوب (من نادى الجزيرة بالقاهرة) قال فيها أن فاروق قد فقد أهليته ، وان الوفد حزب لا يمكن الاعتماد عليه ، وان الأمل الوحيد فى الجيش ٠٠ وقد أثارت هذه المقالات التى نشرت فى أمريكا اهتمام المبعوثين المصريين هناك ، ودفعت الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى ومسئول معهد ، الدراسات الاشتراكية فيما بعد الى كتابة مقال لمجلة (الكاتب) دون توقيع ، تحدث فيه عن احتمال وقوع انقلاب عسكرى ٠

وكانت صحف دار أخبار اليوم هى المنبر الذى تنطلق منه الدعاية للسياسة الأمريكية ، فهى تمدح السراى والملك ، وتهاجم الوفد وتحاول التشهير به ، ثم تنقلب الى غمز السراى عندما تتبلور السياسة الأمريكية وتفقد الثقة فى قدرة الملك على الاصلاح ٠ وقد اوضح موسى صبرى ذلك فى كتابه ملك وأربع وزارات ، اتخذت موقفا معاديا للشيوعية فى وضوح وقوة ونادت بالاصلاح ، وكان منطقها فى محاربة الانجليز ، خذ منهم ما تستطيع ثم حارب من جديد ، ولعل صحافة أخبار اليوم كانت تمثل حيرة الشباب فى البحث عن بطل ، وعبرت فى كثير من مقالاتها وتحقيقاتها عن هذا الأمل الذى تجمع حوله الناس ٠

وفى غمرة البحث الأمريكى وراء خفايا الحياة السياسية فى مصر ، ومحاولة معرفة (البطل) الذى تحدثت عنه صحف (أخبار اليوم) ، وقف جهاز اكتشافهم الحساس عند ظاهرة ، لم تكن وقتها ذات أثر كبير فى حياة الجماهير اليومية ، ولكنها اظهرت بادرة مثيرة فى أخطر جهاز منظم فى مصر ٠٠ وهى انتخابات نادى ضباط الجيش التى دفعت اسم محمد نجيب الى الضــوء ٠

وفى يوم ١٨ يوليو فوجىء محمد نجيب بحضور مدير مكتب محمــد هاشم وزير الدولة وزوج بنت حسين سرى بعد الغروب طالبا منه الذهاب معه لمقابلة محمد هاشم وزير الداخلية ٠

وذهب محمد نجيب الى شقة محمد هاشم فى الزمالك حيث انتظره الى ما بعد منتصف الليل لانه كان فى اجتماع مجلس الوزراء ودار بينهما

حوار عن أسباب التذمر في صفوف الجيش ارجع نجيب فيه السبب الى ان البلد تحكم حكما بعيدا عن الديمقراطية غير معبر عن ارادة الشعب ·

ويقول نجيب أن محمد هاشم أدار الحديث فجأة ليسأله عما اذا كان تعيينه وزيرا للحربية يعتبر أمرا كافيا لازالة أسباب التذمر وخلق حالة من الرضى بين الضباط ·

كان الاقتراح مفاجئا ، ولكن نجيب رفضه مباشرة متعللا بأنه سبق ان عرضت عليه وكالة الوزارة ورفضها وانه يفضل ان يظل في موقعه بالجيش ويقول نجيب ان رفضه انبعث في الحقيقة من شعوره بأنهم يقومون بمناورة لابعاده عن الجيش ·

وخلال الحديث الذى امتد الى الثانية بعد منتصف الليل ابلغه محمد هاشم بطريقة عابرة ان هناك اسماء ١٢ ضابطا عرفت السراى انهم يحركون (الضباط الأحرار) ولكن نجيب ابدى عدم اكتراث بهذه الواقعة مؤكدا له بأن هناك شعورا عاما وجارفا في صفوف الجيش ضد كثير من تصرفات رجال السراى ·

ونام محمد نجيب نوما قلقا مضطربا يستعجل الصباح ليبلغ اللجنة القيادية للضباط الأحرار ، وفوجىء قبل خروجه من المنزل بحضور الصاغ السابق جلال ندا المحرر العسكرى لدار أخبار اليوم ، ومحمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة يتحريان منه عما تم في مقابلته مع محمد هاشم ·

واندهش محمد نجيب لسرعة معرفتهما بالخبر ، ولكن تبين فيما بعد ان مصطفى أمين كان قريبا جدا من محمد هاشم وانه التقى به قبل وبعد مقابلة محمد نجيب له ، وان ارسال ندا وهيكل كان من باب التعرف على وجهة نظر الضباط الأحرار ·

ولم تقف المفاجأة عند هذا الحد ·· فلم تكد تمضى لحظات حتى وصل جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والتزما الصمت حتى لا يدور الحديث مع نجيب أمام الآخرين ·· وهنا طلب هيكل تعريفه بالضابطين ، وكان هذا هو اللقاء الأول بين جمال عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل ·

انفرد نجيب بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، واسر لهما بتفاصيل المقابلة ، وركز على تلميح محمد هاشم له بمعرفة السراى لاسماء عدد من الضباط ، واحتمال اتخاذ اجراء مضاد لهم في اية لحظة ·

وفى هذا اليوم بالتحديد تقرر القيام بحركة عسكرية ·· ولكن الصورة التى تتم بها كانت مازالت مهتزة وغير واضحة ، تتأرجح بين الاغتيالات وبين الاعتقالات ·

واتصل حسن ابراهيم بعبد اللطيف البغدادى يبلغه أنباء قرارهم بالتحرك وكان فى ذلك استجابة لموقفه الذى جعله يبتعد منتظرا بعد حريق القاهرة ·

واجتمعت اللجنة القيادية للضباط يوم ١٩ يوليو ١٩٥٢ وناقشت الحلول المقترحة فور المقابلة مع نجيب الذى لم يحضر الاجتماع لانه كان أكثر الضباط عرضة للرقابة وتسليط الضوء عليه ·

وتراجعت فكرة الاغتيالات بعد وضوح صعوبة تنفيذها بصورة جماعية واحتمال القيام بحملة اعتقالات واسعة بعد تنفيذ الاغتيالات ، الى جانب احتمال تعرضها للفشل وتعرض القائمين بها للخطر ·· ووافقت المجموعة كلها على ذلك ·

ونبتت فكرة الانقلاب ، وأخذت تنمو مع المناقشة ، بدأت بالتفكير فى الاستيلاء على قيادة القوات المسلحة دون الاذاعة أو غيرها ·· ثم تطورت حتى أصبحت حركة واسعة وانقلابا عسكريا حقيقيا ·

وكلف زكريا محيى الدين بوضع خطة الانقلاب رغم انه لم يكن قد أصبح عضوا فى اللجنة القيادية للضباط الأحرار ، ولكنه كان زميلا لجمال عبد الناصر وكمال الدين حسين فى التدريس بكلية أركان الحرب ·

واستمرت اجتماعات قادة الضباط الأحرار بعد ذلك نشطة ومتلاحقة ومتواصلة بصورة أبعدت النوم عن عيونهم يومين كاملين ·

وتم اعداد الخطة ·

وبقى تحديد الموعد باليوم والساعة ·

ليلة ٢٣ يوليو :

كان تحديد موعد الحركة يخضع للظروف المتجددة ، فلم يكن الضباط الأحرار وحدهم هم الذين يملكون تحديده باليوم والساعة ·· كانت النية هى القيام بحركة عسكرية عام ١٩٥٥ كما قال جمال عبد الناصر للصحفى البريطانى دافيد دين موروجان مراسل الصانداى تايمز فى شهر يوليو ١٩٦٢ ولكن حريق القاهرة أصبح قوة ضاغطة تدفع للحركة ، واستقر الرأى فى البداية على أن يتم ذلك فى شهر نوفمبر ١٩٥٢ حيث يقضى الدستور بضرورة اجتماع البرلمان فى هذا الشهر ، فاذا حدثت مخالفة دستورية أو تزييف فى الانتخابات فان حركة الجيش عندئذ تكون لحماية الدستور ·· ومضت الامور فى هذا السبيل ، حتى أصدر الملك قراره بحل مجلس ادارة نادى

الضباط ، وكان هذا في ذاته مؤشرا له دلالته بأن الصدام حتمى ، وان التأجيل لن يكون فى مصلحة الحركة ‥ وحددت اللجنة القيادية يوم ٥ اغسطس موعدا للحركة لسببين هما استكمال حضور كتيبة مدافع الماكينة الأولى لتزيد القوة الضاربة للضباط الأحرار ، وحتى يكون الضباط قد استلموا مرتباتهم ٠ ولكن معلومات محمد نجيب عقب مقابلته لمحمد هاشم ولقائه مع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر جعلت التأخير حتى ٥ اغسطس أمرا لا مبرر له حذرا من مبادرة الملك لضربة تصيب الحركة بالشلل ‥ وساعد على تبكير الموعد ليتم خلال ٤٨ ساعة حديث تلاه ثروت عكاشة عن صهره أحمد أبو الفتح رئيس تحرير (المصرى) يبلغه فيه من الاسكندرية بأن أنباء تتردد عن اعتقالات لعدد من الضباط ، وتعيين حسين سرى عامر وزيرا للحربية ٠

تقرر يوم ١٩ يوليو ان تتم الحركة ليلة ٢١ ، ٢٢ يوليو ، وكان الوقت محدودا جدا لوضع الخطة ودراسة كافة الاحتمالات وحشد كل الضباط الأحرار والتأكد من سلامة تقدير الموقف وضمان حركة المناطق الخارجية عدا القاهرة واهمها الاسكندرية والقنال والعريش ٠

ورغم ضيق الوقت لم يكن هناك من سبيل للتراجع ولم يعد هناك مفر من الاقدام ‥ واصبحت القضية هى قضية الاتصالات وتحضير الضباط للعمل الانقلابى ، بعد ان صرف النظر عن الاغتيالات وتبين تحت ضغط عامل السرعة ان التنفيذ فى الموعد المحدد (ليلة ٢١ ، ٢٢ يوليو) هو أمر شديد الصعوبة لتعذر تجهيز كافة الترتيبات والانتهاء من كل الاتصالات ، وتقرر تأجيل الموعد يوما واحدا لتكون الحركة (٢٢ ، ٢٣ يوليو ١٩٥٢) ‥ وقد أثر هذا التأجيل فى نفسية بعض الضباط الذى كانوا قد تهيأوا تماما للعمل وابلغوا قيادتهم بأنه اذا حدث تأخير جديد ، فسيتصرفون منفردين ٠

قرأ زكريا محيى الدين الخطة فى الاجتماع الأخير الذى عقد يوم ٢٢ يوليو بمنزل خالد محيى الدين ، ويبدى عبد اللطيف بغدادى ملاحظة شكلية اذ يقول ان جمال عبد الناصر قد انتحى به جانبا هو وحسن ابراهيم حيث قال لهما انه كان مفروضا ان يقرأ الخطة ، وان المسألة ليست مسألة (أقدامية) باعتبار زكريا محيى الدين اقدم منه رتبة ‥ بينما كان جمال عبد الناصر هو رئيس الضباط الأحرار انتخابا ولم يكن ذلك محل خلاف ٠

ورغم التأجيل يوما فان سرعة اعداد الخطة والتحديد المفاجىء للموعد احدث عدة مفارقات ‥ أنور السادات غادر رفح يوم ٢٢ يوليو ولم يتصور ان الحركة ستتم هذه الليلة ، فذهب مع اسرته الى دار صيفية للسينما . ولم ينضم لزملائه من الضباط الأحرار الا بعد عودته من السينما وقراءته

ورقة تركها له جمال عبد الناصر ، وعندما وصل كانت قيادة الجيش قد سقطت في يد الضباط الأحرار فعلا ٠

ومنطقة العريش لم تعرف بتفاصيل الحركة موعدا أو مسئولية ٠٠ وكذا منطقة القنال فهما لم يعرفا الا من محادثة تليفونية تمت في الثانية بعد منتصف الليل وفيها أبلغ القائمقام أحمد شوقي الصاغ توفيق عبد الفتاح بنجاح العملية ، وطلب منه جمال عبد الناصر تبليغ الصاغ صلاح سالم في رفح لتعذر الاتصال به تليفونيا ٠٠ ولم ينجح توفيق عبد الفتاح في ذلك الا مع أول ضوء يوم ٢٣ يوليو ٠

وحدث ذلك أيضا مع حامية السويس حيث كان الصاغ لطفي واكد يعرف التفاصيل والموعد ولكن نجاح العملية لم يعرف الا بعد اتصال أنور السادات باليوزباشي أحمد طعيمة ٠

أما منطقة الاسكندرية فقد حضر لي عز العرب عبد الناصر وشوقي عبد الناصر شقيقا جمال عبد الناصر يوم ٢١ يوليو ليبلغاني بالتوجه الى مصر لمقابلته دون توضيح الأسباب ٠

والتقيت بجمال عبد الناصر أمام منزله بالقاهرة حوالي الخامسة والنصف مساء يوم ٢٢ يوليو وترك عربته السوداء الصغيرة على مقربة من المكان الذي وقفت انتظره فيه ، بعد ان اعتذرت عن عدم الانتظار بالمنزل لشعور ريفي بالحرج من دخول منزل في غيبة صاحبة ٠٠ وكان في العربة الصاغ كمال الدين حسين والقائمقام أحمد شوقي والصاغ صلاح نصر ٠

وفوجئت تماما عندما ابلغني جمال عبد الناصر بأن الجيش يتحرك الليلة لفرض مطالبه على الملك ، فاذا لم يستجب لها فسينظر في أمره ٠٠ وكان سر المفاجأة هو التوقيت الفوري ، الى جانب طبيعة الدور الذي سيقوم به الجيش ٠

كان تفكيري مرتبطا بتفكير زملائي في الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني ، الذي لم يقدروا للجيش دورا فوق دور الشعب ، ولم يتوقعوا أن الجيش سوف يتحرك وحده والناس نيام في منازلهم ، بل كانوا ينظرون الى الجيش كفصيلة من فصائل الشعب تتحرك في توافق وتنسيق وتوقيت مشترك مع الفصائل الشعبية الأخرى الممثلة في الأحزاب والاتحادات والنقابات ٠٠ لم يدر في خلد احد ان نتعاون من أجل انقلاب عسكري ٠

واستفسرت من جمال عبد الناصر عن طبيعة الدور الذي يمكن ان تقوم به قوات الاسكندرية فكان الجواب هو تأمين منطقة والسيطرة عليها

دون تحريك للقوات أو حدوث تناقضات بين حامية الاسكندرية وفيها الملك والحرس الملكى والوزارة وبين حامية القاهرة ٠

كان توجيها عاما أكثر منه توجيها للتنفيذ ٠٠ متروكا لمبادرة الضباط الأحرار فى الاسكندرية ، ولطبيعة الموقف الذى يمكن ان نجابهه ٠

وشعرت بالمسئولية الثقيلة التى القيت على كتفى ووجدت من واجبى ان اشرك فيها زملائى ، فاسرعت الى أحمد فؤاد وكان منزله قريبا وابلغته بحديثى مع جمال عبد الناصر ولم يكن الموقف قد اتسع للقائهما فلم يكن يعرف شيئا عن موعد الثورة ٠٠ وذهبنا معا حيث قابلنا خالد محيى الدين ولم نتردد فى ضرورة المشاركة بعد ان دارت العجلة وأصبح وقفها مستحيلا٠

وذهبت الى يوسف صديق وكان زميلا أيضا فى (حدتو) وفوجئت بالدماء تنزف من صدره ، وقد أخذ حقنة فى الرابعة مساء لمنع النزيف ، وهو فى معنوية عالية يهيىء نفسه لواجب الليلة ٠٠ وغادرت القاهرة بعد ان ابلغت سيد سليمان رفاعى أو (بدر) سكرتير (حدتو) بموعد الحركة المفاجئة ، فوصلت الاسكندرية مع منتصف الليل ٠

ولم يكن بدر وأحمد فؤاد هما المدنيان الوحيدان اللذان عرفا بتحرك الجيش قبل موعده ٠٠ كان جمال عبد الناصر قد ابلغ حسن عشماوى عضو مكتب الارشاد بالاخوان المسلمين كما ثبت من حديث له فيما بعد ، كما ذهب جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين يوم ٢٢ يوليو لابلاغ صالح أبو رقيق عضو مكتب الارشاد أيضا واتفقا معه على ان يسهم بعض الاخوان فى مساندة حركة الجيش بعد انتصارها فى الصباح ٠ وأبلغ أحمد أنور شيخا فى كلية الشريعة اسمه محمد الاودن كان يتبارك به ليدعو لنجاح الثورة ٠٠ فظل قائما يصلى طول الليل ــ حسب رواية أحمد أنور ــ حتى أذيع البيان الأول للثورة ٠

اخطار غير متوقعة :

ولا شك أن اتصالات قد حصلت بين بعض الضباط والمدنيين قبل التحرك ولكن فى حدود معينة ، لاتتجاوز دائرة الاقارب أو الأصدقاء ٠

ولكن التسرب لموعد الثورة وحركتها جاء من ملازم أول حسن محمود صالح الذى أبلغ زملاءه فى المدفعية أنه عندما ذهب الى المنزل لتغيير ملابسه فهمت والدته انه مقدم على عمل ما فى هذه الليلة ، فأبلغت أخاه لواء بحرى متقاعد صالح محمود صالح الذى أبلغ بدوره حيدر باشا تليفونيا بان الضباط ينوون عمل شىء فى البلد ٠

عرف ضباط المدفعية بذلك في السابعة مساء يوم ٢٢ يوليو ، فاعادوا الضابط الى والدته ليقنعها بأنه ليس هناك شيء جدي .

ولكن الخبر كان قد وصل الى السراى فعلا ، وأصبحت الحركة مهددة بالفشل والتوقف قبل أن تبدأ .

ولم تكن هذه هي الثغرة الوحيد .. حدثت ثغرة أخرى قبل الحركة بساعات في سلاح الفرسان عندما اتصل أحد الضباط (ممدوح شوقي) بضابط آخر ليس عضوا في التنظيم (يوزباشي فؤاد كرارة) الذى ابلغ ذلك الى اللواء أحمد طلعت حكمدار العاصمة ، الذى أسرع بابلاغ القصر ، حيث استدعى اللواء حسين فريد الى عابدين ومنها توجه الى القيادة .

كان واضحا ان العجلة والسرعة هما الطابع السائد للحركة ، وان الروح الاندفاعية هي المسيطرة وان السباق مع الزمن كان يدفع الى الاهتمام بالوصول مع عدم الوقوف عند كثير من الفرعيات .

ويقول عبد اللطيف بغدادى أنهم في أثناء المناقشة الأخيرة للخطة توقعوا النجاح بنسبة ١٠٪ والفشل بنسبة ٩٠٪ ، ولكن لم يكن هناك مفر من الاقـدام .

واعطيت الخطة اسما كوديا هو (نصر) وتحـدد منتصف الليـل (ساعة الصفـر) .

وبدأ تنفيذ الواجبات في حدود القوى المتاحة .

وقبل ان تتحرك أى قوة من موقعها .. وقبل الخطوة الأولى في تنفيذ الخطة كان اللواء حسين فريـد رئيس أركان حرب الجيش قد استـدعى قادة الأسلحة والمناطق الحرة ، عدا اللواء محمد نجيب مدير المشاة ، وقتئذ لخشيتهم منه واعتقادهم انه العنصر الرئيسي المحرك للضباط الغاضبين .. الى مؤتمر في العاشرة مساء بمبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بكوبرى القبـة .

وقد تناسق عدم استدعاء محمد نجيب الى المؤتمر مع خطة الضباط الأحرار التي كانت تقضي ببقائه في المنزل على أهبة الاستعداد ، دون أيـة حركة قد تثـير الشبهات ضـده ، الى ان تنجـح الخطـة فيستدعى لتولى القيادة .

ولكن محمد نجيب علم من شقيقه على نجيب قائد قسم القاهرة بطبيعة وموعد المؤتمر ، فأسرع بتبليغ ذلك شخصيا الى عبد الحكيم عامر ونصحه بأن يتم اعتقال القادة المؤتمرين أثناء خروجهم حقنا للدماء .

كان الوقت متاخرا لا يسمح بتبليغ الضباط تغييرا فى الخطة ، كما ان وقف التنفيذ لم يكن واردا مهما كانت الأخطار ٠

واتصل عبد الحكيم عامر بجمال عبد الناصر وخرج الاثنان معا فى عربة جمال الصغيرة يراقبان حركة القوات ٠٠ فلم يكن الاثنسان مرتبطين بوحدات عاملة فى القاهرة ٠٠ عبد الحكيم عامر كان فى العريش وجمال عبد الناصر كان مدرسا فى كلية أركان الحرب ٠

ومعظم ضباط اللجنة القيادية للضباط الأحرار لم يكونوا مرتبطين بوحدات متحركة فى هذه الليلة عدا خالد محيى الدين الذى تحرك فى اطار خطة السوارى ، وكمال الدين حسين الذى تحرك فى اطار خطة المدفعية رغم انه كان مدرسا فى كليـة أركان الحرب ٠٠ صلاح سالم كان فى العريش وأنور السادات كان قد وصل للقاهرة فى نفس اليوم كما ذكرت ٠٠وضباط الطيران عبد اللطيف البغدادى وجمال سالم وحسن ابراهيم لم يكن فى الخطة تحركهم الا بعد ضوء الصباح عندما يصبح للطائرات فرصة التحرك ٠

كانت لحظات حرجة ٠٠ مؤتمر للقادة فى كوبرى القبة ٠٠ والضباط الأحرار يتسللون لوحداتهم يجهزون أسلحتهم ٠

سباق خفى مع الزمن ٠٠ القادة لا يعرفون ماذا يدور فى وحداتهم ٠٠ والضباط الأحرار لايعرف معظمهم حقيقة المؤتمر ولا ماذا استقر أمر المجتمعين عليه ٠

سقوط القيادة العامة :

وحدث خطأ بسيط ٠٠ ولكنه كان عظيم الأثر ٠

تصور البكباشى يوسف صديق ! ٠٠ ساعة الصفـر هى ٢٣٠٠ أى الحادية عشرة مساء وليست منتصف الليل ٠

كان يوسف صديق قائدا ثانيا لكتيبة مدافع الماكينة الأولى ٠٠ وصل مع مقدمة كتيبته الى القاهرة منقولا من العريش يوم ١٣ يوليو ٠٠٠ وكان عدم وصول بقية الكتيبة سببا فى التفكير السابق لتأجيل الحركة الى ٥ أغسطس ٠

لم يخف يوسف صديق الموقف على ضباطه وجنوده ، خطب فيهم قبل التحرك وقال لهم انهم سيفخرون بما سينجزون فى هذه الليلة ٠

• وتحركت القوة التى وصلت مصر من الكتيبة (سرية الرئاسة وسرية اخرى) من معسكر (هاكستيب) أبعد معسكرات ضواحى القاهرة (خلف مطار القاهرة الدولى) •• دون أن تدرى شيئا عما يدور فى قيادة الجيش •

كان يوسف صديق راكبا عربة جيب فى مقدمة طابور عربات الكتيبة المليئة بالجنود •• وفى الطريق فوجىء باللواء عبد الرحمن مكى قائد الفرقة يقترب من المعسكر ، فاعتقله ، وعند أوائل مصر الجديدة اعتقل أيضـا الاميرالاى عبد الرؤوف عابدين قائد ثانى الفرقة ، الذى كان يسرع بدوره للسيطرة على معسكرات هاكستيب • وركب الاثنان فى عربتهما والمدافع موجهة عليهما من العربات الأخرى ، والعلم يرفرف على مقدمة العربة •

ولم تقف الاعتقالات عند هذا الحد فقد فوجىء بجنوده يلتفون حول اثنين تبيين انهما جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر •• وكانا وحسب رواية يوسف صديق — فى ملابس مدنية •

كان اعتراضهما للقول المتحرك واقترابهما منه سببا فى اثارة شبهات الجنود ، ولما استفسر منهما يوسف صديق عن سر وجودهما فى هذا المكان ابلغاه بالمواقف فى رئاسة الجيش •• وهنا أعد يوسف صديق فجأة خطة جديدة تقضى بمهاجمة الرئاسة •

كانت قوات يوسف هى الوحيدة التى تتحرك فى شوارع القاهرة ، وهى الوحيدة التى تتحرك فى جرأة نحو مركز رئاسة الجيش •

وكانت الخطة التى اعدها يوسف صديق للاقتحام بسيطة •• فصيلة تقطع الطريق عند مستشفى الجيش أمام كوبرى القبة ، وفصيلة أخـرى تقطع الطريق عند كوبرى السيوفى أمام سلاح خدمة الجيش ، وبقية القوة تقتحم بلا احتياطى •

وأثناء نزول الجنود من عرباتهم ظهر الاميرالاى أحمد سيف اليزل خليفة ، فكان ثالث المعتقلين ، وترك سائقه فقط حرسا عليهم وعنده أوامر باطلاق النار •

واقتحم يوسف صديق وجنوده مبنى القيادة وفتشوا الدور الأرضى وكان خاليا ، وعند ارادوا الصعود الى الطابق الأعلى اعتـرض طريقهـم شاويش حذره يوسف صديق ولكنه أصر على موقفه ، فأطلق عليه يوسف طلقة إصابته فى رجله شفى منها فيما بعد •

وعندما حاول فتح غرفة القيادة وجد خلف بابها مقاومة •• : فأطلق جنوده الرصاص على الباب ثم اقتحموا الغرفة •• وهناك كان يقف اللواء

حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش واللواء حمدى هيبه وضابط آخر يرفع منديلا أبيض ٠

كان حسين فريد رابط الجاش شجاعا ٠

وقال له يوسف :

ـ لقد طلبت مقابلتك من مدة ، ويؤسفنى أن تكون هذه هى مناسبة اللقاء ٠

وطلب منهم ان يتحركوا حيث سلمهم لليوزباشى عبد المجيد شديد أمين التنظيم بالاتحاد الاشتراكى فيما بعد ليذهب بهم الى معسكر الاعتقال المعد حسب الخطة فى مبنى الكلية ٠

وفى هذه اللحظة وصل ضابط ومعه ٥٠ جنديا كل منهم يحمل ١٠٠ طلقة حضروا بناء على استدعاء من رئاسة الجيش ، فضمهم يوسف الى قواته بعد أن عين عليهم قائدا من ضباطه ٠

واخيرا جلس يستنشق انفاسه مع بعض ضباطه فى مكتب رئيس هيئة أركان حرب الجيش ٠

كانت قيادة الجيش قد سقطت ٠٠ وكان بعض كبار الضباط قد اعتقلوا ٠٠ وكان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يرقبان الموقف من موقع مجاور تماما للقيادة هو المكان الذى أقيم فيه المسجد الذى استقر فيه جثمانه بعد وفاته ٠

ولم يكن جلوس يوسف صديق على مقعد رئيس أركان حرب الجيش يعنى أن الحركة قد انتصرت أو أن الخطة قد نفذت ٠٠ ولكنه كان يعنى فقط أن أخطر مركز للسلطة قد سقط ٠ وانه لم يعد هناك ـ فى القاهرة ـ مركز يستطيع أن يعطى اوامر مضادة لحركة قوات الضباط الأحرار ٠

كانت جرأة يوسف صديق وبسالته عاملا مرجحا لقوات الحركة ٠٠ وكان كبار ضباط الجيش الذين غادروا القيادة عقب مؤتمرهم قد بدأوا يتساقطون فى ايدى القوات الثائرة ٠

قوات المدفعية فى الماظة اعتقلوا اللواء على نجيب قائد المنطقة المركزية كما اعتقل اللواء حافظ بكرى قائد المدفعية والبكباشى عبد الفتاح كاظم أركان حرب السلاح ٠٠ اعتقلهم كمال الدين حسين ووضعهم يوزباشى محمد أبو الفضل الجيزاوى أركان حرب مدفعية الميدان فى مكتبه تحت الحراسة ٠

وبعد منتصف الليل اتصل من الاسكندرية الفريق محمد حيدر • يطلب اللواء حافظ بكرى ، وكان قد سبق له الاتصال برئاسة الجيش فلم يتلق جوابا مطمئنا •• ورد عليه اليوزباشى الجيزاوى مقلدا صوت اللواء حافظ بكرى ودار بينهما الحديث التالى بعد سؤال حيدر عن الحالة :

ـ أنا حافظ بكرى يا معالى الباشا •• وقد ارسلت استدعى قادة الوحدات واحنا مسيطرين تمام على الموقف •

وقال حيدر وصوته يتهلل :

ـ أنا متشكر على الهمة دى يا حافظ وأنا حابلغ مولانا ، وخليك على اتصال بينا •

وفى الواحدة بعد منتصف الليل اتصل حيدر للمرة الثانية يطلب افادة عن الموقف ، فطمأنه أبو الفضل قائلا ان قادة الوحدات والضباط قد وصلوا فقال له حيدر :

ـ أنا سامع ان فيه دوشة عند القيادة •

وقال أبو الفضل :

ـ المعلومات عندنا وسنارسل قوة لضرب هذا التجمع

ولم تكد تمضى نصف ساعة حتى اتصل حيدر مرة ثالثة والقلق يتضح فى صوته وأبو الفضل يجيب :

ـ أرسلنا قوات للعباسية واحنا مسيطرين على الموقف فى الماظة والعباسية وسنقبض على الضباط المتجمعين أمام القيادة •

وفى الثانية بعد منتصف الليل اتصل حيدر للمرة الرابعة وواضح من صوته انه فى حالة نفسية سيئة وهو يقول :

ـ هنا معلومات وصلتنا بأن بعض الضباط قد استولوا على القيادة فعلا •• فما هى الحقيقة ؟

وحاول أبو الفضل يطمئنه قائلا :

ـ ان هذه المعلومات ليست صحيحة وان قواتنا فعلا هى المسيطرة على الموقف •

ولكن الشك كان قد دخل قلب حيدر الذى قال :

ـ انت باين عليك مش حافظ بكرى •• وصوتك متغير ••

ـ لا يا أفندم أنا حافظ بكرى ، وتغير الصوت من التليفون ٠

ـ اديني أمارة ٠

ـ أمارة ايه يا معالي الباشا ٠

ـ اديني أمارة بخصوص العيد ٠

وقال أبو الفضل :

ـ هوه بعد العيد يتفتل الكحك ٠

وصدم حيدر بالرد فقال :

ـ مش عيب يابني كده ٠

وجسم أبو الفضل الموقف قائلا :

ـ مصلحة البلد فوق كل اعتبار ٠٠ وأرجو أن تتركنا لكى نكمل عملنا ٠

ولم يكن محمد حيدر هو الوحيد الذى اتصل بالمدفعية ، ولكن قائد البوليس الحربى خاطبه أيضا ، باعتباره (حافظ بكرى) وطلب منه قوة مسلحة لأن هناك وحدات تهاجم القيادة فى كوبرى القبة ٠

وعندما سأله محمد أبو الفضل الجيزاوى عما اذا كانت القوة يجب أن تكون معها الذخيرة قال قائد البوليس الحربى :

ـ طبعا يا أفندم لازم نضرب فى المليان ونمنع الفتنة دى ٠

وقال له أبو الفضل وقد فاض به :

ـ انت بكره اللى حتنضرب بالرصاص فى ميدان عابدين ٠

واتصل بالمدفعية أيضا ، قائد ثان السلاح من منزله ، ومدير العمليات الاميرالاى سيد طه القائد السابق لقوات الفالوجا ٠

كانت هذه المكالمات تدور أمام القادة المعتقلين ، ولم يملك على نجيب نفسه من الابتهاج عندما اعتقله كمال حسين قال له : (انني أعتقلك ، بأمر اللواء محمد نجيب) فطلب من (أبو الفضل الجيزاوى) أن يقدم لهم (قهوة وشاى وكازوزة) هذا بينما ظهرت الكآبة واضـــحة على وجه حافظ بكرى ٠

نفذت المدفعية بالمهمة المطلوب منها فى الخطة وهو وضع قوات على مدخل المنطقة العسكرية للتحكم فى الداخلين اليها ، وقد قاد هذه القوات

كمال الدين حسين واليوزباشى خالد فوزى واليوزباشى أحمد كامل رئيس المخابرات العامة فيما بعد واليوزباشى على فوزى يونس المحافظ فيما بعد ٠

استقر الموقف فى الماظة تحت قيادة الضباط الأحرار فى المدفعيه ٠

أما فى سلاح الفرسان المواجه تماما للقيادة فقد استعد تحت قيادة ثلاثة من ضباطه هم البكباشى حسين الشافعى والصاغ خالد محيى الدين والبكباشى ثروت عكاشة ٠٠ وكان به أكبر حشد من الضباط الذين كان معظمهم مستعدا للتحرك فعلا من الليلة السابقة ، ولم يغادروا المعسكرات ٠

وخرجت المدرعات والعربات المصفحة من السلاح بعد ان اعتقلوا قائد الفرقة المدرعة الاميرالاى حسن حشمت ، وبعد ان كانت القيادة قد أصبحت معقلا للضباط الأحرار فعلا ٠

كانت مسئوليـة خالد محيى الدين قيادة المدرعات والمصفحات التى ترابط عند مدخل مصر الجديدة (سينما روكسى) ، وكانت هناك وحدات أخرى أشرف حسين الشافعى وثروت عكاشـة على توزيعها الى مطار الماظة ومدخل العباسية ومحاصرة سلاح الحدود ٠٠ وقد تم التـوزيع على ضوء البطاريات حيث كان النور قد انقطع مصادفة ٠

يقول ثروت عكاشـة انه كان يسترجع فى هذه الفترة كلمـات جمـال عبد الناصر له بألا مجال للعواطف فى هـذه الحركة فهى ليست نزهة للسينما وقد تكون هناك دماء ، واذا هددت الثورة فعليك ان تقتل ٠

وأثناء انشغال السوارى باستعداد قواته وصل زكريا محيى الدين فمنعه الحرس من الدخـول لولا تصريحه بكلمة السر (نصر) وطلب من السوارى ان يرسلوا بعض المصفحات الى الكتيبة ١٣ مشاة لرفع روحها المعنوية . . .

وبدأت المدرعات والمصفحات تتحرك الى مواقعها بعد منتصف الليل ٠٠ لم تجـد فى الطريق مقاومة ، ولم تطلق رصاصـة واحدة ٠٠ كان الاطمئنان يعمر قلوب الضباط وهم يشهدون أنـوار القيـادة مضيـاءة ، ويعرفون ان زملاء لهـم من الضـبـاط الأحـرار قد احتلوها وأصبحت قاعدة لهم ٠

كما تحركت الكتيبة ١٣ مشاة لحماية مدخل العباسية من ناحية كلية البوليس ، واحتلت رئاسة الحدود ، وكانت تعمـل تحت قيادة القائمقام أحمد شوقى أكبر المشتركين فى الحركة رتبة بعد اللواء محمد نجيب ، وكان أركان حرب الكتيبة هو الصاغ صلاح نصر رئيس المخابرات العامة فيما بعد ٠

وقام سلاح خدمة الجيش تحت قيادة الصاغ مجدى حسنين بتعبئة عرباته بالبنزين وارسالها للوحدات المتحركة ، كما منع خروج عربات الضباط من معسكر العباسية حيث كانت تبيت •

وكان بعض ضباط مركز تدريب اللواء الثامن مشاة يعملون كقوة احتياطية تحت قيادة حمدى عبيد •• كما كان شمس بدران وزير الحربية فيما بعد ضابطا بلواء أساس المشاة وقوته من المجندين الجدد الذين لا يجيدون حمل السلاح ، وقد تولى هو مسئوليته ولكن لم يكن عليهم واجبات هامة فى هذه الليلة •

خروج قوات الكتيبة الأولى مدافع ماكينة من معسكر هاكستب لم يكن الخروج الوحيد •• كانت هناك المدفعية المضادة للدبابات التى صادفت بعض المتاعب عندما حرك ضابط عظيم المحطة (الصاغ المعتز بدين الله الكامل) قوات البوليس الحربى لاحتلال كشك التفتيش عند الباب الرئيسى لمنع الخروج ، عقب مكالمة تليفونية كانت قد تمت بينه وبين اللواء حسين فريد قبل اعتقاله •

ولكن مجموعة ضباط المدفعية الذين تحركوا تحت قيادة اليوزباشى فتح الله رفعت واليوزباشى كمال لطفى واليوزباشى محسن عبد الخالق واليوزباشى أحمد شهيب أطلقوا النيران فى الهواء واعتقلوا جنود البوليس الحربى ، واقتحمت جرارة أحد المدافع البوابة المغلقة فحطمتها ، وانطلقت قوات المدفعية فى الطريق الذى سبق ان سلكته قوات يوسف صديق قبل ساعتين •

وبقيت فى المعسكر بعض قوات المشاة تحت قيادة الصاغ عبد القادر مهنا واليوزباشى فؤاد الهداوى وعندما وجدت أن المدفعية قد خرجت ، بدأ تحركهم بعد أن اعتقلوا ضابط عظيم الفرقة (الصاغ المعتز) •

وهكذا أصبحت المنطقة العسكرية من العباسية الى الماظة وهاكستب تحت سيطرة وحدات الضباط الأحرار والساعة تشير الى الثانية بعد منتصف الليل ، وقيادة قسم القاهرة احتلها أحمد أنور قائد البوليس الحربى فيما بعد •

وبقى فى الخطة واجبان هامان •• احتلال الاذاعة واعتقال بعض كبار الضباط الذين لم يحضروا المؤتمر لأنهم ليسوا قادة للأسلحة أو التشكيلات •

واحتلال الاذاعة ذو شعبتين ••• المبنى فى شارع الشريفين بوسط القاهرة ومحطات الارسال فى أبى زعبل •

وتولى مسئولية احتلال المبنى اليوزباشى أحمد المصرى من السوارى ومعه سيارات مدرعة فوصلها حوالى الساعة الرابعة والربع صباحا حيث كانت تحيط بها قوات من البوليس ، استطاع أحمد المصرى أن يقنعهم بأنه موفد من السراى ، وان أحمد طلعت حكمدار العاصمة الذى أصــدر لهم الأوامر قد سافر الى الاسكندرية لمقابلة الملك ... وتم احتــلال الاذاعة وتعيين نقط حراسة فى المنطقة المحيطة بها فى الساعة الخامسة والنصف صـــباحا .

أما محطــات الارسال فى أبى زعبل فقد اتجه اليها تروب سيارات مدرعة تحت قيادة مجدى حسنين فى تمام الساعة الثالثة ... ولكن مجدى أسرع وحده بعربته الى هناك لبطء سرعة تروب السيارات ووجد المحطة مضاءة ومغلقة وبها شاويشان أحدهما كان (الجارحى القشلان) فتجاوبا معه على الفور ، ولكن النور قطع فجأة عن منطقة أبى عبل بأوامر شخصية من كريم ثابت ... وأسرع الى محطة النور بعد أن ترك السائق حارسا عليهم وهدد العاملين فيها بالمسدس .

عادت الكهرباء ، ووصل تروب السيارات ومعه المهندس جمال علام أحد ضباط قسم الجيش فى (حدتو) وعبد الفتاح على أحمــد محافظ الدقهلية فيما بعد .

ووصل أنور السادات الى مبنى الاذاعة فى السابعة الا ربعا صباحا ليجد كل شىء معدا لاذاعة البيــان الأول للثــورة الذى كان قد كتب فى مجلس القيادة .

أما الاعتقالات فقد قامت بها مجموعة من الضباط .. كمال رفعت . ومحمد البلتاجى وآمال المرصفى الذين اعتقلوا اللواء ســعد الدين صبور واللواء الطيار حقى هارون الذى كسرت ترقوته لمقاومته .

وتعددت بعد ذلك حركات الاعتقال وامتدت الى بعض المدنيين مثــل عبد الرحمن عمار مدير الأمن العام وكامل القاويش وقد اشترك فى هذه العملية أنور السادات ومحمد أحمد رياض .

خلال هذه الليلة التاريخية كانت الخطة تقضى بأن يبقى محمد نجيب فى منزله حتى تتم التحركات العسكرية ثم يذهب الى رئاسة أركان الحرب لتولى القيادة ... وكان عنصرا هاما من عناصر نجاح الخطة أن تبعد يــد الاعتقال عن محمد نجيب والا يثير الشبهات بحركته حتى لا تفقد الحركة الوجه الذى سيمثلها فى مواجهة الملك والاستعمار وكل أخطار المرحلة .

وأمضى محمد نجيب الليلة ساهرا في منزله ، كلما مضى الوقت اشتد به القلق رغبة في معرفة نتائج العملية ، وكان يسكن وقتها في الزيتون، بعيدا عن سماع أو معرفة ما يدور حوله .

وعند منتصف الليل اتصلت زوجة شقيقه على نجيب تسأل عنه لأنه ليس من عادته التأخير دون ابلاغها ... ولم يكن محمد نجيب قد حدث أخاه عن الحركة خشية أن يتعارض ذلك مع واجبه ، باعتباره قائد قسم القاهرة والمسئول عن الأمن والنظام بها .

وبعد دقائق طلب على شقيقه وكأنما ليستوثق من وجوده بالمنزل .. ثم أبلغه أن معلومات وصلته من البوليس تفيد بأن قوات من الجيش تتحرك نحو عابدين .. وشجعه محمد نجيب على الذهاب الى عابدين للتأكد من صحة ذلك ، وكان غرضه أن تكسب قوات الضباط الأحرار فرصة للحركة لأنه كان يعلم أن عابدين كان خارج مجال النشاط هذه الليلة .

ولم تكد تمضى بضع دقائق أخرى حتى تلقى مكالمة تليفونيـة من مرتضى المراغى وزير الداخلية وفريد زعلوك وزير الدولة من الاسكندرية وهما يقولان له : « ان بعض أولادك قائمون باضطراب فى كوبرى القبة ورجاؤنا أن تمنعهم حرصا على مصلحة الوطن » وأنكر نجيب معرفته بحدوث شيء ما وبعثت هذه المكالمة فى نفسه الرغبة فى مخالفـة الخطة والتحـرك فورا ... ولكن قلقه لم يطل فان القيادة العامة للقوات المسلحة اتصلت به (البكباشى جمال حماد) وأبلغه المرحلة الأولى وأنهم سيرسلون له ثلاث عربات مصفحة ... ولكنه أبلغهم انه سيحضر بعربته الخاصة ... ومع ذلك توجه اليه جمال حماد بعرباته المصفحة .

وكان جمال عبد الناصر قد كلف البكباشى جمال حماد بالذهاب له فى عربة رئيس أركان حرب الجيش ، فى الوقت الذى كان قد تحرك فيه محمد نجيب بعربته الصغيرة الى كوبرى القبة ، حيث قابله بعض الضباط الأحرار وركب عربة جيب دخل بها مركز قيادة الجيش .

واكتملت مظاهر الحركة ... وصل القائد الجديد الى مركز قيادته .. واحتلت الوحدات مراكزها التى تحاصر بها المنطقة العسكرية وتعزلها تماما عن القاهرة ... وأصبحت الاذاعة بشطريها تحت سيطرة الحركة ... والاعتقالات تتم حسب الخطة المرسومة .

حققت الخطة أهدافها فى القاهرة .

وبدأت القيادة العامة تتصل بالمناطق الخارجية فى القنال والعريش لابلاغ الضباط بانتصار الحركة ... ولم يتيسر الاتصال بصلاح سالم فى منطقة رفح الا مع الصباح .

ولم تكن التعليمات للمناطق الخارجية تقضي بأكثر من محاولة عزل القيادات الكبيرة والسيطرة على الوحدات دون تحريكها .

ولم تضع الخطة حلولا لأية مواقف اعتراضيـة مفاجئـة من القوات البريطانية فى القنال ... وعندما تساءل يوزباشى أحمد عبد الله طعيمه عن ذلك مـن السـويس ، كان الجواب بأن ذلك متروك لطبيعـة الموقف وللمبادرة الشخصية .

كان ضيق الوقت والاسراع فى وضع الخطة سببا فى عدم دراسة كل التفاصيل ووضع الاجابات الحاسمة على كافة التساؤلات ..

أما فى الاسكندرية فقد وصلت اليها قرب منتصف الليـل حاملا تعليمات جمال عبد الناصر التى تلقيتها منه مغرب نفس اليوم ٢٢ يوليو ، وأسرعت فى محاولة الاتصال بالضباط الأحرار .. فوجدت ان بعضهم كان فى أجازة الصيف السنوية ، والبعض مررت عليه فى منزله وذهبنا الى المعسكر (رئاسة الآلاى الثانى أنوار كاشفة) فى (سوتر) بعد منتصف الليـل .

كان الموقف فى الاسكندرية مختلفا تماما عن القاهرة ... الملك هناك والحرس الملكى والقائد العام للقوات المسلحة والوزارة الجديدة التى أقسمت اليمين منذ ساعات برئاسة نجيب الهلالى .. أى إن فرصة السيطرة لها على المدينة كانت أكثر يسرا من القاهرة ، وخاصة لأن قوات الجيش التى كان بها عدد من الضباط الأحرار كانت أقل نسبيا من القوات الخاضعة لسيطرة الملك والخالية تماما منهم مثل السلاح البحرى والحرس الملكى وخفر السواحل .

وأرسلت اشارة الى قادة الوحدات بالذهاب الى وحـداتهم وعنـدما حضروا لم نسلك أسلوب القاهرة فى اعتقالهم ، لأن التعليمات كانت تقضى بمحاولة السيطرة وتأمين المنطقة وعدم تفجير تناقضـات بين الاسكندرية والقاهرة . وظل الموقف معلقا ... الضباط الأحرار ينشطون فى الاتصال بزملائهم واستدعائهم للوحدات ، والقادة فى مكاتبهم عاجزون عن التصرف للغموض الذى يحيط بهم .

وكان الفصل فى تحديد الموقف هو البيان الأول للحركة الذى أذيع على الشعب باسم اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة ، وقرأه بصوته البكباشى السادات :

(اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم ، وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين) .

(وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره اما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها ، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا فى داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب) .

(أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر وسيطلق سراحهم فى الوقت المناسب ، وانى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور مجردا من أية غاية) .

(وانتهز هذه الفرصة وأطلب من الشعب الا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لاعمال التخريب أو العنف لأن هذا ليس فى صالح مصر وان أى عمل من هذا القبيل يقابل بشدة لم يسبق لها مثيل ، وسيلقى فاعله جزاء الخائن فى الحال ، وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونا مع البوليس) .

(وانى أطمئن اخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم والله ولى التوفيق) .

عقب اذاعة هذا البيان وضحت الصورة فى القاهرة والاسكندرية وكل المناطق .. وبدت ظاهرة فريدة هى اقبال الضباط وصف الضباط والجنود جميعا على تأييد الحركة والانضمام للضباط الأحرار حتى انه لم يظهر موقف معاد للحركة فى أى مكان .

وكان الجيش مع الصباح قد خلا تماما من الرتب الكبيرة (قائمقام أو عقيد فما فوق) فقد حظر عليهم الذهاب لوحداتهم وطلب منهم العودة الى منازلهم حتى يستبين الأمر .

ومع الصباح تحرك ضباط الطيران الى المطارات ، وتم اعتقال أعضاء السرب الملكى (قائد سرب مهندس عبد الحميد محمود وقائد جناح عادل حافظ ومدكور أبو العز وحسن صالح وعبد المجيد نعمان) .

كان قائد الجناح مدكور أبو العز ضابطا شديد الالتزام يرفض تنفيذ الأوامر الا من رئيسه المباشر اليوزباشي حسن عاكف ، الأمر الذى أدى الى صدور الأوامر باعتقاله مع زملائه رغم صلته الطيبة بالضباط الأحرار فى الطيران ــ صلة شخصية غير تنظيمية ــ .. وكان عبد المجيد نعمان أيضا من الضباط المنتمين لقسم الجيش فى (حدتو) ولم يرتبط بالضباط الأحرار حتى لاتكشف سريته فى موقع حساس كالسرب الملكى طالما استخدمت رحلاته فى اداء مهمات سياسية سرية .

واحتجز ضباط المدفعية المحاصرون لمصر الجديدة قائد الجناح على صبرى وهو فى طريقه الى القيادة حيث استدعى لتبليغ السفارة الأمريكية عن طريق مسـاعد الملحق الجوى الأمريكى الذى كانت تربطه به صلة صداقة خاصة ، حيث كان يعمل ضابطا فى مخابرات الطيران .. ولم يسمحوا له بالمرور الا بعد الاتصال بالقيادة .

ويبدو ان الوقت بين تبليغ السفارة الأمريكية واذاعة البيان كان قصيرا حتى أن مايلز كوبلند مؤلف (لعبة الأمم) يقول ان الحكومة الأمريكية لم تعلم بوقوع الانقلاب الا من الصحف الصادرة صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وقام البكباشى عبد المنعـم أمين بابلاغ القائم بأعمـال السـفارة البريطانيـة .

وكان نجيب الهلالى رئيس الوزراء قد اتصل بمحمد نجيب يطلب منه الحضور للاسكندرية فاعتذر له عن عدم استطاعته مغادرة القاهرة ووصل مرتضى المراغى بالطـائرة ليقابله فى القـاهرة وكان موفدا من السراى مباشرة . وعندما طلب محمد نجيب من المراغى الحضور الى مبنى القيادة العامة تردد المراغى ووصلته أنباء اعتزام الوزارة تقديم استقالتها فعاد الى الاسكندرية .

ولم يجد نجيب الهلالى مفرا من تقـديم استقالته قبل ان يمضى عليه فى الحكم يومان .

الفصل الثامن

الواقع الاجتماعي والطبقي للضباط الأحرار

(لم يكن بين قادة الجيش ضابط واحد من أسرة اقطاعية كبيرة)

حقيقة تاريخيـة

نجحت حركة ٢٣ يوليو ، واصبحت مصر على واقع جديد ٠٠ ضباط الجيش خرجوا من نطاق عملهم التقليدى ، تمردوا على قادتهم ، وثبوا الى السلطة فى الجيش ٠٠ لم يعد فى العاصمة لواء مطلق السراح ينعم بحريته الا محمد نجيب والباقون ضمهم معتقل الكلية الحربية حتى شقيقه على ٠٠ وكافة الرتب العليا من قائمقام أى عقيد فما فوق ، منعوا من الذهاب الى وحداتهم ، وتركوا حتى يستبين الأمر ٠٠ ولم يبق الى جوار اللواء محمد نجيب الا القائمقام أحمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ والذى انضم للضباط الأحرار فى الأيام القليلة السابقة للحركة ٠

الصف الأول من الجيش أصـــبح فى رتبة البكباشى أو المقدم ٠٠ والذين عادوا للعمـل بعـد ذلك فى القوات المسلحة برتب أعلى من هذه الرتبة ، عادوا وهم يدركون أن تغييرا عنيفا قد حـدث ، وأن الأقدميـة المطلقة لم تعد هى أساس السلطة ٠

احتزت قواعد التنظيم في الجيش .. وخرج من الخدمة كل الذين يحملون رتبة فريق أو لواء وكل الذين يحملون رتبة الأميرالاى أو العميد (عدا اثنين هما محمد ابراهيم الذى عين رئيسا لأركان الحرب ، وعبد الحميد نعمت الذى عين وكيلا لوزارة الحربية) .

أصبح واضحا أن جيلا جديدا قد وثب الى السلطة ، واذا استثنينا محمد نجيب الذى كان فى الثانية والخمسين من عمره ، فاننا نجد ان جمال عبد الناصر الرئيس المنتخب للجنة القيادية للضباط الأحرار لم يكن قد أكمل بعد عامه الخامس والثلاثين .

ثغرة الفرق فى العمر ، ووثوب جيل جديد الى السلطة ، يظهران أن حركة ٢٣ يوليو كانت منذ لحظتها الأولى تعبيرا عن شيء جديد فى مصر .

شيء جديد لايقتصر على حدود الجيش فقط ، أو على فارق العمر وحده .. وانما يمتد أيضا خارج الجيش والى ابعاد أعمق مما يشير اليه فارق السنين .

والضباط الأحرار الذين تحركوا فى هذه الليلة التاريخية كانوا يمثلون واقعا اجتماعيا خاصا الى جانب أنهم كانوا يعبرون عن ارادة جيل معين ، كما ان قيادتهم كانت تمثل نوعية خاصة من الضباط .

واختلفت حركة ٢٣ يوليو عن انقلابات العراق وسوريا من عدة وجوه .. عندما قام بكر صدقى بأول انقلاب عسكرى فى العالم العربى سنة ١٩٣٦ كان فى رتبة الاميرالاى ويعمل رئيسا لأركان حرب الجيش العراقى بالنيابة ، وكذلك حسنى الزعيم كان رئيسا لاركان حرب الجيش السورى عندما قام بانقلابه عام ١٩٤٩ ، وكان سامى الحناوى وأديب الشيشكلى قادة الانقلابات التالية فى رتبة الاميرالاى برئاسة الجيش .

أما حركة ٢٣ يوليو فقد تمت فعلا بجهد ضباط من رتب صغيرة لاتتجاوز رتبة البكباشى .. حتى محمد نجيب لم يكن كمدير لسلاح المشاة فى موقع يسهل له فيه تحريك قوات الجيش اذ انه منصب اشرافى وتدريبى أكثر منه منصبا تنفيذيا .

لم يكن انقلاب جنرالات .. وانما كانت حركة صغار الضباط .

كان محمد نجيب استثناء بين زملاء رتبته ، معظمهم استكان لواقع الحياة وارتضى حالة المجتمع والجيش كما هى عليه ، وأصبح رغم ارادته أداة من أدوات الملك للسيطرة على الجيش وبالتالى على الشعب . هذه الفئة من الضباط الكبار فى الرتبة الذين ناضلوا ضد الاستعمار البريطانى منذ لحظته الأولى والذين شرد وفصل الكثيرون منهم على مدى سنوات

طويلة انتهت بنكسة ١٩٢٤ كانوا قد أصبحوا يمثلون بواقعهم وبتفكيرهم وبمصالحهم عائقا كبيرا ضد الانطلاق الى اصلاح ثورى وجذرى فى الجيش أو المجتمع ٠

وبعض الذين أخذهم الغضب عقب حادث ٤ فبراير مثل اللواء أحمد فؤاد صادق الذين تعرض مع زميله محمد كامل الرحمانى للفصل والاعتقال عادوا الى الهدوء ومساندة النظام بعد الافراج والعودة الى الجيش ٠٠ ووصل أحمد فؤاد صادق الى منصب قائد القوات المحاربة فى فلسطين وعين الرحمانى أركان حرب له ٠٠ ومع ذلك عندما حاول الضباط الأحرار أن يتلمسوا موقفه وجدوا أنه أقرب فى حركته الى الانجذاب نحو (الحرس الحديدى) منه الى (الضباط الأحرار) ٠

وهكذا كان محمد نجيب شخصية استثنائية بين زملاء رتبته جذوة نضاله القديم لم تخمد فى قلبه ، وشجاعته ظهرت أروع ما تكون فى حرب فلسطين وما بعدها من اتخاذ موقف المجابهة الصريحة مع قيادات الجيش الخاضعة لنفوذ السراى ٠

والضباط الذين قادوا حركة الضباط كانوا يشكلون نوعية خاصة ٠

ثلاثة منهم حصلوا على ترقيــة استثنائية فى حــرب فلسطين هم عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وصلاح سالم ٠

وثلاثة حصلوا خلال الحرب على نجمة فؤاد وهم جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين ٠

وثلاثة كانــوا مدرســين ليلة الحركة فى كلية أركان الحرب هــم جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسين ٠

واثنان تخرجا فى الجامعة هما محمد نجيب الذى حصل على ليسانس الحقوق وحصل بعد ذلك على دبلومين فى القانون الخاص والقانون العام الى جانب تخرجه فى كلية أركان الحرب ، وخالد محيى الدين الذى تخرج فى كلية التجارة ٠

هذه الشريحة تظهر انهم من أكثر الضباط ثقافة ، وانهم لم يكونوا من الخاملين ٠٠ بل أن شخصياتهم ومراكزهم كانت مصادر الجاذبية لتجمع الضباط الأحرار حولهم ٠

ومع ذلك يصعب القول بانهم فى مجموعهــم أو فى الأغلبيــة من قياداتهم كانوا من المثقفين ٠٠ لأن طبيعة الضباط وتعليمهم وعزلتهم عن المجتمع تجعل منهم فئة خاصة تتعامل مع الحياة بالاسلوب الذى اعتادته

فى الجيش والذى يغلق دائرة التفكير غالبا فى حدود اعطاء الأوامر وتنفيذها ٠

وما ورد فى منشورات الضباط الأحرار لا يعكس المستوى الفكرى لهم ولا يعطي مقياسا صحيحا لدرجة وعيهم ٠٠ بل هو تعبير عن أفكار عدد محدود منهم ٠

ولاشك أن قصر الفترة الزمنية لتشكيل تنظيم (الضباط الأحرار) والتى لم تتجاوز الثلاثة أعوام بكل ما صاحبها من ظروف التجنيد واستكمال شكل التنظيم ، كانت سببا رئيسيا فى عدم خلق وحدة فكرية ووعى ثقافى مشترك لهؤلاء الضباط القادمين من مدارس فكرية مختلفة وتنظيمات سياسية متباينة ٠

كانت الافكار الوطنية العامة والنقمة على الاستعمار هى الدافع الرئيسي لتحريك الضباط ، ولكن تفاصيل الأمور كانت متباينة فى عقولهم وصورة المستقبل غير واضحة أمامهم ٠

وتجاوبا مع طبيعة الضباط فى تقبل الحركة البدنية التنفيذية عن الحركة الفعلية الذهنية ، تحركوا ليلة ٢٣ يوليه ، ولكن أغلبيتهم العظمى لم تكن تدرك ، أو تحاول بذل الجهد فى معرفة ما يحمله الغد ٠

كان (الضباط الأحرار) فى حركتهم دعاة تغيير واصلاح ٠٠ لم يكونوا مثل جنرالات باكستان أو جنرالات السودان فيما بعد ٠ الذين استولوا على السلطة دون ان يكون فى أحلامهم تغيير شكل المجتمع أو القيام باصلاحات جذرية ، بل انهم كانوا استمرارا لنظام الحكم القائم بملابس عسكرية بدلا من الملابس المدنية ٠

كان الواقع الطبقى والاجتماعى للضباط الأحرار مختلفا عن الواقع الطبقى والاجتماعى للسلطة التنفيذية ٠

لم يكن بين الضباط الأحرار ابن من أبناء الأسر الاقطاعية أو ابن لكبار الرأسماليين ٠٠ كانت هذه الأسر تتعالى على الجيش ولا تدخل أبناءها فيه ٠٠ فلم يكن هناك فى الجيش ضابط من أسرة البدراوى عاشور أو شعراوى أو سلطان أو لملوم أو الطرزى ٠٠ حتى زكى شقيق فؤاد سراج الدين دخل الكلية الحربية عام ١٩٤٢ وخرج هاربا بعد عام واحد ٠٠ حتى كبار الضباط الذين وصلوا الى مراكز عالية لم يدخلوا أبناءهم الجيش ٠٠ الاميرالاى محمود ماهر (١٨٥٤ ـ ١٩٠٩) هو والد على ماهر وأحمد ماهر ٠٠ وسردار الجيش المصرى (١٨٦٤ ـ ١٨٧٩) كان من عائلة راتب التى لم يدخل أولادها الجيش ٠٠ وفى كتاب (تاريخ المملكة الزراعية فى مصر

الحديثة) ان ١٠٠ عائلة اقطاعية في النصف الأول من القـرن العشرين ٣٠ منهم ممثلون في البرلمان نوابا وشيوخا وأحيانا بأكثر من عضوين ، ١٨ منهم عينوا وزراء ولكن لا ضابط واحد ٠

ولم يكن في الجيش أحد من أبناء الأسرة المالكة كما كانت العادة من قبل ٠٠ تعين الأمير اسماعيل داود قائدا لسلاح الفرسان فى الفترة من عام ١٩٤٢ الى ١٩٤٤ ، وكان تعيينه تعبيرا عن نزوة خاصة ، أساء اليها سلوكه الشخصى المتسم بالشذوذ ٠ كما عين الملك زوج شقيقته الأميرة فوزية الأميرالاى اسماعيل شـــيرين مديرا لادارة فلسطين دون ان يكون متخرجا فى الكلية الحربية ، ثم عينه وزيرا للحربية في وزارة نجيب الهلالى الأخيرة ٠

لم يكن الجيش المصرى في ذلك الوقت مثـل الجيوش الأوروبيـة الاستعمارية ، التى يشكل الضباط فيها طبقة متميزة تتوارث حمل السلاح جيلا بعد جيل ، وينتمى الى طبقة النبلاء من بقايا الاقطاع الأوروبى ٠٠ ومن المعروف ان الجيش الألمانى كان يعتمد بصفة خاصة على الضباط (اليونكر) من البارونات الاقطاعيين البروســـيين ، والذين تتحلى أسماؤهم بكلمة (فون) التى تنسبهم الى أرض معينة كان لاجدادهم عليها سلطان اقطاعى ٠٠٠ وفي فرنسا أعرق الديموقراطيات البرجوازية يعين فى قمـة جيشها القادة الذين يحملون المرادف الفرنسى لكلمة (فون) وهو (دى) ديجول، دى لانتر ، دى كاستر قائد قاعدة ديان بيـان فو الذى كان يفخـر بأنه جنرال ابن جنرال حتى القرن السابع عشر ٠

يعمل الضباط عادة فى تلك الجيوش على غرس روح الطاعة العمياء وازدراء الحركات الشعبية واستنكار العمل السياسى والاعجاب بالقادة الرجعيين والشوفينية المتطرفة والاستمتاع بالبطش بشعوب المستعمرات٠

كان الموقف فى مصر مختلفا ٠٠ عدم نضج الاقطاع أو نظام النبالة الطبقى ، وابتعاد أبنـاء هذه الأسر مع أبناء الأسرة المالكة وأبناء الأسر الرأسمالية الكبيرة عن الحاق أبنائهم بالكلية الحربية كان عاملا من عوامل خلخلة نفوذها وضعف سيطرتها على القوات المسلحة التى تحمى نظامهـا وطبقتها ٠ وقد أدى ذلك الى محاولة اكتشـاف رتب كبيرة من القيادات تؤدى دورها فى خدمة الطبقة الحاكمة باخـلاص دون ان ترتبط معهـا بمصالح ذاتية خاصة ٠٠ فلم يكن بين قادة الجيش اقطـاعى واحد حتى ولا الفريق محمد حيدر ، الذى كان رغـم ولائه الشديد للملك وعدائه الشديد أيضا للحركة الشعبية فى بدء حياته العسكرية ، لم يكن يجارى النظام فى حماس ولم يكن يبادر لتنفيذ ما يحمى النظام من وجهة نظره ٠٠

وعن طريقه مثلا تسربت الى الوفد خلال عبد الفتاح حسن أسرار الجلسة التي حضرها هو وحافظ عفيفي والياس اندراوس والملك ، وتقرر فيها اقالة الوفد وذلك ليلة ٢٦ يناير ١٩٥٢ ٠ ولم يكن نشاط الضباط الأحرار بعيدا عن حاسة الشم عنده ٠٠ ولكنه آثر الصمت والسكون ٠

لم يكن بين كبـار ضباط الجيش المصرى رغـم خضوعهم وتبعيتهم للنظام الملكى من يعتبر مدافعا فى حماس عن الاقطاع أو من ترتهن مصلحته الذاتية بمصلحة الاقطاعيين ٠٠

وهكذا لم تكن الطبقة الاقطاعية أو الرأسمالية الكبيرة تسيطر بذاتها على القوات المسلحة ٠٠ وانما كانت تسيطر بأبناء الطبقة الوسطى ، الذين لم يطل بهم الصبر ٠

كان الضباط الأحرار من الطبقة المتوسطة الذين يتأرجحون بين أبناء الموظفين صغارا أو كبـارا وبين بعض أثرياء الفلاحين أصـحاب الملكيات الصغيرة ٠

وفى بحث قمت به مع كافة الضباط الذين تحركوا ليلة ٢٣ يوليو تبين ان أحدا منهم لم يكن والده قد حصل على رتبة (باشا) أو (بك) ، كما أن أحدا منهم لم يكن يملك والده ليلة الثورة ما يزيد عن خمسين فدانا ٠٠ كما ان أصولهم لم تكن تنحدر من عائلات عسكرية ، أى توارث الأبناء فيها مهنة الآباء ، اذا استثنينا محمد نجيب الذى كان والده وخاله وجده جميعا ضباطا فى الجيش خدموا فى السودان ودفنوا هناك ٠٠ وكان ذلك أمرا طبيعيا فى فترة دخول نجيب للمدرسة الحربية التى لم تكن تشترط شهادة معينة ، ولذا كان الضباط يدفعون أبناءهم اليها ، كما كانت بعض الأسر الكبيرة تلحق الأبنـاء العاجزين عن مواصلة التعليم بهـا ليصبحوا ضباطا ٠٠ وقد اشتهرت بعض العائلات بوفرة عدد الضباط من أبنائهـا مثل عائلة الشاهد وفهمى وشكرى ٠

كان الضباط الأحرار بحكم واقعهم الاجتماعى من الطبقة البرجوازية المتوسطة عدا قلة منهم كانت من أبناء فقراء هذه الطبقة ٠٠ أبناء صغار الموظفين الذى تثقل أعباء الحياة كاهلهم ويضطرون الى الاسـتدانة لدفع مصروفات أبنائهم فى الكلية الحربية التى كانت تصل فى مجموعها الى ٨٠ جنيها فى وقت كان مرتب خريج الجامعة ١٢ جنيها شهريا ٠

هذه الحقيقة توضح ان الذين تحركوا ليلة ٢٣ يوليو كانوا من أبناء الطبقة الوسطى ، ولم يكونوا من أبناء الطبقات الكادحة (عمالا أو فلاحين) ٠٠ كانوا تعبيرا عن شريحة طبقية معينة من المجتمع ، ولم يكونـوا تعبيرا عن الأغلبية الساحقة للمجتمع ٠

وهناك ظاهرة ملحوظة أيضا وهى قلة عدد أبناء رجال الدين فى الضباط الأحرار لقد كان رجال الدين يفضلون ان يتبع أولادهم خطاهم • أو ينطلقون الى الحياة المدنية غير العسكرية •

كما يلاحظ أيضا أنه لم يكن هناك ضباط اقباط بين الضباط الأحرار سوى ضابط واحد ، وذلك لأن نسـبة الضباط الاقباط داخل الجيش كانت محدودة ، كما أن جذور الضباط الأحرار كانت تمتـد فى غالبيتها الى الاخوان المسلمين •

لم يكن هناك فى ليلة ٢٣ يوليو من يحمل رتبة لواء سوى مسيحى واحد ، كما انه لم يكن هناك من يحمل رتبة أميرالاى الا مسيحيين •

ولا يعنى هذا أن الجيش المصرى كان يعانى من الطائفية كما كانت الجيوش تعانى فى سوريا ولبنان مثلا •• ولكنه يوضـح واقعا مختلفا عما كان فى المجتمع اذا كانت كل وزارة تضم وزيرين قبطيين ، كما ان ثورة ١٩١٩ كانت قد نجحت فى ازالة التفرقة الدينية التى حاول الاستعمار أن يبذرها بين الشعب ليمزق وحدته الوطنية •

كان حسن البنا مرشد الاخوان المسلمين قد طالب بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ بحجز نسبة من طلبة الكلية الحربية لخريجى الأزهر حتى يضمن بذر الأفكار الدينية داخل الجيش ، ولكن الحكومات المتعاقبة لم تأخذ هذا الطلب مأخذ الجد ، لأنها لم تكن تفرق بين مسلم تخرج فى الأزهر أو تخرج فى المدرسة الثانوية ، كما أن افتقاد خريجى الأزهر لمعرفة اللغات الأجنبية كان أمرا يعرقل قدرتهم على متابعة الحياة العسكرية الحديثة •

ولم يدر فى خلد أحد لحظة واحدة ان حركة ٢٣ يوليو كانت حركة دينية اسلامية ، ولم يقف الأقباط منها موقفا متحفظا •• بل اتضح منذ اللحظة الأولى ان هذه الحركة كانت بدافع وطنى اصلاحى ، منبثقة من واقع جديد مختلف تماما عن واقع الأحزاب الحاكمة وقتئذ ، والتى كانت قياداتها اما من الاقطاعيين أو كبار الرأسماليين •

كان واقع الضباط الأحرار الطبقى والاجتماعى أقرب الى قيـادات الأحزاب الوطنية الناشئة (الحزب الاشتراكى ـ الحزب الوطنى الجديد ـ الاخوان المسلمين ـ أنصار السلام ـ الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ـ الحركات الماركسية) الذين كانوا فى معظمهم من الطبقة الوسطى رغم تنافر نظرتهم الاجتماعية ، واختـلاف أهداف نضـالهم الطبقى منـه الى قيادات الأحزاب المتبادلة للحكم (الوفد ـ الحزب السعدى ـ حزب الأحرار الدستوريين ـ حزب الكتلة ـ الساسة المستقلين) •

ومع ذلك كانت هناك فروق واضحة فى نظرة الضباط وفي نظرة السياسيين المدنيين للأمور • كان الضباط الأحرار رغم ادراكهم للمأساة التى يعيش فيها الشعب ، وللفساد الذى يهترىء المجتمع بسببه ، يعيشون حياة بعيدة عن الجماهير الى حد ما •

مهنة الضابط كانت تفرض عليه نوعا من العزلة تتمثل فى ملابسه الخاصة وفى القوانين واللوائح التى يتعامل بها مع الجنود •

واذا قلنا مهنة فانما نعنى الخبرة والمسئولية والتعاون فى بناء المجتمع •• فالضابط حتى القرن التاسع عشر لم يكن يشكل مهنة من المهن المعروفة كالطب والهندسة والمحاماة ، ولكنه كان يمارس عملا يستطيع الانسان العادى أن يؤديه ربما بفارق فى المهارة ولكن دون عجز فى الأداء ، وهو الاشباك من فوق صهوة جواد •

ولكن مع استهلال القرن التاسع عشر وحروب نابليون بدأ عمل الضباط يتحول الى مهنة ، لأنه أصبح مع تطور العلم فنا خاصا يحتاج الى علم ودراسة وخبرة •• ولم يعد كالمماليك الذين سادوا ساحة القتال فى مصر منذ منتصف القرن التاسع حتى ثلاثينيات القرن التاسع عشر بتدريب بسيط يتحولون بعده الى فرسان مقاتلين •

عمل الضابط اذن أصبح مهنة ولكنها تختلف عن بقية المهن لما يحيط بها من ظروف وملابسات خاصة •

والضباط قبل ليلة ٢٣ يوليو كانوا يعيشون بفارق اجتماعى حاد بينهم وبين الجنود •• كان الجندى يتناول مرتبا شهريا قدره ٥٤ قرشا فقط زيد بعد ذلك ليصبح ٦٩ قرشا ، كما انه كان يتناول معظم وجباته من العدس •• واللحم أربع مرات فى الاسبوع فقط •• والأمية كانت سائدة بين الجنود فنظام البدل النقدى كان يتيح فرصة التهرب من الخدمة العسكرية للجميع عدا فقراء الفلاحين •

ولم يكن ممكنا لصف الضباط والجنود ان يترقوا الى رتب الضباط، كانت القوانين تسمح لهم تحت ظروف خاصة ان يصلوا الى رتبة (صول) فقط •

وكان الضباط يدركون الظروف البائسة التى يعيش فيها الجنود •• البعض منهم كان يحلم بتغيير هذه الظروف ، باعتبارها انعكاسا لحالة المجتمع •

وهكذا يمكن القول بأن الضباط لم يكونوا فى عزلة كاملة عن واقع مجتمعهم رغم حياتهم المنعزلة •• كما انه لايمكن القول بانهم كانوا

مرتبطين بمجتمعهم ارتباطا عضويا كاملا رغم صلاتهم بالقوى والتنظيمات السياسية المختلفة ٠

تنظيم (الضباط الأحرار) تحرك ليلة ٢٣ يوليو منفردا دون اتصال وثيق بالجماهير أو بالتنظيمات والأحزاب السياسية الوطنية والتقدمية ، معتمدا على السرية التى أحاط نفسه بها ، متخذا الطابع الانقلابى المفاجىء ، واثقا فى نفس الوقت من احتضان الشعب لحركتهم بعد ان فاض به كيل الغضب من تصرفات الاستعمار والسراى ٠

ولا تدل حركة (الضباط الأحرار) فى هذه الليلة التاريخية على انهم أكثر الفئات الوطنية ثورية وتقدمية ٠٠ كما أنها ليست دليلا على أن تنظيم (الضباط الأحرار) كان هو الطليعة الوحيـــدة في مصر ٠٠ ولكن هذه الحركة تظهر حقيقة دور الجيوش فى الدول النامية وتثبت ان الضباط يشكلون أكثر أقسام المثقفين الوطنيين تنظيما ، وقدرة على فرض ارادتهم بقوة الســلاح ٠

ولكنه تبين منذ اللحظة الأولى لنجاح حركة ٢٣ يوليو ان هذا القسم المحدود من المثقفين الوطنيين الذين كانوا يشكلون فى وقتها فئة محدودة أيضا ، لا يستطيع وحده ان يقرر بصورة مستقلة تماما النهج السياسى لمصر التى عاشت حياة ســياسية خصبة عامرة بالثــورات والانتفاضات والاضرابات ، مليئة بالأحزاب والتنظيمات السياسية ٠

الفصل التاسع

ســقوط الملك

(أنتم سبقتونى فى اللى عملتــوه .. اللى عملتوه دلوقتى كنت أنا راح أعمله)

الملك فاروق لمحمد نجيب

وهو يودعه فى رحلته الأخيرة من مصر بعد عزله يوم ٢٦ يوليــو ١٩٥٢ .

ساعات محدودة فى ظلام ليلة حولت (الضباط الأحرار) من شبان يلتهب الغضب فى صــدورهم الى مسئولين عن ســياسة مصر دون أن يستعدوا لذلك بدراسة عميقة أو تخطيط واضح .

وعلى قدر ما دفعتهم الظروف والأحداث وخشية تحرك الملك ضدهم .. على قدر ما كان الوقت اضيق من ان يتسع للتفكير والتأمل .. وخاصة انهم كما ذكرنا لم يكونوا قد اجتمعوا على وحدة فكر ، أو منهج أو برنامج سياسى تفصيلى .

كان انتصار الحركة مفاجئا لأكثرهم تفــاؤلا .. تهاوت قلاع الملك وسقط أعوانه من كبار الضباط دون مقاومة .. واشتعل الحماس بين رجال الجيش مع شروق شمس ٢٣ يوليو . واحتشد الجميع لتأييد الحركة .

كاد يتلاشى الخط المميز بين الضباط الأحرار الذين تحملوا مسئولية الاعداد والتنظيم والتنفيذ ، وبين زملائهـم الذين لم تتح الظروف لهم فرصـة الانضمام لتنظيم (الضباط الأحرار) ٠

كانت الفرحة تغمر الجميع داخل الجيش وخارج الجيش ٠٠ والتف الشعب حول أجهزة الاذاعة يسمعون البيان الأول ويفسرون ما شاء لهم التفسـير ٠

تمت الحركة فى سرية بعيدا عن الجماهير ٠

وكان السؤال الأول الذى تردد فى قاعة اجتماعات مبنى القيادة العامة بعد أن استقبلوا يوسف صديق وقوفا وهم يصفقون باعتباره الضابط الشجاع الذى اقتحم هذا المكان وأتاح لهم فرصة الاجتماع فيه هو :

ماذا نعمـل ؟ ٠

لم يكن هناك من شىء معد فى الخطة سوى تقديم عدة مطالب للملك ، ثم يكون التصرف بعد ذلك تبعا لرد الفعل ، ولحركة الملك ٠

وعندما اتصل نجيب الهلالى بمحمد نجيب تليفونيا من الاسكندرية، أبلغه بأن مطالب الجيش تنحصر فى الآتى :

١ ـ تكليف على ماهر بتشكيل الوزارة ٠

٢ ـ تعيين محمد نجيب قائدا عاما للقوات المسلحة ٠

٣ ـ ابعاد كريم ثابت والياس أندراوس ومحمـد حسن وحلمى حسين وانطون بوللى ويوسف رشاد من حاشية الملك ٠

كانت هذه الطلبـات بمثـابة جس نبض لموقف الملك ، والتعرف عما اذا كان فى مركز ضعف أو قوة ٠٠ يسـتند الى قوات الاحتـلال أو لايستند اليها ٠

ولم يكن معقولا ان يطلب الجيش تعيين على ماهر رئيسـا للوزراء دون استشارته والتفاوض معه ولذا تحرك محمد نجيب وأنـور السادات الى منزل على ماهر بالجيزة حيث عرضا عليه تولى رئاسة الوزراء ٠

وافق على ماهر واشترط ان يصدر له أمر التكليف من الملك صاحب السلطة الشرعية ٠٠ ووافق نجيب فلم يكن قد حدد حتى هذه اللحظـة موقفا نهائيا من الملك ٠

وأبلغ على ماهر الملك بمقابلة نجيب له ، ورغبتهـم فى تكليفـه بالوزارة ٠

كان الخبر قد وصل الى الملك أيضا عن طريق مصطفى صادق ضابط الطيران السابق ، وعم الملكة ناريمان ، الذى أسرع الى القيادة فى الساعة العاشرة صباحا يستفسر عن حقيقة ما يدور ، فقابله محمد نجيب وجمال عبد الناصر وأبلغاه بالمطالب السابقة ·

ويقول مصطفى صادق ان المطالب تركزت حول قضيتين اساسيتين ·· حكم الأغلبية وتطهير الحاشية ·· ويقول أيضا انه عندما طلب صدور بيـــان يعلن فيه الجيش الولاء للملك ، قال عبد الناصر له ان البيان يتضمن الولاء للدستور وهو ما يعنى الولاء للنظام الملكى ·

كان فى ذلك محاولة لتحويل النظر عن أهداف الحركة ·

واتصل على ماهـر بمحمد نجيب فى الثانيـة والنصف بعد ظهـر ٢٣ يوليـــو ليبلغه بأن الملك قد كلفه بتشكيل الوزارة ، ويطلب منـــه زيارته ·· وذهب اليه نجيب وأنور السادات فوجدا انه يحاول التعرف منهما على أبعاد حركة الجيش ولكن نجيب موه عليـــه وأبلغـه ان الأمور لاتتعدى المطالب السابقة · ويقول محمد نجيب ان على ماهـر كان مشرقا وشديد الحيوية فى هذه الجلسة ·

والتقى محمد نجيب بعلى ماهر للمرة الثالثة فى الصباح الباكر ليوم ٢٤ يوليو قبل سفره الى الاسكندرية لمقابلة الملك ، حيث تمت المقابلة بعصر ذلك اليوم وصرح بعدها على ماهر بأن الملك قد قبل (كل) مطالب الجيش وانه وقع مرسوما بتعيين محمد نجيب قائدا عاما برتبة (الفريق) ·· وهو تحصيل حاصـــل لأن البيان الأول أذيع بصفته قائدا عاما ، ولكن برتبته (اللواء) ·

وكان اختيار على ماهر رئيسا للوزراء قد تم تحت دافع انه مستقل عن الأحزاب فلا تبدو الحركة حزبية منذ لحظتها الأولى ، كما انه اسـم مقبول لدى الملك فلا يعترض عليه ويحدث تناقض يفرض ظروفا قد تخلق صعوبات غير منتظرة ، هذا الى ان على ماهـر لم يكن ذا سمعة سيئة بل ان موقف وزارته بعد حريق القاهرة كان يفضل موقف وزارة نجيب الهلالى فقد خرجت من الحكم نتيجة خلاف واضح مع السفير البريطانى ·

ذهب على ماهر الى الاسكندرية وهو يتصور فى نفسه صورة المنقذ التى هيأت له الظروف فرصة رد اعتباره أمام رجال القصر الذين أحاطوا بالملك ·· فشكل وزارته من أغلبية أعضاء وزارته السابقة التى استقالت فى فبراير ، وتولى هو شخصيا وزارتى الداخلية والحربية ·

وتكليف على ماهر بتشكيل الوزارة لم يضـع حدا لحركة الضباط ولم يوقف عجلة اندفاعها ··

... النشاط الشديد الذى بدأ قبل الحركة بيومين وظهر فى صورة اتصالات ومناقشات لا تنقطع فى الليل أو النهار ظل مستمرا لا يهدأ ... وخبرة الضباط ورغبتهم فى المعرفة تركزت على سؤال أعضاء مجلس القيادة الذين استقروا فى مبنى القيادة بكوبرى القبة ، بعد ان وصل صلاح سالم وجمال سالم من العريش .

كانت كلية أركان الحرب هى أكبر مكان لتجمع الضباط اذ كانت تعقد فيها الدورة الثانية عشرة .. وفى صباح ٢٣ يوليو حضر الجميع ، ولم يتغيب أحد الا جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسين من المدرسين ، وعباس رضوان واسماعيل فريد من الطلبة .. هؤلاء فقط هم الذين اشتركوا فى حركة ٢٣ يوليو ، أما بقية الطلبة وكان عددهم ٦٣ ضابطا فلم يشتركوا فى الحركة ومنهم أسماء لمعت فيما بعد مثل عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والاعلام ، ومحمد فوزى وزير الحربية ، وعبد المحسن أبو النور أمين عام الاتحاد الاشتراكى .

وزع أفراد هذه الدفعة من الضباط الذين لم يكملوا دورتهم ، ولم تكن قد حددت بعد وحداتهم فمدة الدراسة كانت عاما كاملا — على الأجهزة والمصالح الحكومية أو فى الجيش تبعا للرغبات الطارئة ، والمعرفة الشخصية .

ومثال الدفعة ١٢ فى كلية أركان الحرب يظهر نسبة عدد الضباط الأحرار المحدودة ، كما يفتح بداية لتوزيع الضباط فى غير الأماكن التى هيأتها لهم الدراسة التى كانت تعتبر بمثابة (الماجستير فى العلوم العسكرية) مثل تعيين الضباط مصطفى لطفى وأحمد عبد السلام كفافى وعبد العزيز صادق لانشاء مكتب اشرافى فى وزارة الداخلية .

وظل مجلس القيادة فى شبه اجتماع مستمر يناقش الموقف بعد اذعان الملك لمطالب الجيش ، وتقرر فى اجتماع استغرق ليلة ٢٤/٢٣ يوليو عزل الملك على ان يظل الأمر سرا حتى بالنسبة لعلى ماهر نفسه .

ولما كان الملك فى الاسكندرية فقد أخذت الأنظار تتجه اليها وخاصة بعد ان استتب الأمن فى القاهرة ، وحوصر قصر عابدين ، وتم اعتقال كبار ضباط الجيش ، والقلم السياسى ، ومدير الأمن العام .

لم تكد تهدأ أنفاس الضباط الأحرار فى القاهرة حتى كان الأمر قد استقر على ارسال وحدات الى الاسكندرية تمهيدا لعزل الملك ، بناء على خطة كلف زكريا محيى الدين بوضعها كما وضع من قبل خطة تحريك القوات ليلة ٢٣/٢٢ يوليو .

لم يكن تحريك القوات الى الاسكندرية مجرد مظاهرة عسكرية ولكنه كان ضرورة تقتضيها ظروف الحيطة والحذر من تصرفات الملك ، الذى كان مجرد وجوده يمثل خطرا حتى اللحظة الأخيرة ، فالبحرية مثلا كانت خاضعة له خضوعا كاملا ولم تسهم بأى دور فى الحركة ‥ وقوات الجيش هناك كانت محدودة ٠

الملك لم يكن يائسا ‥ كان يبحث عن طريق للخروج من هذا المأزق ‥ كانت كلماته التى حملها مرتضى المراغى الى محمد نجيب تحمل تلميحا باحتمال تدخل القوات البريطانية فى الموقف كما حدث فى أيام أحمد عرابى ٠

واستدعى الملك جيفرسون كافرى سفير أمريكا لمقابلته فى سراى المنتزة يوم ٢٣ يوليو ، وطلب منه فاروق ان يطلب من حكومته اقناع الحكومة البريطانية بحاجة الملك الشديدة لتدخل قواتها ٠

ويقول ايدن فى مذكراته انه كان قد أوضح للسفارة البريطانية بالقاهرة ان القوات البريطانية لايجوز ان تتدخل لابقاء فاروق على العرش٠ ولذا فان السفارة لم ترد على السفير الأميركى كافرى ردا مشجعا بعد اتصالات عاجلة تمت بين لندن وواشنطن كما يقول انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) ٠

ومع ذلك فانه بعد ليلة ٢٣ يوليو تحركت بعض القوات الى طريق مصر ـ السويس للدفاع عن القاهرة فى حالة حدوث أى تحرك بريطانى‥ وكلفت القوات المصرية فى منطقة القناة بمراقبة تحركات القوات البريطانية والابلاغ عنها ٠

لم تثمر جهود الملك فى استجلاب تدخل بريطانى أو أمريكى لحماية عرشه ٠

وكانت تعليمات جمال عبد الناصر لى باعتبارى ممثلا للضباط الأحرار فى الاسكندرية تقضى بالسيطرة على المنطقة فى هدوء دون عمليات استفزازية قد تفجر الموقف وتخلق تناقضا لا مبرر له بين الموقف فى القاهرة والموقف فى الاسكندرية ٠

وكان محمد حيدر قد دعا الى مؤتمر فى مبنى القيادة بمصطفى باشا صباح ٢٣ يوليو حضره قادة الوحدات بالاسكندرية ، وأبلغهم ان ما يدور فى القاهرة هو عملية محدودة ، وألقى عليهم مسئولية قيادة وحداتهم ٠

ولكن الضباط الأحرار بتعاون وثيق مع كافة الضباط الذين فجر البيان الأول ، كل طاقاتهم الوطنية وكل أحلامهم الثورية كانوا قد سيطروا

على الوحدات ، وعقدنا مؤتمرا لشباب الضباط فى رئاسة الالاى الثانى المضاد للطائرات ظهر نفس اليوم ، واخترنا البكباشي عاطف نصار ليكون قائدا للمنطقة والصاغ عبد الحكيم الأعسر ليكون أركان حرب لها .

واستقر الوضع فى الاسكندرية أيضا بعد ان نصحنا كبار الضباط بالذهاب الى منازلهم فاستجابوا دون معارضة وبعد أن أوقفنا محاولات للاثارة فى البحرية وخفر السواحل عن طريق الاستعداد بالمدفعية والاتصالات الشخصية ..

وقد اتصل بى اللواء محمد نجيب وجمال عبد الناصر عصر ذلك اليوم فأبلغتهم بهدوء الحالة واستقرار منطقة الاسكندرية .. وأبلغنى الاثنان باحتمال هروب حسين سرى عامر عبر الصحراء الغربية الى ليبيا وضرورة ملاحقته .

كان على ماهر قد وصل الى الاسكندرية يوم ٢٤ يوليو وأقسمت وزارته اليمين القانونية ، واستدعى اليه سليمان حافظ مستشار رئاسة مجلس الوزراء المنتدب من مجلس الدولة ليعد له التشريعات المطلوبة بناء على طلبات محمد نجيب .

ومع ذلك كان على ماهر فى حيرة من أمره لايعرف أبعاد حركة الجيش ويشعر أن شيئا ما لايدرك حقيقته يدبر فى الخفاء .. ولما علم من سليمان حافظ ان فتحى رضوان يعتبر صديقا لأنور السادات وانه معتقل فى هاكستيب والحكومة لم تفرج عنه رغم حكم مجلس الدولة ، أصدر قرارا فوريا بالافراج عنه هو ويوسف حلمى وسعد كامل (ابن شقيقته) واستدعاه الى الاسكندرية فورا على متن طائرة حربية .

كان الثلاثة من أعضاء الحزب الوطنى الذى كان ينتمى اليه سليمان حافظ أيضا .. ولم يستطع فتحى رضوان أن يشبع رغبة على ماهر فى معرفة تحركات ضباط الجيش لأنهم لم يفصحوا عن ارادتهم لأحد ، حتى وصل محمد نجيب الى الاسكندرية بالطائرة ومعه يوسف صديق وجمال سالم وأنور السادات وحسين الشافعى وزكريا محيى الدين صباح ٢٥ يوليو .

كان مفروضا حسب الخطة أن يتم عزل الملك فى نفس اليوم ، ولكنه كما حدث تأجيل لحركة الجيش ليلة واحدة ، تقرر تأجيل العزل يوما واحدا أيضا ، بناء على طلب زكريا محيى الدين واضع الخطة الذى وجد ان الجنود فى حاجة الى الراحة لأن بعضهم لم ينم منذ ليلة ٢٢/٢٣ يوليو ، والطابور المدرع كانت تنقصه بعض التجهيزات الادارية .

كان محمد نجيب على موعد مع على ماهر لتبليغه بالانذار ، ولكنه غير رأيه وأبدى له بعض ملاحظات شكلية على التشريعات التى كان سليمان حافظ قد أعدها ٠٠ والتقى محمد نجيب مع سليمان حافظ وتبين انهما كانا أعضاء فى احدى المحاكم العسكرية العليا خلال الحرب العالمية الثانية ٠

بقى يوم على عزل الملك ٠٠ والاسكندرية فى حالة ابتهاج شـــديد تلاحق مواكب الضباط بالهتاف ، وتفسر حركتهم تفسيرات شتى ٠٠ كان الجيش مازال يدبر خططه فى سرية بعيدا عن الجماهير ٠

وآثار جمال سالم اشكالا استغرقت مناقشته عدة ساعات ٠٠ قال أن مجلس القيادة قرر عزل فاروق ولكنه لم يقرر شيئا عن مصيره ٠

وكان جمال سالم أكثر الموجودين حماسة لاعدام فاروق أو محاكمته ، مستندا فى ذلك الى أخطائه التى ارتكبها والضحايا الذين سقطوا نتيجة لها ٠٠ وتأثر بحماس جمال سالم كل من عبد المنعم أمين وزكريا محيى الدين فوافقا على الاعدام ، بينما وقف ضـــد هذا الرأى كل من محمد نجيب وأنور السادات ويوسف صديق وحسين الشافعى ٠٠ واستقر رأى الحاضرين وقد بلغت الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٢٥/٢٦ يوليـــو أن يسافر جمال سالم بالطائرة إلى القاهرة ويعود حـاملا رأى زملائهم هناك ٠٠٠ جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخـالد محيى إلدين وعبد اللطيف البغدادى وكمال حسين وحسن ابراهيم وصلاح سالم ٠

يلاحظ ان جميع أعضاء مجلس قيادة الثـــورة بقوا فى القاهرة لم يغادروها للاسكندرية سوى أنور السادات وجمال سالم فقط ٠

هل يعدم الملك أم يحاكم ويسجن أم يطرد فقط ؟

سؤال لم تكن الاجابة قد اكتملت عليه حتى اليوم الذى تقرر فيه تقديم الانذار ٠٠ أو بمعنى أصبح اليوم التالى لليوم المحدد لتقديم الانذار لولا تأجيل الخطة ٠٠ وهذا يدل على أن تلاحـق الأحداث ، كان فى غير حسبان الضباط الأحرار ٠٠ وان ضغط الوقت لم يســمح لهـم بالتفكير الهادىء والتخطيط المتزن ٠

كانت كل مشكلة تحل فى وقتها ٠٠ وكل أزمة تعالج فى لحظتها ٠

سافر جمال سالم بالطائرة حرصا على عدم الاتصال تليفونيا بأعضاء مجلس القيادة بالقاهرة تأكيدا للأمان ٠٠ وعاد فى الصباح الباكر يحمل الرأى المرجح وهو (يترك فاروق حيا ويحكم عليه التاريخ) ٠

النوم منذ الحركة لايتم الا لحظات خاطفة ٠٠ فى المكاتب وبملابس العمل ٠٠ وفى التاسعة صباحا كان محمد نجيب يتجه الى رئاسة مجلس

الوزراء في بولكلي لتسليم الانذار الى علي ماهر حتى يستطيع الملك أن يتدبر أمره في الساعات الباقية ٠

وكان الملك قد غادر قصر المنتزة الى قصر رأس التين في اليوم السابق مع الملكة والأميرات ٠٠ وكانت قوات الجيش التي وصلت من القاهرة قد حاصرت قصري رأس التين والمنتزة ٠٠ وحدث اشتباك محدود بين قوات الحرس الملكي والقوات المحاصرة لرأس التين ، اتصل بعده الملك بالمستر جيفرسون كافرى سـفير الولايات المتحدة ، وعلى ماهر الذى هـرع لمقابلة الملك ٠

وعندما وصل محمد نجيب أبلغه سليمان حافظ ان مستر (سباركس) مستشار السفارة الأمريكية قد حضر منذ مدة وانه في حـالة اضطراب وانفعال شديدين ويقول انه موفد من مستر كافرى للتحـرى عن حقيقة اطلاق الرصاص على قصر رأس التين ، ومدى ما يترتب على ذلك من أضرار قد تسيء الى مصلحة البلاد ٠

وهدأ محمد نجيب مستر سباركس قائلا له ان هذه القوات قد وزعت في الاسكندرية كاجراء روتيني لحماية الأمن ، وانه قد أصدر أوامره بوقف الضرب الذى بدأ على أساس تصور خاطيء من الحرس الملكي بأن هذه القوات تريد ان تقتحم القصر ٠

وانصرف مستر سباركس وقد خف اضطرابه وهدأت حدة انفعاله ٠

وكان الملك في هذه اللحظة قد جمع انطوان بوللي ، كافاتسي (مدرب الكلاب) وجارو (الحلاق) والقائمقام حلمي حسين (السائق) ومحمـد حسن (الشماشرجي) والاميرالاى محمد أبو النصر مدير مشـاة الحرس ـ والياور على مقلد والياور الجوى حسن عاكف ، وطلب منهم صد الهجوم عن القصر بتوجيه نيران الهجانة ومدافع الماكينـة على الدبابات الرابضة خارج الأسـوار ٠

وبدأت الطلقات المتبادلة ، ثم أمر الملك بوقف الضرب عندما أبلغ ان مدفعا كبيرا مصوبا فوهته على صالة القصر ٠

وغادر على ماهر القصر بعد ان عاد الهدوء ٠

ولكن على ماهر فوجيء في بولكلي بتقديم انذار الجيش للملك بضرورة توقيع وثيقة التنازل عن العرش قبل الثانية عشرة ظهرا ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة مساء ٠٠ وارتجفت شفتا على ماهر وهو يسمع حديث محمد نجيب وشحب وجهه ولكنه تجلد وقال (زى ما تشوفوا) ثم غادر

بولكلى الى القصر مرة ثانية فى نفس الصباح بعد أن قرأ كلمات الانذار التى تقـول :

من الفريق أركان الحرب محمد نجيب باسم ضباط الجيش ورجاله الى جلالة الملك فاروق الأول :

انه نظرا لما لاقته البلاد فى العهد الأخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لارادة الشعب حتى أصبح كل فرد من أفراده لايطمئن على حياته أو ماله أو كرامتـه ـ ولقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم فى هذا المسلك حتى أصبح الخونة والمرتشـــون يجـدون فى ظلكم الحماية والأمن والثراء الفاحش والاسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير ، ولقد تجلت آية ذلك فى حرب فلسطين وما تبعها من فضائح الأسلحة الفاسدة وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما أفسد الحقائق وزعزع الثقة فى العدالة وساعد الخونة على ترسم هذه الخطى فاثرى من أثرى وفجر من فجر ، وكيف لا والناس على دين ملوكهم ٠

لذلك قد فوضنى الجيش الممثل لقوة الشعب أن أطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولى عهدكم الأمير أحمد فؤاد على ان يتم ذلك فى موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم (السبت الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٢ والرابع من ذى القعدة ١٣٧١) ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه والجيش يحمل جلالتكم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج) ٠

توقيـع : فريق (أركان حرب) محمد نجيب

عاد محمد نجيب الى ثكنات مصطفى كامل ٠

وأبلغ على ماهر الملك شـفاهة بانذار الجيش لقســوة بعض كلماته مشفوعا برأيه ونصيحته فى النزول عن العرش لابنه أحمد فؤاد الثانى استيفاء للعرش فى ذريته ٠٠ ولكن الملك قال أنه ليس جبـانا وأن عنده قوات موالية أكثر مما عند الثائرين ٠٠ ولكن على ماهر أوضح له مخاطر تعريض مصر لحرب أهليـة لا يعلم مداها الا الله ٠٠ واقتنع الملك دون نقاش طويل ، وعندما سأله على ماهر اذا كان يفضل السفر جوا ٠ أجاب بأنه يفضـل السفر بحرا على الباخرة (المحروسة) وهى يخته الخـاص مشترطا الآتى :

١ ـ ان يستصحب معه زوجته ناريمـان وابنه الطفل أحمد فؤاد وسائر أولاده ٠

٢ ـ ان يودع على الصورة التى تليق بملك نزل عن العرش باختياره .

٣ ـ ان تشترك الحكومة فى وداعه ممثلة برئيسها وكذلك القوات المسلحة ممثلة بقائدها محمد نجيب .

٤ ـ ان يمكن من مقابلة السفير الأمريكى جيفرسون كافرى قبل سفره .

٥ ـ ان تقوم قطع الأسطول المصرى بحراسة الباخرة التى سيستقلها حتى وصوله الى ايطاليا .

عاد على ماهر الى بولكلى يحمل الموافقة ومعها هذه الطلبات .. وبدأ تسليم رجال الحاشية المطلوبين الى القوات المحاصرة للقصر .. استلم عبد المنعم أمين قائد القوة ، حلمى حسين ومحمد حسن وانطون بوللى .

وأعد الدكتور عبد الرازق السنهورى رئيس مجلس الدولة وثيقة التنازل فى صيغة أمر ملكى يستلهم ديباجته من الدستور .. ووافق محمد نجيب الذى اجتمع مرة ثانية مع على ماهر وجمال سالم وأنور السادات فى بولكلى حوالى الحادية عشرة صباحا .

حدث تعديل وحيد على الصياغة اقترحه جمال سالم ووافق عليه الدكتور السنهورى وهو اضافة عبارة تفيد بأن النزول عن العرش كان (استجابة لرغبة الأمة) .

وكلف على ماهر المستشار سليمان حافظ بحمل الوثيقة الى الملك لتوقيعها قبل الثانية عشرة حسب الانذار الموجه له .

ويقول سليمان حافظ أن الملك أقبل عليه وهو عارى الرأس فى حلة القائد الأعلى للقوات البحرية يسير بخطى سريعة تأخذ بخناقه سعلة عصبية متواصلة ، وقرأ الوثيقة على مهل ثم تساءل عما اذا كان ممكنا اضافة بعد عبارة (بناء على ارادة الأمة) كلمة (وارادتنا) وقال له سليمان حافظ أن صياغة الوثيقة فى صورة أمر ملكى ينطوى على هذا المعنى . وقال الملك (فما الضرر اذن من اضافتها) وقال سليمان حافظ (اننا لم ننته من صياغة الوثيقة على صورتها الا بصعوبة لا تسمح بادخال أى تعديل) فقال الملك (اذن كانت هناك وثيقة أخرى) فلما أجاب سليمان حافظ بالايجاب طلب الملك الاطلاع عليها فقال له أنه لم يطلع عليها وهى ليست معه ... فقال الملك (لعلك لا تريد ذكر شىء عنها لما قد يكون فيها من معانى تجرح شعورى) .

وقع الملك الوثيقة وهو فى حالة انفعال شديد ، ثم وجد أن توقيعه ليس منضبطا فوقعها مرة ثانيـــة فى أعلى الكلمات التى تعلن تنازله عن العرش فى كلمات موجزة تقول :

أمر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢ ٠

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان ٠

لمـا كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنيب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة ونزولا على ارادة الشعب ٠

قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا الى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس الوزراء للعمل بمقتضـــاه ٠

صدر بقصر رأس التين فى ٤ ذى القعدة ١٣٧١ (٢٦ يوليو ١٩٥٢)

حمل سليمان حافظ وثيقة التنازل الى على ماهر فى رئاســة الوزراء ثم ذهب الى محمد نجيب وزملائه فى ثكنات مصطفى كامل ليعرض عليهم رغبة الملك فى أخذ انطوان بوللى معه فى رحلته الأخيرة ، ولكن أعضـــاء مجلس القيادة رفضوا التراجع عن مطالبهم لتحقيق مستهدف يمس نزاهة الحكم ، كما رفضوا طلب الملك أن تصحب (المحروســة) بعض قطع الأسطول المصرى حتى تصل الى ايطاليا ٠٠ وقد طلب الملك من جيفرسون كافرى فيما بعد حراسة بعض قطع الأسطول الأمريكى له أثناء رحلته ٠

كان محمد نجيب معتزما أن يكون فى وداع الملك على مرسى رأس التين ٠٠ ولكن المظاهرات التى اعترضت طريقه فى شوارع الاسكندرية وخطأ السائق فى معرفة الباب الصحيح جعله يصل متأخرا أربع دقائق عن رحيل الملك فى تمام السادسة ٠

كان فى وداع الملك على المرسى على ماهر وجيفرسون كافرى وزوجا شقيقتيه اسماعيل شيرين ومحمد على رءوف وبعض ضباط الحرس والجميع فى وجوم شديد ٠٠ وكان الملك ينظر الى ســاعته بين لحظة وأخرى حتى أعلنت السادسة فقرر الرحيل ، وهنا عزفت الموسيقى السلام الملكى : ثم أنزل العلم الملكى ٠ وطواه ضابط من ضباط الحرس سلمه الى على ماهر الذى سلمه بدوره الى الملك ، وأطلقت المدفعية ٢١ طلقة ٠٠ وأدى حرس الشرف التحية العسكرية ٠٠ وصافح الملك مودعيه بينما خـدم القصر والمودعون يجهشون بالبكاء ٠

وعندما وصل محمد نجيب كانت آثار الدموع مازالت تلمع فى عينى على ماهر ، وأصر نجيب على توديع الملك فركب لنشا ليلحق بالمحروسة ومعه

القائمقام أحمد شوقى وقائد الجناح جمال سالم والبكباشى حسين الشافعى واليوزباشى اسماعيل فريد ٠

وصعد محمد نجيب الى المحروسة ومعه زملاؤه ، ثم أدى التحية العسكرية للملك المعزول وتصافحا باليد ٠٠ ومضت فترة سكون يقول عنها محمد نجيب (الملك يتوقع أن اتحدث والقدرة على التعبير ضاعت من رهبة الموقف) ٠

وأخيرا انطلق نجيب يتحدث قائلا :

اننى أريد ان أقول لك شيئا ٠٠ عندما اقتحمت الدبابات البريطانية قصرك فى ٤ فبراير ١٩٤٢ كنت أنا الضابط الوحيد الذى قدم استقالته احتجاجا على هذا الاعتداء الشنيع على استقلال البلاد ٠ فعلت هذا باسم الجيش كله وعبرت به عن شعور هؤلاء الضباط الذين قاموا بالحركة اليوم ٠٠ وفى هذا ما يدل على مبلغ ما كان من ولائنا نحن رجال الحركة لك ٠٠ أما الآن فقد تطورت الأحوال وانقلبنا نحن حماتك الى ثوار عليك نتيجة أعمالك وتصرفات من حولك ٠

ووفجىء فاروق بهذا الحديث فقال :

على كل حال اننى أتمنى للجيش كل الخير ٠٠ وانى أوصيك خيرا بالجيش المصرى فهو جيش آبائى وأجدادى ٠٠ ان مأموريتك شـــاقة وصعبة ٠

وقال له نجيب :

انى أعرف ان الكولونيل سيف سليمان باشا الفرنساوى هو الذى بدأ تكوين الجيش المصرى ٠

وكان فاروق قد لاحظ أن جمال سالم يحمل عصاه وهو فى حضرته فتوقف عن الحديث وأشار له قائلا :

أرم عصـــاك ٠

وحاول جمال سالم أن يعترض ولكن محمد نجيب نهره عن ذلك فألقى عصاه ووقف وقفة فيها شىء من اللامبالاة ٠

وقال الملك وهو يصافحهم مودعا بعد أن أدوا له التحية العسكرية :

أنتم سبقتونى فى اللى عملتوه ٠٠ اللى عملتوه دلوقتى كنت أنا راح أعمـله ٠

وطلب الملك تأجيل رحيل المحروسة نصف ساعة حتى تحضر بقية حقائبه ووافق نجيب بلا تردد ٠ وخرج وفى ذهنه كلمات الملك ٠

كان سباقا مع الزمن بين الملك وبين الضباط الأحرار ٠

لو كانت الحركة قد تأخرت أياما ربما كان بعضهم قد أصبح خلف قضبان السجون ، والملك فى حياته اللاهية ٠

ولكن أحداث التاريخ شاءت أن يخرج الملك معزولا من مصر ، وأن يصبح محمد نجيب قائدا لحركة الجيش ٠

وكانت عملية اخراج الملك قد تمت فى سرية تامة عن الجماهير التى لم تسمع شيئا مؤكدا عنها الا فى السادسة والنصف عندما أذيع بيان تاريخى بصوت محمد نجيب يعلن فيه خروج الملك ، ويطلب من المواطنين الذين غمرهم الفرح أن يلتزموا الهدوء ٠

ويقول محمد نجيب أن صدره قد استراح باذاعة هذا البيان لأنه كان حريصا على ان يفهم كل مصرى أن المشاركة فى الحركة لم تكن لكسب شخصى مادى وانما كانت لتحرير الوطن والمواطنين ٠٠ وأراد ان يضرب المثل بنفسه عندما عينه قائدا عاما للقوات المسلحة يوم ٢٤ يوليو ، وقناعته برتبته الحالية ٠ رتبة اللواء ٠

هكذا سقط الملك فاروق ، وغادر مصر ٠ وطويت صفحة حكمه فى دون تردد ٠

وبعد ساعة ونصف أى فى الثامنة مساء أذاع محمد نجيب بيانا آخر أعلن فيه على الشعب تنازله عن رتبة (الفريق) التى كان قد منحها له الملك فاروق ٠

الفصل العاشر

الضباط فى السلطة .. لأول مرة

لم يكن سقوط الملك اعلانا عن سقوط الملكية .

ولم يكن خروج فاروق هو نهاية الحكم الملكى من الوجهة الدستورية كانت أول مشكلة تواجهها قيادة الجيش .. هى قضية الوصاية على العرش .

المادة ٥١ من دستور ١٩٢٣ كانت تنص على ألا يتولى أوصياء العرش عملهم الا بعد أن يقرأوا اليمين أمام مجلس النواب والشيوخ مجتمعين تماما كما يؤدى الملك اليمين قبل مباشرة سلطته الدستورية .. وللملك حسب أحكام الأمر الملكى رقم ٢٣ عام ٤٢ اختيار هؤلاء الأوصياء على أن يقر المجلسان اختياره .

وتنص المادة ٥٢ من الدستور على انه عند وفاة الملك يجتمع البرلمان بحكم القانون خلال عشرة أيام من الوفاة ، فان كان المجلس منحلا وكان الموعد المعين لاجتماع المجلس الجديد بعد انتخاب أعضائه يجاوز اليوم العاشر وجب دعوة المجلس المنحل للعمل حتى يجتمع المجلس الذى يخلفه .

أما المادة ٥٥ فتنص على أن يتولى مجلس الوزراء ــ بصفة مؤقتة ــ سلطات الملك الدستورية حتى يؤدى أوصياء العرش اليمين أمام البرلمان .

كان مفروضا ان يدعى البرلمان الوفدى المنحل للانعقاد طبقا للدستور وطبقا لفتوى قدمها عدد من رجال القانون الوفديين لرئيس الوزراء على ماهر وأرسلوا صورة منها الى محمد نجيب . ومعروف ان على ماهر كان

قد رفض حل مجلس النواب الوفدى خلال رئاسته الوزارة بعد حريق القاهرة ٠

ولكن على ماهر الذي أصبح مجلسه جامعا للسلطة التشريعية وسلطة الملك الدستورية الى جانب السلطة التنفيذية يعلن بعد اجتماع مجلس الوزراء بأن قيام برلمان نظيف على أساس سليم يحتاج الى تمهيد يستغرق سنوات ٠٠ وعلق السنهورى الذى استدعي هو وسليمان حافظ لحضور اجتماع المجلس بأن ذلك الرأى يعنى اتجاه على ماهر الى حكم البلاد بغير برلمان مستندا الى سلطة الجيش ٠

ورغم ان سليمان حافظ والسنهورى كانا يستهدفان اقامة حكم برلمانى بأسلوب جديد فى الانتخابات يحرم الوفد من أغلبيته المطلقة التى كان يتمتع بها رغم عدم حصوله علي أكثر من ٤٠٪ من أصوات الناخبين ـ على حد قوله ـ الا ان سليمان حافظ كان حريصا أشد الحرص على عدم دعوة البرلمان الوفدى المنحل ، مناضلا من أجل ذلك بكل الطرق الممكنة وذلك لخلاف سياسى عميق بينه كرجل من رجال الحزب الوطنى وبين الوفد كحزب جماهيرى ٠٠

ولجأ سليمان حافظ الى فكرة عرضها عليه الدكتور حسن بغدادى عميد كلية الحقوق بالاسكندرية فى ذلك الوقت ، تقضى بتعديل الأمر الملكى رقم ٢٣ لعام ١٩٢٢ تعديلا يكفل انشاء الوصاية المؤقتة وينظمها وهو تعديل يتيسر لمجلس الوزراء اقراره بحكم توليه السلطة التشريعية فى غيبة البرلمان عملا بالمادة ٤١ من الدستور ٠

وافق الدكتور عبد الرازق السنهورى على ذلك الرأى أيضا ، وهو الوزير السعدى السابق ٠ وعرض الأمر على مجلس القيادة فأتفق الرأى على تفويض الأمر الى قسم الرأى مجتمعا بمجلس الدولة ، الذى أصدر قرارا باجماع الأصوات عدا صوت الدكتور وحيد رأفت بأنه لا يجوز دعوة مجلس النواب المنحل للعمل فى حالة نزول الملك عن العرش بل يجب المبادرة الى اجراء الانتخابات لمجلس النواب الجديد ودعوته للاجتماع فى الميعاد الدستورى لتعيين أوصياء العرش فاذا رأت الحكومة أن الضرورة العملية تتطلب لاجراء الانتخابات وقتا غير قصير لا ينبغى لمجلس الوزراء أن يستمر خلاله فى مباشرة سلطات الملك ، أمكن ايجاد نظام وصاية مؤقتة تنتقل اليها هذه السلطات من مجلس الوزراء الى أن تتولاها لجنة الوصاية الدائمة ٠

وتشكل مجلس الوصاية المؤقت من الأمير محمد عبد المنعم رئيسا وعضوية بهى الدين بركات باشا والقائمقام رشاد مهنا الذى عين وزيرا

للمواصـــلات لمدة يوم واحد حتى يكون تعيينه فى مجلس الوصـــاية دستوريا ·

واعتبر سليمان حافظ هذا الموقف انتصارا له فقال فى مذكراته التى كتبها وأودعها عند صديقه الدكتور مصطفى مرعى الذى تفضـــل باطلاعى عليها بالحرف الواحد (باء الوفد بالخيبة وبؤت مع السنهورى بالفوز بما كنا نبغيه من على ماهر) ·

وانتقل مكتب سليمان حافظ منذ ذلك الوقت الى رئاســة مجلس الوزراء ·

وصدرت عدة تشريعات براقة من ناحية الشكل ·· اذ الغيت بدعة تصييف الوزارة بالاسكندرية ، وخفضت السيارات الحكومية · والغيت الألقاب والرتب المدنية ·

ولكن هذه التشريعات وحدها لم تكن كافية لمواكبة اندفاع مجلس القيادة الذى كان يواصل اجتماعاته ليل نهار ، يتصل أعضاؤه بمعارفهم من مختلف الاتجاهات السياسية ، يتأثرون بأحاديثهم ويسعون الى تنفيذ بعض اقتراحاتهم ·

وكان على ماهر يعتبر نفسه رجل الساعة ، يحافظ بكل ما فى جهده وطاقته على استمرار الأوضاع على ما هى عليه ، ليظل فى مركز السلطة ولكن التناقضات كانت قد بدأت تنبت بينه وبين مجلس القيادة الذى كان يتحمل عبء المسئولية الفعلية فى مصر بعد خروج الملك ·

كان مجلس القيادة المشكل من تسعة أفراد هم : جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وجمال سالم وصــلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين وأنور السادات قد قرر فى ١٥ اغسطس ضم خمسة من الذين أسهموا بقدر كبير فى نجاح الحركة وهم محمد نجيب ويوسف صديق وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى وعبد المنعم أمين ·

تقررت هذه الزيادة بعد تقديم جمال عبد الناصر استقالته لأنه كان راغبا فى سلوك أسلوب ديموقراطى بينما طلب جمال سالم اختزال عدد أعضاء المجلس الى خمسة أعضـــاء فقط ، وتكليف الباقين بالعودة الى مواقعهم فى الجيش ·

ادت هذه الزيادة الى اجتذاب عدد كبير من الضباط للمجلس ·· وأصبح له مندوبون من الضباط فى مختلف الوزارات ، مما خلق فى كثير من الأحوال ازدواجية وحساسية ، وخلق عند الضباط رغبة الخروج من

اطار النظام العسكرى والانطلاق بملابسهم الرسمية الى مواقع العمل المدنية ، واشتهر باصطلاح (مندوب القيادة) الذى كان يتحرك به هؤلاء الضباط ليصدروا تعليماتهم وتوجيهاتهم فى مواقف كثيرة متعددة ٠

بدأ الانضباط العسكرى يفقد طابعه القديم ، وأخذت اتصالات الضباط تمتد خارج حدود الجيش ٠٠ ولم يعد الأمر قاصرا على الضباط الأحرار وحدهم ، وانما أتيحت الفرصة أيضا لعدد آخر من الضباط الذين تميزوا بالمهارة فى التقرب والقدرة على التلون ٠

وكان صعبا على مجلس القيادة فى مرحلته الأولى وخلال دوامة الأجتماعات والاتصالات أن يقيم تنظيما أو يصدر تعليمات تمنع الضباط من الاندفاع الى هذا المجال الجديد ٠

وهذا نمت الازدواجية وظهرت الحساسية بين الوزارة ومجلس القيادة ٠

٠٠ كان على ماهر قد زار مرسى مطروح فترة العيد واتصل به محافظ الصحراء الغربية (بكباشى حسنى الدمنهورى) وآثار معه عدة قضايا ، منها ٠٠ اعطاء تراخيص اقامة للمصريين فى الصحراء الغربية وهو نظام افتعلته قوات الاحتلال بالنسبة لكل مناطق الحدود المصرية ٠٠ وأصدر على ماهر قرارا بالغاء تصاريح الدخول والاقامة للمصريين فى جزء من بلادهم وآثار معه أيضا قضية اعطاء (تراخيص تموين) للمصريين المقيمين فى الصحراء الغربية فوافق عليها أيضا ٠

وعقد على ماهر اجتماعا موسعا مع الضباط أثيرت فيه قضية فصل الضباط من الجيش بعد الثورة ٠٠ وقال عبد الجليل العمرى (وزير المالية) الذى كان مرافقا له فى هذه الزيارة ان خروج عدد كبير من الضباط سوف يثقل كاهل الميزانية بمعاشات كبيرة ٠

وتطرق الحديث بعد ذلك الى موضوع الاصلاح الزراعى ، فأبدى على ماهر رأيه فى أن يكون الحد الأقصى ٥٠٠ فدان ، ان لم يوافق على فرض ضرائب تصاعدية ٠

ولم يقتصر اجتماع على ماهر بالضباط على مرسى مطروح ٠٠ بل عقد اجتماعا ثانيا مع ضباط الاسكندرية فى ناديهم بالشاطبى ٠٠ وأثيرت هذه القضايا مرة أخرى ٠

مثل هذا الاتصالات بين على ماهر والضباط ، الى جانب آرائه المعارضة للاصلاح الزراعى الذى تبنى فكرته جمال سالم بعد ان صقلت

خلال عدة لقاءات تمت بينه وبين أحمد فؤاد ودكتور راشد البراوى أدت الى تنافس أخذ يزداد حتى وصل غايته ٠

وكان الاتفـاق قد تم بين مجلس القيـادة وعلى ماهر على ان تتم الانتخابات فى شهر فبراير تنفيذا لرأى مجلس الدولة الذى شكل به مجلس الوصاية المؤقت ، وطلبوا منه أن يذيع ذلك توضيحا للشعب ٠ ولكن على ماهر اذاع البيـان دون تحديد شـهر فبراير ، بل قال ان الانتخابات ستتم فى أقرب فرصة ٠

أهاج عدم تحديد الموعد ثائرة ضباط القيادة ، وأذاعوا بيانا يتناقض مع بيان على ماهر ويحدد فبراير موعدا للانتخابات ٠٠ الأمر الذى نقل مشكلة الخلاف من كواليس السياسة الى ساحة الجماهير ٠

كان على ماهر يستهدف من عدم تحديد موعد الانتخابات اعطاء نفسه فرصة أطول للسيطرة على الحكم بطريقة غير دستورية ٠

والواقع ان رجعة الى تاريخ على ماهر الذى بدأ حياته عضوا فى لجنة الثلاثين لاعداد دستور ١٩٢٣ ، توضح لنا انه اتخذ طوال حياته السياسية مواقف تعادى روح الدستور وتتناقض معه ٠

اشترك على ماهر فى وزارات أحمد زيور ومحمد محمود واسماعيل صدقى وهى الوزارات الانقلابية التى أهدرت سلطة الأمة واعتـدت على الدستور وعطلته ثم الغته ، والتى كانت حربا على الحريات والحرمات والكرامات ، كما كانت وسيلة لدعم سلطات الملك ونظريته القائمة على أنه يملك ويحكم ٠

وعندما عين على ماهر رئيسا للديوان الملكى بعد تولى فاروق سلطته الدستورية كان استهلال عهده اقالة وزارة مصطفى النحاس عام ١٩٣٧ ، رغم ما فى ذلك من اعتداء على روح الدستور ٠٠٠ ثم تولى رئاسة الوزراء بعد انتخابات مزيفة دون ان يسـتند الى حزب أو تنظيم سـياسى عام ١٩٣٨ ٠

كانت موافقة على ماهر على الغاء مجلس النواب الوفدى بعد حريق القـاهرة من أجل بقـاء وزارته فى الحكم بعد حصوله على تأييد الوفد والمجلس ٠٠ ولكنه عندما تلمس فرصة الحكم بعيدا عن الدستور ، بعيدا عن البرلمان ٠٠ تنكر لموقفه القديم وعارض فى دعـوة مجلس النواب المنحل ٠ بل وعارض فى تحديد موعد الانتخابات الجديدة ٠

وعقب اذاعة بيان مجلس القيادة بعد بيان على ماهر فكر فى الاستقالة ولكنه تراجع عن ذلك ٠

وبعد أزمة الاتصال بالضباط ومعارضة الاصلاح الزراعى ٠٠ والخلاف حول موعد الانتخابات مما يمس دستورية الحكم ٠٠ ظهر خلاف ثالث حول تعديل الوزارة ٠

كان على ماهر قد اتفق مع محمد نجيب على أسس تعديل وزارته التى شكلت فى سرعة شديدة عقب تكليفه بذلك من معظم عناصر وزارته التى أقالها الملك ، وكأنما ليظهر أمامه فى مظهر المنتصر ٠٠ ثم فوجىء محمد نجيب بمراسيم التعديل الوزارى وقد صدرت على غير ما اتفقوا عليه ، اذ حصل على ماهر على توقيع رشاد مهنا ، معتقدا انه يمثل سلطة الجيش ٠

ويقول محمد نجيب « يبدو أن على ماهر فى هذه الفترة كان تحت ضغوط شديدة من بعض رجال الأحزاب والسياسيين القدامى لتعطيل قانون الاصلاح الزراعى ٠٠ ومن أصدقائه الوزراء الذين اتفقنا معه على اخراجهم ثم شعر أمامهم بالاحـراج ٠٠٠ وكان طموحا فى نفس الوقت لاستمرار الوزارة دون انتخابات محددة الموعد لا يعرف نتيجتها » ٠

ظهر منذ وقت مبكر فى حركة ٢٣ يوليو ان مركز القوة والسلطة قد انتقل الى مجلس القيادة ، وانهم ما كانوا ليطبقوا حكما يتعارض مع ارادتهم أو يعرقل مشاريعهم ٠

وسلك مجلس القيادة سلوكا يستظهر به قوته ليس أمام على ماهر وانما أمام كافة السياسيين ٠٠ اذ أصدر قرارا باعتقال ٦٤ سياسيا يوم ٧ سبتمبر دون الرجوع الى رئيس الوزراء ٠٠٠ وأعلن جمال عبد الناصر الخبر فى اجتمـاع لمجلس القيـــادة كان يحضره الدكتور عبد الرازق السنهورى وسليمان حافظ ٠

وتحدد بهذا القرار مصير وزارة على ماهر ٠

وبدأ البحث عن اسم رئيس الوزراء الجديد ٠

ولكن على صبرى همس فى أذن جمال سالم وكان حاضرا لهـــذا الاجتماع باعتباره سكرتيرا لمجموعة الطيران ٠٠٠ وقال جمال سالم أنه يجل السنهورى ويعرف قدرته ويعترف بجـدارته ويثق فى اخلاصـــه للحركة كما بدا واضحا فى تأييده لقانون الاصلاح الزراعى ولكنه يستسيغ الصراحة والاخلاص فى عرض السبب الذى يجعله مرغما على العدول عن ترشيحه ٠

وكان السبب كما قاله جمال سالم هو ان الأمريكان سوف يعترضون على الترشيح لأن بعض الصحف الغربية نسبت اليه فى أواخر عهد الملك

السابق وأثناء حكم الوفد أن له ميولا يسارية ٠٠ انه رغم يقينه ببطلان هذه التهم ، الا أن مصلحة الحركة ـ وقد أخذت بعض الصحف فى الخارج تتهمها بالشيوعية ـ يقتضى تفادى كل ما من شأنه أن يستغله الأعداء ٠

ويقول خالد محيى الدين ان الأمريكيين كانوا قد أبلغوا على صبرى بذلك عندما شعروا باقتراب السنهورى من مجلس القيادة ورجوع الأعضاء اليه فى كافة مشاكلهم الدستورية ٠

وأجاب الدكتور السنهورى فى ثقة هادئة بأنه يقر وجهة نظر جمال سالم بعد ان قال ان الذريعة التى استندت اليها صحافة الغرب فى اتهامه بالشيوعية ترجع الى انه وقع وزملاء له من مستشارى محكمة القضاء الادارى بمجلس الدولة نداء للسلام هو ما عرف فى ذلك الوقت باسم (نداء ستوكهلم) ومضمون النداء لا يعدو أن يكون دعوة لاقرار السلام العالمى ومقاومة أسباب الحروب ٠

وأنهى الدكتور السنهورى كلامه طالبا الانتقال للحديث عن مرشح آخـر ٠

وانتهى الأمر الى الاقتراح بتعيين محمد نجيب رئيسا للوزراء وسليمان حافظ نائبا لرئيس الوزراء ٠

حدث ما توقع المجلس واستقال على ماهر ، ولكنهم طلبوا منه أن يحتفظ بموقعه رئيسا لوفد مصر فى اجتماعات الجامعة العربية ، وفى وفد مفاوضة الأحزاب السودانية ٠

خرج آخر رئيس وزراء مدنى بعد فترة حكم امتدت ٤٧ يوما فقط ٠

سقط الحكم المدنى فى مصر شكلا وموضوعا باستقالة على ماهر ٠٠٠ بعد ان سقط الملك من قبل ٠

كان موقف السياسيين الذين أحاطوا بمجلس القيادة فى هـــذه الفترة هو أحد الأسباب الرئيسية التى أنهت هذا الحكم ٠

الاخوان المسلمون وجدوا فرصـــتهم الفريدة لتحقيق أطمـــاعهم فى القضاء على الوفد بدعوى القضاء على الحزبية والتحزب ٠٠٠ ووثقوا أن شجرة الانقلاب تنمو فى ساحتهم ٠٠٠

موقف على ماهر من رغبته فى الانفراد بالحكم على غير أسس دستورية أهدر القيم التى كان يمكن أن تكون سندا للارادة الشعبية ٠٠٠ كما أن

تشكيله للوزارة من عناصر ليس لها احترام وتقدير شعبى أضعف من مركز الوزارة عموما أمام الجماهير ، وجعل كل الأمور متعلقة بشخصه ٠

فتوى سليمان حافظ وقسم الرأى بمجلس الدولة التى حالت دون دعوة مجلس النواب المنحل للموافقة على الأوصياء كانت ظاهرة بارزة فى محاربة الوفد واستخراج تشريعات لا تتمشى مع روح الدستور ولا مع الرؤية السياسية السليمة ٠

كل هذه الاتجاهات التى أحاطت بمجلس القيادة منذ البداية خلقت شعور استهانة بالدستور ، وأظهر انه يمكن الالتفاف حوله ٠٠٠ كما انها تجاوب مع ما فى صدور الضباط عامة من الرغبة فى التعبير السريع الحاسم الذى يتناسب مع ايقاع الحياة العسكرية فى الجيش ٠

سقطت واجهة الحكم المدنية ٠٠ وتولى اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة منصب رئيس الوزراء ٠

لم يصل الضباط الى السلطة دفعة واحدة ٠٠٠ ولم يتحول مجلس القيادة فجأة من ضباط الى وزراء ٠٠٠ عين محمد نجيب رئيسا للوزراء فكان أول رجل عسكرى يتولى رئاسة الوزارة فى تاريخ مصر الحديث بعد محمود سامى البارودى وأحمد عرابى ٠٠ ولكن أحدا من الضباط لم يشترك فى الوزارة ٠

تم تشكيل الوزارة فى يوم واحد ٧ سبتمبر ١٩٥٢ ٠٠٠ ولم يكن نجيب يعرف معظم الذين اتصل بهم ٠٠٠ قام بهذه المهمة سليمان حافظ وفتحى رضوان الذى كان قد اجتمع باعضاء مجلس القيادة بناء على دعوة وجهت اليه ، وكان محور حديثه معهم هجوما على وزارة على ماهر وبعض شخصياتها الهزيلة ٠

عرضت الوزارة على محمود محمد محمود وحامد سليمان غالى وعبد الجليل العمرى وابراهيم بيومى مدكور فاعتذروا فورا ٠

واذا كان هناك نقد يمكن أن يوجه لوزارة على ماهر ومستوى تشكيلها وضعف أفرادها فان هذا النقد يمكن أن يوجه مضاعفا الى وزارة محمد نجيب الأولى التى ضمت سليمان حافظ نائبا لرئيس الوزراء وستة وزراء من الحزب الوطنى ووزيرين من الاخوان المسلمين والباقين من المستقلين ٠

وكان غريبا ان تشكل وزارة محمد نجيب الأولى معتمدة على الحزب الوطنى الجديد اعتمادا شبه كامل ، رغم انه لم تكن هناك صلة ما قد عقدت قبل الثورة بين أى ضابط من الضباط الأحرار وأعضاء الحزب

الوطنى الجديد اذا استثنينا عبد العزيز على الذى عين وزيرا للشئون البلدية وكان موظفا فى الدرجة الثالثة وله تاريخ فى جمعية اليد السوداء التابعة من الحزب الوطنى القديم وكانت له صلة بعبد اللطيف البغدادى ومجموعة الطيران •

ولكن مجلس القيادة كان حريصـــا على عدم صبغ وزارته الأولى بصبغة حزبية سافرة ، كما انه كان حريصا على عدم ظهور الحركة بمظهر انها امتداد لنشاط الاخوان المسلمين ٠٠ ولذا ضاقت دائرة الاختيار حيث أن كافة المستقلين المعزوفين كانت لهم انتماءات أو صلات مع الأحـزاب المختلفة ، والبعض منهم رفض الاشتراك •

ولم ينظر مجلس القيادة الى الحزب الوطنى الجديد باعتباره حزبا من الأحزاب التى تحرض الحركة على عدم الارتبـاط بها ٠٠٠ لأنه لم يشارك فى أية حكومة سابقة قبل ٢٣ يوليو ، كما انه لم يكن للحزب الوطنى أى أنصار أو نفوذ سياسى بالقدر الذى يخيف نظاما جديدا ، كما ان المبادى التى نادى بها الحزب الوطنى وظهرت على صفحات (اللواء الجديد) كانت — متناسقة مع المبادىء الستة للضباط الأحرار •

كان معظم الوزراء أسماء جديدة على سمع الجماهير ٠٠ ليس لأحد منهم (الا قلة محدودة) تاريخ وشهرة سياسية معروفة ، كما ان تجربتهم فى الحكم جميعا كانت جديدة ، فلم يسبق لأحد منهم أن تولى الوزارة عدا الدكتور عبد الجليل العمرى الذى كان وزيرا للمالية والاقتصاد فى وزارة على ماهر ٠٠ ويلاحظ أن هذا المرسوم كان أول مرسوم يصدر دون أن يقترن الاسم باللقب بعد أن الغيت الألقاب بل ان أحدا منهم لم يكن يحمل رتبة البيكوية سوى سليمان حافظ وعبد الجليل العمرى •

وتم اختيار وزيرى الاخوان بعد خلاف فى الرأى ٠٠ كان قد تم اتصال مع حسن الهضيبى لترشيح وزيرين ، فاقترح الشيخ أحمد حسن الباقورى عضو مكتب الارشاد وأحد اثنين أما أحمد حسنى وكيل محكمة النقض أو محمد كمال الديب محافظ الاسكندرية ٠٠٠ وتم الاتصال فورا بالباقورى وحسنى •

وبينما هم فى انتظار حضورهما اذا بحسن العشماوى ومنير الدلة يحضران موفدين من حسن الهضيبى باعتبارهما مرشحين للاخوان ويقابلان جمال عبد الناصر الذى عرض أمر ترشيحهـا على سليمان حافظ الذى اعترض لصغر سنهما ولأنه اتصل فعلا بالشيخ الباقورى وأحمد حسنى •

واتصل جمال عبد الناصر بحسن الهضيبي الذى أبلغه أن الترشيح الأول كان ترشيحا شخصيا منه ، وانه عندما عرض الأمر على مكتب الارشاد قرر ترشيح العشماوى والدلة أو عدم الاشتراك فى الوزارة .

ومع ذلك تم تشكيل الوزارة واضطر الشيخ الباقورى الى الاستقالة من مكتب الارشاد ازاء الموقف الذى اتخذته جماعة الاخوان المسلمين .

اقترن تشكيل الوزارة فى أذهان الجماهير بحركة اعتقال السياسيين ... ووضع ذلك حدا لهجوم الصحافة على وزارة على ماهر ، وكان أحمد أبو الفتح رئيس تحرير المصرى قد كتب مقالا نشر يوم ٧ سبتمبر ١٩٥٢ تحت عنوان (الى أين ؟) قال فيه « ان فرحتى لعزل الملك كانت كل أسبابها مستمدة من ان فى زواله تمكينا للحياة الدستورية واسترداد الشعب حقوقه ، لا لمجرد كونه سيىء الخلق أو مرتشيا أو ناهبا » ... وفى هذا المقال حذر من تولى الجيش السلطة ، وقال ان سلسلة الأخطاء قد بدأت بافتاء قسم الرأى بمجلس الدولة فى موضوع مجلس الوصاية المؤقت ... ثم تساءل فى النهاية قائلا « أين أنت أيها الدستور ؟ » .

كانت حركة الاعتقال التى صاحبت تشكيل الوزارة قد تفرعت حتى وصلت الى مختلف الاتجاهات السياسية .. اعتقل نجيب الهلالى وفؤاد سراج الدين وابراهيم عبد الهادى وحافظ عفيفى وكريم ثابت وادجار جلاد ومحمد صبيح والبير مزراحى وغيرهم .

كان الهدف من هذه الاعتقالات ــ على حد تعبير محمد نجيب ــ هو « تهدئة الجو السياسى الذى ثار فى الأيام الأخيرة لوزارة على ماهر ولكن النتيجة كانت عكس ما توقعنا اذ بدرت الشكوك بين الأحزاب السياسية وبين حركة الجيش ... ولم يكن هناك مفر من المضى فى الطريق الى غايته » .

وكانت عملية الاعتقال الجماعى غير المبرر ، لها مظهر الاعتقالات التى قام بها البريطانيون عند بدء اشتعال ثورة ١٩١٩ ... كما أنها كانت موجهة الى مختلف القوى والتنظيمات السياسية ، وليست مركزة على اتجاه واحد ... الأمر الذى جعل الجيش فى جانب وكافة القوى السياسية فى جانب آخر .

القوة السياسية الوحيدة التى لم تمسها حركة الاعتقالات كانت الاخوان المسلمين ... تماما كما حدث فى وزارة نجيب الهلالى .

كانت عودة الجيش الى الاعتقالات بعد أقل من خمسين يوما من حركة الافراج التى صاحبت الحركة ، والتى شملت كل المعتقلين حتى الشيوعيين

الذين أفرج عنهم جميعا عدا ١٧ معتقلا ظلوا كخميرة تكبر وتجدد تبعا للظروف دليلا على أن تغييرا هاما فى طبيعة الموقف السياسى قد ظهر فى مصر •

أخذ الجيش يظهر كقوة سياسية لا تستند الى جذور تاريخية أو تنظيمات حزبية وانما تعتمد على الأثر الهائل لعزل الملك ، واصدار قانون الاصلاح الزراعى بعد يومين من وزارة نجيب ـ ٩ سبتمبر ـ والذى وجه طعنة شديدة الى الاقطاع والاقطاعيين •

واعتمدت حركة الجيش أيضا على الشعبية التى اكتسبها محمد نجيب بين الجماهير لبساطته الشديدة وابتسامته الدائمة وحيويته المتجددة ••• كانت له جاذبية واضحة •

وقد وجدت جماهير الشعب التى تجاوزت أحلامها وآمالها قدرة النظام الملكى بأحزابه المختلفة ، فى حركة الجيش فرصة للانطلاق نحو مستقبل افضل •• ولذا كان هذا التأييد الجارف الذى قوبلت به منذ لحظتها الأولى •

وأدركت الأحزاب السياسية ان انطلاق هذه الحركة التى يقودها المثقفون أبناء الطبقة الوسطى فى الجيش ، وخاصة بعد وصول نظامهم السابق الى طريق مسدود ، سوف يضعف قبضتهم ويبدد سلطتهم ، وينهى مستقبلهم السياسى ، ولذا فانهم تخوفوا منها منذ اللحظة الأولى ، وهرع بعضهم الى لقاء قادتها ، وتسجيل أسمائهم فى سجلاتها ، ومحاولة الارتباط بها والتعرف على قادتها •

وكانت الحركة قد تمت ومصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين فى أجازة صيف بسويسرا •• وصلوا جنيف يوم ٢٤ يوليو بعد رحلة بالباخرة ، وفور وصولهما اتصل بهما بعض أعضاء الوفد طالبين منهما العودة ••• وعاد النحاس وسراج الدين بالطائرة وكانت هذه أول مرة يركب فيها النحاس طائرة فى حياته •• تحركت الطائرة من جنيف عصر ٢٦ يوليو قبل أن يعلموا بعزل الملك ، وقد عرفوا ذلك من الطيار الذى أبلغهم به فور سماعه فى الاذاعة •

وصلت الطائرة القاهرة بعد منتصف ليلة ٢٧/٢٦ يوليو وكان فى استقبالهم بالمطار أحمد أبو الفتح رئيس تحرير المصرى ، والذى كان له معرفة وثيقة برجال القيادة ، وأبلغهم انهم يجب أن يذهبوا لتهنئة رجال الثورة ، وهم مستيقظون طوال الليل فى انتظارهم •

وافق النحاس بعد استشارة فؤاد سراج الدين ، ولكنهما عندما وصلا الى القيادة فى الثانية بعد منتصف الليل وكانت فى صمت مطبق

وليس فيها بادرة تشير الى انتظارهم لزيارة أحد ••• وانتظر النحاس وسراج الدين في غرفة صغيرة بالدور الأرضي ريثما صعد أبو الفتح الى أعلى حيث تأخر أربعين دقيقة صعدا بعدها حيث وجدا محمد نجيب في مكتبه وحوله ضباط القيادة •

رحب محمد نجيب بمصطفى النحاس واحتضنه ، ولكن تحية الضباط لهما كانت باردة وجافة ••• وظل الجميع واقفين حتى انتهت الزيارة •

كان هذا هو اللقاء الأول والأخير بين مصطفى النحاس وأعضاء مجلس القيادة ••• بينما تعددت اللقاءات مع فؤاد سراج الدين بعد ذلك •

كان مصطفى النحاس مقبلا بقلبه على الثورة ، سعيدا بعزل الملك الذى طالما أقال وزارته ، معتقدا ان الحركة قد تمت فى اطار الدستور وانها لن تلبث أن تعيد البرلمان المنحل لتعيين مجلس الوصاية ، ثم تجرى انتخابات جديدة يضمن الوفد فيها أغلبيته المعتادة •

ولكن معظم ضباط مجلس القيادة لم يكونوا من العاطفين على الوفد أو المرتبطين به فكريا اذا استثنينا جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين ويوسف صديق ، الذين لم يكونوا متحمسين للوفد ، ولكنهم فى نفس الوقت لم يكونوا فى موقف العداء منه •

كان جفاف المقابلة نابعا من ادراك ضباط القيادة ان الوفد يمثل الخطر الحقيقى على سلطتهم الوليدة ، ونابعا أيضا من تأثير بعضهم بموقف الاخوان المسلمين المعادى للوفد •

كما أن التكوين الطبقى لضباط القيادة كان متنافرا كما ذكرنا مع تكوين قيادات الأحزاب التقليدية التى تولت الحكم ، قريبا الى حد ما من قيادة الأحزاب الناشئة التى تتطلع الى الحكم •

كان وصول الجيش الى الحكم بطبيعة تكوين قياداته مؤشرا الى انطلاق روح وطنية ، وحركة اجتماعية جديدة •

ولم تكن حركة ٢٣ يوليو محصورة فى حدود مطالب اقتصادية أو مهنية خاصة بالجيش ••• بل كانت دائرتها أوسع من حدوده ، فامتدت لتشمل المجتمع بكل ما يدور فيه من أحداث وقضايا •

ولعل هذا هو ما دفع الكاتب اجارون كوهيمه الى القول عن حركة ٢٣ يوليو « فى حين ان الحكام التقليديين عاجزون على الاستمرار فى السلطة والطبقة الوسطى أضعف من أن تمسك بها ، والعمال لم ينضجوا بعد لتحقيق هذا الهدف ، لا توجد قوة غير العسكريين قادرة على ملء هذا الفراغ » •

ويعقب روستو على ذلك باعطاء تعريف أكثر تحديدا فيقول « ليس من الدقة القول بأن الجيش يملأ الفراغ ، ومن الأفضل القول بانه يفتح طريقا محجوزا بالقوة ٠

ويقول بيير أزوى بعد ان يوضح ان قوى كثيرة حاولت الاستيلاء على الحكم فى العراق وسوريا ومصر ، ولكنها فشلت فى حين نجح الجيش ٠٠٠ يقول « لا يعنى ذلك انه لا توجد قوىأخرى غير الجيش ، فهذه القوى توجد بالتأكيد ، ولكنها لا تملك القوة التى يملكها الجيش » ٠

تمت الخطوة الأولى لاستيلاء الجيش على السـلطة نتيجة ظروف متعددة :

أولا : تمت حركة يوليو فى توقيت مناسب سليم كان الشعب قد وصل فيه الى ذروة النقمة على الملك ورجال الحاشية ، وحكومات الأقلية التى عطلت الدستور عمليا ، واستندت الى ارهاب الأحكام العرفية ٠٠٠ ولذا جاء استقبال الجماهير للحركة معبرا عن التأييد الكامل ، مشجعا الضباط الأحرار على مواصلة السير فى الطريق ٠

ثانيا : أحزاب الأقلية كانت لافتات تضم فريقا من الاقطاعيين وكبار الرأسماليين بعيدا عن ساحة الشعب ، ولذا فانها مع ظهور الحركة لم تعد أحزابا منظمة ، وانما تحولت الى شخصيات يسلك كل منها سبيلا خاصا يدافع به عن نفسه وعن مصالحه ، ولو على حساب الآخرين ٠٠ وهـذه الانهيارات كشفت للضباط مدى التفسخ والتمزق الذى كانت تعانى منه هذه الأحزاب ، وسقطت بعض الأسماء الكبيرة بتصرفات صغيرة ٠

ثالثا : احتفظ الوفد بوحدته ولم يحدث له مثل ما حدث فى أحزاب الأقلية ، ومع ذلك ظل موقفه صريحا وغير واضح ٠٠٠ يؤيد الحرية ، فيشجعها على الاستمرار ، ويرقب الاعتداء على روح الدستور ولا يشن حملة شعبية حول ذلك ٠٠٠ ولعله كان حذرا لعدم قدرته السير فى اتجاه مضاد للتيـار الشعبى المتدفق المؤيد للحركة والذى كان يضم بالتأكيد جماهير الوفد الممثلة فى القوى العاملة التى طال بها الحرمان ٠٠٠ ولذا لم تشعر الحركة بجدية المعارضة ؛ أو صلابة الموقف المسئول ٠

رابعا : كان نجاح حركة ٢٣ يوليو هو فرصـــة الاخوان المسلمين الفريدة للسيطرة على الحكم والسلطة ، فقادتها ليسوا غرباء عن تنظيمهم ، بل انهم نشأوا واستمر اتصال بعضهم به ، وواصل البعض الآخر علاقته الطيبة بهم ٠٠ والاخوان يعتبرون انهم شاركوا فى نجاح الحركة عندما كلفوا بعض أعضائهم المسلحين بحراسة دور العبادة وبعض المرافق العامة وأرسلوا فريقا منهم الى طريق مصر ــ السويس واستنفروا قواتهم فى

منطقة القنال صباح ٢٣ يوليو بعد مقابلة جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين عشماوى وصالح أبو رقيق قبل يومين من الحركة ٠

وشجع موقف الاخوان المؤيد ــ وهم ثانى التنظيمات السياسية انضباطا وجماهيرية ضباط الجيش على الاستمرار فى مسيرتهم ٠٠ وذلك قبل أن تظهر التناقضات بينهم وبين الجيش فى محاولة التنازع على مركز السلطة ٠

خامسا : وقفت الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ــ أكثر القوى التقدمية تاثيرا ــ موقف التاييد لحركة ٢٣ يوليو منذ اللحظة الأولى ، وكان ذلك أمرا طبيعيا فالمنشورات كانت تطبع عندهم ، ومعظمها يكتب بأيدى الضباط المنضمين اليها ، والمعتقلون الشيوعيون أفرج عن معظمهم ٠٠٠ وشجع هذا الموقف أيضا ضباط الحركة على الاقتناع بأنهم لا يجابهون معارضة من أى اتجاه ٠

سادسا : القوى الوطنية التقدمية التى أسهمت بدور بارز فى معركة الكفاح المسلح بالقناة وقفت مع الحركة منذ لحظتها الأولى ٠٠٠ أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى وجد فيها طوق النجاة من الاتهام الذى استهدف التخلص منه لحرق القاهرة ٠ وأنصار السلام : أفرج عن يوسف حلمى وسعد كمل لحظة الافراج عن فتحى رضوان ٠٠ والحزب الوطنى الجديد اقترب من ضباط الحركة اقترابا شديدا بحيث أصبحوا يشكلون الأغلبية فى أول وزارة يتولاها رجل عسكرى ٠

سابعا : كان تعاونا الحركة منذ البداية مع على ماهر الرجل الذى عاش حياته مرتبطا بالقوى التى تهدر الدستور وتلغيه ٠٠ وسليمان حافظ الرجل القانونى البعيد عن السياسة والذى ارتبط فى آرائه بالحزب الوطنى فاتخذ موقفا جامحا ضد الوفد واستخرج من الدستور تشريعات تتناقض مع روحه لاقامة سد عال أمام عودة الوفد أو اقترابه من الحركة ٠

كان لذلك أثر بالغ فى عقلية الضباط التى لم تكن قد شكلت بعد على أصول سياسية سليمة ٠٠٠ وكانوا فى مرحلتهم الأولى أكثر ما يكونون تأثرا بالمحيطين بهم ، قبل أن تصقل آراؤهم الشخصية ٠ وتثبت مصالحهم الذاتية والطبقية ، وكان وقوعهم بين على ماهر من جهة وسليمان حافظ من جهة أخرى دافعا لهم على السير فى طريق السلطة مع الاستعانة بالدستور والقوى الشعبية ٠

ثامنا : كان احتجاب أعضاء مجلس القيادة واخفاء أسمائهم ومنع الدعاية لهم وبروز اسم محمد نجيب فقط بشخصيته الجذابة ، مثيرا

للحديث عن نكران الذات والعمل بعيدا عن الأضواء ، وباعثا على اقتناع الجماهير بأن الحركة قـد قامت على أسس سـليمة ، الأمر الذى أحاط الضباط بتأييد جارف فى الأيام الأولى للحركة ٠

كل هذه العوامل دفعت الضباط الى أخذ الخطوة الأولى على طريق السلطة ٠٠ وهى دليل على ان القوة السياسية القائمة خارج الجيش لم تكن ضعيفة أو متهالكة ٠٠٠ ولكنها كانت مشتتة بين التأييد المطلق أو التحفظ فى المعارضة حتى لا تسير ضـد التيار الشعبى ٠٠ وان ارادة الجيش قد تبلورت فى الاستيلاء على السلطة يوما بعد يوم ، كلما ضعفت شخصيات وأحزاب المعارضة أمام الاجراءات التى اتخذت والدعاية المكتسبة التى صاحبت الحركة ٠

ويمكن تلخيص ذلك فى القول بأن الجيش كان يملك القوة التى تستطيع أن تحسم له الأمر فى شق طريقه ، وانه لم يواجه معارضـــة شعبية تجبره على الابتعاد عن هذا الطريق ٠٠٠ كما ان انطلاق الجيش للعمل خارج حدود طبيعته التى خلق لها ، تشبه تماما أسطورة خروج المارد من (القمقم) وصعوبة عودته اليه ٠

كانت الخطوة الأولى نحو السلطة هى تعيين قائد مجلس القيادة رئيسا للوزراء ٠٠٠ وتبعتها خطوات أخرى ٠

الباب الرابع

● سنوات الصدام

الفصل الحادى عشر — القضاء على الاقطاع

(سقط حق الملكية المقدس فى مصر لأول مرة بعد سبعة آلاف سنة من تاريخ مصر المكتوب ولصالح الفلاحين) .

الفصل الثانى عشر — الغاء الدستور وحل الأحزاب

(أصبح لزاما أن نغير الأوضاع التى كادت تودى بالبلاد والتى كان يسندها ذلك الدستور الملئ بالثغرات ... وهانذا أعلن باسم الشعب سقوط الدستور ... دستور ١٩٢٣) .

محمد نجيب

١٠ ديسمبر ١٩٥٢

الفصل الثالث عشر — اعتقال الشيوعيين

(أنا برئ ... أريد اعادة محاكمتى) .

العامل مصطفى خميس

قبل الاعدام

الفصل الرابع عشر — حل الاخوان المسلمين

(أنا على ثقة من أن الغرب سيقتنع بمزايا الاخوان المسلمين وسيكف عن اعتبارهم شيئا مفزعا كما حاول البعض أن يصورهم)

حسن الهضيبى

المرشد العام للاخوان المسلمين

(أن حسن الهضيبى كان حريصا على حسن العلاقات معنا) .

انطونى ايــدن

فى مذكراته

الفصل الخامس عشر صدام الضباط

(كان ١٥ يناير ١٩٥٣ نقطة تحول فى تاريخ وتقاليد الجيش المصرى .. اذ دخل الضباط برتبهم وملابسهم العسكرية معتقلين الى سجن الأجــانب) .

الفصل السادس عشر الصدام الأخير

الفصل الحادى عشر

ســـنوات الصـــدام

القضاء على الاقطاع
(سقط حق الملكية المقدسة فى مصر لأول مرة
بعد سبعة آلاف سنة من تاريخ مصر المكتوب)

كان تعيين اللواء محمد نجيب رئيسا للوزراء ووزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة دليلا على أن حركة ٢٣ يوليو قد بدأت الاستيلاء على السلطة الفعلية ، قبل أن ينقضى عليها أكثر من شهر ونصف تقريبا ٠

واعتمدت الحركة فى توطيد مركزها على الشعبية الجارفة التى حازتها بعد عزل الملك فاروق ، وفضح مفاسد النظام المنهار ومباذله ، وتطلع الجماهير الى حكم جديد يرفع عنها قبضة الاستغلال ويحقق آملها فى مجتمع نظيف ٠

ولم تعتمد الحركة على التأييد الذى صاحب مولدها فقط ، ولكنها بادرت بتنفيذ مشروعات جديدة ، جعلت منها أساسا لانطلاقها ، ومركز جاذبية لها ٠

ولم تصبح الوزارة الجديدة وقتا لاعداد هذه المشروعات ولكنها كانت جاهزة ومعدة في الملفات ٠٠ بل ان بعضها كان مصدرا للخلاف مع على ماهر

وهو ما ظهر فى قانون الاصلاح الزراعى الذى أصدرته الوزارة الجديدة فور تعيينها يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢ ٠

هذا المشروع وغيره من المشروعات التى سنتحدث عنها كانت تحمل التأييد للحركة فى نفس اللحظة التى سببت فيها الصدام الفعلى مع قوى اجتماعية وسياسية مختلفة ٠

ويمكن القول بأن الحركة قد دخلت بهذا المشروع (سنوات الصدام) وكان هذا ضرورة وحتمية تاريخية ، يفرضها وثوب الطبقة الوسطى الى مقاعد الحكم ٠

والاصلاح الزراعى لم يكن أمرا جديدا فى واقع الحياة المصرية ٠٠٠ بل ان أصواتا ارتفعت تطالب بتحديد الملكية على صفحات الصحف وداخل قاعة البرلمان فى فترة حكم فاروق ٠

مريت غالى نشر كتيبا قدم به مشروعا عن الاصلاح الزراعى يتضمن تحديد الملكية بمائتى فدان بعد أن تستولى الحكومة على ما يزيد عن هذا الحد من الملكيات القائمة ٠

وصادق سعد أحد كتاب مجلة (الفجر الجديد) الماركسية أصدر كتيبا عام ١٩٤٥ باسم (مشكلة الفلاح) عرض فيه حالة الفلاحين فى مصر من وجهة النظر الماركسية وحدد ثلاثة مطالب للاصلاح الزراعى هى :

١ ـ تحديد الملكية الزراعية وتوزيع ما يزيد عن خمسين فدان على الفلاحين الفقراء ٠٠

٢ ـ تشجيع زيادة الانتاج عند هؤلاء الفلاحين عن طريق تشجيع الجمعيات التعاونية الانتاجية ٠

٣ ـ حماية الطبقة الفلاحية باصدار التشريع الفلاحى ٠

وتقدم محمد خطاب عضو مجلس الشيوخ وعضو الهيئة السعدية بمشروع لتحديد الملكية بحد أقصى خمسين فدانا على أن يتم دون تأميم أو مصادرة وانما يتم على مدى الأجيال بتفتيت الوراثة وعدم السماح بزيادة الملكية ٠٠٠

كان هذا المشروع قد أثار انتباهى فكتبت رسالة الى محمد خطاب الذى رد على فورا بدعوتى الى منزله فى شارع الطلمبات بجاردن سيتى لمناقشة المشروع ٠٠ ثم دعانى أيضا لحضور جلسة مجلس الشيوخ التى عقدت لمناقشته يوم ٢٦ يونيو ١٩٤٥ وفوجئت هناك بضراوة هجوم

أعضـاء المجلس على محمد خطاب واتهـامهم لمشروعه بأنه (بولشفية) يجب بترها ٠

أحيل المشروع الى لجان لدراسته ولكنه بقى معلقا حتى خرج محمد خطاب من مجلس الشيوخ فرفض النقراشى تعيينه مرة أخرى فى المجلس ، ولما رشح نفسه عام ١٩٤٧ فى عابدين أسقطته الحكومة ٠٠٠ وكان محمد خطاب قد حاضر بنفسه فى (دار الأبحاث العلمية) بعد ان لمس بنفسه عفن الرجعية والاقطاعية ٠

وكان رأى الوفد فى مشروع تحديد الملكية الذى عبر عنه محمد صبرى أبو علم سكرتيره العام وزعيم المعارضة فى مجلس الشيوخ هو قوله « ان مواجهة الظروف الاجتماعية هى التى حدت بمقدم المشروع الى تقديمه وفى الحق انه بذل جهدا مشكورا فى دراسة صوغه واعداده وقد اطلعت على بعض محاضر اللجنة وفهمت أنه قد أعد له كثيرا من الوثائق وكثيرا مما يبرره » ٠

هذا الموقف المتعاطف مع المشروع لم يستمر طويلا ، فانه بعد هجمة صدقى باشا على الوطنيين عام ١٩٤٦ وتوجيه تهمة الشيوعية لعدد كبير من المفكرين والأدباء والصحفيين وتعطيل عدد من الصحف والمجلات منها (.الوفد المصرى) وقف صبرى أبو علم ينفى تهمة الشيوعية عن الوفد ، ويدلل على ذلك بأنه كان قد اتفق مع محمد حسنين هيكل رئيس مجلس الشيوخ على تحويل مشروع محمد خطاب الى لجنة يدخل بعدها فى متاهات لا تنتهى ٠٠٠ وقد تم ذلك فعلا حتى خرج محمد خطاب نفسه من مجلس الشيوخ ومن الهيئة السعدية أيضا ٠

ورغم ان محمد خطاب لم يدع فى المشروع الى المصادرة أو التأميم وانما دعا الى الحد من تضخم الملكية الزراعية ووقف نموها الاقطاعى فى حدود احترام الدستور الذى كانت تنص المادة التاسعة منه على « ان الملكية حرمة فلا ينزع من أحد ملكية الا بسبب المنفعة فى الأحوال المبينة فى القانون وبالكيفية المنصوص عنها فيها ٠ وبشرط تعويضه تعويضا عادلا » فان المعارضة له كانت عنيفة وحاسمة من جانب الاقطاعيين والحكومة الذى وجدوا فى الحديث عن تحديد الملكية صدمة شديدة لهم ٠

ولم يكن مشروع محمد خطاب هو نهاية الحديث عن الاصلاح الزراعى قبل ٢٣ يوليو داخل البرلمان ٠٠٠ النائب ابراهيم شكرى عضو حزب مصر الفتاة (أو الاشتراكى) فيما بعد قدم مشروعا لمجلس النواب مطالبا بتحديد الملكية بخمسين فدانا وذلك تجاوبا مع برنامج الحزب الذى صدر عام ١٩٤٩ ٠

ولكن المشروع لم ير النور أيضا ٠

كان موقف الاقطاعيين من هذه المشروعات فى غاية الضراوة والشراسة وفى مقدمتهم الملك فاروق الذى ورث عن والده فؤاد ١٥ ألف فدان زادها الى ٤٨ ألف فدان وسيطر على نحو ٤٥٫٠٠٠ فدان من أراضى الأوقاف ، اغتصب الكثير منها من وزارة الأوقاف « وقف اسماعيل والوادى والمنتزه وقولة وحفظة الألفية » ٠

هذا رغم أن الطبقة الاقطاعية لم تكن ضاربة الجذور فى أعماق التاريخ المصرى ٠٠ ولم تكن لها تقاليد العائلات الاقطاعية الأوروبية التى ما زالت قائمة حتى الآن فى اسبانيا مثلا ٠

تاريخ الاقطاع فى مصر يعود الى ثلاثينيات القرن التاسع عشر عندما أعاد محمد على توزيع الأراضى الاميرية على أقاربه وكبار الأعيان والموظفين وضباط الوحدات الكردية والجركسية والتركية وزع خلال مدة قصيرة مئات الألوف من الأفدنة مع من كان يقطنها من الفلاحين ، ومن ثم صار ملاك هذه الأرض يدفعون ضريبة العشر منذ عام ١٨٥٤ أى منذ أقل من مائة عام فقط ٠٠٠ وهكذا بعدما حرم محمد على الأشراف الاقطاعيين القدماء من ممتلكاتهم ونقودهم وبعد ان صفى طبقة الملتزمين أنشأ على انقاضهم طبقة جديدة من النبلاء الاقطاعيين الذين أصبحوا سند الأسرة الحاكمة الجديدة ٠

كان الخديوى اسماعيل مثلا يملك يوم توليه الحكم ١٥ ألف فدان ٠ وأصبح بعد ١٧ سنة يملك ٥٩٠ ألف فدان استولت عليها الحكومة بعد عزله ٠٠ وكان الملك فؤاد يملك عند توليه الحكم عام ١٩١٧ ثمانمائة فدان بلغت يوم وفاته عام ١٩٣٦ حوالى ٢٨ ألف فدان ٠

وهكذا اتسعت هذه الطبقة وزادت سيطرتها على الأرض حتى ان ٢٧ مالكا من أسرة محمد على كانوا يمتلكون حوالى ١٤٣ ألف فدان خلاف أراضى الأوقاف ٠٠٠ أما الملك والأسرة والأوقاف والأصهار فكانوا يملكون عام ١٩٣٩ حوالى نصف مليون فدان ، وكان ١٣٫٠٠٠ مالك يملكون حوالى مليونين ونصف مليون فدان من اجمالى الأرض الزراعية البالغة ستة ملايين فـدان ٠

ويوضح الاحصاء التالى صورة لما كان عليه توزيع الأرض فى مصر قبل عام ١٩٥٢ ٠

فئــات الملكية	جملة الأطيان بالفدان	عدد الملاك
فدان وأقـــــل	٢٤٦ر٧٨٠	٢٣٩ر٩٨١ر١
من فدان الى عشرة	٠٥٤ر٨٥٥ر١	٨٧٩ر٦٩٨
من عشرة الى خمسين	٣٥٥ر٢٩١ر١	٥٥٨ر٦٨
من خمسين الى مائتين	٥١٤ر٨٨١	٧٧٠ر٩
من مائتين الى ألف	٥٦٥ر٧٠٧	٩٢٧ر١
فوق ألف فدان	٩٩٨ر٤٤٦	١٨٨
الجملـــــة	٦٦٢ر٩٦٢ر٥	٦٦١ر٧٦٠ر٢

ومن هذه الاحصائيات تتضح صورة الهرم المقلوب للملكية الزراعية ، ومظهر الاقطاع المتكاثر في مصر ٠

وكانت هـذه الطبقة التي استند الاستعمار على زعمائها في فرض سيطرته على مصر قد ثبتت في نفوس الفلاحين ان ملكيتهم تعتبر حقا ربانيا لا يجوز الاعتداء عليه ، وقد تبنى هذه العقيدة وروج لها أيضا الاخوان المسلمون الذين لم يطالبوا مطلقا بتحديد الملكية وانما طالبوا على لسان مرشدهم حسن الهضيبي المشرف على أطيان الملك عندما ساله منـدوب صحيفة (شيكاغوريلى نيوز) في ابريل ١٩٥٢ عن الاصـلاح المطلوب بالنسبة للفلاحين فقال « يجب الا يسمح لملاك الأراضي بأن يؤجروا أراضيهم للفلاحين نظير مبالغ ثابتة بحيث اذا طرأ ما يؤثر في المحصول وقع الفلاحون في الدين ، يجب أن يقوم ايجار الأرض على أساس نصيب غلتها وبهذا يحصل المستأجرون على الأقل على جزء من مجهودهم » ٠

هكذا كانت نظرة الاخوان المسلمين للقضية الاجتمـاعية والمشكلة الزراعية قاصرة ومؤيدة لكبار الملاك ٠٠٠ اذ انه في الوقت الذى أدلى فيه حسن الهضيبي بهذا الحديث كانت شكاوى الفلاحين قد ارتفعت من نظام المزارعة الذى ينهب عرق الفلاحين ٠

لم يتحدث الاخوان المسلمون مطلقا عن (تحديد الملكية) بل ان موقفهم من استمرار الوضع كما هو عليه كان صريحا بلا لبس ٠٠٠ رغم ما حدث في المجتمع من انتفاضات قام بها الفلاحون احتجاجا على أسلوب الاقطاعيين غير الانسانى ٠

في يونيو عام ١٩٥١ اشتكى الفلاحون في (كفور نجم) حيث كان الأمير محمد على ولى العهد يمتلك ٠٠٠ر٧ فدان من ارتفاع الايجارات دون جدوى ، فعبروا عن احتجاجهم بحرق المحاصيل ومأكينات الرى والسواقي ٠٠٠ ورد البوليس على ذلك بحملة ارهابية اقتحم فيها بيوت الفلاحين واعتقل منهم خمسة ثم دبر مقتل زعيمهم (عنانى أحمد عواد) فور خروجه من المعتقل ٠

وفى (بهوت) احدى قرى عائلة البدراوى اقتحم رجال العائلة بيوت الفلاحين يستولون على متاعهم سدادا للايجار وضربوا من وكلهم الفلاحون دفاعا عن مطالبهم ، فتجمع أهل القرية حول قصر البدراوى صاخبين فقتل المالك أحدهم فثارت ثائرتهم وظلوا يحصبون القصر بالحجارة وأشعلوا النار فى أجران القمح فلما أسرع عميد العائلة (سيد البدراوى) الى بهوت قادما من مقره الأساسى فى (درين) التقى الفلاحون عليه الحجارة فقدم نحو ٥٠٠ جندى حاصروا القرية وأعملوا الضرب فى الفلاحين وزجوا بخمسين منهم فى السجن ٠

وفى قرية (أبو الغيط) كانت الأوقاف تؤجر أرضها الى صغار الفلاحين ثم قررت أن تطرد ٥٠٠ منهم من الأرض لتؤجرهم جملة الى صهر وزير التموين ، فنشبت معركة بين الفلاحين والبوليس قتل فيها ١٢ فلاحا٠

وفى (ميت فضالة) أضرب الفلاحون عن جمع القطن لما وجدوا أن المطلوب منهم سداده يفوق ثمن المحصول ذاته فقبض على تسعة منهم عذبوا فى السجن ومنع عنهم الطعام والشراب ٠ فتجمع الفلاحون فى القرية صاخبين ٠ فلما أطلق أحد الضباط النار عليهم هجموا على التفتيش فاحتل البلدة ٧٠٠ جندى وأعتقل الكثير من الفلاحين ٠

تعددت انتفاضات الفلاحين وزاد معدلها خلال عام ١٩٥١ وبدأت الأرض تهتز تحت أقدام الاقطاعيين وكان الخطر من انطلاق قوة جماهير الفلاحين موضع خشية السلطة فى مصر والاستعمار أيضا ٠

بل ان الولايات المتحدة كانت ترقب هذه الانتفاضات التى وصلت (الفلاح المصرى) فى حذر شديد ، لأنها رأت فيها ارهاصات ثورة شعبية جامحة يمكن أن تنتهى الى تغييرات اجتماعية جذرية ٠ تتناقض فتتعارض فى واقعها مع أهداف الاستعمار والامبريالية العالمية ٠

ولذا كانت فكرة (الاصلاح الزراعى) واردة فى أحاديث المسئولين الأمريكيين الذين تدفقوا على مصر بعد حريق القاهرة ٠

كانوا يطلبون (اصلاحات) اجتماعية تمنع اشتعال (ثـورة) شعبية ٠٠٠

وانبرى الدكتور احمد حسين أحد المقتنعين بهذه السياسة والشديد القرب من الأمريكيين يدعو الى الاصلاحات الاجتماعية ، ويشكل (جمعية الفلاح) ، ويطلب من على ماهر أن يدعو الملك الى التنازل عن نصف أرضه للشعب ٠

طالب أحمد حنين الدولة بالتدخل لوضع حد أدنى لأجور العمال ٠٠

وقد خدع هذا الاتجاه البراق الجديد بعض الصحفيين فكتب احسان عبد القدوس فى روز اليوسف خلال شهر مايو ١٩٥٢ يشيد بالدكتور أحمد حسين ويدعوه الى تحويل (جمعية الفلاح) الى حزب ولكن الدكتور أحمد حسين فضل الا يحول جمعيته الى حزب حتى لا تصطدم بالأحزاب الأحزاب الأخرى وحتى يتاح للموظفين والمثقفين والاداريين فرصة الانضمام اليهـا ..

هذا في الوقت الذى اكتشف فيه اليساريون ان مثل هذه الجمعية انما تستهدف اطلاق البخار من المرجل الشعبى حتى لا ينفجر فى وجه الاستعمار فاطلقوا عليها اسم (جمعية الفلاح الأمريكانى) وذلك لما أحاط بالدكتور أحمد حسين من سمعة تربط بينه وبين المسئولين الأمريكيين المتدفقين على مصر .

ووضح من اتصالات الأمريكيين برجال السياسة المصرية ان الاصلاح الزراعى كان أحد العروض التى يقترحونها كما روى مصطفى مرعى عندما اتصلوا به قبل ٢٣ يوليو ، ورفض الموافقة على فكرتهم فى تحديد الملكية عن اى طريق يتعارض مع الدستور . واقترح تطويرا لمشروع محمد خطاب.

وعندما تحركت قوات الجيش ليلة ٢٣ يوليو كانت تحمل (القضاء على الاقطاع) هدفا من أهدافها ولكنها لم تكن قد أعدت لذلك مشروعا أو خطة متكاملة ... ولم تكن فكرة القضاء على الاقطاع نابعة من فكر أمريكى .

الفكرة الأولى نبتت فى الاجتماعات الأولى لمجلس الثورة ، واستدعى من أجل ذلك الدكتور راشـد البراوى الأستاذ بكلية التجارة بجامعـة القاهرة ، والذى كان معروفا للضـباط بكتبه التى كتبهـا عن الشرق الأوسط . والذى كان مادة من مواد امتحان القبول فى كلية أركان الحرب حيث كان يقضى أجازته فى الاسكندرية ... وقد قابلته فى مكتبه الصغير بجريدة (الزمان) ثم حضر معى الى القاهرة واستقبله كمال الدين حسين فى المحطة ، وذهب به مباشرة الى اجتماع لمجلس القيادة حضره أحمد فؤاد أيضا ، وفى هذا الاجتماع أوكل الى جمـال سالم مسئولية متابعة مشروع الإصلاح الزراعى مع الدكتور البراوى وأحمد فؤاد .

ولم تكن فكرة المشروع محل موافقة جماعية من جميع ضباط مجلس القيادة ... محمد نجيب اعترض عليه فى البداية لأنه يعمد الى تأميم الأرض ومصادرتها وهو ما يتنافى - فى رأيه - مع روح الدستور الذى أعلنت الحركة قيامها فى ظله .. كما انه كان ميالا الى فرض ضريبـة تصاعدية لا تجبر الدولة على خلق أجهزة ادارية معقدة لتنفيذ المشروع .

ولكن اتساع المناقشة أوضح له ان قانون الاصلاح الزراعى لا يستهدف ضرب الاقطاع بزيادة أعبائه المادية فقط ، وانما يستهدف تحرير الفلاح الذى يعيش فوق الأرض تابعا لصاحبها ... الأمر الذى يخلق قوة سياسية للاقطاعيين بنفوذهم على الفلاحين .

وهنا وافق محمد نجيب على مشروع الاصلاح الزراعى بلا تردد .

وعرض جمال سالم صيغة المشروع التى أعدها مع البراوى وأحمد فؤاد على الدكتور عبد الرازق السنهورى وسليمان حافظ الذى قال فى مذكراته ان السنهورى قد رحب بالفكرة « فقد كانت له نزعة واضحة الى الاشتراكية وضع في ظلها مشروع تنقيح القانون المدنى فجاء اشتراكى الطابع » .

وشكل السنهورى لجنة راسها وعكفت تعمل بضعة أيام ليلا ونهارا حتى أنجزت مشروع القانون وعرضه مجلس القيادة على على ماهر الذى أبدى موافقته عليه من ناحية المبدأ . ولكنه لم يعرضه على مجلس الوزراء لما قوبل به القانون من نقد ومعارضة الاقطاعيين من مختلف الاتجاهات .

وتارجحت فكرة على ماهر بين الضريبة التصاعدية وبين تطبيق القانون ... وعقد لذلك مؤتمرا موسعا برئاسة مجلس الوزراء حضره محمد نجيب وجمال سالم وصلاح سالم وعبد الجليل العمرى وعبد الرازق السنهورى وعضوا مجلس الوصاية بهى الدين بركات ورشاد مهنا وسليمان حافظ وراشد البراوى .

وانقسمت الآراء حول المشروع ... وقف فى جانب الضريبة التصاعدية عضو مجلس الوصاية فقط ثم أعلن رشاد مهنا اذعانه لقرار الأغلبية ... وعند مناقشة الحد الأعلى للملكية كان هناك اتجاه عند على ماهر لرفعه الى خمسمائة فدان ولكن الاحصاءات أثبتت انهم لا يزيدون عن ٨٠٠ مالك الى جانب اتساع الرقعة ، بينما يبلغ عدد الذين يملكون أكثر من ٢٠٠ فدان حوالى ٢١٠٠ مالك .

كان مفروضا بعد هذا المؤتمر أن يصدر المشروع ... ولكن على ماهر انحاز الى جانب الاقطاعيين الذين حاولوا تشكيل رابطة لهم ثم حاصروه بآرائهم وانتقاداتهم ، فعمد الى التمهل والمراوغة وكانت النتيجة حسم قضية خروجه من الوزارة .

وكان اسراع محمد نجيب فى اصدار القانون تعبيرا صريحا عن ارادة الجيش وأسلوبه فى معالجة الأمور ... وقد ذكرنا ان أبناء الأسر الاقطاعية لم يكن لهم مكان فى صفوف ضباط الجيش .

ويذكر فى هذه المناسبة ما أعلنه أحد ضباط الثورة العرابية من أن الأرض سوف تكون ملكا لمن يفلحها ... وان هذا الاتجاه قد أحدث نفورا عند كبار الملاك أورده لورد كرومر فى مذكراته على لسان السير كوكس عندما أبلغه « أن الاضطراب وعدم الاستقرار فى المديريات دفعا الأعيان وغيرهم من ذوى الأملاك الى التحلل من التحالف الذى تسرعوا فى عقده مع الحزب العسكرى والى محاولة التخلص من سيطرة هذا الحزب » .

وهكذا حدث أيضا بعد سبعين عاما .. فقد هز صدور القانون طبقة الاقطاعيين ، رغم انه لم يصدر كما ورد فى مشروع البراوى وأحمد فؤاد ... اذ أصر عبد الجليل العمرى على زيادة الحد الأقصى للملكية ١٠٠ فدان تخصص للأبناء مع حق المالك فى التصرف بالبيع . وكان ذلك شرطا لدخوله وزارة محمد نجيب .

قدر القانون ثمن الفدان من الأرض المستولى عليها بعشرة أضعاف القيمة الايجارية ... وقدرت القيمة الايجارية بسبعة أمثال الضريبة المفروضة على الفدان .

وأجاز القانون للمالك خلال خمس سنوات أن يتصرف بنقل ملكية ما لم تستول عليه الحكومة من أطيانه الزائدة على مائتى فدان الى صغار الزراع الذين تكون حرفتهم الزراعة ولا يزيد ما يملكه كل منهم على عشرة أفدنة .

ويعتبر القانون بذلك متواضعا اذا قورن بما طبق على دول الديمقراطيات الشعبية أو فى بعض الدول الرأسمالية مثل اليابان . عقب الحرب العالمية الثانية اذ لم تزد جملة ما صودر من الأرض عن ٦٠٪ فقط بينما بلغ الحد الأقصى للملكية ٧٫٥ فدان فى اليابان وخمسين فدانا فى عدد من الدول .

ومع ذلك فقد بدأ الصدام بين الطبقة الوسطى ممثلة فى الجيش وطبقة الاقطاعيين عند بدء تنفيذ القانون كما حدث فى الأسبوع الأول من اعلانه بمدينة أخميم عندما تصدى النائب السابق عدلى لملوم لممثلى الحكومة رافضا تسليم أرضه .

وجاء رد الجيش سريعا متناسبا مع طبيعته اذ شكل مجلس عسكرى لمحاكمة عدلى لملوم ابن الأسرة الاقطاعية الكبيرة فى الفيوم المدينة التى حاول المقاومة فيها ... وصدر الحكم عليه بالسجن المؤبد .

رأس المجلس العسكرى حسين الشافعى وكان الأعضاء البكباشية عبد المحسن أبو النور وحسن فكرى الحسينى والصاغ أحمد عبد الله طعيمة واليوزباشى فتح الله رفعت والمدعى العام الصاغ عبده مراد .

السرعة في مجابهة الصدام في موقعه ومحاكمة عدلى لملوم أوقفت محاولات أخرى كان يمكن أن تحدث في مناطق الاقطاع •

وتراجع أفراد الطبقة الاقطاعية المسيطرة على قيادات أحزاب الأقلية ورجال الرأى ، وبعض أعضاء الوفد ••• وآثروا السلامة بتسليم الأرضى•

كانت الطبقة الاقطاعية قد اهتزت وأصبحت أعجز من أن تقاوم هذا المد الثورى المنبعث من صفوف الجيش •

ولذا لم يكن الصدام عنيفا ذا صوت مسموع ••• بل انهم فضلوا الانحناء للعاصفة حتى تتاح لهم فرصة أخرى يقتربون فيها من مركز السلطة •

ولو كان هذا القانون قد صدر في بلد آخر لما كان له تأثير مثلما حدث في مصر ، وذلك لارتفاع نسبة الفلاحين بين السكان كما يتضح في المقارنة التالية :

الدولة	نسبة الفلاحين الى السكان
انجلترا	٣ر٣
أمريكا	٥ر١٢
المكسيك	٨ر٦٠
فرنسا	٥ر٢٧
مصر	٤ر٦٥
باكستان	٥ر٧٩
الهند	٩ر٧٣
تركيا	٧ر٨٥

الأغلبية العظمى من السكان في مصر تطلعت اذن الى مشروع الاصلاح الزراعي ووجدت فيه طوقا للنجاة مما يعانون منه •

سقط حق الملكية المقدسة في مصر لأول مرة بعد سبعة آلاف سنة من تاريخ مصر المكتوب •

ولم يجرؤ صوت واحد على الارتفاع معارضا هذه الخطوة التى هزت الواقع الاجتماعى للمجتمع وأظهرت أن هناك مقدسات يمكن أن تتحطم لمصلحة أفراد الشعب •

كانت الحركات الشيوعية والأحزاب الوطنية التى لم تصل مقاعد الحكم قبل ٢٣ يوليو (الاشتراكى والوطن الجديد) أشد التنظيمات

السياسية حماسا للمشروع ... أما الاخوان المسلمون فلم يسمع لهم بعد صدوره رأى معارض ولا رأى مؤيد .

أما الوفد فقد صاحب اعلان موقفه موجة من الضباب والدعاية المضادة ، ومعروف ان الوفد كان قد قرر مبدأ الضريبة التصاعدية ، وضاعف في وزارته عام ١٩٥٠ جميع الضرائب بما فيها الضرائب العقارية لتزيد ١٠٠٪ ووصل في ضرائب الشركات الى ٩٠٪ في الفئات العالية .

وكان الاعلان عن قانون الاصلاح الزراعى مفاجأة لأعضائه الذين ينتسب عدد منهم الى الطبقة الاقطاعية . فبدأوا يتلمسون الحوار مع رئيس الوزراء على ماهر ومع ضباط القيادة للتعرف على أبعاد القانون .

وكان فؤاد سراج الدين قد طلب تحديد موعد مع محمد نجيب عقب عودته من أوروبا . ولكن أحد أقاربه اليوزباشى عيسى سراج الدين (السفير فيما بعد) دعاه الى منزله فى الزيتون لمقابلة جمال عبد الناصر وجمال سالم وصلاح سالم وحضر أحمد أبو الفتح جانبا من الاجتماع الذى امتد من الخامسة مساء حتى الواحدة بعد منتصف الليل .

دار الحوار فى هذه الجلسة حول تحديد الملكية وحاول فؤاد سراج الدين اقناعهم بفكرة الضريبة التصاعدية . ولكن الاجتماع انفض دون الوصول الى رأى موحد وعلى ان يلتقوا مرة ثانية بعد أسبوع .

وفى اليوم المحدد للاجتماع الثانى ، وفؤاد سراج الدين فى طريقه من الاسكندرية للقاهرة قرأ خبرا نشره مصطفى أمين فى ملحق (آخر لحظة) التابع لمجلة (آخر ساعة) وفيه يقول ان فؤاد سراج الدين قد صرح بأنه وضع ضباط القيادة فى جيبه وتوقع فؤاد بعد قراءته للخبر الغاء الاجتماع وقد كان .. فقد اتصل به أحمد أبو الفتح ليبلغه ذلك .

ولم يشأ ان يترك موقفه من قانون الاصلاح الزراعى غامضا فأدلى فؤاد سراج الدين بتصريح لجريدة المصرى يوم ٦ سبتمبر ١٩٥٢ قبل تولى نجيب الوزارة وقبل اعتقاله بأيام قال فيه بالتحديد :

(ان الوفد وافق على مبدأ تحديد الملكية الزراعية من حيث المبدأ وله ملاحظات وتعديلات على المشروع الذى نشر وقد سبق ان أبلغنا تلك الملاحظات الى الجهات المسئولة فى أسرع وقت) .

ثم استطرد مصرحا :

(اننا نوافق على المبدأ الذى هو صميم المشروع أما ملاحظاتنا فهى مقصورة على التفاصيل فقط دون الجوهر) .

وتأكد موقف الوفد بعد ذلك عندما أصدر برنامجه الجديد يوم ٢١ سبتمبر ١٩٥٢ وفؤاد سراج الدين فى المعتقل يقول فيه (الموافقة على مشروع تحديد الملكية باعتباره يهدف للعدالة الاجتماعية ويقرب بين الطبقات) ٠

هكذا كان موقف الوفد ٠٠٠ موافقة على المبدأ ومناقشة للتفصيلات ثم قبولا للمشروع بعد صدوره ٠٠٠ ولكن صحافة الاثارة (أخبار اليوم) التى حاربت الوفد فى عهد الملك ظلت تحاربه بعد الحركة بأسلوب الأخبار المثيرة لمشاعر الضباط لتخلق هوة عازلة بينهم وبين الوفد ، الحزب الذى ينتمى اليه معظم أبناء الطبقة الوسطى ، التى انبثق منها الضباط الأحرار ٠

هكذا انتهى الصدام الأول لحركة الضباط الأحرار مع الطبقة الاقطاعية فى مصر ، وصدر قانون الاصلاح الزراعى الذى حدد الملكية دون دماء ٠٠٠ فقد كان الموقف ناضجا لذلك تمام النضوج والجماهير مهيأة لاستقبال القانون بترحيب شديد ٠

وكسبت حركة الضباط الأحرار رصيدا كبيرا بهذه الخطوة الاجتماعية الهامة التى حددت موقفهم من قضية التطور الاجتماعى فى مصر وأكسبتهم تأييدا جماهيريا واسعا ، تفرغت معه الحركة للدخول فى صدامات جديدة ٠٠٠ فقد كانت هذه هى فاتحة (سنوات الصدام) ٠

الفصل الثانى عشر

الغاء الدستور وحل الأحزاب

على قدر ما كان الصدام الأول سهلا ومؤثرا بالايجاب فى الحركة السياسية والاجتماعية بمصر .. على قدر ما كان الصدام الثانى صعبا ومتعدد الجبهات وذا تأثير معقد فى محصلته النهائية .

أدى الصدام الأول الى توجيه ضربة شديدة للطبقة الاقطاعية وانهيار الأسس الاقتصادية التى كانت تستند اليها ... أما الصدام الثانى فقد بدأ مبكرا مع الأحزاب والتنظيمات السياسية وتم على مراحل زمنية مختلفة انتهت الى الصدام مع الاخوان المسلمين .

وضح من خطوات الحركة الأولى أنها لا تستند الى قوة حزبية أو سياسية معينة ... وانها حركة خاصة منبعثة من صفوف الجيش ذات طابع مستقل ولها صلات متعددة مع عدد من التنظيمات السياسية المتباينة الاتجاهات .

اعتقد الناس وكثير من قادة الأحزاب مما جاء فى البيان الأول للحركة من القول باسم محمد نجيب « وانى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش اليوم كله أصبح لصالح الوطن فى ظل الدستور مجردا من أية غاية » .

ولكن البيانات التى صدرت بعد ذلك أظهرت ان تدخل الجيش كانت له بداية وليست له نهاية .

صدر بيان من القيادة العامة يوم ٣١ يوليو ١٩٥٢ جاء فيه : « والجيش وقد كان أول الهيئات العاملة على تطهير صفوفه وتسليم قيادته لأيد أمينة صالحة نزيهة يرى أن يقوم الجميع بهذا العمل كل فى صفوفه على أن يكون التطهير كاملا يتناول الأداة الحكومية والأحزاب والهيئات دون أى تأخير أو تسويف » ثم يقول البيان « كما يرى الجيش أن تعلن الأحزاب والهيئات المسئولة للشعب برنامجا واضح المعالم حتى يكون الشعب على بينة من أمره » .

وهكذا أطل شعار (التطهير) مرة أخرى بعد أن تبناه نجيب الهلالى عقب حريق القاهرة .. وجاء هذا البيان المبكر صدمة لقادة الأحزاب الذين هرعوا الى مجلس القيادة فى الأيام الأولى يؤدون التحية ويعلنون الولاء ... وأصابهم لفظ (التطهير) بهزة شديدة ، أعطت لحركة الجيش فرصة التسرب الى صفوفهم ، واغراء العناصر الضعيفة أو المترددة بينهم ، وتمزيق وحدة أحزابهم .

ورغم أن البيان كان يعنى فى مضمونه الاعتراف بوجود الأحزاب والتمسك بالدستور ، الا انه كان فى الواقع يجعل من تطهيرها شرطا لوجودها ... مما يجعلها معتمدة فى بقائها على ارادة حركة الجيش .

وبدت الحركة حريصة على اجراء تطهير الحكومة والأحزاب تمهيدا للانتخابات التى حددت موعدها فى فبراير ١٩٥٣ ، واصدرت بذلك بيانا فى ١١ أغسطس وهو البيان الذى تناقض مع بيان على ماهر الذى أذيع فى نفس اليوم ولم يحدد موعدا لاجراء الانتخابات ... وقد جاء فى بيان القيادة العامة ما يلى : « تم الاتفاق مع رئيس الحكومة من قبل على أن تجرى الانتخابات فى شهر فبراير لاعطاء فرصة كافية للحكومة لتطهير أداتها والأحزاب لتطهير صفوفها تطهيرا كاملا شاملا حتى تنعم البلاد فى ظل الدستور بحكم نيابى سليم » .

هكذا أظهرت حركة الجيش أنها حريصة على الدستور والانتخابات ولكنها احتفظت فى يدها بمفتاح الموقف هو (التطهير) .

ولم تستجب الأحزاب لهذه الدعوة لحساسية تطبيقها ، وعدم ارتفاع كثير من قادتها عن المستوى الذى يمكن أن تصلهم فيه يد التطهير ... ولذا بادر سليمان حافظ باعداد مشروع قانون لتنظيم الأحزاب السياسية عارضه الدكتور عبد الرازق السنهورى من جهة المبدأ معارضة شديدة فى بداية الأمر بدعوى أن العرف الدستورى لتنظيم الأحزاب ترك الأمر لها .

ولكنه أمام الحاج سليمان حافظ واقناعه لضباط مجلس القيادة . أقر المشروع على شرط الا تتدخل الادارة الا عند الاقتضاء لتحقيق أغراض القانون ، وأن يكون تدخلها تحت رقابة مباشرة من القضاء الادارى بمجلس الدولة .

وما أن تولى محمد نجيب رئاسة الوزراء حتى صدر قانون تنظيم الأحزاب ونص على أن المقصود بالحزب السياسي كل حزب أو جمعية أو جماعة منظمة تشتغل بالشئون السياسية للدولة الداخلية منها أو الخارجية لتحقيق أهداف معينة عن طريق يتصل بالحكم .

وقضى القانون بأن من يرغب فى تكوين حزب سياسى عليه أن يحيط بذلك وزير الداخلية بخطاب موصى عليه بعلم الوصـول ... ولوزير الداخلية حق الاعتراض على تكوين الحزب خلال شهر من تاريخ اخطاره ، وفى حالة الاعتراض يعرض الأمر على محكمة القضاء الادارى لتفصل فى جلسة تحدد بعد أسبوعين من وقت تقديم الاعتراض ... كما الزم القانون الأحزاب بايداع أموالها فى البنوك ، كما نص على أن تعيد الأحزاب القائمة تكوينها وفقا لأحكامه .

وكان صدور القانون بمثابة خطوة نحو محاصرة الأحزاب واخضاعها لسلطة الجيش الممثلة فى وزير الداخلية ... كما أنه كان بداية لصدام بين القوى السياسية المختلفة وحركة الجيش .

وقد صحب صدور القانون حملة اعتقالات السياسيين التى تمت فى اليوم السابق على تشكيل محمد نجيب لوزارته التى أصدرت القانون فى اليوم التالى لأدائها اليمين أمام مجلس الوصاية .

لم يكن لهذا القانون نظير فى الدول الديمقراطيـة ... وان كان فتحى رضوان قد صرح للصحف فى معرض الدفاع عنه بأن له نظيرا فى العراق والمانيا الغربية ... وهما دولتان لم يكونا فى ذلك الوقت نموذجا للديمقراطية لخضوعهما بعد الحرب العـالمية الثانيـة لنفوذ الامبريالية العالمية الحريصة على عدم ظهور أحزاب معادية لها .

العسكريون يزحفون على الحكم ، والأحزاب يأخذهـا القانون على غرة ، فيصيبها بالدوار وتعجز عن حسن التصرف أو اختيار الطريق ... وتنشط العنـاصر المغـامرة والانتهازية فى كل حزب ، وتبدأ الصراعات الداخليـــة .

كانت الدعوة الى التطهير فخا وقعت فيه الأحزاب ، فأظهرت التظلمات الفردية أسوأ ما فى شخصياتها القيادية .

وخلال هذه الفترة انهارت أسماء كثيرة كانت تلمع فى سماء الحياة السياسية قبل ثورة ٢٣ يوليو وبادر بعضها الى الاتصال برجال الجيش بصورة جعلت جمال عبد الناصر يعبر عنها فيما بعد فى كتاب (فلسفة الثورة) بقوله « كل رجل قابلناه لم يكن يهدف الا الى قتل رجل آخر » ٠

التنافس يعلن على صفحات الجرائد بين ابراهيم عبد الهادى وحامد جودة لرئاسة حزب الهيئة السعدية ٠٠٠ ثم ينشط سامح موسى شوكت التونى ويعلنان فصل الاثنين من الحزب السعدى ٠

والوفد أيضا يقع فى الفخ فيصدر قرارا بفصل عدد من أعضاء الهيئة الوفدية الذين أحاطت بهم الشبهات دون تحقيق وكان أبرزهم محمود عبد اللطيف الذى كان وزيرا للشئون الاجتماعية وكانه يتجاوب بذلك مع دعوة التطهير ٠

ولكن صدور القانون وضع الأمور فى وضعها الصحيح ٠٠٠ اعتبرت الأحزاب منحلة ، ولا يمكن لها العودة الى ساحة العمل السياسى الا من باب الجيش ٠٠٠

وكانت المعركة الرئيسية حول الوفد ٠

ولم يكن موقف الوفد حازما فى هذه القضية الدستورية ٠٠٠ اذ صرح مصطفى النحاس بأنهم سيبعدون المعتقلين عن تنظيمات الوفد الجديد ٠٠٠ وأرسل فؤاد سراج الدين من المعتقل استقالته من الوفد ومن مجلس الشيوخ قال فيها للنحاس « اننى أستقيل اخلاصا للوفد ولشخصكم » ٠

وتنفيذا لقانون الاحزاب أصدر الوفد برنامجه فى ٢١ سبتمبر ١٩٥٢ باعتباره « هيئة سياسية ديمقراطية اشتراكية لتحقيق الاستقلال والوحدة ورفض جميع صور الدفاع المشترك » ونص البرنامج على ما يأتى :

التمسك بعروبة فلسطين ٠

دعم مجموعة الدول الافريقية والآسيوية وتأييد سياستها فى الدفاع عن قضايا الحرية ٠

اقرار حد أدنى للأجور عموما ، وللعمال الزراعيين خصوصا ٠

صدور قانون معاقبة الوزراء ٠

صدور قانون التأمين الاجتماعى للعمال وتعميمه ٠

استصدار قانون تأمين صحى للعمال وأفراد أسرهم ٠

تجديد القرية المصرية خلال عشرين عاما .

حد أدنى للأجور (العامل الزراعى) .

الانتهاء من تعميم المياه الصالحة للشرب خلال خمس سنوات طبقا لمشروع وزارة الوفد الذى أقرته عام ١٩٥١ .

جعل التعليم الدينى اجباريا .

تحريم الخمر والميسر .

الموافقة على مشروع تحديد الملكية باعتباره يهدف للعدالة الاجتماعية ويقرب بين الطبقات .

يلاحظ ان البرنامج كان يضع خطوطا استراتيجية عريضة للسياسة الداخلية والخارجية تعتبر فى حينها ذات طبيعة متقدمة تتجاوب مع مشاعر الجماهير قبل الحركة وبعدها ... ولذا هاجمت بعض الصحف البريطانية الوفد ... واتهمت مصطفى النحاس بالتطرف .

ويلاحظ أيضا ان هذا هو أول برنامج مكتوب للوفد الذى كان يبنى سياسته على أساس بيانات مؤتمراته الوطنية التى عقدت سنوات ١٩٢٨ ــ ٣٥ ــ ٤٣ وعلى ما يرد فى خطب عيد الجهاد الوطنى « ١٤ نوفمبر » .

ورغم صدور هذا البرنامج الوطنى التقدمى للوفد فان سليمان حافظ أصر على ملاحقة مصطفى النحاس ومحاولة ابعاده عن موقعه وفى ذلك قال للدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية السابق وهو يحاول الاستفسار منه عن موقفه من الوفد ورئاسة مصطفى النحاس له « ان لدى الوزارة أسبابا خطيرة للاعتراض عليه أمام مجلس الدولة » .

وعندما شاع هذا الموقف المضاد لمصطفى النحاس بادر باصدار البيان التالى :

« اننى أعد نفسى دائما ملكا للشعب وقد كانت ثقتى فى الشعب وثقته فى شخصى طوال حياتى السياسية عونى على الشدائد وظهيرى فى العيش . وسأظل ما بقى من عمرى ملكا لهذا الشعب الوفى ولن تستطيع قوة أن تنحينى عن هذه المكانة بعد الله جلت قدرته الا الشعب دون سواه والله ولى التوفيق » .

أصر أعضاء الوفد على الا يتكون الا برئاسة مصطفى النحاس ... ولعبت جريدة (المصرى) دورا بارزا فى الدفاع عنه وكتب أحمد أبو الفتح سلسلة مقالات طويلة دفاعية عن مصطفى النحاس معتبرا أن محاولة هدمه هى محاولة لتحطيم كفاح الشعب ضد الاستعمار .

ووصلت معارضة القانون الى الذروة عندما صدر البيان التالى يوم ١٧ سبتمبر ·

« نظرا لما صح فى يقين الوفد المصرى من أن المقصود هو محاربة الـوفد ومحاولة هدمه والتخلص منه قرر الوفد المصرى باجماع الآراء بجلسته المنعقدة يوم السبت ٢٧ سبتمبر ١٩٥٢ الا يقدم الى وزير الداخلية اخطارا باعادة تكوينه » ·

توقيعات : مصطفى النحاس ــ عبد السلام فهمى جمعة ــ على زكى العرابى ــ عبد الفتاح الطويل ــ أحمد حمزه ــ محمد محمد الوكيل ·

وزراء سابقون : ابراهيم فرج ــ عبد المجيد عبد الحق ــ محمد صلاح الدين ــ عبد الجواد حسين ·

كان هذا هو اقصى ما وصل اليه الوفد فى نضاله ضد قانون تنظيم الأحزاب ··· ولكنه موقف لم يستمر طويلا لعدة أسباب :

أولا : كان مصطفى النحاس قد تجاوز السبعين من عمره ولم يعد فى توهجه القديم وقدرته على النضال التى عرف بها يوم كان يجذب حكمدار البوليس من فوق حصانه وينام على أرصفة المحطات ·

ثانيا : أحاط بمصطفى النحاس بعض عناصر التوفيق التى أفقدت الوفد الصلابة الضرورية ··· وكان من أكثرهم تأثيرا عليه فى هذه المرحلة عبد السلام فهمى جمعة والدكتور طه حسين ·

ثالثا : تجمد الوفد وعدم وصول العناصر الشابة الى القيادة ··· وكان معظم أعضائه فى ذلك الوقت من الباشـاوات الذين قد تجاوزوا الخامسة والستين وهم سـيد بهنسى ومحمد المغـازى وفهمى حنـا وعبد السلام جمعه وعبد الفتاح الطويل وعلى زكى العرابى وعثمان محرم ومحمد سليمان الوكيل وأحمد حمزة ·· ولم يكن هناك أقل من هـذه السن الا محمود سليمان غنام وفؤاد سراج الدين الذى كان فى هذه الفترة خلف قضبان السجون ·

وقد شعر النحاس بهذه الحقيقة فور اعتقال فؤاد سراج الدين فضم الى الوفد محمد صلاح الدين وابراهيم فرج الذى عين سكرتيرا مؤقتا لحين الافراج عن سراج الدين الذى لم تقبل استقالته ·

رابعا : عدم توافر الانضباط الحزبى الكامل فى صفوف الوفد الذى اعتاد منذ تكوينه على أن يضم الجماهير من مختلف الاتجاهات فى شكل جبهة ، وعندما يحرم من فرصة الاتصال العلنى مع الجماهير فإنه يعجز عن الاتصال بها وتحريكها بوسائله التنظيمية ·

خامسة : الدعاية المركزة ضد الأحزاب عموما والوفد خاصة والتى أسهمت فيها بقدر كبير صحافة أخبار اليوم ، مما جعل كثيرا من الناس تتطلع الى الحكم الجديد لينقذهم من المظالم التى عاشوا فيها .

كان رأى النحاس « ان الجيش يشنبه (وابور الزلط) لا شيء يقف أمامه الا ما هو أقوى منه ... وهذه القوة هى قوة شعب مؤمن بالديمقراطية والدستور » .

وقد اهتز هذا الايمان كثيرا فى عهد الملك من كثرة انتهاكات الدستور التى ارتكبها وأسهمت فيها أحزاب الأقلية والعناصر المستقلة من أمثال أحمد زيور واسماعيل صدقى وعلى ماهر ... ولذا افتقد الوفد القوة اللازمة لمجابهة تصرفات حركة الجيش .

وبدأت مرحلة التراجع ... واستدعى مصطفى النحاس رئيس تحرير المصرى أحمد أبو الفتح وأملى عليه مقالا نشره يوم ٦ أكتوبر أبدى فيه حرصه على ضرورة وجود الوفد مهما كان الأمر يتعلق بشخصه ... وجمع أعضاء الوفد ليسلمهم أمانته .

وصدر بعد ذلك بيان يقول :

« رعاية لما أبداه الرئيس الجليل مصطفى النحاس وأصر عليه من ان الحالة أصبحت لا تمكنه من مباشرة أعباء الرئاسة الفعلية ومقتضياتها بعدما احتمل الكثير فى سبيل الدفاع عن القضية الوطنية فى الثلاثين سنة الماضية فان الوفد المصرى اد ينزل مضطرا ازاء اصراره على رغبته واذ يقرر جعله رئيس شرف له مدى حياته الطويلة المباركة ان شاء الله يستلهم منه التوجيه ويشهد من اخلاصه اخلاصا ومن قوته ووطنيته وصلابته فى الحق سراجا منيرا ، ويقرر انه سيمضى فى مستقبل أيامه على نهجه الواضح وطريقه المستقيم وخطته القوية التى رسمها لتحرير الوادي معتبرا اياه ركنه الركين وحصنه الحصين ومرجعه فى الملمات » .

توقيعات : عبد السلام فهمي جمعة ـ على زكى العرابى ـ عبد الفتاح الطويل ـ محمد محمد الوكيل ـ أحمد حمزة .

هز هذا البيان عواطف جانب كبير من الجماهير ، شعرت ان رجلا ارتبطت به مسيرتها سنوات طويلة كان مثالا للوطنية والنزاهة ، ينتزع منها رغم ارادتها فذهبت المظاهرات تطوف بمنزله وتهتف « لا وفد بدونك يا نحاس » .

وكتب أحمد أبو الفتح فى المصرى يقول « الشعب الذى يحبك يقول ـ عاش النحاس زعيم الشعب » وأما أنا فاقول « لن يكون هناك وفد الا برئاسة مصطفى النحاس » .

ونشر النحاس بعد ذلك بيومين بيانا بمناسبة ذكرى الغاء معاهدة ١٩٣٦ في ٨ أكتوبر قال فيه « جاءت حركة الجيش التحررية صورة حية رائعة لصحوة الشعب وقدرته على استبداد المستبدين وطغيان المستهترين العابثين فدارت عليهم الدوائر وباء عهدهم وتطلعت البلاد الى عهد جديد من العدالة المطلقة والحرية الشاملة » .

ولكن هذه الكلمات لم تجد صدى عند مجلس القيادة ، ولم يتحقق أى نوع من اللقاء الفكرى أو العاطفى بينهم وبين الوفد ... رغم ان محمد نجيب كانت له صلات مع الوفد ، وجمال عبد الناصر كثيرا ما دافع عن مسلك الوفد في وزارته الأخيرة ، ويوسف صديق وخالد محيى الدين كانا متعاطفين معه ... الا أن اغراء السلطة وعدم وجود موانع قوية تحول دون الوصول اليها الى جانب الدور التخريبى الذى قام به سليمان حافظ لهدم الوفد ، والذى قاومه جمال عبد الناصر وبعض الزملاء فى مراحله الأولى مقاومة بدأت ملحوظة ثم أخذت تفتر أمام تراجع الوفد وعدم صلابته وعجزه عن تحريك جماهيره .

كل هذا حدد الموقف تماما ... وانتهى الأمر الى اعتراض وزير الداخلية يوم ٨ نوفمبر على رئاسة مصطفى النحاس الشرفية للوفد وكذلك أعترض على اسم عبد الفتاح الطويل كمؤسس .

وكان وزير الداخلية قد تلقى اخطارات تكوين ١٦ هيئة وحزبا (هيئة الوفد والاخوان المسلمين وأحزاب السعدى والأحرار الدستوريين والعمال ــ والعمال والفلاحين ــ والاشتراكى والوطنى والفلاح الاشتراكى والكتلة الوفدية والديمقراطى وحزب الله وثلاثة أحزاب نسائية هى بنت النيل والنسائى والنسائى الوطنى) .

واعترض سليمان حافظ الى جانب اعتراضه على مصطفى النحاس وعبد الفتاح الطويل على الدسوقى أباظة فى حزب الأحرار الدستوريين كما اعترض على كل من الحزب الديموقراطى والحزب الجمهورى لأنهما كانا ينادیان بتطبيق النظام الجمهورى .

عرضت هذه الاعتراضات على مجلس الدولة فى نهاية شهر نوفمبر ١٩٥٢ واتخذ بعضها شكل مظاهرة داخل المحكمة عندما احتشد ٥٠ محاميا من الاسكندرية يترافعون عن عبد الفتاح الطويل .

وضح من طبيعة اعتراضات وزير الداخلية سليمان حافظ الممثل لسلطة الجيش انها قامت على أسس شخصية أو على أساس خروجها على النظام الملكى .

لم تفرق حركة الجيش بين طبيعة الأحزاب ٠٠٠ ولم تعترض على الواقع الطبقى لبعضها ، أو على انتماء بعض قادتها للطبقة الاقطاعية المضروبة ٠

ولم تفرق أيضا بين الدور الوطنى والنضالى الذى قامت به الأحزاب لمقاومة الاستعمار والاحتلال البريطانى ٠

وكذلك لم تفرق بين الأحزاب التى تبادلت الحكم فى عهد الملك ٠٠٠ والأحزاب الناشئة التى كانت قيادتها من أبناء البرجوازية الصغيرة أساسا والتى قامت بدور المعارضة العنيفة لنظام ما قبل ٢٣ يوليو ٠

سرت الاعتراضات بين كافة الأحزاب ٠٠٠ وجعلت الأحزاب المناضلة ضد الاستعمار تقف مع الأحزاب المتهاونة فى صف واحد ٠٠٠ ولم تفرق بين اتجاهات الأحزاب الرجعية والتقدمية وتمثيلها الطبقى ٠

الفضيلة الوحيدة لقانون تنظيم الأحزاب كانت البرامج المكتوبة والمعلنة لهذه الأحزاب والتى عبرت عن طبيعة دورها فى المجتمع فالحزب السعدى مثلا نادى فى برنامجه بالعمل على « تحويل رؤوس الأموال المصرية الراكدة الى ميدان الاستغلال الصـــناعى والتجارى والاستعانة برؤوس الأموال الأجنبية فى حدود تتفق مع مصالح البلاد » ٠٠٠ وهكذا وجدت الجماهير الفرصة سانحة أمامها لاختيار الحزب الذى يعبر برنامجه عن أهدافها ٠

واتخذت حركة الجيش أسلوبا لم يكن يتناسب مع خطواتها الزاحفة نحو مركز السلطة ٠٠٠ اذ لم تعلن عن تنظيمات حزبية لها ونفى محمد نجيب رغبة الجيش فى ذلك ٠

ولذا كانت المنافسة على أسس حزبية أمرا غير مضمون العاقبة إذا كانت الرغبة هى استمرار الحركة فى مسارها ٠٠٠ ذلك ان الضباط الأحرار كانوا ما زالوا أفرادا غير معروفين ٠٠٠ ومجلس القيادة لم يعلن تشكيله أو تاريخ حياة أعضائه وليس لأحدهم ماض يجعل الجماهير تلتف حوله ومحمد نجيب رغم شجاعته وشخصيته الجذابة البسيطة لا يعيش فى ضمير الشعب المصرى قائدا عظيما مثل نابليون أو بيتان أو ديجول ٠٠٠ فهو فى النهاية قائد غير منتصر فى حرب فلسطين ، لا يملك أمجادا حربية أو وطنية ٠

وبدأ الأمر يتضح يوما بعد يوم ٠٠٠ طريق الديموقراطية الليبرالية لا يمكن أن تسلكه حركة جيش لأنها لا تضمن الانتصار أو الاستمرار فيه ٠

وأخذ سليمان حافظ يصدر تشريعات تمهد للحركة سلطة مطلقة ، اذ أعطى حق اقالة الموظفين عن غير الطريق التأديبي وحرمان القضاة والمعزولين من معاشهم أو مكافآتهم • واحالة جرائم الاصلاح الزراعي للمحاكمة العسكرية ، مع رفع عقوبة الاشاعات •

وكانت الحركة قد بدأت ممارسة تطبيق شعار (التطهير) عن طريق تكوين لجان شكلت بمقتضى قوانين خاصة من نوعين ••• أولهما اداري ذو صيغة قضائية على رأسها قاض وفي عضويتها أحد رجال النيابة العامة لفحص حالات موظفي الدولة وفصل من يستأهل الفصل منهم ••• أما الثانية فكانت لجانا قضائية يرأسها مستشار وبعضوية اثنين من كبار رجال القضاء في الأعمال الحكومية واحالة المسئولين عنها الى المحاكم الجنائية أو الادارية حسب الأحوال •

وأثار سليمان حافظ مشكلة ان اللجان الأولى تمضى بسهولة في عملها أما اللجان الثانية فكانت تصطدم بأن كثيرا من الوزراء السابقين كانت تقع عليهم المسئولية الجنائية أو السياسية ••• وهؤلاء لا يمكن الوصول اليهم لأن الدستور يحميهم من القضاء العادي وجعل لهم محكمة خاصة لا ترفع أمامها الدعوى الا بقرار من مجلس النواب •

وهكذا كان التطهير يصل الى صغار الموظفين بينما يعجز عن الوصول الى الوزراء •

ولم يجد سليمان حافظ حلا الا في الغاء الدستور الذي يستند اليه هؤلاء في تهربهم من المحاكمة ووافق ذلك ظهور عدة مقالات في الصحف تهاجم دستور ١٩٢٣ ، والقى على ماهر محاضرة يوم ١٤ نوفمبر قال فيها انه يرجو « ان نواجه حياتنا السياسية بدستور يتجنب تخلف دستور ١٩٢٣ عن مسايرة الديموقراطية الحرة في تطورها » •

ويقول محمد نجيب ان بعض أعضاء المجلس قد قاوموا هذا الاتجاه ولكن مقاومتهم ضعفت أمام الحاح سليمان حافظ وشهوته الجامحة في الوصول الى محاكمة بعض الوزراء ، وتوافق نغم هذا الطلب مع رغبة بعض أعضاء المجلس الذين كانوا يهدفون الى تولى السلطة وحدهم •

ويقول سليمان حافظ في مذكراته « وانعكس صدى الضجة العنيفة التي أثارها الوفد على مجلس القيادة فقام خلاف شديد بيني وبين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ويوسف صديق أصررت فيه على تنفيذ قانون الأحزاب تنفيذا تعدل فيه الصرامة النصفة ، وصممت أذني عن سماع أي كلام آخر في هذا الموضوع ، ومن الحق ان أذكر ان محمد نجيب وجمال سالم وصلاح سالم وكذلك أنور السادات — ان لم تخني ذاكرتي — كانوا في هذا الخلاف من جانبي » •

قال جمال عبد الناصر لأحمد فؤاد فى هذه الفترة وهو يحدثه عن أهمية الديمقراطية « يظهر ان احنا لازم نعمل انقلاب تانى علشان الديموقراطية » .

ثم يقول سليمان حافظ ان محمد نجيب وجمال عبد الناصر قد قاما بزيارة مصطفى النحاس زيارة مجاملة أيام اشتداد المعركة « بينى وبين الأحزاب عامة والوفد بصفة خاصة . » ثم « حاول نجيب ان يبرر لى هذا التصرف بقوله ان هذه الزيارة لم تكن الا محاولة لكسر محور تآلف بين الوفد والشيوعية فلم اقتنع بهذا العذر » .

هكذا كان سليمان حافظ بما ورد على لسانه محركا عنيفا ضد الأحزاب والدستور .

وأخذ الحديث عن الدستور والديموقراطية يخفت ويتلاشى .. وصدرت التعليمات بنزع لافتة كنت قد أصدرتها مع مجلة التحرير بريشة الفنان حسين فؤاد ولصقت على جدران المبانى فى أنحاء مصر ... وهى تمثل جنديا خلفه قبة البرلمان وتحتها عبارة (نحن نحمي الدستور) ... وكانت جريدة المصرى قد نشرتها فى صفحتها الأولى يوم ١٤ سبتمبر ولكنها نزعت فى منتصف نوفمبر .

ونزع الدستور نفسه في ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ .

سقط دستور ١٩٢٣ للمرة الأخيرة بعد ان عطل من أول نوفمبر ١٩٢٤ حتى عام ١٩٢٦ ثم فى يونيو ١٩٢٨ على يد وزارة (اليد الحديدية) التى رأسها محمد محمود حتى أواخر ١٩٢٩ عندما تكونت وزارة عدلى يكن المحايدة لاجراء انتخابات جديدة ... وأخيرا الغى عام ١٩٣٠ واستبدل بدستور اسماعيل صدقى حتى عاد بنضال الشعب وتضحياته عام ١٩٣٥ ، باقالة الحكومة الوفدية بعد ذلك وفرض أحزاب الأقلية أكثر من مرة .

سقط دستور ١٩٢٣ الذى كان رغم ما فيه من صلاحيات للملك تعطل أثره الا انه كان ضمانة وركيزة لحرية الجماهير السياسية ... سقط الدستور ببيان أعلنه محمد نجيب فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل يقول فيه « أصبح لزاما أن نغير الأوضاع التى كادت تودى بالبلاد والتى كان يسندها ذلك الدستور الملىء بالثغرات » ... ثم قال « وهأنذا أعلن باسم الشعب سقوط الدستور . دستور ١٩٢٣ » ... وأعلن البيان أن الحكومة هى التى تتولى السلطات فى فترة الانتقال .

هكذا سقط دستور ١٩٢٣ الذى كان مليئا بالثغرات فعلا ، ومع ذلك لم يحتمل النظام الملكى تطبيقه فعصف به أكثر من مرة .

وكان الدستور فى خدمة الطبقة الاقطاعية والبرجوازية الكبيرة أساسا ... اذ اشترطت المادة ٧٨ منه أن يدفع المرشح للبرلمان تأمينا قدره ١٥٠ جنيها وهو مبلغ فى ذلك الوقت لا يسهل حصول البرجوازية الصغيرة أو الطبقة العاملة والفلاحين عليه ... كما انه أسبغ حقوقا وامتيازات واسعة للملكية مثل حق حل مجلس النواب وتأجيل انعقاده ، واشترط فى أعضاء مجلس الشيوخ أن يكونوا من طبقة فى مستوى كبار الموظفين أو الملاك الذين يؤدون ضريبة لا تقل عن مائة وخمسين جنيها فى العام ، رمن لا يقل دخلهم السنوى عن ألف وخمسمائة جنيه من المشتغلين بالأعمال المالية أو التجارية أو الصناعية أو المهن الحرة .

كان وضحا تماما ان دستور ١٩٢٣ لم يعد يتناسب مع الطبقة المتوسطة التى وثبت الى السلطة ... ولم يكن منطقيا أن تترك دستورا يحرمها من فرصة تأكيد وجودها وتحقيق أهدافها .

الغى دستور ١٩٢٣ ... وكان طبيعيا ان تسقط من بعده أشياء كثيرة ترتبت على وجوده ... فتقرر تأجيل الانتخابات التى كانت الحركة قد قررت موعدها فى شهر فبراير فى بيانها المعروف ... وصرح جمال عبد الناصر لأحمد أبو الفتح يوم ٩ فبراير بأن تأجيل الانتخابات عن الموعد المحدد لها انما هو — لاجلاء الانجليز .

ولم تخمد أصوات الاحتجاج على قانون تنظيم الأحزاب حتى بعد الغاء الدستور فظل أحمد أبو الفتح يهاجمه على صفحات المصرى فى مقالات عديدة ... واحتشد الطلبة فى الجامعة حيث فاز مرشح الجبهة المتحدة أي جبهة الأحزاب والقوى السياسية الوطنية والتقدمية (أحمد الخطيب) على مرشح الاخوان المسلمين (حسن دوح) ... وكان هذا تعبيرا عن معارضة الشباب للخطوات الزاحفة لمحاصرة الديموقراطية .

وترافع فى قضية الوفد أمام مجلس الدولة الدكتور وحيد رأفت وابراهيم فرج ومحمود سليمان غنام وأحمد عبد الهادى ... وكانوا قد أعدوا مذكرة بعدم دستورية قانون تنظيم الأحزاب ومنافاته للديمقراطية ... وتأجيل نظر القضية .

وكان مجلس الدولة حتى هذه اللحظة يعتبر سندا للحريات والديموقراطية ... فقد رفع ٢٥ من المعتقلين السياسيين قضية أمام مجلس الدولة لبطلان قرار الاعتقال ، وكان الرد هو حبسهم انفراديا وعدم السماح لهم بالأكل من الخارج .

وتحت هذا الضغط تنازل الكثيرون وأصر على الاستمرار فى القضية فؤاد سراج الدين ومحمود سليمان غنام وحامد جودة وعدد محدود من السياسيين .

وفوجيء سراج الدين بدخول الصحفي مصطفى أمين الى غرفتـــه بالمعتقل حاملا رسالة من أعضاء مجلس القيادة تقول انهم على استعداد للافراج عنه اذا تنازل عن القضية ٠٠٠ ولكن فؤاد سراج الدين رفض فكرة التنازل قائلا انهم اذا أفرجوا عنه سقطت القضية تلقائيا وانه لا يساوم على حريته ٠

وكان غريبا ان يتحول مصطفى امين الى مندوب لرجال القيادة وهو الذى أعتقل فى الأيام الأولى للحركة ٠٠٠ وبقى فؤاد سراج الدين فى المعتقل حتى أفرج عنه قبل الجلسة أمام مجلس الدولة بليلة واحدة ٠

ويظهر هنا أن مجلس الدولة كان يمثل مركز مقاومة يلجأ اليه كل من يقع عليه الظلم ٠

وتشكلت فى ١٣ يناير ١٩٥٣ لجنة لوضع مشروع دستور جـديد (يتفق وأهداف الثورة) من خمسين عضوا ، تولى رئاستها على ماهر ، وضمت ثلاثة من أعضاء لجنة دستور ١٩٢٣ وهم على ماهر ومحمد على علوبة وعلى المنزلاوى وأربعة من الوفديين واثنين من السعديين واثنين من الدستوريين واثنين من الكتلة وثلاثة من الحزب الوطنى وثلاثة من الحزب الوطنى الجديد وثلاثة من رؤساء القضاء (رئيس محكمة النقض ورئيس مجلس الدولة ورئيس المحكمة العليا الشرعية) ٠ وثلاثة من رجال الجيش والبوليس والمتقاعدين والباقى من المستقلين ٠

الأغلبية كانت من حملة رتب الباشوية والبكوية الملغاة ، أصحاب الأسماء القديمة المعروفة ، أبناء البرجوازية الكبيرة ، ورئيسها كان أحد الذين أسهموا فى امتهان دستور ١٩٢٣ وتغليب سلطة الملك على ارادة الشعب بما هو معروف فى تاريخه السابق ٠

وما كادت تذاع أسماء أعضاء لجنة الدستور ، حتى أذيع بعدهـا بأربعة أيام يوم ١٧ يناير ١٩٥٣ بعد منتصف الليل بيان من القائد العام للقوات المسلحة يعلن فيه « حل جميع الأحزاب السياسية ومصادرة جميع أموالها لصالح الشعب بدلا من أن تنفق فى بذر بذور الفتنة والشقاق »٠٠٠ وأعلن فيه أيضا قيام فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات « حتى نتمكن من اقامة حكم ديموقراطى دستورى سليم » وكشرت الحركة عن أنيابها وقالت فى نفس البيان « ومنذ اليوم لن أسمح بأى عبث أو أضرار بمصـالح الوطن وسأضرب بمنتهى الشدة على كل من يقف فى طريق أهدافنا التى صنعتها آلامكم الطويلة » ٠

وهكذا وصـل الصدام غايته ، وألغى الدستور ١٩٢٣ ، وحلت الأحزاب السياسية ، ولم يعد فى طريق حركة الضباط الأحرار تنظيمات

سياسية قانونية ، بعد ان تضمن مرسوم حل الأحزاب نصا يقضى بانهاء قانون تنظيم الأحزاب وسقوط القضايا المعروضة أمام مجلس الدولة .

وفى ١٨ يناير صدر مرسوم بقانون بحماية التدابير التى يتخذها القائد العام للقوات المسلحة (رئيس حركة الجيش) بقصد حماية الحركة والنظام القائم عليها باعتبارها من أعمال السيادة وذلك لمدة سنة من ذلك التاريخ بعد ان كانت المدة ستة شهور طبقا لمرسوم صدر فى ١٣ نوفمبر ١٩٥٢ .

كانت هذه الاجراءات وما صحبها من اعتقالات جديدة (٤٨ شيوعيا ١٤٤ حزبيا ، ٣٩ متصلا بجهـات أجنبية) هى رد الفعل لما حدث من مظاهرات الطلبة المعادية ... ونشاط بقايا الأحزاب وجماهيرها من أجل البقاء ... وبدء التناقضات فى صفوف الجيش ومجلس القيادة كمـا سيأتى تفصيلا فيما بعد .

كانت فترة منتصف يناير ١٩٥٣ مليئة بالأحداث والصدامات التى حددت موقف الحركة من قضية الأحزاب والسلطة ... وجعلت مجلس القيادة يعلن عن نفسه لأول مرة تحت اسم (مجلس قيادة الثورة) .

أثبتت الأحداث أن حركة الضباط الأحرار لم تجنح الى التعاون مع الأحزاب أو محاولة احتوائها وانما أخذت تحاصرها باجراءات متتالية لأنها وجدت فيها عنصرا مناوئا لها فى النفوذ والسلطة .. وقد كان التصادم شديدا مع أقواها تأثيرا فى الجماهير . وأشدها تمسكا بالديمقراطية . وأكثرها خطرا عليها وهو الوفد .

واحتفظت الحركة حتى صدور قانون حل الأحزاب بعلاقات طيبة مع الاخوان المسلمين الذين لم تكن تهمهم كثيرا قضية الأحزاب والديمقراطية بقدر ما كانوا يخططون لوراثة الحركة أو احتوائها .

كان تركيز السلطة فى يد (مجلس قيادة الثورة) اعلانا عن قيام نظام يستند الى الديكتاتورية العسكرية ، ولا يجيد التخفى فى ثيـاب الديموقراطية .

صرح صلاح سالم لجريدة المصرى بعد ذلك بقوله « قبل ان تعود الحياة البرلمانية يجب ان نستأصل جميع أسباب الفساد من الأمة » ... وكان استئصال الفساد يمكن ان يتم بعملية جراحية مثل استئصال اللوزة أو المرارة !

طبيعة الأمور فى هذه المرحلة أدت الى هذه النتيجة للعوامل الآتية :

أولا : خروج الجيش عن نطاق واجباته المحددة المعروفة وظهوره فى مظهر قوة سياسية منظمة لها أهداف تخرج عن اطار القوات المسلحة ، أمر يصعب التراجع عنه دون ضغط ظروف شديدة ٠

ثانيا ـ القوى السياسية التى جابهت حركة الجيش كانت اضعف من وقف مسيرتها نحو السلطة لأحقاد أحزاب الأقلية على الطبقة الاقطاعية التى وجهت لها ضربة شديدة ، ولأن قيادة الوفد كانت غير قادرة على تحريك الجماهير فى اتجاه ديمقراطى سليم ٠

ثالثا ـ كسبت الحركة العسكرية تأييد جانب كبير من الجماهير بما اقدمت عليه من عزل الملك واصدار قانون الاصلاح الزراعى وتخفيض ايجار الأرض الزراعية والغاء الرتب المدنية ، وغير ذلك من القوانين التى تجاوبت مع مشاعر الشعب ٠

رابعا ـ الاعتقالات التى اقترنت بتشكيل وزارة محمد نجيب وصدور قانون حل الأحزاب السياسية ، وبعثت نوعا من الفزع والتردد بين القيادات السياسية القائمة وجنحت بمعظمها الى الصمت والسلبية ٠

هذه العوامل فى مجموعها أدت الى انهاء طبيعة النظام القديم ، وتولية الجيش أو (مجلس قيادة الثورة) شئون السلطة ٠٠٠ ولا يستقيم القول بأن النية كانت مبيتة منذ اللحظة الأولى على اقامة الديكتاتورية العسكرية ٠٠٠فان نقص التخطيط والظروف المواتية هى التى مهدت الطريق كما انه لايصح القول أيضا بأن حركة الجيش كانت حريصة على الديموقراطية فانه رغم بعض الأصوات التى دافعت عنها داخل المجلس وفى صفوف الجيش الا أن اغراء السلطة وضعف المقاومة كان حريا بأن ينتهى الى هذه النتيجة ٠

أوضحنا ان حركة الجيش منذ لحظتها الأولى فى ليلة ٢٣ يوليو لم تكن تتحرك بخطة واحدة معلومة ، أو استراتيجية متكاملة بطريقة تكتيكية ماهرة ، يصعب معها التنبؤ ـ فى لحظتها ـ عن الاتجاه الاستراتيجى لها ٠٠٠ فانه من اصرار على اذاعـة بيـان بموعد الانتخابات فى فبراير ضد بيان على ماهر الى تراجع كامل عن الانتخابات وتأجيلها لاجل غير مسمى ٠٠٠ ومن حرص على أعلان التمسك بالدستور الى الغاء الدستور نفسه ٠٠٠ ومن بيان يظهر قبول مبدأ وجود الأحزاب الى مرسوم يحل الأحزاب وينهى دورها نهائيا ٠٠٠ ومن حديث عن ضمان الحريات الى اعتقالات للسياسيين من اتجاهات مختلفة ثم افرج واعادة اعتقال تبعا للموقف ٠

انتهت هذه المواقف التكتيكية الى السفور عن سلطة الجيش ٠٠٠٠ وعادت الرقابة على الصحف وفتحت المعتقلات ٠

وقام محمد نجيب واعضاء مجلس القيادة بجولة فى الأقاليم ، استقبلوا فيها استقبالا حارا ، وتدافعت الجماهير والفلاحون ترحب بهم ٠٠٠ وكان فى هذه المظاهرة ما يدفعهم الى التصور بأن ارادة الشعب قد تجسدت فيهم ، وان هذا هو التعبير الديموقراطى الأصيل عن رأى الجماهير ٠

ولم يتجاوز هذا التصور حدود ولا يتهم على الناس ٠٠٠ فلم يفكروا فى اشراك الشعب فى مسئولية الحكم وانما قرروا أن ينفردوا وحدهم بهذه المسئولية معتمدين على مظاهر التأييد المحيطة بهم فقط ٠٠٠ دون سعى الى خلق نظام يكفل المشاركة والرقابة الشعبية واستمرار الروح الثورية ٠

واعتقد مجلس قيادة الثورة انه قادر على ملء الفراغ السياسى الناتج عن حل الأحزاب ووقف نشاطها بتكوين (هيئة التحرير) التى أعلن تكوينها يوم ٢٣ يناير ١٩٥٢ بمناسبة مرور ستة شهور على الحركة وسط مهرجانات صاخبة حافلة ، وافتتح مقرها فى ثكنات الحرس الملكى (سابقا) بميدان عابدين يوم ٦ فبراير ٠

أعلن محمد نجيب ميلاد الهيئة بعد أن هاجم الأحزاب هجوما عنيفا مفيدا أنها وراء كل تأخر وتنابز وفرقة ، وأقسم خلفه الحاضرون قسما يقول « اللهم انك تحب الأقوياء ٠٠ وتكره المستضعفين ٠٠ وتنشر رحمتك على الذين يؤثرون الموت العزيز فى سبيل الحرية ٠٠ على الحياة الذليلة ٠٠ فى مجال الاستعباد اللهم وانك القريب ٠٠ ترى وتسمع وانا لنقسم بذاتك العلية ٠٠ على أن نعمل ما وسعنا العمل لارساء قواعد الحياة المقبلة لوطننا المصرى على أصول محررة من العبودية منزهة عن الهوى ٠ موصولة بالحق والعدل ، وأن نبذل فى سبيل ذلك ما تقتضيه مصلحة أمتنا ويبتغيه شرف بلادنا ، وأن يكون شعارنا دائما الاتحاد والنظام والعمل ٠٠ اللهم فاشهد وأنت خير الشاهدين » ٠

هذا القسم الانشائى المجرد كان وحده صلة الجماهير بهيئة التحرير عند مولدها فى وقت ضمت جدران السجون فيه قادة الأحزاب السياسية والتنظيمات الشيوعية ٠٠٠ ولم يكن مطلق السراح سوى الاخوان المسلمين، تماما كما كانوا فى فترة حكم نجيب الهلالى بعد حريق القاهرة ٠

وقام بالاشراف على هيئة التحرير ابراهيم الطحاوى وأحمد عبد الله طعيمة وهما ضابطان بعيدان عن معترك العمل السياسى ٠

كان التصور أن تملأ هيئة التحرير الفراغ السياسى فى مصر ، ولكنها لم تستطع ان تضم الى صفوفها أحداً من الذين مارسوا العمل السياسى من قبل عدا قلة محدودة. ... كما ان قبضة الجيش فيها كانت واضحة ، وتبين انه على قدر ما هزت حركة الجيش قواعد النظام المنهار ... على قدر ما وقفت حائلا دون اندفاع الطبقات العاملة نحو احداث تغييرات جذرية أو ديموقراطية فى المجتمع .

وأثبتت حركة الجيش بذلك انها نبتت فعلا من الطبقة الوسطى (البرجوازية الصغيرة) وانهما عملت على خدمة طبقتها وترسيخ قواعدها .

وبقدر ما استغلت الطبقة الاقطاعية الطبقة الوسطى فى خدمتها ... بقدر ما بدأت الطبقة الوسطى تستغل مظاهر التأييد من الطبقة العاملة والفلاحين فى تثبيت أقدامها .

لم يكن هناك شك فى ان مصر قد أصبحت تحكم بعد منتصف يناير بمجموعة عسكرية صرفة ... دون ان يجرؤ أحد على اطلاق لفظ (الديكتاتورية) عليها فقد اعيدت الرقابة على الصحف وفتحت المعتقلات وتعددت عمليات الفصل بلا محاكمة .

ويذكر ان الزعيم الأمريكى المضلل فى بداية الثلاثينيات من هذا القرن (هيولونج) قال عندما سئل من الصحفيين اذا كان يعتقد أن الفاشية يمكن ان تصل الى الولايات المتحدة فأجاب قائلا : « بالتأكيد ... ولكننا سنطلق عليها لفظ (المضاد للفاشية) .

وقال جمال عبد الناصر بعد ذلك فى الميثاق عام ١٩٦٢ « ان سيادة الاقطاع المتحالف مع رأس المال المستغل على اقتصاديات الوطن كانت لابد ان تمكن لهما طبيعيا وحتما من السيطرة على العمل السياسى فيه » ... « ان الديموقراطية على هذا الأساس لم تكن الا ديكتاتورية الرجعية ... ان فقدان الحرية الاجتماعية لجماهير الشعب سلب كل قيمة لشكل الحرية السياسية التى كانت قد تفضلت بها عليها الرجعية المتحكمة حتى لقد صدر دستور ١٩٢٣ منحة من الملك منه وتفضلا » .

ولكن حركة الجيش فى هذه (المرحلة الزمنية) ... لم تلغ نهائيا (ديكتاتورية الرجعية) لتقيم بدلا منها (الديموقراطية الشعبية) ... وانما استبدلتها (بالديكتاتورية العسكرية) الممثلة لمصالح الطبقة الوسطى .

وهكذا تكون عادة طبيعة الانقلابات العسكرية ... فأيوب خان فى باكستان اطلق على نظام حكمه (الديموقراطية الأساسية) .وخطب فى القاهرة

بعد ذلك أثناء زيارته لها قائلا : « الشرط الأساسى للتقدم هو الاستقرار السياسى • ونحن مثلكم استعرنا النظام الغربى ولكنه لم يمش عندنا » •

والواقع أن حركة الضباط الأحرار فى مصر لم تدخل تجربة الانتخابات البرلمانية ، ولم تواصل أسلوب الحياة السياسية قبل الثورة ••• فهى لم تشأ ان تدخل فى منافسة انتخابية وهى لا تملك مقدرات النجاح •

لم تفعل الحركة مثلما فعلت الثورة الفرنسية بعد الغـاء الاقطـاع ووضع دستور جديد ، حيث اجريت الانتخابات بعد ذلك مباشرة رغم انه كان قد مر على فرنسا ١٧٥ عاما دون برلمان •

وفى ١٠ فبراير ١٩٥٣ صدر دستور مؤقت حكمت به مصر خلال فترة الانتقال صدر من سبع مواد مبادىء عامة وأربع مواد للسيادة العليا فقط ••• وهو يقضى بان تكون أعمال السيادة العليا لمجلس قيادة الثورة الذى يكون له حق التعيين وعـزل الوزراء على أن يتولى مجلس الوزراء السلطة التشريعية والتنفيذية معا ، وان يتالف من مجلس قيادة الثـورة ومجلس الوزراء مؤتمر ينظر فى السياسة العامة للدولة وما يتصل بها من موضوعات ويناقش ما يرى مناقشته من تصرفات كل وزير فى وزارته •

وفى اليوم التالى مباشرة احتفلت الحركة بتشييع رفات مصطفى كامل الى قبره الجديد فى القلعة فى ذكرى وفاته الخامسة والأربعين حيث توفى فى ١١ فبراير ١٩٠٨ •

وفى اليوم التالى أيضا ١٢ فبراير ذهب محمد نجيب وجمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى وأنور السادات الى ضريح حسن البنا فى الذكرى الرابعة لوفاته •

ثم توجه محمد نجيب بعد ذلك لزيارة ضريح سعد زغلول حيث قـرأ الفاتحة عليه •

تمت هذه الزيارات بقصد اشعار الجماهير ان حركة الجيش لاتعادى زعماء الأحزاب المنتمين لها وانما تعادى تصرفات خلفائهم من بعدهم •••

ورغم قرار حل الأحزاب فان اليأس لم يبدد أمل الجماهير ، أو يدفعها الى الصمت والسكون الكامل ••• تركزت الأنظار على لجنة الخمسين لاعداد الدستور التى كان يرأسها على ماهر ، لعلها تنتهى من دستور يعيد الأمل فى قيام حياة برلمانية ، للنظام القديم •• ولكن اللجنـة ظلت تعمـل فى بطء شـديد دفع أحمد أبو الفتح الى مهاجمة على ماهر فى جريدة المصرى بمقال تحت عنوان : « الدستور •••• يارئيس اللجنة) يطالب فيه بتحديد موعد لانتهاء العمل « بدلا من الانتظار سنوات والتثاؤب فى الاجتماعات •

ويطالب أيضا بأن يكون هناك (أسبوع للدستور) تشبها بموضة كانت قد ظهرت للاحتفال بأسابيع مختلفة مثل أسبوع الأمن وأسبوع النظافة وأسبوع الدواجن وأسبوع مشوهي الحرب ... الخ .

وكانت جريدة المصرى تلعب دورا بارزا في الدفاع عن الدستور والديموقراطية ... وحدث شجار بين أحمد أبو الفتح الذى كتب بعد ذلك مقالا بعنوان (نعم ... الدستور) ، ورد عليه صلاح سالم في نفس العدد بعد أن عطل نشر مقالته حتى يرد عليه بمقال آخر عنوانه (الشاكون والمتباكون) ... واعتكف بعدها أحمد أبو الفتح عن الكتابة وسافر الى الاسكندرية .

وبدأت محكمة الغدر عملها يوم ٢٥ مايو ١٩٥٣ ووجهت اتهاماتها الأولى الى كريم ثابت وعثمان محرم والدكتور أحمد النقيب ومحمد حسن واسرة الوكيل وأحمد شعير ... ومنهم وزراء ما كانت يد القانون لتصل اليهم الا بعد الغاء الدستور .

وكان اسم مصطفى النحاس قد اختفى نهائيا قبل ذلك بثلاثة أيام من صفحات الجرائد الوفدية التى اعتادت أن تنشر مقابلاته وتحركاته .

وفجأة أعلنت الصحف ان اللجنة الخماسية المنبثقة عن لجنة الدستور والمشكلة من الدكتور عبد الرازق السنهورى ومكرم عبيد وعبد الرحمن الرافعى والسيد صبرى وعثمان خليل عثمان لبحث نظام الحكم قد استقر رأيها بالاجماع على أن يكون نظام الحكم جمهوريا على أن يتقرر ذلك عن طريق استفتاء شعبى .

وفى يوم ١٧ يونيو ١٩٥٣ أدلى جمال عبد الناصر بحديث الى جريدة الأهرام قال فيه « أن الجمهورية آتية لا ريب فيها » وأكد « أن اصلح نظام حزبى يجب ان يقوم فى مصر الحديثة هو النظام الذى يقوم على أساس ديمقراطى صحيح » كما تساءل « لماذا نفكر فى قيام حزب واحد أو فى قيام الحكم المطلق ، وقد تحولت الدول التى طبقته الى تطبيق النظام الديموقراطى الصحيح وتعدد الأحزاب .. ولم لا نفسح المجال أمام كل مبدأ تعتنقه جماعة صالحة ويستهدف خدمة الوطن فى أن يعيش ويعمل فى حرية لخدمة المجموع » .

وفى نفس الحديث قال جمال عبد الناصر « ان هيئة التحرير ليست حزبا سياسيا ولم تنشأ لتكوين حزب سياسى يجر المغانم على الاعضاء أو يستهدف شهوة الحكم والسلطان أما السبب فى تأسيسها فيرجع الى الرغبة فى ايجاد أداة لتنظيم قوى الشعب » .

وفى اليوم التالى مباشرة ألغى النظام الملكى فى مصر وخلع الملك أحمد فؤاد الثانى وانتهى حكم اسرة محمد على بعد مائة وخمسين عاماً تقريباً وأعلنت الجمهورية يوم ١٨ يونيو ١٩٥٣ وكان محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر .

كانت ظواهر الامور تدل على أن الساحة قد خلت فعلاً للجيش وسلطته ممثلا فى (مجلس قيادة الثورة) وخاصة بعد اعلان الجمهورية واشتراك بعض أعضاء المجلس فى الوزارة ، واختفاء صوت الأحزاب ، وتشتت تنظيماتهم ، ومصادرة نشاطهم ... ولكن واقع الأمر كان غير ذلك فان الصدام مع الأحزاب أو جماهيرها لم يكن قد وصل غايته ... وسلطة (مجلس قيادة الثورة) لم تعد وحدها المسيطرة على كل شىء .

كانت عوامل الصدام مازالت قائمة ، تمتد وتنحسر ، وتنشط وتخمل ولكنها كانت دائما تترقب الفرص المواتية .

لم يكن الصدام مع الأحزاب والغاء الديمقراطية أمرا يسهل الانتهاء منه فى معركة واحدة ، أو بقرار مكتوب ، مثلما حدث فى معركة الاصلاح الزراعى ، لأنه كان فى ابعاده تنازعا على السلطة ليس بين الطبقة الاقطاعية المضروبة ، وبين الطبقة الوسطى النامية ... وانما كان نزاعا فى حدود الطبقة الواحدة ... والخلاف كان على الأسلوب .

لم ينته الصدام باعلان الغاء الدستور أو حل الأحزاب ، أو اعلان الجمهورية ، أو تشكيل هيئة التحرير ... ولكنه اتخذ أشكالا أخرى مغايرة .

وكانت الأخبار والشائعات التى تملأ المجتمع هى المظهر الذى يثير أعصاب مجلس القيادة ويؤرق ليلهم ... ويمنحهم المبرر فى نفس الوقت لاتخاذ اجراءات أشد قسوة .

وظهرت على صفحات الصحف مثل هذه النداءات فى براويز خاصة :

« الشائعات الكاذبة المغرضة آفة خلقية لها ما للآفات الجسمانية من نتائج اذ تنتشر شيئا فشيئا فتصيب بالعدوى كافة أعضاء المجتمع » .

من واجب كل مواطن ان يحارب الاشاعات واجره فى ذلك اجر المجاهد فى سبيل الله » .

ولكن يبدو أن أحدا لم يستجب لهذه النداءات ، فقد قال جمال عبد الناصر فى تصريح له « من سوء الحظ أو حسن الحظ أن ثورتنا كانت ثورة

بيضاء » وقال صلاح سالم « اننا مستعدون ان نرى أصحاب هذه الرؤوس الدماء تسيل انهارا » .

وجاء قرار تشكيل محكمة الثورة فى منتصف سبتمبر ١٩٥٣ بخطاب القاه محمد نجيب فى مؤتمر شعبى بميدان الجمهورية بمثابة رد فعل حاد لاضطراب المجتمع ، وقد تشكلت المحكمة برئاسة قائد الجناح عبد اللطيف البغدادى وعضوية البكباشى أنور السادات وقائد الأسراب حسن ابراهيم .

وصحب اعلان التشكيل حملة اعتقالات شملت ابراهيم عبد الهادى وشقيقه اسماعيل المليجى وابراهيم فرج ومحمود سليمان غنام والنبيل السابق عباس حليم والدكتور أحمد النقيب وكريم ثابت وكامل القاويش وسعد الدين السنباطى وممدوح رياض .

وحددت اقامة مصطفى النحاس وزوجته زينب الوكيل وحافظ عفيفى .

وقد شكلت المحكمة دون معرفة لقواعدها أو تحديد لاهدافها ... واقترح صلاح سالم عقدها فى ميدان التحرير ، بعد أن أعلن فى خطبة عامة ان هناك وثيقة تدين بعض السياسيين باتصالاتهم بجهات اجنبية .

بدأت محكمة الثورة عملها بمحاكمة ابراهيم عبد الهادى بتهمة الاتصال عام ١٩٥٣ بجهات أجنبية تهدف الى الأضرار بالنظام ومصلحة البلد العليا ، كما أنه عمل فى سنة ١٩٤٨ على الزج بجيش مصر فى معركة فلسطين قبل أن يتخذ الجيش أهبته لخوض غمارها وأشاع حكم الارهاب أثناء رئاسته للوزارة ، وهيأ لاعوانه الأسباب التى يسرت لهم قتل الشيخ حسن البنا .

كان الحديث عن فلسطين بهذا المضمون شيئا جديدا .

وانتهت المحاكمة الأولى بصدور الحكم بالاعدام فى أول أكتوبر ١٩٥٣ ثم تخفيفه الى المؤبد ومصادرة كل مازاد من ممتلكاته وأمواله عما ورثه شرعا وأفرج عنه صحيا فى فبراير ١٩٥٤ .

حاكمت محكمة الثورة ٣٤ شخصا بعضهم من السياسيين والبعض من المتهمين بالتجسس والاتصال بجهات أجنبية أو ترديد الشائعات .

حوكم ستة من الوفديين هم ابراهيم فرج ومحمود سليمان غنام وفؤاد سراج الدين وزينب الوكيل ومحمود أبو الفتح وحسين أبو الفتح وثلاثة من رجال السراى هم كريم ثابت وأحمد النقيب ومحمد حلمى حسين والنائب العام السابق كامل القاويش وسعدى واحد هو ابراهيم عبد الهادى

ودستورى واحد أحمد عبد الغفار ، وضابطان هما قائمقام عبد الغفار عثمان وأميرالاى أحمد شوقى ، ١٣ جاسوسا و ٣ من مروجى الشائعات • واثنان للتستر على الاتصال بجهات أجنبية •

أصدرت المحكمة ستة أحكام بالاعدام ، نفذ منها أربعة على الجواسيس ، وعدل اثنان الى المؤبد احدهما على أبراهيم عبد الهادى ومتهم آخر بتقديم تقارير وتبليغات لجهات أجنبية اسمه أحمد على عوض ، كما صدرت أربعة أحكام بالبراءة فقط •

محكمة الثورة كانت موجهة أساسا ضد الوفد وبقايا الأحزاب والتنظيمات السياسية ، فقد حوكم من الوفد كل الأعضاء الذين لم يبلغوا الخامسة والستين من العمر ، وكانت محاكمة فؤاد سراج الدين هى أطول محاكمة اذ استمرت ٤٥ جلسة طرحت فيها مختلف القضايا وجاء فى قرار المحكمة ما يأتى : « المحكمة تعيب وتأسف على موقف الحكومة الوفدية المرتجل من معركة التحرير بالقنال وعدم الاستعداد لها ، وهكذا تحول الموقف الذى يستحق الفخر فى تاريخ الوفد •• الى موقف يجلب له العيب والأسف ». ••• ووجهت الطعنة فى غير موضعها فمعارك التحرير والنضال الشعبى لا يشترط ان تستكمل تماما فى بدايتها ••• بل هى تنمو وتزداد صلابة مع كفاح الشعب المسلح ، وهو ما حدث فعلا قبل حريق القاهرة • وما تكرر أيضا بصورة أخرى بعد ٢٣ يوليو حتى توقيع اتفاقية الجلاء •

وكانت محكمة الثورة تنعقد خلف باب رفعت عليه هذه الآية (واقتلوهم حيث ثقفتموهم). وتعقد جلسات سرية لا يحضرها الا اعضاؤها والمتهم وزكريا محيى الدين رئيس مكتب الادعاء الذى كان مشكلا من الضباط الحقوقيين محمد التابعى وابراهيم سامى وسيد جاد ووكلاء النائب العام مصطفى الهلباوى وعبد الرحمن صالح وأحمد موافى وعلى نور الدين •

المتهمون كانوا يواجهون المحكمة بلا تحقيق ، ويوجه الادعاء التهمة اليهم كنوع من المفاجأة وفى الجلسة السرية التى حوكم فيها ابراهيم فرج فوجىء بتهمة الاتصال بجهات أجنبية ، واخيرا تبين ان المقصود هو مقابلته مع مصطفى النحاس لنهرو أثناء زيارته لمصر عقب اعلان الجمهورية بخمسة أيام •

وكان نهرو قد أرسل رسالة حملها السفير الهندى يطلب مقابلة مصطفى النحاس ضمن زيارته لمصر ، ولما حاول النحاس الاعتذار عن عدم المقابلة منعا للحرج ، ابلغه السفير بأنه اذا لم تتم الزيارة فان نهرو لن يحضر الى مصر •

وكان النحاس قد التقى بنهرو قبل ذلك مرات ٠٠٠ ولذا كان نهـرو حريصا على ان يظهر فى مظهر الوفاء للزعيم الذى احتل مركزه عن طريق الديمقراطية التى يؤمن بها نهرو ايمانا راسخا والتى كانت موضع حديث دائم بينه وبين أعضاء مجلس قيادة الثورة فى كل مناسبة يلتقى بهم فيها ٠

قال نهرو فى هذه المقابلة التى تمت فى منزل النحاس انه لا ينسى علاقته بوالده (موليتال) وانه يعتبر الحركة الوطنية فى الهند أبنة الحركة الوطنية فى مصر التى قادها الوفد ٠٠ وقال له النحاس انه سعيد لانه عاش حتى اليوم الذى أعلنت فيه الجمهورية بمصر ، وصارحه بأنه يكره الحكم العسـكرى ويرى من واجبـه مقاومته حتى يعود الدستور والديموقراطية والحرية ٠

وعندما انتهت جلسات محكمـة الثورة التى بـدأت فى أول أكتوبر ١٩٥٣ وانتهت فى ابريل ١٩٥٤ كان معظم قيادات الوفد قد أصبحوا خلف قضبان السجون ٠

ويذكر أن أفرادا من أسرة سراج الدين ذهبوا الى جميع أعضاء مجلس الثورة لاقناعهم ببراءة فؤاد ، وقد التقوا بكلمات مجاملة أو اعتذار عن عدم المقابلة ، عدا جمال عبد الناصر الذى صارحهم بأنه لا بد من الحكم عليه ، وانه لا بد من التصديق على الحكم ٠٠٠ قائلا لهم ان فؤاد سراج الدين كرجل سياسى يعرف لماذا حكم عليه ٠٠٠ ومتى سيخرج ٠

وكان هناك سببان أحدهما خارجى وهو عودة الأحزاب فى سوريا بعد الاطاحة بحكم العقيد أديب الشيشكلى وسبب داخلى هو استعداد رجـال الثورة للقضاء على الاخوان المسلمين كما صارحهم بذلك ٠

كانت الأحزاب فى سوريا قد توقف نشاطها أربعـة أعوام منـذ عام ١٩٤٩ ولكنها عادت للتشكيل فورا بعد القضاء على ديكتاتورية الشيشكلى ٠ وهو الأمر الذى كان يؤرق رجال الثورة بصفة عامة ، وجمال عبد الناصر بصفة خاصة ٠٠٠ لانهم كانوا يدركون ان مجرد وجودها يشكل خطرا على سلطتهم فى لحظة زمنية معينة تحت ضغط ظروف مواتية ٠

وهكذا بعد ان كانت تجربة سوريا تبعث الحذر من تكرار الانقلابات العسكرية ٠٠٠ أصبحت تبعث الحذر أيضا من عودة الأحزاب السياسية ٠

وعندما انتهت محكمة الثورة من عملها ، وألقت بعدد من زعماء الوفد والأحزاب السياسية داخل السجون ، وفتحت أبواب المعتقلات وحظرت أى نوع من النشـــاط السياسى خارج هيئة التحرير ، بدا الأمر كما لو إن الصدام مع الأحزاب قد وصل غايته .

ولكنه تبين رغم ذلك ان الحيـــاة مازالت تنبض فى جسد الأحزاب ، وانها استفاقت لتعاود الحياة مرة أخرى فى بداية ١٩٥٤ كما سيأتى تفصيلا فيما بعـــد .

الفصل الثالث عشر

اعتقال الشيوعيين

(أنا برىء ومظلوم ... اريد اعادة محاكمتى)
العامل مصطفى خميس
قبل لحظة الاعدام .

عندما تحركت قوات الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان معسكر الاعتقال فى هاكستيب يضم مئات من الشيوعيين ، ولم ينعم بعضهم بالحرية الا بعد تصفية المعتقلات فى عهد حكومة الوفد عام ١٩٥٠ ، بعد ان كانت قد اقيمت بمناسبة حرب فلسطين عام ١٩٤٨ فى عهد حكومة محمود فهمى النقراشى .

ومنذ حملة اسماعيل صدقى ١٩٤٦ ، والشيوعيون يتعرضون فى مصر للاعتقال كلما تهيأت للسلطة الحاكمة ظروف مواتية ... حتى انه يمكن القول بأن فترات الحرية لهم كانت الاستثناء وليست القاعدة .

ولذا كانت حركة الجيش محل تأييد من الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) وهى التنظيم الشيوعى الرئيسى فى هذه الفترة ، وعندما ابلغت قيادتها ليلة ٢٢/٢٣ يوليو بأن قوات الجيش ستتحرك بعد ساعات لضرب النظام القائم ، وفرض شروطها على الملك ، اعدت منشورا

يؤيد حركة الجيش باعتبارها حركة وطنية ، ووزع المنشور فى ساعات الصباح الأولى يوم ٢٣ يوليو وكان أول تأييد للحركة من أية قوة سياسية ، الى جانب موقف الاخوان المسلمين المساند للحركة ، والذى دفع عناصرها لحراسة المعابد والمرافق الحيوية ، فى الوقت الذى كان فيه منشور (حدتو) يوزع فى شوارع القاهرة •

وكان طبيعيا من (حدتو) ان تبادر الى التأييد ، لأن منشورات الضباط الأحرار كانت تطبع فى جهاز طباعتها السرى بعد حريق القاهرة ، وتوزع أيضا بواسطة اجهزتها ••• وبعض أعضائها كانوا يؤدون دورا بارزا فى حركة الضباط الأحرار ••• كانت لجنة قسم الجيش بها تضم أحمد فؤاد مسئولا للدعاية ومن كاتب هذه السطور مسئولا للسياسة ، وقد استطاع أحمد فؤاد أن يخلق علاقة طيبة مع جمال عبد الناصر الذى تعرف عليه عن طريق خالد محيى الدين الذى كان عضوا فى تنظيم قسم الجيش هو ويوسف صديق وعدد آخر من الضباط الأحرار •

ولم تتخذ اللجنة التأسيسية لحركة الضباط الأحرار موقفا من خالد محيى الدين مثل الموقف الذى اتخذته من عبد المنعم عبد الرءوف الذى فصلته لارتباطه بالاخوان ومحاولته ضم الضباط اليهم بدلا من الضباط الأحرار ••• وذلك لأن تنظيم قسم الجيش فى حدتو كان حريصا على توفير مواصفات خاصة فى الضباط الذين ينتمون اليه ، ولذا فان أعضاءه كانوا يجندون الضباط أولا لتنظيم (الضباط الأحرار) ويعتبرون خلال هذه الفترة فى مرحلة الترشيح حتى اذا استكملوا مواصفات الدخول للتنظيم فكرا ووعيا ، عرض عليهم الانضمام لقسم الجيش •

لذا فان اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار لم تجد تناقضا بينها وبين الضباط الشيوعيين ••• ولم تثبت حالة واحدة كان يجند فيها أحد الضباط وخاصة (الأحرار) لتنظيم (حدتو) مباشرة •

وخلال فترة ما قبل ٢٣ يوليو ، وعندما اشتعلت الروح الثورية مع كفاح الشعب المسلح ضد الانجليز فى منطقة القناة ، اعتبر قسم الجيش فى (حدتو) ان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بالذات من العناصر الوطنية المخلصة والمتطورة والتى يمكن مصارحتها بدخول التنظيم يوما ما •

ولكن قيام الحركة انهى فترة الترشيح والنظرة المرتقبة •• وبدأت الحركة السياسية بين قطبين مختلفين ••• ولا يصدق قول أحمد أبو الفتح فى كتابه بأن جمال عبد الناصر كان منضما لتنظيم (حدتو) تحت اسم حركى (موريس) •

ومع ذلك كان من قرارات الحركة الأولى الافراج عن المعتقلين الشيوعيين ، ولقد تم الافراج عنهم جميعا على التوالى عدا ١٧ شخصا تحجرت نية الافراج عنهم ، وبقوا كخميرة لمعتقلين جدد •

وسرعان ما حدث خلاف فى الرأى ، عندما تفجرت قضية كفر الدوار عقب مظاهرة احتجاج قام بها عمال شركة مصر للغزل والنسيج الرفيع البالغ عددهم نحو عشرة آلاف عامل يوم ١٢ ، ١٣ أغسطس للمطالبة ببعض الحقوق العمالية ، وتعرض البوليس لهم ثم حدث اشتباك أدى الى اشتعال بعض الحرائق ، والاستنجاد بقوات الجيش التى تصادمت مع العمال أيضا ، وانتهى الأمر بمصرع ثلاثة جنود وثلاثة عمال وجرح ٢٨ شخصا •

تصرفت حركة الجيش ازاء هذا الموقف برعونة شديدة تحت وهم ان هذه المظاهرات هى بداية أعمال مضادة ضد الجيش ، وتشكل مجلس عسكرى برئاسة عبد المنعم أمين عضو مجلس القيادة فى ذلك الوقت ، ويقول انه قد تطوع لرئاسة المجلس واقترح عقده فى موقع الحادث • وقد تشكل من حسن ابراهيم عضو المجلس والبكباشى محمد عبد العظيم شحاته والبكباشى أحمد وحيد الدين حلمى والصاغ محمد بدوى الخولى واليوزباشى فتح الله رفعت واليوزباشى جمال القاضى •

كانت المحاكمة سافرة العدوان على حقوق المتهمين ، فلم تتح لهم فرصة الاعتماد على المحامين الى الدرجة التى دفعت عبد المنعم أمين الى مطالبة الصحفى موسى صبرى الذى كان يمثل جريدة الأخبار ، للدفاع عن العامل محمد مصطفى خميس باعتباره حاصلا على شهادة الحقوق •

ويقول عبد المنعم أمين ان مصطفى خميس قد ترافع عن نفسه مرافعة عظيمة لمدة نصف ساعة ولكنهم اصدروا مع ذلك الحكم عليه بالاعدام هو ومحمد حسن البقرى ، وصدرت أحكام بالسجن على بقية المتهمين الذين كان من بينهم صبى فى الثامنة عشرة من عمره •

أهاج أسلوب المحاكمة مشاعر الجماهير فى مصر والخارج ، ووضع (حدتو)التنظيم الشيوعى الممثل للقوى العاملة فى وضع شديد الحرج ، فانه رغم ان مصطفى خميس ومحمد حسن البقرى لم يكونا أعضاء فى الحركة الديموقراطية ، الا ان الدفاع عنهما اعتبر واجبا مقدسا على كل تنظيم أو شخص شيوعى أو تقدمى •

وقد تسرع مصطفى النحاس فأصدر بيانا يستنكر فيه حوادث الشعب ويدعوا العمال الى الانتاج المثمر ، وكذلك أصدر (الحزب الوطنى) بيانا بنفس المعنى ••• وكان هذا الموقف ، دليلا على معاداة الأحزاب وحركة

الجيش معا للطبقة العاملة والتخوف من حركتها ... وبينما أثبت التحقيق كما أشارت جريدة (الأهرام) الى أن البوليس قد أطلق النار قبل الشعب مما استفز العمال ، وانه بذلك ينهار ركن هام فى الجريمة ... فان ذلك لم يغير من الأمر شيئا .

وصيحة مصطفى خميس التى اطلقها قبل اعدامه « أنا برىء ومظلوم ، أريد اعادة محاكمتى ... ان محامى لم يطلب شهودا وكان هناك اثنان قد شاهدانى وأنا ماشى » قد ضاعت وتبددت فى الهواء ... وتؤكد هذه الصيحة قسوة المجلس العسكرى فى معاملة المتهمين وحرمانهم من حق أساسى من حقوق الانسان هو توكيل المحامين .

ومع ذلك يقول عبد المنعم أمين أن حكم المجلس العسكرى لم يكن بالاجماع مما يتعارض مع قانون الأحكام العسكرية ... كما أن تصديق مجلس قيادة الثورة لم يكن بالاجماع أيضا ، فقد اعترض على الحكم بالاعدام ولم يوافق عليه كل من جمال عبد الناصر ويوسف صديق وخالد محيى الدين فقط ، كما ان محمد نجيب كان مترددا فى التصديق على الحكم واستدعى اليه مصطفى خميس فى مكتبه لمحاولة مساعدته اذا قدم له معلومات مفيدة ، ويقول محمد نجيب أن مصطفى خميس كان رجلا شجاعا . لم يعترف على أحد ولم يوجه اتهاما ظالما ، لأنه حقيقة لم يكن مدفوعا من أحد ، ولم يرتكب جرما يستحق عليه الاعدام .

وقد أثارت محاكمة كفر الدوار عاصفة شديدة من النقد على المستوى العالمى فان تصرفات المجلس العسكرى واسلوبه كانت محل ادانة كل القوى التقدمية واليسارية والمنظمات العمالية ورجال المحاماة ، فى مختلف انحاء العالم ... وادى هذا الى تصوير حركة الجيش أمام العالم بأنها حركة رجعية فاشية .

ووصفت بأنها « مجموعة من الضباط الرجعيين تربطهم صلة مباشرة وقوية بالولايات المتحدة » .

وقد ادى هذا الموقف الى وضع الحركة الديموقراطية للتحرير الوطنى (حدتو) فى موقف المدافع عن قضية خاسرة ... فان النظرة الى حركة الجيش كانت على أساس أنها حركة وطنية تحمل تباشير تحرر وطنى وتغيير اجتماعى .

كتب (بالم دات) عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى البريطانى تقريرا هاجم فيه حركة الجيش وقامت (حدتو) والحركة السودانية للتحرر

الوطنى وهى رفيقة نضال (حدتو) فى السودان ، بالرد عليه ، مما جعله يتراجع عن موقفه حتى حدثت أحداث جديدة فى مطلع عام ١٩٥٣ .

وكان (بالمبروتولياشى) سكرتير الحزب الشيوعى الايطالى أكثر وعيا وتقديرا لظروف مصر من غيره فقد قال لحزبه « علينا أن نضع فى اعتبارنا ونحن ندرس حركة الجنرال نجيب رأى قادة حركة السلام فى مصر » .

وهكذا كانت قضية كفر الدوار صدمة فى العلاقة بين حركة الجيش والحركة الديموقراطية ولكنها لم تنته الى قطيعة ، ولم تؤد الى تغيير جذرى فى تقدير الموقف ... ولم تدفع الى رفع شعار العداء ...

وصدرت بعد ذلك مجلة (التحرير) يوم ١٦ سبتمبر وهى التى اشرفت على اصدارها وزاست تحريرها مع مجموعة من الزملاء الصحفيين أصحاب الاتجاهات الوطنية الديمقراطية ومنهم عبد المنعم الصاوى مدير تحريرها والذى كان محررا بجريدة (المصرى) وحسن فؤاد وعبد الرحمن الشرقاوى وصلاح حافظ وفتحى غانم ويوسف ادريس وزهدى وغيرهم .

كانت التحرير التى وصل توزيعها الى أرقام قياسية (١٠ الف نسخة) تعتبر واجهة تقدمية لحركة الجيش ، ليس فى موادها ما يمكن أن يعتبر دعوة متطرفة ، ولكن صفحاتها تدعو فى وضوح للتحرير الوطنى وتأكيد مبادىء الديموقراطية ، ومهاجمة الاقطاع والاستعمار والرجعية .

وتعرضت المجلة لنقد شديد من جانب بعض أعضاء مجلس القيادة ، وخاصة الذين كانت تربطهم صلات طيبة بالسفارتين الانجليزية والأمريكية مثل عبد المنعم أمين ، وانتهى هذا النقد الى اتخاذ اجراء بتعيين الصاغ ثروت عكاشة رئيسا للتحرير بدلا منى ... وقد علمت بذلك من مطالعة الجرائد فى الصباح ... وقد أصبح ذلك اسلوبا طبيعيا لنزع الموظفين من اماكنهم وتعيين بديل لهم دون ابلاغ أو مناقشة .

وحرصا على سلامة العلاقات وعدم تدهورها طلبت من كافة الزملاء ان يبقوا فى أماكنهم ويتعاونوا مع رئيس التحرير الجديد الذى كان قد حضر ومعه قائمة بفصل معظم المحررين باعتبارهم (شيوعيين) الأمر الذى اعترض عليه عبد المنعم الصاوى لأن ذلك كان يعني انهيارا للمجلة الناجحة. ... وقد ارتضى جمال عبد الناصر بقاءهم بعد مقابلة مع عبد المنعم الصاوى أوضح له فيها أن المجلة تسير على هدى منشورات الضباط الأحرار .

وبعد أن روى لى عبد المنعم الصاوى هذه الواقعة قال لى الدكتور ثروت عكاشة ما يأتى :

« أشهد لوجه الحق ان هذه الواقعة ليس لها أساس من الصحة وان الرئيس الراحل لم يزودنى بأية قائمة لا بأسماء المحررين الشيوعيين ولابغيرهم لفصلهم من مجلة التحرير كما لم أتقدم بأية قوائم . واذا لم تكن هناك قائمة أصلا أو نية لاستبعاد بعض المحررين فمن باب أولى ألا يكون هناك مجال للسيد عبد المنعم الصاوى الذى كان يعمل مديرا للتحرير بأن يتدخل فى مثل هذا الأمر الموهوم فقد ظل المحررون الشيوعيون يكتبون المقالات موقعين بأسمائهم باستثناء واحد فقط لظروف خاصة لحمايته وبرضائه الشخصى » .

كما أراد الدكتور ثروت عكاشة تأكيد هذه الحقيقة فاستكتب خالد محيى الدين هذه الكلمة :

« انى كنت حاضرا عندما كلف جمال عبد الناصر ثروت عكاشة بتولى مسئولية مجلة التحرير ولم يقدم جمال عبد الناصر قائمة لثروت عكاشة بأسماء محررين شيوعيين يجب فصلهم ولكن ما أذكره هو أن جمال عبدالناصر طلب اليك ، أى لثروت عكاشة ، الحذر من سيطرة شيوعية كاملة على مجلة التحرير وأن تكون عيناك مفتوحتان لهذه الغرض وأنك مسئول أمامه عن سياسة المجلة . والدليل على ذلك أنه لم يحدث فصل لأى محرر يسارى أو شيوعى أو غير ذلك طوال مدة رئاستك لمجلة التحرير . هذا حسبما أذكره ولا أعتقد أن جمال عبد الناصر قد قابل عبد المنعم الصاوى بهذا الصدد كما ورد برسالتك نقلا عن الكتاب . لأن عبد الناصر لم يذكر لى أنه قابل عبد المنعم الصاوى » .

وسواء صحت رواية ثروت عكاشة أو عبد المنعم الصاوى فان الحقيقة الثابتة أن أحدا من المحررين لم يفصل من عمله ، كما أنى بعد ان اعتقلت وأفرج عنى طلب منى جمال عبد الناصر ضرورة العودة للكتابة فى المجلة التى اسهمت فى تأسيسها ورأست تحريرها فاستجبت لذلك حرصا على عدم اتخاذ موقف انعزالى ورغبة فى مواصلة التعاون مع زملاء اعتز بهم .. ولكن ذلك لم يستمر لفترة طويلة .

واتخذت حركة الجيش موقفا صريحا من الشيوعية عندما أصدرت وزارة محمد نجيب فى يوم ١٦ أكتوبر ١٩٥٢ قرارا بالعفو الشامل عن المحكوم عليهم بالجرائم السياسية التى وقعت فى الفترة من توقيع معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ الى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أو المتهمين بقضايا سياسية خلال المدة ، وأعلن فتحى رضوان فى تصريح صحفى ان القضايا الشيوعية تدخل ضمن القرار ، ولكن القانون الذى عفا عن ٩٤٣ شخصا استثنى الشيوعية باعتبارها موجهة ضد النظام الاقتصادى والاجتماعى للدولة .

وقد رفع الشيوعيون المحكوم عليهم قضايا أمام مجلس الدولة للتظلم من هذه التفرقة ، ولكنها لم تنظر بعدما اعتبرت القوانين من أعمال السيادة التى لايجوز مراجعتها طبقا للدستور المؤقت الذى اذيع فيما بعد .

وأظهرت حركة الجيش موقف العداء من الشيوعية مرة أخرى عندما خطب يوسف صديق فى بنى سويف أثناء جولة فى الأقاليم صحبه فيها عبد العزيز على وزير الشئون البلدية وفتحى رضوان وزير الارشاد القومى، وقال ان الحركة (لاشرقية ولا غربية) ... لم تذع الاذاعة تسجيل الخطبة واحتج بعض أعضاء المجلس على أعلان هذا الموقف الذى أثار رجال السفارة الأمريكية وبعث فى نفوسهم الضيق ـ على حد قولهم .

كان الحياد مرفوضا فى هذه الفترة من جانب الغرب ، وتعرض يوسف صديق بعد ذلك لمضايقات من زملائه أعضاء المجلس ، وخاصة بعد اعتراضه على رفع سعر السجائر ، وعدم مناقشة المجلس لتشكيل وزارة محمد نجيب وعدم تدوين محاضر الجلسات ، وعزلى عن رئاسة تحرير مجلة (التحرير) وسلوك بعض الأعضاء بطريقة مسيئة للجميع .

كانت التناقضات تنمو بينهم وبين يوسف صديق يوما بعد يوم ، وكان يختلف سلوكه عن زميله فى التنظيم خالد محيى الدين ... فكان يوسف أكثر صراحة وانفعالا ، وكان خالد أكثر هدوءا ومرونة .

كانت استراتيجية (الحركة الديموقراطية للتحرير الوطنى) التى ينتمى لها الاثنان هى الحرص على التعاون مع حركة الجيش ، وتنمية العوامل الايجابية فيها ، والعمل على ذبول التناقضات المفتعلة ... بل ان مجلة الكاتب أعلنت عن ظهور (حزب التحرر الوطنى) برئاسة كامل البندارى الذى حل الدكتور ابراهيم رشاد مكانه فى رئاسة مجلس السلام وضمت اللجنة الرئيسية للحزب حفنى محمود ويوسف حلمى وخالد محمد خالد وزكى مراد وكمال عبد الحليم وأحمد الرفاعى والعاملين أحمد طه ومحمد على عامر والسيدة سيزا نبراوى ... ولكن الحزب لم يقدم طلبا لوزير الداخلية لأن قانون الغاء الأحزاب قد لحقه قبل ان يعلن عن وجوده بطريقة شعبية كانت تستهدف عقد مؤتمر عام يضم مندوبين من كافة انحاء مصر ويعلن برنامج الحزب أثناء انعقاد المؤتمر لتتم مناقشته والتصديق عليه .

ولكن حركة اعتقال الضباط يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ كانت حدا فاصلا بين مرحلتين ... فقد صدر الأمر باعتقالى ضمن مجموعة ضباط المدفعية ورشاد مهنا رغم عدم صلتى بهم ، بل وتناقض أفكارى الشديد مع أفكارهم

... وكنت الوحيد من قسم الجيش فى (حدتو) الذى صدر الأمر باعتقاله لانهم كانوا حتى هذه اللحظة غير معروفين اذا استثنينا يوسف صديق وخالد محيى الدين .

ولم تقف الاعتقالات عند حد الضباط فقط ، ولكنها امتدت الى السياسيين وبدأ اعتقال الشيوعيين يوم ١٦ يناير ، ولكن اعتقالى كان انذارا لهم فلم يسقط أحد أعضاء المكتب السياسى للحركة والذى كان مكونا من ميكانيكى الطيران السابق سيد سليمان رفاعى والشاعر كمال عبد الحليم والعامل محمد شطا والمحامين زكى مراد وأحمد الرفاعى والسودانى عبد الخالق جنيدة .

نشرت الصحف أنه تم اعتقال ١٠١ بينهم ٤٨ شيوعيا .

واصدرت (حدتو) منشورا يهاجم اعتقالى وكتب كمال عبد الحليم قصيدة فى مجلة (الكفاح) تحية لى داخل السجن .

كانت حركة الاعتقال نقطة تحول خطيرة ، وخاصة انها ارتبطت بمصادرة الجرائد والمجلات اليسارية مثل الكاتب والملايين والميدان والواجب (صحيفة الهلال) وصوت الطالب والمعارضة التى كان يصدرها فتحى الرملى .

أصر يوسف صديق على الاستقالة معلنا ان ضميره لا يسمح له بالبقاء وسط مجلس يصدر قرارات باعتقال زملاء يعتبرهم شرفاء لا يستحقون مثل هذه المعاملة ... وحاول أحمد فؤاد اقناعه بالبقاء ولكنه أصر على موقفه دون تردد .

وعادت الأحزاب الشيوعية والمنظمات الديموقراطية العالمية تهاجم حركة الجيش باعتبارها حركة رجعية فاشية تعتقل الوطنيين وتحل الأحزاب السياسية وتعادى الديموقراطية .

وفى الداخل كان الدفاع عن حركة الجيش مع هذه الاجراءات أمرا شديد الصعوبة وليس له صدى عند الجماهير الواعية .

وبدأت (حدتو) تفقد جانبا من أنصارها الذين وجدوا فى موقفها الصبور المتهاون مع حركة الجيش ، ما يمكن إعتباره خطأ وانحرافا ... وبدأوا ينتقلون الى تنظيم آخر هو (الحزب الشيوعى المصرى) الذى تشكل فى يناير ١٩٥٠ من جانب حدتو (مصطفى طيبة وصلاح هاشم) ومجموعة أخرى كانت ضد عدم تكوين (حدتو) لحزب شيوعى يمثلها (جلال كشك وعبد الرحمن شاكر) والدكتوران اسماعيل صبرى عبد الله وفؤاد مرسى اللذان كانا يدرسان فى فرنسا .

المطارق التى انهالت على رأس حدتو لعدم ادانتها لحركة الجيش بالفاشية ، دفعت كثيرا من أعضائها الى الخروج منها والانضمام الى (الحزب الشيوعى المصرى) الذى كان يعلن انها حركة رجعية فاشية منسقا نغمته فى ذلك مع بعض الأحزاب والمنظمات الديموقراطية العالمية ٠

وخلال فترة اعتقالى التى امتدت خمسين يوما دون تحقيق الا أسئلة عابرة من زكريا محيى الدين يوم الافراج عنى ، اتخذ أحمد فؤاد موقفا جديدا هو الانتقال من (حدتو) الى (الحزب) لامور لم يتحقق من صحتها وادى تغيير موقفه الى هبوط النشاط فى قسم الجيش وتحول العمل النضالى فيه الى مناقشات تدور حول مواضيع تنظيمية خاصة تحجب الموقف السياسى العام ٠

أدى انتقال أحمد فؤاد الى عزلته عن قسم الجيش ، ثم خروجه عن الحزب وتركيزه على العمل فى المناصب التى تولاها بعد ذلك ٠

وكانت هذه بداية التفكك فى الصلابة التنظيمية لقسم الجيش التى بدأت مع مطلع الاربعينيات واستمرت حتى ذلك الوقت فى سرية كاملة وقدرة على العمل لا تتوقف ٠٠٠ وكانت النتيجة بعد ذلك هى صدور قرار اللجنة المركزية بحل قسم الجيش تفاديا لما يمكن ان تجلبه الخلافات من متاعب على الحركة كلها ٠٠٠ وتوجيه اتهامات للمسئولين قد تكون جسرا لاعدام بعض قادة الحركة الشيوعية باعتبارهم يتدخلون فى شئون الجيش ٠

وكانت الشهور التالية لبدء حركة الاعتقالات مجالا لصراعات متعددة بين حركة الجيش والشيوعيين عموما من جهة ٠٠٠ وبين الخطين السياسى والمعارضين لحدتو والحزب من جهة أخرى ٠

لم تفرق الاعتقالات بين أعضاء (حدتو) وأعضاء (الحزب) ٠٠٠ فقد اعتقل بعض أعضاء المكتب السياسى لحدتو فى شهر ابريل ١٩٥٣ ، واكتمل اعتقالهم فى نوفمبر ١٩٥٣ ٠٠٠ وكانت (حدتو) خلال هذه الفترة قد استطاعت تهريب ٧ معتقلين من معتقل روض الفرج ، كما هربت أحمد طه شقيق عبد القادر طه من معتقل بنى سويف ٠

وعندما ضاقت الحلقة على الشيوعيين خارج الجيش ، ضاقت عليهم داخل الجيش أيضا ٠٠٠ تضاعفت الرقابة الى الحد الذى جعل إتصالى بأى من الزملاء مصدر خطر له ، وقرر مجلس القيادة نفى يوسف صديق خارج مصر ، فسافر فى ابريل ١٩٥٣ إلى سويسرا ثم لبنان ، ولما طلب العودة أرسلوا له زوجته وأولاده ، ولكنه قرر العودة سرا ٠٠ وعاد فعلا

فى أغسطس ١٩٥٣ وأرسل لمحمد نجيب برقية من بنى سويف يعلن فيها وصوله الى مصر ٠

صدر قرار بتحديد اقامة يوسف صديق فى بلده ٠

وتشكلت محكمة عسكرية عليا برئاسة القائمقام أحمد شوقى قائد قسم القاهرة للنظر فى قضيتين شيوعيتين فى شهر يوليو ١٩٥٣ ٠

وقد طلب الدفاع استدعاء محمد نجيب وجمال عبد الناصر وصلاح سالم وأنور السادات لسماع أقوالهم ولكنهم لم يحضروا ٠

لم يتوقف الشيوعيون خلال هذه الفترة عن المطالبة بالديموقراطية وعودة الحياة البرلمانية ولم يجدوا فى ذلك أى تناقض مع الماركسية وبدأوا سعيهم الحثيث لتكوين جبهة وطنية ديمقراطية تضم الوفديين والشيوعيين والاخوان المسلمين والاشتراكيين (الحزب الاشتراكى ـ مصر الفتاة) وأنصار السلام وغيرهم من الهيئات والتنظيمات ٠

بدأت هذه المحاولات مع تصاعد حملة الاعتقالات ، وكان التحضير لها يتم بطريقة سرية ٠٠٠ وقد قرض الوفد ومصطفى النحاس شخصيا النائب الوفدى حنفى الشريف ، ومثل (حدتو) المحاميان أحمد رفاعى وزكى مراد، ومثل الاشتراكيين ابراهيم شكرى ، ومثل أنصار السلام يوسف حلمى وسعد كامل ، ومثل الاخوان الدكتور خميس حميدة وعبد الحفيظ الصيفى ٠

أعدت (الجبهة الوطنية الديموقراطية) التى كانت لاتزال بعد فى مرحلة التشكيل برنامجا اشتراكيا ديموقراطيا وافق عليه الجميع ، عدا مندوبى الاخوان المسلمين الذين انسحبوا من اجتماعات الجبهة وتنكروا لها ٠٠٠ بل ووقفوا موقف المخاصمة لها فى انتخابات طلبة الجامعة ٠

كانت خطوات تشكيل الجبهة تمضى فى طريقها رغم ضربات البوليس واعتقاله لبعض أفرادها ٠٠ وهنا يجدر بنا القول بأن هذا النشاط العريض للتنظيمات الشيوعية كان يتم بأفراد لا يتجاوز عمر أكبرهم الخامسة والثلاثين ٠٠٠ فقد كانت الحركات الشيوعية هى دفعة الجيل الجديد ٠

ويقول رودنسون فى كتاب (مصر منذ الثورة) :

« قد يبدو غريبا عند البعض ممن يعتقدون ان الديمقراطية والماركسية لاتتفقان كالأمريكيين ان يروا المصريين الماركسيين يدافعون بحرارة خلال هذه الفترة عن كل من النظام البرلمانى والعودة الى الحياة الدستورية ٠٠٠ وهو ما لعب دورا تاريخيا هاما ٠

ولكن هـذا الدفاع كان منـزها عن المكيـافيلية بل انه لم يكشف بالضرورة عن منافسته مع الجماعات السياسية الأخرى ، وانى لعلى يقين من هذه النتائج اذ كنت انا نفسى موجودا فى القاهرة خلال هذه الفترة وعلى اتصال وثيق ومشاركة عقلية للجماعات الماركسية » .

وحاولت حركة الجيش ان تواصل لعبتها السياسية فى التسرب داخل صفوف الشيوعيين كما فعلت ذلك مع الاخوان المسلمين أيضا ... فكلفت بذلك حسين عرفة رئيس المباحث الجنائية العسكرية بالبوليس الحربى ، الذى أمكن له الاتصال ببعض العناصر الشيوعية ، ثم لعب بعد ذلك دورا شبه علنى باعتباره مفوضا من السلطة للتفاهم معهم وتسهيل اجراءاتهم ، وهو يمارس دور المخابرات فى نفس الوقت .

وقد لعب حسين عرفة دورا نشطا فى التسرب لصفوف الشيوعيين امتد عدة سنوات ، ولكنه مع ذلك لم يكن ذا تأثير كبيرفى تمزيق التنظيم ، لما وجده من صلابة الأعضاء ورفضهم التنكر لمبادئهم .

ويضرب مثلا لذلك موقفا لسعد كامل الذى اعتقلته السلطات فأرسل برقية غاضبة هو ويوسف حلمى لجمال عبد الناصر ، وكان يوسف حلمى على اتصال بجمال عبد الناصر منذ بداية الثورة ، يحاول التوفيـق بينـه وبين الوفد والقوى الشعبية والديموقراطية الأخرى ... وبعد تقدير موقف جـديد داخل السجن ، أرسـل الاثنان برقية تحمل رأيهما الحقيقى الذى لاتناقض رئيسى فيه بينهما وبين جمال عبد الناصر ، فافرج عنهما وهرب بعدها يوسف حلمى الى الخارج .

وكانت الثورة قد قدمت (قضية الجبهة الوطنية الديموقراطيـة) للمحكمة ، وهى القضية التى تجمعت خيوطها بعد اكتمال اعتقـال المكتب السياسى لحدتو ، والنائب الوفـدى حنفى الشريف واليوزبـاشى مصطفى كمال صدقى والفنانة تحية كاريوكا وغيرهم ... وطلب حسين عرفة من سعد كامل ان يذهب الى المحكمة معارضا رأى زملائـه مدافعـا عن جمال عبد الناصر كما ورد فى برقيته ولكنه رفض تماما باعتبار ان ذلك يعتبر موتا سياسيا له ، وكانت النتيجة تقديمه هو الأخر للمحكمة والحكم عليه هو وزوجته كما سيتضح من تفاصيل هذه القضية فى فصل قادم .

ويدلل حسين عرفة على ذلك بقوله أيضا انه اعتقـل عامـلا يوزع منشورات شيوعية ولكنه رفض الاعتراف وعندما أخذه الى الجبل وأطلق أربع رصاصات للارهاب قال له العامل فى بساطة (لا انت حتقتلنى ... ولا أنا حاعترف) .

وقد لعبت المخابرات المركزية دورا كبيرا فى افساد العلاقة بين التنظيمات الشيوعية المعبرة عن آمال الفلاحين والطبقة العاملة وبين حركة الجيش التى فرضت نفسها بقوة السلاح ممثلة للطبقة الوسطى .

كان ممكنا أن يحدث نوع من التحالف بين حركة الجيش والحركات الشيوعية لولا ضغط عدة عوامل منها :

١ ـ الخشية من وجود قوة تنازع حركة الجيش فى سلطتها .

٢ ـ العداء التقليدى السافر بين الاخوان المسلمين المتحالفين مع حركة الجيش وبين الفكرة الشيوعية .

٣ ـ تدخل المخابرات الأجنبية للايقاع بين القوى الوطنية حاملة شعار (العداء للشيوعية) .

٤ ـ تأثر معظم الضباط بالدعايات المضادة للشيوعية التى استهلكت الدولارات من الدول الامبريالية .

٥ ـ عدم وصول التنظيمات الشيوعية فى عمرها القصير الى الدرجة المؤثرة التى تحشد أغلبية الجماهير حولها ، علاوة على ما عانته من انقسامات أثرت على حركتها ونفوذها بين الجماهير وبالتالى تقدير حركة الجيش لها .

٦ ـ قال جمال عبد الناصر لبعض قادة (حدتو) أثناء الاتصال بهم فى الشهور الأولى من الثورة وعقب زياراته للأقاليم ، انه كان يراقب فى يقظة شديدة هتافات الجماهير ليتعرف على انتماءاتها السياسية وانه لاحظ وجود تأثير شيوعى فى بعض المناطق العمالية مثل المحلة الكبرى والاسكندرية وشبرا الخيمة والمنصورة ... ولكنه لم يلحظ تأثيرا قويا للشيوعيين فى المناطق الأخرى ، كما لاحظ للاخوان المسلمين .

وصل التصادم بين حركة الجيش والحركات الشيوعية غايته مع نهاية عام ١٩٥٣ عقب اعتقال معظم القيادات وجانب كبير من أعضاء التنظيم .

ولكن هذا لم يصب التنظيمات الشيوعية بالسكتة القلبية كما حدث مع بعض الأحزاب التى فقدت قدرتها تماما بعد قانون حل الأحزاب ... ولم تصب بهبوط شديد كما حدث مع الوفد الذى أثر قانون الاصلاح الزراعى على جانب كبير من قيادته وتاهت جماهير بلا قيادة .

على قدر ما كان الصـــدام عنيفـــا ، كانت المقاومـــة ٠٠٠ وعلى قـــدر ما فتحت أبواب السجن للمناضلـــين الشيوعيين ، على قدر ما تجـــددت التنظيمات بأعضاء جدد ٠

ولذا لم يصل التصادم الى نقطـــة ســـكون ، بل ان الشيوعيين ظلوا موجودين رغم كل شيء ٠٠٠ وكان لهم دور متجدد كما سيتضح تفصيـــلا فيما بعد ٠

الفصل الرابع عشر

حل الاخوان المسلمين

(أنا على ثقة من أن الغرب سيقتنع بمزايا الاخوان المسلمين وسيكف عن اعتبارهم شبحا مفزعا كما حاول البعض أن يصورهم)

حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

(أن حسن الهضيبي كان حريصا على حسن العلاقات معنا)

انطونى ايدن

علاقة الاخوان المسلمين بحركة الجيش بدأت وثيقة ، واستمرت فترة طويلة ثم انتهت نهاية دموية مريرة ٠

ذهب جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين لتبليغ حسن عشماوى وصالح أبو رقيق عضوى مكتب الارشـــاد بموعد الحركة ، وفى صباح ٢٣ يوليو كان عدد من الاخوان المسلمين يحرس المنشآت وأماكن العبادة ٠

صلة الضباط الأحرار بالاخوان المسلمين كانت وثيقة ، عدد كبير منهم انتمى للجماعة فى مرحلة من مراحل حياته كما سبق ذكره ٠٠٠ ولكن

تنظيم (الضباط الأحرار) رفض أن يكون تابعا لحزب أو قوة سياسية ، وآثر ان يكون حركة وطنية مستقلة تملك السلاح مع أهدافها الخاصة ٠٠٠ ولذا قررت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار فصل عبد المنعم عبد الرءوف منها فى بداية ١٩٥٢ ، لأنه كان يحاول تجنيد الضباط للاخوان ٠٠ وليس لتنظيم الضباط الأحرار ٠

وعندما انتصرت الحركة ، اعتقد الاخوان أن فى ذلك انتصارا لهم ، وكانوا فى ذلك الوقت أحرارا خارج المعتقلات على عكس بقية الأحزاب والقوى الوطنية التى ضربت بعد حريق القاهرة مثل الحزب الاشتراكى والحزب الوطنى وأنصار السلام والتنظيمات الشيوعية ٠

واختلط صوت الاخوان بصوت الجماهير المؤيدة لحركة الجيش فى الأسابيع الأولى ٠٠٠ ولم تكن هناك فرصة ليعلو صوتها فوق صوت الآخرين ٠٠٠ فان الافراج عن المعتقلين ، ونداء المحافظة على الدستور والديموقراطية ، دفع الأحزاب جميعا الى النشاط ٠٠٠ ولم تكن جماعة الاخوان المسلمين مركز جاذبية شديدة للوطنيين بعد أن كشفت الأيام كثيرا من مواقفها المتهاونة المترددة مع الرأى ، وأظهرت تصريحات مرشدها العام حسن الهضيبى أن لها اتجاهات خاصة متباينة مع اتجاهات الجماهير ٠

كان الاخوان المسلمون قد أيدوا على ماهر ، ثم أيدوا نجيب الهلالى لأن وزارته من رجال حزبيين عرفوا بسلامة القصد وبعد النظر واتصفوا بالجرأة والاقدام ٠٠ كما أن موقفهم من المسألة الوطنية كان يتضح من حديث للهضيبى قال فيه بعدم قبول الاخوان المفاوضة فى مبدأ الجلاء ، وانما تجرى المفاوضة فى كيفية تنفيذ الجلاء ، وعلى أساس ان اشتراك مصر فى أى دفاع اقليمى يجب الا يكون شرطا للجلاء والوحدة ٠٠٠ وهو ما كان يعتنقه نجيب الهلالى من صدور بيان بريطانى من جانب واحد بالجلاء والوحدة ، ثم تجرى المفاوضات فى طريقة التنفيذ ٠

وكان هذا الموقف يتعارض تماما مع ارادة الشعب المصرى التى أجمعت على رفض الارتباط بالاحلاف أو بمواثيق الدفاع الاقليمى ٠٠

ومع ذلك فكرت حركة الجيش فى تعيين وزيرين من الاخوان المسلمين فى وزارة محمد نجيب ٠٠٠ ورشح الهضيبى الشيخ أحمد حسن الباقورى وأحمد حسنى وكيل وزارة العدل ومحمد كمال الدين محافظ الاسكندرية ، وبعد أن تم الاتصال بالأول والثانى فعلا ، أبلغ جمال عبد الناصر سليمان حافظ الذى أسهم بقدر كبير فى تشكيل الوزارة أن حسن العشماوى ومنير الدلة قد حضرا موفدين من المرشد العام ليبلغاه ان

اختيار الاخوان المسلمين قد وقع عليهما ليمثلاهم فى الوزارة ٠٠٠ وأن الترشيح الأول كان شخصيا من الهضيبى وليس من مكتب الارشاد ٠

كان الاعتذار للباقورى وأحمد حسنى بعد تبليغهما صعبا ٠٠٠ كما ان رأى سليمان حافظ فى عشماوى والدلة كان انهما شباب أكثر مما ينبغى ٠٠٠ ولذا فانه كان هناك احتمالان أما اشراكهما فى الوزارة وأما قبول قرار مكتب الارشاد لعدم الاشتراك ، وقد استقر الرأى على الأمر الثانى ٠٠

وكان هذا هو الصدام المكتوم الأول ٠٠٠ فقد شعر الاخوان ان الحركة لاتستجيب لارادة الجماعة ، وشعرت الحركة بموقف الجماعة السلبى ٠٠٠ ولكن هذا لم يغير من طبيعة التعاون ولم يضعف الصلة ٠

فصل الشيخ الباقورى من مكتب الارشاد بعد توليه وزارة الأوقاف ٠٠٠ وهو كان يأمل بالتأكيد أن يجمع بين عضوية المكتب والوزارة معا ٠٠ وادى هذا الموقف الى ظهور بعض تناقضات فى صفوف الجماعة ٠٠٠ وهى تناقضات بدأت قبل ٢٣ يوليو ، عقب اغتيال حسن البنا ، وصراع زملائه للوصول الى منصب المرشد ، تم الاتفاق على حسن الهضيبى وهو بعيد عن تنظيمات الجماعة ، ولم يكن له فيها دور رئيسى ، وانما ارتضته كل الأطراف المتنافسة ، لانتهاز فرصة السيطرة عليه وبالتالى على الجماعة ٠

واستمرت العلاقة طيبة بين الحركة والجماعة ، وخاصة بعد الافراج بعفو خاص فى ١١ أكتوبر ١٩٥٢ عن قتلة المستشار أحمد الخازندار رئيس محكمة جنايات القاهرة الذى كان قد حكم بالادانة فى بعض جرائم للاخوان المسلمين ، ومحمود فهمى النقراشى الذى كان قد أصدر قرارا بحل الجماعة بعد حرب فلسطين ، وعن المحكوم عليهم فى قضية قنابل مدرسة الخديوية ٠٠٠ وقد توجه المفرج عنهم من السجن الى مركز الارشاد فورا ، حيث استقبلوا بحفاوة شديدة من أعضاء الجماعة ٠

ثم صدر بعد ذلك بأيام مرسوم بالعفو الشامل عن الجرائم السياسية التى وقعت فى المدة من توقيع معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ الى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أو المتهمين فى قضايا سياسية ولم تزل قضاياهم أمام المحاكم ٠٠٠ وقد بلغ عددهم ٩٣٤ شخصا ، هم الذين استثنى منهم المحكوم عليهم فى قضايا شيوعية باعتبارها جريمة اقتصادية كما سبق ذكره ، وكان من بينهم عدد كبير من الاخوان ٠

وعندما صدر قانون تنظيم الأحزاب بادرت جماعة الاخوان المسلمين بتقديم طلب بتوقيع حسن أحمد المليجى والدكتور محمد خميس حميده وفهمى أبو غدير ، يطلبون حق تشكيل الجماعة ببيان جاء فيه « الاخوان

المسلمون جند الله حينما يتناولون أمر هذا الدين فهم لا يستهدفون الا ما استهدفه الاسلام ، ولا يتوسلون في بلوغ هذه الاهداف الا بالوسائل التى يقرها الاسلام » ·

ولكن الطلب لم ياخذ مجراه مع بقية الأحزاب ، وانما اتصل جمال عبد الناصر بوزير الداخلية سليمان حافظ وقال له « ان الجماعة كانت من أكبر أعوان الحركة قبل قيامها وانهـا ساهمت بنصيب كبير فيها وما زالت تقدم لها العون المستمر » وطلب منه ايجاد مخرج للجماعة ·

وفى مكتب وزير الداخلية التقى جمال عبد الناصر وحسن الهضيبى وتم الاتفاق على ادخال تعديل فى اخطار التأسيس يبعد الجماعة عن مجال الأحزاب ·

ويؤكد ذلك استمرار العلاقة الطيبـة بين الحركة والجماعة أثنـاء الصدام مع الأحزاب ، فقد كانت الجماعة دائما ضد الأحزاب والحزبية ، لأن ذلك كان يعنى فى نهايته خلو الساحة لهم وحدهم ·

ولكن بعض تصرفات الحركة وقراراتها لم تجد قبولا أو حماسا عند الاخوان المسلمين ، فقد مر قانون الاصلاح الزراعى دون كلمة تاييد واضحة منهم ، واستقبلوا اقالة رشاد مهنا بفتور شـديد فقد كان قريبا منهم ، وراهنوا عليه أحيانا بأنه سيكون الجواد الفائز ·

كما ان بعض تصريحات وتصرفات الاخوان المسلمين لم تجد ترحيبا من جانب مجلس قيـادة الثـورة ··· مثال ذلك تصريح المرشـد العام حسن الهضيبى لادوارد بولاك محرر الاسوشيتدبرس يوم ٥ يوليو ١٩٥٣ الذى قال فيه :

« اعتقد أن العالم العربى سيربح كثيرا اذا حاول أن يحسن فهـم مبادئنا بدراستها بروح العدل البعيدة عن التعصب ، وأنا على ثقة من أن الغرب سيقتنع بمزايا الاخوان المسلمين وسيكف عن اعتبارهم شبحا مفزعا كما حاول البعض أن يصورهم · وأنا أثق فى أن الغرب سيجد أن الاخوان المسلمين عامل كفء فى سبيل تقدم الانسانية والرخاء والسلام بين مختلف الشعوب » ·

كانت هذه التصريحات بمثابة غزل للدولة الغربيـة لم ترض عنه الحركة فى وقت كانت المفاوضـات فيه قد تعثرت مع الجانب البريطانى ثم انقطعت ·

وقد كتب أنطونى ايدن فى مذكراته بعد ذلك يقول « ان الهضيبى كان حريصا على حسن العلاقات معنا » ·

ومن جهة أخـرى كان وجـود الاخوان المسلمين فى المظاهرات التى تحتشد لمقابلة محمد نجيب أو أعضاء المجلس ، أمرا يصدمهم ويشعرهم بأنهم مازالوا كتلة نشطة بين الجماهير تعبر عن نفسها بهتافها المعروف (الله أكبر ولله الحمد) •

كان هذا الأمر يثيرهم كثيرا ••• ان الجماهير لم تتحول تماما الى جانب الثورة ••• ولذا أعدوا شعارا آخر بهيئة التحرير يهتفون به أثناء مظاهرات الاستقبال وفى الاجتماعات الشعبية وهو (الله أكبر والعزة لمصر) •

كانت حربا مستترة غير معلنة ••• لا الاخوان المسلمون يصارحون بالعداء جهارا ولا مجلس قيادة الثورة يهاجم الاخوان •

ولم تكن هناك فرصة الا ممارسة اللعبة المعروفة وهى التسرب الى صفوف الاخوان المسلمين ومحاولة تعميق التناقضات الموجودة بينهم ، وتفجيرهم من الداخل ••• وقد أسهم فى ذلك من جانب الحركة الشيخ أحمد حسن الباقورى بالتعاون مع ابراهيم الطحاوى سكرتير هيئـــة التحرير •

وكانت هناك بداية انقســـام فى الاخوان المسلمين حول قضيتين أساسيتين :

أولا : التعاون مع حركة الجيش •

كانت هناك فئة تؤيد ذلك يتزعمها حسن العشماوى ومنير الدله ويقف حسن الهضيبى منها موقف عدم المعارضة •

وفئة ترفض ذلك ويتزعمها سعد الوليلى ويوسف طلعت وعبد القادر عـودة والشيخ محمد فرغلى وابراهيم الطيب •

ثانيا : بقاء النظام والجهاز السرى •

كان هناك رأى ينادى باستمرار النظام السرى باعتباره قد انشىء أساسا لحماية الجماعة او تحقيق أهدافها وأنهم أحوج ما يكونون اليه فى ظل نظام عسكرى يستطيع ان يبطش فى اية لحظة •

ورأى آخر ينادى بالغاء النظام السرى ، لأن النظـــام العسـكرى القائم سوف يستفزه وجود جهاز سرى فيستدرجه ذلك الى التعجيل بضرب الاخـــوان •

وكان جمال عبد الناصر قد استطاع أن يجذب اليه عبد الرحمن السندى رئيس الجهاز السرى والذى كان على خـلاف مع حسن الهضيبى والشيخ سيد سابق منشىء الجهاز السرى •

وقد أدى ذلك الى حدوث انقسام فى تنظيم الجهاز وشكلت له قيادة جديدة كان على رأسها الذين عارضوا التعاون مع حركة الجيش وهم ابراهيم الطيب (محامى) ويوسف طلعت (نجار) والشيخ محمد فرغلى ، ومحمد فايز (موظف) الذى انفجر فيه طرد من حلاوة المولد النبوى ، وأدى ذلك الى زيادة حدة الصراع بين الجناحين ٠

وقد نجح هذا الجناح فى اجتذاب عدد من ضباط الجيش كانوا ينتمون الى الاخوان المسلمين كما بدأوا فى تنظيم عدد من ضباط البوليس ٠٠٠ وهكذا استمرت اللعبة بعد أن أصبحت حركات التسرب متبادلة ٠

ولم تقف اتصالات الاخوان فى حدود الضباط المنتمين اليهم ، ولكنهم حاولوا الاتصال أيضا بمحمد نجيب ، مدركين أن هناك تناقضا قد بدأ يظهر بينه وبين زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة ٠

لم يتم اللقاء مع محمد نجيب شخصيا ٠٠٠ وانما تم مع قائد حرسه الخاص اليوزباشى محمد رياض الذى قابل حسن عشماوى ومنير الدلة عدة مرات فى ديسمبر ١٩٥٣ ٠

كانت مطالب الاخوان تدور حول :

١ ـ تعيين رشاد مهنا قائدا عاما للقوات المسلحة ٠٠٠ وكان رشاد وقتها ينفذ عقوبة السجن المؤبد بعد محاكمته عقب اعتقاله فى ١٥ يناير ١٩٥٢ ٠

٢ ـ عدم تأييد الحكم الديموقراطى ٠

٣ ـ عدم تأييد عودة الأحزاب والاصرار على حلها ٠

٤ ـ عودة الضباط الى الثكنات ٠

٥ ـ تشكيل وزارة يرضى عنها الاخوان ٠

وعندما تبلورت اتصالات محمد رياض مع الاخوان فى هذه المطالب عرض الأمر على محمد نجيب ، فرفض الحديث فى ذلك شكلا وموضوعا ٠

رفض فكرة الاتصال السرى بالاخوان مطلقا ، ولذا فهو لم يقابل أحدا منهم ٠

ورفض مطالبهم من الوهلة الأولى ، لأنه أدرك انهم يريدون حكما ديكتاتوريا يستبدلون فيه شخص الديكتاتور ، ويقاومون عودة الديموقراطية والحياة البرلمانية ، وتوقفت الاتصالات بين محمد نجيب والاخوان فى وقت كانت تتجمع فيه سحب الخلاف وغيوم التوتر التى

تجمعت رغم ما قامت به الثورة من تقديم أشرس أعدائهم ابراهيم عبد الهادى فى أول قضية أمام محكمة الثورة وصدور الحكم عليه بالاعدام ثم تخفيفه الى السجن المؤبد ... ورغم تصفية الأحزاب تصفية رسمية وسجن زعمائها بأحكام محكمة الثورة .

بل يبدو أن الاخوان المسلمين قد وجدوا ذلك فرصة مناسبة للانقضاض على السلطة فى وقت أصبحت فيه الساحة السياسية خالية من كل القوى السياسية الا قوتهم .

أصبح الصدام بين حركة الجيش وجماعة الاخوان حتميا ... تغذيه تخوفات مجلس الثورة من موقف الجبهة المناوئة لهم فى الاخوان ، وما يرتبط بها من تنظيم وجهاز سرى مسلح ... ويغذيه أيضا تناقضات الاخوان الداخلية التى بلغت حد الانفصال والمواجهة .

لم ينجح فى اذابة الخلاف ، أو تحاشى عوامل الصدام المقابلات الدورية التى كان يقوم بها عدد من زعماء الاخوان مثل عبد القادر عودة وكامل الشريف (الذى هرب من مصر وأصبح سفيرا للاردن فى باكستان)، مع جمال عبد الناصر وعدد من زملائه أعضاء المجلس .

وتفجر الموقف فى ساحة الجامعة يوم ١٢ يناير ١٩٥٤ عند الاحتفال بذكرى شهداء معركة القناة ، وحضور الطلبة الاخوان ومعهم الارهابى الايرانى (نواب صفوى) زعيم جماعة (فدائيات اسلام) والذى كانت صحف أخبار اليوم قد هللت له وأحاطته بدعاية ضخمة ... وحدث اشتباك بينهم وبين الطلبة الآخرين انتهى الى اصابة بعض الطلبة ، واستخدام الاخوان يومها أسلحة نارية الى جانب العصى ، مما أحدث جوا بالغا من العنف والتوتر .

وجد مجلس الثورة نفسه مواجها بموقف يحتاج الى حزم حتى لا تفلت الأمور من قبضتهم ، فقد كان الخلاف داخل المجلس مع محمد نجيب قد أصبح فى الشارع حديث المجتمع ، وظهور العنف داخل الجامعة كفيل بنقله الى خارجها .

وأصدر مجلس قيادة الثورة يوم ١٤ يناير ١٩٥٤ قرارا بحل جماعة الاخوان المسلمين بعد سنتين كاملتين بالتحديد من حل الأحزاب السياسية .

... لم يوافق محمد نجيب على قرار حل الاخوان ويقول فى ذلك :

« رفضت الموافقة على حل جماعة الاخوان المسلمين عندما عرض الأمر على مجلس القيادة ... لم أرفض الحل لأنى كنت مشايعا للاخوان ، فقد

سبق أن رفضت اعتبارهم خارجين على قانون الأحزاب ··· كان رفضى لحل الاخوان المسلمين مبنيا على أساس مبدئى ··· وليس على أساس موقف ذاتى » ·

ولكن عدم موافقة محمد نجيب لم تؤثر فى صدور قرار الحل ، فقد كان هو الصوت الوحيد المعارض رغم انه لم يكن يسعى لخلق جبهة مع الاخوان لأنه لم يكن على صلة بهم ·

ولكن هذا الموقف أنبت فى صدور زملائه الخشية أن يكون هناك تدبير ما بين محمد نجيب والاخوان ومع ذلك آثروا مواجهة الموقف فى صلابة ·

وصدر بيان من المجلس يوجه الى الاخوان المسلمين الاتهامات الآتية :

١ ــ التقاعس فى تأييد المرشد العام للحركة الا بعد خروج الملك ·

٢ ــ عدم تأييد قانون الاصلاح الزراعى والمطالبة برفع الحد الأقصى للملكية (فى حالة التطبيق ــ الى ٥٠٠ فدان) ·

٣ ــ محاولة فرض وصاية على الحركة بعد حل الأحزاب السياسية·

٤ ــ اتخاذ موقف المعارضة من (هيئة التحرير) ·

٥ ــ بدء التسرب الى ضباط الجيش وضباط البوليس وتشكيل وحدات تحت اشراف المرشد مباشرة ·

٦ ــ تشكيل جهاز سرى جديد بعد حل الجهاز السرى الذى كان يشرف عليه (عبد الرحمن السندى) منذ أيام حسن البنا ··· (والمعروف أن السندى كان على صلة بجمال عبد الناصر) ·

٧ ــ حدوث اتصال عن طريق الدكتور محمد سالم الموظف فى شركة النقل والهندسة بين مستر ايفانز المستشار الشرقى للسفارة البريطانية فى مايو ١٩٥٣ مع منير الدلة وصالح أبو رقيق ثم مع حسن الهضيبى بعد ذلك ··· واعتراض جمال عبد الناصر وقتها على حدوث مثل هذه الاتصالات ·

٨ ــ زيارة حسن العشماوى يوم الأحد ١٠ يناير ١٩٥٤ ــ أى قبل قرار الحل بأيام ــ لمستر كريزويل الوزير البريطانى المفوض ثم عودته فى نفس اليوم لزيارة أخرى امتدت من الرابعة الى الحادية عشرة مساء ·

كانت هذه الاتهامات الرئيسية فى البيان الذى اعتبر كلمة النهاية فى علاقة حركة الجيش وجماعة الاخوان ··· والذى اقترن صدوره باعتقال حسن الهضيبى و ٤٥٠ عضوا بالجماعة فى القاهرة والأقاليم ·

اعتقد الناس جميعا أن صدور البيان وما صحبه من اعتقالات سوف يكون نهاية مثيرة لصلة حركة الجيش بالاخوان ··· فلم يعد هناك شيء يمكن ان يضاف الى تهمة الاتصالات بجهات أجنبية وتدبير أجهزة سرية ·

كانت الرؤوس قد تناطحت فعلا ، ولكنها لم تستمر فى تناطحها ، لأن خطرا مشتركا كان يهددها معا ·· فمجلس قيادة الثورة كان يفقد أنصاره خارج حدود عضويتهم مثلهم فى ذلك مثل كافة الأحزاب الفاشية التى تعتمد على آراء ومبادىء عنصرية أوروبية ، كما أن حوادثهم الارهابية السابقة ، وممالأة الثورة لهم بالافراج عن القتلة من أعضاء جماعتهم كانت موضع استنكار فئات كثيرة من الشعب ·

اكتشف الطرفان أن وقوع المصادمة كان فى وقت مبكر وغير مناسب للطرفين ··· ولكن مجلس قيادة الثورة لم يتراجع فورا ، بل أعلنت وزارة الداخلية أنها ستفرج عن كل معتقل لاتوجه له تهمة معينة ، وفعلا بدأت الصحف تعلن عن أعداد الذين يفرج عنهم كل يوم ···

وحرص جمال عبد الناصر الا يقطع الحبل نهائيا معهم ، فقام بعد قرار الحل بزيارة قبر حسن البنا فى الذكرى الخامسة لاستشهاده (١٢ فبراير ١٩٥٤) مع صلاح سالم وأحمد حسن الباقورى ، وخطب قائلا : « أشهد الله انى أعمل — وكنت أعمل — لتنفيذ هذه المبادىء وافنى فيها وأجاهد فى سبيلها » ·

وظلت محاولة اجتذاب جماهير الاخوان عن طريق الجناح المتعاون مع الثورة مستمرة ·

كان الصدام مع الاخوان قد تفجر ، ولكنه لم يطح بكل شيء ··· فقد فرضت الأحداث فيما بعد على الحركة والجماعة أن يلتقيا من جديد ··· حتى ينفجر الموقف مرة ثانية فى (الصدام الأخير) الذى بدأ فى فبراير ١٩٥٤ كما سيأتى ذكره تفصيليا فيما بعد ·

وهكذا شملت (سنوات الصدام) صداما مع الاقطاع والأحزاب السياسية والشيوعية والاخوان المسلمين ·

ولكن كان هناك صدام آخر ، أكبر خطرا ، وأشد تأثيرا ·

الفصل الخامس عشر

صـــدام الضباط

(كان ١٥ ينــاير ١٩٥٣ نقطة تحول فى
تاريخ وتقاليد الجيش المصرى ٠٠ اذ دخل
الضباط برتبهم وملابســهم العسكرية
معتقلين الى سجن الأجانب)

لم يكن الصدام قاصرا على الطبقة الاقطاعية والطبقة الوسـطى ٠٠ ولم يكن فقط بين المدنيين والعسكريين ٠٠٠ ولكنه كان أيضا فى صفوف العسكريين ٠٠٠ ولم يبدأ متأخـــرا ٠٠٠ وانمـا بدأ مع اللحظات الأولى للثـورة ٠

كان التخلص من ضـباط الرتب الكبيرة لواء واميرالاى تعبيرا عن صراع الأجيال ٠٠ كما أن تطهير صفوف الجيش من بعض ضباط الرتب الصغيرة كان يتخذ طابعا أخلاقيا أكثر منه سياسيا ٠٠ فالذين فصلوا من الجيش مع أيام الثورة الأولى من الرتب الصغيرة كانت تلاحقهم أو تلاحق تصرفاتهم وأسرهم شبهات متداولة ٠٠٠ ولم يكن أحد منهم من أبناء الأسر الاقطاعية أو البرجوازية الكبيرة كما سبق أن أوضحنا ٠

تجاوز عدد الذين فصلوا فى الشهور الثلاثة الأولى أكثر من ٥٠٠ ضابط ، وكان تحديد أسمائهم يتم عن طريق المداولة بين أعضاء التنظيم

(الضباط الأحرار) الذى ظل قائما ومتماسكا يعقد الاجتماعات فى مختلف الأسلحة والمناطق ، ولكن بدرجات متفاوته ٠

كانت زحمة العمل اليومى وكثرة المسئوليات الملقاة على عاتق أعضاء مجلس القيادة ، وتكليف بعض أعضــاء الصف الثــانى بواجبــات خارج الوحدات أو خارج الجيش عاملا من عوامل ضعف الحركة التنظيمية بعد ٢٣ يوليو ، الى جانب تدافع عدد كبير من خارج تنظيم (الضباط الأحرار) للعمل والمشاركة والحرص على القول بأن الحركة للجميع ، وتصريح بعض أعضــاء مجلس القيادة بأن الضباط (أحرار) فى محاولة لكسب تأييد الجميع ٠

نشأت التناقضات فى صفوف الضباط وفى اجتماعات أعضاء مجلس القيادة كنتيجة لاجراءات المجلس ورد فعل لقراراته واتجاهاته ٠

كانت البداية سامية ٠٠٠ الكل يتحرك فى حماس واخلاص للقضاء على العفن الذى استقر فى السراى ، ولتحرير مصر من جنود الاحتلال ٠٠ رحب الضباط جميعا ـ الا أفرادا محدودين ـ بخروج الملك الذى أقسموا له يمين الطاعة والولاء ، وعاش بعضهم يتصورونه مخلدا ٠

عندما وجد فاروق مطالب الضباط أمامه فى اليوم الأول قبلها ، عين محمد نجيب قائدا عاما برتبة فريق ومرتب وزير ٠٠٠ وما ان ودعه محمد نجيب يوم ٢٦ يوليو حتى أذاع بنفسه بعد ساعتين فقط من خروج الملك بيانا تنازل فيه عن رتبة الفريق (قانعا برتبة اللواء مراعاة لحالة الدولة المالية) على حد قوله ـ وكان ذلك تعبيرا عن روح التضحية التى يقول محمد نجيب انه كان حريصا على اظهارها « حتى يفهــم كل مصرى أن المشاركة فى الحركة لم تكن لكسب شخصى مادى وانما كانت لتحرير الوطن والمواطن » ٠

ولكن المثل الذى ضربه محمد نجيب لم يحتذ تماما ٠٠٠ وبدأ بعض الضباط يقدمون على تصرفات شخصية مثيرة ، وخاصة الذين كلفوا بأعمال خارج الجيش تحت اسم (مندوب القيادة) ٠٠٠ والذين انتشروا فى مختلف الوزارات والمصالح ٠٠٠ من التموين الى المواصلات ٠٠٠ ومن الاشراف على (قطار الرحمة) الى السيطرة على (وزارة الداخلية) ٠

وكان أول خروج للضباط من صفوف الجيش ، هو تعيين رشاد مهنا وزيرا للمواصلات ثم عضوا فى مجلس الوصاية ٠٠٠ واختيار ١٨ ضابطا من حملة رتبة اللواء والعميد لتعيينهم فى مناصب مدنيــة ، وكان منهم سفيران هما على نجيب الذى عين فى لبنان ومحمد سيف الدين الذى عين فى الاردن ٠

الباب الذى فتح لتعيين الضباط فى مناصب مدنية والذى بدأ فى مجالات خاصة محدودة لم يغلق من يومها ٠٠٠ وتدفق منه العشرات والمئات كما سيأتى ذكره تفصيلا فى حينه ٠

وكان تعيين محمد نجيب رئيسا للوزارة بداية لتوزيع أعضاء مجلس الثورة أنفسهم ليكونوا مشرفين على الوزارات أى يشكلون ما يمكن التعبير عنه باسم (وزارة الظل) وعندما استغرقتهم مهمات أخرى أوكلوا اعمالهم الاشرافية الى ضباط من معارفهم الذين يثقون فيهم الأمر الذى أحاط كل ضابط من ضباط القيادة بشلة خاصة من الضباط تتحرك فى مجال معين، وتتصرف تبعا لسلوك أعضائها الخاص ، دون توافر فرصة لرقابة دقيقة ٠

ولما كانت الحركة قد تمت بحافز التغيير أساسا دون التعرض لتفصيلات ما بعد التغيير ، ودون تخطيط لحركة المستقبل ٠٠ وارتباط الضباط الفكرى ببعضهم البعض لم يكن يتجاوز حدود ما ورد فى منشورات الضباط الأحرار ـ اذا كان قد قرىء ثم هضم ـ والأهداف الستة التى تمثل آمالا طموحا دون طرح السبيل للوصول الى تحقيقها ٠٠٠ فان الآراء بدأت تتنافر وخاصة عقب كل قرار يصدر من مجلس القيادة ٠

اعترض رشاد مهنا مثلا على قانون الاصلاح الزراعى ، ولم يوافق عليه الا خضوعا لرأى أغلبية المؤتمر المحدود الذى دعا اليه على ماهر ٠٠ ولكنه فى اتصالاته وآرائه كان يمثل جانبا خاصا منفردا غير مرتبط بمجلس القيادة ٠٠٠ وقد فوجىء محمد نجيب عندما قام بزيارته فى مكتبه بقصر عابدين هو وسليمان حافظ لتهنئته بمولود جديد ، بشكوى عارمة يقذفها فى وجهه رشاد مهنا وهو يخبط المكتب بيده قائلا : انه لا يقبل أن يهمل مجلس الوزراء ارسال جدول أعماله الى الأوصياء قبل عقد الجلسة ، وهو عرف جرت الأمور عليه فى عهد الملك ٠٠٠ وقال له نجيب ان هذا العرف يتعارض مع الدستور ، وأنه يكفى أن مشروعات القوانين والمراسيم تصل الى القصر لتوقيعها من الأوصياء بعد اقرارها من مجلس الوزراء ٠

ولكن رشاد مهنا لم يقتنع بهذا المنطق ، وانتقلت الجلسة الى مكتب بهى الدين بركات حيث كان الأمير محمد عبد المنعم موجودا أيضا ٠٠٠ وفتح الحديث حول جدول الأعمال مرة أخرى كما أثير موضوع الاتصال بالوفود السودانية التى كانت تزور القاهرة ، وقال بهى الدين بركات ان هناك مفاوضات تجرى وهو لا يعرف عنها شيئا ٠

وتم الاتفاق على اجتماع ثان يعقد بعد أيام ٠٠٠ ولكن الثقة كانت قد فقدت بين أعضاء المجلس ورشاد مهنا الذى كان منتميا الى حزب (شباب

محمد) وهو حزب يقف على يمين الاخوان المسلمين ، كما ان محمد نجيب كان مازال يحتفظ فى قلبه بأثر لموقف رشاد عندما طلب نقل نفسه من القاهرة الى العريش تجنبا لمواجهة محتملة من جانب السراى . وكان رشاد بعيدا عن تنظيم الضباط الأحرار وخاصة بعد اتصاله بحسين سرى عامر للتصالح .

وكان رشاد مهنا خلال فترة عمله وصيا على العرش يعطى لنفسه نفوذا أكثر مما تحتمله مسئولية المنصب ، ويتصل مباشرة بالأجهزة التنفيذية والصحافة لابداء رأيه فى كثير من المواضيع الأمر الذى كان يتعارض فى أحيان كثيرة مع اتجاهات المجلس .

ووصل الأمر غايته عندما قرر مجلس القيادة بالاجماع اعفاء رشاد مهنا من منصبه وتحديد اقامته وعندما وصل الخبر الى بهى الدين بركات قدم استقالته وغادر القاهرة الى عزبته فى (بساتين بركات) .

لم ينزع مجلس القيادة رشاد مهنا من موقعه فى سكون ... وانما آثار ضده عاصفة من الاتهامات لتحصين موقفهم ضد أى عمل مضاد من جانب الضباط .

ولم يكن الموقف هادئا داخل مجلس القيادة ... كانت بعض قرارات المجلس تلقى معارضة شديدة من جانب يوسف صديق الذى انبرى لمعارضة قانون تنظيم الأحزاب واعتقال السياسيين ومحاولة ضرب الوفد على غير أساس ديموقراطى ... وقد وقف الى جانبه فى المراحل الأولى جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين .

وكان جمال عبد الناصر قد اعتكف فى منزله وأعلن انه لن يشارك فى اجتماعات المجلس اذا كان الأعضاء سوف يتنكرون للديموقراطية .

ولكن وحدة يوسف صديق وجمال عبد الناصر لم تستمر طويلا ، فقد تراجع جمال عبد الناصر عن موقفه أمام الحاح وتفسيرات سليمان حافظ ، واكتشافه أن الوفد ليس فى الصلابة التى تحول دون ضربه ، وتبينه أن الطريق للانفراد بالسلطة ليس شديد الوعورة والتعقيد .

ولكن يوسف صديق الذى كان يعبر عن رأى الشيوعيين ظل متمسكا بالديموقراطية والحياة البرلمانية ، رغم انه لم ينجح فى تحقيق رأيه بدعوة مجلس النواب المنحل لتعيين مجلس الوصاية ولا فى منع صدور قانون تنظيم الأحزاب ولا فى منع إعدام خميس والبقرى عمال كفر الدوار فقد كان المؤيدون له أقلية ... وكانت قرارات المجلس تصدر بالأغلبية ..

وظهر بين الضباط وخاصة فى سلاح المدفعية اتجاه يدعو الى أن يكون تمثيل الضباط فى مجلس القيادة بالانتخاب وتحمس جميع أعضاء المجلس ضد هذا الاتجاه ، الا يوسف صديق .

كان السبب الكامن وراء هذا الطلب هو ما أثير من ملاحظات حول تصرفات شخصية لبعض أعضاء المجلس ، الذين عرف عن واحد منهم انه أقام علاقات شخصية مع الأميرة السابقة فائزة وقدم لها نظير ذلك تسهيلات كبيرة ، والذين اشتهرت زوجة واحد منهم بقوة شخصيتها وأحاديثها عن أعضاء المجلس فى السهرات وخاصة فى نادى السيارات .

وتصادف أن الاثنين كانا من ضباط المدفعية .

ولذا عقد جانب من ضباط المدفعية اجتماعا مع أعضاء مجلس القيادة ناقشوا فيه هذا الرأى بصراحة مطلقة ... ولكنهم اعتقلوا يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ بدعوى انهم يدبرون مؤامرة لاغتيال أعضاء مجلس قيادة الثورة . وذلك بعد طبعهم لمنشور خاص .

كان هذا الاعتقال هو أول صدام مباشر بين ضباط الجيش ، وكان دخول الضباط برتبهم وملابسهم العسكرية سجن الأجانب هى أول سابقة فى تاريخ الجيش المصرى ، تحت القيادة المصرية ، اذ كانت القوانين تنص على حجز الضباط حجزا شـــديدا أى تحت الحراســة فى ميس احدى الوحدات ، وليس فى غرفة السجن حتى تنتهى المحاكمة .

وكان مجلس القيادة قد حذر منذ أيامه الأولى من تكرار ما حدث فى سوريا من سلسلة انقلابات متعاقبة ... فبادر الى اعتقال ٣٥ ضابطا من ضباط المدفعية ، وانتهز هذه الفرصة لاصدار قرارات جامحة تظهره فى مظهر القوة ، وتقوى قبضته على السلطات ، فكان قرار حل الأحزاب فى ١٧ يناير وتشكيل مجلس قيادة الثورة .

اختار مجلس القيادة جانب الصدام المباشر مع ما يحويه ذلك من احتمالات الخطر .

ولم يكن الضباط المعتقلون جميعا من اتجاه سياسى أو فكرى واحد ... فقد اعتقل رشاد مهنا واعتقلت أنا أيضا ، ولم يكن المعتقلون جميعا من سلاح المدفعية ولكن قلة محدودة منهم كانت من المشاة وبعض المدنيين (محمود رشيد ودكتور عبد العزيز الشال وصبرى الحكيم) .

ولم يقبل يوسف صديق مبدأ اعتقال الضباط بعد معارضته الشديدة لاعتقال السياسيين ... وقرر الاستقالة من مجلس القيادة معلنا ان ضميره لايمكن أن يستريح وهو عضـــو فى مجلس يصدر قرارات تخالف أفكاره

وعقيدته ··· ولا يستقيم الأمر بأن قرارات المجلس تصدر بالأغلبية فان المجلس فى ذاته لا يمثل الشعب ، ولا يمثل الجيش أيضا ·

أصر يوسف صديق على الاستقالة ، وزاد اصراره بعد عودة الرقابة على الصحف وصدور قانون حل الأحزاب ··· ولم يتراجع عنهـا رغم ما بذله معه أحمد فؤاد من محاولة اقناعه بأنه ينهى دوره السياسى باختيار الاستقالة من المجلس ··· ولكن يوسف وجد أن ضميره سوف يكون مثقلا بما لا يقبله · ولم يعلن المجلس استقالته ، ولكنهم أخبروه على السفر الى سويسرا فى مارس ١٩٥٣ ·

وكان المجلس قد تخلص من عبد المنعم أمين الذى غرقت سمعته فى فيض من الأقاويل والشائعات ، فقرر ارساله الى لندن ـ دون تحقيق ـ للبحث فى امكانيات التفاوض مع بريطانيا حيث كان الدكتور محمود فوزى سفيرا لنا هناك ، ثم عين سفيرا فى بلجيكا بعد ذلك ·

ولم تمض حركة اعتقال ضباط المدفعية فى سكون او بلا أثر ··· فقد تجمهر ضباط المدفعية عندما بلغتهم أنباء الاعتقالات واجتمع ٤٠٠ ضابط فى ميس المدفعية معلنين أنهم سيعتصمون حتى يتم الافراج عن زملائهم ··· وطلب جمال عبد الناصر من اللواء محمد حسين مدير المدفعية أن ينصح الضباط بالانصراف والتمسك بالسلوك العسكرى ··· وعنـدما جاوبه بمعارضة الضباط وقف محمد أبو الفضل الجيزاوى أحد الضباط الأحرار وأخرج طبنجته وقال صائحا انه سيضرب كل من يعمل ضد الثورة ··· وبعد جدل صاخب اتفق الرأى على أن يكون هناك مجلس تحقيق ومجلس عسكرى يشكلان من ضباط المدفعية ··· وأكد جمال عبد الناصر للمجتمعين موافقته على ذلك ··· ولكن بعد أن انفض الاجتماع اتخذ مجلس القيادة سبيله الخاص فى التحقيق والمحاكمة بنفسه ·

ولم يقف أثر الاعتقالات فى حدود سلاح المدفعية فقط ، ولكنه امتد الى أسلحة أخـرى فقـد توجه البكباشى حسنى الدمنهورى أحد ضـباط اللواء الرابع المشاة لمقابلة اللواء محمد ابراهيم رئيس أركان الجيش وسؤاله عن سبب اعتقال الضباط ، فكان جوابه سلبيا وأبلغه انه لا يعرف شيئا عن ذلك ، فأخذ يواصل اتصالاته ببعض ضباط سلاح الفرسان ومحاولة اثارتهم للافراج عن زملائهم ضباط المدفعية ··· ولكنه فوجىء باعتقاله فى منزله يوم ١٧ يناير ·

وبدأت التحقيق معه لجنة مشكلة برياسـة عبد اللطيف البغدادى وعضوية عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وزكريا محيى الدين وكان يحرسه ثلاثة هم كمال رفعت وحسن التهامى ومحمد أبو نار ··· وخلال التحقيق

وجه اليه صلاح سالم السباب وتبادلا الاتهامات والكلمات البذيئة وقام ضباط الحرس بضربه ضربا شديدا واستمر تعذيبه من الفجر حتى الرابعة مساء دون طعام أو شراب ••• وفى منتصف الليل استدعى الى مبنى مجلس القيادة حيث وقف فى السادسة صباحا أمام محكمة يرأسها جمال عبد الناصر وبها كل أعضاء المجلس عدا يوسف صديق وعبد المنعم أمين وأنور السادات وعندما حاول صلاح سالم سب المتهم نهره جمال عبد الناصر •

استمرت المحاكمة حتى التاسعة صباحا ••• وفى صباح اليوم التالى ١٩ يناير ١٩٥٢ تلى عليه الحكم بالاعدام فى غرفة مأمور سجن الأجانب ثم نقل الى السجن الحربى مقيد اليدين والرجلين بالحديد وهو بملابسه الرسمية •

وظهرت مانشيتات الصحف الرئيسية يوم ٢٠ يناير وهى تعلن (اعدام البكباشى حسنى الدمنهورى) وكانت هذه هى آخر صحف نطلع عليها فى سجن الأجانب ونحن فى حبس انفرادى ••• ومن الغريب أنه كان يجاورنى فى الغرفة البكباشى رشاد مهنا الذى كنت معه فى الرأى على طرفى نقيض ، رغم تقديرى لسلوكه وتصرفاته الشخصية •

وكان هذا هو أول حكم بالاعدام يصدر على ضباط فى الجيش المصرى بتهمة أخرى غير الخيانة العظمى ••• وقد رفض محمد نجيب التصديق على الحكم رغم الحاح زملائه عليه وتحذيرهم له من خطر الانقلابات العسكرية ، ولكنه أصر على موقفه قائلا :

« اننى لا أريد ان أمضى فى طريق مفروش بدماء الزملاء من الضباط» •

وكان تعذيب حسنى الدمنهورى قد بلغ محمد نجيب عن طريق قائد حرسه الذى لمحه أثناء التحقيق والضرب ينهال عليه والدماء تسيل منه •

وكان هذا التعذيب هو بداية التصرفات الهمجية الوحشية من جانب ضباط القيادة ضد زملائهم فى السلاح ومن بعدهم معظم المعتقلين السياسيين •

كان اعتقال ضباط المدفعية والتحقيق معهم ومحاكمتهم بواسطة أعضاء المجلس هو كلمة النهاية فى وجود تنظيم (الضباط الأحرار) ••• فانه بعد نجاح الحركة ليلة ٢٣ يوليو استمرت بعض الاجتماعات التنظيمية بقوة الدفع الذاتى ، ولكنها تباعدت وتمهلت ثم توقفت ، لأن أعضاء مجلس القيادة وجدوا فى (الضباط الأحرار) تنظيما يمكن أن يشاركهم ، ويضع تصرفاتهم تحت مجهر النقد والمحاسبة •

ولذا فانهم سرعان ما استبدلوا التنظيم القديم رغم عدم انضباطه في الاجتماعات وعدم مراعاته للقواعد التنظيمية الحزبية ، بتنظيمات خاصة أخرى تعتمد على الضباط المحيطين بهم القريبين منهم المكونين للشلل الخاصة ، الذين تسرب اليهم عدد لم يكونوا من الأحرار أصلا ، وانما اظهروا براعة في مخاطبة الغرائز الشخصية لأعضاء مجلس القيادة .

ووضع في مراكز القيادة نوعان من الضباط .. أما أهل الثقة الكاملة المرتبطون بأعضاء القيادة ارتباطا شخصيا وثيقا ... وأما الضباط الذين لا رأى لهم ولا يهتمون الا بمصالحهم الخاصة .. ولا ينفى هذا وجود بعض استثناءات .

كانت نهاية تنظيم (الضباط الأحرار) القديم ، وبداية تشكيل (التنظيم الخاص) الجديد ، تحولا في نوعية الضباط الداخلين في ميدان السياسة .. لأنه مهما قيل عن طبيعة الضباط ، فلا شك ان (الضباط الأحرار) كانوا يمثلون أكثر الضباط ثقافة واهتماما بالمشاكل العامة وشجاعة في مجابهة الخطر ، واستعدادا لتحمل التضحية .

صحيح ان أغلبية (الضباط الأحرار) احتفظوا بأماكنهم والبعض منهم عين في مراكز هامة وحيوية خارج الجيش أو داخله ، ولكن ذلك كله كان يتم ... ليس عن طريق ارادة التنظيم وروتينه ، وانما عن طريق العلاقات الشخصية .

كانت شخصية الضباط الأحرار تستمد قبل الحركة من ارتباطهم بالتنظيم واستعدادهم للنضال والتضحية ... ولكنها أصبحت بعد ذلك تستمد من رضا القيادات عليهم واستعدادهم للخضوع والمسايرة .

ولكن كثيرا منهم رفض أن تطبق عليهم هذه القاعدة العامة ، واتخذوا مواقف باسلة شجاعة تبنوا فيها آراء ليس مهما ان تكون خطأ أو صوابا ، ولكن المهم انها كانت آراء خاصة وليست تابعة .

ولما كان اعتقال ضباط المدفعية قد اعتبر عاملا حاسما في وضع نهاية لتنظيم (الضباط الأحرار) ... فقد بدأ الضباط المعارضون الرافضون يبحثون عن اسلوب جديد للعمل ، ويتلمسون ساحة جديدة للتنظيم .

توقفت اجتماعات الضباط الأحرار لتمسكهم بحرية المناقشة والديموقراطية ... وقال بعض المخلصين منهم ان ذلك سوف يفتح بابا للمؤامرات .

وصدرت الأوامر بنقل بعض ضباط سلاح الفرسان خارج السلاح عندما اعترضوا على اعتقال مجموعة ضباط المدفعية .

ويلاحظ فى هذه الفترة ان أعضاء مجلس القيادة لم يتخذوا موقفا موحدا من هؤلاء الضباط .. عبد الحكيم عامر نصح أحدهم (توفيق عبده اسماعيل) أثناء التحقيق منفردا قائلا له (أوعى تضعف أحسن يدبحوك) .. وخالد محيى الدين كان ينتهز الفرص لينصحهم بذكر ما يمكن أن يؤخذ عليهم .

وبينما كان زكريا محيى الدين يحرص على دقة التحقيق ... كان عبد الحكيم عامر يطلب الافراج عنهم ويظهر روحا انسانية طيبة .

لم يعتقل أحد ويحاكم من سلاح الفرسان ... وتمت محاكمة ضباط المدفعية بواسطة أعضاء مجلس الثورة مجتمعين عدا محمد نجيب . وصدرت عليهم الأحكام بمدد تتراوح من المؤبد الى عام واحد .

وأفرج عنى بلا اتهام أو تحقيق الا كلمات محدودة بعد خمسين يوما من الحبس الانفرادى .

كانت ظاهرة التحقيق والمحاكمة بأعضاء من مجلس القيادة تستلفت النظر لأنها عبرت عن خشية خروج التحقيق الى دائرة واسعة من الضباط فيخرج الأمر من أيديهم ولا يتم التحقيق وفق هواهم ، ولا تصدر الأحكام طبقا لارادتهم ... ولذا مثلوا دور الاتهام والحكم فى وقت واحد .

وكانت الآراء فى مجلس القيادة أمام هذه القضية تتأرجح بين ما نادى به جمال سالم من محاكمة صورية واعدامهم فورا ... واعتراض محمد نجيب على أن يكون الخصم هو الحكم .. واقترح عبد الحكيم عامر بالا يصدر حكم الاعدام الا بموافقة جماعية ، وان يكون حكم السجن هو أخف عدد مقترح من السنين يحصل على أغلبية ... وتوترت المناقشة واعترض خالد محيى الدين على السرعة واقترح عليهم النوم حتى الصباح لمواصلة المناقشة فى جو هادىء .

نام الجميع على الأرض فى هذه الليلة ، وهمس خالد لجمال عبد الناصر قائلا انه غير موافق على أحكام الاعدام ولا على المحاكمة بهذه الصورة ، ووافق جمال عبد الناصر مؤيدا « أنا معك » .. فاستمر فى المعارضة .

وفى الصباح انجلت المناقشة عن تشكيل المحكمة من مجلس الثورة عدا محمد نجيب وان يكون حكم الاعدام بالاجماع والسجن يتقرر بأخف الأحكام كما اقترح عبد الحكيم عامر .

كان التناقض الرئيسى بين الضباط خلال هذه المرحلة نابعا من شعور أغلبيتهم بانفراد مجلس القيادة بالسلطة وبأن الكلمات يجب أن تموت على شفاههم حتى لا يتعرضوا للخطر .

لم يكن هناك تجمع خلف موقف سياسى أو اجتماعى معين ، منا يمكن رصده فى صورة تكتلات واضحة ... فلم تكن هناك مواقف معارضة لقانون تنظيم الاحزاب واعتقال السياسيين واعادة الرقابة والغاء الدستور الا فى صفوف تنظيم الجيش للحركة الديموقراطية للتحرير الوطنى ... أما فيما عدا ذلك فلم تكن هناك أفكار معارضة قد نضجت أو تبلورت بعد .

ولكن الأمر لم يكن كذلك داخل مجلس القيادة ، حيث كانت تناقش كافة مشروعات القوانين وتدرس كل الاجراءات قبل صدورها .

وحمل خالد محيى الدين لواء المعارضة بعد استقالة يوسف صديق ورفضه الاستمرار عضوا فى المجلس ... وقد تجسمت معارضته فى عدة مواقف منها قانون الافراج عن المسجونين السياسيين الذى أعلنه سليمان حافظ واستثنى الشيوعيين باعتبار الشيوعية (جريمة اقتصادية) .

وعندما عرض مشروع قانون العمال اعترض عليه خالد اعتراضا شديدا لأنه كان يلغى حق الاضراب ويبيح الفصل ، وكان متحمسا لذلك عبد المنعم أمين الذى كان موكولا اليه الاشراف على وزارة الشئون الاجتماعية بما فيها العمال ، وهو الذى تطوع لرئاسة المجلس العسكرى لمحاكمة خميس والبقرى فى كفر الدوار .

وكان من أهم الحجج التى استند اليها أعضاء المجلس هى ان راس المال الأجنبى يحتاج الى نوع من الضغط على العمال ، لضمان الاستقرار والاستثمار معا .

ولم يجد خالد محيى الدين فى ضميره ما يسمح له بالبقاء فى عضوية المجلس مع صدور هذا القانون المتخلف ، فذهب الى مكتبه فى سلاح الفرسان ليكتب استقالته ... وكان ذلك فى اليوم الذى صدرت فيه الأحكام ضد رشاد مهنا وضباط المدفعية ... ودخل عليه فى مكتبه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ودارت بينهم مناقشة انتهت الى اقتراح جمال عبد الناصر عبر عنه بقوله :

ـ طيب لو رجعنا القانون وبدأنا نعيد النظر فيه تسحب استقالتك؟

ووافق خالد ، وأعيدت مناقشة القانون أمام مجلس قيادة الثورة الذى لم يقبل سوى منع الفصل التعسفى للنشاط النقابى مع تأجيل الموضوع حتى يصدر الدستور الجديد .

وفوجىء خالد يوما بأن بيانات قد وصلت مجلس القيادة تفيد بأن ضباط سلاح الفرسان ثائرون ... وكان خالد مقيما بينهم ويناقش معهم

بعض ما يدور داخل المجلس ··· وقرر المجلس (فصل خالد محيى الدين) ، ولكن ثروت عكاشة أبلغهم انه لا يضمن السلاح بعد فصل خالد ··· وهنا قرر المجلس التراجع عن قراره مع الزام خالد بوقف الاتصال مع أحمد فؤاد ، صلته في ذلك الوقت مع الحركة الشيوعية ··· ومع عقد اجتماعات الضباط الأحرار أو غيرهم ·

كانت التناقضات داخل المجلس تصل أحيانا الى حافة الصدام ··· وتميز بين الاتجاهات وتقرب بين أصحاب الآراء المتشابهة ·

وفى معظم الاجتماعات كان محمد نجيب يلحظ ان الموضوعات التي تعرض على المجلس يكون قد سبق مناقشتها بينهم قبل الاجتماع ، وتكون الأغلبية جاهزة ·· كما انه بدأ يلحظ ان اجتماعات قد بدأت تعقد دون حضـــوره ·

وتسرب الى نفسه شعور بأن فارق السن قد بدأ يلعب دورا بينه وبينهم ··· دون أن يلحظ أن هناك تناقضات ومصادمات تظهر بينهم · ولذا فانه عندما بلغه يوما أن ضباط سلاح الفرســـان وفى مقدمتهم خالد محيى الدين وثروت عكاشـــة غير راضين عن اسلوب العمل داخل مجلس القيادة ، وتصرفات جمـــال عبد الناصر الذى بدأ ينفـــرد بنفوذه ويشكل قوة خاصة داخل المجلس ·· وقال له المصدر الذى أبلغه ان خالد وثروت مستعدان لتأييده فى مواقفه داخل المجلس وخارجه ، أحس وقتها أن فخا ينصب له وانه على وشك الوقوع فى شرك ، وذلك كما يقول فى كتابه (كلمتى ··· للتاريخ) انه منذ اللحظة الأولى لم يطلب تأييد أحد منهم ولم يحاول تشكيل شـــلة من بينهم ، وخشى ان تورط فى الموافقة أن يكون ذلك دافعا لمزيد من الاثارة والتمزق ·

وقد دفعه هذا الاعتقاد الى الحذر ··· بـــل الحذر الشديد ··· مما دفعه الى ارتكاب خطأ ··· بل خطأ جسيم ·· اذ انه روى قصـــة الاتصال به كاملة داخل المجلس وكانت صدمته شديدة عندما تبين انه لم يكن هناك اتفاق مدبر بينهم للايقاع به فى شرك ، وان صراحته قد وضعت خالد وثروت فى حرج شديد ·

أثار نجيب هذا الموضوع بحسن نية أو سذاجة ، كشف عن حقيقة كامنة وهى ان الخلافات داخل المجلس لم تعـــد تتحرك بطريقة فردية ، وانما بدأت تأخذ طابعا آخر ، وتسلك سبيلا جديدا ·

وكان جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة يمارس عمله داخل المجلس وخارجه بتركيز شديد يعطى لياله ونهاره للاتصال بالضباط والسياسيين

ومناقشة المشاكل العامة والاستعداد لجلسات مجلس القيادة حتى ينتصر رأيه .

وكانت براعته فى اجتذاب بعض زملائه لجانبه والحصول بهم على الأغلبية التى يريدها ، أمرا لا يتوافر لأحد من زملائه ، الذين كثيرا ما كانت تفرقهم بعض المشاكل أو الاهتمامات الخاصة ، والذين لم يحدد أحد منهم طريقه أو رأيه الخاص وانما كان يندفع مع المجموعة فى حماس شديد ، تاركا التفكير لغيره .

كان جمال عبد الناصر أرصن زملائه شخصية ، وأقلهم كلاما ، وأحسنهم استماعا ، وأقدرهم على حل المشاكل بمهارة تكتيكية ملحوظة .

وتميز خلال هذه الفترة بمرونة فرضتها طبيعة الأحداث فهو لم يجمد عند رأيه الخاص بالديموقراطية والأحزاب مثلا ، وانما اختار طريق انفراد المجلس بالسلطة عندما وجده ممهدا ومحل استجابة أكبر من زملائه ... ولم يتشبث برأيه الذى أعلنه لضباط المدفعية من ان التحقيق مع زملائهم سوف يكون عن طريق ضباط من المدفعية يحاكمونهم أيضا ، وذلك عندما وجد فى هذه الخطوة ما يمكن ان يعرض كيان المجلس للخطر ... وهو يعيد قانون العمال ليناقشه المجلس ثانية عندما اعتقد أن استقالة خالد محيى الدين يمكن أن تحدث شيئا فى صفوف الجيش اذا تمت فى وقت واحد مع صدور الأحكام على رشاد مهنا وضباط المدفعية ... ويقابل حديث محمد نجيب عن خالد وثروت بالصمت دون تفجيره فى وقت غير مناسب .

وكما كان جمال عبد الناصر هو مركز حركة الضباط الأحرار ، وأكثرهم اتصالا بالضباط والقوى السياسية المختلفة قبل ٢٣ يوليو ... فانه ظل أكثرهم اتصالا بمختلف الضباط أيضا بعد الحركة ، مدركا أن قوته تأتى من صلته الوثيقة بزملائه فى مختلف الأسلحة .

ولكن استمرار هذه الاتصالات كان يشكل عبئا شديدا عليه فى وقت تضخمت فيه المسئوليات وتعددت الواجبات ، وتجاوزت مرحلة تكوين تنظيم الى مرحلة المسئوليات الكاملة عن مصر ... وكانت أحداث المدفعية وردود فعلها قد ضاعفت حذره من خطر انفجارات القوات المسلحة ، وفى ذهنه دائما ما حدث فى سوريا والعراق ، حيث ضاع بكر صدقى وحسنى الزعيم وسامى الحناوى بانقلابات تمت على يد بعض مرؤوسيهم .

واستقر رأيه على تعيين الصاغ عبد الحكيم عامر زميله وصديق عمره وأقرب زملائه لقلبه وأكثرهم اخلاصا ووفاء له ، حيث كانا يسكنان معا فى شقة واحدة قبل الزواج ، قائدا عاما للقوات المسلحة بدلا من محمد نجيب

الذى وصلت شعبيته الى درجة الخطورة على زملائه ، والذى كان حريصا على صلته بالجيش فقام بمئات الزيارات للوحدات منذ ٢٣ يوليو .

كانت الفكرة خطيرة وجريئة معا ... فان ترقية صاغ الى رتبة لواء هو أمر يتناقض تماما مع انضباط القوات المسلحة ، ويتنافر مع طبيعة الضباط الذين تمثل الأقدمية عندهم شيئا مقدسا .

وكان الاعلان عن هذه الفكرة بطريقة مجردة حريا بأن يقابل بالرفض والمعارضة من جانب محمد نجيب الذى عاش حياته جنديا يعتز بجنديته ... ورأى جمال عبد الناصر ان يربط هذه الخطوة الجريئة بخطوات أخرى تكون أكثر جاذبية لاهتمام الناس ، وتضعف من صلابة المقاومة عند محمد نجيب وزملائه فى مجلس القيادة .

ومن هنا كان الربط بين ترقية عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة وبين اعلان الجمهورية وتعيين محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر .

ولكن محمد نجيب لم يوافق ... اعترض ورفض ... وقال انه قاوم تعيين محمد حيدر قائدا عاما للقوات المسلحة لأنه كان بعيدا عن صفوف الجيش .. وهو يقاوم تعيين عبد الحكيم عامر قائدا للجيش لأنه ليس مهيأ لذلك :

ولم ييأس جمال عبد الناصر من تحقيق فكرته .. كرر عرض الموضوع على المجلس أكثر من مرة ، وتعرض محمد نجيب لتهجم بعض أعضاء المجلس ، ولكنه ظل يقاوم ثلاثة أسابيع كاملة ، حتى أذعن .

فكر محمد نجيب فى الاستقالة ، ولكنه لم يقدم عليها .. وهو يقول فى ذلك « أعترف أن هذا كان خطئى الكبير الذى وقعت فيه ، فقد شعرت بعد قليل اننى أصبحت فى مركز أقل قوة بعد ان تركت قيادة الجيش ». وقال لى زكريا محيى الدين ان قوتهم كأفراد يشكلون سلطة المجلس قد انتهت بتعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة .

أعلنت الجمهورية يوم ١٨ يونيه ١٩٥٣ وعين محمد نجيب رئيسا للجمهورية مع احتفاظه بمنصب رئيس الوزراء وتخليه عن منصبى وزير الحربية وقائد عام القوات المسلحة ... ودخل مجلس الوزراء عدد من البارزين فى مجلس القيادة ، حتى لا يثير تعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما الحسد والضيق فى نفوسهم .. فعين جمال عبد الناصر نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية ، وصلاح سالم وزيرا للارشاد ، وعبد اللطيف البغدادى وزيرا للحربية .

وكان أول قرار جمهورى وقعه محمد نجيب قرار تعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة بعد ترقيته الى رتبة اللواء .

قوبل هذا التعيين بمعارضة مكتومة ، ولكن دون تعبير ايجابى .. فلم يستقل من المئات من أصحاب الرتب الأقدم الذين قفز فوقهم عبد الحكيم عامر اللواء حسين محمود قائد السلاح الجوى .

كان وصول عبد الحكيم عامر الى مركز القيادة العامة للقوات المسلحة نقطة تحول هامة فى سيطرة أعضاء مجلس القيادة على الجيش بصورة عامة ، وسيطرة جمال عبد الناصر على أعضاء مجلس القيادة بصفة خاصة .

كان تعيين عبد الحكيم عامر هو نهاية اتصال أعضاء مجلس القيادة بالضباط زملائهم فى مختلف الأسلحة ... وقد استقر الأمر على ذلك بدعوى الحرص على الانضباط العسكرى ، بينما هو فى حقيقته قد انتهى الى عزلة هذه المجموعة من ضباط الجيش ، فلم يعودوا بقادرين على تحريك قواتهم السابقة الى مناقشة أمورهم بصفة قانونية .

وقد أصبحت اليد العليا فى السيطرة على القوات المسلحة هى يد جمال عبد الناصر الذى كان يثق ثقة شديدة فى صديقه عبد الحكيم عامر ، والذى كانت صفاته الشخصية تجذب الضباط اليه لروحه المرحة وطيبته وانسانيته ، رغم انه لم يكن يملك مواصفات قائد القوات المسلحة الذى يحتاج الى يقظة وعلم وخبرة وشخصية متماسكة .

وقد أدى هذا التعيين الى وضع خط فاصل بين ضباط الجيش وضباط القيادة ، كما وضع نهاية للانضباط الذى تفرضه الأقدمية ، ذلك أن الرتب الكبيرة كانت تشعر دائما انها تحت مراقبة ونفوذ بعض الضباط الأصغر رتبة والأكثر قدرة على الاتصال بالقائد الجديد وحاشيته .

وبلغ الأمر حدا جعل شمس بدران وهو ضابط برتبة الصاغ يتسلط على مصير القوات المسلحة ، ويمتهن أفراد الرتب الكبيرة ، فتضطر الى تحيته ، لأنه كان مديرا لمكتب القائد العام عبد الحكيم عامر .

انتهى تماما عهد الجيش النظامى التقليدى ، ولم يبدأ عهد الجيش الوطنى الثورى ... وانما بدأ عهد الجيش الذى يتم الاشراف عليه بصلات شخصية خفية .

ولم يتم التغيير دفعة واحدة ، وانما تم خلال مراحل من المصادمات ، أدت الى نقل بعض الضباط للعمل خارج الجيش ، والى دخول البعض منهم الى السجن ، كما سيأتى تفصيله فيما بعد .

وقد جعل هذا التغيير بذور الخلاف بين محمد نجيب وأعضاء المجلس تنمو في سرعة شديدة ...

وبينما كان محمد نجيب هو الذى أعلن عن تشكيل محكمة الثورة في خطاب عام بميدان الجمهورية الا أنه فوجىء بظهور اسم مصطفى النحاس في قائمة المعتقلين حيث حددت اقامته ، وكان محمد نجيب قد اعترض على ذلك ، لاعتقاده بأن النحاس قد أدى لمصر خدمات جليلة ، ولا يجوز تحديد اقامته وهو فى الرابعة والسبعين من عمره ، وشطب اسمه من الكشف فعلا ، ولكنه فوجىء باضافة اسمه عن طريق التزوير .

وعندما صدر حكم باعدام ابراهيم عبد الهادى ، صرح محمد نجيب لمندوبي الصحف بمعارضته للاعدام ، حتى لا يعدم دون علمه ... وقال لبعض أعضاء المجلس أنه يفضل أن يلتف حبل المشنقة حول عنقه دون أن يصدق على حكم الاعدام ... ثم سافر الى الاسكندرية منتويا عدم العودة احتجاجا على هذا (الانزلاق الخطير) - في رأيه - وبعد يومين أمضاهما في استراحة ثكنات مصطفى كامل حضر له جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وأبلغوه انه يمكن استبدال حكم الاعدام بالأشغال الشاقة المؤبدة .

الوحيد الذي وقف معه في المجلس ضد حكم الاعدام كان خالد محيى الدين .

وهكذا أصبحت المصادمات داخل مجلس القيادة أعلى صوتا ، محمد نجيب فى جانب ومعظم الأعضاء فى جانب آخر ... أقربهم اليه أصبح خالد محيى الدين الذى صاحبه فى رحلة لزيارة النوبة ، حيث التقت أفكارهما معا على أهمية الديموقراطية باعتبارها الحل الوحيد الذى يعطى للشعب حقه ويضمن التعبير على ارادته ، ويعيد الجيش الى واجبه الأصلى داخل الثكنات .

كانت رحلة النوبة هى بداية اللقاء الفكرى بين محمد نجيب وخالد محيى الدين .. ولكنه لقاء لم يتجاوز الحدود الفكرية الى آفاق تنظيمية .. فالاثنان معا كانا ضد فكرة تكرار الانقلابات العسكرية ، وكانا حريصين حرصا شديدا على عودة الجيش الى طبيعته ، وتحاشي الانفجارات والصدامات الدموية .

ولم يقف دخول الضباط الى الوزارة عند حد الثلاثة الذين دخلوا مع اعلان الجمهورية فقد أجبر نجيب على ادخال زكريا محيى الدين وزيرا للداخلية وجمال سالم وزيرا للمواصلات فى ٥ أكتوبر ١٩٥٣ بناء على قرار

مجلس قيادة الثورة اتخذ فى غيبته مع تفرغ جمـــال عبد الناصر لمنصب نائب رئيس الوزراء .

وكان التوتر بين محمد نجيب وجمال سالم فى الذروة ، الأمر الذى دفع جمال سالم الى ارتكاب مخالفة دستورية لم تحدث فى تاريخ مصر ، اذ رفض هو وزكريا محيى الدين أداء اليمين القانونية أمام محمد نجيب ..

وعندما وصل الخلاف بين محمد نجيب وأعضاء المجلس الى حد نبادل الاتهامات نبت اقتراح من أحد أعضاء مجلس القيادة بتدبير عملية اغتيال لمحمد نجيب ،ولكن عبد اللطيف البغدادى عارض هذا الاقتراح فى حسم شديد قائلا (.ان الثورة ستضيع اذا نفذ ذلك) .

ولم يكن محمد نجيب خصما عنيدا ... فهو رغم صراحته وشجاعته وبسالته فى حرب فلسطين كان لين الجانب فى معاملته مع زملائه ، ينظر اليهم كأبنائه أو أخوته الصغار ، لا يسلك أسلوبهم فى محاولة تجميع الضباط وتنظيمهم . معتمدا على سحر شخصيته وجماهيريته فى الجيش وخارجه .

ولكن هذا الموقف المتهاون من جانب محمد نجيب قد دفع الى تمادى أعضاء المجلس فى مهاجمته والاساءة اليه بالشائعات ... وتبدلت الحال تماما بعد ان كان جمال عبد الناصر يرحب به فى بلدته بنى مر أثنـــاء زيارته لها فى مارس ١٩٥٣ قائلا « باسم أبناء هذا الاقليم أرحب بك من كل قلبى وأعلن باسم جميع الفلاحين انا آمنا بك فقد حررتنا من الفزع والخوف وآمنا بك مصلحا لمصر ونذيرا لأعدائها » ، وعبد الحكيم عامر بقوله فى قريته اسطال « ها هو بلدى يبايعك وها هم أولاد رجاله أمامك أقوياء أشداء يعاهدونك على السير معك وثقين بك ومؤمنين » ...

وبعد أن قال صلاح سالم فى المحلة الكبرى يوم ٢٢ يونية « يقول البعض أنه كان يجب انتخاب رئيس الجمهورية انتخابا شعبيا وأعتقد وكلكم تعتقدون أن محمد نجيب قد نجح فى أكثر من انتخاب ولقد سار فى كل ركن من أركان هذه الدولة والتف حوله ملايين من البشر » .

هذه أمثلة محدودة مما قاله أعضاء المجلس عن محمد نجيب ، ولكن الأمور بينهم تدهورت بسرعة الى درجة التفكير فى اغتيـــاله ، واحراجه باتخاذ القرارات فى غيابه ، والاساءة اليه بين حين وآخر .

ولم يكن محمد نجيب وحده قادرا على مواجهة هذه الموجة العنيفة من الكراهية التى بدأت تثور ضده وتحاصره ، فهو بطبيعته كان مفتوحا على الجميع ، لا يدبر شيئا فى الخفاء ويرفض الانزلاق الى المؤامرات ...

وكان حظه سيئا مع زملائه في المجلس ، كلما تحدث مع واحد منهم بصدر مفتوح أسرع بنقل حديثه الى جمال عبد الناصر فأظهره بمظهر العــداوة والتربص ·

كانت الظروف تندفع دفعا الى نقطة الصدام بين محمد نجيب وأعضاء المجلس ··· وتوافرت عوامل أخرى جعلت لهذا الصدام فرقعة شديدة داخل الجيش وبين الجماهير ·

وهو ما نتحدث عنه فيما يلي عن الأزمة التي كانت بمثابة (الصدام الأخير) ·

الفصل السادس عشر

الصـــدام الأخير

لم يكن الصدام الأخير مع فئة واحدة من الفئات السابقة ، ولكنـــه كان معها كلها مجتمعة ٠

لم تكن الخطوات الادارية أو السياسية التى اتخذت قد انهت حيـاة الاقطاع أو الأحزاب أو الشيوعية أو الاخوان ٠٠٠ ولم تكن قد جولت ضباط الجيش الى فئة من المطيعين المستسلمين ٠

كانت كل هذه الفئات قد انحنت للعاصفة ، تنتظر الفرصة المناسبة للطعن مرة أخرى ٠٠٠ بدأ فبراير ١٩٥٤ وحركة الجيش مثل المريض الذى بدأت تظهر عليه عوارض أمراض مختلفة كانت جراثيمها كامنة تتحين الفرصة المناسبة لحالة ضعف عام فى الجسم ٠

كان أخطر ما تعانى منـه حـركة الجيش ، التناقض الداخـلى بـين الضباط ، وتوتر الموقف بين محمد نجيب وأعضاء المجلس ٠٠٠ فى وقـت امتلأت فيه السجون بزعماء الأحزاب والشوعيين والاخوان المسلمين ؟

كانت جهات الصدام قد تعددت ، وأصبح التركيز على وحـد منهـا أمرا متعذرا ٠

وانفجر الموقف عندما وجد نجيب أن استمراره رئيسا للجمهوريـة ورئيسا لمجلس قيادة الثورة أصبح أمرا مستحيلا بعـد أن وصلت الامور الى حالة يصعب علاجها ولا يملك وحده ــ على حد تعبيره ــ القـدرة على الفصل فيها ٠

قرر محمد نجيب الاستقالة ... بعد صبر طويل على تحمل معاملة زملائه له ، وهو يبرر ذلك بحرصه على عدم سقوط حركة الجيش فريسة للديكتاتورية ، وتصوره ان وجوده يمكن ان يحقق الديموقراطية .

ولا يمكن اعفاء محمد نجيب من المشاركة الايجابية فى كل ما اتخذته حركة الجيش من قرارات ضد الحرية والديموقراطية ... هو الذى وقع قرارات الاعتقال واعدام خميس والبقرى واصدر قوانين الغاء الدستور وحل الأحزاب وتشكيل محكمة الثورة .

ولكنه مع ذلك كان حاجزا ضد جموح أعضاء المجلس الذين أصروا على اعدام البكباشى حسن الدمنهورى وعارض هو ... واعلنوا حكم الاعدام على ابراهيم عبد الهادى ورفض التصديق .. واعترض على عمليات الضرب والارهاب التى تعرض لها الضباط يوم دخلوا السجن بملابسهم ورتبهم العسكرية .

قدم محمد نجيب استقالته فى كلمات محدودة ... أرسلها الى كمال الدين حسين باعتباره سكرتير مجلس قيادة الثورة الذى كان يسجل قراراته .

ولم تكن الاستقالة تعنى انسحابا هادئا من الحياة العامة ... ولكنها كانت تعنى فى مضمونها انهاء لأعمال مجلس قيادة الثورة واقالة لأعضائه ... فقد ارتبطت الجماهير البسيطة بشخصية محمد نجيب التى امتلكت الشارع ووجد الكثيرون فيها حلقة انقاذ لهم من طوفان ديكتاتورية عسكرية تقترب عند الأفق .

والواقع انها قدمت بعد احتمال محمد نجيب لكثير من العبث والتصرفات الصغيرة ... كانت الرقابة تحذف ما يدلى به من تصريحات .. والاذاعة لا تذيع كلماته الا اذا كانت على الهواء ... والمباحث العسكرية تطبع منشورات تشكك فى موقفه ... والشائعات تدبر ضده فى الجيش وخارجه .

كل الأجهزة الحساسة لم تكن فى قبضة محمد نجيب ... قيادة الجيش والداخلية ووزارة الارشاد وهيئة التحرير ... جميعا كانت فى ايدى أعضاء المجلس ... ومعظم الذين احاطوا به من الضباط كانوا مزروعين حوله يبلغون أخباره وتحركاته .

لم يعتمد محمد نجيب الا على شعبيته ... لم يرتبط بتنظيم داخل الجيش ... ولم يعقد اتفاقيات خاصة مع القوى والأحزاب السياسية

المختلفة ... ولم يكن له نداء معروف سوى الديمقراطية وعودة الجيش الى الثكنات وهو ما قاله صراحة أمام الضباط في ناديهم في ديسمبر ١٩٥٣ .

ولذا كانت الاستقالة بمثابة الاختبار لقوة محمد نجيب في مواجهة المجلس ... وامتحانا لارادة الشعب .

ما ان ذهب محمد نجيب الى منزله بعد تقديم الاستقالة حتى فوجيء بأن التليفون لم يعد صالحا للعمل .

وظهرت الجرائد في صباح ٢٥ فبراير تحمل هذه المانشيتات :

اجتماع هام مفاجيء لمجلس الثورة .

تعيين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء .

قبول استقالة محمد نجيب من جميع الوظائف التي يشغلها .

منصب رئيس الجمهورية يظل شاغرا حتى تعود الحياة النيابية الى البلاد .

وكان مجلس قيادة الثورة قد أعلن هذه الأخبار ضمن بيان وزعه على الصحف في الرابعة صباحا ... ولم تكن قرارات المجلس بالاجماع فقد اعترض عبد اللطيف البغدادي وخالد محيي الدين على قبول الاستقالة ، وأعلن خالد انه سيقدم استقالته بعد أسبوع .

وجاء في البيان ما يفيد بأن محمد نجيب تحرك الى مقر القيادة ليلة ٢٣ يوليو بعد مكالمة مرتضى المراغي ، وأنه لم يضم الى مجلس القيادة الا يوم ١٥ اغسطس ، وان جمال عبد الناصر قد تنازل له عن رئاسة مجلس القيادة لمدة عام واحد رغم انه كان منتخبا ، وأن محمد نجيب يطالب بسلطات أوسع وبحق النقض لقرارات المجلس .

وكان اعلان الاستقالة صدمة للجماهير التي لا تعرف ما يدور في كواليس السياسة والتي ارتبطت بمحمد نجيب واحبته منذ اليوم الأول للثورة ... ولم تجد كلمات البيان صدى عند الجماهير لانها رأت محمد نجيب يتصدر الحركة منذ لحظتها الأولى ويوقع بيانها الأول ، ويعرض نفسه لاحتمالات الانقضاض على الحركة من جانب الملك أو القوات البريطانية .

وعقب استمرار (مجلس قيادة الثورة) على هذا الرأى وتوزيع البيان على الصحف قام عبد المحسن أبو النور قائد الحرس الجمهوري بعمل خدعة

لقائد الحرس عند منزل محمد نجيب أبعده بها عن المنزل واستبدل القوات التى كانت تحرس المنزل ونزع أسلحتها ٠

أصبح محمد نجيب معتقلا فى منزله ٠٠٠ ونشرت الصحف فى اليوم التالى نبأ استقالة أديب الشيشكلى ديكتاتور سوريا ومغادرته لها وتولى هاشم الاتاسى رئاسة الجمهورية ٠

كان توافقا غريبا فى التوقيت ٠

وفى اليوم التالى صدرت الصحف تحمل بيانات من مجلس قيادة الثورة وتصريحات من صلاح سالم وزير الارشاد ٠

البيانات تقول ان محمد نجيب طلب عدم مقابلة السفراء الأجانب مطلقا ٠٠٠ وكان هذا صحيحا لأنه وجد فى ذلك اعتداء على مسئولية وزير الخارجية ــ حسب روايته ــ ٠

وتصريحات صلاح سالم كانت مثيرة ٠٠٠ حيث قال ان محمد نجيب قد توعده أمام الصحفيين لانه منع نشر تصريح له ٠٠٠ وأنه سلم نفسه للسجن الحربى هربا من متاعب محمد نجيب التى خلقها له فى الاذاعة . حتى ذهب له حسين ذو الفقار صبرى وعدد من الضباط أخرجوه من هناك ٠

وصدر بيان ثالث لشعب السودان جاء فيه « الثورة ليست ثورة نجيب ولا ثورة جمال أو صلاح ٠٠ العلاقة المقدسة تربط بين شعبينا الخالدين ، وما الحاكمون الا أدوات موقوتة زائلة » ٠

لم تترك هذه البيانت والتصريحات أثرا فى نفوس الناس ٠٠٠ وبدأت سلسلة من ردود الفعل فى مختلف المواقع ٠٠٠ داخل الجيش وفى الشارع ٠٠٠ فى القاهرة والأقاليم ٠٠٠ وفى مصر والسودان ٠

أقوى ردود الفعل وأسرعها كان فى سلاح الفرسان ، حيث كانت الأفكار الديموقراطية تجد مجالا خصبا للنمو ، كنتيجة لوجود خالد محيى الدين ضابطا لمخابرات السلاح ، وثروت عكاشة أركان حرب السلاح وهو المعروف بصلة النسب التى تربطه بأحمد أبو الفتح رئيس تحرير (المصرى)٠

خلال الفترة السابقة لم تخمد تطلعات أفراد السلاح للديموقراطية ورفع قبضة مجلس القيادة القوية عن الجيش ٠٠٠

وأثناء نظر مجلس القيادة فى استمرار مشروع (النقطة الرابعة) الأمريكى ، اشترى ضباط الفرسان عشر نسخ من كتاب (النقطة الرابعة) تأليف الكاتب الصحفى أحمد بهاء الدين ، واتصل به بعضهم لمقابلة خالد

محيى الدين وثروت عكاشة حيث فهم من المقابلة ان مشروعا معرضا على القيادة وان ضباط الفرسان يريدون أن يشكلوا مجموعة ضغط عن طريق مناظرة ينتصر فيها رفض المشروع ٠

وعندما اختلف ثروت عكاشة مع صلاح سالم بعد نشره مقالا فى مجلة التحرير بمناسبة مرور عام على الثورة لم يذكر فيه شيئا عن صلاح سالم ، واذاعة الأخير لبيان قال فيه ان مجلة التحرير لا تعبر عن الثورة ٠٠٠ قرر مجلس القيادة وضع مجلة (التحرير) تحت الرقابة شأنها شأن سائر المجلات ولكن ثروت عكاشة رفض تنفيذ القرار وقدم استقالته بعد اجراء عنيف تمثل فى ذهابه الى دار الهلال حيث كانت تطبع المجلة ، وحطم الرصاص وسحب المقالات ٠٠٠ الأمر الذى أدى الى صدورها من دار أخبار اليوم بواسطة الاشراف المباشر لأنور السادات بمعاونة مصطفى بهجت بدوى مدير ادارة المجلة ٠٠٠

وكادت استقالة ثروت تؤدى الى حركة من جانب ضباط الفرسان لولا وجود خالد محيى الدين وقبول ثروت العمل ملحقا عسكريا فى باريس دون خلاف ٠٠٠ ولكنها كانت اضافة لعوامل الرفض فى نفوس ضباط الفرسان ٠

كان اليوم التالى لاعلان استقالة محمد نجيب يوم جمعة ٠٠٠ ومع ذلك فقد دعا ضباط سلاح الفرسان الى اجتماع عام لم يحضره خالد محيى الدين ولا ثروت عكاشة الذى قد عين ملحقا عسكريا فى باريس ٠٠٠ وحضر حسين الشافعى فطالبه الضباط بعودة محمد نجيب والحياة الديموقراطية ولما عجز عن اقناعهم ، حضر جمال عبد الناصر ٠

الظاهرة الواضحة فى هذا الاجتماع الذى بدأ فى السابعة مساء كانت تدفق الضباط عليه وظهور نغمة نقد من الضباط العاديين للضباط الأحرار لانهم تركوا الامور تتردى الى هذا الحد ٠

ووصل جمال عبد الناصر الى ثكنات السوارى فى السابعة والنصف مساء ، وهو الوقت الذى تعود فيه الدبابات المكلفة بحراسة شرق القاهرة الى المعسكر لتغادرها فى الصباح ٠٠ وقد تصور جمال وهو يسمع صوتها دون تعليق انها تتحرك لعمل انقلاب عسكرى ٠

عرض جمال عبد الناصر فى هذا الاجتماع خطوات الثورة وما قامت بتحقيقه ٠٠٠ ولكنه فوجىء بنقد قاس من الضباط موجه الى تصرفات مجلس القيادة السياسية وتصرفات بعض أعضائه الشخصية ٠

كانت هناك عدة محاور للمناقشة :

١ ـ الشكل الديموقراطى للتعبير عن ارادة الشعب المصرى .

٢ ـ المدى الذى يتدخل به الجيش فى شئون الحياة اليومية ، وموعد عودته للثكنات لاداء دوره الطبيعى فى خدمة الوطن .

٣ ـ تاثير عزل محمد نجيب على اتفاقية السودان ، وكان ابن محمد نور الدين الزعيم السودانى والضابط بالسلاح قد أعلن أن الشعب السودانى عاطفى وان عزل محمد نجيب سيؤدى الى انتصار حزب الأمة .

وكان هناك أيضا هجوم شديد بالأمثلة على تصرفات بعض أعضاء المجلس فى النواحى المادية والشخصية والنسائية .

وتحول الهجوم الى عاصفة شديدة لم يستطع جمال عبد الناصر مجابهتها الا بقوله (أنا شخصيا لا مثالب عندى) وصور اسلوب حياته الخاصة .. واستمر الاجتماع حتى الثالثة بعد منتصف الليل ، حيث طلب جمال عبد الناصر العودة للمجلس لاستتشارته والحضور مرة أخرى .

وكان خالد محيى الدين قد وصل الى مبنى القيادة بعد عودته من حفلة السواريه فى احدى دور السينما واستدعائهم له .. ويقول انه وجد وجوها جامدة أحس فى تضاريسها بالكراهية ولم يكن قد بلغه بعد ما دار فى سلاحه .

وروى لهم جمال عبد الناصر قصة اجتماع السوارى ، وأشار الى صوت الدبابات قائلا انها كانت تتحرك أثناء الاجتماع ... ودارت مناقشة قصيرة للخروج من المأزق ومجابهة الموقف .

حسمها جمال عبد الناصر باقتراحات محددة هى تولى خالد محيى الدين رئاسة الحكومة والعمل بسرعة على عودة الحياة الدستورية ، وذلك لفقدانهم الثقة فى محمد نجيب وعدم رغبتهم فى التعاون معه .

واعترض خالد على هذا الاقتراح قائلا انه لا يقبل البقاء وحده ... ولكن جمال عبد الناصر قال ان البلد تريد محمد نجيب ونحن لا نستطيع مقاومة التيار .. وتمت موافقة المجلس على الاقتراح بعد تحذير كمال الدين حسين لخالد من عدم تحويل البلد الى شيوعية ، وبعد قبول عبد الحكيم عامر للبقاء مع خالد محيى الدين لفترة محدودة يستقيل بعدها أيضا .

وذهب جمال عبد الناصر مع خالد محيى الدين الى الضباط المجتمعين فى السوارى ، والذين لم يغمض لهم جفن طوال الليلة ... وكانت الساعة قد بلغت الثالثة صباحا تقريبا .

وأعلن جمال عبد الناصر ان المجلس وافق على ما يأتى :

١ ـ حل مجلس قيادة الثورة ٠

٢ ـ عودة محمد نجيب رئيسا لجمهورية برلمانية ٠

٣ ـ يشكل خالد محيى الدين حكومة انتقال لمدة ستة شهور ٠

٤ ـ تجرى الحكومة انتخابات لجمعية تأسيسية لتضع دستورا دائما ٠

٥ ـ يعود أعضاء مجلس قيادة الثورة الى وحداتهم ٠

ضجت القاعدة بتصفيق شديد ، وضاعت محاولات الكلام فى ضجة الموافقة وخرج جمال عبد الناصر من سلاح الفرسان مع خالد محيى الدين ٠

وتوجه خالد محيى الدين مع اليوزباشى شمس بدران وضابط آخر الى منزل محمد نجيب لابلاغه بقرار مجلس قيادة الثورة ٠٠٠ وقد رحب محمد نجيب بالقرار ترحيبا شديدا وكانت علاقته بخالد قد أصبحت علاقة وثيقة على خلاف علاقته ببقية أعضاء المجلس ٠

وعندما عاد خالد محيى الدين الى القيادة كانت معالم الصورة تتغير تدريجيا ، فان ضباط الصف الثانى المحيطين بمجلس القيادة رفضوا الاستجابة لقرار مجلس قيادة الثورة وعودة الضباط الى الثكنات ، فحملوا السلاح وتملكتهم حالة هستيرية ، وتصرفوا تصرفات فردية ٠٠ وحاول بعضهم الاعتداء على خالد محيى الدين فمنعهم عبد الحكيم عامر وجمال سالم ٠

ورفض هؤلاء الضباط تسليم بيان مجلس القيادة الى مندوب الاذاعة الذى حضر فى السابعة والنصف صباحا ٠

كان يحمل لواء المعارضة للقرارات البكباشى احمد أنور قائد البوليس الحربى والصاغ مجدى حسنين وقائد الجناح وجيه أباظة واليوزباشية كمال رفعت وحسن التهامى ومحمد أبو الفضل الجيزاوى والصاغ سعد زايد وغيرهم من الضباط الذين خرجوا عن حدود الانضباط وبدأوا يهاجمون أعضاء المجلس الذين اتخذوا هذا القرار ٠

وفى مكتب عبد الحكيم عامر ارتفعت ضجة النقاش وتبين خطر الصدام المسلح ٠٠٠ ووقف عامر فوق مكتبه شاهرا سلاحه مهددا بالانتحار اذا حدث قتال بين أسلحة الجيش ووحداته ٠

ومع ذلك لم يرتدع ضباط الصف الثانى ، وتحركوا تلقائيا لتنفيذ رغباتهم دون تنسيق ··· بعض ضباط المدفعية أحضروا المدفعية المضادة للدبابات وحاصروا سلاح الفرسان من جهة الشارع ، وجنود احدى كتائب مدافع الماكينة وجهت مدافعها نحو اسلاك السلاح من داخل ثكنات العباسية وحول البوليس الحربى مسار عربات واتوبيسات سلاح الفرسان ، واعتقلوا من بها من الضباط ·· واخرج على صبرى ووجيه أباظة الطائرات لتحلق فوق سلاح الفرسان ·

فوجىء ضباط الفرسان بهذه التغييرات المفاجئة وحاول البعض منهم تفادى صدام دموى مسلح فذهبوا لمناقشة أعضاء القيادة ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك فقد اعتقلوا ومنعوا من العودة ·

ولم تقف التصرفات الذاتية لضباط الصف الثانى عند هذه الحدود ··· بل ان اليوزباشية كمال رفعت وداود عويس اتجها الى منزل محمد نجيب دون أوامر لاعتقاله ولما اعترضهم الحرس اتصلوا بصلاح نصر قائد كتيبة الحرس الجديد فأذن لهما بالدخول ·

كان الوقت فجرا ومحمد نجيب فى فراشه عندما دخلوا عليه وطلبوا منه أن يلبس للخروج معهما ··· واعترض نجيب قائلا ان صلاح سالم أبلغه تليفونيا بقرارات المجلس وان خالد محيى الدين قد زاره شخصيا منذ حوالى الساعة ··· وطلب الاتصال تليفونيا بأحدهما ولكن كمال رفعت رفض ذلك ·

وخرج محمد نجيب من داره مرغما وهو يتساءل عما إذا كان معتقلا ، وعن الوجهة التى يقصدونها ··· ولكنه لم يتلق جوابا شافيا ·

وتحركت العربة الملاكى الخاصة الى ميس المدفعية بالماظة وكان اليوم شديد البرودة ، فطلب محمد نجيب الجلوس فى الشمس ولكنهم اصروا على استبقائه فى احدى الغرف حتى لا يشاهده الجنود ·

وترك كمال رفعت محمد نجيب فى ميس المدفعية مع أركان حرب السلاح الصاغ أبو اليسر الأنصارى وعاد الى مبنى القيادة ليبلغ عبد الحكيم عامر الذى ثار عليه وانبه هو وصلاح نصر قائد كتيبة الحرس ··· وأرسل اليوزباشى حسن التهامى للافراج عن محمد نجيب واعادته الى منزله ·

وفى طريق العودة لم تستطع العربة الجيب العسكرية ان تسلك طريقا جانبيا مهجورا وغير معبد · واعتقد محمد نجيب انهم سيطلقون عليه الرصاص من ثبات ضرب النار التى يمر بها هذا الطريق ·· وقال لحسن التهامى أنه لا يهاب الموت ولكن دمه سوف يظل لعنة عليهم ·

ووصل محمد نجيب الى منزله سالما بعد يوم عصفت بنفسه التوقعات المختلفة ، وكسرت فيه قواعد الاحترام لرئيس الجمهورية وتمزقت نهائيا وحدة الضباط الأحرار ٠

ولم يكن رد الفعل الوحيد لاستقالة محمد نجيب قاصرا على ما حدث في سلاح الفرسان ٠٠٠ ولكنه كان موقفا ضمن عدة مواقف أخرى ٠

ضباط المنطقة الشمالية في الاسكندرية عارضوا استقالة محمد نجيب فور اعلانها ، وكانوا قد عبروا عن رأيهم في ضرورة ابقاء محمد نجيب رئيسا للجمهورية وعدم التهجم عليه في اجتماع عقده حسن ابراهيم معهم في نادى الضباط موفدا من مجلس القيادة ، وحاول فيه الاساءة الى محمد نجيب بأحاديث شخصية اعترض عليها أحد ضباط الفرسان (اليوزباشى أمال المرصفى) عضو تنظيم قسم الجيش في حدتو سابقا ، وايده جميع الحاضرين بالتصفيق ٠

كان مجلس القيادة قد أوفد البكباشى صلاح الدين مصطفى الملحق العسكرى الذى استشهد فى عمان بعد ذلك للتعرف على رأى ضباط الاسكندرية ٠٠٠ وقد صارحناه وقتها بأننا لا يمكن ان نقف ضد الحرية والديمقراطية التى ينادى بها محمد نجيب والتى خرجنا من أجلها ليلة ٢٣ يوليو ٠

كان موقف أغلبية ضباط الاسكندرية حاسما وواضحا في تأييد محمد نجيب ٠

وتجاوزت ردود الفعل حدود الجيش ٠

عمت المظاهرات شوارع الخرطوم وبعض مدن السودان تهتف (لا وحدة بلا نجيب) وكان محمد نجيب قد أصبح رمزا للوحدة عند السودانيين فمدة خدمته الطويلة هناك ، ودفن والده وخاله الضابطين بالجيش في السودان ، وعلاقته الوثيقة ومعرفته بكثير من الزعماء والبسطاء هناك جعلت منه شخصية شعبية محبوبة في السودان كما فى مصر ٠

وخرجت المظاهرات أيضا فى القاهرة تهتف بحياة محمد نجيب منذ الصباح الباكر ٠

وفى الوقت الذى احاطت فيه قوات الجيش بسلاح الفرسان وتم اعتقال عدد كبير من ضباطه بلغ الأربعين ٠٠٠ وبدأ الأمر كما لو ان مجلس الثورة قد انتصر تماما ، عقد اجتماع فى ظهر ذلك اليوم اقترح فيه صلاح سالم وجمال سالم وحسن ابراهيم وكمال حسين وأنور السادات اخراج

خالد محيى الدين من المجلس واعتقاله ··· وطالب البعض بتحديد اقامته في مرسى مطروح بينما طلب عبد الحكيم عامر تسفيره للخارج ·

الوحيـــد الذى عارض اتخاذ اجراء ضـــد خالد محيى الدين كان عبد اللطيف البغدادى الذى قال ان خالد لم يخف آراءه عنا وكان معروفا ان له آراء مختلفة وقد طلب أن يستقيل وقد رفضنا ·

وحسم جمال عبد الناصر المناقشة بقوله ان القضية ليست قضيـة خالد محيى الدين ولكنها قضية محمد نجيب ، فاذا تقررت عودة محمد نجيب فلا بد من عودة خالد أيضا ·

وبدأت مناقشة موضوع محمد نجيب ··· وكان قد تقرر تشكيل محكمة من جمال سالم والبكباشى أحمد أنور والصاغ أحمد عبد الله لمحاكمة ضباط الفرسان المعتقلين والذين نقلوا الى مقر البوليس الحربى فى محطة مصر ·

وأثناء الاجتماع اتصل أحـد ضباط الفرسان (يوزبـاشى محمـود حجازى) بعبد الحكيم وأبلغه أنه اذا لم يفـرج عن كل الضباط المعتقلـين فان الدبابات المحاصرة ستوجه نيرانها على مبنى القيادة ··· وليحدث بعد ذلك ما يحدث ·

وكانت المظاهرات تزداد انتشارا فى شوارع القاهرة وتهتف (لا ثورة بلا نجيب ··· الى السـجن يا جمـال ··· الى السـجن يا صـلاح) ··· ومناقشات مجلس القيادة فى مصير محمد نجيب مستمرة لا تنقطع ·

وعند الثالثة بعد الظهر كان الارهاق قد استبد بجميع أعضاء المجلس بعد ليلة مرهقة حافلة بالأحداث ، فقرروا رفع الجلسة للنوم أربع ساعات ··· وطلب منهم جمال عبد الناصر تفويضا بالتصرف اذا ساءت الأمور خلال هذه الساعات ، فوافقوا على ذلك ··· وكان هو الوحيد الذى بقى فى مقر القيادة بعد أن ذهب الجميع لخطف وقت للراحة ··· وكانوا خلال هذه الفترة لا ينامون فى منازلهم ·

وما هى الا برهة قصيرة حتى كانت الأخبار تتلاحق على مجلس قيادة الثورة ··· وكالات الأنباء تحمل أخبار مظاهرات السودان ··· البكباشى صلاح مصطفى يصل من الاسكندرية حاملا موقف ضباطها تأييدا لنجيب ··· وأخيرا عودة صلاح سالم وقد صدمه منظر المظاهرات تملأ الشوارع أمام قصر عابدين وهو فى طريقه الى منزله ·

وقال صلاح سالم لجمال عبد الناصر الذى كان يجلس وحيـدا فى

الغرفة ... « أما ان ينـزل الجيش لتفريـق المظاهـرات وأما أن يلتهب الموقف » .

ولم يجب جمال عبد الناصر .. الذى جلس فى صمت وقد وضـع رأسه بين يديه .

وتابع صلاح حديثه « أعتقد انه لا بد من عودة نجيب » .

وظل جمال عبد الناصر صامتا لا يجيب .

وقال صلاح سالم « سأبلغ الخبر للاذاعة » .

واستمر صمت جمال عبد الناصر .

وكرر صلاح عبارته فى الحاح .

ولم ينطق جمال عبد الناصر ... ظل محتفظا بصمته وأفكاره .

ولم يجد صلاح سالم بدا من تبليغ الاذاعة بخبر عودة محمد نجيب .

وفوجىء أعضاء المجلس فى منازلهم ببيان تذيعه الاذاعة فى السادسة من مساء ٢٧ فبراير ١٩٥٤ يقول « حفظا على وحـدة الأمة يعلـن مجلس قيادة الثورة عودة الرئيس اللواء محمد نجيب رئيسا للجمهورية وقد وافق سيادته على ذلك » .

وصحب هذا البيان بيان آخر تكررت اذاعته « تعلن قيادة الثورة ان أى اخلال بالأمن فى أنحاء البلاد سيقابل بكل شدة وعنف » .

عاد محمد نجيب رئيسا للجمهورية .

التمزق الذى حدث فى صفوف الجيش .. والتأييد الشعبى الجارف فى مصر والسودان .. وعجز مجلس القيادة عن اتخـاذ قرار أمام تتابـع الأحداث .. كانت هى العوامل التى أعادت محمد نجيب ، وأبقت خالد محيى الدين عضـوا فى مجلس قيادة الثورة .

عاد محمد نجيب عودة المنتصر .

ونشرت صحف الصباح ٢٨ فبراير بيانا على لسانه قال فيه :

« أرى من واجبى أن ابـين لاخوانى وأبنائى المصريين والعرب التى استقلت من منصبى بمحض ارادتى مقتنعا بأن مجلس الثورة هو الهيئة التى تركزت فيها غاياتنا العليا ، ورسمت أهداف الثورة السابقة التى ترمى الى رفعة الوطن واستقلاله ، وما أقدمت عـلى هذه الاسـتقالة الا لكى أتيـح

لاخوانى أعضاء المجلس الفرصة للعمل على تحقيق هذه المبادىء والعمل على طرد العدو الغاصب الذى مازال يحتل جزءا من أرضنا الطاهرة وانى لاهيب بالمصريين المخلصين والعاملين ان يتحدوا صفا واحدا خلف اخوانهم واخوانى أعضاء مجلس قيادة الثورة ، يعملون معهم جاهدين لتحقيق الأهداف السابقة » ٠

لم تكن عودة محمد نجيب هزيمة لطرف من الأطراف ، وانتصارا للطرف الآخر ٠٠٠ ولكنها كانت توفيقا فرضته الظروف الحساسة المتوازنة ، وبداية رحلة جديدة من المواجهة الصريحة والمستترة ٠

التناقضات القديمة تراكمت وكادت تتحول الى صدام مسلح بين قوات الجيش ، لولا الحرص الشديد على تجنب اراقة الدماء ٠

ويبدأ محمد نجيب يومه الأول بعد العودة بالذهاب الى قصر عابدين حيث تدفقت المظاهرات رغم بيان المجلس الذى تكررت اذاعته عدة مرات ٠٠ وحدث اصطدام بينها وبين البوليس أدى الى أصابة ١٣ متظاهرا ٠ حمل المتظاهرون قمصانهم الملوثة بالدماء يلوحون بها الى محمد نجيب الذى خرج يخطب فيهم من شرفة قصر عابدين ٠٠٠

وعندما لمس نجيب هياج الجماهير وارتفاع هتافات الاحتجاج ضد الاعتداء عليهم . استدعى اليه فى الشرفة عبد القادر عودة أحد زعماء الاخوان المسلمين ليهدىء من ثائرة المتظاهرين ، وخطب فيهم قائلا انه لم يقبل العدول عن الاستقالة الا من أجل الحرية والديموقراطية والانتخابات البرلمانية ٠

وابلغ محمد نجيب النائب العام للتحقيق فى حادث الاعتداء على المتظاهرين ٠

وفى اليوم التالى ٠٠٠ أول مارس ١٩٥٤ ظهرت الصحف وفيها أخبار القبض على ١١٨ شخصا بينهم عبد القادر عودة وأحمد حسين ، كما تقرر ايقاف الدراسة فى الجامعات الثلاث الى نهاية الأسبوع ، حيث كانت المظاهرات قد اجتاحتها أيضا ٠

وسافر محمد نجيب فى نفس اليوم الى السودان لحضور افتتاح البرلمان السودانى بناء على ارتباط سابق ٠٠٠ مع صلاح سالم وأحمد حسن الباقورى ٠

كان موعد السفر غير مناسب اطلاقا فالأمور لم تهدأ بعد فى مصر ، وكثير من المشاكل كانت تحتاج الى حل ومواجهة ٠

وكانت هناك فى الخرطوم مفاجأة شديدة ·

جماهير حزب الأمة احتشدت فى المطار والشوارع المؤدية اليه تعلن ارادة الانتصار بعد انتصار الحزب الوطنى الاتحادى فى الانتخابات وتعيين اسماعيل الأزهرى رئيسا لوزارة السودان هاتفة (لا مصرى ولا بريطانى ··· السودان للسودانى) ·

ورغم ان الصديق المهدى كان فى استقبال محمد نجيب فى المطار ، الا ان المظاهرات أخذت شكلا معاديا ، واصطدام الجماهير بالبوليس أفسد مظهر الاحتفال بافتتاح البرلمان السودانى وحاصر المدعوين فى أماكنهم ··· وكان محمد نجيب فى القصر الجمهورى يحاول الاتصال عبثا بالسيد عبد الرحمن المهدى ، واجتمع بالسفراء العرب لمناقشة طبيعة المظاهرات فاجمعوا على ان استفزازات البوليس قد (شوهت الموقف وحولته الى مجزرة) ·

وغادر الخرطوم مع الفجر محمد نجيب وزملاؤه ، كما غادرها أيضا سلوين لويد الوزير البريطانى ولم يفتتح البرلمان السودانى ·· وقد حكمت المحكمة العليا التى كان يرأسها قاض بريطانى بعد ذلك باعدام عوض صالح رئيس تحرير جريدة الأمة ومدير دائرة عبد الرحمن المهدى وبالسجن المؤبد على الصحفى على مرابح بالجريدة ، وأربع سنوات على عبد الله عبد الرحمن نقد الله سكرتير عام منظمات الأنصار ·· وقد خففت محكمة الاستئناف بعد ذلك حكم الاعدام الى المؤبد ، وحكم المؤبد الى عشر سنوات ·

وبعد عودة محمد نجيب استمرت حركات الاعتقال ··· فتم يوم ٣ مارس اعتقال ٤٥ من الاخوان ، ٢٠ من الحزب الاشتراكى ، ٥ وفديين ، ٤ شيوعيين ·· وصدر قرار باستمرار اغلاق الجامعة لمدة أسبوع آخر ·

كان هذا دليلا على أن عودة محمد نجيب لم تكن استقرارا للوضع ، ولكنها كانت فرصة لالتقاط الانفاس للتناطح من جديد ·

طالب محمد نجيب باطلاق سراح المعتقلين ، وتحقيق النيابة مع المسئولين عن جرحى المظاهرات ·· وصرح فى مؤتمر صحفى حضره عدد كبير من مندوبى وكالات الأنباء والصحفيين الأجانب الذين توافدوا على مصر بعد الأحداث الأخيرة « اننى لا أرضى أن أكون رئيسا للجمهورية فى بلد غير ديموقراطى وغير برلمانى ··· وانه سيفرج عن المعتقلين جميعا » ·

وعقد مجلس قيادة الثورة اجتماعا لم يحضره محمد نجيب ولا خالد محيى الدين الذى كان قد سافر الى وادى النطرون بنـاء على نصيحة

زكريا محيي الدين ليبتعد عن القوات المسلحة التي اعتبرت حركة سلاح الفرسان بمثابة شرخ عميق فيها .

وجد المجلس ان الصدام المباشر ليس في صالحه ، وان جميع القوى السياسية متربصة به رغم اعتقال زعمائها .. واقترح جمال عبد الناصر ان ينفس من الضغط المتراكم بقرارات تتيح لهم البقاء فترة في هدوء .

وصدرت قرارات ٥ مارس التي أعلنها جمال عبد الناصر في بيان جاء فيه :

قرر مجلس قيادة الثورة اتخاذ الاجراءات فورا لعقد جمعية تأسيسية منتخبة بطريقة الاقتراع العام المباشر على ان تجتمع خلال يوليو ١٩٥٤ ويكون لها مهمتان :

١ - مناقشة مشروع الدستور الجديد واقراره .

٢ - القيام بمهمة البرلمان الى الوقت الذى يتم فيه عقد البرلمان الجديد وفقا لأحكام الدستور الذى ستقره الجمعية التاسيسية .

وقرر المجلس أيضا الغاء الرقابة على الصحف .. والغاء الأحكام العرفية قبل اجراء انتخابات الجمعية التأسيسية ... على أن يكون لمجلس الثورة سلطة السيادة لحين اجتماعها ... كما ان تنظيم الأحزاب سيكون متوقفا على الدستور الجديد ...

وصرح جمال عبد الناصر بأنه ينوى الافراج عن المعتقلين أما الذين لم يحاكموا بعد فلن يقدموا للمحاكمة ... وقال « سأنسى الاساءة التى لحقت بى وسأنظر للجميع على اختلاف الوانهم باعتبارهم مواطنين يعملون جميعا لصالح الوطن ... كما انى سأنسى كل ما أصابنى ، وسأنظر فى بناء مصر على أسس ديموقراطية صحيحة » .

سادت مصر روح جديد ... وعبق الجو بنسيم الحرية .. وعادت الحيوية الى الصحف بعد رفع الرقابة ... ولكن اليقين باستقرار الديموقراطية لم يكن واردا ... فان مركز السلطة والنفوذ كان فى يد مجلس قيادة الثورة ..

وظهرت عدة مقالات متباينة الآراء فى الصحف ... الدكتور وحيد رأفت يدافع عن الديموقراطية فى المصرى ... وأنور السادات يكتب فى الجمهورية قائلا « ثم كان ما أعلن بالأمس ... وما أعلن بالأمس ان هو الا خيوط ملحمة كبرى بدأت منذ شهور طويلة وكان لابد أن تصل الى القمة فى يوم من الأيام ... قصة أرادها الانتهازيون والموتورون فوضى ودماء ،

ويشاء الله ان يريحها على لسان رفاق الثورة حرية فى القول برفع الرقابة عن الصحف وحرية للشعب فى أن يختار فيعلن عن موعد انعقاد الجمعية التأسيسية بالانتخاب الحر المباشر » •

وجمال عبد الناصر يصرح للصحفيين ••• « هذه القرارات اتخذها مجلس الثورة من أجل مصلحة الوطن العليا » •

ولكن قرارات ٥ مارس لم تكن النهاية فى قضية الخلاف بين محمد نجيب وخالد وبين أعضاء مجلس القيادة •• فقد بدأ كل فريق يتحرك ضد الآخر باساليب مختلفة •

اعتمد محمد نجيب على شعبيته وعودته منتصرا فطلب أن يعود رئيسا للوزراء بعد أن كان جمال عبد الناصر قد تولى هذا المنصب واستمر فيه حتى ٧ مارس الى أن عاد محمد نجيب فى اليوم التالى رئيسا لكل من الجمهورية ومجلس الوزراء ومجلس قيادة الثورة ••• وأخذ يوالى تصريحاته قائلا : « ان كل ما يقال من اننا نبغى الاستمرار فى حكم عسكرى ما هو الا هراء وافساد وازعاج » •• وابلغ الصحف عن خطاب وصله من حسن الهضيبى من داخل المعتقل يطلب منه الرجوع عن حل الاخوان والافراج عن المعتقلين •••

وخطاب آخر وصله من نقيب المحامين عمر عمر لدفع الاعتداء الجسيم الذى وقع على المحامين أحمد حسين وعبد القادر عودة وعمر التلمسانى ، والدعوة لجمعية عمومية تطلب عودة الحياة النيابية وعمل ميثاق وطنى •

واستمر محمد نجيب على أسلوبه ••• لا يقيم صلات تنظيمية مع الضباط الموالين له ، لا يخطط معهم حركة ما فى المستقبل ••• ولا يربط نفسه بحزب أو قوة سياسية معينة اعتمادا منه على تأييد (كل) الجماهير •

هنا بينما اعتمد مجلس قيادة الثورة على أسلوب آخر ، هو الاعتماد على القوات المسلحة التى كان قادة وحداتها قد عينوا بأمر عبد الحكيم عامر ••• وحاولوا تضييق شقة الخلاف فافرجوا عن ضباط المدفعية الذين حوكموا فى بداية عام ١٩٥٣ ، وأقام عبد الحكيم عامر مأدبة عشاء فى نادى الضباط حضرها ١٣٥٠ ضابطا وخطب فيها محمد نجيب وأعضاء المجلس فى محاولة لترطيب الجو وتهدئته •

لم تكن هناك قوة سياسية يستطيع أن يعتمد عليها أعضاء مجلس القيادة بعد أن حلت جميعا ووضع قادتها فى السجن ••• الا هيئة التحرير •

وكانت هيئة التحرير قد قامت فى نشاطها على أساس الدعاية لجمال عبد الناصر ... وليس لمحمد نجيب .

كان الموقف يندفع اندفاعا نحو انتخابات الجمعية التأسيسية .

كتب سليمان حافظ فى مذكراته يقول « كان يتعين علينا ان نحسب حساب الوفد فى الانتخابات المقبلة بحكم انه أكبر الأحزاب القديمة وأكثرها نظاما ومن ثم كنت وجمال عبد الناصر متفقين على الا نكتفى بتقليم اظافره ، بأن نجرده من العناصر الطيبة التى كانت منتمية اليه لتنتظمها جبهتنا بل يجب ان يأتلف تحت علمها جميع خصومه من رجال الأحزاب الآخرين والمستقلين ونظرا لضيق الوقت رأينا ان نسلك اليهم طريق زعمائهم ومن أجل هذا نشطت للاتصال بهؤلاء الزعماء وعملت على رفع الحجر عن بعضهم » .

وطلب جمال عبد الناصر من ابراهيم الطحاوى سكرتير مساعد هيئة التحرير الاتصال بالسياسيين الثمانين الذين سبق له الاتصال بهم عند تكوين الهيئة وأبدوا استعدادهم الكامل للتعاون معهم وكان من بينهم الدكتور محمد صلاح الدين عضو الهيئة الوفدية ووزير الخارجية السابق ، وفكرى أباظة واللواء محمد فتوح النائب الوفدى وغيرهم ، وذلك لأن خطة المجلس كانت الاستقالة والتقدم للانتخابات كحزب من الأحزاب .

وفوجىء ابراهيم الطحاوى بأن السياسيين قد تراجعوا عن موقفهم السابق ، وعادوا الى أحزابهم القديمة ، بما فيهم الدكتور محمد صلاح الدين الذى كان مرشحا ليكون سكرتيرا عاما لهيئة التحرير .

وانتهزت بعض الصحف فرصة رفع الرقابة عن الصحف فتمادت فى الهجوم على العسكريين .. مثل مجلة (الجمهور المصرى) التى هاجمت البوليس الحربى وأحمد أنور هجوما قد يكون بعض ما ورد فيه صدقا ولكنه كان مستفزا أو مثيرا ، ودافعا لتشبث المجلس وضباط الصف الثانى بالسلطة خوفا مما يمكن أن يحدث لهم اذا تغيرت الأمور وبدأوا يخضعون للتحقيق والحساب وكشف ما ارتكبه بعضهم من أخطاء وانحرافات قد تصل بهم الى دائرة العقاب أيضا .

وانتشرت النكتة التى تروى قصة رجل كان يجلس مع زوجته فى القطار فعاكسها ضابط يجلس بجانبها فلما اشتكت لزوجها صفعه على وجهه . وفوجىء الركاب برجل يهرع من آخر العربة ويصفع الضابط أيضا ولما سأله الناس عن سبب ذلك ، قال (الله .. هيه مش الثورة خلصت) .

بعض القوى اندفعت كالثور الهائج فى حلبة المصارعة دون أن ترى السهام فى يد الفارس الذى يركب الحصان وهو يتحين الفرصة ليرشقها فى رقبة الواحد بعد الآخر .

كانت الحلقة تضيق حول مجلس القيادة ... التناقضات بين الضباط ما زالت قائمة ... البعض الذى لم يستفد يطالب بالعودة للثكنات ، والمستفيدون من رجال الصف الثانى وبعض المقتنعين بفساد القديم عن يقين يصرون على استمرار الثورة ... والقوى السياسية كلها معادية ومن خلفها جماهيرها ... وهيئة التحرير بعد تخلى السياسيين عنها اضعف من ان تحقق شيئا .

وفى يوم ١٩ مارس انفجرت أربع قنابل فى أنحاد متفرقة من القاهرة .

وفى صباح ٢٠ مارس كان اجتماع المؤتمر المشترك ، واثيرت قضية الانفجارات طلب جمال سالم وزكريا محيى الدين اتخاذ اجراءات صارمة للضرب على أيدى هؤلاء المخربين .

وقال محمد نجيب فى تلميح بأنه لا يوجد صاحب مصلحة فى التخريب الا هؤلاء الذين يبتغون تعطيل مسار الشعب نحو الديموقراطية .

كان محمد نجيب يريد أن يثبت دعائم الديموقراطية عن احد طريقين ... أولهما عودة الأحزاب قبل انتخابات الجمعية التأسيسية ... وثانيهما اجراء استفتاء شعبى عام على النظام الجمهورى وتعيينه رئيسا للجمهورية لأنه عين رئيسا دون استفتاء شعبى عام ...

ولكن سليمان حافظ الذى كان يعادى الحزبية خوفا من قوة الوفد افتى بمعارضة هذا الاتجاه وأعد مع الدكتور عبد الجليل العمرى وزير المالية فى ذلك الوقت مشروعات لعبور الفترة الباقية على الانتخابات تتلخص فى تشكيل وزارة مدنية تتولى السلطات التنفيذية والتشريعية ، وان يقتصر اختصاص مجلس الثورة على تعيين وعزل رئيس مجلس الوزراء والوزراء بموافقة رئيسهم وتخلى المجلس عما عدا ذلك من أعمال السيادة ... ونص المشروع على الغاء الأحكام العرفية قبل ذكرى اعلان الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٤ والى أن يتم ذلك يفرج عن جميع المعتقلين الذين لم توجه لهم تهمة معينة تباشر النيابة تحقيقها .

لم ير هذا المشروع النور ولم يحدث أى تغيير لتدافع الأحداث ... فقد وصل الملك سعود الى مصر فى زيارة رسمية يوم ٢٠ مارس ... وظهرت تصريحات لجمال عبد الناصر الى وكالة (انسا) الايطالية يبدى رأيه فيها عن الاخوان فيقول « سيكونون أحرارا فى تشكيل حزب اسلامى أو هيئة

اسلامية » وعن الشيوعيين يقول « كلما بدا ان من الممكن الاتفاق مع لندن قام الشيوعيون ـ وعددهم ليس كبيرا ولو انهم منظمون تنظيما جيدا يزاولون نشاطهم تحت ستار المطالب الوطنية وقاموا بحملة تهدف للحيلولة دون الوصول الى اتفاق » ومحمد نجيب يواصل تصريحاته عن الديموقراطية فيقول « لن نتراجع عما استهدفناه من عودة الحياة النيابية ٠٠٠ ولماذا نخاف منها وما ثرنا الا لاعادتها خالية من الشوائب » كما أكد انه ليس فى نيته تكوين حزب ٠٠٠

وظهر الوفد مرة أخرى عندما أدلى برأيه فى الموقف الحاضر وهو يتلخص فى « التمسك بالنظام الجمهورى والاصلاح الزراعى والمطالبة بعودة الحياة النيابية فورا حتى تستقر الأوضاع » ويعود على ماهر ليصرح بقوله « ان مصر لا تستطيع الوقوف موقف الحياد ويجب ان تنضم للغرب » ٠

وحدثت خلال هذه الفترة اتصالات بين الوفد ورجال الثورة خلال محمد صلاح الدين الذى كان مرشحا لأن يكون سكرتيرا لهيئة التحرير وبين ابراهيم الطحاوى يقترح فيها الوفد على رجال الثورة ان ينضموا اليه وان يكون جمال عبد الناصر سكرتيرا عاما للوفد ٠

لكن جمال عبد الناصر رفض الاقتراح ٠

ونشرت المصرى رسالة لعضو مجلس قيادة الثورة السابق يوسف صديق يقول فيها رأيه فى الموقف ويقترح قيام وزارة ائتلافية من الوفد والاخوان والاشتراكيين والشيوعيين برئاسة الدكتور وحيد رأفت لاجراء انتخابات للبرلمان الجديد ٠٠٠ وكانت هذه المرة الأولى التى يطرح فيها علنا اشتراك الشيوعيين فى الحكم ضمن جبهة وطنية ديموقراطية ٠

كان يوسف صديق قد هرب من تحديد الاقامة فى بنى سويف ٠

وتميزت هذه الفترة بحيوية شديدة فى اعلان الرأى ٠٠٠ محمود عبد المنعم مراد يدافع بصراحة عن حكم الشعب فى جريدة (المصرى) ٠٠ وجلال الدين الحمامصى يحذر من الانتخاب فى جريدة (الأخبار) ٠

وأصبح الموقف مهتزا تحت أقدام مجلس قيادة الثورة ، ووهنت قبضته على الحكم والسلطة ، وأصبح استمرار الحالة على ما هى عليه ضربا من المستحيل ، وكان لابد من شىء ينهى فترة القلق والتوتر وعدم الاستقرار ٠

واجتمع أعضاء مجلس قيادة الثورة يوم ٢٥ مارس بحضور محمد نجيب وخالد محيى الدين حيث دارت مناقشات عاصفة ، بدأت باقتراح من عبد اللطيف البغدادى بالغاء قرارات ٥ مارس وتمسك خالد محيى الدين

بها مع مطالبته بتشكيل جديد للديموقراطية يحرم النواب الذين صوتوا تأييدا لاى قوانين مقيدة للحريات والذين رفضوا دفع ضريبة الأطيان ورؤساء الأحزاب ، والذين طبقت عليهم قوانين الاصلاح الزراعى — من حق الترشيح للجمعية التأسيسية ٠

وانصرفت المناقشة الى وضع الأمور على طرفى نقيض ٠

أما الغاء قرارات ٥ مارس ٠

وأما رفع كافة القيود عن عودة الأحزاب والافراج عن كل المعتقلين ٠

وبعد مناقشة استمرت خمس ساعات انتهى الأمر الى اصدار ما عرف بقرارات ٢٥ مارس والتى كتبها كمال الدين حسين بخط يده رغم عدم ايمانه أو اقتناعه بها ٠٠ مما يدل على انها كانت محاولة لصرف الأمور الى وجهة أخرى وهى :

١ — يسمح بقيام الأحزاب ٠

٢ — مجلس قيادة الثورة لا يؤلف حزبا ٠

٣ — لا حرمان من الحقوق السياسية حتى لا يكون هناك تأثير على الانتخابات ٠

٤ — تنتخب الجمعية التأسيسية انتخابا مباشرا دون تعيين أى فرد ويكون لها السيادة والسلطة الكاملة ، وتكون لها سلطة البرلمان كاملة والانتخابات حرة ٠

٥ — حل مجلس الثورة فى ٢٤ يوليو باعتبار الثورة قد انتهت وتسلم البلاد لممثلى الأمة ٠

٦ — تنتخب الجمعية التأسيسية رئيس الجمهورية بمجرد انعقادها ٠

لم تكن هذه القرارات هى ما يجيش فى صدور أعضاء مجلس القيادة، ولا هى ما يتطلع اليه محمد نجيب أو خالد محيى الدين ٠٠٠ ولكنها كانت عملا من أعمال الاثارة المبنية على التخلى فجأة عن كل السلطات والصلاحيات والاشارة الى انتهاء الثورة بما يمثل النكسة لآمال الجماهير ، ويقترب بالأمور من حافة الهاوية ٠

كانت خطة الجنوح للنقيض واضحة فى مناقشات المجلس ، عندما قال أحدهم باننا اذا أعدنا الأحزاب نستعيد الحزب الشيوعى كنوع من

التهديد ••• وعقب ثان بأن الافراج عن المعتقلين سيشمل مصطفى النحاس وأحمد حسين وحسن الهضيبى وكل زعماء الأحزاب •

كان انتقالهم المفاجىء من النقيض يدل على وجود تدبير ما ••• فلا يعقل أن يوافقوا موافقة غير مشروطة على عودة الأحزاب والافراج عن كل المعتقلين •

هذا الاتجاه من التفكير صحيح ••• ولكنه صحيح أيضا ان المجلس لم يكن فى موقف القدرة على (الاختيار) بقدر ما كان قريبا من اليأس ، يسلك لهدفه فى الاستمرار أى سبيل •

صرح صلاح سالم بأن الهدف من اعادة الحزب الشيوعى اثارة الأمريكيين •

وقال خالد محيى الدين ان الصحفى الفرنسى ممثل مجلة (توفيل اوبزرفاتور) قال له أن جمال سيكسب المعركة مع محمد نجيب ، وانه عرف ذلك بحكم صلاته بالسفارات الأمريكية والبريطانية ••• وان مجلس القيادة قد أعطى اشارة للأمريكيين بأنهم سيوافقون على المعاهدة وادخال تركيا فى حالة العودة للقناة •

وما إن أعلنت القرارات حتى بدأ اخراج المعتقلين •• أول الذين خرجوا كان الاخوان المسلمين ومرشدهم العام حسن الهضيبى الذى توجه جمال عبد الناصر لزيارته بمنزله فى منتصف الليل فور الافراج عنه كما نشرت الجريدة المصرى يوم ٢٥ مارس وقد كان هذا الاجتماع حاسما فى تغيير موقف الأخوان المسلمين ، فقد استأنفوا نشاطهم وعقدوا أول اجتماع بعد الافراج عنهم ، وصرح حسن الهضيبى قائلا : « ان الجماعة قائمة وانها أقوى مما كانت » وذلك قبل صدور قرار الغاء حلها •••

وحرص محمد نجيب على التأكيد من الافراج عن كبار المعتقلين فاتصل بهم فى منازلهم فلم يجد أحدا قد افرج عنه الا حسن الهضيبى وعبد القادر عودة ، أما مصطفى النحاس وأحمد حسين فلم يفرج عنهما •

وقد التقطت جريدة (الأخبار) تسجيلا دفعت به المباحث اليها عن اتصال محمد نجيب بمصطفى النحاس لسؤاله عن رفع تحديد الاقامة والاستفسار عن صحة زوجته ، ونشرت ذلك بالبنط العريض ، لتعمق الوهم بأن هناك اتصالات خفية بين محمد نجيب والنحاس ، والأمر الذى يثير ضباط الجيش ويبعدهم عنه •

أثبت عدم الافراج عن مصطفى النحاس وأحمد حسين ، ومحاولة اثارة الضباط ضد محمد نجيب أن النية لم تكن خالصة لتنفيذ قرارات

٢٥ مارس ، رغم اعتقاد بعض أعضاء المجلس الذين لم تكن لهم اتصالات خفية ان الأمور قد انتهت الى ذلك .

ذهب حسين الشافعى الى هيئة التحرير وابلغ ابراهيم الطحاوى ان المجلس قرر الانسحاب والعودة للثكنات ... ثم تدبير ثورة أخرى .

اعترض الطحاوى على هذا التفكير معلنا ان الانسحاب معناه دخول الضباط للسجن وأعلن انه سيقاوم قرار المجلس ... وهكذا كان تفكير ضباط الصف الثانى الذين سبق أن أوقفوا تعيين خالد محيى الدين رئيسا للوزراء ، واعتقلوا محمد نجيب ، وانقذوا المجلس من حركة ضباط سلاح الفرسان .

وبدأ الصدام يأخذ شكلا حادا ... نقابة الصحفيين تطلب الغاء الأحكام العرفية فورا وتشكيل وزارة قومية ، ونقابة المحامين تعلن الاضراب ... والصحف تنشر أن مصطفى النحاس ورشاد مهنا وأحمد حسين لم يفرج عنهم ... والقائمقام أحمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ مشاة التى قامت بدور كبير ليلة ٢٣ يوليو والذى حددت اقامته يوم ٨ مارس أرسل خطابا نشرته الصحف يعلن فيه نفس المطالب ... وهيئات التدريس وطلبة الجامعات يطالبون بعودة الحياة النيابية .

وفى الجانب المقابل كان (الصاوى أحمد الصاوى) سكرتير اتحاد عمال النقل قد اتصل بابراهيم الطحاوى متخوفا من انتكاس مكسب العمال فى منع الفصل التعسفى ، ويدبر الاثنان خطة لاعتصام متزايد لعمال النقل ينتهى باضراب عام ... وضباط البوليس يعلنون « ان العودة الى الحياة النيابية مع وجود الاحتلال خدعة استعمارية » ... وقيادة الحرس الوطنى ومنظمات الشباب ينقلان قواتهما للقاهرة ...

وكان موقف الاخوان المسلمين فى هذه الفترة يمكن ان يعتبر عامل ترجيح لاحد الجانبين ... وقد اتصل محمد رياض قائد حرس محمد نجيب ببعض قادة الاخوان دون استشارته فجاء الرد بأنهم لم يتدبروا أمرهم بعد ، وانهم يفضلون الانتظار والهدوء حتى يتم الافراج عن كافة المعتقلين .

وصدر لهم تصريح فى صحف صباح ٢٧ مارس يقول : « فيما يختص بعودة الأحزاب السياسية أملنا الا يعود الفساد أدراجه مرة أخرى فاننا لن نسكت على هذا الفساد بل نؤيد بقوة حرية الشعب كاملة ولن نطالب تأليف احزاب سياسية لسبب بسيط هو اننا ندعو المصريين جميعا لأن يسيروا وراءنا ويقتفوا أثرنا فى قضية الاسلام » .

ونشر فى الجمهورية فى نفس الوقت خبر جاء فيه انه « تقرر اعادة

جماعة الاخوان المسلمين وان كل أثر لقرار حل الجماعة الصادر فى يناير الماضى قد زال » .؟

هكذا اختارت جماعة الاخوان المسلمين الوقوف مع مجلس قيادة الثورة · والتخلى عن تأييد الديموقراطية وعودة الحياة النيابية ··· وهو موقف نابع من رفضهم القديم والمستمر للحياة البرلمانية وخاصة فى هذه الفترة التى عادت فيها تباشير الحياة الى القوى والأحزاب السياسية ، وبعد ان كانوا القوة السياسية الوحيدة المصرح لها بالعمل والنشاط ·

تم الاتفاق على ان يجنحوا للسلبية فى هذه الأيام الحرجة ، وان يبتعدوا عن الاشتراك فى أى مظاهرة معادية للمجلس ·

وهكذا بينما لعبت جماهير الاخوان المسلمين دورا حاسما فى العودة لمحمد نجيب بعد استقالته فان قيادتها لعبت دورا انتهازيا فى قضية عودة الحياة النيابية ·

واخذت كفة مجلس القيادة ترجح ساعة بعد أخرى ··· ومفاتيح السلطة تحرك الاجهزة التابعة لها ··· وهيئة التحرير التى بنيت على أساس تأييد جمال عبد الناصر وليس محمد نجيب ، احتضنت الحركة العمالية وأبناء اتحاد الصعيد الذين وصلوا الى شل حركة الاتوبيس والترام والتاكسى والقطارات ثم نزلوا بعد ذلك الى الشارع فى مظاهرات كان يحركها الطحاوى وطعيمة بعربات ركبت فيها الميكروفونات ·

وكانت جريدة المصرى قد صدرت بمانشيت كبير يوم ٢٨ مارس يقول : (مؤامرات ضد الشعب) ·

وقال خالد محيى الدين عندما سئل عن المظاهرات « عساهم ألا يكونوا قد هتفوا بسقوط الحرية والبرلمان والحياة النيابية » ·

ولكنهم هتفوا فعلا بسقوط الحرية يوم ٢٨ مارس ··· وكان محمد رياض قائد الحرس الخاص لمحمد نجيب قد دخل عليه فى حجرة نومه بعد منتصف ليلة ٢٧/٢٨ وأبلغه عن الخطة المدبرة لاشعال المظاهرات يوم ٢٨ والتى اشتركت فيها قوات الحرس الوطنى ومنظمات الشباب وهيئة التحرير وعمال النقل ومديرية التحرير والذين وضعت العربات اللورى تحت تصرفهم ·

وأعلن مؤتمر نقابات العمل الدعوة لاضراب عام اعتبارا من ٢٩ مارس حتى يستجيب لهم المجلس بالعدول عن قراراته ·

اتصل محمد نجيب بوزير الداخلية زكريا محيى الدين وحذره من خروج المظاهرات ، واستدعى اللواء الباجورى وكيل الداخلية الى منزله وطلب منه فض المظاهرات بالقوة فطلب منه الباجورى توقيع أمر كتابى باطلاق الرصاص على المتظاهرين ، فرفض محمد نجيب وقال : « اقطع يدى ولا أوقع أمرا باطلاق الرصاص على أبناء الشعب » .

وحاول بعض الضباط الملتفين حول محمد نجيب ان يدفعوه لاعلان تشكيل وزارة جديدة مدنية يرأسها وحيد رأفت ، وأن يتخذوا اجراء ضد أعضاء المجلس ، ولكنه تردد وآثر ان يؤجل ذلك الى ما بعد عودته من الاسكندرية بعد زيارته لها مع الملك سعود .

ولكن الوقت كان متأخرا فان المظاهرات المدبرة قابلته فى المحطات تهتف ... (لا أحزاب ... ولا برلمان) ورفض محمد نجيب الانسياق وراء غرائزه حتى لا يحدث صدام مسلح أو حرب أهلية ... وذهب الى الملك سعود مساء يوم ٢٨ حيث عقد اجتماع بينه وبين الملك والدكتور عبد الرازق السنهورى وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد الرحمن عزام وحسن بغدادى ... بدأ بعد منتصف الليل ، وعرض نجيب فيه ان يستقيل ولكن جمال عبد الناصر لم يكن يريد أن تصل الأمور الى هذا الحد قبل تصفية شعبية محمد نجيب وما يمثله من أفكار تصفية كاملة .

استمر الاجتماع حتى فجر يوم ٢٩ مارس وسلم فيه محمد نجيب للمجلس بعد ان خذلته الجماهير ولم تناصره كما حدث عند استقالته ، وبعد ان قرر عدم اللجوء الى ما يثير صداما مسلحا .

وسافر الملك سعود ، وسقط محمد نجيب فى المطار مغشيا عليه ليبقى بعد ذلك مريضا فى منزله لمدة ثلاثة أسابيع تصدر عنه نشرة طبية يوقعها الدكتوران رجب عبد السلام وأنور المفتى ، حتى لا تشاع أخبار تثير الجماهير من جديد فى وقت يدرك فيه ان مظاهرات اليومين الأخيرين كانت مدبرة ومفتعلة ويصعب لها الاستمرار .

وفى الساعة السادسة والنصف من نفس اليوم أذاع صلاح سالم القرارات الآتية :

١ ـ ارجاء تنفيذ قررات ٥ ، ٢٥ مارس حتى نهاية فترة الانتقال .

٢ ـ يشكل فورا مجلس وطنى استشارى يراعى فيه تمثيل الطوائف والهيئات والمناطق المختلفة ويحدد تكوينه واختصاصه بقانون .

وبعد اذاعة هذه القرارات مباشرة توجه جمال عبد الناصر وصلاح سالم وكمال الدين حسين لزيارة اتحاد نقابات النقل المشترك حيث خطب

الصاوى أحمد الصاوى وأعضاء المجلس ··· ونزلت القوات المسلحة الى الشوارع لحفظ الأمن ·

ولكن الدور الذى لعبه الصاوى أحمد الصاوى لم يشفع له ، فقد اعتدى عليه أحمد أنور بعد ذلك بالضرب فى مطار القاهرة أمام المودعين أثناء سفر عبد الناصر لباندونج ، وانتهى دوره بعد ان اعتصرت فائدته ·

انتهى أخطر صدام تعرض له مجلس قيادة الثورة ··· محمد نجيب مريض فى منزله وقوات الجيش الموالية فى الشوارع ، ومظاهرات العمال فرضت نفسها على الموقف والاخوان المسلمون فى تجنبهم الحذر لكل ما حدث ·

ولكن الموقف مع ذلك لم يكن قد استقر تماما ··· كانت هناك (جيوب للمقاومة) نشرت جريدة الأخبار خبرا عن اجتماع مفاجىء للجمعية العمومية لمجلس الدولة بما يوحى احتمال اتخاذ قرارات ضد مجلس الثورة، وكان موقف الدكتور عبد الرازق السنهورى أثناء اجتماعهم مع الملك سعود واضحا فى معاداته لأساليب العنف وافتعال المظاهرات ·

واستدعى أحمد أنور مدير البوليس الحربى حسين عرفة مدير المباحث الجنائية العسكرية وطلب منه منع عقد هذا الاجتماع بالحسنى أو العنف مع تحذيره من وفاة أى شخص ·

ويروى حسين عرفة القصة لى فيقول انه ذهب الى المجلس فى ملابس مدنية محاولا اقناع السنهورى بفض الاجتماع تحاشيا للمظاهرات العمالية « هى فى أصلها جنود من البوليس الحربى يلبسون ثيابا مدنية مع بعض أعضاء هيئة التحرير » ··· ولما رفض السنهورى مقابلته أرسل مندوبا من البوليس للطحاوى وطعيمة فوصلت المظاهرات الى سور المجلس تهتف (الموت للخونة) ··· وكانت الأبواب مغلقة بالحديد ·

واتصل السنهورى بأمن الجيزة وطلب مندوبين من المتظاهرين وانتهز حسين عرفة الفرصة ففتح الأبواب واندفع الناس الى السنهورى وأعضاء الجمعية العمومية وانهالوا عليهم ضربا ·· حتى أمر حسين عرفة باخراجهم من المجلس ، بعد ان أطلق رصاصتين فى السقف ليبدو كما لو كان مدافعا فعلا عن حياة المستشارين ·

وكتب المستشارون بيانا لا يؤيد الثورة ، قرأه أحدهم فاعتدوا عليه وتصايحوا (تحيا الثورة تسقط الرجعية) ··· وبدأ الموقف يشتعل بتعليمات حسين عرفة من جديد ··· الى أن اضطروا لكتابة بيان نشرته الصحف فى اليوم التالى وجاء فيه :

يعلن المجلس على لسان رئيسه انه لم يتخذ أى قرار بشأن ما أذيع اليوم بجريدة الأخبار من انه ستجتمع الجمعية العمومية لأمر هام ويقرر أن قرارات الجمعية كانت منصبه على حركة ترقيات الموظفين ... ومجلس الدولة يعلن تأييده لمجلس قيادة الثورة) .

ولما تسلم حسين عرفة البيان مثل دور المغمى عليه من جهد مقاومة المظاهرات الى ان حضر صلاح سالم وتسلم البيان وخرج ليعلنه فى الاذاعة .

نقل الدكتور عبد الرازق السنهورى الى المستشفى ورفض مقابلة جمال عبد الناصر عندما قام بزيارته ، لأنه حسبما ورد فى مذكرات سليمان حافظ قد اتصل به قبل وقوع الاعتداء عليه بساعة طالبا منع المظاهرات المتجهة للمجلس ، كما ان الدكتور حسن بغدادى اتصل به من مكتب جمال عبد الناصر يستفسر عن سبب الاجتماع فقال له انه اجتماع عادى لترقيات العاملين بالمجلس .

ومع ذلك توجه جمال عبد الناصر الى مجلس الدولة واجتمع بالموكلين واستنكر الاعتداء على السنهورى .

كان الاعتداء على مجلس الدولة والدكتور السنهورى نهاية لقدسية القضاء ، واطلاقا لقوى العنف .

وعندما تسربت أخبار ما حدث فى مجلس الدولة ، خفتت أصوات المعارضة وعاد الخوف والحذر يسيطر على خطوات الناس ... وكان مفروضا ان يعقد اجتماع فى نقابة الصحفيين ، عصر ذلك اليوم ، ولكن أحدا لم يحضر الاجتماع .

وواصل أعضاء مجلس القيادة هجومهم ... تقرر يوم ٣٠ مارس التحقيق مع حسين أبو الفتح رئيس تحرير (المصرى) وهى الجريدة التى ناضلت ببسالة من أجل الديموقراطية والحياة البرلمانية واقرار الدستور ، والتى تعرضت خلال أيام الصدام الأخيرة الى مظاهرات مدبرة حاولت الاعتداء عليها .

وهاجم جمال عبد الناصر على زكى العرابى والدكتور محمد صلاح الدين لانهما ذهبا يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٢ الى قصر عابدين ... ثم اتجها يوم ٢٧ يوليو الى ثكنات مصطفى باشا يعلنان أنهما قد طلقا السياسة .

وشمل الهجوم أيضا محمد كامل البندارى الذى أطلق عليه جمال عبد الناصر لقب (الباشا الأصفر) لانه يسكن فى عمارة الشمس بجاردن سيتى .

وكلما شعر أعضاء المجلس ان أقدامهم تزداد ثباتا واصلوا الاجراءات التى تعزز مواقعهم ٠

أصدر المجلس يوم ٥ ابريل قرارا يتضمن الآتى :

١ ـ محاسبة المسئولين عن الفساد فى العهود الماضية وطرق ابعادهم من العمل فى محيط السياسة وحرمان عدد منهم من حقوقه السياسية ٠

٢ ـ تطهير الصحافة ٠

٣ ـ منح سلطات للمسئولين فى الجامعات لضمان انتظام الدراسة فيها ٠

٤ ـ البت فى اصدار قانون لحماية الثورة والأسس التى يقوم عليها المجلس الوطنى ٠

٥ ـ مشروعات هامة لمصلحة مختلف طبقات الشعب وتنشيط الاقتصاد القومى والقضاء على الفساد ٠

٦ ـ اختيار عناصر صالحة فى مجالس البلديات وحل مشكلة المواصلات بالقاهرة ٠

وقد ترجم هذا القرار بعد ذلك الى اجراءات تنفيذية اذ صدر قرار يوم ١٤ ابريل يحرم من حق تولى الوظائف العامة ومن كافة الحقوق السياسية وتولى مجالس ادارة النقابات والهيئات لمدة عشر سنوات كل من سبق أن تولى الوزارة فى الفترة من ٦ فبراير ١٩٤٢ الى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أى فى السنوات العشر السابقة على قيام الثورة ، وكان منتميا للوفد أو حزب الأحرار الدستوريين أو الحزب السعدى أما من لم يكن فلا يحرم الا بقرار من مجلس قيادة الثورة ٠٠٠ ويلاحظ أن (الكتلة الوفدية) هى الحزب الوحيد الذى استثنى مع أن القرار قد طبق على مكرم عبيد باعتباره وزيرا وفديا سابقا ٠

طبق هذا القرار على ٢٢ وزيرا وفديا ، ٨ وزراء سعديين ، ٨ وزراء دستوريين ٠٠٠ وطبق ضمنا على ستة من أعضاء لجنة الخمسين لاعداد الدستور وهم على زكى العرابى ومحمد صلاح الدين وعبد السلام فهمى جمعة ومكرم ومحمود غالب والدكتور عبد الرازق السنهورى الذى نزع بهذا القرار من منصبه فى رئاسة مجلس الدولة أيضا ٠

وصدر قرار ثان بأن تدخل الجامعة على مراحل ٠٠٠ سنة بعد أخرى ٠٠٠ تفاديا للاضرابات أيضا ٠

ثم قرر مجلس قيـــادة الثـــورة فى اليوم نفسه حل مجلس نقابة الصحافة بدعوى أن سبعة من أعضاء المجلس البالغ عددهم اثنى عشر قد تقاضوا مصروفات سرية وشكل لجنـــة تحـل محل مجلس النقابة من فكرى أباظة ووكيل وزارة الارشاد ومحام عام والمدير العام لحســـابات الحـكومة ٠

وصدر كشف بأسماء الذين تقاضوا مصروفات سرية وهم :

حسين أبو الفتح ـ مصطفى القشاشى ـ أبو الخير نجيب ـ احسان عبد القدوس ـ فاطمة اليوسف ـ قاسم أمين زوج فاطمة (روز اليوسف) ـ مرسى الشافعى ـ البرت مزراحى ـ محمد رخـــا ـ ابراهيم عبده ـ حسنى خليفة ـ ادجـــار جلاد ـ كريم ثابت ـ عبد الرحمن الخميسى ـ عبد الشافى القشاشى ـ عبد الرحمن زايد ـ أحمد عصفور ـ محمد خالد ـ كامل الشناوى ـ نعمة الله غانم ٠

وحصلت روز اليوسف على مبلغ	١٩ر٢٨١	جنيها
والجمهور المصرى	٢٨٠٨ر٠٠٠	جنيــه
الأســــــاس	٤٨ر٠٠٠	جنيــه
الصــــباح	٧ر٢٢٢	جنيــه
الحـوادث	٤ر٥٠٠	جنيــه
الســــــودان	٢٥ر٢٥٠	جنيــه
البـــلاغ	٧ر٩٠٠	جنيــه
صــوت الأمة	٢ر٩٠٠	جنيــه
النـــداء	٢ر٢٠٠	جنيــه
الســياسة	١٥ر٩٠٠	جنيــه
الدســــتور	٩ر٩٠٠	جنيــه
بـــلادى	٥ ر٣٠	جنيــه
التسعيرة والصراحة	١ر٠٠٠	جنيــه
والزمـــان	١٢ر٥٠٠	جنيــه

ووصلت الأمور غايتها عندما عين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء وشكل وزارته الأولى فى ١٧ ابريل ١٩٥٤ ، فخرج منها عبد الجليل العمرى وحلمى بهجت بدوى وعلى الجريتلى وعباس عمار ووليم سليم حنا وحسن بغدادى ٠٠٠ ودخلها حسين الشافعى وزيرا للحربيـــة وحسن ابراهيم وزيرا لشئون رئاسة الجمهورية ٠

وبذا وصل عدد الضباط فى مجلس الوزراء الى ثمانيـة من أعضاء مجلس القيادة ولم يبق خارج الوزارة سوى عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة وأنور السادات رئيس مجلس ادارة دار التحرير ٠

ويعتبر وصول جمال عبد الناصر الى منصب رئيس الوزراء بداية رسمية للتحول في مسار الثورة ، ونهاية علنية للصراع بين محمد نجيب وأعضاء المجلس ٠

وخلال الأيام التى اتخذت فيها هذه الاجراءات لم يكن الموقف فى القوات المسلحة هادئا تمام الهدوء رغم وضوح انتصار مجلس القيادة ، وانسحاب محمد نجيب مريضا أو مرغما على مرضه ٠

كان خالد محيى الدين يصاحب محمد نجيب والملك سعود فى زيارتهما للاسكندرية ٠٠٠ وكان بقية أعضاء المجلس قد اعتذروا عن عدم الذهاب مع توديعهم للملك فى محطة مصر ، لأنهم كانوا يدبرون موضوع المظاهرات ويريدون أن يكونوا قريبين من مركز التدبير فى القاهرة ٠

عندما عاد محمد نجيب الى مصر لم يعد معه خالد محيى الدين ٠٠٠ بل اختفى فى الاسكندرية عدة أيام كنت على اتصال دائم به خلالها ٠٠٠ وأرسل جمال عبد الناصر رسولا هو عبد الحليم الأعسر يطلب عودة خالد، وكذلك تحدث معى عبد الحكيم عامر طالبا منى أن أطمئنه ويطلب العودة ٠

وعندما عاد خالد محيى الدين قدم استقالته فقبلها جمال عبد الناصر فورا وسأله عن مشروعاته ولم يكن خالد قد فكر فى ذلك بعد ٠

وواصل جمال عبد الناصر حديثه قائلا فى صراحة :

« لا ٠٠ فعاد هنا مفيش ٠٠ لأن الناس حتتكلم عليك ٠٠ وأنا بين موقفين أمن البلد أو صداقتك ٠٠ لذا تخرج فى بعثة مجلس الانتاج ثم تعين سـفيرا » ٠

هكذا انتهت صلة خالد محيى الدين بمجلس قيادة الثورة فى أوائل ابريل ١٩٥٤ ، ولم يستقبل بعض ضباط سلاح الفرسـان هذا الاجراء بالرضاء الكامل او الصمت الحكيم ٠٠٠ بدأ يتكون داخل السلاح رأى عام حول حوادث الشهور الثلاثة الماضية ، كما بدأت اتصالات سرية بين ضباط من مختلف الأسلحة ٠

يقابل ذلك اجراء حركة تنقلات فى قيـادة السـلاح ، اعادة بعض الضباط الذين خرجوا منه ليلة ٢٣ يوليو ، كما يعين عبد العزيز مصطفى قائدا بعد تعيين حسين الشافعى وزيرا للحربية ٠

وهنا نبتت بين بعض الضباط الأحرار الذين خشوا ان تزحف اليهم موجة التنقلات ، والذين كانوا ضد كثير من الاجراءات التى اتخذت ٠٠٠ فكرة (اجراء انقلاب عسكرى بهدف تغيير مجلس الثورة واحيـاء نظام

ديموقراطى فى مصر على أساس الاتفاق الذى تم مع ضباط السلاح فى نهاية فبراير ١٩٥٤) ٠

كانت عيون المخابرات والمباحث فى غاية اليقظة ، ويقول حسين عرفه انهم جندوا مرشدين من ضباط الصف والعساكر ، وباعة جريدة الاخوان المسلمين ، وتنكروا أمام السلاح فى زى باعة بطاطا ٠

ومع ذلك لم تكن الصورة كاملة ٠٠٠ فقد تمت الاجتماعات فى سرية تامة حتى صباح يوم ٢٤ ابريل الذى كان محددا للتحرك لاتمام الانقلاب فى الواحدة بعد منتصف الليل ٠٠٠ وأعدت خطة مشابهة لحركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مع احتمال تصادم مسلح مع بعض قوات الجيش ٠

وكان ضباط الفرسان قد استطاعوا تجنيد ضابط فى البوليس الحربى اسمه عفت عبد الحليم فاجأه أحمد أنور بشكوكه حوله ، فاعترف الضابط بكل ما يعرفه على أن يكون (شاهد ملك) ٠

كان مفروضا ان يكون موعد اللقاء للتحرك فى السابعة مساء ، وفى نفس الساعة تمت اعتقالات واسعة للضباط الذين حضروا اجتماع فبراير لضباط سلاح الفرسان مع جمال عبد الناصر وكانوا حتى ذلك الوقت فى القاهرة ٠

وبدأ التحقيق تحت اشراف زكريا محيى الدين بلجنة مشكلة من اللواء محمد فؤاد الدجوى (مشاة) وعبد المنعم رياض (مدفعية) وجمال رياض (مشاة) ٠٠ وشكلت بعد ذلك محكمة خاصة برئاسة اللواء محمد حسين مدير المدفعية وأصدرت أحكامها فى شهر يونيو على ١٦ ضابطا أخذ قائدهم اليوزباشى أحمد المصرى (١٥ سنة) والصاغ حسنى الصاوى واليوزباشى عزت الالفى (١٠ سنوات) واليوزباشى فاروق الأنصارى (٣ سنوات) وفؤاد العرابى سنة واحدة ٠

ويلاحظ أن الرتب التى استعدت للانقلاب كانت أصغر من رتب أعضاء مجلس القيادة وان عددا منهم كان منتميا فى السابق لتنظيم الضباط الأحرار ، وان محاولة الانقلاب تمت تحت الشعارات الديموقراطية التى ارتفعت فى السلاح منذ شهر فبراير ٠

كانت محاكمة مجموعة (أحمد المصرى) عاملا من عوامل التفكك فى محاولة تجميع تنظيمات ضباط خاصة مستقلة ٠٠ ولكن تنظيمات الضباط المتصلة بالقوى السياسية المختلفة كانت مازالت قائمة ٠

وفى أوائل مارس تم اعتقال اللواء جوى بالمعاش عبد المنعم عبد الرءوف ومعه البكباشى أبو المكارم عبد الحى والصاغان حسين حموده

وخليل نور الدين ومحمد فؤاد جاسر وسعد الدين صبرى ، وهم جميعا من الاخوان المسلمين •

وواصل مجلس قيادة الثورة محاكماته للضباط المعارضين له ، فقدم القائمقام أحمد شوقى قائد قسم القاهرة السابق الى المحكمة التى أعيد عقد جلساتها بعد أن كانت قد توقفت عقب محاكمة فؤاد سراج الدين ، وصدر عليه الحكم بالسجن لعشر سنوات ••• وفى دورة محكمة الثورة الثانية حوكمت السيدة زينب الوكيل والصحفيون : محمود أبو الفتح وقد حكم عليه بالسجن عشر سنوات وكان متغيبا فى الخارج ، وحسين أبو الفتح (١٥ سنة مع ايقاف التنفيذ) وأبو الخير نجيب (١٥ سنة أشغال شاقة مع التجريد من شرف المواطن) •

وفى ٣١ مايو تم اعتقال ٢٥٢ شيوعيا •

وتبع ذلك محاكمة اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ضمن قضية سياسية هامة هى (قضية الجبهة الوطنية الديموقراطية) والتى انتهى اليها مصطفى بعد أن كتب تقريرا مفصلا عن علاقته بالحرس الحديدى ، وابتعاده عنه بعد مقتل صديقه عبد القادر طه ، الذى كان قد غير اتجاهه واتصل بالتنظيمات الشيوعية أيضا •

بدأت المحاكمة يوم ٢٤ يوليو بعد الافراج عن عدد من المعتقلين هم : حنفى الشريف النائب الوفدى والفنانة تحية كاريوكا •• وصدرت الأحكام بالأشغال الشاقة عشر سنوات على محمد شطا ودكتور شريف حتاتة وحليم طوسون ، وثمانى سنوات أشغال شاقة على زكى مراد ومحمد خليل قاسم والبير أربيه ، والسجن خمس سنوات على أحمد طه ومحسن محمد حسن وعبد اللطيف جمال ، وسعد كامل وزوجته ، وزوجة الشاعر كمال عبد الحليم ••• وهؤلاء جميعا من قيادات الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ••• أما مصطفى كمال صدقى فقد حكم عليه بالسجن خمس سنوات ، وبالسجن ثلاث سنوات على ابراهيم حسين وسيد البكار وهما وفديان وبالسجن سنتين على بكر سيف النصر وهو وفدى أيضا •

ووقعت فى يد المباحث الجنائية العسكرية للبوليس الحربى فى صيف ١٩٥٤ معلومات عن تنظيم خاص لضباط الصف فى سلاح الفرسان، كان يطبع منشورات بطريقة بدائية (على البالوظة) تتحدث عن ضرورة مقاومة الضغط الهابط من مجلس قيادة الثورة ، وضرورة ترقية الصف ضباط الى رتبة ضابط •• ويقول حسين عرفة أن عمليات التعذيب قد بدأت مع اعتقال هؤلاء الصف ضباط ، اذ أن الضرب كان اسلوبا متداولا فى الجيش يهين به الضباط كرامة الجنود رغم انه ممنوع قانونا •

وقد أمكن التوصل خلال هذا التنظيم الى معرفة الجهـــاز السرى للاخوان المسلمين داخل الجيش ، رغم ان التنظيم المعتقل لم يكن كل أفراده من الاخوان •

ولم تتردد المباحث الجنائية العسكرية فى اعتقال هذا التنظيم دون تهمة أو وجود ما يدين وبلغ عدد أفراده ١٧ صف ضابط وعددا من ضباط الطيران ••• وقد وضعوا فى الاعتقال بســـجن الأجانب بينما حوكم ١٤ صف ضابط من صف ضباط تنظيم سلاح الفرسان •

كان اعتقال الجهاز السرى أو جانب منـه داخل الجيش أمرا مثيرا للتناقض من جـديد بين الاخـوان المسلمين وحـركة الجيش التى قامت بتصفية كافة التنظيمات والشخصيات المعارضة لها تصفية ادارية •

لم يستطع الاخوان المطالبة بالافراج عن أعضاء تنظيم داخل الجيش حتى لا يعترفوا بوجوده ولم تستطع حركة الجيش اثارة القضية أو محاكمة المعتقلين لأنه لم يكن هناك ما يدينهم ••• كانت هناك حالة هدنة قائمة بين الجيش والاخوان •

ولم يفطن الاخوان المسلمون الى أن اتفاقهم مع حركة الجيش عقب الافراج عنهم واعادة تنظيم جماعتهم هو أمر لا يمـــكن أن يدوم لتنــازع السلطة ••• كما أن حركة الجيش لم تكن لتسمح بوجود تنظيم قوى آخر، وخاصـــة وهى تعرف انه جهـــاز سرى مسلح ، وانه تنظيم متسرب فى الجيش •

وبدأت حركات التصـــادم تعود من جديد ••• وكانت نقطة الخلاف المعلنة هى اتفاقية الجلاء التى تم توقيعها يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٤ بالأحرف الأولى ، وقعها عن الجانب المصرى جمال عبد الناصر وعن الجانب البريطانى أنطونى هيد وزير الحربية البريطانى •

حدثت فى أواخر أغسطس اشتباكات كانت بين البوليس والاخوان عندما وقف حسن دوح بعد صلاة الجمعة يحرض الناس على مقاومة الثورة ويدعوهم الى العنف •

وتبلورت معارضة الاخوان للثورة فى موقف الرفض الذى وقفته كافة القوى السياسية ضد ما ورد فى اتفاقية الجلاء من حق عودة القوات البريطانية الى مصر فى حالة وقوع هجوم مسلح على أى بلد يكون طرفا فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو تركيا •

وعندما تم التوقيع النهائى على الاتفاقية يوم ١٩ أكتوبر لم تستقبلها الجماهير استقبالا طيبا وانتهز بعض الاخوان المسلمين فرصـــة الشعور

المعارض لتدبير اغتيال جمال عبد الناصر أثنا القاء خطابه بالاسكندرية يوم ٢٦ أكتوبر احتفالا بتوقيع الاتفاقية فى ميدان المنشية بالاسكندرية ·

كانت تقارير البوليس الحربى تدل على ان الشعور المعادى يسود الاسكندرية ··· وتختلف الأقوال فى جو سرادق الاحتفال بينما يقول ابراهيم الطحاوى سكرتير عام مساعد هيئة التحرير ان رجال الجيش الوطنى ـ تحت قيادة اللواء عبد الفتاح فؤاد ـ الذين حضروا الى السرادق كانوا يهتفون هتافات خاصة بهم لا يذكرون فيها اسم جمال عبد الناصر ·· يقول حسين عرفة أن جماهير الاسكندرية التى احتلت السرادق تعالى هتافها ضد الظلم ومن أجل الحرية ·

وبينما يقول ابراهيم الطحاوى ان رجال الحرس الوطنى قد افتعلوا ضجيجا متعمدا فى السرادق عندما حضر الوفد السودانى معتقدين أنه موكب عبد الناصر ·· يقول حسين عرفة انهم أخلوا السرادق من الجماهير فى الخامسة بعد الظهر ·

ويتفق الطحاوى وعرفة على أن أغلبية الموجودين فى السرادق كانوا ١٠٫٠٠٠ من عمال مديرية التحرير الموالين للثورة موالاة تامة ، والذين تسرب بينهم محمود عبد اللطيف أحد أعضاء الجهاز السرى للاخوان المسلمين ·

وقد أدت اجراءات اخلاء السرادق واعادة ملئه الى تأخير حضور عبد الناصر وزملائه بعض الوقت ·· وما ان بدأ خطبته حتى أطلقت من مسدس محمود عبد اللطيف ٩ طلقات وكان يجلس فى الصفوف الأمامية على بعد ١٥ مترا من منصة الخطباء والضيوف ·

أصيب ميرغنى حمزة وزير السودان والمحامى احمد بدر الذى كان يقف بجانب جمال عبد الناصر الذى لم تصبه الطلقات ·· والذى أصر على متابعة خطبته بعدما حدث فى السرادق من هرج مرددا قوله « أيها الرجال ، فليبق كل فى مكانه ·· حياتى لكم ، دمى فداء لمصر ، أتكلم اليكم بعون الله ، بعد أن حاول المعرضون أن يعتدوا على ، ان حياة جمال عبد الناصر ملك لكم ، عشت لكم وسأعيش حتى أموت عاملا من أجلكم ومكانى فى سبيلكم » ·

ولكن الخطبة لم تكتمل

وكان حادث الاعتداء نقطة تحول هامة فى مشاعر الشعب الذى كان يرفض ارهاب الاخوان المسلمين قبل ٢٣ يوليو ، والذى يرفض بطبيعته

المسالمة مثل هذا الاسلوب الدموى ، ويستنكر أن تكون طلقات الرصاص هى لغة التفاهم والاقتناع ·

واعتقل بعض الضباط الموجودين فى السرادق محمود عبد اللطيف ، الذى أطلق الرصاص واعتدوا عليه بالضرب الشديد ، ولكن أحمد أنور تحفظ عليه فى غرفة بجوار مكتبه طوال فترة التحقيق ولم يلبس ملابس السـجن ·

كان محمود عبد اللطيف العامل البسيط الذى يسكن امبابة مقتنعا بما أقدم عليه متأثرا بما أوحى به اليه محام اخوانى اسمه هنداوى دوير من أن اتفاقية الجلاء ليست فى مستوى ما يطلبـه الشعب بعد نضاله الطويل ، وانها تكلف مصر أعباء طائلة ، وتضعها تحت رحمة الانجليز فى المستقبل ·

حولت طلقات الرصاص مشاعر الجماهير نحو جمال عبد الناصر ، الذى قام بجولة فى الشوارع قابلته فيها الجماهير بحماس طبيعى ··· وخطب صلاح سالم ليلتها فى نقابة المحامين بالاسكندرية فتأثر بعضهم حتى البكـاء ·

وفى نفس الليلة صدرت الأوامر باعتقال الاخوان المسلمين ، وبدأت أكبر حملة اعتقال شهدتها مصر ··· حتى وصـل الأمر الى حد اعطـاء المعتقلين بطاقات يسجلون فيها أسماءهم وعناوينهم لتدون فى كشـوف سليمة ·

وشكل مجلس قيادة الثورة فى أول نوفمبر ١٩٥٤ محكمة خاصة باسم (محكمة الشعب) برئاسة جمال سالم وعضـوية أنور السادات وحسين الشافعى ··· فكانت رابع نوع من المحاكم تشكله الثورة ، بعد المجالس العسكرية ومحكمة الغدر ومحكمة الثورة ·

وقد شكلت ثلاث دوائر فرعية من محكمة الشعب الأولى برئاسـه اللواء صلاح حتاته والثانية برئاسة قائد الجناح عبد الرحمن عنان والثالثة برئاسة القائمقام حسين محفوظ ندا ·

بلغ عدد الذين حكمت عليهم محاكم الشعب ٨٦٧ ، وعدد الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية ٢٥٤ شخصا ··· وصدر الحكم باعدام محمـود عبد اللطيف ويوسف طلعت وهنـداوى دوير وابراهيم الطيب وعبد القادر عودة ومحمد فرغلى ونفذ الحكم فعلا ··· كما صدر حكم اعدام حسن الهضيبى ثم خفف الحكم الى الأشغال الشاقة المؤبدة ، ثم حكم على سبعة آخرين بالأشغال الشاقة المؤبدة ·

كان محمد نجيب مازال حتى لحظة محـــاولة الاعتداء على حيـــاة جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية بلا سلطات عملية تقريبا يقوم بمعظم واجباته ويحضر مقابلاته حسن ابراهيم وزير الدولة لشئون رئاســـــة الجمهورية ٠

وعندما وجد محمد نجيب فى اتفاقية الجلاء بعض ما يستحق النقد كتب مذكرة الى مجلس قيادة الثورة ٠٠٠ ثم فوجىء بها مطبوعة يوزعها الاخوان المسلمون ٠

وعقب الاعتداء على جمال عبد الناصر أرســـل اليه برقية ومندوبا للاستفسار عن صحته ، ولكن الصحف والاذاعة لم تشر الى ذلك ٠٠٠٠ فذهب محمد نجيب الى عبد الناصر فى منزله مستفسرا عن ســـبب عدم الاشارة الى ذلك فى الصحف ، مستنكرا أن يكون وراء ذلك محاولة افهام الناس برضائه عن هذا الاعتداء الارهابى ٠٠٠ ولم يســمع محمد نجيب جوابا مرضيا ٠

وفى يوم ١٤ نوفمبر توجه محمد نجيب الى مكتبه فوجد عددا من ضباط البوليس الحربى أمام قصر عابدين ، ولما اتصل بجمال عبد الناصر مستفسرا عما وراء ذلك ٠٠٠ حضر اليه بعد فترة قصيرة عبد الحكيم عامر وحسن ابراهيم ليبلغاه أن مجلس قيادة الثورة قد قرر اعفاءه من منصبه ٠

وذهب الاثنان معه الى حيث حددت اقامتـــه فى فيلا صغيرة كانت تملكها السيدة زينب الوكيل بضاحية المرج شمال القاهرة وعادا وحدهما ليصدر فى نفس اليوم قرار باعفائه من جميع المناصب التى كان يشغلها كما تقرر ان يبقى منصب رئاسة الجمهورية شاغرا وان يستمر مجلس قيادة الثورة فى تولى كافة سلطاته بقيادة جمال عبد الناصر ٠

هكذا وصل الصدام الأخير مع مجلس قيادة الثورة الى نهايته ٠

عزل محمد نجيب من رئاسة الجمهورية ٠

حلت الأحزاب السياسية ووضع قادتها فى السجون ٠

أغلقت صحيفة المصرى التى لعبت دورا كبيرا فى أزمة مارس ٠

حلت جماعة الاخوان المسلمين وأعدم قادتهـــا ووضـــع الألوف من أعضائها فى المعتقلات والسجون ٠

فشلت محاولات الانقلاب العسكرى وانتهت التنظيمات العســكرية المستقلة ، أو التابعة للقوى السياسية الخارجية داخل الجيش ٠

حلت نقابات الصحفيين والمحامين ، وعينت لها لجان مؤقته موالية لمجلس قيادة الثورة (١) •

كان واضحا منذ اللحظة الأولى ان الانتصار كان أكثر انجذابا لجانب أعضاء المجلس للأسباب الآتية :

أولا : لم تتوافر لمحمد نجيب شخصية الزعيم المؤثر فى أفكار الجماهير ، واقتصرت جاذبيته على سماحته وبساطته وهى أمور لا تكفى وحدها لتوجيه الحركة السياسية •

ثانيا : لم يلجأ محمد نجيب الى تكوين تنظيم موال له فى الجيش كما فعل جمال عبد الناصر وزملاؤه • كما أن صلته كانت معدومة بالقوى السياسية المختلفة ، على عكس جمال عبد الناصر الذى تعددت صلاته وتوحدت أهدافه أو تنافرت مع هذه القوى تبعا للظروف القائمة •

ثالثا : ضعف الوفد والأحزاب السياسية الأخرى وعدم قدرتها على تحريك الجماهير تبعا لتوجيهاتها لغياب عنصر التنظيم الحزبى الملتزم واعتمادها فقط على التنظيمات القديمة المؤثرة فى الجماهير بطريقة شخصية فقط •

رابعا : عدم وصول القوى الشيوعية واليسارية الى الدرجة المطلوبة من النضج والانتشار الكفيل بحشد الجماهير حولها ، علاوة على معاناتها من الانقسامات والاعتقالات •

خامسا : العجز عن تكوين الجبهة الوطنية الديموقراطية نتيجة لتردد الوفد ورفض الاخوان المسلمين وعدم وضوح الخط السياسى لمحمد نجيب •

سادسا : ترجيع كثير من الفئات للخط الوطنى الذى تبنته الحركة فى بدايتها على خطواتها المعادية للديمقراطية والتى لم تصل الى الجماهير البسيطة فى حياتها اليومية •

سابعا : انتهازية الاخوان المسلمين ووقوعهم فى شرك مساندة (مجلس قيادة الثورة) فى أحرج وقت تصادمت فيه القوتان •

---

(١) وكان مجلس نقابة المحامين مشكلا من عبد الرحمن الرافعى رئيسا وصليب سامى وكيلا وزهير جرانة أمينا للصندوق ومحمود الحناوى سكرتيرا وعلى بدوى ومحمود فهمى جندية وعمر عمر ومحمد مصطفى القلمى وعازر جبران واحمد زكى الحشيتى ويواكيم غبريال وتوفيق ومنصور فريد واحمد بدر وعبد العزيز الشوربجى وصلاح عبد الحافظ وعادل علوبة اعضاء •• وعين فكرى اباظة رئيسا لمجلس نقابة الصحفيين •

ثامنا : عدم تعاطف الشعب مع الاخوان في محنتهم لتصرفاتهم الارهابية السابقة وتخليهم عن النضال من أجل الحرية والديمقراطية ومعاداتهم المستمرة للأحزاب السياسية ٠

تاسعا : عدم توافر الظروف المواتية لتجميع العناصر الوطنية الديموقراطية داخل الجيش وتأييد بعضهم لمجلس القيادة حيث لم يجد منبرا آخر أكثر جاذبية له ٠

عاشرا : غيبة الحركة الجماهيرية المؤثرة التى كان يمكن ان تشكل قوة ضاغطة على أعضاء المجلس فلم يكن هناك اتحاد لنقابات العمال ولم تكن هناك تنظيمات فلاحية ، كما أنه لم يكن هناك تنسيق بين النقابات المهنية ٠

كل هذه الأسباب وغيرها جعلت انتصار (مجلس قيادة الثورة) باعتباره المعبر عن حركة الجيش أكثر رجحانا ٠٠٠ وخاصة بعد أن انفردت الحركة بالقوى المختلفة تطيح بها واحدة بعد الأخرى ، دون ادراك بأن هذه المطرقة الهاوية لن تتوقف الا اذا تحولت كل التنظيمات الحية الى جثث هامدة أو مغشى عليها ٠

ومنذ ان عزل محمد نجيب واختفت التنظيمات السياسية واحتشدت السجون والمعتقلات السياسية من مختلف الاتجاهات ٠٠٠ أصبحت حركة الجيش هي المسيطرة ٠

وانتصر الجانب المسلح من الطبقة المتوسطة بعد ان وجه ضربة قاضية للاقطاع ، وضربات شديدة لابناء طبقته من المدنيين ٠

وانتهت سنوات التصادم بانتصار كامل للعسكريين ٠

وبدأت مواجهتهم لمشاكل المجتمع تحدد خط سيرهم فى المستقبل القريب والبعيد ٠

مجتمع جمال عبد الناصر

الى ولدى عـلاء وهـانى

وجيـل مصر الجـديد

مقدمة

كان الأمر عندى مشكلة ...

عندما بدأت جلسات الحديث والمناقشة مع المسئولين عن النظام فى مصر من أعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط الأحرار والسياسيين ، تبينت أن قصة ثورة يوليو أكبر من أن يضمها كتاب واحد .

وتبينت أيضا أن الحديث عن مصر والعسكريين لا ينتهى بوصولهم الى قمة السلطة ...ولكنه يبدأ .

واكتشفت ان سنوات الصدام التى انتهت كما ورد فى الجزء الأول بالقضاء على الأحزاب القديمة واعتقال الشيوعيين وحل الاخوان المسلمين، وضرب المحاولات الانقلابية داخل الجيش ، وعزل محمد نجيب ... لا تظهر الدور الذى قام به العسكريون فى بناء المجتمع ... ولكنها تؤجله بل وتخفيه .

ووجدت نفسى قد بدأت مرحلة لا يمكن التراجع عنها أو التردد فيها ...

وواصلت المسيرة باحثا ... ومحاولا تسليط الضوء على قضايا ... قد لا تكون جديدة ... ولكنها فى زحمة الأحداث تبدو فرعية ... وهى رئيسية .

وفى هذا الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) أقدم هذه المحاولة .

لماذا ... مجتمع جمال عبد الناصر ؟

متابعة حركة السلطة العسكرية الجديدة فى مصر يكشف انه بعد ان تغلب مجلس قيادة الثورة على اعدائه وخصومه ، بدأ الدور الذى يلعبه جمال عبد الناصر ــ القائد المنتخب للضباط الأحرار ــ يصبح أكثر بروزا

وتميزا ٠٠٠ فهو بين زملائه القائد المفوض ٠٠٠ وعند الجماهير القائد الجديد الذى يخلف محمد نجيب صاحب الشخصية البسيطة ، بعد محاكمات الاخوان المسلمين التى وقف فيها بعض زعمائهم على المشنقة ونفذ فيهم الاعدام ٠

كانت مسئولية الانفراد بالسلطة ، والتوجه لحل المشاكل ، وكسب ثقة الجماهير ٠٠٠ هى العوامل التى تثقل كاهل القيادة الجديد ٠

ولكن سرعان ما تبين ان قيادة وطنيــة ثائرة ، قد وجدت أمامها فرصة متاحة للانطلاق ٠

وكانت الفترة التى اخترت لها اسم (سنوات الصعود) ٠

القيادة الجديدة تصعد خلف جمال عبد الناصر فى سرعة خارقة الى قمة عالية ٠٠٠

توالت المواقف الوطنية التى وحدت ارادة القيادة وارادة الجماهير ٠٠٠ والتى جعلت من جمال عبد الناصر زعيما شعبيا تلتف حوله الأمة العربية على امتداد الوطن الكبير فى المدن والقرى الصغيرة ونجوع الصحراء البعيدة ٠

وبعد تحرير مصر والسودان ، والانتصار فى معركة الأحلاف العسكرية ، وتأميم القناة ، وانسحاب قوات العدوان الثلاثى ، بدأ تشكيل المجتمع الجديد ٠

أين يقف العسكريون من هذا المجتمع ؟

وما هو دور الجيش فى هذه المرحلة ؟

أسئلة تحتاج الى بحث فى أرجاء المجتمع وفى حشايا الجيش ٠٠٠ وفى موقفه من الطبقات المتصارعة ٠

كان زحف العسكريين نحو السلطة يتم فى دأب وهدوء ٠٠٠ حتى كادت تصبح معظم المراكز القيادية ، والمواقع الحساسة فى ايديهم ، بعد أن استبدلوا ثيابهم العسكرية بثياب مدنية ٠

هرم متماسك من العسكريين تكون فى قمة السلطة ٠٠٠ وشخصية الزعيم تزداد ارتفاعا وتألقا ٠

ولكن الساحة ظلت خالية من التنظيمات السياسية والنقابية ذات التعبير الصحيح عن ارادة الجماهير ٠

وبدأ تشكيل المجتمع الجديد بالارادة الذاتية للزعيم ، وبالوسائل التجريبية التى جعلت التكتيك يسبق الاستراتيجية .

غابت الايديولوجية كما غابت التنظيمات السياسية الحقيقية .

الجيش يدعم سلطته كقوة سياسية ... ولكن موقفه الطبقى غير محدد .

الحيرة تمزق الباحث ... كما تغلب على تصرفات الحاكم .

والاختيار صعب ... فتحديد الطريق وسط دوامة الأحداث المحلية والعالمية ... أمر شاق وعسير .

واخيرا

يتحدد الطريق ... وتسجل الأفكار ... ويبعث الميثاق — أول وثيقة مكتوبة للثورة — دليلا للعمل ... نحو تشكيل مجتمع جديد ... مجتمع جمال عبد الناصر .

الحرية ، والاشتراكية ، والوحدة ... شعار النظام ومضمون الميثاق .

هل تحققت الاشتراكية ؟

هل مضى التطبيق فى طريقه السليم ؟

أسئلة كثيرة نغوص فيها فى مجتمع عبد الناصر ... لنصل الى الحقيقة .

ولا بد من كلمة شكر وتقدير لكافة الذين تفضلوا فمنحونى من وقتهم ساعات وساعات ولم يترددوا فى اعلان آرائهم ومواقفهم ... عندما علموا ان الكلمات لن تضيع وتتبدد فى الهواء ... ولكنها سوف تسجل لتكون تاريخا لمصر ... ولثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

احمد حمروش

الباب الأول

سنوات الصعود

الفصل الأول

تحرير مصر ٠٠ والسودان

خرج جنود الاحتلال البريطاني عن السودان قبل مصر ٠٠ وعندما خرجوا من مصر بعدها بشهور قال جمال عبد الناصر (والآن يبقى علينا اعادة بناء بلدنا) ٠

ما ان نجحت حركة ٢٣ يوليو فى وصول الضباط الى السلطة وتحمل مسئولية الحكم حتى فرضت القضية الوطنية نفسها ، وأصبح على الحكام الجدد أن يجدوا حلا لها بعد ان تعثرت طويلا فى طريق المفاوضات ٠٠٠ وبعد ان كانت سوريا ولبنان قد جلت عنهما القوات البريطانية والفرنسية فعلا عام ١٩٤٦ ٠

والقضية الوطنية فى ذلك الوقت لم تكن تعنى تحرير مصر وحدها وجلاء القوات البريطانية عن أرضها فقط ، ولكنها كانت تشمل قضية السودان أيضا ٠

والسودان هو الصخرة التى تحطمت عليها معظم المفاوضات المصرية البريطانية وخاصة التى قامت بها الحكومات الوفدية ٠٠٠ يقول فؤاد سراج الدين (ان فكرة الاستفتاء كانت مستبعدة ومرفوضة ، لانه لا يمكن اقرار استفتاء لاسيوط مثلا) ٠٠٠ هذا يعنى ان الأساس فى النظرة المصرية كان وحدة عضوية شاملة لمصر والسودان ٠

ويقول فؤاد سراج الدين أيضا ان محمد صلاح الدين وزير الخارجية فاجاهم قبل سفره الى باريس فى يناير ١٩٥٢ لحضور اجتماعات عصبة الأم بأنه يريد القاء قنبلة يتحدى بها البريطانيين على أساس قبول الاستفتاء اذا خرج الموظفون البريطانيون من هناك ٠٠٠ ولكن الحكومة لم توافق لمخالفة ذلك لسياسة الوفد ، وخشيتهم من التدحرج لقبول ـ مبدأ الاستفتاء ، وما قد يصحب ذلك من تعثر الضمانات المطلوبة لاستفتاء حر سليم •

تراجع محمد صلاح الدين عن رأيه ، ولكن الوزارة فوجئت بخطابه يوم ٢٣ يناير ٩٥٢ يكرر فيه ما سبق ان قاله ٠٠٠ واجتمع مجلس الوزراء فورا لمناقشة خطاب صلاح الدين ٠٠٠ وانبرى بعض الوزراء لمهاجمته وفى طليعتهم الدكتور طه حسين ، الذى تحدث عن (الخيانة الوطنية العظمى) التى ارتكبها وزير الخارجية ٠٠٠ وكلف مصطفى النحاس استدعاءه على أول طائرة ٠٠٠ ولكنه وصل يوم ٢٧ يناير بعد اقالة الحكومة الوفدية •

مبدأ الاستفتاء الذى قبله محمد صلاح الدين بضمان خروج الموظفين البريطانيين قبل اجرائه ، كان محور اهتمام الضباط عقب وصولهم للسلطة •

كان ثلاثة من مجلس قيادة الثورة لهم صلات خاصة بالسودان ٠٠٠ محمد نجيب ولد فى الخرطوم ووالده وخاله خدما هناك فى الجيش المصرى ودفنا هناك ٠٠ وصلاح سالم ولد فى سنكات احدى مدن السودان الجبلية التى تستخدم كمصيف ٠٠٠ وأنور السادات من أم سودانية •

ولكن ذلك لم يكن يعنى ارتباط الثلاثة بالسودان ٠٠٠ محمد نجيب هو الوحيد الذى كان له صلات شخصية بعدد كبير من السودانيين لخدمته هناك فى مطلع حياته ، واعداده لكتيب خاص عن السودان ٠٠٠ أما أنور السادات فقد شغلته اهتماماته بقضية مصر عن تجديد صلاته بالسودان ٠٠٠ وصلاح سالم كان بعيدا تماما عن مشكلة السودان •

يقول صلاح سالم فى كتاب الدكتور محمد المعتصم (صلاح سالم) ٠٠٠ (لم اقرأ فى حياتى قبل ٢٣ يوليو عن السودان سوى القدر اليسير ٠٠٠ لم أقرأ سوى كتابين ـ احدهما إستخفنى عنوانه عن الصيد والمغامرات فى غابات جنوب السودان لعطا أثناسيوس أحد المؤرخين المصريين والآخر لتشرشل بعنوان (حرب النهر) ٠٠٠ ولم يكن لى صديق سودانى واحد يحدثنى واتحدث معه فى شئون بلاده وأهله ٠٠٠ لم أسمع شيئا عن السودان الا من والدى الذى أمضى زهرة شبابه وحياته فى ربوع هذا القطر •

وفرضت قضية السودان نفسها على مجلس القيادة بأسرع ما توقعوا ... ففي الأيام الأولى للحركة كانت مسئولية الجيش موزعة على ثلاثة هم عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وصلاح سالم ... وتلقى الأخير مكالمة تليفونية من البكباشي عبد الفتاح حسن الياور المصرى للحاكم العام فى الخرطوم يبلغه فيه أن بعض الجنود السودانيين الذين جندوا بعد حريق القاهرة ثم سرحوا وأرسلوا للسودان قد تظاهروا ضد مصر لانهم لم يحصلوا على مكافأة ترك خدمة . ورغم ان القانون لا يسمح بصرف هذه المكافأة فان صلاح سالم أصدر قراره بصرفها باعتباره قد كلف بمسئولية قوات الجيش فى السودان .

وقد توافدت وفود الأحزاب السودانية على مصر للتعرف بقادة الحركة من ضباط الجيش ، وكان محمد نجيب معروفا لأغلبهم ، وكان صلاح سالم مؤيدا الاتصال بهم بعد أن كلفه المجلس بالاشراف على شئون السودان فى الوقت الذى وزعت فيه مسئولية الوزارات المختلفة على أعضاء المجلس خلال شهر أغسطس ١٩٥٢ .

وكانت نقطة البدء هى توجيه الدعوة لممثلى كافة الأحزاب السودانية للحضور الى القاهرة لمناقشة الموقف والاتفاق على رأى موحد ... وخاصة ان السودانيين كانوا لا يعتبرون أنفسهم غرباء عن سياسة مصر ... نشر محمد أحمد محجوب قطب حزب الأمة مقالا اعتبر فيه رأى سليمان حافظ فى تنحية النحاس مخالفا للقانون وحضرت وفود الأحزاب السودانية المؤيدة للاتحاد مع مصر والمعارضة له أيضا ... حضر السيد عبد الرحمن المهدى ، واعتذر عن عدم الحضور السيد على الميرغنى لمرضه .

وبدأت المفاوضة مع مندوبى الأحزاب بوفد مصرى شكل برئاسة اللواء محمد نجيب رئيس الوزراء ومعه على ماهر وعبد الرازق السنهورى وصلاح سالم وحسين ذو الفقار صبرى .

وناقشت الوفود خلال المفاوضات موقف بريطانيا ، حيث أعلن الحاكم العام فى أوائل ١٩٥٢ مشروع دستور للحكم الذاتى للسودان منتهزا فرصة الغاء وزارة مصطفى النحاس لمعاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى السودان عام ١٨٩٩ .

وهذا ما دفع محمد صلاح الدين الى اتخاذ موقفه السابق ... وهو ما دفع وفد المفاوضة المصرى أيضا الى مجابهة هذا الموقف بأسلوب جديد .

وأصبح تعبير (تقرير المصير) متداولا بين المصريين والسودانيين أيضا ، بعد أن كان سلاحا يشهره البريطانيون لعزل مصر عن السودان .

التنظيمات الوحيدة التى أيدت (حق تقرير المصير) للسودان قبل حركة ٢٣ يوليو ، كانت التنظيمات الشيوعية التى ورد ضمن برنامجها المنشور فى ١٧ ابريل ١٩٥١ بمجلة روز اليوسف (حرية الشعب السودانى وحق تقرير مصيره بنفسه وتأييد كفاحه من أجل التحرير الكامل وجلاء جميع القوات الاستعمارية البريطانية والمصرية من أرضيه) .

ولم تستمر المفاوضات التى بدأت فى نوفمبر ١٩٥٢ مع الأحزاب السودانية طويلا ، فقد توصلوا الى اتفاق يقبل به الجميع نتيجة الاستفتاء على تقرير المصير ... وتوصلوا أيضا الى توحيد الأحزاب السودانية عدا حزب الأمة عن طريق تفويض لجنة ثلاثية من الدرديرى أحمد اسماعيل وخضر حمد وميرغنى حمزة لوضع ميثاق تأليف حزب واحد .

وافق الجميع ووقعوا تحت هذه العبارة (اقبل قيام الحزب الواحد بأى وضع يرتضيه الثلاثة) ووقع على هذا التفويض كل من محمد نور الدين وحماد توفيق ودرديرى أحمد اسماعيل ودرديرى محمد عثمان والطيب محمد خير واسماعيل الأزهرى وخضر حمد ومبارك زروق وخضر عمر وعلى الشيخ بشير وميرغنى حمزة ويحيى الفضلى ، ووقع معهم محمد نجيب وصلاح سالم وحسين ذو الفقار صبرى .

وهكذا انبثق عن هذه اللجنة تكوين (الحزب الوطنى الاتحادى) مع اختيار اسماعيل الأزهرى رئيسا ومحمد نور الدين نائبا له ... ونص دستور الحزب على جلاء الانجليز وقيام اتحاد مع مصر بعد تقرير المصير .

وهكذا أمكن للمصريين مواجهة البريطانيين بأسلوبهم مع ضمان توحيد الأحزاب السودانية فى حزب واحد برأى موحد هو (الاتحاد مع مصر) ... ومع ضمان موافقة حزب الأمة على نتيجة الاستفتاء ايا كانت ... وهذا مما يفسح الطريق للاتحاد مع مصر حيث كان حزب الأمة يمثل الأقلية فى رأى مجلس القيادة .

وبعد ما وصلت المفاوضة مع الأحزاب السودانية الى هذه النتيجة فى ٢٨ أكتوبر ، تشعب النشاط السياسى الى شعبتين ... سافر صلاح سالم الى السودان فى نوفمبر ، وأرسل محمد نجيب مذكرة الى البريطانيين اقترح فيها الآتى :

١ ـ تمكين السودانيين من ممارسة الحكم الذاتى الكامل .

٢ ـ تهيئة الجو الحر المحايد الذى لا بد من توافره لتقرير المصير .

وكان هذا التغير الجذرى فى ايديولوجية المفاوض المصرى مفاجأة تامة للحكومة البريطانية التى لم تجد بدا من الموافقة .

بدأت المباحثات فى ٢٠ نوفمبر ١٩٥٢ وتشكل الوفد المصرى برئاسة محمد نجيب وعضوية صلاح سالم وحسين ذو الفقار صبرى والدكتور محمود فوزى والدكتور حامد سلطان وعلى زين العابدين ، وكان الوفد البريطانى مكونا من سير رالف ستيفنسون ومستر كووزويل الوزير المفوض ومستر باورز السكرتير الأول بالسفارة .

وكانت هذه أول تجربة يخوضها الضباط المصريون فى مباحثات سياسية هامة ، يتعرضون فيها الى ديبلوماسية تخالف طبيعتهم ، ويجابهون مواقف تحتاج منهم الى دراسة واطلاع .. خاصة وان بعضهم كان يجابه مشكلة غريبة عليه تماما مثل صلاح سالم حسب روايته .

الخلافات التى حدثت أثناء المباحثات أمكن التغلب عليها بحيوية الشباب فقد سافر صلاح سالم مرة ثانية الى السودان حيث اجتمع مع ممثلى الأحزاب السودانية ـ الأمة والوطن الاتحادى والجمهورى الاشتراكى فى ١٠ يناير ١٩٥٣ واتفقوا على توقيع وثيقة تؤيد وجهة نظر المفاوض المصرى فيما يتعلق بموضوعات جنوب السودان واختصاصات الحاكم العام وسودنة الوظائف وجلاء الجيوش الأجنبية ... وان تكون هذه الوثيقة هى أساس دستور الحكم الذاتى ، والا فان الأحزاب تقاطع الانتخابات .

وعندما وضعت هذه الوثيقة أمام المفاوضين البريطانيين سدت عليهم سبل المناورة ، ووصلوا الى توقيع اتفاقية السودان فى ١٢ فبراير ١٩٥٣ ... هكذا لم تستمر المفاوضات الا فترة تقل عن ثلاثة شهور وانتهت مشكلة السودان بأمل كبير فى الاتحاد مع مصر .

وهكذا كانت الصخرة التى تحطمت عليها معظم المفاوضات المصرية هى أول المشاكل التى أمكن لضباط الجيش أن يصلوا فيها الى حل ارتضته الأطراف الثلاثة ... وكان ذلك راجعا الى المرونة التى تبناها المفاوض المصرى ، بعد الرفض المطلق لمبدأ (الاستفتاء وتقرير المصير) .. واعتبار حق مصر فى السودان حقا مقدسا لا يقبل الجدل .

ولا شك ان موقف حركة الجيش كان سليما تماما فى وجهة النظر التى تقبل الاستفتاء فى حق تقرير المصير وترفض اكراه شعب السودان على قبول أمر لم يختره بارادته الحرة ... وكان لمحمد نجيب دور فى تبنى هذه الفكرة واقناع زملائه بها لصلاته الوثيقة بالسودان .

وقع الاتفاقية محمد نجيب ورالف ستيفنسون ونصت على تحديد فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات يتم فيها تصفية الادارة الثنائية (الانجلو

مصرية) ••• ويكون للحاكم العام أثناء فترة الانتقال السلطة الدستورية العليا وفقا لقانون الحكم الذاتى تعاونه لجنة خماسية مؤلفة من عضوين سودانيين ومصرى وبريطانى وباكستانى ••• مثل مصر فيهـا حسين ذو الفقار صبرى •• (وتقرر أيضا تاليف جمعية تأسيسية منتخبة لتقرير مصير السودان على أساس :

(أ) ارتباط السودان بمصر على أية صورة •

(ب) أو الاستقلال التام أى الانفصال عن مصر •

وان تنسحب القوات العسكرية المصرية والبريطانية من السودان فور اصدار قرار البرلمان السودانى رغبته فى الشروع فى اتخاذ التدابير لتقرير المصير •

كما شكلت لجنة لسودنة الوظائف خلال فترة الانتقال •

وكان توقيع الاتفاقيـة انتصارا لشعب السودان ••• وأملا لشعب مصر فى اتحاد ديموقراطى مع البلد الشقيق •

يقول أنطونى ايدن فى مذكراته أعرب بعض أعضاء مجلس العموم عن شكوكهم فى أهمية هذا الاتفاق وكنت أخشى لو لم يصدق البرلمان على الاتفاق ان يلقى السودانيون اللوم علينا ويتهموننا بعرقلة الجهود المبذولة لاجراء الانتخابات فى بلادهم تمهيدا لتمتعهم بحق تقرير المصير وبديهى ان مصر كانت ستغتنم الفرصة فتضاعف من حملتها علينا ، لهذا جاهدت فى شرح الاتفاق ومزاياه لأعضاء المجلس الى ان تمكنت من اقناعهم بسلامته ، وكنت فى الواقع أرى أن أستقيل لو لم يؤيد المجلس الاتفاق ويأخذ بوجهة نظـرى) •

وفى سبيل ذلك قرر مجلس القيادة ايفاد صلاح سالم فى زيارة الى جنوب السودان حيث كان محرما على أبناء الشمال من السودانيين الذهاب الى الجنوب الا بتصريح خاص ، كما حرم على الجنوبيين الخروج الا باذن خاص أيضا ••• ولكن صلاح سالم كسر هذه القاعدة ولم يحصل على اذن بالدخول ••• ويقول يوزباشى محمد أبو نار مدير مكتبه لشئون السودان فى ذلك الوقت أن الأمريكيين قد سـاعدوا فى دخـول البعثة المصرية الى الجنوب عن طريق اتصالات مستر كافرى السفير الأمريكى ومستر صوينى ضابط اتصـال السفارة وكان اهتمام أمريكا بالسودان مؤيدا محاولتها انشاء مكتب هناك كما نشرت المصرى فى ٦ أكتوبر ١٩٥٢ وتمت الزيارة فى شهر أغسطس وهو خريف السودان وموسم الأمطار هناك •

كانت رحلة صـلاح سـالم الى الجنوب ناجحة تماما ... فقد زار المديرية الاستوائية .ولبى دعوة المحافظ البريطانى الى العشاء حيث كانت زوجة المحافظ على خدمتهم بنفسها ... ولكن هذا لم يمنع « صلاحا » من اجراء مناقشة حادة مع المحافظ حول اسلوبه فى معاملة الناس ... وكان لهذه المناقشـة تأثير سـحرى على الجماهير التى كانت تنظر للمحافظ كمعبود لا يجرؤ أحد على معارضته ، حيث كانت له سلطة العقـاب وطرد المفتشين البريطانيين أنفسهم .

وهكذا اهتزت صورة المعبود وتدفقت العرائض على صـلاح سالم تحمل شكاوى وآلام الناس هناك ... وازدادت الزيارة نجاحا عندما زار صلاح سالم منطقة قبائل الدنكا واستقبلوه برقصـة الحرب ، فشاركهم فيها عاريا ، ونشرت الصحف البريطـانية صـورته مطلقة عليه اسـم (الصاغ الراقص) .

وخلال هذه الفترة اعتمد صلاح سالم على المساعدات والهبات المالية يقدمها الى الزعماء السياسيين ليضمهم الى جـانب مصر ... وقد أثيرت شائعات كثيرة حول مجموع المبالغ التى صرفت هناك ، ولكن محمد أبو نار يؤكد انها لم تتجاوز نصف مليون جنيه .

وحدثت عدة مساجلات بين ايدن وصـلاح سالم ... قال ايدن فى مجلس العموم فى أكتوبر ١٩٥٣ ان صـلاح سـالم يذهب الى السودان لاقناع السودانيين بتقسيم مقاعد البرلمان ، ولكنه لم ينجح ــ على حسب تعبير ايـدن .

ولم يتردد صلاح سالم فى مهاجمة ايدن علنا ، مؤكدا هزيمة السياسه البريطانية فى السودان ، كاشفا أن وزير الخارجية سلوين لويد كان يزور الخرطوم وقت وجود صلاح سـالم هناك فى محـاولة لمنع مرشح الحزب الوطنى الاتحادى الدرديرى محمد عثمان من دخول لجنة الحاكم العام ولكنه فشل ... كما استدعى لجنة من الجنوب لتدلى برأى مناصر للاتجاهات البريطانية هناك ، ولكنها لم تنجح فى تحويل التيار المؤيد لمصر هناك .

وأجريت أول انتخابات فى ظل الاتفاقية .

وفاز الوطنى الاتحادى باغلبية ساحقة ، وتولى اسماعيل الأزهرى رئاسه اول وزارة سودانية يوم ٩ يناير ١٩٥٤ .

وهكذا يمكن القول ان حيوية صلاح سالم واسلوبه الذى يتفق مع طبيعة تكوينه كضابط قد حقق نجاحا لا بأس به كان يمهد الطريق فعلا لوحدة وادى النيل .

الحزب الوطنى الاتحادى الذى يملك الأغلبية مشكل من أعضاء مرتبطين فى نضالهم الطويل بالشعب المصرى ، ووحدتهم كانت على أساس الاتحاد مع مصر ، ولكن الامور لم تمض فى طريقها الطبيعى .

لم يسلك مجلس القيادة اسلوبا حكيما فى التعامل مع السودانيين ... ولم يواجه زعماءهم بوجه واحد ... وانما ترك صلاح سالم يتصرف فى الأمر وحده بطريقته الخاصة ، دون مناقشة جماعية مشتركة ، وبغير حرص على الاستفادة من علاقة محمد نجيب الطيبة بكافة الزعماء السياسيين .

كانت ظروف العمل فى مجلس القيادة لا تسمح كثيرا بالمناقشة الهادئة أو المتابعة الدؤوبة ، فقد كان انتقال أعضائه من أعمال محدودة معروفة لهم جيدا فى صفوف الجيش ، الى مسئوليات متعددة متشعبة معظمها مجهول لهم فى بحر السياسة والادارة المصرية ، هو أمر يحتاج منذ البداية الى تنظيم علمى هادىء وتخصص تنظيمى سليم .

تدفق الأعمال على مجلس القيادة فرض ظروفا ينفرد فيها البعض بمسئوليات تحتاج الى التشاور ... وظهور التناقضات بين محمد نجيب وأعضاء المجلس عكس ذلك على اتصالاتهم الخارجية ومظهرهم أمام الجماهير ... وخاصة فى السودان .

ولذا فان الأمور لم تمض فى طريقها الطبيعى ... وتصرف صلاح سالم فى معاملاته مع بعض زعماء السودان باسلوب الضباط وليس بأسلوب السياسيين ، كما ان تجمع بعض ضباط الصف الثانى الذين كونوا شللا خاصة لكل عضو من أعضاء المجلس حال بينهما وبين الرؤية الكاملة ... وسياسة توزيع الأموال على السياسيين كانت فى أغلبها مفسدة .

وعندما زار عبد الحكيم عامر وصلاح سالم السودان فى يناير ١٩٥٤ بعد أيام من تولى الأزهرى رئاسة الوزراء كان الاستقبال لهما طيبا . وصرح الأزهرى قائلا (ان الاتفاقية سوف توضع موضع التنفيذ نصا وروحا) .

وقام الاثنان بزيارة كافة مناطق السودان ، زيارة احتج عليها سلوين لويد وزير الخارجية البريطانى .

ولكن الزيارة فى مظهرها العلنى لم تكن معبرة تعبيرا صادقا عن همسات بدأت تتردد عن خلافات فى مجلس القيادة ، يبدو أن صلاح سالم قد خاض فيها بصراحته المعهودة ، فانعكس ذلك خشية وترددا بين بعض الزعماء السودانيين .

كانت مصر قادرة حتى هذه اللحظة تحت قيادة محمد نجيب وبمجلس قيادة موحد أن تستوعب كل الآراء الوطنية فى السودان لاقامة اتحاد على أساس ديموقراطى لمصلحة الشعبين ••• ولكن ظهور الخلافات فتح ثغرة مناسبة لاعداء الاتحاد مع مصر ينفذون منها •

والاتحـاد بين الدول لا ينجح اذا تم على أساس فوقى بين الحكام وبعضهم وانما ينجح اذا تم على أساس جماهيرى تدعمـه تنظيمات واعية قوية ، وكان لمصلحة البلدين فعلا ••

كان ظهـور الخلافات بين محمـد نجيب وأعضـاء المجلس بداية لانتكاسات واضحة فى تنفيذ الاتفاقية ••• وقد وصلت المشكلة الى الذروة عنـدما فوجئت الجماهير السودانيـة باسـتقالة محمـد نجيب فى فبراير ١٩٥٤ •

وكان لهذه الاستقالة وقع عميق فى نفوس السودانيين الذين تطلعوا الى الاتحاد مع مصر فى وجود محمد نجيب ـ نصف السودانى ـ والذين أدانوا أسلوب التناقضات الحادة بين أعضاء المجلس واعتبروا موقفهم من نجيب متسما بعدم الوفاء ، مما عكس عليهم هذه الصفة ، وخلق فى نفوس السودانيين حذرا من الاتحاد مع أعضاء المجلس ، فقامت المظاهرات تهتف لنجيب فى شوارع المدن السودانية •

وقد سافر الى القاهرة فور اعلان الاستقالة وفد سودانى فى محاوله لرأب الصدع ولكن نجيبا كان قد عاد الى موقعه تحت ضغط المظاهرات فى الشوارع وسافر بعد ذلك فورا الى السودان مع صلاح سالم يوم أول مارس ١٩٥٦ للمشاركة فى احتفالات السودان بافتتاح أول برلمان ولكن مظاهرات حاشدة أطلقهـا حزب الأمة حاصرت المطـار تهتف (لا مصرى ولا بريطانى ••• السودان للسودانى) وحدثت اشتباكات دموية قتل فيها ٣٣ قتيلا وجرح ١٠٧ وعاد نجيب فجر اليـوم التالى مع صلاح والمقابلة تشكل طعنة لا شك ، فيها ثم سرعان ما تفجر الموقف ضد نجيب مرة أخرى فى شهر مارس كما سبق شرحه وانزوى نجيب فى مكانه رئيسا للجمهورية بلا سلطة • حتى عين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء وصاحب سـلطة مطلقـة •

وانتهزت القوى المعادية للاتحاد مع مصر هذه الفرصة ، وعبرت عن نفسها تعبيرا صريحا •••

ولم يكن ذلك أمرا شاذا ••• فان وضع أى مواطن أمام اختيارين فقط هما الاستقلال أو الاتحاد مع مصر ، يدفعه الى اختيار الاسـتقلال الا اذا كان مطمئنا تمام الاطمئنان الى فوائد الاتحاد ومنفعته له وثقته فى

قيادته وخاصة ان هذا الاختيار يتم بعد مرحلة طويلة من الاستعمار لم ينعم فيها الشعب السودانى بحريته ويمارس فيها حكم نفسه بنفسه ٠

وهكذا وجد الأزهرى لنفسه فرصة التحول عن رأيه مدعيا انه كان يقصد بالاتحاد (اتحاد أقاليم وقبائل السودان) ، واتخذ عدة اجراءات أسفرت عن موقفه تماما ٠

١ ـ رفض هدية من الأسلحة الحديثة عرضتها مصر فى أوائل عام ١٩٥٤٠

٢ ـ رفض ارسال ضباط سودانيين للتدريب فى مصر على نفقتها وأصر على تدريبهم فى بريطانيا ٠

٣ ـ أوقف الصحف الاتحادية وسحب ترخيص بعضها ٠

٤ ـ لم يوافق على رصد مصر لمبلغ ٧٥٠ الف جنيه لتنفيذ مشروعات ثقافية وصحية واجتماعية فى أرجاء السودان ٠

وسافر اسماعيل الأزهرى الى لندن يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٤ حيث استقبلته الملكة اليزابيث ، وأقام له تشرشل حفل غداء ، وعقد اجتماعا مع لجنة الشئون الخارجية لحزب المحافظين كما نشرت صحيفة الأهرام يوم ٨ ، ٩ نوفمبر ٠

وعقب عودته من لندن ، أعلنت اقالة محمد نجيب وتحديد اقامته يوم ١٤ نوفمبر وأشارت الصحف الى احتمال محاكمته لارتباطه بالاخوان المسلمين ٠

وأسرع من جديد الى القاهرة وفد سودانى فى محاولة لانقاذ نجيب من المحاكمة مشكل من نجل السيد على الميرغنى واسماعيل الأزهرى ومحمد نور الدين وعلى عبد الرحمن ويحيى الفضلى وابراهيم المفتى ٠ واستقبل الوفد جمال عبد الناصر وصلاح سالم وتم الاتفاق بينهما على اصدار هذا البيان الذى نشر فى الأهرام يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٥٤ وجاء فيه :

(أطلع وفد الحزب الوطنى الاتحادى على دقائق الأمور ، وكان متتبعا لسير الحوادث التى قادت الى الظروف الراهنة فى مصر ، وهو مقتنع تماما بأن اجراء تنحية اللواء محمد نجيب عن منصبه ، كان اجراء لا مفر منه ، روعيت فيه مصلحة البلاد العليا أولا وأخيرا فى تلك المرحلة التى ما كانت لتتحقق للبلاد لو سارت الأمور على ما كانت عليه ، ولقد تلاقت وجهات النظر مع الحسيب النسيب السيد على الميرغنى ووفد الحزب الوطنى الاتحادى والمسئولين فى مصر على قفل هذا الموضوع نهائيا بعدم تقديم اللواء محمد نجيب للمحاكمة حتى لا تعطى الفرصة لاعداء البلاد الذين يتربصون للنيل من وحدة الصفوف وتدمير أهداف البلاد) ٠

قفل هذا البيان موضوع محاكمة محمد نجيب ٠٠٠ وقفل أيضا فرصة الاتحاد مع مصر ، نتيجة عدة عوامل أساسية نتجت عن تصرفات مجلس القيادة وهي اقالة محمد نجيب ، وقسوة محاكمات الاخوان المسلمين الذين كانوا يفرخون في أحضان حزب الأمة ، واعتقال الشيوعيين الذين كان لهم نفوذ كبير في السودان خاصة بين المثقفين والعمال ٠٠٠ هذا الى جانب نشاط الانجليز والأمريكان في محاولة احتواء اسماعيل الأزهري ومبارك زروق ٠

وعندما سافر اسماعيل الأزهري الى مؤتمر باندونج ٠٠ لم يقف مع الدول المتحررة ، ولكنه اتخذ موقفا التقى فيه مع اتجاهات بعض الدول الرجعية مثل العراق التى كانت تهيىء نفسها لدخول حلف بغداد ٠٠٠ كما انه كان قد ألف لجنة من أعضاء الحزب الوطنى الاتحادى قررت التخلى عن مسالة الاتحاد مع مصر ، ووافقت الهيئة العامة للحزب على ذلك ٠

وأخذت بذور التناقض تنمو بين الأزهرى ومجلس القيادة ممثلا فى صلاح سالم والذى كان قد فقد بعض شعبيته هناك لموقفه الحاد من محمد نجيب ، ولكنه دخل فى تناطحه مع الأزهرى الى أبعد مدى ، فقد أثار ضده فريقا من الحزب الوطنى الاتحادى بزعامة محمد نور الدين نائب رئيس الحزب ، وأثار ضده الجنوبيين أيضا كقوة ضغط ٠٠٠

طفت المعركة الى السطح ٠٠٠ وخطب اسماعيل الأزهرى فى الجماهير يقول (ان لحم أكتافى من مصر ، وقد دخلتها منتعلا حذاء كاوتش ٠٠٠ ولكن هل يرضيكم أن يحكمنا صلاح سالم والعسكريون فى مصر ؟ وتصرخ الجماهير بصوت عال (لا ٠٠٠ لا) ٠

واستخدم صلاح سالم فى معركته ضد الأزهرى كل الأسلحة المتاحة له الى جانب انشقاق الحزب واثارة الجنوبيين ٠٠٠ فقد قرر التحالف مع الشيوعيين أيضا فى معركته ضد الأزهرى التى تبلورت الى موقفين واضحين ٠٠٠ اما الاتحاد مع مصر ٠٠٠ واما الاستقلال الذى أصبح الأزهرى ينادى به علنا ٠

اتصل صلاح سالم بالشيوعيين السودانيين لما لاحظه من تأثيرهم السياسى فى محاربة الوضع القائم كله ٠٠ واتصل فى هذه المرحلة بالشهيدين عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى والشفيع أحمد الشيخ سكرتير عام اتحاد العمال وعضو المكتب السياسى للحزب ٠

وعندما علم صلاح سالم أن الحزب الشيوعى السودانى هو نواة انفلقت من الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) وعملت لفترة

تحت اسم الحركة السودانية للتحرر الوطنى (حستو) ، قرر أن يتصل بالشيوعيين المصريين ليساعدوا فى اقناع زملائهم فى السودان وكان ذلك يوم أول سبتمبر ١٩٥٥ ٠

ولكن الشيوعيين المصريين كانوا معتقلين والبعض منهم قدم الى المحاكمة وصدرت ضده أحكام بالسجن ٠٠ ومع ذلك لم يتردد صلاح سالم فى استدعاء الدكتور يوسف ادريس وكان معتقلا فى سجن القناطر ، والكاتب ابراهيم عبد الحليم ، والكاتب فتحى خليل والفنان زهدى وكانوا معتقلين فى سجن أبى زعبل ٠

وصل الأربعة الى قصر عابدين ـ حيث كانت مكاتب وزارة الارشاد فى الوقت ـ بثياب ممزقة وأجسام هزيلة بعد معاملة بوليسية قاسية أعقبت اضرابا عن الطعام استمر ١٨ يوما من أجل مطالب انسانية خالصة ٠

دخل الأربعة على صلاح سالم فى مكتبه ، فاستقبلهم استقبالا حارا وأبدى استنكاره لمظهرهم ، واتصل تليفونيا ـ حسب رواية فتحى خليل ـ بزكريا محى الدين وزير الداخلية طالبا منه وقف المعاملة الشاذة للمعتقلين فى سجن أبو زعبل ٠

وقدم لهم صلاح سالم تحليلا سياسيا استمر ثلاث ساعات ركز فيه على النقاط الآتية :

١ ـ المفهوم العام لقيادة الثورة وتصور خط سيرها مع تحفظ بعض العناصر على الاتحاد السوفييتى بتأثير دعاية الغرب ٠

٢ ـ ارجع غموض موقف الثورة من الشيوعيين الى خشية البعض من اتهام الحركة بأنها شيوعية ٠

٣ ـ أبرز نقاط الخلاف مع الولايات المتحدة وخاصة رفضها امداد مصر بالسلاح ٠

وخلص صلاح سالم من ذلك الى أن هناك تغييرا فى الخط السياسى للثورة يتلخص فى :

أولا ٠٠٠ فى السياسة الخارجية ٠ استقرار الثورة على توثيق العلاقة مع الاتحاد السوفييتى والصين والدول الاشتراكية ٠

ثانيا ٠٠٠ فى قضية الديموقراطية ٠ وضع دستور جديد واعداد انتخابات عامة وتشكيل برلمان ٠

وأكد لهم صلاح سالم أن هذين الاتجاهين سـوف ينطلقان بأقصى قوتهما في منتصف عام ١٩٥٦ ٠٠٠ ولعله كان يقصد بذلك تحديد موعد جلاء القوات البريطانية عن منطقة القنال ٠

وفاجأهم صلاح سالم بخبر لم يكن قد أعلن بعد ٠٠٠ وسرا لم يعرفه أحد ٠٠ وهو تعاقد مصر مع الاتحاد السوفييتى على توريد صفقة سـلاح ٠٠٠ كما وعدهم بالافراج عن جميع الشيوعيين قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٦ ٠

وعرض موقفه بعد ذلك فى قضية السودان ، ونقد نفسه نقدا ذاتيا لاضطراره الى السير بأسلوب حكام ما قبل الثورة للزعماء وتردى الحال بعد ذلك حتى فى صفوف حزب الوطنى الاتحادى ، ومع اسماعيل الأزهرى خاصـــة ٠

ثم انتقل الى الحديث عن (الحزب الشيوعى السودانى) ٠٠٠ وقال اننا تجنبناه لموقفنـــا من الشيوعية فى مصر ٠٠٠ وانه كان فى التأييد والمعارضة حزبا مبدئيا شريفـا ٠٠٠ وانه على حد تعبيره (حزب حقيقى وجاد وغير ملوث) ٠ وقال لهم صلاح سالم انه عندما اتصل بالشهيدين عبد الخالق والشفيع وعرض عليهما مساعدات فى حدود العمل الوطنى مثل اقامة السرادقات أو الامداد ببعض الأموال ، رفضوا فى شدة ٠

وقال صلاح سالم انه تدور فى صفوف الحزب مناقشة حول الموقف فى مصر ويتأرجح الرأى بين التأييد والمعارضة ، وموقف الحكومة المصرية من الشيوعيين المصريين يلعب دورا كبيرا فى ترجيح جانب على آخر ٠٠٠ وانه لو تحول الموقف داخل قيادة الحزب الى التأييد فان هذا قد يخرج الموقف فى السودان من دائرة اليأس ولم يخف صلاح سالم مرارته ويأسه نتيجة تغير موقف الأزهرى ٠

وصارحهم بأنه استأذن مجلس القيادة فى الاتصال بهم فوافقوا ، وانه يطلب منهم اذا اقتنعوا بصدق تحليله السياسى ، فانهم عندئذ يصبحون مطالبين بالسفر الى الســودان لاقناع قيادة الحزب هناك بتأييد القاهرة وخط الاتحاد مع مصر ٠

وتداول الأربعة على جانب ووجدوا انه لابد من شيئين ٠٠ الاستيثاق من حديث صلاح سالم ، والاتصال بزملائهم الهاربين خارج المعتقل ٠

واتفق صلاح معهم على الخروج لفترة محدودة مدتها أسبوع يعودون بعدها الى مكتبه ٠

ولكن الأربعة لم يعودوا الى مكتب صـلاح سـالم ٠٠٠ لأن الصحف نشرت فى اليوم الخاص للمقابلة خبر استقالته واعتكافه فى منزله ٠

ولم تكن استقالة صلاح سالم مفاجأة للقريبين من مجلس القيادة ، فان سياسة صلاح سالم فى السودان كانت موضع خلافات ومناقشات داخل المجلس ، وخاصة بعد حريق اشتعل فى الجنوب بتدبير من الاستعمار ، ومطالبة صلاح سالم بأن تطلق يده فى العمل بصورة كاملة ٠

وقد حدث نوع من التحقيق مع صلاح سالم فى تدهور العلاقة بين مصر والسودان فى مارس ١٩٥٥ ، ولكن صلاحا كان عنيفا فى مناقشاته ، وسفه آراء بعض الذين اشتركوا فى المناقشة من غير علم كاف ، وانهى حديثه بتقديم استقالته ٠٠٠ ولكن المجلس لم يقبل الاستقالة ٠

وسافر صلاح سالم ضمن الوفد المصرى الى باندونج ، والخلاف يثقل صدره ، ومعاملة جمال عبد الناصر له يتسرب اليها البرود ٠٠٠

وكان صلاح سالم فى وقت من الأوقات وبقوة اندفاعه وحيويته ، وبموقفه كوزير للارشاد، وبقدرته على تلوين الحديث ، يتطلع الى رئاسة جمهورية الاتحاد ٠٠٠ ولم يكن ينظر الى جمال عبد الناصر كمنافس له وانما كان يخشى منافسة نجيب فى الاستفتاء ٠

ولكن هذه التطلعات سواء كانت حقيقية أو غير حقيقية ، تلاشت وذبلت بعد اقالة محمد نجيب ٠٠٠ وبدأ صلاح سالم نفسه يتعرض لهجمات زملائه ، بل وبعض ضباط الصف الثانى ، وهو الذى كان عنيفا فى هجومه على محمد نجيب ٠

وبدأ مجلس القيادة يحاصر صلاح سالم ٠٠٠ وخاصة بعد اتصاله بالشيوعيين المصريين ٠٠٠ زكريا محيى الدين قال ان الفريق الذى يعتمد عليه صلاح سالم ليس هو القوة الأساسية فى السودان ٠

وجمال عبد الناصر انتقد سياسة التعامل مع الزعماء السودانيين باسلوب غلبت عليه روح المنفعة الذاتية ٠

وحسين ذو الفقار صبرى اضطر الى مسايرة حزب الأمة لينقذ ما يمكن انقاذه ٠

ووصل الخلاف الى ذروته عندما تصادم صلاح سالم مع جمال عبد الناصر ٠٠٠ ولم يستطع صلاح أن يجتذب زملاءه الى صفه ، لانفراده بالعمل طوال الفترة الماضية وسخريته من بعضهم وتفوق جمال عبد الناصر فى قدرته على اقناع زملائه برأيه ٠

وقدم صلاح سالم استقالته للمرة الثانية فى سبتمبر ١٩٥٥ متصورا انها لن تقبل مثل استقالته السابقة ، ولكن المجلس قبلها فورا ، وكان شقيقه جمال سالم وقتها فى زيارة خارج مصر ٠

وطويت صفحة صلاح سالم أيضا فى تاريخ علاقات مصر والسودان، بعد أن طويت صفحة محمد نجيب ٠٠٠ وتولى زكريا محيى الدين مسئولية السودان ٠٠٠ ونقل محمد أبونار الى وزارة الخارجية حيث عمل مديرا للادارة الافريقية لشئون السودان ٠

وأصبح واضحا بعد خلع صلاح سالم من موقعه ان الموقف السياسى بين القاهرة الخرطوم قد فقد كثيرا من نشاطه ، وانه دخل مرحلة جديدة تبدد منها الأمل فى انتهاء فترة الانتقال الى ظهور الاتحاد بين دولتى وادى النيل الغربيتين ٠

وبعد أن أخذت اجراءات السودنة مداها ، وأوشكت ثلاث سنوات الاتفاق على النهاية ، أبلغت الحكومة السودانية برئاسة أزهرى حكومتى مصر وبريطانيا برغبة الجمعية التأسيسية وطالبت بسحب جيش الاحتلال لاجراء الاستفتاء (فى جو حر محايد) ٠

وسحبت مصر وبريطـــانيا جيوشهما ، وتركت مصر كل الأسلحة الثقيلة التى كانت تخص جيشها فى الســـودان وتم الجلاء فعـــلا فى نوفمبر ١٩٥٥ ٠

ووجدت حكومة السودان بعد الجلاء أن الأمر لا يحتاج الى استفتــاء بشأن شكل الحكم بعد اتفاق كل الأطراف الحاكمة على معارضة الاتحــاد ٠٠٠ وأعلنت قيام الجمهورية السودانية فى ١٩ ديسمبر ١٩٥٥ وتشكيل مجلس قيادة لرئاسة الدولة ٠

ولم يجد مجلس قيــادة الثــورة فى مصر فرصــة للمطالبة باتمام الاستفتاء ٠٠٠ وأعلن استقلال السودان رسميا فى أول يناير ١٩٥٦ ، وذهب صلاح سالم الى هناك مدعوا كشخص عادى ، ورفض أزهرى اقتراحا بقبوله أول سفير مصرى هناك ٠

وهكذا تحرر السودان بفضل اتفاقية ١٢ فبراير ١٩٥٣ ، وكما كانت السودان أول دولة عربية افريقية تستقل فى القرن التاسع عشر بعد ثورة المهدى ، فانها كانت أيضــا أول دولة عربيــة افريقيــة تجلو عنها قوات الاحتلال أيضا ٠

وأصبح السودان مستقلا وغير مرتبط بمعاهدات أو أحلاف عسكرية ولا توجد أية قواعد أجنبية ٠٠٠

تم ذلك قبل مصر ذاتها ٠٠٠

بل ان جلاء القوات البريطانية عن مصر كان مشروطا بشروط معينة ، وتم بعد جلاء القوات الأجنبية عن السودان بستة شهور كاملة .

وكان جلاء القوات البريطانية عن منطقة القنال هو القضية الرئيسية التى تحمل العسكريون مسئوليتها يوم وثبوا الى السلطة .

وكان نضال الشعب المصرى قد وصل الى مرحلة الكفاح المسلح فى القناة مما هدد الوجود الاستعمارى فى المنطقة الى ان توقف بحريق القاهرة .

وكما كان الوفد حريصا على اجلاء القوات البريطانية قبل انتهاء معاهدة ١٩٣٦ التى تمتد عشرين عاما ... ولما كان حريصا أيضا على عدم ربط مصر بأحلاف عسكرية .

كما كان الوفد ... كانت حركة الجيش أيضا وتصريحات أعضاء مجلس قيادة الثورة كانت تشير الى هذا الاتجاه ... أوضح التصريحات وأكثرهما جرأة كانت تصريحات جمال عبد الناصر ... قال فى شبين الكوم فى يناير ١٩٥٣ (الجلاء عن القنال أو القتال حتى الموت) ونشرت صحيفة الأخبار يوم ١١ يناير ١٩٥٤ عنوانا رئيسيا فى صفحتها الأولى تحت عنوان (أخطر تصريح لجمال عبد الناصر) قال فيه (لن تستطيع الدول الغربية أن تخدعنا بوعودها المعسولة اذا ما نشب صراع عالمى مسلح ثالث ونحن بعد غير معترف بحقوقنا المشروعة فى الاستقلال التام) .

وقال محمد نجيب يرد على تشرشل عندما صرح بانه يريد رؤية اسرائيل أقوى دولة فى شرق البحر الأبيض المتوسط (ان معاهدة ١٩٣٦ الملغاة فرضت على مصر تحت ضغط قوات الاحتلال) .

ولكن حركة الجيش لم تواصل الكفاح المسلح مباشرة ... آثرت ان تمضى فى طريق المفاوضات ، مستهدفة النجاح السريع كما حدث فى اتفاقية السودان .

وتشكل الوفد المصرى للمباحثات برئاسة محمد نجيب وعضوية جمال عبد الناصر وصلاح سالم والدكتور محمد فوزى والدكتور حامد سلطان والدكتور على حسن زين العابدين .

وظهر منذ اللحظة الأولى فى المباحثات التى بدأت جلستها الأولى يوم ٢٧ ابريل ١٩٥٣ أن الموقف يختلف عن مباحثات السودان التى حوصر فيها الجانب البريطانى باتفاق الأحزاب السودانية على رأى موحد ، والتقاء وجهات نظر المصريين والسودانيين ..

كان الجانب البريطاني يستهدف ربط مصر بحلف دفاعي للشرق الأوسط ، كما كان يستهدف بقاء قناة السويس قاعدة لقواته وعملياته العسكرية في المستقبل .

وكانت هذه الاتجاهات مرفوضة تماما من الجانب المصرى ... ولم تعد السودان هي الصخرة التي تتحطم عليها المفاوضات ، ولكن أصبحت الأحلاف ومواثيـق الدفاع المشترك هي الخطر الذى حاول العسـكريون تحاشيه .

وظهرت ســلامة الموقف الوطني للمفاوضين المصريين بتصريحاتهم المتعددة المتلاحقة .

محمد نجيب قال لعضو البرلمان البريطاني ريتشارد كووسمان (قل لايدن ان صبر مصر أوشك أن ينفد وأن فرصة الوصول الى اتفاق مشرف لن تظل سانحة الى الابد) .

وواصل جمال عبد الناصر خطبه الداعية الى الجلاء غير المشروط ، مهددا بعودة الكفاح المسلح .

ولم تستمر المفاوضــات أكثر من أيام فتوقفت في ٦ مايو ونشرت الصحف قائلة أن مشكلة الخبراء البريطانيين هي سبب توقف المفاوضات ، وأصدر محمد نجيب رســالة للشعب يوم ١٩ مايو قال فيهـا ان قطع المباحثات كان نتيجة (محاولة البريطانيين العبث بالمبدأ الذى جعلنـاه أساسا لندخول في هذه المباحثات وهو جلاء جنود الاحتلال عن أرضنا جلاء كاملا دون قيد أو شرط) .

ولم تكد تقطع المفاوضات حتى توتر الموقف ... ونصحت بريطانيا رعاياها بالرحيل عن البلاد في شهر مايو ٥٣ في محاولة للضغط على مصر . ولم تجد حركة الجيش سبيلا الا العودة الى الكفاح المسلح ... ولكن بأسلوب آخر ، فقد ظهر تصريح في الصحف يوم ١٧ مايو يقول (ان كل شيء في المعركة السابقة كان يجرى ارتجالا ولم يكن هناك شخص مسئول ، أما اليوم فكل شيء موضوع تبعا للخطة المرسومة) .

ولم يكن هذا التصريح موفقا ... اذ انه لم يكن هناك مبرر لخلق تناقض مفتعل بين حركة الكفاح المسلح للشعب في مراحلها المختلفة ... بل كان الواجب اظهار الأمر كأنه حلقات في سلسلة متصلة ... ولكن حركة الجيش في ذلك الوقت كانت حريصــة على سلب الفضــائل من الأحزاب عامة والوفد خاصة حتى ولو كانت مفخرته الكبرى وهي سماحه بانطلاق طاقات الشعب في كفاح مسلح مساند من الحكومة ضد القوات البريطانية في القناة .

ويقول كمال رفعت الذى كان يعمل ضابطا فى المخابرات ومسئولا عن الكفاح المسلح بالقناة فى ذلك الوقت (ما ان أعلن جمال عبد الناصر بيان توقف المفاوضات حتى تحركنا للعمل) ٠

وشهد شهرا مايو ويونيو ١٩٥٣ تحركا واسع النطاق للفدائيين ٠٠٠ وقال جمال عبد الناصر فى رده على خروج الأسر البريطانية (ان الذين لا نريدهم فى بلادنا هم جنود الاحتلال الانجليز وحدهم دون غيرهم ٠٠٠ أما الرعايا البريطانيون المدنيون من أفراد الجالية البريطانية فهم فى حماية مصر) ٠

وفى ١٤ يونيو قال أيضا (اننا نكون جيشا كبيرا يضم ٢٢ مليونا من المصريين وهو جيش قادر على اخراج المستعمر من البلاد ، ولن نعتمد على فئة قليلة ، ولكننا نعتمد على المواطنين جميعا ٠٠٠ اننا نوزع السلاح فى جميع أنحاء البلاد) ٠

ولكن طبيعة الكفاح المسلح عام ١٩٥٣ ، كانت تختلف عن طبيعته عام ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ٠٠٠ تحول الكفاح المسلح بعد حركة الجيش الى عمل تنظيمى منضبط فى يد ضباط المخابرات المصريين الذين انبثوا فى مدن القنال ٠٠٠ وكان فى مقدمتهم كمال رفعت وعبد الفتاح أبو الفضل وفؤاد هلال وعمر لطفى وغيرهم ٠

وكان جميعنا يعمل تحت قيادة زكريا محيى الدين الذى كان حتى ذلك الوقت مشرفا على كافة أجهزة الأمن (وزارة الداخلية — المخابرات العامة — المخابرات الحربية) ٠٠٠ والذى قسم منطقة القناة الى قطاعات عين لكل قطاع منها ضابطا مسؤولا وكان يعقد لهم اجتماعات دورية لتنسيق وتوجيه الخطط ٠

وكان لهذا الأسلوب الجديد فى الكفاح المسلح سلبيات وايجابيات ٠٠٠ فقد كان تركيزه فى يد الضباط يعطيه طبيعة عسكرية قادرة على التدريب والتوجيه وضرب المناطق المؤثرة ٠٠٠ ولأنهم منتمون الى المخابرات فقد كان التصنيف السياسى للناس عندهم ذا أهمية تصل الى المرتبة الأولى ، مما عزل عن المعركة كثيرا من العناصر السياسية القادرة على توعية الجماهير وتعبئتها ٠

كانت المعركة تتحرك فى خطوط مرسومة ، وتحقق عمليات ناجحة ٠ ولكنها لم تلتقط حرارة الجماهير أو تتحرك فى أحضانها ولم تعمل على بعث تربية قومية ٠

لم يكن مصرحا لكل واحد أن يحمل سلاحه ويختار كتيبته وقيادته ، ويضحى بحياته فى صفوف التنظيم الذى يؤمن به ٠٠٠ ولكنه كان ضروريا

أن يرتبط بالمخابرات ليحصل على جواز المرور الى التضحية والكفاح المسلح ٠

وكان كثير من الشباب والعناصر السياسية يرفض الارتباط بالمخابرات ويخشى اسمها فهى كفيلة بالاساءة اليه ، فى وقت كانت يدها فيها مطلقة فى اعتقال الزعماء السياسيين وأفراد التنظيمات الشيوعية ٠

وهكذا اختفت أعلام كتائب الوفد ومصر الفتاة والشيوعيين التى ارتفعت عام ١٩٥١ وجذبت اليها أعدادا متزايدة من المناضلين ٠٠٠ ولم يعد هناك سوى علم واحد وهو علم المخابرات وقيادة واحدة هى قيادة الضباط ٠

أما الاخوان المسلمون فانهم لم يسهموا فى الكفاح المسلح ضد الانجليز رغم انهم كانوا القوة السياسية الوحيدة المصرح لها بالعمل علنا ٠٠٠ وآثروا أن ينكمشوا على أنفسهم ، تماما كما فعلت قيادتهم أثناء حكم الوفد عندما قال حسن الهضيبى انهم لا يعتبرون الكفاح المسلح هو الأسلوب السليم للنضال واعترض على جموح بعض شبابهم الذين اشتركوا فى معرك القتال ٠٠٠ كما قال الشيخ فرغلى مسئول الاخوان فى الاسماعيلية لكمال رفعت مما ورد فى كتابه (حرب التحرير الوطنية) :

ـ احنا معندناش استعداد لتحمل تهور الناس ولا يمكن نضحى بأولادنا عنشان خاطر الوفد ٠٠٠ الوفد عملها والوفد يتحمل نتائجها واللى حصل اليومين اللى فاتوا كانوا كلام فارغ ٠

وهكذا كانت سياسة الاخوان أيضا بعد الثورة ٠٠٠ لم يسهموا فى حركة الكفاح المسلح ، فى الوقت الذى عجزت فيه القوات الشعبية الأخرى عن المساهمة لوجود قادتها فى المعتقلات والسجون ٠

واقتصر الكفاح على المتعاونين مع ضباط مخابرات الثورة ٠

اقترن نشاط الكفاح المسلح بالموقف السياسى وارتبط به ارتباطا وثيقا ٠٠٠ كلما تقدمت المحادثات هدأت منطقة القناة ، وكلما تعثرت انفجرت الأحداث فى المنطقة ٠

ولذا كان شهرا مايو ويونيو ١٩٥٣ من الأشهر الساخنة بعد توقف المفاوضات واستمر تصاعد الكفاح المسلح حتى بلغ ذروته عندما اختفى الشاويش البريطانى ديجدن من السلاح الجوى يوم ٧ يوليو ، وأرسلت القيادة البريطانية انذارا الى مصر فيه تهديد باتخاذ اجراءات عنيفة بالاسماعيلية وتحددت الساعة التاسعة من صباح ١٣ يوليو لتنفيذ ذلك ٠

رفض مجلس قيادة الثورة الانذار .

ورفض محمد نجيب مقابلة مستر هانكي الوزير المفوض البريطاني .

ونوقش موضوع اختفاء الشاويش البريطاني في مجلس اللوردات .

وقال لي صلاح سالم انهم رحلوا الشاويش البريطاني الى باريس حيث ظهر هناك ، واستوقفت المباحثات نتيجة ذلك في ٣١ يوليو ١٩٥٣ .

ويشير كمال رفعت في كتابه (حرب التحرير الوطنية) الى ازدياد الحوادث التى تمت خلال فترة توقف المفاوضات ، ويشير أيضا الى انه بعد عودة المباحثات لم تتوقف الأحداث ، بل ان السفارة البريطانية قدمت احتجاجا في نوفمبر ١٩٥٣ على زيادة عدد الحوادث في المنطقة .

وقد أمكن خلال هذه الفترة اعتقال عدد من الجواسيس الذين كانوا في خدمة القوات البريطانية ، وحاكمتهم محكمة الثورة وأصدرت على بعضهم الحكم بالاعدام مثل محمود صبرى على المعروف بكنج صبرى ، والفريد عوض ميخائيل ، محمد عزت محمد ، وبولس مكسيموس وأصدرت الحكم على البعض بالأشغال الشاقة .

وخلال فترة انقطاع المفاوضات كان جون فوستر دالاس قد حضر لزيارة مصر يوم ١١ مايو ١٩٥٣ في محاولة لعقد صلح بين العرب واسرائيل ودعم سياسته في تطويق الاتحاد السوفييتى بأحلاف عسكرية .

قدم دالاس الى محمد نجيب هدية ايزنهاور عبــارة عن مسدس بلا ذخيرة أثبتت الأحداث فيما بعد انه السلاح الوحيد الذى قدمته أمريكا الى مصر ... بينما أرسل محمد نجيب الى ايزنهاور تمثالا من الذهب لاله الحكمة عند قدماء المصريين .

وقد صرح دالاس عند وصوله قائلا (ضرورة بناء قاعدة القنــاة لاستخدامها في حالة الحرب دفاعا عن العالم الحر) .

ولم تقابل تصريحات دالاس بأى تأييد من جانب الشعب ولا من جانب ضباط مجلس القيادة الذين التزموا بسياسة عدم الارتباط بأحلاف عسكرية .

وكتب أحمد أبو الفتح في جريدة المصرى يوم ١١ مايو مخاطبا دالاس مظهرا تناقضات موقف أمريكا التى تؤيد اسرائيل التى تصرح بقيام حزب شيوعى فيها ، بينما مصر تعتقل الشيوعيين ومع ذلك تصر أمريكا على مساندة انجلترا ضدها .

ولم تكن صورة الولايات المتحدة عند المصريين كما حاول أن يرسمها محمد حسنين هيكل فى كتاب (عبد الناصر والعالم) بقوله (كانت الولايات المتحدة تحيط بها كل معانى النجاح والفتنة ، براقة متسامية على الفشل الذريع الذى منى به الاستعماريون القدامى ، وكان الناس متجاوبين مع فكرة قيام الأمريكيين بدور رئيسى فى الشرق الأوســـط ومستعدين لقبولها) .

لم يكن هذا التصور صحيحا ... فان كافة القوى الوطنية كانت ضد السماح للامريكيين بأداء دور سياسى بديل لدور انجلترا ، ظهر ذلك فى سياسة الوفد وأحزاب مصر الفتاة والوطن الجديد والتنظيمات الشيوعية والجماهيرية ، فقد كشفت أمريكا الستار عن موقفها أثناء عرض النقراشى لقضية مصر على مجلس الأمن .

واذا استثنينا السراى التى كانت على عــلاقة طيبــة بالأمريكيين والاخوان المسلمين الذين حرصوا على اثبــات حسن نيتهم للأمريكيين ، وبعض رجال أحزاب الأقلية فان أحدا من المثقفين أو السياسيين المصريين الوطنيين لم يكن ينظر الى أمريكا بنظرة محمد حسنين هيكل ، أو نظرة مصطفى أمين فى كتابه (أمريكا الضاحكة) أو نظرة حافظ عفيفى مؤلف (الانجليز فى بلادهم) الذى كتب مقالا فى الأهرام يوم ٢٥ أغسطس ١٩٥١ قال فيه (لا مانع مطلقا من أن نعقد مع بريطانيا ومع غيرها من دول المعسكر الغربى معاهدة تحقق أهدافنــا وتضمن لنا ولهــا معونة عسكرية متبادلة عند الحاجة ... وأرى أن محالفة ثلاثية تحقق هذه الأغراض مع انجلترا وأمريكا وهى خير ما أطمع فى الوصول اليه وأتمناه لبلادى) ... وكان أجره على ذلك تعيينه رئيسا للديوان الملكى .

والضباط أيضا لم يكونوا أقل التزاما بارادة الشعب من السياسيين الوطنيين قبل الثورة ... ولم يكونوا أكثر اقترابا من أمريكا الا بالقدر الذى تساندهم به فى الضغط على بريطانيا .

ووضح من زيارة دالاس ان احتمال ضغطه على بريطانيــا سراب لا يجوز التعلق به وكان نجيب وجمال عبد الناصر صريحين معه تماما فى عدم الاستجابة لرغبته فى الارتباط بأحلاف غربية خوفا من الشيوعية .

وفى ذلك قال جمال عبد الناصر ، كما روى محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) :

(ان الاتحاد السوفيتى يبعد عنا ٥ آلاف ميل ولم نقم قط مشاكل معه كما أنه لم يهاجمنا أبدا ولم يحتل أرضنا اطلاقا ولم يكن له قط قاعدة

فى مصر بينما لا تزال بريطانيا فى مصر تمارس احتلالا استعماريا منذ سبعين عاما) .

وزاد موقف أمريكا وضوحا عندما استجابت الى قرار بريطانيا بحظر توريد الأسلحة لمصر وفى ذلك يقول أنطونى ناتج فى كتابه (ناصر) معلقا على نتائج زيارة دالاس قائلا :

(ان الانعكاس المرير لحديث الأمريكيين عن مساعدة شعوب الدول النامية لم يكن أكثر من أفيون لتخديرها) .

ولذا فان خطاب ايزنهاور الذى أرسله الى محمد نجيب يؤكد فيه عزم أمريكا على تقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية كبيرة الى مصر اذا وصلت الى اتفاق مع بريطانيا كما ذكر ناتج فى كتابه ناصر - غير ذى صدى عند أعضاء مجلس القيادة .

والحقيقة أن أمريكا لعبت دور الوسيط فى المباحثات ... حاولت اقناع بريطانيا بجلاء قواتها وحاولت اقناع مصر بالارتباط بحلف دفاعى غربى .

ولكنها وجدت من الضباط اصرارا على عدم التورط فى أحلاف دفاعية . ولذا فانه عندما عقد مؤتمر لأقطاب الغرب فى جزيرة برمودا بالمحيط الأطلنطى فى ديسمبر ٥٣ وحضر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا وأنطونى ايدن وزير الخارجية وجوزيف لانييل رئيس وزراء فرنسا واجتمعوا هناك بالرئيس ايزنهاور ودالاس وزير الخارجية ، ونوقش موضوع تنسيق جهود الدول الاستعمارية الثلاث ، اتفق رأيهم جميعا على عدم الاستجابة لرأى مصر ، وممالأة بريطانيا فى موقفها المتشدد .

أخذت المفاوضات أسلوبها التقليدى فى المماطلة ... وانعكس ذلك على الشعب نقدا لأسلوب العسكريين فى معالجة المشكلة بأسلوب السياسيين .

لم يكن الكفاح المسلح فى القناة مشتعلا كما كان عام ١٩٥١ بدرجة مقنعة للجماهير ، وبدأت روح المعارضة تتحول من همسات الى مظاهرات قام بها الطلبة ، وعاد مجلس القيادة الى اعتقال عدد كبير من السياسيين وتقديمهم الى محكمة الثورة ، فى الوقت الذى حوكم فيه الجواسيس .

وبعد انتهاء المحاكمات وخلالها لم تتوقف حوادث الكفاح المسلح فى القناة ، وصرح سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا أمام مجلس العموم فى يناير ١٩٥٤ بعد تولى ايدن رئاسة الوزارة عقب تخلى تشرشل عن الحكم قائلا (ان من المستحيل الوصول الى اتفاق مع مصر ما دامت هذه الحوادث مستمرة) .

وفى يوم ٢٠ يناير ١٩٥٤ أطلق الانجليز الرصاص على سيارة جيش مصرية تحمل ١٧ جنديا من سلاح الطيران ، أصيب أربعة منهم وقتل واحد ... وكان هذا هو أول حادث من نوعه ... صدام بين القوات المسلحة وبعضها .

ورد المصريون على ذلك فورا ، وتصاعد القتال فى المنطقة ... ولكنه ظل منعزلا عن الجماهير ... بل ظل منعزلا حتى عن ضباط الجيش أنفسهم ... ولم يتأثر بالخلاف بين محمد نجيب وأعضاء مجلس قيادة الثورة ...

وعندما تخلص مجلس القيـــادة من محمد نجيب وتولى جمال عبد الناصر رئاسة الوزارة فى ١٧ ابريل ١٩٥٤ تفرغ لحل مشكلة الجلاء بعد ان وصلت الأمور الى حد تهديد شعبية مجلس القيادة بعد ان لم تفلح العمليات العسكرية فى القناة فى تليين عناد البريطانيين .

واتخذ جمال عبد الناصر عدة خطوات ايجابية بناء على تقدير موقف شخصى .

قرر من ناحية المبدأ قبول عودة القوات البريطانية الى منطقة القناة اذا هوجمت تركيا ، وهو أمر كان مرفوضا قبل ذلك من الجانب المصرى ... وقرر أيضا بعد شهر واحد من توليه الوزارة دعوة البريطانيين الى عودة المباحثات مع وقف النشاط الفدائى بعد ان كان قد وصل الذروة كما ذكر أنطونى ناتنج .

واستؤنفت المباحثات فى يوليو ، بعد أن كان جمال عبد الناصر قد أعلن فى ١٨ يونيو ان مفاوضات تجرى بين مصر وأندونيسيا ويوغسلافيا بشان عقد المؤتمر الآسيوى والأفريقى ، وبعد ان أضرب العمال المصريون فى ٢٣ يونيو عن الذهاب الى معسكرات القناة ، وعقب قولته المعروفة فى شبين الكوم (على الاستعمار أن يحمل عصاه على كتفه ويرحل) .

وفى ٢٥ يونيو انتقلت قيادة القوات البريطانية فى منطقة قنـاة السويس الى قبرص ، وأعلنت السفارة بيانا قالت فيه (ان انتقال قيادة القوات الى قبرص لا يعنى أى تحويل فى موقف بريطانيا من المفاوضات) .

تشكل وفد المفاوضات المصرى بعد ابعاد نجيب برئاسـة جمـال عبد الناصر وعضـــوية عبد الحـكيم عامـر وعبـــد اللطيف البغـدادى وصـــلاح سالم ودكتور محمود فوزى ومن الجانب البريطانى السـفير البريطانى سير رالف ستيفنسون وميجر بنسون قائد القوات البريطانية ومستر رالف مورى الوزير المفوض فى السفارة ، وحضر وزير الحربية البريطانية أنطونى هيد فى المراحل الأخيرة .

لم تستغرق المفاوضات وقتا طويلا . بدأت فى ١١ يوليو وانتهت فى ٢٧ يوليو ، حيث وقعت الاتفاقية بالأحرف الأولى فى دار رئاسة مجلس الوزراء ووقعها عن مصر جمال عبد الناصر وعن بريطانيا مستر أنطوانى هيد .

قصر مدة المفاوضات بعد استئنافها ، وسرعة الاتفاق والتوقيع بالأحرف الأولى أمر مثير للتساؤل ، وهو دليل على أن نقاط الخلاف قد سويت قبل الجلسات ، وان قبول جمال عبد الناصر عودة القوات البريطانية فى حالة مهاجمة تركيا ، كان حرصا منه على انهاء المفاوضات للسيطرة على الموقف الداخلى بعد تصادم الثورة مع كل القوى السياسية عدا الاخوان المسلمين الذين كانوا يتربصون ويتحينون الوقت المناسب للانقضاض .

تأكد بعد ذلك ان هذه السرعة فى توقيع الاتفاق كان نتيجة وساطة أمريكية ، كما ذكر لى زكريا محيى الدين استهدفت حل المشكلة بين البريطانيين والمصريين لخلق جو مناسب لربط مصر بسياسة جديدة فى المنطقة .

ويبدو أن جمال عبد الناصر كان يتطلع الى جلاء القوات البريطانية باعتباره هدفا رئيسيا ، يدبر بعده من الخطط ما يحمى الاستقلال الوطنى ... واعتبر ان الاتفاقية لا تزيد عن كونها (حبر على ورق) يستطيع أن يفعل بعد توقيعها ما يشاء عقب جلاء جنود الاحتلال ، وهو لم يعتبر ادراج تركيا بمثابة ارتباط تحالفى مع بريطانيا .

خاطب جمال عبد الناصر الشعب يوم ٢٢ يوليو قائلا (اننا نعيش الآن لحظة مجيدة فى تاريخ وطننا ونقف على عتبة مرحلة حاسمة من مراحل كفاح شعبنا ، لقد وضع الهدف الأكبر من أهداف الثورة منذ هذه اللحظة موضع التنفيذ الفعلى) .

ولكن هذا لم يكن رأى فئات كثيرة من الجماهير اعتبرت اتفاقية الجلاء أقل من طموحها وأكثر تراجعا من ارادتها ... فهى تعنى فى مضمونها تحالفا مع البريطانيين قبله الوفد عام ١٩٣٦ ثم رفضه رفضا باتا بعد الغاء المعاهدة .

نصت الاتفاقية على انسحاب القوات البريطانية خلال عشرين شهرا من التوقيع النهائى ، وانتهت معاهدة ١٩٣٦ وكافة ارتباطاتها ، واعتبرت قناة السويس جزءا من مصر تكفل حرية الملاحة فيه اتفاقية الاستانة فى ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨ .

ونصت الاتفاقية أيضا على بقاء أجزاء من القاعدة صالحة ومعدة للاستخدام تعود اليها القوات البريطانية اذا ما هوجمت دولة من دول معاهدة الدفاع المشترك لجامعة الدول العربية أو تركيا أيضا ٠٠٠ وفى حالة التهديد بالهجوم يجرى التشاور فورا بين مصر وبريطانيا ٠

وبين توقيع الاتفاقية بالحروف الأولى وتوقيعهـا النهائى تبـلورت المعارضة للاتفاقية عموما ولجمال عبد الناصر بصفة خاصة ٠٠٠ وظهرت بوادر ذلك فى صورة نسف كوبرى أبو سـلطان بمنطقة القنـال فى ٢ أغسطس ١٩٥٤ عن غير طريق ضباط المخابرات المسئولين عن الكفاح المسلح ٠

ويقول كمال رفعت فى كتابه (حرب التحرير الوطنية) ان (أصابع الاتهام أشارت الى الذين لا يريدون جلاء القوات الأجنبية عن بلادنا ٠٠٠ أشارت الى فئة لم تطلق أبدا رصاصة على الانجليز منذ الناء معـاهدة ١٩٣٦) ٠

ويدون كمال رفعت فقرة من تقرير المخابرات البريطانية يقول من الأمور ذات المغزى ان المنطقة الواقعة شمال أبى سلطان مشهورة بأنها قلعة حصينة للاخوان المسلمين ، وترد أنباء عن مستودعات أسلحة فى تلك المنطقة من مصادر موثوق بها من حين الى آخر ٠

اذا صح ذلك فان هذا يعنى سرعة تحرك الاخوان المسلمين من جديد ضد جمال عبد الناصر ، راكبين فى ذلك موجة الرفض الشـعبى لاتفاقية الجلاء ، منتهزين فرصـة الهجوم العـام على جمال عبد الناصر وشخصيته التى صورت فى هذه الفترة بمظهر القوة فى معاملة محمد نجيب والزعماء السياسيين والشيوعيين ٠٠٠ وأسىء اليها بقبول اتفاقية الجلاء ٠٠٠ وفى ذلك يقول جان لاكوتير فى كتابه (عبد الناصر) (لم يبد البكباشى أكثر انعزالا بنظر الشعب المصرى كما بدا فى اليوم الذى حمل فيه الى الشعب اتفاقية الجلاء) ٠

وخطب جمال عبد الناصر يوم ٢١ أغسطس مهاجما الاخوان المسلمين مرددا اتصال الهضيبى بمستر ايفـانز المستشـــار الشرقى للسفـــارة البريطانية وهو ما ورد فى بيان مجلس القيادة عند حل جماعة الاخوان المسلمين فى يناير ١٩٥٤ ٠

وتم توقيع الاتفاقية يوم ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ وقعها عن مصر جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبـد اللطيف البغـدادى وصـلاح سـالم ومحمود فوزى وعن انجلترا أنطونى ناتنج وزير الدولة البريطانى وسير رالف ستيفنسون وميجر جنرال منسون كبير المفاوضين العسكريين ٠

ويروى ناتنج فى كتابه واقعة طريفة حدثت وقت التوقيع عندما احتفظ ناتنج بقلم جمال عبد الناصر الذى استعاره منه للتوقيع ... فقال له جمال مداعبا (أظن انكم أخذتم منى فى هذه الاتفاقية ... فهل تسمح باعادة قلمى !) .

وكاد توقيع هذه الاتفاقية يودى بحياة جمال عبد الناصر .

لم يكد يمضى أسبوع واحد على توقيع الاتفاقية حتى اعتدى محمود عبد اللطيف عضو الجهاز السرى لجماعة الاخوان المسلمين على جمال عبد الناصر باطلاق الرصاص عليه أثناء خطاب له فى ميدان المنشية بالاسكندرية ... وبدأت بعد ذلك حملة اعتقالات واسعة ومحاكمات عنيفة ضد الاخوان المسلمين .

وكانت بريطانيا قد رفعت حظر تصدير السلاح الى مصر فى شهر أغسطس بعد ان كانت قد فرضته فى عهد وزارة الوفد عام ١٩٥١ عقب اشتعال الكفاح المسلح فى القناة .

وكان الهدوء قد عاد الى منطقة القناة فى ظاهر ... ولكن ضباط المخابرات المصريين ظلوا يكلفون بأعمال تتصل بالقاعدة البريطانية والحصول على معلومات عنها .

واستمرت الجلاء عن المعسكرات البريطانية واحدا بعد الآخر حتى تم جلاء البريطانيين عن آخر معقل كانوا يحتلونه فى بورسعيد وهو مبنى البحرية الذى تسلمه الجيش المصرى يوم ١٣ يونيو ١٩٥٦ .

يقول فتحى رضوان ان جمال عبد الناصر دخل عليه فى ذلك اليوم وسأله عن موعد حادث دنشواى فقال له فتحى انه حدث يوم ١٣ يونيو ١٩٠٦ أى من نصف قرن بالضبط وأبلغه جمال أن الانجليز قد تم انسحابهم سرا فى هذا اليوم .

واقترح فتحى رضوان أن يخرجوا الى الجماهير ويشاركوها الفرح بالغناء والرقص فى هذا اليوم البهيج .

ولكن جمال عبد الناصر ابتسم فى هدوء قائلا له (روح انت غنى وارقص لوحدك) .

(قال له ذلك كما لو كانت النتيجة التى وصلوا اليها طبيعية . وليست نقطة نهاية وانما نقطة بدء) .

وفى ١٨ يونيو ١٩٥٦ ، الذكرى الثالثة لاعلان الجمهورية فى مصر . رفع جمال عبد الناصر العلم على مبنى البحرية فى بورسعيد . واعتبر هذا التاريخ منذ ذلك الوقت عيد الجلاء .

تحررت مصر والسودان من الوجود الاستعماري قبل أن تمضى أربع سنوات على قيام حركة ٢٣ يوليو ٠

ويقول جان لاكوتير انه يوم توقيع الاتفاقية كان وجه جمال عبد الناصر يشوبه العبوس وعندما سأله قائلا :

ــ والآن ؟

رد جمال عبد الناصر قائلا :

ــ والآن يبقى علينا اعادة بناء بلدنا ٠

وقال عبد الحكيم عامر عندما سئل عن توقعاته لتعزيز الجيش ٠

ــ لن نشترى دبابات ، بل سنشترى جرارات فهى أكثر فائدة لنا ٠

خرج الاحتلال البريطانى من مصر بعد ٧٤ عاما ٠

دخل بعد ان قهر ثورة قادها عسكريون ٠

وخرج بعد أن قهرته ثورة قادها عسكريون أيضا ٠

الفصل الثانى

مع الحياد ... ضد الأحلاف

(ان انتصــــار مصر فى معركـة الأحـلاف انتصار للهند أيضا) .

جواهر لال نهرو
أثناء زيارة القاهرة فى فبرايرا ١٩٥٥

لم يكن توقيع اتفاقية الجلاء نهاية للصراع مع الاستعمار البريطانى ... ولكنه كان بداية لمرحلة جديدة : حاولت فيها بريطانيا بعد ان عجزت هى والولايات المتحدة عن اقنـــاع الحـكام العسكريين الجـدد فى مصر بالارتباط بحلفها الدفاعى للشرق الأوسط ، أن تضـم دولا عربية أخرى الى هذا الحلف .

كان أقصى ما أمكن فرضـــه على اتفاقية الجلاء هو النص على عودة القوات البريطانية الى منطقة القناة فى حالة الاعتداء على تركيا المرتبطة بحلف الأطلنطى الذى تشكل عام ١٩٤٩ وقـد قبل جمال عبد الناصر هذا النص تفاديا لأزمات داخلية ، ومحاولة لتهدئة الاستعمار حتى لا يلعب على التناقضات الداخلية التى كانت قائمة ، الى جانب رغبته فى عقد اتفاق ينهى قضية جلاء قوات الاحتلال ، ليتفرغ الى مشاكل بناء المجتمع الجديد .

ولكن الشبهة التى أحاطت بالاتفاقية باعتبارها نوعا من التحالف عرضت حياة جمال عبد الناصر للخطر وجعلته يقول لايدن أثنـاء زيارته لمصر في فبراير ١٩٥٥ انه تكبد الكثير بسبب هذه الاتفاقية الى حـد التعرض لاطـلاق النار عليه كما ذكر محمـد حسنين هيكل فى كتـابه (عبد الناصر والعالم) ٠

فى صباح اليوم التالى لاطلاق النار على جمال عبد الناصر ذهب اليه بعض ضباط الجيش فى استراحة ستانلى وهى منزل صغير من دور واحد له حديقة خضراء منبسطة تشرف على البحر ، وكان هناك عبد الحكيم عامر يقول للضباط فى صراحة بسيطة انه لا يعرف شيئا عما تحققه الثورة وان جمال هو الذى خطط ونفذ وهو الذى يعرف خطوات المستقبل ٠٠٠ وعندما دخلنا الى جمال عبد الناصر فى غرفة جلوس صـغيرة كان وجهه شاحبا فلم يكن قد نام الا قليلا واستيقظ مبكرا لمقابلة الزائرين ٠٠٠ وقال وعيناه تلمع (الاخوان المسلمين عاملين وطنيين ٠٠ كانوا فين فى معركة القناة) ٠٠٠ ثم استطرد يشرح للعدد القليل من الضباط الحاضرين مفهومه لاتفاقيـة الجلاء ، واسـتبعاده الكامل لحدوث معركة تسمح للقوات البريطالية بالعودة ٠

كان تنفيذ الاتفاقية يمضى فى طريقه المرسـوم بلا تعقيدات من الجانبين ٠٠٠ القوات البريطانية تواصل انسحابها من المعسكرات واحدا بعد الآخر ٠٠ والحكومة البريطانية رفعت الحظر عن توريد السلاح الى مصر فى اغسطس ١٩٥٤ ٠

والحكومة الأمريكية أيضا قدمت لمصر ٤٠ مليون دولار كمساعدة فى شهر نوفمبر ١٩٥٤ ٠٠ أى بعد شهر واحد من توقيع الاتفاقية ٠٠٠ وكان قد حضر الى مصر ضابطان أمريكيان موفدان من البنتاجون لتزويد مصر بالسـلاح الذى تحتاجه للأمن الداخلى ٠٠٠ وقد بذل هـذان الضابطان جهدهما لاقناع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بأن العدو الحقيقى للعرب هو الشيوعية العالمية وان هذا كاف لتحريك حوافز العرب لعقد تحالف يدفع خطر الغزو السوفييتى ٠٠٠ وأجاب عبد الناصر على ذلك بالتفريق بين خطر التغلغل الشيوعى الذى هو مسالة أمن لكل بلد على انفراد وبين خطر الغزو العسكرى السوفيتى الذى لا تشعر به مصر التى تواجه عدوين هما بريطانيا واسرائيل ٠

وقد دهش مندوبا البنتاجون لموقف جمال عبد الناصر ٠٠٠ وردا على احتمال تشكيل عبد الناصر لجبهة من العرب ترفض الارتباط بأحلاف الغرب العسكرية بقولهما (لقد تأخر كثيرا فلقد كسبنا لجانبنا كلا من

العراق ولبنان والأردن وتركيا وايران والباكستان كما ذكر مايلز كوبلند في كتابه « لعبة الأمم ») .

ومع ذلك لم تفقد الحكومة الأمريكية الأمل في ربط مصر بحلف دفاعي يبقي قناة السويس قاعدة صالحة ... ولذا أعلنت عن تقديم مساعدة الأربعين مليونا لمصر في نوفمبر ١٩٥٤ ، وأعطت تسهيلات بعشرين مليون دولار كمساعدة عسكرية لشراء معدات حربية .

وبدأت وزارة الحربية المصرية تعد قوائم بالأسلحة المطلوبة وتراجعها وتعد لها في مراسلات متبادلة مع المسئولين في وزارة الدفاع الأمريكية ... ولكن ظلت المشكلة معلقة عدة شهور باعتبارها (تحت الدراسة) ... ولكن الواقع انه كانت هناك خشية من استخدام جمال عبد الناصر لهذه الأسلحة ضد اسرائيل .

وعلى قدر ما طالت مفاوضات التسليح ، على قدر ما انتهت في سرعة عملية تقديم ٣ مليون دولار منحة شخصية من المخابرات المركزية الى رئيس الدولة ... وهي قصة أثارت اهتمام الكثيرين لما أحاط بها من جدل .

بدأت القصة باقتراح من عميل المخابرات المركزية الأمريكية مايلز كوبلند والتي كشف أسرارها في كتابه (لعبة الأمم) عندما قال انه لولا نشره لها لظلت خمسة آلاف عام تحير الباب علماء الآثار كما تحيرها أهرامات مصر ... ذلك انها انتهت الى بناء برج القاهرة في الجزيرة المواجهة للنيل والمطل على أفخم فنادق العاصمة وأكبر نواديها .

يحدد مايلز كوبلند تاريخ اعطاء المبلغ لضابط المخابرات حسن التهامي الذي أخذه وأحصاه في منزله بالمعادي ووجده ناقصا عشرة دولارات في شهر نوفمبر ١٩٥٤ أي نفس الشهر الذي حصلت فيه مصر على الأربعين مليونا كمعونة اقتصادية .

وينفي هذا التحديد ما نشره محمد حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) من القول بأن هذا المبلغ قد سلم الى اللواء محمد نجيب (وان جمال عبد الناصر عندما علم بذلك استشاط غضبا وطلب تفسيرا من محمد نجيب الذي كان آنذاك رئيسا للوزراء ... وأصر نجيب على انه فهم انه ليس للمخابرات الأمريكية علاقة بذلك المبلغ وانه مرسل من الرئيس أيزنهاور الذي خصص اعتمادات مالية لبعض رؤساء الدول ليتمكنوا من تجاوز مخصصاتهم المقيدة بالميزانية من أجل الدفاع عن أنفسهم وعن بلادهم ضد الشيوعية) ... وهنا طلب عبد الناصر على حد قول هيكل ـ ايداع المال في خزينة ادارة المخابرات وأمر بعدم صرف أي شيء الا باذن مجلس قيادة الثورة .

ينفى تحديد تاريخ تسليم المبلغ ذلك لسبب بسيط هو أن محمد نجيب لم يكن رئيسا للوزراء فى هذه الفترة بل كان رئيسا للجمهورية بلا عمل حتى ١٤ نوفمبر ثم معتقلا فى المرج بعد ذلك وكان حسن ابراهيم وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية يحضر كافة مقابلاته ويراقب كل تصرفاته ... مما يبعد تماما فكرة عدم معرفة جمال عبد الناصر بوقوع مثل هذا الحادث .

هذا من ناحية ... ومن ناحية أخرى فان الأمريكيين ما كانوا ليعطوا مثل هذا المبلغ لمحمد نجيب وهو رجل معزول عن الحياة العامة تدفقت عليه الهجمات عقب اطلاق الرصاص على جمال عبد الناصر وربطت بينه وبين الاخوان المسلمين وكان على وشك أن يحاكم معهم .

هذا اذا أردنا استبعاد رأى مايلز كوبلند كما ورد فى كتابه .

وعندما قرأ محمد نجيب ما نشره هيكل فى كتابه رفع عليه قضية أمام محكمة الجيزة واضطر هيكل للاعتذار على صفحات الأهرام . وأثبت محمد نجيب أمام المحكمة قوله بأن الواقعة موضوع الادعاء غير صحيحة على الاطلاق ... وصمت هيكل مؤثرا الانسحاب من خطأ أساء به الى سمعة الرجل .

ومثل هذه المبالغ كانت تدفع عادة لبعض رؤساء الدول ... البعض تقبلها فى سكون ، والبعض يرفضها فى صخب كما فعل رئيس وزراء سنغافورة عندما أعلن انها محاولة لرشوته ، والبعض لا يأخذها لنفسه وانما يستخدمها لخدمة مجتمعه كما فعل جمال عبد الناصر عندما شيد بها برج القاهرة ليكون مركزا للاتصالات اللاسلكية السرية مع سفارات مصر فى الخارج .

هكذا كان موقف حكومة الولايات المتحدة مع جمال عبد الناصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء ... آمل فى ربطه بالأحلاف العسكرية ، وحوار متصل حول ذلك ، واغراء بالمساعدات المالية وتقديم تسهيلات شكلية للتسليح وتوطيد للعلاقات الشخصية معه ببعض العناصر الأمريكية القادرة على اجتذاب عاطفته .

وفى هذا السبيل استبدلت الحكومة الأمريكية جيفرسون كافرى بهنرى بايرود الذى قدم أوراق اعتماده فى ٨ مارس ١٩٥٥ وكان قبل ذلك وكيلا لوزارة الخارجية درس حضارة مصر القديمة وهو ضابط سابق برتبة عميد ، عمره ٣٩ عاما يستطيع أن يكون أكثر تفهما لزملائه من الضباط المصريين الذين يجمعهم عمر واحد ومهنة واحدة .

ولكن كل هـذه الظروف لم تضعف من اصرار جمـال عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة على اتخاذ موقف الحياد ومعاداة الأحلاف العسكرية .

الرصاصات التى أطلقت على جمال عبد الناصر فى ميدان المنشية رغم انها عمل من أعمال الارهاب الممقوت والمدان ، الا انها كانت صوتا من أصوات الاحتجاج على شبهة التحالف التى وردت فى اتفاقية الجلاء ... ولذا لم يكن جمال عبد الناصر مستعدا للتورط فى تحالفات عسكرية .

ليس هذا فقط ... بل ان جمال عبد الناصر بدأ معركة ضد الدول العربية التى أخذت تنجذب الى مغناطيس الأحلاف الغربية ... وكان هذا جديدا فى السياسة المصرية ... فمصر قبل الثورة كانت ترفض الأحلاف ولكنها لا تهاجم الدول العربية التى تروج الدعاية لها .

بل ان موضـــوع الأحلاف كان مجالا لوجهات نظر مختلفة داخل مصر ... اسماعيل صدقى وقع بالأحرف الأولى مع اتورين بيفان وزير خارجية بريطانيا على مشروع معاهدة تقضى بالتحالف مع بريطانيـا ، وكان يصحبه فى المفاوضات وزير خارجيته ابراهيم عبد الهادى رئيس الحزب السعدى فيما بعد ، وروج مصطفى أمين لذلك بمقال كتبه فى آخر ساعة تحت عنوان (أوقعها والعنها) .

ومحمود فهمى النقراشى خطب فى واشنطن مهاجما الشيوعية والنظام السوفيتى متحدثا عن وجوب ثقة الغرب فى مصر الديموقراطية وكراهيتها للشيوعية ، موافقا على مبدأ الأمن الجماعى وهو شعار الأحلاف العسكرية الذى رفعه الاستعمار وقتها .

وعبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية صرح فى شهر يناير ١٩٥٢ بأنه على استعداد للتحالف مع أمريكا .

أما الوفد فقـد أعلن رأيه صراحة فى رفض استمرار التحـالف ، واقترح مصطفى النحاس أثناء مفاوضاته مع المارشـال سليم ان تنتقل القوات البريطانية عند القناة الى فلسطين بما يمكنها فى حالة الحرب من العودة خلال اسبوع .

كان الوفد يطلب الجلاء أولا ثم النظر فى موضــوع التحالف بعد ذلك ... أما الاستعمار فكان يصر على توقيع التحالف أولا قبل اتمام الجلاء ... ولذا الغيت المعاهدة وبدأ الكفاح المسلح (أما الأحزاب التقدمية فقد اتخذت موقف الرفض والمعارضة لفكرة الأحلاف العسكرية) .

وتغير الموقف بعد حركة ٢٣ يوليو ... اذ أخذت القيادة العسكرية

ليس على رفض التحالف فقط ، بل على مقاومة الأحلاف التى ترتبط بها الدول العربية مع الاستعمار .

ودخلت الثورة بذلك معركة ضارية ضد الأحلاف العسكرية .

لم تستجب لاغراء ايزنهاور بامداد مصر بما تحتاجه من أسلحة اذا ارتبطت بحلف دفاعى مع الغـرب ... كان هـذا الاغراء أقل تأثيرا على العسكريين منه على المدنيين الذين ارتفعت بعض أصواتهم تطلب التحالف ، مثل على ماهر الذى صرح فى جريدة الأخبار يوم ٢٥ مارس ١٩٥٤ ابان اشتداد الأزمة بين محمد نجيب وأعضاء المجلس بقوله (ان مصر لا تستطيع الوقوف موقف الحيـاد ويجب ان تنضم للغرب) ... وكأنمـا يناجى بكلماته قادة الغرب ليمدوا له ولأمثاله يد المساعدة ، أو لينظروا له بعـين العطف من جديد .

ولم تتحول نظرة العسكريين عن موقفهم المبدئى فى رفض الأحلاف ولو تدفق السـلاح ... وكانت حـكومة الولايات المتحدة قـد عقـدت اتفاقيات امداد بالسلاح لكل من العراق وباكستان عام ١٩٥٤ كمقدمة لحلف بغداد .

كما تشكل حلف جنوب شرق آسيا فى مانيلا عاصمة الفيلبين فى ٨ سبتمبر ١٩٥٤ وبـدأ عمله فى ١٩ فبراير ١٩٥٥ بالدول الآسـيوية باكستان والفلبين وتايلند وبعض الدول البعيدة عن المنطقة المرتبطة بحلف الأطلنطى وهى أمريكا وانجلترا وفرنسا .

ولكن كل ذلك لم يضعف من مقاومة مصر ... بل زادها اشتعالا وجعلها طليعة الدول العربية فى هذا المضمار .

وعندما قام ايدن بزيارته الوحيدة لمصر فى ٢٦ فبراير ١٩٥٥ لـم تترك الزيارة أثرا فى موقف جمال عبد الناصر الذى شرح له موقفه كما سبق ان شرحه لدالاس وعندما تساءل ايدن عن سر الهجوم على أفراد الأسرة الهاشمية ونورى السعيد فى العراق لرغبتهم فى الانضمام لحلف بغداد قال له جمال عبد الناصر انه لا يهاجم هؤلاء الناس شخصيا ولكنـه يعتقد أن فكرة حلف بغداد تؤدى الى تجزئة العالم العربى ، وانقسامه والى عزل مصر .

ويقول ناتنج فى كتابه (ناصر) ان زيارة ايدن ومناقشاته قد غيرت من الجو النفسى الذى حرص ناتنج على تحقيقه بعد توقيع اتفاقية الجـلاء آملا فى تعاون مثمر بين الدولتين فى المستقبل .

وكان مجلس قيادة الثورة قد أوفد صـلاح سالم الى العراق فى

صيف ١٩٥٤ بعد توقيع اتفاقية الجلاء بالحروف الأولى للتعرف على حقيقة أخبار اقتراب العراق من الأحلاف العسكرية .

وكان الهدف من الزيارة اعادة الحرارة الى العلاقات الباردة بين مصر والعراق ومحاولة كسب ثقة نورى السعيد الذى انتهى مشروعه القديم (الهلال الخصيب) الذى يضم العراق وشرق الأردن وسوريا فى دولة واحدة بعد تكوين الجامعة العربية فى الأربعينيات .

ذهب صلاح صالح الى سرسنك مصيف الأسرة المالكة فى شمال العراق ، وكان جو اللقاء مرحا ، أصر فيه نورى السعيد على مصاحبة صلاح سالم الى عرس كردى قبل أى مباحثات رسمية .

وفى المباحثات حرص صلاح سالم على كبت عواطفه المتفجرة والتحدث بهدوء شديد عن أمل مصر وتطلعها فى الا يرتبط العراق بأى حلف أجنبى حتى تجلو القوات البريطانية تماما عن مصر وتجلو كافة القوات الأجنبية عن بقية البلاد العربية ، وذلك حتى لا ينفذ الاستعمار الى صفوف الدول العربية فيمزق وحدتها .

ولما أشار نورى السعيد الى أن الشيوعية تهدد العراق وانه يحتاج إلى مساعدة لمقاومة هذا التهديد ، قال له صلاح سالم ان الارتباط بأحلاف أجنبية هو الذى يدفع العناصر الوطنية الى اعتناق الشيوعية .

ولما كان نور السعيد لم يحدد بعد موقفا نهائيا فى مقترحات بريطانيا للارتباط بحلف معها فانه بعد ان أبدى لصلاح سالم تخوفاته من موقع العراق الجغرافى وقربه من الاتحاد السوفييتى ارجأ معه دراسة الموضوع ... ولكنه وهو السياسى العتيق خدع صلاح سالم فى كلمات البيان المشترك الذى صدر بعد الزيارة .

كما ان صلاح سالم أجاب فى مؤتمر صحفى أثناء الزيارة ردا على سؤال خبيث عن موقف مصر من رغبة الوحدة فى بعض الدول العربية بقوله انه اذا كان هناك شعبان أو أكثر يريدان الوحدة فان مصر لا تمانع فى ذلك ... وقد ترجم هذا الرد على انه موافقة على مشروع الهلال الخصيب الذى تنطوى فيه سوريا تحت جناح العراق .

وقد كان لهذه الرحلة تأثير شديد على جمال عبد الناصر ، لعدم موافقته على أراء صلاح سالم ، فأبلغ السفير العراقى ان ما ورد فى البيان خاصا باستشارة مصر والعراق لبريطانيا والولايات المتحدة من أجل تقوية الجامعة العربية هو أمر يتنافى مع استقلال الدولتين .

وأسرع نورى السعيد الى القاهرة ليجابه جمال عبد الناصر بقوله انه لا يستطيع الاعتماد على الدول العربية وحدها للدفاع عن العراق، وانه يعتبر ميثاق الضمان الجماعى العربى حبرا على ورق وانه يعتقد أن بريطانيا وحدها هى التى تستطيع أن تساعده فى ذلك ·

وكان نورى السعيد قد زار مصر قبل ذلك عام ١٩٥٣ والتقى بمحمد نجيب وجمال عبد الناصر واعضاء مجلس الثورة ، وحمل معه مشروعا يقضى باتحاد الدول العربية المتقاربة على هذا الأساس (السودان ومصر وليبيا) ثم (العراق وسوريا والأردن) ثم (تونس والجزائر والمغرب) وأخيرا (السعودية واليمن والخليج) ··· ولكن نورى السعيد لم يجد صدرا مفتوحا لمناقشة مشروعه فقد قال له محمد نجيب انه لا يريد أن يقفز لتحقيق مشروعات تبدو خيالية قبل أن يتم الجلاء عن مصر ·

وحاول أن يفتح نورى السعيد ملف هذا الموضوع مرة ثانية ، ولكن جمال عبد الناصر أبلغه انه لا يمكن التفكير فى وحدة الدول العربية مع بعضها الا اذا تحررت تماما من الاستعمار وجلت عنها قوات الاحتلال ·

ووضح تماما ان هناك تصادما لابد وأن يحدث بين القاهرة وبغداد ··· اذاعة صوت العرب تدعو كافة المواطنين العرب الى اتباع نموذج القاهرة والتحرر من القوات الأجنبية كما فعلت مصر بعد عامين فقط من ثورة ٢٣ يوليو ··· وعواطف الجماهير على امتداد الوطن العربى تلتهب مع هذه الاذاعات المثيرة ···

واتبع نورى السعيد أسلوبا جديدا فى مقاومة هذا الهجوم الاعلامى عندما أعلن وزير خارجيته موسى شهبندر ، فى مؤتمر صحفى أثناء اجتماع لوزراء الخارجية العرب فى القاهرة بأن العراق لن ينضم لحلف مع تركيا والباكستان وانما سيستبدل ذلك بعقد اتفاقية مع بريطانيا تشابه اتفاقية مصر معها على أن يسمح بعودة القوات البريطانية الى العراق اذا هوجمت ايران أو تعرضت لخطر الغزو ·

وأكد نورى السعيد أقوال وزير خارجيته أمام البرلمان العراقى يوم أول يناير ٥٥ ولكن محاولته لوقف الهجوم على العراق لم تستمر فقد هبط بغداد بعد خمسة أيام فقط من خطبته عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا مع وفد كبير ، أمضى أسبوعا فى العراق وانتهى الأمر الى صدور بيان يوم ١٢ يناير ١٩٥٥ يفيد بأن اتفاقا قد تم بين الدولتين على توقيع حلف دفاعى مشترك فى أقرب وقت ممكن ، وانهما يتطلعان الى انضمام الدول الأخرى التى تفكر بمثل اسلوبهما) ·

وكان هذا الاعـــلان صدمة حقيقية لجمال عبد الناصر ، اذ تأكد ارتباط العراق بحلف الأطلنطى عن طريق تركيا التى كانت أول دولة من دول الشرق الأوسط ترتبط بهذا الحلف ... ليس هذا فقط بل ان الدولتين تسعيان لضم دول عربية أخرى .

وانقضت معركة الأحلاف الى رحلة جديدة ... شددت فيها مصر الهجوم على الاحلاف اعلاميا وسياسيا .

ودعت القاهرة وزراء خارجية العراق وسوريا ولبنان والسـعودية والأردن واليمن وليبيـا للاجتماع يـوم ٢٢ يناير ١٩٥٥ لمحاصرة نورى السعيد الذى حاول اغراء العرب بأن تركيا سوف تساعدهم ضد اسرائيل بناء على تصريحات أدلى بها عدنان مندريس .

ولكن الاجتماع لم يحقق الغرض المطلوب ... فارس الخورى وزير خارجية سوريا كان يمالىء العراق ولا يتخذ موقف المعارضة وسامى الصلح كان متجاوبا مع سياسة كميل شمعون رئيس جمهورية لبنان المعروف بتبعيته للغرب والذى زاره عدنان مندريس فى طريق عودته من العراق وتوفيق أبو الهدى كان يتحرك فى حدود سياسة الأسرة الهاشمية التى تحكم البلدين . والخضوع لنفوذ جلوب باشا .

وبدا الأمر كما قاله مندوبا البنتاجون عقب مقابلتهما لجمال عبد الناصر من أن الولايات المتحدة قد كسبت الى جانبهـا كلا من العراق ولبنـان والأردن .

وقال فاضل الجمالى وزير خارجية العراق صراحة انه طالما ان العراق لا يريد التعاون مع الشيوعية فان الغرب لن يمدهم بالسلاح ـ لزرقة عيونهم ـ انما لوصـولهم معه الى اتفاق ، ودعا وزراء خارجيـة الدول المجتمعين الى التفاهم مع الغرب .

ولكن جمال عبد الناصر لم يتردد أمام هذه المواقف غير المشجعة .. بل زاد حملة دعائية ضد الأحلاف وضد نورى السعيد وشمعون وفارس الخورى باعتبارهم عملاء للغرب .

واستقبل جمال عبد الناصر فى القاهرة خلال شهر فبراير ١٩٥٥ ثلاثة من كبار السياسيين فى العالم ، تتنافر أفكارهم فى موضوع الأحلاف العسكرية ... أنطونى ايدن رئيس وزراء بريطانيا والذى حاول عبثا خلال لقاء بارد مع جمال عبد الناصر ان يوقف حملات الدعاية ضد نورى السعيد والأسرة الهاشمية ... وتم أيضا اللقاء الأول بين تيتو وجمال على اليخت غالب فى قناة السويس أثناء عودة تيتو من الهند ، وكان هذا أول لقاء

بين جمال عبد الناصر وزعيم شيوعى ، أصبح فيما بعد صديقا شخصيا له ... وزار القاهرة للمرة الثانية بعد الثورة تهرو الذى كان يستعد لحشد الدول الأفروآسيوية لحضور مؤتمر باندونج والذى أمضى معظم وقتـه مع القـادة العسكريين لمصر فى زياراته السـابقة يحدثهم عن الديموقراطية والتخطيط والحياد الايجابى ، والذى سبق له ان خطب فى نقابة الصحفيين المصريين يوم ٢٠ مايو ١٩٥٣ قائلا انه (لا يرى ضرورة لقيام أحلاف عسكرية) والذى قال فى زيارته هذه عقب لقائه الثانى مع عبد الناصر (ان انتصار مصر فى معركة الأحلاف انتصار للهند أيضا) .

وكانت بداية احتكاك جمال عبد الناصر بهؤلاء الزعماء العالميين الذين تمرسوا على السياسة خلال نضال طويل وفى مواقع بعيدة بأسـاليب مختلفة فرصة فريدة له للتعرف على أحوال العالم السياسية من القائمين بأدوار رئيسية فيها ومشجعا له على اتخاذ موقف أكثر صلابة فى مواجهة دعاة الأحلاف العرب ... كما كانت هذه اللقاءات تمهيدا لاطلاق طاقات جمال عبد الناصر فى ميدان السياسة الخارجية ، بعد ان كانت كل أفكاره مركزة على الموقف الداخلى وحده حتى ذلك الوقت .

زاد جمال عبد الناصر بعد هذه الاجتماعات اصرارا على خوض المعركة ضد الأحلاف بكل ما يملكه من وسائل .

ولكن العراق لم يتراجع عن انزلاقه للارتبـاط بالأحلاف فوقع مع تركيا وثيقة حلف عراقى تركى مشترك كانت هى خميرة حلف بغداد الذى انضمت اليه بريطانيا بعد مؤتمر باندونج فى شهر ابريل ١٩٥٥ ومعهـا ايران وباكستان بعد ان أنهت معاهدتها المعقودة مع العراق عام ١٩٣٠ .

وهكذا ارتبطت أول دولة عربية بأحلاف الغرب العسكرية .

واستمرت المعركة قائمة ... بل زادت شدة وقد حدث تغيير فى سوريا وخرج فارس الخورى من الوزارة وعين بدلا منه خالد العظم وزير للخارجية فى وزارة يرأسها صبرى العسلى فسـافر صـلاح سالم الى دمشق فى مارس ١٩٥٥ حيث وقع ميثاقا للتعاون العسكرى والسياسى والاجتماعى مع سوريا وهتف الزعيم شوكت شقير رئيس الأركان العامة للجيش السورى بحياة الجيش العربى الموحد .

وانتقل صلاح سالم مع خالد العظم وزير خارجية سـوريا ووزير الدفاع بالنيابة الى الأردن ثم السعودية لعرض نتيجة الاتفاق المشترك بين مصر وسوريا والذى نص على الآتى :

أولا : عدم الانضمام الى الحلف التركى العراقى .

ثانيا : اقامة منظمة دفاع وتعاون اقتصادى عربى مشترك .

ثالثا : انشاء قيادة مشتركة دائمة لها مقر رئيسى وتشرف على تدريب القوات العسكرية تضعها كل دولة تحت تصرف تلك الدول .

رابعا : الاتصال بالحكومات العربية لعقد مؤتمر من الدول المدافعة .

وقد صدر بيان سعودى سورى مصرى وقعه الأمير فيصل رئيس مجلس الوزراء السعودى وخالد العظم وصلاح سالم يفيد بأن الملك سعود يوافق موافقة كاملة على ما ورد فى البيان المصرى السورى ويتطلع الى عقد مؤتمر .

وكانت السعودية فى نزاع شديد مع بريطانيا حول أحقيتها فى واحة البوريمى التى كانت تحت السيطرة البريطانية .

ولم تترك الدول العربية العراق ينضم الى تركيا دون محاولة لارجاعه فقد سافر خالد العظم الى العراق يوم ١٤ مارس ولكن فاضل الجمالى صرح بأن العراق لن يرجع عن تحالفه مع تركيا ، وقال الملك سعود (العراق اخوتنا وأبناؤنا والعراق يستطيع الانضمام للميثاق الجديد لينبذ حلفه مع تركيا) ولكن موقف العراق لم يتغير ... بل ان حكومته منحت محمود أبو الفتح رئيس تحرير المصرى الذى أغلقته الثورة يوم ١٠ مارس الجنسية العراقية واعطته جواز سفر عراقى .

وانضمت اليمن بعد أيام الى الميثاق الجديد بلا تحفظ وأعلن الامام أحمد انه مع الدول الثلاث مصر والسعودية وسوريا .

وحاولت تركيا أن تهدد سوريا وتضغط عليها واغلقت الحدود بين البلدين ، فترة زاد فيها التوتر ... وأيد الاتحاد السوفييتى سوريا معتبرا ان تصرفات تركيا موجهة ضده .

وخلال هذه الفترة كان جمال عبد الناصر يستعد للسفر الى باندونج لحضور مؤتمر الدول الآسيوية والافريقية الذى نبتت فكرة عقده فى مؤتمر كولومبو عاصمة سيلان فى مايو ١٩٥٤ والذى حضره ممثلو خمس دول هى الهند وباكستان وسيلان واندونيسيا وبورما .

تقرر عقد المؤتمر بدعوة من أندونيسيا فى مدينة باندونج عاصمة جاوه الغربية وهى مدينة مشهورة بجمال طبيعتها وتبعد عن العاصمة جاكارتا ١٢٠ ميلا .

ودعيت الى المؤتمر الدول المعترف دوليا باستقلالهـا فى القارتـين الكبيرتين مما أسبغ عليه صفة رسمية ... وتقرر دعـوة الصين الشعبية وعدم توجيه الدعوة الى فورموزا ، واستبعدت كوريا الشمالية والجنوبية معا للخلاف المستحـكم بينهما ، كما استبعـد اسرائيل أيضـا لعدم قبول الدول العربية حضور المؤتمر اذا دعيت اليه ، كما استبعدت دولة اتحاد جنوب أفريقيا لعنصريتها وعدائها للشعب الأفريقى الأصيل .

حاولت الدول الاستعمارية مقاومة عقد هذا المؤتمر وشنت الصحافة الغربية عليه موجات من النقد الشديد وحاولت منع الدول الخاضعة لها من الذهاب ، ولكن تيار المـد التحررى فى هذه الفترة كان جارفـا ... وكانت الدول حديثة الاستقلال تسعى الى التعاون والترابط وهى تخرج من قيود الاحتلال الى عالم جديد .

وقد حاولت قوى كثيرة تعطيل سفر جمال عبد الناصر ومنعـه من الظهور فى هذا المؤتمر وكتب محمد حسنين هيكل قائلا : أنه غير متحمس للذهاب الى باندونج .

ولكن جمال عبد الناصر كان قد اشتعل حماسا بمقابلات نهرو وتيتو وفتح عينيه على ميدان جديد كانت طبيعتـه تعشقـه ، ولم يتردد لحظـة فى الذهاب على رأس وفد مشكل من صـلاح سالم وزير الارشاد ومحمود فوزى وزير الخارجية وقائد الجنـاح على صبرى الذى عـين مديرا لمكتب جمال عبد الناصر والشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف .

الدول التى حضرت المؤتمر ٢٩ دولة تمثـل أكثر من نصف سكان العالم ومن الدول العربية تسع هى مصر وسـوريا ولبنـان والسـودان والعراق والأردن والسعودية وليبيا واليمن .

غادر جمال عبد الناصر مصر يوم ٨ ابريل وزار باكستان فى طريقه الى الهند التى أمضى بها عدة أيام رافقـه فيهـا نهرو واتـاح له فرصـة الخطابة فى جمع حاشد يبلغ نصف مليون والقى خطابا أيضا أمام برلمان الهند ... وكان جمال عبد الناصر هو وصلاح سالم يرتديـان حلتهمـا العسكرية ، فكانا الوحيدين بين قادة الدول من العسكريين .

لم تكن موجة الانقلابات العسكرية قد اجتاحت بعد الدول الناميـة الحديثة الاستقلال ... حتى سوريا التى عرفت الانقلابات العسكرية عام ١٩٤٩ بانقلاب حسنى الزعيم كان يرأس جمهوريتها فى ذلك الوقت مدنى هو هاشم الأتاسى بعد أربعة انقلابات متتالية وأحد عشر تغييرا وزاريا .

وكانت هذه هي رحلة جمال عبد الناصر الأولى خارج مصر ··· ظهر فيها كنجم بارز يمثل دولة ذات حضارة عريقة ولها دور قيادى فى الدول العربية التى كانت تشكل ثلث أعضاء المؤتمر تقريبا ··· وقد احاطه نهرو وسوكارنو وشو ان لاى واونو رئيس وزراء بورما بكل تقدير ·

يقول جان لاكوتير فى كتابه (عبد الناصر) أثناء المؤتمر كان استقبال الجماهير لعبد الناصر - بفضل ترتيبات سوكارنو أشد حماسة من استقبالات القاهرة والاسكندرية ، كان ظهوره على منصة الخطابة أو فى الأروقة أو الشوارع يقابل بمظاهرات حارة جدا فهو وشو ان لاى كانا رجلى الساعة ، مع العلم أنه عند وصوله كا يستبد به القلق والخوف من ايثار العراقيين والأتراك عليه) ·

كانت الرحلة الأولى لجمال عبد الناصر خارج مصر رحلة غير عادية ··· وطريقة استقباله فيها كانت كفيلة بالتأثير العميق على شخصيته وأفكاره ورؤيته الشاملة للعالم ·

التناقضات التى كانت قائمة بينه وبين العراق لم تجد فرصة للظهور ، فقد نجح جمال عبد الناصر فى الحصول على قرار من المؤتمر يقول انه (بالنظر الى التوتر القائم فى الشرق الأوسط بسبب الموقف فى فلسطين وخطر ذلك التوتر على السلم العالمى يؤيد المؤتمر حقوق شعب فلسطين العربى ويدعو الى تطبيق قرارات الأمم المتحدة وتحقيق التسوية السلمية لمشكلة فلسطين) ·

وكان ذلك انتصارا للحق العربى ، ودافعا لظهور الدول العربية بمظهر التضامن ، فى وقت لم تتوقف فيه اسرائيل عن مهاجمة قطاع غزة منذ غارتها الكبيرة يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ حتى أيام انعقاد المؤتمر ·

اعاد مؤتمر باندونج ثقة الدول المتحررة بنفسها ، ودعم سياسة الحياد بين المعسكرين فى وقت كان يعتبر فيه دالاس كلمة (عدم الانحياز) كلمة قذرة كما قال حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) ·

كانت أيام انعقاد المؤتمر من ١٨ الى ٢٤ ابريل ١٩٥٥ من أهم أيام التاريخ اذ حدث تحول عميق فى سياسة كثير من الدول ومنها مصر ·

وينعكس ذلك على ما يرويه مايلز كوبلند فى كتابه (لعبة الأمم) فى باب (ناصر واتحاد المحايدين الايجابيين) اذ يقول ان الروس قد غيروا وجهة نظرهم تجاه ناصر عندما وجدوا احتمال أن يصبح عاملا رئيسيا فى الحرب ضد الامبريالية الغربية عدوهم اللدود فى الدول الافريقية والاسيوية ··· بينما أبدى الأمريكيون عليه تحفظات عديدة ·

وكان غريبا أن تصدر جريدة (الأخبار) الموالية للأمريكيين خلال بعض أيام المؤتمر بمانشيتات مثيرة لعلامات الاستفهام ·

يوم وصول جمال عبد الناصر الى باندونج يوم ١٨ ابريل صدرت الأخبار بمانشيت أحمر رئيسى يقول (سيدة بلا رأس فى قطار الاسكندرية) ·

وفى اليوم الذى كان جمال عبد الناصر يخطب فيه فى برلمان الهند كان المانشيت الرئيسى الأحمر لنفس الجريدة (براءة ٦ متهمين فى قضية قتيل شبرا) ··· ومانشيتات فرعية بنفس المقياس تقول (عبد الناصر خطب فى البرلمان الهندى) وتقول أيضا (براءة زوج فاطمة أخت القتيل ورجوات زوجة ابنه) ·

ومحمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة ومندوب الأخبار فى ذلك الوقت كتب أثناء انعقاد المؤتمر تحقيقا فى الأخبار يوم ٢٥ مارس ١٩٥٥ بعنوان ((تعال معى الى باندونج) يسخر فيه من أندونيسيا ويقول (ان باندونج التى فيها هذا المؤتمر ليست بلدة اندونيسية ··· هى قطعة من هولندا نسيها الاستعمار على أرض جزيرة جاوة عندما جمع حقائبه ورحل عن اندونيسيا) · ويحاول ان يصور اندونيسيا وكأنها تخدع الزائرين بقوله (فى كل مكان ذهبت اليه لمحت أثار الطلاء على الأرض) ويقول أيضا بعد حديثه عن احدى المدارس (مطلوب من كل زائر ان يفهم مدارس اندونيسيا هكذا) ثم يقول (بائعات الهوى يزيفن بطاقات على انهن طالبات فى الجامعة) ·

لا كلمة واحدة عن المؤتمر ···

بل ان محمد حسنين هيكل يكتب أيضا فى تحقيق ثان يوم ٢٧ مارس ١٩٥٥ (وليس يعنينى ماذا قرر المؤتمر ولا كيف كان اتجاه المناقشات فيه تلك كلها مسائل ثانوية) ·

هكذا أسفرت بعض الصحف المصرية عن موقفها من مشاركة جمال عبد الناصر فى هذا المؤتمر الذى غير مسار التاريخ بما اتخذه من قرارات اعتبرت دستورا للعلاقات بين الدول ، وكانت تطبيقا لمبادىء التعايش السلمى ، الذى احتل مكانا رئيسيا من أعمال المؤتمر ، ورأس جمال عبد الناصر لجنته ·

نصت قرارات المؤتمر على رفض الاحلاف كما ورد فى المادة السادسة (الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية الجماعية لخدمة المصالح الذاتية لأى دولة من الدول الكبرى) ·

وعاد جمال عبد الناصر بعد زيارة أفغانستان فى طريق العودة .

وعلى قدر ما لقى من استقبالات حافلة فى كل دولة زارها على قدر ما كانت هناك محاولة لعدم استقباله فى القاهرة استقبالا شعبيا يناسب نجاح المؤتمر .

كان جمال سالم خلال زيارة عبد الناصر قد عين رئيسا بالنيابة .. وعندما اجتمع عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وكمال رفعت وأحمد لطفى وآكد مديرا مكتب جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت للبحث فى اعداد استقبال شعبى ، ولما عرض الأمر على جمال سالم لم يوافق على ذلك ، وطلب أن يكون الاستقبال عاديا ، ولكنهم رفضوا رأيه ونفذوا اجراءات الاستقبال وحدهم مما جعله مفاجئا له عند وصوله الى المطار .

ولم تكن محاولة منع الاستقبال الشعبى من جانب جمال سالم وحده ... ولكن هنرى بايرود السفير الأمريكى اقنع السفراء الغربيين بعدم مقابلة جمال عبد الناصر فى المطار بحجة اعتقاده ان استقبال عبد الناصر يجب ان يبقى مظاهرة أسيوية أفريقية فقط كما روى كوبلند .

كان موظفو السفارة الأمريكية يطلقون على مؤتمر باندونج (لعبة المحتالين من سكان المدن السود) .

وصل جمال عبد الناصر القاهرة يوم ٢ مايو حيث استقبل استقبالا شعبيا حافلا وصفه جان لاكوتير فى كتابه (عبد الناصر) بقوله (هبت موجة حارة على الرجل وعلى الجماهير ففى ميدان التحرير حيث اقيمت أقواس النصر تحمل اسماء عبد الناصر ونهرو وشو ان لاى فشاهدنا سيارة (جيب) تخترق الجماهير ويقف فيها ناصر مبتسما ابتسامة عريضة تفرج لأول مرة عن انكماش وجهه الصلب بينما يجرى وراءه الشعب الذى طالما واكب فى الماضى النحاس باشا أو محمد نجيب فماذا جرى الآن ؟) .

ويجيب لاكوتير بقوله (ذلك أن العهد قد ولج طريقا جديدة فقبل سفر البكباشى الى آسيا بأسبوع ولم يكن قد تأكد بعد أنه سيذهب بنفسه) اعتقل رجال المباحث عشرات الشيوعيين وزجهم فى غياهب السجون ، ولكن عندما قرر ناصر السفر الى اندونيسيا تلقى برقية من المعتقلين تقول (عاش المناضل فى المعركة ضد الامبريالية) .

وكتب محمد حسنين هيكل متراجعا عن موقفه المعارض لسفر جمال عبد الناصر الى المؤتمر قائلا فى صحيفة الأخبار (ان الاستقبال الكبير الذى لقيه جمال عبد الناصر بعد عودته أمس الى أرض الوطن بعد مؤتمر

باندونج المثير ، وبعد الرحلة السريعة فوق بلاد الشرق الأقصى أثبت لى مرة أخرى خطأ كنت قد وقعت معه ··· واعترف بأننى لم أكن متحمسا لسفر جمال عبد الناصر ولا لاشتراكه بنفسه فى مؤتمر باندونج) ·

وكنت قد طلبت مقابلة جمال عبد الناصر عندما علمت باتخاذه قرار السفر بعد فترة طويلة ، امتنعت فيها عن ممارسة أى نشاط سياسى نتيجة للمراقبة الشديدة ، وعزلى فى قويسنا بالجيش المرابط لفترة طويلة بعد أزمة مارس ١٩٥٤ فكنت الوحيد من خريجى كلية أركان الحرب الذين يعملون فى هذا الجيش الذى كان مكلفا بحراسة المنشآت من جنود الاحتياط ·

ذهبت اليه فى دار رئاسة مجلس الوزراء ، فاستقبلنى مع البكباشى عبد الحكيم الاعسر زميل مجموعتى للضباط الأحرار بالاسكندرية فور علمه بوجودنا ·

وعندما دخلنا كان متهلل الوجه وبادرنى بقوله :

ـ أخيرا ··· رجعت ورضيت تيجى لنا ·

وقلت له صادقا :

ـ الشعب كله معاك فى خطوتك ··· وأنا واحد من الناس ·

وجلست معه لأول مرة بعد سنوات ··· كان مرحا منشرح الصدر ···· تحدث عن معركته ضد الاحلاف بثقة متناهية ·

وعندما عاد من باندونج أرسل له محيى الدين خطابا قال له فيه ان شقة الخلاف بينهما تضيق ، وفى نوفمبر ١٩٥٥ أرسل عبد الناصر اليه رسولا قال له انه يستطيع العودة لمصر ، فعاد فى ٤ ديسمبر ١٩٥٥ وقابل جمال عبد الناصر لأول مرة أيضا منذ سفره للخارج فى ابريل ١٩٥٤ ·

كان موقف جمال عبد الناصر بعد مؤتمر باندونج فى مقاومة الاحلاف وتأكيد الاستقلال الوطنى أقوى منه قبل المؤتمر واشد تأثيرا ·

نهرو حضر الى مصر فى زيارة انتهت الى بيان مشترك صدر فى ١٢ يوليو ١٩٥٥ تضمن نصا على ان الاشتراك فى مواثيق واحلاف عسكرية مع الدول الكبرى يخلق جوا يؤدى الى الحرب ولا يخدم قضية السلام ··· وكان ذلك أول بيان رسمى يؤكد فى مضمونه الكامل كافة مبادىء باندونج·

هجمات القاهرة على حلف وحكومة بغداد هزت أعصاب الحكام هناك ·· بل دفعت سلوين لويد الذى عين وزيرا لخارجية بريطانيا الى

ابلاغ السفير المصرى فى اغسطس ١٩٥٥ بأن بريطانيا ستكف عن بذل المزيد من الجهود لضم الدول العربية الى حلف بغداد اذا اوقفت مصر دعايتها ضده ·· وقد سر عبد الناصر لذلك كثيرا ·

ولكن المعركة مع ذلك لم تتوقف ··· فقد تلقت السياسة البريطانية ضربة شديدة عندما وصل الجنرال سير جيرالد تمبلر الى عمان فى ديسمبر ١٩٥٥ ليبحث مع المسئولين هناك أمر دخول الأردن حلف بغداد ، وقابله الشعب العربى فى الأردن بثورة شديدة بددت الأمل فى ضم الأردن الى حلف بغداد ·

ولم ينته أثر زيارة تمبرر بمغــادرته عمـــان ، فان الأمة العربية التهبت جميعها بمعاداة الاحلاف ، وحضر سلويد لويد الى القاهرة ليؤكد لجمال عبد الناصر ما سبق ان قاله للسفير المصرى فى لندن من رغبته فى وقف حملات الدعاية ضد حلف بغداد ، على ان تجمد بريطانيا مساعيها لتوسيع الحلف ، وحاول سلوين لويد التقليل من مهمة تمبلر قائلا انها تمت تحت ضغط الأتراك والعراقيين ·

وتصادف أثناء تناول الاثنين طعام العشـاء حسب روايـة محمد حسنين هيكل ان تلقى السفير البريطانى برقية تفيد أن الملك حسين قد طرد الجنرال جلوب وطلب منه مغادرة الأردن فى نفس الليلة ··· ولكنه لم يبلغ سلوين لويد بها وهما فى طريقهما الى السفارة ··· واعتبر وزير الخارجية البريطانى أن عبد الناصر كان يعلم بذلك وانه سخر منــه بعدم ابلاغــه ·

ولكن تبين أن جمال عبد الناصر لم يعرف بالخبر الا فى صباح اليوم التـــالى ، واعتبر انه اجراء ذكى من البريطـانيين لانه يفتح صفحة جديدة فى العلاقات بين البلدين ··· ولكن سلوين لويد اعتبره أمرا يقود الى مصير غير معلوم ·

حقيقة ان جمال عبد الناصر لم يكن يعلم بالخبر وقت لقائه مع سلوين لويد ··· ولكنها حقيقة أيضا انه كان قد أرسل كمال رفعت وأحمد لطفى وأكد مديرى مكتبه الى الأردن لاثارة الجماهير هناك ضد الاحلاف وضد زيارة تمبلر ودراسة أسلوب مهاجمـة اسرائيل من الداخـل ردا على هجماتهـا المتصلة على قطاع غزة بعد غارتها الشهيرة فى ٢٨ فبراير ·

كان الاثنان يعملان باسماء مستعارة ··· ويقول الاثنان ان الشعب الأردنى قد قـام بثـورة ضـــد تمبلر بدافع ذاتى دون تدخل من جانبهما اطلاقا ···

وقد روى جمال عبد الناصر قصة ارساله لكمال رفعت ولطفى واكد الى الأردن فى مجلس الوزراء ... وذلك تدليلا على الدور الذى تقوم به مصر عقب اقالة جلوب .

وكان كمال ولطفى قد اتصلا ببعض الضباط الأردنيين الذين تاثروا بافكار العسكريين المصريين ، والذين لم تصل قدرتهم فى ذلك الوقت الى حد الثورة على الملك ، فقاموا بدلا من ذلك بالضغط عليه لاقالة جلوب حتى يستعيد شعبيته التى فقدها خلال زيارة تمبلر .

كان اسم جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت يتصاعد عاليا ، ويكتسب ملايين الأنصار فى الدول العربية ... وقد اكتشف سلوين لويد ذلك بنفسه عندما جوبه بعد مغادرته مصر بمظاهرات عنيفة فى البحرين تهتف (ناصر ... ناصر) .

أصبح واضحا مع نهاية عام ١٩٥٥ ان الاستعمار قد فقد قدرته على دعم احلافه العسكرية فى الوطن العربى ، وبعد أن كان مفروضا ان تصبح العراق مقدمة للدول العربية الأخرى المنضمة المنضمة اذا بها تصبح الدولة العربية الوحيدة المعزولة فى شباك الأحلاف العسكرية .

كان البريطانيون ينظرون الى قاعدة قناة السويس باعتبارها القاعدة الوحيدة المناسبة استراتيجيا لتكون مقرا للقيادة البريطانيــة فى الشرق الأوسط الممتدة من مالطة الى باكستان ومن تركيا الى كينيا .

كانت القاعدة نتاجا لجهد الحرب العالمية الثانية بكل ما توفر منها من مصانع وورش ومحلات ومدن للحياة والترفيه ، ويصعب على القيــادة البريطانية ان تستبدلها بأخرى ، أو تقيم قاعدة بمواصفاتها اذا تهيأ مكان استراتيجى ملائم .

وكذا فانه عندما وصلت الأمور عند بريطانيا الى مرحلة اليأس من ضم مصر الى الاحلاف العسكرية ، أثر ذلك على حلف بغداد فلم يتحول الى تنظيم عسكرى مثل حلف الأطلنطى ولم تتكون له قيادة عسكرية مشتركة ... ولم تتوفر له قاعدة رئيسية مثل قاعدة قناة السويس .

ومنذ ان دخل جمال عبد الناصر نــادى رؤساء الدول المؤثــرة فى السياسة الدولية بعد باندونج استخدم تعبيرات جديدة لم تكن فى قاموسه قبل ذلك ... استخدم كلمة الاشتراكية كمرادف للعدالة الاجتماعية ... وأعلن أول يونيو ١٩٥٦ تأكيدا لمبدأ الحياد الايجابى بقوله (ان سياسة مصر لا شرقية ولا غربية بل مصرية صميمة تعمــل لمصر وللوطن العربى

الأكبر) ··· وهى الألفاظ نفسها التى اعترض على يوسف صديق لانه نادى بها فى خطاب بمدينة بنى سويف عام ١٥٩٢ لأن السفارة الأمريكية احتجت عليها ·

تغير كبير حدث فى سياسة مصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء وعقد مؤتمر باندونج ·

تغير آكد وعمق معانى الحياد ··· ومعاداة الأحلاف العسكرية ··· مما جعلها مرادفة للاستقلال الوطنى الذى عاش الشعب يناضل من أجله عشرات السنين ·

ويستطيع جمال عبد الناصر ان يفخر بقيادته لهذه المعركة الوطنية التى ناضل فيها ضد الامبريالية العالمية معتمدا على جماهير الأمة العربية ···

كانت أياما خالدة ، صقلت فيها شخصيته ولمع اسمه ، واحتشد حوله الملايين فى نضاله مع الحياد ··· وضد الاحلاف ··· تأكيدا للاستقلال الوطنى ·

الفصل الثالث

السوفييت فى المنطقة

(صفقة الأسلحة المصرية السوفييتية أخطر اجراء منذ قيام حرب فيتنام)

جون فوستر دالاس

وزير خارجية الولايات المتحدة

(ان هذه الاتفاقية التجارية التى وقعناها بلا قيد ولا شرط لا تعتبر فتحا للنفوذ الروسى، ولا للنفوذ الأجنبى ولكنها تعتبر قضاء على النفوذ الطويل الذى تحكم فينا وسيطر علينا) .

جمال عبد الناصر

لم يدخل السوفييت الى المنطقة غزاة ... ولم يتقدم علمهم خلف التجارة كما فعلت انجلترا فى الصين ... ولم ينتصر تنظيم ماركسى فى احدى الدول ... ولكن دخولهم كان دعوة وطنية من العسكريين .

وكان الاعتقاد السائد عند العسكريين وفى مقدمتهم جمال عبد الناصر ان الحياد ومقاومة الاحلاف العسكرية تماما مثل الاستقلال الوطنى فمركة

لايتم الانتصار فيها الا بتحقيق هدفين ... أولهما جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس ، والثانى تسليح الجيش المصرى تسليحا حديثا يتناسب مع تطور العصر .

وبدأ النضال من أجل تأكيد الحياد الايجابى ورفض الأحلاف يأخذ طابعا جديدا بعد توقيع اتفاقية الجلاء ... طابعا يختلف عن مجرد التصريحات المعلنة فى فترة المفاوضات أو الكفاح المسلح بالقناة ، اذا اتخذ شكلا أكثر ايجابية وحرصا على ارتباط مصر بالدول العربية وعزل العراق وابطال دورها فى اغراء اية دولة عربية أخرى .

كان تحقيق الجلاء حافزا حقيقيا على تقديم نموذج للدول العربية ، ابرزت فيه مصر امكانية تحقيق دولة الارتباط بحلف من الأحلاف .

أما الهدف الثانى وهو تسليح الجيش ... فكان قضية العسكريين الكبرى ... وذلك مفهوم بحكم طبيعتهم وتكوينهم وارتباطهم المهنى . وحرصهم على تكوين جيش وطنى كما ورد فى أهدافهم الستة .

وبدأ الاهتمام بتسليح الجيش مبكرا ... مع الأيام الأولى للثورة .. صرح محمد نجيب فى شهر أغسطس ١٩٥٢ (لا بد ان نحصل على أسلحة حديثة من دولة ما واذا كنت لا استطيع ان أحدد من من الدول سيمدنا بالأسلحة فى حالة امتناع أمريكا والديموقراطيات الغربية عن مساعدتنا فمن البديهى فى هذه الحالة اننا سنلجأ الى غيرها) .

وصرح محمد نجيب أيضا للصحف فى شهر نوفمبر بقوله (ان النداء الذى وجهناه الى انجلترا للحصول على أسلحة حدث طبقا لسياسة الحكومة المصرية التى تريد تعزيز الجيش المصرى تدريجيا والتوسع فى قواته وتعزيز مركز مصر الاستراتيجى أيضا .

وكل ضابط فى الجيش المصرى كان يدرك ان الأسلحة متخلفة ولا تتناسب مع التطور الحديث الذى حققته الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية من بعدها .

ومنذ عام ١٩٣٦ والحكومة المصرية تسعى لتسليح الجيش من انجلترا بناء على مواد المعاهدة ولكن السلاح دائما كان مثل السراب .

برنامج تطور الجيش لكى يكون قادرا على الدفاع عن قناة السويس لم ينفذ لتوتر الموقف العالمى فى سنوات ما قبل الحرب حتى عام ١٩٣٩ بدعوى احتياج انجلترا لكل قطعة سلاح ... ثم عطلت الحرب نفسها أيه محادثات جدية لتسليح الجيش ، خاصة وأن بريطانيا لم تعتمد على الجيش المصرى كقوة محاربة فى صفوف الحلفاء كما اعتمدت على جيوش الهند

والسودان وليبيا وغانا وغيرها ، وذلك لادراكها ان فى صفوفه بذور حركة وطنية ٠٠٠ وبالتالى فانها لم تقدم له تسليحا جديدا ٠

ولم تتوفر فرصة مناسبة للحديث عن تسليح الجيش حتى فى مفاوضات صدقى ــ ليفن ١٩٤٦ التى فشلت ٠ واعقبتها حرب فلسطين ، ففرضت بريطانيا حظرا جديدا لم يرفع الا عام ١٩٥٠ ٠

وكان محمود فهمى النقراشي قد طلب خبراء عسكريين من أمريكا وأثناء وجوده هناك لعرض القضية على مجلس الأمن ، ولكن وكيل وزارة الخارجية الأمريكية أفاد بأنه (ليس لديهم خطة فى هذا الأمر حتى الآن) ٠

توصلت وزارة الوفد الى موافقة الحكومة البريطانية على وضع مصر فى قائمة المشترين للأسلحة الثقيلة مثل الطائرات النفاثة ودبابات سنتورين ٠٠٠ وأسرعت فوقعت عقدا مع الحكومة البريطانية لشراء ٨٠ دبابة سنتورين فدفعت ٨٠٪ من ثمنها عند توقيع العقد ٠٠٠ ولكن تعثر المفاوضات ثم توقفها دفع الحكومة البريطانية الى ابلاغ الحكومة المصرية بأن طلبات حلف الأطلنطى ودول الكومنولث سوف تؤخر اسبقيتها فى الحصول على الدبابات المتعاقد عليها ٠

ثم استجابت حكومة العمال بعد ذلك للضغوط الواقعة عليها ، فأجلت توريد السلاح الى أجل غير مسمى ٠

هذا الحظر على توريد السلاح لم يمنع حكومة الوفد ٠٠٠ البحث عن سبيل للحصول عليه وخلال فترة الكفاح المسلح ١٩٥١ كان فؤاد سراج الدين وزير الداخلية يشترى الأسلحة من الصعيد حسب روايته ــ ويخزنها فى بدروم منزله ثم يرسلها الى الفدائيين الذين كان يشرف عليهم ٠

ويقول فؤاد سراج الدين أنه اتصل بسفراء يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتى فى محاولة للحصول على أسلحة بدعوى انها للبوليس ، ولكنهم ــ على حد قوله ــ كانوا حريصين على عدم حدوث استفزاز للغرب ، خاصة وان تبادل التمثيل الدبلوماسى مع الاتحاد السوفييتى لم يتم الا فى وزارة الوفد الأولى عام ١٩٤٢ ٠

ولم يكن الوفد وحده هو الذى يحاول ذلك ٠٠٠ صحيفته الاشتراكية دعت صراحة بعد الغاء المعاهدة الى عقد مفاوضات سريعة مع دول أوروبا الشرقية لامداد مصر وجيشها بالسلاح بعد ان اخفقت فى شرائه من السويد والدول الخاضعة للنفوذ الأمريكى ٠

وكانت قد ظهرت فى مصر نبرة تدعو الى التعاون مع الاتحاد السوفييتى بعد موقفه الواضح الصريح فى تأييد قضيتنا بمجلس الأمن ٠

وقام عمال الميناء فى بور سعيد يوم ٨ يناير ١٩٥٢ بربط الأسطول السوفييتى وتموينه وتحمية بحارته رغم اضرابهم عن العمل ٠

وكان هناك اتجاه اجمعت عليه كل القوى الوطنية لعقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفييتى خلال فترة الكفاح المسلح فى القناة فى بداية عام ١٩٥٢ ، ولكن احترقت هذه الدعوة مع حريــق القاهرة ، ولم تعد تتردد هذه حتى قامت حركة الجيش ٠

ولم يبدأ العسكريون فى مصر من حيث وصل الشعب فى قمة كفاحه عام ١٩٥١ ، ولكنهم طالبوا البريطانيين ومن بعدهم الأمريكيين بتسليــح الجيش ، تماما كما حاول الوفد من قبل ٠

ولم يكن متصورا أن يكون هناك رفض كامل ومماطلة شديدة لهذا الطلب المشروع من عسكريين وصلوا الى السلطة وتفرض عليهم طبيعتهم وظروفهم أن يسلحوا جيشهم بما ينفى عنه صفة الضعف ، ويعيد اليه ثقته بعد هزيمة حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ٠

ولكن الثمن كان باهظا ٠٠٠ ضرورة الارتباط بحلف دفاعى ٠٠٠ وكان هذا أمرا مرفوضا تماما ٠

أبلغت حكومة المحافظين محمد نجيب بهذا الشرط التعسفى بصفته قائدا عاما للقوات المسلحة ، وكان الحظر على توريد الســلاح ما زال مستمرا فقد اشتعل الكفاح المسلح فى القناة ٠

ولجأ مجلس القيادة الى أمريكا يطلب منها السلاح ٠٠٠ وكانت المفاجأة ان مصر وأمريكا مرتبطتــان بعقــد تسلح سرى مع حــكومة على ماهر التى تولت الحكم بعد حريق القاهرة (فبراير عام ١٩٥٢) بمبلغ خمسة ملايين دولار ٠

وعنــدما اطلع العســكريون على قائمة الأســلحة وجــدوا انها من النوع الذى يصلح للبوليس أكثر مما يصلح للجيش ٠٠٠ فلم تكن فيها دبابات طائرات أو مدفعية ٠

وقد ناقش السفير الأمريكى كافرى رغبات أعضاء مجلس القيــادة فى أول عشاء اجتمعوا معه فيه بمنزل البكباشى عبد المنعم أمين المطل على النيل قريبا من كوبرى الجيزة ٠

وقد وصل الى القاهــرة بعد ذلك فى ٥ نوفمبر ١٩٥٢ مستر وليــام فوستر وكيل وزارة الدفاع الأمريكية ، الذى اجتمع مع جمال عبد الناصر

وعبد الحكيم عامر وعبد المنعم أمين صاحب الصلات الطيبة بالسفارتين الأمريكية والبريطانية .

وانتهت زيارة وكيل وزارة الدفاع الأمريكية الى الاتفاق على قائمة أسلحة مناسبة للجيش قيمتها مائة مليون دولار واقترح فورستر ايفاد بعثة الى أمريكا لتسهيل شحنها ومقابلة المسئولين هناك .

وسافر فعلا قائد الجناح على صبرى والقائمقام حسن الفكلاوى الى أمريكا حيث أمضيا هناك عدة أشهر يتنقلان بين مكاتب البنتاجون ومكتب السفير والملحق العسكرى المصرى دون الوصول الى نتيجة عملية ، رغم ما أحاط بهذه البعثة من تفاؤل شامل ، وما غذته عناصر الدعاية من أن الأمور تتحرك بصورة طبيعية .

وعاد الى مصر وزير الخارجية الأمريكية جون فوستر دالاس ليقدم تبريرا الى محمد نجيب وجمال عبد الناصر بأن الرئيس الأمريكى الجديد دوايت أيزنهاور قد استجاب لرجاء تشرشل الذى الح عليه فى فرض الحظر على تسليح مصر كما تفعل بريطانيا حتى لا توجه نيران الأسلحة الى الجنود البريطانيين فى قناة السويس ، وذلك بحكم زمالتهما القديمة ، وقيادة أيزنهاور العسكرية لجنود الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية .

وتوافقت اللهجة الأمريكية تماما مع اللهجة البريطانية ، واقترن توريد السلاح بشرط الانضمام الى الاحلاف العسكرية ... وتبدد التفاؤل الذى غمر العسكريين باحتمال وصول أسلحة جديدة للقوات المسلحة .

ومع ذلك لم يغرق العسكريون فى بحر اليأس ، واحتفظوا بصلات طيبة مع المسئولين الأمريكيين وسافرت الدفعة الثالثة عشرة من خريجى كلية أركان الحرب ٦٠ ضابطا التى دخلت بعد ٢٣ يوليو ، والتى كنت ضابطا من أفرادها الى الولايات المتحدة بدعوة من وزارة الحربية الأمريكية فى شهر سبتمبر ١٩٥٣ .

وكانت المفاجأة أننا بعد ان قطعنا مئات الأميال وجدنا برنامجا هزيلا يتضمن مشاهدة عرض موسيقى لفرقة من فرق الجيش فى ملعب كرة ، وثار ضباط الدفعة واحتجوا لدى الملحق العسكرى القائمقام عبد الحميد غالب والسفير أحمد حسين على مغزى هذا الاستقبال المهين ، وتغير البرنامج فعلا فى أيامه الأخيرة ليحوى زيارة بعض الوحدات ومشاهدة أنواع جديدة من الأسلحة ... ولكن الزيارة لم تحقق نتيجة أيضا .

ولم تمتنع الحكومة المصرية عن ايفاد بعض ضباطها الى الولايات المتحدة للحصول على فرق عسكرية يستخدمون فيها أسلحة وتكنيكات

لا تطبق في مصر ... كما أرسلت أيضا عدة بعثات تدريبية في أعمال البوليس والمخابرات مثل الصاغ حسين عرفة رئيس المباحث الجنائية العسكرى بالبوليس الحربى الذى حصل على فرقة فى معسكر كامب كوردون بولاية جورجيا ... وهذا مثل وحيد لعشرات من الفرق .

ظاهرة أرسل الضباط الى أمريكا توضح انه كان هناك أمل فى تحسن العلاقات ، ورفع الحظر عن توريد السلاح ... ولكن الأمر مضى على عكس ذلك تماما .

ولم يقف مجلس القيادة موقفا جامدا فى مواجهة الرفض والمماطلة الأمريكية ... خاصة وأنه كانت هناك بعض المظاهر المحدودة للاهتمام بدول الكتلة الشرقية .

حرص محمد نجيب وجمال عبد الناصر على زيارة المفوضية السوفيتية بالقاهرة فى عيد الثورة الاشتراكية الخامس والثلاثين يوم ٧ نوفمبر ١٩٥٢ رغم ان المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعى الذى عقد فى أكتوبر ١٩٥٢ لم يشر الى حركة الجيش المصرى بأى شىء انتظارا لاستكمال الدراسة عن اتجاهاتها وأهدافها .

وتقرر سفر أول بعثة للدول الاشتراكية برئاسة حسن رجب وكيل وزارة الحربية لشئون المصانع وعضوية أحمد فؤاد واليوزباشى صلاح هدايت وزير البحث العلمى الذى تخرج فى كلية العلوم بعد أن أصبح ضابطا وحسن ناجى رئيس مؤسسة الغزل والنسيج فيما بعد وبعض تجار القطاع الخاص .

وكانت هذه البعثة واحدة من عدة بعثات تقرر ارسالها الى الدول العربية ودول أوروبا الغربية .

ونشرت جريدة المصرى أخبار هذه البعثات يوم ١١ أغسطس ١٩٥٣ بمانشيت أحمر رئيسى يقول (الكتلة الشرقية يمكن أن تسد حاجات مصر من الأسلحة) .

وكان هذا المانشيت الرئيسى الى جانب أنه من نوع الضغط على الأمريكيين والبريطانيين فى محاولة الحصول على الأسلحة ، كان بداية تفكير جرىء فى هذا الاتجاه ... فقد طلب حسن رجب مشرفة رأى الحكومة التشيكوسلوفاكية فى توريد الأسلحة . فكان الرد بعد دراسة هو (نحن بلد نحب السلام ولا نعطى أحدا السلاح) .

وعندما أرسل ايزنهاور خطابا يعلن فيه استعداد أمريكا لتسليح مصر وذلك أثناء زيارة انطونى هيد وزير الحربية البريطانى للقاهرة اذا تم

الاتفاق مع بريطانيا التي كانت تصر على الارتباط بحلف دفاعي ـ كما كتب أنطوني ناتنج ـ تأكدت الحقيقة بأن الموقف قد أصبح يدور في حلقة مفرغة ٠

وخلال لقاء لمحمد نجيب مع السفير السوفييتي بنيامين سولود في ديسمبر ١٩٥٣ تطرق الحوار الى ممالأة مصر للغرب ، ثم تساءل محمد نجيب عن احتمالات تسليح الاتحاد السوفييتي لمصر ٠٠٠

وكان هذا هو أول حديث رسمي يدور بين مسئول مصرى ومسئول سوفييتي حول هذا الموضوع ٠

ولكن لم يكن الحديث الوحيد ٠٠٠ كان ضيق حلقة الحصار حول توريد السلاح يدفع المسئولين الى عمل تجسسات مختلفة ٠

السفير المصرى في موسكو عزيز المصرى استفسر من السوفييت أيضا عن احتمالات تسليحهم لمصر بمبادرته الخاصة خلال عام ١٩٥٤ ولكنه لم يقدم لهم طلبات أو يتابع الموضوع بطريقة رسمية كما روى لى الدكتور مراد غالب مستشار السفارة في ذلك الوقت ٠ وأحمد لطفي وأكد مدير مكتب جمال عبد الناصر اتصل أيضا بمستشار السفارة السوفييتية بالقاهرة في وقت متأخر بعد توقيع اتفاقية الجلاء لمناقشة موقفهم من سفر عبد الناصر الى باندونج وتطرق الحديث الى موضوع الأسلحة دون ربطه بوثائق رسمية أو خطابات متبادلة ٠

كان جمال عبد الناصر حريصا على طرق باب هذا الاحتمال ، فكلف حسين عرفة مدير المباحث الجنائية بالبوليس الحربي والذي كان مكلفا بالاتصال بالشيوعيين والتسرب الى صفوفهم وتسهيل بعض الأمور لهم اكتسابا لثقتهم ٠٠٠ وفي هذه الفترة تعرف ببعض التقدميين مثل محمد كامل البندارى وعبد الرحمن الشرقاوى والدكتور محمد انيس ، وحضر معهم مؤتمر الدفاع عن شعوب الشرق الأوسط ومؤتمر السلام في برلين عام ١٩٥٥ ٠٠٠ وطلب حسين عرفة من البندارى أن يتصل بالسفير السوفييتي باعتباره صديقا له منذ كان سفيرا في موسكو ليسأله عن امكانية تقديم السلاح لمصر ، وجاء الرد السوفييتي بأن تقديم السلاح لمصر والجنود البريطانيون يحتلون القناة سيكون معناه في النهاية تسليم السلاح للبريطانيين ٠

وقام حسين فهمي رئيس تحرير الجمهورية والصحفي المقرب من جمال عبد الناصر باتصال آخر بالسفير السوفييتي سولود في وقت متأخر

بعد ذلك ، وجاءت الموافقة على تقديم الأسلحة من ناحية المبدأ ولما أبلغ حسين فهمي الموافقة لعبد الناصر كان الصمت هو الجواب .

وأعطى صلاح سالم تصريحا للصحف في فبراير ١٩٥٤ قال فيه (ان مصر قد عرضت كل مشروعاتها على الدول المختلفة ومنها روسيا وانه توجد اتصالات في هذا الخصوص وهناك احتمال أكيد ان تقدم روسيا على اقامة بعض المشروعات لو حصل اتفاق نهائي على التفصيلات .. واحب ان أضيف ان مصلحة مصر سيكون لها دائما الكلمة الصلب) (١) .

وكان مجلس الانتاج القومي الذى شكل برئاسة حسين فهمي قد تلقى بناء على دراسته واتصالات البعثة التى زارت الدول الاشتراكية عروضا لاقامة مصانع في مصر .

وعندما عرض أحمد فؤاد وصلاح هداية اتفاقيات البعثة على جمال عبد الناصر في حضور جمال سالم ثار الأخير ثورة شديدة ، معترضا على هذا الاتجاه ... وقال جمال عبد الناصر في هدوء لأحمد فؤاد تبقى تحكى الكلام ده للى ييجوا يحكموا بعدنا) .... وذلك لأن الوقت كان في قمة التوتر لازمة أعضاء المجلس مع محمد نجيب في مارس ١٩٥٤ .

ولم تسفر هذه التصريحات أو الاتصالات عن شيء الا زيارة سولود الى محمد نجيب بمنزله في يناير ١٩٥٤ وأبلاغه ان الاتحاد السوفييتى قد وافق من ناحية المبدأ على بيع السلاح لمصر ... ويقول محمد نجيب انه أرسل كتابا بذلك الى عبد الحكيم عامر بصفته قائدا عاما للقوات المسلحة يطلب منه كشفا بالأسلحة المطلوبة ، وانتهت صلته بهذا الموضوع ... فقد كانت هذه الفترة من أشق الفترات في علاقة محمد نجيب ببقية أعضاء قيادة الثورة ، وهي التى انتهت الى أزمة مارس ١٩٥٤ ثم اعطاء نجيب صفة شكلية كرئيس للجمهورية حتى تم عزله في ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ .

اذا صحت هذه الرواية فهي لا تعنى أكثر من اندفاع نجيب في مطالبته للسلاح من السوفييت في وقت كان جمال عبد الناصر يعتقد فيه ان الوقت لم يكن ملائما بعد لاتخاذ هذه الخطوة الجريئة التى تعنى احتمال حدوث صدام مع انجلترا وأمريكا في وقت لم تكن فيه اتفاقية الجلاء قد وقعت بعد ... بين انطونى هيد وزير الحربية وجمال عبد الناصر .

وعقب توقيع اتفاقية الجلاء بالحروف الأولى في يوليو ١٩٥٤ رفعت بريطانيا الحظر عن توريد السلاح الى مصر في شهر أغسطس ١٩٥٤ ،

---

(١) جريدة المصرى ١٤ فبراير ١٩٥٤ .

وكان هذا يشير بأن مصر سوف تحصل على احتياجاتها من الأسلحة دون صدام مع الدول الاستعمارية ٠

أرسلت بعثة عسكرية الى أمريكا فى شهر سبتمبر ١٩٥٤ برئاسة اللواء محمد ابراهيم رئيس أركان حرب الجيش ، وعضوية الأميرالاى مصطفى يوسف مدير التدريب والقائمقام عبد المحسن كامل مرتجى مدير مكتب القائد العام للقوات المسلحة ، والبكباشى صبرى كمال أركان حرب المدرعات ٠٠٠ ولكنها لم تحقق مثل بعثة على صبرى السابقة اية نتائج ٠

كان موقف الرفض والمماطلة ما زال مستمرا ، خاصة وان موقف جمال عبد الناصر من معركة الحياد ومعاداة الاحلاف قد أصبح أكثر وضوحا وتأثيرا فى المنطقة ٠

..وحدث فى ذلك الوقت حادث كانت له ابعد الآثار فى سياسة مصر خلال هذه المرحلة وما بعدها ٠٠٠ وهو اعتداء اسرائيل على قطاع غزة والاغارة على معسكر للجيش المصرى وقتل ٣٨ جنديا مصريا يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ٠

تم هذا الحادث فى وقت لم تكن فيه العلاقات المصرية الاسرائيلية فى حالة من التوتر الشديد ، بل كانت هناك فرص للتفاهم لم تقبلها المؤسسه العسكرية فى اسرائيل كما سيأتى توضيحه فى فصول قادمة ٠

ووجد جمال عبد الناصر ان موقف الجيش المصرى يحتاج الى علاج سريع ، فالأسلحة قديمة متخلفة ورغم رفع انجلترا للحظر المفروض على مصر فانها لم تورد سوى ٣٢ دبابة سنتورين من الدبابات الثمانين التى تم التعاقد عليها ودفع ثمنها فى عهد حكومة الوفد ٠٠٠ وتبين ان رفض أمريكا لتوريد السلاح لم يكن من أجل اجبار مصر على دخول الأحلاف فقط ، وانما كان من أجل اسرائيل أيضا ٠٠٠ فهى رغم انها لم تكن تصدر لها السلاح حتى ذلك الوقت ، فانها لم تكن توافق على ترجيح كفة الدول العربية على اسرائيل ٠

وحاولت مصر كسر هذه القيود ٠٠٠ فارسلت بعثات الى الدول الأوروبية لشراء السلاح ٠٠ واتضح ان فرنسا تشترط عدم مساعدة ثوار الجزائر وانها تورد السلاح لاسرائيل ، وانها تعاقدت معها على توريد طائرات المستير النفاثة على ان يتم التسليم فى منتصف عام ١٩٥٦ ٠٠٠ وتعاقدت اسرائيل أيضا مع كندا للحصول على الطائرات الأمريكية ساير ٠

اما البعثات العسكرية المصرية التى ذهبت الى سويسرا والسويد

وايطاليا وأسبانيا فانها لم تستطع الحصول على أسلحة ثقيلة متطورة لأن انتاج هذه البلاد محدود ٠

وعرضت على جمال عبد الناصر في هذا الوقت وثيقة سرية للغاية حصل عليها أحد ضباط المخابرات المصرية كانت قد طبعت من ١٢ نسخة فقط وهي تنص على النقاط الآتية بعد مقدمة عن تطور العلاقة بين انجلترا واسرائيل ٠

١ ـ اتفاقية الجلاء لن تحول دون عودة القوات البريطانية لاحتلال قاعدة القناة مرة ثانية ٠

٢ ـ ان بريطانيا لن تمد مصر بالسلاح الا اذا ارتبطت معها بحلف عسكرى ٠

٣ ـ وجود تعاون وثيق وتأييد كامل لسياسة اسرائيل وهجومها على قطاع غزة وتطلب الوثيقة من القيادة البريطانيـة فى الشرق الأوسط تجنيد بعض المصريين للتعاون معها فى حالة العودة ٠

وسافر جمال عبد الناصر وصلاح سالم الى باندونج وهما يحمـلان هموم الغارة الاسرائيلية على غزة ، والحصار المضروب على مصر لمنع حصولها على السلاح ٠٠٠ الى جـانب الاصرار على مقاومـة التسرب الغربي داخـل الوطن العربى عن طريق جذب بعض دوله الى الاحلاف العسكرى ٠

وكان مؤتمر باندونج نقطة تحول رئيسية فى مسار السياسة المصرية ٠٠٠ صقلت شخصية عبد الناصر ، واكتسب في المؤتمر شعبية احاطـة اسمه بهالة من التقدير كقائد وطنى ، وزادت معتقداته فى أهميـة الحياد ورفض الاحلاف صلابة ٠

ليس هذا فقط بل اتاحت له الظروف أيضا فرصة فريـدة لنقـل موضوع الحصول على السلاح الى مرحلـة أكثر ايجابيـة انتهت الى كسر الاحتكار الذى فرضته الامبريالية العالمية ٠

قال لى صلاح سالم ان الفيللا التى أقام بها كانت قريبـة من سكن شوان لاى رئيس وزراء الصين الذى شاركه عبد الناصر فى دائرة الضوء والاهتمام داخل المؤتمر وخارجه على نطاق عالمى ٠٠ وفى احدى الزيارات المتبادلة ، صارحه سالم بحاجة مصر الى السلاح لمقاومة تهديدات اسرائيل وبناء جيش وطنى قادر على تثبيت مبادىء الحياد الايجابى وسأله عما اذا كان يمكن للصين ان تقدم له حاجته من السلاح :

واعتذر شوان لاى قائلا ان الصين تستورد سلاحها من الاتحـاد السوفييتى وأنه اذا وافق صلاح فسيبذل جهده للاتصال بالسوفييت ومعرفة رأيهم فى موضوع توريد السلاح لمصر ... ووافق صلاح فورا .

وقابل جمال عبد الناصر السير رالف ستيفنسون السفير البريطانى وأطلعه على الوثيقة بعد ان طمس نمرتها ، ونفى له السفير علمه بها ... ولكن الجنرال (هل) قائد القوات طلب من اللواء عامة نقل ضابط مخابرات منطقة القنال الى القاهرة حتى لا يؤثر ذلك على تنفيذ الاتفاقية ولكن طلبه رفض فى لحظتها باعتباره تدخلا فى شئون مصر الداخلية .

بدأ الشك يساور عبد الناصر فى تواطؤ انجلترا واسرائيل نبعا على ضياع أثر اتفاقية الجلاء وثبوت التعاون بينهما وخاصة بعد تصريح تشرشل الذى قال فيه انه يود أن يرى اسرائيل أقوى دولة فى المنطقة .

وكانت غارة غزة قد أثبتت أن هناك نقصا فى ذخيرة الجيش المصرى .

وأصدرت ادارة المخابرات توجيهاتها الى ضباطها فى منطقة القنـاة بمحاولة الاستيلاء على ذخائر كانت تنقص مدفعيتنا المضـادة للطائرات والمضادة للدبابات من مخازن القاعدة وذلك بعد محاولة شرائها من الجيش البريطانى ورفض قادته الموافقة على ذلك .

وقد امكن فعلا سرقة عدد من القطارات والدبابات المحملة بالذخيرة من (أبو سلطان) سلمت لمدير مكتب السفير للتسليح .

والشىء المقطوع به ان صلاح سالم لابد وانه أبلغ جمال عبد الناصر بحديثه مع شوان لاى ... وانتهى المؤتمر والطلب معلق بلا جواب .

وبعد العودة لمصر وفى شهر مايو ١٩٥٥ اتصل دانيال سولود السفير السوفييتى بصلاح سالم وأبلغه موافقـة الاتحاد السوفييتى على توريد ما تشاء مصر من أسلحة ، وأبدى له استعداد السوفييت أيضا للمساهمة فى المشروعات الصناعية التى يحتاجها تطوير المجتمع .

أبلغ صلاح سالم جمال عبد الناصر بحديث السفير السوفييتى ، ويقول ان صلته بعد ذلك انتهت بهذا الموضـوع ، فقد حمـل مسئولية الاتصال بعد ذلك على صبرى مدير مكتب جمال عبد الناصر .

ومع وجود هذا العرض المفتوح من جانب السوفييت والذى تم الاتفاق عليه مع جمال عبد الناصر فان التعاقد لم يوقع عليه أو ينفذ ... فقد كان جمال عبد الناصر شديد الحذر فى اتخاذ هذه الخطوة التى تعنى صداما مباشرا مع الأمريكيين والبريطانيين الذين ما زالت بعض قواتهم فى منطقة القناة لم ترحل بعد .

واستخدم جمال عبد الناصر اتفاقه مع السوفييت كقوة ضغط على الغرب في محاولة أخيرة لاجبارهم على توريد السلاح ... اتصل جمال عبد الناصر بسفيرى أمريكا وبريطانيا وأبلغهما أنباء الصفقة وحذرهما من اضطراره لقبولها ، اذا لم تصله أسلحة من الدولتين .

وأقبل شهر يونيو دون أن يتلقى جمال عبد الناصر ردا عليه من السفيرين ... في الوقت الذى كان يستعجل فيه السفير السوفييتى موقف مصر لابلاغ موسكو ...

ولم يجد جمال عبد الناصر بدا من عرض الأمر على مجلس قيادة الثورة خشية تراجع السوفييت عن موقفهم بعد مضى عدة أسابيع دون تعاقد ... واقترح السفير السوفييتى سولود في شهر يونيو دعوة شبيلوف رئيس تحرير البرافدا والنجم الصاعد في سماء السياسة السوفييتية لحضور احتفالات عيد الثورة الثالث في القاهرة .

وجهت الدعوة الى شبيلوف الذى حضر الى القاهرة ، حاملا معه تفويضا انتهى الى مشروع اتفاق يقدم به الاتحاد السوفييتى أسلحة لمصر قيمتها ٨٠ مليون جنيه وتشمل طائرات نفاثة من طراز ميج المقاتلة ، وقاذفة القنابل اليوشن ، ودبابات ستالين الشهيرة على أن يتم الدفع بالقطن المصرى خلال ١٢ عاما واتفاقيات الدفع بالقطن كانت ترفضها أمريكا لتوفر القطن عندها .

وتم الاتفاق على أن يكون التعاقد بين الحكومة المصرية والحكومة التشيكوسلوفاكية ، وقد رأى جمال عبد الناصر أن ذلك قد يقلل من حجم المشكلة أمام الغرب ، خاصة وأن تشيكوسلوفاكيا كان قد سبق لها امداد اسرائيل بالأسلحة أثناء حرب فلسطين ثم توقفت بعد عدة شهور ، عودة لسياسة ستالين التى كانت تقضى بعدم تقديم أى مساعدة عسكرية أو اقتصادية لأى دولة غير شيوعية .

كان مشروع الاتفاق تغييرا حقيقيا فى سياسة الاتحاد السوفيتى بالمنطقة ، لما لمسه فى الثورة المصرية من معاداة للاستعمار والأحلاف العسكرية وارتباط بالقوى التحررية فى باندونج .

وكان الاتحاد السوفييتى قد قطع علاقاته الدبلوماسية مع اسرائيل فى فبراير ١٩٥٣ عقب القاء قنبلة على مفوضيته فى تل أبيب .

وكانت مصر أول دولة غير شيوعية تتلقى أسلحة من الاتحاد السوفييتى ، على أساس السياسة الجديدة التى تقضى بمساعدة قوى التحرر الوطنى دون شروط أو التزامات ، ودون تحديد لنوع السلاح أو كميته .

وهكذا أسقط مشروع الاتفـاق المصري السوفييتي كل القيود التي كان يفرضها الغرب على توريد السلاح •

ومع ذلك ظـل الاتفـــاق سرا غير معلن وغير موقع ••• فقد كان جمال عبد الناصر يريد له أن يأخذ مداه كقوة ضغط على الغرب يعفيه من تصادم محتمل معه •

(ظل جمـــال عبد الناصر مترددا بأمل تغير يحدث في الســـاعة الحادية عشرة في موقف الغرب) كما يقول ناتينج •

كان جمال عبد الناصر يعتمد على رأى السفير الأمريكي هنرى بايرود الذى ساند طلبه في الحصول على معدات عسـكرية معتقدا أنه ليس ثمة خطر من استخدام ناصر لهذه الأسلحة ضد المصالح الأمريكية ويتطلع الى افراج الحكومة البريطانية عن توريد ٣٢ دبابة ســنتورين ومن مدرعتين خلال الشهور التالية رفع الحظر فى أغسطس ١٩٥٣ •

واستدعى جمال عبد الناصر الملحق الجوى فى سفارة مصر بواشنطن قائد الجناح وأبلغه أن هناك مشروع اتفـاق نهائى لم يوقع بعد بصفقة أسلحة مع السوفييت وان عليه ابلاغ المسئولين فى واشنطن باضطرار مصر للحصول عليها اذا ظلت أمريكا فى موقف الرفض •

ولكن كل هذه المحاولات انتهت الى لا شيء •

ولخص الاميرال برا وفورد هذه الحقيقة أمام احدى لجان الكونجرس بقوله (ان المصريين يريدون شراء أنواع من السلاح لا نريد لهم أن يحصلوا عليهـــا) •

ولم يكن هناك بد من توقيع الصفقة والاعلان عنها •

أول من سرب أخبـــارها كان صلاح سالم فى لقائه مع الشيوعيين الأربعة الذين استدعاهم الى مكتبه يوم أول سبتمبر ١٩٥٥ للاتصــــال بالحزب الشيوعى السودانى وهم يوسف ادريس ولفتحى خليل وابراهيم عبد الحليم وزهدى •

وأخبار الصفقة وموضوعها لم يعرض على مجلس الوزراء مطلقا حتى أعلنها جمال عبد الناصر كما روى لى فتحى رضوان •

وصرح جمال سالم فى كلكتا أثناء زيارة قام بها الى الشرق الأقصى والتى اســتقال خلالهــا شقيقه صلاح سالم من مناصبه بقوله (أن مصر ستشترى أسلحة من روسيا اذا تخلت الدول الأوروبية عن تعاقداتها) • كما نشرت الأهرام يوم ٦ سبتمبر ١٩٥٥ •

وسافر أول وفد صحفي الى الاتحاد السوفيتي برئاسة حسين فهمى رئيس تحرير الجمهورية وعضوية على أمين وأحمد بهاء الدين وانجى رشدى خلال شهر سبتمبر وهو أول وفد صحفي يزور موسكو فى تاريخ العلاقات بين البلدين .

والذى يتابع أخبار الصحف فى هذه الفترة التى امتدت من يوم الغارة على غزة فى ٢٨ فبراير حتى شهر سبتمبر يجد أن مانشيتات الصحف لم تتوقف خلال هذه المدة عن الاعلان عن اعتداءات اسرائيلية واشتباكات مع الفدائيين وقوات الجيش المصرى ، الأمر الذى كان يستهدف الضغط على مصر ، والذى كان يدفعها فى نفس الوقت دفعا الى محاولة الحصول على السلاح دفاعا عن أرضها واستقلالها وحيادها أيضا .

ونشرت جريدة الأهرام فجأة يوم ٢٦ سبتمبر (مانشيت رئيسى) يعلن (أمريكا تعرض بيع أسلحة على مصر) وتقول (العرض الروسى بتقديم الأسلحة لمصر يزعج وزارات الخارجية والدفاع فى أمريكا ــ منع الروس من دخول الشرق الأوسط أهم عند الأمريكان من ارضاء اسرائيل) .

ونشرت أيضا (ان قوات اسرائيل المسلحة مزودة بأسلحة أفضل من كل قوات البلاد العربية مجتمعة وذلك لأنها كانت قد ابتاعت فى الماضى مقادير كبيرة من الأسلحة من بريطانيا) .

وظهرت الأهرام أيضا فى اليوم التالى ٢٧ سبتمبر بمانشيت رئيسى يقول (أمريكا تباحث مصر لتزويدها بالسلاح) وتقول فيه (العرض الأمريكى جاء بعد رفض قبول أسلحة مجانا مقابل انضمامها لميثاق الأمة المتبادل) .

وفى اليوم التالى ٢٨ سبتمبر كان العنوان الرئيسى للأهرام (جمال عبد الناصر يشرح قصة تسليح الجيش المصرى) .

وكان جمال عبد الناصر قد اختار ان يعلن النبأ الحاسم من داخل الجيش ، واختار فرصة افتتاح معرض للصور الفوتوغرافية أقامته الشئون العامة للقوات المسلحة يوم ٢٧ سبتمبر ليعلن على العالم صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية .

روى جمال عبد الناصر قصة الأسلحة منذ بدايتها وقال (ان هذه الاتفاقية التجارية التى وقعناها بلا قيد ولا شرط لا تعتبر فتحا للنفوذ الروسى ولا للنفوذ الأجنبى ولكنها تعتبر قضاء على النفوذ الطويل الذى تحكم فينا وسيطر علينا ... أن مصر ، مصر المستقلة مصر الثائرة القوية لن تمكن النفوذ أجنبى فى بلادنا) .

وأعلن جمال عبد الناصر أن الاتفاق قد وقع نهائيا منذ أسبوع واحد فقط ... وهذا يعنى انه وقعه بعد ان استنفد كل وسائله مع أمريكا وبريطانيا للحصول على السلاح .

وفى اليوم التالى لاعلان الخبر أرسلت بريطانيا وأمريكا تحذيرا الى الاتحاد السوفييتى .

ووصف دالاس الصفقة بأنها (أخطر اجراء منذ قيام حرب فيتنام) .

وكان دالاس قد حاول منع الصفقة فى الدقيقة التاسعة والخمسين وأرسل الى القاهرة كيرميت روزفلت عميل المخابرات المركزية الأمريكية ... (وتتناقض أقوال محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) مع أقوال مايلز كوبلن فى لعبة الأمم ... الأول يقول ان عبد الناصر قرر ان يقطع الطريق على كيرميت روزفلت باعلان الخبر قبل مقابلته ... والثانى يقول ان كيرميت روزفلت قابله قبل اعلان الصفقة فعلا ووجد من الحكمة الا يعترض عليها بعد ان انتهت وانما حاول اقناع عبد الناصر بأن يعضها أسلحة دفاعية وانه على استعداد لأن يقبل مشاركة الاسرائيليين للقيام بجهد مشترك بغية الوصول الى سلم دائم ؟

ولكن عبد الناصر لم يعلن شيئا من هذا اما لانه لم يقابل كيرميت روزفلت قبل الاعلان ... واما لحدوث خلاف بينه وبين السفير الأمريكى بايرود وفى احدى الجلسات الخاصة ، جعله يرفض الاستجابة لأى طلب أمريكى .

أعلن جمال عبد الناصر فى ٢ أكتوبر أثناء الاحتفال بتخريج دفعة جديدة للكلية الحربية (لقد كانت حادثة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ والاعتداء اليهودى المدبر على غزة الذى وصفه مجلس الأمن بأنه اعتداء وحشى على جنود آمنين ... كأن هذا الاعتداء نقطة تحول) .

ولم يقبل دالاس فى سهولة أن تتخطى مصر نقطة التحول فى طريقها الجديد ... وبعد أن عجز مندوبه كيرميت روزفلت عن اقناع عبد الناصر بالعدول عن الصفقة ، قرر أن يرسل له انذارا مكتوبا فى رسالة مغلقة مع وكيل وزارة الخارجية الأمريكية جورج ألين ، وقيدت وكالات الأنباء الأمريكية هذا الخبر .

وغلت الدماء فى رأس عبد الناصر عندما سمع بنبأ الانذار واتخذ عدة خطوات ايجابية حاسمة .

استدعى كيرميت روزفلت وأبلغه أنه اذا جرؤ الين على تقديم الانذار فانه سيأمر بطرده من مكتبه وسيعلن قطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا .

اتصل جمال عبد الناصر فى نفس الوقت بأوسع دائرة من الضباط الأحرار وأبلغهم أنه سيقاوم الانذار الأمريكى ، حتى ولو اضطر الى الكفاح السرى المسلح ، وقد استخدم تعبير Under ground وهو يبلغ ذلك لى مع أحمد فؤاد ولطفى واكد ... لنتصل بالشيوعيين استعدادا للمقاومة الشعبية .

طلب من قيادة الجيش توضيح أبعاد صفقة الأسلحة وما تحققه لمصر من كسر الخضوع لاحتكار السلاح وتأكيد الاستقلال الوطنى ، والقدرة على الدفاع عن النفس ضد اسرائيل وحماية الحياد الايجابى ... وقد ألقيت محاضرات وكلمات وعقدت ندوات فى كافة وحدات الجيش حول هذا المضمون .

كلف ضباط المخابرات المنبثين فى منطقة القنال بمراقبة تحركات القوات البريطانية التى لم تكن قد انسحبت كلها من القاعدة بعد ... واعطى انذارا لقوات لجيش بأن تكون على استعداد وفى حالة طوارئ .

وقد تصرف بايرود وكيرميت روزفلت بمبادرتهما الخاصة واتصلا بجورج الين وهو فى الجو ليطلبا منه عدم الادلاء بتصريحات للصحفيين عند هبوطه من الطائرة ، وأقنعاه بعد مقابلته بعدم تقديم الانذار المكتوب ، تفاديا لانفجار يحدثه الموقف الشديد التوتر كما ذكر هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) .

واستقبل عبد الناصر جورج الين الذى لم يقدم الانذار واكتفى بأن قال له ان دالاس فى ضيق ، وكان رد عبد الناصر (وليكن ... ولكن شعبى مهدد) .

وحاول الين للمرة الأخيرة أن يثنيه عن تنفيذ الصفقة بقوله انه فى حالة الغائها فان الولايات المتحدة تتطلع الى امداده بالسلاح .

وأجابه عبد الناصر قائلا :

ـ لقد فات الاوان .

نعم كان الاوان قد فات ... وعلق موشى شاريت على الصفقة قائلا (انها خطر لا مثيل له ومن المحتم ان تؤثر تأثيرا بالغا على أمن اسرائيل ... كما انها غيرت ميزان القوى تغييرا حاسما وضع حدا لتفوق اسرائيل النوعى على مصر ... انها خطر داهم لم تشهده اسرائيل منذ حرب الاستقلال) .

واستقبل الشعب المصرى أنباء الصفقة استقبالا حماسيا وازداد اسم جمال عبد الناصر لمعانا ، وارتفع نجمه فى سماء الأمة العربية بل وفى العالم الثالث رمزا لقدرة النضال على مواجهة الاستعمار .

وكان اتمام صفقة السلاح بعد ١٦٠ يوما فقط من افتتاح مؤتمر باندونج تأكيدا لاستمرار سنوات الصعود ، وبعثا للثقة فى نفوس الجماهير التى شعرت للمرة الأولى انها تملك ارادتها وانها قادرة على تحقيق ما يشبه المعجزات .

يقول جان لاكوتير فى كتابه عبد الناصر (نسقت الدعاية الرسمية والحركة اليسارية جهودهما للمرة الأولى واثارتا لدى الجماهير ردات فعل حماسية عارمة) .

والحقيقة القاطعة ان اليسار المصرى قد رحب بهذه الخطوة ترحيبا شديدا ، واعتبرها نقطة تحول فى مسار السياسة المصرية ، تدفع قرارات باندونج لتطبيق عملى ... ولكن معظم قيادات الحركة الشيوعية كانوا فى السجن ومن هنا أرسلوا برقيات تأييد لجمال عبد الناصر .

وكما لم يشترط الاتحاد السوفييتى أية شروط تتعلق بصفقة الأسلحة من حيث الكمية أو النوع أو طريقة الدفع ... فانهم لم يشترطوا أيضا ضرورة الافراج عن الشيوعيين المصريين واعتبروا هذا أمرا داخليا لا يجوز التدخل فيه ... وان مراحل النضال وحدها هى الكفيلة بابراز الدور الوطنى للشيوعيين .

تحطم الاحتكار الغربى للسلاح فى سهولة ويسر ، ولم تحدث ردود فعل عنيفة أكثر من محاولة تقديم الدار دالاس ... وفتحت مصر الباب لمزيد من صفقات الأسلحة بين دول منطقة التحرر الوطنى والاتحاد السوفييتى .

وحضر الى مصر عقب اعلان الصفقة وزير خارجية سوريا صلاح البيطار على رأس وفد سورى للتعرف على أبعاد الصفقة .

وبعد أيام انتهت المباحثات بين مصر وسوريا الى عقد ميثاق عسكرى فى أكتوبر ١٩٥٥ اعتبر فيه ان أى اعتداء على دولة من الدولتين يعتبر اعتداء على الاخرى وقررت مصر تسجيل هذا اليوم ٢٠ أكتوبر باعتباره (يوم الجيش) تحتفل به كل عام . (ولم تمض عدة شهور حتى تعاقدت سوريا مع الاتحاد السوفييتى على شراء السلاح وتبعتها افغانستان ولم يمض وقت طويل حتى كانت اليمن هى الدولة الرابعة ، ومن بعدها توالت تعاقدات الدول ، وكأنها مسبحة انفرط عقدها من يد الامبريالية العالمية التى كانت تقبض عليها .

كانت نتيجة هذه الصفقات المتتالية نهاية مرحلة كانت الامبريالية العالمية تسيطر فيها على كافة دول العالم غير الشيوعية وتراقب مراكزها

وتحدد قوتها وتسلب منها ارادتها الى جانب ما تستولى عليه من المواد الخام ومن جهد الانسان ٠

ومن الأمور الرئيسية التى ساعدت على تحقيق هذه الصفقة واحداث تغيير جذرى فى موازين القوى العالميـــة حرص العسكريون فى مصر على تزويد الجيش بأحدث الأسلحة الممكنة ٠

طبيعة العسكريين لعبت دورا كبيرا فى شق هذا الطريق الذى كان يبدو وعرا يصعب السير فيه ٠٠٠ ولكنهم أقدموا على خوضه بكل ما يملكون فى أنفسهم من اندفاع تلهبه حماسة الشباب ، وكل ما فى صدورهم من اصرار على خلق جيش يحمى مصر من العدوان ٠

والأسلحة التى حصلت عليها مصر كانت حديثة تماما ٠٠٠ أدخلتها عصر النفاثات فى عالم الطيران ، ووفرت لها الدبابات الثقيلة وشـــبكة اتصالات اليكترونية ، ومحطات رادار حديثة ، وقوارب طوربيد ٠٠٠ وكاسحات ألغام ٠٠٠ وكانت هذه أسلحة يسيل لها لعاب العسكريين ٠

ووصول مثل هذه الأسلحة الحديثة الى بلد غير شيوعى من الاتحاد السوفييتى ما كان ليتم لولا وفاة ستالين وحدوث تغيير فى سياسة الحزب الشيوعى السوفييتى ظهرت واضحة فى قرارات المؤتمـر العشرين الذى عقد فى فبراير ١٩٥٦ وقرار الانفتاح على شعوب آسيا وأفريقيـــا ودعـم حركات التحرر الوطنى ٠

ولم يجد الاتحاد السوفييتى فى ذلك تعارضا مع سياسة التعايش السلمى التى تبناها لأن مساندة دول التحرر الوطنى بالســـلاح يخدم استقلالها الوطنى وحيادها ومعاداتها الأحلاف ، وهى الأمور التى تحاصر جموح الامبريالية العالمية ، وتجبرها على قبول مبدأ التعايش السلمى ٠

وقد فرض هذا الاسلوب السوفييتى فى التعاون مع الدول غير الشيوعية اسلوبا جديدا فى تعامل أمريكا مع الدول غير المرتبطـة معها بأحلاف دفاعية ٠٠٠ وهو الأمر الذى انتهى الى اقرار مشروع ايزنهاور فى ٥ يناير ١٩٥٧ ، مما سيأتى تفصيله فيما بعد ، وامداد الاردن ولبنـان وتونس وغيرها بالأسلحة رغم عدم ارتباطها بأحلاف دفاعية ٠

وهكذا أدت صفقة الأسلحة الى انقسام الموقف فى الشرق الأوسط الى دول وطنية متحررة تشترى السلاح من الاتحـاد السوفيتى بلا قيود أو شروط ، ودول أخرى تابعة للامبريالية ومرتبطة معهـا اما بأحلاف عسكرية أو بقبول ما ورد فى مشروع ايزنهاور ٠

هذا الموقف الجديد لمصر أتاح لها للمرة الأولى منذ ثلاثينيات القرن

الثامن عشر في عهد محمد على أن تحصل على السلاح الذى تريده لتحقيق آمال قادتها العسكريين ومصر لم يحكمها عسكريون مهنة وأصلا منذ عهد محمد على وابراهيم الا محمد نجيب وجمال عبد الناصر .

استقبلت الأسلحة السوفيتية استقبالا جيدا من جانب ضباط القوات المسلحة المصرية ، لأنهم وجدوا فيها بديلا عظيما عن الأسلحة البسيطة التى كان يشتريها الجيش من السويد أو سويسرا فقط .

وسافر الى تشيكوسلوفاكيا ثم الاتحاد السوفييتى ضباط مصريون للتدريب لأول مرة فى التاريخ وكانوا يسافرون بأسماء مستعارة تحاشيا للأمريكيين .

ووصل الخبراء السوفيات العسكريون فى عام ١٩٥٨ بدأوا باعداد محدودة على مستوى القيادات العليا فقط ، واشتركوا فى اعادة تنظيم الجيش على أساس توحيد مدارسه .

كان الجيش حتى ذلك الوقت خليطا من أفكار واتجاهات ومدارس مختلفة ... الاسلوب والتنظيم التقليدى البريطانى الذى نظم الجيش على أساسه منذ الاحتلال عام ١٨٨٢ ، والدراسات الأمريكية المستحدثة من ذهاب عدد متزايد من الضباط الى دورات تدريبية فى أمريكا ، وصلت الى مستوى قادة السرايا ، واستيراد عدد من الخبراء العسكريين الألمان وعلى رأسهم الجنرال فون باخر الذين خدموا فى عهد النازى وتأثيرهم المتزايد فى الأبحاث والصواريخ والمخابرات ... وأخيرا وصول الأسلحة السوفيتية الحديثة .

وتنظيمات الجيش على مختلف المستويات من الجماعة الى الفرقة تعتمد على التسليح ، بل ترتبط به ... ولذا كان ضروريا ان يعاد تنظيم الجيش على أساس العقيدة السوفيتية ، وان تتوحد مدارسه ... وقد تم ذلك على مراحل متدرجة .

وأرسلت الى الاتحاد السوفييتى أيضا فرق لدراسة نظم المخابرات السوفيتية حتى يكون هناك تناسق كامل بين أسلوب المعاملات واسلوب القتال ، وكان من أوائل الذين حصلوا على هذه الفرقة هناك شعراوى جمعة أمين عام التنظيم بالاتحاد الاشتراكى ووزير الداخلية فيما بعد ؛ عندما كان يعمل وكيلا لادارة المخابرات العامة .

ويعتبر العسكريون أن أفضل فترات الجيش بعد الثورة كانت هى فترة استقراره على أسس العقيدة والتنظيمات السوفيتية ، وذلك بعد الانهيار الذى حدث فى (الضبط والربط) العسكرى بعد ٢٣ يوليو ،

وارتباط كثير من الضباط بشلل تحيط بأعضاء مجلس القيادة أو ارتباطهم بأعمال خارجية ، وظهور اصطلاح (مندوب القيادة) الذى أحدث خلخلة فى تماسك الجيش .

كان وصول الخبراء السوفييت للقوات المسلحة المصرية بعد خبرتهم العالية فى الحرب العالمية الثانية بداية مرحلة اهتمام جدى بالتدريب لم يعرفها الجيش المصرى من قبل ... وبداية وصول القوات الجوية والقوات البحرية إلى مستوى عال لم يتوفر لها من قبل مما حقق بعثا جديدا للجيش المصرى بعد الضغوط التى تعرض لها عقب معاهدة لندن فى عهد محمد على .

ولم تقف اسرائيل جامدة أمام هذا التغير الجذرى الذى حدث فى صفوف الجيش ، فانهى مرحلة كان نقص السلاح وقلة الخبرة وضعف القيادة هى عناصر الجيش الرئيسية .. وكانت فرنسا هى ربيبة اسرائيل فى ذلك الوقت لأنها منذ خرجت من الشرق الأوسط بعد انتهاء الانتداب على سوريا ولبنان عقب الحرب العالمية الثانية ، ومنذ واجهت طلائع الثورة الجزائرية وهى تأخذ موقفا معاديا للعرب ... فكانت أرض فرنسا هى مكان تدريب الهاجاناه الاسرائيلية فى منتصف الأربعينيات ...

وعندما تردد ايزنهاور فى اعطاء اسرائيل طائرات نفاثة ودبابات لحفظ رجحان كفتها على مصر ، بادرت فرنسا بامدادها بما تريد ، الأمر الذى دفع جمال عبد الناصر الى عقد صفقة ثانية للسلاح مع الاتحاد السوفييتى رفع مجموعها الى ٢٠٠ مليون دولار وحصل بها على طائرات ميج ١٧ .

وحاولت حكومة الولايات المتحدة احتواء الموقف ، وأرسل دالاس روبرت اندرسون مندوبا له فى نهاية ١٩٥٥ لا يحمل انذارا مثل جورج الين ، وانما يحمل مشروعا لحل المشكلة الفلسطينية وانهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ... ولكن جمال عبد الناصر ـ كما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه عبد الناصر والعالم ـ درج على تسمية هذا المشروع باسم يتصل بنداء الطبيعة لاهتمامه بالفرعيات والشكليات دون تقديم حل سليم ودائم للمشكلة .

وتمت محاولة أخرى لفرض حظر على تصدير الأسلحة الى الشرق الأوسط بدأتها المعارضة العمالية فى انجلترا باقتراح عقد مؤتمر رباعى يضم ممثلين للاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا وذلك احراجا لحكومة المحافظين .

ولكن فرنسا لم يجذبها الإقتراح ، وكانت قد رفضت الاشتراك في حلف بغداد من قبل ، ولم يزعجها وصول الأسلحة السوفيتية الى مصر ... لأنها كانت المصدر الرئيسي لامداد اسرائيل بالسلاح . كما انها كانت مهتمة بموقفها في الجزائر .

وانتهز أنطوني ايدن فرصة زيارة خروشوف وبولجانين الى لندن في ابريل ١٩٥٦ واقترح عليهما فرض حظر على تصدير السلاح الى الشرق الأوسط ، ورد عليه خروشوف بأن الاتحاد السوفييتي لا يمانع اذا كان ذلك ضمن خطة شاملة تتم تحت اشراف هيئة الأمم المتحدة .

ولكن التزامات بريطانيا ازاء دول حلف بغداد (تركيا والعراق) أنهت هذا الاقتراح وركنته على الرف كما يقولون .

وعندما بلغ عبد الناصر خبر هذا الاقتراح من السوفييت بادر باتخاذ قرار الاعتراف بحكومة الصين الشعبية في ١٦ مايو ١٩٥٦ بعد أيام من مغادرة خروشوف وبولجانين لندن ، وذلك تفاديا لحظر محتمل على الأسلحة ، تستطيع فيه اسرائيل بتسربها الى أماكن النفوذ والسلطة في بعض الدول ان تحصل على ما تشاء بينما تظل الدول العربية محرومة من السلاح .

وكان الاعتراف بالصين الشعبية مبادرة جريئة من مصر فلم تكن هناك دولة في الوطن العربي أخذت هذا الموقف في وقت كانت حكومة الولايات المتحدة فيه كالنمر الهائج ضد كل ما هو صيني ... حتى ان جوازات سفر الأمريكيين كان يصرح لهم فيها بالسفر الى كل دول العالم عدا الصين وكوريا الشمالية .

وخلال هذه الفترة كانت علاقات الصين مع الاتحاد السوفييتي وثيقة ولم تكن قد ظهرت فيها أية خلافات أو تناقضات ، وكان ماوتسي تونج قد حضر المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي في فبراير ١٩٥٦ وخطب فيه منددا بستالين ومشيدا بدور الاتحاد السوفييتي في مساعدة حركات التحرير .

أمن جمال عبد الناصر بهذه الخطوة حق مصر في استيراد السلاح ، حتى لو فرض حظر على المنطقة تحت رعاية هيئة الأمم المتحدة .

وبعد أيام قليلة في شهر يونيو ١٩٥٦ حضر الى مصر مرة أخرى شبيلوف رئيس تحرير البرافدا الذي أصبح وزيرا لخارجية الاتحاد السوفييتي لحضور احتفالات جلاء آخر جندي بريطاني عن مصر .

وهدرت في شوارع القاهرة يوم العرض العسكري احتفالا بعيد الجلاء

لمدة أربع ساعات دبابات سنتالين وقاذفات اللهب ، والمدفعية الخفيفة والثقيلة ، وغطت السماء أسراب طائرات الميج النفاثة وقاذفات القنابل الاليوشن .

وانبهرت الجماهير بما رأته من تسليح حديث ، وزغردت النساء وتأثر العرب الذين حضروا العرض العسكرى مشاركة لمصر فى احتفالها التاريخى ... أرسل الأردن كتيبة من الفيلق العربى وأرسل لبنان مجموعة من جنود التزحلق ، واليمن جماعة من تلاميذ المدارس الحربية ، وليبيا والسعودية وسوريا وحدات نظامية .

كان يوما حافلا بالنشوة والابتهاج ، وبخاصة للعسكريين الذين حققوا هدفا من أعظم أهدافهم ، ولم تعد استعراضاتهم العسكرية هزيلة أو متخلفة .

ولم يدخل السوفييت الى المنطقة بدعوة العسكريين المصريين لهم للحصول على السلاح فقط ، ولكنهم دخلوا أيضا من باب آخر ، غير باب السلاح .

وكانت حركة ٢٣ يوليو قد ركزت على بعض المشاريع الهامة لتنفيذها منذ البداية ... ومنها قانون الاصلاح الزراعى ومشروع السد العالى .

تابع المشروعات قائد الجناح جمال سالم الذى عرف بحدة طبعه وذكائه وتصرفاته الرعناء أحيانا !

استطاع جمال سالم ان يصدر قانون الاصلاح الزراعى مع وزارة محمد نجيب الأولى يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢ .

ولكن مشروع السد العالى لم يكن قانونا يصدر فينفذ ، ولكنه كان مشروعا يحتاج الى بحث ودراسة وتمويل .. وصبر أيضا .

فكرة المشروع قديمة ... عرضها مهندس مصرى من أصل يونانى اسمه ادريان دانينوس على بعض حكومات ما قبل الثورة منذ عام ١٩٤٧ ولكنه لم يجد منها قبولا ... الى ان التقى مع جمال سالم وعندما درس جمال سالم المشروع فتنه وتبناه أمام أعضاء مجلس القيادة ، وأصبح محور حديثه الدائم ، وموضع اهتمامه ومتابعته ، حتى ان أحدا من أعضاء المجلس لم يبذل جهدا لمعرفة تفاصيل المشروع والقى العبء كله عليه .

وبدأ جمال سالم يقوم بدراسات مصرية للسد العالى ، واعترض عليها بعض كبار المهندسين مثل عثمان محرم وعبد العزيز أحمد ولكنه واصل

أبحاثه مع بعض بيوت الخبرة الأجنبية ... وأجريت مفاوضات مع مجموعة فرنسية انجليزية أمريكية .

جميع بيوت الخبرة العالمية وافقت على المشروع من الناحية الفنية ... وما زال يوجد حتى اليوم نموذج كامل للسد العالى فى قرية جرينوبل بفرنسا عندما تعاونت مصر فى مجال البحث مع احدى الشركات الفرنسية ... وذلك حسب بمشاهدة حسن ابراهيم وروايته تدليلا على سلامة المشروع .

وأعطى جمال سالم باعتباره نائبا لرئيس الوزراء دفعة جديدة للمشروع وقف الى جانبه فيها المهندس سمير حلمى الذى عين وزيرا للصناعة فيما بعد ، وكانت الوقفة الرئيسية عند اختيار المكان المناسب لبناء الهرم الجديد .

استمر مجلس القيادة متابعا لموضوع السد العالى من بعيد .. تهتم به كلما عرض عليهم جمال سالم مزيدا من التفاصيل ... وعندما أبلغهم انه كل الدراسات قد أصبحت جاهزة ، ولم يعد باقيا الا التمويل ، نبتت أمامهم علامة استفهام كبيرة ، فقد كان الموقف السياسى متوترا مع الغرب بعد عقد صفقة الأسلحة المصرية التشيكوسلوفاكية .

ولكن وزارة الخارجية الأمريكية أصدرت تصريحا فى أكتوبر ١٩٥٥ تقول (ان الولايات المتحدة على استعداد للمساهمة فى تمويل مشروع السد العالى وفى مشروع وادى الاردن وان هناك (مشروع مارشال) امريكى للشرق الأوسط على نمط المشروع الأوروبى) ... وطلبت ارسال مسئول مصرى لدراسة الموقف مع واشنطن . بدأ الأمر كما لو ان حكومة الولايات المتحدة لا تريد أن تفقد كل صفقات مصر ... واستقبل الدكتور عبد المنعم القيسونى وزير الاقتصاد والمعروف بميله الى الغرب فى نوفمبر ١٩٥٥ استقبالا حافلا فى واشنطن وحمله دالاس رسالة حسب ما ورد فى كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر والعالم) يقول فيها لعبد الناصر انه اذا كان الاتحاد السوفييتى يساعد مصر بالسلاح وان ذلك يعنى الموت ، فان الولايات المتحدة مستعدة الى مساعدة مصر على بناء السد العالى وهذا يعنى الحياة .

كان الموقف يدعو الى التفاؤل وجمال سالم يكاد يحلق من الابتهاج .. وخاصة فى منتصف ديسمبر ١٩٥٥ عندما أصدرت الحكومتان البريطانية والأمريكية بيانا أعلنتا فيه مساهمتهما فى تمويل المرحلة الأولى للسد العالى بما قيمته ٧٠ مليون دولار تدفع منها بريطانيا ١٤ مليون ، ثم تبحث الحكومتان بعدئذ اشتراكتهما فى المرحلة الثانية .

وتم الاتفاق أيضا على ان يقرض البنك الدولى للانشاء والتعمير مصر ٢٠٠ مليون دولار دفعة أولى بعد مفاوضات استمرت مدة أسبوعين بين جمال عبد الناصر وجمال سالم ورئيس البنك يوجين بلاك ... وأعلن الاتفاق يوم ٨ فبراير ١٩٥٦ على أساس اعطاء البنك حق الحصول على معلومات عن الاقتصاد المصرى وحق الاشارة بالخطوات اللازمة ، دون حق الاشراف على الاقتصاد وهو ما كان يطالب به .

وكان البنك الذى انشىء عام ١٩٤٦ بهدف اعادة بناء اقتصاد الدول المنكوبة من العمليات الحربية والذى تملك الولايات المتحدة ٣٢٪ من أصوات مجلس ادارته ولا يعيد رئيسا له الا أمريكى قد حاول أن يفرض على مصر عدم الحصول على قروض خارجية ولا أى اتفاقيات دفع الا بموافقته الأمر الذى رفضه جمال عبد الناصر تماما ... لأن ذلك كان يعنى حظر التعامل أو استيراد السلاح من الاتحاد السوفييتى .

كان مفروضا أن يمضى مشروع السد العالى فى طريقه الطبيعى بعد ذلك . ولكن اتضح أن حكومة الولايات المتحدة كانت تهدف الى ربط الاقتصاد المصرى بها طوال مدة بناء السد التى تمتد عشر سنوات وقد تزيد ...

كتبت النيويورك تايمز تقول (تربط حكومة الولايات المتحدة بين مقترحاتها بمساعدة مصر مساعدة طويلة المدى لمدة عشر سنوات لبناء السد العالى وتسوية النزاع المصرى الاسرائيلى ، وتعتقد حكومة الولايات المتحدة ان المساعدة الاقتصادية لمصر تستطيع أن تؤدى الى تسوية عامة للموقف فى الشرق الأوسط) .

ووضع هربرت هوفر وكيل الخارجية الأمريكية ومستشار دالاس لشئون الشرق الأوسط ، وهو من رجال شركات البترول الأمريكية ومن أبطال الانقلاب الايرانى الذى قامت به المخابرات المركزية ضد مصدق وأسقطته مذكرة تقول (السد العالى مقابل الصلح) .

وصارح هوفر السفير أحمد حسين بذلك طالبا اليه أيضا ان تعلن مصر فى بيان رسمى امتناعها عن عقد المزيد من صفقات السلاح مع الاتحاد السوفييتى .

واتضحت خطة حكومة الولايات المتحدة فى محاولة السيطرة على الاقتصاد المصرى واخضاعه لنفوذها بعد أن أفلتت منها فرصة منع مصر من عقد صفقة السلاح مع السوفييت .

يقول أنطونى ايدن فى مذكراته (كان المطلوب أن يعطى المصريون وعدا بأن يجعلوا لمشروع السد العالى الأولوية على غيره من المشروعات

الأخرى وان لا يقوموا بتنفيذ غيره من المشروعات وأن يرفضوا المساعدات التى تعرض عليهم من المصادر الشيوعية) ٠

وبدأت بوادر تحلل الحكومتين البريطانية والأمريكية من وعودهما تظهر فى تصريحات وأحاديث المسئولين ٠٠٠ وتتسرب الى جمال عبد الناصر خلال وزير عراقى سابق أرسل وثائق ما دار فى جلسات حلف بغداد فى شهر ابريل ١٩٥٦ ومنها تبين ان الحكومة البريطانيـــة كانت قد قررت الانسحاب من ارتباطاتها ٠

أكد هذه الواقعة ما ورد على لسان انطونى ايدن أيضا فى مذكراته عندما كتب (كانت ثمة نقطة لا يمكن تجاوزها فى عملية تمويل السد ذلك أنه كان علينا أن نراعى أيضا مركز حلفائنا ولا سيما العراق ٠٠٠ وكانت له احتياجاته الخاصة ٠٠٠ وكانت الحكومة العراقيـــة قد اشتكت بالفعل فى أوائل ذلك العام من ان المصريين استفادوا بمعاداتهم للغرب أكثر دون أن يتعاونوا معه ٠٠٠ وكان العراقيون قد حصلوا على ٣ ملايين جنيه وعدد قليل من الدبابات أما المصريون فقد بدا انهم سيفوزون بالسد العالى ، فاذا كان لابد من تقديم احسان فان من حق الدول العربية الصديقة أن تسعى للحصول على نصيبها من هذا الاحسان ، ولم يكن من المتوقع من هذه الدول أن تنظر بحماس الى تقديم الغـــرب مبالغ كبيرة من المال لمشروع مصرى فى الوقت الذى تزداد فيه الروابط بين مصر وروسيا السوفييتية) ٠

وقال فولبرايت فى تقرير رسمى أعدته لجنة الشئون الخارجية للكونجرس (تثبت الأدلة أن الحكومة الأمريكية قد بدأت تراجع قرارها للرجوع عنه بعد بضعة أسابيع فقط من تقديمه) ٠

وظهرت بعض التعليمات الصحفيـــة تقول (طالما لم نستطع شراء الصلح العربى الاسرائيلى مقابل السد فقد مات الحماس) ٠

وطلب جمال عبد الناصر من حسن ابراهيم أن يجس نبض اديناور مستشار ألمانيا الغربية لبحث امكانيـــة المساهمة فى تمويل السد ٠٠٠ وحسن ابراهيم يقول انه رغم اهتمام اديـــناور الشديد بالمشروع ورغم فائدته للشركات الألمانية فانه لم يعرض المساهمة أبدا ٠٠٠ ورفض البحث فيها ٠٠٠ وربما خشية من حكومة الولايات المتحدة ٠

كان رفض أعضاء مجلس القيادة الخضـــوع لطلبات الحكومتين الأمريكية والبريطانيـــة فى وقف التعامل والتسليح مع السوفييت وقبول الصلح مع اسرائيل هما حجر الزاوية فيما اتخذ من قرار سحب الحكومتين العرض فيما بعد ٠٠٠ ولم يكن موضوع الاعتراف بالصين الشعبية هو السبب الذى حملهما على الغاء الموافقة ، كما تحاول بعض الجهات المعادية

الاساءة لموقف جمال عبد الناصر ، وتصويره بمظهر المستفز الذى يجبر خصمه على اتخاذ خطوات عنيفة ضـــده ، ولكنها ربما كانت النقطة التى فاض بعدها الاناء ٠

اسرائيل ربيبة أمريكا اعترفت بالصين الشعبية عام ١٩٥٠ دون أن يحدث ذلك صدى فى علاقتهـا مع واشنطن ٠٠٠ وأمريـكا لم تسـحب موافقتها الا بعد شهرين من اعتراف مصر بالصين ٠

الأمر غير ذلك تماما فانه عندما حضر السفير المصرى أحمـد حسين وأبلغ جمال عبد الناصر أن دالاس محرج أمام الكونجرس الأمريكى لرفض مصر لشروط القرض قال له جمال عبد الناصر الذى كانت قد توفرت له المعلومات واليقين بأن الحكومة الأمريكية قد قررت سـحب موافقتها ، أنه يمكن أن يذهب الى دالاس ويبلغه أن مصر قد قبلت كل الشروط ثم يبلغه برد فعله ٠

ولم تكن مصر قد تعاقدت مع السوفييت كما أشـيع بعـد زيارة شبيلوف الثانية لمصر لحضور احتفالات الجلاء فى ١٨ يونيو ١٩٥٦ ٠

قابل دالاس السفير المصرى فى حضـور هربرت هوفر وجورج الين الذى سجل المقابلة هو فى هذه الكلمات ٠

دخل السفير المصرى الى مكتب دالاس وكان هناك هربرت هوفر وأنا وكان السفير حسين متأمركا جدا وكان يرهق عبد الناصر دائما بمكالماته التليفونية التى يحثه فيها على تأييد أمريكا ، وقال حسين لدالاس أنه قلق من العروض الروسية وما سوف تثيره وأنه لابد وأن تقوم الولايات المتحدة ببناء السد وبأسرع وقت ٠

رد دالاس بهدوء (اننا بحثنا الأمر جديا ونقدر أهميته ولكن بصراحة أن موقفنا الاقتصادى يجعل من المتعذر على الولايات المتحدة الاشتراك ونحن نسحب العرض الذى قدمناه) ٠

وفى اللحظة التى دخل فيها السفير أحمد حسين لمكتب دالاس كان المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية يوزع بيانا على المراسلين يعلن فيه سحب العرض الأمريكى كمـا كتب محمد حسنين هيكل فى كتـابه (عبد الناصر ٠٠ والعالم) ٠

كان البيان يحـاول الوقيعة بين مصر من جهة والسودان وأثيوبيا وأوغندة من جهة أخرى اذ جاء فيه (انتهت الحكومة الأمريكية الى أنه من غير العملى فى الظروف الحاضرة أن تشترك فى المشروع اذا لم يتم الاتفاق بين الدول المشتركة فى موارد مياه النيل) ويحاول هدم سمعة الاقتصاد

المصرى بقوله (أن مقدرة مصر على تخصيص موارد كافية تضمن نجـاح المشروع سارت أكثر انتقادا للتـوكيد بخلاف ما كانت عليه عنـد تقديم العرض) •

هل تكون سبعة شهور فقط قد غيرت من حقيقة الوضع فى مصر بين يوم اعلان الموافقة ويوم سحبها ؟؟ •

وقد لخص فولبرايت حقيقة الموقف الأمريكى بقوله فى تقرير للجنة الشئون الخارجية بالكونجرس •

(كانت صفقة الأسلحة هى السبب فىالاسراع بعرض المساهمة وكانت هى السبب أيضا فى سحب العرض) •

ويقول التقرير أيضا أن الأسـباب التى أعلنت لم تكن من الاسباب الحقيقية بالطبع ولم تجد اللجنة أى دليل على ان الاقتصـاد المصرى قد ساءت حالته قبل سحب العرض •

وأعلنت بريطانيا بعد ٢٤ ساعة سحبها للمساعدة التى التزمت بها ••• ويقول انطونى ايدن فى مذكراته (أبلغتنا الحكومة الأمريكية بهذا القرار دون أن تتشاور معنا بشأنه ولهذا لم تتح لنـا أية فرصة لانتقاده أو ابداء رأينا فيه قبل ابلاغه الى السفير المصرى وكانت النتيجة أن الغى البنك الدولى أيضا القرض الذى كان سيقدمه لمصر) •

وقد ثار يوجين بلاك عندما شعر أنه ادى دور دمية متحركة فى يد دالاس وايدن وقال (ان دالاس لا يملك الحكم على الاقتصاد المصرى ••• هذه هى مهمة البنك الدولى ، وقد كلفنا أن نجيب على سؤالين محددين هما : هل المشروع ممكن ؟ وهل يتحمل الاقتصاد المصرى ؟ وأجاب البنك عن السؤالين بالايجاب •

وبرر دالاس تراجعه ليوجين بلاك بقوله ان الكونجرس لم يصدق على مساعدات خارجية كافية لامداد تيتو فى يوغوسلافيا وعبد الناصر فى مصر ••• وأنه أى دالاس ـ يفضل أن يقدم مساعدات لتيتو الذى يبتعد عن الكتلة الشيوعية أكثر من عبد الناصر الذى يقترب من هذه الكتلة •

وفى ليلة صدور البيان الأمريكى كان جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى فى الطائرة مع نهرو عائدين من بريونى بعد لقاء ثلاثى مع تيتو ••• وقدم المرافق الجوى له رسـالة لاسلكية بملخص للبيـان ، وكان تعليقه على ذلك قوله لرفيقه فى الرحلة عبد اللطيف البغدادى أن هذا ليس سحبا للعرض ، أنه هجوم سافر على النظام الحاكم ودعوة الشعب المصرى الى اسقاطه •

وعندما أطلع عبد الناصر نهرو على البيـــان قال الزعيم الهندى « يالصلافة هؤلاء الناس » لم تكن مصر قد اتصلت بالسوفييت اتصـــالا رسميا من أجل تمويل السد العالى ••• ولم يكن هناك دراسات سوفيتية للمشروع •

وكان جمال عبد الناصر قد قرر تأميم قناة السويس ••• وقرر فى نفس الوقت ان يبـــدأ اتصـــالا جـديدا مع السوفييت لتمويل مشروع السد العالى •

وكان سولود السفير الذى تمت فى عهده صفقة الأسلحة لا يبدى اهتماما بمشروعات اقتصادية لا تطلبها مصر ••• ولا يحاول الظهور فى مظهر الحريص على عقد اتفاقيات خاصة وقد قيل أن سولود قد أبلغ سفير الهند بأن الاتحاد السوفييتى لم يقرر تمويل السد العالى بعد ويبدو ان ذلك مبدأ سوفيتيا يفرض عليهم الحرص على الظهـور بمظهر البعيد عن المشاكل الداخلية ، الذى لا يبدى رأيا الا اذا طلب منه ذلك •

كلف جمال عبد الناصر اللواء عبد الحكيم عامر للاتصال بالسفير السوفييتى الجديد كيسليف لمعـرفة رأى الاتحاد السوفيتى فى تمويل المشروع •

وبعد اسبوع وصل الرد بالموافقة من حيث المبدأ ••• وتحرك المشروع من جديد ••• ولكن جمال سالم الذى تبنى فكرته لم يكن قد اصبح عضوا فى الوزارة ••• آثر ان يستقيل بعد انتهاء فترة الانتقال واصر على موقفه فى الحاح ••• وصدرت وزارة ٢٩ يونيو ١٩٥٦ أول وزارة يشكلهـــا جمال عبد الناصر بعد انتخابه رئيسا للجمهورية فى ٢٥ يونيو ١٩٥٦ • وليس فيها جمال سالم ولا شقيقه صلاح سالم الذى قبلت استقالته من قبل أغسطس ١٩٥٥ وتولى جمال عبد الناصر أعمـاله فى وزارة الدولة للسودان ووزارة الارشاد القومى لمدة شهرين حتى عين فتحى رضوان •••

وعلى قدر ما كانت صفقة الأسلحة المصرية التشيكية حدثا كبيرا مؤثرا فى العالم الثالث كله ، ومغيرا لموازين القوى العالمية ، على قدر ما كانت دعوة المصريين للسوفييت لبناء أعظم واخلد أعمال الشعب المصرى فى العصر الحديث ، بداية تعاون جديد فى مجال الاقتصاد والصناعة •

وهكذا وصل السوفييت الى المنطقة وكأنهم عامل انقاذ من طغيان الامبريالية العالمية التى حاولت فرض الاحتكار على السلاح وفشلت والتى

حاولت احتواء مصر عن طريق تمويل السد العالى باتفاقية تضع مصر تحت اشرافها ثم تراجعت وانسحبت ، عندما وجدت ان خطتها لن تعيد حلقة الحصار من جديد ٠

وصل السوفييت الى المنطقة فكانوا عاملا مساعدا ومشجعا فى سنوات الصمود للعسكريين وأصبحوا عنصرا رئيسيا من عناصر الحركة السياسية المؤثرة فى المنطقة ٠

الفصل الرابع

القناة . . والعدوان

(ان رجلا له سجل ناصر يجب الا يسمح له بان يطبق يده على رقبتنا) .

انطونى ايدن

(ان عبد الناصر يجب ان يلفظ القناة ولا يبتلعها) .

جون فوستر دالاس

(أنا فى القاهرة ساقاتل معكم ضد اى غزو الى آخر نقطة دم)

جمال عبد الناصر
من فوق منبر الأزهر

كان سحب الامريكيين والبريطانيين لعرض تمويل السد العالى ، واتهام الاقتصاد المصرى بعدم القدرة على انجاز هذا المشروع الكبير ، ضربة شديدة لجمال عبد الناصر الذى جعل من السد العالى محورا من أهم محاور التقدم للمجتمع والثورة .

ولم يكن من الطبيعي أن يتلقى هذه الضربة المهينة في هدوء ٠٠٠ ولم يكن عنده حتى هذه اللحظة عرض آخر لتمويل المشروع رغم تصريحه لصحيفة نيويورك تايمز الذى نشرته الجمهورية يوم ١٣ ابريل ١٩٥٦ بقوله (اذا انقطعت المفاوضات الخاصة بالمساعدة الغربية لتمويل السد العالي فان مصر ستضطر بكل تأكيد الى الموافقة على العرض السوفييتي لتمويل هذا المشروع ٠٠٠ اننا لم نرفض العرض السوفييتي فقد كان هذا العرض عاما جدا ٠

ونبتت فكرة تأميم قناة السويس ٠

لم تكن فكرة طارئة ، أو رد فعل عفوى لسحب عرض التمويل ٠٠٠ وانما هى فكرة قديمة تابعتها حركة الجيش منذ بدايتها ، ولكن دون ان يكون هناك قرار واضح المعالم ٠

وقناة السويس تمثل مأساة فى حياة الشعب المصرى ٠٠٠ مات من ابنائه ١٢٠ الفا وهم مسخرون فى حفرها ٠٠٠ بعد ان كانت مشروعا درسته حملة نابليون ، وأخطأ مهندسو الحملة بقولهم أن هناك فارقا قدره ٩٠ امتار بين مستوى البحر الأحمر والبحر الأبيض مما يجعل شق القناة مستحيلا ٠٠٠ ولم تستمر الحملة لتصحيح الخطأ ٠

وتبنى المشروع بعد ذلك فرنسيون أيضا من اتباع المفكر الاشتراكى الخيالى (سان سيمون) وحضر زعيمهم (بروسبير انفنتان) محاولا اقناع محمد على بالمشروع ، الذى رفض قائلا انه لا يريد (بوسفورا جديدا) ٠

ولم تكن مصر تملك شيئا من أموال شركة القناة ، بعد ان باع الخديوى اسماعيل ١٧٦٫٠٠٠ سهم الى الحكومة البريطانية عام ١٨٧٥ بمبلغ ٤ ملايين جنيه ، كلفت مصر ١٦ مليون جنيه وأغرقت الشعب المصرى بديون بلغت ١٠٠ مليون جنيه ، دفعت عنها فوائد بلغت ٣٠٠ مليون جنيه٠

وكانت هناك اتفاقية عقدت عام ١٩٤٩ بين الشركة والحكومة المصرية حصلت بموجبها على ٧٪ من الأرباح ، وتعيين خمس مصريين فى مجلس الادارة الذى يضم ٢٥ انجليزيا وفرنسيا ٠

ومنذ الشهور الأولى لحركة الجيش تكون مكتب لقناة السويس كان مقره مجلس الشيوخ وتابع لرئاسة مجلس الوزراء عمل به الدكتور مصطفى الحفناوى الذى أثارت الشركة اهتمامه وأحلامه وأصدر مجلة خاصة باسم (قناة السويس) وكان جمال عبد الناصر قد استدعاه لالقاء محاضرة يفتتح بها الموسم الثقافى لنادى ضباط الجيش فى نوفمبر ١٩٥٢ــ

طالب فيها بالتأميم ... وكان ذلك عقب لقاء تم بينه وبين عبد الناصر في اغسطس ١٩٥٢ .

ثم دعم هذا المكتب وصدر به قرار جمهوري في نوفمبر ١٩٥٤ وتولى رئاسته الدكتـــور حلمي بهجت بدوي وضـــم الدكتـــور حامد سلطان ومحمـــد علي الغتيت ومحسن شفيق وأصبح اختصاصه دراسة شئون قناة السويس واعداد أبحاث حول احتمال تأميمها .

وعندما حاولت حركة الجيش الحصـــول على شروط افضل ... تمسكت الشركة بمد مدة الامتياز التي كان مفروضا ان تنتهي عام ١٩٦٨ في مقابل زيادة نسبة الأرباح وزيادة عدد المصريين ... ورفضت الشركة زيادة عدد المرشدين المصريين رغم وجود عجز ٢٠٪ ، وظل الموقف كما هو ٤٠ مرشدا مصريا فقط من ٢٠٥ تستخدمهم الشركة .

واهتمت ادارة التعبئة العامة للقوات المسلحة بشئون قناة السويس أيضا بتوجيه من جمال عبد الناصر وأرسلت اليها مندوبين للبحث لاستكمال المعلومات في مشروعي الحصر الصناعي والكفايات الفردية ... التي كانت تقوم بها على مستوى الجمهورية ونشرت عدة مقالات في بداية عام ١٩٥٦ في مجلتها الشهرية الهدف التي كنت رئيسا لتحريرها ... مقالات تحت عنوان (هذه القناة ملكنا) .

وكلف جمال عبد الناصر وجمال سالم وعبد الحكيم عامر في جلسة مشتركة ضابط المخابرات المسئول في منطقة القناة في اغسطس ١٩٥٥ بالحصول على معلومات تثبت تدخل شركة القناة في الشئون الداخلية لمصر مستغلة الأموال التي تتدفق عليها من عوائد المرور .

وتبين من المعلومات التي حصلوا عليها أن الدخل الحقيقي للشركة يختلف عن الدخل الذي كانت تخطر به الحكومة المصرية ... كمـا أنها كانت تدفع مصروفات سرية للموظفين المصريين العاملين بها وصلت أحيانا الى ٢٠٠ جنيه شهريا .

وكانت الشركة حتى ذلك الوقت تمثل اقطاعيـــة خاصة لا تسمح لضباط الجيش بارتياد نادٍ بهـا ... وحدث حادث طريف اذ فكر قائـــد المنطقة في طريقة يكسر بها هذا الحاجز ، فأطلق عددا من جنود الجيش للسباحة في القناة عرايا تماما حتى اقتربوا من النادي الخاص بالشركة ، وعادوا سباحة ... فما كان من أحد الموظفين المصريين بالشركة ــ نجـــم الدين شاهين الضابط السابق بالجيش ــ الا أن هرع الى قيادة الجيش يعلن السماح للضباط بالاشتراك في النادي .

واستدعى جمال عبد الناصر الضابط المسئول عن مخابرات القناة مرة أخرى فى مايو ١٩٥٦ وطلب منه اعداد دراسات خاصة عن الموقف اذا ما حدث تأميم قناة السويس ٠

وعندما عين ثروت عكاشة نائبا لمدير المخابرات فى مايو عام ١٩٥٦ بدرجة وكيل وزارة ، كلفه جمال عبد الناصر باعداد دراسات خاصة عن تأميم القناة ، دون أن يلمح له بشيء عن الهدف من ذلك ٠

وكان جمال عبد الناصر يلقى بفكرته عن تأميم شركة قناة السويس أحيانا أمام بعض خلصائه بطريقة عابرة ليدرس ردود الفعل عندهم ٠

عندما ابلغ أحمد حسين السفير المصرى بواشنطن أثناء أزمة تمويل السد العالى أصابه الذعر وطلب منه التريث وعدم الاندفاع فى هذا التفكير ٠

وصارح تيتو أيضا أثناء زيارة ليوغوسلافيا بأنه يفكر أحيانا فى اعادة قناة السويس للشعب المصرى ، ولكن الأمر لم يكن ملحا بما يجعل المناقشة جادة ومركزة ٠

ويبدو أن بعض هذه الأخبار كان قد تسرب الى الخارج فطلب المستر بيتون النائب المحافظ فى مجلس العموم من الحكومة البريطانية أن تتشاور مع الدول الغربية والولايات المتحدة حول مستقبل قناة السويس كممر مائى دولى ؛

وكتب أنور السادات فى جريدة الجمهورية ردا عليه يقول (أما عن مستقبل قناة السويس فالقناة اذا كان السيد بيتون لا يعلم فهى جزء لا يتجزأ من مصر كما اعترف العالم أجمع) ٠

كان ذلك دليلا على أن فكرة التأميم لم تكن طارئة ، أو رد فعل فورى وانما كانت تعيش فى رأس جمال عبد الناصر امتدادا لنداءات رفعها مصريون من قبل ، وتعبيرا عن مشاعر مكبوتة فى نفوس المصريين منذ عشرات السنين ٠

برنامج الحزب الشيوعى المصرى كان يدعو صراحة الى تأميم قناة السويس ٠

وأحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى بدأ حملة مطالبا بتأميم قناة السويس فورا أثناء حركة الكفاح المسلح فى القناة ، خطب مناديا بذلك ، وكتبت مجلة الاشتراكية تدعو لذلك فى اعداد كثيرة ، كما نشر فى كتابه (الأرض الطيبة) ٠

وكان محور تفكير وكتابات الدكتور مصطفى الحفناوى فى مجلتــه الدعوة لتأميم الشركة ٠٠

وقد أكد جمال عبد الناصر ذلك فيما بعد بتصريح لمجلة لوك الأمريكية يوم ٢٤ يونيو ١٩٥٧ قال فيه (كنـــا ندرس مسألة تأميم القناة ، ولكننا لم نكن قد وصلنا الى قرار فجعلتمونا أنتم نستقر على قرار) ٠

لم يطل الوقت بين سماع جمال عبد الناصر لخبر التمويل مساء ١٩ يوليو وبين اتخاذ قراره بتأميم القناة صباح يوم السبت ٢٠ يوليو ٠

واعتمد جمال عبد الناصر فى تنفيذ قراره على السرية المطلقة ٠

لم يطلع ضيفه وصديقه نهرو الذى كان فى ضيافته ، والذى غادر مصر قبل الموعد المحدد لانتهاء الزيارة عندما شعر بأن المشاغل تستهلك وقت وتفكير جمال عبد الناصر ٠

ولم يطلع مجلس الوزراء على فكرته كما أكد لى فتحى رضوان ٠

ولم يبلغ الذين عهد اليهم بالتنفيذ الا يوم ٢٤ يوليو عندما استدعى المهندس محمود يونس زميله فى التدريس بكليـــة أركان الحرب وأبلغه بالخطة فلم يتمالك نفسه من تقبيله فى خده وهو يهنئه ٠

ولكنه جمع زملاءه أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى كان كيانه قد انتهى بانتهاء فترة الانتقال وانتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية فى ٢٥ يونيو ١٩٥٦ ٠٠٠ عقد اجتماعا صغيرا حضره معه عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف بغدادى وزكريا محيى الدين لمناقشـــة الموضوع ٠٠ اقترح عبد الحكيم عامر الاكتفاء بزيادة الرســـوم ٠٠٠ ولكن جمال عبد الناصر أوضح له أن ذلك لا يكفى لتمويل السد العـــالى ، بل ان صـــافى أرباح الشركة وهى ٣٢ مليون جنيــــه فى العـــام (ودخلها ٩١ مليـــون) يعتبر أقل مما يتطلبه هذا المشروع الكبير ٠

وفى هذه الجلسة تم تكليف عبد الحكيم عامر بالاتصـــال بالسفير السوفييتى الجديد كيسليف لبحث امكانيـــة تمويل السوفييت لمشروع السد العالى ٠

وعقد اجتماعات منفردة أخرى مع زملائه أعضاء المجلس ٠٠٠ ولم ينس استدعاء جمـــال سالم وحسن ابراهيم اللذين لم يكن لهما مركز رسمى فى جهاز الحكم فى هذا الوقت ٠

وافق الجميع بلا تردد ٠

يقــول زكريا محيى الدين أن أعضـــاء المجلس الذين اجتمع بهم

جمال عبد الناصر قد ناقشوا المخاطر التى قد تتعرض لها مصر عقب التاميم، وانه قد استقر الرأى على أن نسبة المخاطر تمثل ٣٠٪ الى ٤٠٪ ، ولذا فقد استقر الرأى على السير فى هذه العملية على اعتبارها (مخاطر محسوبة) .

وكان الاحتمال الأغلب عندهم هو دفع اسرائيل للهجوم وكان هذا احتمالا مرجحا عن أى غزو بريطانى أو فرنسى .

وبعد هذه الجلسة بدأ اتخاذ الخطوات التنفيذية للتأميم .

كلف جمال عبد الناصر وزير الاقتصاد الدكتور عبد المنعم القيسونى باعداد مشروع قانون التأميم .

واشترك فى وضع القانون محمد على الغتيت عضو مكتب هيئة قناة السويس حيث كان رئيسه الدكتور حلمى بهجت بدوى متغيبا فى الخارج، المستشار بدوى حمودة ممثلا لمجلس الدولة والمستشار حسن نور الدين مستشار وزارة الداخلية .

اقترح بعض المستشارين وضع الشركة تحت الحراسة مستندين الى مخالفات الشركة وتلاعبها ... ولكن جمال عبد الناصر أصر على التأميم .

واستدعى جمال عبد الناصر الدكتور مصطفى الحفناوى يوم ٢٤ يوليو من عزبته قريبا من الاسكندرية عن طريق ضابط شرطة لا يعرف سبب الاستدعاء ثم طـــائرة حربيـــة الى القاهرة ، وأخيرا الى حديقة منزل جمال عبد الناصر بمنشية البكرى ، الذى صارحه بانه سيحقق فكرته ويؤمم القناة ، وطلب منه المساهمة فى اعداد مشروع التأميم .

ولكن الدكتور مصطفى الحفناوى اصابة الهلع وطلب تأجيل التنفيذ عدة شهور لتهيئة الرأى العام قائلا له (انى آكاد أســـمع باذنى أزيز الطائرات التى ستهجم علينا) .

حتى الذين عاش التأميم حلم حياتهم ، والذين حصلوا على الدكتوراه عن القناة ، والذين بشروا بهذه الدعوة فى الكتب والندوات وأصدروا مجلة خاصة لها صدمتهم المفاجأة فى مواجهة الأمر الواقع واهتزت أعصابهم ... الا أن جمال عبد الناصر كان قد حسم رأيه وقر قراره .

وطلب من الدكتور مصطفى الحفناوى أن يروى قصة القناة لعدد من الأشخاص لم يكن يعرفهم ... استدعاهم جمال عبد الناصر فرواها الى ما بعد منتصف الليل ، ليزيد الحاضرين وضـــوحا عن أبعاد المأساة ، ويضاعف عزمهم على مجابهة هذه الخطوة الجريئـــة .. وأخيرا طلب منه جمال عبد الناصر الا يتصل بأحد مطلقا حتى يعد القانون ويحضره له فى

اليوم التالى ، حيث كان اللقاء فى مكتبه بمجلس قيادة الثورة يوم ٢٥ يوليو فى العاشرة مساء •

وقال له جمال عبد الناصر أنه يتفاءل من هذه الغرفة التى اتخذ فيها قرار صفقة الأسلحة ، وراجع معه القانون وأجرى عليه بعض التعديلات ثم تفرغ لكتابة خطبته التى كان مقررا أن يلقيها مساء ٢٦ يوليـــو فى الاسكندرية كما اعتاد كل عام ، وهو ذكرى رحيل الملك فاروق من مصر عن طريق ميناء سراى رأس التين •

كان الخبر كبيرا ••• والدول الكبيرة تتابع خطوات جمال عبد الناصر لمعرفة رد فعله على قرار سحب التمويل ••• وتأرجحت التوقعات وخاصة بعد خطبته التى هاجم فيها أكاذيب الأمريكان عن موقف الاقتصاد المصرى وقال لهم موتوا بغيظكم أن مصر ستبنى السد العالى ولو بأظافر أبنائها ••

ماذا كان يدبر ؟ عقد حلف مع الاتحاد السوفييتى ؟ قطع العلاقات مع الولايات المتحدة ؟ كان الصحفيون كخلية نحل يبحثون عن الخبر المثير الذى توقعه الجميع فى خطاب المنشية •

ولم يصل أحد الى الحقيقة ••• عنـدما قال أحد مخبرى السفارة الفرنسية يوم ٢٣ يوليو باحتمال التأميم قوبل كلامه بسخرية مهذبة كما يقول جان لاكوتير فى كتابه عن عبد الناصر •

وقبيل خطابه فى ميدان المنشية استدعى جمال عبد الناصر أعضاء الوزارة الى منزله الصيفى أثناء ذلك العام ، وأبلغهم بخبر التأميم الذى سيعلنه بعد دقائق •

لم يعترض أحد من الوزراء ، ولكن فتحى رضوان اقترح عدم الربط بين سحب تمويل السد العالى وبين تأميم القنـاة ، لأن لذلك ــ حسب رأيه ــ عيبين أولهما أنه ينتقص من حق مصر فى التأميم ، والثانى عدم رغبته فى الربط بينه وبين الاعتداء علينا حتى لا يقال اننا نستغل القناة كأداة فى الضغط الوطنى •

كان اعتراض فتحى رضوان شكليا لا يتناسب مع حجم الخبر نفسه، ولم يؤثر فى مشروع الخطبة التى أعدها جمال عبد الناصر •

كان ميدان المنشية كعادته كل عام يزخر بعشرات الألوف من الناس ، ولكن مشاعرهم فى هذا العام كانت تختلف عن مشـــاعرهم فى الأعوام السابقة •••

كان جمال عبد الناصر قد حقق عدة انتصارات ••• منهـا هزيمة حلف بغداد وقصر دخوله على العـراق من الدول العربيـة ، وعقد صفقة

الأسلحة التشيكوسلوفاكية التى قوبلت بتأييد شعبى جارف واعلان الدستور والافراج عن عدد كبير من المعتقلين السياسيين وبعض الذين حكمت عليهم محكمة الثورة واحتفال البلاد يوم ١٨ يونيو بجلاء آخر جندى بريطانى عن أرض مصر ٠

لم تكن مشاعر الجماهير غاضبة أو سلبية كما كانت عام ١٩٥٤ عندما استغل الاخوان المسلمون موجة الرفض لاتفاقية الجلاء لما أحاط بها من شبهة التحالف مع بريطانيا ، وأطلقوا الرصاص على جمال عبد الناصر فى نفس الشرفة التى وقف يخطب فيها اليوم ٠

كانت خطبة جمال عبد الناصر فى ذلك اليوم ، ٢٦ يوليو ١٩٥٦ قمة خطبه ، وأعظمها تاثيرا فى الجماهير ، وأشدها اثارة ٠٠٠ فهو لم يعلن خبر التأميم دفعة واحدة ، وانما مهد له بطريقة درامية ، واختار اسم ديلسبس اشارة لفريق تنفيذ التأميم برئاسة المهندس محمود ، لكى يبدأ عمله ٠

وأثناء القاء الخطبة توجه فريق الى مبنى الشركة الرئيسى بجاردن سيتى بالقاهرة وفريق آخر برئاسة محمود يونس الى مقر الشركة بالاسماعيلية ، أما محمد رياض محافظ بور سعيد فقد قابل محمود يونس فى الاسماعيلية عصر يوم ٢٦ يوليو وأبلغه بقرار التأميم واستدعى الى مكتبه مديرى الشركة ، بينما احتل فريق ثالث كل مكاتب الشركة فى بورسعيد ٠

تمت العملية فى هدوء ودقة رغم ضيق الوقت الذى مضى بين الابلاغ والتنفيذ ٠٠ وارتجت مصر كلها قبل ان تنتهى الخطبة بالتصفيق وهتاف التأييد وكلمات الحماس ٠٠ وارتج العالم الذى هزه الاجراء الكبير ٠

كان تأميم القناة حلما بل خيالا ، فأصبح حقيقة ٠٠٠ وتشكل أول مجلس ادارة مصرى لادارة القناة من الدكتور حلمى بهجت بدوى رئيسا والمهندس محمود يونس نائبا للرئيس والدكتور محمد أحمد سليم والمهندس محمد القشيرى والدكتور مصطفى الحفناوى والمستشار بدوى حمودة ومحمد على الغتيت وبرهان سعيد ٠

وأثناء القاء جمال عبد الناصر لخطبته فى ميدان المنشية ، كان ايدن يتناول العشاء فى داوننج ستريت مع الملك فيصل ونورى السعيد وبلغه خبر التاميم من أحد سكرتيريه الخصوصيين ، فأبلغ ضيوفه بذلك ٠

ويقول فى مذكراته أنهم (رأوا فيه بوضوح قلبا لكل الاتجاهات والأفكار والآمال التى كنا نتحدث فيها) وأدركوا على الفور ان الكثير يتوقف على الهزيمة التى سيقابل بها هذا التحدى ٠

كان نورى السعيد أكثر الموجودين تحمسا لضرب عبد الناصر بينما كان ايدن يتوقع لمصر الفشل فى ادارة القناة .

وانتهى العشاء مبكرا ليجتمع ايدن مع كبار السياسيين والعسكريين فى حكومته ومع السفير الفرنسى والقائم بالاعمال الأمريكى .

وعلق ايدن على سحب عبد الناصر لمبلغ خمسة ملايين جنيه مصرى من أموال الشركة كانت مودعة فى البنك العثمانى بقوله (ان رجلا له سجل ناصر يجب الا يسمح له بأن يطبق يده على رقبتنا) .

وبدأ ايدن حركته نحو استخدام العنف ، فاتصل بايزنهاور برقيا يوم ٢٧ يوليو وأوضح له أن الضغط السياسى والاقتصادى وحدهما قد لا يكفيان لردع جمال عبد الناصر وانه لابد من وضع احتمال تدخل عسكرى ... وأرسل ايزنهاور روبرت مورفى من وزارة الخارجية الأمريكية الى لندن ، ثم تبعه دالاس الذى كان فى رحلة الى أمريكا اللاتينية يوم التأميم .

وأرسلت الحكومة البريطانية مذكرة احتجاج رسمية الى الحكومة المصرية احتجاجا على الاستيلاء على قناة السويس ... ولكن المذكرة أعيدت الى السفارة البريطانية — كما كتب ايدن فى مذكراته — مشفوعة بقصاصة غير ممضاة مكتوب عليها (تعاد الى السفارة البريطانية) .

وبدأ الضغط الاقتصادى على مصر فورا ... جمدت بريطانيا حسابات مصر الجارية من الاسترلينى وفرضت الحماية على أموال وممتلكات شركة قناة السويس فى لندن كما حظر تصدير أية أسلحة أو مواد عسكرية الى مصر .ومنعت أربع مدرعات مصرية كانت فى الموانىء البريطانية من السفر .

كان جملة ما جمدته بريطانيا ١١٢ مليون جنيه أسترلينى ، وتبعتها أمريكا فجمدت أيضا ٦٠ مليون دولار كانت لمصر هناك ، ولكنها لم تجمد العمليات الجديدة كما فعلت بريطانيا .

وعقد فى أول أغسطس اجتماع بين وزراء خارجية بريطانيا (سلوين لويد) والولايات المتحدة (جون فوستر دالاس) وفرنسا (كريستيان بينو) ... ولخص دالاس موقف أمريكا فيما يلى :

١ — ان بقاء القناة تحت سيطرة دولة واحدة بغير اشراف دولى أمر لا يحتمل .

٢ ــ يجب اتخاذ معاهدة ١٨٨٨ أساسا للمناقشة لتجنب التعقيدات فيما يتعلق بقناة بنما .

٣ ــ القوة هى آخر طريقة يلتجأ اليهـــا ولكن الولايات المتحـدة لا تستبعد استخدام القوة .

٤ ــ يجب تعبئة الرأى العام العالمى لصالح فكرة وضع القناة تحت ادارة دوليـــة .

٥ ــ يجب ان نحاول جعل آراء الدول الثلاث مقبولة من أغلبية تتالف على الأقل من ثلثى مؤتمر الدول البحرية المزمع دعوته .

وقال دالاس فى معرض تفسيره لموقف أمريكا (ان عبد الناصر يجب ان يلفظ القناة ولا يبتلعها) .

ولكن السياسة الأمريكية لم تكن تجارى حدة الرغبـــة الفرنسية او الانجليزية فى الوصف بجمال عبد الناصر ، لاقتراب موعد الانتخابات الأمريكية وحرص ايزنهاور على عدم الدخول فى مناورات تعرض موقفـه الانتخابى للضعف ، بينما الفرنسيون يخشون من تاثير تأميم القناة مع رفع معنويات الثوار الجزائريين .

كان دالاس يتبنى فكرة ان جمال عبد الناصر كان يفكر فى تأميم القناة منذ وقت طويل بينما كان بينو يرى أن أمريـكا هى المسئولة عن القرار لسحبها تمويل السد العالى وانه يجب الا تخفى نفسها من الاهتمام بعواقبـــه .

وتقرر الدعوة لعقد مؤتمـــر من الدول البحـــرية يوم ١٦ اغسطس وتضمن البيان الثلاثى الذى صـــدر فى ٢ أغسطس تحديد هذه بالدول الثمانى التى وقعت على معاهدة القسطنطينية ، ست عشرة دولة رئيسية تستخدم القناة (١) .

لم تحضر دولتا مصر واليونان .

لم يذهب جمال عبد الناصر الى المؤتمر رغم نصيحة نهرو وتيتو له بالذهاب .. لهجوم ايدن عليه قائلا (معركتنا ليست مع مصر ولكنها مع ناصر) ... وأرسل بدلا منه على صبرى ليكون قريبا من أعضاء الوفود

(١) الدول التى دعيت للمؤتمر من استراليا والدانمرك واثيوبيا وفرنسا والمانيا الاتحادية وايران وايطاليا واليابان وهولاندا ونيوزيلندا والنرويج وباكستان والبرتغال واسبانيـا والسويد وتركيا وانجلترا والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى واندونيسيا وسيلان والهند واليونان ومصر .

فى لندن لمناقشتهم وتوضيح الأمور لهم ... ولم تذهب اليونان لعلاقاتها الخاصة ومصالحها المرتبطة بمصر .

كان واضحا أن المؤتمر خاضع للنفوذ الغربى ... فأغلبية الثلثين المطلوبة كانت لدول منضمة الى حلف الأطلنطى أو حلف جنوب شرقى آسيا ... ولكن فى يوم انعقاده ١٦ أغسطس ـ أضرب ٨٠ مليونا من العرب تأييدا لحق مصر وصدق ايدن عندما قال فى مذكراته أن قناة السويس أصبحت قناة العرب .

انتهى المؤتمر فى ٢٢ أغسطس الى قرارات تتضمن فى تأكيد مبدأ الاشراف الدولى ، والاعتراف بحق السيادة المصرية مع ضمان دخل عادل مقابل استخدام القناة ، واقترح الدخول فى مفاوضات بشأن عقد اتفاقية جديدة توكل مهمة ادارة القناة الى لجنة تضم مصر وعددا من الدول تختارها الدول الموقعة على الاتفاقية .

رفض القرار الاتحاد السوفييتى والهند وأندونيسيا وسيلان ، واقترحوا تشكيل هيئة استشارية بحتة ليس لها أى سلطة على ادارة القناة .

وتقرر بناء على بيان الدول الثمانى عشرة ارسال لجنة لعرض الأمر على جمال عبد الناصر يرأسها روبرت منزيس رئيس وزراء استراليا ومعه وزراء خارجية ايران وأثيوبيا والسويد ولوى هندرسون ممثلا للولايات المتحدة ويلاحظ انها تمثل دولة واحدة من كل قارة .

ووصلت اللجنة الى القاهرة يوم ٢ سبتمبر ، ولكن جمال عبد الناصر رفض قبول فكرة الاشراف الدولى رفضا باتا ، وفشلت البعثة فى تحقيق غرضها رغم محاولات روبرت منزيس رئيسها .

وكان ايدن قد أعد خطة متشعبة ... عرض الأمر على مجلس حلف الأطلنطى ، ونجح فى الحصول على موافقته بعدم دفع رسوم القناة ... وكانت السفن البريطانية والفرنسية تدفع كل عام نحو ٥٥٪ من هذه الرسوم تليها السفن الأمريكية ثم الايطالية فالهولندية والنرويجية والألمانية ... وكان الجميع متفقين مع فكرة الحكومتين البريطانية والفرنسية فى عدم دفع الرسوم الا الولايات المتحدة التى أعلن دالاس فى مؤتمر صحفى (أن قناة السويس لا تمثل مركزا رئيسيا من اهتمام الولايات المتحدة) .

وبدا واضحا أن تغيرا ما قد حدث فى موقف حكومة الولايات المتحدة عبر عنه ايدن فى مذكراته بقوله ان دالاس قد غير رأيه فجأة يوم ٤ سبتمبر بعد عودته من عطلة نهاية الاسبوع التى قضاها فى جزيرة البط على بحيرة انتاريو ... فقد بدأ ينادى بتكوين جمعية للمنتفعين .

وقررت الحكومتان البريطانية والفرنسية الاستجابة الى ذلك قبل عرض القضية على هيئة الأمم المتحدة ٠

هذا ما كان في لندن وباريس بعد التأميم ٠٠٠ اســتعداد وتحفز لسلوك كافة السبل بما فيها الاستعداد للقتال ٠

أما في مصر ، فان شعبية جمـال عبد الناصر ارتفعت الى مستوى لم يحصله زعيم عربي في التاريخ الحديث ، واتخذ موقفا صلبا في مواجهة المؤامرات الاستعمارية ٠٠٠ رفض فكرة التدويل وأطلق عليها (لفظ) (مؤامرة) ٠٠٠

وبذلت الادارة المصرية لقناة السويس جهودا خارقة لادارة القنال في وقت رفض فيه ٦٠ مرشدا كانوا في أجازات بالخارج العودة الى مصر من مجموع ٢٠٥ مرشدين ٠٠ وازداد ضغط الشركة واغراؤها للمرشدين بترك العمل في مصر ٠٠٠ عرض رئيس الشركة جاك جورج بيكو مرتب ثلاث سنوات مقدما لمن يرفض العمل من المرشدين تحت الادارة المصرية ، ثم هدد بفقدان المرشدين الباقين لمعاشهم ٠

وكانت النتيجة خروج جميع المرشدين الأجانب عدا ١١ يونانيـا رفضت حكومتهم التصريح لهم بمغادرة موقعهم في هيئة قناة السويس ٠٠٠ وبذا أصبح المجموع ٥١ مرشدا انضم اليهم عدد مناسب من المرشدين السوفييت واليوغوسلاف واليونانيين والأمريكيين أيضا ولم تؤثر الضغوط الاقتصادية التي فرضتها بريطانيا وفرنسـا على مصر حيث كانت تدفع بواخرهم رسومها في لندن ، دون ان تمنعها الادارة المصرية من المرور ، تفاديا لحدوث أزمة مفتعلة ٠

وكان جمال عبد الناصر قد قدر أن نجاح التأميم وسيطرة مصر على القناة يتأكد اذا مضى شهر دون تدخل البريطانيين ٠٠٠ قال ذلك للوزراء أثناء اجتماعهم به قبيل خطبته يوم ٢٦ يوليو ٠ وقال أيضا ان البريطانيين حسب المعلومات المتوفرة لديه لن يهاجروا قبل شـهرين ، كما استبعد احتمال تدخل اسرائيل وذلك ردا على استفسار أحد الوزراء ٠

وعندما تتابعت الأحداث ووصلت الى حد الدعوة لانعقـاد (نادى المنتفعين) في مؤتمر لندن الثاني يوم ١٩ سبتمبر ، أرسل بولجانين خطابا الى ايدن يقول له فيه ان الاتحاد السوفييتي يطلب تسوية سلمية مع النظر الى مصالح كل الدول التي يهمها الأمر ٠

وتساءل بولجانين في رسالته (كيف لا يبدى الاتحاد السوفييتي العطف على موقف مصر في الوقت الذى تدافع فيه عن سيادتها وأرضها الوطنيـة) ؟

تحققت الفكرة الأمريكية وانعقد نادى المنتفعين فى مؤتمر لندن الثانى. ... ومنه تقرر عرض الأمر على هيئة الأمم المتحدة ، تحقيقا لرغبة بعض الدول التى أرادت أن يساعد موقفها قرار فى الهيئة .

قدمت المذكرة بريطانيا وفرنسا دون أن توقع عليها الولايات المتحدة، وعرضت القضية يوم ٥ أكتوبر على مجلس الأمن الذى عقد جلسات سرية لمدة تسعة أيام ثم حولهـا الى علنيـة بعد قرار جماعى قائم على مبادىء ستة هى :

١ ــ أن تكون الملاحة فى القناة حرة ومفتوحة ودون تمييز .

٢ ــ أن تحترم سيادة مصر .

٣ ــ أن تكون ادارة القناة منفصلة عن سياسات أى دولة كانت .

٤ ــ ان تحدد رسوم القناة باتفاق بين مصر والمنتفعين بالقناة .

٥ ــ ان تخصص نسبة عادلة من العائدات لتحسين القناة وتطويرها .

٦ ــ فى حالات النزاع يسوى الأمر بالتحكيم .

واعتبر هذا الاتفاق نصرا لمصر التى أثبتت نجاحها فى ادارة القناة. وقال همرشولد بعد التصويت على المبادىء الستة للدكتور فوزى وزير خارجية مصر (انها نتيجة ممتازة فبعدما أنهى البريطانيون استعداداتهم العسكرية ضدكم ، مر القطار وفات المحطة) .

ولكن القطار لم يكن قد فات المحطة بعد .

كانت بريطانيـا وفرنسا قد قدمتـا توصيتين الأولى تقدم ضمانات للمنتفعين بالقناة هى فى مضمونها ما اقترحته الدول الثمانى عشرة والثانية توصى بفتح حركة المرور عبر القناة وفق معاهدة ١٨٨٨ هادفة بذلك السماح لاسرائيل لعبور القناة ... وكانت مصر تمنع المراكب الاسرائيلية من العبور رغم قرار مجلس الأمن الصادر فى أول سبتمبر ١٩٥١ بصورة رسمية ولو انها سمحت بمرور ٦٠ راكبا فى الفترة من ١٩٥١ الى ١٩٥٤ لمراكب اسرائيلية لا ترفع العلم الاسرائيلى .

استخدام شيبلوف وزير خارجيـة الاتحاد السوفييتى الفيتو ضـد التوصيات الانجليزية الفرنسية معتبرا ان فيهـا (قسرا لمصر على سلوك معين) .

وتقرر اجتماع وزراء خارجية انجلترا وفرنسا ومصر فى جنيف يوم ٢٩ أكتوبر لبحث أسلوب تغيير المبادىء الستة .

ولكن ٢٩ أكتوبر كان يوم العملية المدبرة سرا للعدوان الثلاثى على مصر •

لم يكن العدوان مفاجأة ، ولكنه كان مستبعدا فى تقدير عبد الناصر •

كل المعلومات كانت تشير الى استعدادات عسكرية تدبر لمهاجمة مصر •

١ ــ ثروت عكاشة الملحق العسكرى بفرنسا وصلته خطة تحركات القوات الفرنسية قبل العدوان بعشرة أيام عن طريق بعض الشيوعيين من المصريين الذين ابعدوا عن مصر وارسلها الى جمال عبد الناصر بخطاب خاص مع الملحق الصحفى عبد الرحمن صادق لتسليمه شخصيا الى جمال عبد الناصر ••• وقد كتبه بخط يده من نسختين فقط ، أرسل واحدة واحتفظ بالأخرى •

٢ ــ زكريا العادلى أمام الملحق العسكرى بتركيا وسفيرنا فى الصين والهند بعد ذلك عرف كافة أسرار الحشد العسكرى فى قبرص واسرائيل عن طريق بعض المندوبين الأتراك الذين أرسلهم الى هناك ، عقب ملاحظته ان الأتراك قد الغوا الأجازات وأعلنوا حالة الطوارىء القصوى ••• وأرسل نتيجة معلوماته برقية يوم ٦ أكتوبر تقول (ستوجه انجلترا وفرنسا انذارا نهائيا الى مصر يعقبه عدوان جماعى بالتعاون مع اسرائيل فى منتصف نوفمبر) ثم تبعها ببرقية أخرى تقول (رغم ان المعلومات عندى بأن الهجوم فى منتصف نوفمبر الا أن الظواهر تدل على انه سيكون قبل آخر أكتوبر) ••• أرسلها مع الملحق الادارى الذى سافر وعاد فورا ، وردت عليه المخابرات الحربية بأنه الملحق العسكرى الوحيد الذى أبلغهم مثل هذه المعلومات ••• ولما استشعر الخطر سافر بنفسه الى القاهرة يوم ١٩ أكتوبر ليبلغ عن أمرين ••• أولهما تدريب اسرائيل لفرد من عائلة الحوت لاغتيال جمال عبد الناصر ، والثانى تأكيد أخبار العدوان ••• وقد التقى زكريا بعبد الحكيم عامر وأبلغه بكل ما يعرفه دون أن يتلقى ردا شافيا ثم غادر القاهرة يوم ٢٧ أكتوبر دون أن تتاح له فرصة مقابلة جمال عبد الناصر رغم اصراره على ذلك •

٣ ــ عقب عودة صلاح سالم من لندن حيث كان هناك وقت انعقاد المؤتمر الثانى أبلغ جمال عبد الناصر بأن العدوان مؤكد وحتمى •

٤ ــ سرب الأمريكيون معلومات الى سفيرنا فى واشنطن بأن الجنرال كيتلى قد اختير لقيادة غزو مصر وانه يدرب رجاله فى قبرص •

وهكذا لم تكن احتمالات العدوان مجهولة ••• فان تصريحات ايدن أمام مجلس العموم كانت تشير الى ذلك عندما أوضح انه اذا رفضت

الحكومة المصرية تقديم القدر اللازم من التعاون معها فانها ستكون قد خرقت اتفاقية ١٨٨٨ (وفى هذه الحالة سيكون لحكومة جلالة الملكة والأطراف المعنية الأخرى حرية اتخاذ أية خطوات تراها لازمة أما عن طريق الأمم المتحدة أو بوساطة وسائل أخرى لضمان حقوقها) ٠

وتهديدات روبرت مانزيس بأن مؤتمر لندن الأولى لم يستبعد استعمال القوة قيلت لجمال عبد الناصر شخصيا ٠

وتصريح أيزنهاور فى مؤتمر صحفى عقد يوم ١٩ سبتمبر عندما سئل عما اذا كان سيؤيد بريطانيا وفرنسا اذا اضطرنا لاستخدام القوة فقال (ان هذه البلاد لا يمكن أن تخوض حربا ما دمت أتولى منصبى هذا الا اذا دعى الكونجرس للانعقاد وأعلن الحرب) ٠٠٠ دليل على ان احتمال العدوان الانجلو فرنسي كان واردا (وسحب فرنسا لسفيرها بالقاهرة بحجة ضبط سفينة مصرية تحمل أسلحة لثوار الجزائر) ٠

ولكن جمال عبد الناصر كان له تقدير خاص للموقف ، يوم ٢٢ يوليو أدلى به الى كينيث لوف فى حديث صحفى بعد ذلك بثمانى سنوات ، قال فيه انه (استبعد لجوء البريطانيين الى التحالف مع الاسرائيليين لاستعادة القناة بالقوة لأنهم يعرضون مراكزهم ومصالحهم فى الشرق الأوسط للخطر ٠٠٠ أما بالنسبة لفرنسا فكانت غير راضية عن حلف بغداد وكنت أعتقد أنهم منهكون فى الجزائر بما لا يسمح لهم بالحملة ضدنا ٠٠٠ أما الأمريكان فكان انطباعنا انهم لن يلجأوا اطلاقا الى استعمال القوة) ٠

وتقدير الموقف الذى نشره محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) والمؤلف من ١٤ نقطة يظهر مختلف الاحتمالات ، ولكنه يخلق تناسبا عكسيا بين الزمن واحتمالات العدوان ٠٠٠ كلما مضى الزمن قل احتمال الغزو ٠٠٠ وانه اذا مضى شهر على التأميم فانه سيكون فى أمان من الغزو ٠

ويقول هيكل فى نفس الكتاب انه (لما تمت الموافقة على المبادىء الستة قرر الرئيس عبد الناصر ان نسبة خطر الغزو قد انخفضت الى ١٠ فى المائة بل انه استبعد عمليا احتمال الغزو) ٠

لم يتحقق استنتاج جمال عبد الناصر من تقدير موقفه ٠٠٠ وفوجىء يوم ٢٩ أكتوبر بخبر يقول ان الاسرائيليين قد أعلنوا انهم أرسلوا طابورا مدرعا الى سيناء للقضاء على الفدائيين ثم أعلنوا فى نفس الليلة أن قواتهم تقترب من قناة السويس ، وذلك عندما ارسلوا قوات المظلات الى ممر متلا ٠

واجه أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى اجتمع بهم جمال عبد الناصر الموقف على انه هجوم اسرائيلى فقط ٠٠٠ لم يشذ أحد منهم برأى خاص ، ولم يحاول أن يربط بين ذلك الهجوم واستعدادات انجلترا وفرنسا لغزو منطقة قناة السويس ٠

ويقول زكريا محيى الدين ان المعلومات عن احتمالات غزو انجليزى فرنسى لم تستبعد تماما ، وانما نظر اليها على انها محاولة خداعية لصرف النظر عن غزو اسرائيلى ولذا فانه عندما بدأ الغزو الاسرائيلى بدا الأمر كما لو ان تقدير موقفهم كان سليما ٠

ومع ذلك فان خطة الجيش كانت قد وضعت على أساس عدم استبعاد احتمال الغزو البريطانى الفرنسى نهائيا ، بل ان الخطة الدفاعية قد أعدت على أساس احتمالات انزال فى بورسعيد أو الاسكندرية ٠٠٠ وكان احتمال الاسكندرية أكثر ترجيحا لقربها من القاهرة مركز الحكم اذا كانت نية الهجوم هى القضاء على النظام ٠

وهنا يجب ملاحظة أن قوات الجيش المصرى كانت ما زالت فى مرحلة الانتقال من جيش لا تتوفر له الأسلحة الحديثة ، ولا تنظم وحداته على أساس التشكيلات القتالية بل على أساس أسلحة متباعدة غير مترابطة (مدفعية مشاة ـ مهندسين الخ) كما كان قبل الثورة ٠٠٠ الى جيش بدأت تتدفق عليه الأسلحة السوفيتية الحديثة وما يتبعها من تنظيم جديد وعقيدة قتالية جديدة ٠

كان الجيش فى رحلة الانتقال غير مستقر على أرض ثابتة من نواحى التسليح والتدريب والتنظيم والعقيدة القتالية أيضا ٠

وفى هذا الجو صدرت الأوامر للقوات المصرية المسلحة باحتلال ممر متلا بلواء مدرع ومهاجمته جوا ٠٠٠ وتحركت القوات فعلا ٠

ولكنه مع فجر اليوم التالى اتضحت الصورة الخافية ٠٠٠ ظهرت طائرات الاستطلاع البريطانية ، واستدعى السفيران المصريان فى لندن (سامى أبو الفتوح) وباريس (كمال عبد النبى) لمتابعة المسئولين فى وزارة الخارجية الانجليزية والفرنسية حيث تسلما انذارا جافا يطلب من كل من مصر واسرائيل أن توقف اطلاق النار وتنسحب عشرة أميال بعيدا عن جانب قناة السويس ، مع قبول مصر لقوات أنجلو فرنسية فى بورسعيد والاسماعيلية والسويس على أن يتم ذلك خلال ١٢ ساعه تنتهى فى الساعة ٦٫٣٠ من صباح الأربعاء ٣١ أكتوبر والا فان قوات المملكة المتحدة وفرنسا ستتدخل بأية قوة تحتمها الضرورة لتامين تنفيذ ذلك ٠

كان التحرك الاسرائيلي والانذار الانجلو فرنسي خيوطا مشتركة في نسيج واحد ، وخطة مدبرة لغزو مصر والاطاحة بنظامها الذى أخذ خطوات تقدمية غير منتظرة هزت من ثبات الاستعمار في المنطقة •

نبتت رغبة اسرائيل في العدوان عقب حصـــول مصر على الأسلحة السوفيتية ، فقد استدعى بن جوريون موشى ديان في أكتوبر ١٩٥٥ بعد أيام من اعلان الصفقة واعلان اقامة قيـادة عسكرية مشتركة بين مصر وسوريا في ١٩ أكتوبر ١٩٥٥ وكلفه باعداد خطة الحرب قائلا في صراحة (لابد ان يسقط النظام في مصر قبل ان تصل الأسلحة الروسية) •

يقول موشى ديان في مذكراته (اجتمعت مع بن جوريون في حجرته بفندق هاناس) بالقدس ••• وفى نهاية الحديث أمرنى باعتباره وزيرا للدفاع أن أكون مستعدا لاحتلال مضايق تيران مع شرم الشيخ ورأس نصرانى وجزيرتى تيران ـ صنافير ـ بغض تأمين الملاحة الحرة في خليج العقبة والبحر لأحمر) •

أعد موشى ديان الخطة وعرضت على مجلس الوزراء الاسرائيلي في ديسمبر ١٩٥٥ وتحدد موعد الهجوم بعد شهر من بدء العام الجديد ••• ولكن مجلس الوزراء رفض الموعد قائلا انه لابد من وجود مبرر ••• وقال ديان (وكان من السهل خلق المبرر) •

وحصلت اسرائيل خـلال هذه الفترة على طائرات مستير ٤ التى تنتجها فرنسا لحلف الأطلنطى وذلك بعد موافقة ايزنهاور ودالاس التى حملها مبعوثهما الخاص (هربرت هلرى) •

وكتب بن زوهار مؤرخ حيـاة بن جوريون الرسمى يقول (كانت أزمة السويس بعدئذ طارئة وهى لم تغير في شيء من خطط اسرائيل الذى كانت ستهجم على أية حال ولكنها سهلت لها أصعب الأمور ، السـلاح والحلفاء وطبعا المبرر) •

وكانت خطة بريطانيا العودة الى منطقة قناة السويس وقاعدتها بأى ثمن ، وقد ثبت ذلك من تعليمات حصلت عليها المخابرات المصرية في منطقة القناة مرسلة من رئاسة القوات في لندن الى قيـادة القوات في القناة ، وذلك عام ١٩٥٦ وفيها تشير الى ضرورة عمل مخابىء تحت الأرض في ٦ معسكرات لتكون مخازن تخزن فيها الأسلحة والدبابات والمدفعية الباقية في منطقة القناة ولا ترحل ••• وتشير التعليمات الى ضرورة حفظ علاقات طيبة مع بعض العملاء واحتمال عودة القوات خلال الشهور الستة الأولى بعد الانسحاب •

وعندما علم جمال عبد الناصر بهذه التعليمات توجه سرا مع ضابط المخابرات المسئول الى منطقة القناة حيث أمضى الصباح فى منزله ثم نزل ليلا بنفسه ليتفقد المخازن السرية ووجد مدخلها من أحد المكاتب الى دهليز ثم سلم حديد ينزل الى عمق ٥ أمتار ، ثم يمتد بطول نصف كيلو واتساع ١٠ أمتار وهو ملىء بالمدافع المشحمة وصناديق الذخيرة ٠

ومع ذلك كانت ردود الفعل عند جمال عبد الناصر هادئة ٠٠٠ أوقف عمليات الفدائيين فى غزة تحاشيا لاستفزاز الاسرائيليين وخلق مبرر لهم للهجوم ٠٠ كما صرح للخبراء البريطانيين بسحب الذخيرة من قاعدة القناة وارسالها للخارج دون اعتراض وذلك تنفيذا لبنود الاتفاقية وحرصا على عدم التصادم رغم علمه بأنها قد تستخدم فى غزو جديد لمصر ٠

واجتمع مجلس الوزراء مساء نفس اليوم - ٣٠ آكتوبر - واتخذ قرارا برفض الانذار بعد ان اتفق الرأى على ذلك سوف يكون عودة للاحتلال ، كارثة على مصر ٠٠٠ واستدعى سير هنرى تيليان وأبلغه رفض مصر ٠

وتحول جمال عبد الناصر كلية الى مواجهة الموقف العسكرى ٠٠٠ وتغير تقدير موقفه بعد ان ظهرت كل خيوط المؤامرة ، ووجد ان ارسال قوات الى سيناء يعنى التضحية بها بين القوات الاسرائيلية من الشرق والقوات الانجليزية الفرنسية المشتركة التى تستهدف احتلال القنال فتحصرها من الغرب ٠

وكان جمال عبد الناصر حتى ذلك الوقت قريب العهد من عمله مدرسا فى كلية أركان الحرب كما كان عنده أيضا الحس الشعبى الذى انفعل به من تعاطف الجماهير وتأييدها الجارف ٠٠٠ ولذا قرر سحب قوات الجيش الى منطقة القناة لتقف مع الشعب فى دفاعه عن حريته وقناته ٠ بدلا من دفعها الى سيناء وهى ١/٨ مساحة مصر كلها والقوات المتيسرة ليست كافية للدفاع عنها فى ظروف تفرض الصحراء فيها متاعب ادارية وفنية كبيرة ٠

ولم يدرك عبد الحكيم عامر للوهلة الأولى فكرة عبد الناصر من الانسحاب ، وظل فى مناقشة عاصفة معه طوال الليل مما أخر سحب الدبابات قليلا ٠

وحدث خلاف جديد بين جمال عبد الناصر وبين العسكريين من رجال الجيش الذين تصوروا أن التحام الشعب بالجيش يكون بسحب القوات الى غرب القناة حيث تزيد كثافة السكان ونقلوا مركز الرئاسة الى الزقازيق فعلا ٠ ولكن جمال عبد الناصر أوضح لهم انه لا يجوز ترك القناة

عارية بلا دفاع لأن ذلك يسهل للمهاجمين اقتحامهـــا دون عناء وانهم سيقفون عند حدود ذلك دون رغبة فى اقتحام الدلتا أو الوصـــول الى القـاهرة ٠

لذا كان الانذار البريطانى الفرنسى بمثابة صدمة كهربائية أفاقت كل الحواس وأظهرت الأمر الواقع ، ووضعت جمال عبد الناصر فى مواجهة احتمالات خطيرة ٠

وثبت فيما بعد ان خطة العدوان قد وضعت اللمسات النهائية فيها خلال اجتماع أحيط بسرية شديدة وتم فى ضاحية سيفر قريبا من باريس فى الفترة من ٢٢ أكتوبر الى ٢٤ بين بن جوريون وموشى ديان وسلوين لويد وزير الخارجية البريطانيـة ، وجى موليه رئيس وزراء فرنســا وكريستيان بينو وزير خارجيتها ٠

تمت اجتماعات سيفر فى الوقت الذى كان أعضـــاء مجلس الأمن ينهكون فيه أنفسهم ببحث موضوع التأمين وتوصلوا فيه الى النقط التى اختاروا ٢٩ أكتوبر موعدا لاجتماع جنيف بين وزراء خارجية مصر وفرنسا وبريطانيا ٠٠٠ ولكن اجتماع سيفر اختار هـذا التاريخ موعدا للعدوان وليس موعدا لاجتماع من أجل السلام ٠

ووقع الاختيار بعد مناقشـــة خطة (شال) الفرنســية وخطة (موسكتير) البريطانية التى وضعها جنرال ستوكويل ، على اختيار الخطة البريطانيــة بعد تعديلات بسيطة أدخلت عليهـــا وسميت (موسكتير الجديدة) ٠

وكان الهجوم الاسرائيـــلى فى الموعد المقرر ٠٠ والانذار الفرنسى البريطانى المشترك تبعا للخطة الموضوعة والتوقيت ٠

الغريب ان بن جوريون صرح بعد اجتمـاعات سيفر بأنه يســعى للسلام ويود ان يجتمع مع جمال عبد الناصر بشأن عقد تسوية فى الوقت الذى كانت فيه كل خيوط المؤامرة قد نسجت ٠ وذلك تبعا لما ورد فى حديث لعبد الناصر يوم ٢٥ ابريل ١٩٦٠ ٠ ـ

واستقرت الخطة الدفاعيـة على أساس تفكير جمال عبد الناصر ، وأعدت خطة الدفاع عن القناة ، وبدأ التنسيق بين القوات المسلحة وبين جيش التحرير الشعبى الذى شكل وعين كمال الدين حسين قائدا له فى ٩ أغسطس ١٩٥٦ ، واتخذ من مدينة الاسماعيلية مقرا له ٠٠٠ وعندما بلغ جمال عبد الناصر ان عملية الانسحاب قد تمت قال (شعرت على الفور ساعة أخطرت أن مصر كسبت المعركة حين أحبطت خطة العدو ٠٠٠ ولو ان قرار الانسحاب قد تأخر ٢٤ ساعة فقد كان الأمر كله قد انتهى) ٠

تباينت في مواجهة العدوان ردود فعل أعضاء مجلس القيادة الذين لم يكن يجمعهم شكل تنظيمي ولكن جمال عبد الناصر كان دائم الاستشارة لهم ، حريصا على الارتباط بهم من موقعه الشرعي رئيسا للجمهورية ... وقد ظهر التباين في أوضح صورة بعد بدء الغارات البريطانية على المطارات الحربية يوم ٣١ أكتوبر .

كان عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة غير مؤهل فى شخصيته لتولى هذا المنصب الخطير ، ولكن جمال عبد الناصر عينه فيه خلال أزمة التناقض مع محمد نجيب ليضمن السيطرة على الجيش لثقته من ولاء عبد الحكيم له باعتباره صديق عمره والذى كان يسكن معه فى سكن واحد قبل الزواج .

ولذا فان مواجهة عبد الحكيم عامر للعدوان لم تكن ايجابية ولا ديناميكية ... وشخصيته الطيبة المحبوبة لم تكن ذات تأثير نافذ فى ظروف المعركة ... كان تحريكه للقوات واعداده للخطط . رغم استعانته حتى ذلك الوقت فى مكتبه بعدد من خيرة الضباط أركان الحرب ، لم يكن متناسبا مع خطورة الموقف ... فأصدر أمرا لمحمد رياض محافظ بورسعيد بتولى قيادة القوات المسلحة فى بورسعيد وهو مدنى متخرج فى كلية الحقوق ، كما ان مساعده قائد القوات الجوية محمد صدقى محمود ترك طائراته فريسة للهجوم وهى رابضة على الممرات الجوية دون تحليق ، مما أدى الى تحطيمها فعلا فى يوم واحد ، رغم ان خطة المعتدين قد قدرت لذلك يومين .

أما صلاح سالم فقد كان رد الفعل عنده أكثر وضوحا ... صارح جمال عبد الناصر وقنابل البريطانيين تتساقط فوق المطارات ومحطة الاذاعة وبورسعيد بأنه قد أدى دوره وخدم بلده فى حدود قدراته ، وان عليه أن يذهب الى السفير البريطانى ويسلم نفسه له لأنهم يطلبونه شخصيا كما قال ايدن .

والتفت جمال عبد الناصر الى زملائه بهدوء وبلا انفعال يسألهم عما اذا كان هناك أحد يتفق مع صلاح فى الرأى ... ولكن أحدا لم يكن معه .

وقد برر صلاح سالم هذا الموقف فيما بعد بأنه لم تكن عنده أية فسحة من الأمل فى مقاومة عدوان ثلاثى على مصر فى وقت لم يكن الجيش فيه قد استكمل معداته أو تدريبه أو تنظيمه ... وانه كان فى موقف الاختيار بين جمال عبد الناصر وبين مصر ... فاختار مصر .

لم يتخذ جمال عبد الناصر موقفا فوريا من صلاح سالم الذى ذهب الى القيادة العامة للقوات المسلحة حيث دارت بينه وبين عبد اللطيف وعبد الحكيم عامر مناقشة حول موقفه انتهت الى قيامه ولبسه ملابس جندى المراسلة الذى يقدم القهوة وصدور تعليمات له من عبد الحكيم عامر بالذهاب الى السويس ليكون مسئولا عن المقاومة الشعبية فقام من فوره وسافر اليها دون أن يتوجه الى منزله ٠

قال جمال عبد الناصر فيما بعد ان أكثر من اثنين من أعضاء مجلس القيادة أظهرا حماسا وتأييدا لاقتحام المعركة كانا عبد اللطيف بغدادى وزكريا محيى الدين ٠

ويقول عبد اللطيف البغدادى انه ظل ملازما جمال عبد الناصر فى كل تحركاته الى الحد الذى جعلهما ينامان فى غرفة واحدة بمبنى مجلس قيادة الثورة طوال مدة العدوان ٠

وتفرغ زكريا محيى الدين للسيطرة على الموقف الداخلى واعداد المقاومة السريه ٠

كان جمال عبد الناصر قد قرر أن يقاتل ولا يستسلم ٠٠٠ أعلن ذلك من منبر الجامع الأزهر المكان الذى خرجت منه المظاهرات الوطنية على مدى التاريخ ٠٠٠ بصوت متحشرج فقد كانت الانفلوانزا قد داهمته قبل العدوان وسمعه الملايين من العرب يقول (أنا فى القاهرة سأقاتل معكم ضد أى غزو والى آخر نقطة دم ٠٠٠ سأبقى فى القاهرة مع أولادى ٠٠ لن نستسلم ابدا ، سنبنى بلدا وتاريخا ومستقبلا ٠٠٠ وسننتصر) ٠

ومع ذلك اجتمع عدد من رجال الأحزاب وقرروا مطالبة جمال عبد الناصر بالتنحى عن منصبه لأن العدوان يستهدفه أكثر مما يستهدف مصر ٠٠٠ ولكنهم لم يجدوا من يجرؤ على رفع هذا الطلب اليه ٠٠٠ كانوا كمن يبحث عمن يضع الجرس فى رقبة القط ٠

وصل هذا الخبر الى اجهزة الأمن المصرية عن طريق أحد الذين حضروا الاجتماع والذين كان قد استقر رأيهم على تكليف سليمان حافظ بمقابلة جمال عبد الناصر ٠

لم تتم المقابلة لأنه صدرت أوامر اعتقال الذين حضروا الاجتماع وهم سليمان حافظ ومحمد صلاح الدين ٠

واعتقل معهم عدد من السياسيين السابقين مثل فؤاد سراج الدين وابراهيم فرج حيث بقوا فى المعتقل حتى أفرج عنهم فى منتصف فبراير ١٩٥٧ ٠

وقد استدعى هذا الموقف من رجال الأحزاب ، موقفا آخر من اللواء محمد نجيب الذى كانت اقامته ما زالت محدودة فى فيلا زينب الوكيل حرم مصطفى النحاس بالمرج ، وكان يعيش حياة قاسية بعد أن انتزع بعض ضباط الشرطة العسكرية أثاث منزله وحرموه من كتبه ومذكراته وأصدقائه •

صدرت الأوامر بنقل محمد نجيب الى طما فى جنوب الصعيد ليكون بعيدا عن القاهرة فى حالة ما اذا حاولت قوات العدوان الاستعانة به اذا انتصرت ••• وكانت الرحلة شاقة وقاسية وعومل فيها معاملة لاتليق بقائد ثورة ورئيس جمهورية وضابط برتبة لواء ••• وكان ذلك بتصرف ذاتى من بعض صغار الضباط الذين لا يرون فى أنفسهم الا أدوات تعذيب وامتهان دون تفكير ••• واستمر محمد نجيب فى هذا المكان القصى فى منزل محام قريب لأحمد أنور مدير الشرطة العسكرية حتى تم الجلاء الثانى ، وعاد الى تحديد الاقامة من جديد فى منزل المرج •

واذا استثنينا محمد نجيب الذى لم يأخذ موقفا مضادا لقيادة جمال عبد الناصر ولم يصدر منه تصريح مضاد ، ولم يكن فى ظروف تسمح له بالتعبير عن رأيه ••• فاننا نجد ان موقف السياسيين السابقين الذين هرعوا للاجتماع ومطالبة عبد الناصر بالتنحى •• وموقف صلاح سالم فى الوهلة الأولى ، وموقف عبد القادر حاتم الذى كان مسئولا عن مصلحة الاستعلامات ، والذى نبهه جمال عبد الناصر الى ان مسئوليته هى رفع معنوية الجماهير ، وليس التحذير من خطر العدوان لما حادثه فى ذلك كما يرويه انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) •

موقف هؤلاء يدل على عدم سلامة تقديرهم لظروف مصر فى مواجهة العدوان •

كان جمال عبد الناصر خلال الفترة التى اعقبت خروج محمد نجيب قد استطاع أن يؤكد زعامته الوطنية وان يشق طريقا تقدميا للجماهير ، يثبت فيه معالم بارزة مثل قرارات باندونج والانتصار فى معركة الاحلاف• وصفقة الأسلحة وابراز دور القومية العربية وتأميم القناة ••• ومن هنا اكتسبت شخصيته ثقة الناس ••• وتخلى الكثيرون عن ارتباطاتهم الحزبية القديمة ووجدوا فيه بديلا ثوريا معبرا عن ارادة الملايين من أبناء الأمة العربية •

وبذا لم يعد الفصل سهلا أو ممكنا بين شخصية جمال عبد الناصر وبين الشعب •• وسقطت الدعاية الاستعمارية التى حاولت فى ذلك الوقت

ان تظهر فى مظهر الديكتاتور ٠٠ فهو لم يكن فى هذه الفترة قد أصبح حاكما مطلقا بعد ، ولكنه كان قائدا يقود الجماهير فى سلم الصعود ٠

كان تصورا فى تفكير هؤلاء الساسة المشتركين فى الاجتماع ، وتصوروا بأنهم قادرون فى مرحلة المد الوطنى ان يركبوا الموجة من جديد ٠

بدأ العدوان الذى استبعد جمال عبد الناصر احتمال وقوعه اذا تأخر عن التأميم شهرا ٠٠٠ وقع بعد ثلاثة شهور نتيجة للظروف السياسية التى سبق توضيحها ونتيجة أيضا لبعض المشاكل العسكرية البريطانية ، الأمر الذى اجبرهم على تأجيل الخطة التى وضعت وصدق عليها فى أواخر يوليو ١٩٥٦ ٠

كان هناك نقص فى جنود المظلات البريطانيين ونقص فى عدد الطائرات التى تحملهم ونقص ثالث فى عدد السفن حاملة الجنود ، مما اضطر الانجليز الى الاعتماد على الفرقة الفرنسية العاشرة من جنود المظلات بعد ادماج الالاى ١٦ البريطانى معها ٠٠٠ كما ان القيادة البريطانية اضطرت الى اتخاذ جزيرة مالطة مركزا للعمليات بدلا من قبرص التى لا تصلح عمق موانيها لاستقبال بواخر الانزال والمسافة بينها وبين بور سعيد ٩٠٠ ميل تستغرق أيام كما ورد فى مذكرات ايدن ٠

بدأت العمليات فى ظروف معارضة متزايدة للحكومة البريطانية ، كانت وزارة الظل لحزب العمال قد أعلنت انها لا تبرر استخدام القوة الا بقرار من الأمم المتحدة ومعنى ذلك رفض الموافقة على استخدام القوة كما أن دعوة الأحتياط للجيش آثار تيارا من المعارضة ظهر على صفحات الصحف ، وقامت المظاهرات ضد ايدن أثناء تحركاته فى لندن كما قال فى مذكراته يوم هاجمته الجماهير يوم عيد زواجه ٠٠٠ ولم يساند ايدن حضور تشرشل زعيم حزب المحافظين السابق جلسة مجلس العموم ٠

كانت خطة الغزو مقسمة الى ثلاث مراحل ٠٠٠ الأولى ضرب المطارات والطائرات والسفن التى قد تسد القناة ٠٠٠ والثانية ضرب الأهداف والمنشئات العسكرية بقصد تدمير أى دفاع منظم ٠٠٠ والثالثة انزال جنود المظلات من قبرص ثم وصول القوات بعد ذلك من مالطة بعد ٢٤ ساعة على ان تستغرق العملية منذ الطلقة الأولى الى احتلال منطقة القناة فترة لا تزيد عن عشرة أيام الى أسبوعين أى من ٧ الى ١١ نوفمبر ٠

كانت الخطة بطيئة نوعا ما تخشى مفاجأة وجود عدد من الخبراء السوفييت يقودون الطائرات أو المدرعات المصرية ، خاصة وانه كانت هناك معلومات بأن مصر كانت قد تلقت غواصتين سوفييتيتين كما ذكر ايدن فى

مذكراته • ويذكر الدكتور مصطفى الحفناوى انه كان قد أرسل خطاباً يرجو دعم السلاح البحرى بغواصتين بعد التأميم لحماية مداخل القناة من خطر اغراق الاعداء لبعض السفن فيها •

ولكن الظروف هى التى اجبرت مصر على سد القناة عندما تحركت فى منطقة البحيرات المرة ست من سفن الشحن محملة بالاسمنت لاغراقها فى القناة عند بدء الغزو ، وعلم الانجليز بها فأغاروا عليها لمنعها من ذلك ، ولكن واحدة منها نجحت فى سد القناة سدا محكما ونجحت الأخرى بتشكيل حاجز جعل العبور فى القناة مستحيلا •

وتشعب أثر العدوان فى عدة اتجاهات ••• العمليات العسكرية والصراع السياسى فى هيئة الأمم ومواقف التأييد العربية ، وموقف الاتحاد السوفييتى ثم موقف الولايات المتحدة ودول عدم الانحياز •

واذا كانت مصر قد تلقت الانذار وحدها فان ردود الفعل فى معظم انحاء العالم كانت تساندها وتشد من أزرها •

فى العمليات العسكرية توقف الهجوم الاسرائيلى بعد الانذار الانجلو فرنسى بعيدا عن القناة تبعا للخطة المشتركة ، وواصلت الطائرات البريطانية عملياتها التمهيدية تنفيذا للخطة التى قادها من قبرص جنرال تشارلس كفيلى مع الاميرالد الفرنسى جيير بارجو •

وعرضت القضية على مجلس الأمن صباح ٣٠ أكتوبر ، وقدم هنرى كابوت لودج مندوب أمريكا مشروع قرار بانسحاب اسرائيل الى ما وراء خطوط الهدنة ، ولكن انجلترا وفرنسا استخدمتا حق الفيتو لأن ايدن اعتقد انه (كان هدف أمريكا من هذه الحركة هو أخذ الموضوع فى يدها بدلا من فرنسا وبريطانيا وجعل النداء الذى وجهناه الى مصر واسرائيل لا داعى لـه) •

واستخدم البريطانيون والفرنسيون الفيتو مرة أخرى فى مشروع قرار سوفييتى ، وحاولت يوغوسلافيا والهند نقل الموضوع الى هيئة الأمم التى كانت تضم ٨٠ دولة فى ذلك الوقت ويتسع فيها المجال لادانة العدوان ••

وصدر فعلا من الجمعية العامة قرار من ٦٤ دولة بوقف اطلاق النار وانسحاب القوات الأجنبية ، ولكن لم تكن له قوة التنفيذ وانفجر الموقف فى البلاد العربية كما لم يحدث من قبل ••• عندما ضربت محطة اذاعة القاهرة فى أبو زعبل يوم ٢ نوفمبر ، أعلنت عمان ودمشق من محطاتهـا

(هنا القاهرة) ··· واتصل الملك حسين بجمال عبد الناصر قائلا انه سيهاجم اسرائيل ولكن جمال أوضح له ضخامة المؤامرة وطلب منه التريث. وكان الموقف في الأردن مواتيا فقد تولى سليمان النابلسي رئاسة الوزارة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦ بعد نجاح القوى الوطنية في الانتخابات وقطعت الأردن والعراق علاقاتها السياسية مع فرنسا كما قطعت السعودية وسوريا علاقاتهما السياسية مع كل من انجلترا وفرنسا ودمر العقيد عبد الحميد السراج قائد المكتب الثاني السوري (المخابرات) ونائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة فيما بعد انابيب ضخ البترول التابعة لشركة بترول العراق ··· وذهب شكري القوتلي الذي كان قد انتخب رئيسا لجمهورية سوريا في سبتمبر ١٩٥٥ الى موسكو في زيارة معدة من قبل ، وناقش مع خروشوف وبولجانين والماريشال زوكوف ضرورة التدخل العسكري لنجدة مصر ، ونصحه هؤلاء بضرورة استنفاذ كافة الوسائل القانونية والسياسية المتاحة في هيئة الأمم المتحدة ، حتى يصبح التدخل هو السهم الأخير ·

وتحدد موقف مصر في المقاومة دون الاستسلام وقال جمال عبد الناصر (صدرت الأوامر بتوزيع السلاح وعندنا منه الكثير وسنقاتل في معركة مريرة من قرية الى قرية) ·

الاتجاه الى الشعب كان تفكير جمال عبد الناصر في وقت الأزمة ، كما حدث عندما اعتقد ان جورج الين وكيل وزارة الخارجية الأمريكية سيقدم له انذارا بعد صفقة السلاح ، وقرر المقاومة السرية ·

كان زكريا محيي الدين هو المسئول عن اعداد ترتيبات المقاومة السرية ··· وقد بدأ فعلا في اتخاذ الاجراءات الضرورية مؤكدا انه لم يكن هناك خطر على اشتراك أي قوة سياسية في هذه المعركة الوطنية ، وانه لم تتخذ أية اجراءات أمن الا ضد بعض السياسيين القدامى الذين سبق ذكرهم مع محمد نجيب الذين كان يمكن أن يكونوا أوراقا يلعب بها الاستعمار من جديد ·

كانت هناك ٤٨ ساعة حاسمة اتخذت فيها كافة ترتيبات المقاومة السرية من اعداد عربات بنمر مدنية ، وأوراق تحقيق شخصية مزيفة ، واجهزة لطبع أي منشورات أو مجلات وحتى جوازات السفر ، وأجرت بعض الشقق بأسماء مستعارة ، كما كلف بعض الأفراد بتشكيل هيكل للتنظيم السري ، واعدت أجهزة اتصال لاسلكي ، ومخازن سرية للسلاح ، ومعدات وأدوات للتفجير ·

كانت الاستعدادات تسير في هذا الاتجاه بجدية شديدة دليلا على الاصرار على القتال وعدم التسليم ، ولكن عندما أجبرت الظروف قوات

المعتدين بوقف اطلاق النار ، تغير التفكير فى معالجة الموقف وأصبحت المقاومة من موقع السلطة ... ووضعوا جانبا المدافع الرشاشة التى كان كل منهم يتحرك بها .

وينفى زكريا محيى الدين ما ذكره انطونى ناتنج فى كتابه من انهم اعدوا حبات من سباتيد البوتاسيوم للانتحار بهما وقت الحاجة ، وقال انه كان هناك اقتراح بذلك ولكنه رفض باعتبار الانتحار ضد الدين الاسلامى ، وانهم طالما يدافعون عن قضية عادلة فعليهم ان يتحركوا والمدافع فى ايديهم .

وارسلت مصر فى نفس الوقت بيانا لكل الدول تقول فيه :

(فى هذه اللحظة الحاسمة تناشد مصر العون من المتطوعين والأسلحة وغير ذلك من كل أولئك الذين ما زالوا يحترمون فى جميع أنحاء العالم كرامة الانسان وحكم القانون فى العلاقات الدولية ... ان شعب مصر يخوض معركة البقاء والشرف ، وهو لا يقاتل من أجل نفسه وبلده فقط ، بل هو يقاتل من أجل العالم المتحضر كله) .

انتقلت المعركة مع الاستعداد العسكرى الى الساحة الشعبية أيضا ... وبدأت حركة المقاومة مع انزال البريطانيين لجنود المظلات فى بورسعيد يوم ٥ نوفمبر ، وأسهم فيها الشيوعيون الذين كان قد أفرج عن آخر المعتقلين منهم بعد تأميم القناة ... وبدأت تتكون مجموعات من العسكريين والشيوعيين والسياريين معا .

وكانت فى بور سعيد من قوات الجيش اللواء ٧ والكتيبة ٤ المشاة الى جانب المدفعية الساحلية والمضادة للطائرات .. ولكن عندما نزلت القوات البريطانية فى الجميل تبعثرت القوات العسكرية نتيجة انهيار القيادة المسئولة ــ قائمقام عبد الرحمن قدرى ــ وأصدر قائد المحطة ــ اميرالاى صلاح الموجى ــ الأوامر بوقف اطلاق النار ثم الغائها بعد ذلك ، وفشل قائد المقاومة الشعبية ــ صاغ غريب الحسينى ــ وقائد جيش التحرير الشعبى ــ صاغ عبد المنعم الحديدى ــ فى اقناع الجماهير بالتحرك معهم لبعدهم عن فهم روح الشعب الحقيقية ثم هربهم بعد ذلك من بورسعيد ... وقد تم فصل هؤلاء الضباط الأربعة من الجيش بعد انتهاء المعركة...

وعندما تشتتت القوات وغلبت الحيرة صغار الضباط طلب حمدى عبدو ومحمد أبو نار من الضابط منير موافى الذهاب لمقابلة شمس بدران مدير مكتب عبد الحكيم عامر الذى كان يفتش على الحرس الوطنى فى المنصورة ، وقال له ان الحل الوحيد هو السماح للشيوعيين بالدخول الى

بور سعيد لانهم أقدر من غيرهم على فهم نفسية الجماهير والتعامل معهم ٠٠٠ وقد رجع شمس بدران الى القاهرة ثم وافق على ذلك ، ورفع الحظر بعدها عن تحركات الشيوعيين ٠

ويقول محمد أبو نار ان رجال المباحث العامة خلال القتال كانوا يراقبون تحركات الشيوعيين في الوقت الذى هرب فيه قائد المباحث العامة من بور سعيد وسلم البوليس أسلحته كاملة ٠٠٠ ويقول أيضا ان الانجليز كانوا يقبضون من سجلات البوليس على الشيوعيين والاخوان المسلمين ٠

طالب الناس بالسلاح منذ أول لحظة فى عدوان اسرائيل ، ولكن تعطل ذلك لكى يتم تحت اشراف المباحث العامة بشكل روتيني ومظهرى وغير فعال ، ورغم الغارات على بور سعيد فان عددا قليلا من السلاح كان قد تم توزيعه ٠

ولكن مع هبوط جنود المظلات ووصول قطار محمل بالسلاح والذخيرة الى محطة بور سعيد بدأ توزيع السلاح على الأهالى دون نظام ٠٠٠ السلاح فى الشحم والناس غير مدربة أو منظمة تتحرك وراء اى صوت يدعوها للهجوم على العدو فى أى مكان ، الأمر الذى قلل من فاعليتها وعرضها لبعض الخسائر ٠

وهكذا تم توزيع السلاح على الشعب فى اللحظة الأخيرة وكأنه طوق نجاة يلقى لغريق ٠

كان فى مقدمة العسكريين كمال رفعت وحمدى عبيد ومحمد أبو نار ومحمد فايق وسعد غفره ومنير موافى وصلاح زعزوع وفى مقدمة الشيوعيين واليساريين عبد المنعم شتلا وأحمد الرفاعى وسعد رحمى ويوسف ادريس وحسن فؤاد وعلى الشلقانى وحرمه نانا سالم وأحمد عباس صالح ومحسن لطفى وابراهيم اجوج وأحمد مجاهد وعبد المنعم القصاص وأمينة شفيق وغيرهم ٠

ويقول محمد رياض محافظ المدينة الذى كان يقود بور سعيد اداريا من غرفة عمليات خشبية بدائية غير محصنة انه عندما استقبل الجنرال ستوكويل قائد القوات البريطانية رفض تسليم المدينة ، تنفيذا لتعليمات زكريا محيى الدين قبل العدوان لأن اتصالاته السلكية بالقاهرة كانت قد انقطعت مع بدء عمليات الانزال ٠ وقد أمضت المدينة أياما قاسية حيث رفض المحافظ قبول الأكل من الانجليز الذين فتحوا مخازن الترانزيت وتركوا الأهالى يأخذون منها ما يريدون بينما كاميرات السينما والتليفزيون تسجل المشهد للدعاية فى الخارج بينما دماء القتلى لم تكن قد جفت بعد ٠

كانت المقاومة الشعبية تقاتل فى بور سعيد بينما توقف الجيش عمليا عن القتال بعد انسحابه من سيناء ... واعداده للدفاع عن مدينة الاسماعيلية تحت قيادة كمال الدين حسين الذى استخدم قوات الجيش وقوات الشعب أيضا بالتنسيق مع اللواء على عامر القيادة الشرقية .

وفى السويس كان صلاح سالم قد حول المدينة الى حصن كله خنادق ودشم وجزاغل مما يجعل اقتحامها صعبا جدا على الغزاة . وتكلف فى ذلك ما يقرب من نصف مليون جنيه صرفت خلال أيام قليلة قبل أن يتوقف اطلاق النار . واعتمد فى ذلك على الجماهير بالدرجة الأولى .

وعلى قدر ما كان اصرار جمال عبد الناصر على القتال سببا فى الهاب حماس الشعب المصرى والأمة العربية والأحرار فى كل الدول ... على قدر ما كان قرار ايدن وجى دى موليه سببا فى تعرضهما لموجات عنيفة من النقد والمعارضة ووصلت المظاهرات ذروتها فى لندن وباريس بعد وصول أخبار الانزال بالمظلات ... وتحول ميدان الطرف الأخر الى كتل من البشر تهتف بسقوط ايدن وقاد الشيوعيون المظاهرات فى فرنسا ضد جى موليه .

ووصلت الضجة المعارضة فى مجلس العموم الى حد لم تعرفه التقاليد البريطانية من قبل ، وادان الخطباء هذا (العمل البوليسى) الشنيع ، ورفعت الجلسة لتهدأ ثورة الأعضاء .

كانت الحلقة تضيق حول ايدن وجى موليه ... تنفيذ الخطة لا يتم بالسرعة المطلوبة ... القناة أصبحت مسدودة ... الرأى العام العالمى يساند مصر ... الشعب البريطانى والفرنسى يثور ضد العدوان ... وزير الدولة انطونى ناتنج يستقيل احتجاجا يوم ٣ نوفمبر .. الولايات المتحدة تأخذ موقفا معارضا لانجلترا وفرنسا ... انقسم الكومنولث انقساما يهدد كيانه ... وهيئة الأمم تصدر قرارا بالانسحاب .

ولكن الأمور لم تصل غايتها الا مساء يوم ٥ نوفمبر عندما تبين لقادة الاتحاد السوفييتى انهم قد استنفدوا كل الضغوط السياسية والقانونية الممكنة فى اطار الأمم المتحدة وغيرها ، فأرسل المارشيال نيكولاى بولجانين رئيس الوزراء خطابا الى ايدن ، قال له فيه (ان الحرب فى مصر يمكن أن تتطور الى حرب عالمية ثالثة) ثم تساءل ...

(فى أى وضع كانت بريطانيا تجد نفسها اذا هاجمتها دولة أقوى منها ، تملك كل نوع من أنواع الأسلحة الحديثة الفتاكة ، وهناك اليوم دول لا تحتاج الآن لأن ترسل الأساطيل أو القوات الجوية الى شواطئ بريطانيا ، وانما تستطيع أن تستخدم وسائل أخرى كالصواريخ مثلا ، اننا عاقدو

العزم على استخدام القوة لسحق المعتدين واعادة السلام الى الشرق ونحن نأمل أن تظهروا الحكمة وتستخلصوا من هذا النتائج المناسبة) .

وأرسل بولجانين خطابا ثالثا الى بن جوريون مختلفا فى صيغته اذ قال له فى قسوة (أوضحت تصرفات اسرائيل قيمة كل التأكيدات الزائفة عن حب اسرائيل للسلام ورغبتها فى التعايش السلمى مع جيرانها العرب ، واسرائيل وهى تعمل لحساب الغير ووفق التعليمات التى تصدر اليها من سادتها وتلعب لعبا اجراميا وغير مسئول بمصير السلام وبمصير شعبها) .

أثار الانذار السوفييتى فزعا فى العالم الغربى كله ... وكان الاتحاد السوفييتى قد أطلق (سبوتنيك) وظهر تفوقه فى عالم الصواريخ على الولايات المتحدة ذاتها .. ولم يكن متوقعا ان يأخذ قادة الاتحاد السوفييتى هذا الموقف الصلب الحازم فى وقت تعرضت فيه المجر لثورة مضادة وطلب الحكومة فيها من القوات السوفيتية الانسحاب من المجر وكانت موجودة بحكم اتفاقيات حلف وارسو ...

انسحبت القوات السوفيتية فعلا ، وهلل الين دالاس رئيس المخابرات المركزية الأمريكية شقيق دالاس وزير الخارجية وقال (اننا نشهد معجزة وان الثورة الشعبية يمكن ان تقوم وتنجح بالرغم من كل القوات وكل الأسلحة الكبيرة والحديثة) وأضاف (أننا على حافة نصر عظيم عملنا له وانتظرناه طويلا) .

وتبين سريعا ان حركة المجر قد استهدفت ضرب الاشتراكية عندما ذهب الكاردينال مندزنتى رئيس الاساقفة والذى أصبح الزعيم الدولى للحركة الى الاذاعة وطالب بالغاء الاصلاح الزراعى ... وساد التردد والعجز أعضاء الحكومة المجرية الى أن انشق جناح تزعمه (جانوس كادار) وهو أحد المطالبين بالاصلاح وطالب القوات السوفيتية بالعودة والتدخل لانقاذ المجر الاشتراكية وأوروبا الشرقية عموما .

عادت القوات السوفيتية وقضت على المؤامرة خلال ساعات بثمن باهظ لم يكن هناك من سبيل لتفاديه ... وعجزت أجهزة دالاس عن الرد الا بحرب نووية شاملة لا يجرؤ على اعلانها عاقل .

عاد الهدوء الى المجر يوم ٤ نوفمبر ... وفى اليوم التالى مباشرة كانت انذارات بولجانين قد وصلت الى حكام دول العدوان الثلاثى ... وهكذا سقطت المؤامرة الأمريكية فى المجر ... وواجهت المؤامرة الثلاثية أعنف رد تعرضت له .

وصل الخطاب الى ايدن ومولیه فی مساء یوم ٥ بعد ان كان بولجانين قد أعلن مضمونه قبل وصوله وظهرت الصحف البريطانية والفرنسية تحوى عناوين مفزعة باحتمال ضرب لندن بالصواريخ ... وفي الساعة العاشرة الا ربعا من صباح اليوم التالى ٦ نوفمبر اجتمع مجلس الوزراء البريطاني وقرر وقف القتال وذهب ايدن في المساء الى مجلس العموم ليعلن قرار وقف اطلاق النار فى منتصف ليلة ٧/٦ نوفمبر بتوقيت جرينتش أى الثانية بعد منتصف الليل بتوقيت بور سعيد .

ولكن النار لم تتوقف فى الموعد المحدد ، بل واصل البريطانيون انزال قواتهم في الصباح وأصدرت القيادة العامة المصرية بلاغا بذلك .

ولم تركن المقاومة الشعبية الى الهدوء لأن الايطاليين فرضوا حظر التجول من الخامسة مساء حتى السادسة صباحا ، واستولوا على كثير من المنازل الصالحة لسكن القوات وطردوا السكان منها كما استولوا على المستشفيات ... واستمر القتال بين الشعب وجنود الاحتلال تحت قيادة مجموعة من الضباط الوطنيين وعدد من الشيوعيين تحت علم (الوحدة الوطنية) دون محاولة من الشيوعيين لفرض سيطرتهم على المليشيات الوطنية كما أشار محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) ... بل أن القنصل السوفييتى فى بور سعيد (إناتولى تشنيكوف) كان ينقل المنشورات والأسلحة ويسهل خدمة أفراد المقاومة بطريقة سرية .

اعترف الجنرال ستوكويل يوم انسحابه من بور سعيد أن المقاومة السلبية فى المدينة نجحت تماما (ولم تقدم لنا أى مساعدة من أى جهة من الجهات) .

وقال الجنرال كيتلى (قاتلنا ضد شعب جهزته قواته المسلحة بأحدث الأسلحة والطائرات واستمات أفراده فى الدفاع عن بور سعيد باصرار وعناد وحنكة) .

الجنرال ستوكويل عمل بعد ذلك فى وظيفة كتابية بوزارة الحربية البريطانية واحيل الجنرال كيتلى الى التقاعد .

لم يكن الشيوعيون هم الذين حاولوا فرض سيطرتهم اذا كما ادعى هيكل فى كتابه (عبد الناصر ... والعالم) ولكنهم كانوا من اوائل الذين بادروا للدفاع عن بور سعيد والاشتراك فى المقاومة الشعبية مع سكانها .. ومع ذلك تعرضوا لموقف معاد من السلطة ظل يلاحقهم طويلا .

بدأت السلطة البوليسية تحارب الشيوعيين وتتعقبهم ، والغت نشرة المقاومة الشعبية ولاحقتهم بتقارير كاذبة ...

يعلل زكريا محيى الدين هذا الموقف بانه من الطبيعى اذا اشترك تنظيم سياسى سرى فى عملية جماهيرية فانه لا شك سيحاول تقوية صفوفه بتجنيد عناصر جديدة ، وخلق نفوذ له بيد الجماهير ٠٠٠ وانه من الطبيعى أيضاً أن تتحرك أجهزة الأمن للتعرف على هذه الاتجاهات ٠

ولكنه يؤكد ان السلطة لم تتخذ اجراء من شيوعى نتيجة اشتراكه فى المقاومة الشعبية كما انه لا يذكر ان صداما قد حدث بين السلطة وبين الشيوعيين فى هذه المرحلة ٠

ولكنه عندما طويت صفحة العدوان الثلاثى ، ووصل التاريخ الى عام ١٩٥٩ وقدم بعض الشيوعيين الى المحاكمة بتهمة انهم عملاء لدولة أجنبية طلب الدفاع عن عبد المنعم شاتيلا ١٣ ضابطا فى الخدمة أو على المعاش للشهادة ، ولكن لم يحضر منهم سوى خالد محيى الدين وأحمد لطفى وأكد عضـوا قسم الجيش فى حدتو سابقا ، ويقول محمد أبو نار ان حسن المصيلحى رئيس قسم مكافحة الشيوعية فى المباحث العامة قد استدعاه ونصحه بعدم الشهادة ، ثم استدعاه بعد ذلك عباس رضوان وطلب منه عدم الشهادة فاعتذر عنها مرغما ٠

كانت المقاومة الشعبية فى بور سعيد هى الوجه المشرف للشعب المصرى ٠٠٠ بينما لم تؤد القوات المسلحة واجبها على الوجه الأكمل لظروف متعددة سيأتى شرحها فيما بعد ، الأمر الذى أدى الى اخراج ٣٠ ضابطا فيما بعد العدوان ، والى شكرى جمال عبدالناصر من كثرة الخسائر بلا مبرر ٠

وخلال معارك بور سعيد تأثر بعض صغار الضباط من دور الشيوعيين فى المقاومة الشعبية ، وذبلت فى نفوسهم الحساسية المزروعة فيها من الدعاية المركزة ضد الشيوعية ٠

وعندما انتهت المعركة وانسحب جنود الاحتلال ، ذهب عبد اللطيف البغدادى الى بور سعيد لاعادة تعميرها ، وأصدر أوامره بجمع السلاح من الأهالى ٠٠٠ ولم يتردد أفراد الشعب فى تسليم أسلحتهم ، وكان يرضيهم فقط ان يحصلوا على شهادة تقول (فلان كان يعمل فى المقاومة الشعبية وأدى دوره بأمانة وشرف) ٠

كان توقف الهجوم العدوانى الذى وصل الى مدينة الكاب جنوب بور سعيد ثمرة لعدة عوامل تفاعلت جميعها بنسب مختلفة وانتهت الى هذه النتيجة ويمكن تلخيصها فيما يلى :

أولا : اصرار القيادة على القتال ورفض الاستسلام ٠

ثانيا : توزيع السلاح على الجماهير واطلاق المقاومة الشعبية والبدء في اتخاذ ترتيبات المقاومة السرية ٠

ثالثا : الانذار السوفييتي العنيف المهدد بضرب لندن وباريس بالصواريخ اذا لم يوقف اطلاق النار ٠

رابعا : الموقف الأمريكي المعارض للخطة البريطانية الفرنسية لأسباب استراتيجية أمريكية ٠

خامسا : التضامن العربي والتأييد الايجابي لموقف مصر ٠

سادسا : قرار هيئة الأمم المتحدة بأغلبية ٦٤ صوتا من ٨٠ وهو قرار معبر عن الرأى العام العالمى ٠

سابعا : تمزق الموقف الشعبى فى انجلترا وفرنسا ووجود تيارات ومظاهرات معادية متزايدة ٠

هذه هى الأسباب التى تجمعت وانهت العدوان الثلاثى ٠٠٠ ولكنه كانت هناك تناقضات أخرى ثانوية بين القائمين على تنفيذ الخطة من القادة البريطانيين وحلفائهم الفرنسيين الأمر الذى لم يدفع انطلاقهم الى جنوب الكاب رغم توافر الظروف المهيئة لذلك أمامهم ٠

لم يعصف العدوان بجمال عبد الناصر ولم يهدم النظام الذى أقامته حركة ٢٣ يوليو ، وانما عصف بأنطونى ايدن رئيس وزراء بريطانيا الذى اذاع وقواته ما زالت بعد فى مصر يوم ٢٠ نوفمبر انه يعانى ارهاقا شديدا، وان بيكر حامل اختام الملكة سيراس اجتماعات مجلس الوزراء فى غيبته ٠

وبقى ايدن فى جزيرة جامايكا بالبحر الكاريبى حتى اعتزل منصبه بالاستقالة يوم ٩ يناير ١٩٥٧ وخلفه وزير ماليته هارولد ماكميلان أحد المتحمسين للعدوان على مصر ٠

ولم يذهب ايدن وحده ٠٠٠ ذهب معه جى موليه فقد سقطت وزارته أيضا فى ٢١ مايو ١٩٥٧ ٠

وتلكأت القوات البريطانية والفرنسية فى تنفيذ الجلاء ٠٠٠ ولكن المقاومة الشعبية لم تهدأ ، وقررت مصر عدم البدء فى تطهير القناة واعادة الملاحة فيها قبل انسحاب آخر جندى ٠

بدأ الانسحاب مع شهر ديسمبر ، ورحل آخر فوج من المعتدين يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ وارتفع العلم المصرى فوق بور سعيد حيث كان البريطانيون ، وفوق بور فؤاد حيث كان الفرنسيون وأصبح يوم ٢٣

ديسمبر يوما تحتفل به مصر كل عام ، واعتاد جمال عبد الناصر أن يزور المدينة فى مثل هذا اليوم ويوجه من هناك خطابا للشعب ·

انسحب الانجليز والفرنسيون ، ولكن اسرائيل تحدت قرارات الانسحاب ورفضت الانسحاب من غزة ورفح وشرم الشيخ وجزيرتى تيران وصنافير ومنطقة ساحلية طولها ٢٢٠ كيلو مترا وعرضهـا ٢٨ كيلو مترا بطول خليج العقبة ·

أعلنت وزيرة خارجية اسرائيل انها لن تنسحب بعد ذلك الا اذا أخذت ضمانات لحرية مرور السفن الاسرائيلية فى خليج العقبة وعدم استخدام غزة قاعدة ضدها ، ورفضت مصر أى شرط للانسحاب ·

تدخلت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية التى كانت تتربص الفرصة المناسبة للنفوذ الى المنطقة ، فأسهمت فى اضعاف موقف بريطانيا وفرنسا للانتهاء من نفوذهما ومصالحهما فى المنطقة وضغطت على اسرائيل للانسحاب وضغطت على مصر لتبقى قوات طوارىء دولية فقط فى شرم الشيخ حتى لا تتاح للقوات المصرية مستقبلا فرصة قفل خليج العقبة ومنع الملاحة فيه ·

ولم يشأ جمال عبد الناصر ان يعاند ويواصل تحدى أمريكا ، لانه وجد فى ذلك على حد تعبيره ــ موقفا غير سياسى ــ وقبـل هذا الشرط مرغمـا كما يقول ناتنج ·

وكانت المظاهرات لا تتوقف فى غزة تطالب بعودة الادارة المصرية · وتؤرق القوات الاسرائيلية ···

وبدأت اسرائيل الانسحاب بعد تدمير كامل لجميع منشئات سيناء ··· من آبار بترول ومناجم وخطوط سكة حديدية وصهاريج مياه ومبانى ··· وغادرت قواتها العريش يوم ١٤ يناير ١٩٥٧ ثم رفح وخان يونس ··· وأخيرا انسحبت من غزة يوم ٦ مارس ومن شرم الشيخ يوم ٧ مارس، بعد ان صرح بن جوريون قبل ذلك بيوم واحد (ان اسرائيل لن تنسحب من غزة أو شرم الشيخ) ·

لم ترسل مصر حاكما عسكريا لغزة كما كانت الأمور من قبل ، وانما عينت حاكما مدنيا ولم ترسل معه قوات عسكرية ، بل اكتفت بفريق من الشرطة العسكرية ·

وتم تطهير القناة واعيد فتحها يوم ٢٩ مارس ١٩٥٧ وحاولت بريطانيا وفرنسا مقاطعتها ولكنهم اضطروا للعودة اليها بعد أسابيع بادارتها المصرية الكاملة ·

وانتهت (اتفاقية الجلاء) عمليا مع انتهاء عدوان عام ١٩٥٦ ، وتمزقت شروطها وتحررت مصر نهائيا من شبهة التحالف التى وردت ضمن بنودها بعودة القوات البريطانية اليها فى حالة الهجوم أو احتمال الهجوم على تركيا ، وثبتت سلامة تقدير موقف جمال عبد الناصر وزملائه أعضاء مجلس القيادة فى ان تحقيق الجلاء هو الأساس الرئيسى لانطلاق مصر بعد ذلك فى سياستها الوطنية بارادتها الحره •

وأصبحت مصر لأول مرة منذ الاحتلال البريطانى متحررة من القوات الأجنبية ، مستقلة استقلالا كاملا غير مرتبط بأية اتفاقيات أو احلاف •

واستولت مصر على المخلفات البريطانية فى القاعدة التى بنت من أجلها المخازن والمستودعات تحت الأرض والتى بلغت قيمتها ٣٠٠ مليون جنيه استرلينى •

وقبلت مصر قوات الطوارىء الدولية لتكون حاجزا بينها وبين القوات الاسرائيلية حتى لا تتكرر الاشتباكات المسلحة التى ظلت تحتل العناوين الرئيسية فى الصحف على فترات متقاربة منذ غارة غزة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ حتى عدوان ١٩٥٦ ••

ووجدت أفكار جمال عبد الناصر التى عبر عنها الى مجلة (الشئون الخارجية) الأمريكية وهى مجلة ربع سنوية ذات قيمة فى السياسة الدولية فى فبراير ١٩٥٥ قبل تصاعد هذا التوتر فرصتها للتحقيق من جديد فقد قال يومئذ (ليس هناك محل للحرب مع سياستنا الانشائية التى قررناها لتحسين مستوى الشعب) •

الباب الثانى

● العسكريون فى مركز السلطة

الفصل الخامس

زحف العسكريين .. نحـو السلطـة

(لا يمكن للقوات المسلحة أن تكون ولم
تكن يوما ولن تكون أبدا محايدة) .

لينـين

كان جلاء قوات العدوان الثلاثي عن أرض مصر ، انتصارا للشعب ، ونقطة إرتكاز لحركة العسكريين ، غيرت طابعها الانقلابي ، واكدت الفرق المميز بينها وبين كافة الانقلابات العسكرية التي حدثت في الوطن العربي ، أو في دول العالم الثالث عامة .

اكتسب جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المنتخب رصيدا شعبيا هائلا ، جعل النسبة التي حصل عليها وهي ٩ر٩٩٪ في المائة يوم ٢٥ يونيو ١٩٥٦ حقيقة راسخة (عدد الناخبين ٥٥٥ر٤٩٤ر٥ وغير الموافقين ٢٦٧ر٥) .

كان الانتخاب قد تم بناء على قواعـد الدستور ، الذي أعلنه جمال عبد الناصر يوم ١٦ يناير ١٩٥٦ في مؤتمر شعبي كبـير عقد بميـدان الجمهورية من ١٩٦ مادة ، وجاء في مقدمته انه صادر عن الشعب المصري (الذي انتزع حقه في الحرية والحياة ، بعد معركة متصلة ضد السيطرة المعتدية من الخارج والسيطرة المستغلة من الداخل) وليس صادرا كمنحة من الملك مثل دستور ١٩٢٣ .

كان جمال عبد الناصر هو المرشح الوحيد · ولم يسمح لغيره بالترشيح ، وكان طبيعيا ان يحصل على النجاح فى الاستفتاء الشعبى · عقب مواقفه الوطنية فى باندونج ، ضد الاحلاف العسكرية ، وتأكيد الاستقلال الوطنى ، وكسر احتكار السلاح ، وبعد جلاء آخر جندى أجنبى عن أرض الوطن ·

ولا شك انه كانت هناك أصوات تعارض أسلوب الانتخاب ، وتثير الشكوك فى صحة النسبة التى حصل عليها ··· ولكنه بعد تأميم القناة ، ومقاومة العدوان الثلاثى ، والانتصار عليه عمليا باجباره على الانسحاب والجلاء مرة ثانية خلال ستة شهور من جلائه الأول ، أصبح انتخاب جمال عبد الناصر مدشنا بارادة شعبية جارفة ·

وصل قائد الضباط الأحرار المنتخب الى منصب رئيس الجمهورية الشرعية ووصلت مجموعة الضباط الأحرار ، التى قامت بحركتها ليلة ٢٣ يوليو بعدد لا يتجاوز المائتين من شعب بلغ٢٣مليونا ، الى قمة انتصاراتها ·

ولكنها لم تصل كما بدأت ··· تنظيما للضباط الأحرار ، وانما وصلت بعد فترة انتقال انتهى معها تشكيل مجلس قيادة الثورة ، ولم يعد له كيان رسمى ، كما سبق ان انتهى تنظيم الضباط الأحرار وتوقف عمله ، واستبدل بتنظيمات شخصية هامشية ، تركزت أخيرا فى يد قيادة الجيش الجديدة المؤلفة من القائد الأعلى جمال عبد الناصر والقائد العام عبد الحكيم عامر ومدير مكتب القائد العام الصاغ شمس بدران ·

وكان موقف أعضاء المجلس بعد انتهاء المرحلة الانتقالية ـ ٢٣ يوليو ١٩٥٦ ـ متباينا ··· صلاح سالم كانت قد قبلت استقالته فى أغسطس ١٩٥٥ ·

اما شقيقه جمال سالم فقد كان قد بدأ يتخذ موقفا معارضا لانفراد جمال عبد الناصر المتزايد بالسلطة قبل حل المجلس ، بعد أن كان فى البداية من أشد المهاجمين لمحمد نجيب المبايعين لجمال عبد الناصر ، الأمر الذى جعله فى ٢ نوفمبر ١٩٥٥ نائبا لرئيس الوزراء ، ونائبا لرئيس الجمهورية فى غيبته بالخارج ·

كان قد حدث تجمع داخل مجلس قيادة الثورة عام ١٩٥٥ من ضباط الطيران الثلاثة ·· جمال سالم وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم والضم اليهم صلاح سالم ·· وقرروا حسب رواية حسن ابراهيم الا يشتركوا فى الحكم بعد انتهاء فترة الانتقال ، والا يستقيلوا قبلها أيضا ·

كانوا يستهدفون بفكرة استقالتهم الجماعية تنبيه الجماهير لانفراد جمال عبد الناصر بالسلطة مما يمثل في نظرهم بعثا لحكم الفرد .... ولكن التدبير لم ينفذ لاستقالة صلاح سالم المبكرة ولاعتقاد البغدادي انه قادر خلال وجوده رئيسا لمجلس الأمة — حسب ما تم اتفاقهم عليه — على خلق روح وحياة ديموقراطية .

الغريب أن هذا الاتفاق قد تم بين أطراف متناقضين .. حسن ابراهيم كان قد اشتكى لجمال عبد الناصر من أسلوب العمل داخل مجلس قيادة الثورة ، وشاركه الرأى عبد اللطيف البغدادى لأن المناقشات كانت تدور تحت ضغط التوتر من عصبية جمال سالم المبالغ فيها ، وسخرية صلاح سالم المبالغ فيها أيضا .

كانت عصبية جمال سالم وسخرية صلاح سالم لا تسمحان بالمناقشة العميقة ، وتدفعان الى الجمود ، ويقول حسن ابراهيم انه لا يستبعد وجود صلات جانبية بين عبد الناصر وجمال سالم وصلاح سالم لانهم كانوا يحضرون اجتماعات المجلس كتلة واحدة .

ولكن سرعان ما استنفد كل من الشقيقين دورهما وكانا أول الخارجين من المجلس .

ولكن الواقع أن جمال عبد الناصر كان أكثرهم تقدما في طريق الوعى والتطور ، وأشدهم حرصا على تطبيق العدالة الاجتماعية ، الى جانب تماسك شخصيته القيادية وثباتها .

كان مختلفا على سبيل المثال عن جمال سالم أحد الخارجين عن المجلس في أفكاره التي أدلى بها الى جان لاكوتير ممثل وكالة الأنباء الفرنسية ونشرتها جريدة المصرى يوم ٢٤ يناير ١٩٥٤ .

قال جمال سالم (هناك عائلات من كبار الملاك تتعاون مثل عائلة البدراوى) .

وعندما سأله لاكوتير هل أنت اشتراكى ؟

أجاب (هذا ليس بصحيح .. لست اشتراكيا — وليس هذا لانى أكره انتهاج سياسة التأميم في مصر . بل لانى اؤمن بأن اقتصاديات هذا البلد لن تتقدم الا بالمنافسة الحرة) وفسر أفكاره بقوله (لم نصل الى المرحلة الاشتراكية لأننا لم نصل الى الاحتكار الا في الزراعة أما صناعتنا فما زالت طفلا يحتاج الى رؤوس الأموال الخاصة) .

وهكذا طويت صفحة مجلس قيادة الثورة ، وطويت معه أيضا فرصة المناقشة المحدودة في مركز اصدار القرار وانتهت بنهايته امكانية مراجعة المواقف من وجهات نظر مختلفة ... وتحول الأمر من سلطة المجلس الى سلطة الفرد .

ربما كانت الآراء تختلف يمينا ويسارا ، وربما كانت الأفكار تتنافر حول القضايا المعروضة ... ولكن الأمر في نهايته كان يقتضى من القائد أما تطويع زملائه لآرائه وأفكاره ، والصبر على مناقشاتهم حتى تتوفر لهم في النهاية وحدة فكرية في القضايا الاستراتيجية الكبيرة ... وأما التخلص منهم لينفرد برأيه سواء أكان أكثر صوابا أم أكثر اندفاعا .

والواقع أن جمال عبد الناصر طوال فترة وجود مجلس قيادة الثورة كان حريصا على أن تأخذ المناقشات غايتها وأن تمتد وتطول حتى يصفى كل المواقف والآراء المعارضة له بالحجة والاقناع ... الأمر الذى جعل معظم قرارات المجلس تصدر بالاجماع كما يؤكد زكريا محيى الدين اذا استثنينا بعض القرارات التى صدرت فى عهد ولاية محمد نجيب لرئاسة الجمهورية ووجود يوسف صديق وخالد محيى الدين فى المجلس .

كانت الشعبية الجارفة التى رفعت جمال عبد الناصر الى القمة قد جعلته فى مركز الواثق من سلامة رأيه وصحة رؤيته .

أول وزارة شكلها جمال عبد الناصر باعتباره رئيسا شرعيا للجمهورية صدرت مراسيمها يوم ٢٦ يونيو باعتبارها القرار الجمهورى رقم ١ وخرج منها جمال سالم نائب رئيس الوزراء ، وخرج منها أيضا حسن ابراهيم وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية ، ودخلها عبد الحكيم عامر وزيرا للحربية ، ونقص عدد العسكريين فيها من ستة الى خمسة كلهم من أعضاء المجلس ، ويلاحظ انهم أخذوا أسبقية خاصة على الوزراء المدنيين السابقين لهم فى التعيين ، مما يعد نوعا من تثبيت وضع خاص لهم بعد حل مجلس القيادة ... أول الوزراء فى القرار الجمهورى كان عبد اللطيف البغدادى يليه زكريا محيى الدين ثم حسين الشافعى فعبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين ...

تحول الوضع الرسمى لأعضاء مجلس قيادة الثورة ، الى أقدم وزراء فى المجلس .

وانتهت العوامل التى كان يمكن ان تصور حركة ٢٣ يوليو باعتبارها انقلابا عسكريا ، كما صورت يوم وقوعها ، ويوم أصدر الدكتور راشد

البدراوى كتابه المعروف (حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر) ، فالانقلاب حدث عارض لا يغير نظام الحكم وانما يستبدل شخصية الحكام ولا يقوم على مساندة شعبية ، وانما يعتمد على سطوة القوة العسكرية .

أما حركة ٢٣ يوليو فقد بدأت ولها كل مظاهر الانقلاب الا انها فى مسارها أخذت طابع الثورة .

ومنذ البداية لم تكن انقلاب جنرالات يمالىء نظام الحكم القائم ويحافظ على استمراره .. وانما كانت انقلاب صغار الضباط الذين وقفوا منذ البداية ضد النظام ومع التغيير .

صحيح انها لا تحمل أسلوب ثورة ١٤ يوليو ١٧٨٩ (الثورة الفرنسية) ولا ثورة ٧ نوفمبر ١٩١٧ فى روسيا (الثورة الاشتراكية العظمى) لانها لم تقم بجماهير الشعب ، رغم حصولها على تأييده منذ اللحظة الأولى نتيجة لفساد الحكم الملكى السابق .

سنوات الصدام مع القوى السياسية المختلفة (الوفد والشيوعيين والاخوان المسلمين والعناصر المعارضة فى صفوف الجيش) دفعها الى اتخاذ اجراءات ادارية اعطتها طابعا عسكريا قاسيا ، الى جانب انها اقتصرت فى حركتها منذ اللحظة الأولى على حركة القوات المسلحة وتجنبت التفاعل مع الجماهير الشعبية فى حذر .

وكانت أزمة مارس ١٩٥٤ التى أطاحت بمحمد نجيب رئيسا لمجلس قيادة الثورة ، وحاصرته رئيسا شكليا للجمهورية لمدة شهور خرج بعدها فى ١٧ نوفمبر أثناء الصدام مع الاخوان المسلمين وبدء محاكمتهم بعد محاولة اغتيال جمال عبد الناصر فى أكتوبر ١٩٥٤ .. أزمة ذات وجهين .

جماهير الشعب خرجت فى فبراير تؤيد محمد نجيب بعد استقالته ، وتجبر مجلس قيادة الثورة على اعادته ، وقبل ان تمضى عدة أسابيع كانت هيئة التحرير وبعض الضباط الموالين للمجلس قد استطاعوا تحريك جانب آخر من الجماهير بمساعدة صاوى أحمد صاوى سكرتير اتحاد عمل النقل حتى وصل الأمر الى حد التظاهر والاضراب .. الأمر الذى سهل لهم انتزاع نجيب من موقعه والرجوع عن قرارات ٥ مارس أى ٢٥ مارس المعروفة (انظر الجزء الأول) .

هذا الحدث فى ذاته ، ورغم دور الجماهير فى دعم وجود المجلس واستمراره ، ترك تأثيرا مباشرا فى جمال عبد الناصر اذ اشعره بأنه يمكن التلاعب بالجماهير وانها أمام القوات المسلحة يصبح دورها محدودا ..

قال جمال عبد الناصر لعدد كبير من أصدقائه ومنهم خالد محيى الدين ان الخروج من أزمة مارس لم يكلفهم سوى عدة آلاف من الجنيهات دفعت للمتظاهرين والمضربين ٠

وقال لاكرم الحورانى فى مناقشة (لا تحدثنى عن الشعب فانى أعرف كيف تتحرك الجماهير) !

ولكن الثورة مع ذلك كانت تكسب تأييد الجماهير بلا ضغط يوما بعد يوم من خطواتها الوطنية ، حتى ارتبطت مع الشعب تماما فى مواجهة العدوان الثلاثى ، وأصبحت تستحق أن يطلق عليها اسم (الثورة) لانها تحولت الى قيادة حقيقية قادرة على تحريك الجماهير ، معبرة عن ارادتهم ، مناضلة عن أهدافهم ٠٠٠

وهكذا تحول الانقلاب الى ثورة ، ودخل ٢٣ يوليو فى تاريخ ثورات التحرر الوطنى ٠٠

وتأكدت زعامة جمال عبد الناصر وأصبح يتلقى مئات الرسائل فى اليوم الواحد ، وانحسرت محاولات الانقلاب عليه ، وتراجعت فى مواجهة التأييد الشعبى الهائل ٠٠٠ ولم تضبط الا محاولة قام بها القائمقام عاطف نصار الملحق العسكرى بالهند ، متعاونا مع خمسة مدنيين منهم محمد صلاح الدين وزير الخارجية وعبد الفتاح حسن وزير الدولة فى وزارة الوفد وستة من ضباط الجيش بالاسكندرية ، وقدمت للمحكمة العسكرية العليا يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٥٧ ، وصدر فيها الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة على عاطف نصار ، ومحمد صلاح الدين ١٥ سنة وعبد الفتاح حسن ١٢ سنة وعلى الباقين بأحكام مختلفة وبراءة اثنين ٠

وضبطت مؤامرة أخرى تولتها ادارة المخابرات البريطانية واشترك فيها ضابط سابق (حسين خيرى) ، اتصل بأحد ضباط مخابرات الطيران (عصام خليل). ومول بمبالغ بلغت جملتها ١٦٥ ألف جنيه من أجل اعادة الملكية لمصر ٠٠٠ وقد نظرت القضية أمام المحكمة العسكرية العليا ، وأصدرت الحكم يوم ٢٨ ابريل ١٩٥٨ على مرتضى المراغى وزير الداخلية السابق فى وزارة نجيب الهلالى وحسين خيرى بالأشغال الشاقة المؤبدة ، ومحمود ناموق ١٥ سنة ، وكانت الأحكام غيابية لوجوده خارج القطر ٠٠٠ وقد قبض بعد ذلك بشهور على محمود ناموق فى بغداد عقب ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ فى العراق ٠

ولكن الموقف فى صفوف الجيش كان قد هدأ واستقر ، ولم تعد المحاولات الانقلابية ، ترتبط بعدد واسع من الضباط ٠٠ لم تعد فى صورتها

التى كانت بها قبل تصفية محمد نجيب وثبوت سلطة عبد الحكيم عامر ، الذى كان مفروضا أن يحاسب عسكريا على موقفه من القوات المسلحة فى عدوان ١٩٥٦ التى ثبت يقينا انها لم تؤد دورها كما يجب مع تقدير وجودها فى رحلة إنتقال فى التسليح والتدريب والتنظيم والعقيدة القتالية ، كما سيأتى شرحه تفصيلا فيما بعد ٠

كان قانون التجنيد الذى صدر عام ١٩٤٧ قد تغير مرة أخرى عام ١٩٥٥ بصدور القانون رقم ٥٠٥ الذى رفع الحد الأدنى لذوى المؤهلات ليكونوا من حملة القانون العامة بخلسة سنة ونصف ٠ وخفض مدة الخدمة لخريجى الجامعات لتكون سنة واحدة يعدون ليكونوا ضباط احتياط ، وزاد سن تأجيل التجنيد ليصبح ٢٩ سنة ، ٩ شهور ٠

ولم تكن الفرصة كافية لجنى ثمار هذا القانون اذ صدر قبل عدوان ١٩٥٦ يوم واحد ، تماما كما صدر قانون ١٩٤٧ للتجنيد قبل عام واحد من حرب فلسطين ٠٠٠ الأمر الذى لم يجعل لهما تأثيرا كبيرا على مستوى الجيش من ناحية القتال الحديث ٠٠ ولعل هذا كان عذر المشير عامر ٠

يقول عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم "انه تقرر فى ذلك الوقت عزل قائد القوات الجوية محمد صدقى محمود ، ويقول زكريا محيى الدين انه كان هناك قرار بعزل قيادة القوات البرية والبحرية والجوية ، ولكن عبد الحكيم عامر تشبث بهم ورفض اخراجهم" ٠

ووافقه جمال عبد الناصر ولم يأخذ موقفا حاسما فى مواجهة الأخطاء كما أخذ موقفا حاسما فى مواجهة الأعداء ٠

واذا كان التهاون قد بدأ فى محاسبة العسكريين فى المواقف الوطنية فانه لا بد وان ينسحب الى التهاون أيضا فى محاسبة الآخرين فى المجالات المختلفة ، اذا وجدوا من يدافع عنهم ، ليس أمام القضاء ، ولكن أمام السلطة ٠

وصعب ان يضع الكاتب نفسه فى مقعد القاضي ، ولكنه أمر معروف فى كل الجيوش ان القائد المهزوم لا يجوز له ان يواصل القيادة فى موقعه ٠

كان استثناء عبد الحكيم عامر من المحاسبة والابقاء على قيادة القوات الثلاث ، راجعا الى الطبيعة الخاصة فى علاقات جمال عبد الناصر بزميل عمره وموضع ثقته ٠٠٠ وراجعا أيضا الى ان الظروف التى وضع من أجلها عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة وهو غير مؤهل لذلك ما زالت

قائمة ... الرغبة فى السيطرة على القوات المسلحة بكل تفاصيلها عن طريق أشد زملائه اخلاصا له .

كان جمال عبد الناصر ما زال يعتمد على الجيش كمؤسسته الرئيسية رغم انتصاراته الشعبية ، ورغم انه بدأ يخلع مع زملائه ملابسهم العسكرية بعد انتهاء فترة الانتقال .

وكان فى ذلك أكثر ميلا الى الرأى القائل بأن الجيش هو القوة الوطنية (الجامعة والوحيدة) القادرة على تزعم ثورة التحرر الوطنى ، وهو الرأى الذى يتعارض تماما مع القول بأن السلطة السياسية الناتجة عن الانقلاب العسكرى هى سلطة رجعية وعسكرية .

والواقع ان الرأيين لا يمثلان حقيقة الواقع فى مصر فى ذلك الوقت ، فالرأى الأول ينفى وجود قوى سياسية أخرى قادرة على تزعم حركة التحرر الوطنى وهو أمر غير صحيح ... والرأى الثانى يدين كل حركة عسكرية بأنها رجعية وانقلابية ولا تحمل بدورا وطنية تقدمية ... وهو أمر غير صحيح أيضا .

الجيش كانت تتعايش فيه الأفكار المختلفة الموجودة فى المجتمع الأمر الذى دفع أصحاب كل اتجاه الى محاولة السيطرة على الجيش وبالتالى على المجتمع .

والجيش ليس طبقة أو فئة اجتماعية واحدة ، كما انه ليس جهازا معزولا عن عمليات الصراع الطبقى .

ولكن الجنود فى الجيش المصرى لم يتحركوا كقوة مستقلة ، ولم يدخلوا حركة الصراع الوطنى والطبقى مستقلين عن قيادتهم كما حدث مثلا فى ثورتى فبراير وأكتوبر ١٩١٧ فى روسيا ، عندما تصرف الجنود كفلاحين يحملون السلاح ..

الجنود المصريون كانوا خاضعين تماما لسلطة الضباط .

وكان جمال عبد الناصر واعيا بحركة الصراع داخل الجيش وقد حاول حسمها لصالح مجلس القيادة فى السنوات الأولى التى اعقبت الحركة ، واضطر فى سبيل ذلك الى اتخاذ اجراءات عنيفة أحيانا .

ولكنه وقد وقف على قمة التأييد الشعبى بدأ يخلع انصاره الذين استنفدوا أغراضهم ، والذين شوهت صورتهم أمام الجماهير فى اندفاعهم الحماسى المحموم ، والذى وقف أفكارهم عند حدود دورهم المرسوم بلا رؤية جديدة ولا ادراك عميق لطبيعة الصراع فى المجتمع وآفاق التطور .

وتساقطت فى هذه الفترة اسماء كان الشعب قد فاض به الكيل من كثرة ما سمعه عنها وما لمســه من تصرفاتها ٠٠٠ جمال سالم الذى كانت له مع كبار الموظفين والاداريين اعتداءات وتصرفات مثيرة للدهشة البالغـة ، وكانت له فى محكمة الثورة أساليب وعبارات فى غاية القسوة ٠٠٠ أحمد أنور قائد البوليس الحربى الذى اقترن اسمه بالاعتقـالات والتعذيب بعد ان وزعت قواته على تشكيـلات الجيش المختلفـة ٠٠٠ ابراهيم الطحاوى وأحمد عبد الله طعيمه وهما اللذان أوكل اليهما الاشراف على هيئة التحرير دون خبرة سياسية سابقة مما جعل اسمهما معا محل تندر بعض الناس ٠

بدأت هذه الأسماء تتساقط ٠٠٠ رغم أدوارها البارزة فى دفع عجلة الثورة للأمام وتأكيد سلطة العسكريين ، وتغليب كفة مجلس القيـادة فى أزمة مارس ١٩٥٤ وضرب القوى السياسية المعارضة ٠٠٠ وظهرت أسماء أخرى من العسكريين أيضا ٠

تساقطت هذه الأسماء ومعهما اجهزتها ٠٠٠ الشرطة العسكرية وهيئة التحرير ٠ وكان هذا من دوافع تحول الانقلاب الى ثورة ٠

وكانت هذه الأجهزة من معوقات الارتباط بين الشعب والعسكريين فالشرطة العسكرية كانت صورة العذاب والارهاب بعد ان أعطى لضباطها صفة الضبطية القضائية بعد اعتراض المحامين فى كثير من القضايا ٠٠٠ وهيئة التحرير عجزت عن اكتساب ثقة الجماهير ٠

ومع بداية تطبيق الدستور وانتخاب جمال عبد الناصر كانت معظم المعتقلات قد صفيت وخرج المعتقلون منهـا ٠٠٠ أفرج عن يوسف صديق عضو مجلس قيادة الثورة السابق بعد اعتقال استمر ١٣ شهرا فى مايو ١٩٥٥ وأفرج بعدها بأيام عن زوجته أيضـا وكانت عضـوة فى الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) ٠٠٠ وظلا بعدها فى تحديد الاقامة حتى منتصف عام ١٩٥٦ حيث أفرج عنه ٠

الوحيد من العسكريين الذى ظلت اقامته محدودة ، غير المحكوم عليهم بالسجن كان اللواء محمد نجيب ٠

كانت هناك انفراجة نسبية فى موضوع المعتقلين والمعتقلات ، ويذكر انه حتى هذه الفترة وما بعدها لم تخل معسكرات الاعتقال من نزلاء تتغير الوانهم السياسية تبعا للظروف ٠

كان الاعتقال بلا تحقيق ، أمرا اداريا بسيطا كاد من تكراره لبعض الشخصيات ان يصبح من روتين حياتهم ٠٠٠

واجهزة الأمن منذ ٢٣ يوليو تنمو وتزدهر ... الذى أوكلت اليه مسئوليتها منذ البداية كان زكريا محيى الدين ، وهو يقول ان ذلك قد تم مصادفة عندما كان أعضاء المجلس يتولون فى البداية وتوزيع المسئوليات فيما بينهم ... جمال سالم للاقتصاد وعبد اللطيف البغدادى للتعمير والشئون البلدية وصلاح سالم للسودان وعبد المنعم أمين لشئون العمال ويوسف صديق للأوقاف ، وخالد محيى الدين للصناعة والصحة وهكذا .

قدم الأمريكيون منذ اللحظة الأولى خبرتهم لتنظيم المخابرات بعد ان كانت فى عهد الملك محدودة الأثر محصورة فى البوليس السياسى الذى كان يشرف عليه ماجور سانسون الذى أسس جمعية (اخوان الحرية) المتصلة بالمخابرات البريطانية ، والذى أصبح فيما بعد ضابط أمن بالسفارة البريطانية حتى رحل عن مصر فجأة يوم ٣١ يناير ١٩٥٣ كما نشرت الصحف المصرية وعين بعد ذلك فى ليبيا وألف كتابا عن حياته فى مصر باسم (تجسست على الجواسيس) .

قبل ٢٣ يوليو ، لم يكن هناك جهاز أمن يعرف باسم المخابرات العامة وكان عدد ضباط المخابرات الحربية فى الجيش ١٥ ضابطا فقط ، وعدد ضباط القسم المخصص بالبوليس السياسى ٢٤ ضابطا .

وقد استعان زكريا محيى الدين بعدد من الخبراء الألمان الى جانب تقارير المخابرات المركزية الأمريكية التى كانت تقترح توحيد اجهزة الأمن .

وأعد زكريا محيى الدين مشروع قانون المخابرات على أساس الهيمنة على كافة اجهزة المخابرات فى ادارة واحدة منعا لازدواج الجهد وكثرة التكاليف ... وهذا لا يعنى ضمها فى جهاز واحد وانما يعنى التنسيق بينها بفكر ورأى واحد ...

وقد تحقق ذلك فعلا لفترة محدودة . وكان زكريا محيى الدين هو المشرف على كافة اجهزة الأمن القائمة فى ذلك الوقت (المخابرات العامة — مخابرات الجيش — المباحث العامة بالداخلية) .

ولم يستمر ذلك الأمر طويلا فقد بدأت الارادات المختلفة تتجاذب اجهزة المخابرات وبدأ ذلك بالقوات المسلحة عقب تولى عبد الحكيم عامر القيادة العامة ، فانفصلت مخابرات الجيش عام ١٩٥٥ . وتكونت فيما بعد مخابرات أخرى منفصلة للقوات الجوية .

وعندما عين زكريا محيى الدين وزيرا للداخلية ترك الاشراف على ادارة المخابرات العامة بعد عدة شهور ، وعين على صبرى نائبا لمديرها . ثم مديرا لها فى يونيو ١٩٥٦ .

كان ضباط المخابرات العامة قد تحولوا الى مدنيين في سبتمبر ١٩٥٥ ، وانشىء في نفس العام المعهد الاستراتيجي بجوار برج القاهرة الذى دفعت المخابرات المركزية الأمريكية ثمن انشائه ــ ٣ ملايين دولار ــ كما سبق ذكره ٠٠٠ وكانت تدرس فيه محاضرات المخابرات المركزية الأمريكية عن طريق شركة بوز آلف وهاملتون لضباط المخابرات والمباحث وضباط أمن الوزارات وبعض أعضاء السلك الديبلوماسي بالخارجية ، وذلك حسب رواية فريد طولان مدير المعهد في ذلك الوقت ٠

كان النموذج الأمريكي هو المثال الذى تهتدى به أجهزة المباحث والمخابرات في ذلك الوقت ، وقد تسربت أجهزة المخابرات الأمريكية الى بعض ضباط هذه الادارات ، كما حدث عندما ذهب البكباشي أحمد حلمى مدير قسم مكافحة الشيوعية بالمباحث العامة الى أمريكا لعمل غير معروف دون استئذان أو ابلاغ الجهات المختصة اذ كان قد أبلغ بأنه يمضى أجازته السنوية في قبرص وشوهد هناك مصادفة ولما علم زكريا محيى الدين بذلك أصدر قرارا باحالته الى الاستيداع حيث بقي لمدة عام ، وانتقل بعد ذلك الى أجهزة البوليس العادية بغير محاكمة ٠

حدث التسرب الأمريكي رغم ان وزارة الداخلية لم تحتفظ في المباحث العامة سوى بأربعة ضباط فقط من رجال البوليس السياسي السابقين ، ورغم ان العسكريين فرضوا اشرافهم على وزارة الداخلية منذ الأيام الأولى ، حيث تبادل هذه المسئولية عدد من ضباط الجيش مثل البكباشي مصطفى لطفى الذى عين في الخارجية وتدرج في مناصبها حتى أصبح وكيلا للوزارة ثم اليوزباشي محيى الدين أبو العز الذى أشرف على تكوين المباحث العامة وعين محافظا للفيوم ، وعندما تولى جمال عبد الناصر وزارة الداخلية عقب اعلان الجمهورية في ١٨ يونيو ١٩٥٣ ودخول أربعة من أعضاء المجلس الى الوزارة ، أعطى صلاحيات كبيرة ليوزباشي البوليس صلاح الدين دسوقي الذى انتهى محافظا للقاهرة ٠

كان جمال عبد الناصر يعتمد على أجهزة الأمن ولكنه يشك في سلامة موقفها واخلاصها للثورة ، كما يشك أيضا في قدرة أفرادها على متابعة أفكاره ، ويشك أخيرا في احتمال وجود صلة بين بعض ضباطها وأجهزة المخابرات الأجنبية ٠

كانت هذه الشكوك تعيش في نفسه ، وتنمو مع الوقت ولعل هذا الشعور هو الذى دفعه الى الموافقة على تعدد أجهزة الأمن والمخابرات بقيادات مختلفة ، بحيث تصب كافة معلوماتها في النهاية عنده وحده ٠٠٠ بل انه أنشأ في مكتبه فيما بعد جهازا خاصا للمخابرات والعمليات والاتصالات الخاصة ، كان يشرف عليه سكرتيره الخاص للمعلومات سامى

شرف ، دون تبعيته لأى جهاز آخر من أجهزة الأمن ٠٠٠ الأمر الذى يدل على عدم ثقة عبد الناصر الكاملة في هذه الأجهزة والذى خلق ازدواجية متكررة ، وكبد الدولة تكاليف باهظة ٠

كان جمال عبد الناصر مؤمنا ومعتقدا بأن أجهزة الأمن لا تسير فى خط متوافق مع أفكاره ، وكان يقول ساخرا ـ حسب رواية أحمد أنور وحسين عرفة ـ (لولا اننى رئيس للجمهورية وقلت الكلام ده ، كانت المباحث حطتنى فى السجن) ومع ذلك لم يبذل جهدا ايجابيا لتسييس أجهزة الأمن ، بل انها نمت واتسع نفوذها بايديولوجيتها الجامدة المتخلفة ، ووسائلها الوحشية ، وأطماعها الذاتية ٠

وعندما كلف مدير مكتبه أحمد لطفى وآكد بالاتصال بالسوفييت اتصالا سريا قبل باندونج ، حذره من خطر معرفة المباحث والمخابرات لهذه الاتصالات ، واستدعاه مرة الى منزله في حضور عبد الحكيم عامر ليشهده بانه كلف لطفى وآكد بهذه الاتصالات ، حتى لا يتهم بالاتصال بجهات أجنبية في حالة اذا ما تعرض جمال عبد الناصر نفسه للخطر أو الموت ٠

ولازمت هذه الحالة جمال عبد الناصر لسنوات طويلة ، حتى انه لما فكر فى تطبيق الميثاق عام ١٩٦٣ وتشكيل طليعة الاشتراكيين داخل الاتحاد الاشتراكى ، حرص على أن تكون تنظيما سريا بعيدا عن رؤية المباحث والمخابرات ، رغم انه كان يهدف فيما بعد الى الدمج بينهما بتوحيد شخصية أمين التنظيم ووزير الداخلية فى شعراوى جمعه ٠

وكان هذا موقفا انفصاميا من جمال عبد الناصر ٠٠٠ يعتمد على أجهزة للأمن لا يثق فى قيادتها ولكنه يعتمد على تقاريرها ٠٠٠

وقد أخذ نفوذ أجهزة الأمن المتعددة ينمو ويستشرى وخاصة فى الجيش حيث أصبح الضباط مطاردين بعناصر منهم منبثة فى صفوفهم ٠ تدفع الجميع الى الحذر والحرص ثم ايثار السلبية والبعد عن السياسة ٠

كان تنظيم الضباط الأحرار قد انتهى تماما كما سبق أن أوضحنا ، ولم يعد هناك أى ارتباط تنظيمى داخل الجيش الا تنظيم أجهزة الأمن والمخابرات ٠

وانفضت أيضا الرابطة التنظيمية لأعضاء مجلس القيادة ، وانفرطت مسبحة تنظيمهم ، وأصبحوا أفرادا تتنازعهم أفكارهم ومواقفهم الخاصة ٠٠٠ وأصبح جمال عبد الناصر هو القوة الوحيدة القادرة على اعطائهم فرص العمل التى يراها مناسبة لهم سواء فى الوزارة أو خارجها ٠

أول الذين عهد اليهم بعمل خاص كان صلاح سالم الذى تولى رئاسة مجلس ادارة جريدة (الشعب) الجريدة الثانية للثورة بعد (الجمهورية)

التي رأسها أنور السادات وبعد مجلة (التحرير) التي أصدرتها ورأست تحريرها في ١٦ سبتمبر ١٩٥٢ ٠

ولم يبق صلاح سالم طويلا في منصبه فقد أقيل بعد موقفه أثناء فترة العدوان الثلاثي بخطاب جاء فيه (هناك مواضيع ليس من المصلحة أن تخوض فيها الآن مما يدعو الى الاستغناء عن خدماتك) ٠٠٠ وظل في منزله بلا عمل حتى أعيد لميدان الصحافة مرة أخرى رئيسا لمجلس ادارة دار التحرير للطبع والنشر في ٨ مارس ١٩٥٩ ٠

وعين جمال عبد الناصر خالد محيي الدين أيضا رئيسا لمجلس ادارة (المساء) التي صدرت يوم ٦ أكتوبر ١٩٥٦ وبذا أصبح للثورة ثلاث جرائد يومية ومجلة اسبوعية وأخرى شهرية باسم (نداء الوطن) أصدرها أمين شاكر مدير مكتبه فيما بعد ٠

كان اهتمام جمال عبد الناصر بالسيطرة على أجهزة الاعلام والصحافة أمرا ملحوظا ٠٠ بل ان تعييناته في مجال الصحافة كانت تعتبر احساسا للتنبؤ بحركته السياسية في المستقبل ٠

لم يتوقف تعيين جمال عبد الناصر لزملائه أعضاء المجلس عند حدود الصحافة ، بل عينهم في المراكز الدينية أيضا ٠

عين أنور السادات سكرتيرا عاما للمؤتمر الاسلامي ، ولحقه فيه مساعدا له أمين شاكر ثم حسن التهامي ٠٠٠ ووصل الأمر الى تولى عبد الحكيم عامر تنظيم الطرق الصوفية مع الغاء القيود التي كانت مفروضة على تسيير هذه المواكب كما نشرت الأهرام يوم ١٨ مارس ١٩٥٥ ٠

وحتى نهاية فترة الانتقال كان الضباط الأحرار يحتفظون برتبهم في الجيش الا الذين حوكموا منهم أو أبعدوا ، وتحددت نشرة ٢٣ يوليو ١٩٥٦ باعتبارها آخر نشرة عسكرية يمكن للضباط الذين يرغبون في الخروج من خدمة الجيش أن يلحقوا بها ٠

وفضل بعض الضباط أن يخرجوا من صفوف الجيش لممارسة حياة مدنية ، وكان مفروضا ان تغلق أبواب الخروج بعد ذلك ٠

ولكن نشرة ٢٣ يوليو ١٩٥٦ أو نهاية فترة الانتقال لم تكن حدا فاصلا ، ولم تكن حاجزا يحول دون تسرب الضباط الى الحياة المدنية ٠

لم يتوقف زحف الضباط على الحياة المدنية تحت اغراء ما توفره لهم من حرية ومكافاة مادية تزيد عن مرتباتهم المقيدة بقواعد الترقية العسكرية ٠

وانتشر الضباط فى مختلف المجالات ولكنهم تركزوا أساسا فى عدة جهات ٠٠٠ أجهزة العمل السياسى والخارجية وشركات التجارة والصناعة ٠

ولم يكن خروج الضباط من الجيش يتخذ موقفا طبقيا يخلص الجيش من العناصر المضادة أو مقرونا بكفاءتهم وقدرتهم على الانتاج فى الأعمال التى كلفوا بها ٠٠٠ ولكنه اذا استثنينا الضباط الأحرار الذين كانت صلتهم بالعمل السياسى قد جعلت عودتهم لقيود الجيش عملية صعبة ، كان الخروج يتم تحت تأثير عدة عوامل ٠

أولا : الرغبة فى تقديم خدمة لبعض الضباط من الأصدقاء المقربين ٠

ثانيا : الرغبة فى التخلص من بعض العناصر التى لا تفكر فى تدبير انقلاب ولكنها ليست من الانتهازيين والمنافقين مما يجعل لها شخصية بارزة ٠

ثالثا : تطهير الجيش من بعض العنـــاصر سيئة السلوك والتى لا سند لها ٠

رابعا : الاستفادة من بعض العناصر التى تولت أعمالا مدنية وأثبتت فيها كفاءة مرضية خلال السنوات الأولى للثورة ٠

تحت ضغط هذه العوامل الأربعة استمر تيار الخروج متدفقا من الجيش لا يتوقف رغم تصريح أنور السادات لجريدة المصرى يوم ٧ يوليو ١٩٥٣ بأن أحدا من العسكريين لن يعين فى منصب مدنى ٠

واستمرت قيـــادة الضباط للتنظيم السياسى الجديد فعين كمال الدين حسين مشرفا عاما على الاتحاد القومى ، بعد أنور السادات سكرتيره العام الذى عين وكيلا لمجلس الأمة ٠

وزع الضباط أيضا فى أول برلمان منتخب بعد ٢٣ يوليو ٠

وتبعا لمواد الدستور الجديد وقانون الانتخاب الذى صدر فى ٣ مارس ١٩٥٦ خفض سن الناخب الى ١٨ سنة بعد ان كان ٢١ سنة لانتخاب النواب ، ٢٥ سنة لانتخاب الشيوخ وأعطى للمرأة حق الانتخاب لأول مرة فى تاريخ مصر ٠٠٠ ومنح العسكريون أيضا حق الانتخاب وصدر قانون عضوية مجلس الأمة فى ١١ يونيو لانتخاب مجلس مؤلف من ٣٥٠ عضوا بدلا عن مجلس للشيوخ والنواب وحدد سن العضو بثلاثين سنة على الأقل مع خفض قيمة تأمين الترشيح من ١٥٠ جنيها الى ٥٠ جنيها ، وتحديد المكافأة الشهرية بمبلغ ٧٥ جنيها ٠

صدرت التعليمات لعدد من الضـــباط بترشـــيح أنفسهم فى دوائر معينة ، حتى فى الدوائر البعيدة مثل الوادى الجديد (محمد أبو نار)

وسيناء (فتحي رزق) ومرسى مطروح (فؤاد المهداوى) ... وشكلت لجنة خاصة من العسكريين ضمت زكريا محيى الدين وعلى صبري وعدد من ضباط المخابرات لفرز الترشيحات للمجلس واستبعاد الذين لا يتلاءمون مع ارادة السلطة العسكرية .

وقد استبعد نتيجة لذلك عدد كبير من المرشحين ... وعلى سبيل المثال شطب حق الترشيح في دائرة (نكلا العنب) البحيرة من تسعة مرشحين كنت واحدا منهم لتقفل الدائرة على فتحي الشرقاوى المحامى .

لم تكن المسألة هى ادخال الضباط للمجلس ... وانما ادخال الضباط الموالين والسائرين فى ركب السلطة ، تجنبا للمعارضة ...

وهكذا قضى منذ البداية على فرصة وجود معارضة بعد ان أعطى الدستور للاتحاد القومى حق الاعتراض على المرشحين ... وقد اعترض على ١١٨٨ من ٢٥٠٨ مرشحين .

أجريت الانتخابات فى هذا المجلس بحرية نسبية دون تدخل وأغلقت كافة الدوائر التى رشح فيها أعضاء مجلس قيادة الثورة تجنبا لاتهامات بالتزوير ومواجهة صريحة للجماهير بالرغبة فى ادخالهم الى مجلس الأمة ... وأصدر وزير الداخلية زكريا محيى الدين أوامره بالحياد المطلق بين كافة المرشحين . وكان دليل ذلك سقوط والد كمال الدين حسين فى القليوبية وسقوط شقيق زوجة زكريا محيى الدين نفسه فى الشرقية .

عدد الدوائر التى أغلقت كانت ٤٣ دائرة وعدد الضباط من الجيش والبوليس الذين دخلوا مجلس الأمة كانوا ٥٩ ضـــــابطا وقد انتخب عبد اللطيف البغدادى رئيسا للمجلس وأنور السادات وكيلا له .

اضفى مجلس الأمة شرعية ديموقراطية على نظام الحكم ، ولكنه ظل فى مضمونه عسكريا يقبض العسكريون فيه على زمام السلطة التى أصبحت تتركز فى يد جمال عبد الناصر .

أبرز أزمة فجرت تناقضات العسكريين داخل مجلس الأمة كانت أزمة مجدى حسنين ومديرية التحرير ... وكان هو الذى أنشأها ثم طرد منها يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٧ بعد منعه لقوات البوليس من تنفيذ أمر صادر باخلاء منطقة معروفة من سكانها وأعاد أثاث المنازل بعد اخراجه بالقوة باعتباره نائبا للمنطقة .

قدم عشرة نواب اقتراحا بطرد مجدى حسنين من المجلس هو والنواب الدكتور محمود القاضى واسماعيل نجم المحامى والصاغ أحمد شفيق أبو عوف باعتبار ان مجدى حسنين قد أفسدهم بتعيينهم فى مديرية التحرير

٠٠٠ والدستور يعطى لمجلس الأمة حق الموافقة على ميزانية الحكومة ومصروفاتها ، وبذا كان فى مقدوره ان يعترض على الحكومة التى يعينها رئيس الجمهورية الذى يعين بوساطة المجلس وتستفتى فى شأنه الأمة ومع ذلك فللرئيس سلطة حل مجلس الأمة .

قرر عبد اللطيف البغدادى رئيس المجلس تشكيل لجنة دستورية للتحقيق على أن تنتهى منه خلال ٤٨ ساعة .

كان جمال عبد الناصر قد أظهر تخليه عن مجدى حسنين فتحمس ضده عدد كبير من أعضاء المجلس ٠٠٠ ولكن مراجعته للموقف واستماعه لبعض الضباط جعله يعتقد أن قرار فصل مجدى حسنين من مجلس الأمة سوف يعتبر ادانة لمشروع مديرية التحرير وهو الذى تحمس له عند انشائها باعتباره من مشاريع الثورة الهامة وشكل لها مجلس ادارة على مستوى عال برئاسة الدكتور عبد الرازق صدقى وزير الزراعة وعضوية الوزراء عبد اللطيف البغدادى وكمال حسين وأحمد الشرباصى وعبد الحكيم الرفاعى محافظ البنك الأهلى وأحمد فؤاد ووكيل وزارة الخزانة وعدد من أساتذة الزراعة فى مصر ٠٠٠ وكان مجدى حسنين هو العضو المنتدب ووقف ضد رأى جمال سالم الذى كان يعارض اشراف الدولة على الزراعة والذى حمل لواء المعارضة فى اجتماع مشترك لمجلس الثورة ومجلس الانتاج ومجموعة من مديرية التحرير دعا اليه عبد الناصر لمناقشة المشروع .

وبعد ان كان قد أبلغ البغدادى موافقته على فصل مجدى عاد فأبلغ بعض النواب العسكريين المقربين منه بعدم موافقته ٠٠٠ وهنا تحول تيار المجلس ، وفترت حماسة المهاجمين لمجدى حسنين وتحول بعضهم الى موقف التأييد له والدفاع عنه .

وعندما شعر عبد اللطيف البغدادى بهذا التحول وهو الذى كان على وشك تنفيذ اجراءات فصل مجدى حسنين ترك منصة الرئاسة وخطب فى الأعضاء قائلا ان هناك خللا دستوريا وتدخلا من السلطة التنفيذية فى شئون السلطة التشريعية .

طالب الأعضاء بأن تكون الجلسة سرية بعد ان أعلن البغدادى انها ستكون علنية ولذا قرر فى نهايتها ان يستقيل ومعه مجموعة من أعضاء المجلس ٠٠٠ ولكنه فوجىء وهو فى طريق عودته ومروره على منزل جمال عبد الناصر ان هؤلاء الأعضاء عنده .

وانتهت الأزمة بجلسة طويلة بين جمال عبد الناصر والبغدادى فسر له فيها جمال رأيه فى احتمالات تطور الموقف بما أقنع البغدادى وأعاد الهدوء الى نفسه .

وانتهت أزمة مجـدى حسنين بعد ان عرض التحقيق على المجلس ووقف بجانب مجدى ٢٣٠ عضوا من ٣٥٠ هم عدد أعضاء المجلس ٠

وأسفرت هذه الأزمة عن ظهور التناقضات بين أعضاء مجلس القيادة الى المجال العلنى بعد ان كانت مطوية فى نطاق السرية ٠

وقدم كمال الدين حسين الى عبد اللطيف البغدادى استقالته من عضوية مجلس الأمة احتجاجا على تصرفات مجدى حسنين ولكنه سحبها بعد تدخل شخصي من جمال عبد الناصر ٠

لم تكن هذه أول استقالة لكمال الدين حسين ولكنها كانت الثالثة ٠٠٠ قدم الأولى فى الشهر الأول من حركة ٢٣ يوليو دون ان يذكر بها أسبابا معينة ٠٠٠ وقدم الاستقالة الثانية أثناء غيـاب جمال عبد الناصر فى باندونج احتجاجا على بعض تصرفات جمال سالم ٠

أدت هذه المواقف والاستقالات المرفوضة الى زيادة اعتماد جمـال عبد الناصر على عناصر جديدة من العسكريين غير الذين أدوا أدوارهم فى بداية الحركة ٠٠٠ ولمعت أسماء لم تكن فى تنظيم الضباط الأحرار ٠

زحف العسكريين نحو السلطة ، يأخذ طابعا جديدا ٠

وفى الوزارة التى شكلت يوم ٦ مارس ١٩٥٨ عين على صبرى وزيرا لشئون رئاسة الجمهورية ٠ واللواء فتحى رزق نائبا لوزير الحربية وكمال الدين رفعت نائبا لوزير شؤون رئاسة الجمهورية ٠

وكان هذا بداية تسرب العسكريين من خارج مجلس قيادة الثورة الى مراكز السلطة الرئيسية فتح الباب بعده لمزيد من التعيينات ٠ فضمت الحكومة المركزية التى شكلت فى ٧ أكتوبر من نفس العام ١٩٥٨ حسين ذو الفقار صبرى نائبا لوزير الخارجية ومحمد عبد القادر حاتم نائبـا لوزير شئون رئاسة الجمهورية بعد تعيين كمال رفعت وزيرا للدولة ٠

ودخل المجلس التنفيذى للاقليم المصرى فى نفس التاريخ الوزراء العسكريون ثروت عكاشة للثقافة والارشـــاد القومى وعبـاس رضوان للداخلية والدكتور محمد محمود نصار للصحة ومحمد توفيق عبد الفتاح للشئون الاجتماعية واحمد عبد الله طعيمة للأوقاف ٠

مثل هذه التعيينات الجديدة خلقت فارقا واسعا بين مركز السلطة المتمثل فى جمال عبد الناصر وبين الذين عينوا وزراء ٠٠٠ فقد كان بعض هؤلاء ومن جاء بعدهم أبعد ما يكونون عن السياســة ، ووصــولهم الى المسئولية الوزارية لم يكن عن طريق النضال السياسى وانما عن طريق الاختيار الشخصى ٠٠٠ وبذا أصبحت تبعيتهم كاملة لشخصية الزعيم

وخاصة فى غيبة التنظيم السياسى الفعال ، حيث بدت تجربة الاتحاد القومى على انقاض هيئة التحرير هشة وغير جذابة للجماهير ٠

معظم المراكز القيـــادية والوزارات أخذت تسقط بالتدريج فى يد العسكريين واصبحوا هم الكادرات التى يعتمد عليها النظام ٠٠٠

ويقول ماكسيم رودنسون (احتاج الامر الى وقت أطول ليتبين أن الجيش جماعة أنانيـــة متلهفـة الى الاســتمرار فى السلطـة والى زيادة امتيازاتها ، وانها بعيدة عن الطبقـات العاملـة لم يكن واردا حتى هذه اللحظة ٠٠٠ وتعبير العسكريين عن أهدافها كان تصورا بعيدا عن الواقع والحقيقة ٠

بقى الجيش هو السنه الرئيسى للنظام ٠٠٠ وفى سبيل ذلك منح ضباطه كثيرا من الامتيازات ٠

ارتفعت المرتبات بنســبة أسرع كثيرا من ارتفاع مرتبــات خريجى الجامعـــة :

الرتبة	المرتب عام ١٩٥٢	المرتب ١٩٦٢	المرتب عام ١٩٧٢
عسكرى	٦٩ قرشا شهريا	٢٥٠ قرشا	٣٠٠ قرش
ملازم ثان	١٢ جنيها شهريا	٢٠ جنيها	٢٥ جنيها
لــواء	٩٠ جنيها شهريا	١١٠ جنيها	١٢٥ جنيها

وتقررت للضباط بدلات جديدة مثل بدل التمثيل الذى كان قد قرر للوزراء ووكلائهم ورؤساء مجالس الادارة فى صورة مرتب الاستقبال(فريق ١٣٥٠ جنيها سنويا ، لواء ٧٥٠ جنيها سنويا ، عميد ٣٧٥ جنيها سنويا) للرتب الكبيرة فقط ، وارتفعت قيمة بدل الســـكن ، وبدل الاقامة فى محافظات أسوان والبحر الأحمر وقنا وسوهاج ، ومنح مرتب امتيـــاز للخدمة برئاسة الجمهورية (يتراوح بين ١٤ جنيها شهريا لرتبة اللواء ، وعشرة جنيهات شهريا للملازم والنفيب) ٠

كما زادت العلاوات عددا وقيمة ٠٠ أصبح هناك علاوة تدريس وعلاوة تعليم وعلاوة تشكيل وعلاوة مترجم ٠٠ الخ ٠

كانت هذه العلاوات والبدلات والمكافآت مرضية للضباط أصــحاب الرتب الكبيرة ، وكانت تخلق فى نفس الوقت فروقا اجتماعية وطبقية حادة بين الضباط والمجندين ، تماما كما كانت الحال فى الجيش قبل الثورة ، ولكن بصورة أخف قليلا ٠٠٠ مع ضرورة مراعاة ارتفاع مستوى الجنود الاجتماعى بعد قانون تجنيد عام ١٩٥٥ ٠

وتقرر أيضا رفع سن الاحالة على المعاش (المشير ٦٥ سنة والفريق ٦٣ سنة واللواء ٦٠ سنة) وهكذا تتدرج تنازليا حتى تصل الى سن الخمسين لرتبة الرائد (الصاغ) ، ٤٤ للملازم .

وكانت شخصية عبد الحكيم عامر الذى حصل على رتبة المشير فى أول يونيو ١٩٥٨ بعد الوحدة وأصبح نائبا لرئيس الجمهورية مساندة لهذا الاتجاه فهو بحكم تكوينه ودود ، يغدق على كل من يلجأ اليه من الضباط ، ويهتم بالمسائل الاجتماعية أكثر من اهتمامه بالمسائل العسكرية .

والمكتب العسكرى الفنى للقائد العام الذى ضم عددا من خيرة الضباط مثل حافظ اسماعيل ونور الدين قرة ومحسن ادريس وعبد المحسن مرتجى وغيرهم لم تعد له سلطة أمام مكتب شئون الأفراد الذى يديره شمس بدران .. ونقل معظم الأكفاء من المكتب الى الوظائف المدنية بعد انفجار التناقضات والخلافات .

وكانت الحاشية التى أحاط المشير نفسه بها قد عرفت فيه هذه الصفحات فتمادت فى سلوكها اللاأخلاقى واستغلت أموال الدولة أسوأ استغلال .

كل الذين اقتربوا من رجال مكتبه الذين كان يقودهم الصاغ على شفيق صفوت ، كانت تأخذهم الدهشة من الجموح المكشوف فى مجال اللهو والبذخ المبالغ فيه ، الأمر الذى أثر تأثيرا شديدا على قمة القيادة العسكرية وانعكس على بقية مستويات الضباط .

وبقى الجيش هو المصدر الرئيسى لتوريد الوزراء والمحافظين ورؤساء مجالس الادارة ووكلاء الوزارات والسفراء وغيرهم من أصحاب المناصب الرئيسية ... يزداد ذلك وضوحا كلما مضت الأيام ... وخاصة فى عهد الوحدة مع سوريا حيث ظهرت مناصب جديدة لنواب رئيس الجمهورية وأعضاء مجلس تنفيذى فى مصر وسوريا ...

وظهرت فئة جديدة من الضباط المؤهلين خريجى الجامعات وخاصة المهندسين الذين تدفقوا على الأعمال المدنية بعد بداية الحركة ثم وصلوا الى مناصبها الرئيسية مع تعيين القائمقام محمود يونس نائبا لرئيس هيئة قناة السويس واللواء المهندس عبد الوهاب البشرى نائبا لوزير الحربية والصاغ صلاح هدايت خريج كلية العلوم أيضا وزيرا للبحث العلمى .

بدأ هؤلاء الضباط التيكنوقراط يمثلون فئة جديدة من فئات السلطة العليا ...

كما بدأ الضباط يتولون أعمالا بعيدة عن اختصاصاتهم ولا تدخل فى مجال العمل السياسى وانما تحتاج الى تخصص وتأهيل فتولى فى وزارة ١٨ أكتوبر ١٩٦١ بعد الانفصال ... كمال رفعت وزارة العمل

وعبد المحسن أبو النور وزارة الاصلاح الزراعى واصلاح الأراضى ٠٠٠ وأحمد عبد الله نوابا لرئيس الجمهورية واحتفظوا بأعمال تنفيذية مثل عبد اللطيف البغدادى وزيرا للخزانة والتخطيط وزكريا محيى الدين للداخلية وعبد الحكيم عامر للحربية والقيادة العامة وحسين الشافعى للأوقاف والشئون الاجتماعية وكمال الدين حسين وزيرا للادارة المحلية والاسكان والمرافق ٠

نقطة تحول

كان هذا هو الاتجاه حتى عين على صبرى رئيسا للمجلس التنفيذى في مصر يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ بعد تشكيل مجلس الرئاسة من جمال عبد الناصر رئيسا وعبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى وكمال الدين حسين نوابا لرئيس الجمهورية وأنور السادات وحسن ابراهيم وعلى صبرى والدكتور نور الدين طراف والمهندس الزراعى أحمد عبده الشرباصى وكمال الدين رفعت أعضاء ٠

كان لتعيين على صبرى رئيسا للجهاز التنفيذى بعد تشكيل مجلس الرئاسة بداية لسحب السلطات التنفيذية والادارية من بين أعضاء مجلس قيادة الثورة ، واقتصار عملهم على الشئون السياسية وما يعرض عليهم من أمور فى محاولة شكلية للقيادة الجماعية ، ومحاولة فعلية للاشراف المباشر على أعمال مجلس الوزراء عن طريق على صبرى ٠٠٠ واعتبر ذلك التاريخ نهاية فعلية لسلطات أعضاء المجلس المباشر ولو فى مناصب وزارية عدا عبد الحكيم عامر الذى ظل فى موقعه وزيرا للحربية حتى النهاية ٠

علل جمال عبد الناصر ذلك لزكريا محيى الدين بقوله ان وجودهم فى المناصب التنفيذية يسبب له حساسيات ويضعف من ارادته فى التغيير ٠

كما كان تعيين على صبرى رئيسا للمجلس التنفيذى أول تكليف لعسكرى من خارج مجلس قيادة الثورة بعمل رئيسى وايذانا بالاستعانة بعدد من العسكريين الجدد فى مناصب وزارية ٠٠٠ لم يخرج أحد من الوزراء العسكريين القدامى وانما أضيف اليهم البكباشى طلعت خيرى وزير دولة للشباب وعين عبد العظيم فهمى أول ضابط شرطة وزيرا للداخلية كما تم تعيين صدقى سليمان وزيرا للسد العالى فى وزارة ٢٥ مارس ١٩٦٤ ، ومحمود رياض وزيرا للخارجية ثم دخول شعراوى جمعه وزيرا للدولة فى وزارة زكريا محيى الدين أول أكتوبر ١٩٦٥ ومعه عبد الفتاح حسن وزير دولة ٠٠٠ وأحمد حمدى عبيد وزيرا للادارة المحلية ، ونور الدين قرة وزيرا للتموين والتجارة الداخلية ، وأمين هويدى وزيرا للارشاد ٠

بلغت نسبة الضباط خلال الفترة التى أعقبت الانفصال أعلى نسبة فى تاريخ الحركة ٠

مجلس الرئاسة ١٠ عسكريين من ١٢ عضوا بنسبة ٣/١ ٨٣٪ ٠

مجلس الوزراء أثناء رئاسة على صبرى ١٠ وزراء ونواب وزراء من ٢٩ عضوا بنسبة ٢/١ ٣٤٪ ٠

ثم ارتفعت النسبة فى وزارة ٢٥ مارس ١٩٦٤ لتكون ٥٠٪ للعسكريين من بين رئيس الوزراء ونواب رئيس الوزراء رئيس الوزراء واحد عشر نائبا ٠٠ ولتصبح ٢٥٪ من الوزراء ٦ عسكريين ، ١٨ مدنيا ٠

ارتفعت هذه النسبة فى وزارة زكريا محيى الدين لتصبح ١٠ وزراء عسكريين ، ١٦ مدنيا بنسبة ٣٩٪ تقريبا ٠

كان عدد الوزراء عموما أكثر مما تحتمله طاقة مصر ٠٠٠ الوزارة البريطانيــة بعد الحرب كانت تشــكل من ١٨ الى ١٦ وزيرا والوزارة الأمريكية تشكل من ١٢ وزيرا ٠

واضح من هــذا الاعتمــاد المتدرج على العسكريين ان الجيش كان السند الحقيقى للسلطة وانه لم يكن هناك مصــدر رئيسى آخر يعتمد عليه ٠٠٠ وان الوزارات التى ابتعد عنها العسكريون وتولاها مدنيون منذ بداية الحركة لم تتجاوز وزارة العدل والأشغال والاقتصاد فقط ٠٠٠ أما بقية الوزارات فقد مر عليها العسكريون فى رحلة أو أخرى ٠

والعسكريون فى عملهم لهم طبيعة خاصــة ٠٠٠ وكل مهنة لهــا مواصفات معينة تجمع المنتمين اليها وتصبغهم بصبغتها ٠

والحياة العسكرية تنمى فى الضباط الروح الفردية والطاعة لأن كل فرد فى العسكريين له سلطة اصدار الأوامر على من هم أحدث منه ، وعليه واجب تنفيذ أوامر من هم أقدم منه بلا اعتراض أو مناقشة ٠

ومثل هذه الحياة تخلق فى الضباط ما يسمى (عيوب المهنة) ولكل مهنة عيوبها كما لها فضائلها ٠٠٠ وهى عند الضباط تتمثل فى هــذا الالتزام الغريب بتنفيذ الأوامر ، وتجنب المناقشة أو عدم القدرة عليها ، والانعزال عن المجتمع لارتباطهم غالبا بحياة المعسكرات ، ووجود صلات شخصية وثيقة بينهم لتواجدهم الدائم مع بعضهم وخاصة فى المناطق الخارجية والنائية ، وعزوفهم عن الثقافة والقراءة الجادة حيث لا تلتزم حياتهم بذلك الا فى حدود الشئون العسكرية ٠

الوجه الآخر للتشــكيل المهنى للضــباط هو اجادتهم وتفوقهم فى الأعمال الادارية ، وانضباطهم فى تنفيذ التعليمات ٠٠٠ الأمر الذى يجعل

الشركات الصناعية فى الخارج تستعين بكفاءة الضباط المتقاعدين فى الأعمال الادارية ٠

ولذا فان استعانة مركز السلطة بالعسكريين كان اختيارا للطريق السهل ٠٠٠ بدلا من اختيار الطريق الصعب فى تكوين كادرات من خارج الجيش عن طريق الانفتاح على الجماهير واتاحة الفرصة لظهور العناصر ذات الطاقات والمواهب ٠

وظاهرة أخرى هامة تشير الى نوعية الضباط المختارين لمنصب السلطة العليا ٠٠٠ معظمهم كانوا ضباطا فى المخابرات العامة أو الحربية (على صبرى وكمال رفعت وطلعت خيرى وثروت عكاشة وعبد القادر حاتم وشعراوى جمعه وأمين هويدى وتوفيق عبد الفتاح وعبد المحسن أبو النور) وبذا يمكن القول انه اذا استثنينا التكنوقراطيين مثل صدقى سليمان ومحمود يونس وعبد الوهاب البشرى فان بقية العسكريين كانوا من المدربين فى أجهزة المخابرات المتخرجين فيها ٠٠٠ الأمر الذى انعكس على أسلوبهم فى الحكم ، حيث اعتمدوا على السرية والانغلاق والتقارير ولم ينفتحوا انفتاحا حقيقيا على الجماهير ٠

كان مركز السلطة يحتم اهتماما مركزا برؤية ما يدور فى المجتمع ليس عن طريق التفاعل الحيوى الطبيعى ، وانما عن طريق الرؤية المحدودة لأجهزة الأمن ٠

وكانت أجهزة الأمن والمخابرات تزداد فى العدد والامكانيات المادية بصفة مستمرة ٠٠٠

وكان طريق الوصول للسلطة هو كتابة التقارير ٠٠٠ فهى معيار الاخلاص وميزان الولاء ٠٠ وكان مطلوبا من الجميع فى مراكز السلطة ان يسهموا فى ذلك كل على قدر طاقته ٠

وكان هذا دافعا أيضا الى اهتمام أجهزة العمل السياسى على مختلف تشكيلاتها (هيئة التحرير ــ الاتحاد القومى ــ الاتحاد الاشتراكى) بكتابة تقارير تساند أجهزة الأمن فى عملها ٠

ولم يقتصر هذا الأسلوب على العسكريين وحدهم وانما امتد الى المدنيين أيضا ٠٠٠ عدد من الوزراء المدنيين كانوا يعملون ويتعاونون أصلا فى المخابرات ٠

وكان هذا دافعا أيضا الى اهتمام أجهزة العمل السياسى على مختلف تشكيلاتها (هيئة التحرير ــ الاتحاد القومى ــ الاتحاد الاشتراكى) بكتابة تقارير وتعطى لمركز السلطة معلومات قد لا تصل اليها أجهزة الأمن ، أو تبرز لها صورة خافية أو مختلفة ؛

ويبدو أن ذلك كان قد أصبح قاعدة طبيعية ، وعمــلا مطلوبا من الذين يعهد اليهم بأعمال مسئولة ٠

قال جمال عبد الناصر للصاغ لطفى واكد عندما عهد اليه برئاسة تحرير جريدة الشعب ، انه عندما طلب بعض المعلومات عن عدد من الوزراء أحضرها له مصطفى أمين فى نصف ساعة ، بينما اقتضى ذلك من المخابرات أكثر من اسبوع ٠٠٠ وقال له ان هذا دليل على أن عنده جهاز معلومات قادرا ونشيطا ٠٠٠

بعض المسئولين عن الصحف كانوا يلعبون دور أجهزة الأمن للمعلومات أيضـــا ٠

وطلب من لطفى واكد ان يعد جهازا خاصا فى صحيفته للحصول على مثل هذه المعلومات ٠

كانت بعض المؤسسات الصحفية تؤدى هذا الدور أيضا ٠٠٠ وكانت هذه التقارير هى سلم الترقى ٠

وهكذا نمت أجهزة الأمن والمعلومات واتسعت شباكها حتى كادت تستوعب المجتمع كله ٠٠٠ وفقد الناس الثقة فى بعضهم ، وبذر الخوف فى قلوبهم ، فانعقدت ألسنتهم وآثروا الصـمت والسـلبية والبعد عن المخاطر ٠

وفى هذا الجو تغلبت نظرية تغليب الاخلاص على الخبرة ٠٠٠ ولم يعد غريبا ظهور عنصر العسكريين وخاصـة المرتبطين بأجهزة الأمن فى مراكز تبعد تماما عن طبيعتهم ومعرفتهم ٠ وكما حدث فى مناصب الوزراء حدث فى كثير من المناصب الأخرى الحساسة ٠

أول تطبيق لنظام الادارة المحلية وتعيين المحافظين صدر فى ١٠ سبتمبر ١٩٦٠ وشمل تعيين ٢١ محافظا منهم ١١ ضـــابط جيش ، ٥ ضباط شرطة فى مناصب المحافظين ٠٠ وهى مناصب سياسية من درجة نائب وزير يسقط شاغلوها مع انتهاء مدة رئيس الجمهورية ، والذى يخرج منها يحال للمعاش دون تولى منصب آخر ٠

كان من بين المحافظين سبعة فقط من الضباط الأحرار (وجيه أباظة ، حمدى عبيد ، اسماعيل فريد ، محمد البلتاجى ، محيى الدين أبو العز ، حمدى عاشور ثم صلاح الدين دسوقى ضابط الشرطة الذى عين محافظا للقاهرة) ، وكان هناك أيضا بعض الضباط الذين وقفوا الى جانب مجلس الثورة فى أزمة مارس ١٩٥٤ مثل سعد الدين زايد ٠٠٠

ومنذ القرار الأول لتعيين المحافظين ، أصبح الجيش مصدرا رئيسيا من مصـــادر توريدهم ، واحتفظ الضباط دائمـا بالأغلبية العددية بين المحافظين ٠

وكان عدد السفراء العسكريين فى وزارة الخارجية يزيد ويتضاعف ٠

فى عام ١٩٥٢ لم يكن هناك سفراء عسكريون سوى اللواء على نجيب فى بيروت واللواء محمد سيف الدين فى عمان ٠٠٠

تزايد تدفق الجيش الى الخارجية حتى بلغ عدد الضباط فى مناصب وزارة الخارجية الكبرى ٧٢ ضابطا من ١٠٠ عام ١٩٦٢ ٠٠٠ وكان جميع سفراء أوروبا خلال ذلك العام من الضباط عدا ٣ من المدنيين ٠

ولم يقتصر الأمر على المناصب الكبيرة فقط ٠٠ ولكن طعمت الوزارة أيضـــا بعدد من الضباط أصـــحاب الرتب الصغيرة نسبيا فى مناصب المستشارين والسكرتيريين ولكن نسبتهم لم تتجاوز ٢٩ ضابطا فى المائة منصب الثانية وذلك تبعا لما ورد فى كشف أقدمية أعضـــاء السلكين الديبلوماسى والقنصل الصادر من وزارة الخارجية فى أول يناير ١٩٦٤ ٠

واستولى العسكريون على المناصب القيادية فى نطاق الشباب أيضا ، واشترك أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقون فى ذلك ٠

ولم يكتف عبد الحكيم عامر بمنصب القائد العام للقوات المسلحة والمشرف على الطرق الصوفية ، بل أصبح رئيسا لاتحاد كرة القدم اللعبة الشعبية الكبرى فى مصر ، وعين حسين الشافعى رئيسا لاتحاد الفروسية ، وعلى صبرى رئيسا لاتحاد السباحة ، ومجدى حسنين رئيســـا لاتحاد التنس ، وعلى شفيق مدير مكتب المشير رئيسا لاتحاد الملاكمة ٠٠٠ الخ ٠

لم يكن تدفق الضباط الى هذه المناصب المتعددة شرا كله ٠٠٠ وان كان المبدأ فى ذاته خاطئا ومدمرا لأنه حطم تقاليد الجيش ، وخلق بين الضباط تطلعات ذاتية وطبقية ، وأغرق بعض الجهات بأفراد أبعد ما يكونون عن الخبرة ، لا يعتمدون الا على صلاتهم الشخصية وملابسهم العسكرية السابقة ٠

ولا شك انه كانت هناك سلبيات وايجابيات فى أهل الثقة ، كما كانت موجودة أيضا فى أهل الخبرة ٠

لم يبذل مركز السلطة جهدا ايجابيا فى كسب ثقة أهل الخبرة بعد ضربات العنف التى وجهها لاعداء الثورة ، وبعد اعتمـاده الواضح على الجيش كمؤسسة وعلى أجهزة الأمن كمصدر تفريخ للمسئولين على كافة المستويات ٠

ولذا فان أهل الخبرة لم يكن عندهم اقتناع واضح بخطوات الثورة ، ولم يقدروا رغبة قيادتها الصادقة فى تطوير المجتمع بعد تأكيد استقلاله الوطنى ... فظلوا فى عزلتهم يفرزون آراءهم المضادة دون محاوله جادة للتعرف على ما يدور فى المجتمع من تغيرات اجتماعية .

لم يكن تحقيق التناسق بين أهل الثقة وأهل الخبرة عملية عسيرة معقدة ، ولكن مركز السلطة لم يفطن الى أنها ضرورة لبناء المجتمع على أسس علمية سليمة ، وآثر الراحة والاعتماد على خلصائه الأوفياء من العسكريين الذين جعلوا من أنفسهم حاجزا يعزل أهل الخبرة عن الوصول الى أماكنهم الطبيعية .

كتب محمد حسنين هيكل ينقد المثقفين فى سلسلة مقالات تحت عنوان أزمة المثقفين فى صحيفة الأهرام خلال شهر يونيو ١٩٦١ .

أين كان المثقفون ؟

وأين كان دورهم الطليعى ؟

كان بروز القيادة الثورية من الطلائع العتيقة التى تحركت من صفوف الجيش ونجاحها فى التعبير عن مطالبها تذكيرا دائما لهذه الفئات المثقفة بعجزها عن أداء دورها الطليعى .

ويلخص هيكل أزمة المثقفين فى ثلاث نقاط .

١ ـ المطالبة بعودة الجيش الى الثكنات .

٢ ـ المطالبة بعودة الحياة النيابية والأحزاب السياسية .

٣ ـ أهل الثقة وأهل الخبرة .

ويخلص هيكل الى القول (أزمة المثقفين هى تعبير عن فشلهم فى الحياة) .

ودخل صلاح دسوقى فى حملة الحديث عن أزمة المثقفين فى مجلة البوليس بقوله (ليست هناك أزمة) وهاجم مثقفى الاقطاع والرجعية والأحزاب السياسية ... واعتبر المثقفين أشد المعارضين للنظام وأقصى الرافضين لرأى الغير .

كان هذا الموقف دليلا على محاولة العسكريين ادانة المثقفين واتهامهم بالانطوائية دون محاولة جادة لاجتذابهم الى المشاركة الفعالة فى مجالات الحركة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وغريب ان تظهر هذه المقالات فى وقت كان فيه خيرة مثقفى مصر وأكثرهم اخلاصا لها داخل المعتقلات والسجون بتهمة الشيوعية .

ولكنها فيما يبدو كانت تعبيرا عن احساس مركز السلطة بوجود فراغ فكرى فى المجتمع يعجز العسكريون عن ملئه ٠

ومع ذلك فان السلطة استمرت للجيش وحده لا تشاركه فيها أية قوة سياسية أو اجتماعية ولم تكن حركته ــ حتى هذه الفترة ــ تعبيرا عن طبقة معينة ، وانما كانت منفردة فى ذاتها ٠

لم يكن قد ظهر تحديد قطعى واضح بعد بوجود الجيش فى خدمة البرجوازية الكبيرة أو الصغيرة أو الطبقة العاملة ٠

ويقول لينين (لا يمكن للقوات المسلحة أن تكون ، ولم تكن يوما ، ولن تكون أبدا محايدة) ٠

ولكنها خلال هذه الفترة كانت فى مرحلة تثبيت أقدامها ، واستكمال قدراتها ، وتأكيد نفوذها لتؤدى دورها الطبيعى بعد ذلك فى خدمة طبقتها كما سيأتى توضيحه فى الفصول القادمة ٠

ولا يمكن النظر الى العسكريين ككتلة واحدة ٠٠٠ فانه فيما بين الضباط توجد تناقضـات ٠٠٠ وفيما بين الضباط والجنود توجد ثغرة واسـعة ٠

وقد ظلت العزلة الاجتماعية والفكرية بين الجنود والضـباط هى المظهر المستمر ٠

الأغلبية الساحقة من الجنود كانوا من القرية أبناء الفلاحين البسطاء ٠٠٠ والضباط من المدينة أبناء البرجوازية الكبيرة والصغيرة ٠

والقاعدة التى وضعها الاحتلال البريطانى يمنع ترقية الجنود وصف الضباط الى رتب الضباط كما كان قائما فى القرن التاسع عشر ٠٠٠ الأمر الذى أدى الى ترقية أحمد عرابى وزملائه وثورتهم بعد ذلك ضد الخديوى والضباط الشراكسة والتدخل الأجنبى ٠

هذه القاعدة استمرت قائمة ولم تنفذ الا بطريقة شكلية عندما فتحت أبواب الترقى أمام الميكانيكية والفنيين وخريجى مدارس ضباط الصف عام ١٩٥٣ حيث أصبح مسموحا بترقيتهم الى رتب الضباط حتى رتبة رائد شرف ٠

ولكن تحدد سن احالتهم الى المعاش بالوصول الى سن الخمسين من العمـر ٠

لم يكن هذا القانون الجديد تحطيما للفروق القائمة بين الضباط وصف الضبـط بطريقة تجعل من أبناء الجيش وحدة واحدة ٠٠٠ التفوق فيها للأفضل ٠٠٠

أعطى بعض الحقوق للجنود ••• ولكنه وقف حائلا دون وصولهم الى راتب القيادة العليا مهما بلغت كفاءتهم •

وهكذا استمرت الثغرة بين الجنود والضباط قائمة ••• وفى حرب عام ١٩٥٦ عندما أسر الاسرائيليون عشرات الضباط وتم استجوابهم ، صرح لهم بعد ذلك بتقديم أسئلة أو التقدم بطلبات خاصة •

ويقول اليزير بيبرى فى كتابه (ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع العربى) ان أغلبية الضباط طالبت بتحسين ظروفهم المعيشية ، وتساءلت عن خط سير المعركة ، وسأل البعض عن عدد من زملائهم الضباط •

ولكن أحدا من الضباط لم يسأل عن جنوده •

سواء صح ذلك أم لم يصح فان حرب ١٩٥٦ لم تغير الواقع العسكرى إلا فى أضيق الحدود ••• وغطى النصر السياسى على العيوب التى تكشفت ••• وبدلا من علاجها آثرت القيادة السياسية تغطيتها حتى لا تشوه صورة النصر •

ثم حدثت بعد ذلك تحولات واضحة فى حياة الضباط أدت الى ارتفاع مركزهم الإجتماعى ، وزيادة ثقتهم الشخصية بأنفسهم ، وظهورهم كقوة سياسية •

وكان ذلك نتيجة للخدمات التى قدمت لهم فى صورة جمعيات تعاونية لبناء المساكن بالتقسيط فى أفخر أحياء العاصمة ، وفى تقسيط أثمان العربات الخاصة لهم واعطائهم أسبقية خاصة فى الحصول عليها ، وفى رفع البدلات الممنوحة لهم واقرار بدلات جديدة ، وفى تسهيل سفرهم وسفر أسرهم للعلاج فى الخارج ، واعطائهم حق العضوية فى مختلف الأندية طالما هم أعضاء فى نوادى ضباط القوات المسلحة •

وساعدت زيادة الجيش على سرعة الترقيات ووصل الضباط الى الرتب العالية (لواء وعميد) وهم فى بداية الأربعينيات من العمر ، على غير ما كان موجودا قبل الثورة •

محمد نجيب حصل على رتبة عقيد (قائمقام) وهو فى السابعة والأربعين من عمره ••

ورغم ان قيادات الملك فاروق قد عزلت وصفيت من الجيش ؛ الا أن القيادات الجديدة كانت تنتمى الى نفس المدرسة ، وينهج أغلب أفرادها عدا الثوريين منهم نفس الأسلوب القديم ، فى احاطة الرتب الكبيرة بمظاهر اجتماعية مشابهة لما قبل الثورة •••

يصعب القول بأن تغيرا جذريا قد حدث في الواقع الفكرى والاجتماعى لضباط الرتب الكبيرة خصوصا ...

ولذا فانهم بقوا حيث هم بالنسبة الى المجتمع ... أكثر تخلفا من الناحية الثقافية وأشد انطواء من الناحية السياسية .

كانت طبيعة وجود فئة من العسكريين فى قمة السلطة تفرض ذلك وتشجعه حتى لا تختمر الانقلابات العسكرية العلوية .. أى انقلابات الجنرالات .

الثقافة لم تكن موضع اهتمام للعسكريين ، بل انهـا كانت تمثل عندهم معاناة وشيئا ثقيلا ...

أثناء احتفالات الجيش بعيد الثورة فى بداية الستينيات اقترحت بصفتى مديرا لمؤسسة المسرح تقديم رقصـة بورسعيد للفرقة القومية للفنون الشعبية ، وهى عمل فنى راق ومتكامل ومعبر عن المقاومة الشعبية عام ١٩٥٦ ، ولكن المشير عبد الحكيم عامر طلب بدلا من ذلك تقديم عمل هزلى رخيص كان اسمه (دكتور ... الحقنى) لثلاثى أضواء المسرح .

وكان ابعاد الجيش عن السياسـة هدفا من أهـداف العسكرية الحاكمة ، وخاصة بعد تصفية محاولات الانقلاب ، واخراج العناصر المضادة أو ذات الشخصية من الجيش وزيادة نفوذ أجهزة الأمن .

والعسكريون فى مصر لم يلعبوا دور العسكريين فى بعض البلاد الافريقية ، التى كان العسكريون فيها منضمين الى جيوش الدول المستعمرة وبذا كانوا أكثر ثقافة وتقدما وانفتاحا على العالم من جماهير شعوبهم التى فرض عليها الاستعمار الفقر والتخلف .

الموقف فى مصر كان يختلف عن ذلك تماما ... فالاستعمار كان يفرض على الجيش المصرى كمـا سبق ان أوضـحنا العجز والجمـود والتخلف ... بينما تقدمت الحياة فى المجالات الأخرى ، ووصل بعض المثقفين الى مستوى العصر .

وهكذا ظل الجيش المصرى متخلفـا فى واقعه عن بعض الجيوش الافريقية ... لأن المجتمع المصرى كان أكثر تقدما فى العلم والثقافـة والحضارة .

وظلت هذه الطبيعة تلازمه بدرجة أقل بعد الثورة ... فمما لا شك فيه ان الانفتاح الكبير الذى حدث فى سنوات الثورة الأولى على المجتمع والسياسة ، قد بعث فى صفوف الجيش حيوية جديدة ..

ولكن تثبيت نفوذ ثورة ٢٣ يوليو وحرصها على ابعاد الجيش عن السياسة ، وعدم تسييس الضباط قد عاد وفرض نوعا من الانطوائية الاجبارية على الجيش ... واقتصرت حياة الضباط على العسكرية دون التفتح الضرورى على حياة المجتمع الفكرية والثقافية والسياسية .

وبذا عاد الجيش تدريجيا الى طبيعته السابقة على الثورة ، ولكن بشكل آخر ... ارتبط كبار قادته بمركز السلطة ، وذبلت الحركات المضادة بين صفوفه اما اقتناعا بما يحدث فى المجتمع من تطور وفى الجيش من تقوية ، واما خوفا من سلطة أجهزة الأمن ..

والاستقرار الذى حدث للنظام العسكرى فى مصر ليس له نظير فى الدول العربية أو البلاد النامية وقد أرجع دمكنجيان ذلك فى كتابه (مصر فى عهد ناصر) الى عدة عوامل يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ ـ الترابط بين مجموعة الضباط الأحرار وزملائهم العسكريين .

٢ ـ التحييد والابعاد المستمر للطبقات والفئات التى كانت مسيطرة فى المجتمع .

٣ ـ الجاذبية والدور البارز الخاص للسلطة الشرعية .

٤ ـ التأثير التضامنى الناتج من الوحدة ضد العدوان الخارجى .

٥ ـ اختيار وتطبيق ايديولوجية خاصة .

ولكن لا شك ان تصفية الثورة لأعدائها بطريقة غير دموية جعلتها ثورة بيضاء تتناسب فى حركتها مع طبيعة الشعب المصرى المسالم ..

كما ان انتصارات جمال عبد الناصر الوطنية قد خلقت منه ليس زعيما مصريا فقط بل زعيما عربيا أيضا له ثقل ووزن فى استقرار وثبات دعائم النظام .

لم تعد تقاس قوة السلطة بعد العدوان بقوة الجيش وحده وانما بشخصية الزعيم .

وهنا كانت الفرصة متاحة وكاملة امام جمال عبد الناصر لاختيار الطريق الذى يمضى فيه المجتمع ، وسلوك الأسلوب الذى تستقر عليه القيم الجديدة ، وتنمية الأفكار والايديولوجية التى يقتنع بها .

كان ممكنا لزعامة جمال عبد الناصر فى مصر ان تحقق كل ذلك . لو كانت هناك إيديولوجية واعية مدركة لحركة التاريخ ، مؤمنة بالتفاعل العلمى للعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وتنظيما سياسيا .

كانت هذه هى صورة المجتمع ... طيعة فى يد الزعامة التى أحاطتها بها المحبة الشعبية رغم انها كانت عسكرية وفردية .

يختار الطريق الأصوب ...
مر وتثمر تنظيمات شعبية
وجهده ليبعث الحيوية والوعي
اعتمد منذ البداية على العناصر
الفرص والامكانيات للسيطرة
..

مستمرا بطريقة متزايدة ...
مهنية أو سياسية ظل طابع
: الا من رضيت عنه العسكرية

مع الوقت يأخذ طبيعة خاصة
: والضباط الأحرار الذين مهما
الوطنية والاقبال على التضحية
ت أخرى من الضباط لا تتجاوز
ي المحدود .

ن ابراهيم مراقبا عاما لها ...
نا لا يتصلان به فى حركتهما اليومية ولا يرجعان اليه فى معظم الأمور ... وعندما ناقش الأمر مع جمال عبد الناصر قال له فى بساطة صريحة (انهما يقومان بأعمال غير نظيفة لا تستطيع انت القيام بها) ... وغادر حسن ابراهيم موقعه .

كان الاتجاه تنازليا من مجلس قيادة الثورة الى الضباط الأحرار والى غيرهم .

ورغم ان جمال عبد الناصر كان حريصا على ان يبعد ثورة يوليو عن مظهرها العسكرى - كما يقول زكريا محيى الدين - ... ورغم ان الشعب قد تجاوب معه خلال مواقفه الوطنية تجاوبا لم يحصل عليه زعيم مصرى من قبل ... الا ان تواجد العسكريين ونموهم أصبح طابع الثورة ، وكان الانتماء للجيش هو جواز التغلب على المصاعب وتسهيل الأمور والحصول على المناصب .

وخلال هذه الفترة التى تدعم فيها نفوذ العسكريين فى المجتمع وشكلوا هرما وظيفيا متماسكا ، يمكن القول بأن الجيش كان يعمل لحساب نفسه كقوة سياسية غير مرتبط بالتعبير الواضح الصريح عن طبقة معينة ... ولو ان اتجاها واضحا للعدالة الاجتماعية كان يظهر فى قرارات وقوانين الاصلاح الزراعى وخفض ايجارات المساكن ، واخضاع

المساكن الجديدة لشروط معينة ، ورفع الحد الأدنى لمرتبات العمال ، والسماح بالترقية من رتب الصف ضابط الى الضابط ، ومجانية التعليم فى كافة المراحل وانشاء الوحدات الصحية ٠

هـــذه القرارات كانت تعبر عن اتجاه شعبى عند قمة القيــادة العسكرية ، ٠٠٠ ولكن الجيش لم يكن بعد قد أصبح فى خدمة طبقــة محددة ٠٠٠ كان فى خدمة نفسه لتثبيت سلطته وتأكيد دوره ٠٠٠

لم تكن قد وضحت خلال هذه المرحلة طبيعة الطبقة التى توجــه السلطة ٠٠٠ ولينين يقول فى المجلد ٢٩ (ان القضية الجوهرية لكل ثورة هى دون شك قضية السلطة ، فالطبقة التى تقبض على الســلطة تقرر كل شىء) ٠

ولم تكن فى مصر طبقــة واحدة قــد اســتطاعت ان تقبض على الجيش ٠٠٠ وتشكل له ايديولوجيته وتثبت افكاره وأهدافه ٠

كان الجيش خلال مسيرته يقوى من سلطته ، ويضرب فى كل اتجاه تبعا للظروف ٠٠٠ يضرب البرجوازية الكبيرة وفى نفس الوقت يحاول دعمها ٠٠٠ يضرب الشيوعيين ويقدم خدمات للطبقة العاملة ٠٠٠ يحاكم الاخوان المسلمين وينمى فى نفس الوقت الاتجاهات المحافظة ٠

كانت حركة الجيش فى مسيرته تمثل تقدما الى الأمام ، ولكن فى خط متعرج غير مستقيم ، يميل أحيانا الى اليمين وأحيانا الى اليسار ٠

غياب الايديولوجية كان يخفى الطريق ٠٠٠ ويجعل من التجريبية السبيل الوحيد لمجابهة الأمور ٠

الحيرة كانت تتجسد كثيرا أمام المشاكل ٠٠٠ والاختيار كان يبدو صعبــا ٠

والقوة السياسية الوحيدة المتوقرة ٠٠٠ كانت قوة العسكريين ٠

والمجتمع الطيع فى يد القائد والزعيم لم يتشكل سياسيا أو اقتصاديا بطريقة مستقرة ثابتة ٠

ويصدق خلال هذه المرحلة قول ابن خلدون (ثمة بلدان لا يعرف القلق منها سبيلا الى قلب السلطان لندرة الثورات فيها ففى مصر مثلا لا تجد غير السيد المطاع والرعية المطيعة) ٠

والسيد المطاع سمح بزحف العسكريين الى مراكز السلطة ٠٠ وترك الرعية المطيعة بلا تنظيمات حية تطلق طاقاتها وتعبر عن ارادتها ٠

السيد المطاع محبوب ، ويزداد الناس له حبا ... ولكن الحيرة التي تجعل السيادة للتكتيك وليس للاستراتيجية ، تفقد الناس الوضوح ، وتبذر في النفوس التساؤلات .

وبين الحيرة ... والاختيار ... حديث يطول .

الفصل السادس

الحيرة والاختيار

(لا تبصق فى بئر قد تحتاج الى مياهه)
مثل روسى
خروشــوف
فى خطاب الى جمال عبد الناصر

كان العسكريون قد وثبوا الى معظم المراكز الرئيسية فى المجالات المختلفة ... الوزارة والتنظيم السياسى والمؤسسات والشركات الاقتصادية والصناعية ووزارة الخارجية .

وكان جمال عبد الناصر قد استكان اليهم بحكم طبيعتهم الخاصة ، ومصالحهم المشتركة ، ومعرفتـه لهم من علاقات العمل السابقة ... فى وقت حوصر فيه كل الذين عملوا فى ميدان السياسة قبل الثورة غدا أفراد معدودين .

وبذا كون الضباط حلقة تحيط بالزعيم ... وكونوا مع الوقت حاجزا بينه وبين الجماهير .

كانت الفرصة متاحة أمام جمال عبد الناصر لتشكيل المجتمع بالصورة التى يراها ، فكل شىء طيع بين يديه ، والشعب متعلق به ، بعد انتصاره فى المعارك الوطنية .

ولكن لم تكن هناك ايديولوجية معينة تضيء الطريق ···

كل ما كانت تملكه حركة ٢٣ يوليو ··· الأهداف الستة التى تعتبر شعارات مجردة تحتاج الى تفسير وبرنامج ··· وخبرتها فى مجال الصراع الوطنى مع الاستعمار البريطانى ··· ثم دخولهـا مع باندونج فى نادى السياسة الدولية الذى أصبح جمال عبد الناصر عضوا بارزا بين أعضائه ·

كتاب (فلسفة الثورة) اذا جاز لنا ان نعتبره فلسفة ، يشخص حالة المجتمع بكلمات عبد الناصر (اننـا نعيش فى مجتمع لم يتبلور بعـد ، وما زال يفور ويتحرك ولم يهدأ حتى الآن أو يتخذ وضعه المستقر ويواصل تطوره التدريجى بعد مع باقى الشعوب التى سبقتنا على الطريق) ·

ثم يتسـاءل :

واذن ما هو الطريق ؟

وما هو دورنا على هذا الطريق ؟

أما الطريق فهو الحرية السياسية والاقتصادية ·

وأما دورنا فيه فهو الحراس فقط ، لا يزيد ولا ينقص ··· الحراس لمدة معينة بالذات موقوتة بأجل ·

ولكن

الحراس أصبحوا حكاما ·

والايديولوجية غائبة ·

(فلسفة الثورة) ليس أكثر من خواطر شاب وطنى ، يحمله الأمل الى آفاق محلية وعربية ، ولكنه لا يقدم دليلا للعمل أو نظرية للتجمع ·

الكتاب يتحدث عن دوائر عربية وافريقية واسلامية كمجال لاهتمام مصر ··· ولكن ولا كلمـة عن القوميـة العربية كتأصـيل للفكرة ··· ولا كلمة أيضا عن الاشتراكية ·

ومن قبل ··· كان برنامج هيئة التحرير بلا كلمـــة واحـدة عن (القومية العربية) أو الاشتراكية ·

والاتحاد القومى ··· التنظيم الجديد يعلن يوم ٢٨ مايو ١٩٥٧ · ويتولى منصب السكرتير أنور السادات ثم يصدر جمال عبد الناصر قرارا بعد عدة شهور بتعيين كمال الدين حسـين مشرفا عاما يمارس أعمـــال السكرتير العام الذى خرج من دائرة تنظيم وعمـل الاتحـــاد ··· بينما يتولى هو منصب رئيس الاتحاد ·

تحرص قيادة الثورة على ابعاد شبهة أن يكون الاتحاد القومي حزبا بعد حلها للأحزاب فتعلن انه ليس حزبا وانه ضد الأحزاب .

كلمة الاشتراكية التي ظهرت في قاموس الثورة بعد باندونج ، سجلت في أهداف التنظيم الجديد (الاتحاد القومي ليس حكومة ولكنه تنظيم يضم الحاكمين والشعب ، ويتيح الفرصة الحقيقية لتعاونهم على علاج المشاكل المحلية والقضايا العامة في ظل المجتمع الاشتراكي الديموقراطي التعاوني وهو سبيلنا الى الديموقراطية السليمة التي تشعر الشعب أنه يحكم نفسه بنفسه) .

وعندما قال كمال الدين حسين في مؤتمر الاتحاد القومي (اشتراكيتنا هي اشتراكية التمليك وليست اشتراكية المصادرة) وقف عباس محمود العقاد في وسط القاعة مصفقا بحرارة . وهو الذي لم يكتب كلمة واحدة في تأييد الثورة وعاتب جمال عبد الناصر بعد ذلك كمال الدين حسين — حسب قوله — على توصيفه للاشتراكية قائلا له أننا لا نعرف ظروف المستقبل وما قد تدفعنا اليه لتطبيق قد يقتضي المصادرة .

ويعتبر كمال الدين حسين أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة المتمسكين بتعاليم الدين الاسلامي المحافظين على ارتباطهم بجماعة الاخوان المسلمين رغم موقف الثورة العدائي منهم .

أصدر قرارا في فبراير ١٩٥٤ عند توليه وزارة الشئون الاجتماعية يقضي بضرورة بدء كل المكاتبات ب « بسم الله الرحمن الرحيم » وأن تنتهي بالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كان المشرف على الاتحاد القومي شديد التحفظ فيما يتعلق بأمور الدين ، يرفض أن يتجاوز التفتح العقلي والاجتماعي عند حدود الشريعة الاسلامية .

والاسلام عنده وعند كثيرين غيره هو أكثر من دين ... أنه عقيدة وقدوة للسلوك ... وهذا ما جعله في مصر أكثر تأثيرا في القرن العشرين عن مناطق تميزت بالاتجاهات الدينية مثل ايطاليا وغرب ألمانيا وجنوب أمريكا وبورما .

وعلى قدر ما وجد الضباط في الاسلام حافزا على ثورتهم ضد النظام الملكي لما فيه من تهتك ، على قدر ما وجدوا في بعض رجاله ما يمنعهم من الاندفاع لتغيير المجتمع ... ولذلك صدر قرار بحل جماعة كبار العلماء بعد صدور قانون الاصلاح الزراعي باثني عشر يوما ، ثم صدر قانون جديد للجماعة حدد سن أعضائها من ٤٥ الى ٦٥ عاما وبذا خرج منها ثلاثة من

شيوخ الأزهر السابقين عبد المجيد سليم وابراهيم حمروش ومحمد الخضر حسين ٠

ولم يتخذ الضباط موقفا معاديا من الدين مطلقا ٠٠٠ ولكنهم كانوا يريدون تغيير المجتمع ونقله الى حضارة العصر بخطوات سريعة لا تتفق أحيانا مع آراء رجال الدين ٠

عندما نبتت فكرة تحديد النسل فى مصر صرح الشيخ محمد خضر حسين شيخ الأزهر للصحافة بقوله (الدعوة لتحديد النسل هدم لكيان الأمة وجريمة فى حقها) كما نشرت المصرى يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٥٣ ٠

وقال البابا بيوس (تحديد النسل جريمة فى حق الطبيعة واعتراض على مشيئة الخالق) ٠

ومع ذلك لم يتردد الضباط مع الوقت من القيام بحملة لتحديد النسل ، ولم يرفع رجال الدين صوتهم احتجاجا عليها أمام موجات الدعاية الهائلة التى ربطت بين تخلف المجتمع وزيادة السكان ٠

ووصلت موجة تحطيم السدود التى وقف خلفها بعض رجال الدين المحافظين الى حد الغاء المجالس المحلية والحسبية والمحاكم الشرعية ٠٠٠ ويعتبر فتحى رضوان أن التخلص من هذا النوع من المحاكم انجاز من أعظم انجازات الثورة لمصلحة الجماهير ٠

ولم يكن يعنى هذا وفقا لتطبيق الشريعة الاسلامية ، ولكنه كان تطهيرا لها من جمود أحاط بها ، ذلك لأن المحاكم المدنية ظلت تطبق قواعد الدين الاسلامى والمسيحى فى المنازعات الشخصية ٠

وامتد الاصلاح الى الغاء الأوقاف التى حولت الأرض الى قطع صغيرة تتوارثها الأجيال ويسيطر عليها نظار ينهبون ريعها ٠٠٠ كما وصل الى الأزهر نفسه فحوله الى جامعة عصرية فى يونيو ١٩٦١ لتضم مختلف الكليات العملية والعلمية الى جانب كلياته الثلاث القديمة (أصول الدين ـ الشريعة ـ اللغة العربية) ٠

وكانت الثورة قد أقامت تنظيمات اسلامية جديدة ٠٠٠ عندما قام جمال عبد الناصر بالحج والتقى بحاكم باكستان والسعودية فى مكة أصدر بيانا يدعو فيه الى وحدة الاسلام ضد الغرب ٠٠٠ وتكون المؤتمر الاسلامى فى سبتمبر ١٩٥٤ الذى عين أنور السادات سكرتيرا عاما له ٠

والتقت ارادة رجال الثورة مع علماء المسلمين عندما أصدرت هيئة كبار العلماء بيانا فى ١٧ نوفمبر ١٩٥٤ تدين فيه ارهاب الاخوان المسلمين ٠

وتكون أيضا المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، وانشئت مدينة البعوث الاسلامية للطلبة المغتربين ٠

كان موقف رجال قيادة الثورة حريصا على الجمع بين عقيدة الدين وارادة التطور فى وقت واحد معا ٠٠٠ ولكنهم لم يكونوا جميعا بنفس درجة الاقتنـــاع ٠

البعض منهم لم يكن يهتم باداء الفرائض أو الظهور فى الجوامع ٠٠٠ والبعض منهم لم يكن يتورع عن سلوك ما يعتبر منافيا لقيم الدين من ناحية الخمر والنساء وغيرها ٠٠٠ والبعض منهم كان محافظا على عقيدته شكلا وموضـــوعا ٠

هذه التيارات لم تحدث بينهم تصادما ٠٠٠ أو تنافرا ٠٠٠ لأنهم جميعا كانوا مع الدين حتى الشيوعيين فى مجلس القيادة يوسف صديق وخالد محيى الدين حجوا الى بيت الله ٠٠٠ وسبق القول بأن خالد قد اشترك مع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وبعض الضباط فى جلسات تحضير الأرواح ٠

لم يسلك أحد من الضباط العسكريين فى مصر مسلك اتاتورك الذى أخذ موقفا صريحا معاديا لرجال الدين وتقاليد الدين ٠

ولم يظهر من بينهم من يمتلك الجراة مثـل الحبيب بورقيبة الذى صدرت فى عهده (فبراير ١٩٦٠) فقرة تسمح للعمال بالافطار فى شهر رمضان ، وكذلك أجاز شرب البيرة ٠٠٠ وعندما اعترض عليه بعض رجال الدين طالبهم باتباع فتواه تمسـكا بالآية التى جـاء فيها (أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم) وهو ولى الأمر فى تونس ٠

ولكن تشكيل مجلس قيادة الثورة من مسلمين فقط وعدم وجود غير ضابط قبطى واحد بين الضباط الأحرار قد أدى الى تغيير شكلى واضح فى التعاون مع الأقباط الذين تتراوح نسبتهم الى السكان بين ٧٫٦٪ أى يوجد قبطى واحد بين كل ١٤ مسلم تقريبا ٠

كان تقليدا ان يشترك فى الوزارات وزيران قبطيان وأكثر ، ووصل أحد الأقباط الى منصب رئاسة الوزارة (بوغوص نوبار باشا) فى عهد الخديوى اسماعيل ثم بطرس غالى باشا ٠٠٠ وكان مكرم عبيد سكرتيرا للوفد أكبر الأحزاب المصرية ثم رئيسا لحزب الكتلة الوفدية ٠٠٠ وكان أقرب المحيطين بالملك من المسيحيين وخاصة فى السنوات الأخيرة (الياس اندراوس وكريم ثابت وادجار جلاد وانطوان بوللى) ٠

أما بعد الثورة فلم يعد هناك الا وزير قبطي واحد في كل وزارة ، وشخصيته لم تتغير لسنوات طويلة (كمال رمزى ستينو) الذى كان وزيرا للتموين .

وظلت تقاليد ابعاد الأقباط عن الرتب العسكرية الكبيرة سارية ، وامتد ذلك الى تقليص وجودهم فى السلك الديبلوماسى بعد زحف العسكريين عليه ، حتى لم يعد هناك سفير قبطى واحد .

وليس هذا دليلا على موقف تعصبى طائفى من العسكريين ... ولكنه انجراف وراء تيار سياسى نما فى غيبة ايديولوجية تناقش موقف الوحدة الوطنية بطريقة علمية ، وتبادر الى اذابة التناقضات قبل تحولها الى صخور تعوق الطريق .

ولذا فانه عندما أجريت انتخابات مجلس الأمة بعيدا عن الانتماءات الحزبية لم ينجح فى مجلس ١٩٥٧ ولا قبطى واحد وصدر قرار جمهورى بتعيين عشرة نواب كان منهم ثمانية من الأقباط ومسلمين فقط هما ثروت عكاشة وأحمد فؤاد .

ولم يكن فى قيادة الاتحاد القومى أحد من الأقباط أيضا .

وكان حرص كمال الدين حسين على صبغ حركة الاتحاد بالصبغة الدينية شديدا ... ولكن جمال عبد الناصر كان يتطلع الى الدين والدنيا معا .

القومية العربية ظهرت أيضا فى تقديم الاتحاد القومى باعتباره ... (منظمة قومية عربية تعمل على تحقيق وحدتنا ووحدة الشعب العربى الذى جمعته وتجمعه أصول تاريخية وروحية واحدة كما جمعته وتجمعه وحدة اللغة والعقائد والتقاليد والدم والمصالح المشتركة ... وحدة هذا الشعب العربى فى الوطن العربى المتحرر من كل اثر من آثار الاستعمار وأعوان الاستعمار) ...

دستور ١٩٥٦ ينص فى المادة ١٩٢ على ان (يتولى الاتحاد القومى الترشيح لعضوية مجلس الأمة) ... نصت المادة السابقة على ان (يقوم الاتحاد القومى بفحص طلبات الترشيح خلال ١٥ يوما من تاريخ اقفال باب الترشيح) ... ونصت المادة الثامنة على ان يعد الاتحاد القومى كشفا بأسماء المرشحين الذين لا اعتراض عليهم فى كل دائرة انتخابية ويكون قراره فى هذا الشأن نهائيا غير قابل للطعن فيه بأى طريق من الطرق) ..

فكرة الاتحاد القومى استوردت من البرتغال ، حيث كان سالازار الديكتاتور الذى حكم ٣٤ عاما حكما مطلقا معتمدا على تنظيمه (الاتحاد القومى) أيضا .

سافر على صبرى لدراسة التنظيمات هناك ، وتأخر اعلان التشكيلات القيادية عدة شهور بعد صدور الدستور ، لظروف العدوان ، والرغبة فى التعرف على طبيعة التنظيم فى مجال العمل اليومى والسياسى .

يقول زكريا محيى الدين ان جمال عبد الناصر كان يريد أن ينزع من الثورة صفتها العسكرية ... لذا كانت محاولاته لتكوين تنظيم شعبى .

استكمل الاتحـــاد القومى تكوينه ، وليس تنظيمه ، فهو لم يكن تنظيما بالمعنى المعروف ولم تكن له ميزانية خاصة ولا قيادات متفرغة ... كان يصرف له شيك بمبلغ خمسين ألف جنيه بتوقيع جمال عبد الناصر تستعوض بعد نفاذها ... وأقصى مبلغ صرف له فى عام واحد كان مائة وخمسين ألفا من الجنيهات ، كما يؤكد عبد المجيد شديد مدير مكتب كمال الدين حسين فى ذلك الوقت .

منع الشيوعيون والاخـوان المسلمون من دخول الانتخابات ، ومعظم من نشط سياسيا قبل الثـــورة ، ظل بعيدا عن المشاركة فى الاتحـاد القومى .

لم تشكل للاتحاد لجنة تنفيذية عليا ... شكلت له فقط لجنة عامة (مركزية) ، ولم يشأ جمال عبد الناصر ان يقيم تنظيما قياديا جديدا يكون بديلا لمجلس قيادة الثورة ، وآثر ان تكون حركة الاتحاد القومى بين يديه وحده ، دون سلطة أخرى .

عين كمال حسين عددا من مديرى المكاتب للاتحاد من ١٦ ضابطا و ٨ مدنيين (١) كانوا بمثابة قلب التنظيم ، والحق بمكتبه أيضا مندوبا من كل وزارة تسهيلا للاتصال والعمل أى بمثابة مجلس وزراء محدود .

واعتمد كمال الدين حسين فى حركة الاتحاد على المؤتمرات التى كان يحضرها معه عدد من الوزراء فى محاولة لحل المشاكل المحلية على الطبيعة ، والتى وصلت الذروة بمؤتمر فى الاقليم المصرى ومؤتمر شامل فى ج.ع.م. عقد فى يوليو ١٩٦٠ .

---

(١) عسكريون : عبد المجيد شديد مدير مكتب المشرف العام ، عبد السلام بدوى شئون اقتصادية وحلمى السعيد تخطيط ومحمد البلتاجى مالية وادارية ويوسف السباعى ثقافة وعبد القادر حاتم مدلى وسعد زايد حكم محلى وخالد فوزى عمال ومختار عمر رقابة ومعلومات وامين الشريف صناعة واحمد شهيب تصريحات ، وبهجت رمضان تعاون وضباط اتصال عاطف سعد القاهرة ، وحمدى محمود ومحمد أبو نار وفوزى شاش بحرى .

مدنيون : سيد يوسف تربية وتعليم ، محمد فهمى السيد شئون قانونية ، حسين خلاف نقابات مهنية فؤاد جلال شئون عربية وافريقية ، محمد نجيب حشاد جامعات ، حسن عامر اتصال قبلى ، سعيد العريان علاقات عامة ، عبد الرؤوف جبريل الشكاوى .

ومجلس الأمة دخله الأعضاء أيضا من باب الاتحاد القومى ٠٠٠ اللجنة التى نظرت فى أسماء المرشحين كانت تحت اشراف زكريا محيى الدين وضمت عسكريين فقط على صبرى وابراهيم الطحاوى وأحمد عبد الله طعيمة وعباس رضوان ومجدى حسنين وكمال الحناوى ومصطفى المستكاوى من ضباط الجيش ٠

ومع ذلك لم يكن المجلس خاضعا تماما لارادة العسكريين ٠٠٠ صورة المجالس النيابية القديمة وما توفر لها من حرية المعارضة أغرت بعض النواب بتقديم أسئلة تحرج الحكومة ٠٠٠ واذا تجاوزنا قضية مجدى حسنين واستقالة كمال الدين حسين وجدنا أن تيار المعارضة قد وصل الى بعض العسكريين أنفسهم ٠

الصائغ محمد أبو الفضل الجيزاوى قدم سؤالا الى زكريا محيى الدين عن عدد المعتقلين الشيوعيين داخل المعتقلات وعن أسباب اعتقالهم ٠٠٠ وكان هذا جديدا فى حياة المجلس لم تحتمله أعصاب القيادة العسكرية ، خاصة بعد ان قدم طلب آخر الى عبد اللطيف البغداوى رئيس مجلس الأمة يطلب فيه انشاء معارضة داخل المجلس ٠

كان رد الفعل هو فصل ستة نواب من عضوية الاتحاد القومى مع استمرار عضويتهم فى المجلس فابتعدوا بذلك عن فرصة الاتصال بالجماهير وتحاشاهم النواب هم محمد أبو الفضل الجيزاوى ودكتور محمود القاضى واسماعيل نجم وحيرم الغمراوى والثلاثة الآخرون كانوا فى قضية مجدى حسنين ٠

وعندما أعلنت الوحدة مع سوريا لم ينتخب مجلس جديد ، وانما تم تعيين مجلس الوحدة من النواب السابقين ، وسقطت العضوية عن النواب الذين فصلوا من الاتحاد القومى وعن غير الموالين ٠

المؤسسات الديموقراطية والتنظيمات الجماهيرية اصطدمت فى حركتها مع عقلية المسيطرين على النظام من العسكريين ٠

والتزيد فى عمليات الأمن يتناقض تماما مع الاتجاه الى الشعب الذى يعتمد على وفاق واسترخاء ضروريين ٠

وحركة التنظيم حائرة ، تدور بكلمات حماسية تشتعل وتخمد حسب الظروف ، وليست هناك عقيدة أو ايديولوجية واضحة ٠٠٠ واللجان الأولى للاتحاد القومى اجتازها أعضاء مجلس الأمة بلا انتخاب فكانت من المؤيدين لأعضاء المجلس فقط وانعزل عنها الآخرون حتى قال جمال عبد الناصر عنهم بعد ذلك فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية جلسة ١٤

يوم ٤ يوليو ١٩٦٢ (بعد ما تكونت اللجان كل واحد نام نوما عميقا ... حطوا يافطة وناموا) ولما أجريت الانتخابات بعد ذلك بعــام لم تفلح فى بعث الحيوية فى الجهاز الذى اعتبر الجميع أعضاء فيه بلا كادرات قيادية أو تنظيمية .

حاول كمال الدين حسين أن يبلور الفكر فى الاتحاد القومى فاستعان ببعض المثقفين فرادى مثل سليمان حزين ولبيب شقير وحسن عباس زكى وسعيد العريان .. ولكن هذه المحاولات كانت أضعف من ان تشيد أساسا فكريا وعقائديا لبناء الاتحاد القومى .

تشكل التنظيم ... وغابت الايديولوجية .

الاشتراكية الديموقراطيـــة التعاونيـــة ... ليس لها تفسير سوى مجموعة أفكار مختلطة بعيدة عن البصيرة العلمية ... تستهدف تطوير المجتمع بالكلمات الطيبة وأحيانا بالاجراءات الادارية الحازمة التى تعتمد على جهاز دولة متخلف وبيروقراطى معادى للديموقراطية والجماهير .

وكان تطبيق نظام الادارة المحلية وتعيين المحافظين بسلطات ادارية واسعة فى مناصب سياسية عامل من أهم العوامل التى حملت الى الريف سلبيات وايجابيات كثيرة .

كان المحافظ مطلق السراح فى تنفيذ ما يريد معتمدا على أفكــاره الخاصة وطبيعة شخصيته مع عدم وجود تنسيق كامل لسياسة موحــدة الأمر الذى جعل المحافظون يتركون وهم فقدو الاتجاه البعض منهم يهتم بالثقافة والبعض يهتم بقضايا تافهة .. البعض يهتم بالدعاية لنفســه والبعض يركز على مشاكل الجماهير .

لا شك ان تجربة الادارة المحلية قد بعثت حيوية فى الريف ولكنها لم تنطلق بالقدر اللازم لرفع مستوى المجتمع .

فى مجال الصناعة والاقتصاد

كانت هزيمة العدوان الثلاثى وصدور الأمر العسكرى فى ٢ نوفمبر ١٩٥٦ بمنع التعاقد مع الرعايا البريطانيين والفرنسيين وفرض الحراسة على مؤسساتهم وأموالهم فى مصر ، فرصة نبهت الأذهان الى ضرورة اتخاذ اجراءات تهدف الى القضاء على بقايا صور الاستغلال والسيطرة الأجنبية .

وفى يناير ١٩٥٧ صدرت قوانين التمصير للبنوك وشركات التأمين والوكالات التجارية ... ونصت على ان تكون جميع الأسهم اسمية ومملوكة للمصريين ، وجميع أعضاء مجلس ادارتها والمسئولين عن الادارة فيهـــا

مصريين ، على أن تكـون مزاولة أعمال الوكالات التجاريـة مقصـورة على المصريين أيضا .

الفرصة متاحة تماما لانتعاش البرجوازيـة المصريـة فى ظل نظـام يحافظ على الأمن ويستهدف التقدم الاقتصادى .

ازدادت الأرباح .

١٤٤ شركة ربحت عام ٥٨/١٩٥٧ مبلغ ٤١٫٢ مليـون جنيه وزاد الربح الى ٤٤٫٢ فى العام التالى .. وهو يشكل نسبة ٣٥٪ من رأس المال ، ٢٣٪ من مجموع ما يملكه المسـاهمون كما ورد فى كتاب الدكتـور أنور عبد الملك (مصر .. نظام جديد يبنيه العسكريون) .

٢٣ شركة لها مركز احتكارى يسعى للسيطرة على الاقتصاد المصرى .

أحمد عبود له ١٤٪ من أسهم بنك مصر ، ١٠ أشخاص يملكون ٢٠٪ ، ٥٠ شخصا يملكون ٤٢٪ .

ولكن السلطة لم تكن فى يد البرجوازية الكبيرة ... وانما كانت فى يد العسكريين .. ولم يعد عبود أو غيره قادرا على الضغط لاسـقاط الوزارات بل لم يعد قادرا على تغيير وزير واحد .. ولم تعد الفرصة كاملة أمامه لشراء الصحف وكبار الصحفيين .

يدلل عبد اللطيف بغدادى على ذلك بقوله ان أحمد عبود قد زاره فى مكتبه بعد ان قررت الحكومة خفض طن السـمـاد من ٢٤ جنيهـا الى ٢١ جنيها بينما كان سعر الطن المستورد لا يتجاوز ١١ جنيها وشكى له أحمد عبود من هذا الاجراء .. وبعد حديث قصير تبين ان أحمد عبود كان يملك فى الشركة ١٦٨٫٠٠٠ سهم يكسب فيها كوبونات سـنويا قيمتها ١٥٠٫٠٠٠ جنيه (الكوبون يصرف ٩٠ قرشا) هذا غير زيادة رأس المال بارتفاع قيمة الأسهم من ٤ الى ٩ جنيهات .

وعندما طالبه البغدادى بشىء من القناعة بكى أحمد عبود وانهارت الدموع على خديه كما يؤكد البغدادى .

الرأسمالى الكبير كان عبدا لامواله .

ولم تنجح أيضا محاولة البرجوازية المصرية الكبيرة والاسـتيلاء على الممتلكات والشركات الممصرة ... قال جمال عبد الناصر (ان الحـكومة اذا باعت ما أصبح تحت اشرافها بعد التمصير فان النتيجة الحتمية لذلك هى مجرد اتاحة الفرصة للذين يملكون فعلا لكى يملكوا مرة أخرى) .

أثبت العسكريون أنهم ليسوا فى خدمة البرجوازية الكبيرة .

والنظام الجديد يستهدف تغيير المجتمع ، ويحتفظ فى يد الدولة بما تمت مصادرته أو وضع الحراسة عليه ٠

وتغيرت النظرة الى الشئون الاقتصادية ٠

كان اتحاد الصناعات قد دعا الى توظيف رؤوس الأموال الوطنية والأجنبية فى المشاريع الصناعية معبرا بذلك عن موقف البرجوازية الكبيرة ٠٠٠ وكانت نسبة المساهمة المصرية الاجبارية التى صدرت فى قانون رقم ١٣٨ عام ١٩٤٧ قد عدلت بعد الثورة لتكون ٤٩٪ بدلا من ٥١٪ وكذا استمر التعاون مع النقطة الرابعة وأعلن أيضا دكتور حسن فهمى رئيس مجلس الانتاج بأن كل من يقول بعدم استيراد رأس المال الأجنبى يعتبر خائنـــا ٠

والكتاب السنوى لاتحـاد الصناعات عام ١٩٥٤ قال صراحة (ان ادخارنا لا يكفى عادة لتلبية احتياجات البلد العادية لذلك طالبنا تشجيع الاستثمارات الخاصة الأجنبية المورد ما أمكن ذلك وقد اعترف المسئولون أخيرا بصحة وجهة نظرنا) ٠

ولكن رأس المال تردد فى المساهمة الصناعية ٠

الاستثمارات الصناعية كانت ٢٦٫٢٠٨٫٤٠٥ ملايين عام ١٩٥٦ هبطت لتصبح ١٢٫٩٠٧٫٤٣٢ مليونا عام ١٩٥٧ ٠

يقول الدكتور أنور عبد الملك فى كتاب (مصر ٠٠٠ نظام جديد يبنيه العسكريون) ٠٠٠

(ان ما حمل زعماء الجناح الصناعى للبرجوازية المصرية على التردد فى توظيف أموالهم رغم كل الدعوات هو ان الجيش مصمم على رســـم سياسته بنفسه أى انه مصمم على احتكار السلطة ووضع مصر كلها بما فيها البرجوازية الصناعية تحت وصايته ورهن اشارته) ٠

العسكريون يحكمون وحدهم ٠٠٠ والجيش لم يستند بعد الى طبقة معينة ٠٠٠ والبرجوازية تتردد فى التصنيع ٠٠٠ ٢٨٫٥ مليون جنيـــه انفقت على البنـــاء عام ١٩٥٧ بينما استثمر ٧٫٧ مليـون جنيـــه فى الصناعة فقط ٠

١٨ ابريل ١٩٥٧ حولت المصارف الانجليز والفرنسية والتركيـة الى مصارف مصرية المؤسسة الاقتصادية التى رأســـها حسن ابراهيم ضمت ٥ بنوك ، ٦ شركات تأمين ٠

الشئون الاقتصادية أصبحت من هموم العسكريين •

وبدأت فكر التخطيط تجذب أفكارهم •

انشىء (مجلس التخطيط الأعلى) برئاسة جمال عبد الناصر ويتولى تحديد الأهداف الاقتصادية والاجتماعية للدولة واقرار خطط التنمية فى مراحلها المختلفة •

(ولجنة التخطيط القومى) ورأسها عبد اللطيف البغدادى وزير الدولة لشئون التخطيط •

وهكذا أصبح التخطيط تحت اشراف أعلى مستوى عسكرى فى الدولة •

وأدمج مجلس الانتاج القومى ومجلس الخدمات العامة فى لجنة التخطيط القومى •

وانشئت المؤسسة الاقتصادية لتدير ما أمم من أموال أجنبية بعد عام ١٩٥٦ ••• رأسها حسن ابراهيم واحيلت اليها المشروعات التى كان يشرف عليها مجلس الانتاج •

يقول حسن ابراهيم أنه كون شركتين عام ١٩٥٨ هما شركة النصر لصناعة الأفلام — أول مرة يستخدم اسم النصر — وشركة البويات والصناعات الكيماوية ••• وان جمال عبد الناصر أسهم فيها بمساهمة رمزية دليلا على تأييده لفكرة تشجيع البرجوازية المصرية •

المؤسسة الاقتصادية كانت تحاول ان تقوم بما يعجز عنه القطاع الخاص من ناحية المال والخبرة ••• ولكنها لم تجنح الى فرض سيطرة الدولة •

وانشئت ادارة التعبئة التى كان يتولاها عسكرى — اللواء أمين أنور الشريف — وتطورت حتى أصبحت الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ••• وكانت لها لجان فى مختلف الوزارات يمثلها عسكريون أيضا ، ويتدخلون فى كافة المشاريع لربطها باتجاهات القوات المسلحة •

وبعد ذلك تشكلت وزارة الصناعة لأول مرة وتولاها الدكتور عزيز صدقى فى أول وزارة يشكلها جمال عبد الناصر بعد انتخابه رئيسا للجمهورية يونيو ١٩٥٦ •

لم تكن هناك وزارة ••• مكاتب المعاونين فى الممرات ••• هكذا يقول عزيز صدقى ثم يتساءل ويبحث عن دور الدولة فى الصناعة •

عزيز صدقي يعد قانون التنظيم الصناعي بعد ٦ شهور ... واتحاد الصناعات يعد تقريرا من ٣٠ صفحة يعارض فكرة تدخل الدولة ومراقبتها للانتاج الصناعي .

أول مبلغ يرصد للصناعة ١٢ مليون جنيه في ميزانية عام ١٩٥٨ .

جمال عبد الناصر طلب من عزيز صدقي زيارة يوغوسلافيا ، ووقع قانون التنظيم الصناعي ليلة سفره الى يوغوسلافيا في سبتمبر ١٩٥٧ .

المؤتمر الصحفي الذي أعلن فيه برنامج الصناعة كان في العيد الخمسيني لاتحاد الصناعات الذي أخذ موقف المعارضة .

بعض العسكريين لم تأخذهم الحماسة لبرنامج التصنيع ... عارضه في مجلس الوزراء عبد اللطيف البغدادي ومعه وزير الاقتصاد دكتور عبد المنعم القيسوني ... ونبتت التناقضات بين العسكريين في المؤسسة الاقتصادية (حسن ابراهيم وصدقي سليمان) وبين وزارة الصناعة التي سلبت منها سلطة الاشراف على الشركات .

يقول حسن ابراهيم انه لم يكن موافقا على بعض الاجراءات غير المدروسة التي تنفذ من باب الدعاية في مجال الصناعة وقد قدم استقالته الأولى يوم ٢ مايو ١٩٥٩ عندما صدر قرار لم يخطر به لنقل الاشراف على البنك الصناعي من المؤسسة الاقتصادية الى وزارة الصناعة ، ولكنه سحبها بعد لقاء له مع جمال عبد الناصر في استراحة القناطر .

ولكن حسن ابراهيم لم يلبث ان استقال مرة أخرى من المؤسسة الاقتصادية في ١٨ أكتوبر بخطاب طويل من ٢٢ صفحة . ومن هذا الخطاب يتضح وجود خلافات بين وجهات النظر منها رغبة حسن ابراهيم في بيع ما تملكه المؤسسة من أسهم الشركات للجمهور على أساس احتفاظها بنسبة ٣٥٪ فقط ورفض جمال عبد الناصر لهذا الاتجاه .

وزادت المعارضة عند عقد أول اتفاقية لتمويل الصناعة المصرية مع الاتحاد السوفييتي يوم ٢٩ يناير ١٩٥٨ بمبلغ ٧٠٠ مليون روبل تسدد على ١٢ سنة .

الدكتور عبد الجليل العمري محافظ البنك الأهلي يحذر في ٢٧ مارس من الاتجاه الى التجارة مع الاتحاد السوفيتي .

ويدخل العسكريون ميدان الصناعة والاقتصاد أيضا .

مؤسسة مصر يرأس مجلس ادارتها الصاغ مهندس حلمي السعيد مدير مكتب جمال عبد الناصر ويضم الضباط المهندسين سمير حلمي وأحمد توفيق البكري والسيد عويس ثم حسن مرعي ومحمد على حسن .

ولكن هذا التنظيم لا يستمر طويلا ... تصدر وزارة الصناعة تنظيم المؤسسات على أساس نوعى وتلغى مؤسسة مصر ونصر والمؤسسة الاقتصادية وذلك عام ١٩٦٠ بعد الاستقالة الثانية لحسن ابراهيم من المؤسسة الاقتصادية فى بداية العام .

وتتركز السيطرة فى يد الدكتور عزيز صدقى وزير الصناعة .

وقطاع الصناعة كان أقل القطاعات انفتاحا للعسكريين ... اتخذ الدكتور عزيز صدقى موقف الاختيار للكفء أولا بصرف النظر عن طبيعته العسكرية أو المدنية .

عندما عمل أول تنظيم للوزارة لم يضع فيها الاميرالاى حسين الحلوانى مستشار الصناعة والاميرالاى محمود يونس مستشار البترول ... وحاول زكريا محيى الدين اقناعه بغير ذلك ولكنه تمسك برأيه .

كما اعتذر عن عدم قبول تعيين الفريق محمد نديم رئيس ادارة الجيش بناء على اقتراح الرئيس عبد الناصر الذى قبل وجهة نظره وحوله الى هيئة النقل البحرى .

ولذا كان عدد العسكريين فى قطاع الصناعة محدودا ... ولكنهم فى ميدان الاقتصاد كانوا أكثر انتشارا .

قال جمال عبد الناصر فى محادثات الوحدة بعد ذلك عام ١٩٦٣ (احنا بدأنا فى هذه العمليات من سنة ٥٦ بس لأن طلعنا فى ٥٢ كنا عسكريين لا نعرف الا القطعة ١٨ على حد تعبير الأخ فهد ـ المقدم السورى فهد الشاعر أحد قادة حزب البعث ـ وكنا نقعد مع جماعة اقتصاديين من الطراز التقليدى بيعقدوا المشاكل ولا يجدوا لها حل ... لكن بعد كده مشينا فى العملية ... ودرسنا وحاولنا نتعلم بجد واخلاص) .

وأرسل يستشير شركة (آرثر ليتل كومبانى فى بوسطن) عن احتمالات التقدم الصناعى والاقتصادى فى مصر وجاء الرد التالى (حتى لو حصلت على مليار من الدولارات التى تحتاج اليها فى خطتك الخمسية ، وحتى لو نجحت خطتك الخمسية نجاحا كاملا بدون أى تعثر وتوقف ، وحتى لو بذل كل فرد فى المجتمع المصرى قصارى جهده وغاية طاقته مستخدما كل الخبرة والمعرفة الأجنبية فان أفضل ما تستطيعه حينئذ هو المحافظة على الوضع الراهن والحيلولة دون تقهقر أكثر الى الوراء) وذلك كما ورد فى كتاب مايلز كوبلند (لعبة الأمم) .

صدر قرار جمهورى فى ١٠ فبراير ١٩٥٧ باستخدام اللغة العربية فى جميع العقود والتسجيلات .

فى أغسطس ١٩٥٨ صدر القانون رقم ١١٤ ينص على ان مجالس الادارة لا تزيد عن سبعة ولا تقل عن ثلاثة ... والعضو لا يجمع بين مجالس ادارة أكثر من شركتين بعد ان كانت ستة والعضو المنتدب على شركة واحدة ... وحدد مكافأة ومرتبا وبدل حضور ومزايا العضو بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه فى السنة فقط .

وكان قد صدر فى ١٨ مارس ١٩٥٥ أول قانون للشركات بعد مناقشات طويلة يقول أحمد فؤاد انها كانت تمتد أحيانا طوال الليل وانتهت باخراج أعضاء مجالس الادارة الذين تجاوزوا الستين مع استثناء الأعضاء المنتدبين وأصحاب الـ ١٠٪ من الأسهم وقصر عضوية مجالس إدارات البنوك على بنك واحد ومنع الجمع بين وظائف الحكومة والشركات .

ولحق ذلك قانون آخر فى يناير ١٩٥٩ يلزم الشركات المساهمة بتجنيب ٥٪ من الأرباح الصافية لشراء سندات حكومية ، تحديد الحد الأقصى للأرباح عام ١٩٥٨ مضافا اليه ١٠٪ فقط ثم حدث تراجع عن هذا البند بعد أن تأثرت بورصة الأوراق المالية وكسد النشاط فيها .

وكانت بعض الشركات الأمريكية ما زالت تربطها بمصر صلات تعاون ... مثل شركة بوز آلن آند هاميلتن التى تعاقد معها زكريا محيى الدين لتقديم خدمات لأجهزة المخابرات العامة واعداد دراسات مطلوبة حسب رواية فريد طولان مدير المعهد الاستراتيجى بالمخابرات العامة سابقا .

احدى هذه الدراسات أشارت بأن الحكومة المصرية لا يجوز أن تستخدم أكثر من ٢٠٠ الف موظف .

الشركات الأمريكية تعرض صورة قاتمة لاحتمالات تقدم المجتمع صناعيا واقتصاديا ... وتقيم سدا فى وجه خريجى المعاهد والجامعات لزيادة العمالة عن حدودها .

رفض جمال عبد الناصر هذه النظرة المتشائمة التى قدمتها الشركات الأمريكية ، وأصر على تغيير المجتمع .

فى وقت واحد ... البرجوازية الكبيرة تنتعش ... والدولة تزيد قبضتها فى مجالات الصناعة والاقتصاد .

وفى وقت واحد أيضا ... تنمو العلاقة مع الاتحاد السوفييتى ... ويستجلب تنظيم الاتحاد القومى من البرتغال الدولة الفاشية .

تتعايش التناقضات فى هذه المرحلة ...

والاشتراكية الديموقراطية التعاونية ، مثل الفيل يراه الأعمى من المنطقة التي يلمسه منها •

في مجال الثقافة والاعلام :

والعسكريون أيضا يتولون المراكز الحساسة في توجيه الرأى العام ••• ويقتربون من مجال الفكر والثقافة •

حرص جمال عبد الناصر دائما على وضـــع العسكريين في رئاسة مجالس ادارات الصحف ورئاسة تحريرها •

مجلة التحرير تولى رئاســة تحريرها ثروت عكاشة بعد اعفائي من العمل فيها في نوفمبر ١٩٥٢ ، ثم ضمت الى دار الجمهــورية حيث كان أنور السادات رئيسا لها بعد اعفاء ثروت عكاشة أيضا •

المساء تولى رئاستها خالد محيى الدين ثم مصطفى المستكاوى •

الشعب تولاها صلاح سالم ثم لطفي واكد ، حتى انضمت الى جريدة الجمهورية •

بناء الوطن المجلة الشهرية رأسها أمين شاكر •

الثورة مجلة أسبوعية أصدرتها منظمات الشباب ورأسها صاغ وحيد الدين جوده رمضان •

وعهد الى باصدار مجلة أسبوعية جديدة تحت اسم (الفجر) عام ١٩٥٦ ، وشكلت لها مجموعة تحرير ضمت محمـــود أمين العـــالم ، سـعد لبيب ، عبد المنعم القصاص ، منير حافظ ، صـــالح موسى ، سامى الليثى ، بهيج نصار ، محمد صدقى ، راجى عنايت ، فهمى حسين ؛ جورج البهجورى ، ولكنها لم تصدر رغم طبع ثلاث أعداد منها للتجربة ولم يكن هناك جواب شاف •

كل الصحف التى صدرت عن الحكومة رأسها عسكريون ولكنهـا لم تكن جميعا تعبر عن رأى واحد •

جريدة المساء لعبت دورا فى ظهور الفكر اليسارى المتقدم ، ومخاطبة الجماهير بآراء يسارية متحـــررة ، واهتمت بالثقافة الجديدة ، وتابعت قضايا المجتمع متابعة موضوعية تميزت بها عن غيرها من الصحف اليومية•

بينما بناء الوطن كانت تدعو الى الاقتصاد الحر والثقافة الغربية •

وجريدة الجمهورية عانت من انقلابات ادارية وفكرية لكثرة تغيير الذين تولوا مسئوليتها بعد أنور السادات ••• الصاغ محسن عبد الخالق

ثم القائمقام عبد الرؤوف نافع ثم صلاح سالم اداريا ... وحسين فهمى وأحمد قاسم جودة وجلال الدين الحمامصى وكامل الشناوى ثم صلاح سالم تحريريا .

الايديولوجية ما زالت غائبة ... والحيرة طابع التصرفات ... والتجربة هى أساس الحركة .

جمال عبد الناصر يفكر فى عمل مدرسة كادر يعهد بها الى خالد محيى الدين فى خريف ١٩٥٨ ثم ينتهى المشروع مع حوادث العراق وخروج خالد من المساء .

ويقترب العسكريون من مجال الفكر والثقافة ، وتتعدد محاولات الوصول الى الوضوح .

انشئت وزارة الثقافة عام ١٩٥٧ وأتاحت للدولة رعاية جميع صور التعبير غير الرسمى والثقافة غير الاكاديمية ... أول وزير لها كان فتحى رضوان .

وتكونت جمعيات أخرى غير رسمية .

جمعية الخريجين التى رأسها محمد فؤاد جلال الذى تولى وزارة الارشاد لفترة محدودة بعد استقالة صلاح سالم ثم خرج من الوزارة لينشط فى ميدان العمل السياسى بمحاولة تجميع البرجوازية والمتعلمين العرب حول ثورة ٢٣ يوليو ، وكان له نشاط واضح فى المشرق العربى .. وفى افريقيا .

كان فؤاد جلال وطنيا مجردا ... ليست له نظرة اجتماعية ... وكان نشاطه متناسبا تماما مع المرحلة ... مرحلة البحث والحيرة .

رابطة اشتراكية عربية يرأسها كمال رفعت وتضم مهدى بن بركة ، كلوفيس مقصود ، جبران مجدلانى ، فؤاد الركابى ، محمد عودة ، أحمد بهاء الدين ، لطفى الخولى ، وهى رابطة تستهدف مناقشة الفكر الاشتراكى ومحاولة ربطه بالقومية العربية .. وهى فى مضمونها كانت تأخذ طريقا آخر غير الماركسية .

ورابطة مصرية للعلوم السياسية يرأسها عبد القادر حاتم ، وهى رابطة تضم مجموعة من المشتغلين بالعلوم السياسية من أساتذة الجامعة والمحيطين بهم ، وهى لم تسهم بتقديم جديد للفكر العربى المعاصر .

ورابطة الوعى الوطنى يرأسها أمين شاكر وتضم الضابطان محمود الجوهرى والمهندس محسن ادريس ، والدكتور رشاد رشدى والمهندس

صلاح عامر والأطباء أحمد أبو ذكرى والنبوى المهندس • وتميزت هذه الرابطة بأفكارها الليبرالية المحافظة ، التى جعلتهـا معزولة عن الواقع الحى للمجتمع •

(ولجنة التربية الوطنية) يراسها صلاح دسوقى وتضم مراد غالب والدكاترة ابراهيم حلمى عبد الرحمن وعبد الله العريان ورفعت المحجوب ونظمى لوقا وسعيد النجار والأساتذة أحمد مختار قطب وسعيد العريان • وكانت هذه اللجنة تعبيرا أيضا عن طبيعة المرحلة حيث لا يتوفر الوضوح لشىء ، وتغلب الحيرة كل شىء ••• وتختلط الأمور الفرعية مع الرئيسية •• ويغيب صراع القوى الاجتماعية •

وكون كمال رفعت (رابطة لدرس الاشتراكية المعاصرة على الصعيد النظرى) تضم مراد غالب ، أحمـــد بهاء الدين ، صـــلاح دسوقى ، وابراهيم حلمى عبد الرحمن ، وهى امتداد مصرى للرابطة العربية السابقة •

وكانت هناك أيضا لجنـة قراءة المسرح القومى التى شكلت أثنـــاء ادارتى له ووجود يحيى حقى مديرا لمصلحة الفنون وشكلت من الدكاتـرة محمد مندور ومحمد القصاص وعلى الراعى وعبد القادر القط •

كل هذه الروابط واللجان كانت ذات نشاط فى مجال المثقفين ولكنه محدود فلم يكن لها تأثير فى مجال الرأى العام •

ولكن لجنة قراءة المسرح القومى لعبت دورا ايجابيـا فى مساعدتى على وقف زحف التيار الذى كان طاغيا على المسرح ، وهو تقديم المسرحيات المترجمة أو المقتبسة لكتاب غير معاصرين • كانت ظاهرة غريبة ان كافة المؤلفين الأجانب كانوا ممن ماتوا فعلا ••• أما المسرح العربى فكان مقصورا على خمسة فقط من الكتاب هم الذين تكرر تقـــديم مسرحيات لهم ••• أحمد شوقى وعزيز أباظة ومحمد تيمور وعلى أحمد باكثير وتوفيق الحكيم وهو الوحيد الذى استمرت صلته بالمسرح وثيقة حيـوية ومتجددة حتى أصبح المؤسس الحقيقى للدراما المصرية •

ساعدت لجنة القراءة على وقف زحف المسرحيات الجامدة الاسلوب والفكر معا •• وأتاحت للمسرح القومى تقديم جيل جديد من الكتـــاب التقدميين ، حمل لواء المسرح بعد ذلك ومضى به فى طريق التقدم ••• نعمان عاشور ويوسف ادريس وسعد الدين وهبة والفريد فرج ورشاد رشـــدى وغيرهم •

وظهر الكتاب التقدميون على خشبة المسرح لأول مرة يكتسبون تأييد الجماهير والمثقفين معا ، فى مرحلة كان الناس فيها يتطلعون الى كل جديد يضىء لهم الطريق •

كتب دافيد كوان فى كتاب مصر منذ الثورة (المسرح لقى من الثورة دفعة كبيرة جدا وأخذ يصبح قوة جبارة فى الحياة المصرية رغم انه مازال صغيرا فى حجمه) .

وهكذا كانت الجماعات المختلفة تتبنى افكارا متباينة وأحيانا متنافرة .

وجمال عبد الناصر يترك لها حرية التعبير في صورة محدودة من عبارة ماوتسى تونج (دع مائة زهرة تتفتح) .

الحرية للجماعات التى يوجد العسكريون فى مركز التوجيه فيها .. أما المنابر والجماعات الأخرى فالأمر يختلف .

كانت الصحافة ما زالت حتى هذه الفترة ملكا لأصحابها حرة فى تصرفاتها وتوجيهاتها بعد أن ألغيت الرقابة تماما بعد عام ١٩٥٦ .

ولم يكن مرضيا لطبيعة النظام ان تنفرد بعض الصحف باتجاهات لا تساير رغبة قيادة الثورة فى تغيير المجتمع .

وكان الوضع مثيرا للدهشة فعلا ... كل أجهزة الدولة تعرضت للتطهير مع بداية الثورة حتى الجيش نفسه ... وخرج الذين أحاطت بهم الشبهات أو الذين اعتبروا فى موقف العداء .

ولكن الصحافة ظلت ملكا لأصحابها قبل الثورة ... فلم تكن هناك مصادرة أو تأميم خارج نطاق قانون الاصلاح الزراعى ... كل أنواع الملكية تتعايش فى المجتمع .

ولكن قيادة الثورة تريد أن تشق طريقا خاصا وأجهزة الاعلام والصحافة هى مدفعيتها الثقيلة ... جزء منها تملكه ... الاذاعة وصوت العرب الذى بدأ برنامجا محدودا مدة ارساله ساعتان الا ربع تابعا للمخابرات العامة عام ١٩٥٣ ، تحول فى عهد ولاية صلاح سالم لوزارة الارشاد وتعيين أحمد سعيد مديرا للبرنامج الى جهاز دعائى مؤثر ارتفعت ساعات ارساله فى العام الأول الى ثمانى ساعات ثم وصلت فى عهد صلاح سالم أيضا الى ٢٢ ساعة هى مدة ارساله اليومى حتى الآن .

شارك صوت العرب فى معارك التحرير العربية ... أعلن ساعة الصفر لثورة الجزائر فى الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ باذاعة بيان جبهة التحرير عن انفجار ٢٤ قنبلة فى أماكن مختلفة وأعد لها اذاعة سرية خاصة ... ووجه طعنات حادة لحلف بغداد ، وللحكام المتهاونين مع الاستعمار ... وكان عاملا مؤثرا ضد الدعاية الاستعمارية .

كانت المبالغة الشديدة والهجوم اللاذع تدمغ برامج صوت العرب أحيانا ، ولكنها في النهاية أدت دورا متناسقا مع طبيعة الحركة الثورية في مصر •

ولكن الصحافة المصرية التي تعتبر من أجهزة الدعاية شديدة التأثير في العالم العربي فكانت بعيدة عن التجاوب الحقيقي الفعل مع أفكار الثورة المتوهجة ، خاصة وان الرقابة كانت قد ألغيت تماما عام ١٩٥٦ •

وكان ذلك أمرا طبيعيا ••• معظم أصحاب الصحف ورؤساء تحريرها كانوا من أتباع النظام الملكي المنهار ، المروجين له ••• الصحف الوفدية التي تولت – الى حد ما – معارضة الملك وتجاوبت مع ارادة الجماهير صودرت واختفت ••• المصري وصوت الأمة والطليعة ••• وكل الجرائد والمجلات اليسارية صودرت أيضا كما سبق ذكره •

صحف أخبار اليوم يملكها التوأمان علي أمين ومصطفى أمين ودورهما في تأييد الملك وفي دعم صحافة الاثارة ، والترويج للسياسة الأمريكية معروف •

صحف دار الهلال يملكها الاخوان اميل وشكري زيدان وحرصهما شديد على ان تظل مجلات الدار كلها بعيدة عن الانفعال الحي مع واقع المجتمع المصري •

والأهرام كانت ملكا لأسرة جبرائيل تقلا ، وظلت خلال تاريخها الطويل بعيدة عن المساهمة الايجابية مع الادارة الشعبية المصرية مغلبة الاعتدال والاتزان على كل شيء •

صحف روز اليوسف يملكها احسان عبد القدوس ويشاركه في صدورها مجموعة من الشباب ذوي الآراء السياسية المختلفة وهي تحتضن الشيوعيين كما تحتضن الاخوان المسلمين ••• وهي في آرائها السياسية واسلوبها الصحفي المتميز بالنقد لا يمكن أن تكون تابعة في سكون •

ولم يتغير أحد من المسئولين عن تحرير هذه الصحف بعد الثورة ولم يؤثر نشر كشف المصاريف السرية عام ١٩٥٤ على موقع أحد في المسئولية ، ولم يدخل التطهير دارا من دور الصحف •

ولم تكتف الثورة بما أصدرت من صحف يومية واسبوعية وشهرية •

وتقرر تنظيم الصحافة في سبتمبر ١٩٦٠ أي تمليكها للاتحاد القومي واعطائه سلطة الاشراف عليها ، وكان ذلك من مؤشرات التأميم المبكرة.

مثـل بنك مصر الذى أمم أيضـــا مع البنك الأهلى فى ١١ فبراير مـن نفس العام ٠

عبر جمال عبد الناصر عن أفكاره بالنسبة لتنظيم الصحافة بقوله فى اجتماع عقده مع رؤساء التحرير انهـا دأبت على نشر أخبار الطبقة البرجوازية فى نوادى القاهرة وانصرفت عن نشر أخبار الفلاحين والكادحين ٠٠٠ (بلدنا هى كفر البطيخ ٠٠٠ اللى عاوز يكتب عن بلدنا يروح هناك ويشوف الناس اللى لابسين برانيط قش الارز طول النهار علشان يعيشوا ٠٠٠ كنت أفضل بدل الكلام عن هذا النوع من السيدات أن يكتب عن العاملات مثلا ٠٠٠ فيه عاملات طلعوا ياكلوا عيش بعرق جبينهم ويكافحوا بشجاعة وشرف) ٠

وعندما شكلت مجالس ادارات الصحف الجديدة كان صلاح سالم فى موقعه رئيسا لدار التحـرير ، وعين محمـــد حسنين هيكل الصحفى المقرب من جمال عبد الناصر رئيسا لمؤسسة الأهرام ودار الهلال بعد ضمها لبعضهما ، وتولى رئاسة مؤسسة أخبار اليوم ٠

وتولى منصب العضو المنتدب للمؤسسات الصحفية ضباط أيضـا ٠٠٠ القائمقام عبد الرؤوف نافع فى دار الهلال ويوسف السـباعى فى روز اليوسف وسيد ابراهيم فى دار التحرر ٠

وبذا أصبح الجيش وقد وضع يده على المراكز الحساسة فى مجالات الصناعة والاقتصاد والاعلام والثقافة سندا للحكم الوطنى الجديد ٠٠٠ ليس سندا مسلحا فقط بل سندا اداريا وتوجيهيا أيضـا ٠٠ وأصبحت معظم الأمور فى المجتمع رهنا بدرجة أمانة ومتانة هذا السند ٠

وطبيعى ان تبرز داخل سلك الضباط وجهات نظر مختلفة حول دور الدولة الوطنية وطابعهـــا وآفاق تطورها ٠٠٠ البعض يتخذ مواقف محافظة ويعادى مشاركة الشعب فى التوجيه ، ويبث روح الديموقراطية ٠٠٠ والبعض منهم يستفيد من اختلاطه بالجماهير فى مجالات العمـل ، ويتطور فكريا ، ويسهم بقدراته فى تطوير المجتمع ٠

لم تصل وجهات النظر المختلفة ، أو الآراء المتنافرة الى درجة الصدام ٠٠٠ لأن الجميع كانوا ينظرون الى جمال عبد الناصر نظرة الزعيم الذى أصبحت المسافة بينه وبينهم شاسعة ٠

وكان جمال عبد الناصر يعتمد على تأييد الشعب كمـــا يعتمد على سلطة الجيش ٠

لم يجد فى ذلك تناقضا ... فالجيش طيع بين يديه ، والشعب مؤمن به .

كان متاحا لجمال عبد الناصر فى هذه المرحلة ان يفتح الطريق أمام القوى الوطنية والديموقراطية ، وان يبنى أسس النظام على حريات تؤمن مستقبله ... وكان متاحا له أيضا أن يستوعب الطبقات المختلفة فى جبهة وطنية بعد الاعتراف بكياناتهم المستقلة ، على غير الأسس الحزبية القديمة .

كان جمال عبد الناصر قادرا خلال هذه المرحلة على تجميع القوى المختلفة الاتجاهات والمواقع السياسية والاجتماعية والطبقية ، وله فى ذلك تجربة ناجحة ... قيادته لتنظيم الضباط الأحرار وهم من اتجاهات سياسية واجتماعية مختلفة .

ولكن جمال عبد الناصر آثر أن يطور المجتمع بأجهزته الخاصة ، وشعبيته الهائلة .

الايديولوجية ما زالت غائبة ، وليس هناك اهتمام خاص بها حتى هذه اللحظة ... كان التركيز كله على القضايا الوطنية بصورتها العامة .

قال جمال عبد الناصر فى مناقشات اللجنة التحضيرية يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ (لم يكن مطلوبا منى فى يوم ٢٣ يوليو ان اطلع ومعى كتاب مطبوع واقول أن هذا الكتاب هو نظرية ... مستحيل) ... ويقارن ذلك بالاسلام فيقول (كان يقدر ينزل مع سيدنا جبريل كتاب مطبوع ومجلد ويقول : هذه هى النظرية ، هذا هو القرآن ... ابتدأ الاسلام باشهد ان لا اله الا الله وان سيدنا محمدا رسول الله ... ابتدأ الاسلام بهذا .. جملتان ... لم يبدأ بكل ما هو موجود فى القرآن) .

بعد سبع سنوات من الثورة قال ان ظروف مصر تختلف عن ظروف غيرها ، وان النموذج الذى يجب ان تطبقه هو الاشتراكية الديموقراطية التعاونية .

ويقول دكمجيان فى كتابه (مصر فى عهد ناصر) (ان طبيعة الحرب الباردة وخبرة مصر مع الاستعمار مرتبطة بالتقدم التجريبى للقادة العسكريين كان لها تأثير كبير فى عدم الانحياز الايديولوجى الى الغرب أو الى الاتحاد السوفييتى .

ويبدو انه مع نهاية ١٩٥٥ تبين القادة العسكريون الاضرار والاخطار التى يتعرضون لها فى حالة اختيار وتحديد ايديولوجية معينة ، أو اتخاذ موقف واضح الى جانب احدى الكتلتين ... كما انهم تبينوا أيضا المكاسب

التى تعود عليهم من الابتعاد عن الاختيار ٠٠٠ وقد أدى هذا الى خلق توجيه ايديولوجى حيادى فى السياسة الخارجية ، وعقيدة اشتراكية مستعارة للتغير الداخلى) ٠

عدم استقرار الموقف السياسى الخارجى كان له ولا شك تأثير كبير فى غياب ايديولوجية الثورة ٠٠٠ واختيارها للاسلوب التجريبى الذى مارست به مسيرتها منذ اليوم الأول ٠٠

وصلت القيادة بذلك الى براعة تكتيكية فى مواجهة المشاكل والمواقف اليومية ٠٠٠ ولكنها لم تحدد بعد خطا استراتيجيا ٠٠٠ ولم تكتب برنامجا نظريا ٠

ولا شك ان محصلة تجارب الثورة فى مواجهتها للمشاكل سوف تثرى خبرتها وتوفر لها فرصة الوصول الى ايديولوجية محددة ٠

واذا كان الموقف فى مجالات الصناعة والثقافة والاقتصاد قد سجل تطورا لمصلحة الجماهير عن طريق تدخل الدولة ٠٠٠ فانه لم يسجل تبعية الجيش لطبقة معينة ٠

البرجوازية الكبيرة تحاصر ، والبرجوازية الصغيرة تنمو ، والطبقة العامة تزيد وتنتشر والفلاحون يتغير واقعهم فى بطء شديد ٠٠٠ والجميع بلا تنظيمات تعبر عنهم ٠٠٠ والمثقفون معزولون ٠

الموقف الداخلى فى المجتمع ليس مستقرا بما يفرض ايديولوجية معينة ، والقيادة فى حركتها اليومية تختار الطريق البسيط ، ولا تعتبر غياب الايديولوجية قضية رئيسية ٠

السياسة الخارجية

والسياسة الخارجية أيضا تفرض نفسها على الموقف ٠٠٠ تسهم فى خلق حالة من التردد ٠٠٠ وتأجيل اختيار الطريق ٠

حكومة الولايات المتحدة اعتبرت أن خروج انجلترا وفرنسا من مصر سوف يترك فراغا ٠٠ ايزنهاور يبادر يوم ٥ يناير ١٩٥٧ بتقديم مشروع الى الكونجرس يخول حكومة الولايات المتحدة تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية لدول المنطقة تفاديا للتسلل الشيوعى ٠

جمال عبد الناصر يرى فى المشروع صورة جديدة من حلف بغداد ٠

وأمريكا تريد تطويق مصر لفرض المشروع بتقديمه عن طريق الملك سعود ٠٠٠ وحشد قوات تركية على حدود سوريا ، واعلان الحكومة

الأمريكية باقامة جسر جوى لامداد تركيا ولبنان والاردن والعراق بالأسلحة .

الملك سعود يتراجع عن موقفه ويعلن تأييده لسوريا ، والأمير فيصل ولى العهد يزور بيروت ودمشق ... ومصر ترسل قواتا عسكرية الى اللاذقية للدفاع عن سوريا ضد أى اعتداء .

فرصة نجاح مشروع ايزنهاور تضيق .

وجمال عبد الناصر ينظر الى أمريكا باعتبارها الدولة التى تنتظر وراثة مصالح انجلترا وفرنسا بدلا من تمصيرها ... وهو لا ينسى رفض دالاس الافراج عن بعض الأرصدة المجمدة فى أمريكا لشراء أدوية ومضادات حيوية ، بينما لبى السوفييت طلبه فى الحال .

الاعتقاد يميل الى اشتراك أمريكا فى مؤامرة العدوان الثلاثى ، كشريكة تتمثل دورها فى البقاء جانبا الى ان يحين موعد تدخلها ... ومشروع ايزنهاور هو بداية الدور .

ولكن فرصة نجاحه أقل من فرصة نجاح حلف بغداد ، لأنه يأتى بعد انتصار مصر على عدوان ١٩٥٦ ، وتأكيد زعامة عبد الناصر فى العالم العربى ... وتعلق الجماهير باذاعة صوت العرب التى كانت تهاجم الملوك بلا تحرج .

العسكريون فى مصر يواجهون الغرب ... وعلاقتهم مع الشرق تزداد نموا ...

هذا رغم ان حياة العسكريين فى الجيش قبل الثورة كانت تسير باسلوب خاضع لدعاية تجعل الحياة الغربية محل اعجاب ، وتخلق من دول الغرب نماذج تحتذى .

النموذج الجذاب للعسكريين المصريين كان قائما فى الغرب حيث درس بعضهم ، وتعامل معظمهم مع ضباط البعثة العسكرية ، وانبهر عدد منهم بتقاليد الحياة البريطانية .

الخروج من دائرة الغرب ، المطبقة على كل الدول التى كانت محتلة ، الى آفاق جديدة لم يكن بالرغبة الذاتية ، وانما اضطرارا أمام اختيار صعب ... أما الخضوع والتبعية الدائمة للامبريالية أو المحافظة على الحرية والاستقلال الوطنى .

ينمى هذا الاتجاه المؤامرات التى اكتشفت ضد سوريا من المخابرات المركزية الأمريكية عندما اعتقل دبلوماسى أمريكى يحاول تهريب مهاجر

سوري في عربته عبر الحدود مع لبنان وكشف الستار عن مؤامرة نوري السعيد لغزو سوريا أثناء العدوان الثلاثي ٠

المؤامرات الأمريكية يمكن أن تصل الى مصر أيضا ٠٠٠ وهذا موضع الحــذر ٠

وروح باندونج تعطى ثمرة في القاهرة ٠٠٠ مؤتمر الشعوب الآسيوية الافريقية ينعقد في القــاهرة يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٥٧ بقـاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ٠٠٠ حضر ٥٣٧ مندوبا يمثلون ٤٨ شـعبا تؤلف في مجموعها ١٫٥٠٠ مليون شخص ٠٠ أى ٧٠٪ من سكان العالم ٠

انتخب المؤتمر أنور السادات رئيسا له ٠٠٠ هذا مفهوم ٠

ولكنه انتخب يوسف السباعى سكرتيرا عاما ٠٠٠ ويوسف ضابط اديب بدأ حياته الصحفية في مجـلة مســامرات الجيب ونشر عددا من القصص والروايات ، وليس له اهتمامات سياسية مطلقا ، ولم يكن من الضباط الأحــرار ٠

كان هذا اختيار جمال عبد الناصر شخصيا ٠٠٠

قال لى يوسف السباعى انه أبلغ عبد الناصر عند ابلاغه نبأ التعيين بانه بعيد عن السياسة ولا يهتم بها كثيرا ٠٠ وان الأدب يشغل حياته ٠

وهو اختيــار يــدل على الرغبــة في تعيــين شخص بعيد عن الاهتمام السياسى في هذا المركز الهام الذى يمكن أن يؤدى دورا أساسيا بارزا في حياة الشعوب الأسيوية والأفريقية ٠

واذا كان اختيار العسكريين ضروريا فانه كان بينهم من يستطيع بحكم ميوله الذاتية واهتماماته السابقة وخبرته في الأعوام الماضيــة ان يؤدى دورا ايجابيا ٠٠٠ لا يترك مؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى في القاهرة مقرا هامشيا بلا فعالية أو أثر ٠

ربما كانت الخشية من زحف الأفكار اليسارية ، أو الخوف من تأثير الأفكار التحررية على موقف السكرتير العام وهو في موقع لا يتبع القيادة في مصر من الوجهة الرسمية أو القانونية ٠

الخلاف مــع الشيوعيين

كان هذا الاختيار انعكاسا لظروف المرحلـة ، حيث اختفت كافـة التنظيمات عدا التنظيمات الشيوعية السرية التى مرت في عــدة مراحـل تنظيمية ٠

وكان وجود هذه التنظيمات دافعا الى بروز عدد من الأسماء اللامعة في مجالات الفكر والثقافة والصحافة ·

موقف الثورة من الشيوعيين يكاد يعتبر في هدنة ··· ولكن النظر الى تنظيماتهم موضع حذر ، تماما مثل احتمال المؤامرات الأمريكية ·

وفجرت الوحدة مع سوريا بعض التناقضات ، سكرتير الحزب الشيوعي خالد بكداش عضو مجلس النواب السورى حضر الى مصر فى وفد برلمانى قبل الوحدة وقابل جمال عبد الناصر ، ولكنه عندما أعلنت الوحدة رحل عن سوريا ·

اعتبر الشيوعيون ان الوحدة قد خدمت مصلحة كبار الملاك والرأسماليين العرب الذين تدفقوا على مصر وخاصة البرجوازية السورية التى وجدت فيها استقرارا لها ووقفا للتيار الماركسى الذى كان ينمو وينتشر هناك ·

وجهات النظر المتعارضة لا تنبت بين الشيوعيين والسلطة فقط ، ولكن بين الشيوعيين أنفسهم داخل تنظيماتهم المختلفة ·

وعودة الى الماضى القريب تفسر هذه الحقيقة ·

فجر ٢٣ يوليو كانت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) قد أصدرت منشورا بتأييد الحركة الوطنية للجيش ·

أما الحزب الشيوعى المصرى فلم يعلم بالحركة الا من الاذاعة والصحف حيث لم يكن فيه قسم خاص للجيش ويقول الدكتور فؤاد مرسى سكرتيره العام فى ذلك الوقت انه أصدر منشورين أحدهما للجيش والآخر للشعب يطالب بالافراج عن المسجونين والمعتقلين ومواصلة الكفاح المسلح واعلان النظام الجمهورى · ضمن تأييد عام للحركة لم يستمر أكثر من ثلاثة أيام فقط ، عندما تبين ان الحركة قد قررت اخراج الملك دون محاكمة ، وان ذلك قد دفع الحزب الشيوعى الى سرعة اتخاذ موقف المعارضة ، بعد ثلاثة أيام فقط ، صنفت فيه الحركة بأنها حركة عسكرية ستسير فى اتجاه فاشى لمصلحة اعداء البلد والاستعمار انجلو أمريكى ·

ولم يقبل جمال عبد الناصر التفسيرات التى قدمت له للتمييز بين الاتجاهين ·· اتجاه حدتو واتجاه الحزب الشيوعى ·· اذ وجد ان ذلك أمرا يصعب تفسيره للجماهير ·· وانه شخصيا غير مقتنع به وانه يطالب بموقف موحد للشيوعيين ··· وكان ذلك الحديث فى منزل أحمد فؤاد ، وقد حضرت هذا اللقاء مع عدد من المسئولين فى حدتو ·

كان موقف الحزب الشيوعى فى ذلك الوقت شديد التطرف والتفتت، فان خروج الملك فى ذاته كان يعتبر خطوة ايجابية ، لا يجوز تعطيلها بدعوى ضرورة محاكمة النظام الملكى كله ، فى وقت لم تكن حركة الجيش فيه تستند الى تنظيمات شعبية قوية ٠٠ ولم يكن مفروضا فيها ان تتصرف كما لو كانت قيادتها ماركسية ٠

ظلت وجهات النظر المختلفة الى حركة الجيش مستمرة من جانب التنظيمات الشيوعية ، ولو ان بعض الأحداث قد ساعدت على رفع شعار مشترك للمعارضة ضدها عندما اعدم خميس والبقرى وصدرت القوانين المعادية للديمقراطية بوقف الدستور وحل الأحزاب ٠٠ كما ان بعض الأحداث قد جمعت الشيوعيين مع السلطة الجديدة فى جهة واحدة كما حدث فى مقاومة العدوان الثلاثى بعد تاميم قناة السويس عام ١٩٥٦ وفى تأييد خطوات النضال ضد الاحلاف العسكرى وكسر احتكار السلاح وبداية خلق علاقات تعاون وصداقة مع الدول الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى ٠

وعندما اتحد الشيوعيون عام ١٩٥٨ فى الحزب الشيوعى الموحد ظلت هناك عدة تيارات رئيسية داخل الحزب ٠٠ تيار يقول بأن النظام هو ثالث يعتبرهم برجوازية وطنية صغيرة ٠

حيرة الحركة العسكرية وترددها فى اختيار طريق واضح انعكست مباشرة على تحليلات التنظيمات الشيوعية ٠

وساعد على ذلك أيضا ما تم فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى عام ١٩٥٦ ٠

كانت اعادة تقييم دور البرجوازية الوطنية فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ، وظاهرة التفتح التى ظهرت فى كلمات ماوتسى تونج بالصين دافعا الى حدوث مراجعات فكرية فى التنظيمات الشيوعية أدت الى نبذ أفكار الرفض الكامل والجنوح الى التأييد والتحالف ٠

يقول جان لاكوتير (ان اتجاه المؤتمر العشرينى قد ساعد ناصر على الا يصبح ديكتاتورا) ٠

ذلك صحيح لانه جعل الاتحاد السوفييتى يقدم له العون على تطوير المجتمع ، ولم يدعه يسقط فريسة للامبريالية يعادى بعدها كل الوطنيين والأحرار ٠

اصطدم التياران وفصل الحزب ممثلى الاتجاه الثانى شهدى عطية الشافعى وكمال عبد الحليم ومبارك عبده فضل وأحمد رفاعى بعد ٤ شهور فقط من توحيد الحزب .

وحدث لقاء مثير فى أكتوبر ١٩٥٨ فى منزل أنور السادات بينه وبين محمود أمين العالم ممثل المكتب السياسى للحزب الشيوعى الموحد ... رتب المقابلة الدكتور يوسف ادريس عضو (حدتو) سابقا ، والقريب من أنور السادات فى ذلك الوقت .

امتدت المقابلة من العاشرة مساء حتى الرابعة صباحا ... كانت جافة وحادة .

دعا أنور السادات الشيوعيين الى دخول الاتحاد القومى كأفراد ... واظهر العالم استعدادهم للتعاون بشكل تنظيمى داخل الاتحاد القومى على برنامج معين محتفظين بمنبرهم المستقل .

انتهت المقابلة دون اتفاق ...

وكانت ردود الفعل مختلفة عند الشيوعيين ... نظر الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله الى الموقف على ان الحكومة فى حالة ضعف واذا تلجأ للشيوعيين لتستوعبهم ، فتضلل الجماهير ... وتمادى فى تحليله فتوقع ان تدعوهم للمشاركة فى الحكم .

ولكن لم تكد تمضى على هذه المقابلة عدة أيام حتى بدأت حركة اعتقالات فردية للشيوعيين .

ولم يكن انفجار التناقض فى مصر وحدها ... ولكنه كان فى سوريا أيضا بصورة أكثر وضوحا .

عندما حاول اللواء عفيف البزرى رئيس أركان الجيش السورى ابداء رأيه فى توحيد الجيش ، وكان معروفا بصلاته الوثيقة مع الشيوعيين ، صدر قرار جمال عبد الناصر بخروجه من الجيش ومعه الضباط اليساريون الموالون له فى التفكير .

لم يصدر هذا القرار فى مصر لسببين أولا ان الضباط الشيوعيين الذين ظهروا كمتعاونين فى حركة الضباط الأحرار كانوا اما قد خرجوا من الجيش خلال السنوات السابقة أو ذابوا فى صفوف الضباط لم يعرفهم أحد .

وبذا لم تشن حملة ضد الضباط الشيوعيين فى مصر ... ولم تشن أيضا فى سوريا كما حدث فى ايران عندما حوكم ٦٥٠ ضابطا بتهمة الانتماء

الى حزب توده وحكم على عشرات منهم بالاعدام فى أواخر ١٩٥٤ ، أو كما حدث فى باكستان عندما حوكم عشرة ضباط منهم اللواء أحمد خان واللواء و • أحمد والأمير الأمام لطيف فى مارس ١٩٥٣ بتهمة اعداد مؤامرة شيوعية ضد نظام الحكم •

لم يسلك جمال عبد الناصر سلوك القيادات الرجعية فى معاملة الضباط الشيوعيين لأن سلوك الشيوعيين نحو قيادته كان مختلفا •

كان حرصهم على التعاون معه فى مواقفه الوطنية يزداد وضوحا يوما بعد يوم ••• ولم تكن هناك تناقضات رئيسية بينه وبينهم •

ولكن ثورة العراق فرضت على الموقف أيضا مزيدا من الاضطراب ••• وتناقض جديد بين السلطة العسكرية فى مصر والسلطة العسكرية فى العراق كما سيأتى تفصيلا فيما بعد •

أدت هذه العوامل الى تغيير جاد فى مسلك الثورة من الشيوعيين ••• وبدأ الهجوم عليهم فى خطب جمال عبد الناصر تلميحا ثم تصريحا فى خطبته يوم عيد النصر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٩ فى بور سعيد المدينة التى قام فيها الشيوعيون مع العسكريين بدور وطنى بارز فى مقاومة المعتدين •

وكانت جريدة المساء هى المنبر الذى يطل منه الشيوعيون على الرأى العام ••• وكتب الدكتور عبد العظيم انيس مقالا بعنوان (الحركة الوطنية العربية) اعتبره جمال عبد الناصر خروجا على خط القومية العربية ، وطلب من خالد محيى الدين منع الدكتور عبد العظيم انيس من الكتابة ووقعت المساء فى حيرة شديدة بين اتجاهات القومية العربية ، والاتجاهات اليسارية فى العراق ••• بل انها لم تنشر ما ورد فى خطبة جمال عبد الناصر من هجوم على الشيوعيين يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ فى بور سعيد •

ويقول خالد محيى الدين انهم حرصوا على عدم نشر شىء الا الأنباء المؤكدة التى تجمع عليها وكالات الأنباء •

وعندما لم تنجح ثورة الشواف فى العراق ، نشرت المساء (مانشيت) رئيسيا بعنوان (انتهت الثورة) واعتبر جمال عبد الناصر ذلك خروجا على الخط وقرر عزل خالد محيى الدين من رئاسة المساء فأبلغه أنور السادات بذلك يوم ١٢ مارس ١٩٥٩ •

وتوالت خطب جمال عبد الناصر تتهم الشيوعيين بالعمالة •

وفى يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥٨ وصل يوجين بلاك يحمل عرضا بقرض من البنك الدولى وفى ليلة رأس السنة هاجم البوليس منازل مئات من الشيوعيين ثم ترحيلهم الى المعتقلات •

صرح زكريا محيي الدين وزير الداخلية لسيمون لاكوتير المحررة في مجلة (فرانس اوبزر فاتر) قائلا (في سوريا تشكل الشيوعية خطرا أما في مصر فهي لا تزيد عن كونها مشكلة فهنا نعرف الشيوعيين كلهم) .

وفي اليوم التالي لحركة الاعتقالات ٢ يناير ١٩٥٩ نشرت الصحف صورة برقيتين متبادلتين بين نيكيتا خروشوف وجمال عبد الناصر للتهنئة بمناسبة توقيع اتفاقية السد العالي .

ولكن هذه البرقيات المتبادلة لم تمنع مواصلة اتهامات عبد الناصر للشيوعيين بالعمالة ، ومواصلة نيكيتا خروشوف لمهاجمة عبد الناصر في حفلات الإستقبال وفي المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعي .

تفجر الموقف بين قائد حركة التحرير الوطني في مصر وسكرتير الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفييتي .

ولكن جمال عبد الناصر أعلن في خطابه بميدان الجمهورية في العيد الأول للوحدة انه أرسل خطابا الى خروشوف وتلقى منه ردا (قويا — على حد تعبيره — من عشر صفحات) قرأ بعض فقراته على الجماهير بعد أن قال ان هناك أحاديث سببت بلبلة للناس مثل القول بوقف السلاح والمعونة والعلاقات الاقتصادية والمشاريع الصناعية بل والسد العالي .

قال خروشوف في رده (اذا نظر الانسان الى الموقف الحالي نظرة عملية لتمكن بسهولة من أن يرى اعداء الصداقة بين الإتحاد السوفييتي والجمهورية العربية المتحدة يريدون في الوقت الحاضر أن يجنوا أرباحا جشعة في الخلافات العقائدية بيننا) ... وقال أيضا (أما فيما سيتعلق بموقفنا من الشيوعية في الجمهورية العربية المتحدة فان الاتحاد السوفييتي لا يرغب في التدخل في الشئون الداخلية) .

دخلت العلاقات مع الاتحاد السوفييتي في مرحلة فتور ... ولكن الخطابات ظلت متبادلة ... خروشوف يستند الى مثل شعبي أولي يقول (لا تبصق في بئر قد تحتاج الى مياهه) وجمال عبد الناصر يستند الى مثل عربي يقول (يد واحدة لا تصفق) .

جمال عبد الناصر يحرص على عدم هدم العلاقات المصرية السوفيتية التي تقدم له العون في مختلف المجالات ... ولكنه أيضا يود أن يؤكد سلطته داخل مصر ، فيصدر أوامره باعتقال مئات آخرين من الشيوعيين في شهر ابريل ١٩٥٩ .

كان جمال عبد الناصر يتصرف كرجل دولة في حرصه على العلاقة مع

السوفييت ، وكزعيم له طبيعة عسكرية فى التعامل مع المعارضين لـه فى الجبهة الداخلية .

ويقول انطونى نانتـنج (فى كتابه ناصر) ان جمال عبد الناصر لم يفعل ذلك حفاظا على سلطته ، أو حماية للوحدة مع سوريا فقط ... ولكنه أراد أن يثبت للعالم عامة وللولايات المتحدة خاصة أن سياسته بعد السويس ليست مرتبطة بالايديولوجية الشيوعية كما سبق له ان قال .

وانتهزت حكومة الولايات المتحدة الفرصة وانتعشت آمالها فى العودة الى مركز النفوذ فى المنطقة من جديد .

واستأنفت مساعدتها الاقتصادية لمصر ... وأعلـن دالاس ذلك فى ١٢ أكتوبر بمساعدة أولية مقدارها ١٣ مليون دولار . وبيـع القمح بالنقد المصرى .

وعادت العلاقات مع بريطانيا أيضا فى ديسمبر ١٩٥٩ بتعيين كولين كوو قائما بالأعمال ولكن جمال عبد الناصر لم يقـابله أبدا حتى أعيـدت العلاقات الديبلوماسية كاملة مع بريطانيا فى مارس ١٩٦١ بتعيين سير هارولد بيلى سفيرا فى القاهرة .

أما فرنسا فلم تعد العلاقات معها الى طبيعتها بعد اعتقال مدير بعثتها مسيو ماتى واتهامه بالتجسس فى نوفمبر ١٩٦١ وعدم الافراج عنه الا بعد خمسة شهور عندما قرر ديجول أعلان استقلال الجزائر .

محاولة استغلال الحكومة الأمريكية للموقف عن طريق عودة المساعدات (كانت مكشوفة لدرجة انها لم تفلح) كما يقول انطونى نانتنج .

ولم يحدث تبادل للاتهامات فى الخطب أو حفـلات الاستقبال ... وفوجئت يوما بصلاح سالم يحدثنى عن رغبته فى مقابلة خروشوف واجراء حديث معه .

وكان العرض من الغرابة فى وقت تستعر فيه الحملة ضد الشيوعية الى الحد الذى تبينت منه انه محاولة من جمال عبد الناصر لرأيه الصريح دون ان يصرح صلاح سالم بذلك .

وفى اجتماع حضره صـلاح ومستشار القاهرة السوفيتيـة فاديـم سنيتليكوف وانا تم الاتفاق على ابلاغ موسكو برغبة صلاح سالم .. وجاء الرد بعدها بأيام بالموافقة .

سافرت مع صلاح سالم ومعنا الزميل الصحفى اليسارى عبد العزيز فهمى الى الاتحاد السوفييتى يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٩ ... واستقبل خروشوف

صلاح سالم في مكتبه بالكرملين وأجرى معه حديثا لجريدة الجمهورية نشر فيها ٠

ولكن الرحلة كانت تمهيدا للاتفاق على تنفيذ المرحلة الثانية من السد العالي وضمان استمرار الامداد بالأسلحة ٠

وافق خروشوف دون تردد ٠٠٠ وكانت بعثات الضباط المصريين ما زالت موجودة تواصل دراستها ٠

وفي هذا اللقاء تحدث خروشوف مرة أخرى عن عدم جدوى اعتقال الشيوعيين وان الوحدة مع سوريا بدأت تتعثر ٠٠٠ وكان عبد الحكيم عامر وقت المقابلة في دمشق بصفته نائبا لرئيس الجمهورية ، ولم يتورع خروشوف عن القول بأن عامر يعيش في سوريا فوق (خازوق) في مقعده ٠

أرسل صلاح سالم صورة الحديث لناصر ومعه ملخص بما تم في المقابلة ، على ان نسافر معا الى المغرب في محاولة لدخول الجزائر من مدينة (اوجوا) ولكنه تلقى برقية من عبد الناصر بالعودة فورا الى القاهرة ، وعاد بفردة حذاء وفردة شبشب من آلام النقرس التي كان يعاني منها ٠

(نشر الحديث في جريدة الجمهورية يوم ١٠ نوفمبر ١٩٥٩ تحت هذه العناوين الرئيسية على لسان خروشوف (لا صلة بيننا وبين الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية ـ الموقف في البلاد العربية غير صالح الآن لقيام نظام شيوعي ـ عواطفنا مع اللاجئين الفلسطينيين ولا نريد ان تكون لنا مصالح مع الصهيونية ـ الاستعداد لتسليح الجيش والمرحلة الثانية من السد العالي وتنمية الاقتصاد) ٠

وتحسنت العلاقات الرسمية قليلا وخفت حدة موجة الهجوم على الشيوعية ولكن اذاعة صوفيا ظلت منبرا للشيوعيين العرب ينتقدون فيها النظام الذي كان يهاجمهم من صوت العرب هجوما شديدا ٠

وحدث أن اذاعت المحطة في أوائل عام ١٩٦٠ خبر اعتقال القائمقام يوسف صديق ووفاته في المعتقل ٠٠٠ ولم يكن الخبر صحيحا ٠

وتوجه يوسف صديق بنفسه الى سفارة بلغاريا في القاهرة وأبلغهم ان اذاعة مثل هذه الأخبار لا تفيد شعب بلغاريا ولا تفيد أيضا شعب الجمهورية العربية المتحدة ٠

ولكن أخبار اذاعة صوفيا لم تكن كلها غير صحيحة ٠٠٠ كان الشيوعيون الذين اعتقلوا أولا في الفيوم ثم رحلوا الى معتقلات الشمس في الواحات والوادي الجديد يعانون من المعاملة السيئة والتعذيب والاضطهاد ٠

وبلغ التعذيب غايته فى سجن أبى زعبل حيث عومل كبار المثقفين المصريين وطليعة العمال والفلاحين معاملة وحشية وتعرضوا لاهانات لا تتفق مع الكرامة الانسانية ، مما جعل سمعة النظام المصرى فى الدول الاشتراكية وبين الأحزاب التقدمية يتعرض الى اساءة بالغة .

وفى يوم كان قد عاد من الاسكندرية عدد من الذين كانوا يحاكمون امام محكمتها العسكرية ، واستقبلهم بعض رجال السجن بالضرب الشديد، وسقط المناضل شهدى عطية الشافعى أحد الرواد الأوائل فى الحركة الشيوعية المصرية قتيلا تحت أيدى المجرمين .

كان جمال عبد الناصر أثناء ذلك فى زيارة تيتو فى يوغوسلافيا عندما بلغه النبأ فاصدر أوامره بطرد اللواء اسماعيل راغب همت أحد ضباط الجيش الذين زحفوا أيضا حتى الى مصلحة السجون والتحقيق معه ومع عدد من ضباطه .

ولم يكن المناضل شهدى عطيه الشافعى هو الشهيد الوحيد .

توفى ثمانية معتقلين شيوعيين من آثار التعذيب والمعاملة السيئة فى السجن فى الفترة ما بين ١٢ ابريل ١٩٥٩ ، ٢٣ يوليو ١٩٦٠ وهم المناضلون موظف محمد عثمان بطنطا وطالب مصطفى شوقى والدكتور فريد حداد وموظف سيد التركى وعامل على متولى الديب ومرتد محمد رشدى خليل وعامر سيد محمد .

لعبة التوازن

ومضت أكثر من سنتين لم يقابل فيها جمال عبد الناصر خروشوف حتى اتيحت لهما الفرصة فى سبتمبر ١٩٦٠ عند افتتاح الدورة الخامسه عشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة ، بعد ان كان الاتحاد السوفييتى قد رصد لمصر ٩٠٠ مليون روبل فى ٢٨ أغسطس ١٩٦٠ وقال له جمال عبد الناصر انه اذا كان قد حظر الحزب الشيوعى فى مصر فانه فعل ذلك لأن الشيوعيين أخطأوا فى تحليل الطريقة التى يجب تطوير البلاد بها كذلك أبلغه انه لا يشترك فى أى حرب صليبية عامة ضد الشيوعية وانه ليس معاديا للشيوعية .. وذلك كما ذكر محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) .

ولم يقابل جمال عبد الناصر خروشوف فقط فى نيويورك وانما التقى مع عدد كبير من زعماء العالم الذين احتشدوا فى هذا الاجتماع التاريخى العاصف ... والتقى أيضا بايزنهاور رئيس الولايات المتحدة ، وتحدث

معه فى العلاقات ما بين البلدين وفي تطوراتها وفى ضرورة النظر اليها على ضوء جديد يتماشى مع ما نتطلع اليه جميعا من سلام قائم على العدل ... ولكن مدة رئاسة ايزنهاور كانت فى شهورهـا الاخـيرة ومن ثم لم يتسع للمحاولة الجديدة ان توضع موضع الاختبار .

جمال عبد الناصر حريص على وجود علاقة طيبة مع العسكريين ... العلاقات مع الاتحاد السوفييتى تتحسن ... والولايات المتحدة تمد مصر بالمساعدات بأمل محدود فى استعادة مواقعها .

كان المستثمرون الغربيون الذين كان يحتمل ان يوظفوا ثرواتهم فى مصر قـد اعتقـدوا ان مشاريـع نـاصر الكبرى ليست سوى نـوع مـن (الاقتصاد الامبراطورى) الذى يهـدف الى جعـل مصر المركـز الصناعى لامبراطورية عربية حديثة كما كتب جيلبير شيلورك فى عدد أكتوبر ٥٨ من مجلة فورتشن ...

المساعدات الأمريكية لم تكن تلعب دورا كبيرا فى تطوير المجتمع ، ولكنها كانت ذات فائدة فى التموين وبعض الخدمات ، واسهمت فى بعض مشاريـع السنوات الخمس بمبلغ ١٦٢ مليون دولار مقابل ١٧٢ للاتحاد السوفيتى وحصلت هيئة قناة السويس على قرض قيمتـه ٥ر٥٦ مليـون دولار من البنك الدولى فى ديسمبر ١٩٥٩ بالاضافة الى خمسة ملايين من المصارف الأمريكية لتحسين القناة .

واقتربت المانيا الغربية أيضا من مصر ... سافر اليهـا ٥٠٠٠٠ طالب فى منح وبعثات ، وقدمت مساعدات قيمتها ٤ر٤٨ مليون دولار فى مشروع السنوات الخمس الأولى .

وانتهز جمال عبد الناصر فرصة انتخاب جون كنيدى رئيسا للولايات المتحدة وأرسل له خطابا فى ٢٠ فبراير ١٩٦١ بمناسبة اغتيـال الزعيم الكونغولى باتريس لومومبا .

وبادر الرئيس الأمريكى بالـرد على جمال عبد الناصر فى ٢ مارس ١٩٦١ ... وبدأت علاقة مراسلات ودية بين الرئيسين .

وحدث تحول ظاهر فى العلاقات عندما طلب جمال عبد الناصر تحويل طلبة البعثات المصريين فى الاتحاد السوفييتى الى الولايات المتحدة ووافقت الأخيرة على ذلك وانتقل فعلا ٢٤٠ طالبا الى هناك .

واستمرت الخطابات متخطية عقبة محاولة الغـزو الأمريكى لخليج الخنازير فى كوبا التى وقف عبد الناصر وتيتو فيها موقف التأييد لفيدل

كاسترو ، فى محاولة لاقامة صداقة مصرية أمريكية على أساس عدم التدخل أو التنازل عن الحرية والاستقلال الوطنى ٠

هكذا كان جمال عبد الناصر يحاول خلق علاقات طيبة مع الاتحاد السوفييتى ومع الولايات المتحدة فى وقت واحد ٠٠٠ لم يتورع عن الدخول فى مصادمات علنية عندما وجد ان فى ذلك ما يعتبر محاولة للتدخل فى شئون مصر ، ولكنه لم يلبث أيضا ان غلب مصلحة مصر فوق شحنة عواطفه المتفجرة ٠

كان جمال عبد الناصر حريصا على ان يلعب لعبة التوازن بمهارة فى السياسة الخارجية ٠

لا يمكن القول بأن جمال عبد الناصر كان مواليا للسوفييت أو مواليا للأمريكيين ولكنه كان مواليا لمصر فى حدود يقينه واقتناعه ٠٠٠ وقد برزت شخصيته فى المجال العالمى نتيجة مواقفه الوطنية ٠٠٠ وأصبح زعيما له شهرة عالمية تدفع الناس فى انحاء العالم اذا ما قابلوا مصريا فى بلدهم ان يقولوا (اوه ٠٠٠ ناصر) ٠

ولكن هذا التميز الواضح والوصول الى طليعة زعماء العالم الثالث ، لم ينعكس تطورا على أسس علمية سليمة فى المجال الداخلى ٠

اختار جمال عبد الناصر الطريق السهل ، واعتمد على العسكريين فى اقامة نظامه ، ولم يبذل جهدا حقيقيا فى تكوين كادرات قيادية فى مجال العمل السياسى ، مع اتخاذه موقفا عازلا بينه وبين العناصر التى مارست السياسة فى تنظيمات أخرى ٠

وأدى لمعان شخصيته فى المجال العالمى وانتصاراته فى المجال الوطنى الى خلق فارق واسع بينه وبين زملائه العسكريين ، فأصبح لهم زعيما لا ينازع وقائدا لا يتطاول الى قمته احد ٠

وادى ذلك الى تغييرات حقيقية فى شخصيته وفى أسلوبه ، وخاصة بعد الوحدة مع سوريا واتساع رقعة البلاد ، وظهور محبة الشعب هناك له وحملهم لعربيه فوق الأكتاف فى مدينة حلب وغيرها ٠

أصبح صعبا عليه ان يمارس حياته التى اعتادها ٠٠٠ يقابل زملاءه فى بساطة دون تحديد مواعد ، يستقبلهم احيانا فى غرفة نومه ، يستمع الى مزاحهم ونكاتهم يحرص على مناقشة آرائهم ويتعرف على أخبارهم ٠

أصبح ذلك مع الوقت صعبا عليه لأن وجوده فى قمة السلطة جعل

الجميع يتجهون اليه ويحاولون الوصول الى اغراضهم عن طريقه ، ويبددون وقته وأحيانا يثيرون أعصابه .

ولذا دخل الزعيم الذى بدأ حياته رجلا عاديا بسيطا لا يهتم بالمظاهر دائرة حصار من العزلة ... دخلها بارادته ولم يعد سهلا على أحد ان يقتحم عليه عرينه الا اذا كان مطلوبا أو بناء على موعد سابق .

وأصبحت صلته الرئيسية بالناس خلال أجهزته وخلال مكتبه ... فكان يرى صورة المجتمع فى أوراق وتقارير تقدم له ...

ولا يعنى هذا انه فقد حسه الشعبى ... خطبه تظهر انه كان يعرف مشاعر الناس واحلامها ومتاعبها ... والاجراءات التى كان يتخذها كانت تعبيرا عن رغبته فى تخفيف متاعب الناس .

قوانين الخدمات التى توالى صدورها وقفت بانشاء لمجلس الدائم للخدمات العامة ، والوحدات المجمعة ، والمساكن الشعبية ، ومجانية التعليم وزيادة عدد المدارس ، وخفض ايجارات المساكن التى انشئت بعد ١٨ سبتمبر ١٩٥٥ بمقدار ٢٠٪ والحد من السفر للخارج لتوفير ١٠ ملايين جنيه للدولة ، وصدور قانون الجمعيات التعاونية .

كل هذه القوانين كانت تظهر موقف القيادة الواضح فى تخفيف متاعب الناس عموما ودعم البرجوازية الصغيرة خصوصا .

ورغم وضوح هذا الموقف يوما بعد يوم الا أن الاتحاد القومى ظل عاجزا عن استيعاب هذه الأفكار والسير فى هذا الاتجاه ... لأن قوانينه كانت تحوى عبارات عامة (يعمل على بناء المجتمع العربى الاشتراكى الديموقراطى التعاونى الذى يعمل بجميع منظماته وأفراده على تحمل مسئولية مجتمع تسوده الرفاهية ويتحقق فيه القضاء على الاقطاع والاستغلال وان توجه الملكية الفردية وظيفتها الاجتماعية لمصلحة المجتمع والقضاء على الاحتكار وسيطرة راس المال على الحكم وان يقوم القطاع الاشتراكى فى مجالات الصناعة والتجارة والمرافق العامة بجانب النشاط الخاص) .

عجز التنظيم وتعليق الجماهير بارادة الزعيم اصابت المجتمع بنوع من السلبية والتواكل ، انعكست فى النهاية على مسار الثورة فتعثرت فى أزمة الانفصال كما سيأتى تفصيلا فيما بعد .

وكانت هذه هى نهاية الاتحاد القومى كتنظيم سياسى ، حيث تكتشف نواحى العجز والقصور فيه ، وتبين انه لا يصلح تنظيما فى بلد وطنى يحرص على مصلحة طبقة جديدة لم تستكمل نموها وهى البرجوازية الصغيرة .

لم يكن الوضع فى مصر مشابها للوضع فى البرتغال حيث يحكم نظام ديكتاتورى ارهابى لا يهتم الا بمصلحة الاقطاعيين وكبار الاحتكاريين والرأسماليين ٠

ومارس جمال عبد الناصر النقد الذاتى لأول مرة أمام الجماهير وهو يقول فى مناقشات المؤتمر الوطنى عام ١٩٦٢ (ان الفكر الثورى قد وقع فى الخطأ حين توهم ان الطبقة المحتكرة التى كان لا بد ان تسلبها الثورة امتيازاتها الاستغلالية يمكن لها ان تقبل الوحدة الوطنية) ٠

ويفسر ذلك فيما بعد بكلماته البسيطة فيقول فى عيد السد العالى ١٥ يناير عام ١٩٦٧ (الأساس الذى بنى عليه الاتحاد القومى لم يكن بالأساس السليم ، شيء ضد العقل ٠٠٠ وضد الطبيعة واحنا كنا طيبين جدا وعاوزين نلم الاقطاعى اللى خدنا منه ألف فدان مع الفلاح اللى وزعنا عليه خمس أفدنة وكنا بنعتبر انه حينسى ويقول ان احنا بنمشى فى المجتمع الجديد) ٠

ليس هذا فقط ٠٠٠ بل ان جمال عبد الناصر يعتبر ان مهادنته للرجعية العربية كانت خطأ ٠٠٠ ويقول (كنا نرفض المصالحة مع الاستعمار ولكنا وقعنا فى خطأ المصالحة مع الرجعية ، تصورنا انهم أبناء نفس الوطن وشركاء نفس المصير ، ولكن التجربة أثبتت خطأ ما كنا نتوهمه) ٠

وحدد جمال عبد الناصر طريقة جديدة فى خطابه يوم ١٦ أكتوبر ١٩٦١ (من هنا كان أهم ما يواجهنا هو اعادة التنظيم الشعبى ليكون الاتحاد القومى أداة ثورية للجماهير الوطنية وحدها ، صاحبة الحق والمصلحة فى التغيير الثورى) ٠

اقتنع جمال عبد الناصر بأن بقايا الاقطاع والبرجوازية الكبيرة لا يمكن ان ترتفع فوق مصالحها الانانية الضيقة ٠

واقتنع أيضا بأن محاربة الامبريالية فى الخارج لا تفترق عن محاربة الرجعية المتعاونة مع الاستعمار فى الداخل ٠

واقتنع اخيرا بأن وجود التنظيمات السياسية بغير وثيقة فكرية توجه افرادها هو أمر يبدد طاقتها فى وجهات نظر متباينة وصراعات فكرية متعددة ٠

ولم يعد غياب الايديولوجية مقبولا ٠٠٠

ولم يعد الاتحاد القومى تنظيما صالحا ٠

ووضح الاختيار ليقضى على الحيرة ٠

الباب الثالث

● مجتمع عبد الناصر

الفصل السابع

محاولة ... لنظرية جديدة

(لا بد لنا ان نقاتل الاستعمار فى قصور الرجعية .. وان نقاتل الرجعية فى احضان الاستعمار)

جمال عبد الناصر

لم يتغير واقع المجتمع ، ولم يرتفع مستوى المعيشة كثيرا رغم كل الاجراءات التى اتخذت فى الخمسينيات ... قانون الاصلاح الزراعى تخفيض ايجار المساكن ، مصادرة أموال الأسرة الملكية ، تأميم القناة ، تمصير البنوك والشركات البريطانية والفرنسية ، تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية ورفع نسبتها فى الشركات الى ٥١٪ .

لم يتطور المجتمع عن طريق التقدم الراسمالى ... أحجمت البرجوازية المصرية الكبيرة عن الاسهام الايجابى فى دعم الاقتصاد القومى ... وقدراتها فى ذلك عموما كانت محدودة ... الاستثمار الصناعى عام ١٩٥٢ كان ٠٠٠ر١٠٠ر٢ جنيه فقط .

وبذلك أثبتت أن قدراتها فى تحقيق خطط التنمية محدودة .

وحتى فى هذا الوضع أخذت البرجوازية تتذمر وتفكر فى الخلاص من كل رقابة من جانب الدولة خاصة وان قيام الثورة كانت تقترب تدريجيا من التدخل عن طريق قوانين الشركات ، ووضع بعض العسكريين فى مواقع النفوذ ، واستيلاء الدولة (القطاع العام) على الشركات الممصرة ٠

ونضج التناقض بين مطالب الأمة الديموقراطية العامة وبين مصالح المستثمرين الطبقية ٠٠٠ ولم تعد (الاشتراكية الديموقراطية التعاونية) صيغة مناسبة لتطوير المجتمع لما أحاط بها من غموض وغلفها فى نوايا طيبة غير واقعية ٠

الهدف ٠٠٠ رفع مستوى المعيشة لا يتحقق بالصورة المرضية ٠٠٠ ما زال الفلاح فى تخلفه وفقره والعامل فى معاناته ٠٠٠ ولكن الطبقة الوسطى تنمو وتتدعم ، ومع ذلك فالحياة ما زالت تطحنها ٠

ولم يكن استمرار الوضع على ما هو عليه مقبولا ٠٠ الثوار العسكريون لا يريدون ان يتحولوا الى حكام فقط ٠٠٠ والقادة الوطنيون الذين حصلوا على تأييد شعبى ساحق فى خطواتهم الوطنية لا يرتضون ان يقفوا موقف العجز أمام الشعب فى خطواتهم الاجتماعية ٠

عندما قرر جمال عبد الناصر تأميم بنك مصر استدعى اليه أحمد فؤاد وقال له انه يشعر بان السلطة فى يد كبار الرأسماليين ٠

ولكن تأميم البنك الأهلى وبنك مصر لم يكن كافيا لازالة الشعور بسيطرة كبار الرأسماليين ٠٠٠ ولم يكن عاملا مؤثرا فى القضاء على مشاكل المجتمع ٠

والاشتراكية هى أكثر الكلمات بريقا واغراء فى مجال التقدم الاجتماعى ٠٠٠ ولكنها استخدمت أحيانا فى غير مجالها ٠٠٠ هتلر أطلق على حكمه النازى اسم (الاشتراكية الوطنية) ٠٠٠ وكلمتا الديموقراطية والتعاونية لم يتحولا الى جناحين تحلق بهما الاشتراكية فى مصر الى آفاق جديدة رغم قول جمال عبد الناصر فى المؤتمر التعاونى بجامعة القاهرة يوم ٥ ديسمبر ١٩٥٧ (اننا نهدف الى اقامة مجتمع اشتراكى ديموقراطى تعاونى متحرر من الاستغلال السياسى والاستغلال الاقتصادى والاستغلال الاجتماعى) ٠

الموقف يزداد صعوبة أمام القيادة الطموحة ٠٠٠ والذين بشروا بالاشتراكية فى مصر من قبل الثورة كانوا معتقلين فى السجون من ليلة رأس السنة لعام ١٩٥٩ ٠٠٠ تلاحقهم الاتهامات انهم شيوعيون وانهم عملاء ٠

ولكن هذه الحقيقة لم تقف عقبة فى وجه جمال عبد الناصر ٠٠٠

أبقى الشيوعيين أو الاشتراكيين الحقيقيين فى المعتقلات ٠٠٠ وبدأ يدبر ثورة جديدة بسرية كاملة ٠٠٠ بصورة تختلف قليلا عما حدث قبل ٢٣ يوليو ٠

الثورة الاجتماعية تدبر من السلطة بعيدا عن المناقشة الحرة المفتوحة ٠٠٠ والذين اشتركوا فى تدبيرها عدد محدود ٠

يقول زكريا محيى الدين وعبد اللطيف البغدادى ان تأميمات ١٩٦١ لم تعرض على أعضاء مجلس القيادة السابقين فى جلسات عمل رسمية ٠٠٠ وانما اثير الموضوع للمناقشة فى جلسة واحدة خاصة بالاسكندرية حضرها جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسين فقط ٠

لم تكن هناك صورة واضحة عن المدى الذى كان يراه عبد الناصر فى موضوع التأميم ٠

كانت هناك آراء بديلة من بعض أعضاء مجلس القيادة السابقين ٠٠٠ تحديد ملكية الاسهم فى الشركات للفرد والأسرة ٠٠٠ عدم تأميم أى مشروع الا اذا كانت هناك قدرة على ادارته ادارة جيدة ٠

ومع ذلك فلم يعترض أحد من أعضاء مجلس القيادة على مشروع قوانين التأميمات ٠٠٠ جميعا وافقوا عليها ٠٠٠ ولم يبذل أحد منهم جهدا فى دراستها لانها لم تعرض عليهم تفصيلا ٠

رتب جمال عبد الناصر مشروعات القوانين مع عبد المنعم القيسونى وحسن عباس زكى وكلاهما غريب عن الاشتراكية ، بعيد عن الاقتناع بها ٠٠٠

وأحمد فؤاد الاشتراكى الذى احتفظ بعلاقته مع عبد الناصر لم يستشر أيضا ، كما استشير عند تأميم بنك مصر ٠٠٠ وسمع القوانين من الاذاعة وقرأها فى الصحف كما حدث مع الشعب فى مصر وسوريا ٠

وعزيز صدقى وزير الصناعة استبقاه جمال عبد الناصر فى استراحة المعمورة بعد استقبال وفد من نيجيريا ، واطلعه على الدليل الصناعى حيث كان قد أشر بالقلم الرصاص على أسماء شركات عديدة ثم قال له (الدولة ليس لها رقابة ٠٠٠ وأنا أريد تأميم الصناعة) ٠

وقدم عزيز صدقى مذكرة يقترح فيها تأميم الصناعات الأساسية ٠٠٠ الغزل والأسمنت والمناجم ٠

كانت فكرة التأميم التى استولت على جمال عبد الناصر وليدة رغبته فى التغيير الاجتماعى ، ونتيجة طبيعية لحركته التجريبية ، مع توفر الجدية والقدرة على الاستفادة والوصول الى نتائج جديدة ··· تدفعه الى ذلك طبيعته العسكرية التى يعبر عنها زكريا محيى الدين بقوله (ان جمال عبد الناصر لم يكن فيلسوفا ولكنه كان ثوريا جامحا) ·

كانت ارادة جمال عبد الناصر فى التغيير أقوى من ان تقف عندها حواجز التقاليد القائمة فى المجتمع ، وكان أسلوبه السرى فى التدبير مازال مسيطرا عليه ·

لم يكن جمال عبد الناصر من المعتنقين للفكرة الاشتراكية العلمية مثله مثل كل العسكريين الذين أصبحت السلطة كاملة فى ايديهم ، ولكنهم جميعا بالتأكيد كانوا يريدون تغيير المجتمع ، ويريدون أيضا ان يتحرروا من أية سلطة لرأس المال ، بعد ان تحرروا من كل القوى والهيئات والتنظيمات السياسية ·

ولكن صلات جمال عبد الناصر الخارجية ، وتركيزه على العمل السياسى ، وجديته فى مواجهة المشاكل ، كانت تدفعه دفعا الى اعتناق منهج فكرى جديد تؤهله له موهبته ورغبته فى التعليم وحسن استماعه ·

ولم يكن هناك من سبيل الا الاشتراكية بعد بلورتها واخراجها من غموض الفترة السابقة التى اقترنت فيها بالديموقراطية والتعاونية ·

أحد الذين أثروا على تفكير جمال عبد الناصر فى هذه الفترة كان جوزيف بروز تيتو الذى تعددت اجتماعاته به ومناقشاته معه ··· وكان جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة يواصل تبادل الخطابات مع كيندى ··· ولكن علاقاته مع خروشوف كانت باردة ·

وتطور جمال عبد الناصر فى هذه المجال كثيرا عن زملائه من الضباط الذين احاطوا به وكانت نظرتهم ثابتة غير متطورة ··· وكان اليساريون أو الاشتراكيون الحقيقيون من الضباط اقلية قبل الثورة ، أما بعدها فقد عزلوا أو أصبحوا أقل نفوذا ·

لم يكن هناك يسارى واحد مقرب من جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة ··· يوسف صديق وخالد محيى الدين فى المعاش بالمنزل ، وأحمد فؤاد لم يكن مقربا ·

ولكن جمال عبدالناصر كان يريد تحطيم الحصار الذى حاولت البرجوازية المصرية أن تفرضه حوله وتقيده به ··· فانها لم تكتف

بالاستقرار الذى يثبت الحكم العسكرى دعائمه ، وانما ارادت المشاركة فى السلطة ووقف تدخل الدولة .

ولم يكن هناك من سبيل لتنفيذ ما يبقى سوى السلطة الادارية وحدها ... التنظيم السياسى كان عاجزا عن الحركة وليس فيه كادرات قيادية واعية ... والاشتراكيون الحقيقيون ما زالوا فى السجون والمعتقلات .

وفجأة ... وبلا أى تمهيد ... ودون حشد للجماهير أو تعبئة للافكار ... أو محاولة لتحريك التنظيم أخذت وسائل الاعلام من الصحف واذاعة تصدر بقوانين جديدة .

يخصص ٢٥٪ من أرباح الشركات للموظفين والعمال .

اشراك أربعة أعضاء منتخبين من الموظفين والعمال فى مجالس ادارة الشركات .

تحديد الحد الأعلى للمرتبات ٥٠٠٠ جنيه فى العام .

اقرار الضريبة التصاعدية لتصبح ٩٠٪ على الدخول التى تزيد عن ١٠٠٠٠ جنيه .

قانون ١١٧ بتأميم ١٤٩ شركة تتحول أسهمها الى سندات اسمية على الدولة لمدة ١٥ سنة بفائدة ٥ر٤٪ ... وكان منها ٧١ بنكا ، ١٧ شركة تأمين .

قانون ١١٨ باشراك القطاع العام فى ٩١ شركة بحصة لا تقل عن ٥٠٪ من رأس المال .

قانون ١١٩ بتحديد ملكية الفرد فى الشركات بما لا تزيد قيمته السوقية عن ١٠٠٠٠ر١٠ جنيه أو ١٠٠٠٠ر١٠٠ ليرة وتؤول الى الدولة ملكية الأسهم الزائدة .

قانون رقم ١٢٠ تنظيم منشئات تصدير القطن فى الأقاليم الجنوبى بحيث تأخذ شكل شركة مساهمة عربية لا يقل رأس مالها عن ٢٠٠ر٠٠٠ جنيه وتشترك فيها احدى المؤسسات العامة بحصة لا تقل عن ٥٠٪ من رأس المال .

قانون رقم ١٢٣ باسقاط التزام استغلال مرفق النقل العام للركاب بالترام والترولى باس بمدينة القاهرة على أن يؤول الى مؤسسة النقل العام بعد نقل كل العمل اليها .

وكذلك قانون ١٢٢ باسقاط التزام شركة لينو (الفرنسية) ٠

قانون بتعديل بعض أحكام قانون الاصـلاح الزراعى ليكون الحـد الأقصى للملكية الزراعية ١٠٠ فدان والحد الأقصى للايجـار والانتفاع ٥٠ فدانـا ٠

قانون ١٢٨ بتخفيض الديون الى النصف للمنتفعين بقوانين الاصلاح الزراعى ٠

قانون ١٢٩ بزيادة الضريبة على العقارات المبنية ٠

وقرار بقانون بمنع تعيين أى شخص فى أكثر من وظيفة واحدة ٠

خلال أربعة أيام بدأت من ١٩ يوليو وانتهت يوم الاحتفال بعيد الثورة التاسع كانت قد صدرت كل هذه القوانين التى تمت بطريـق الصدمـة ، وغيرت من واقع المجتمع ، وتلقاها الناس المسئولون والبسطاء كمفاجـأة سعدت لها الأغلبية وصدمت منها الأقلية ٠

سميت هذه القوانين باسم القوانين الاشتراكية ٠

من هم الذين سيقودون المجتمع بعد هذا التغيير ؟

يقول جمال عبد الناصر فى مناقشات اللجنة التحضيرية (من الذى سيقوم بالقيادة ٠٠٠ ؟ عندما نقول اشتراكية لا بد لها من اشتراكيين ٠٠٠ أنا أريد للاشتراكية اناسا لا هم رجعيون ولا هم رأسماليون مستغلون) ٠

جمال عبد الناصر يريد ان يعزل الرجعيين والرأسماليين ٠٠٠ ولكنه لا يريد التعاون مع الاشتراكيين الحقيقيين ٠٠٠ انه لا يريـد للاشتراكية كادرا من الاشتراكيين ، ولكنه يكتفى بالقائمين على السلطة ٠

الاتحاد القومى مـا زال هو التنظيـم السياسى ٠٠٠ وكمال الدين حسين ما زال هو المشرف العام المشجع لصدور هذه القوانين والمؤيد لها فى مؤتمرات الاتحاد ، رغم انها لا تتجاوب تمامـا مع أفكاره ومعتقداتـه ٠٠٠ وكثيرا ما جاب المحافظات يدافع عنها ويروج لها ٠

لاشىء يتغير فى الفئة الحاكمة ٠

كل مسئول فى موضعه ٠٠٠ الوزراء والمحافظون ٠٠٠ وفيض جديد من رؤساء مجالس الادارة والمديرين ٠٠٠ أغلبيتهم العظمى بعيدة تماما عن الفهم الصحيح أو الاقتناع بالاشتراكية ، ونسبة العسكريين فيهم ما زالت واضـحة ٠٠٠ فتح مجال هائل للترقيـة أمام التكنوقراط والبرجوازية الصغيرة ٠

الاشتراكية يبدأ تطبيقها بالمجموعة الحاكمة المسيطر عليها العسكريون ... والاشتراكيون الحقيقيون فى معتقل الوادى الجديد يرسلون برقيات التأييد لجمال عبد الناصر على خطوته الثورية التقدمية .

معتقدات الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى تعتقد فى ان قيادة عبد الناصر وطنية وفى تحالف مع القوى العاملة .. على غير ما كان ينادى به البعض من انه يمثل البرجوازية الاحتكارية المتحركة فى خدمة الامبريالية .

وتحول المديرون والمسئولون فجأة الى اشتراكيين ... غيروا أفكارهم كما يغيرون ثيابهم .

وتمادى بعضهم فى محاولة الظهور بمظهر اشـــتراكى عن طريق التطرف والمغالاة .

والاتحاد القومى ما زال هو التنظيم المساند للتغير الحادث فى المجتمع مهتديا بفكرة المصالحة بين الطبقات ... (السلام والتعاون بين الطبقات قد تحقق لأول مرة فى التاريخ) هكذا قال جمال عبد الناصر فى يوليو ١٩٦١ .

الصراع الطبقى ما زال مرفوضا .

وهنا يحق لنا ان نتساءل عن العلاقة بين الانقلابات العسكرية فى الدول النامية وما اذا كانت تستهدف الاستيلاء على ثمار الحركات الشعبية المتصاعدة لمنع الوصول الى حرب طبقية ... وما اذا كانت القوانين والاصلاحات الاجتماعية تتم بوساطة السلطة العسكرية لتفادى وصول الصراع الطبقى الى نقطة الانفجار .

رغم هذه القوانين التى تهدم سلطة البرجوازية الكبيرة ، فان الطبقة الحاكمة لا تريد تفجير الصراع الطبقى لانها بدأت تعبر فعلا عن واقع البرجوازية الصغيرة التى أخذت تنمو وتتدعم ... وتفجير الصراع الطبقى سوف يغلب فرصة الطبقة العاملة النامية والمتعاونة مع الفلاحين فى تحقيق أهدافهم لمنع الاستغلال نهائيا ، والتعبير عن أنفسهم بالمشاركة فى السلطة القائمة .

النقد الذاتى .. متأخرا

ولكن السلام والتعاون بين الطبقات لا يدوم ... والذين صودرت ممتلكاتهم وخفضت أرباحهم تحولوا الى اعداء متربصين .

ولم يطل الأمر بهم كثيرا ... بعد شهرين فقط من صدور هذه القوانين وبداية تطبيقها فى مصر وسوريا ، حدث الانفصال الذى فرق الجمهورية العربية المتحدة .

رئيس الوزراء الذى تولى الحكم بعد الانفصال ... مأمون الكزبرى كان أمينا للاتحاد القومى فى دمشق .

ليس هذا فقط بل انه كان متهما فيما عرف باسم قضية (الدندشى) التى اعترف فيها بمن أخذوا نقودا لتدبير انقلاب قبل الوحدة وفى مقدمتهم مأمون الكزبرى وصبرى العسلى .

ولكن جمال عبد الناصر الذى كان بريق الوحدة يستهويه ويتصور انه سوف يفتح صفحة جديدة للقومية العربية خالية من التحركات والانقلابات الرجعية ، رفض محاكمة الكزبرى والعسلى وأخذ على حد قوله فى مناقشات اللجنة التحضيرية بعد ذلك بمبدأ (عفا الله عما سلف) .

كانت القومية تمارس تأثيرا كبيرا على أوساط القيادة العسكرية ... ولكنها لم تؤخذ كحركة تقدمية تستهدف تغيير المجتمع وتحرير الطبقات المستغلة ، وانما وجدت فيها البرجوازية فرصة لهيمنة نظرياتها الاصلاحية ، وخداع الفئات المتخلفة سياسيا ، ودعم الأوهام القائلة ان السلطة ترعى (مصالح الأمة بأسرها) .

واستكان مأمون الكزبرى عندما كانت الوحدة توفر للبرجوازية استقرارا مناسبا للنمو ومزيدا من الربح ، ولكن عندما صدرت القوانين الاشتراكية انتهى دور العسكريين المصريين فى دعم الفرصة للبرجوازية وتحركت المؤامرة للانفصال ، بمن سبق لهم ان تآمروا للانقلاب قبل الوحدة .

واقعة الانفصال كانت ضياعا لآمال جمال عبد الناصر الذى عشق سوريا ، وكانت صدمة لأفكاره أيضا التى خيلت له انه يمكن ان يمضى فى مسيرته مهما أصدر من قوانين بالسلام والتعاون بين الطبقات .

القوى الانفصالية فى سوريا هاجمت القرارات الاشتراكية وجمال عبد الناصر قال للشباب العرب يوم ٢ أكتوبر ١٩٦١ (أخطأنا أولا فى أمتنا آمنا الى الرجعية وخدعنا بالرجعية ... واخطأنا أيضا فى اننا هادنا الرجعية العربية) .

وحدد الأخطاء التى وقع فيها فى خطاب عام للشعب يوم ١٦ أكتوبر ١٩٦١ .

أولا ... رفض مصالحةالاستعمار مع خطأ المصالحة مع الرجعية .

وتغيرت لهجة الحديث وقال عبد الناصر (لا بد لنا أن نقاتل الاستعمار في قصور الرجعية) .

ثانيا ... عدم كفاية التنظيم الشعبى .

ثم يتحدث عن (اعادة التنظيم الشعبى ليكون الاتحاد القومى اداة ثورية للجماهير الوطنية وحدها صاحبة الحق والمصلحة فى التغيير الثورى) ... ما زال الاتحاد القومى هو التنظيم القائم .

ثالثا ... عدم بذل الجهد الكافى فى توعية الجماهير الواسعة بحقوقها .

واجاب على القائلين بأن الجيل تحمل مسئوليات فى النضال تنوء بها اجيال بقوله (اذا توقفت الثورة الشعبية قبل بلوغ أهدافها فانها لا بد وان تنتكس) . وكان هذا تطورا فى رأيه بعدما أعلنه فى ٢٣ ديسمبر١٩٥٩ فى بورسعيد عند الحديث عن خلافه مع الشيوعية من القول بأنه لا يريد ان يتحمل جيلنا كل تضحيات بناء الاشتراكية .

رابعا ... استمرار العمل بنظم ولوائح قديمة مما سلب من الجهاز الحكومى القدرة الكاملة على أن يكون من أدوات الثورة .

خامسا ... وجود ثغرات كثيرة لتسرب الانتهازيين (لقد كان الثمن الذى دفعناه غاليا لتسلل بعض العناصر الانتهازية ... فان بعض العناصر المؤمنة وجدت نفسها مرغمة على اتخاذ موقف سلبى ضد الحركة النضال الشعبى) .

كانت أفكار عبد الناصر قد تطورت فى مواجهة الواقع بمرونتها التجريبية .

أصبح التغيير حتميا .

الحركة الانفصالية أثبتت لجمال عبد الناصر ان هناك مسافة طويلة بينه كثائر وبين أن يصبح حاكما فى نظام مستقر لا تهدده الانقلابات .

وأثبتت له أيضا ان القوانين الاشتراكية كانت بذورا صالحة القيت فى أرض غير ممهدة ، وليس هناك من يرعاها لتنمو وتثمر .

وبدأت حملة جديدة من الاعتقالات ... فؤاد سراج الدين وابراهيم فرج و ٩٨ من السياسيين القدامى ظلوا فى سجن القلعة حتى فبراير ١٩٦٢ .

كانت الاعتقالات هى الاجراء الادارى الأسهل لمقاومة الرجعيين دون محاولة جادة للسير فى الطريق الصعب بتصفية الرجعية فكريا واعداد تنظيم قوى قادرة على حماية القوانين الاشتراكية ، خاصـــة وان ثلثى الاقتصاد المصرى ظل فى يد القطاع الخاص ٠٠٠ ٧٩ ٪ من التجارة ، ٦٧٪ من المبانى ، ٥٦٪ من الصناعة عموما ٠٠٠ وأكثر من نصف عمال مصر يعملون فى القطاع الخاص (٥٧٪ فى الزراعة والمبانى) ٠

وفى هذه الفترة تمت بعض الافراجات المحدودة للمعتقلين الشيوعيين ، واليساريين ، دكتور لويس عوض ، سعيد خيال ، لطفى الخولى وغيرهم ٠

ولكن أغلبيتهم العظمى ظلت خلف جدران معتقلات الوادى الجديد ٠

ديموقراطية ٠٠ فى لجنة

وبعد شهرين تقريبا من الانفصال ، عقد فى ٢٥ نوفمبر الاجتماع الأول للجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ٠٠٠ وهى لجنة معينة والبرلمان لم يعد قائما ٠

تشكلت اللجنة من ٣٦٠ عضوا بينهم ٥٥ من العسكريين ولو انهم فى مراكز مدنية ، الى جانب الوزراء والمحافظين كان هناك ٣٩ من أساتذة الجامعات ، ٢١ من ممثلى العمال ، ١٩ من سكرتيرى الجمعيات التعاونية للاصلاح الزراعى ممثلين عن قطاع الزراعة وليس بينهم فلاح يعمل بيده ، ٧ من رجال الصحافة والاعلام ، ١١ سيدة ٠

لم يكن فى اللجنة شيوعى واحد لأنهم كانوا فى المعتقلات ولم يكن فيها أحد من رجال الأحزاب السابقين ، كما لم يكن فيها عضو واحد من الاخوان الذين كانوا ينفذون أحكام السجن الصادرة بحقهم من محاكم الشعب والثورة ٠

عين أنور السادات أمينا عاما للجنة ٠ وعبد السلام بدوى سكرتيرا عاما لها ، وهو أحد الضباط أيضا ٠

وبدأ جمال عبد الناصر يلمس نواحى الضعف فى المجتمع ويصارح بها المجتمعين من أعضاء اللجنة ٠

تضاعف عدد الذين يربحون أكثر من ١٠٫٠٠٠ جنيه فى العام ٠

مليونير يسدد فى عام واحد مبلغ ٣ مليون جنيه كان مدينا بهـا للحكومة ٠

الجامعات تدرس نظرية آدم سميث فى الاقتصاد الحر بينما تصدر القوانين الاشتراكية ٠

رأس المال الأجنبى الذى دخل مصر للاستثمار من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦١ ٠٠٠ر٧٠٠ر٨ جنيه فقط ٠٠٠ ثم يفسر تفضيله للقروض الأجنبية غير المشروطة فيما عدا الصناعات التى تحتاج الى أبحاث مثل البترول والأدوية ٠

المعونات ٠٠٠ ثم القروض غير المشروطة ٠٠٠ ثم الاستثمارات الأجنبية ٠

كانت اجتماعات اللجنة التحضيرية تذاع على الهواء وشاشة التليفزيون مباشرة ، المناقشات فيها عامرة بالحيوية ٠٠٠ الآراء تعبر عن أصحابها وتظهر الاتجاهات الفكرية العميقة والضحلة ، الصادقة والمنافقة ٠

صدرت التعليمات بأن ينشر كل شىء على الشعب ٠٠٠ لا تحذف كلمة واحدة مما يقال ، حتى تتبين ردود الفعل كاملة ٠

الديموقراطية تستهوى الشعب ٠٠ وصدور الناس تريد ان تعبر عما فيها ٠

خالد محمد خالد يطالب بالديموقراطية ٠٠٠ ومحمد فؤاد جلال يتعرض له مطالبا بعدم اعطاء الحرية لأعداء الشعب قائلا (ربما كان من الأخطاء التى حدثت ان الثورة احتوت جميع العناصر ولم تقص عن محيط العاملين أولئك الذين كان يجب ان يقصوا) ٠

وخالد يرد (أعلم ان قبل الثورة كان ثمة حياة سياسية تنطوى على كثير من الفساد ، ولكنى أعلم أيضا ان هذه الحياة السياسية كانت تنطوى على كثير من الجد والعمل الطيب ، أنا ابن هذا الشعب وثورة ٢٣ يوليو وليدة هذا الشعب) ٠

الدكتور عبد الفتاح اسماعيل وكيل وزارة التعليم العالى يقول (اننا كنا شعبا من العبيد) ٠٠٠ وجمال عبد الناصر يصحح له كلمته ٠

ويرد جمال عبد الناصر أيضا على خالد محمد خالد مظهرا مسئولية رجال الثورة فى حماية الشعب من أعدائه ، دافعا عنها شبهة الظلم ٠

الحديث صريح عن محاكمات الاخوان ٠٠٠ يتساءل جمال عبد الناصر (هل حاكمناهم افتراء ؟ أم لأنه كان يوجد جيش مسلح للانقضاض على هذا الشعب ٠ ألم يحدث هذا فى سنة ١٩٥٤ ؟ هل بدأنا بالعدوان ؟ وهل تركناهم فى السجون ؟ خرجوا من السجون وأكثرهم أفرج عنه قبل أن تنتهى مدة العقوبة ، وأكثرهم ممن كانوا فى وظائف وفصلوا وضع لهم قانون خاص بأن يعودوا الى وظائفهم ٠٠٠ هذا هو العدل الذى كنا نتبعه ونسير عليه) ٠

والحديث صريح أيضا عن الموقف من الشيوعيين ، وجمال عبد الناصر يقول (نحن لسنا ضد الماركسية أبدا بأى حال من الأحوال ولا ضد اليسار بل اننا ضد أخذ تعليمات من دول أجنبية ، وأى شخص يأخذ تعليمات من دولة أجنبية خائن لهذا الوطن) ويستطرد (يوجد شيوعيون طلقاء وأنت تعرف ذلك ولكنهم لا يأخذون تعليمات من دول أجنبية ٠٠٠ فالحزب الشيوعى المصرى يأخذ تعليمات من صوفيا ، وقيادته موجودة فى صوفيا ويأخذ تعليمات من بلغاريا ٠٠٠ قلت هذا الكلام وقلت ان هؤلاء عملاء ولا يمكن ان أترك للعملاء سبيلا لكى يغرروا بالشعب) ٠

فى بداية الثورة قال جمال عبد الناصر (انهم كانوا يتلقون التعليمات من الحزب الشيوعى الايطالى) ٠

موقف العداء من الشيوعيين ما زال مستمرا والاتهام الظالم بالعمالة ما زال هو السند فى أسلوب القهر والابعاد ، رغم ارهاصات الاشتراكية التى ظهرت فى كلمات كثير من المتحدثين فى اللجنة ٠

وخالد محمد خالد ما زال يحاور دفاعا عن الديموقراطية ، وجمال عبد الناصر يرفض فكرة تشكيل الأحزاب لأنها تعبير عن مصالح اجتماعية متنافرة لا يريد لها أن تجمع الى اليمين الرجعى أو اليسار الشيوعى ٠

ويعاود خالد محمد خالد حديثه عن الديموقراطية قائلا انها والاشتراكية شىء واحد لأن الاقتصاد لا ينفصل عن السياسة بل يؤثر فيها ويحركها ٠٠٠ ويبرر قوله بشعار ماوتسى تونج (دعوا الأزهار جميعها تتفتح) وبقوله ان هناك أحزابا أخرى غير الحزب الشيوعى فى الصين ٠

ويستمر الحوار مفتوحا ، ولكن يتغيب عن الاجتماعات منذ الجلسة السادسة التى عقدت فى ٤ ديسمبر المشير عبد الحكيم عامر وهى نفس الجلسة التى تغيب فيها جمال عبد الناصر أيضا عن الحضور ٠٠٠ ومع الجلسة التاسعة بدأ تغيب أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين جميعا ، وارتفع عدد المعتذرين الى ٦٧ عضوا ، واستمر الحال كذلك حتى انتهت اجتماعات اللجنة بعد ١٨جلسة انتهت فى ٣١ ديسمبر ١٩٦١ ٠

الآراء المتشعبة التى طرحت فى اجتماعات اللجنة كانت بداية لتغييرات جذرية فى الحياة السياسية المصرية ٠

الاتحاد القومى بدأ يعد لاجتماع المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ٠٠٠ المؤتمر له أمينان عامان (سكرتيران) أنور السادات الأمين العام السابق للاتحاد القومى والأمين العام للجنة التحضيرية ٠٠٠ وكمال الدين حسين المشرف على الاتحاد القومى ٠

وفى الجلسة الأولى التى عقدت يوم ٢١ مايو ١٩٦٢ جلس أنور السادات على يمين جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين على يساره ... وكان ترتيب أعضاء مجلس قيادة الثورة قد تحدد بأقدمية الرتب العسكرية السابقة ، ولكن تعيين أنور السادات أمينا أولا كان ايذانا بانتهاء دور كمال الدين حسين فى التنظيم السياسى كما حدث مع ابراهيم الطحاوى فى هيئة التحرير .

كانت انتخابات أعضاء المؤتمر قد تمت على مراحل تبعـا للفئـات المختلفة ، بدأت يوم ٥ فبراير ١٩٦٢ وانتهت يوم ٢٤ فبراير ١٩٦٢ .

وتشكل المؤتمر من ١٥٠٠ عضو منهم ٣٧٩ يمثلون الفلاحين ، ٣١٠ يمثلون العمال ، ١٥٠ من الرأسمالية الوطنية ، ٢٩٣ من النقابات المهنية ، ١٣٥ موظفا ، ٢٣ سيدة ، ١٠٥ من أساتذة ومدرسى الجامعات والمعاهد العليا ، ١٠٥ طلاب من القسم الثانوى والجامعات يضاف اليهم أعضاء اللجنة التحضيرية .

تولى مدير هيئة السكرتارية عبد المجيد شديد مدير مكتب المشرف العام كمال حسين .

الميثاق .. والاتحاد الاشتراكى

قدم جمال عبد الناصر الى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية وثيقتين ... الميثاق وقانون الاتحاد الاشتراكى العربى .

وكان جمال عبد الناصر قد طلب الى عدد من زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين اعداد مشروع للميثاق حسب ما يتصورون ... واجتهد بعضهم فى صياغة أفكاره وتقديمها اليه مثل عبد اللطيف البغدادى كما قال لى .

وقد جمع جمال عبد الناصر هذه المشاريع وأضاف اليها أفكـاره ومناقشات اللجنة التحضيرية وعكف على دراستها وتبويبها وعهـد الى محمد حسنين هيكل بصياغتها فى الصورة التى عرفت باسم (الميثاق) وقدمت للمؤتمر .

كان الميثاق أول دليل عمل مكتوب تستند اليه الفئة الحاكمة فى توضيح موقفها السياسى والاجتماعى ... والمناقشات التى دارت حوله فى المؤتمر كانت مطلقة السراح وانتهت الأمور الى تشكيل لجنة من مائة عضو تولت الرد على مشروع الميثاق .

اختارت اللجنة الدكتور حسين خلاف مقررا للجنة صياغة الرد ولكن كمال الدين حسين تدخل وفرض الدكتور سليمان حزين رئيسا للجنة الصياغة ٠

وحرص كمال الدين حسين وصلاح دسوقى على الجلوس مع مجموعات من أعضاء اللجنة لمناقشتهم عن رد فعل الميثاق فى نفوسهم بعد قراءة عبد الناصر له ٠٠٠ واستدعى بعض أعضاء اللجنة أيضا الى استراحة الهرم لمناقشة تقرير اللجنة كما ذكر لى أحمد بهاء الدين ٠

دارت مناقشات اللجنة فى فرعيات مختلفة ، واعترض الدكتور محمد لبيب شقير والدكتور رمزى استينو عضوا اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى فيما بعد على فقرتين هما الاشتراكية العلمية والنقد الذاتى ٠

وجاء تقرير اللجنة مختلفا عن الميثاق ٠٠٠ لم يقرن لفظة العلمية بالاشتراكية التى أطلق عليها اسم (الاشتراكية العربية) رغم عدم ورود ذلك فى الميثاق ٠

وتقول بعض فقرات التقرير :

(فى مجتمعنا الاشتراكى يعتبر العمل أساسا لتقرير مكان الفرد فى المجتمع وما دام الأفراد لابد وان يتفاوتوا فى الاستعداد والنشاط فان النتيجة المنطقية لذلك ان يتفاوتوا فيما يحققون من نتائج) ٠

يوحى ذلك باتاحة الفرصة لنشاط الفرد فى الاستثمار والربح ٠

ويقول التقرير أيضا :

(ان تذويب الفوارق بين الطبقات هو البديل السلمى لما نرفض الأخذ به من الصدام الدموى بين الطبقات) ٠

وكان ذلك ابتعادا عما ورد فى الميثاق من القول بضرورة ازالة الطبقة المستغلة (ولكن ازالة هذا التصادم بازالة الطبقة التى فرضت الاستغلال توفر امكانية السعى الى تذويب الفوارق بين الطبقات سلميا) ٠

وفى كلمات ٠٠ جدد التقرير سمات الاشتراكية العربية بهذه الكلمات (انتهى التطبيق الاشتراكى فى بلادنا الى اقامة اشتراكية عربية متميزة فهى تؤمن بالله وبرسالاته وبالقيم الدينية والخلقية) ٠

المحاولة مستمرة للفصل بين حق الانسان فى الاشتراكية وبين حرية اختياره للرسالة الدينية التى يؤمن بها ٠

تقرير اللجنة يعرض على المؤتمر ولكنه لا يناقش ... اقتراح من ٥٥٠ عضوا بقبوله دون مناقشة وكان ذلك ايذانا بقبول الميثاق ... واعلانا عن وجود خلاف فكرى بين جمال عبد الناصر من جهة وكمال الدين حسين الذي احتضن مشروع لجنة المائة من جهة أخرى .

وقف الأمينان العامان والأعضاء جميعا عند قراءة كلمات اعلان الميثـــاق .

وجاءت الوثيقة الثانية ... قانون الاتحاد الاشتراكى العربى ... الاسم الجديد للتنظيم السياسى بدلا من الاتحاد القومى .

فوض المؤتمر جمال عبد الناصر فى تشكيل لجنة تنفيذية عليا مؤقتة للاتحاد الاشتراكى تقوم باعداد القرارات واتخاذ الخطوات لتكوين مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى ولجانه التنفيذية ... ولكنه لم يصدر قرار بتشكيلها .

وكان أول قرار هو تشكيل أمانة عامة للاتحاد الاشتراكى العربى من أنور السادات وحسين الشافعى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وعلى صبرى والدكتور نور الدين طراف والمهندس أحمد عبده الشرباصى وكمال الدين رفعت وعبـاس رضوان والدكتور محمد عبد القادر حاتم ومحمد طلعت خيرى وأنور سلامة .

ولكن عقب زيارة جمال عبد الناصر لبور سعيد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢ جمع اللجنة العامة وقال انه أثناء هذه الزيارة شاهد الشعب كله يخرج مرحبا ، واثقلت هذه الصـورة صدره وجعلته يتساءل عمن يختار للاتحاد الاشتراكى وعمن يترك .

وقال لهم جمال عبد الناصر (انى أطرح هذه القضية عليكم وأريد سماع رأى كل واحد منكم) .

كان يجبر كل واحد من الحاضرين على الكلام حتى ولو لم يكن عنده رأى جديد .

واستمرت المناقشة ثلاث جلسات متصلة ، وانتهت الى الغاء مبدأ الاختيار للتنظيم والاكتفاء بالاستبعاد .

فتحت الأبواب لدخول التنظيم فى أول يناير ١٩٦٣ وبلغ عدد الذين قيدوا انفسهم ٤٫٨٨٥٫٩٣٢ شخصا فى ٢٠ يوما ... وكان هذا دافعا الى ترجيح وتأكيد الرأى بالاستبعاد دون الاختيار .

وصدرت كشوف الاستبعاد لمن سبق ان اعتقلوا أو حددت اقامتهم أو اممت لهم أموال تزيد على عشرة آلاف جنيه ، أو أدانت التقارير سلوكهم

... وكان معنى ذلك استبعاد كل أفراد القوى السياسية القديمة ، والاخوان المسلمين والشيوعيين ، والاقتصار على الذين بدأت اهتماماتهم السياسية بعد الثورة .

ثم استثنت اللجنة التنفيذية العليا من هذه الأسماء سبع فئات ... الضباط الذين اشتركوا فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأعضاء هيئات التدريس فى الجامعات والمعاهد العليا والمدرسين والنظار والصحفيين والمنتمين لأجهزة الاعلام وأعضاء مجالس النقابات العمالية والمهنية وأعضاء اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية وأعضاء المؤتمر ، ومن طبقت فى شأنهم قرارات اشتراكية بما لا يزيد عن ١٠٫٠٠٠ جنيه .

ولم يعد هناك فارق كبير من الناحية التنظيمية بين الاتحاد الاشتراكى والاتحاد القومى ... تكوين التنظيم من مركز السلطة دفع الجماهير الى الانضمام اليه بالملايين دون تفرقة بين المقتنعين بالتغيير الاجتماعى وأصحاب المصلحة الحقيقية فيه ، وبين المنضمين اليه تملقا وتقربا من مراكز النفوذ .

وكما كان الاتحاد القومى خاضعا لنفوذ العسكريين كان الاتحاد الاشتراكى أيضا كما هو واضح فى تشكيل الأمانة (٩ ضباط ، ٣ مدنيين) .

ولكن الفرق مع ذلك كان موجودا بين الاتحاد القومى والاتحاد الاشتراكى ... ففى الاتحاد القومى لم يكن هناك تنظيم هرمى بالمعنى المعروف ، ولم تكن هناك صلات تنظيمية ثابتة ، وكان الاعتماد سائدا على كثير من الشخصيات ذات النشاط أو المركز الاجتماعى المرموق ، دون اهتمام بالتفكير السياسى .

ولكن مع الاتحاد الاشتراكى خلق حد أدنى من الانضباط التنظيمى ، وصورة هيكل محدود لبناء تنظيمى .

ولا شك ان الميثاق قد أضاف للاتحاد الاشتراكى قوة دافعة فقد كان هناك مرجع يرجع اليه المسئولون فى الاتحاد ، ويلتزم به أعضاء القيادات المختلفة ، رغم امكانية تباين وجهات النظر فى تفسير الميثاق .

ولا شك أيضا ان القيادات التى عينت فى الاتحاد الاشتراكى سواء اللجنة التنفيذية أو الأمانة العامة وفى المحافظات قد استفادت من الاتصال بالجماهير وخاصة العسكريين الذين استفادوا وتطوروا بالتأكيد من اللقاء مع الشعب فى مواقع العمل والسكن ، وذاب من بعضهم قناع الجمود والتزمت .

وتعتبر هذه المحاولة الجادة لوضع وثيقة فكرية وتكوين تنظيم جماهيرى ... خطوة ايجابية هامة تظهر ان ضباط الجيش فى مركز السلطة

تحت قيادة رجل توفرت له قدرات واخلاص عبد الناصر يمكن ان يجعلوا من تدخل الجيش في السياسة حركة تنتهي الى ثورة فعلا ·

لقد وجد ولا يزال يوجد من يقفون موقف الرفض والعداء لأى نوع من أنواع تدخل الجيش فى الحياة السياسية ، ويعتبرون أن مثل هذا التدخل من العسكريين عمل رجعي خالص ··· وهم يطلقون على هـذا الاتجاه فى أمريكا اللاتينية اسم (العقلية المدنية) أى التمسك بالأساليب والمظاهر المدنية فى الحكم ·

ولكن البروفيسور كوسوك الأستاذ بجامعة كارل ماركس فى لايبزج بالمانيا الديموقراطية يقول (يهمل أنصار هذا المذهب من ممثلى الأوساط البرجوازية اليمينية عن قصـد الجانب الطبقى لقضية الحكم ، ويجعلون شكل الحكم مسالة مطلقة) ·

جمال عبد الناصر فى محاولته لتقديم دليل عمل ثورى جديد ، واقامة تنظيم جماهيرى يؤمن بالتحول الاشتراكى ··· كان يغير تغييرا حقيقيا فى طبيعة حكم العسكريين ، ويضرب مثلا بامكانيـة تواجد قادة وطنيين تقدميين يستطيعون أن يسايروا رغبات الشعب من صفوف الجيش ·

وكان يحاول بهذا التنظيم أيضا خلع الثوب العسكرى عن جهاز الحكم حتى يكسب أيضا اصحاب (العقلية المدنية) ··· ويبنى مجتمع جمال عبد الناصر فى ثياب مدنية ·

ومن دلائل اهتمام جمال عبد الناصر بهذا التنظيم الوليد تعيين زكريا محيى الدين مسئولا عن محافظة القـاهرة وحسن ابراهيم مسئولا عن محافظة الاسكندرية وكمال رفعت مسئولا عن محافظة الجيزة ··· وهى مراكز التجمع الرئيسية فى مصر ·

قال لى حسن ابراهيم انه قد شكل شبكة تنظيمية فى الاسكندرية تضم أفضل العناصر ــ حسب رأيه ــ وكانوا جميعا من الذين استطاع الميثاق ان يقرب وجهات النظر بينهم ··· وفى ذلك يقول حسن ابراهيم انه وافق على القرارات الاشتراكية بلا تحفظ عندما عرضها جمال عبد الناصر عليه باعتبارها اجراء تأمينيا للثورة ·

الجوهر الرئيسى الذى استند اليه جمال عبد الناصر فى وثيقته الفكرية هى تحديد القوى الاجتماعية التى يضمها تحالف واحد وهم العمال والفلاحون والمثقفون والجنود والرأسمالية الوطنية ·· وهى قوى وفئات يمكن بتحالفهما فعلا ان تعبر مرحلة الثورة الوطنية الديموقراطية ·

وخارج هذا التحالف بقيت العناصر الاقطاعية والبرجوازية الكبيرة التى طبقت القرارات الاشتراكية ... وكان هذا الاجراء كفيلا – الى حد ما – بابعاد الرجعية عن المشاركة الايجابية فى الحياة السياسية ... ولكنه لم يكن كافيا لأن تلعب الطبقات والفئات المشتركة فى التحالف دورها القيادى الطبيعى .

والدستور المصرى المؤقت الصادر فى ٢٥ مايو ١٩٦٤ نص لأول مرة فى تاريخ الدساتير المصرية على ان (الجمهورية العربية المتحدة دولة ديموقراطية تقوم على تحالف قوى الشعب العامل) كما سجلت المادة التاسعة منه (ان النظام الاقتصادى للدولة هو النظام الاشتراكى) .

وهكذا تحدد اتجاه النظام ... لبناء مجتمع جديد .

الفصل الثامن

فى كواليس القيــادة

(كانت كواليس القيــادة مليئة بالتناقضات والخلافات الشخصية ، ولكنها كانت محجوبة عن الجماهير بستار كثيف) ٠

شكل نظام الحكم تغييرا أيضا بعد صدور الميثاق ٠٠٠ صدر اعلان دستورى فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ بتشــكيل مجلس رئاسة من جمــال عبد الناصر رئيسا وعضوية عبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى وكمال الدين حسين نواب رئيس الجمهورية وانور السادات وحسن ابراهيم وعلى صبرى (رئيس المجلس التنفيذى) والدكتور نور الدين طراف والمهندس أحمد عبده الشرباصى وكمال الدين رفعت (عشرة عسكريين ومدنيان) ٠

كانت هذه الخطوة تغييرا واضحا فى أسلوب الحكم ونقطة تحول بارزة فى اتجاه جمال عبد الناصر فقد تولى رئاسة المجلس التنفيذى أى مجلس الوزراء على صبرى وهو ضابط من خارج مجلس قيادة الثورة كان يعمل مديرا لمكتبه لمدة سنوات طويلة بدلا من كمال الدين حسين وكانت هذه علامة واضحة على رغبته فى تركيز الحكم بين يديه ٠

عين حسين الشافعى أمينا للاتحاد الاشتراكى ، وانتهت بنهاية الاتحاد القومى مسئولية كمال الدين حسين فى التنظيم السياسى أيضا ٠

وفى بداية هذا العام ۰۰۰ فبراير ۱۹٦۲ فقد مجلس قيادة الثورة عضوا بارزا من أعضائه ۰۰۰ صلاح سالم رئيس مجلس ادارة دار التحرير ، الذى كان قد اعتنق الأفكار الاشتراكية ، وخاصة بعد زيارته للاتحاد السوفييتى ومقابلته لخروشوف فى نوفمبر ١٩٥٩ ، وهى الزيارة التى صحبته فيها ونشر بعدها حديثه الشهير ۰۰۰

مات صلاح سالم بعد مرض عضال تعذب فيه كثيرا ، وعلى فراش الموت قال لجمال عبد الناصر الذى كان يواظب على زيارته بمستشفى القوات الجوية بالعباسية انه قد تأثر بالأفكار الماركسية وذلك حسب رواية خالد محيى الدين الذى كان قد أنشأ معه هو ومجدى حسنين ــ والاثنان كانا قد أصبحا عضوين فى المجلس المصرى للسلام ــ علاقة وثيقة شاركهما فيها بعض كتاب الجمهورية مثل الدكتور محمد مندور والدكتور لويس عوض ٠

كانت جنازة صلاح سالم شعبية لم تشهد لها القاهرة مثيلا حتى ذلك الوقت واختلط فيها الوزراء والمسؤولون مع بسطاء الناس ٠

تشكيل مجلس الرئاسة تم من الأعضاء غير المستقيلين أو المبعدين الذين كانوا يمارسون أعمالا ادارية أو تنفيذية ــ ٨ أعضاء من ١٣ عضوا هم أصل مجلس القيادة الذين كانوا يمارسون أعمالا ادارية وتنفيذية ٠

كان مجلس الرئاسة محاولة للقيادة الجماعية بعد انفصال سوريا على حد تعبير جمال عبد الناصر ٠

يقول زكريا محيى الدين ان المجلس فى جلساته الأولى بدأ البحث فى اختصاصاته ۰۰ وبدأ البحث أيضا فى الحد من سلطات المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة بالنسبة للنواحى العسكرية بعد تجربة ١٩٥٦ ، وبعد ما حدث فى الانفصال عندما كان موجودا فى دمشق ومعه سلطات رئيس الجمهورية ومع ذلك وقع الانفصال من ضباط فى مكتبه ، وهو هناك عاجز عن التصرف أو تغيير دفة الانفصاليين رغم تطعيمه لمعظم المراكز الحساسة بضباط مصريين من المقربين اليه كما سيأتى تفصيلا فيما بعد ٠

ويقول عبد اللطيف البغدادى ان جمال عبد الناصر هو الذى أعد قرار تحديد اختصاصات المشير عبد الحكيم عامر بما يجعل سلطة تعيين قادة الوحدات فى القوات المسلحة من مسئولية مجلس الرئاسة وليس مسئولية المشير ٠

أعد جمال عبد الناصر المشروع ولكنه لم يحضر الجلسة التى تولى رئاستها عبد اللطيف البغدادى بحكم منصبه وأقدميته ۰۰۰ وعندما عرض

المشروع طلب المشير عامر تأجيل نظره وأيده في ذلك كمال الدين حسين فقط الذى كان قد بدأ يقترب من دائرة الظل ، ويبتعد عن مناصبه التى شملت في وقت واحد (رئيس المجلس التنفيذى ، والمشرف العام على الاتحاد القومى ، ووزير الادارة المحلية ، ورئيس المجلس الأعلى للعلوم ، ورئيس المجلس الأعلى للفنون والآداب ، ورئيس المجلس القومى للبحوث ، ونقيب المعلمين ، ورئيس المجلس الأعلى للجامعات ، ورئيس المعاهد القومية) (تسعة مناصب فى وقت واحد) •

الأغلبية وافقت على القرار واصدرته ••• وخرج المشير عبد الحكيم عامر غاضبا من الاجتماع ••• كتب استقالته وسافر الى مرسى مطروح دون أن يبلغ أحدا من زملائه •

كانت استقالة المشير عبد الحكيم عامر تطالب بتكوين حزبين مع اعطاء الحرية للصحافة وللجماهير •

وكان مضمون الاستقالة متناقضا مع موافقة المشير الكاملة على الميثاق وقانون الاتحاد الاشتراكى وعدم ابدائه أية معارضة أثناء المناقشة سواء فى جلسات عبد الناصر الخاصة أو فى الجلسات العامة •

هزت الاستقالة جمال عبد الناصر فلم يكن يتوقع من عبد الحكيم عامر أن يتصرف بمثل هذا التصرف ، خاصة وان قادة القوات البرية والبحرية والجوية وبعض كبار القادة قدموا استقالاتهم أيضا •

وكان جمال عبد الناصر حريصا على تماسك الجيش وعدم حدوث أى اهتزاز فيه ••• فقدر موقفه بين قبول الاستقالة ومعالجة أمور الجيش على أسس جديدة تماما ، أو رفض الاستقالة والاحتفاظ بعامر مع احتمال م يسببه ذلك من جفاء مع أعضاء مجلس الرئاسة ، وخاصة عبد اللطيف البغدادى •

واختار جمال عبد الناصر الحل الثانى ، وقرر رفض الاستقالة •

وبعد بحث طويل عنه اتصل به شمس بدران وصلاح نصر وعباس رضوان عند محافظ مرسى مطروح فؤاد المهداوى ••• ونزل المشير الى القاهرة استجابة لرغبة جمال عبد الناصر بعد ان وضح له ان استقالة عبد الحكيم عامر قد أهاجت عددا كبيرا من قادة القوات المسلحة المقربين من المشير ، وانهم اجتمعوا فى القيادة وأصروا على عودته الى موقعه •

وكان مجلس الرئاسة قد اتخذ قرارا بعزل قائد القوات الجوية الفريق محمد صدقى محمود الذى سبق ان تقرر اخراجه عام ١٩٦١ نتيجة تأخره فى ارسال امدادات لقوات اللاذقية التى ظلت تقاوم الانفصال حتى

المغرب . وعندما وصل الفوج الأول كانت المقاومة قد توقفت واعتقل الهابطون بالمظلات ٠

واعترض المشير على ذلك للمرة الثانية ٠٠٠ وبدا أمام قادة القوات المسلحة بمظهر المدافع عنهم ٠

وقد حدث خلاف أيضا بين عبد الناصر وعامر حول عودة بعض قيادات الجيش فى سوريا للعمل فى مصر ٠٠٠ اعترض عبد الناصر على عودة اللواء أنور القاضى رئيس أركان حرب الجيش السورى واللواء أحمد زكى عبد الحميد رئيس هيئة التنظيم والادارة والعميد أحمد علوى كاتم الأسرار والعقيد محمد استامبولى مدير المخابرات ٠٠٠ وبقى هؤلاء الضباط عاما كاملا بلا عمل ٠

وهكذا لم يجد جمال عبد الناصر فرصة لتنفيذ القرار الذى أعده بنفسه ٠٠٠ ولم يجد مجلس الرئاسة أيضا فرصة لتنفيذ القرار الذى أصدره ٠

وكان الاتفاق قد تم بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ـ حسب رواية البغدادى وحسن ابراهيم ـ على اخراج قادة القوات البرية والبحرية والجوية من الخدمة على أن يتم ذلك خلال فترة يتم فيها التمهيد لاصدار القرار ٠

ولكن القرار لم يصدر ٠٠٠ فقد لحقته ثورة اليمن ، فاعتبر كأن لم يكن ٠

وكان هذا الموقف الذى انتهى الى مصالحة بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بداية انشقاق حقيقى بينهما ٠٠٠ أدرك عامر انه يستمد سلطته من القوات المسلحة فوثق صلته بقادتها ، وظل يواصل العطاء لكل من يطلب ، ويقرر المنح ويقدم الخدمات ٠٠٠ وأهلته طبيعته الشخصية لذلك حتى اكتسب حب كل المحيطين به ٠

وأدرك جمال عبد الناصر ان القوات المسلحة لم تعد طيعة فى يده كما كانت فى الخمسينيات ، وان الصديق الوفى الذى عين قائدا عاما رغم انه لا يملك من مؤهلات القيادة الا الاخلاص والحب لصديقه جمال عبد الناصر قد تحول مع الزمن الى ند له يحسب حسابه ، ويخشى بأسه ٠

كان (الطفل المدلل) ـ حسب تعبير عبد الناصر لحسن ابراهيم ـ قد أصبحت له أنياب وأظافر ٠٠٠ ولم يعد عبد الحكيم القديم ٠

ولكن عبد الحكيم عامر لم يكن من المؤهلين بحكم شخصيته للقيام بانقلاب عسكرى ضد جمال عبد الناصر لانه كان من المدركين ان جمال

هو المخطط والمنفذ لحركة الثورة ، وقد أعفى نفسه من الدخول في مشاكل التفكير والتخطيط وترك المسئولية له طوال السنوات السابقة ، وكان مدركا أيضا أن شخصية جمال عبد الناصر قد احتلت مكانا مرموقا في نفوس المصريين والعرب وأصبح شخصية تسهم في تحريك السياسة العالمية ويصعب الانقضاض عليها ... وأخيرا فانه كان ما زال محتفظا في نفسه بعلاقات الود والصداقة القديمة لا يتصور بحكم التقاليد انه قادر على تمزيقها .

كانت خطورة الانقلاب العسكري محدودة أو معدومة من ناحية عبد الحكيم عامر ... ولكن جمال عبد الناصر ظل محتفظا بيقظته من القوات المسلحة ، متخذا جانب الحذر في تعامله مع عبد الحكيم عامر ، معتمدا على (الصاغ) شمس بدران مدير مكتب المشير الذي كان قد بدأ يؤدي دورا أكبر من رتبته معتمدا على منصبه وثقة المشير به ، ومعرفته لطبيعته التي تتجنب المشاكل وتتحاشى الدخول في تعقيدات .. الى جانب دفع جمال عبد الناصر له شخصيا واتصاله به اتصالا مباشرا ، في محاولة لايجاد نوع من التوازن داخل القوات المسلحة .

كانت هذه هي الحالة داخل القوات المسلحة وفي مركز السلطة أثناء بناء الاتحاد الاشتراكي الأمر الذي خلق تناقضا من البداية بين التنظيم العسكري (القوات المسلحة) وبين التنظيم الجماهيري الاتحاد الاشتراكي .

نص الميثاق على (ان دور القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة هو أن تحمي عملية بناء المجتمع ضد الأخطار الخارجية ، كما انه يتعين عليها أن تكون مستعدة لسحق كل محاولة استعمارية رجعية تريد أن تمنع الشعب من الوصول الى آماله الكبرى) .

واجب محدد ضد الأخطار الخارجية بالحرب ... وضد الأخطار الداخلية بالقمع للرجعية .

ويقول الميثاق أيضا (ان فعالية الجيوش الوطنية تكمن في القوة الوطنية الاقتصادية والاجتماعية ، فان التقدم هو المستودع العظيم الذي يمد أداة القتال باحتياجاتها المادية والبشرية التي تتمكن بها من رد التحدي واحراز النصر وتعزيزه) .

ربط الميثاق بين احتياجات الدفاع واحتياجات التنمية ويحذر من طغيان واحدة على الأخرى ، ويرى ضرورة التنسيق بينهما .

ولذا نص قانون الاتحاد الاشتراكي على عضوية أفراد القوات المسلحة في الاتحاد الاشتراكي كما نص أيضا على عضوية رجال الشرطة ورجال القضاء .

ولكن ذلك لم ينفذ أبدا ... وظل رجال القوات المسلحة والشرطة والقضاء طالما هم يمارسون العمل بعيدين عن عضوية الاتحاد الاشتراكى .

الصيغة الملائمة لدخولهم فى صفوف التنظيم الجماهيرى السياسى الوحيدة لم تتحدد مطلقا ... والرغبة الكامنة فى ابعاد الجيش عن السياسة ظلت سائدة ... ومحاولة ادخال السياسة الى الجيش ظلت تلاقى أبوابا موصدة .

وكان نمو التناقض الخفى بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر سببا فى تأجيل هذا الموضوع وعدم اثارته بطريقة جدية .

كانت القيادة العسكرية ترى ان دخول السياسة الى صفوف الجيش خطر يحسن تفاديه ... وهى حقيقة عملية طالما لا يوجد كوادر حزبية قادرة على ممارسة دور الموجهين السياسيين فى الجيش وطالما لا يوجد حزب سياسى بالمعنى الحقيقى الذى يتيح تفرغ جيل من الشباب المؤمن بأهدافه ، يدخل الى الكلية الحربية فيتخرج ضابطا ملتزما عسكريا وسياسيا أيضا .

غيبة الحزب السياسى كانت عاملا رئيسيا فى عدم تنفيذ دخول رجال القوات المسلحة والشرطة والقضاء الى التنظيم الجماهيرى .

وأدت التناقضات التى ظهرت بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر — رغم بقائها مغلفة بالسرية وبعيدة عن التأثير فى الحياة العامة ، والحديث فيها لا يكاد يتردد الا بين عدد محدود جدا — الى خلق تناقضات جانبية بين القوات المسلحة وبين الاتحاد الاشتراكى رغم ان قيدته كانت من العسكريين الذين خلعوا ثيابهم العسكرية .

وبقيت المشكلة الدائمة هى العلاقة بين المجموعة العسكرية الحاكمة وبين الجماهير ... واستمر التناقض قائما بين الرغبة فى استمرار القبضة العسكرية تمارس سطوتها ... وبين الرغبة فى اكتساب تأييد الجماهير .

كان مركز السلطة الحقيقى فى الدولة فى يد دائرة القيادة التى تسلل اليها العسكريون عن طريق المشير وشمس بدران مرة أخرى ، بينما ضعف موقف العسكريين الآخرين من أعضاء مجلس القيادة يوما بعد آخر حتى تلاشى تماما .

كان دور القوات المسلحة يعاود الظهور بصورة سافرة ، مثلما كانت الحال فى سنوات الثورة الأولى ولكن بطريقة مختلفة ، فقد كانت معالم السلطة قد تحددت .

وبعدما كانت المباحث الجنائية العسكرية قد اختفت منذ ابعاد أحمد أنور عن قيـــادة البوليس الحربى وتتبيع وحداته لتشكيلات الجيش المختلفة ، عادت مرة ثانية الى الظهور لتمارس دورا تأديبيا جديدا ٠

كانت المباحث الجنائية العسكرية التى يقودها حسين عزفة قـد تعرضت بعد ابتعاد أحمد أنور شقيق زوجته الى حصار البوليس الحربى لها بأوامر من شمس بدران الذى كان قد بدأ ينمى قوات الصاعقة ويعمل فى نفس الوقت على تصفية المباحث الجنائية العسكرية ٠

وكاد يحدث احتكاك مسلح بين القوتين قال فيه حسين عرفة ــ حسب زوايته ــ (نحن نخدم جمال عبد الناصر) ورد قائد البوليس الحربى (ونحن ننفذ أوامر المشير) ٠

صفيت المباحث القديمة فعلا ٠

واذا كان أحمد أنور قد أصدر أمرا باعتقال احسان عبد القدوس رئيس تحرير روز اليوسف فى عام ١٩٥٤ دون ابلاغ جمال عبد الناصر أو عبد الحكيم عامر ٠٠٠ فان شمس بدران قد أصدر أوامره باعتقال قائد المباحث العامة فى الاسكندرية عام ١٩٦٣ لأنه تجرأ على مساءلة ضابط من ضباط القوات المسلحة دون ابلاغ جمال عبد الناصر أو عبد الحكيم عامر أيضـــا ٠

وكان فى هذا الموقف تكرار لأسلوب قديم ، يظهر فيه جموح بعض العسكريين فى السلطة واستهانتهم بالتقاليد والقوانين فى غمرة اندفاعهم وحرصهم على تنفيذ ما يصدر لهم من تعليمات ٠

وكأنما انفلت الشيطان من عقاله ، فقد بدأت المباحث الجنائيـة العسكرية تمارس دورها القديم ، بتشكيل يتألف من ٣٠ ضابطا ، ٥٠٠ جندى يلبسون ثيابا مدنية ويؤدون دور المباحث العامة ، ومارس ضباطها سلطة الضبطية القضائية التى سبق ان منحت لهم ، يقودها أحد أتباع شمس بدران الصـاغ حسن خليل الذى تولى قيادتها بعد أزمة المشير فى ١٥ نوفمبر ١٩٦٢ ٠

بدأ نشاط المباحث الجنائية العسكرية فى مجال الحياة العامة عقب خطبة لجمال عبد الناصر فى مجلس الأمة أعلن فيهـا انه سيوجهها الى المجمعات الاستهلاكية ، وبعد ذلك توالى تدخلها فى قضية حسين توفيق ومحاولته اغتيال عبد الناصر ، واعتقالات الاخوان المسلمين ، والتدخل فى مؤسسات القطاع العام مثل مؤسسة المطاحن وجريدة الجمهورية وشركة سينا للمنجنيز وغيرها ، ثم جاءت كمشيش ولجنة تصفية الاقطاع كما سيرد تفصيلا فيما بعد ٠

سلطة الديكتاتورية ... وغياب الديموقراطية :

ولم يقابل هذا الاجراء بالصمت المطبق ... فقد حدثت مناقشة حامية فى مجلس الأمة .

وكانت عضوية الاتحاد الاشتراكى شرطا للترشيح لمجلس الأمة ... ولم يكن للاتحاد حق الاعتراض على مرشح طالما هو عضو كما كان الحال فى الاتحاد القومى .

كانت أول انتخابات للاتحاد الاشتراكى قد أجريت بعد عام كامل من اعلان الميثاق ... ومجلس ١٩٦٤ ترشح له فى البداية ٣٥٧٠ مرشحا فى ١٧٥ دائرة لانتخاب ٣٥٠ عضوا . وهو أكبر رقم تقدم للانتخابات فى تاريخ مصر ثم تعددت الانسحابات وتقدم فقط ١٧٤٨ منهم ٥١٢ عاملا ، ٤٨٦ فلاحا ٢٨ سيدة .

نجح فى انتخابات المجلس ٣١ ضابطا ... تولى ٥ منهم رئاسة لجان من لجان المجلس البالغ عددها ١٨ .

وظهرت فى صفوف المجلس آراء معارضة ، تماما كما حدث فى مجلس ١٩٥٧ عندما طلب الصاغ محمد أبو الفضل الجيزاوى من رئيس المجلس عبد اللطيف البغدادى تخصيص مكتب للمعارضة ...

كان تدخل المباحث الجنائية العسكرية يزداد وينتشر حتى وصل الى حد الاشراف على مرفق النقل العام سنة ١٩٦٤ .

واعترض بعض أعضاء مجلس الأمة فى جلسة ٢ ديسمبر ١٩٦٤ على تدخل الجيش فى الأعمال المدنية ولو تحت شعار اصلاح الفساد .

وتأزمت الأمور ، وألقى على صبرى رئيس الوزراء بيانا يؤيد فيه نظرية الاستعانة بالجيش فى بعض الأعمال المدنية ، وضرب مثلا لذلك بمشاركة الجيش فى تنظيم العمل فى منطقة بناء السد العالى . والاسهام فى تنفيذ مشروع الوادى الجديد تحت ظروف معيشية صعبة ، والقيام بأعمال البناء والتعمير فى بعض المدن والقرى ... وقال أيضا ان الجيش يسهم فى تصليح العربات المعطلة فى مرفق النقل العام وينظم حركتها ... واختار على صبرى نموذجا بالجيش والبحرية الأمريكية التى تقوم بأعمال الانشاء وخاصة فى الموانىء .

ولم يقتنع بعض أعضاء المجلس بذلك لأن على صبرى لم يفسر سبب استخدامه فى الأعمال البوليسية أيضا ... وقال حلمى الغندور انه مع تقديره لحسم الجيش فى اصلاح الخطأ الا انه لا يتصور ان يكون الملجأ

الذى تلجأ اليه كلما واجهنا انحرافا ما ... وتساءل عما يمكن أن نفعله لو فسد التعليم وهل يقوم بارسال فرقة من الجيش للتدريس .

دفاع على صبرى عن تدخل الجيش فى أعمال السلطة التنفيذية لم يكن نابعا من اقتناع بذلك ، وانما كان تبريرا لأمر واقع لا يسهل منعه أو تحاشيه ... فلم يكن فى العلاقة بين على صبرى وعبد الحكيم عامر ما يمكن أن يعتبر حافزا على هذا الدفاع ــ كان عامر ينظر الى على صبرى نظرته الى متسلل لمركز السلطة ، وقد شاركه فى هذا الشعور بدرجات متفاوتة معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة .

وبقى الاتحاد الاشتراكى هيكلا للتنظيم بعيدا عن القدرة على تحريك الجماهير أو اقناعها بوجوده .

كان العسكريون فى الاتحاد الاشتراكى أقل نفوذا من العسكريين فى الجيش ... وكانت طبيعتهم ما زالت مسيطرة لا تتفاعل مع الجماهير فى سهولة ، رغم استفادتهم من هذا الاحتكاك .

وظلت المشكلة الدائمة هى حرص المجموعة العسكرية على امتصاص النشاط العام أو اسكاته ... وكانت تقع دائمـا فى تناقض شديد بين الرغبة فى اكتساب ثقة الجماهير مع اضعافها وشل فعاليتها .

معضلة بلا حل ... الحرص على سلطة الديكتاتورية والرغبة فى لبس ثياب الديموقراطية .

رصيد جمال عبد الناصر الكبير خلال انتصاراته الوطنية دعم ثقة الجماهير به ، وخلق بينـه وبينها اتصالا مباشرا ، أقوى من صلته بها خلال التنظيمات .

وخفيت عن الناس فى هذه المرحلة الصراعات والتناقضات النامية فى مركز السلطة ، والتى لم يعرف الشعب عنها شيئا سوى عودة الملابس الكاكية للظهور فى غير ما أهلت له .

شخصية المشير عبد الحكيم عامر تنمو ويصبح لهـا نفوذ خاص تدعمه قوة الجيش .

وعلى صبرى فى رئاسة الوزارة تسنده قوة جمال عبد الناصر مع ٢٠ وزراء عسكريين ، ١٩ مدنيين ، يطبق الخطة الخمسية الأولى ... وهى الخطة الوحيدة التى طبقت كاملة فى عهد الثورة .

وحسين الشافعى فى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى ، يصرح لى فى حديث نشر فى مجلة روز اليوسف يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٦٥ قائلا :

(عندما نحمل الاتحاد الاشتراكى مسئوليات كبيرة فى هذه المرحلة فاننا نتجاهل بذلك طبيعة تكوين الاتحاد انه يضم تقريبا مجموع الناخبين حوالى ٧ ملايين ··· ونحن لا ندعى ان فى استطاعتنا تحقيق وحدة مصلحة وارتباط وفكر على هذا المستوى الضخم) ·

ويعلق على الاستثناء الذى أقرته اللجنة التنفيذية بدخول بعض الفئات دون قيد ولا شرط ، وهى الفئات السبعة التى أشرنا اليها سابقا فيقول (كانت النتيجة هى تسرب بعض المعزولين ومن صدرت ضدهم أحكام سابقة بالسجن ··· وأصبح من حق هؤلاء أن يقوموا بنشاط سياسى داخل صفوف الاتحاد الاشتراكى) ·

الاتحد الاشتراكى فى عهد حسين الشافعى يكاد يكون صورة للاتحاد القومى ولكن بوثيقة فكرية هى الميثاق ، وبوضوح سافر فى اننا نعبر مرحلة انتقال اجتماعية من الرأسمالية الى الاشتراكية ·

أنور السادات يرأس مجلس الأمة ·

ومجلس الرئاسة يتحول الى قيادة جماعية شكلية بعد التراجع عن اتخاذ القرار الذى كتبه جمال عبد الناصر للحد من سلطة المشير عامر ·

يقول زكريا محيى الدين ان مجلس الرئاسة كان تشكيلا يستهدف ابعادهم عن السلطة التنفيذية الفعلية ··· وانه لم يتحول أبدا الى قيادة جماعية ·

استقالة كمال الدين حسين

كمال الدين حسين يعترض على بعض تصرفات حملة اليمن كما سيأتى تفصيلا فيما بعد ··· ويقدم استقالتين فى عام ١٩٦٢ ثم عام ١٩٦٣ ، ولكن جمال عبد الناصر يقنعه بسحبها ·

لمح جمال عبد الناصر الى خلافه مع كمال الدين حسين فى محادثات الوحدة بين مصر وسوريا والعراق فى جلسة ١٤ مارس ١٩٦٣ عندما قال ان كمالا يسأله (لماذا تحمل نفسك وحدك المسئولية ؟) ويجيب عبد الناصر مستطردا (ولكنى لصالح النضال العربى على استعداد لتحمل أى تضحيات) ··· وكان كمال الدين حسين حاضرا فى هذه الجلسة ·

كان موضوع استقالات عامر وكمال الدين حسين يشغل بال عبد الناصر ، وقد دفعه ذلك الى التلميح به فى جلسات محادثات الوحدة أيضا ، محتجا على انسحاب الوزراء السوريين من العمل قائلا فى جلسة ١٩ مارس ١٩٦٣ (يعنى افرض النهاردة عبد الحكيم عاوز يستقيل تسول له نفسه انه يروح يتفق مع كمال حسين ومع بغدادى ومع على صبرى

علشان يستقيلوا ٠٠٠ لا يمكن يحدث هذا أخلاقيا ٠٠٠ اوعى تفتكر ان أى واحد فيهم ما فكرش يستقيل مرة أو اثنين ٠٠٠ استقالوا ، بس ما حدش أبدا فى هذه العملية حولها الى مناورات سياسية ٠٠٠ يمكن ما حدش كان بعرف الا منى انا ٠٠٠ كانوا يعرفوا ان فلان استقال منى انا ٠٠٠ ليه احنا النهارده محافظين على وحدتنا ١١ سنة ٠٠٠ لأن الحقيقة التعامل كان على أساس أخلاقى) :

لم يكن أحد قد استقال وغادر موقعه حتى هذه الجلسة ٠٠٠ ولكن كمال الدين حسين بدأ يمتنع عن الذهاب الى مكتبه منذ أغسطس ١٩٦٣ حتى مارس ١٩٦٤ دون أن يعلن استقالته ودون أن يلتقى بجمال عبد الناصر أيضا ٠

وتصادف ان التقى الاثنان يوم ٤ مارس ١٩٦٤ فى جنازة المستشار القانونى لرئاسة الجمهورية محمد فهمى السيد ، فدعاه جمال الى اجتماع حضره عبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى وأنور السادات ٠

واستمر الاجتماع ثمانية ساعات متصلة من موعد الجنازة الى موعد الذهاب الى سرادق العزاء ليلا ٠

ناقش الحاضرون موضوع اليمن ثم انتقل النقاش الى الموقف السياسى فقال كمال الدين حسين حسب روايته لى ان الميثاق له وجهان ٠٠٠ وجه ماركسى والوجه الآخر اسلامى عربى ٠٠٠ وانه يعترض على الاندفاع لتطبيق الاشتراكية معلنا ان هذا سقوط فى هوة الشيوعية ٠٠٠

وطالب بأن يكون تقرير لجنة الميثاق جزءا لا يتجزأ من الميثاق ٠

حاول جمال عبد الناصر ان يوضح لكمال الدين حسين ان الاتجاه الى الاشتراكية ضرورة حتمية تفرضها مسئولية الثورة لرفع قبضة الاستغلال عن الجماهير ٠٠٠ ولكن كمال الدين حسين قال فى اصرار ان ما ورد فى الدين كفيل برفع الاستغلال ٠

وحاول جمال عبد الناصر ان يقنعه بأن الاشتراكية العلمية التى وردت فى الميثاق ليست ضد الاسلام ٠٠٠ وان النبى محمد عليه الصلاة والسلام كان يقول (الناس شركاء فى ثلاث ٠٠٠ الماء والنار والكلأ) وهى العناصر الرئيسية للحياة فى ذلك الوقت ٠

وذكره بأن عدد المساجد قد زاد فى عهد الثورة حتى كاد يتضاعف من ١١ ألف مسجد الى ٢١ ألف مسجد ٠

كما أظهر له في انه ليست هناك نية للتراجع عن الميثاق أو التطبيق الاشتراكي . وحتى ولو وصل الأمر الى تاميم المحلات التجارية الصغيرة ٠

وهنا كانت المناقشة قد بلغت ذروتها من العنف وكان كمال الدين حسين الذى سلبت منه مناصبه المتعددة قد وصل الى موقف الرفض الكامل لكل ما يدور حوله ٠٠٠ يشعر انه غريب عنه ، ومعتقداته التى ربطته يوما بجماعة الاخوان المسلمين قبل الثورة ، عادت فسيطرت عليه ٠

يقول عبد اللطيف البغدادى انه لم يحدث ان بلغت المناقشة هذه الدرجة من العنف بين أعضاء المجلس ٠

ويقول زكريا محيى الدين أن موقف كمال الدين حسين كان جامدا ، وعاجزا عن اقناع زملائه برأيه ٠

وقدم كمال الدين حسين استقالته الأخيرة قال فيها (أنا لو بقيت سأفقد نفسي ، وأنا لا أريد أن أفقد نفسي ولا أظن ان من مصلحة وطنى أن أفقد نفسى) ٠

لم يستقل كمال الدين حسين وحده ٠٠٠ ولم يكن هذا هو التناقض الوحيد ٠

كان هناك تنـــاقض آخر بين جمــال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى ٠

خلافات حول الصناعة :

كان البغدادي منسحبا منذ البداية بالتراجع عن قرار المشير عامر الذى اتفق عليه مع جمال عبد الناصر ٠٠٠ وبقى البغدادى وعامر عدة سنوات لا يلتقيان من ١٩٦٢ الى ١٩٦٤ ٠

وعندما عرض جمال عبد الناصر على مجلس الرئاسة مشروع تاميم المطاحن ومضارب الأرز ومحالج القطن اعترض عبد اللطيف البغدادى بدعوى مخالفة ذلك للميثاق ٠٠٠ وطالب بعرض القانون على مجلس الأمة قبل صدوره ، ولكن عبد اللطيف البغدادى يقول ان القرارات الجمهورية قد صدرت بالتأميم ٠

كان خلاف وجهات النظر حول الصناعة والتاميم هو أكبر خلاف صـــادف رجال الثورة فى مسيرتهم وتبلورت حوله أفكـارهم وتحددت مواقعهم ٠٠٠

كان خلافا حول تشكيل المجتمع ، وليس حول قضية وطنية يواجهون فيها عدوا مشتركا ٠

كان جمال عبد الناصر مقتنعا بانه لا سبيل للتقدم الا بمزيد من القوانين الاشتراكية ... يصدر قانون بتحديد ايجار المساكن (١) وقانون بتنظيم اجراءات الترشيح والانتخاب لعضوين من الموظفين والعمال بمجالس ادارة الشركة أو المؤسسة (٢) وتحديد الحد الادنى لأجر العامل بخمسة وعشرين قرشا فى اليوم (٣) وقانون بتحديد الحد الأقصى لمرتب رئيس مجلس الادارة بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه سنويا مع بدل تمثيل لا يتجاوز ١٠٠٪ من الأجر الأصلى ، بينما الحد الأدنى لمرتب الدرجة الثانية عشرة هو ٦٠ جنيها فقط (٤) .

وهل عام ١٩٦٣ بتأميمات جديدة شملت منشآت تصدر القطن ومحالج القطن (٥) ، يحظر تملك الأجانب للأراضى الزراعية (٦) وتاميم شركة المقاولات والكراكات (أحمد عبود وشركاه (٧) ، واصدار قانون التامين والمعاشات لموظفى الدولة ومستخدميها وعمالها المدنيين ، ثم صدرت قرارات جمهورية بتأميم المطاحن (٨) وشركات مقاولات ونقل وملاحة ، ١٤ شركة أدوية مع سحب تراخيص ٤٠ (مصنع ومعمل أدوية) .

وصدر قرار بقانون رقم ٧٢ فى ٨ أغسطس ١٩٦٣ بتأميم ١٨ شركة كانت تخضع للقانونين ١١٨ ، ١١٩ لعام ١٩٦١ تاميما كاملا وكانت تسهم الدولة فيها بنصيب أقله ٥٠٪ ، ٧ شركات ومصانع كانت تحت الحراسة ، ٣٧ شركة جديدة وكلها تبعت للمؤسسة المصرية العامة للغزل والنسيج .

كما أممت وتبعت للمؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية ٢٧ شركة كانت خاضعة للقانونين ١١٨ ، ١١٩ ، ٧ شركات تحت الحراسة ، وشركتى قطاع عام ، ٣٨ شركة جديدة .

وأممت وتبعت للمؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية ٢٢ شركة خاضعة للقانونين ١١٨ ، ١١٩ وشركة قطاع عام لم تخضع لقوانين التاميم ، ١١ شركة جديدة .

وأممت وتبعت للمؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية ١٤ شركة خاضعة للقانونين ١١٨ ، ١١٩ وشركتى قطاع عام لم تخضعا لقوانين التاميم ، ٤ شركات تحت الحراسة ، ١١ شركة جديدة .

---

(١) قانون ٦٤ فى ٣١ يناير ١٩٦٢ .
(٢) قانون ٦١٧ فى ١٢ فبراير ١٩٦٢ .
(٣) قانون ١٠٢ فى ٣ يوليو ١٩٦٢ .
(٤) قرار جمهورى ٣٥٤٦ فى ٢٩ ديسمبر ١٩٦٢
(٥) قانون رقم ١٥ فى ١٤ يناير ١٩٦٣ .
(٦) قانون رقم ١٥ فى ١٤ يناير ١٩٦٣ .
(٧) قرار جمهورى رقم ٣٩ لسنة ١٩٦٣ .
(٨) ١٧ مطحنا .

وأممت وتبعت للمؤسسة المصرية العامة لمواد البناء والحراريات ٣ شركات تخضع للقانون ١١٨ و ١١٩ وثلاث شركات تحت الحراسة وشركتان جديدتان ٠

أما المؤسسة المصرية للتعدين فتبع لها ٨ شركات جديدة مؤممة ٠

ومؤسسة التعاون الانتاجى ١١ شركة جديدة مؤممة أيضا ٠

ثم صدر قرار بقانون رقم ٧٣ فى ٨ أغسطس ١٩٦٣ يقضى بانهاء عقود بحث واستغلال المناجم وعقود استغلال بعض المحاجر الممنوحة للقطاع الخاص ٠

ثم أممت ٢٩ شركة نقل برى فى ١٢ أغسطس ٠

وأممت ١٤ شركة نقل نهرى فى نفس اليوم ٠

وهكذا أممت معظم شركات القطاع الخاص فى مختلف المجالات ٠٠٠ واستكملت قوانين ١٩٦٣ ما سبق ان بدأته قوانين يوليو ١٩٦١ ٠٠٠ ووضح انه لم يكن هناك شبهة تردد أو تراجع فى اتجاه الدولة نحو التأميم ٠

لم يكن عبد اللطيف البغدادى فى أعماقه متحمسا لهذه التأميمات ٠٠٠ ولم يكن من أنصار الاندفاع فى طريق التطبيق الاشتراكى بهذه الصورة ٠٠ فهو ـ رغم موافقته على الميثاق وقوانين يوليو الاشتراكية ١٩٦١ـ لم يتصور ان مزيدا من الاجراءات سوف يتوالى ويحاصر حرية الاستثمار الفردى التى تنمى عند الفرد ـ حسب قوله ـ روح الاجادة والمنافسة ٠

ولم يكن عبد اللطيف البغدادى منفردا برأيه فى ذلك ٠٠ كان عدد من زملائه أعضاء المجلس يشاركونه الرأى بصوت خفيض (قال لى حسن ابراهيم انه عارض تأميم محلات بنزايون وعدس وشملا بعد تأميم محلات عمر أفندى وذلك لاقتناعه بنقص القدرة الكافية فى ادارة هذه المحلات بنجاح) ٠

قال لى زكريا محيى الدين أيضا انه كان يؤمن بأن الملكية الخاصة ضمان للحرية السياسية وان القطاع العام غير مضمون من نواحى الادارة ، كما انه لا يجوز تأميم شىء الا اذا كان هناك الكادر القادر على ادارته ادارة جيدة ٠

ويستطرد زكريا محيى الدين موضحا أفكاره بقوله انه كان يفضل تحديد ملكية الأسهم فى الشركات للفرد والأسرة وبذا يضرب سيطرة رأس

المال على الحكم ·· وينهى تصويره للموقف بأن جانبا من هذه الاجراءات كان يستهدف سيطرة الحاكم على موارد الرزق أو لقمة العيش ــ حسب تعبيره ·

ويعلل زكريا محيى الدين عدم اتخاذه موقف المعارضة المعلن مثل زميله عبد اللطيف البغدادى بقوله انه كان حتى ذلك الوقت على ثقة أكيدة بقيادة جمال عبد الناصر وانه كان يتذكر قوله له دائما عام ١٩٦٢ بأنه يريد يدا حرة مطلقة يتصرف بعدها بارادته المتكاملة حتى يكون مسئولا عن تنفيذ برنامجه ·

(ثم يقول زكريا محيى الدين انه كان مع اعطاء جمال عبد الناصر كامل المسئولية واطـــلاق يده بحرية كاملة ·· على غير ما كان يراه عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين ·

وكذلك كان باقى أعضاء مجلس القيادة المشاركين فى الحكم يبلغون آراءهم الخاصة غير المتبلورة فى برنامج واضح ، المتأثرة غالبا بالمحيطين بهم من أبناء الطبقات الذابلة ، أو المتطلعين الى حياة البرجوازية الكبيرة الناعمة ·

كان موقف جمال عبد الناصر الصلب ورؤيته الخاصة لآفاق المستقبل هى الضمان الأول لاندفاع الثورة فى هذا الطريق ·· ويبدو انه كان مدركا ان زملاءه الذين خطوا معه خطوات الثورة الأولى قد أرهقهم جهد المسيرة فى مواجهة المصاعب ·· ولذا كان يزداد اعتماده على عناصر أخرى جديدة يتبناها ويرعاها ·

مسئولية الصناعة مثلا تركزت فى يد الدكتور عزيز صدقى الذى عقد أول اتفاقية لتمويل الصناعة المصرية مع الاتحاد السـوفيتى يوم ٢٩ يناير ١٩٥٨ ·

كان معظم أعضاء مجلس القيادة يتخذون موقف الجفاء من عزيز صدقى لاختلاف وجهات نظرهم التى كانت لا تشجع المزيد من سيطرة الدولة على الصناعة ·

ويلاحظ ان التأميمات قد ضاعفت العبء على وزارة الصناعة ومنحت التكنوقراطيين والفنيين فرصا هائلة للترقى والوصول الى مناصب المديرين ورؤساء مجالس الادارة ·

جملة الشركات المؤممة عام ١٩٦٣ بلغ ٢٩٣ شركة احتاجت جميعها الى قيادات ادارية وفنية لم تكن مهيأة من قبل لتولى هـذه المسئوليـات فى وقت مبكر ·

وللمقارنة نشير الى تقرير اتحاد الصناعات عام ١٩٥١ ٠٠

والاستثمار الصناعي كله كان ٢٫١٠٠٫٠٠٠ جنيه فقط ٠

عدد المديرين في مختلف الشركات كان ١٤٠٦ منهم ٣٥٪ مصريون ومن بينهم ١٨٪ يهود ٣٠٪ أوروبيون ، ١١٪ سوريون ، ٨٪ أرمن ويونانيون ٠

المصريون أصلا لم يتجاوزوا بذلك ١٧٪ فقط من المشتغلين بالادارة الصناعية التي كانت رغم كل شيء محدودة ٠

كان التوسع الهائل في تأميم الشركات واستيلاء الدولة عليها غير مضمون بتوفر كادر قيادي من الاداريين والفنيين المؤمنين بالاشتراكية والقادرين على التفاعل مع العاملين وادارة المؤسسات والشركات ادارة ديمقراطية ٠

كان عبد اللطيف البغدادي وزكريا محيي الدين ومن يفكرون بأسلوبهم من الاداريين المنتشرين في أجهزة الدولة يرون ان الحل يكون في التخفيض من مسئولية الدولة وعدم التوسع في القطاع العام ٠٠ لم يفكر أحد منهم في ان انجازات الدولة في ميدان الصناعة والاقتصاد لا تكمل الا بتوفير ادارة ديموقراطية لوسائل الانتاج ٠٠ وهي لا تتحقق الا باسهام الاشتراكيين الحقيقيين في جهاز الحكم ٠

خلال هذا الزحف نحو التأميمات وتشجيع الصناعة ، كان الشيوعيون ما زال معظمهم في المعتقلات ٠

يقول لينين (يستحيل التغلب على الرأسمالية دون الاستيلاء على المصارف ، ودون الغاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ٠ يستحيل تحقيق هذه الاجراءات الثورية دون تنظيم ادارة وسائل الانتاج المنتزعة من البرجوازية وادارتها ادارة ديمقراطية من قبل الشعب كله ، دون اشراك جمهور الكادحين البروليتاريين منهم وانصاف البروليتاريين وصغار الفلاحين في تنظيم صفوفهم وقواهم ودولتهم تنظيما ديموقراطيا) ٠

كان تحقيق مثل هذه المشاركة الديموقراطية في ادارة وسائل الانتاج أمرا بعيدا تماما عن أفكار عبد اللطيف البغدادي ومن يفكرون مثله لأنه كان من أنصار السلطة الفردية في ادارة الانتاج ٠٠ كما ان ظروف المجتمع في ذلك الوقت كانت لا تتيح لجمال عبد الناصر فرصة يخلق ادارة ديموقراطية حقيقية لأسباب سنعرفها تفصيلا في الفصل القادم ٠

ومع ذلك يقول الدكتور عزيز صدقى (انه لولا جمال عبد الناصر ما كانت هناك صناعة) ·· كان المساند الوحيد لها فى وقت كان أعضاء مجلس قيادة الثورة ضدها ومعهم رجال الاقتصاد أيضا ·

وكانت هذه الثغرة الفكرية بين جمال عبد الناصر من جهة · وبين عدد من زملائه من جهة أخرى تعبر عن عبور الثورة لمفترق طرق حاسم ·

انتقلت التناقضات فى مركز القيادة من تناقضات شخصية محدودة قد تمس أسلوب الحكم الى تناقضـات اجتماعيـة تعبر عن خلافات فى الانتماء الطبقى ·· ووجهات نظر متنافرة فى بناء المجتمع ·

وازدادت هذه الفروق وضوحا عندما تبين ان بناء الصناعة لا يمكن ان يتحقق الا عن طريق مساعدات الدول الاشتراكية ··· الصناعات التى أممت لم تكن وحدها كافية لبناء قاعدة صناعية متطورة ··· خطة التنمية كانت تستهدف بناء صناعات جديدة ·

يقول الدكتور عزيز صدقى (ان جملة الاستثمار الأجنبى عام ١٩٦١ كانت ٦٠٠ر٠٠٠ جنيه فقط ، مما جعل فكرة التأميم والاشتراكية ضرورة حتمية للنهوض بمستوى الشعب) ·

ويؤكد الدكتور عزيز صدقى بأن رأس المال الخاص المستثمر فى الصناعة بعد التأميم قد زاد عما كان عليه قبل التأميم ·· وان حركة رأس المال الداخلى مع ذلك لا تتجاوز ٥٠ مليون جنيه ··· وهذا ما يثبت ان قدرات القطاع الخاص مهما بلغت فهى محدودة ·

ثم يقول (لولا قروض الدول الاشتراكية ما أمكن اقامة المصانع) ·

وكان هذا الاتجاه فى ذاته محـل اعتراض عبد اللطيف البغدادى الذى لم يكن من المجندين لسياسـة التعاون مع الدول الاشتراكية بقدر متزايد ·

لم يدرك ان الدول الاشتراكية تهتدى بقول لينين الذى أعلنه قبل انتصار ثورة أكتـوبر (اننا سنبذل قصارى جهـدنا للتقارب مع المؤلف والايرانيين والهنود والمصريين والاندماج بهم ، ونحن نعتقد ان من واجبنا ومصلحتنا ان نفعل ذلك ، والا تكون الاشتراكية فى أوروبا غير وطيدة ، وسنبذل ما فى وسعنا لنقدم لهذه الشعوب المتأخرة والمظلومة أكثر منا (المساعدة الثقافية النزيهة ، أى مساعدتها على الانتقال الى اسـتخدام الماكينات وتسهيل العمل على الانتقال الى الديموقراطية) ــ العالم الثالث طبعة موسكو ١٩٧١ ·

قضية التعاون مع الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية أصبحت نقطة خلاف رغم الاتفاق على صفقة السلاح وبناء السد العالى ٠٠ وذلك بعد تجاوز مرحلة الخلاف بين جمال عبد الناصر وخروشوف عام ١٩٥٩ ، واستقرار الأوضاع بين الدولتين فى هدوء على أسس تعاونية جديدة ٠

استقالة عبد اللطيف البغدادى

ومع ذلك لا يجوز اعطاء الأمور اهمية أكثر مما تستحق ٠٠٠ فمعظم هذه الخلافات ووجهـات النظر المتنافرة ، كانت تدور فى حدود دائرة ضيقة عند القمة ، ولم تكن الجماهير تعرف عنها شيئا كثيرا ٠

لم تأخذ الخلافات صورة صراع الأحزاب القديمة التى تتبلور أفكارها من واقع طبقى محدد تفرضه صلتها بفئات معينة من الجماهير ٠٠ ولكنها كانت ذات طابع شخصى يتأثر بالصلات الخاصة والأفكار الذاتية لأعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين ٠

لم يكن التناقض بين جمال عبد الناصر من جهة وبين عبد اللطيف البغدادى أو كمال الدين حسين من جهة أخرى ٠ يمثل خطرا على تماسك القيادة ، أو يضعف من مركز عبد الناصر فى القمة ٠

لم يكن هناك خطر من وجود هذا التناقض لأن أحدا من الاثنين أو غيرهما من أعضاء مجلس القيادة لم يكن يملك نفوذا فى القوات المسلحة منذ تولى عبد الحكيم عامر قيادتها العامة فى يونيو ١٩٥٣ ، ولم يكن لأحد منهم تأثير جماهيرى فى وقت تركزت فيه كل الأضواء على شخصية الزعيم ، وفى وقت اقتنع به الجميع قائدا لهم يدينون له بالولاء ٠

ولم يكن التناقض بين جمال عبد الناصر وبينهما شبيها بالتناقض بينه وبين عبد الحكيم عامر ٠٠ ذلك ان المشير رغم كونه هو وعبد اللطيف البغدادى كانا الوحيدين من أبناء العمد أثرياء الريف نسبيا ، الا انه لم يكن صاحب فكرة نشطة يمكن أن تصطدم مع اتجاهات جمال عبد الناصر ٠٠ وكان الخلاف بينهما شخصيا فى مضـمونه أكثر منه مرتبـطا بخلافات ايديولوجية ٠

أما الخلاف مع كمال الدين حسين فانه كما أوضحت كان صراعا بين اتجاه تقدمى يمثله جمال عبد الناصر واتجاه محافظ يمثله كمال الدين حسين ٠٠٠ بدأ منذ الغـاء الاتحاد القومى الذى كان كمال يخطب فى اجتماعاته قائلا ان عبد الناصر شخصية موهوبة يكاد يوحى لها ٠٠ ثم اتخذ موقفه المعارض المعروف الذى أخذ يزداد حدة بعد تركه لمناصبه حتى انتهى به الأمر الى الاستقالة ٠

كان كمال الدين حسين يقف عند فكرة ثابتة وجامدة يقول بأن كل اتجاه للتحول الاشتراكى هو ماركسية شيوعية يجب مقاومتها ٠٠ وبهذا المفهوم رفع شعار المعارضة لكل ما يتم فى مصر ، وحمل معولا يحاول به تحطيم زعامة جمال عبد الناصر التى أسهم فى خلقها ٠

لم يهدأ كمال الدين حسين بعد استقالته ، وانما حمل لواء المعارضة فى الأوساط التى يتحرك فيها ، وكتب خطابا الى جمال عبد الناصر يحتج فيه على اعتقال الاخوان المسلمين الأمر الذى انتهى الى تحديد اقامته يوم ١٥ أكتوبر ٦٥ فى احدى الفيللات بمنطقة أهرامات الجيزة ، وظلت اقامته محددة تحت الحراسة حتى توفيت زوجته التى كانت تقيم معه فجأة بعد ثلاثة اشهر وعندما خرج لتشييع جنازتها أطلق سراحه ولم يعد الى مكان تحديد اقامته ٠

ولكن الخلاف بين جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى كان ذا طبيعة ثالثة ٠٠ فعبد اللطيف البغدادى رغم انه من أبناء برجوازية الريف ، ورغم انه كان على صلة تنظيمية مع الاخوان المسلمين وبعض الجماعات الارهابية أو الفاشية قبل الثورة (جماعة اليد السوداء ــ عبد العزيز على ــ وجيش التحرير ــ فوزى القاوقجى ــ) الا انه حضارى النزعة يؤمن بالديموقراطية الليبرالية ، وحاول أن يجعل من فترة رئاسة مجلس الأمة محاولة لخلق تجربة ديموقراطية فى اطار الثورة ٠

ولم تكن الخلافات التى نشبت بين البغدادى وعزيز صدقى موقفا منه ضد الصناعة ، ولكنه كان موقفا ضد ما يراه اندفاعا غير مخطط من وجهة نظره ٠٠ ولم يكن البغدادى مقتنعا بالتوسع فى التأميمات التى تصل المشاريع الخاسرة ، بالاضافة الى رغبته فى دعم أجهزة التخطيط التى سبق له ان تولى وزارتها حتى لا تنفرد الصناعة وحدها فى مجال العمل ٠

ولا يعنى هذا ان عبد اللطيف البغدادى كان اشتراكيا علميا يختلف فقط فى اجراءات التطبيق ولكنه كان من المؤمنين بامكانية تطور المجتمع فى طريق رأسمالى مع اتخاذ بعض اجراءات اشتراكية ٠٠ ولكنه لم يعلن عن اتخاذ موقف معارض صريح لمبادىء الميثاق أو لاجراءات التأميم سواء عام ١٩٦١ أو ١٩٦٣ ٠

تركز الخلاف بينه وبين عبد الناصر حول مشروعية تأميم المطاحن ومضارب الأرز ومحالج القطن بقرارات جمهورية دون عرض الأمر على مجلس الأمة كما ذكرت ٠

ووصل الأمر غايته وشعر عبد اللطيف البغدادى ان دور مجلس الرئاسة قد أصبح شكليا وانه لا يسهم فى صنع سياسة الدولة ولم يجد سبيلا الا بتقديم استقالته .

ولم تكن هذه هى استقالته الأولى ، ولكنها كانت الأخيرة ..

سبق ان قدم عبد اللطيف البغدادى استقالة أولى عام ١٩٥٤ خلال أزمة مارس عندما رفض الموافقة على عودة محمد نجيب وكان قد سبق له عدم الموافقة على خروجه أيضا .

وقدم استقالته ثانية فى ٢٤ أغسطس ١٩٥٨ عندما تلقى خطابا دوريا من جمال عبد الناصر ينبه أعضاء مجلس الثورة لعدم الدعاية فى الصحف .. ولكن جمال عبد الناصر أرسل له وفدا من زكريا محيى الدين وكمال الدين حسين وحسين الشافعى وأنور السادات اقنعوه بالعودة حيث عاد يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٨ .

وبعد استقالته الثالثة وقبل نشرها وضع شقيقه سعد البغدادى تحت الحراسة لأمور لو صحت لأساءت اليه .. وضاعت فى غمرة أخبار وضع شقيقه تحت الحراسة ، تساؤلات الناس عن أسباب الاستقالة .

نقد القطاع العام

ولم يكن موقف جمال عبد الناصر فى موضوع التأميمات وبناء الصناعة متحيزا للدول الاشتراكية .. بل كان موقفا مصريا تمليه الظروف الموضوعية القائمة .

جمال عبد الناصر وافق على أن تختفى من قوائم التأميم شركات البترول أو صرح بتكوين ثلاث شركات أدوية برأس مال أجنبى غربى ٦٠٪ ورأس مال خاص ٤٠٪ .

ويقول الدكتور عزيز صدقى انه وافق على ذلك تحت ادراك حقيقة ان هاتين الصناعيتين تحتاجان الى أموال هائلة للبحث لا تتوفر فى ميزانية الدول النامية .. شركة فايزر للادوية كانت تصرف وقتها ٢٠ مليون جنيه سنويا للأبحاث ، والبترول كان كامنا تحت أرضنا لا يجد من يدفع به الى السطح ، لخشية الشركات العالمية من قوانين التأميم .. الى أن توصل الدكتور عزيز صدقى عام ١٩٦٣ الى اتفاقية مع الحكومة الأمريكية تنص على ان (الاستثمار الذى يتم فى مصر تضمنه الحكومة الأمريكية) .

عارض جمال عبد الناصر الاتفاقية أولا ــ كما يقول الدكتور عزيز صدقى ــ ثم اقتنع بها بعد مناقشة دارت حول أهمية استخراج البترول لبناء اقتصادنا القومى .

وبريجنيف أيضـا سأل الدكتور عزيز صـدقى عن سبب اعطاء الامتيازات البترولية لأمريكا ، وهى باب عريض تدخل منه لأرض مصر ٠

وكان رد الدكتور عزيز صدقى ان ذلك ناتج من عدم توفر رأس المال المصرى للبحث ، ذلك الى جانب وجود شركة وطنية فى أكثر المناطق إحتمالا لوجود البترول ٠

ولم يقتصر اعطاء الامتيازات البترولية للدول الغربيـة فقط ٠٠ تعاقدت وزارة الصناعة مع الاتحاد السوفيتى على القيام بعمليات التنقيب عن البترول فى منطقة سيوة بالصحراء الغربية ، بشروط تختلف عن شروط الشركات الأمريكية ٠٠ اذ يتم ذلك فى صورة قروض تصرف على البحث حتى اذا تم العثور على البترول انسحبت الخبرة السوفيتية تماما ولم يعد لها أى نوع من المشاركة فى الانتاج الا بقدر ما دفعته من أموال فى البحث ٠

أما الشركات الأمريكية فانهـا تتقاسم مع الحكومة المصرية نصف الأموال التى صرفت فى البحث ثم تستمر فى الحصول على ٢٥٪ من الانتاج الى أن ينضب ٠

وخلال هذه الفترة التى بدأت فيها مسيرة الصناعة فى مصر ، تعرضت أفكار التخطيط لبعض الأخطاء فأقيمت مصانع فى أماكن لا تتوفر فيهـا المواد الخام مثل مصانع اللبن . وأقيمت مصانع تعرضت للفشل مثل الترانزستور ٠

وانبرت مجلة روز اليوسف فى عامى ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ توجه حملات نقد عنيفة لبعض الشركات والمؤسسات ٠

كنت رئيس تحريرها خلال هذه الفترة ، وكان حرصى شديدا على ان يكون القطاع العـام صـورة مضيئة للجماهير حتى يكون واجهة طيبة للاشتراكية ٠

كان النقد ينبعث من موقف الحرص على مساندة القطاع العام ٠٠ وليس من موقف الرغبة فى الهدم والعودة الى الوراء ٠٠ الى سيطرة رأس المال الخاص ٠

قال جمال عبد الناصر فى مؤتمر المبعوثين بعد ذلك وهو يتحدث عن حرية الصحافة (الجرائد تنقد ٠٠ مثلا روز اليوسف لها نقد مر جدا للقطاع العام ، أى حاجة بتتنشر عن القطاع العام بيحصل فيها تحقيق ونتحرى لمعرفة هل هذا صحيح أم لا) ٠

كان هذا صحيحا فقد اكتشفت المباحث الجنائية العسكرية فى حملاتها على القطاع العام صدق ما نشرناه عن تزوير الميزانيات فى شركة سينا للمنجنيز وغيرها .

ويخطىء من يتصور أن الصناعة يمكن أن تستقر بغير أخطاء أو بعيدا عن الانحرافات .. حتى مع أحمد عبود تعرضت لذلك ، فقد وضع مبلغ مليون جنيه فى منجم كبريت لا يوجد فيه كبريت ، وكان ذلك بناء على نصيحة من شركة أمريكية .

الدولة تقود عملية التنمية .. بعد ان أصبحت معظم الشركات مؤممة .

الدخل المتولد فى الصناعة .. حجر الزاوية فى تطوير اقتصادنا القومى ارتفع خلال الخطة الخمسية الأولى من ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٥ من حوالى ٢٥٦ مليون الى ٣٨٥ مليون بنسبة تزيد عن ٥٠٪ بمعدل ارتفاع ١٠٪ سنويا كما وردت فى كتاب (سنوات التحول الاشتراكى) لعلى صبرى .

صراع فى مراكز القمة

بعد استقالة كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى اتخذ جمال عبد الناصر قرارا بتعيين المشير عبد الحكيم عامر نائبا اول لرئيس الجمهورية وتعيين زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وحسن ابراهيم نوابا لرئيس الجمهورية يوم ٢٥ مارس ١٩٦٤ .. وسقطت أسماء المستقيلين بلا تعليق ولم يعد باقيا من مجلس قيادة الثورة الى جانب عبد الناصر سوى هؤلاء وأنور السادات .. أقلية المجلس ٦ من ١٣ هى التى بقيت بعد ٨ سنوات من العمل المشترك .

وصدر قرار جمهورى أيضا فى نفس اليوم بتعيين على صبرى رئيسا للوزراء ووزيرا للتخطيط بدلا من رئاسة المجلس التنفيذى ، وضم الى وزارته من أعضاء مجلس الرئاسة كلا من الدكتور نور الدين طراف والمهندس أحمد عبده الشرباصى وكمال رفعت نوابا لرئيس الوزراء .

وهكذا انتهت قصة مجلس الرئاسة وقصة القيادة الجماعية .. وارتقى وضع المشير عامر ليصبح الشخصية الثانية من الوجهة العملية والرسمية أيضا .. كما ثبت أيضا وضع على صبرى فى اقوى موقع تنفيذى .

ليس هذا فقط .. بل ان المشير عامر والمحيطين به من قادة القوات المسلحة كانوا يتصرفون أحيانا وكانهم وحدهم فى الساحة لا يقيمون وزنا كبيرا للوزارة .

كثير من التعيينات الكبرى فى الأجهزة الادارية والتنفيذية كانت تتم بترشيح من عامر .. وكثير من الذين مستهم تحقيقات الرقابة اداريا احتفظوا بمناصبهم لأنهم كانوا مساندين بقوة المشير .

كان عبد الحكيم عامر قد قرر السير فى طريق المتعة الشخصية بعد انتصاره فى العودة بعد الاستقالة ... وكانت المجموعة المحيطة به كفيلة بالاساءة اليه وتهيئة كل وسائل اللهو والانحلال له .

وكان أمرا معروفا ومتداولا ما يتم فى هذا الجو من تدخين واتصال ببعض الفنانات وبذخ يصل الى حد السفه ... ولعب الدور الرئيسى فى ذلك سكرتير المشير على شفيق صفوت .

وكان هناك خلاف واضح بين شمس بدران وعلى شفيق حاول المشير ان يمنعه عبثا حتى عين الأول مديرا للشئون العامة والثانى سكرتيرا خاصا ... ولكن ذلك لم يقض على التناقضات المتزايدة .

ولم تلبث أجهزة المباحث الجنائية العسكرية أن اكتشفت أثناء تتبعها لبعض الذين يتاجرون بأجهزة وآلات يحضرونها من اليمن .. اكتشفت ان اثنين من أعضاء مكتب المشير قد هربا عدة صناديق من دخان التمباك للمتاجرة فيها ـ حسب رواية الصاغ حسن خليل الذى رفع مذكرة الى الصاغ شمس بدران .

وعندما عرض الأمر على المشير أصدر تعليماته بالتحقيق ... وآثر شمس بدران الابتعاد عن التحقيق الذى قام به الصاغ حسن خليل ، والذى اكتشف فيه ان هناك عصابة فى ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة تصدر أذونات صرف وهمية تستولى عليها ، وانها مرتبطة بعصابة أخرى فى مكتب المشير يرأسها الصاغ عبد المنعم أبو زيد .

وقدم المتهمون للمحكمة ولم يحطهم المشير بحمايته .. وأصدرت المحكمة العسكرية التى رأسها اللواء محمد أحمد صادق (وزير الحربية فيما بعد) أحكامها بالسجن على عدد من أعضاء المكتب .

وانتهى الأمر بعد كشف هذه الفضائح الى احالة على شفيق صفوت الى المعاش فى نهاية عام ١٩٦٦ .

الغريب ان المشير تزوج من برلنتى عبد الحميد وعلى شفيق تزوج من مها صبرى ، وعبد المنعم أبو زيد من سهير فخرى وهن جميعا من الفنانات .

والغريب أيضا هو صدور القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٦٦ الذى قضى بجعل الاختصاص للنيابة والقضاء العسكرى فى كافة الجرائم التى ترتكب

من العسكريين بسبب تأدية وظيفتهم أو حتى فى الجرائم الخارجة عن نطاق أعمال وظائفهم اذا انفردوا بالاتهام فيها دون أشخاص مدنيين ٠

وكان ذلك يعنى وضع الجيش فى وضع خاص فوق الطبقات الأخرى وحصر دائرة الاتهام فى يد القيادة ٠

كان المستهدف من ذلك على حد قول أحد المسئولين فى القضاء العسكرى عدم نشر الغسيل الوسخ أمام الناس ٠

أما الحقيقة فكانت اعطاء حقوق شكليا مع سيطرة فعلية من أعلى ٠

ولكن هذا التسيب والانحلال كان محاطا بجدار من الصمت والعزلة ولم يؤثر على سمعة المشير أو نفوذه فى القوات المسلحة ٠

وحرص لذلك جمال عبد الناصر على الا يناطح عامر فى شئون القوات المسلحة الداخلية ٠٠٠ وترك له الانفراد بها معتمدا على وجود شمس بدران الشخصية التى اختارها لتكون ذات نفوذ وقريبة منه ٠٠٠ كما حرص أيضا على اخفاء الخلاف القائم بينه وبين المشير وحصره فى أضيق نطاق ممكن معتمدا على أن عامر ليست له طاقة جادة على العمل ، وان نشر هذه الأخبار يضعف من مركز القيادة فى نظر القوات المسلحة ـ والجماهير أيضا ٠

احتفظ الاثنان من الناحية المظهرية بعلاقاتهما الطيبة ٠٠٠ ووقف الاثنان جنبا الى جنب فى نادى ضباط القوات المسلحة بالزمالك صيف عام ١٩٦٥ وهما يستقبلان المدعوين لحفل زفاف شقيق جمال عبد الناصر وكريمة عبد الحكيم عامر ٠

ولم تقف التناقضات والخلافات عند حدود قمة مركز السلطة ولكنها امتدت الى الدائرة الثانية أيضا ٠٠٠ حيث ظهر خلاف شديد بين على صبرى والدكتور عزيز صدقى أدى الى خروجه من الوزارة وتعيينه مستشارا لرئيس الجمهورية واستبداله بالدكتور مصطفى خليل وزير النقل ٠

واتسعت دائرة الخلاف حتى وصلت الى حسن ابراهيم الذى كان مقررا الاستقالة مع كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى فى مارس ١٩٦٤ ، ولكنه كان موجودا فى الخارج ٠٠٠ وعندما عاد صارح جمال عبد الناصر بأنه لا يود المشاركة فى المرحلة المقبلة ، ولكن جمال عبد الناصر أقنعه فى اجتماع ضم زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وأنور السادات بأن يبقى معهم فى الحكم نائبا لرئيس الجمهورية ٠

وشعر حسن ابراهيم خلال ممارسته العمل بأن علي صبري يوقع بينه وبين عبد الناصر ، فصــارحه بذلك قائلا (ان البعض يقدمون لك معلومات غير صحيحة ومنهم علي صبري) ٠٠ ويقول حسن ابراهيم ان عبد الناصر قال له (هل تتصور ان علي صبري يقدر يمشيني ؟ انه لا يزيد عن سكرتيري مهما كان في أي منصب) ٠

ولكن الأمور لم تمض بالأسلوب الذي يرتضيه حسن ابراهيم فقد شعر انه بعيد عن مركز السلطة معزول عن المشاركة الايجابية الحقيقية في صنع القرار ٠

ولم يجد بدأ من تقديم استقالته الثالثة والأخيرة في ١٨ يناير ١٩٦٦ بعد ان طلب مقابلة جمال عبد الناصر يوم ١٣ يناير ومضت خمسة أيام بلا جواب ٠

وهكذا كانت كواليس القيادة مليئة بالتناقضات والخلافات الشخصية ولكنها كانت محجوبة عن الجماهير بستار كثيف ٠٠ وكان التعلق بشخصية جمال عبد الناصر دافعا في ذاته الى عدم اهتمام الناس بما قد يصل اليهم من همسات اقتناعا منهم بأن كل شيء يمكن اصلاحه وكل خطأ يمكن علاجه طالما جمال عبد الناصر في قمة جهاز الدولة ٠

الفصل التاسع

طليعة الاشتراكيين

« ان الحاجة مساسة الى خلق جهاز سياسى جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكى العربى يجند العناصر الصالحة للقيـــادة وينظم جهودها ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ويتحسس احتياجاتها ويســاعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات » .

الميثـاق .

لم يكن صدور الميثاق وتكوين الاتحاد الاشتراكى العـــربى مفتاحا سحريا يفتح أبواب المجتمع للتحول الجديد ... ولكنه كان علامة توجيه وخطوة أولى فى الطريق الجديد .. ولكن المسيرة تحتاج الى جهد شـاق وطويـل .

والتنظيم الجديد يتلمس طريقه تحت تأثير الاتحاد القومى .. ومعظم العاملين والاداريين من غير القيادات ظلوا فى مواقعهم لا يكادون يستشعرون فرقا فى التغيير .

وانتقال الاتحاد الاشتراكى الى مبنى محافظة القاهرة الجديدة المطل

على النيل ، لم يكن فى ذاته باعثا على تغيير طبيعة الاتحاد القومى أيام كان فى قصر عابدين وفى ثكنات الحرس الملكى سابقا ٠

وتعيين حسين الشافعى أمينا للاتحاد الاشتراكى لا يعبر عن تطور فى التنظيم الجديد٠٠فليس هناك فارق فكرى بينه وبين كمال الدين حسين الأمين العام للاتحاد القومى ٠

والجماهير ما زالت بعيدة عن استشعار ما يدور فى المجتمع ٠٠٠ والطبقة العاملة التى تكونت مع تطور الصناعة ما زالت بعيدة عن التفاعل الحى مع النظـــام عن طريق الادارة الديمقراطيـــة ٠٠ والعســـكريون والتكنوقراط ما زالوا سادرين فى سلوبهم الذى لا يطبق المشاركة ويدعو للانفـــراد ٠

والاتحاد الاشتراكى خلال هذه الفترة بعيد أيضـــا عن امكانيـــة التفاعل مع المؤسسات والشركات الصناعية ٠٠ العلاقات ليست واضحة ٠٠ والحساسيات من جانب المديرين قائمة ٠٠ والملاحظـــات من جانب العاملين فى الاتحاد الاشتراكى مستمرة ٠

الكتاب السنوى الثانى للاتحـــاد الاشتراكى لا يحدد دورا لتفاعل تنظيمات الاتحاد مع أجهزة الادارة ٠٠٠ وخطة العمل التى صدرت عام ١٩٦٤ لا تتضمن آكثر من هذه الفترة (أما الوسائل الخاصة بكل صناعة فان التقاء النقابات العامة وممثلى الادارة مع ممثلى التخطيط قد يكون مجالا مفيدا لتحديد المشاكل العامة التى تتعرض لها الصناعة بذاتها ، ويمكن ان تعود بعض هذه المسائل الى الوحدات الانتاجيـــة فى المصنع لتناقش بوصفها مصدر المعلومات الأساسى) ٠

ثم تواصل التوضيح قائلة (ولكى يكون العمل الذى يتم فى هذه المؤتمرات مثمرا ومفيدا يجب ان يبتعد عن أى شكل من أشكال السلطة التنفيذية ليكون تعبيرا حقيقيـــا لا يتصف بالحرص أو المجاملة ، وبذلك تتأكد معانى الديمقراطية كسلوك وممارسة على أساس ان الادارة والتنفيذ تخلع كل منهما عن نفسها ثوب السلطة عند المناقشة) ٠

خطة الاتحاد الاشتراكى عامة وغامضة ٠٠٠ وبعيدة عن الوصول الى قلب المشكلة ٠

دور الاتحاد الاشتراكى ليس واضحا ٠٠٠ ما زال يتحرك بروتينية بعيدة عن التأثير فى الجماهير ٠

ولكن الأمـــور لا تركن الى جمـــود ٠٠٠ تشكلت أمانة جديدة فى

١٣ ديسمبر ١٩٦٤ من ٢١ عضوا ٠٠ من بينهم ١٣ ضابطا وقسمت الى ١٥ أمانة فرعية وضمت الأسماء الآتية :

حسن الشافعى ، د ٠ نور الدين طراف ، أحمد عبده الشرباصى ، كمال الدين رفعت ، عباس رضوان ، خالد محيى الدين ، سيد مرعى ، طلعت خيرى ، أنور سلامة ، د ٠ حسين خلاف ، شعراوى جمعه ، كمال الحناوى ، على السيد على ، حسين ذو الفقار صبرى ، محمد فتحى الديب ، أحمد عبد الله طعيمة ، عبد الفتاح أبو الفضل ، د ٠ عبد السلام بدوى ، عبد المجيد شديد ـ د ٠ ابراهيم سعد الدين ، د ٠ رشدى سعيد ٠

خرج من الأمانة السابقة أنور السادات رئيس مجلس الأمة ، وعلى صبرى رئيس الوزراء ، وكمال الدين حسين المستقيل ، وحسن ابراهيم ، والدكتور محمد عبد القادر حاتم ٠

جميع الخارجين من الضباط ٠٠٠ والبعض منهم يقترب من دائرة الظل ٠

ودخل اليها للمرة الأولى بعض اليساريين وكان هذا فى ذاته انعطافا جديدا فى مسار الثورة ٠٠٠ خالد محيى الدين الذى كان يتولى فى ذلك الوقت رئاسة مؤسسة أخبار اليوم ٠ لأمانة شئون الصحافة والدكتور ابراهيم سعد الدين الذى فوجىء بتعيينه عضوا فى الأمانة العامة رغم انه كان معزولا سياسيا ، ولو انه كان عضوا عاملا بصفحة الرأى فى جريدة الأهرام ٠

تولى ابراهيم سعد الدين أمانة المعهد العالى للدراسات الاشتراكية التى انفصلت عن أمانة الدعوة والفكر التى كان يتولى شئونها كمال الدين رفعت والتى كانت تصدر نشرة (الاشتراكى) تضم عددا من المقالات والاقتراحات ذات المضمون التقدمى ٠

ظهرت أسماء جديدة فى مجال العمل السياسى ٠٠٠ شعراوى جمعه الذى كان محافظا للسويس واهتم خلال وجوده هناك بالعمل السياسى والثقافى فانشأ مركزا للدراسات الاشتراكية استعان فيه ببعض المثقفين اليساريين من القاهرة ، كما انشأ فرقة مسرحية للسويس تولى ادارتها ماركسى سابق هو يوسف غزولى خريج كلية العلوم والمهندس بشركات البترول فى المدينة ٠٠ وكمال الدين الحناوى الذى عاد الى الصحافة رئيسا لمجلس ادارة دار التحرير ٠

تغيير الأمانة وتقسيمها الى أمانات فرعية كان خطوة الى الأمام ٠٠٠ ولكنها لم تكن خطوة كافية لانطلاق الجهاز الضخم الذى يضم عدة ملايين ٠ واجتماعات الأمانة تحددت الى نوعين :

الأول ... يحضره جمال عبد الناصر ويعطى فيه توجيهات وللحاضرين حق السؤال ... وكان منتظما فى الحضور والمشاركة .

الثانى ... اجتماعات تعقد تحت رئاسة حسين الشافعى لتنفيذ توجيهات جمال عبد الناصر وتميزت هذه الاجتماعات حسب رأى الدكتور ابراهيم سعد الدين بأن المناقشات فيها كانت أكثر انفتاحا وان بعض الآراء كانت أحيانا تتعارض أو تتنافر مع رأى عبد الناصر .

الأمانة لم تكن تصدر أى نوع من القرارات .

كانت تثار بعض الأسئلة ، وجمال عبد الناصر يجيب ثم ينفض الاجتماع .

تخلف عبد الناصر فى أحد الاجتماعات عن الحضور ، وأناب عنه عبد الحكيم عامر ففتح الاجتماع بقوله (نتكلم فى أى حاجة على ما قسم) .

عدم انضباط الاجتماعات بجدول أعمال ومناقشة مفتوحة وقرارات مكتوبة كان ظاهرة فى أعمال الأمانة ورغم الاكثرية الواضحة من العسكريين المشهورين بالانضباط الا أن اجتماعاتهم كانت مفتوحة وغير منضبطة .

ولم تكن هذه الظاهرة مقتصرة على العمل فى الاتحاد الاشتراكى ولكنها كانت موجودة أيضا فى مجلس الوزراء الذى قليلا ما كان يتقيد بجدول أعمال محدد ، وكثيرا ما اختل عقد جلساته فى موعد محدد .

قال حسين الشافعى فى حديث لى معه بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٦٥ (ان تمويل الاتحاد الاشتراكى لنفسه ذاتيا هو علامة صحة وايجابية) ولكن هذا لم يكن كافيا لانقاذ الاتحاد الاشتراكى من جموده وعدم فعاليته .

نادى ميشيل عفلق سكرتير حزب البعث فى محادثات الوحدة بتعدد الأحزاب قائلا (تعدد الأحزاب القومية الاشتراكية هو ضمانة لحد ما للحرية السياسية) وجمال عبد الناصر يرد عليه (نحن لا نعتبر الاتحاد الاشتراكى حزبا ... لأن الحزب بالطبيعة تعبير عن مصالح فئة أو طبقة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية) .

ويستطرد جمال عبد الناصر مفسرا مسئولية الاتحاد بقوله فى جلسة ١٩ مارس ١٩٦٣ (الاتحاد الاشتراكى تحالف لقوى الشعب العاملة ويتكون فى داخله جهاز سياسى هو أصلا الكادر ، يعنى الناس ذوى الفعاليات السياسية والقدرة على تحريك التفاعل الثورى) .

ويفكر جمال عبد الناصر فى تطبيق ما ورد بالميثاق حول الجهـــاز السياسى من القول بأن الحاجة ماســـة الى تكوينه داخل اطار الاتحـاد الاشتراكى لتجنيد العناصر الصالحة للقيادة وتنظيم جهودها ٠

ويبدأ فى التنفيذ بعد أســابيع من جلســات مباحثات الوحدة ٠٠٠ ويعقد جمال عبد الناصر اجتماعا فى يونيو ١٩٦٣ يدعو اليه على صبرى ومحمد حسنين هيكل وأحمد فؤاد ، ويحضر ســامى شرف سكرتيرا للجلســـة ٠

تحضير الجهاز السياسى للاتحـاد الاشتراكى يتم بعيدا عن جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق ٠٠٠ حتى الأمين العـام للاتحـــاد الاشتراكى كان غائبا عن الاجتماع الأول ٠٠٠

السبب غير مفهوم ٠٠٠ الا اذا وضع فى اطار الثقة الشخصية من جانب جمال عبد الناصر فى ان يكون الحاضرون من المقتنعين بالتحـــول الاجتماعى عن طريق الاشتراكيين ٠٠٠ واذا كان حكما من جمال عبد الناصر بأن زملاءه السابقين القابلين لمواصلة المسيرة معه انما يفعلون ذلك بدافع الرغبة فى البقاء داخل دائرة السلطة والاستفادة بمزاياها أكثر من ايمانهم بالتحول نحو الاشتراكية ٠

وكان هذا ايذانا بأن دور البغدادى وكمال الدين حسين قد وصلت به التناقضات الى نهايته عمليا قبل ان يعلن ذلك رسميا ٠

فكرة الجهاز السياسى داخل الاتحاد الاشتراكى ، تتشابه مع تنظيم رابطة الشيوعيين اليوغسلاف داخل الاتحاد الاشتراكى فى يوغوســلافيا وقد أطلق عليها فى مصر اسم (طليعة الاشتراكيين) ٠

وحى التنظيم انتقل من البرتغال الدولة الفاشية حيث اقتبس نظام الاتحاد القومى الى يوغوسلافيا الدولة الاشتراكية ذات الطابع الخاص وكان جمال عبد الناصر قد أرســل صلاح دســوقى فى بعثة الى يوغوسلافيا لدراسة النظام هنــاك ٠

والمجموعة التى اعتمد عليها جمال عبد الناصر كبداية وأساس لتكوين الجهاز السياسى كانت ذات ميول فكرية متباينة ٠٠٠ الوحيد الذى ارتبط منهم خلال ماضيه بحركات سياسية اشتراكية كان أحمد فؤاد عضــو الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ٠

وعندما استفسر أحمد فؤاد من جمال عبد الناصر عن مدى التجانس بين أفراد هذه المجموعة ، قال له ان على صبرى ومحمد حسنين هيكل هما

أكثر الأفراد تاثرا بفكره وانهما رغـــم أصـــولهما الفـكرية البعيدة عن الاشتراكيـــة الا انهما يعبران مرحلة من مراحـــل التحول الفكرى الى الاقتناع بها •

وطلب جمال عبد الناصر ان يتصل كل واحد من الحاضرين بمجموعة من الذين يثق فيهم وان يشكل منهم خلايا لا يتجاوز عدد أفراد كل خلية عشرة أفراد فقط •

قال لأحمد فؤاد انه يريد تنظيما منضبطا مثل التنظيمات الشيوعية ، وانه لا يجد خلافا شـــديدا مع الماركســـية فى الوجهـــات الاجتماعية والاقتصـــادية •

كما اشترط جمال عبد الناصر ان يكون التنظيم سريا ، والا يقبل الأعضاء فيه الا بعد عرض الأسماء عليه للموافقة عليهم ••• وكان مفهوما انها تفرز بوساطة أجهزة أمن خاصة •

السرية كانت ــ حسب تصور جمال عبد الناصر ــ كما قال لأحمد فؤاد وكمـا أوضحه فى مؤتمـر المبعوثين بعد ذلك لمنع تكتل القوى ضـد العناصر المختارة ومحاولة الاساءة الى سمعتها أولا ، والنقطة الثانية هى حرصه على الا يستغل أحد وجوده فى الجهاز السياسى ليستفيد من ذلك فى مكان عمله أو فى أى مكان آخر •

وكان جمال عبد الناصر قد أعلن فى مؤتمر المبعوثين فى أغسطس ١٩٦٦ عن وجود طليعة الاشتراكيين وعن انها تتكون سرا من سنتين •

كانت مجموعة البداية لا تبشر بامكانيـــة خلق تنظيم كادر مناضل وصالح لتحريك الاتحـاد الاشتراكى فلم يكن محتملا ان يخرج أحد هؤلاء الأفراد من دائرة طبقته واتصـــالاته الطبيعية ليرتبط بعناصر مناضـلة حقيقيـة •

كل فرد منهم بدأ يتصل بأقرب الناس اليه •

لم يكن المشير عبد الحكيم عامر بعيدا عن خطوات تكوين هذا الجهاز السياسى ••• كان هو الوحيـــد الذى علم بخطوات التكوين من رئيس الجمهورية وقد كلف شمس بدران بتكوين الجهاز داخل القوات المسلحة ، كما اتصل بعباس رضـــوان الذى شكل مجموعة كان من بين أعضائهـا شعراوى جمعه محافظ السويس •

رئيس الوزراء على صبرى اتصل بالوزراء عبد المنعـــم القيســـونى وأحمد توفيق البكرى وعبد القادر حـــاتم وعبد المحسن أبو النـــور وعبد العزيز السيد وبالعاملين فى رئاســـة الجمهـــورية محمـد فايق

وعبد المجيد فريد وسامي شرف وعبد المجيد شديد عضو أمانة الاتحاد الاشتراكي ومحمد أبو نار (٨ ضباط ومدنيان) ٠

واقتصرت اتصالات محمد حسنين هيكل على عدد محدود جدا من العاملين في جريدة الأهرام ٠ وأمين هويدى الذى اتصل به جمال عبد الناصر شخصيا أثناء وجوده في القاهرة من بغداد قدم لعبد الناصر بعض الأسماء كان من بينها أسماء بعض العاملين في المخابرات العامة والقوات المسلحة فرفضها جمال عبد الناصر فورا ٠

أما أحمد فؤاد فقد اتصل بى وبدأنا تشكيل فرع ليس من بين أعضائه وزير أو محافظ أو سفير أو ضابط سابق ٠٠٠ كل أعضائه من التقدميين الثوريين في مختلف المجالات ، وشكلنا له لجنة قيادية من أحمد فؤاد والدكتور عبد المعبود الجبيلي وأنا ٠

التقت هذه اللجنة في بداية تشكيل الفرع من المشير عبد الحكيم عامر بناء على تعليمات جمال عبد الناصر وتمت المقابلة في منزله بثكنات الجيش بالحلمية الجديدة ، وكان مفروضا أن يستمر الاتصال به ، ولكن ذلك لم يتكرر بعد مقابلات محدودة ٠٠٠ وتبين لنا أن المشير عامر وهو على قمة السلطة العسكرية لم يكن يجد في مثل هذا التنظيم شيئا له قيمة ٠

ونما فرعنا نموا سريعا واستقطب اليه معظم العناصر الناضجة فكريا وسياسيا في مجالات الثقافة والصحافة ، كما انضم اليه عدد من الشيوعيين الذين خرجوا من المعتقلات بعد خمس سنوات كاملة ، وذلك حتى لا يزور خروشوف مصر في زيارته التى تمت لتحويل مجرى النيل عند السد العالى في مايو ١٩٦٤ وهناك معتقل شيوعى واحد ٠

الشيوعيون وطليعة الاشتراكيين

بلغ عدد المنضمين الى فرعنا خلال فترة وجيزة ما يزيد عن ٢٥٠ عضوا معظمهم يصلح كادرا قياديا مؤثرا في مجال عمله أو سكنه ٠

كان موضع تساؤلنا عن سر تكليف عبد الناصر للمشير عامر الاتصال بفرعنا الذى يعتبر الفرع اليسارى التقدمى في التنظيم كله ٠٠ ولم نجد لذلك جوابا الا أن يكون رغبة في ابلاغ المشير بأن القوات المسلحة ليست هى الوحيدة في ساحة العمل السياسى ٠٠٠ أو انه أراد أن يضعف الحساسية في نفسه من ناحية الماركسية عن طريق اتصاله ببعض من كانوا أعضاء في تنظيماتها ٠

وخلال هذه الاتصالات لم يكن عبد الحكيم عامر نافرا من المناقشة أو غير مستجيب لها ولكنه حسب طبيعته كان لا يريد للأمور أن تصل

الى أبعادها الحقيقية ومع ذلك فقد قدم لفرعنا بعض تسهيلات ادارية مثل شقة واسعة تطل على مبنى السفارة الأمريكية كانت تحت تصرف ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة ، ولكنى رفضت استخدامها لاجتماعات الفرع حرصا على السرية من ناحية وتحاشيا لما يمكن أن يدور حولها من تساؤلات ، فظلت مغلقة عدة شهور ثم سلمتها من جديد الى ادارة الشئون العـــامة ٠

٠٠٠ وقد بدأنا الاتصـــال فـورا بالتنظيمين الرئيسيين (الحركة الديموقراطيــة للتحرر الوطنى) و (الحزب الشيوعى المصرى) ، وكان الافراج قد تم عن كافة المعتقلين الذين أمضوا فى المعتقل سنوات طويلة الأمر الذى أدى الى عدم اجتماع اللجنة المركزية لحدتو كاملة من ديسمبر ١٩٥٢ الى مايو ١٩٦٤ لوجود أكثر من نصفها داخل السجن ٠

ويلاحظ أيضا أنه لم يسبق صدور عفو خاص عن أى قضية شيوعية طوال حكم الثورة الا فى أواخر عام ١٩٦٤ ٠

مثل (حدتو) فى هذه المقابلات أحمد رفاعى المحامى وزكى مـراد المحامى وفؤاد حبشى وتمت موافقتهم على الانضمام الى طليعة الاشتراكيين، وأعدت لذلك خريطة كاملة بأعضاء حدتو وتسكينهم مع أعضاء فرعنا فى أماكنهم التى يعملون بها فى القاهرة والاسكندرية والأقاليم ٠٠٠

كما جرت عدة لقاءات مع الدكتـــور فؤاد موسى السكرتير السابق للحزب الشيوعى لم تنته الى قرار واضح ٠

وعندما حمل أحمد فؤاد الخريطة التى تحمـــل أسماء فرعنا مضافا اليهم أعضاء (حدتو) أخذت الحاضرين (جمال عبد الناصر وعلى صبرى ومحمد حسنين هيكل وسامى شرف) الدهشة من سرعة التنفيذ ٠

ووضع الاقتراح الذى تقدم به جمال عبد الناصر شخصيا مع الخريطة التى أعددناها والاقتراحات التى حملها أحمد فؤاد على الرف نهائيا ٠

كانت هذه هى المرة الأخيرة التى يشير فيها الى موافقتــه على دخول التنظيمات الشيوعية بصورة جماعية فى اطار طليعة الاشتراكيين دون قيد ولا شرط ٠٠٠ وان كانت عملية دخولهم كأفراد قد استمرت بعد ذلك ٠

لم يفعل جمال عبد الناصر مثل فيديل كاســـترو ٠٠٠ ولم يربط جهازه السياسى بتنظيمات الشيوعيين ٠

ورغم ان الاقتراح قد صدر منه شخصيا ، الا أن رؤيتـــه للظروف التى أحاطت به ، جعلته يتراجع نهائيا عن قراره ٠٠٠ ومضت فرصـــة

استيعاب مئات من الكادرات السـياسيين المؤمنين بالاشتراكية ليعملوا ويتفاعلوا تحت قيـادة عبد الناصر التى كانت تكتسب ثقة الجماهير وثقتهـم .

كانت بذور الشك والخوف ما زالت موجودة فى قلب الطبقة الحاكمة المعبرة عن الطبقة الوسطى من الطبقة العاملة والتنظيمات المعبرة عنها .

وقد أدى دخـول بعض أعضـاء التنظيمات الشيوعية الى طليعـة الاشتراكيين ومنع البعض الآخر أو التلكؤ فى قبوله ، الى حدوث خلافات فى وجهات النظر ، وقيام مناقشات على نطاق واسع ، وانتهت الى حدث تاريخى لم يحدث فى أية دولة من قبل ... اذ اتخذ التنظيمان الشيوعيان الكبيران قرارا بحل التنظيم بوجهات نظر مختلفة .

وسواء صحت وجهة نظر التنظيمين الكبيرين فى قرار الحل أم أخطأت فان ما تم كان دليلا على توفر حد كبير من الثقة فى قيادة جمال عبد الناصر ودوره فى توجيـه عملية التحول الاجتماعى ... ودليلا أيضا على مرونة الفكر الشيوعى فى مجابهة المواقف المختلفة .

كان صعبا من الوجهة العملية أن تجد التنظيمات الشيوعية فرصة عمل تؤدى فيها دورا مميزا بعيدا عن قيادة عبد الناصر فى هذه المرحلة التى كان يتحرك كل شىء فيهـا نحو التطبيق الاشتراكى ، وكان اختيارا قاسيا لها ان ترفض فرصة الاندماج فى التنظيم الرسمى والعلنى الوحيد حيث تتاح فرصة عمل أكبر وسط الجماهير بطريقة قانونية .

ولكن قرار حل التنظيمات مع ذلك كان يعتبر من الوجهة الماركسية خطأ سياسيا كبيرا ، اذ لا يملك حزب الطبقة العاملة ان يحل نفسه وينهى دوره المعبر عن ارادتها وأهدافها ... لأنه لا يمـكن القول بامكان بناء الاشتراكية بدون الدور القيادى للطبقة العاملة وحزبها الشيوعى .

كان يمكن التوفيق بين الأمرين ... حل التنظيم وبقاء فكرته ... أى حله عمليا وبقاء فكرته نظريا دون تصفية .

ولكن الظـروف فى ذلك الوقت كانت تبشر بتغييرات اجتماعيـة حقيقية .

أما طليعة الاشتراكيين فقد انتقلت من نظام الفروع الذى يتشعب تحت عدد محدود من المسئولين والذى تتنافر طبيعة أعضاء كل فرع مع زيادة التجنيـد ... فرق بين الذين جنـدهم على صبرى من الوزراء والمحافظين والسفراء وغيرهم من كبار الموظفين ... وبين الذين جندهم فرعنا من الكتاب والمثقفين والشباب والمناضلين السابقين .

ليس هذا فقط ... بل أن بعض الفروع كانت تنمو بصورة واضحة ... والبعض توقف عند عدد محدود .

تنظيم حزبي لطليعة الاشتراكيين :

وتقرر ان تأخذ طليعة الاشتراكيين شكلا تنظيميا حزبيا .

وعهد جمال عبد الناصر الى شعراوى جمعة أحد الوزراء الثلاثة للوحدة مع العراق (مع كمال الحناوى وعلى السيد على) ... عهد اليه بمسئولية الأمانة العامة وحدد معه أعضاءها .

ويقول أحمد كامل أحد الضباط الأحرار وأمين الشباب ورئيس المخابرات العامة فيما بعد انه شاهد تأشيرة جمال عبد الناصر وكان وقتها يعمل فى الرئاسة بعد عودته من الرباط ومدريد حيث كان يعمل ملحقا عسكريا .

يقول أحمد كامل أن جمال عبد الناصر قد حدد شعراوى جمعة أمينا عاما للأمانة وأحمد كامل لشئون التنظيم ومحمد المصرى للنشاط السياسى ، وكاتب هذه السطور للتثقيف .

تشكلت أول أمانة لطليعة الاشتراكيين من شعراوى جمعة وعبد المجيد شديد والدكتور حسين كامل بهاء الدين وأمين عز الدين وأحمد شهيب ومحمد المصرى وأحمد كامل والدكتور عبد المعبود الجبيلى ويوسف غزولى ومحمد عروق ومنى كاتب هذه السطور وانضم اليها بعد عدة شهور محمود أمين العالم (٦ ضباط ، ٦ مدنيين) .

تولت الأمانة العامة مسئولية توحيد الفروع وتنظيمها على أساس جغرافى أو مهنى ...

أكبر ما صدمنا به خلال هذه المرحلة هو الاصرار على ابقاء العناصر التى كان معروفا لاغلبيتنا مسبقا انها ليست اشتراكية وليست قادرة على النضال ، أو مهيأة لأى نوع من أنواع التضحية .

بيروقراطية المناصب لعبت دورا رئيسيا فى عدم اعطاء التنظيم فعاليته المطلوبة ، وتركته تحت سيطرة الأسماء المعروفة ، وظهر منذ البداية صعوبة تحويله الى تنظيم نضالى يستطيع ان يسهم بدور ايجابى فى عملية التحول الاجتماعى .

الظاهرة المميزة لتكوين الأمانة هى عدم وجود حساسية عند أغلبية أعضائها مع الماركسية كنظرية اجتماعية ، وتواجد عدد من اليساريين فيها .

وانعكس ذلك أيضا على تكوين لجنة القاهـرة الرئيسـيـة لطليعة الاشتراكيين التى شكلت بقيادة على صبرى وعضوية الضباط السابقين حلمى السعيد وشعراوى جمعة وسعد زايد ومحمد فايق وسامى شرف والدكاترة عزت سلامة ولبيب شقير وابراهيم الشربينى ثم أحمـــد فؤاد وأحمد بهاء الدين وممثلى العمال أحمـد فهيم وفتحى فوده (٦ ضباط ، ٧ مدنيين) .

الملاحظ أيضا زيادة نسبة عدد المدنيين وظهور أسماء جديدة فى قمة العمل السياسى ... مع اختفاء أصحاب المناصب القيـادية فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العلنية ... ودخـــول عدد من التقدميين اليساريين لصفوف هذه التنظيمات بلا حساب .

أمانة طليعة الاشتراكيين لم تضم سوى شعراوى جمعه وعبد المجيد شديد من أمانة الاتحاد الاشتراكى .

بعض العناصر من قيـادات الاتحـــاد الاشتراكى دخلت طليعــة الاشتراكيين ولكنها لم تكن فى القيادة المركزية .

طليعة الاشتراكيين تعمل سرا فى مقرها بسراى الأمير سعيد طوسون بالزمالك (مقر منظمة الشباب فيما بعد) ... ثم فى مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة ، وتصدر نشرات دورية وتكون لجانا للمحافظات .

كان النشـــاط الشديد هو طابع عمل الأمانة فى ذلك الوقت ... تقارير سياسية يومية ترفع الى جمال عبد الناصر وتعود بتأشـيراته فى مساء نفس اليوم لترسل الى الوزراء والمسئولين بتوقيع طليعة الاشتراكيين ... وانتظم صدور النشرة التى أشرف على كتابتها اليساريون من أعضاء الأمانة ، وتناولت عددا من القضايا السـياسية الهامة من وجهة نظـر اشتراكية متحررة ... وتعددت الاجتماعات بين عدد من أعضـاء الأمانة ومسئولى الاتحاد الاشتركى فى المحافظات ... وكان المحافظون فى معظم الحالات هم المسئولون السياسيون لطليعة الاشتراكيين فوق أمناء الاتحاد الاشتراكى ..

واستمرت دفقة النشاط فى الأمانة واضحة حتى حدث احتكاك مع بعض الوزراء الذين كان يسيئهم أن تصل اليهم تأشيرات الرئيس خلال طليعة الاشتراكيين رغم وصولها اليهم فى خطابات مغلقـــة تحمـل هذه الكلمات (سرى للغاية وشخصى ولا يفتح الا بمعرفة سيادته) .

اعترض على اسلوب الخطابات بعض الوزراء مثل الدكتور عزيز صدقى وطلعت خيرى وعندما رفع الأمر الى جمـــال عبد الناصر طلب من طليعـة

الاشتراكيين أن تتوقف عن مخاطبة الوزراء حيث سيكون لهم تشكيل خاص ٠

وارتفعت عندئذ يد التنظيم عن الوزراء فضعفت قبضته على الجهاز الادارى والتنفيذى الى حد كبير ٠

واذا كان قانون الاتحاد الاشتراكى لم ينفذ بادخال رجال القوات المسلحة والشرطة والقضاء الى تنظيمه ، فانه قد بدأ ينفذ فيما يتصل بتنظيم طليعة الاشتراكيين ٠

ـ طليعة الاشتراكيين والقوات المسلحة

كانت السرية التى يتم بها تشكيل التنظيم ، والأفضلية النسبية الناتجة من اختيار الأفراد ، عاملا مشجعا على تكوين تنظيم لطليعة الاشتراكيين داخل الجيش ٠

كان المسئول عن هذا التنظيم الصاغ شمس بدران الذى كان يستمد قوته الهائلة المؤثرة فى الجيش وخاجه من عاملين **أولهما** الثقة المطلقة غير المحدودة التى منحه اياها كلا من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ٠ **وثانيهما** منصبه كمدير لمكتب القائد العام لشئون الميزانية والأفراد ، والأمر الذى اتاح له السيطرة على كل شىء فى القوات المسلحة ، وسهل له وضع العناصر المرتبطة به شخصيا فى المراكز القيادية الحساسة حتى أصبحت تشكل قوة رئيسية خاصة ومؤثرة داخل القوات المسلحة ٠

ولذا لم يكن تشكيل طليعة الاشتراكيين داخل القوات المسلحة عملية عسيرة أو معقدة ٠٠٠ بل نفذت دون مصاعب ، وظلت سرا مجهولا على الكثيرين ، ولو انه عرف فيما بعد انها كانت تسير على نظير طليعة الاشتراكيين خارج الجيش فقد ضمت القادة مثل محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ ثم وزير الحربية بعد أمين هويدى ومحمد أحمد صادق رئيس أركان الحرب ثم وزير الحربية بعد مايو ١٩٧١ ، تماما كما ضمت طليعة الاشتراكيين الوزراء ورؤساء مجالس الادارة وغيرهم من أصحاب المراكز البعيدين عن الفكر السياسى الاشتراكى الأصيل ٠

والاتحاد الاشتراكى يحاول الحركة بطليعة الاشتراكيين ٠٠٠ ولكن تأثيره ما زال محدودا فى المجالات الجماهيرية وفى مواقع الانتاج ٠٠٠ ودوره ضعيف وغير ملموس فى دفع عجلة البناء الاجتماعى الجديد ٠

وكلمة الاشتراكية تردد على كل لسان ، وتدخل فى كل مقال ، وينسب اليها كل انجاز ٠٠٠ ولكنها همسا وبين البرجوازية غير المقتنعة

بعملية التحول القسرى للمجتمع تصب على هذه الكلمة كل الاثام ٠٠٠ وتحولها الى مشجب تعلق عليه كل الأخطاء والانحرافات ٠٠٠ انها أصبحت (الاشتراكية المفترى عليها) كمـــا كتبت فى احـــدى المقـالات بمجلة روز اليوسف ٠

وجمال عبد الناصر يحاول تفسير حقيقة الموقف فيقول عام ١٩٦٥ (احنا ما بقيناش دولة اشتراكيـــة ٠٠٠ احنـــا فى مرحلة انتقـال من الراسمالية الى الاشتراكية ٠٠٠) ٠

ضاعت فرصة تكوين كادر اشتراكى حقيقى داخل الجيش ٠٠ كما ضاعت خارجه ٠٠ ولم يســـمح للاشتراكيين الحقيقيين أعضـــاء طليعة الاشتراكيين بالاتصال بالجيش ٠

واذا كان الشيوعيون قد احتفظوا بقوتهم فى الجيش التى عبر عنها لينين بقوله فى المؤلفات الكاملة ـ المجلد ٣٠ ـ (ان البلاشفة قد اكتسبوا فى الجيش قبل نوفمبر ١٩١٧ قوة سياسية (ضاربة) ضمنت لهم التفوق الساحق فى النقطة الحاسمة واللحظة الحاسمة) فان قيادة ثورة يوليـــو لم تحتفظ فى الجيش بالكادر الذى اعتمد عليه ، وانمـــا انهت وجـــوده كتنظيم للضباط الأحرار ، ثم لم تبذل جهدا حقيقيا لخلق تنظيم حزبى ديموقراطى فى صفوف طليعة الاشتراكيين داخل الجيش ٠

ويقول تبيتو لوبم عضو اللجنة السياسية للجنـة المركزية للحزب الشيوعى الشيلى كما ورد فى ندوة (دراسات اشتراكية ـ عدد يوليـــو ١٩٧٤) ان أراد الشعب أن يكون سيد مصيره لابد له من أن يعمل على اشاعة الديموقراطية فى القوات المسلحة ، فهذا أمر له أهمية حيوية ٠

ما لم يتحقق فى شـــيلى وادى الى اطاحة الجيش بنظـام الليندى الديموقراطى ، لم يتحقق بشكل آخر فى مصر رغم ان القيادة الثورية نبتت فى صفوف الجيش ٠

وظل الجيش بعيدا عن الوعى الســـياسى الديموقراطى معتمدا فى حركته على ارادة قيادته وسيطرتها فقط ٠

ولم يطبق ما ورد فى الميثاق أو يتحقق ٠

ورغم ان جهاز السلطة فى مجموعه لم يكن جهازا اشتراكيا ، الا أن وجود جمـــال عبد الناصر فى مركز السلطة كان هو الضـــمان للعناصر التقدمية والثورية للنضال دون خوف الانقضاض عليها ٠

وخلال هذه المرحلة التى بدأت تنسج فيها خيوط أول تنظيم حزبى حقيقى تقوم به ثورة ٢٣ يوليو ، كان هنـاك تقدير أقل لقوة البرجوازية

الموجودة فى السلطة ، وتقدير أكبر فى امكانيــة قيادة جمال عبد الناصر لعملية التحول الاجتماعى •

ولم يحاول جمــال عبد الناصر أن يضعف من قوة البرجوازية التى تعشش فى مواقع السلطة ، وتقبض على المراكز الحاكمة ••• وتلبس على وجهها قناعا اشتراكيا ، وتطعم جعبتها بمصطلحات اشتراكية •• كما لم يحاول أن يعطى فرصــــة أكبر للعناصر اليســارية ، حتى تدعم التطبيق الاشتراكى •

كان يوجه ضرباته للبرجوازية خارج جهاز الحكم ، ولكنه تهاون مع الذين يتولون المناصب فى أجهزة الدولة • وكثيرا ما قامت الرقابة الادارية بعمل تحقيقات واكتشفت انحرافات ، ولكنها غالبا ما كانت تتحول الى توصيات فى الأرشيف ، وليس كلمة اتهام فى ساحة القضاء •

الفرصـــة الضائعة

كانت الفرصة متاحة أمام جمال عبد الناصر لتطهير أجهزة الدولة والتنظيم السياسى من العناصر المعروفة بأنها رجعية ومعوقة ، ولكنه كان واثقا دائما ان هذه الشخصيات لا يمكن أن تتحرك حركة مضــــادة ضد النظام أو ضده شخصيا ••• وانها تتحرك خلال شريط ضيق محدود •

ولذا فهو لم يشترط بناء طليعة الاشتراكيين من العناصر المناضلة الشريفة وحدها ••• وانما وافق على أن تكون الطليعة صورة مصغرة من الاتحاد الاشتراكى ••• وربما بصورة أفضل قليلا •

كل الظروف كانت مهيأة لبناء تنظيم سياسى فعال ••• ليس شرطا ان يكون ماركسيا كما فعل فيديل كاسترو ••• ولكن جمال عبد الناصر كان يخشى حدوث تطور أكثر يسارية مما رسم ••• حتى لا يخرج الأمر من قبضة العسكريين الذين اعتمد عليهم فى معظم مجالات العمل ••• كما انه كان على حذر دائم وبطريقة مبالغ فيها من خشية أية حركة تنبعث من صفوف الجيش ، وخاصة بعد استقالة عبد الحكيم عامر وعودته •

وقد تاثر جمال عبد الناصر خــلال هذه الفترة بمعتقدات تيتو التى زادت فى نفسه روح الحرص على الا يرتبط بايديولوجية محدودة ، حتى يكون أكثر مرونة فى حركته ••• ورغم أن تيتو شيوعى العقيدة ، الا أنه منظم ومؤسس لفكرة عدم الانحياز ، ومتعاون بدرجات متفاوتة حسب الزمن والظروف مع الدولتين العظميين : الاتحـــاد السوفيتى والولايات المتحـدة •

هذا الى أن التمزق الذى حدث داخـــل المعسكر الاشتراكى نتيجة الخلاف بين الصين والاتحاد السوفيتى قد انعكس أيضـا على احتمالات اندفاع جمال عبد الناصر نحو اقتناع أوثق بالفكرة الاشتراكية .

كل هذه العوامل لم تدفع جمال عبد الناصر الى الاصرار على أن تبنى طليعة الاشتراكيين على قواعد حزبية سليمة وأصيلة .. وتركها تنمو على الأسس الموجودة فى المجتمع بكل ما فيها من سلبيات وايجابيات .

وجمـــال عبد الناصر كان قادرا على ذلك ... ولكنـه لم يكن ـ فيما يبدو ـ راغبا فيه ، وبذا أضاع الى الأبد فرصة خلق ظروف سياسية مناسبة تتيح لقيادته النمو والاستمرار بخلق صلة تنظيمية وثيقة بين قيادة الطبقة الوسطى وقيادة الطبقة العاملة .

قال جمال عبد الناصر لأمين هويدى فى احدى المناقشات (أنا أستطيع أن أبنى حزبا حقيقيا لو أردت) .

اذن هو لم يكن يريد ... فتكوين الحزب على قواعد متينة ومن عناصر مناضلة وغير انتهازية هو أمر يخلق نوعا من المشاركة مع سلطته الفردية الكبيرة ، ويدخل أفكاره فى تعقيدات المناقشة الحزبية الصريحة ، رغم أن هذه كانت الوسيلة الوحيدة لدعم النظام ، وتثبيت أسس البناء الاجتماعى الجديـد .

ولم تؤثر الانقلابات الرجعية التى قامت ضد نكروما فى غانا وموديبو كيتا فى مالى وسوكارنو فى أندونيسيا فى اتجاه جمال عبد الناصر .. كان مستمرا فى انتهاج الاسلوب الذى درج عليه دون محاولة صادقة لدعم المجتمع ببناء سياسى حقيقى .

كان جمــال عبد الناصر يهدف الى ازالة نفوذ الطبقة البرجـوازية الكبيرة ... ولكن دون تغليب طبقة العمال .

انه كان يمضى على سياسة منح العمال أو الفلاحين البسطاء ، دون أن يجعل منهم قوة سياسية فعالة مشاركة فى الأرض .

أثناء الاحتفال بعيد أول مايـو ١٩٦٤ ، خطب أنـور سلامة وكان وزيرا للعمل مطالبا بحقوق جديدة للعمال بعد قانون التأمينات الاجتماعية الذى صدر فى مارس ١٩٦٤ والذى يعتبر قمة القوانين العمالية ، دون ان يتحدث فى ذلك مسبقا مع جمال عبد الناصر ، مما أغضبه غضبا شديدا ، وجعله يرد عليه .

قال جمال عبد الناصر فى خطبته (احنا قلنـا الحد الأدنى للعامل يكون ٢٥ قرش ٠٠٠ هل هوه ده الأجر اللى يكفى ويخـلى العامل يعيش عيشة سعيد ؟ أنا باقول لأ) وضج المكان بالتصفيق والهتاف ٠

ولكنه عندما استدرك قائلا (ولكن طبعا الخمسة وعشرين قرشـا بالنسبة للماضى تعتبر مكسب) قوبل ذلك بوجوم وصمت تام ٠

ولم يعد ممكنا أن تنمو طليعة الاشتراكيين الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى بعيدا عن قيادته العلنية ٠

وحدث تغيير فى المناصـب ٠٠٠ عين زكريا محيى الدين رئيسـا للوزراء ، وغادر على صبرى مقعده ليكون أمينا للاتحاد الاشتراكى بدلا من حسين الشافعى ٠

وتشكلت أمانة جديدة للاتحـاد من على صبرى وكمـال رفعت وعباس رضوان وأحمد عبد الله طعيمة وشـعراوى جمعة وكمـال الدين الحناوى وعلى السيد على وحسـين ذو الفقار صبرى ، وفتحى الديب ، وعبد الفتاح أبو الفضـل ، وعبد المجيد شـديد ، والدكتور ابراهيم سعد الدين ، والدكتـور حسين كامل بهاء الدين ، وعبد الحميد غازى ، ومحمد أبو نصير وأحمد شهيب (ضابطا و ٥ مدنيين) ٠

كان محمد حسنين هيكل قد رتب اجتماعا بين على صبرى وكلا من الدكاترة ابراهيم سعد الدين وعبد الرازق حسن ومحمد الخفيف وهم من الماركسيين العاملين فى صفحة الرأى بالأهرام ٠٠٠ وذلك قبل صدور قرار تعيينه أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى ٠

دارت المناقشة حول كيفية انشاء التنظيم ، وتبنى الماركسيون فكرة التفرغ للمسئولين السياسيين ، وضرورة احيـاء فكرة الجهاز السياسى الواردة فى الميثاق ٠

الذين اسـتمروا فى الأمانة من عهد حسـين الشافعى الى تولى على صبرى المسئولية سـبعة هم الضباط كمـال رفعت وشـعراوى جمعة وكمال الحناوى وحسين ذو الفقار صبرى وفتحى الديب وعبد المجيد شديد وممثل العمال على السيد على ٠

واحتفظ شعراوى جمعة بمنصب وزير الدولة لشئون رئاسة الوزراء الى جانب منصبه كأمين للتنظيم وأمين عام طليعة الاشتراكيين ٠

كان انتقال على صبرى لمنصب الأمانة العـامة للاتحاد الاشتراكى ، اتجاها لاعطاء ثقل معين لهذا التنظيم واقامة رابطـة بينه وبين طليعة الاشتراكيين ، وبعثا للحيوية فيه ٠

وزارة زكريا محيى الدين

هذا الى جانب ان عودة زكريا محيى الدين الى مركز المسئولية الوزارية الأولى فى آكتوبر ١٩٦٥ يعنى تراجعا عن الاتفاق السابق الذى استقر عليه رأى جمال عبد الناصر عند تكوين مجلس السيادة بعد الانفصال وهو اعفاء أعضاء مجلس « قيادة الثورة السابقين » من تولى منصب رئاسة الوزراء ليرفع عن نفسه الحرج ويتحمل المسئولية وحده كما سبق أن ذكرنا •

ويقول زكريا محيى الدين انه لما راجع جمال عبد الناصر فى ذلك عند تولى المنصب ، قال له جمال عبد الناصر ان الظروف قد تغيرت وانه يود أن يبعث الحيوية فى الاتحاد الاشتراكى والوزارة معا •

وقد اتفق الاثنان على برنامج الوزارة أثناء رحلتهما بالطائرة الى مؤتمر القمة الثالث فى الدار البيضاء •

وكان تعيين زكريا محيى الدين لرئاسة الوزارة قد تم بعد فترة كان مسئولا فيها عن الجهاز المركزى للمحاسبات ، وتكشف له خلال عمله كثير من الأخطاء والانحرافات فى أجهزة الحكومة والقطاع العام ••• وكان الدكتور ابراهيم سعد الدين وقتها وكيلا للوزارة فى الجهاز •

ويقول زكريا محيى الدين انه كان يرفع تقارير الى جمال عبد الناصر ببعض الحقائق التى تثير القلق وتوجب الحيطة ، ولكنها كانت تضيع بلا صدى اذ يتم تحويلها الى رئيس الوزراء على صبرى فيحولها بدوره الى الجهة المسئولة عن الانحراف •

لم يكن للجهاز المركزى للمحاسبات قوة تنفيذية ولم يكن له من تأثير سوى على زكريا محيى الدين نفسه الذى غلب عليه الاقتناع خلال فترة اشرافهعليه بأن ينظر الى الأمور من زاوية الربح والخسارة بعيدا عن أى مؤثرات سياسية أو اجتماعية أخرى •

ولذا عين زكريا فى رئاسة الوزارة وهو يتبنى أفكارا مسبقة وخططا واضحة فى ذهنه • وردا على سؤال عما اذا كان جمال عبد الناصر قد أعاد تشكيل الوزارة لتحسين الصلة مع الأمريكان والتقارب منهم ، أجاب زكريا محيى الدين بأن جمال عبد الناصر لم يكلفه بهذا الهدف ولم يشر اليه من قريب أو بعيد بأى توجيه فى هذا السبيل •

ويستطرد زكريا محيى الدين قائلا ان جمال عبد الناصر لم يكن من أهدافه التعرض للقوى الأجنبية أو استفزازها دون سبب ولكنه كان يسحب سحبا لهذه التصادمات نتيجة تكوينه الشخصى وردود الفعل السريعة على تصرفات وتصريحات هذه القوى •

وعن الولايات المتحدة بالذات يقول زكريا محيي الدين ان التفكير في مصادقة الأمريكيين هو أمر قريب من المستحيل لأن البناء السياسي لها يؤثر على استراتيجيتها ... ويدلل على ذلك بأنه خلال فترة الصداقة التي قامت بين مصر والولايات المتحدة في السنوات الأولى للثورة استطاعت اسرائيل أن تكون عاملا مؤثرا في زعزعة هذه العلاقة .

ويضيف قائلا خصوصا اذا كنا نستجيب بسرعة للأحداث وتكون انفعالاتنا هي أساس سياستنا . ورسم زكريا محيي الدين سياسة الوزارة على أساس التهدئة بمعنى قبول بعض سخافات السياسة الأمريكية وعدم الرد عليها مؤثرا عدم المجابهة (على حد تعبيره) ويوضح ذلك بقوله أنه يمكن التسليم بحقائق يصعب على الانسان في المرحلة الآتية التغلب عليها فيؤجلها لمرحلة مستقبلة .. ساعيا وراء فائدة البلد على قدر الامكان.

وقد أمكن لزكريا محيي الدين بهذه السياسة ان يمد أجل المعونة الأمريكية لمدة ستة شهور فقط توقف بعدها امداد مصر بمعونة القمح ... ولم يجد جمال عبد الناصر من سبيل الا مطالبة الاتحاد السوفيتي بالقمح فكان أن حولت بعض المراكب السوفييتية مسارها لترسو في الموانيء المصرية بدلا من الموانيء السوفييتية .

وكانت نظرة زكريا محيي الدين للأمور ترتكز على تحليل خاص فهو يرى الاهتمام بمصر أولا حتى تصل الى مستوى يساعدها على خلق علاقات سليمة بدول الوطن العربي ويقول أيضا انه مع التأمين كسبيل لتعبئة الموارد لتحقيق مشاريع التنمية .. ولكنه ضد نزع الملكية بالكامل كما انه أيضا ضد الرأسمالية الاحتكارية .

يذكر أن جمال عبد الناصر ناقشه يوما في موضوع النزول بالحد الأقصى للملكية عما كان مقررا في قانون الاصلاح الزراعي فقال له زكريا محيي الدين بأنه لا اعتراض عنده على نزول الحد الأقصى الى أي مساحة حتى ولو كانت ٢٥ فدانا على أساس أن يكون ذلك قرارا ، نهائيا حتى يتوفر الاستقرار المطلوب للحكم .

ويفسر زكريا محيي الدين وجهة نظره في التأميم المتصاعد بأنه يؤدي الى فقدان الحرية السياسية حيث تتجمع كل الخيوط في يد الدولة التي يسيطر عليها مجموعة أو فرد تبعا للظروف .

ومن هنا يتضح أن زكريا محيي الدين كان يتبنى آراء لا تتطابق تماما مع آراء جمال عبد الناصر .. ولكنه لم يحدث بينهما صدام فكري ولم يثر بينهما أي نوع من أنواع الصراع الواضح .

وعندما بدأت الوزارة تطبق آراء زكريا محيى الدين ، شـــاع بين الناس انها وزارة انكماش وتراجع عن الخطة وتوافق هذا مع آراء الدكتور مصطفى خليل الذى ولى وزارة الصناعة بعد الدكتور عزيز صدقى .

وتأجل تنفيذ عدد من المشروعات مثل بناء مصانع جديدة للسكر .. بل ان زكريا محيى الدين ألغى تعاقدا كان قد تم الاتفـــاق عليـه مع تشيكوسلوفاكيا .

وهو يبرر ذلك بأن المصانع القائمـة لم تكن تعمل بطاقتها الكاملة وأن المتوفر من زراعة القصب لا يكفى احتياجاتها ... ولذا فلم يكن هناك مبرر فى رأيه للتوسع فى هذه الصناعة طالما هنـــاك ظروف تحول دون استخدام المصانع بأقصى طاقتها .

ولكن الأحداث أثبتت فيما بعد أن هذا التوقف قد أدى الى أن تتعطل امكانيـة تحويل مصر من دولة مصـــدرة للسـكر الى دولة مستوردة له ، وتصرف فى ذلك عشرات الملايين من الجنيهات بالعملة الصعبة .

وقرر زكريا محيى ان يزيد من دخل مصر عن طريق تصدير الأرز ، وما ان أعلن جمـال عبد الناصر ذلك فى احـــدى خطبه بالسويس حتى هرع الناس الى المتاجر فورا ووقفوا أمامها طوابير طويلة لحجز كميات أرز اضافية ... وان ارتفاع السعر قد أدى الى ارتفاع أسعار سلع أخـــرى مثل الزبد واللبن وبيع التجار للسلع المخفضة ... بأسعار أغلى مثل البيرة والكوكاكولا .

ويقول زكريا محيى الدين ان مناقشة دارت بينه وبين عبد الناصر عن ظاهرة الطوابير التى تحتشـد أمام الجمعيات وانه قد تم الاتفـاق على زيادة سعر الأرز من أربعة قروش الى ثمانية للكيلو الواحد ... وكانت هذه الحادثة من المرات النادرة التى أقدمت فيهـا الثورة على رفع الأسعار لسلعة ضرورية تمس حياة الجماهير .

ويقول زكريا محيى الدين أنه كان يستهدف زيادة الدخل القومى ، وأن زيادة أسعار الأرز يقابلها ما تتحمله الدولة من فروق سعر القمح ... خاصة وأن أسعار الأرز فى العراق وليبيا كانت أغلى منها فى مصر .

ويقول أيضـا أن العمالة كانت ٦٠٠ر٦٠٠ر٦ فى عام ٥٩ ـ ١٩٦٠ ارتفعت الى ٧٣٣٣٤٠٠ تتحمل الدولة أجورهم .

ولكن اتجاهات زكريا محيى الدين وتصرفاته التى اسـتهدف بهـا سلامة الاقتصاد من وجهة نظره لم تستقبل بالرضى من جمال عبد الناصر الذى كان يحرص دائما على الاحتفاظ بشعبيته ورصيده عند الجماهير ..

ووصل الأمر بجمال عبد الناصر الى الحد الذى لم يعد يقبـل فيه استمرار هذه السياسة التى تؤدى الى انكماش فى خطة التنمية وتحميل الجماهير مزيدا من الأعباء الاقتصادية ...

وعندما عرض زكريا محيى الدين وجهة نظره على اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى اتخذ جمال عبد الناصر قراره ... وشعر زكريا محيى الدين أن عمر وزارته قد انتهى .. فطلب مقابلته وتأخرت المقابلة عدة أيام ... وفى بدايتها أعلن زكريا رغبته فى الاستقالة فظهرت الراحة على قسمات وجه جمـال عبد الناصر ـ كما يقول زكريا محيى الدين ـ وقال له (لقد أعفيتنى من حرج كبير ... فقد كنت مهموما خلال الأيام الماضية حول ما يجب أن ... أصارحك به) .

وأعلنت استقالة زكريا محيى الدين وتعيين صـدقى سليمان رئيسا للوزراء وصحب ذلك بعض التنقلات فى أعضاء طليعة الاشتراكيين فانتقل شعراوى جمعة من وزارة الدولة ليصبح وزيرا للداخليـة ، ونقـل أمين هويدى من الأعلام ليصبح وزير دولة لشئون رئاسة الوزراء ، وأصبح محمد فايق وزيرا للاعلام والثلاثة كانـوا من أعضـاء أمانة طليعـة الاشتراكيين .

والمثير لتعيين صدقى سليمان عودة من جديد الى مبـدأ ابعاد أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين عن تولى المناصب التنفيذية العليا سـواء كرؤساء أو وزراء .

على صبرى فى الاتحاد الاشتراكى

وكان انتقال على صبرى من منصب رئيس الوزراء الى منصب الأمين العام الاتحاد الاشتراكى هو بمثابة تغيير فى النظرة للعمل السـياسى ، وتأكيد على أهمية الجهاز السياسى الجديد ومحاولة لبعث الحياة فيه .

بدأ على صبرى عمله فى الاتحاد الاشتراكى باقرار مبدأ التفرغ للعمل السياسى وتكوين المكاتب التنفيذية التى كان معظم أعضائهـا من طليعة الاشتراكيين ... كما قرر مرتب نائب وزير الأمين فى كل محافظة ... مما نقلهم نقلة اجتماعية كبيرة ... وجعلهم يدخلون فى دائرة المستفيدين من العمل السياسى .

حتى الذين كانوا ينتدبون من وظائفهم للعمل فى الاتحاد الاشتراكى تقررت لهم نسبة مئوية اضافية تتراوح بين ٢٠٪ وربع مرتب لمرتباتهم ، مما خلق تكالبا على الالتحاق به .

وهنا بدأت ظاهرة جديدة هي اختيار على صبرى لعناصر قيادية فى الاتحاد الاشتراكى من التابعين له شخصيا البعيدين عن رؤية جمال عبد الناصر أو الصلة به ٠٠ وأصبح على صبرى صاحب نفوذ فعلى داخل الاتحاد الاشتراكى ٠٠٠ نفوذ غير جماهيرى لأن طبيعة شخصيته المنطوية الهادئة كانت تتنافر مع ذلك ٠٠٠ ولكنه نفوذ شخصى فى هذه العناصر التى كانت تتعلق بفكره المنظم ٠

وبدأت عجلة العمل فى الاتحاد تدور بسرعة أكبر ٠٠٠ وظهر له نفوذ منافس للأجهزة الأدارية والتنفيذية ٠

وفى كثير من الحالات نجح الاتحاد الاشتراكى فى أداء دور الرقابة الشعبية ، ولكن لم تكن هناك صيغة سليمة لعمله فى مواقع الانتاج ، مما يخلق الديموقراطية المستهدفة لتحقيق التحول الى الاشتراكية بنجاح ٠

المكاتب التنفيذية شكلت بطريقة لا توفر المضمون الصحيح لتحالف قوى الشعب العاملة ٠٠٠ التى يزيد فيها العمال والفلاحون بالملايين عن المثقفين والبرجوازية الوطنية ، ومع ذلك فان الفرصة لم تتح لهم للتعبير عن الوزن الحقيقى لطبقتهم فى قيادات الاتحاد الاشتراكى ٠

نادرا ما كان الفلاح من زارعى الأرض فى تنظيمات الاتحاد ٠٠٠ ونادرا أيضاً ما كان العمل من الذين وقفوا وراء الماكينة :

كان تعريف العامل والفلاح مطاطا يسمح بتسرب الفئات الأخرى الى مقاعدهم ٠

كانت البرجوازية الصغيرة هى المسيطرة ٠٠٠ وكان الحذر شديدا من وصول الطبقة العاملة الى مراكز السلطة الحقيقية فى التنظيم ٠

وتشكلت خلال هذه الفترة منظمة الشباب التى جذبت اعدادا كبيرة منهم فى مراكز تدريب أعدت لهم فى مرسى مطروح وحلوان ، وأشرف عليها زكريا محيى الدين خلال فترة وجود حسين الشافعى فى منصب الأمانة العامة ٠ وعاونه فى ذلك الدكتور محمد الخفيف ومن قبله كان طلعت خيرى الذى عين وزيرا للشباب مسئولا عن تكوين جهاز للشباب من مختلف المحافظات فى معسكر القيم بوادى النطرون ٠

كان اعداد كوادر الشباب يتم بطريقة منتظمة ٠٠٠ ويجذب عقول الجيل الجديد الى السياسة ٠

وقد أسهمت أمانة معهد الدراسات الاشتراكية بقسط كبير فى اعداد المحاضرات والبحوث التى توجه الشباب توجيها تقدميا ملحوظا ٠

وزاد التزاوج بين الاتحـــاد الاشتراكى وطليعة الاشتراكيين عندما سنحب من أمانتها كل من الدكتـور حسين كامل بهـاء الدين ليعمل أمينا للشباب ، وأمين عز الدين ليعمل أمينا مساعدا للقاهرة ، وأحمد شهيب ليعمل فى الأمانة العامة وعبد المجيد شديد .

وعين أحمد كامل محافظا لأسيوط ، ومحمد المصرى أمينـا للاتحاد الاشتراكى بالدقهلية .

وأظهر جمال عبد الناصر مزيدا من الاهتمام بأمانة طليعة الاشتراكيين فضم اليها بعض الضباط المقربين منـــه ... أمين هويدى وزير الاعلام وحلمى السعيد وزير الكهرباء وعبد المجيد فريد أمين القاهرة وسامى شرف سكرتيره للمعلومات ومحمد فايق سكرتيره لشئون أفريقيا وعلى السيد على ممثلا للعمال ، وذلك الى بقية الأعضاء السابقين الذين لم يعينوا فى مناصب أخـــرى .

أصبحت الأمانة مشكلة من ٧ ضباط خمسة منهم عملوا فى المخابرات وأربعة من المدنيين .

هذه التغييرات التى حدثت فى قيادة الاتحاد الاشتراكى وفى جهازه السياسى عبرت عن اتجاه أكثر يسارية وتقدمية .

كان الضباط الذين أوكلت اليهم مسئوليات العمـــل السياسى من المتأثرين بفكر عبد الناصر شخصيا .. الذين انتقـاهم من رجال الصف الثانى ليحملوا رسالتـه .

وكانت الظاهرة الواضحة أن أحدا من أعضـاء مجلس قيادة الثورة السابقين لم يكن له دور فى هذه التنظيمات الجديدة ...

ورغم حيوية هؤلاء الضباط والمدنيين المختارين ... ورغم صلاتهم التنظيمية المتعددة مع الأحزاب الشيوعية والاشتراكية فى الخارج ... ورغم ذوبان الحساسية تدريجيا مع الأفكار الماركسية ، ورغم اكتشـــاف عناصر مبشرة بين الشباب ... فان هذه التنظيمات الجديدة لم تستطع أن تسهم بالقدر الكبير فى خلق تنظيم حزبى فى الطليعة أو جماهيرى فى الاتحاد الاشتراكى ... نتيجة ترددها فى اتخـاذ القرار ... ونتيجة خشيتها أيضا من فتح الأبواب للقوى العاملة لتؤدى دورها الحقيقى .

أمانة الاتحاد الاشتراكى لم تجتمع الا مرات معدودة بطريقة دورية منتظمة ... ثم توقفت عن الاجتماعات تماما ، وأصبح على صبرى يتصل بالأمناء شخصيا ... لوجود وجهات نظر متعارضة بين أعضاء الأمانة كان يتجنب تصادمها فى الاجتماعات ... وخاصة بينه وبين كمال رفعت أمين

الدعوة والفكر ، الذى حاول أن يخلق نشاطا داخليا خاصة فى الاتحاد الاشتراكى فيما عرف باسم (الدعاة) .. كان الخلاف ظاهرا يتمثل أحيانا فى دعوة اتحادات الطلبة لكمال رفعت ودعوة تنظيمات الشعب فى الجامعة لعلى صبرى لعقد ندوات معهم .

وخلاف آخر مستتر بين على صبرى وعباس رضوان المقرب من عبد الحكيم عامر ... الجيش يطل بعينه ونفوذه داخل التنظيم ... وخلافات الضباط تنعكس على العمل .

أمانة طليعة الاشتراكيين كانت أكثر انتظاما وانضباطا فى الاجتماعات الاسبوعية ... ولو انه لم يكن هناك جدول أعمال محدد لكل جلسة تتخذ فيه قرارات ملزمة ... المناقشات العامة كانت هى الطابع السائد للاجتماعات ... والعناصر الماركسية لم تعط لها فرصة أو مسئولية الاشراف على تنظيمات المحافظات واقتصر عملها على الناحية التثقيفية وكتابة المنشورات ... وقد حاولت مناقشة ذلك وتغييره ولكن بلا طائل .

ترجع هذه الحالة أساسا الى ان كل هذه المستويات التنظيمية رغم تربعها على قمة العمل السياسى لم تكن تملك سلطة اصدار قرار ... كانت ترفع الرأى دائما الى جمال عبد الناصر صاحب القرار ... وقد اعتاد الضباط الذين عهدت اليهم مسئولية العمل السياسى أو التنفيذى على ذلك فلم يغيروا من طبيعتهم التى بدأت من نشأة معظمهم فى صفوف جهاز المخابرات الذى يجعلهم أقل كلاما وأشد حرصا .

ونتيجة لسيادة هذا الجو الذى تتقوقع فيه الشخصيات وتضمر الطاقات ، وتعيد فيه التفكير على ارادة السلطة العليا نبتت تناقضات بين المسئولين عن العمل السياسى وبين على صبرى من جهة وشعراوى جمعة وسامى شرف من جهة أخرى رغم خلاف طبيعة الاثنين .

كانت كتابة التقارير لمركز السلطة هى السند الرئيسى للشخصيات المختلفة ولم يكن مهما .. بل لعله كان مطلوبا ان تقدم كل المعلومات والأخبار المتيسرة حتى لو اساءت الى المقربين .

وقد انعكست هذه الحالة داخل كل من الاتحاد الاشتراكى وطليعة الاشتراكيين . وكادت تصبح كتابة التقارير عن اتجاهات الرأى العام هى أهم نشاط للأعضاء ، وكان ذلك نتيجة طبيعية لتولى ضباط المخابرات السابقين المسئولية السياسية الجديدة وحجب اليسار عن المشاركة الحقيقية فى العمل لسياسى .

ومع ذلك كان الاتجاه الى اليسار يزداد وضوحا ، ولكن التنظيمات مازالت ورقية غير حديدية ، جبهوية أكثر منها اشتراكية حقيقية ...

وجمال عبد الناصر يحاول أن يعطى للتنظيم دفعة قوية ، فيعلن انه يمارس عمله من مكتبه في الاتحاد الاشتراكى ٠٠٠

ولكنه أبدا لم ينفذ ٠

ومن الصدمات التى تعرض لها العمل السياسى اعتقال ثلاثة من أهم العناصر العاملة فى حقل السياسة ٠٠٠ الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الأمانة العامة والمسئول عن المعهد الإشتراكي ولطفى الخولى رئيس تحرير الطليعة وأمين عز الدين المسئول التنظيمى في أمانة القاهرة ، والتحقيق معهم بوساطة شعراوى جمعة وسامى شرف بتهمة الاتصال بعدد من الشباب الذين اعتقلوا لارتباطهم بتنظيم القوميين العرب ٠

قيل يومها ان الاعتقال والتحقيق تم على مستوى سياسى ٠٠٠ ولكن الحقيقة أنه كان اعتقالا بوليسيا ٠٠٠ وان الشباب قد عوملوا معاملة بوليسية وان بعضهم كان فى غاية النضج والوعى ٠٠٠ والاخلاص لثورة يوليو وجمال عبد الناصر ٠

كان المسئول عن هذه المجموعة سمير حمزة الذى كان قد أعد تنظيما من الشباب تابعا للقوميين العرب ولكن سامى شرف اتصل به واستوعب تنظيمه فى طليعة الاشتراكيين وضم سمير الى مجموعته ثم عين مسئولا للتثقيف في منظمة الشباب ، حتى قبض عليه وتشكلت معه ومع زملائه لجنة تحقيق من على صبرى وشعراوى جمعه وحسين كامل بهاء الدين ٠

قيل يومها ان هذه محاسبة سياسية ولكنها كانت فى اسلوب تنفيذها بوليسية ٠

الاخوان المسلمون وزلزال كمشيش

عندما وضح موقف الاتحاد الاشتراكى سياسيا ، وتراجعت عنه قوة الضباط اليمينيين والرجعيين ، وبرز الصف الثانى من الضباط المتأثرين بفكر عبد الناصر شخصيا ، والذين يمكن احتسابهم على اليسار ٠

عندما وضح ذلك بدأ تكتل من العناصر الرجعية فى المجتمع ٠٠٠ لم تتحرك قوى الأحزاب السياسية القديمة ٠٠٠ كانت قد ذابت وتلاشت ٠

ولكن تحركت عناصر الاخوان المسلمين التى كان قد أفرج عنها ، أو تولدت فى موجة عداء للاشتراكية واكتشفت حركة هذه العناصر أولا فى محافظة الدقهلية بوساطة بعض أعضاء طليعة الاشتراكيين ٠

وابلغ الأمر الى جمال عبد الناصر الذى حول المعلومات الى وزارة الداخلية ، ولكن الوزير عبد العظيم فهمى مدير المباحث العامة السابق افاد بعدم امكانية الاستدلال على نشاط حقيقى للاخوان ، وآثار الشكوك حول صحة المعلومات ·

وعندما أصر أعضاء طليعة الاشتراكيين على أقوالهم ، أعيد الأمر من جديد الى وزارة الداخلية ··· وجاء نفس الرد السابق ··· واستمر اصرار أعضاء التنظيم على صدق معلوماتهم ·

ولم يجد جمال عبد الناصر بدا من الاستعانة بالمباحث الجنائية العسكرية التى سبق أن ذكرنا بعض جوانب نشاطها التى ظهرت من جديد ··· وأمكن للمباحث أن تضع يدها على تنظيمات وخلايا جديدة للاخوان المسلمين ، قدم أعضاؤها للمحاكمة فيما بعد ، وصدرت عليهم الأحكام ·

كانت عودة المباحث الجنائية العسكرية للعمل البوليسى ضرورة فرضها عجز أجهزة البوليس أو تواطؤها مع عناصر الرجعية ·

وأراد جمال عبد الناصر أن يوجه الاهتمام الى جهاز البوليس الذى طالما ندد به واعتبره امتدادا للقديم ··· أعين شعراوى جمعة أمين التنظيم بالاتحاد الاشتراكى وأمين أمانة طليعة الاشتراكيين وزيرا للداخلية فى محاولة لتسييس البوليس ·

عدم التركيز على تكامل التنظيمات السياسية وتكوينها على أسس نضالية ، وعدم معاملة طليعة الاشتراكيين كحزب ثورى يحتاج فى بنائه الى مواصفات خاصة ··· هو ما سمح للأجهزة الادارية وأجهزة الأمن أن تمارس دورها بالأساليب القديمة ·

وهو ما دفع جمال عبد الناصر الى الاستعانة بالجيش عند كل أزمة يتعرض لها النظام ··· من المجمعات الاستهلاكية الى هيئة النقل الى اكتشاف خلايا الاخوان ···

وتفجر حدث عارض كان بمثابة زلزال اجتماعى ·

صلاح الفقى أحد أفراد أسرة الفقى الاقطاعية فى قرية كمشيش اتهم بقتل صلاح الدين حسين عضو لجنة الاتحاد الاشتراكى بقرية كمشيش يوم ٤ مايو ١٩٦٦ ·

وعائلة الفقى سبق أن نشرت مجلة المصور تحقيقا عن تصرفاتها يوم ١٤ اغسطس ١٩٥٣ وما تفرضه على القرية من ضغط وارهاب وحظر تجول ·

وكانت مجلة روز اليوسف قد قامت قبل ذلك بأسابيع بحملة قوية شملت عدة تحقيقات عن تهريب الأرض أى الاحتفاظ بملكية تزيد عما ورد فى قانون الاصلاح الزراعى بطرق احتيالية ٠

وأثار مصرع صلاح حسين غضبا شديدا ، وأصبح حديث المجتمع ٠٠ ووجد فيه البعض اعتداء على تنظيم الثورة ٠

وشكلت لجنة لتصفية الاقطاع تراسها المشير عبد الحكيم عامر ، بعد تحقيق قامت به المباحث الجنائية العسكرية بعد تبليغ من حسين عبد الناصر شقيق الرئيس الذى كان أول من لفت الأنظار الى الحادث ومدلوله السياسى كما قال الصاغ حسن خليل ٠

يقول زكريا محيى الدين انه قبلها انحرافا وراء اظهار السلطة ٠ خاصة وانه استخدم فيها قوات المباحث الجنائية العسكرية ٠

ويقول حسن خليل قائد المباحث الجنائية العسكرية ان المشير قد قبل ذلك لحماية الثورة واحساسا منه بالخطورة التى تهددها ٠

والواقع أن المشير كان متخما بكثير من المناصب ٠٠٠ كان رئيسا للجنة الاقتصادية العليا ورئيسا للجنة السد العالى ، ثم رئيسا للجنة تصفية الاقطاع الى جانب رئاسة اتحاد كرة القدم ٠

وظهر عامر والجيش على سطح المجتمع ٠ وطارد فلول الاقطاعيين فى القرى ، وأصدر الأوامر لهم بمغادرة الباقى من أراضيهم الى المدن ٠٠٠ ووضع البعض منهم تحت الحراسة ٠٠٠ وأشاع بحركته مع قوات الجيش عند الاقطاعيين شعورا مشابها بما ساد فى الفترة الأولى للثورة بل وأحيانا أشد قسوة ٠٠٠ فعند تطبيق قانون الاصلاح الزراعى لم يستخدم الجيش ٠٠٠ ولكن لجنة تصفية الاقطاع لجأت اليه ٠

كانت اجراءات لجنة تصفية الاقطاع فى غاية الحزم ٠٠٠ تأخذ طابعا عسكريا لا شك فيه ٠

نشرت مجلة آخر ساعة تحقيقا صحفيا عن أحد ضحايا الأسر الاقطاعية فى محافظة المنيا ، ونشرت تفاصيل الجريمة مشيرة الى اتهام أسرة اقطاعية معروفة ٠

وحضر الى دار المجلة أحد ضباط المخابرات وهدد بقتل المحرر اذا جرؤ على الاستمرار فى النشر ولجأ المحرر الى ادارة المباحث الجنائية العسكرية التى حقق قائدها الصاغ حسن خليل فى الموضوع بسرعة ودقة شديدين وسأل رئيس التحرير صلاح حافظ ومدير التحرير سعد كامل ٠

ولم تكن تمضى عدة أيام حتى كان ضابط المخابرات العامة قد نقل من مكانه ، وبدأت النيابة العامة تحقيقا مع الاسرة الكبيرة ٠

وكانت التناقضات بين الرئيس والمشير تنعكس أحيانا على أعمال هذه اللجنة ٠٠ ففى ليلة زواج ابنة شعراوى جمعة وزير الدولة وأمين التنظيم فى نادى ضباط الجيش بهليو بوليس ، فوجىء حسن خليل حسب روايته بعبد المجيد فريد يستدعيه لمقابلة المشير بعد توقف جمال عبد الناصر أمامه لحظة مصافحته وفى عينيه نظرة غضب ٠

وأبلغه المشير ان الرئيس تلقى شكوى من أحد أهالى كمشيش وطلب منه السفر فورا للتحقيق فقام فى منتصف الليل وصاحبه فى ذلك الفريق عبد المحسن مرتجى كعنصر محايد ، واللواء عوض الأحول نائب أحكام الجيش ، وحسن طلعت مدير المباحث العامة ٠

وثبت فعلا أن شخصا تعرض لإهانة غير ضرورية وقدم أحد الصولات للمحكمة وحكم عليه بالسجن ٦ شهور ٠

ولعل وجود عبد الحكيم عامر على رأس هذه اللجنة يجيب على تساؤل البعض حول حقيقة اتجاهاته الفكرية والاجتماعية ٠٠٠ فهو رغم كل ما ثبت من تناقضات بينه وبين عبد الناصر ، ورغم أصوله الطبقية التى تعتبر متميزة قليلا عن زملائه فهو وعبد اللطيف البغدادى هما الوحيدان من أبناء العمد ٠

رغم ذلك فان عبد الحكيم عامر كان مخلصا تماما لاتجاهات الثورة مؤمنا بتنفيذ خطتها ٠٠٠ لا يبذل جهدا كبيرا فى مناقشة ما يتوصل اليه جمال عبد الناصر ٠

ولعل هذا هو ما دفع الاتحاد السوفيتى عند زيارة خروشوف لمصر قبل سنتين الى تقديم لقب بطل الاتحاد السوفيتى اليه والى جمال عبد الناصر ٠

أظهرت لجنة تصفية الاقطاع عيوب تطبيق قانون الاصلاح الزراعى وعجز المسئولين عن تطبيقه بما يخدم الاقتصاد القومى ويخدم الفلاح أيضا ٠

وكان تأميم الأرض فكرة واردة فى هذه المرحلة كخطوة لتنفيذ المزارع الجماعية ٠

ولكن جمال عبد الناصر لم يفكر فى تأميم الأرض ٠

قال « تأميم الأرض في مصر غير وارد لأن النسبة ملايين فدان اللي عندنا لا تسمح بهذا أبدا ... ولما كل عيلة تأخذ ٥ الي ١٠ فدادين تبقى ساعدت على الاشتراكية » •

ومع ذلك كانت التناقضات في القــرية هي التى أدت الى الصراع الطبقى الذي راح صلاح حسين ضحية له •

التناقض نوعان ... بين الفلاحين وبين الاقطاعيين والرجعيين وهو لا ينتهى بصدور قوانين الاصلاح الزراعي ، ولكن بالنضال ضد نفوذهم وآرائهم التى بثوها كاداة للقهر طوال آلاف السنين ... وهذا ما لم تحققه الثورة للفلاحين بتنظيمهم فى وعاء تنظيمى فعال وقادر على التعبير عن آرائهم والدفاع عن مصالحهم •

وهناك تناقض آخــر نبت فى القرية المصرية بين عمــال التراحيل (بروليتاريا الفلاحين) وبين ملاك الأرض مهما كانت مساحة ملكيتهم •

الفلاحون فى مصر ٧٠٪ من السكان ، ومساحة الأرض المنزرعة هى ٤٪ من مساحة مصر •

وتمثيل الفلاحين والعمال بنسبة ٥٠٪ فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى وفى مجلس الأمة برزت وجوه جديدة بين الفلاحين ... ولكن أحدا منهم لا يمارس الفلاحة بيده كمهنة ، ولكنــه دائما من ملاك الأرض أو المنتمين للأسر الكبيرة •

وعندما يدخل مجلس الأمة ، أو يقع عليه الاختيار عضوا فى قيادات الاتحاد الاشتراكي ، يتغير موقعــه الاجتماعى ، ويزداد ايراده ، ويصبح أقرب الى التهاون مع السلطة على حساب مصلحة طبقته •

الفلاح فى عرف المؤتمر الأول للاتحاد الاشتراكى هو من تكون الزراعة حرفته ومصدر رزقه ، ومقيما اقامة مستقرة فى منطقة عمله ، ولا يزيد ما يحوزه هو وأسرته ملكا أو ايجــارا (زوج وزوجــة وأولاد قصر) عن ٢٥ فدانا ، والا يكون ممن حددت ملكيتهم طبقا لقوانين الاصلاح الزراعى ، والا يكون من الموظفين أو المستخدمين العموميين •

الفلاح الذي يزرع بيديه ... الفقير الذى لا يملك الا قوت يومه ... ما زال أمامه سد كبير للوصول الى المشاركة الحقيقية فى قيادات الأجهزة السياسية •

التغيرات التى حدثت فى حياة الفلاح وفى القرية ، هى أكبر مما حدث خلال ٧٠٠٠ عام .. ولكنها بعد ليست كافية لتحرير الفلاح تحريرا كاملا•

الفرصة ما زالت متاحة لمن يملك فى حدود ٢٥ فدانا ... وهو فى القرية لا شك سيد وقادر وبعيد اجتماعيا عن بقية الفلاحين ... أقرب اليهم من ساكن المدينة أو عضو البرلمان السابق ... ولكنه ليس منهم تماما .

وحتى اذا كان قريبا منهم ، ويعيش حياتهم ، فانه مع دخوله مجلس الأمة ، أو قيادات الاتحاد يتعرض لعملية جذب مادية تزيد من الفارق بينه وبين الفلاحين ... مرتب عضو مجلس الأمة ٧٥ جنيها وصل بعد ذلك الى ١٢٥ ، واعطيت لهم أسبقيات فى حجز عربات نصر بالتقسيط على سائر المواطنين ، كما اعطيت لهم شقق فى مبانى الدولة بأسبقيات خاصة ، هذا الى جانب المرتبات الاضافية التى يحصل عليها المتفرغ للعمل السياسى .

قال كارل ماركس (عندما تصبح سلطة الدولة فى أيدينا لن يكون بالامكان أن ننتزع ملكية الفلاحين الصغار بالعنف بتعويض أو بغير تعويض ... مثلما سنكون مضطرين لأن نفعل بالنسبة لكبار الملاك ... ان مهمتنا ستكون تجاه الفلاح الصغير قبل كل شىء هى توجيه اتجاهه الخاص . وتوجيه ملكيته الخاصة فى السبيل التعاونى لا بواسطة العنف ، ولكن عن طريق المثل ، وتقديم مساعدة المجتمع لهذا الغرض ومن المؤكد أنه سيكون لدينا من الوسائل لاقناع الفلاح بجميع المزايا التى يتسم بها هذا التحول ، والتى لابد من توضيحها له منذ الآن) .

التعاون فى مصر لم ينجح ، والجمعيات التعاونية التى انشئت ، لم تستهدف اقامة تعاونيات تجمع أرض الفلاحين تحت ادارة فلاحية واعية ومنظمة وقادرة على اقناع الفلاح بأن ادخال أرضه فى التعاونيات هو لمصلحته الذاتية أولا .

الجمعيات التعاونية التى انشئت تحولت الى ما يشبه دكان بنك التسليف ... ورغم انها تشكل بالانتخابات ، الا أن الفلاح البسيط يعتبر فريسة عندها تنهش من أمواله ما وسعها ، لأنه لا يجد سبيلا آخر للشراء ، ولا يقتنع بجدوى الشكوى للجهات المسئولة لأنه تاريخيا وخلال آلاف السنين يعرف أن الادارة هى يد الحاكم التى تقبض على الأعناق ... والشكوى لن ترفع يد الحاكم ... ولذا فهو يفضل أن يخسر بعض أمواله على أن يخسر كل وقته ... ويدخل بعد ذلك فى متاعب يعجز عن التخلص منها .

التجميع الزراعى الذى بدا تطبيقه فى محافظتى كفر الشيخ وبنى سويف كان هدفه فى رأى جمال عبد الناصر حسب ما قال فى محادثات الوحدة (التجميع الزراعى معناه زراعة تعاونية مش مزارع تعاونية .. ده الحقيقة أقصى ما يمكن تطبيقه فى مصر) .

اقصى ما يمكن تطبيقه فى حدود قدرات البرجوازية الصغيرة الحاكمة ••• أو فى حدود رغبتها انتظام الفلاحين فى تعاونيـــات يفرض قوتهم السياســـية والاجتماعية ••• وهو أمر تحاشــته الثورة مع العمال ، وتتحاشاه مع الفلاحين أيضا •

الدولة تباشر سيطرة غير مباشرة لاحتكارها التسليف والسماد ومواد الوقاية ؛ والمقاومة وآلات الرى ••• وشراء القطن •

أبعدت بذلك التاجر الجشع ••• لكنها قامت بدوره بصورة أخرى•

تعمل من أجلهم ••• وليس بهم •••

حتى عام ١٩٦٤ كانت جملة الأرض التى وزعت على الفلاحين المعدمين ٩٤٤ر٤٥٧ فدانا كما قال جمـــال عبد الناصر فى خطبة افتتاح مجلس الأمة • الذى ضم لأول مرة فى حياة مصر ٥٠٪ من أعضائه عمالا وفلاحين حسب نصوص الميثاق •

ومع ذلك يقول تقرير البنك المركزى انه يوجد ٣ ملايين فلاح معدم عام ١٩٧١ (انظر الطليعة عدد فبراير ١٩٧١) •

وحادث كمشيش كان زلزالا فى المجتمع الزراعى ••• ولكن كل الاجراءات اســـتهدفت ضرب فلول الاقطاعيين واضعاف نفوذهم ، دون محاولة جادة لاطلاق الحرية لتنمية قوة الفلاحين واطلاق طاقاتهم ليواصلوا الدفاع عن أنفسهم ••• بدلا من الدفاع الادارى لأجهزة الدولة •

وهكذا ظل التطبيق الاشتراكى بعيدا عن قاعدته الجماهيرية ••• يصل اليهم من فوق دون تفاعل حى مع الجموع •

ومع ذلك تميزت سنوات ما بعد ١٩٦٤ بانها كانت أكثر السنوات وضوحا فى مسألة التحول الاجتماعى ••• وكانت التغيرات التى تمت فى مجال التنظيم السياسى ، مبشرة بجدية المحاولة •

يقول ماكسيم رودنسون فى كتاب (مصر منذ الثورة) لفاتيكيوتس (لم يعمد أعضاء الطبقات الدنيـــا فى الحزب الى تحـدى الدور المسيطر للنخبة الحديثة والقديمة ••• ففى الحياة المصرية يرتضى الفقراء والأميون مركزهم المتواضع ••• وهكذا لم يتبن الحزب عملية التجديد) •

لم تحدث تحديات فعلا داخـــل الحزب (الاتحاد الاشتراكى) لأن اختيـــار معظم العناصر للمراكز القيادية على مختلف المستويات كان يتم أساسا عن طريق التأكد من ولائهم ، وبأنهم لا يحملون بذورا ثورية تدفع بهم الى مطالبـة النظـام بأكثر مما يطيق أو يحتمل ••• هذا الى جانب

التغيرات الاجتماعية التى حدثت فى حيــاة العمــال والفلاحين ، والتى لم تحررهم تحريرا كاملا من متاعبهم الاجتماعية ، ولم تصل بهم الى مرسى الاشتراكية ... الا أنها غيرت من واقعهم القديم تغييرا كبيرا ، وجعلت لهم صوتا مسموعا ، وخففت عنهم قبضة الاستغلال .

وبالتأكيد زرعت الأمل فى قلوبهم لمستقبل أفضل .

كان جمال عبد الناصر أكثر زملائه العسكريين اهتمــاما بالطبقات الفقيرة ... قال لزملائه أكثر من مرة (أنا مش عاوز حد يكلمنى عن واحد بياخد أكثر من ٣٠ جنيه على انه مسكين ... المساكين اللى بياخدوا أقل من كده) .

المعتقدات الشخصية جعلت منه حليفا للعمال والفلاحين ... وساعد على ذلك نشأته البسيطة فى أسرة متواضــعة ... ولكن هذه المعتقدات لم تتحول الى أيديولوجية ثابتة .

كل ما صدر عن الثورة خلال هذه الفترة حتى الميثاق رغم أهميته وايجابيته باعتباره أول وثيقة مكتوبة لم تشكل أيديولوجية متكاملة .

لعبة الصحافة

ظلت الاشتراكية رغم كل شىء كجسم الفيل يتلمسه العميان ... كل يراه حسب موضع يده .

ومع ذلك كانت تحدث تغييرات ايجابية فى الأفكار والمعتقدات يوما بعد يوم ... ساعد على ذلك اهتمام عبد الناصر بأن يتولى أجهزة الصحافة والاعلام عناصر اشتراكية واعية .

الصحافة كانت ترمومترا لا يخطىء ، ينبىء عن اتجاهات جمــال عبد الناصر ... الذين يتولون المسئوليــــة فيهــا يفسرون احتمالات المستقبل .

كل الذين عهد اليهم بمسئوليات رئاسة الدور الصحفية كانوا من الضباط ... أنــور الســــادات ، أمين شاكر ، لطفى واكد ، محسن عبد الخالق ، خالد محيى الدين ، كمال الدين رفعت ، كمال الدين الحناوى ويوسف السباعى وكاتب هذه السطور ... ولكنهم جميعا غيروا مواقعهم ، ولم يبق منهم واحد فى ميدان الصحافة أو منتميا للنقابة ســوى خالد والحناوى والسباعى .

لم يكن أغلبهم صحفيين وكتابا بالمهنة ... وانما بالمسئولية .

وكان هناك تنافر واضح وشديد بين اتجاه الدولة الى تطبيق يصل الا الاشتراكية ... وبين أفكار بعض المسئولين فى دور الصحف .

الأهرام كانت تحت رئاسة محمد حسنين هيكل المقرب جدا من عبد الناصر ، والمعبر الى حد بعيد عن اتجاهاته الفكرية ، والصائغ دائما لخطبه الهامة ومكاتباته الرسمية ... وهو الذى وافق وأصدر عن الأهرام مجلة الطليعة التى رأس تحريرها أحمد لطفى الخولى مع مستشارى تحرير من الدكاترة ابراهيم سعد الدين وعبد الرازق حسن وجمال العطيفى ولطيفة الزيات ورشدى سعيد ومحمد الخفيف والأستاذ أمين عز الدين .

اربعة من هؤلاء كانوا معتقلين ..

وكان قد سبق صدور مجلة الطليعة ظهور صفحة الرأى فى الأهرام . وهى صفحة عهد بتحريرها الى هذه المجموعة فنشرت مقالات جادة ، وأسهمت فى اعطاء ثقل فكرى معين لصحافتنا اليومية ، وظهرت فيها بحوث ودراسات اشتراكية علمية .

دار الهلال كانت تحت رئاسة احمد بهاء الدين الكاتب التقدمى المعروف ، والمتفهم لطبيعة المرحلة وظروف التغيير .

أما أخبار اليوم فكانت تحت رئاسة الأخوين مصطفى وعلى أمين ... المعروفين بصلاتهما الغربية الوثيقة ، الحديثين بولائهما ودعايتهما المبالغ فيها للملك فاروق ، ثم التهجم المبالغ فيه أيضا على علاقاته الشخصية بعد سقوطه وتجاهل أخطائه السياسية .

وروز اليوسف كانت ما زالت تحت رئاسة صاحبها احسان عبد القدوس .

وحدث تغيير مفاجىء فى مواقع المسئولية .

استدعى جمال عبد الناصر اليه كلا من أحمد فؤاد وخالد محيى الدين فى نوفمبر ١٩٦٤ وصارحهما بوجود ثغرة واسعة بين ما يهدف اليه من تطبيق اشتراكى وبين ما تنشره الصحف من اثارة ، وقصص جنسية بعيدة كل البعد عن اهتمامات الجماهير .

وكلف أحمد فؤاد بمسئولية الاشراف على دار أخبار اليوم ، وخالد محيى الدين برئاسة مؤسسة روز اليوسف ... ثم حدث تبادل بين المسئوليتين عندما أبدى خالد محيى الدين أنه كلف سابقا بالعمل فى الصحافة اليومية (المساء) .

وأصدر جمال عبد الناصر قرارا بتعييني رئيسا لتحرير مجلة روز اليوسف .

يد عبد الناصر تلتقي من جديد مع أيدي الماركسيين ... بعد فترة اعتقال امتدت خمس سنين ... وأتاح هذا التغيير لهم فرصة اللقاء مع الجماهير على صفحات الصحف بحرية أوسع ، وأصبح هذا التيار الفكري الجديد عاملا مساعدا هاما في عملية التحول الاجتماعي •

واتجه الى الصحافة عدد كبير من الذين كانوا معتقلين خلال السنوات السابقة ... كانت هذه هي الأماكن الوحيدة التي وضع في مناصب الرئاسة فيها ماركسيون •

ولم يكن المشير عبد الحكيم عامر غائبا عن هذه التغييرات ... كان قد فرض قبل ذلك حلمي سلام رئيسا لمجلس ادارة دار التحرير ورئيسا لتحرير جريدة الجمهورية في أغسطس ١٩٦٤ ومنحه دعما ماليا قدره ٣٥٠ ألف جنيه رغم تعليمات جمال عبد الناصر بعدم دفع أي اعانات للمؤسسات الصحفية •

وحلمي سلام كاتب قريب من أفكار الحزب الوطني الجديد وعلى صلة وثيقة ببعض رجاله ولكنه لم يكن عضوا في طليعة الاشتراكيين ... وقد بدأ حياته في المؤسسة بموقف أثار عليه الصحفيون ... اذ انه اشترط عند تعيينه تخفيف العمال في الدار بنقل بعض الصحفيين الى مؤسسات صحفية أخرى ...

استدعى الدكتور محمد عبد القادر حاتم وزير الاعلام محمد علي بشير العضو المنتدب للدار وضابط سابق .. وأبلغه أن حلمي سلام قد سافر الى بور سعيد وانه سيعود بعد شهر ليجد هذه الأسماء — وقدم له قائمة بمائة وخمسين أسما — قد نقلوا الى مؤسسات أخرى ، وصدر الأمر محملا على انه تعليمات من الدكتور حاتم وهو الذي اراد أن يتم الأمر سرا منعا اثار غضبه •

نقل الصحفيون الى مؤسسات غير صحفية في ادارات الشئون العامة ... وكان من بينهم اسماء معروفة ... عبد الرحمن الخميسي ونعمان عاشور وعبد الرحمن الشرقاوي وسعد مكاوي وغيرهم (١٥٠ صحفيا وعاملا واداريا) •

ولم تمض الأمور هادئة في مؤسسة دار التحرير ... وظهرت المباحث الجنائية العسكرية في ميدان الصحافة أيضا ... استدعاها حلمي سلام في ٤ يناير ١٩٦٤ للتحقيق فيما قيل عن وجود اختلاسات بالمؤسسة ... وهجم أفراد المباحث على بعض الموظفين في مكاتبهم واعتقلوهم للتحقيق معهم ...

وروابط أفراد المباحث الجنائية العسكرية فى دار التحرير لا يغادرونها حتى وصل الأمر بجمال عبد الناصر الى غايته ، وقرر فصل حلمى سلام بعد نشره محضرا لجلسة سرية عقدها رئيس الجمهورية فى مجلس الأمة ودعا اليها عددا محدودا من قادة القوات المسلحة والمحافظين ورؤساء تحرير الصحف يوم ١٧ مايو ١٩٦٥ ••• ودخل ذلك فى باب الصراع الخفى بين الرئيس والمشير ••• وتولى رئاسة المؤسسة من بعده مصطفى بهجت بدوى •

واصبح المسئولون عن الصحف جميعا أعضاء عاملين فى طليعة الاشتراكيين ••• محمد حسنين هيكل مع مجموعته بالأهرام وصلاته الخاصة بعبد الناصر ••• خالد محيى الدين ، أحمد فؤاد ، أحمد بهاء الدين ، مصطفى بهجت بدوى ، كاتب هذه السطور •

وقد أدت طليعة الاشتراكيين دورا بارزا فى حشد عدد من شباب الكتاب والصحفيين حتى أصبح التيار الوطنى التقدمى سائدا فى مجال الأعلام بصورة واضحة •

أزمة الثقافة

وحدث تغيير فى الثقافة أيضا •

وبداية وزارة الثقافة كانت على يد فتحى رضوان أول وزير لها عام ١٩٥٦ يعاونه الدكتور حسين فوزى وكيلا للوزارة • ويحيى حقى مديرا لمصلحة الفنون التى كانت تضم نجيب محفوظ وغيره من المثقفين •

بداية هذه الوزارة كانت مبشرة ••• فقد ارست عدة مشروعات هامة مثل انشاء أوركسترا القاهرة السيمفونى ، واقامة مدينة الفنون التى تضم الكونسرفتوار ومعهد الباليه ، ومعهد السينما ، والمعهد العالى للفنون المسرحية ••• ونجح المسرح القومى ثم مؤسسة المسرح فى اقامة نهضة مسرحية لم تشهدها مصر من قبل ، وفتحت الأبواب للكتاب التقدميين الشباب ••• نعمان عاشور ويوسف ادريس وسعد الدين وهبه ، والفريد فرج وغيرهم من الذين واصلوا المسيرة معهم وكان توفيق الحكيم الذى حافظ على حيوية أفكاره واستمر رائدا فى المسرح بلا جدال •

وعندما استقال فتحى رضوان ، عين الدكتور ثروت عكاشه وزيرا يعاونه الكاتب الصحفى عبد المنعم الصاوى وكيلا للوزارة ••• وفى عهدهما استمر التيار الثقافى فى تدفقه ، وارتفع صرح الأفكار التى تبناها فتحى رضوان •••

وأصبحت الثقافة تلعب دورا رئيسيا فى حياة الجماهير ... الى ان سقطت وزارة الثقافة فى بداية عام ١٩٦٣ فى يد عبد القادر حاتم وزير الارشاد ، فبدأت تفقد كيانها ومضمونها ، واختلطت الأنظمة فيها بطريقة سخيفة مما جعل المسرح ينضم الى الاذاعة ويتولى مسئوليته الاشرافية مدير الاذاعة ... والسينما تنضم الى هندسة التليفزيون ويتولى مسئولية الاشراف عليها مهندس بعد أن كانت مؤسسة عامة .

كان سقوط وزارة الثقافة فى يد عبد القادر حاتم ناتجا عن صراع بينه وبين وزير الثقافة السابق ثروت عكاشة ، بدأ عندما انشأ التليفزيون ست فرق مسرحية دفعة واحدة ، تخصصت فى تقديم التفاهات والمسرحيات المبتذلة ، ولم تحتمل أعصاب ثروت عكاشة هذا الموقف فانفجر غاضبا ومهاجما أسلوب عبد القادر حاتم .

كان عبد القادر حاتم من النوع الهادىء الخاضع ، وكان ثروت عكاشة من النوع العصبى المعتز باشتراكه فى الضباط الأحرار وحركتهم ليلة ٢٣ يوليو ... وكان على علاقة شخصية وثيقة مع المشير عامر .

وبدأ التصادم بين الضابطين ...

ولم يكن عبد القادر حاتم قادرا على تنفيذ أى مشروع دون الحصول على تصديق وموافقة جمال عبد الناصر ... ولذا كان تصادم ثروت معه تعبيرا حتميا عن تصادمه مع جمال عبد الناصر ... وبدأ الأمر فى النهاية كما لو انه تصادم بين عامر وصديقه ثروت وبين جمال عبد الناصر ومنفذ توجيهاته عبد القادر حاتم .

وقدم ثروت عكاشة استقالته لانه فوجىء الى جانب خلافاته الفكرية مع حاتم باعتقال اثنين من سكرتيريته بشبهة الاتصال بالملحق العسكرى المصرى فى لبنان (زغلول عبد الرحمن) الذى سلم نفسه الى سوريا والذى تربطه صلة نسب بعيدة مع ثروت عكاشة .

وعين ثروت عكاشة رئيسا للبنك الأهلى ، وانضمت الثقافة الى الارشاد وتولاها عسكرى آخر هو عبد القادر حاتم الذى كان قد أصبح دكتورا أيضا .

المؤسف انه خلال هذه الفترة استطاع حاتم ان يقسم جبهة اليسار باجتذابه لأحمد لطفى الخولى الذى رفضت له لجنة مؤسسة المسرح المشكلة من الدكتور محمد مندور والدكتور محمد القصاص مسرحية تسمى (الأرانب) وكنت فى ذلك الوقت مديرا لمؤسسة المسرح مع رئيسها الدكتور على الراعى ، فهرع الى عبد القادر حاتم الذى احتضنه واعد له مشروعا

يصادم به مؤسسة المسرح ، مستغلا اسم الكاتب الكبير توفيق الحكيم بانشاء ما سمي باسم مسرح الحكيم الذى قدم الأرانب فسقطت سقوطا شديدا ، ثم ظهرت على خشبته مسرحيات مختلفة للدكتور رشاد رشدى صاحب الأفكار الرجعية واستاذ الأدب الانجليزى بجامعة القاهرة ٠

ولم يكن ممكنا فى عهد بناء الاشتراكية ان تبقى الثقافة فى انحدارها وضياعها ٠٠٠ فان أجهزة الثقافة يجب ان تتحلل من طغيان التفاهة والابتذال ، لتمارس دورها المؤثر فى خدمة الجماهير ٠

كانت مسئوليات عبد القادر حاتم قد تعددت وتشعبت ، فشملت وزارة الارشاد والثقافة والسياحة أيضا ٠

كان الانجراف وراء الدعاية قد وصل الى حد الاعلان عن صدور كتاب كل ٦ ساعات وتقديم مسرحية جديدة كل أسبوع ، وبناء فندق جديد كل ١٥ يوما ٠

كانت الكتب تتدفق سطحية ومليئة بالأخطاء الى جانب سوء اختيارها وبعدها عن الفكر الاشتراكى الأصيل ٠٠٠ وكانت الفنادق تبنى على غير خطة ، فلا تجد بعد اتمامها ساكنا يدخلها لأخطاء فى التصميم أو فى اختيار المكان ، كما بدأت المسرحيات الهابطة تطرد المسرحيات الجيدة ٠

ووصل الأمر غايته ٠٠ وأصبح أسلوب عبد القادر حاتم مثل النغمة النشاز فى جو المجتمع المتجه فى جدية لمحاولة تطبيق الاشتراكية وترسيخ دعائم ثقافة قومية ٠

الغريب فى ذلك الوقت ان طليعة الاشتراكيين كانت تستوعب كلا من عبد القادر حاتم فى مجموعة على صبرى وثروت عكاشة فى مجموعة المشير ٠٠٠ ولكن هذا الانتماء لم يستطع ان يقرب بينهما أو يوحد من أفكارهما أو يخلق لهما خطة وهدفا مشتركا ٠

ثم كانت الخطوة التالية هى اقصاء عبد القادر حاتم عن المنصب بعد تعيين صدقى سليمان رئيسا للوزراء ٠٠٠ وعاد الدكتور ثروت عكاشه من جديد ٠

الكرة يتبادلها العسكريون ٠٠٠ والمثقفون الحقيقيون متفرجون ٠٠٠

عادت وزارة الثقافة فى تنظيم مؤسساتها من جديد ٠٠٠ تحاول ان تستعيد أنفاسها وتقدم للناس ما يفيد ٠

والثقافة هى التى تضىء الطريق لتقدم الأفكار الانسانية والاشتراكية ٠

وثروت عكاشه يستعين فى وزارته بالماركسيين أيضا ٠٠٠ سعد كامل مديرا لادارة الثقافة الجماهيرية ٠٠٠ ومحمود أمين العالم رئيسا لمؤسسة النشر ثم مؤسسة المسرح ٠٠٠ ويضع على رأس مؤسسة السينما كاتبا ديموقراطيا تقدميا هو نجيب محفوظ ٠ جميعا كانوا أعضاء فى طليعة الاشتراكيين ٠

وكان هذا دليلا على ان طليعة الاشتراكيين لم تستطع ان تفرض ايديولوجيتها وقواعدها التنظيمية على اعطائها فوق مناصبهم الادارية ٠

كان الاهتمام الرئيسى بالمنصب الوزارى أو الادارى ٠٠ ومن بعده يأتى الانتماء الى طليعة الاشتراكيين كواجب اضافى (ثقيل) يفرضه نظام الدولة ، ولا يجد استجابة حقيقية فى صدور كبار المسئولين ٠

ويمكن القول بأن القدرات القيادية فى طليعة الاشتراكيين كانت اضعف أحيانا من أن تفرض نفسها على بعض الشخصيات الى جانب عدم توفر ايديولوجية واضحة وقواعد تنظيمية جديدة ٠

الثقافة والاعلام استقرت فى أيدى أكثر العناصر اقتناعا وقدرة على خدمة التطور نحو الاشتراكية ٠

وساعد ذلك على حسم قضية بقاء التنظيمات الشيوعية أو حلها ٠٠٠ وأصدرت الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى بيانا بلورت فيه نفسها فى شخصية سكرتيرها العام كمال عبد الحليم ، الذى بقى رمزا للتنظيم ، ولكنه فى نفس الوقت أصدر قرارا بحله ٠

وهنا أشير الى نقد وجه لى شخصيا فى بيان الحل نتيجة مقال كتبته فى روز اليوسف ونصحت فيه التنظيمات الشيوعية بحل نفسها والاندماج فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى حتى لا تتعرض لتصادم جديد مع الحكومة ٠

كنت اكتب من موقع الحرص على الاندماج وعدم تردى الأمور الى درجة التصادم ٠٠٠ وأخذ حديثى على انه نوع من التهديد ٠٠٠ وهو أمر لم أكن أملكه ٠٠٠ ولعلى أخطأت فى التعبير ٠٠٠ بل لعلى أخطأت فى الحماس لعملية الدمج ذاتها ، دون توفر شروط ضرورية لاستمرار نضال الطبقة العاملة خلف قيادة حزبها ٠

وأصدر الحزب الشيوعى المصرى بيانا أيضا يعلن فيه حل الحزب ٠

الأمور تستقر على قاعدة عريضة من التحالف النسبى بين الطبقات المختلفة ٠٠٠ ومع ذلك فالخشية موجودة دائما من احتمالات ظهور تنظيمات سرية يمينية أو يسارية ٠

هنا لا تعرف السلطة سوى قبضة جهاز الأمن .

عندما حامت الشبهات حول بعض الشباب واتصاله بحركة القوميين العرب ، اعتقل الشباب ، اعتقل أيضا ابراهيم سعد الدين وأمين عز الدين ولطفى الخولى وحقق معهم شعراوى جمعه وسامى شرف ، كما سبق ان ذكرت .

وعندما حاول بعض أعضاء الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى التجمع مع جديد ، اعتقل كمال عبد الحليم السكرتير السابق ومعه ثلاثة آخرون لمدة خمسة شهور .

الاتجاه الى اليسار لا يندفع بأكثر مما تسمح به السلطة التى كانت تدخل فى تقديرها عدة عوامل منها :

١ ـ الادراك بتوافر نظرية متكاملة عند الماركسيين تؤثر وتنتشر دون صعوبة بين المشتغلين بالسياسة مما يمكن أن يشكل خطرا عليها .

٢ ـ غيبة التنظيمات الشيوعية بعد قرار حلها واختفاء علمها من الساحة السياسية .

٣ ـ الاتجاه الوسطى للقوات المسلحة وعدم الرغبة فى تسييسها ، والحذر الدائم من حركتها .

٤ ـ تأثير السياسة الخارجية على الموقف الداخلى والحرص على اقامة علاقات متوازنة مع أمريكا وروسيا .

٥ ـ عدم رغبة جمال عبد الناصر فى استكمال التنظيم الحزبى على أسس نضالية حتى لا يقلل من انفراده المطلق بالسلطة ... ويتضاعف رفضه بالتالى لأى تنظيم خارج على اطار الاتحاد الاشتراكى .

٦ ـ نشاط الرجعية التى لم تصف ايديولوجيا ولا ديموقراطيا ، والتى ما زالت بعض عناصرها فى السلطة تنفث سمومها .

ولكن هذا لا ينفى انه كانت هناك حركة شاملة لليسار ، يقودها جمال عبد الناصر من موقعه فى قمة السلطة .

وكما كان يعمل من أجل الفلاحين والعمل ... وليس بهم أو معهم ... فانه يبنى الاشتراكية وحده . وليس بتنظيم أصحاب المصلحة الحقيقية فيها تنظيما جادا ، ليسير معهم الى تحقيق الهدف .

وبقيت صورة الاشتراكية مهزوزة وغير مستقرة ··· البعض يطلق عليها اسم (الاشتراكية العربية) والبعض يؤلف كتبا تدرس فى الجامعة على انها كذلك ·

وجمال عبد الناصر يقول فى مؤتمر المبعوثين انه لا يعرف الا اشتراكية واحدة لها تطبيقات مختلفة ·

يحسم القضية فى كلمات ··· اشتراكية علمية ، وتطبيق مصرى أو عربى ·

ولكن هذا الاقتناع لا يستقر فى عقول الكثيرين ··· ليس الذين هم خارج اطار الحكم ، ولكن بعض الذين يشاركون فيه ·

ويستقر فى النفوس يقين بأن الوصول الى الاشتراكية عن هذا الطريق الذى تمضى فيه الأمور عملية ممكنة ، ولكنها صعبة ومعقدة ، ومرتبطة بشرط هام ··· هو بقاء جمال عبد الناصر شخصيا فى قمة القيادة بالدولة ، لأنه الضمان الوحيد لعدم انتكاس خطوات المسيرة فى طريق التحول الى الاشتراكية·

وتزداد خطوات المسيرة بطئا وتثاقلا ·

اجهزة الاتحاد الاشتراكى دخلت دائرة البيروقراطية ··· خطط على الورق ، واجتماعات ، ومناقشات ، وينفض كل شىء ··· والجماهير تفقد اهتمامها وشوقها للجهاز الكبير يوما بعد يوم ·

طليعة الاشتراكيين ترزح تحت عبء الذين فرضوا على بعض اجهزتها القيادية ، فتحولت الى صورة مصغرة من الاتحاد الاشتراكى بلا فارق كبير ··· والتزاوج بين أمانة التنظيم ووزارة الداخلية لم يؤد الى تسييس البوليس ، ولم يؤد أيضا الى رفع قبضته عن الاشتراكيين ··· البعض منهم ما زالوا مطاردين ··· وقانون اسماعيل صدقى لمقاومة الشيوعية ما زال هو القانون السائد والمنفذ ·

الجيش يواصل اهتمامه بلعبة السياسة عن طريق التدخل فيها كلما توافرت الظروف المناسبة ··· وعبد الحكيم عامر يواصل توسيع دائرة نفوذه فى مجالات العمل الداخلى ، يواصل أيضا حياته الناعمة اللاهية ··· والفكر الاشتراكى الأصيل لا يدخل الجيش رغم ما ورد فى الميثاق ·

فلول الاقطاعيين والبرجوازية الكبيرة ما زالوا يقاومون الحركة فى طريق التحول الاشتراكى ··· يضخمون الأخطاء والانحرافات ··· ويستغلون مهادنة جمال عبد الناصر لهم ، وسكوته أيضا على المنحرفين فى

الحكومة والقطاع العام ، ليواصلوا تجمعهم المعارض ، الذى قال عنه جمال عبد الناصر أمام مجلس الأمة (انه حزب رجعى منظم) ٠

الضغوط الامبريالية الخارجية تواصل دورها فى الضغط على النظام فى محاولة للوصول بالحالة الاقتصادية الى مستوى يثير الجماهير ٠

كل هذه العوائق تقف فى طريق الاشتراكية التى حاولت الطبقة الوسطى بقيادة عبد الناصر ان تطبقها دون عقيدة شديدة الوضوح ، وفى غيبة تنظيم مناضل وموحد الفكر ، وفى وجود عناصر مضادة فى مختلف الاجهزة الحكومية والسياسية من القمة الى القاع ٠

وكان الأمر صعبا وعسيرا ٠

التطبيق المصرى للاشتراكية ٠٠٠ يؤتى بعض الثمار ، ولكنه مازال بعيدا عن ان يكون مستقرا أو راسخ الجذور فى المجتمع ٠

ومجتمع عبد الناصر لم يستكمل معالمه بعد ٠

السنوات الأربع الحاسمة

الأمور لم تصل الى نهايتها ٠٠ والسياسة لا تعرف الجمود ٠٠ ومراحل الانتقال من نظام الى آخر هى أصعب المراحل ٠٠ وخاصة اذا اعتمدت على التجريبية ولم تقدر الايديولوجية تقديرا صحيحا ٠

والميثاق ليس ابديا ٠٠ قال جمال عبد الناصر فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية فى مايو ١٩٦٢ (ان الميثاق للجيل ٠٠ وأنا كنت حريصا على الا أحدد حاجة فيه لأكثر من ٨ سنين يمكن حددت سنة ١٩٧٠ أو ١٩٧١ لأنه جايز ييجى ناس بعد كده يحصل عندهم تطور فكرى تقدمى أكثر من هذا الميثاق يضيفوا عليه حاجات جديدة أو يعدلوه) ٠

تعديل الميثاق أمر مقرر ٠٠ وصعوبات المسيرة هى التى تحدد صحة الاتجاه الجديد ٠

وكتبت فى روز اليوسف بتاريخ ٤ يوليو ١٩٦٦ ست مقالات تحت عنوان (السنوات الأربع الحاسمة) ناقشت فيها الأخطار التى تعرض لها النظام قبل الوصول لتعديل الميثاق وهى الفترة التى يتم فيها اكتمال تنظيم طليعة الاشتراكيين ، وتتم خطة التنمية الثانية ، ويستقر النظام على أسس جديدة ٠

كانت لجنة تصفية الاقطاع قد كشفت ان الرجعية فى الريف ما زالت تختفى كالحرباء ، وان فى مقاومتها للتقدم شراسة وضراوة ، واثبتت قضايا

الاخوان المسلمين ان هذا التنظيم الرجعي لم تتم تصفيته فكريا وايديولوجيا وان تصفيته اداريا لم تكن وحدها كافية ، وتبين ان جيوب البرجوازية في القطاع العام تحاول ان تحطمه من الداخل بالفساد والاهمال والانحراف .

وظهرت في جريدة الجمهورية سلسلة من المقالات بقلم على صبرى في عام ١٩٦٦ وكان تغيرا قد حدث في ادارتها نزع مصطفى بهجت بدوى من موقعه كرئيس لمجلس الادارة بعد حلمى سلام ، وعين في مكانه فتحى غانم الذى كان رئيسا لتحرير مجلة صباح الخير ، ثم مديرا لوكالة أنباء الشرق الأوسط .

أخذت هذه المقالات وجهة نظر يسارية ، واثار ظهورها علامات استفهام كثيرة ، وتساءل الناس عما اذا كان في ذلك محاولة لظهور منبر منافس لجريدة الأهرام التى كانت دائما محل حظوة واهتمام الرئيس جمال عبد الناصر ... وحاول البعض معرفة حقيقة الدور الذى يلعبه على صبرى من سطور هذه المقالات .

وكان الأمريكيون يتابعون في تركيز شديد بوساطة عملاء المخابرات المركزية الأمريكية كما تبين في التحقيق في قضية مصطفى أمين رئيس تحرير الأخبار الذى ضبط في منزله مع بروس اوديل الدبلوماسى الأمريكى عميل المخابرات ... يتابعون حركة العناصر اليسارية والشيوعية (وقد صدر الحكم بالمؤبد على مصطفى أمين) .

وبدأت موجات من الدعايد تلاحق على صبرى بعد هذه المقالات بأنه أصبح شيوعى النزعة .

ولكن محمد على بشير الضابط السابق والعضو المنتدب لدار التحرير للطبع والنشر روى لى انه خلال مناقشته مع على صبرى قال له ان القراء في حالة قلق من مدلول هذه المقالات .

وكانت دهشة بشير شديدة عندما فوجىء بعلى صبرى يقول له (أعمل ايه .. المقالات تحضر لى .. وأنا اوقعها) .

على صبرى لم يكتب هذه المقالات ولم يطالب بكتابتها .. بل ولم يكن حريصا على ذلك .. ومع هذا فقد ظل توقيعه يشكل واجهة يسارية لشخصيته .

ومثل هذا الموقف الذى ارتضاه على صبرى خلق تناقضات بينه وبين المشير عامر وأعضاء مجلس الثورة ، كما سبق توضيحه في الفصول السابقة . وبدأت خلال هذه الفترة تتأكد معالم رغبته في ان يكون له نفوذ

وشخصيات تابعة في الاتحاد الاشتراكي ، وفي الصحافة التي كانت تابعة له من الوجهة النظرية ٠

وزادت شخصيـة على صبري نفوذا بعد تغيير وزارة زكريـا محيي الدين ، وتعيين صدقي سليمان رئيسا للوزراء ٠٠ ولكنها في نفس الوقت بدأت تتعرض لتناقضات مع عناصر الصف الثاني المتطلعين لسلطة ونفوذ الصف الأول مثل سامي شرف وشعراوي جمعه ٠

الشخصيات الرئيسية في مجتمع جمال عبد الناصر تتبدل وتتغير والاستقرار فيه ما زال بعيدا ٠٠ والآمال الطموحة للنظام تدخـل مرحلة اربع سنوات حاسمة ٠

الامبريالية العالمية والأمريكية لا تغمض عينيها ٠٠ والنظام يتعرض لضغوط ، بدأت تقطع المعونة الأمريكية ٠

وكان عام ١٩٦٧ ٠

الفصل العاشر

مجتمع جمال عبد الناصر

(لن استطيع ان أقف الا اذا انتهى استغلال الانسان للانسان)

جمال عبد الناصر

ليس من شك فى أن جمال عبد الناصر قد استطاع ان يغير وجه مصر ٠٠ وان يشق لها طريقا جديدا ٠٠

وليس من شك أيضا فى ان السنوات الأولى لحركة القوات المسلحة قد استنفدت جهده فى مشاكل داخلية وصراع مع القوى السياسية القديمة ، والعناصر المنافسة داخل القوات المسلحة ٠

وعندما استقرت الأمور له ، وانتهى دور محمد نجيب وعقدت اتفاقية الجلاء ، وتمت تصفية القوى المعارضة من اليمين واليسار بوسائل ادارية، بدأت اتجاهات جمال عبد الناصر الحقيقية فى الظهور ٠

استمرت هى الدافع الأكبر له فى حركته ٠٠ فكانت معركته الصلبة ضد الاحلاف العسكرية ، ورفضه الخضوع مطلقا لمطالب الامبريالية بالانضواء الى معاهدات الدفاع المشترك أو قبول مبدأ ايزنهاور ٠

كانت عقيدة عبد الناصر ان يكون مطلق السراح فى حركته الوطنيه بلا اية قيود ·· وقد أثر عليه مؤتمر باندونج واهتمام قادة الدول الأسيوية والأفريقية به باعتبـاره قائدا لحركة ثورية ضـد النظام ملكى متعفن ·· مما أدى الى شعوره بكيان مصر وقدرتها على ان تثبت وجودها وسط المجال الدولى ·

وكان اهتمام جمال عبد الناصر وزملائه أعضاء مجلس القيادة كبيرا فى ان يكون لمصر جيش وطنى قوى ·· فقد كان هذا هدفا من أبرز أهدافهم، واشدها حساسية ، لأن حركتهم انبعثت أساسا ضد فساد الملك وقيادة الجيش ، وكان اجراؤها الأول هو تطهير الجيش من كافـة الضباط فى رتبة اللواء والعقيد عدا نفر محدود لا يتجاوز خمسة أشخاص ·

ولذا فان جمال عبد الناصر لم يتردد لحظة فى محاولة الاتصال بحكومة الولايات المتحدة لكسر القيود البريطانية على امداد الجيش ·· ولكن حكومة الولايات المتحدة لم تقبل تسليح الجيش المصرى طالما هو غير خاضع لاحلافها العسكرية ومواثيقها الدفاعية ، ولم يصـل الى مصر من السلاح الأمريكى الا مسدس مطلى بالذهب أرسله ايزنهاور هدية الى محمد نجيب ·

ولم يقبل جمال عبد الناصرالخضوع للشروط الأمريكية ، ولم يقبل الجمود أيضا ·· وكان الاتصال مع السوفييت من أجل تسليح الجيش ، هو بداية الاتصال بين دولة من دول التحرر الوطنى ودولة اشتراكية ·

ولذا كان جمال عبد الناصر رائدا فى هذا المجال ، الذى يتحرك فيـه بحرية كاملة دون أى ارتباط سوى مصلحة وطنه كما هو مقتنع بها ·

ولم يرتبط جمال عبد الناصر بايديولوجية معينة ·· كان يخشى ان يقيد ذلك حـركته ·· ولكنـه فى نفس الوقت لم يكن جامحـا فى عدائه للنظريات والمبادىء المختلفة ·

كان الوحيد من أعضاء مجلس قيـادة الثورة غير الماركسيين الذى يتصل بأفراد من تنظيم قسم الجيش فى الحـركة الديموقراطية للتحـرر الوطنى (حدتو) وهم يعرف هويتهم السياسية ، فى وقت كانت الشيوعية فيه مطاردة بشراسة من جانب أجهزة الأمن فى النظام الملكى ·

لم يأخذ جمال عبد الناصر جانب الرفض فى خلق علاقة مع الشيوعيين قبل الثورة ، كما انه لم يكن المسئول الوحيد عن تمزق العلاقات بين الحركة الشيوعية وحركة الجيش بعد الثورة ·

وكما كان جمال عبد الناصر منفتحا فى علاقته مع الشيوعيين ، كان منفتحا أيضا على الاخوان المسلمين ومصر الفتاة وكافة القوى السياسية بدرجات متفاوتة ·

كان مقتنعا بأن حركة الجيش يجب أن تتعرف وتتصل بكافة هذه القوى ، وتحاول الارتباط بها ·· ولولا قناعته الشخصية بذلك لما أمكن خلق أى نوع من الحوار بين الشيوعيين والضباط فقد كان الضباط بصفة عامة متأثرين الى حد بعيد بأفكار جماعة الاخوان المسلمين الذين ارتبط معظمهم بها ، أو تغلب عليهم طبيعتهم العسكرية المحافظة غير المنفتحة على واقع الحياة ·

كان جمال عبد الناصر ابرز زملائه فى هذا الاتجاه ·· اتجاه الاتصال بكافة القوى السياسية ومحاولة تجميعها فى تنظيم جبهوى واحد ، والأمر الذى نجح فيه تماما فى تنظيم الضباط الأحرار ·

استطاع بشخصيته ان يكتسب ثقتنا نحن أعضاء قسم الجيش فى الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) ، والتقت أفكاره مع أفكارنا فى السعى لتوحيد كافة القوى والعناصر الوطنية المعادية للاستعمار فى جبهة واحدة ·

ولكن جمال عبد الناصر فى هذه الاتصالات كان حريصا على الا يربط حركة الجيش بأى حزب أو تنظيم سياسى ·· كان يطلب لها استقلالا خاصا متميزا ·

ولذا فقد فصل قائد الجناح عبد المنعم عبد الرؤوف من اللجنة القيادية للضباط الأحرار ، لأنه كان مصرا على البقاء فى الاخوان المسلمين وتجنيد الضباط لتنظيمهم ··· ولكنه مع الشيوعيين لم يتخذ هذا الموقف لأن تجنيد الضباط لقسم الجيش فى حدتو كان يتم بعد فترة ترشيح يختبر فيها الانضباط خلال حركته فى تنظيم الضباط الأحرار اذا كان عضوا فيه·· ولذا كان الضباط ، الشيوعيون العاملون فى الضباط الأحرار يتصرفون كأعضاء فيه ولا يتجاوزون حدودهم الا بخطوات سرية لا تهدد الضباط الأحرار وانما تدعمهم ·

وانتصار جمال عبد الناصر فى تكوين هذه الجبهة العسكرية التى ضمت ضباطا تفكيرهم متطابق مع الاخوان المسلمين مثل كمال الدين حسين وضباطا ماركسيين مثل يوسف صديق ، وخالد محيى الدين خلق عنده شعورا بامكانية تحقيق ذلك فى المجتمع بعد نجاح الثورة ·

ولكن الموقف كان مختلفا ·· وبدأت سنوات الصدام بين السلطة العسكرية الوليدة ، والقوى السياسية القديمة أو التى لعبت دورا فى التعاون مع حركة الجيش قبل ٢٣ يوليو ·

وتصادمت حركة الجيش مع الوفد والشيوعيين والاخوان المسلمين ، وهى القوى الذى كان يمكن ان تشكل جبهة وطنية معادية للاستعمار ·· ولم تستطع الحركة لغياب الايديولوجية من فرز العدو والصديق ·

ولذا فقد انفردت هذه القوى بمحاولة تشكيل الجهة من عناصر وفدية وشيوعية وعناصر متقدمة فى جماعة الاخوان المسلمين ·· ولكن أجهزة الأمن وصلت اليهم وقدمتهم للمحاكمة عام ١٩٥٣ فيما عرف باسم قضية الجبهة ·

انصرفت القوى السياسية عن حركة الجيش تدريجيا ، واكتملت السلبية بعد عزل محمد نجيب ومحاكمات الاخوان المسلمين ·

وهنا يبدأ جمال عبد الناصر فى تشكيل المجتمع المصرى ·

المواقف الوطنية التى أخذها جمال عبد الناصر فى تتابع وايقاع سريع جعلت شخصيته تلمع وتصبح أكثر تأثيرا · بعد ان كانت موجات النقد له قد وصلت غايتها ، ثم بدأت تنحسر تدريجيا بعد اطلاق الرصاص عليه فى ميدان المنشية بالاسكندرية فى أكتوبر ١٩٥٤ من محمود عبد اللطيف عضو الاخوان المسلمين ·

الانتصار فى معركة الاحلاف ومؤتمر باندونج وصفقة السلاح وجلاء القوات البريطانية · وأخيرا تأميم القناة ووقف العدوان الثلاثى ثم انسحاب قواته ·

كل هذه الخطوات خلقت رصيدا شعبيا هائلا لجمال عبد الناصر كزعيم وطنى ·· ووسعت الفرق بينه وبين زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة ·

وأصبح الزعيم فى قمة مجده ، يمارس تشكيل المجتمع بارادته ·· مجلس الثورة لم يعد كيانا تنظيميا وأعضاؤه يستمدون وجودهم من علاقتهم به ·

ورؤية جمال عبد الناصر للمجتمع خالية من البعد الطبقى ·· اعتقد انه قادر على حشد الجماهير من مختلف الطبقات دون تناقض أو صراع ·

وغلبت عليه هذه النظرة المثالية ، وشجعه عليها عدة عوامل منها تجربته الناجحة فى الجهة العسكرية للضباط الأحرار ، وعزله للقوى المتصارعة معه المؤمنة بمبادئها عن حلقة العمل السياسى ، ورصيده الهائل من انتصاراته الوطنية ·

ولم يدرك جمال عبد الناصر ان الانتصارات الوطنية لا تلغى التناقضات والصراعات الطبقية وان روح الوئام والتسامح لا تخلق بين الطبقات الا على أسس موضوعية ٠٠ وان تعلق الجماهير بشخصيته لا يعنى اهمالها لواقعها الاجتماعى والطبقى ٠

لم يدرك جمال عبد الناصر ذلك رغم أنه كان يحمل مسئولية تشكيل المجتمع الجديد دون أن يكون هناك برنامج يسترشد به ، وحركة الضباط الأحرار اعتمدت على النقاط الست باعتبارها أهدافا عامة ، ولم تثبت تصورها فى برنامج مكتوب يوضح موقف أول تنظيم لها وهو (هيئة التحرير) وكتاب فلسفة الثورة الذى حمل اسم جمال عبد الناصر لم يكن أكثر من خواطر شاب وطنى وجد نفسه فى قمة المسئولية ٠

ان جمال عبد الناصر قد كتب مقدمة لكتاب (حقيقة الشيوعية) الذى كان يروى افكارا طموحة بعيدة عن أى مضمون اجتماعى - ورغم ان مؤلفه هو مدير مكتبه أمين شاكر - متهجما فى سطحية وبأسلوب الدعاية الاستعمارية على الاشتراكية العلمية ، الا ان ذلك لا يعبر عن محور أصيل فى تفكير جمال عبد الناصر ، اذ انه كثيرا ما كان يقع تحت ضغوط بعض زملائه المعادين اصلا للتقدم والتفتح الفكرى ، وما ورد فى هذه المقدمة ليس أكثر من توقيع على مقدمة كتبت له بطريقة روتينية ٠

لم يكن جمال عبد الناصر من القادة الذين يبنون مستقبلهم بالهجوم على الشيوعية ٠٠ ورغم اعتقاله ومطاردته لأعضاء التنظيمات الشيوعية وتضييقه الخناق على حركتهم السياسية وتركه لقوانين النظام الملكى البالية ، الا انه لم يكن يطعم احاديثه ، وخطبه دائما بمهاجمة اليسار والشيوعية ولم تكن معاداة الشيوعية هى رأس رمح النظام بل انه كثيرا ما تعاون مع الشيوعيين وخاصة فى مراحل المد الوطنى مثل فترة العدوان الثلاثى كما ورد تفصيلا فى الباب الأول ٠

كان جمال عبد الناصر قد بدأ يتفهم الدور الوطنى الذى يؤديه الشيوعيون ٠٠ وكان كسره لستار منع التعامل مع الدول الاشتراكية ولقاؤه بقادتهم وزيارته لموسكو وربط تسليح الجيش المصرى بهم ، ومقاومته الصلبة لضغوط الامبريالية دلالة على طريقه الوطنى ٠٠ كل ذلك كان من العوامل التى طورت تفكير جمال عبد الناصر فى هذه السنوات ٠٠ سنوات الصمود ٠ وعبد الناصر ، الذى لم تلبث موجته ان انحسرت ٠٠ رغم بقاء الشيوعيين فى المعتقلات ٠

وهكذا كانت هذه الفترة باحداثها وخلافاتها عامل جذب لجمال عبد الناصر ، وابتعدت به عن محاولة وضع برنامج لتنظيمه السياسى الثانى

(الاتحاد القومى) الذى استورد خطوطه الرئيسية من تنظيم سالازار فى البرتغال ، والذى طمح به الى توحيد صفوف الشعب المصرى والشعب السورى على أساس غير طبقى ، تماما كما كانت الحال في (هيئة التحرير) ٠

استهدف جمال عبد الناصر من التنظيم أن يكون اداة فى يد جهاز الحكم ، وليس تنظيما سياسيا يعبىء قوى الجماهير صاحبة المصلحة فى انطلاق الثورة واستمرارها على أساس واقعها الطبقى ٠

وكانت الفرصة متاحة دائما أمام جمال عبد الناصر لخلق هذا التنظيم، ولكنه فى غمرة انتصاراته الوطنية وارتفاع مركزه الشعبى والعربى والعالمى، لم يجد فى غيبة التنظيم ما يشكل خطرا على كيان نظامه أو على موقعه فى قمة النظام ٠

وكانت الأفكار الاصلاحية التى يؤمن بها هى التى دفعته الى اعتبار ما اطلق عليه اسم (الاشتراكية الديموقراطية التعاونية) السبيل الى تطوير المجتمع بالكلمات الطيبة ، وأحيانا بالاجراءات الادارية الحازمة التى تعتمد على جهاز دولة متخلف وبيروقراطى معاد للديموقراطية ومعاد للجماهير ٠

ولم يكن جمال عبد الناصر حتى هذه المرحلة قد اتخذ موقفا اجتماعيا واضحا ٠٠٠ فالبرجوازية الكبيرة تنمو ، والدعوة الى رؤوس الأموال الأجنبية نشيطة والقوانين تعدل لتصبح نسبة أسهم المصريين ٤٩٪ فقط بدلا من ٥١٪ ٠٠ ومع ذلك فقد كانت السلطة الجديدة التى تعتمد على الجيش بطريقة عملية تثير الفزع والخوف عند الرأسمالية المصرية التى ترددت واحجمت عن المشاركة فى مشاريع تبنى الاقتصاد القومى ٠

كانت السلطة الجديدة تدعم مواقعها بعيدا عن الارتباط بطبقة معينة، معتمدة على الجيش ورغم ان جمال عبد الناصر كان معبرا عن مصالح البرجوازية الصغيرة التى أخذت تنمو وتنتشر الا انه ظل حريصا على أن يكون فى موقع متميز ومتفرد داخل المجتمع ٠

وكما رفض الارتباط بايديولوجية قضية معينة ظل أيضا بعيدا عن الارتباط علنا بطبقة معينة ٠ وخلال هذه الفترة اعتمد جمال عبد الناصر على زملائه من العسكريين ، وفتح لهم الأبواب للوصول الى مراكز قيادية فى ميادين العمل السياسى والثقافى والاقتصادى ٠

والصورة التى قدمناها فى الفصل الخامس توضح ان العسكريين بعد زحفهم الى مراكز السلطة قد لعبوا دورا كبيرا فى قيادة جهاز الدولة ٠٠ وانهم كانوا فى يد الزعيم أكثر طواعية وموضع ثقة كاملة ٠

هذه الحقيقة الى جانب الأحداث السياسية والخلافات العربية التى حفلت بها هذه الفترة أرشدت اهتمام جمال عبد الناصر بعيداً عن التفكير المركز فى وضع برنامج واضح لحركته ، وجعلته يستكين للاعتماد فى معظم المواقع المؤثرة على العسكريين ٠

وهكذا مضت هذه الفترة دون ان تثمر تنظيماً سياسياً قادراً على فرز المجتمع الى طبقات يمكن أن تلتحم فى جبهة وطنية تقدمية ، وعزل الطبقات المعادية للتقدم ٠

ومضت الأمور بهذا الاختيار السهل حتى وصلت الى طريق مسدود ٠

كانت نظرية (التصالح الطبقى) فى السياسة الداخلية ، ونظرية (الوسط والتوازن) فى السياسة الخارجية هى النظرية السائدة ٠

لم يعد (التصالح الطبقى) مقبولا من أطراف الصراع ٠٠ البرجوازية الكبيرة تهتز سلطتها وأمالها بعد تمصير الشركات والبنوك الانجليزية والفرنسية بعد العدوان ٠٠ وبعد صدور قانون الشركات الذى حدد العضوية فى مجالس الادارات وسن العضو وتأميم بنوك مصر والبنك الأهلى ٠

ومن الجانب الآخر كانت الوحدة مع سوريا عاملا من عوامل التعطيل فى تطبيق الديموقراطية فى السياسة الداخلية ٠٠ فاستمرت الدولة بلا برلمان أكثر من سنتين ٠٠ وتوقفت اجراءات التقدم الاجتماعى ، وباركت البرجوازية السورية هذا الاتجاه المستقر الذى يحمى نشاطها فى مصر وسوريا معا ٠٠ وبدأت البطالة تشكل خطرا اجتماعيا من خريجى الجامعات أو العمال ٠

وقد بدأت سياسة (الوسط والتوازن) تعبر فى مضمونها عن تحرك من اليمين الى اليسار اتفقت مصر على أقامة الشركات الغربية (كيما) للسماد فى أسوان (وراكت للورق) وفيات (نصر) للسيارات الى غير ذلك من التعاقدات ، الى جانب الاتفاق على سياسة التصنيع مع الدول الاشتراكية التى عقدها الدكتور عزيز صدقى عام ١٩٥٨ ٠

وبدأ هذ التوازن مقبولا فى بدايته ٠٠ ولكن انتهاز القوى الامبريالية للخلافات المريرة التى تفجرت بين جمال عبد الناصر والشيوعيين فى الشرق العربى عام ١٩٥٩ ٠٠ ورجحان كفة ميزان الغرب قد أنتهت الى جمود السياسة المصرية وعدم انطلاقها فى طريق التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى واشتدت المعارضة ضد اسلوب عبد الناصر الجديد بين القوى التقدمية ،

وخاصة بعد دخول علاقته مع حزب البعث العربي الاشتراكي في دائرة الخلاف أيضا .

ولكن جمال عبد الناصر القائد الوطني لم يرضخ لهذا الاتجاه الراكد ، وامكن له بمرونته وحيويته أن يكتشف ان نظرية (التصالح الطبقي) هي نظرية مثالية غير واقعية .. وان القوى البرجوازية والرجعية قد انتهزت فرصة خلافه مع الشيوعيين وحاولت النفوذ الى مركز السلطة والسيطرة عليها .. الأمر الذى دفع جمال عبد الناصر الى القول لأحمد فؤاد عند استدعائه له لمناقشة قضية تأميم بنك مصر (انني أشعر ان الرأسماليين هم الذين يحكمون وليست الثورة) .

وكانت البنوك الأجنبية قد توقفت عن تمويل محصول القطن بعد تأميم القناة كجزء من مخطط استعماري يستهدف أحداث انهيار اقتصادي في البلاد ، وكان طبيعيا لجمال عبد الناصر وهو يحرص على التنمية ان يسيطر على قنوات التمويل من بنوك وشركات تأمين واعادة تأمين لتكون اداة مساندة للاقتصاد الوطني وخطة التنمية بعيدا عن السعي وراء الربح السريع والمضاربة .

واصدر جمال عبد الناصر قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية فكانت نهاية مرحلة الحيرة التي سادت بعد العدوان الثلاثي ، وانتهت الى حد بعيد سياسة (التصالح الطبقي) أما سياسة (الوسط والتوازن) في السياسة الخارجية فقد استمرت معبرة عن رؤية جمال عبد الناصر الوطنية ، وخشيته من الارتباط بأيديولوجية معينة ، أو تكتلات سياسية عالمية .

وقد أثر صدور هذه القوانين تأثيرا سريعا في حركة القوى السياسية المختلفة ..

تحولت البرجوازية الكبيرة وبقايا الاقطاعيين الى اعداء مباشرين للثورة ولعبد الناصر ولم يمض وقت قبل ان يتحركوا ضده في سوريا خلف الانقلاب الذى انتهى الى الانفصال وانتهاء تجربة الوحدة الأولى .

وأدرك جمال عبد الناصر متأخرا ان نظرية (التصالح الطبقي) لاتنزع أنياب البرجوازية الجشعة ، ولا تهدىء الفلاحين والعمال عن المطالبة بحقوقهم المشروعة ، ولا تروى عقول المثقفين الثوريين ..

وكانت الأيام التى أعقبت الانفصال حافلة بعبارات النقد الذاتي التي اطلقها جمال عبد الناصر واعترف فيها بأن الرجعية من داخل الاتحاد القومي قد انقضت على الثورة في سوريا .. وانه يوجد صراع طبقي لا شك فيه .

وتبع هذا الادراك العميق الذى انضجته الخبرة والتجربة تحولا فى اسلوب الثورة ٠٠٠ صدر الميثاق وقانون الاتحاد الاشتراكى العربى ٠٠ التنظيم الثالث للثورة ٠

وقد عبر جمال عبد الناصر عن ادراكه لأهمية الصراع الطبقى بقوله فى الميثاق (الصراع الحتمى والطبيعى بين الطبقات لا يمكن تجاهله أو انكاره وانما ينبغى أن يكون حله سلميا فى اطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات) ٠

وقوله فى الميثاق أيضا (ان ضراوة الصراع الطبقى وديمومته والأخطار الهائلة التى يمكن ان تحدث نتيجة لذلك هى فى الواقع من صنع الرجعية التى لا تريد التنازل عن احتكاراتها وعن مراكزها الممتازة التى تواصل فيها استغلال الجماهير) ٠

ويؤكد الميثاق أيضا تخلى جمال عبد الناصر عن فكرة (التصالح مجموع الشعب بحكم احتكارها لثروته ولهذا فان سلمية الصراع الطبقى لا يمكن أن تتحقق الا بتجريد الرجعية أولا وقبل كل شىء من جميع أسلحتها) ٠

لم يعد هناك لبس فى وجود صراع طبقى ٠٠ ولكن المحاولة فى محاولة تجنب انفجاره فى شكل دموى ٠

وأصبح واضحا انه بعد صدور الميثاق وبعد اقرار قانون الاتحاد الاشتراكى الذى ينص على أن يكون نصف أعضاء مجلس الأمة والمجالس الشعبية من العمال والفلاحين ٠٠٠ لم يعد هناك من سبيل لتغيير جديد بل أصبح هذا هو الأساس الذى ينهض عليه المجتمع ٠٠

وقد أثبتت مناقشات اللجنة التحضيرية التى انبثق الميثاق عن مؤتمرها القومى ان معظم أعضائها لم يكن عندهم الفهم العميق للحركة السياسية ، وان أغلبيتهم كانت بعيدة عن معرفة المضمون الصحيح للاشتراكية العلمية ، وان أبعاد الشيوعيين والمفكرين اليساريين عن عضويتها قد اضعف من مستوى اللجنة ٠

ولذا جاء تقرير لجنة المائة التى أشرف عليها كمال الدين حسين متخلفا عن الميثاق ، متبينا نظرة محافظة ٠

ولكن طرح شعار الاشتراكية فى المجتمع قد أثر فى الجماهير تأثيرا كبيرا ، وبدأ يجذب اهتمامها وينمى ميولها الثورية ، ويحفزها الى معرفة حقيقة ابعادها ٠

كانت الاشتراكية قد انفردت وحدها كستار للمجتمع ، وتساقطت كلمتى (الديموقراطية والتعاونية) ٠٠ وبدأت الكلمة تستخدم فى معظم المقالات والأحاديث السياسية تماما مثل ملح الطعام ٠٠

وتعدلت أيضـا كلمـات جمال عبد الناصر وأصبحت أكثر حسمـا ووضوحا فى قضية الاصرار على التحول الاشتراكى ٠

ولم ينحرف جمال عبد الناصر وراء بعض الذين صوروا المجتمع فى مصر مع بداية ظهور الميثاق بأنه مجتمع اشتراكى ٠٠ ولم يتردد فى الاعلان بأن مصر ما زالت بعيدة عن الاشتراكية وانها تعبر سنوات التحول ٠

ولم يكن الاعلان عن الاشتراكية كافيا لخلق مجتمع اشتراكى ٠٠ الأمر لم يكن بهذه البساطة ولن يكون ٠

خلق المجتمع الاشتراكى يحتاج الى جهد سنوات طوال فى مجالات العمل والسياسة والثقافة ٠

ومن الظواهر المثيرة والمعطلة معا ان الشيوعيين الذين تبنوا التبشير بالاشتراكية من قبل الثورة ، والذين ناضلـوا وضحوا فى سبيـل ذلك تضحيات جسيمـة ، كانت أغلبيتهم العظمى معتقلـين فى جنوب مصر فى صحراء الوادى الجديد ٠٠٠ أفكارهم الواعية حبيسة الجدران ، وطاقاتهم الكثيرة محاطة بالقضبان ٠٠٠ ومع ذلك فانهم لم يترددوا لحظة فى تأييد جمال عبد الناصر ٠٠٠ والذين تبنوا أفكارا متطرفة عنه راجعوا تفكيرهم واستقروا على تأييد الاتجـاه الوطنى التقدمى للثورة والتحالف معه من موقعهم الخاص بهم ٠

ونمت مع اعلان الميثاق علاقات الصداقـة مع الاتحاد السوفييتى ، واستقرت سياسة (الوسط والتوازن) الى خلق علاقة وثيقـة مع الدول الاشتراكية التى اسهمت فى تصنيع مصر بعد اتفـاق الاتحاد السوفييتى على انشاء السد العالى ٠

ولكن الظاهرة الملحوظـة انه رغم ان العلاقـات بين مصر والاتحـاد السوفييتى كانت تتحسن عاما بعد آخر وتنتوب فيها الشوائب ٠٠٠ الا ان جمال عبد الناصر لم يبلور هذه العلاقـة فى حدود أكثر من انها علاقـات صداقة ٠٠٠ ولم يفسر مضمونها الحقيقى من ان الاتحاد السوفييتى انما يقدم هذه المعونات والمساعدات غير المشروطة لأنه دولة اشتراكيـة عظمى تهتدى بالماركسية اللينينية ٠

لم يحاول جمال عبد الناصر أن يقضى على الحساسية من الماركسية ، بل انه كان كثيرا ما يتحدث عن الفروق بين (التطبيق العربى للاشتراكية)،

وهو الاصطلاح الذى كان يصر عليه أمام موجات بعض المحرفين والرجعيين الذين كانوا يتحدثون عن (الاشتراكية العربية) ٠

كان كثيرا ما يردد هذه الفـروق ويجسمها فيما قاله من فروق فى الدين وديكتاتورية البروليتاريا وعدم تحميل جيـل واحد مسئولية بناء الاشتراكية ٠

وكان ترديد هذه الكلمات يزداد خلال بعض الأزمات التى كانت تعكر صفاء العلاقات بين البلدين ٠

ولا شك أن جمال عبد الناصر كان حريصا على وجود حد فاصل بين زعامته وبين الأفكار الماركسية والتنظيمات الشيوعية ٠٠٠ وانه اذا كان قد استعان ببعض الماركسيين فى أماكن مسئولـة من أجهزته فانمـا كان يستعين بهم بصفة شخصية وبعد تأكده من انهم لا يتبنون أراء معارضـة لحركته السياسية أو له شخصيا ٠

ويذكر انه قال لمحررى مجلة الطليعة أثناء زيارته للأهرام أنه يطلب منهم ان يكونوا قديسين ٠

والفروق التى كان يثيرها جمال عبد الناصر لم تكن مطروحـة من الشيوعيين فلم يكن هناك تنظيم شيوعى واحد يطلب عصيان الدين أو الخروج عنه ، وهم يعتبرون الاقتناع الدينى من أسس الحريـة الاجتماعيـة التى تدافع عنها الاشتراكية ٠٠٠ ولم تكن قضية ديكتاتورية البروليتاريا مثارة فقد تغيرت النظرة اليها مع تغير الظروف وتجاوزتها المرحلة ٠٠٠ أما قضية تحميل جيل واحد عبء بناء الاشتراكية فقد تراجع عنها جمال عبد الناصر فيما بعد عندما أدرك أن هذا العبء يعطى فرصة لاعداء الاشتراكية لتخريب محاولات التطبيق ، حتى تتغير خطط التنمية ويهبط الاقتصـاد القومى وتصبح الاشتراكية هى مشجب الأخطاء والمبدأ ٠

ووصـل اقتنـاع الشيوعـيين بالدور التقدمى الذى يؤديـه جمال عبد الناصر الى حد اتخاذ قرارات بحل تنظيماتهم ٠٠٠ بعدما قيل لهم ان هناك فرصة أكيدة للدخول فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى كأعضاء عاملين ٠٠٠ وكانت هذه أول مرة فى التاريخ تحل الأحزاب الشيوعية فيها لنفسها اختياريا ٠

وهكذا انتهت الفروق التنظيمية وانهارت سدود العزلة وفتح الاتحاد الاشتراكى أبوابه لبعض الماركسيين ، وتولى مسئولية بعض اجهزة الاعلام ماركسيين أيضا مثل الأخبار (خالد محيى الدين) آخر ساعة (سعد كامل

وصلاح حافظ) روز اليوسف (أحمد فؤاد وكاتب هذه السطور) الطليعة (لطفى الخولى) .

ولكن العلاقة لم تقم على أسس وجدانية مستقرة انما قامت على أسس ذاتية ... فلم تفتح أبواب الاتحاد الاشتراكى لكل الشيوعيين السابقين .. ولم يعد الجميع الى وظائفهم التى فصلوا منها .. وأصبح البعض منهم فى مراكز مرموقة يتقاضون مرتبات عالية ، والبعض منهم محروما من فرصة العمل يكاد يتضور جوعا .

صحيح أن هذه الحالات كانت تقل شهرا بعد آخر .. ولكنها فى جملتها تعبر عن أن رضاء أجهزة السلطة كانت فى الغالب هى جواز المرور للعمل أو المركز أو المسئولية .

وطبيعى أن يكون ذلك هو المقياس فى وقت يتشكل فيه المجتمع الجديد لعبد الناصر الذى ظلت كافة الخيوط تتجمع بين يديه .

واستمر تركيز السلطة فى يد عبد الناصر باعتباره مرجعا رئيسيا فى كل الأمور سمة مميزة للمجتمع .

وقد أدى ذلك من جهة الى عدم تطبيق الديموقراطية تطبيقا سليما .. كما أدى من جهة أخرى الى ضمور الأجهزة التنفيذية وضياع المبادرة منها .

وكانت الأجهزة الادارية معتزلة أيضا عن الوقاية الشعبية الصحيحة .. وكثيرا ما نشأت الخلافات والتناقضات بين تنظيمات الاتحاد الاشتراكى ومسئولية الادارية .

وقد ساعد على استمرار الاعتماد على قبضة السلطة العنيفة ، عجز الأجهزة المختلفة عن تحقيق الأهداف الطموحة للقيادة السياسية .. فكانت الخدمات تتعثر وتفرض نفسها على العمل السياسى الذى يستهدف (حل مشاكل الجماهير) .

وكان الاعتماد على أجهزة المباحث الجنائية العسكرية فى مشاكل المواصلات والتموين واعتقال المخربين فوق انه ظاهرة عجز .. كان دليلا على تخلف العمل السياسى وضعف القدرة التنظيمية للاتحاد الاشتراكى .

ولكن هذا لا يلغى كثيرا من الايجابيات فى حركة الاتحاد الاشتراكى السياسية ، فهو قد لعب قدرا من النشاط لا شك فى مختلف المؤسسات والمصانع والقرى ، واستنبت عناصر جديدة تهتم بالعمل السياسى وتعتنق التطبيق الاشتراكى .

وعندما وجد جمال عبد الناصر انه يجابهه كل صعوبات ومشاكل التطور ، وهو عاجز عن حلها سياسيا أو اداريا ٠٠ ومضطر الى الالتجاء للشرطة العسكرية ٠٠ حاول ان يدعم بنيان التنظيم السياسى بتطبيق ما ورد فى الميثاق من تكون طليعة الاشتراكيين لتؤدى دور الجهاز الواعى المنشط لهذا البيان التنظيمى الكبير ٠

ولكن طليعة الاشتراكيين استغرقتها أيضا مشاكل المجتمع وانعكست عليها سلبيات القيادة والاتحاد الاشتراكى ٠

ولم يتحقق أمل جمال عبد الناصر الذى أعلنه فى خطابه يوم ١٦ مايو ١٩٦٥ (ليس هناك فى الوقت الحاضر طريق آخر لتنظيم تحالف قوى الشعب العامل الا انشاء تنظيم سياسى قوى وكادر داخل الاتحاد الاشتراكى قادر على تجميع القوى المؤمنة بالاشتراكية) ٠

ولكن طليعة الاشتراكيين لم تملأ الفراغ السياسى الذى كان يؤرق جمال عبد الناصر ٠

وهنا يجدر بنا الاشارة الى قوله الذى لم ينفذ من رغبته فى التفرغ للعمل فى الاتحاد الاشتراكى ٠٠ ويجدر بنا أيضا القول بأنه لم يعط لتكوين التنظيم السياسى كل ما يستحقه من جهد وتركيز ٠٠ ولم يسمح للديموقراطية الداخلية ان تتفاعل فيه لاكتشاف الكادر الثورى القادر على القيادة ٠

كان ضعف التنظيم المتوخى فيه أن يكون تنظيما حزبيا وغياب الديموقراطية فيه تصورا فى النظرة الى أهمية المشاركة الحقيقية للجماهير فى العمل السياسى ٠

ولم يكن كافيا العمل فقط من أجل الجماهير ٠٠ وانما كان ضروريا ان يكون العمل مع الجماهير وبها ٠

وهكذا كان مجتمع جمال عبد الناصر يحاول الدخول الى تطبيق اشتراكى بوسائل يصعب عليها ان تحقق ذلك بطريقة عملية ٠

ومع ذلك كانت شخصيته القيادية المتطورة وأفكاره التى لا تتوقف أو تتجمد أمام الأزمات وانما تتحول دائما الى اليسار والتقدم ٠٠ كانت ضمانة لامكانية التغلب على المشاكل والعقبات التى تعترض الطريق ٠٠ وضمانه أيضا لمواصلة من العناصر الرجعية حتى تضعف قدرتها على الحركة وينتهى دورها ٠٠ وعنصر جذب للعناصر الماركسية واليسارية للاحتشاد حوله وتأييده والدفاع عنه رغم ملاحظاتهم الكثيرة على أسلوبه فى الحكم ، ورغم ما لحق بهم من مآسى متعددة ٠

ولكن ذلك وحده لم يكن كافيا ·· فحياة الشعوب ومستقبلها لا يمكن مجموعة متميزة عن الطبقة التى تمثلها رغم ارتباطها بها استراتيجيا ·

ولكن ذلك وحده لم يكن كافيا ·· فحياة الشعوب ومستقبلها لا يمكن
أن تتجمع وتتبلور فى النهاية عند فرد واحد منها تألقت شخصيته وارتقت زعامته واحتشد حوله الناس بثقة وحب ·

وهكذا كان جمال عبد الناصر ··· وكان أيضا مجتمع جمال عبد الناصر ·

شكر وعرفان

ما كان لهذا الكتاب أن يظهر لولا هؤلاء السـادة الذين تفضلوا فمنحونى بعض وقتهم للبحث والمناقشة ·

ومعذرة اذا كانت الأسماء قد ظهرت بلا ترتيب تقتضيه التقاليد المرعية فانى قد حرصت على تدوينها تبعا للوقت الذى سجلت فيه ·

وكل الشكر والعرفان بالجميل لهم فردا فردا ·

" ـ العسكريون

الاسـم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
محمد نجيب	لواء أركان حرب	رئيس جمهورية مصر
عبد اللطيف بغدادى	قائد جناح	نائب رئيس جمهورية
زكريا محيى الدين	بكباشى أركان حرب	نائب رئيس جمهورية
كمال الدين حسين	بكباشى أركان حرب	نائب رئيس جمهورية
حسن ابراهيم	قائد سرب	نائب رئيس جمهورية
خالد محيي الدين	صـاغ	عضو مجلس الثـورة ورئيس ادارة (أخبار اليوم)
يوسف صديق	قائمقـام	عضو مجلس قيادة الثورة
عبد المنعم أمين	صاغ أركان حرب	عضو مجلس قيادة الثورة
كمال رفعت	صـاغ	عضو مجلس رئاسة ثم سفير
ابراهيم الطحاوى	صـاغ	رئيس جمعية الشبان المسلمين
أحمد لطفى واكد	صـاغ	رئيس تحرير جريدة (الشعب)
أحمد أنـور	بكبـاشى	سفير بالخارجية
حسين فهمى عبد المجيد	صـاغ	سفير بالخارجية
حسنى عبد المجيد	صاغ أركان حرب	لـواء بالجيش
حسن عرفة	صـاغ	مدير المباحث الجنائية العسكرية
توفيق عبده اسماعيل	يوزبـاشى	مدير عام برئاسة الجمهورية
أحمد المصرى	يوزبـاشى	مؤسسة السينما
أمال المرصفى	يوزباشى	مدير المسرح القومى

الاسم	آخر رتبة عسكرية	
توفيق عبد الفتاح	بكباشي أركان حرب	وزير شئون اجتماعية ثم سفير
أمين هويدى	صاغ	وزير حربية ووزير دولة
ثروت عكاشة	صاغ أركان حرب	مساعد رئيس جمهورية
محمد أبو الفضل الجيزاوى	صاغ	عضو مجلس أمة
شوقى فهمى حسين	قائد سرب	وزارة الاسكان
محمد رياض	يوزباشي	مندوب حكومة قطر فى مصر
سعيد حليم	يوزباشي	وزير مفوض بالخارجية
عبد المحسن مرتجي	فريق بالقوات المسلحة	قائد القوات البرية
محمد التابعى	بكباشي	سفير بالسودان
عبد المنعم النجار	بكباشي	سفير بالعراق
فؤاد المهداوى	يوزباشي	محافظ مرسى مطروح
محمود الحمزاوى	لواء بالشرطة	مدير ادارة الجوازات
حامد محمود	يوزباشي	محافظ الجيزة
عبد الرؤوف نافع	قائمقام	عضو مجلس ادارة منتدب لدار الهلال
محسن عبد الخالق	صاغ	سفير باليابان
محمد البلتاجى	صاغ	محافظ بالسويس
زكريا العادلى امام	عميد	سفير بالهند
عبد الحميد صبور	بكباشي	سفير بليبيا
فؤاد هلال	صاغ	سفير بقطر
حسن حافظ فهمى	بكباشي	عضو مجلس أمة
صدقى سليمان	قائمقام مهندس	رئيس وزراء ثم رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات
طلعت حسين	يوزباشي	رئيس مجلس مدينة الجيزة
حسن الدمنهورى	صاغ	أعمال حرة الجامعة العربية (ادارة التداول)
ابراهيم بغدادى	يوزباشي	محافظ القاهرة
فريد طولان	صاغ أركان حرب	نائب مدير المخابرات العامة
فؤاد حبشى	صول طيار	اعمال حرة
أمين شاكر	بكباشي	وزير سياحة

الاســم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
عبد الفتاح أبو الفضل	صاغ	عضوا للأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي
وفاء حجازى	صاغ	سفير في بنجلاديش
عبد المجيد نعمان	قائد سرب	المحرر الرياضي لجريدة الأخبار
فتح الله رفعت	يوزباشي	رئيس مؤسسة الاقراض الزراعي
محمد أبو نار	يوزباشي	رئيس شركة الأخشاب
مجدى حسنين	صاغ	سفير في تشكوسلوفاكيا
عبد المجيد شديد	يوزباشي	أمين تنظيم الاتحاد الاشتراكي
منير موافي	ملازم أول	مؤسسة روز اليوسف
صلاح الحديدى	فريق أول	رئيس المخابرات الحربية
محمد على بشير	صاغ	رئيس مجلس ادارة الشركة الشرقية للبترول
ممدوح جبه	صاغ	سفير سوريا
عبد الحميد الدغيرى	لواء جوى	قائد القوات الجوية بسيناء
حسن خليل	صاغ	قائد المباحث الجنائية العسكرية
مصطفى بهجت بدوى	صاغ	رئيس مجلس ادارة دار التحرير

٢ ـ السياسيون :

الاسم	آخر منصب
أحمد فؤاد	رئيس مجلس ادارة بنك مصر
عز العرب عبد الناصر	رئيس مكتب الجمهورية بالاسكندرية
محمد رياض	وكيل وزارة الداخلية
فتحى رضوان	وزير الثقافة
محمد شطا	عامل
فؤاد سراج الدين	وزير داخلية سابق
فتحى خليل	صحفى بروز اليوسف
محمود أمين العالم	رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم
موس صبرى	رئيس تحرير الأخبار
سعد كامل	محرر بالأخبار
ابراهيم فرج	وزير دولة
زكى مراد	محامى
عزيز صدقى	مساعد رئيس جمهورية
حسين فهمى	رئيس تحرير الأخبار
محمد الفتيت	وكيل بنك الائتمان العقارى
مصطفى مرعى	محامى
محمود الشريف	وكيل وزارة الاعلام بقطر
كمال ناجى	وكيل وزارة التعليم بقطر
مراد غالب	وزير خارجية ثم سفير ليوغوسلافيا
ابراهيم سعد الدين	عضو أمانة الاتحاد الاشتراكى
أحمد بهاء الدين	رئيس تحرير الأهرام
عبد المنعم الصاوى	نقيب الصحفيين المصريين
أحمد سعيد	مدير صوت العرب
دكتور فؤاد موسى	وزير التموين السابق

المراجع العربية

الكتـــاب	المؤلــف
فلسفة الثورة	جمال عبد الناصر
خطب جمال عبد الناصر	
اسرار الثورة المصرية	أنور الســادات
اسرار معركة الحرية	حسن عــزت
حقيقة الانقلاب الأخير فى مصر	راشد البراوى
الثورة العربية	لورد كرومر
حرب التحرير الوطنية	كمال رفعت
النــاصرية	عبد الله امام
ما الذى جرى فى سوريا	محمد حسنين هيكل
عبد الناصر والعالم	محمد حسنين هيكل
مذكرات ايدن	محمد حسنين هيكل
صــلاح ســالم	الدكتور محمد المعتصم
العالم الثالث (قضايا وآفاق)	س . جوكوف وآخرون
تاريخ الأقطار العربية الحديث	لوتسكى
من اسرار الساسة والسياسة	محمد التابعى
انجلترا وقناة السويس	الدكتــور محمــد مصطفى صفوت
عبد الناصر والحركة النقابية	محمد خالد
ميــلاد ثــورة	محمد عــودة
السياسة الاستعمارية بعد الحرب العــالمية الثانية	فاخرة شيف
ثــورة ٢٣ يوليــو	عبد الرحمن الرافعى
محاضر محادثات الوحدة	
المشاكل المعاصرة للتحرير الوطنى	لينين
التورط السوفيتى فى الشرق الأوسط	ميلز كوبلند وهـ . هانتر
أسرار معركة بور سعيد	أحمد حمروش
قصة ملك واربع وزارات	موسى صبرى
ثــورة ٢٣ يوليــو	دكتور ثروت بدوى
سنوات التحول الاشتراكى	على صبرى
مصر منذ الثورة	مترجم عن الانجليزية فاتيكيوتس
بيانات الجهاز المركزى للتصفية والاحصاء	

المراجع الأجنبية

Army Officers in Arab Politics and Society	Eleiger Be'eri
Armée Et Politique Au Moyen Orient	Bernard Vernces
Egypt Since the Revolution	P.J. Vatikiotis
Tht Modern History Of Egypt	P.J. Vatikiotis
Game of Nations	Miles Copeland
Socialism and The Middle East	Andrew Grant
Nasser	Jean Lacouture
Middle East Politics	J.C. Hurcuritz
The Role of The Military In Underdeveloped Countries	John Johnson
The Military in African Politics	W. F. Cutteridge
The Role of The Military In the Emerging Countries	H. Dcadler
Nasser	Anthony Nutting
Egypt Under Nasir	R. Hrair Dekmejian

الجزء الثانى

مجتمع عبد النـاصر

الباب الأول

سنوات الصعود

الفصل الأول تحرير مصر ... والسودان

خرج جنود الاحتلال البريطانى من السودان قبل مصر ، وعندما خرجوا من مصر بعدها بشهور قال جمال عبد الناصر (والآن يبقى علينا اعادة بناء بلدنا) .

الفصل الثانى مع الحياد ضد الاحلاف

(ان انتصـار مصر فى معركـة الاحـلاف انتصار للهند أيضا) .

جواهر لال نهرو
أثناء زيارة القاهرة فبراير ١٩٥٥

الفصل الثالث السوفيت فى المنطقة

(صفقة الأسلحة المصرية السوفيتية أخطر اجراء منذ قيام حرب فيتنام) .

جون فوستر دالاس
وزير خارجية الولايات المتحدة

(ان هذه الاتفاقية التجاريـة التى وقعناها

بلا قيـد ولا شرط لا تعتبر فتحـا للنفـوذ
الروس ولا النفوذ الأجنبى ولكنهـا تعتبر
قضاء على النفوذ الطويل الذى تحكم فينا
وسيطر علينا) ٠

جمال عبد الناصر

الفصل الرابع القنـاة والعدوان

(ان رجـلا له سجل ناصر يجب الا يسمح
له بأن يطبق يده على رقبتنا) ٠

ايـدن
رئيس وزاره بريطانيا

(ان عبـد الناصر يجب ان يلـفظ القنـاة
ولا يبتلعهـا) ٠

جون فوستر دالاس
وزير خارجية الولايات المتحدة

(أنا فى القاهرة سأقاتل معكم ضد أى غزو
الى آخر نقطة دم) ٠

جمال عبد الناصر
من فوق منبر الأزهر

الباب الثانى

العسكريون فى مركز السلطة

الفصل الخامس زحف العسكريين ٠٠٠ نحو السلطة

(لا يمكن للقوات المسلحة ان تكون ولم تكن
يوما ولن تكون ابدا محايدة) ٠

لينـين

الفصل السادس الحيرة والاختيـار

(لم يكن مطلوبا منى يوم ٢٣ يوليو ان اطلع
ومعى كتاب مطبوع وأقول ان هذا الكتاب
هو نظرية ٠٠٠ مستحيل) !

جمال عبد الناصر
٢٥ نوفمبر ١٩٦١

الباب الثالث

مجتمع جمال عبد الناصر

الفصل السابع محاولة لنظرية جديدة

(لا بد لنا أن نقاتل الاستعمار فى قصور الرجعية وأن نقاتل الرجعية فى احضان الاستعمار) ٠

جمال عبد الناصر
أكتوبر ١٩٦١

الفصل الثامن فى كواليس القيادة

كانت كواليس القيادة مليئة بالتناقضات والخلافات الشخصية ٠٠٠ ولكنها كانت محجوبة عن الجماهير بستار كثيف ٠

الفصل التاسع طليعة الاشتراكيين

(ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسى جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكى العربى يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ويتحسس احتياجاتها ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات) ٠

الميثاق

الفصل العاشر مجتمع جمال عبد الناصر

(لن استطيع ان أقف الا اذا انتهى استغلال الانسان للانسان) ٠

جمال عبد الناصر

عَبد الناصر والعرب

اهــــداء

● الى الجيل الجديد من الأمة العربية

مقـدمة

قصة ثورة ٢٣ يوليو لا تكتمل داخل حدود مصر ، وتأثيرها التاريخي لا يقتصر فقط على شعب مصر ٠

ومنذ يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحركة النضال العربي للتحرر من جنود الاستعمار القديم ، وقيود الاستعمار الجديد ، دائبة لا تهدأ ٠٠٠ وفي كل مكان تنفجر فيه ثورة عربية نجد أثرا لثورة ٢٣ يوليو ٠

كان جمال عبد الناصر سريع المبادرة في تأييد حركات التحـرر العربي ،مؤمنا بالقومية العربية ، ساعيا من أجل تحقيق الوحدة العربية ٠

واذا كانت علاقة القاهرة مع بعض العواصم العربية قد تأرجحت بين الاقبال الشديد والنفور الشديد فان ذلك كان نتيجة للمعارك التي خاضها جمال عبد الناصر ضد الأحلاف العسكرية ، والمشاريع الاستعمارية من ناحية ، وضد التشكيلات الحزبية على اختلاف اتجاهاتهـا السياسية من ناحية أخرى ٠

وقصة (جمال عبد الناصر ٠٠ والعرب) طويلة ومتعددة الجوانب ٠٠ وتختلف فيها وجهات النظر ٠٠ ولذا كنت حريصـا على الا أرصــدها وأسجلها بوجهة نظر (مصرية) ٠٠٠ وانما حرصت على أن تكون رؤيتي لها بعين (عربية) ٠

وكثير من الذين شاركوا وأسهموا في كتابة تاريخ هذه القصة لم يعودوا بعد في موقع المسئولية ٠٠٠ ولكنهم ما زالوا يحتفظون بحرارة الحديث عن هذه الفترة الخصبة ٠

ولذا سعيت الى أكبر عدد من الزعماء والسياسيين العرب سمحت لي الظروف بمقابلتهم في بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة ٠٠٠ الى جانب المصريين من المدنيين والعسكريين ٠

واعترف أن لقاء الجميع كان صعبا ، بل مستحيلا ٠٠٠ فقد اختطف الموت بعضهم حاملا أسراره ورأيه معه ، والبعض منهم ما زال فى موقع السلطة التى لا تسمح بحرية الحديث كاملة ، والبعض لم تسنح الفرصة للقاء معه ٠

ولكن الحقيقة رغم ذلك تبدو ناصعة ٠٠٠ وأحداث القصة كاملة ٠

وقد آثرت أن أنتزع من هذا الجزء فصلا هاما ومثيرا لا تكتمل قصة عبد الناصر والعرب الا به هو (فلسطين ٠٠ وعبد الناصر) ٠٠٠ فقد وجدت ان مكانه الطبيعى فى الجزء القادم الذى يستعرض مشكلة اسرائيل والشرق الأوسط ، والذى يحمل قمة المأساة ، ويصدر باسم (خريف عبد الناصر) ٠

ان حركات التحرر على امتداد الوطن العربى ، قدمت للتاريخ نماذج رائعة للبطولة والتضحية ، وأسهمت بدور بارز فى مقاومة الامبريالية ، ونسجت مع القاهرة علاقة نضالية وثيقة ٠

وكان جمال عبد الناصر موجودا دائما ٠٠ اسما وشخصية وتأثيرا ٠

احمد حمروش

الباب الأول

● العسكريون المصريون .. والقومية العربية

* (ليس من حـق المصريين أن يديروا ظهورهم للعروبـة متمسـكين بصلتهم بالمدنيـة الفرعونيـة التى انقرضت الى غير رجعـة ، فالعروبة ليست جزءا من مـاض محنـط .. انها جزء من حاضر حى) .

ساطع الحصرى

* (اذا كانت مشكلة الاحتلال قد اسـتنفدت الى الآن الجزء الأكبر من جهد المصريين فانهـا لم تصرفهم أبدا عن المشاركة فى كل جهد عربى يبذل من أجل تحرير العرب) .

جمال عبد الناصر
٢٣ يوليو ١٩٥٤

لم تكن القومية العربية بعيدة عن أفكار العسكريين فى مصر ، رغم انها لم تذكر فى الأهداف الستة لحركة الجيش ٠

ولم تكن مهملة عندهم رغم أنه لم ترد عنها كلمة واحدة فى برنامج هيئة التحرير أول تنظيم سياسى جماهيرى للثورة ٠

القومية العربية كانت واقعا فى حركتهم ومواقفهم ٠

قضية فلسطين هى التى جعلت المصريين أكثر اقترابا من العرب ٠٠ وقبل ذلك كانت القضية الرئيسية التى تشغلهم هى التحرر من الاستعمار البريطانى ٠

الحركة القومية العربية التى نشأت قبل الحرب العالمية الأولى لمقاومة الحكم العثمانى وحدت بين عرب المشرق ٠٠ ويذكر المؤلف البريطانى C. E. Daun فى كتابه (نشوء العروبة فى سوريا) انه حصر أصول أنشط ١٢٦ شخصية فى اطار الحركة القومية العربية فكانوا ١٨ عراقيا ، ٥١ سوريا ، ٢٠ فلسطينيا ، ٢١ لبنانيا ، ومصريا واحدا فقط ٠

عدد كبير من هذه الشخصيات كان من العسكريين ٠

ولكن انشغال مصر بقضيتها الرئيسية لم يجعلها تبتعد تماما عن حركة القومية العربية ٠

مصر كانت وما زالت مصدر اشعاع رئيسى فى المنطقة العربية ٠٠ الجماهير فى كثير من المناطق العربية كانت تتابع حركة الثورة فى مصر وتتحيز لسعد زغلول ٠٠ بل ان الناس هناك كانوا يتابعون الرياضة أيضا ، وينحازون للأهلى أو المختلط (الزمالك) ٠

ويقول الدكتور طارق البشرى فى كتابه (الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢) (أن موقع حزب الوفد على رأس الحركة الوطنية وجهاده ضد الاستعمار يزيده قربا من حركات التحرر فى البلاد المختلفة وفى العالم العربى خاصة) ٠

حضر الوفد المؤتمر الاسلامى الأول الذى عقد بالقدس عام ١٩٣١ ، كما اشترك فى المؤتمر العربى الذى اجتمع بعد المؤتمر الاسلامى ٠٠ وتبنى الوفد فى المؤتمر الأول وجهة النظر الاسلامية كما تبنى فى المؤتمر الثانى وجهة النظر القومية ٠

عبد الرحمن عزام ألقى رسالة مصطفى النحاس الى المؤتمر باسم مصر والوفد ، وكان من أهم القرارات الدعوة الى توحيد البلاد العربية واستنكار تجزئة فلسطين ٠

كان ذلك موقفا مغايرا تماما لاتجاه أحزاب الأقلية الخاضعة للاستعمار والسراى .

اسماعيل صدقى وزير الداخلية عام ١٩٢٥ أصدر أمرا باعتقال الوطنيين الفلسطينيين الذين هتفوا ضد بلفور صاحب الوعد المعروف أثناء مروره بالقاهرة لافتتاح الجامعة العبرية بفلسطين .

ووقفت حكومة محمد محمود عام ١٩٢٩ ضد ثورة شعب فلسطين ، وكتبت جريدتهم (السياسة) تهدد الوطنيين الفلسطينيين فى مصر بالطرد لتهييجهم الرأى العام خوفا من غضب بريطانيا ومن أى عامل يثير الشعب المصرى الكاره لحكمهم ، كما ورد فى كتاب الحركة السياسية للدكتور طارق البشرى .

أما الأحزاب الوطنية الناشئة مثل (مصر الفتاة) فقد وضعت فى برنامجها هدف التحالف مع الدول العربية ، و (الاخوان المسلمون) كان من أهدافهم اقامة روابط عربية اسلامية ، وجمعية (الشبان المسلمين) نشطت لجمع التبرعات لضحايا ثورات شعب فلسطين .

لم يكن ممكنا لمصر أن تقف فى عزلة عن العرب .

واذا كانت جريدة السياسة قد كتبت مقالا لمحمد حسنين هيكل قطب الأحرار الدستوريين فى يونيو ١٩٣٠ وصفته جريدة (اسرائيل) الصهيونية التى كانت تصدر فى مصر بأنه (خير ما كتب الى الآن فى اللغة العربية) .

واذا كان الدكتور طه حسين قد كتب عدة مقالات فى (كوكب الشرق) عام ١٩٣٣ ، ومجلة (المكشوف) اللبنانية ١٩٣٨ قال فيها (ان الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين وأنها ستبقى كذلك) ونشر نفس المعانى فى مجلة (زهرة المشرق) اللبنانية عام ١٩٣٩ .

فان ابراهيم عبد القادر المازنى الكاتب المعروف كتب فى أغسطس ١٩٣٥ يقول (فشلت الثورة المصرية لأننا أحطنا قوميتنا بمثل سور الصين ، ذلك لأنى أومن بما أسميه القومية العربية ، وأعتقد أن من خطل السياسة وضلال الرأى أن تنفرد كل واحدة من الأمم العربية بسعيها غير عابئة بشقيقاتها) .

ولزكى مبارك كتابات كثيرة أيضا دعا فيها الى القومية العربية والتوحيد العربى .

ومكرم عبيد كتب فى مجلة (الهلال) شهر ابريل عام ١٩٣٩ مقالا تحت عنوان (المصريون عرب) قال لى ابرهيم فرج الوزير الوفدى أنه كتبه بتكليف من النحاس باشا ٠٠ وتوافقت فكرة سكرتير الوفد مع معتقدات ساطع الحصرى الذى كتب قائلا (ليس من حق المصريين أن يديروا ظهورهم للعروبة متمسكين بصلتهم بالمدنية الفرعونية التى انقرضت الى غير رجعة ، فالعروبة ليست جزءا من ماض محنط ، انها جزء من حاضر حى) ٠

وعندما اشتعلت ثورة فلسطين الكبرى عام ١٩٣٦ فرضت نفسها على مصر ونما الاتجاه العربى فيها ، ودافع وزير خارجية مصر الوفدى أمام عصبة الأمم عن حقوق شعب فلسطين ، ومنعت حكومة الوفد سفر العمال المصريين الذين طلبتهم السلطات البريطانية ليحلوا محل العمال الفلسطينيين هناك ، كما تكونت جامعة الرابطة العربية عام ١٩٣٦ برئاسة محمود بسيونى أحد زعماء الوفد ورئيس مجلس الشيوخ ، وذلك كما سجل الدكتور طارق البشرى فى كتابه (الحركة السياسية فى مصر) ٠

وفى أكتوبر ١٩٣٨ انعقد فى القاهرة أيضا المؤتمر النسائى العربى ، الذى دعت اليه السيدة هدى شعراوى رئيسة الاتحاد النسائى المصرى ٠

ولم تكن الرابطة العربية فى محيط السياسة فقط ، ولكنها كانت فى محيط العسكريين أيضا ، وخاصة الذين خدموا فى الجيش العثمانى وحاربوا فى ليبيا ضد الغزو الايطالى مثل عزيز المصرى وصالح حرب وعبد الرحمن عزام ٠

عندما شبت ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق عام ١٩٤١ وهرب الوصى على العرش ونورى السعيد الى شرق الأردن حاول عزيز المصرى الهرب والاتصال برشيد عالى ولكن محاولته فشلت ٠٠ كما فشلت بعد ذلك ثورة رشيد عالى وهرب هو ومفتى القدس الحاج أمين الحسينى الى ألمانيا النازية ٠

وقد استلفتت محاولة عزيز المصرى أنظار عدد من الضباط المصريين المهتمين بالسياسة والمعجبين ببريق النازية فى بداية الحرب العالمية الثانية ، وخاصة أن الاخوان المسلمين الذين ضم تنظيمهم عددا كبيرا من الضباط كانوا يهتمون بالعروبة كرابطة ووحدة روحية يسرى الاسلام فيها ، فبدأت توثق علاقاتها بالبلاد العربية ، وتقيم فيها فروعا ، وقد لاقت انتشارا فى سوريا والسودان خاصة ٠

وكانت بريطانيا خلال فترة الحرب قد اكتشفت الروح المعادية لها من الانفجارات التى قامت ضدها ، فأيدت فكرة انشاء الجامعة العربية

كسرا لموجة العداء العربى ، ومحاولة لتوجيه الدول العربية عن طريق حكامها الرجعيين ٠

أعلن أنطونى ايدن وزير خارجية بريطانيا فى مايو ١٩٤١ (أن كثيرين من المفكرين العرب يرغبون فى تحقيق درجة من الوحدة بين الشعوب العربية (أكثر مما هو قائم الآن) وفى محاولتهم للوصول الى هذا الغرض تطمع الشعوب العربية فى مساندتها وينبغى ألا نقف دون الاستجابة الى مثل هذا النداء ، ويبدو لى أن تدعيم وتقوية الروابط الثقافية والاقتصادية بل والسياسية بين البلدان العربية انما هو تصرف طبيعى وسليم ٠ وحكومة صاحبة الجلالة من جانبها تعطى تأييدها الكامل لأى مشروع فى هذا المجال يحدث عليه اتفاق) ٠

ومارست مصر ممثلة فى حكومة الوفد دورا نشطا فى ظهور فكرة الجامعة العربية ، ولكن البروتوكول الذى وقع فى الاسكندرية يوم ٧ أكتوبر ١٩٤٤ لم يتضمن ادخال فلسطين كدولة عربية وانما تضمن ملحقا بأن تعمل الدول العربية للحفاظ على عروبة فلسطين فقط ٠

وبعد أن وقعت حكومة الوفد بروتوكول انشاء الجامعة أقالها الملك فاروق فى اليوم التالى مباشرة ـ ٨ أكتوبر ـ ليتفادى هو والاستعمار ما استهدفه النحاس من جعل الجامعة العربية منبرا للسياسة والأحزاب الوطنية العربية ، وأصبحت الجامعة العربية بعد اقالة الحكومة الوفدية منبرا سلبيا لا يدعم الوحدة العربية ، وانما يجمد التناقضات بين حكامها ٠

عبرت جريدة الديلى تلجراف عن الهدف البريطانى من تأييد انشاء الجامعة بقولها (ان ظهور هذه الروح العربية قد يؤدى الى تخفيف حدة الروح الوطنية المصرية التى بدأت الظواهر تشير الى وصولها لدرجة خطيرة كما حدث عقب الحرب الماضية) وذلك كما نشرت جريدة المصرى فى ١٣ يناير ١٩٤٦ ٠

وأكدت المانشستر جارديان هذا المعنى بقولها (اذا أردنا أن نحتفظ بالنفوذ فى هذه الأرجاء فلا يكفى أن نشجع الروح الوطنية العربية التى قد تصير بسهولة معادية لبريطانيا ، وهى على كل حال ليست مما يعتمد عليه ، يجب أن نشجع الاصلاحات الاجتماعية والاقتصادية ولو كان ذلك ضد رغبات أصحاب الأملاك الذين يعدون أصدقاءنا) وقد نشر ذلك فى جريدة المصرى ٢٣ فبراير ١٩٤٦ ٠

ظلت الجامعة العربية تدور فى فلك بريطانيا والحكام الرجعيين قبل الثورة لا تؤدى دورا فى بعث الحركة الشعبية العربية أو تأييدها ٠

ولكن ٠٠٠ عندما وصلت المشكلة الفلسطينية الى قمة الأزمة بعد قرارات الأمم المتحدة بالتقسيم واقتراب موعد انتهاء الانتداب البريطانى ،

احتشدت الجماهير حول الدعوة للجهاد من أجل فلسطين ٠٠٠ وبرز فى هذا المضمار جماعات الاخوان المسلمين والتنظيمات الدينية الأخرى ٠

العسكريون المصريون ٠٠ والعرب

وتحرك العسكريون أيضا نحو العرب ٠

كان الملك قد قبل الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين لاجئا فى مصر عند حضوره لها فى يوليو ١٩٤٦ بعد اقامته فى ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية ٠٠ وذلك دون علم اسماعيل صدقى رئيس الوزراء الذى أصدر بيانا يشير فيه الى أهمية الهدوء والنظام فى هذه المرحلة الدقيقة ، ويقول فيه (و لاريب ان سماحته – أى المفتى – مقدر لذلك) ٠

وبدأت صلات العسكريين المصريين بالقيادات العربية ٠٠٠ بدأت مع الحاج أمين الحسينى الذى التقى سرا بعدد من الضباط منهم جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وأنور السادات وعبد اللطيف البغدادى وغيرهم ٠

وكانت علاقة الحاج أمين الحسينى بالصاغ المتقاعد محمود لبيب المشرف على تنظيم الضباط فى جماعة الاخوان المسلمين علاقة قديمة تعود الى فترة وجودهما معا فى برلين ٠

وأتيحت فرصة اتصال العسكريين المصريين بالقيادات العربية خارج مصر عندما قررت قيادة الجيش المصرى ارسال أسلحة الى (جيش الانقاذ) فى سوريا بقيادة فوزى القاوقجى ٠

وفوزى القاوقجى ضابط سورى كان أصلا فى جيش الشرق متزوج من ألمانيـة وربطته علاقات وثيقة بضباط ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ٠٠ وقد اشترك فى الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ٠٠٠ ثم كون جيش الانقاذ عام ١٩٤٨ ٠

بعض قادة جيش الانقاذ كانوا معارين من الجيش السورى مثل العقداء أديب الشيشكلى وغسان جديد ومحمد صفا ٠

والبعض الآخر انضم اليه متطوعا دون اذن سلطات الجيش السورى مثل عبد الحميد السراج وأكرم ديرى وجودت أتاسى وجمال صدقى وجادو عز الدين ٠٠ وقد حاولت السلطات السورية اعتبارهم فارين من الجيش ، ولكن أمام الضغط الشعبى اضطر وزير الدفاع أحمد الشرباتى الى اعتبارهم منتدبين ٠

كان سرب النقل الجوى المصرى بقيادة عبد اللطيف البغدادى يحمل الأسلحة الى مطار المفرق ٠٠ ولم يكن عند سوريا فى ذلك الوقت سلاح

للطيران وبالتالى فلم تكن هناك مطارات حربية ٠٠ كان هناك مطار المزة ومطار حلب فقط ٠

وفى احدى الرحلات الى سوريا التقى البغدادى مع القاوقجى ، وقال له أن الحكومة المصرية قد رفضت مبدأ تطوع الضباط ، واقترح عليه أن يهرب الى سوريا مع عدد من زملائه بطائرات مقاتلة ، تشبها بما فعله عزيز المصرى ٠

وحذر القاوقجى الضابط المصرى من أخطار هذه العملية وطلب منه أن يكون مستعدا ، ولما سأله البغدادى عن الموعد المناسب لذلك قال له القاوقجى أنه يحتاج اليهم فى المعركة الفاصلة ٠

وبدأت مجموعة ضباط الطيران المصريين يجهزون ١٥ طائرة من نوع Spitfire دون علم القيادة ٠٠ كما وافقت وزارة الحربيـة على انتداب طيار مصرى للانضمام لجيش سوريا ، وسافر حسن ابراهيم ومعه فنى فى التسليح الى سوريا حيث قابلا وزير الدفاع السورى وقاما بانشاء مطار سرى شرق دمشق بستين كيلو متر ٠

وكان البغدادى قد طلب من القاوقجى انتداب أحد رجاله الى مصر ليقوم بدور ضابط اتصال ٠٠ وفعلا حضر خبير مدرب فى المانيا النازية على أجهزة اللاسلكى اسمه محمود الرفاعى ، وأقام مدة طويلة ينتظر دورا يقوم به ٠

واستمر جيش الانقاذ السورى يمارس دوره حتى أسقطت منطقة الجليل ، وتحول الجيش الى لواء تابع للجيش السورى ٠٠ وعندما قام حسنى الزعيم بانقلابه منح ضباط هذا الجيش ترقية استثنائية ٠

لم تكن لقاءات العسكريين المصريين مع العسكريين العرب خـلال هذه الفترة تتجاوز مرحلة التعاون المشترك فى النضال ضد الصهيونية التوسعية والاستعمار ٠٠ ولم تكن أهداف اللقاء قد أرسيت على قواعد فكرية أو أسس نظرية ٠

كان المنطلق المصرى الى الفكرة العربية قائما على الوحدة الاسلامية ذات الامتداد التاريخى ٠٠ الى جانب النضـال المشترك الوليد ضـد الاستعمار والصهيونية التوسعية ٠

وكانت حرب ١٩٤٨ هى بـداية الاحتكاك الحقيقى بين المصريين المتطوعين ورجال الجيش وبين عرب فلسطين وغيرهم ٠

كانت الصلة تزداد وثوقا مع أخطار الحرب وتضحياتها ٠٠ وفى هذه المرحلة اكتشف العسكريون المصريون أن ظروفهم التى أدت الى عـدم

انتصارهم على القوات الصهيونية ترجع أساسا الى تهتك النظام الملكى القائم فى مصر ٠٠

٢٣ يوليو ٠٠ والصلات العربية

وانبثقت فكرة الاهتمام بما يدور فى القاهرة ٠٠ وبدأت أفكار الضباط تلتقي حول هدف واحد ٠٠ هو التغيير فى مصر ٠

هذا هو ما جعل أهداف الضباط الأحرار تخلو من الاشارة الى القومية العربية ، وهو أيضا ما جعل برنامجا هيئة التحرير يأتى بلا أية اشارة الى القضايا العربية ٠

ولكن هذا لم يكن ابتعادا عن عقيدة ، أو انصرافا عن يقين ٠٠ بل انه كان نتيجة السرعة التى تمت بها حركة الجيش والاندفاع السريع المفاجيء نحو التحرك ، وتكتل المشكلات أمام الضباط منذ اللحظة الأولى ٠٠ مما جعلهم لا يهتمون بميثاق الأمن الجماعى الذى وقعته مصر مع الدول العربية عام ١٩٥٠ فى اطار الجامعة العربية ٠

ومع هذا فقد بدأ الارتباط العربى يتحقق منذ الأيام الأولى ، عندما وجد الوطنيون العرب فى حركة الجيش واقعا جديدا يستحق الرصد والاهتمام ٠٠ وعندما وجدت الأنظمة والحكومات فى الوطن العربى سواء من الملكيين أو الجمهوريين أنه لابد من اقامة صلة مع النظام الجديد ٠

نشرت جريدة المصرى يوم ٢٥ مايو ١٩٥٣ تقول أن بعض الهيئات العربية فى بغداد ذهبت الى السفارة المصرية تطلب النص فى الدستور على أن تكون مصر دولة عربية ٠

وكانت لجنة الخمسين لوضع دستور جديد قد شكلت بعد الغاء دستور ١٩٢٣ ٠

وعلال الفاسى زعيم حزب الاستقلال المغربى أرسل ـ كما نشرت جريدة المصرى يوم ١٦ أغسطس ١٩٥٣ ـ رسالة الى محمد نجيب يستنجد به لتدبير فرنسا مؤامرة لخلع السلطان محمد الخامس ٠٠ وخطب جمال عبد الناصر يوم ٢٦ أغسطس خطبة يقول فيها (ان ما ترويه قصة الاستعمار فى مصر هو ما ترويه فى كل مكان ٠٠ والجلاوى باع نفسه للشيطان) ٠

أول رئيس عربى زار مصر بعد الثورة كان أديب الشيشكلى رئيس سوريا الذى استقبلته الصحافة بترحيب شديد وصفته جريدة المصرى فى المانشيت الرئيسى باسم (محرر سوريا) ٠

وعندما عاد الشيشكلى الى سوريا جمع عددا من ضباط الجيش فى

نادى الضباط وقال لهم ان جمال عبد الناصر هو الرجل القوى فى مصر وليس محمد نجيب ·· وذلك كما قال لى أكرم ديرى ·

وصدرت فى مصر يوم ١٢ أكتوبر ١٩٥٣ جريدة القاهرة المسائية بأموال سعودية ·

وبدأ صلاح سالم جولاته فى البلاد العربية ، كما بدأ بزيارة السودان ، فسافر الى لبنان فى أوائل يوليو ١٩٥٤ ، وبعدها بأسبوع الى اليمن ·· ثم قام برحلته الشهيرة التى قابل فيها الملك فيصل وولى العهد الأمير عبد الاله ونورى السعيد فى مصيف سرهنك خلال شهر أغسطس ١٩٥٤ ثم قام برحلة الى السعودية فى نوفمبر من نفس العام ·

كل هذه الصلات تمت فى اطار محاولة اقامة علاقات ودية مع الدول العربية ·· ولكنها تطورت لتصبح نضالا مصريا ضد محاولة فرض الأحلاف العسكرية على الدول العربية وانتهت الى نزاع سافر مع بغداد ·

البوادر الأولى التى أظهرت اتجاه مصر العربى تمثلت فى افتتاح اذاعة صوت العرب يوم ٤ يوليو ١٩٥٣ بكلمات من محمد نجيب وعبد الخالق حسونة أمين الجامعة العربية وأغنية من محمد عبد الوهاب ·

بدأت الاذاعة بمدة نصف ساعة فقط ، امتدت مع الوقت لتصبح ساعة فى اليوم ·

ووقفت اذاعة صوت العرب مع الثوار العرب فى كل مكان ·· مع صالح بن يوسف فى تونس ·· مع السلطات محمد الخامس ضد الجلاوى فى المغرب ·· مع الوطنيين المعارضين لربط المشرق العربى بالأحلاف العسكرية ·

ساعة الصفر لثورة الجزائر فى أول نوفمبر ١٩٥٤ أعلنت من اذاعة صوت العرب ، وكانت ايذانا بتفجير ٢٤ قنبلة فى أماكن مختلفة مع اذاعة بيان جبهة التحرير · وأعدت اذاعة سرية خاصة للجزائر فى نوفمبر ١٩٥٥ حتى أصبح أحمد بن بيللا رئيسا للحكومة ، وهى الاذاعة التى انتقلت اليها اذاعة القاهرة عند عدوان ١٩٥٦ ·

وكان أحمد بن بيللا قد حضر الى مصر فى أغسطس ١٩٥٣ بعد الحكم عليه هناك عقب حادث الهجوم على العرب فى وهران ، وهو جاويش هارب من الجيش لا يحمل معه فى جيبه سوى ٢٠٠٠ فرنك ·

العلاقات المصرية العربية تزداد وثوقا ·· ثم وضوحا بعد انتهاء أزمة العسكريين فى مصر بتنحية محمد نجيب عن السلطة فى ١٧ نوفمبر ١٩٥٤ ·

وأخذ التعاون العربى صورة أكثر ايجابية ٠

قال جمال عبد الناصر فيما نشره باسم الثورة (وما من شك فى أن الدائرة العربية هى أهم هذه الدوائر وأوثقها ارتباطا بنا) ٠

ويقول فى العيد الثانى للثورة (مشاكل العرب هى مشاكل المصريين ٠٠٠ واذا كانت مشكلة الاحتلال استنفدت الى الآن الجزء الأكبر من جهد المصريين فانها لم تصرفهم أبدا عن المشاركة فى كل جهد عربى يبذل من أجل تحرير العرب) ٠

وبدأ التقاء الثورة المصرية مع الثورات العربية ٠٠٠ كان حلقة الاتصال ضباط المخابرات ، وهى المصدر الذى سبق أن أوضحنا أنه كان معملا لتفريخ المسئولين فى الأجهزة السياسية والادارية ٠

شارك فى ذلك عدد وافر من الضباط كان أبرزهم كمال الدين رفعت وأحمد لطفى واكد وعزت سليمان وفتحى الديب ٠

ظل كمال رفعت مسئولا عن الاتصال بالأحزاب العربيـة فى المشرق العربى خلال الفترة من أواخر ١٩٥٤ حتى ثورة يوليو فى العراق ٠

بدأ الاتصال ببقايا الفلسطينيين فى سوريا ولبنان والأردن ٠٠٠ ويقول كمال رفعت أنه حدث من جانب هؤلاء المجاهدين تجاوب وشك فى نفس الوقت ٠

تساءلوا عن مبرر حركة المصريين ٠٠٠ وكانت محاكمات الاخوان المسلمين قد عكست على الثورة المصرية ظلالا قاتمة نتيجة دعايتهم فى بعض البلاد التى انتشروا فيها ٠

وكان كمال رفعت حريصا على الاتصال بكل القوى الوطنية ومن بينهم الشيوعيون ٠٠٠ ولكن أكرم الحورانى الذى اتصل به كمال بعد مقتل العقيد عدنان المالكى عام ١٩٥٥ ، أرسل خطابا الى جمال عبد الناصر يشكو فيه من كمال رفعت لأنه اتصل بالشيوعيين ، ويهاجم البعث فى مجالسه ٠

وأسفرت اتصالات كمال رفعت عن تشكيل اربعة تنظيمات سرية ، واحد منها على الحدود اللبنانية الفلسطينية ، وتنظيمان فى سوريا ، وتنظيم فى الأردن ، وذلك حسب روايته لى ٠

كانت هذه التنظيمات امتدادا بشكل أو آخر ، لتنظيمات الفدائيين فى القناة الذين اعتمدوا على أسلوب المخابرات السرى ٠

لم تنفتح هذه الاتصالات على التنظيمات الشعبية بطريقة علنية ، لأن مصر كانت تفتقد التنظيم السياسى القادر على التعاون والحركة السياسية ٠٠ ولذا ظلت للمخابرات ــ بأساليبها الخاصة ــ اليد العليا ٠

أشرف على هذه التنظيمات ضباط المخابرات ··· صلاح مصطفى الملحق العسكرى فى الأردن ، وزغلول عبد الرحمن مساعد الملحق العسكرى فى دمشق وحسن خليل مساعد الملحق العسكرى فى بيروت ·

وكان زكريا محيى الدين قد تولى مسئولية الاتصالات العربية بعد استقالة صلاح سالم وتكليف ضباط المخابرات باعمال سياسية ·

وخلال معركة حلف بغداد حدث اتصال بين كمال رفعت وعزيز شريف عضو الحزب الشيوعى العراقى بهدف اسقاط حكم نورى السعيد وقد التقى جمال عبد الناصر بعزيز شريف قبل اندلاع ثورة العراق ·

وأنشئت فى مصر اذاعة كردية لمهاجمة نورى السعيد وحلف بغداد وكان أكراد العراق يمدونها بالأخبار والتعليقات والاسطوانات أيضا ·

لم تعتمد الثورة على المدنيين ··· سوى فتحى رضوان الذى أوفده جمال عبد الناصر الى الملك حسين فى أول رحلة تقارب مع الأردن ، والتى حدث خلالها هجوم الاسرائيليين على غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ·· وكذلك محمد فؤاد جلال الذى عين وزيرا للارشاد لفترة محدودة ثم أصبح عنصرا نشيطا فى مجال العمل السياسى العربى ·

رغم كل شىء كان لهذه الاتصالات تأثير كبير فى انفتاح الثورة المصرية على الساحة العربية ·

ويقول كمال رفعت أن العناصر الفلسطينية قد لعبت دورا كبيرا فى هذه الاتصالات لتغلغلها فى مختلف القوى السياسية العربية ·

ولم تقتصر صلات القاهرة على هذا الأسلوب السرى ولكنها خلال الحركة ضد حلف بغداد ، استطاعت أن تعقد اتصالات مع سوريا والسعودية انتهت الى اتفاق ثلاثى ··· وانتهت أيضا الى تشكيل قيادة عسكرية موحدة أصبح يوم اعلانها ٢٩ أكتوبر ١٩٥٥ يوم للجيش المصرى وذلك عقب زيارة صلاح سالم ·

كانت الدراسات العسكرية لجمال عبد الناصر ذات تأثير فى بلورة أفكاره العربية ·· قال للصحفى البريطانى ديزموند ستيوارت فى حديث معه يوم أول ابريل ١٩٥٥ (تبلورت فى ذهنى فكرة القومية العربية كمذهب سياسى عندما كنا ندرس فى كلية أركان الحرب المشكلات الاستراتيجية الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط ·

واعتماد جمال عبد الناصر على الضباط فى عقد صلاته العربية دليل على استمراره فى اختيار الطريق الأسهل الذى يعتمد فيه على العناصر

الموالية التى هى موضع الثقة والمرتبطة بالثورة ، دون محاولة جادة لخلق تنظيم سياسى تتوافر فيه كوادر قادرة على أداء دور سياسى حقيقى وفعال ٠

كان انجذاب الثورة العربية للقاهرة أمرا طبيعيا فى فترة المد الوطنى ، وكانت خشية الحكام الرجعيين من الجماهير ظاهرة واقعية ٠

وعندما عزل الملك حسين الجنرال جلوب من قيادة الجيش الأردنى كان ذلك تعبيرا عن مسايرته للاتجاه الوطنى العام السائد فى المنطقة ٠٠٠ ورغم ان القاهرة لم تلعب فى ذلك دورا مباشرا الا ان نشاطها قد لعب دورا غير مباشر فى محاصرة العناصر المتعاونة مع الاستعمار ، وكشف دورها ٠

وقد قال جمال عبد الناصر لسلوين لويد أثناء زيارته للقاهرة فى مارس ١٩٥٦ ، والتى تصادف خلالها اقالة الجنرال جلوب واعتقاد سلوين لويد بأن عبد الناصر وراء هذه الخطوة :(اذا كنت تظن ان لدى على مكتبى أزرارا أضغطها فتنشب ثورة فى العراق أو يحدث انقلاب فى بلد كذا أو تنفجر قنبلة هنا أو تقوم مظاهرة هناك فانك تغدق على قوى خارقة لا أملكها ٠٠ فلا تبالغ فى أهميتى) ٠

صحيح أن معظم الثورات التى تمت فى الوطن العربى لم تنسج بأيدى ضباط المخابرات المصريين ٠٠ ولكن النموذج الذى كانت تقدمه الثورة المصرية ٠٠٠ والآراء التى كان يلقيها جمال عبد الناصر ٠٠٠ كانت هى المحرك الرئيسى لمعظم الثورات ٠٠ والتى ما كانت تبدأ حتى تجد من القاهرة كل ما يمكن من التأييد والمعاونة ٠

خلال هذه المرحلة كانت هيئة التحرير ، وبرنامجها ــ كما سبق أن أشرنا ــ كان خاليا تماما من أية كلمة عن العروبة ٠

ولكن الأفكار العربية تنتشر فى سرعة شديدة ، والاتصالات العربية تصل الى ذروة لم تعرفها قبل الثورة ٠٠٠ وبذور الاتجاهات الوحدوية تظهر فى أحاديث المسئولين ٠٠٠ جمال عبد الناصر يقول فى العيد الثانى لثورة ــ يوليو ١٩٥٤ (ان هدف حكومة الثورة أن يكون العرب أمة متحدة يتعاون أبناؤها فى الخير المشترك) ٠

ويتضمن الدستور المصرى لعام ١٩٥٦ ، مقدمة تقول (نحن الشعب المصرى الذى يشعر بوجوده متفاعلا فى الكيان العربى الكبير ، يقدر مسئولياته والتزاماته حيال النضال العربى المشترك لعزة الأمة العربية ومجدها) ٠٠

ثم تنص مادته الأولى على أن (مصر دولة عربية ذات سيادة ، وهى جمهورية ديموقراطية والشعب المصرى جزء من الأمة العربية) ٠

وعندما أعلن على الشعب المصرى تأميم قناة السويس أشار اليها بأنها (قناة العرب) ٠

وحصل بذلك على تأييد لم يصل اليه مصرى من قبل ٠٠٠ كان العرب يحتاجون الى بطل وزعيم ٠٠٠ وجمال عبد الناصر أصبح مؤهلا لأداء هذا الدور بمواقفه الوطنية التى لا تتعلق داخل الحدود وانما تمتد وتتسع لتشمل الوطن العربى من المحيط الى الخليج على حد تعبيره ٠

الصلات مع المغرب العربى توطدت من مساعدة الثوار فى الجزائر وتونس ومن مساعدة سلطان المغرب ٠٠٠ ولم يعد اللقاء قاصرا على زيارات متباعدة لبعض الفرق المسرحية المصرية ، التى كان الناس يهرعون لمشاهدتها باعتبارها تحمل اليهم رياحا عربية تبدد الضغط الذى كانوا يتعرضون له ، قوميا ولغة ، من الاستعمار الفرنسى ٠

والصلات مع المشرق العربى توطدت من النضال المشترك ضد حلف بغداد ٠٠٠ ومن الصلات التى كانت تنمو بسرعة مع الأحزاب والتنظيمات السياسية وخاصة حزب البعث العربى الاشتراكى ، والأحزاب الشيوعية والوطنية الأخرى ٠

وكان حزب البعث شديد الاهتمام بالتسرب الى صفوف العسكريين كما كان الاخوان المسلمون فى مصر وان اختلفت المبادىء ووجهات النظر السياسية ٠

وقف أكرم الحورانى مع انقلاب حسنى الزعيم فى البداية ، وكان له مكتب بجوار مكتبه ، ثم اتخذ منه موقف المعارضة عندما اكتشف أنه تحول الى حكم فردى لم يقدم لهم السلطة ٠

وبعد انقلاب أديب الشيشكلى تم استقطاب عدد كبير من العناصر الوطنية فى الجيش وعقد أكرم الحورانى معهم صلات وثيقة لأنه هو والشيشكلى من حماه ٠

ثم انقلب ضباط حزب البعث فى تعاون مع الضباط الوطنيين المنتمين لأحزاب أخرى ضد حكم أديب الشيشكلى ٠

تصادف عزل أديب الشيشكلى الذى لجأ الى السعودية مع تنحية محمد نجيب فى مارس ١٩٥٤ ، ولذا كان حزب البعث أبرز الأحزاب القومية نشاطا واتصالا بالقاهرة ٠

كان جمال عبد الناصر قد قابل فى القاهرة كلا من أكرم الحورانى وصلاح البيطار وميشيل عفلق ووثق صلته بهم ٠

ولكن اتصالات عبد الناصر لم تقتصر على السياسيين فقط •• ان العسكريين السوريين وغيرهم كانت الأبواب مفتوحة لهم فى القاهرة ••• أحمد عبد الكريم المستقل النزعة واليسارى الميول ومساعد الملحق العسكرى فى القاهرة كان على صلة بجمال عبد الناصر ومجموعة الضباط المحيطين به فى مكتبه •

العرب مع مصر ••• ضد العدوان :

ووصل التعاون العربى ذروته بعد تأميم قناة السويس واقتراب شبح العدوان من مصر •

أضربت الشعوب العربية تضامنا مع مصر يوم ١٦ أغسطس ١٩٥٦ ، وهو اليوم الذى افتتح فيه مؤتمر لندن لجمعية المنتفعين من القناة ••• وكان ذلك تعبيرا عن ميلاد ظاهرة جديدة •

واعلنت اذاعة عمان ودمشق بعد ضرب محطات الارسال فى أبى زعبل (هنا القاهرة) •

واتصل الملك حسين أيضا يبلغ جمال عبد الناصر بأنه سيهاجم اسرائيل ، ولكن عبد الناصر أوضح له ضخامة المؤامرة ، وطلب منه التريث •

وعندما وقع العدوان تفجرت طاقات الأمة العربية •

أعلنت الحكومة السورية عزمها على الدخول بجيشها ضد اسرائيل •• ولكن أبلغت سوريا رغبتها فى عدم اتساع نطاق القتال واصرارها على مجابهة الموقف وحدها •

ومع ذلك فقد تم تدمير انابيب البترول التى تمتد من العراق الى سوريا ولبنان ، وتعطل ورود البترول من كركوك وكل من طرابلس وبانياس •• وكان ذلك بتدبير عبد الحميد السراج قائد المكتب الثانى بالجيش السورى •

وأتلف الشعب العراقى بعض أنابيب البترول فى كركوك أيضا •

كما نسفت بعض أنابيب البترول فى السعودية وتوقف تصدير البترول السعودى الى بريطانيا وفرنسا •• ونسفت أنابيب البترول فى الأردن •

واجتاحت المظاهرات ليبيا وقطر والبحرين والكويت •

قطع العرب البترول عن الدول الغربية وهو عنصر رئيسى فى استمرار الحياة عندهم •

كان ذلك مظهرا ايجابيا وجديدا فى تضامن العرب ضد الاستعمار والصهيونية التوسعية ٠

وقال جمال عبد الناصر عند افتتاح مجلس الأمة عام ١٩٥٧ : (ان القومية العربية هى أمضى أسلحتنا فى الدفاع عن وطننا ، وسواء فى ذلك حدودنا المصرية المحلية أو حدودنا العربية الشاملة) ٠

وقال أيضا (كان نسف البترول عملا عسكريا) ٠

وكانت سوريا أكثر الدول العربية اقترابا من مصر لأن القومية العربية فيها كانت منسوجة مع عواطف الجماهير تاريخيا ٠٠ والدور الذى لعبه حزب البعث كان واضحا ورائدا فى رفع شعار الوحدة العربية ٠

عندما حشدت تركيا قواتها على حدود سوريا عام ١٩٥٧ ، وقال دالاس : (ان من حق تركيا أن تتخذ من الاجراءات العسكرية والدفاعية ما تراه كفيلا بحفظ أمنها وسلامتها وأمن وسلامة جاراتها وحليفاتها فى المنطقة عندما ترى أن سوريا قد أصبحت فى المنطقة كالراديوم الذى لا تقف اشعاعاته عند حدود الاناء الذى هو فيه) ٠

بادرت مصر الى ارسال قوات مسلحة الى سوريا ٠٠ وكان عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقيادة المشتركة ٠

وأصبح عبد الناصر بعد انسحاب قوات العدوان الثلاثى رمزا لنضال الشعوب وزعيما للجماهير فى كل بلد عربى ٠

كان المرشح للبرلمان الأردنى أنور الخطيب يلقى خطابا فى المسجد الأقصى ٠٠٠ وتساءل الحاضرون : (هل ناصر معك ؟) ٠

وقال أنور الخطيب : (لا أعلم) ٠

وكانت النتيجة نجاح مرشح مسيحى شيوعى فى القدس لأنه كان فى الجبهة التى يؤيدها جمال عبد الناصر ٠

جاءت نتيجة الانتخابات ١٠٠٪ لصالح الجبهة المعادية للاستعمار ، والتى ضمت أحزاب البعث والوطنى الاشتراكى والشيوعى والمستقلين عدا دوائر البادية ٠٠٠ وتشكلت وزارة سليمان النابلسى ٠

ارتبطت مصر ارتباطا وثيقا بالدول العربية ٠٠٠ وتضمنت توجيهات الاتحاد القومى التنظيم السياسى الذى خلف هيئة التحرير اتجاها عربيا وحدويا ٠٠٠ قال جمال عبد الناصر فى المؤتمر الأول للاتحاد القومى : (انه يشرفنا ان نكون دعاة وحدة عربية شاملة تستمد مقومات وجودها من الطبيعة ذاتها) ٠

تجاوزت فكرة الوحدة العربية حدود وادى النيل التى ظلت شعارا مرفوعا يربط مصر والسودان فى نضال مشترك ضد الاستعمار البريطانى ، واتسعت لتشمل كثيرا من الدول العربية ٠

أول ميثاق عربى على طريق الوحدة كان قائما بين مصر وسوريا والسعودية ، ثم انضمت اليه اليمن عام ١٩٥٥ ، للتعاون العسكرى السياسى والاقتصادى ٠

لم تكن النظرة أو الأهداف الاجتماعية قد أصبحت حائلا بين تعاون هذه الدول التى يدين بعضها بالنظام الملكى والبعض بالنظام الجمهورى ٠

وفكرة القومية العربية منذ البداية لم تقترن بالتحول الاجتماعى ، وانما اقترنت بالنضال الوطنى ضد الامبريالية والصهيونية التوسعية ٠

ورجع العسكريون الى تاريخنا ٠٠٠ ووقفوا عند صلاح الدين الذى وحد العرب وهزم الصليبيين فاختاروا نسره شعارا للثورة ٠

وحركة ثورة ٢٣ يوليو نحو الوحدة العربية كانت متعددة الاتجاهات متشعبة النشاط ، تكاد تطرق أبواب كل بلد عربى ٠

ودائما هناك قصة لصلة قادة ثورة يوليو بالحركة السياسية فى كل بلد عربى ٠

قصة نضال ٠٠ ووحدة مصير ٠

الباب الثاني

سـوريا :

الوحدة .. والانفصـال

(اذا كان العـالم قد عاش مـن
قبل فى عصر النهضة ثم عاش بعد
ذلك فى عصر الفضاء ، فاننا نعيش
اليـوم فى عصر الوحدة العربية)

جمال عبد الناصر
دمشـق
٢٥ فبراير ١٩٥٨

الفصل الأول

نحـو الوحـدة

(أنا لست فاتحـا .. أنا كمـا
تقولون بالفرنسية مغنطيس)
جمال عبد الناصر
فى حديث مع صحفى فرنسى
يناير عام ١٩٥٨

كانت الدولتان العربيتان الوحيدتان الخاضـعتان لسلطة الجيش هما (سـوريا ومصر) .. وكان انقلاب حسنى الزعيم عام ١٩٤٩ هو بداية الانقلابات العسكرية فى المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية ، وكانت حركة الجيش المصرى فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ هى أول انقلاب عسكرى فى أفريقيـا .

العسكريون فى القاهرة ودمشـق هم أصحاب الكلمة العليـا ، وسقوط أديب الشيشكلى فى مارس ١٩٥٤ وذهابه الى السعودية بعد ان حكم بصورة مباشرة من نهاية عام ١٩٥١ ، لم يبعد الجيش السورى تماما عن السلطة السياسية رغم عودة المدنيين الى واجهة الحكم ، ومقعد رئيس الجمهورية ..

وطبيعة تكوين الجيش السورى تختلف عن طبيعة تكوين الجيش المصرى .. كما أن دورها التاريخى والنضالى يختلف كل عن الآخر . فى الحرب العالمية الأولى كان عشرات من ضباط الجيش السورى يخدمون فى الجيش العثمانى وظلوا عند ولائهم لتركيا حتى هزيمتها ... وكان هناك أيضا عدد منهم منضمون الى جمعية (العهد) السرية التى تقاوم السلطة العثمانية ، وتتبنى القومية العربيـــة . وفى الفترة من نوفمبر ١٩١٨ الى يوليو ١٩٢٠ خدم عدد من ضـــباط الجيش الســورى تحت العلم السورى فى عهد فيصل بدمشق ، ثم تحول عدد منهم للخدمة فى جيش الانتداب الفرنسى فيما عرف باسم (جيش الشرق) .

أطاح الجنرال جورو بحكم الملك فيصل فى سوريا فى ٢٤ يوليو ١٩٢٠ واضطره الى الجلاء عن الأراضى المشمولة بالانتداب الفرنسى .

وعندما هزمت فرنسا من ألمانيا فى صيف عام ١٩٤٠ ، ظل مندوبو حكومة فيشى عملاء النازية يحكمون سوريا الى أن دخلت قوات فرنســا الحرة مع الجيش البريطانى وهزموا المحور فى يونيو ١٩٤١ حيث كان بعض الضباط السوريين يحاربون جنبــا الى جنب مع ضــباط حكومة فيشى .

وبقى الجيش السورى حتى نهاية الحرب خاضعا للحكم البريطانى حتى اشتعلت الثورة فى سوريا عام ١٩٤٥ ، وهنا انضم قسم من ضباط الجيش مع وحداتهم الى الشرطة التى كانت هى القوات المسلحة الوحيدة لخاضعة للحكومة الوطنية .

حدث تآمر بريطانى لابقاء الجيش التاسع البريطانى فى ســوريا بعد انسحاب الفرنسيين تحت تهديد رغبة الملك عبد الله فى اقامة سوريا الكبرى ... ولكن الحركة الوطنية رفضت ولم تقبل الجلاء الكامل .

أعلى رتبة وصل اليها الضباط السوريون فى جيش الشرق الفرنسى كانت رتبة رائد .. ومن الضباط الذين انضموا للشعب عفيف البزرى وعدنان المالكى وأديب الشيشكلى ومأمون البيطار ونبيه صباغ وغيرهم .

القوى والأحزاب الســياسية كان لهــا تأثير فى موقف هؤلاء الضباط ، حزب البعث والحزب الشيوعى بدأوا محــاولات الاتصـــال بالضباط بعد هزيمة قوات فيشى ، وحدوث انفتاح على الفكر المتحـــرر التقليدى فى فرنسا عام ١٩٤١ .

بعض ضباط الجيش الســورى الذين خدموا فى (جيش الشرق) الفرنسى ، وخضعوا للفرنسيين نبذتهـــم الحركة الوطنيـــة ورفضت

استمرارهم فى الجيش الوطنى الذى بدأ محدود العدد ، لا يتجاوز ٣٠٠٠ ضابط وجندى ··· فهاجر بعضهم الى فرنسا حيث احتفظ برتبته العسكرية وحصل على الجنسية الفرنسية ·

يقول أمين الحافظ رئيس الجمهورية السورية فيما بعد أنهم كانوا فى حلب اذا سمعوا أن فلانا أصبح جنديا فى جيش الشرق اعتبروا ذلك كبيرة من الكبائر ·

حسنى الزعيم كان واحدا من الضباط الذين أخرجهم الفرنسيون من الجيش ··· ثم عاد اليه مع ثورة ١٩٤٥ ·

كان الفرنسيون يتولون المناصب الرئيسية والقيادية فى الجيش والجاندرومة (الشرطة) أيضا ··· وكانوا لا يشجعون تجنيد السنيين باعتبارهم أغلبية الشعب السورى ، وانما اعتمدوا أساسا على تجنيد الأقليات الشركسية والدرزية والعلوية والمسيحية ·· وعينوا بعض الضباط من الأسر الكبيرة لضمان تأييدهم ·

كان هذا تقليدا معروفا تلجأ اليه الدول الاستعمارية ·· اعتمد الجيش البريطانى فى الهند على السيخ والباثان ··· واعتمد الهولنديون فى أندونيسيا على المسيحيين ، واعتمد الفرنسيون فى المغرب على البربر ··· وهكذا ·

ولم يكن هذا الأمر معروفا فى مصر حيث لا توجد أقليات منعزلة ، فتماسك الشعب ووحدته الوطنية تاريخيا لم تعطى الفرصة للاستعمار البريطانى ، ومحاولات التفرقة بين الأقباط والمسلمين أحبطها سعد زغلول والوفد عام ١٩١٩ ·

أما فى سوريا فقد لعبت الأقليات دورا منفردا وملحوظا ·· ثورة الدروز التى نشبت فى الجبل عام ١٩٢٥ واستمرت سنتين دفعت الفرنسيين الى زيادة جيشها حتى وصل ٤٠٫٠٠٠ ثم انحسر بعد نهاية الثورة حتى وصل عدد الضباط عام ١٩٣٠ الى ٣١٩ ضابطا منهم ١٥٧ فرنسيا ، ١٦٢ سوريا ··· وفى عام ١٩٣٨ بلغ عدد الضباط ٣٠٦ منهم ٨٨ فرنسيا فقط ، وهم جميعا كما سبق أن ذكرنا لايتجاوزون رتبة رائد ·

عقب استقلال الوطنى عام ١٩٤٥ وصل الجيش السورى ٥٠٠٠ جندى والشرطة ٣٥٠٠ جندى ، ١١٤٠ ضابطا ··· وارتفع الرقم مع حرب فلسطين ليصبح الجيش ١٢٫٠٠٠ والشرطة ٤٥٠٠ ، ثم ارتفع فى عهد حسنى الزعيم ليكون ٢٧٫٠٠٠ جندى وضابط ، كما ورد فى كتاب (ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع العربى « لاليزير بييرى ») ·

في هذا الجو السياسى تكون الجيش السورى الوطنى ٠٠٠ وكانت أول دفعة من الضباط تتخرج فى الكلية الحربية بحمص عام ١٩٤٦ يبلغ عددها ٦٣ ضابطا ، بعد أن كانت الدفعة لا تتجاوز العشرين ثم زادت بعد ذلك الى عدة مئات ٠

كان هناك فرق كبير بين مصر وســـوريا ٠٠٠ ففى مصر حددت قوانين ١٩٢٨ دخول المدرسة الحربية بالبكالوريا ، ثم تحولت مع معاهدة ١٩٣٩ الى كلية وقررت لها مصاريف تزيد عن ٦٠ جنيها فى العام ، وهى مصاريف باهظة اذا قورنت بمستوى الدخـــل العام للفرد ، مما حدد المستوى الطبقى للضباط ، وان كان قد وســـع قاعدتهم ، ولم يجعل اختيارهم مفروزا فرزا كاملا وصحيحا تحت ميكروســـكوب الاحتـــلال البريطانى كما كان الحال قبل المعاهدة ٠

الموقف فى سوريا يختلف تماما ٠٠ الفوارق الطبقية عموما لم تكن من النوع الحاد كما كانت فى مصر ٠٠ وروح التحرر الفرنسية تشربها كثير من المثقفين السوريين ٠٠٠ هذا ما دفع الى أن تكون الكلية الحربية مجانا تماما ويحصل الطالب فيها على اللبس ، ٢٠ علبـــة ســجائر ، ٢٠ ليرة مصروف يد شــهريا ٠

الوضـــع يختلف عن مصر ٠٠ والمنبت الاجتماعى للضباط يختلف أيضـــا ٠

قال لى أحمد عبد الكريم الضابط الذى أصبح وزيرا فى عهد الوحدة (لو كانت المصاريف جنيه ما دخلت الكلية الحربية ، ٩٠ فى المائة من الكلية كانوا مثلى أيضا) ٠

ولم يكن فى نظرة الضباط القدامى لطلبة الكلية الحربية الجدد أى نوع من التعالى أو الكبرياء ٠٠ فقـد كان المثل الشعبى الســائد هو (الفقر ليس عيبا) ٠

بل ان الدفعة الأولى فى الكلية الحربية اتخذت موقفا ثوريا عندما قدم الطلبة استقالاتهم احتجاجا على ارسال رئاسة الجمهورية لاثنين من الطلبة الراسبين فى البكالوريا للانضمام للدفعة وما فى ذلك من خـرق لشروط القبـول ٠

وبعد حضـــور وزير الدفاع ورئيس الأركان ومدير المخابرات الى الكلية واعتبارهم أن ما حدث هو نــوع من التظاهر المرفوض والمدان فى النظم العسكرية ٠٠ الا أن السلطة ، وشـــكرى القوتلى كان رئيســـا للجمهورية ، قد تراجعت فى محاولتها ، ولم يتكرر بعد ذلك أبدا ٠

قانون الخدمة الالزامية صدر كذلك بعد الاستقلال مباشرة وأدخل كافة أبناء الشعب السورى للقوات المسلحة ٠

كانت هناك حريات ديمقراطية يتمتع بها حتى طلبة الكلية الحربية ولكنهـــا أجهضت مع حرب فلسطين وما تبعها من انقلابات عســـكرية نبتت من الهزيمة وتبنى الجيش لشعارات الاصلاح وطلب الانتقام من السياسيين ٠٠ وهنـــا دخلت المخططات العربيـــة صفوف الجيش الســـورى ٠

استطاع حسنى الزعيم أن يشد المؤسسة العسكرية خلفه بما فيها عدنان المالكى وأديب الشيشكلى لأنه كان صاحب موقف معروف ، عارض فيه نقل الفرنسيين للذهب من البنك المركزى وهو قائد كتيبـة تنفيذا لتعليمات رئيس الوزراء خـالد العظم ، رغم أنه كان من ضـباط جيش الشرق ٠٠ الأمر الذى انتهى به الى البقاء فى قلعـــة المزة محاصرا لمدة ٣ أيام دون أن يستسلم ، ثم أخرجه الفرنســيون من الجيش ، وذلك حسب رواية أكرم ديرى الضابط السورى والوزير فى عهد الوحدة فى مصر ٠ ثم شارك حسنى الزعيم فى حرب فلسطين بمنطقة سمخ ، وبعد الهزيمة أسندت له قيادة الجيش السورى ، مما دفـــع ادارة المخابرات المركزية الأمريكية الى التركيز عليه واجتذابه الى صفوفها ٠

كان عبد الحميد السراج ياورا لحسنى الزعيم ، والاثنـان ومعهما أديب الشيشكلى وأكرم الحورانى جميعا من حمـــاه ، ولذا كان أكرم الحورانى مقربا فى البداية من حسنى الزعيم قبل أن يختلف الاثنـان لانفراد الزعيم بالحكم وعدم تنسيقه السلطة مع البعث أو ســـماحة بالمشاركة فيها ٠

وقال لى أكرم الحورانى « ان مجىء حسنى الزعيم كان اجهاضـــا لثورة شعبية ناضجة » ٠ وقال لى أمين الحافظ أن سمعته الشخصية كانت سيئة فقد اشتهر وهو ضابط بأنه يقاسم تجار السمن ٠

ولم يطل عمر حسنى الزعيم فقد انقض عليه ســـامى الحنـاوى بمعاونة الأحزاب الوطنية والمخابرات البريطانيـــة ٠٠ ثم انتهى الأمر الى أديب الشيشكلى الذى اســتقطب كل العناصر الوطنيـــة فى الجيش بمساعدة أكرم الحورانى ٠٠٠ واستمر عبد الحميد السراج ياورا لأديب الشيشكلى فى بداية عهده ٠

ظل الهيكل الوطنى داخل الجيش السورى سليما تنعكس عليه الوحدة الوطنية ٠٠٠ وتنعكس عليه أيضـــا أفكار القوميـــة والوحدة العربية ، ولذا فانه عندما ظهر انحياز أديب الشيشكلى للولايات المتحدة

وتوثقت علاقاته مع مندوب شركة التابلاين الأمريكيـــة ، وكاد يوقع وثيقـــة دفاع مشترك مع أمريكا ، وبدأ حركة فصل وتسريح لعدد من الضباط الوطنيين ونقل عدد منهم للحدود الشمالية مع تركيا والجزيرة دبر البعثيون محاولتهم الأولى للانقضاض على الحكم بوساطة الجيش في عام ١٩٥٢ ٠

وحزب البعث العـربى الاشـتراكى كان فى الأصـــل حزبين : (البعث) يرأسـه ميشيل عفلق و (العربى الاشتراكى) يرأســه أكرم الحورانى ٠ واتحد الاثنـــان فى حزب واحد عام ١٩٥١ لاتفـاق الأهداف والأفكار ٠

اكتشفت المحاولة قبل تنفيذها فى يناير ١٩٥٣ وفر أكرم الحورانى وميشيل عفلق وصلاح البيطار الى ايطاليـــا يوم ١٢ ينـاير واعتقل العقيد عدنان المالكى المدير العسكرى للمحاولة وســـجن ومعه عدد من الضباط ٠

عاد قادة حزب البعث الثلاثة بعد ذلك الى سوريا فى نهاية عام ١٩٥٣ بعد وضع الدستور وانتخاب الشيشكلى رئيســا للجمهـورية يوم ١٠ يوليو ١٩٥٣ وتشكيل مجلس نيابى لم يتقدم للترشيح له أحد من حزب البعث رغم أن أكرم الحورانى كان قد انتخب نائبـا عن حماه عام ١٩٤٣ ٠

نظرة حزب البعث لأديب الشيشكلى لم تتغير ٠٠٠ كان قد استقر الأمر على الاطاحة بحكمه ٠

البعث والعسكريون :

وهنا نوضح موقف حزب البعث من العسكريين ٠

يقول أكرم الحورانى أنه لم يكن هنـــاك تنظيم اطـلاقا لضباط الجيش فى صفوف الحزب ٠٠٠ لا اجتماعات منظمة أو دفع اشتراكات أو تحديد مسئوليات معينة ٠٠٠ ولكن كانت هناك علاقات ارتباط وولاء للحزب من بعض الضباط ٠

كان ذلك قرارا وموقفا من الحزب لافتقادهم بأن تنظيم الضباط يفسد الحياة العسكرية وانضباطها ٠٠٠ والمفروض أن يكون ولاء الجيش للحزب فقط ٠

ومع ذلك كان هنـــاك عدد محدود من الضباط المرتبطين بالحزب ارتبـــاطا كاملا ، ويؤدون دور الأعضـــاء المنتظمين ، يشكلون مراكز

الاشعاع ومصادر للقوة المحركة ، وهم فى الغالب من الذين انضموا للحزب خلال دراستهم الثانوية مثل العقيد عدنان المالكى واليوزباشى مصطفى حمدون وغيرهما •

وهؤلاء الضباط كانوا من خريجى الكلية الحربية بعد الاستقلال ، ذلك أن حزبى البعث والعربى الاشتراكى لم يندمجا تحت اسم حزب البعث العربى الاشتراكى الا بعد التحرر والاستقلال الوطنى •

لذا كانت محاولة عدنان المالكى مبكرة فى تاريخ الحزب الموحد ومعبرة عن اهتمام الحزب بالحركة داخل الجيش ومؤكدة للاحساس بأن القوات المسلحة لها دور من وجهة نظر الحزب فى الحركة الوطنية •

ولم يقف فشل عدنان المالكى سدا فى سبيل محاولة الحزب للاطاحة بحكم الشيشكلى •

تولى المسئولية هذه المرة اليوزباشى مصطفى حمدون الذى انضم لصفوف الحزب طالبا عام ١٩٤٣ • والذى وصل فى عهد أديب الشيشكلى الى منصب معاون رئيس الشعبة الأولى (عبد الحميد السراج) وكان مسئولا عن قسم الضباط مما أعطاه فرصة تعيين بعض الضباط البعثيين فى أماكن قيادية حساسة •

ولكن أجهزة أديب الشيشكلى كانت ترصد حركته وفاجأه عبد الحميد السراج فى ليلة عيد الميلاد ٢٤ ديسمبر ١٩٥٣ بأن هناك أوامر بنقله خارج دمشق ، ونقل الى حلب فعلا يوم ٢ يناير ١٩٥٤ •

قال لى مصطفى حمدون أنه كان فى حلب مكتب حزبى يشرف على العسكريين ويقوده منصور الأطرش بن سلطان باشا الأطرش قائد ثورة الدروز ضد الاستعمار الفرنسى •

وبدأ الاعداد الفورى لحركة مضادة لحكم الشيشكلى •• وكانت قيادة الحزب قد وافقت على ذلك وتركت التوقيت للعسكريين •

قال لى مصطفى حمدون أنه فاتح عددا من قادة المناطق (حمص والشرقية ومعاون قائد منطقة حلب ـ عقيد فيصل الاتاسي) وأظهروا استعدادا للتعاون •

وفرضت الظروف توقيت الحركة ، تماما كما حدث فى ٢٣ يوليو • فقد تسربت الأنباء بأن هناك نشرة تتضمن فصل عدد من الضباط ومنهم مصطفى حمدون وكان قد سبق ذلك اعتقال أكرم الحورانى وميشيل عفلق وصلاح البيطار •

واصبح الموقف سباقا بين خصمين .. السلطة مع الشيشكلى فى دمشق .. وترتيبات الحركة فى حلب .

ولم يكن هناك سبيل للعدول والتراجع .. وقررت حامية حلب المبادرة بالحركة وحدها دون تعطيل تفرضه ضرورة الاتصال بالمناطق الأخرى التى سبق الاتصال بها فى حمص والجبل .

كان مفروضا أن تصدر نشرة الفصل يوم السبت أول مارس ١٩٥٤ ولكن الحركة تقررت ٢٧/٢٨ فبراير وزحفت القوات على حلب فى الثالثة بعد منتصف الليل ثم أذيع البيان الأول من اذاعة حلب التى تصل الى كل سوريا ، وهو بيان قصير من عشرة سطور قدمه مصطفى حمدون بقوله (النقيب مصطفى حمدون يتحدث اليكم) ووقعه بتوقيعات آمر المنطقة الشمالية وآمر المنطقة الغربية وآمر المنطقة الشرقية ولم يذكر المنطقة الوسطى (حمص) حتى تفاجىء قوات الشيشكلى فيما لو حاولت التقدم نحو حلب .

كانت الحركة انقلابا عسكريا كاملا توافرت له المفاجأة ولكن لم تتوافر الخبرة السياسية ، فلم يتضمن البيان الأول معنى هاما ، ولم يظهر تأثير حزب البعث على الحركة ، وانطلقت المظاهرات فى حلب تهاجم مكاتب منظمة التحرير التى شكلها الشيشكلى لتكون تنظيما له على غرار هيئة التحرير ، فى مصر .

كان الشيشكلى متأثرا من ناحية المظهر بثورة ٢٣ يوليو .. عندما زار القاهرة ظهرت جريدة المصرى بمانشيت أحمر رئيسي يصف الشيشكلى بأنه (محرر سوريا) الأمر الذى أثار استياء الوطنيين الذين كانت تعبر عنهم الجريدة والذين كانوا فى موقف عداء للعسكريين عموما .

عندما عاد الشيشكلى لدمشق أعلن لضباط الجيش السورى فى نادى الضباط عن شعوره بأن الرجل القوى فى مصر هو جمال عبد الناصر ، وليس محمد نجيب ، وذلك حسب رواية أكرم ديرى .

سقطت منظمة التحرير فى سوريا تحت طرقات المتظاهرين .. كانت تنظيما من ورق ..

أول برقية تأييد وصلت حلب يوم ٢٨ فبراير فى الخامسة مساء كانت من أمين الحافظ قائد قوات درعا ، وهو ذو ميول بعثية ولكنه كما قال لى لم يكن من المرتبطين عضويا بتنظيم البعث .

وتوالت برقيات التأييد على حلب التى التحق بها الطيران السورى أيضا . حاول الشيشكلى تشكيل مجموعة من المدرعات والمشاة والمدفعية

من جبل الدروز والمنطقة الجنوبية (دمشق). ولكنه فشل أمام اعتراض ومقاومة بعض الضباط الشبان .

وعندما أبلغه قائد منطقة جبل الدروز بعجزه عن اعداد القوة شعر بانهيار موقفه وقرر عدم المقاومة .

واتصل شوكت شقير رئيس أركان الحرب بمصطفى حمدون وأبلغه أن الشيشكلي سيغادر سوريا ويرجوه اغلاق اذاعة حلب فاستجابت قوة حلب لذلك .

ولكن عددا من الضباط المتعاونين مع الشيشكلي قرروا أن يذهب هو ولكن يستمر نظامه .. وطلبوا تعيين رئيس مجلس النواب (مأمون الكزبرى) ليحل محله رئيسا للجمهورية تبعا للدستور ، وكان من هؤلاء الضباط عبد الحق شحادة وطعمة العودة الله .

رفضت القيادة في حلب وخاصة بعد أن كان قد أفرج عن أكرم الحوراني وميشيل عفلق وصلاح البيطار وذهبوا الى حمص حيث عقدوا اجتماعا مع ممثلى الأحزاب فى منزل هاشم الاتاسى اتفقوا فيه على عودة المجلس النيابى السابق الذى حلته الانقلابات العسكرية للمدة المتبقية ، وعودة الاتاسى رئيسا للجمهورية ، واجراء انتخابات جديدة فى أغسطس ١٩٥٥ ، وهى الانتخابات التى تمت فعلا فى موعدها وعاد فيها شكرى القوتلى رئيسا للجمهورية .

واعيد فتح اذاعة حلب .. وبدأت اذاعات دمشق وحلب تتبادل الاتهامات والتهديدات .. وانفجرت المظاهرات المضادة للشيشكلي فى دمشق أيضا ، وقتل ٢٧ شخصا عند مبنى الاذاعة القديمة .

ولم يجد المستفيدون من حكم الشيشكلي أنصارا لهم فقرروا الاستسلام ، وهرب الشيشكلي يوم ٢٦ فبراير الى السعودية بعد أن هبط فى مطار القاهرة فى وقت كان أعضاء مجلس الثورة مشغولين فيه باعلان استقالة محمد نجيب يوم ٢٥ فبراير ١٩٥٤ . وعاد هاشم الاتاسى رئيسا للجمهورية بدلا من مأمون الكزبرى الذى تولى الرئاسة لمدة ٢٤ ساعة فقط .

لم يكن انتصار الانقلاب العسكرى ايذانا بظهور ضابط جديد فى مركز السلطة .. فقد كان مصطفى حمدون ضابطا بعثيا ملتزما بأوامر حزبه ، وكان حزب البعث فى هذه المرحلة يرى أن الظروف ليست مهيأة لاستلامه السلطة والانفراد بها . ويقول مصطفى حمدون أنه لم يكن متفقا مع رأى الحزب فى ذلك لأنه كان يعتقد أن سيطرة الحزب على

السلطة بعد الانقلاب كانت أمرا ممكنا وان ذلك كان لابد أن يدفع الوحدة الى الامام .

انقلاب حلب وعدم اصرار الضباط على تولى السلطة يثبت أن حزب البعث لم يكن حتى هذه اللحظة مفرطا فى كيانه ووجوده بتسليم مصيره للعسكريين ، وأنه كان مازال ملتزما بموقفه فى أن الجيش يجب أن يكون فى خدمة الحزب وليس الحزب فى خدمة الجيش .

كانت صلة قادة البعث العسكريين فى الجيش معبرة عن أهمية وضرورة الاتصال بالضباط وخاصة بعد أن لعبوا أدوارا رئيسية فى حكم سوريا بعد انقلاب حسنى الزعيم ..

ولكن هذه الصلة التى كانت طبيعية حتى هذه المرحلة لم تستمر كذلك فيما بعد .. وهى فى سوريا كانت غيرها فى العراق رغم وحدة الحزب من الوجهة القومية كما سيأتى ذكره تفصيلا فيما بعد .

كان الجيش يفرض نفسه كقوة سياسية رئيسية فى المجتمع ، وكانت الأحزاب السورية التقليدية مازالت تؤدى دورا جماهيريا ، كما أن الأحزاب التقدمية مثل حزبى البعث والشيوعى كانت تكسب مزيدا من الأنصار والتأثير خارج الجيش وداخل الجيش أيضا .

وعقب الغارة الاسرائيلية على غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٤ زار صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الارشاد سوريا فى أوائل مارس وخطب فى دمشق مبشرا بتكوين الجيش المصرى السورى الموحد فى مواجهة اسرائيل .

وخلال هذه الزيارة قام صلاح سالم بزيارة مقر حزب البعث العربى الاشتراكى ووقع اتفاقا خاصا بانشاء قيادة موحدة .

واجهة مدنية للحكم :

تعهد الجيش بألا يتسلم الحكم واستمر شوكت شقير رئيسا لأركان حرب الجيش رغم أنه درزى ومن لبنان ، لأنه كان يلعب دور مخفف الصدمة فى صراع الاتجاهات المختلفة داخل الجيش .

وحاول معروف الدواليبى من حزب الشعب تصفية عدد من الضباط منهم عبد الحميد السراج وطعمة العودة الله باعتبارهم موالين للشيشكلى ولكن الضباط تكتلوا وأوقفوا تسريح الضباط تحت ضغط التهديد .

كان عدد ضباط الجيش السورى حتى ذلك الوقت مازال محدودا يسهل التعرف فيه على اتجاهات الضباط السياسية ، ويصعب فيه فى نفس الوقت تغليب اتجاه على آخر ، ولذا توافرت حالة توازن اجبارى ٠

وكان معروف الدواليبى قد حاول أيضا استدراج شوكت شقير وعدنان المالكى ثم اعتقالهم بوساطة الشرطة ولكن الخبر كان قد تسرب اليهم فاستنفروا المكتب الثانى والشرطة العسكرية وحاصروا بيت معروف الدواليبى من مسافة بعيدة مع استعداد القطاعات للتحرك ٠٠ وعندما شعر الدواليبى بذلك حول الجلسة معهما الى عتاب شعر بعده أن دوره فى الجيش قد انتهى ٠

وقد أدى صراع الاتجاهات المختلفة الى اغتيال العميد عدنان المالكى فى ٢٣ ابريل ١٩٥٥ وهو الشخصية البارزة المنتمية لحزب البعث الأمر الذى دفع الجيش للسيطرة على الدولة سيطرة كاملة واعتقال حوالى ٤٠٠٠ عضو من أعضاء الحزب القومى السورى ٠٠ وقد اعتقل عصام المحايرى داخل منزل الملحق العسكرى الأمريكى وحكم عليه بالسجن المؤبد ، كما اعتقل فؤاد جديد شقيق صلاح جديد الضابط البعثى العلوى صاحب الكلمة النافذة فيما بعد ، واغتال المكتب الثانى السورى شقيقه الآخر غسان جديد فى لبنان بعد هربه عقب حادث الاغتيال ٠

استطاع شكرى القوتلى فى أواخر عام ١٩٥٥ أن يعزل شوكت شقير ويعيده الى لبنان معتمدا على عدد من الضباط المستقلين ويعين بدله اللواء توفيق نظام الدين ٠

ورغم الحكم المدنى فان الجيش السورى كان صاحب نفوذ قوى فى الحياة السياسية ٠٠ دفعه أسلوب الارهاب الذى انتهجه الحزب القومى السورى واغتيال عدنان المالكى الى رد فعل مضاد أعاده الى حلبة السياسة من جديد بطريقة مستترة غير معلنة وتشكلت فى الجيش مجموعات مختلفة من الضباط لا تضمها جهة واحدة منظمة ، وانما تتربص ببعضها البعض ، كان عنصر الترجيح معتمدا على الضباط الوطنيين المستقلين غير المنتمين الى الأحزاب والهيئات السياسية ٠

وكان هناك تكالب على المراكز القيادية الحساسة فى الجيش مثل المكتب الثانى الذى تولاه عبد الحميد السراج ، والشرطة العسكرية (أكرم ديرى) الى جانب قادة الأسلحة والوحدات ٠

وكانت الأحزاب السورية فى محاولتها لدعم الحكم المدنى قد ألغت دستور الشيشكلى وشكلت وزارة الثلاثية برئاسة صبرى العسلى فى

١٤ مايو سنة ١٩٥٦ ، تولى صلاح البيطار فيها منصب وزير الخارجيــة وادخلها تحت شرط حزب البعث فى تكوين اتحاد فيدرالى مع مصر ٠٠

وطلب حزب البعث أن يوافق المجلس النيابى على بيان الوزارة الذى جاء فيه (ان حكومتى مصممة على اجراء مفاوضات مع حكومة مصر لاقامة اتحاد فيدرالى بين البلدين) ووافق مجلس النواب على ذلك فعلا ٠ وبينما كانت الحكومة تفكر فى تكوين وفد للمفاوضات حدث العدوان الثلاثى وتحول الموقف الى مساندة الشعب المصرى تحاشيا لحدوث انقسام نتيجة رفض بعض الدول لفكرة الوحدة ٠ ولعب عبد الحميد السراج الذى كان يتولى مسئولية المكتب الثانى (المخابرات) والذى كان قد سبق له مقابلة جمال عبد الناصر فى القاهرة عام ١٩٥٥ فى ظل تنسيق العمـــل فى القيادة المشتركة ، لعب دورا بارزا فى نسف أنابيب البترول القادمة من العراق الى سوريا حتى البحر فى أول نوفمبر ١٩٥٦ ٠

وكان ذلك الموقف تعبيرا عن وحدة ارادة الأمة العربية فى صراعها ضد الامبريالية ٠٠ وكان استجابة لمظاهرات الغضب التى اجتاحت العالم العـــربى ٠

وبعد انســحاب القوات المعتدية على مصر ووصــول بعض القوات المصرية فى أكتوبر ١٩٥٧ الى اللاذقية للوقوف فى وجه الحشود التركية زاد ثقــل وزن الضــباط المستقلين ٠٠ واستقبل جمــــال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فى القاهرة عبد الحميد السراج وبدأت مرحلة تعاون وثيق مع عام ١٩٥٧ ٠

وحدث تمردفى معسكر قطنة فى مارس عام ١٩٥٧ عنــدما حاولت قيادة الجيش نقل الضابطين أمين النافورى ورياض الكيلانى خارج البلاد أو تسريحهم ، وذلك لأنهم استهدفوا ضرب حزب البعث ٠٠ وكاد يحدث صدام مسلح بين الضباط والوحدات انتهى بنقل رياض كيلانى ملحقــــا عسكريا بالقاهرة ٠

وحدث بعد ذلك ، ما يشــبه الانقلاب الصامت عنــدما عزل اللواء توفيق نظــام الدين ، وعين مكانه اللواء عفيف البزرى الوثيق الصــــلة بالشيوعيين ، وعين أمين النافورى مساعدا له ، ومصطفى حمدون رئيسا للشعبة الأولى (ادارة شئون الأفراد والضباط) وأحمد عبد الكريم رئيسا للشعبة الثالثة (العمليات) ، وبقى عبد الحميد السراج رئيســا للشعبة الثانية (المخابرات) ٠

وتجمع ضـــباط البعث من جديد ، مصطفى حمدون وأمين الحافظ وبشير صادق وفكروا فى عمـل انقلاب كان هدفه كما يقول أمين الحافظ

هو الذهاب للوحدة برأى واحد وتنظيم واحد وهدف واحد ٠٠ ولكن انتهى الأمر الى تشكيل مجموعة قيادية من ضباط الجيش شملت مختلف الاتجاهات السياسية ، وأصبح لها كيان شبه تنظيمى يضم فى قيادته حوالى ٢٤ ضابطا أطلق عليه اسم المجلس الثورى ٠

كان المد الوطنى والوحدوى خلال عام ١٩٥٧ يزداد وضوحا يوما بعد يوم فى صفوف الشعب وفى صفوف الجيش أيضا ٠

وكان اتصال القاهرة مع سوريا متعدد القنوات ٠٠ محمود رياض السفير وهو عسكرى سابق كان على إتصال وثيق بالقيادات السياسية المختلفة ٠٠ ومجموعة كمال رفعت وضباط المخابرات كانت لهم صلات خاصة أيضا بعدد من السياسيين والضباط وخاصة المنتمين لحزب البعث، واتصال ثالث كان يتم عبر القيادة المشتركة التى كان يمثل مصر فيها الأميرالاى عبد المحسن أبو النور ، وهو مركز أساسا على ضباط الجيش ٠

كان الاتجاه السائد فى السياسة العربية فى المنطقة خلال هذه الفترة بعيدا عن اثارة الحساسية أو العداء مع الماركسية ، وخاصة فى سوريا ، حيث وصل خالد بكداش سكرتير الحزب الشيوعى السورى الى البرلمان نائبا من نواب دمشق ، كما كانت الوحدة العربية شعارا يرتفع فى الحياة السياسية ويؤثر فيها ٠

نحو أول وحدة عربية :

وفى نفس الوقت الذى وصلت فيه القوات المصرية الى اللاذقية قرر مجلس النواب السورى توجيه الدعوة الى مجلس الأمة المصرى لزيارة سوريا العربية لتبادل الرأى فى استعجال الزمن لدفع مشروع الاتحاد بين مصر وسوريا ٠

وقام وفد من أربعين نائبا برئاسة أنور السادات وكيل مجلس الأمة بزيارة دمشق فى نوفمبر ١٩٥٧ ٠٠ واستقبلهم أكرم الحورانى رئيس المجلس السورى وقال لهم ان السوريين يعتبرون هذا اليوم – ١٦ نوفمبر – عيدا قوميا يشبه ذلك اليوم الذى وصل فيه الجيش المصرى الى سوريا ٠

حضر اعضاء مجلس الأمة المصرى جلسة مجلس النواب السورى يوم ١٨ نوفمبر ١٩٥٧ وتناوب أكرم الحورانى وأنور السادات رئاسة جلسة المجلس وأعد قرار بالاتحاد الفيدرالى من لجنة الشئون الخارجية بمجلس النواب السورى ولجنة الشئون العربية بمجلس الأمة المصرى فى جلسة سرية قبل عقد الجلسة العلنية للمجلس ٠

وافق النواب بالاجماع على قرار (يدعــو حكومتى مصر وســوريا للدخول فورا فى مباحثات مشتركة بغية استكمال تنفيذ هذا الاتحاد) .

ووافق مجلس الأمة المصرى على نفس القرار فى نفس اليـوم .. ثم حضر الى مصر وفد من مجلس النواب السورى برئاسة احسان الجابرى يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥٧ كان من أعضائه خالد بكداش ، وحضر جلســة مجلس الأمة المصرى .

يقول صلاح البيطار أن الوفد السورى قد رجع الى دمشق متشائما لأن جمال عبد الناصر كان متحفظا من جهة الوحـدة ، ولا يفكر بالقيـام بأية مبادرة .. ورغم أن جمال عبد الناصر كان قد أصدر بيانا يستجيب فيه لموقف مجلس النواب السورى الا أنه ، والحديث لصلاح البيطار ، كان يخشى قيام انقلاب فى الجيش اذا ما قامت الوحـــدة ، لأن الجيش السورى (مسيس واعتاد على قيام الانقلابات) .

قال جمال عبد الناصر لصلاح البيطار (أمضيت خمس ســنوات لأبعاد الجيش المصرى عن السياسة) .

ويدأ أكرم الحورانى وصلاح البيطار اتصالات جديدة مع الضباط السوريين قائلين لهم أن الوحدة قد أصبحت تتوقف عليهم ، وحضر الى سوريا حافظ اســـماعيل مدير مكتب عبد الحكيم عامر فى ذلك الوقت واجتمع مع المجلس الثـورى فى مكتب عفيف البرزى بحضور الضابطين المصريين عبد المحسن أبو النور وأحمد زكى عبد الحميد .. وحصرت دائرة المناقشات فى تأثير الوحدة على الضباط من ناحيــة التنقلات والترقيات وفقد بعض الامتيازات واحتمال الانتقال الى مناصب مدنيـــة .. ودفعت الحماسة أمين الحافظ الى القول (نعطيك وعد شرف بأن جمال عبد الناصر لو أعطانا أمر بنسف حلب سأنفذ الأمر) . واعترض أحمد عبد الكريم كما قال لى محتجا (.. لن أقصف حلب) ومع ذلك كان أحمد عبد الكريم وأمين النافورى حسب قول صلاح البيطار ، وهما ليسا من ضباط البعث ، من أكثر الضباط نشــاطا فى الدعاية للوحدة والتمسك بهـــا . وانتهى الأمر الى اتخاذ قرار بسفر ٢٢ ضابطا من المجلس الثورى برئاسة عفيف البرزى فى زيارة سرية الى القاهرة دون الاستئذان من رئيس الجمهورية شكرى القوتلى أو وزير الدفاع خالد العظم .

وصل الضباط الى القاهرة ليلة عيد ميـــلاد جمال عبد الناصر فى ١٥ يناير واجتمعوا به فى منزله حيث كانت باقات الورد تبعث الشذى فى أرجـــاء المنزل ، بعد عودته من الأقصر حيث كان مع ضيفه تيتو ، وظل عبد الناصر على تحفظه قائلا (الدول سوف تقاوم الوحدة وعلينا أن نعيد تقييم الموقف) .

واجتمع مجلس الوزراء السورى برئاسة شكرى القوتلى الذى أظهر غضبه لسفر مجموعة من الضباط دون اذنه ٠٠ ولكن المناقشات انتهت الى أهداف سفرهم النبيلة تغفر لهم أسلوبهم وخاصـــة أن هذه ليست أول مرة يتدخل فيها الضباط بأسلوب عسكرى جامح ٠

وقرر مجلس الوزراء سفر صـلاح البيطار الى القاهرة مفوضا من الحكومة لاجراء مفاوضات بعد أن كان أمين النافورى قد عاد الى دمشق لابلاغ شكرى القوتلى بحضورهم بناء على طلب جمال عبد الناصر الذى أراد تحاشى أية حساسيات تنتج عن حركتهم ٠

يقول صلاح البيطار أنه لم تكن هناك دراسة علمية واقعية لموضوع الوحدة ٠٠ وأنه أثناء المباحثات التى دارت فى قصر الطاهرة وضح اختلاف الآراء بين الضباط الحزبيين السوريين والمستقلين ٠

كان الشيوعيون والبعثيون يؤيدون فكرة الاتحاد الفيدرالى ٠ بينما الآخرون يصرون على الوحدة الكاملة ٠

وفى مواجهة الموقف هدد عبد الله الريمـاوى عضو القيادة القومية لحزب البعث بالاستقالة من الحزب اعتراضا على الاتحاد الفيدرالى وتمسكا بالوحـدة ٠

وتجاوب مع هذا الاتجاه ، ضباط الجيش السورى الذين لم يناقشوا فكرة الوحدة ولا أبعادها السياسية من قبل ، وانما اندفعوا اليها اندفاعا عاطفيا محموما ، فأصبحوا ــ على حد تعبير صلاح البيطار مفوض الحكومة ــ مركز قوة حقيقيا يتساءل عن الفرق بين الاسكندرية ودمشق ٠

واضطر صلاح البيطار تحت ضغط هذا التيار الى التخلى عن رأى حزب البعث الذى أقر الاتحاد الفيدرالى ، ووافق على الوحدة الشاملة التى فرضها العسكريون السوريون ٠

يقول أكرم ديرى أن عقلية الضباط تأثرت بالوحـدة تاريخيا منذ نضالهم ضد الامبراطورية العثمانية ٠٠ ومنذ حفظوا فى التعليم الابتدائى هذه الأبيات من الشعر على ظهر قلب ٠

بلاد العـرب أوطانى   من الشـــام لبغدان
ومن مصر الى يمن   الى نجــد فتطـوان

كان المجلس الثورى السورى قد قدم مذكرة بضرورة اتمام الوحدة وعدم تمييعها ٠

وجابه جمال عبد الناصر موقفا لم يستطع معه الاستمرار فى الرفض أو التردد ... وانتقل موقفه الى تأييد الوحدة الشـــاملة وليس الاتحـاد الفيدرالى وذلك حتى تتجمع كل خيوط لدولة الجديدة فى يـده وتحت قيـادته .

وصل جمال عبد الناصر الى هذه النتيجة بعد دراسة وافية للتقارير التى رفعت اليه .

« الفروق كبيرة والواقع مختلف ، وقبول الوحدة محفوف بالخطر ، والنصيحة هى التأجيل » هكذا كتب شعراوى جمعة وأمين هويدى وكيلا المخابرات العامة فى ذلك الوقت بعد زيارة امتدت شهراً طافا فيهـا أرجاء ســوريا كلها .

ولكن عبد اللطيف البغداوى يقول (اضطررنا للاســـتجابة تفاديا لنفوذ الشيوعيين المتزايد فى سوريا) .

كان تردد جمال عبد الناصر نابعا من :

ـ عدم وجود حدود مشتركة .

ـ اختلاف التجارب السياسية والاقتصادية .

ـ طبيعة الجيش السورى ورسوخ ظاهرة الانقلابات فيه .

ـ تهديدات الغرب التى لا تقبل قيام دولة وحدة عربيــة مناهضة للامبرياليــة .

وكان قبول جمال عبد الناصر نابعا أيضا من :

ـ التيار الشعبى الشديد المؤيد للوحدة فى سوريا .

ـ اجماع العسكريين السوريين على الوحدة وقبولهم قيــادة جمال عبد الناصر بلا تردد .

ـ الخوف من انتشار الشيوعية فى سوريا ومصر .

ـ الطموح الى ظهور أول تحقيق عملى للقومية العربية ممثلا فى أول دولة للوحدة .

فى حديث مع الصحفى الفرنسى بنوا ميشان على احتمال قيام اتحاد بين مصر وسوريا قال جمال عبد الناصر :

ـ هذا ليس محتملا ... انه أكيد .

ـ متى ؟

ـ ربما خلال ١٩٥٨ وربما بعدها ٠٠ التقرير ليس لى ٠

ـ كيف لا يعود لك ؟

ـ لأن القضية ليست ضم بلد الى بلد ، انها قضية اندماج والأمر لم يتضح بعد ٠٠ سننتظر رغبة السوريين ٠٠ أنا لست فاتحا ٠٠ أنا كما تقولون بالفرنسية « مغنطيس » ٠

كان السوريون قد حضروا فعلا يطلبون الوحدة ٠

ولكن ٠٠

كان هناك شرطان لجمال عبد الناصر ٠

الأول : أبعاد الجيش عن السياسة سواء فى مصر أو سوريا ٠

الثانى : تكوين قيادة سياسية واحدة ٠

ويؤكد صلاح البيطار أن جمال عبد الناصر فى البداية كان موافقا على استمرار حزب البعث باعتباره تنظيما قائما ٠

ولكن تطورات الأمور انتهت الى ضرورة الغاء كافة الأحزاب والقوى السياسية ، عدا الاتحاد القومى الذى بدأ تشكيله مع الوحدة فى سوريا أيضا وذلك نتيجة لمعارضة بعض الضباط والسياسيين السوريين ٠

وخلال وجود الضباط السوريين وصلاح البيطار تشكلت لجنة لبحث شئون الوحدة من صلاح البيطار وعلى صبرى وعفيف البرزى وعبد الحميد السراج وأكرم ديرى وأحمد جنيدى وعبد الغنى قنوت ومحمد فهمى السيد ٠

عاد الضباط السوريون الى دمشق ، وحضر الى القاهرة شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وصبرى العسلى رئيس الوزراء وأكرم الحورانى رئيس المجلس النيابى السورى ، وعدد من الوزراء حيث عقدوا عدة اجتماعات فى قصر القبة مع جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وزكريا محى الدين وانتهى الأمر الى توقيع ميثاق فى أول فبراير ينص على توحيد مصر وسوريا فى دولة واحدة اسمها الجمهورية العربية المتحدة يتولى السلطة فيها رئيس الدولة يعاونه وزراء يعينهم ، ويكونون مسئولين أمامه ، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد ، ويكون للجمهورية علم واحد وجيش وشعب يتساوى أبناؤه فى الحقوق والواجبات ٠

الفصل الثانى

اعــلان الوحـــدة

(تحليل الوضع فى العالم العربى
على أســاس الماركسية اللينينية
يؤدى حتما الى اعتنــاق شعار
الوحـدة العربية) ·

خالد بكداش

تقرر أن يلقى جمال عبد الناصر وشكرى القوتلى بيانين أمام مجلس الأمة المصرية ومجلس النواب السورى لشرح أسس الوحـدة على أن يتم الاستفتاء عليها خـلال ثلاثين يومـا ·· وقد كتب البيانين صلاح البيطار وفتحى رضوان وعفيف البزرى ·

ولذا أسرع الملك سعود بمحاولة وقف الوحدة قبل اتمامها وهدمها قبل اعلانها والاستفتاء عليها ، واتصل الملك سعود بعبد الحميد السراج يغريه بأى مبلغ يطلبه ليمنع الاستفتاء على الوحدة ·

ولم يكن هذا هو الاتصال الأول فى محاولة اقامة نظام موال للغرب ·

اتصل يوسف يس مستشار الملك سعود بالرئيس شكرى القوتـلى يعرض عليه اقامة حلف اسلامى والابتعاد عن الاتحاد السوفيتى · وكان

القوتلى على علاقة طيبة مع السعوديين وخاصة فى فترة ابتعاده عن رئاسة الجمهورية ٠

لم يستجب القوتلى لذلك فقد كان الأمر أقوى من الرغبة الشخصية ، وتيار التحول الوطنى الجارف كان يلتقى مع الدول الاشتراكية فى مسار واحد ٠٠ وسوريا كانت قد عقدت — بعد مصر — صفقة من الأسلحة السوفيتية فى ربيع ١٩٥٦ ووقف الاتحاد السوفيتى الى جانبها وقفة حازمة أثناء الحشود التركية على حدودها ٠

وبعد عرض يوسف يس اتصل الملحق العسكرى الأمريكى بعبد الحميد السراج وأبلغه أن حكومة الولايات المتحدة قد زهقت من الأحزاب ٠

وربط السراج هذه الخيوط ببعضها البعض وعندما أبلغ صلاح البيطار بذلك نصحه بمقابلة جمال عبد الناصر فسافر الى مصر فى خريف ١٩٥٥٠

ومع ذلك لم يصدق جمال عبد الناصر فى البداية محاولة الملك سعود الأخيرة والتى علم بها عن طريق تقرير حمله رسول خاص من السراج وصل الى القاهرة يوم توقيع شكرى القوتلى وعبد الناصر على بيان الوحدة ٠

كان الملك سعود قد كتب شيكا لعبد الحميد السراج رقم ٨٥٩٠٢ مسحوبا على البنك العربى بالرياض بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٥٨ بمبلغ مليون جنيه استرلينى ٠

وطلب عبد الناصر من السراج صرف المبلغ فعلا فصرفه ووضعه فى البنك العربى بدمشق وصرف شيكين آخرين رقم ٨٥٩٠٣ بمبلغ ٧٠٠ ألف جنيه استرلينى ، ٨٥٩٠٤ بمبلغ ٢٠٠ ألف استرلينى ٠

وكانت فضيحة للنظام السعودى المتآمر بالمال ٠

محاولة لم تمنع الاستفتاء ٠٠ ولم تمنع الوحدة ٠

تم الاستفتاء يوم الجمعة ٢١ فبراير ١٩٥٨ على الوحدة وعلى رئيس الجمهورية ٠٠ وكانت النتيجة الموافقة بنسبة تتجاوز ٩٨٪ على الوحدة ٠٠ وعلى انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا ٠٠ وأصبح شكرى القوتلى المواطن الأول ٠

وزار جمال عبد الناصر سوريا يوم ٢٤ فبراير لأول مرة ، وكان استقباله فيها تعبيرا قويا عن الارادة الشعبية الجارفة نحو الوحدة ٠٠

ولم يكن خالد بكداش سكرتير الحزب الشيوعي موجودا بدمشق عند زيارة عبد لناصر لها ·· كان قد غادر سوريا بعد جلسة مجلس النواب السوري التي عرض فيها مشروع الوحدة ، والذي وجد الشيوعيون فيه تنافرا شديدا مع أفكارهم ومعتقداتهم عن الوحدة ·

قال لي خالد بكداش مجيبا على تساؤل عن موقف الحزب الشيوعي السوري من قضية الوحدة :

ـ لقد أبدى حزبنا منذ زمن طويل رأيه بأن شعار الوحدة العربية ليس وليد نشاط أو دعاية حزب من الأحزاب ·· بل هو منبثق من الواقع الموضوعي للبلدان العربية ، فتحليل الوضع في العالم العربي على أساس الماركسية اللينينية يؤدي حتما الى اعتناق شعار الوحدة العربية ·· فهو اذن شعار تمليه علينا مبادئنا نفسها ·· وكل ادعاء آخر حول موقفنا نحن الشيوعيين من الوحدة العربية هو كلام باطل ·

ويمكن تلخيص رأى الشيوعيين السوريين في قضية الوحدة بما قاله لي خالد بكداش أيضا :

ـ لقد دعونا دائما الى أن تؤخذ في كل مشروع أو سعى الى الوحدة الظروف الموضوعية في كل بلد عربي بعين الاعتبار ·· ولا نزال عند رأينا · فحتى بعد ازالة الاقطاعية والبرجوازية الكبيرة من الحكم تبقى لكل بلد ظروفه الموضوعية وان تغير محتواها ، أو طرأ عليه بعض التعديل من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ·· وعلى كل حال يجب التمهيد للوحدة العربية لاقامة علاقات اجتماعية أخوية بين البلدان العربية المتحررة تخلق جوا من الثقة المتبادلة التي يجب أن تتعاظم خلال التعاون السياسي والثقافي والاقتصادي ·

اتمام الوحدة بين مصر وسوريا تم في عجلة شديدة تحت ضغط العسكريين السوريين المدفوعين بالروح الوحدوية والذين تأثر بعضهم بمعتقدات حزب البعث والذين اتفقت آراؤهم مع اختلاف وجهات أنظارهم على أن الوحدة فيها تحقيق لهدف تتطلع اليه الجماهير ·

وفي فترة الاتفاق على الوحدة كانت مصر وسوريا تعيشان في ظل النظام الرأسمالي مع فوارق محدودة ·

ولم تكن مصر قد تجاوزت مرحلة الحيرة والبحث عن الطريق الجديد ، ولم تكن قد لجأت الى أية اجراءات تحد من النمو الرأسمالي · كل الاجراءات التي اتخذت حتى ذلك الوقت كانت تمصير الشركات الانجليزية والفرنسية والتركية ··

كانت الاشتراكية الديمقراطيــة التعاونيــة هى الشعار المرفوع ، وكانت المصالحة الاجتماعية وحشد كل الطبقات فى تنظيم الاتحاد القومى هى الوسيلة السائدة ٠

ومع ذلك لم توظف البرجوازية المصرية أموالها فى التصنيع لما لمسته من تصميم العسكريين على احتــكار السلطة وتوجيههــا ووضعهــا تحت وصايتهم ٠٠ وذلك بعد انشــاء وزارة الصناعة ومجلس التخطيط الأعلى والمؤسسة الاقتصادية ولجنة التخطيط القومى ٠

كان هناك تهيب فرضته طبيعة السلطة حال دون انطلاق البرجوازية المصرية فى التصنيع والاستثمار ٠

أما فى سوريا فان فرص البرجوازية كانت متاحة ومطلقــة الى أبعد الحدود ٠٠٠ والأحــزاب الحاكمــة (الشعب والوطنى) لم يكن التغــير الاجتماعى واراد فى برامجها ٠٠ وحزب البعث رغــم زيادة نفوذه وتــولى قادته بعض المراكز الرئيسية فى الدولة (رئاسة المجلس النيابى ووزارة الخارجية) الا أنه كان بعيدا عن النفوذ الحقيقى القادر على توجيه السلطة ٠

تمت الوحــدة فى وقت كانت البرجوازية المصريــة فيه تميــل الى الانكماش ٠٠ بينما البرجوازية السورية لم تعرف بعد أية قيود ٠

والنظرة الى الواقــع الاجتمــاعى فى مصر وسوريــا كانت تشير الى العراقة النسبية للبرجوازية المصرية وقدرتها العالية على التصنيــع والتى وصلت مع طلعت حرب وبنك مصر الى مستوى اقتصـــادى لم تصل اليه البرجوازية السورية ٠

الامكانيات المتاحة للبرجوازية المصرية من الأموال والسوق والخبرة كانت أكثر توافرا ، ولكن البرجوازية السورية وجدت فى الوحدة فرصة للنشــاط فى سوق كبير ٠٠ حيث أعطيت تسهيــلات كبيرة فى العمــل بمصر ، وانتهزت فرصة الغــاء الجمارك وتحديــد سعر تشجيعى للعملــة « الجنيــه المصرى والليرة السوريــة » وغــزت أسواق القاهرة بمنتجاتهــا وزاحمت بذلك البرجوازية المصرية ٠٠ والغريب أن مجموعة من أصحاب المصانع العاملــين فى مصر قد توجهــوا الى الدكتور عبد المنعم القيسونى مطالبين بتكافؤ الفرص فى التعامل والحصول على التسهيــلات الممنوحــة للبرجوازية السورية النشطة ٠

وتبين للدكتور عبد المنعم القيسونى ان المعارضين والمطالبين بحقوق متساوية هم من العائلات السورية التى بدأت نشاطها الصناعى فى مصر قبل الثورة مثل سماقية والشووبجى وقبانى ٠

وأخذ الدكتور القيسونى الموضوع فى استخفاف وقال لهم (أنتم سوريين فى بعض) ولكن الواقع أن الفرصة التى أتيحت لنشاط البرجوازية السورية كانت دافعا لها على التسلل الى مصر بينما لم تتجه البرجوازية المصرية الى أى نشاط فى سوريا ٠

ومع ذلك فان مستوى دخل الفرد فى سوريا كان مرتفعا عن مستوى دخله فى مصر ، كان مرتب خريج الجامعة فى سوريا يصل الى حوالى ضعف مرتب زميله الخريج فى مصر ٠٠ ولذلك كانت الفروق الاجتماعية فى سوريا أقل حدة وأقل وضوحا عنها فى مصر ٠

وهموم السلطة الثورية فى مصر من ناحية التغير الاجتماعى كانت تؤثر فى حركتها وفى قراراتها ٠٠ بينما لم تكن هذه قد استولت على أحد بعد فى سوريا ٠

منهاج الوحدة ترك للدستور الذى فوض جمال عبد الناصر لوضعه ، وكان البعث يرى فى عبد الناصر الزعيم الذى نقل الوحدة العربية من الفكرة النظرية الى الواقع التطبيقى ٠

ولذلك قبل حزب البعث أن يحل نفسه تنظيميا فى سوريا ، وكان هذا أمرا جديدا فى تاريخه ٠٠ اذ لم تكد تمضى سبع سنوات على دمج وتأسيس الحزب حقق فيها انتصارات وضحة فى مجال السياسة الداخلية حتى جابه موقفا يفرض عليه انتهاء وضعه التنظيمى ٠

قال لى أكرم الحورانى ردا على سؤال عن الأسباب التى دفعته الى التضحية بالكيان التنظيمى لحزب البعث ، أنه وزملاءه قد قبلوا حل الحزب فى سوريا لثقتهم الشديدة بعبد الناصر واقتناعهم بأن خطوة الوحدة أثمن من أن تنهض أمامها أية عراقيل ٠

ولم يقبل الحزب الشيوعى السورى مبدأ حل التنظيمات وهو الذى يتحرك سريا بواجهة علنية ٠٠ وسافر خالد بكداش الى الخارج فور اقرار الوحدة تحاشيا لصدام مباشر مع السلطة الجديدة وتمسكا بتنظيم الحزب ودوره ٠

وكان قد سبق له أن سافر فى فترة انقلاب حسنى الزعيم ٠

الوزارة الجديدة للجمهورية العربية المتحدة التى شكلت يوم ٦ مارس ١٩٥٨ ضمت أربعة نواب لرئيس الجمهورية : مصريان هما عبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وسوريان هما أكرم الحورانى وصبرى العسلى ٠

بعض الوزارات كانت واحــدة للاقليمين (الشــمالى والجنوبى) أو سوريا ومصر كما اعتاد المسئولون وأجهزة الاعلام أن يطلقوا عليها ٠٠ مثل وزارة الداخلية التى تولاها زكريا محى الدين والخارجية كمال الدين حسين والارشاد القومى فتحى رضوان والأوقــاف أحمد حسن الباقــورى والخارجية (دكتور محمود فوزى) والصناعة (عزيزى صدقى) ٠

هذا الى جانب وزارة الحربية التى تولاهــا (عبد الحكيم عــامر) ٠ وجميعهم من المصريين ٠

بقية الــوزارات وزعت على الاقليمــين ودخــل الوزارة للمرة الأولى اربعة من العسكريين السوريين ٠٠ عبد الحميد السراج للداخليــة تحت اشراف زكريا محيى الدين ، ومصطفى حمــدون للشئون الاجتماعيــة ، وأحمد عبد الكريم للشئون البلدية والقروية وامين النافورى للمواصلات ٠

كانت وزارة الوحدة بدايــة لعهد جديد تغــيرت فيه سبــع وزارات خلال أربع سنوات بالتحديد منذ خروج الشيشكلى ٠

وهكذا منذ الوزارة الأولى للوحدة بدأ العسكريون السوريون الذين كانوا بعيدين عن السلطة التنفيذية وعن مناصب الوزراء حتى ذلك الوقت يدخلون الى قمة السلطة ٠

أصبح الموقف فى سوريــا امتــدادا للموقف فى مصر ٠٠ اختيــار العسكريين لممارسة أعمال سياسية وادارية ليسوا مؤهلين لها ٠٠ وما أظن أن ضبــاط الجيش كانوا أقدر من يتولى مسئوليــة الشون الاجتماعيــة أو الشئون البلدية أو المواصلات أو غيرها ٠

والضباط الذين دعوا للوحدة وتحمسوا لها من مواقعهم السياسية المختلفة ، كانوا أشد حرصا على تحقيقها كهدف وطنى أكثر من حرصهــم أو تطلعهم الى المناصب الوزارية ٠

ولكن أسلوب اختيار الطريــق الأسهــل والاعتمــاد الرئيسى على الضباط فى تسيير المجتمع هو الذى أدى الى سلوك هذا السبيل ٠

وعندما يفرغ المجتمع من التنظيمــات السياسية وتلغى الأحزاب ، يصعب تكوين الكادر السياسى القادر على القيادة ، ويصبح الاعتمــاد على العسكريين هو الطريق الأسهل ٠ وما دام بعض العسكريين قد وصل الى منصب الوزارة فلابد من ارضاء الآخرين ٠٠ وأعد عبد الحكيم عامر نشرة عسكرية يرقى فيها الضباط ، أعضاء المجلس الثورى السورى الذين لم

يعينوا وزراء ، ترقيات استثنائية الى رتبة عميد مثل (أكرم ديرى وطعمة العودة الله وأحمد جنيدى وجادو عز الدين وعبد الغنى قنوت وغيرهم) .. ولكن الضباط أقنعوا عبد الحكيم عامر بعدم ضرورة ذلك .

وتضمنت النشرة أيضا تسريح ٩٤ ضابطا سوريا .

وهكذا سرت عدوى التخلص من الضباط غير الموالين .

والولاء مسألة نسبية تتغير تبعا للظروف وتتحدد تبعا للحركة السياسية .. كان حزب البعث ـ كما يقول أكرم ديرى ـ وراء تحديد أسماء هؤلاء الضباط الذين تقرر تسريحهم . وكان مصطفى حمدون قد أعد كشفا للتسريحات يتخلص فيه من الضباط غير البعثيين ويقسم الضباط الى كتل شيوعية واخوان مسلمين وشوام وحلبيين وعلويين .

كانت قد تشكلت لجنة ضباط للجيش الأول (تعبيرا عن الجيش السورى) من ضباط سوريين ومعهم العميد عبد المحسن أبو النور حيث كان يعمل معاونا لقائد الجيوش بعد أن كان ملحقا عسكريا لمصر فى سوريا .

وحدث صدام بين عبد الحكيم عامر وعفيف البزرى قائد الجيش الأول السورى عندما اعترض المشير على نشرة تنقلات للضباط بناء على تقرير رفعه عبد المحسن أبو النور وقال فيه أن النشرة تضع ٢٠ ضابطا شيوعيا فى أماكن قيادية .

لم يكن الأمر صحيحا على اطلاقه ، فلم يكن هناك ٢٠ ضابطا شيوعيا فى سوريا ممن يمكن أن يعينوا فى مراكز قيادية كما كتب محمد حسنين هيكل فى جريدة الأهرام .. ولكن القضية كانت تتلخص فى رغبة ضباط البعث ـ وهم منتشرون فى الجيش ـ فى أهمية التواجد فى المراكز القيادية، وتكمن أيضا فى رغبة مندوب القيادة المصرية فى أن يكون متواجدا عند كل قرار ذى دور نافذ فى التوجيه .

رفض عفيف البزرى أى تغيير فى نشرة التنقلات واحتج على المشير غاضبا .. ولكنه فوجىء فى صباح اليوم التالى بخبر تعيينه مستشارا فى شئون التخطيط مكتوبا فى الصفحات الأولى .. واستقبله عبد الناصر فى محاولة لترضيته ولكن الطعنة كانت أقوى من أن تبرأ بكلمات فقد تركت أثرا فى تصرفاته دفعته فى النهاية الى الخروج من سوريا والذهاب الى العراق بعد ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ .

أمكن التغلب ، اذن ، على قيادة الجيش ذات الميول اليسارية وأصبح البعث بحكم كونه التنظيم الوحيد المتواجد داخل صفوف الجيش ، صاحب تأثير فعال فى تحريك الأمور .

وكانت ثورة العراق التى انفجرت بعد خمسة شهور من الوحدة وأطاحت نهائيا بالعرش الهاشمى ذات تأثير كبير على الموقف فى سوريا ودفعت الى الحذر من نمو الأفكار الاشتراكية الحقيقية ، وخاصة بعد أن لعب الحزب الشيوعى العراقى دورا علنيا فى الحياة السياسية العراقية .

وقد تفاقمت هذه الحساسية ونمت خلال تقارير أجهزة الأمن وانتهت الى اعتقال الشيوعيين السوريين فى خريف ١٩٥٨ .

ولم يقف تأثير الموقف فى العراق عند هذا الحد ، ولكنه تجاوزه الى ما كشفت عنه محاكمات بغداد من أن صبرى العسلى نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة كان قد تقاضى مبلغ ١٥٠٠٠ جنيه من حكومة نورى السعيد .

نشر صبرى العسلى بيانا قال فيه أنه قبض المبلغ عام ١٩٥٤ (وفى ظروف مقاومة حكم أديب الشيشكلى وتدبير الثورة ضده) وتقدم الى جمال عبد الناصر يطلب اعفاءه من منصبه حتى تنتهى اللجنة التى شكلت لدراسة وثائق حلف بغداد من مهمتها .

وتشكلت حكومة جديدة ذات ثلاثة مجالس فى أكتوبر ١٩٥٨ .. حكومة مركزية فى القاهرة تضم ٣ نواب لرئيس الجمهورية هم عبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وأكرم الحورانى .. وعدد الضباط فيها ١٢ من مجموع أعضائها ٢٤ ــ ومجلس تنفيذى فى سوريا يرأسه نور الدين كحالة وهو غير بعثى وتضم ٦ ضباط من مجموع أعضائها ١٤ .. ومجلس تنفيذى فى مصر يرأسه الدكتور نور الدين طراف ويضم ٥ ضباط من مجموع أعضائها ١٥ .

زاد عدد أعضاء الضباط السوريين فى المناصب الوزارية ، وانتهى تواجد الأحزاب السورية القديمة ، ولم يقبض البعث على السلطة الحقيقية .

كان حل الحزب قد تم من الوجهة القانونية والتنظيمية فعلا ولكن زمالة الماضى كانت تجمع بين الأعضاء السابقين للحزب مما دفع عبد الحميد السراج وزير الداخلية الى ملاحقتهم ، واشتكى صلاح البيطار الى جمال عبد الناصر فاستدعى السراج من دمشق وعقدوا اجتماعا ثلاثيا لتصفية الخلافات والحساسيات .

ولكن الأمور لم تمض كما تخيـــل قادة حزب البعث عنـــد اعلان الوحـدة ٠

كان هو الحزب الوحيد المؤهل من وجهـة نظره للمشاركة الفعليـه فى السلطة ، فهو صاحب الانقلاب الذى أطاح بالشيشكلى ، وهو صاحب الأغلبية فى المجلس الثورى للضباط ، وهو الحزب الذى يرفـع الوحدة العربية شعارا يتحمس لها ويعمل من أجلها ٠

وقد نجح خـلال شهور الوحدة الأولى فى ازاحـة عفيف البزرى من قيادة الجيش وتولى بعض المناصب الوزارية ٠

المناصب الوزارية لم تكن جديدة على أعضـاء الحزب ٠٠ فصـلاح البيطار مثـلا كان وزيرا للخارجيـة وأكرم الحورانى كان رئيسا لمجلس الشـعب ٠

وجهـات نظر ٠٠ وخلافات

ولكن أعضاء الحكومة المركزية الذين كان لهم نظراء فى الاقليمين لم تكن لهم سلطة عملية تنفيذية ، وقد اشتكى من ذلك أكرم الحورانى نائب رئيس الجمهورية ووزير العدل ، وصلاح البيطار وزير الثقافة والارشاد ، وكانت الوزارة المركزية قد احتلت مبنى فنـدق (هليوبوليس بالاس) الكبير فى ضاحية مصر الجديدة بعيدا عن مكاتب العمل للوزارات المختلفة ٠

وفى لقاء مع جمال عبد الناصر اقترح أكرم الحورانى تشكيل قيادة سياسية للجمهورية العربية المتحدة من ثلاثة سوريين رشـح لها ميشيل عفلق وصلاح البيطار وهو ، وثلاثة مصريين ويختارهم جمال عبد الناصر على أن تكون قيادة غير معلنة ٠

كانت هناك لجنة قد شكلت برئاسة عبد اللطيف البغدادى وعضوية زكريا محيى الدين وأكرم الحورانى لقيادة سوريا ، ولكنها ظلت لا تعمل لانها كانت بلا سلطات ٠

استهدف أكرم الحورانى من ذلك خلق شعور بالمشاركة الفعالة فى مركز السلطة واتاحة فرصـة عودة النبض لتنظيمـات حزب البعث ٠٠ ولكن جمال عبد الناصر الذى كان ينفرد بالحكم والتوجيه فى قمة السلطة رفض هذا التشكيل غير المعلن الذى يفرض نوعا من المشاركة غير المرغوب فيهـا ٠

وكان حزب البعث نفسه قد أسهم فى اطلاق يد جمال عبد الناصر فى تشكيل مجلس الأمة بناء على التفويض الممنوح له فى المادة ١٣ من الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة الصادر فى أبريل ١٩٥٨ ٠

ولم يتم تشكيل المجلس خلال الشهور الأولى للوحدة ٠

رفض اقتراح القيادة السياسية غير المعلنة الذى تقدم به أكرم الحورانى بذر بذور الخلاف المستمر بين القيادة ممثلة فى جمال عبد الناصر وبين حزب البعث ٠٠ وتجسدت الخلافات فى عدة نقاط رئيسية :

أولا : عضوية الاتحاد القومى ٠

كانت العضوية مفتوحة للجميع وكان من رأى البعث أن تحرم العضوية على الرجعيين والعملاء ٠

ثانيا : تعيينات الضباط ٠

كانت تعيينات الضباط فى المراكز القيادية الحساسة محل اعتراض الضباط البعثيين أو ذوى الميول البعثية ٠٠ ومثلا عندما صدر قرار بتعيين المقدم عبد الكريم النحلاوى فى ادارة كاتم أسرار الجيش الأول اعترض على ذلك مصطفى حمدون وكان وزير الاصلاح الزراعى ٠ ولكن عبد المحسن أبو النور قال للمشير عامر أنه ليس حزبيا ، ومتدين ٠٠ وكانت هذه هى الصفات التى تعتبر جواز مرور للمراكز القيادية ٠

ثالثا : تحويل مجرى نهر الأردن ٠

اختلفت وجهات نظر جمال عبد الناصر وحزب البعث فى هذه القضية اختلافا كبيرا ٠

كان البعث يرى ضرورة التصدى لاسرائيل ومنعها بقوة السلاح من تحويل مجرى النهر ، وخاصة أن الجيش السورى سبق له أن قام بذلك قبل الوحدة عام ١٩٥٣ ومنع اسرائيل فعلا من عملية التحويل التى تتم على بعد ٦ كيلو مترات فقط من الحدود فى المنطقة المجردة من السلاح ٠٠ وكان جمال عبد الناصر يخشى أن يتحول الصدام المحدود الى حرب كبيرة ، كان يرى أن قواته المسلحة ليست مهيأة لها ٠

كان جمال عبد الناصر يفرق بين التصدى لاسرائيل اذا حاولت تحويل مجرى النهر ، وبالنسبة للمنطقة المجردة من السلاح كان الجيش الأول السورى عنده تعليمات صريحة بأن يقاوم بالقوة كل محاولة لتحويل مجرى نهر الأردن من المنطقة المجردة عند جسر بنات يعقوب ٠ وهى

نفس المنطقة التى أطلق عليها الجيش السورى مدافعه عام ١٩٥٣ الأمر الذى جعل كبير المراقبين يتدخل ومجلس الأمن يقرر وقف أعمال التحويل ٠

أما اذا حاولت اسرائيل تحويل مجرى النهر من داخل أراضيها فان الأمر عندئذ يختلف لأنه سوف يكون بعيدا عن المنطقة المجردة وهى حالة لاتنطبق على اتفاقية الهدنة ٠

وتشكلت لجنة فرعية لبحث الموضوع وتقديم تقرير بذلك ٠٠ من البغدادى والحورانى والبيطار وعلى صبرى والشرباصى وأحمد عبد الكريم ومحمود رياض وصلاح الطرزى ٠٠ وعقد بعد ذلك اجتماع أخير للرئيس ونواب الرئيس والوزراء ٠٠ وارتفعت فيه حرارة الجدل بين أكرم الحورانى الذى تحدث عن مشروع جونستون ووقوف سوريا ضده حتى رفض نهائيا ، وبين جمال عبد الناصر الذى أراد أن يفرق بين اطلاق النار على المنطقة المجردة وبين القيام بعمليات محدودة غير محسوبة بدقة ، كما طالب الحورانى مؤيدا رأيه بأن مجلس الأمن سوف يتدخل ويمنع التحويل كما حدث فى عام ١٩٥٣ ٠

قال لى صلاح البيطار أن حرارة المناقشات ارتفعت حتى اختلط الحديث وأخذ طابعا اقليميا استفزازيا وخاصة عندما المح جمال عبد الناصر الى احتمال ضرب دمشق بالطائرات ، وانبرى أمين النافورى مؤكدا أن دمشق لم تهب أبدا قصف طائرات العدو وأنها مستعدة لتحمل كل التضحيات ٠٠ وعندئذ قال عبد الناصر ، وحسب رواية صلاح البيطار (والله يا أخ عبد الحكيم اذا كان البحث يجرى على هذا النحو فلتقم قواتك بالهجوم على اسرائيل منذ الغد) ٠

انتهت الجلسة بعد مناقشات عاصفة لم يضع أثرها من النفوس ٠

ولاشك أن وقوع هذا الخلاف فى عام ١٩٥٩ وهو العام الذى ساد فيه الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة وبين الاتحاد السوفيتى ٠٠ أو بين جمال عبد الناصر وخروشوف شخصيا ، كان عاملا من العوامل الهامة التى أثرت فى تقدير جمال عبد الناصر للموقف ٠٠٠ اذ أنه كان فى وقت كانت فيه علاقاته مع الأصدقاء يشوبها التوتر ، وعلاقته مع الأعداء لم تتحسن ٠٠

وتجمعت هذه الخلافات لتظهر فى موقف ايجابى اتخذه مصطفى حمدون ٠٠ الذى كان وزيرا للاصلاح الزراعى ، وكانت له وجهة نظر فى أن الملاك لا يجوز لهم تحديد أرضهم المطبق عليها القانون فى أكثر من

موقعين وهي بحد أقصى ٤٠٠٠ دونمسورى ، ويقول مصطفى حمدون أن جمال عبد الناصر كان يؤيد في الرأى بينما كان عامر وزكريا محيى الدين يعارضان رأيه ·

وأعطى مصطفى حمدون تصريحا لوكالة أنباء الشرق الأوسط بوجهة نظره ··· واعتبر عامر ذلك تحديا له ، فسافر الى القاهرة وغاب أسبوعا ثم عاد الى دمشق لينشر في جريدة الأيام أن لجنة برئاسة مصطفى حمدون وعضوية ٣ وزراء سوف تناقش مشاكل الاصلاح الزراعى ·

اعتبر ذلك حمدون اهانة له ، واصر على تقديم استقالته ، فقال له المشير عامر ان الاستقالة تعنى مؤامرة على الوحدة ·

كان المشير قد عين نائبا وحيدا لرئيس الجمهورية في سوريا بصلاحيات الرئيس في آكتوبر ١٩٥٩ ·

ولم يستقل مصطفى حمدون وحده ·· وانما استقال عبد الغنى قنوت أيضا ·

واستدعاهما جمال عبد الناصر لمقابلته في القاهرة ·

عندما حضر الاثنان لم يكن في استقبالهما أحد في مطار القاهرة ·

ويقول مصطفى حمدون أنهما وقفا أمام ضابط الجوازات في صف الركاب حتى تنبه لأنهما من الوزراء ·

وليس معروفا ما اذا كانت القاهرة قد علمت بموعد حضورهما ، وما اذا كان الموقف متعمدا أو غير متعمد ، ولكن الحساسية كانت قد تأججت في النفوس ·

وفي صباح يوم وصولهما كان أكرم الحورانى وصلاح البيطار قد أرسلا أيضا خطابات استقالتيهما لجمال عبد الناصر ، رغم أنهما كانا معا في احتفالات الجلاء ببور سعيد ، وتناولا الغداء معا في القطار أثناء عودتهم ··· وكانت مفاجأة لعبد الناصر ·

وجد أكرم الحورانى وصلاح البيطار أنه يجب اتخاذ موقف التضامن مع الزملاء العسكريين في الحزب ·

ووجد جمال عبد الناصر أمامه استقالة جماعية من أربعة وزراء ·· وبعد أن كان مصرا على رفض استقالة حمدون وقنوت ··· قرر أن يلتقى بالمستقيلين واحدا بعد الآخر ··· ويوما بعد يوم ·

ودارت فى المقابلات مناقشات عن الأوضاع ، أساسا حول الخلافات التى أشرت اليها ٠

ثم انتهى الأمر بقبول استقالة الوزراء البعثيين الأربعة فى ٣١ ديسمبر ١٩٥٩ ٠

يقول مصطفى حمدون أن اللقاء الأخير مع عبد الناصر كان جياشا بالعواطف التى دفعتهم الى البكاء ٠

وعاد الوزراء الى دمشق مواطنين عاديين ٠٠٠ وكان طلبهم الأخير من عبد الناصر أن يستدعيهم اليه اذا ما شوهت تقارير أجهزة الأمن صورتهم لديه ٠

وهكذا انطوت صحيفة البعث فى حياة الجمهورية العربية المتحدة ٠٠ وتمزق الحلم الذى راود قادته وجماهيره ، فى أداء دور فعال لدعم دولة الوحدة الأولى ٠

ويقتضى الموقف تفسير العلاقة بين البعث وبين القادة فى مصر ٠

ليس من شك فى أن البعث كان حزبا جماهيريا ، فرض نفسه على الجماهير العربية مع الحرب العالمية الثانية ، عندما قدم أفكارا قومية واجتماعية أثارت الانتباه والاهتمام وجذبت طموح الناس الى حياة أفضل ٠

وليس من شك أيضا فى أن الحزب كان يمثل تيارا جديدا فى الحياة السياسية العربية يشق طريقه وسط أحزاب رجعية ثم ديكتاتوريات عسكرية فى ظروف كانت بالغة الصعوبة أحيانا ٠

ولكن حزب البعث كان يتبنى عقيدة كونه الحزب الوحيد المؤهل لقيادة الأمة العربية ٠٠٠ يرفض الأحزاب والأنظمة الحاكمة لانها رجعية ، ويرفض التيارات اليسارية والشيوعية بمنطق أنها ترتوى من نبع غير عربى ٠٠٠ وهو منطق لم تثبت الأيام صحته على مدى التجارب التاريخية ٠

هذه العقيدة جعلته يحاول فرض نفسه بها على الأمة العربية وحده ٠٠٠ ولكن فكرته لم تنتشر الا فى المشرق العربى (سوريا والأردن والعراق ولبنان) ٠٠٠ وبقيت قيادته القومية بعيدة عن تمثيل شعب مصر والسودان وشعوب المغرب العربى ٠

البعث والعسكريون المصريون :

لم يحدث اتصال حقيقى بين البعث وبين الشعب المصرى ٠٠٠ فقد كانت هناك أحزاب وطنية تقود النضال الوطنى مثل حزب الوفد ، وأحزاب

اخرى تبشر بأفكار اجتماعيـة تقدمية مثـل الحزب الاشتراكى والوطنى الجديد الى جانب التنظيمات الشيوعيـة التى استقطبت أنصـار التقـدم الاجتماعى ·

لم تكن فرصة البعث سهلة في الوصول الى مصر لأن هذه الأحزاب المصرية سبقت تكوين البعث فى أواخر الأربعينات كحزبين أو فى أوائل الخمسينات كحزب موحد ·

ويبدو أن تركيز قـادة البعث كان قـاصرا على المشرق العربى ··· وان أكرم الحورانى زار مصر للمرة الأولى ضمن الوفد البرلمانى السورى الذى مهد للوحدة فى ديسمبر ١٩٥٧ ··· ولم يفكر فى الاقتراب سياسيا من العسكريين أو السياسيين المصريين الذين التقى بهم ·

أول اتصال لأكرم الحورانى مع العسكريين المصريين كان فى معسكر قطنة عام ١٩٤٨ مع اللواء صـــالح حرب الذى ذهب الى هنـاك لدراسة امكانيات المساهمة فى حرب فلسطين ·

ويقول أكرم الحورانى أن صـالح حرب قد استلفت نظره بتقشفه ونومه على الأرض مثل العساكر فى البرد القارس ·

والتقى أكرم الحورانى أيضا بأحمد حسين زعيم مصر الفتاة فى ذلك الوقت ولكنه لم يتناقش معه فى فكرة التعاون السياسى ، ولذا فقد بقى البعث بعيدا فى المشرق العربى لم تجذبه أحداث مصر كما جذبته أحداث العراق مثلا عندما قامت ثورة رشـيد عالى الكيلانى وانضم اليها عدد من السوريين كان فى مقدمتهم أكرم الحورانى أيضا والضباط توفيق شانيلا ومحمد صفا الذين سلكوا طريق الصحراء ، واستقبلوا فى العراق استقبالا طيبا ، لأنهم كانو قادرين على استخدام الأسلحة الفرنسية التى أمدتهم بها حكومة فيشى بناء على أوامر من ألمانيا النازية ·

وبعد فشل ثورة رشيد عالى الكيلانى وعودتهم الى سوريا اعتقلتهم القوات الفرنسية فى دير الزور مع بعض ضباط الجيش العراقى ثم نقلوا الى حلـب حيث اطلق سراحهـم بعـد انهيـار حكومـة فيشى واقتـراب البريطانيين ·

ومضت حرب فلسطين أيضا دون أن تعقد صلة بين البعث ومصر ··· ويقـول أكرم الحورانى (ان فرصة العمر قد ضـاعت لاننـا لم نتصـل بالضباط المصريين فى الجنوب) وذلك لأن السوريين كانوا فى الجليل ·

الصلة غائبة بين البعث والحركـة الشعبية المصريـة ··· وقد أيد الحزب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ولكنه عارض خطواتها غير الديموقراطية فى

ضرب الأحزاب الوطنية وقسوتها فى محاكمات الاخوان ٠٠٠ وكان الحزب ينظر اليها نظرته الى أديب الشيشكلى ونظامه وخاصة بعد استقباله والترحيب به فى القاهرة • وكان أول لقاء بين ثورة يوليو والبعث بمبادرة مصرية من جمال عبد الناصر الذى أرسل كمال رفعت ولطفى وأكد للدول العربية خلال معركته ضد حلف بغداد ٠٠٠ وهناك تم أول لقاء بين قادة البعث ومندوبى قيادة مصر ، وكانوا من العسكريين •

بعد زيارة الحورانى الأولى لمصر تكررت زياراته وتعدد معارفه ونشطت محاولاته للتأثير فى الحياة السياسية المصرية •

وكان الحزب يكسو تفكيره دائما رداء قومى ٠٠٠ ولذا فانهم عندما فكروا فى تقديم الاستقالة لم يرغبوا فى أن تكون اقليمية الطابع بل أرادوا لها أن تكون قومية المظهر ٠٠٠ فاتصل ميشيل عفلق مع الصاغ داوود عويس من مكتب المشير عامر بمصر (وهو ضابط بها صاحب أفكار يسارية من المرشحين لقسم الضباط فى الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ثم مضى به التيار وحده) وقال داوود عويس لميشيل عفلق انه يمكن اقناع عباس رضوان وتوفيق عبد الفتاح بالاستقالة المشتركة ٠٠٠ ولكن هذا كان جموحا وراء السراب ٠٠٠ فان العسكريين المصريين ما كانوا ليقيلوا من أجل البعث أولا ، وليس من أسلوبهم الاستقالة ثانيا ، فقد كان لهم طبيعة الموظفين أكثر من طبيعة الثوريين •

وانتهت المرحلة التى عبر عنها الكاتب محمد عودة ، بقوله « أن هناك حزبا يحتاج الى قائد ، وقائدا يحتاج الى حزب) وكما صدرت نشرات فصل بعض الضباط من الجيش بتهمة الشيوعية ، بدأت تظهر نشرات فصل بتهمة الانتماء لحزب البعث •

الضباط المصريون :

العجلة تدور ٠٠٠ والأحزاب مرفوضة ٠٠٠ وسلطة الجيش هى الوحيدة التى تشكل مصدر الخطر •

الإتحاد القومى تنظيم من ورق •

الضباط المصريون يتولون مناصب قيادية فى الجيش السورى ٠٠٠ اللواء أنور القاضى رئيسا لأركان حرب الجيش ، والعميد أحمد علوى كاتم أسرار الجيش ، والعميد أحمد زكى عبد الحميد مسئولا عن التنظيم والادارة •

لم يكن تعيين الضباط المصريين فى الجيش السورى خطأ من ناحية المبدأ فهم مؤهلون لذلك عسكريا ولهم زملاء من الجيش السورى درسوا

معهم فى كلية أركان الحرب بالقاهرة قبل الوحدة مثل مصطفى حمدون وعبد الغنى قنوت وأحمد عبد الكريم وغيرهم كثيرون ٠

والمفروض أن تتدرج الوحدة حتى يتم الدمج ٠

ولكن حركة تنقلات الضباط المصريين أضعفت من ثقة زملائهم السوريين بهم ، فبعد أن كان الانتداب الى سوريا قاصرا على أصحاب الكفاءات تجاوز ذلك بعد الوحدة الى الوساطة كمساعدة مادية لظروف الزواج أو عذر مالى مما جعل بعض الضباط من رتبة الملازم ثان ينقلون الى سوريا ٠

وكانت هذه التنقلات سواء من سوريا الى مصر أو من مصر الى سوريا تكلف الكثير ٠

قال لى أحمد كامل رئيس المخابرات السابق وقائد وحدة مدفعية مضادة للطائرات فى حلب عام ١٩٥٩ ان الرائد المصرى فى سوريا كان يحصل على ١٥٠٠ ليرة شهريا كبدل سفر والرائد السورى فى مصر يحصل على مرتب ٢٠٠ جنيه شهريا ٠ وبدأ بعض الضباط المصريين يتمركزون فى مراكز القيادة وتطعم وحداتهم بضباط مصريين ٠٠٠ عبد المحسن أبو النور مثلا أصبح نائب قائد الجيش الأول ومطلق الصلاحيات ٠ وزاد من شعور الجفاء للضباط المصريين وضع علامات خاصة على عربات الضباط المصريين مما جعل حركتهم مرصودة فى المجتمع ٠

وكذلك فان انفراد عبد الحكيم عامر بالسلطة فى سوريا الى جانب عمله قائدا عاما للقوات المسلحة ووزيرا للحربية ، كان يشكل استمرارا للأسلوب القديم الذى يزداد الاعتماد فيه على الشخص كلما زاد قربه من الزعيم ، وتأكدت ثقة الزعيم فى ولائه ٠

تتعدد مناصب الشخص بما يفوق طاقته ويتجاوز حدود قدراته دون النظر الى انعكاس ذلك على المصلحة العامة ٠

طلب أحمد كامل مقابلة المشير عامر فى نوفمبر ١٩٥٩ وشرح الأخطاء التى تشكل فى مجموعها خطرا يهدد الوحدة ٠٠٠ واستمع المشير اليه ثم قال له (يبدو أن أعصابك مرهقة) وأصدر قرارا بتعيينه ملحقا عسكريا فى باكستان ٠

وعبد الحكيم عامر بحكم طيبة شخصيته والتجارب التى مر بها تثبت أنه لم يكن عسكريا من الطراز القادر على احداث تغيير ثورى فى صفوف الجيش ، أحاط نفسه بعدد من الضباط الذين استمرأوا السلطة

والفساد وانتهزوا طيبته فولغوا فى الأموال العامة بلا حساب ، وانجرفوا نتيجة ذلك الى جانب بعيد عن الحس الشعبى الصحيح ، وقريب من الحياة الناعمة اللاهية التى يسهل توافرها فى سوريا ٠

كان انفراد عامر بالسلطة امتدادا لأسلوب تعيينه مشرفا على اللجنة الاقتصادية والسد العالى والطرق الصوفية كما حدث يوم ١٨ مارس ١٩٥٥ ، وامتدادا أيضا لتولى كمال الدين حسين فى نفس الفترة مسئولية تسعة مناصب فى وقت واحد ٠

الاعتماد على العسكريين هو الطريق الأسهل ٠٠٠ وتركيز المناصب فى شخص واحد أسلوب لم يتغير ٠

القضية لم تكن فى تواجد الضباط المصريين فى الجيش السورى وانما كانت فى نوعية هؤلاء الضباط الذين كانت تدفعهم الظروف المحيطة دفعا الى الفساد والانحلال ٠

ليس هذا موقفا اخلاقيا ٠٠٠ لأنه كانت له انعكاسات سياسية سهلت لبعض الضباط من ذوى الميول الرجعية والمحافظة فرصة التسرب للمراكز القيادية الحساسة تحت شعار بعدهم عن التنظيمات السياسية وأن بعضهم متدينون كما سبق أن قال عبد المحسن أبو النور للمشير عامر ٠

مطاردة البعث :

والعلاقة بين القيادة فى مصر وبين البعث لم تنته فى سلام ٠

تبادل الاتهامات مستمر ٠

أصبحت العناصر البعثية مطاردة ، تماما كما هو الحال مع العناصر الشيوعية التى مازالت خلف قضبان السجون والمعتقلات منذ خريف ١٩٥٨ ٠

عبد الحميد السراج وزير داخلية الاقليم السورى ينفرد بسلطة تكاد تكون مطلقة فى أعمال الأمن ٠٠٠ ويرتكب بعض رجاله جرائم بشعة منكرة ٠٠٠ اشدها هولا واثما قتل المناضل الشيوعى اللبنانى فرج الله الحلو واذابة جثته فى الحامض بعد اخراجها من القبر حتى لا تترك عليه أو على رجاله أثرا أو دليلا ٠

الاعتقالات تلحق بعض البعثيين ٠٠٠ والموقف الذى اتخذوه فى عداء الحزب الشيوعى ارتد عليهم ٠

لم يدركوا فى هذه المرحلة طبيعة الحلفاء والأعداء ٠٠٠ ولم يعتقدوا أن تغيير المجتمع يحتاج الى جبهة تحالف من كل قوى وتنظيمات التقدم التى تمثل البرجوازية الصغيرة والفلاحين والطبقة العاملة ٠٠٠

واذا كان عبد الكريم النحلاوى قد وصل الى مركز قيادة الجيش فى مكتب المشير عامر ٠٠٠ فان مأمون الكزبرى رئيس مجلس النواب فى عهد الشيشكلى ورئيس الجمهورية لمدة ٢٤ ساعة بعد هرب الشيشكلى قد أصبح أمينا عاما للاتحاد القومى فى مدينة دمشق ٠

عبد الحميد السراج وزير الداخلية كان رجلا وطنيا بلا نظرة اجتماعية تستهدف تغيير المجتمع الى أفضل ٠٠٠ وكان قادرا على الاستماع الى دبيب النمل كما كان الناس يقولون فى سوريا ٠٠٠ ولكنه لم يستشعر الخطر فى الرجعية التى لعبت دور النفاق والمداهنة والتربص ٠

وتغيرت الحكومة بعد خروج البعثيين بالاستقالة ٠٠ تولى نور الدين كحالة رئاسة المجلس التنفيذى فى سوريا ، ودخل عدد آخر من الضباط السوريين فى مناصب الوزراء (أحمد جنيدى للاصلاح الزراعى وأكرم ديرى للاقتصاد والعمل وجادو عز الدين وزير دولة وجمال الصوفى وزيرا للتموين) ٠

القوات المسلحة مازالت مصدرا رئيسيا لتوريد الوزراء ٠

وبعد خروج البعث ، صدر قرار بتشكيل مجلس الأمة من ٤٠٠ عضو مصرى ، ٢٠٠ عضو سورى ، وانتخب أنور السادات رئيسا له ومحمد فؤاد جلال وكيلا مصريا ، وراتب الحسامى وكيلا سوريا ٠٠٠ وعقدت الجلسة الأولى للمجلس عام ١٩٦٠ ٠

الانتماء للأحزاب غير موجود فى المجلس ٠٠٠ النواب جميعا أعضاء فى الاتحاد القومى الذى تتسع ساحته لكل الاتجاهات ٠

الشيوعيون والبعثيون لم يعد لهم صوت فى مؤسسات الدولة الرسمية ٠٠٠ والمدافعون عن الوحدة والحرية والاشتراكية لجأوا الى الاتصالات السرية ٠

الحزب الشيوعى ظل محتفظا بقواعده السرية وأسلوب عمله الذى اعتاد عليه فى ظل فترات الضغط ٠

حزب البعث لم يشكل رسميا من جديد ٠٠٠ ولكن لم تتوقف الاتصالات ٠٠

عبد الحميد السراج الذى كان ياورا لحسنى الزعيم ومقربا من الشيشكلى يقبض على الدولة بيد من حديد ... وعدد المعتقلين يزيد .

العسكريون أيضا يسيطرون على الاتحاد القومى . ولجنته العليا فى سوريا كانت تضم عبد الحميد السراج وأكرم ديرى .

وخلت الحياة السياسية فى هذه الفترة من أى تنظيم سياسى قادر على ملء الفراغ ... ولكن قدرة جمال عبد الناصر على التأثير فى الجماهير ظلت قائمة ... عن طريق كلماته المباشرة . عندما زار سوريا يوم ١٤ فبراير ١٩٦٠ بعد اقصاء البعث خطب ٢٣ خطبة فى ٢٣ يوما قضاها هناك بمعدل خطبة فى اليوم فى اللاذقية والحسكة والقامشلى ودير الزور وحلب وحمص ودمشق وقطنة والشيخ مسكين .

كان جمال عبد الناصر يعرض وجهات نظره على الجماهير مباشرة ويعتمد على تأثير أجهزة الاعلام أكثر مما يعتمد على تنظيم الأحزاب ... ولذا كانت صلته بالجماهير لا سلكية وليست سلكية . الجماهير تنفض بعد الخطب ... ولا أحد يتابع الاتصال بها فى مثابرة واخلاص .

القوانين الاشتراكية :

واقترب جمال عبد الناصر بعد ذلك من الفترة التى شعر فيها بحصار البرجوازية التى لم تكتف بالاستقرار الذى هيأه لها الحكم العسكرى وانما أرادت المشاركة فى السلطة ووقف تدخل الدولة .

واستقر رأى جمال عبد الناصر على اصدار القوانين الاشتراكية كما أطلق عليها .

كان الاشتراكيون الحقيقيون مطاردين وفى السجون والمعتقلات ، ولكنه استدعى أكرم ديرى باعتباره وزيرا للاقتصاد وناقش معه تأميم الشركة الخماسية التى يبلغ رأس مالها ٣٠ مليون جنيه وأخذت من البنك المركزى ١٨ مليون جنيه وتسيطر على خمس الاقتصاد السورى .

كانت مفاجأة لأكرم ديرى .

الاشتراكية لم تكن مطروحة فى فترة الوحدة بطريقة عملية ، وكان الحديث لا يتجاوز حدود العدالة الاجتماعية ... أما شعار الاشتراكية الديموقراطية التعاونية فلم يكن له صدى مؤثر فى سوريا ، وعندما لمس جمال عبد الناصر أن هناك تساؤلات من الوزراء السوريين ، طلب الى العسكريين منهم الاجتماع معه ومع المشير عبد الحكيم عامر ، وفى هذه الجلسة دارت المناقشات حرة .

اعترض عبد الحميد السراج على فكرة التأميم أصلا وتساءل البعض عما اذا كانت الظروف الراهنة هى أنسب الظروف لزيادة معسكر المعارضين .

وتساءل آخرون عن السبب فى تحديد الحد الأقصى من الدخل صناعيا بمبلغ مليون ليرة سنويا بينما لم يحدد من ناحية الزراعة ، وقال جمال عبد الناصر (أنا كان عندى ١٠ ــ ١٢ مليونير أصبحوا حوالى ٣٠٠ ــ ٤٠٠ والبرجوازية فى مصر اتسعت قاعدتها ولا بد من ضربها) .

وعقدت فى فندق شبرد بالقاهرة جلسة امتدت ست ساعات بين الوزراء السوريين واستقروا فيها على تعديلات فيما يتعلق بقوانين التأميم صدرت بها دون تغيير .

ومع ذلك حدثت بعض المفارقات ... فقد أعاد البنك المركزى مبلغ ٤ ملايين ليرة للبنك الصناعى بعد تأميمه حيث ثبت انها أموال المواطنين التى كانت تستثمر بـ ٤ فى المائة .

ولم تستقبل البرجوازية السورية قرارات يوليو بالتقوقع والانكماش كما حدث فى مصر ... فانها لم تتعرض لضربات الحكم العسكرى كما حدث فى ثورة يوليو ... ولم تفتح المعتقلات والسجون لرجال الأحزاب القديمة ، وانما فتحت لليسار من الشيوعيين ثم البعثيين .

كانت البرجوازية السورية أكثر نشاطا وتشعبا فى حياة المجتمع ، وكان الاعتماد على التجار مصدرا رئيسيا من مصادر الرزق ... ونسبة التجارة تفوق نظائرها فى مصر .

وخلال فترة الوحدة لم يصل الى سوريا تجار مصريون ولم تستثمر فيها أموال مصرية خاصة ... وعلى العكس من ذلك حدث تماما فى مصر .. فقد هاجرت رءوس أموال سورية كثيرة لتستثمر فى مصر حيث السوق الاستهلاكى متوافرا ، وفتحت محلات تجارية كثيرة وانشئت شركات ومصانع خاصة .

عندما حاول بعض المصريين الفقراء بيع بعض المنتجات المصرية على الأرصفة فى دمشق ثار التجار هناك وابلغوا المشير عامر الذى قرر ترحيلهم لمصر ، فاعتقلوا ووضعوا فى السجن حتى تم ترحيلهم على طائرات حربية .

قانون ١١٧ للتأميم لم يؤمم فى سوريا سوى ٣ شركات : الخماسية ، وشركة الأخشاب الأسمية ، وشركة الحرير فى حلب ، وكان

الفارق كبير جدا بين عدد الشركات التى أممت فى مصر ، وعـدد الشركات التى أممت فى سـوريا ٠ ومع ذلك كان التيار المضـاد للتأميم قويا فى سوريا ، وكانت مشاكل أخرى كثيرة قد بدأت تظهر فى طريق الوحدة ٠

بوادر ذلك ظهرت خلال رحلة عبد الناصر الى سوريا فى عيد الوحدة الثالث ٢١ فبراير ١٩٦١ ، خطب فى اللاذقية وهاجـم الـذين يعترضون على قرارات كانت قد صدرت بحظر خروج النقـد من سوريا ، وحظـر الاستيراد الا بشروط ٠

كان التيار المضاد لهذه القـرارات قويا وواضحـا ، فمعظم نشاط الحياة السورية يعتمد على التجار ٠٠٠ وحظر خروج النقد يتيح الفرصة للتهريب ، وقال جمال عبد الناصر فى خطبته أنه يستهدف مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات ، وانه لن يتوقف عن تنفيذ ذلك (أما المضاربون والمهربون فـلا دعوة لنا بهم) وكان ذلك بعدا عن الواقـع ، فقـد زادت المقاومة لهذه العملية ٠٠٠ وكانت قصة مدير الجمرك السورى الذى تحداه تاجر لبنانى فى أن يشترى منه ثلاجة فى الصباح ليجدها فى منزله بدمشق بعد الظهر بلا قيد ولا جمرك قصة حقيقية ومتداولة ٠٠٠ كما كان تصرف بعض الضباط يـؤدى الى الاسـاءة الى العسكريين بتهـريب بعض المـواد والأجهزة فى طائرة المشـير الشخصية مسالة معروفة يتندر بها الجميع فى سهراتهم الخاصـة ٠

الحدود بين سوريا ولبنان تجعل تنفيذ هذه القوانين عملية بالغـة الصعوبة وخاصة فى ظـروف تتطاحن فيها أجهزة الأمن ، واعتـاد بعض العسكريين فى قمة القيادة على الحياة الناعمة البعيدة عن القيم ، وخـلال هذه الرحلة التى خطب فيهـا جمال عبد الناصر ١٠ مرات فى ١٢ يوما ، هاجم أنور السادات فى اللاذقيـة الذين أسماهم باسم أعداء الوحدة ، وناشد جمال عبد الناصر بالقضاء عليهم قائلا (اسحقهم ياجمال) ٠

الفصل الثالث

مأساة الانفصال

(اننى لا اسمح لك أن توجه
خطابا الى ، وفيما يتعلق بى فانى
اعتبرك متمردا وخائنا ، ولا يمكن
ان تكون لنا اية علاقة الا مع
الحكومة الشرعية للجمهورية العربية
المتحدة)

احمد سيكوتورى
زعيم غينيا
ردا على خطاب لمامون الكزبرى
يطلب فيه الاعتراف بالوضع فى
سوريا بعد الانفصال

الموقف فى سوريا ينبىء بحدث ما ... التناقضات تزيد فى كل اتجاه بين النظام الحاكم والتنظيمات المعارضة من بعثيين وشيوعيين فتحت لهم المعتقلات ، بين السلطة القائمة والبرجوازية التى زحفت عليها التأميمات ... بين المشير عامر وعبد الحميد السراج والاثنان نواب لرئيس الجمهورية ... بين العسكريين المصريين والعسكريين السوريين .

كانت هناك علامات تشير الى أن خطرا حقيقيا يهدد تجربة الوحدة ، ولكن الاجراءات التى اتخذت لم تكن كافية لازالة التناقضات ٠٠٠ ولم تتوافر القدرة على وضع حلول جذرية للمشاكل ٠

كانت الصورة معروفة عند جمال عبد الناصر ٠

قال لى امين شاكر أنه كان فى زيارة لسوريا بصفته رئيسا لجمعية الأمن القومى ٠٠٠ وهناك سمع من الدكتور نور الدين حاطوم عن تصرفات بعض الضباط فأبلغ ذلك للمشير عامر الموجود فى دمشق ، فهاج عليه وهدده بالضرب ، وأخرجه من مكتبه ٠٠٠ فاستدعاه جمال عبد الناصر وسمع منه ما قاله للمشير ٠٠٠ وكان الصمت هو التعليق الوحيد ٠

حسين عرفة مدير المباحث الجنائية العسكرية قال لى انه التقى بأحد الضباط البعثيين فى القاهرة الذى نبه لاحتمال حدوث انقلاب فى سوريا ٠٠٠ وأسرع حسين عرفة فاتصل لاسلكيا بعلى شفيق فى دمشق ، الذى أخذ الموضوع باستخفاف منكرا قدرة أحد على الحركة ، ومنهيا حديثه بسؤال حسين عرفة عما اذا كان يطلب شيئا من دمشق !

كل شىء كان متوافرا عند على شفيق ٠٠٠ وكان معروفا أن عربات رسمية تنقل كل شىء مطلوب وغير مطلوب من بيروت ٠٠٠ وان الطائرات الحربية غالبا ما كانت تحمل شحنات خاصة من الثلاجات والسخانات وغيرها ٠

وكانت المخابرات العامة توضح الصورة أيضا ٠٠٠ وفى هذه الفترة قدم أمين هويدى أحد نواب مدير المخابرات الثلاثة (طلعت خيرى وشعراوى جمعة وأمين هويدى) استقالته وبقى فى منزله ٦ شهور بلا عمل أو ارتباط بالادارة ٠

ومكتب الاتصال المصرى فى دمشق استشعر الخطر قبل وقوعه ، واتصل بهم ضابط سورى مجهول عن طريق مفتش وحدوى فى وزارة الداخلية السورية وأبلغهم أن هناك خطة مدبرة للانقلاب بتحرك القوات من معسكر قطنة واعتقال المشير كرهينة لفرض ارادتهم وتنفيذ أغراضهم ٠

حمل العقيد محمود الحمزاوى ومعه الرائد أحمد رشدى من المباحث العامة التقرير الى استراحة المشير حوالى منتصف الليل ٠٠٠ وقابلهما أحمد علوى وعلى شفيق وهما ضابطان من قيادة المشير وأظهرا استخفافا بما ورد فى التقرير من معلومات ٠٠٠ وكانت كل رغبتهما كامنة فى معرفة اسم المصدر الذى رفض الحمزاوى أن يفصح عنه ٠

ودخل التقرير الى المشير وعاد وعليه تأشيرة تقول (من هو المصدر) ؟!

المعلومات تتجمع بأن شيئا ما في الأفق .

ولكن القدرة على مقاومة العاصفة كانت محدودة .

التناقضات الثانوية بين الأشخاص طغت على التناقض الرئيسي بين الوحدة وأعدائها .

وكان جمال عبد الناصر قد استشعر الخطر ... وجمع الوزراء السوريين العسكريين في استراحته بالاسكندرية حيث صارحهم قائلا انه لا يستطيع أن يترك الأحوال في الاقليم السوري تمضي على ما هي عليه .

وقال لهم في هذه الجلسة صراحة ان تناقضات دعاة الوحدة وخلافاتهم تسبب له المتاعب أكثر مما يسببه له أعداء الوحدة .

وأعلن أيضا أنه سيعيد تشكيل أجهزة الحكم ليكون له الاشراف الكامل على ما يحدث في سوريا .

ودخل شكل الحكم تجربة جديدة يوم ٦ أغسطس ١٩٦١ ، أصبح هناك ٧ نواب لرئيس الجمهورية ... عبد اللطيف البغدادي للتخطيط وعبد الحكيم عامر للحربية ، ونور الدين كحالة للانتاج ، وزكريا محيي الدين للمؤسسات العامة ، وحسين الشافعي للمؤسسات العامة أيضا . وكمال الدين حسين للادارة المحلية . وعبد الحميد السراج للداخلية . وشكلت وزارة واحدة مقرها القاهرة حيث يستقر الوزراء جميعا .

نواب الرئيس جميعا من العسكريين عدا نور الدين كحالة .

عبد الحكيم عامر استمر نائبا لرئيس الجمهورية مسئولا عن سوريا . وعبد الحميد السراج غادر مكتبه في دمشق لأول مرة منذ الوحدة .

ولم يحقق هذا التغيير أثره المطلوب ... بل بدأت تلاحقه تناقضات جديدة ... فقد كان الوزراء السوريون عموما والعسكريون خصوصا ضد هذا النوع من الحكم المركزي .

كانت التجارب تنفيذ لمجابهة مواقف شخصية ... دون دراسة موضوعية ... وكان ذلك نابعا من الاعتماد على عناصر من العسكريين دون الاهتمام بتكوين جهاز دولة وجهاز سياسي سليم .

.. السحب تتكاثف والجو يبدو شديد العتامة ... واخطاء التجربة تكاد تعصف بهـا ... وأعداء الوحدة يجسمون التناقضات ويبذرون الخلافات .

أثاروا الشكوك حول الضباط المصريين فى سوريا الذين بلغ عددهم حوالى ٥٨٠ ضابطا ... وصوروا ذلك كأنه نوع من الاحتلال ... كما أثاروا الشكوك فى نفس الوقت من وجود عدد من الضبـاط السوريين فى مصر وقد تجاوز عددهم ٢٠٠ ضابط وصوروا الأمر كأنه ابعاد لهم .

والحقيقـة أن الجيش السـورى كان يحتـاج لعـدد من الضبـاط المصريين بعـد التسريحـات التى تمـت فيـه ... وأن بعض الضبـاط السوريين فى مصر كانوا يؤدون دورا هاما فى قيادة القوات المسلحة .

ولكن تصرفات بعض الضباط فى المراكز القيادية هى التى أساءت الى وضع الضبـاط عامـة ، ومنهم من أمضى وقته كله فى الجبهـة أمام اسرائيل ومنهم من أدى دورا بارزا فى التدريب .

لعبة العسكريين لم تتوقف طوال عهد الوحدة ... كل العناصر التى برز خطرها ، أو ظهر انتماؤها لتنظيمات سياسية ، أو اتضحت اتجاهاتها الفكرية سرحت من القوات المسلحة أو ابعدت عنها الى مناصب مدنية ... تماما كما حـدث فى الجيش المصرى خـلال السنوات الأولى لثورة يوليـو حيث تجاوز عدد الخارجين من الجيش ١٠٠٠ ضابط .

ولم يعد خافيا على أحد أن هناك حساسيات تنمو وتزيد بين الضباط السوريين والقيادات التى يسيطر عليها مصريون .

وقد أسرعت التناقضات فى الظهور والتجسيم بعد صدور القرارات الاشتراكية ، وأثارت الرجعية حولها اتهامات بالتسرع .

ووصل الأمر ذروته بعد نقـل الـوزارة الى القاهـرة ، وتصـادم عبد الحميد السراج مع المشير عامر .

كانت أجهزة الأمن التابعة للداخلية قد خلقت خلال سنوات الوحدة جوا من الارهـاب الشديد ... وجـه أساسا الى العناصر الشيوعيـة ثم البعثية ... وأخـيرا بدأت تحرك عنـاصر من التجـار ضـد القـرارات الاشتراكية ، كما روى لى أكرم ديرى وزير الاقتصاد والخزانة فى آخر وزارات الوحدة ... وينطبق هذا على موقف السراج من قوانـين التأميم قبل صدورها .

وكان انتقال عبد الحميد السراج من دمشق الى القاهرة ضربة شديدة موجهة الى نفوذه وسلطته ... وتحركت بعض العناصر البوليسية السورية ، تقاوم هذا النقل عن طريق اثارة التجار وبعض العناصر السياسية .

وطلب جمال عبد الناصر من عبد الحميد السراج أن ينقل معه هذه العناصر الى القاهرة ، ولكنهم تلكئوا في تنفيذ القرار .

وأدرك جمال عبد الناصر أن قنبلة الخطر التى تهدد الوحدة هى الثورة ضد الارهاب ... فطلب من المشير عامر أن يحسم هذه المشكلة ، وخاصة أنه قد بدأت في مصر بعض الافراجات عن عدد من الشيوعيين والاخوان المسلمين .

وأصدر المشير عامر قرارا فى ١٨ سبتمبر ١٩٦١ نص على (توقيف اعتقال أى شخص الا بمذكرة من النيابة العامة . أى أنه لا يجوز لأى سلطة من سلطات الأمن توقيف أى مواطن الا اذا كان هذا التوقيف عن طريق السلطة القضائية ، أى النيابة العامة) .

وفى نفس الوقت أصدر المشير عامر قرارا بتعيين وزير جديد للأمن العام بدلا من العقيد مروان السباعى الذى كان السراج قد عينه ومنحه سلطات كبيرة تصل الى حد الاعتقال لدواعى الأمن .

ولم يجد عبد الحميد السراج أمامه من سبيل الا الاستقالة التى قبلت يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦١ بعد محاولات متكررة من جمال عبد الناصر لاقناعه بالتراجع عنها وعين بدلا منه فى الداخلية عباس رضوان .

كان عبد الحميد السراج يريد أن ينفرد وحده بالاشراف على الأمن فى سوريا ، لا يشترك فى ذلك أحد معه من مصر ... سبق له أن طلب ابعاد العميد محمد سيف اليزل خليفة الذى كان يعمل مديرا لمكتب الاتصال المصرى فى دمشق ومعه خمسة ضباط شرطة مصريين ... ولكن جمال عبد الناصر رفض ذلك هو وزكريا محيى الدين حتى لا تكون هذه سابقة له يفرض من خلالها رأيه .

واستخدم السراج أسلوبا جديدا هو مراقبة تحركات واتصالات سيف اليزل حتى حدثت بينهما مشادة انتهت بسفر سيف اليزل للقاهرة وطلبه عدم العودة الى سوريا ... وافق زكريا على ذلك وأرسل بدلا منه العقيد الحمزاوى فى يوليو ١٩٥٩ .

ورغم أن العلاقات بين السراج والحمزاوى لم تكن طيبة ، وأن السراج قد صارحه بأنه لا يرغب فى تعدد أجهزة الأمن ولا فى وجود

مصريين بشرطة سوريا ولو على هيئة مكتب اتصال ··· الا أن مكتب الاتصال المصرى نفسه أعد تقريرا عاجلا خلاصته أن السراج هو الوحيد القادر على السير بسوريا وأنه يجب عودته وعدم قبول استقالته ضمانا لعدم حدوث انقلاب ·

وكانت أجهزة الاتحاد القومى تابعة تماما لسيطرة السراج ، وقد استخدمها لاحراج المشير عامر قبل سفره للقاهرة باعداد مظاهرة من العربات يركبها المسئولون فى الاتحاد القومى ومعهم وكيل الداخلية اللواء محمد الخجاج لتقديم طلبات للمشير عامر ·

التناطح بين المشير والسراج كان قد وصل نقطة اللاعودة ··· والخلافات بينهما عبرت عن وجود موقفين متعارضين يصعب الجمع بينهما ·

أصبح الموقف مهيأ تماما لحركة مضادة للوحدة متخفية تحت شعار ضرب النفوذ المصرى فى سوريا ··· فى وقت كانت الأخطاء فيه قد فرضت على المسئولين أن يتخذوا خطوات العلاج ·

ماساة الانفصال :

واعتبر عبد الكريم النحلاوى عودة السراج من القاهرة بعد استقالته تمثل ذلة سوريا أمام مصر ، وأن الوحدة لم تعد شركة تضامنية وانما أصبحت تحكما ··· وذلك حسب رواية لأكرم ديرى بعد الانفصال بستة أشهر ··· هذا بينما يؤكد مصطفى حمدون أن هناك علاقة وثيقة كانت تربط بين عبد الحميد السراج وكل من عبد الكريم النحلاوى ومأمون الكزبرى ·

وبدأ الانقلاب بفكرة ملحة على بعض الضباط السوريين ·· وتحول الى حدث متوقع عند الجماهير ·

وتجمع بعض الضباط ··· عبد الكريم النحلاوى مدير مكتب المشير عامر وموضع ثقته ··· حيدر الكزبرى الشاويش السابق فى الجيش الفرنسى والذى ترقى ضابطا من غير طريق الكلية الحربية وعبد الغنى الدهمان وموفق عصاصة من القوات الجوية ·

ووصلت أنباء الى المشير عامر من احتمال حدوث انقلاب ··· ولكنه لم يصارح بذلك الوزراء السوريين وانما حصر مناقشة الأمر فى دائرة محدودة من ضباط القيادة ··· وطلب من أكرم ديرى الذى كان موجودا فى دمشق لحضور مؤتمر النقد الدولى بعد مناقشة صريحة عن اضطراب

الموقف في سوريا ... طلب منه الاتصـال بنقابـات العمال بعد أن كان التوتر قد وصل الى صفوفها على اعتبـار أن استقالة السراج كانت تعبيرا عن خلاف عميق بين مصر وسوريا .

أمضى أكرم ديرى مع قيـادات العمال أربع ساعـات حتى الثانية بعد منتصف الليل يوضـح لهم أن الخـلاف محصور بين السراج وعامر ، وأن الأخير قد بدأ يتخذ خطوات لحماية أمن المواطن ومحاولـة اصـلاح الأخطاء السـابقة .

كان عامر يحاول كسب الرأى العام ... ولكن الوقت كان متأخرا .. والمدبرون للانقلاب انتهزوا فرصة الخلاف ، وقرروا توجيه ضربتهم .

قوات الباديـة التى يقودهـا حيدر الكزبرى توجهت ليلـة ٢٧/٢٨ سبتمبر ١٩٦١ الى القيادة تسأل عن المشير عامر ، وقال لهم الحارس أنه فى بيته فاتجهوا الى هناك وانطلقت القـذائف تدمر المنزل وتوقظ دمشق وتقتل الحراس .

ولكن المشير وقتها كان فى القيادة العامة فى قاعة الأركان مع بعض الضباط السوريين ... وحول القيادة القوات المتمردة .

كان موجـودا مع المشير جاسم علوان بينما كانت قواته قد تحركت من قطنه بعد مغادرته لها فى الثانية بعد منتصف الليل ، وهذا دليـل على أن خطة الانقلاب كانت مدبرة من وقت وفى خفيـة عن القيادات المتمسكة بالوحـدة .

طلب عامر من أكرم ديرى الذى كان قد حضر للقيادة بعد اجتماعاته مع العمال أن يقابلـوا الضباط المتمردين ... وذهب أكرم ديرى وجاسم علوان وأحمد زكى عبد الحميد فوجدوا عبد الكريم النحلاوى عند ناصيـة الشارع المقابل لمبنى الأركان .

ودارت مناقشة عنيفة كان محورها هو رأى أكرم ديرى فى أنه ليس من حق هؤلاء الضباط فصم الوحدة بالدبابـات ... ورد المتمردون بأنهم ضد ضغط وتسلط الضباط المصريين .

واستمرت المناقشة نصف ساعة فى الشارع ، والمشير عامر ينتظر فى مكتبه لا يتوقف عن التدخين ولا عن الحركة كالأسد الحبيس .

وتم الاتفاق مع النحلاوى وموفق عصاصة وزهير عقـل على الصعود لمقابلة عامر وتقديم مطالبهم على أساس حـل المشاكل العسكريـة ضمـن

الجمهورية العربية ... كانوا فى خوف من الاعتقال أو القتل اذا مادخلوا القيــادة .

وفى نهاية المناقشة وصــل حيــدر الكزبرى الذى ثار على الاتفــاق وحدثت مشادة اتهمه فيها أكرم ديرى بالخيانة ، فأطلق دفعة من مدفعــه الرشاش جرحت شظاياها رجل أكرم .

ودارت اتصالات تشبه المفاوضـــات بين المشير وضــباط الانقلاب تعالت خلالها اذاعــة البيانــات من الاذاعة السوريــة ... وحــاول أنور القاضى وأكرم ديرى اعطاء تعليمات بتحريك وحــدات من حمص التى كان يقودها العميــد مطاع صفدى ... ولكن عبد الكريم النحــلاوى صارحهم أنه لن يتحرك أحــد .

البيانات تتوالى من الاذاعة الســورية ... والخبر يصل الى جمال عبد الناصر فيهرع بنفسه الى مبنى الاذاعة المصرية لأول مرة منــذ الثورة ويلقى فى التاسعة صباحا بيانا يدين فيه الانفصال ... ويعــد فى نفس الوقت خطة لارسال قوات نجدة الى سوريا .

ودخلت المفاوضات الى نقطــة لقاء تتشبث بالوحدة ، وصــدر البيان رقم ٩ يقول ((ان القيادة الثورية العربية دفعها الشعور بالخوف على وحدة الصف العربى وحماسها للقومية العربية وتاييدها لها ودفاعها عن مقوماتها لتعلن أنها لا تنوى المساس بما أحرزته القومية العربية من انتصارات ولتعلن أنها لمست عناصر مخربة انتهازية تريد الاساءة لقوميتنا فقامت بحــركتها تلبية لرغبة الشعب ، وانها عرضت قضايا الجيش وأهدافــه على سيادة المشير نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة الذى تفهــم الأمور على حقيقتها ، واتخذ الاجراءات المناسبة لحلها لمصلحــة الوحدة ، وقوة القــوات المسلحــة والجمهورية العربية المتحدة ، وقد عادت الأمــور العسكرية الى مجراها الطبيعى استنادا على ثقتها بحكمة القائد العام للقوات المسلحة وقائــد الجيش الأول اللذين يحققــان أهداف القــوات المسلحــة والجمهورية العربية المتحدة .

كان مطلوبا أن يذاع البيان ليعلن انتهاء الأزمة ، ولكن عبد الحــكيم عامر رفض إذاعته بعد اتصاله بجمال عبد الناصر فى القاهرة .

الاتصال بينهما لم ينقطع لحظة .

والسبب فى رفض اذاعة البيــان ولو كســبا للوقت ومحاولة لرأب الصدع عبر عنه عبد الناصر فى خطابه الذى أذاعه فى السابعة مساء نفس

اليوم وهو أن المشير عامر كان تحت الحراسة ، وأن الانفصاليين كانوا يسيطرون على القيادة ٠

ولا يمكن الآن تحديد النتائج التى كان يمكن أن تنجم عن اذاعة هذا البيان ٠

وهكذا لم تعد هناك نقطة لقاء ٠٠٠ وتم الانفصال فعلا ٠

الجماهير فى الخارج مبلبلة ٠٠٠ مظاهرات تهتف للوحدة ٠٠٠ ومظاهرات تهتف لعبد الحميد السراج وتحمل صورته ٠ وغالبا ما كانت من تدبير بقايا أجهزته بينما هو فى منزله بعيد ٠٠٠ ولعل ذلك كان سببا فى سرعة اعتقاله بسجن المزة ٠

رفض المشير لحل المشكلة كما اذيع فى البيان رقم ٩ كان نتيجة لتوجيه جمال عبد الناصر الذى اعتبر أن ما حدث كان تحطيما لفكرة الوحدة وانقلابا يصعب معالجته الا بالقوة ، وخاصة بعد أن كان المشير عامر قد أصدر خلال المفاوضات قرارا بحل لجنة الضباط التى إثارت تصرفاتها اعتراضات المتمردين ، وشكل لجنة جديدة ، كما قرر اعادة الضباط المصريين العاملين فى الأركان ، وأعادهم فعلا للقاهرة بالطائرات تحت الحراسة ٠

المشير عامر اصبح محاصرا وحده تقريبا ، رغم وجود وحدات كثيرة من الجيش المصرى وكثير أيضا من الضباط المصريين ٠٠٠ ولكن الصلة كانت مقطوعة ولا حركة فى الجيش دون أمر أو تعليمات ٠ كما أن وحدات الانقلاب كانت قد تنبهت لذلك فحاصرت بعض الوحدات التى يسيطر عليها المصريون ٠

الظاهرة المؤكدة أن أحدا من الضباط أو جنود البعث لم يسهم فى الحركة الانفصالية ٠٠٠ لم يكن لهم تنظيم قائم ٠٠٠

الموقف لم يعد يحتمل بقاء المشير وقادة الانقلاب الجديد فى مكان واحد ٠٠٠ وفى الثالثة مساء طلب منهم عبد الكريم النحلاوى أن يغادروا مبنى الأركان ٠

وخرج الوزراء السوريون العسكريون الذين تواجدوا هناك (أكرم ديرى وطعمة العودة الله وأحمد جنيدى) وذهبوا الى مطار دمشق مباشرة حيث وصلوا القاهرة فى الخامسة والنصف مساء ٠٠٠ ووصل عبد الحكيم عامر ومعه على شفيق فى السابعة والنصف حيث كان جمال عبد الناصر فى انتظارهم بالمطار ٠

المأساة تبعث على الأسى ٠٠٠ والكلمات التى قالها خروشوف لصلاح سالم فى موسكو يوم ٩ نوفمبر ١٩٥٩ من أن عبد الحكيم عامر يجلس فى سوريا على خازوق قد تحققت ٠٠٠ وهو يعود اليوم مطرودا بعد أن كان فى قمة السلطة ٠

وقد نشر محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) رسالة كان خروشوف قد بعث بها الى جمال عبد الناصر مع السفير كسليف فى أبريل ١٩٥٩ ٠ جاء فيها :

« تذكرون انكم فى احدى محادثاتنا أثناء زيارتكم الأخيرة لموسكو أعربتم عن الاستياء من حكومات الأقطار العربية المجاورة وسألتنى عما يجب عمله لتغيير الوضع الداخلى فى تلك الأقطار التى تقف موقف العداء من الجمهورية العربية المتحدة وعن المعونة التى يمكن للاتحاد السوفيتى أن يقدمها اليكم فى هذا الصدد ٠

وكما تذكرون فقد أجبتكم بأنه يجب اظهار التسامح والامتناع عن التدخل فى شئون البلاد الأخرى ، انما يجب التأثير فى تلك الاقطار عن طريق القدوة الصالحة والمثل الطيب من جانب الجمهورية العربية المتحدة ، وذلك برفع مستوى اقتصاد شعب جمهوريتكم ومستوى ثقافته ورفاهيته وانشاء نظام من شأنه تمكين كل القوى الوطنية ضمن الجمهورية من اظهار مبادأتها ، وأشرت عليكم أن تسعوا الى أن تقيموا فى الجمهورية العربية المتحدة ذلك النوع من الكيان الاقتصادى والنظام الحكومى اللذين من شأنهما أن يستهويا الأقطار العربية الأخرى من أجل الفوز بالحظوة لدى الشعوب بهذا المدى الايجابى ٠

وقد ابتسمتم بعدئذ وقلتم اننى غير واقعى فى استقرائى للوضع فى الأقطار العربية واضفتم أن الأمر يتطلب تدابير أكثر حزما ٠

وأجبتكم حينئذ قائلا « ان التدخل فى شئون الدول العربية هو شىء خطر جدا وأنه ليس من شأنه أن يؤدى الى الوحدة ، وانما من شأنه على العكس أن يؤدى الى تفكك جهود الأقطار العربية » ٠

فشلت الجمهورية العربية المتحدة فعلا فى أن تكون نموذجا يجذب اليه الأقطار العربية الأخرى وتلاشت قوة ثورة يوليو على أن تكون مغنطيسا جذابا ٠

فى زيارة لسوريا التقيت مع شكرى القوتلى (المواطن الأول) فقال كلمات تحمل نفس المعنى بأن الجمهورية يجب أن تكون واجهة تغرى الناس بالدخول ٠

هاجمت قوات البادية بقيادة حيدر الكزبرى منزل عبد الحميد السراج فى الخامسة من مساء يوم ٢٨ سبتمبر بعد أن كانت بعض المظاهرات قد طافت به تهتف باسمه ··· وبعد أن كان الحرس المعين على منزله قد أخذ يرقص ويصفق ··· ولكن السراج عاد الى منزله بعد ساعتين عقب مقابلته لقادة الانقلاب ·

وفى حديث له بعد ذلك فى سجن المزة مع العميد ماجد مميش قائد كلية الضباط الاحتياط فى حلب أجاب عن سبب اعتقاله بأنه فى دهشة من ذلك لانه أيد الانقلاب وأبلغ الانفصاليين بأنه كان سيقوم بهذه الحركة اذا لم يكونوا هم قد بادروا بها ·

كان انعكاس الموقف فى دمشق على المناطق السورية متباينا ··· قوات حمص وقفت مع الانفصال ، وقوات قطنة كذلك ··· أما حلب فقد رفضت بعض الوحدات فيها موقف الانفصاليين وأعلنت اذاعة حلب موقفها فى ضرورة التمسك بقيام الجمهورية العربية المتحدة ، ولعب العميد ماجد مميش قائد كلية ضباط الاحتياط دورا بارزا فى تجميع الضباط واعلان الرفض فى صورة بيانات أيدتها قوات اللاذقية ودير الزور ·

عاد المشير الى القاهرة على استحياء ·

وخطة الانقاذ مازالت تحت التنفيذ ·

محاولة لم تتم :

القوات المصرية والسورية المشتركة التى وضعت الخطة لارسالها الى اللاذقية للهبوط جوا تأخرت فى الذهاب لبطء اجراءات القوات الجوية ··· ويقول عبد اللطيف البغدادى انهم لعتبروا الفريق محمد صدقى محمود مسئولا عن هذا التأخير ·

اختلفت أفكار أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين فى خطة ارسال القوات الى سوريا ·· ولكنها بعد أن تحركت جوا وبحرا وتحرك فيها كمال الدين حسين وعبد المحسن أبو النور ، صدرت اليها التعليمات بالعودة ، من جمال عبد الناصر ، بعد ان تبين ان حربا أهلية لا يمكن أن تفرض الوحدة بالقوة ، وأن مشاعر الكبت والضغط التى تعرضت لها بعض الفئات قد انفجرت مؤثرة فى الجماهير ·

جمال عبد الناصر يذيع بيانا ثانيا فى السابعة من نفس اليوم يفسر فيه رفضه لما ورد فى البيان رقم ٩ ، موضحا أن المشير عامر وقائد الجيش الأول اللواء جمال فيصل كانا تحت الحراسة المسلحة ··· وأنه رفض اذاعة بيان بأن الأمور قد انتهت لانه لا يقبل المساومة ولا الحلول الوسط ·

كان جمال عبد الناصر صريحا ... أعلن رفضه لهذا المنطق وقال ان النضال عندما تدخل اليه المساومات يفقد كل قداسته .

المشير يصل الى القاهرة بعد اذاعة البيان الثانى بنصف ساعة ... والأوامر تصدر بعودة القوات بعد أن كانت بعض قوات المظلات قد هبطت فى اللاذقية (قوات خمس طائرات) .

هبطت القوات بعد أن كانت قوات الانفصال قد عملت انقلابا ضد كاظم زيتونة قائد البحرية واعتقلته فى مغرب يوم ٢٨ سبتمبر .

وكان الموقف فى حلب مازال متارجحا ... بعض قوات حلب بقيادة العقيد جورج مخصل استولت على دار الاذاعة فى التاسعة مساء وأعلنت تأييد الانفصال ... ولكن قوات أخرى هجمت على الاذاعة فى الثانية بعد منتصف الليل وعادت تؤيد الوحدة من جديد .

معارك مسلحة حدثت بين القوات السورية فى حلب وسقط حسب رواية العميد ماجد مميش حوالى ١٢٠ قتيلا ، ٧٠٠ جريح ... وفى حماة أيضا التى قاومت الانفصال حتى هبوط الليل سقط حوالى ٤٠ قتيلا .

قائد قوات الصاعقة المصرى جلال هريدى سلم نفسه لقوات حمص وتحول الى داعية لها .

واللواء عبد الكريم زهر الدين يتصل تليفونيا أكثر من مرة مع العميد ماجد مميش ويطلب منه وقف المذبحة التى قد تقود الى حرب أهلية ... ويسلم ماجد القيادة ويغادر حلب التى حاصرتها قوات حمص المدرعة ، ليصل الى قيادة الأركان فى دمشق حيث خرج منها الى سجن المزة وذلك تنفيذا لوعد اللواء زهر الدين له بضمان سلامته .

ودخل سجن المزة ١٢٠ ضابطا سوريا من قوات حلب .

وجمال عبد الناصر يلتقى مع الشعب للمرة الثالثة فى يومين متتاليين . عقد مؤتمرا شعبيا بميدان الجمهورية فى اليوم التالى للانفصال ٢٩ سبتمبر ... وفسر فى هذا المؤتمر قرار ارسالة للقوات المصرية السورية المشتركة .. ثم قراره الثانى بعد نزول بعضها (١٢٠ جنديا) فى اللاذقية بعدم الاشتباك وتسليم نفسها لقائد البحرية فى الميناء .

عادت الطائرات التى اتجهت الى سوريا للتدخل وانتهت مقاومة الوحدات ... وحصلت قوات الانفصال على تأييد اذاعة حلب بعد هجوم عسكرى عليها .

لكن الوحدة لم تتحول فورا الى جثة هامدة ... عندما تكشفت الأمور خرجت بعض المظاهرات فى حلب ودير الزور واللاذقية وغيرها ... ولكن الموقف كان قد تجدد ... السلطة العسكرية الجديدة ضد الوحدة ... اذاعات سوريا تدين الفترة بأنها كانت فترة طغيان وارهاب ... وفتحت المعتقلات للعناصر الوحدوية النشطة .

مأمون الكزبرى يعين رئيسا لوزراء سوريا ... وهو الذى تولى منصب رئاسة الجمهورية لمدة ٢٤ ساعة بعد انقلاب الشيشكلى ... وهو الذى كان صديقا لعبد الحميد السراج وأمينا للاتحاد القومى فى دمشق .

بدأت عودة الضباط المصريين من سوريا فى طائرات حربية يوم أول أكتوبر ... البعض منهم كان فى ملابس الميدان على جبهة القتال ... حوالى ٧٠٠ ضابط مصرى أساء اليهم بعض عناصر الفساد فى قمة القيادة ... وأساء اليهم أيضا ضباط الانفصال المتمردون .

انتهت تجربة الوحدة العربية الأولى فى القرن العشرين .. وتمزقت الجمهورية العربية المتحدة .

تم ذلك بانقلاب عسكرى ... كانت طبيعة الحكم والنظام تهيىء له الظروف المناسبة .

أول محاولة انقلابية ضد الوحدة نجحت ... لم تكن هناك محاولات جادة سابقة ولم يحاكم ضابط بهذه التهمة .

لم يكن الأمر كما حدث مع ثورة يوليو التى استطاعت أن تقضى على عدد من الانقلابات فى المهد قبل أن تتحرك القوات ويصدر البيان الأول .

الحذر الذى عاشت عليه القيادة العسكرية لثورة يوليو خوفا من انقلابات سوريا ، وجعلها تقضى على محاولات الانقلاب فى الجيش المصرى بوسائل مختلفة ، وتفصل من الجيش كل الضباط الذين يمكن أن يشكلوا خطرا على النظام ... هذا الحذر لم ينفع عندما تمت الوحدة مع سوريا نفسها .

والشرط الذى اشترطه جمال عبد الناصر بابعاد الجيش السورى عن السياسة ... والخطوات التى اتخذها المشير عامر فى سبيل ذلك لم تنفع فى القضاء على ثورة الانقلابات العسكرية فى سوريا .

الأعوام التى سبقت الانفصال فى مصر وما صحبها من انجازات وانتصارات وطنية وقومية واجتماعية أضعفت فرص تفريخ الانقلابات العسكرية ... ولكن أعوام الوحدة فى سوريا لم تضعف هذه الفرص رغم

اخراج الضباط الشيوعيين والبعثيين والمهتمين بالسياسة ... لانها تركت الجيش فى فراغ كبير ... معظم الضباط أو أغلبيتهم الساحقة من غير المهتمين بالعمل السياسى الذين اختاروا السلبية وغلبوا الاهتمامات الذاتية واستتر الخوف فى نفوسهم من اعلان الرأى أو القيام بأية حركة ايجابية ... وهذا الموقف له وجه آخر ، هو اعطاء الفرصة لأية أقلية تستطيع التجمع سرا من فرض ارادتها على أغلبية القطيع بطريقة مفاجئة ... كما حدث تماما فى انقلاب الانفصال الذى ركب موجة السخط على الاتجاهات الارهابية .

عدد الضباط الذين أسهموا فى الانقلاب كان ٣٧ ضابطا فقط ... وهي قلة ضئيلة جدا ما كان يمكن لها أن تنجح لو كان فى الجيش ضباط ثوريون من ذوى المبادىء الوحدوية أو المعادين أصلا لأسلوب الانقلابات العسكرية .

القضاء على ثورة الانقلابات العسكرية ثبت أنه لا يكون بوجود حكم عسكرى ... وانما بتثبيت دعائم نظام يعتمد على تنظيم سياسى له ايديولوجية واضحة وتتوافر له كادرات قيادية صالحة .

فكرة تسييس الجيش أو ربطه بالتنظيم السياسى لم تظهر فى مصر الا عام ١٩٦٢ مع صدور الميثاق ، وتكوين الاتحاد الاشتراكى ... ومع ذلك ظلت كلمات مدونة وغير مطبقة .

وثورة يوليو ظلت رغم الوحدة بعيدة عن اعتناق فكرة التنظيم السياسى ... اقتصرت فى حركتها الوحدوية على الاتحاد القومى وهو كما قلنا تنظيم هش من ورق .

قال جمال عبد الناصر بعد ذلك فى محادثات الوحدة — الاجتماع الأول — ناقشا فكرة حل الأحزاب « فى الحقيقة سنة ١٩٥٨ العملية سارت بسرعة شديدة ، تبين مثلا ، احنا بعد كده بنقول إن عملية حل كل الأحزاب فى سنة ١٩٥٨ ما كانش صح ... كان لازم اتبعنا أسلوب آخر ، وهو حل الأحزاب التى لاتتفق فى الهدف ثم تجميع الأحزاب الأخرى التى تجمعها وحدة الهدف ... الأحزاب القومية تكون هى الطلائع الثورية فى جبهة قومية ثم تسير على هدف واحد » .

الفراغ السياسى فى المجتمع أو فى الجيش ، على قدر ما يعطى القيادة فرصة الحكم والسيطرة ، فانه يحمل بذور الخطر من وجود قلة تستطيع أن تثب الى السلطة عن طريق الانقلاب أو المؤامرة ... بعيدة عن ارادة الشعب .

كان الانفصـــال أكبر ضربة ســـياسية وجهت ضـد قيادة جمال عبد الناصر ... وكان تعبيرا عن أن قواعـد النظـام لم تستقر على أسس ثابتة ... وتأكيدا بأن الرجعيين الذين عارضوا قرارات يوليو قد نفضوا الاستكانة الى الاستقرار والنمو الذى أتاحه النظـام للبرجوازية ، فقرروا أن ينقضوا عليـه .

وثبت بعد ذلك أن حيـدر الكزبرى كان على صلة وثيقـة بالنظـام الأردنى والملك حسين الذى أمده بالمال والتأييد ... وعندما انكشف ذلك قرر الذين خرجوا معه ليلة الانقلاب أن يعتقلوه ... وتم ذلك عن طريق خدعة قام بها عبد الكريم النحلاوى اذ قال له أن عبد الحميد السراج يهدد بالانتحار فى سجن المزة وأن أحدا لا يستطيع أن يقنعه بغـير ذلك سواه ، لما يتهددهم لو حدث هذا من خطر ... ركب الكزبرى عربته ودخل سجن المزة ليقنع السراج ولكنه لم يخرج منه أبدا .

كان الانفصال صدمة للدول العربية عـدا الأردن والسعودية ... وكان صدمة أيضا للدول المتحررة .

عندما أرسـل مأمـون الكزبرى برقيـة الى غينيـا يطلب الاعتراف بالنظام الجديد أرسل اليه سيكوتورى برقية تاريخية قال فيها :

(اننى لا أسمح لك أن توجـه خطابا الى ، وفيمـا يتعلـق بى فانى أعتبرك متمردا وخائنـا ولا يمكن أن تكون لنـا أية علاقة الا مع الحكومة الشرعية للجمهورية العربية المتحدة) .

كان هذا موقف سيكوتورى ... ولكن بعض زعماء البعث لم يتخذوا هذا الموقف بل وقعوا على بيـان الانفصال ... أكرم الحورانى وصـلاح البيطار ... وكان هذا خطأ سياسيا جسيما أنهى دورهمـا الحزبى ... وان أحـدا من العسـكريين فى الحزب لم يشترك فى عمليـة الانفصال ، وجماهير الحزب كانت تعتنق الفكرة القومية والوحدوية .

أنهى جمال عبد الناصر خطبـه الخمس فى أسبوع الانفصال ببيان اذيع يوم ٥ أكتوبر ١٩٦١ وقد ناقش البيان قبل اذاعته الوزراء السوريون الذين اقترح بعضهم رفـع عبـارات منه تشككا فيما قدمـه القيسونى من معلومـات ... ولكن جمال أصر على قراءته وأعلـن فيه بقـاء الجمهورية العربية المتحدة (رافعة أعلامها مرددة نشيدها مندفعة بكل قواها الى بناء نفسها لتكون سندا لكل كفاح عربى ولكل حق عربى ولكل أمل عربى) ... وطلب الى الجامعة العربية تشكيل لجنة تحقيق للتأكد من :

أولا : أن مصر قدمت لسوريا فور الوحدة مبلغ ١٣٫٥ مليون ليرة سورية لمواجهة عجز الميزانية السورية وانها كانت تقدم ٣ ملايين جنيه سنويا ... كما قدمت تحويلات نقدية قيمتها ٩ ملايين جنيه استرليني .

ثانيا : أن عدد المعتقلين لم يتجاوز ٩٥ شخصا وأنه حجب عن المحاكمة عدد من قضايا التآمر .

ثالثا : التحقق من أن قوات المظلات التي هبطت في اللاذقية مساء يوم الخميس ٢٨ سبتمبر لم يكن معها ملايين الليرات المزيفة وانما بضعة آلاف فقط من الليرات الصحيحة .

رابعا : أن المصريين الذين ذهبوا الى سوريا لم يستهدفوا الاستغلال وانما ليمنهموا في عجلة التطوير وكانت مصر هي التي تتحمل مرتباتهم .

واتخذ جمال عبد الناصر موقفا سياسيا سليما فوق كل عواطفه وجروحه الشخصية ... اذ نادى بأهمية الوحدة الوطنية في سوريا وأعلن أنه لن يقف مطلقا في وجه قبول سوريا في هيئة الأمم المتحدة .

وذكر جمال عبد الناصر في بيانه أيضا أن مجموع الانفاق الفعلي بوساطة الدولة في سوريا من يوم اتمام الوحدة الى نهاية السنة المالية الحالية بلغ ٢٨٦٢ مليون ليرة .

كانت سيول الاتهامات قد بدأت تتدفق من اذاعة دمشق وصحافة سوريا ضد تجربة الوحدة .

كانت صدمة الوحدة مفاجئة رغم أن المعلومات كانت متوافرة عن احتمالات الخطر .... ولما كان الانفصال قد انطلق من معقل رحب في سوريا فان وزارة الداخلية في مصر بادرت باعتقال ٤٥ من السياسيين القدامى مثل فؤاد سراج الدين وابراهيم فرج وسليمان غنام ولم يفرج عنهم الا في فبراير ١٩٦٢ .

واصبح موقف الوزراء السوريين بعد الانفصال وبعد بيان ٥ أكتوبر حرجا وليس له تبرير ... جمال عبد الناصر قال لهم (أنا مسئول عنكم وعن مستقبلكم السياسي وهذا قرار اتخذته وأنا مسئول عنه) وذلك كما روى لي أكرام ديري الذي رفض البقاء وزيرا حتى لا يسيء موقفه في سوريا .

وقدم الوزراء السوريون جميعا استقالتهم من الوزارة يوم ١٠ أكتوبر وشكلت وزارة مصرية جديدة وتولى زكريا محيى الدين وزارة الداخلية من جديد بعد عبد الحميد السراج وعباس رضوان .

الاتهامات المتبادلة بين صوت العرب واذاعة دمشق تزداد حدة ...

والمدهش أن أقرب الضباط الى قلب المشير والذى عينه قائدا لفرقة الصاعقة وهو الرائد جلال هريدى كان أول المتهجمين على مصر فى الاذاعة السورية ... سجلوا له أحاديث فى جلسات خاصة فيها اساءة الى جمال عبد الناصر شخصيا .

وكانت الاذاعة المصرية تتهم ضباط الانقلاب بأنهم يسيئون معاملة الضباط المصريين ويعذبونهم .. والواقعة غير صحيحة فلم يكن هناك ضرب ولا تعذيب ، وانما كانت ظروف اعتقال قاسية من ناحية الأكل والنوم والغسيل .

الوحيد الذى جرح كان طيارا مصريا حاول أن يهرع الى طائرته ويحلق بها فوق الأركان ليضربها من الجو ولكن طلقات بعض الجنود أوقفت العملية وأذاعت له الاذاعة حديثا يشيد فيه بالمعاملة الطيبة فى المستشفى وبجواره زوجته .

صورة ما بعد الانفصال :

أحدث الانفصال صدمة شديدة للجماهير فى مصر ، واذا كانت السلطة قد بادرت باعتقال بعض السياسيين السابقين ، فان الحركة المضادة كانت أيضا فى صفوف العسكريين .

التقى العسكريون السابقون ، وحيد الدين جودة رمضان سفير مصر فى المجر وأول من أعد وكون منظمات الشباب فى بداية الثورة ، وأصدر مجلة الثورة التى شارك بالكتابة فيها الدكتور محمد مندور ، وأحمد لطفى وأكد مدير مكتب جمال عبد الناصر فى السنوات الأولى ، ورئيس تحرير جريدة الشعب لحين ضمها لجريدة الجمهورية ، وداود عويس أحد الضباط العاملين فى مكتب المشير عامر والذى اتصل به ميشيل عفلق عندما فكر فى أن تكون استقالة الحورانى والبيطار ذات طابع قومى باقناع بعض الوزراء المصريين (توفيق عبد الفتاح وعباس رضوان) بالاستقالة .

فكر الثلاثة فور الانفصال فى اعداد بيان نقد للنظام يوقع عليه بعض الشخصيات ... وقام بكتابة البيان لطفى وأكد مهاجما سطوة المخابرات والارهاب واعتقال اليسار وأخلاقيات النظام .. وتولى داود عويس كتابة عدة نسخ منه على ماكينة كتابة بنادى هليوليدو وقام بتوزيعها سرا على مكاتب أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين .

يؤكد لطفى أنه لم يكن لهذه الحركة أى ارتباط بالبعث ··· ولم يكن لها من هدف سوى التحذير ·· ولكنهم عندما ضبطوا انتحر أحد الضباط المشتركين معهم وهو من جهاز المخابرات (عبد الحفيظ الشناوى) وقدم الثلاثة الآخرون للمحاكمة بعد كشف داود عويس والقبض عليه ـ هو وزملائه ـ يوم أول نوفمبر ١٩٦١ ··· بتهمة التآمر ضد نظام الحكم ·

اصدرت المحكمة العسكرية برئاسة اللواء فؤاد الدجوى حكمها بالسجن ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة على كل من لطفى وأكد وداود عويس ووحيد الدين جودة رمضان بعد محاكمة بلا محام أو دفاع ·

كانت هذه أول محاولة مضادة فى صفوف العسكريين منذ عزل محمد نجيب ومحاولة عاطف نصار الملحق العسكرى بالهند عام ١٩٥٧ ·

وقد أدى الانفصال الى اتخاذ عدة اجراءات منها تكوين مجلس الرئاسة وتشكيل مجلس وزراء يرأسه على صبرى ··· وقد يبرر عبد الناصر ذلك لزكريا محيى الدين بقوله أنه عندما يعطى المسئولية لاحد زملائه السابقين فى مجلس الثورة فانه يسىء التصرف ولذا فهو يريد أن يركز السلطة التنفيذية فى يده عن طريق على صبرى ·

وحدثت بعد ذلك فى مجلس الرئاسة محاولة تقليص نفوذ عبد الحكيم عامر عن طريق اصدار قانون يجعل المجلس هو المسئول عن التعيينات الكبيرة فى القوات المسلحة ، واستقالة عبد الحكيم عامر ثم ذهابه الى مرسى مطروح وأخيرا رجوعه عن الاستقالة ورجوع المجلس عن محاولة اصدار القرار ، بعد وصول برقيات من بعض القادة تأييدا للمشير مع المطالبة برفض استقالته وبقائه ·

كان جمال عبد الناصر مازال على علاقة صداقة وطيدة مع عبد الحكيم عامر رغم هذه التناقضات ، فقد كان مازال معتمدا عليه فى قيادة القوات المسلحة ·

ويقى عبد الحكيم عامر بكل صلاحياته ·· ولم يخرج أعوانه أيضا مثل محمد صدقى محمود قائد الطيران الذى كان مجلس الرئاسة قد قرر ابعاده للمرة الثانية بعد ١٩٥٦ ··· بل ان صلاحيات وسلطة عبد الحكيم عامر قد زادت وتضاعفت كما جاء بالجزء الثانى من الكتاب (مجتمع جمال عبد الناصر) ·

أما عن الموقف فى سوريا فان الصلات بين القاهرة وبعض الضباط السوريين فى دمشق ظلت مستمرة بطريقة سرية ··· ولم يكن موقف

الانفصاليين فى سوريا قويا بالدرجة التى تبعث على الاستقرار ... فان تناقضات كثيرة بدأت تظهر بسرعة شديدة .. وتبين أنه اذا كانت الرجعية قد نجحت فى ضرب دولة الوحدة ، فانها لم تنجح فى تبديد رصيد الوحدة .

قال لى أمين الحافظ الذى كان موجودا فى موسكو أثناء الانفصال وعادة الى سوريا بعد وقوعه بأيام ، ان الضباط الذين قاموا بالانقلاب اذا استثنينا حيدر الكزبرى لم يكونوا انفصاليين ولا أعداء للوحدة ... وهو رأى متسامح فيما أعتقد .

أمين الحافظ المرتبط بالبعث مبعدا فى أواخر عهد الوحدة ... وكان له لقاء مع المشير عامر عندما كان قائدا للمنطقة الشرقية طالب فيه بوجوب التعاون مع البعث وعودة الاتصال مع عفلق والحورانى والبيطار ، ونقل عبد المحسن أبو النور حتى لا يكون هناك شعور بتسلط الضباط المصريين على السوريين .

ولكنه عندما عاد الى سوريا لم يجد ترحيبا من الانفصاليين ... بل انه كان مفروضا أن يوضع فى قائمة تسريح ٦٣ ضابطا لولا صلة شخصية كانت تربطه برئيس أركان حرب الجيش السورى نامق كمال الذى استبدل التسريح بالنقل ملحقا عسكريا فى الأرجنتين .

وخلال فترة وجوده فى سوريا وقبل سفره الى مقر عمله الجديد نشط البعث فى الاتصال به .

ميشيل عفلق زعيم البعث الذى وقع بيانا ضد الانفصال ولم يؤيده كما فعل الحورانى والبيطار ، اتصل بأمين الحافظ وطلب منه عدم الذهاب للارجنتين والبقاء فى سوريا حيث توجد احتمالات تغيير للوضع القائم .

واتصل به أيضا الضابط السورى رياح شريف المرافق العسكرى السابق لجمال عبد الناصر لدراسة احتمالات انقلاب جديد ... كما اتصل به زميله فى البعث محمد عمران موفدامن اللجنة العسكرية التى شكلت من الضباط السوريين الذين كانوا فى مصر .. وبعد تقدير دقيق للموقف تبين لهم أن هذه الفترة الزمنية نوفمبر ١٩٦١ لم تكن مناسبة لتحريك انقلاب جديد .. ونصح أمين الحافظ بالتريث عدة شهور .

كان موقف أمين الحافظ اجتهادا خاصا متعارضا الى حد ما مع رأى ميشيل عفلق فى ضرورة بقائه فى سوريا ، ومتنافرا الى حد ما أيضا مع رأى زملائه محمد عمران وبشير صادق الذين كانوا على ثقة أكبر فى قدرة الحزب على القيام بانقلاب جديد .

وأمضى الحافظ ليلة رأس السنة ١٩٦٢ فى الارجنتين ٠

وبقيت سوريا تحت حكم الانفصاليين الذين ظهرت تناقضات شديدة بينهم وبين مأمون الكزبرى فاصدروا أمرا باقالته وتعيين الدكتور بشير العظمة رئيسا للوزراء ٠

قادة الانقلاب استخدموا كأداة للرجعية فبدأوا بتحرير أنفسهم عن طريق اقالة وعزل العناصر الواضحة الاتجاهات ، وسافر الى القاهرة فى الاسبوع الثانى من يناير ١٩٦٢ وفد عسكرى سورى كان قد سبقه قبلها بأسابيع وفد آخر حضر ضمن نشاط الجامعة العربية والتقى أعضاء الوفد الثلاثة ، العقيد زهير عقيل والعقيد محمد منصور والمقدم فايز الرفاعي ٠

استقبل جمال عبد الناصر الضباط وناقش معهم ظروف الموقف فى سوريا ٠٠٠ وكان حريصا فى الاجتماع على أمرين : أولهما تأكيد الوحدة الوطنية فى سوريا بين الجيش والشعب ٠٠٠ وثانيهما : عدم تهاونه مع الرجعية التى انقضت على الوحدة مطلقا ٠

كانت مبادرات الحكم فى سوريا للاتصال مع مصر دليلا على أن الموقف فى سوريا لم يكن شديد الاستقرار ٠ ودليلا أيضا على أن أنصار الوحدة قد بدأوا يمثلون ضغطا شعبيا متزايدا ٠

وحدث تغيير جذرى فى ٢٨ مارس ١٩٦٢ اذ قامت قيادة الجيش باعتقال بعض السياسيين الذين تولوا السلطة بعد انقلاب ٢٨ سبتمبر وظهروا بمظهر رجعى صريح ٠٠٠ قال بيان قيادة الجيش فى ذلك اليوم ما يلى :

(تمكنت هذه العناصر عن طريق هذا التحكم أن تبتعد بالسلطتين التشريعية والتنفيذية عن مهمتها الأساسية التى تمكنت من تعطيل سلسلة التشريعات والقوانين والأنظمة التى حققت وضمنت مكاسب العمال والفلاحين وبقية فئات الشعب ، فراحت هذه العناصر تصدر التعليمات والأوامر التى تناقض التشريعات والقوانين ، وتعمل على طرد الفلاحين من قراهم وانتزاع أراضيهم منهم وحملهم على تركها والهجرة منها ٠٠٠ كما راحت هذه العناصر تعمل جاهدة للابقاء على التشريعات التى تجعل مكاسب العمال صورة ونظرية وغير حقيقية) ٠

واللواء عبد الكريم زهر الدين يقول يوم ٢٠ مارس فى بيان صحفى (يسعدنى أن أعلن أمامكم للمواطنين جميعا أنه تقرر احالة جميع المتآمرين العملاء والذين ارتكبوا جرائم تمس أمن الدولة الداخلى والخارجى الى محكمة الشعب التى سيصدر مرسوم بتشكيلها خلال اليومين القادمين) ٠

واستجابت قوات الجيش السورى لذلك فحدثت ثورة فى قوات حمص يوم ٣١ مارس تلتها ثورة الجيش فى حلب ودير الزور يوم أول ابريل ٠٠ وعقد مؤتمر فى حمص اتخذ قرارات أبرزها العمل على اعادة الوحدة واجراء استفتاء على ذلك ٠

قيادة جديدة فى سوريا ٠٠٠ عبد الكريم النحلاوى ومهيب هندى أبطال الانفصال يعينون ملحقين عسكريين فى فرنسا وايطاليا ٠

واتجاه أكثر تعقلا فى قضية الوحدة ٠

ومحاولات اتصال مع مصر ٠

عندما حذرت الاذاعة السورية ــ يوم ٣ أبريل ــ الشعب من خطر هجوم اسرائيلى واستنهضت همم (أبناء الشهباء وبنى حمدان وأحفاد خالد بن الوليد ورفاق هاناتو) أصدرت القاهرة بيانا قالت فيه (هناك ما يوحى بأن السلطات السورية تخشى من احتمالات خارجية تهدد أرض سوريا) ثم قال البيان : (والجمهورية العربية المتحدة لا تقبل بأى حال من الأحوال أن تقف مكتوفة الأيدى أمام أى خطر خارجى يهدد حرية الشعب السورى أو يمس سلامة أراضيه) ٠

الضباط المعتقلون الذين قادوا الانفصال ظلوا فى سجن المزة بلا محاكمة ، انتظارا ــ فيما يبدو ــ لما يسفر عنه الموقف ، وخاصة بعد التخلص من الكزبرى وفيصل سرى الحسينى ، ونقل عبد الكريم النحلاوى ومهيب هندى ٠

وفى يوم ٥ ابريل حدثت اتصالات جديدة مع القاهرة عن طريق العسكريين السوريين والعميد طه نور الله والعقيد أكرم الخطيب من ضباط القيادة الموفدين من اللواء عبد الكريم زهر الدين رئيس أركان الحرب ومن عبد الحميد غالب سفير مصر فى لبنان وهو عسكرى سابق كان يعمل ملحقا عسكريا فى واشنطن ٠

دارت الاتصالات حول تأكيد رغبة النظام فى سوريا على اطلاع جمال عبد الناصر على حقيقة الأوضاع الداخلية بهدف اقامة تعاون جديد فى العلاقات ، وخاصة أنه بعد استمرار تحديد اقامة حيدر الكزبرى والقاء القبض على العقيد فيصل سرى الحسينى الذى ثبتت صلته بالأردن والسعودية ووقف التعاون بين الملك حسين والقيادة السورية الجديدة فان حشودا أردنية وتركية بدأت تتجمع على حدود سوريا ٠٠٠ وطلب الوفد السورى وقف حملات صوت العرب حتى لا يعقد ذلك موقفهم ٠٠٠ كما

أوضحوا أن موفق عصاصة قائد سلاح الطيران السورى ليس هو الشخصية التى تستحق هذا التركيز من صوت العرب ٠

وتم الاتصال الثانى فى ٨ ابريل بناء على طلب السفير المصرى لتوضيح أن القاهرة تصر على عدم التدخل فى الشئون الداخلية لسوريا وانها لا يمكن أن ترسل أية قوات الا فى حالة عدوان خارجى وبناء على طلب القيادة السورية ، وأما عن صوت العرب فان اذاعته سوف تمضى فى الدعوة الوطنية السورية ٠

وفى هذه المقابلة أبلغ العميد طه نور الله رسالة شخصية من اللواء عبد الكريم زهر الدين الى جمال عبد الناصر ملخصها أن الملك حسين قد أبلغ ضباط السلاح الجوى الأردنى أن يتأهبوا لعملية ضد سوريا تقف وراءها الولايات المتحدة وأن أموالا سعودية وأردنية تتدفق لشراء رجال القبائل وقد لفتت القيادة السورية نظر السفير السعودى لذلك ٠٠٠ وأن هناك خشية من وثوب خارجى على النظام فى سوريا تتعاون فيه الأردن وتركيا ٠

وتمت مقابلة ثانية يوم ١٣ ابريل حضرها مع الوفد السورى العميد هاشم هاشم أغا رئيس المكتب الثانى (المخابرات السورية) ٠

كان ناظم القدسى قد عاد الى رئاسة الجمهورية ٠٠٠ وكان الوفد السورى حريصا على تأكيد أن هدف القيادة السورية هو اقامة وحدة عربية سليمة على أساس نظام اشتراكى ٠٠٠ وهو قول جديد بعد الانفصال ٠

الاتصالات سرية وتتم بين العسكريين ٠٠٠ والقيادة السورية ليست منتمية ولا متعاونة مع تنظيمات سياسية سابقة ، والدكتور بشير العظمة رئيس الوزراء يعطى تصريحات يقول فيها (اننا نأمل أن نعكس ارادة الشعب فى مسألتى الوحدة والاشتراكية) ويذيع بيانا يوم ٦ مايو يقول فيه أيضا (ان الحكومة ترى فى اعادة البحث فى الوحدة مع مصر ضرورة قومية ومطلبا واقعيا ، ولا بد أن يكون البدء بهذه الوحدة مع مصر كخطوة أولى نحو الوحدة العربية المرجوة) ٠

وعادت الصحف المصرية لدخول سوريا ٠

مظاهر التغيير تتضح ٠٠٠ والحكومة الجديدة تحاول الظهور فى مظهر وحدوى تحت ضغط الرأى العام ٠٠٠ وتصدر بيانا فى ٧ يونيو يؤكد موقفها السابق ويعلن فى وضوح وصراحة عزمها على مباشرة الاتصال مع مصر للتعرف على وجهة نظرها فى اقامة وحدة اتحادية ٠

وأصدرت الجمهورية العربية المتحدة بيانا أذيع يوم ٢١ يونيو ١٩٦٢ أعلنت فيه رأيها فى الوحدة على شكل مشروع ٠

وكان رد الفعل عند الحكومة السورية هو اعلان الدكتور بشير العظمة رجوع حكومته عن فكرة العمل لاعادة الوحدة تحت حجة أن حكومته لاتمثل الشعب وليس من حقهم اتخاذ أى خطوة لتقرير مصيره ٠

الأمور لم تصل الى الوفاق المنتظر ٠٠ والتربص قائم بين حكومة القاهرة وحكومة دمشق ، والمحاولات لاشك مستمرة لتغيير الوضع القائم فى سوريا تغييرا جذريا يعيد الوحدة الى أصلها ٠

والصراع كما هو واضح يقوم بين العسكريين سواء من القاهرة أو دمشق ٠٠٠ ومحاولات الاتصال ببعض الضباط السوريين مازالت جارية من جانب أجهزة المخابرات فى القاهرة ٠

الفصل الرابع

مصر .. وسوريا بعد الانفصال

(ان حكومة الجمهورية العربية السورية قررت اعتبار الشكوى الواردة فى مذكرتها بتاريخ ١٩ اغسطس ١٩٦٢ ضد حكومة مصر كأنها لم تكن ، وترجو حذفها من جدول أعمال الدورة الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية) .

صلاح البيطار
رئيس وزراء سوريا
مارس ١٩٦٣ بعد اجتماع شتورا

معركة شتورا :

حملة اعتقالات بدأت فى سوريا شملت الذين اصطلح على تسميتهم الناصريين ، والمحاولات مستمرة لانهاء الوضع فى سوريا .

وبدأت محاكمة الضباط السوريين الوحدويين المعتقلين فى سجن المزة .

القنابل تنفجر فى كثير من المدن السورية تثير القلق والتوتر .

حكومة سوريا تلجأ الى شكوى مصر لجامعة الدول العربية يوم ١٩ أغسطس ١٩٦٢ تماما كما فعل كميل شمعون عام ١٩٥٨ عندما نظرت الشكوى فى اجتماع الجامعة ببنغازى .

وأمين الجامعة عبد الخالق حسونة يحاول عقد اجتماع ثنائى بين سلطات القاهرة وسلطات دمشق .. ولكن الجهتين تصران على أن يدرس مجلس الجامعة موضوع الشكوى .

وتقرر انعقاد المجلس فى شتورا بلبنان ... عقدت الجلسة الأولى صباح ٢٢ أغسطس برئاسة أحمد بن عرفة رئيس وفد تونس ، وحضر وفود ١٢ دولة وتخلفت العراق ولم ترسل وفدا .

كانت المفاجأة هى تمثيل مصر بوفد برئاسة أكرم ديرى الوزير السورى السابق فى حكومة الوحدة ومعه جادو عز الدين الوزير السورى السابق أيضا ، والاثنان من العسكريين ومعهما عبد الحميد غالب سفير مصر فى بيروت ، والوزير المفوض طلعت صدقى ، وهو سورى ثالث ، ومستشاران مصريان .

وتشكل الوفد السورى من ١٢ شخصا برئاسة الدكتور جمال الفرا وزير الخارجية والدكتور أسعد محاسن سفير الجمهورية العربية المتحدة السابق فى المغرب وخليل الكلاس أحد وزراء الوحدة .

المناقشات الأولية أوضحت أن ثلاث دول طلبت أن تكون الجلسات علنية هى مصر وسوريا والأردن ، وتسع دول طلبت أن تكون الجلسات سرية ... وبعد مناقشات استمرت جلستين أخذ قرار بسرية الجلسات لمناقشة الشكوى التالية المقدمة من جمال الفرا :

(اتشرف بان أرجو سيادتكم باسم حكومتى دعوة مجلس جامعة الدول العربية للانعقاد فورا للنظر فى الموقف الناجم عن الأقوال والأفعال التى يقوم بها ويدفع اليها الرئيس جمال عبد الناصر تجاه سوريا والتى تشكل اعتداء صريحا على سيادة الجمهورية العربية السورية وكرامة شعبها ، على أن يكون مكان الانعقاد فى أى بلد عربى غير مصر) .

استند الوفد السورى فى بيانه الأول على خطاب جمال عبد الناصر فى عيد الثورة العاشر الذى قال فيه :

(اننا لا يمكن بحال من الأحوال أن نرى الشعب السورى يوضع فى السجون ويضرب وتتحكم فيه الرجعية ونقول ان هذا لايعنينا ... ان شعب سوريا أعلن سنة ١٩٥٨ أنه جزء من الجمهورية العربية المتحدة

وانا نشعر نحوه أيها الاخوة بمسئوليات كبيرة ... النا مع شعب سوريا في كفاحه ضد الرجعية وضد الانتهازية وضد الاستعمار) .

وأعلنت سوريا قائمة اتهامات لمصر :

١ ـ سفارة مصر في بيروت تحرض على اغتيال ضباط القيادة السورية في أواخر يونيو ١٩٦٢ .

٢ ـ ارسال متفجرات لدمشق مع شخص يسمى بديع حجازى يوم ١٧ يوليو عن طريق لجيب جويقل عضو الاخوان المسلمين والهارب من مصر .

٣ ـ محاولات فؤاد هلال الضابط السابق والوزير المفوض المصرى ببيروت ، وزغلول عبد الرحمن الملحق المصرى بلبنان ، وخيرى حماد الكاتب الفلسطيني ـ التجسس على سوريا عن طريق الاتصال ببعض العملاء .

٤ ـ ارساله أموالا للضباط السوريين .

٥ ـ تحريض لاجئين عراقيين ولاجئين لبنانيين للتآمر على سوريا .

سبع وثائق قدمها الوفد السورى وكلها تدور حول محاولات اتصال بعناصر معادية لنظام الحكم القائم داخل سوريا ... وهى فى مجموعها تشكل أساسا استند عليه الوفد السورى فى مهاجمة مصر وضرب الوحدة .

انضم أمين الناقورى الضابط ووزير الوحدة السابق الى الوفد السورى فى الجلسة السادسة ليواجه زملاءه أكرم ديرى وجادو عز الدين ، وشن حملات شديدة على أسلوب معاملة الضباط المصريين للضباط السوريين ... واتهم مصر بالتخاذل لقبولها قوات الطوارىء الدولية مسفها قول المشير بأن هذا يوفر على مصر تكاليف المواجهة الى أن نستعد تماما لمناطحة اسرائيل .

وانتقل أمين الناقورى الى موضوع تحويل مجرى نهر الأردن واتهم مصر بأنها تساعد اسرائيل بطريق غير مباشر عندما تتقاعس فى الهجوم عليها وتدخل ذلك فى حسابات عبر عنها بأنها ـ غير صحيحة ـ ودلل على ذلك بقوله (القذف الجوى بأحسن الشروط وعلى الارتفاعات المتوسطة لا يحدث تخريبا أكثر من ٥ فى المائة فى المطارات وفى الأجهزة ، واذا ما تدخلت الطائرات المقاتلة انعدمت فعالية القذف الجوى لاعتبارات نفسية وانسانية تتعلق بالسلامة الشخصية لأفراد القاذفات) ... ويؤكد أمين الناقورى رأيه بالقول (وعلى كل حال حسب معلوماتى أن قوات الجمهورية

العربية المتحدة تستطيع سحق اسرائيل حتى ولو دعمت بالمساعدة الفرنسية التى كانت عام ١٩٥٦ وهى فرقة مدرعة خفيفة ولواء جوى) ٠

وانطلاقا من هذا المنطق هاجم أسعد محاسن مصر وقال ان (حياد القاهرة الايجابى بين اسرائيل والعرب فقط) ، وانطلاقا من المنطق الذى ساد خلال هذه الفترة ونما خلال مقالات وأحاديث بعض وزراء الوحدة المستقلين ، وخاصة أكرم الحورانى الذى وصم جمال عبد الناصر بالتخاذل وتنفيذ المخططات الأمريكية فى المنطقة ومساعدة اسرائيل بطريق غير مباشر ٠٠٠ يتبين أن الخلافات كانت قد وصلت الى درجة من الانفصال يصعب كبح جماحها ٠٠٠ وتبين أيضا أن موقف المطالبين بالتعرض الفورى لاسرائيل هو موقف يستند الى الحماس والتطرف اللفظى ولا يستند الى الواقع الموضوعى الذى كان يدركه جمال عبد الناصر فى عمق ويتشبث به ٠

تسهيل موضوع الاندفاع للحرب ٠٠ واتهام كل مناقش لهذه الفكرة بأنه متخاذل ومتردد ٠٠٠ هو أمر يدل على نقص فى سلامة التقدير ، والاندفاع عفوى غير مدرك خطوات المسيرة ، وقد أثبتت الاحداث بعد ذلك عام ١٩٦٧ أن الحرب ليست عملا من أعمال الكلام ، ولكنها علم وفن وسلامة تقدير وارتباط بالجماهير ٠

وأنقل هنا بعض مادار من نقاش بين المشير والناقورى خلال جلسة مناقشة تحويل مجرى نهر الأردن ، كما وردت على لسان الناقورى فى البيان الذى أدلى به فى الجلسة السادسة بمؤتمر شتورا ٠

قال المشير : (ان الذى يخشاه ليس اسرائيل ٠٠٠ بل هى القوات الغربية التى تدعم اسرائيل) ونوه بالعدد المتزايد لقوات اسرائيل ٠

فأجبته ــ رأى الناقورى ــ (اننا نعرف قوات اسرائيل معرفة دقيقة ، ونعرف جيدا العدد الصحيح الذى تستطيع تجنيده من النساء والرجال ، ولدينا سجلات عن امكانيات اسرائيل العددية ولا يتجاوز الخطأ فيها نسبة ٥ فى المائة وليس هناك ما يقلق أبدا من جهة اسرائيل ، سواء كان من حيث عدد القطعات أو من حيث التجهيز والمعدات) ٠

تبسيط قضية الصدام باسرائيل كان طابع المناقشة ومنبع الهجوم ٠

وذكر أمين الناقورى أنه فى اليوم التالى لهذه الجلسة وبينما كان هو وأحمد عبد الكريم زميله فى الوزارة بنادى الجزيرة أقبل عليهما صلاح سالم وأبلغهما أن جمال عبد الناصر قد تحدث معه تليفونيا بعد انتهاء الجلسة مباشرة قائلا له (ان الوزراء السوريين قد أثاروا قضية تحويل نهر الأردن ، ووضعونا فى موقف حرج للغاية وأن مهمتنا فى الشرق

الأوسط هى مكافحة الشيوعية ، فاذا ما أثرنا هذه القضية الآن فى الصحف يكون الرأى العام فى الجمهورية العربية المتحدة وفى العالم العربى ضد التحويل وسوف تنضم روسيا لدعم هذا الموقف ولهذا يجب ألا يذكر شيء فى الصحف عن هذا الموضوع) ٠

واذا كان صحيحا ما ذكره الناقورى فان علاقات جمال عبد الناصر مع الاتحاد السوفييتى فى ذلك الوقت كانت مترديه منذ نهاية العام السابق ١٩٥٨ ، ولكنه كان قد أرسل صلاح سالم الى موسكو فى ٧ نوفمبر ١٩٥٩ وذهبت معه وقتها حيث أجرى حديثا مع خروشوف كان من معالم الرجوع عن الهجوم المتبادل ، وتم الاتفاق خلال الرحلة على تنفيذ المرحلة الثانية من مشروع السد العالى ٠

كان صلاح سالم خلال هذه الفترة قد بدأ يغير أفكاره التقليدية السابقة ويصبح أكثر اقتناعا بالاشتراكية ٠٠ زيارة الاتحاد السوفييتى ، والاتجاه اليسارى لبعض العناصر فى جريدة الجمهورية رغم وجود الشيوعيين فى المعتقلات ، والمناقشات المتكررة مع خالد محيى الدين ومجدى حسين ومع أعضاء المجلس القومى للسلام والزملاء السابقين فى الجيش ٠٠٠ كل هذا كان له تأثير كبير فى تطور تفكير صلاح سالم ٠٠٠ ولعل هذا هو ما دفعه الى القول على لسان عبد الناصر (ان مهمتنا فى الشرق الأوسط هى مكافحة الشيوعية) كنوع من التجسيد والتضخيم لحذر عبد الناصر من اثارة هذا الموضوع اعلاميا ٠٠٠ وان كانت الحقيقة الموضوعية خلال هذه الفترة هى أن القاهرة كانت تضرب الشيوعيين فعلا وانها كانت تخدم بذلك أطماع الامبريالية بطريق غير مباشر ٠

ولكن الأمور بالقطع لم تكن تصل الى حد العمالة للسياسة الأمريكية ولا التآمر على القضية الفلسطينية ولا التخاذل الممقوت فى المواقف الوطنية كما حاول كثير من الكتاب تصوير موقف مصر ، وخاصة أكرم الحورانى ٠

وحزب البعث فى سوريا كان قد تشتت مع الوحدة ، ولم يكن تجميعه سهلا بعدها فقد انقسم الى عدة اتجاهات وأحزاب ٠

أكرم الحورانى عاد الى تشكيل الحزب العربى الاشتراكى وشارك ببعض وزرائه فى حكومة الانفصال ، وكان قاسيا فى أحكامه ضد عبد الناصر والسلطة فى مصر ٠

أما ميشيل عفلق أمين القيادة القومية فقد أصدر بيانا يدين الانفصال كما سبق أن ذكرت ، وعقد سرا فى حمص مؤتمرا قوميا لقيادة الحزب

من أعضاء غير سوريين كان منهم علي صالح السعدي الذي اصبح نائبا لرئيس مجلس الوزراء العراقي في ثورة فبراير ١٩٦٣ ٠

ولكن مجموعة من البعثيين رفضت خط القيادة القومية وشكلت قيادة قطرية في سوريا كان سكرتيرها العام رياض المالكي شقيق عدنان المالكي الذي عمل وزيرا للثقافة في سوريا خلال الوحدة ٠٠وضمت هذه القيادة كلا من يوسف زعين وابراهيم ماخوس وصلاح جديد ونور الدين الاتاسي ٠

وهكذا تعددت قيادات البعثيين في سوريا خلال هذه الفترة ٠٠٠ وبينما أدان حزب البعث في العراق عملية الانفصال تشتت الأفراد في سوريا بين موقف القيادة القومية (ميشيل عفلق) وموقف القيادة القطرية المعارضة لها (رياض المالكي) وانتهت وحدة الحزب بعد انفصال الحوراني عنه واعادة تشكيله للحزب العربي الاشتراكي ٠

وعندما استشهد الوفد المصري بمقال نشره صلاح البيطار عن تحويل نهر الأردن يوم ١٨ اغسطس ١٩٦٢ في جريدة البعث وروى قصة الاجتماعات كما حدثت وأنهاه بهذا التساؤل :

٠٠٠ (من حق الناس أن يسألوني : هل تكون عندك خلال هذه المناقشات ومن خلال الحوادث التي تعاقبت فيما بعد شعور أن عبد الناصر أو المشير أو الحكم في الجمهورية العربية المتحدة يخطط لتصفية القضية الفلسطينية ؟ وجوابي : لا ، وهو ذات الجواب بالنفي الذي كنت أعلنته في عهد الوحدة والذي أعلنته في عهد الانفصال) ٠

عندما استشهد الوفد المصري بهذا المقال تأكيدا من رجل مسئول بسلامة موقف جمال عبد الناصر وسلطة القاهرة ٠٠٠ استشهد الوفد السوري ببيان لم ينشر ولم يدع لصلاح البيطار نفسه يهاجم فيه النظام الفردي ويصف الحكم في الجمهورية العربية المتحدة بأنه (شأنه شأن أكثر الانقلابات العسكرية جاء عن طريق العنف ويحكم منطقه القوة والقسر) ٠

الاستناد الى بيان غير مذاع لا يعطي قوة للحجة السورية ، والحديث عن (معاداة النظام الفردي للشعب ولكل فلسفة أو حركة تؤمن بالشعب وتثق بسلامة تقديره وتعمل على تنظيمه) ، كما كتب البيطار ، هذا أمر لا يتناقض مع اتخاذ موقف وطني في قضية تحويل مجرى نهر الأردن ٠

ولم يكن تحويل نهر الأردن هو المشكلة الوحيدة التي ركز الهجوم السوري عليها في شتورا ٠٠ وانما أخذ الجانب السوري موقف النفي

لما سبق أن رواه السفير المصرى فى بيروت من وقائع تتصل بأن أموالا سعودية وأردنية تتدفق على سوريا ، وأنه سبق للسلطات السورية أن نبهت السفير السعودى لذلك ٠

كان ذلك دليلا على أن خطوات التقارب التى تمت بين دمشق والقاهرة خلال شهر ابريل لم تكن مخلصة وأن موقف الحكومة السورية كان ومازال أقرب الى التعاون مع الحكومات الرجعية فى المنطقة ٠

وفى الجلسة الثامنة التى عقدت يوم ٢٨ أغسطس ألقى أكرم ديرى بيانا أمام المجتمعين أعلن فيه أن وفد الجمهورية العربية المتحدة قد أجاب على كل الاتهامات والافتراءات وأنه يجد (أن الجامعة العربية بأوضاعها الحالية ليست ـ شكلا وموضوعا ـ أداة صالحة للوصول بالنضال العربى الى أهدافه ٠٠٠ وأنها مازالت ـ حتى الآن بكل الاثقال التى تفرضها عليها النظم الرجعية المتعاونة مع الاستعمار ـ غير قادرة على شىء الا أن تكرر نفسها بمثل ما حدث فى نكبة ١٩٤٨) ولذا قرر الوفد الانسحاب من الاجتماعات ومن الجامعة العربية أيضا ٠

كان الموقف صدمة مفاجئة للحاضرين ٠٠٠ ولكن حدثا ما هو الذى دفع اليه ، فقد هرب المقدم زغلول عبد الرحمن الملحق العسكرى المصرى فى بيروت مساء اليوم السابق ٢٧ أغسطس الى سوريا وأعلنت الحكومة السورية أنه سيجابه الجماهير والصحفيين ومراسلى وكالات الأنباء فى مؤتمر يعقد فى الساعة السادسة من مساء يوم ٢٨ أغسطس ٠

كان زغلول عبد الرحمن ضابطا فى المخابرات المصرية وأحد المسئولين الرئيسيين عن المنطقة ، باشر عمله فيها منذ منتصف الخمسينيات ٠ ورد اسمه فى اتهامات الوفد السورى بمحاولات التجسس والتخريب والتآمر ، وكان مقربا من المشير عبد الحكيم عامر ٠٠ اذ كان احد أصفيائه من الضباط الذين يستطيعون مقابلته بلا موعد ٠

كان ظهور زغلول عبد الرحمن بهذه الصفة أمام المراسلين العرب والأجانب كفيلا بتدمير موقف الجمهورية العربية المتحدة فى اجتماعات شتورا ٠٠٠ ولذا صدرت التعليمات من جمال عبد الناصر للوفد بالانسحاب ٠

وقال خليل الكلاس تعقيبا على انسحاب الوفد المصرى بأن ضابط المخابرات زغلول عبد الرحمن كان سينضم للوفد السورى فى اجتماعات شتورا ٠

وليس من شك في أن موقف زغلول عبد الرحمن كان ثمرة محتملة لاعطاء بعض العسكريين المقربين من مركز القيادة صلاحيات لا تؤهلهم لها خبرتهم ولا كفاءتهم ولا قيمهم السلوكية التى تنهار حتما أمام الاغراء الذى قدمه مركز القيادة والتساهل الذى يراقب به تصرفات المقربين ·

وكان معروفا أن زغلول عبد الرحمن قد أدمن القمار وخسر مبالغ كبيرة عوض بعضها من القاهرة ومن المشير شخصيا ومع ذلك ظل فى موقعه مسئولا عن أجهزة الأمن مع عدد آخر من العسكريين ·

وكان معروفا أيضا أن زغلول عبد الرحمن تربطه صلة نسب وقرابة بأحمد أبو الفتح وأحمد فهمى اللذين خرجا من مصر وتعاونا لفترة طويلة مع أجهزة مخابرات أجنبية وعربية رجعية خلال اذاعة (مصر الحرة) · ومع ذلك لم تحاول الجهات المسئولة معرفة أثر هذه الصلة فى حركته وأسلوبه ؛

كانت العلاقات الشخصية والاقتراب الشديد من مركز السلطة هما المؤهلات التى يعتمد عليها الانسان مدنيا أو عسكريا فى تحقيق أغراضه ·

وغريب ألا يكون موقف جلال هريدى قائد المظلات والمقرب من المشير بعد اذاعاته المعروفة من دمشق باعثا على مراجعة موقف بعض العسكريين المقربين ·

ولكن كانت عودة المشير عامر الى موقعه فى الجيش بعد استقالته التى قدمها عندما حاول مجلس الرئاسة استصدار قانون يحد من اختصاصه وتضامن بعض قادة الأسلحة والوحدات معه هى بداية عودة الجيش الى السلطة بصورة مباشرة · وهى بداية الاعتماد على الأصدقاء المقربين من المشير فى تنفيذ أغراضه وتأكيد سلطته ·

هذا النفر القليل من العسكريين المستفيدين هم الذين أساءوا الى العسكريين عموما والى المشير بصفة خاصة ··· وكانوا وصمة فى جبين النظام جعلت وفده فى شتورا ينسحب بطريقة غير منتظمة تشير الأسى وتشير الى نقاط ضعف كان يجب أن تعالج منذ البداية ·

وانتهت اجتماعات شتورا بقرار من ثلاث نقاط يتضمن عدم استطاعة الاستمرار فى نظر الشكوى بسبب انسحاب وفد الجمهورية العربية المتحدة ، واستمرار الدورة الاستثنائية مفتوحة مع بذل الدول الأعضاء المساعى اللازمة لدعم كيان الجامعة باحترام ميثاقها ولم شملها كفالة لاستمرار نهوضها برسالتها ·

وانتهت الجلسة الأخيرة بعد منتصف ليلة ٣٠/٣١ أغسطس ١٩٦٢.

اكتسبت الحكومة السورية رصيدا من اجتماعات شتورا لدعم الانفصال ... ولكن الضباط السوريين الذين عجزوا عن وقف الانفصال في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، وفشلوا في فرض وجودهم بعد حركة الجيش وقرارات مؤتمر حمص في ابريل ١٩٦٢ ، لم يركنوا الى الاستكانة .

البعث ينتصر :

وعاد ضباط البعث للنشاط من جديد ... محمد عمران الذى سبق له أن عرض على أمين الحافظ أن يتحرك معه كان يدبر أمره في سرية دون ولاية من أحد ، وخاصة بعد حل حزب البعث ، ورغم أنه ضابط بعثى قديم الا أن أكرم الحورانى يقول انه لم يكن يعرف شيئا عن تدبيراته ، ربما لابتعاد أكرم نفسه عن صفوف الحزب ... وربما لأنه كان صعبا خلال هذه الفترة القول بأنه كان هناك حزب موحد بعد التناقض السافر بين القيادة القومية والقيادة القطرية .

ولم تكن الرغبة فى ضرب الانفصال قاصرة على ضباط البعث ، ولكنها شملت الضباط الناصريين أيضا .

وشجع الحركة المعادية للانفصال فى سوريا قيام حركة ٨ فبراير ١٩٦٣ فى العراق والاطاحة بحكم عبد الكريم قاسم ، وتعيين عبد السلام عارف رئيسا للجمهورية ، وأحمد حسن البكر رئيسا للوزراء ، وعلى صالح السعدى نائبا لرئيس الوزراء . والأخير كان أحد المسئولين بعد مؤتمر البعث فى مايو ١٩٦٢ بحمص فى القيادة التى شكلت لسوريا .

نشرت الأهرام يوم ٢٢ فبراير ١٩٦٣ خبرا يقول ان ناظم القدسى رئيس الجمهورية قد صدق ليلة عيد الوحدة على أحكام الاعدام التى أصدرتها محكمة أمن الدولة العسكرية على ضباط حلب ... وأن برقية قد خرجت من سجن المزة بتوقيع لؤى الاتاسى ومقدم محمد عمران .

ولم يمض شهر واحد حتى تحركت قوات الجيش السورى ... قاد الحركة عميد زياد الحريرى وهو ضابط بعيد عن الشبهات ، ليس بعثيا وليس له ماض سياسى ... وعين رئيسا لأركان القوات المسلحة .

وخرج لؤى الاتاسى قائد منطقة حلب السابق والذى وضع فى سجن المزة بعد محاولة ابريل ١٩٦٢ ، ليصبح قائدا عاما للقوات المسلحة برتبة فريق ورئيسا لمجلس قيادة الثورة السورى .

اللواء راشد قطينى عين معاونا للقائد العام للقوات المسلحة .

وعين العميد محمد الصوفى وزيرا للدفاع ·

وتشكل المجلس الوطنى لقيادة الثورة الذى ضم المقدم فواز محارب والمقدم فهد الشاعر ·

ومحمد الصوفى أصبح وزيرا للدفاع برتبة فريق ·

وتولى صلاح البيطار منصب رئيس الوزراء ، واستدعى أمين الحافظ من عمله ملحقا عسكريا بالأرجنتين ليصبح وزيرا للداخلية ·

ودارت العجلة فى اتجاه معاكس ··· وصدرت نشرة عسكرية بتسريح ٦٨ ضابطا ، وعاد الى الخدمة كثير من الضباط البعثيين المسرحين ، محمد عمران تولى قيادة اللواء مدرع وصلاح جديد تولى منصب كاتم أسرار ·

يقول أمين الحافظ الذى وصل الى دمشق يوم ١٣ مارس بعد خمسة أيام من الانقلاب أنه كان ضد تسريح ضباط من الجيش وأنه يعتبر ذلك جريمة ··· ولكنها كانت وقعت قبل حضوره كما يقول ·

لم يعد الى الجيش بعض الضباط الذين اشتهروا بأنهم ناصريون ·

تغير الموقف فى سوريا جذريا ··· ولجأ خالد العظم رئيس الوزراء الى سفارة تركيا · وأرسل صلاح البيطار رئيس الوزراء ووزير الخارجية كتابا الى أمين الجامعة العربية يقول فيه :

(ان حكومة الجمهورية العربية السورية قررت اعتبار الشكوى الواردة فى مذكرتها بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٦٢ كأنها لم تكن وترجو حذفها من جدول أعمال الدورة الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية) ·

وأوضح الكتاب أيضا :

(أن حكومة سوريا التى قامت بعد ثورة أطاحت بمزيفى ارادة الشعب العربى فى هذا البلد المؤمن بوحدة الأمة العربية ايمانه بوجوده تغتنم الفرصة لتنقل الى جامعة الدول العربية الموقف المعبر عن حقيقة مشاعر الشعب فى تلك المأساة الكبرى التى أثارتها الفئات الرجعية والانفصالية والشعوبية فى آخر اجتماع لدول الجامعة العربية فى شتورا) ·

ثم يقول بعد تفصيل (الموقف الشائن الذى صفقت له أبواق الرجعية وأشادت به وسائل الاستعمار واسرائيل) ·

(وهكذا جاءت ثورة الشعب العربي في سوريا ثأرا لمعركة شتورا ولكارثة الانفصال ولعزم هذا الشعب على الانطلاق في طريق الوحدة على حطام الرجعية والانفصال والشعوبية ٠٠ ويعلن في النهاية استنكار حكومة سوريا لتلك (الشكوى المزعومة) وسحبها شكلا وموضوعا) ٠

مباحثات الوحدة الثلاثية :

وفي اليوم العاشر للانقلاب بالتحديد ٠٠ يوم ٧ ابريل ١٩٦٣ اجتمع في القاهرة ممثلون عن الحكم في مصر (١) ، والحكم الجديد في العراق (٢) والحكم الجديد في سوريا (٣) ٠

سنة ونصف فقط بعد الانفصال وممثلون من سوريا والعراق يحضرون الى مصر لمناقشة قضية الوحدة ٠

كانت سوريا خلال هذه الفترة مسرحا لحركة العسكريين الذين تتابع ظهورهم على مسرح الأحداث ، وتغيرت تبعا لهم الوزارات التي لم تكن أكثر من واجهة للحكم بلا نفوذ حقيقي ٠٠ ولا يمكن القول مطلقا بأن الحكم كان مستقرا أو قريبا من الاستقرار ٠

الضباط السوريون الذين قاموا بالحركات العسكرية المتتالية لم يكونوا في مناصب القيادة العليا مثل حسني الزعيم وسامي الحناوي وأديب الشيشكلي ٠٠ وانما كانوا من رتب وعمر أصغر ٠٠ وكانت التسريحات التي تصحب كل حركة والتي تكررت عدة مرات في سبتمبر ١٩٦١ وابريل ١٩٦٢ ومارس ١٩٦٣ تضعف من ثورة الجيش السوري وتخرج منه عناصر ذات كفاءة عالية ، البعض منهم درس في كلية الأركان (فرونز) بالاتحاد السوفيتي ، والبعض كان من الذين دربوا في القوات الجوية تدريبا استغرق كثيرا من الوقت والجهد والمال ٠

استنزفت الحركات العسكرية السورية قوة الجيش الى جانب الضحايا الذين تساقطوا من الجنود والضباط برصاص زملائهم وخاصة في حلب ٠

---

(١) الوفد المصري كان مشكلا من : جمال عبد الناصر ـ عبد اللطيف البغدادي ـ عبد الحكيم عامر ـ كمال الدين حسين ـ علي صبري ـ أمين هويدي ـ عبد المجيد فريد ٠

(٢) الوفد العراقي كان مشكلا من : صالح السعدي ـ مهدي صالح عماش ـ طالب شبيب ـ دكتور عبد الرحمن البزاز ٠

(٣) الوفد السوري كان مشكلا من : نهاد القاسم ـ عبد الحليم سويدان ـ عبد الكريم زهور ـ راشد قطيني ـ زياد الحريري ـ فواز محارب ـ فهد الشاعر ٠

كانت فترة الوحدة من أكثر الفترات استقرارا في سوريا ٠٠ أكثر من ثلاث سنوات ونصف والجيش يمارس دوره الوطني بلا هزات تؤثر على مستواه سوى التسريحات وابعاد بعض العناصر ذات الشخصية والكفاءة من القيادات المناسبة لها ٠

حركة ٨ مارس ١٩٦٣ كانت انقلابا عسكريا مرتبطا بحزب البعث ، الضباط البعثيون شاركوا فيه مشاركة ايجابية ، ولكنهم لم ينسقوا حركتهم مع الحزب ولم يأتمروا بأمر القيادة السياسية فيه ولم ينفردوا وحدهم بالعمل ٠

وظهر اتجاهان بين الضباط : قوميون يطالبون بعودة الجمهوريات العربية المتحدة فسورا ثم تنضم العراق ٠٠ وبعثيون عبر عن رأيهم صلاح البيطار بقوله ان هدفهم كان اسقاط الانفصال وعودة العلاقات الطبيعية الأخوية بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا لاجراء مفاوضات ومباحثات لاقامة وحدة على أسس سليمة ومدروسة ٠

بدأت مباحثات الوحدة الثلاثية في فترة كان الحكم في مصر قد استقر فيها على أسس جديدة ٠٠ صدر الميثاق كأول وثيقة رسمية لثورة يوليو ، وتشكل الاتحاد الاشتراكي على أساس مختلف عن تنظيم الاتحاد القومي ٠٠٠ وكانت الحركة الى محاولة التطبيق الاشتراكي أكثر وضوحا ٠

ومنذ الجلسة الأولى لمباحثات الوحدة التي عقدت مساء يوم ١٤ مارس ١٩٦٣ في سراى القبة بالقاهرة قال جمال عبد الناصر في صراحة انه يرفض وحدة مع حزب البعث (اذا كان حزب البعث هو الذى يحكم سوريا وستكون الوحدة معه فأنا على غير استعداد للبحث اطلاقا) ٠

الحساسية من قادة البعث في ذروتها ٠٠٠ وعلى صالح السعدى نائب رئيس وزراء العراق يقول (أما عن توقيع البيطار لوثيقة الانفصال فانها كانت جريمة والذى دفعه في ذلك هو الحوزاني ؛ وقد فاجأه بها كما أن صلاح البيطار بكى كثيرا بعد ذلك على ارتكابه هذا الجرم) ٠

ودافع السعدى عن عفلق والبيطار قائلا انهما مخلصان في دعوتهما للوحدة وفي حبس نيتهما للعمل من أجلها ٠

المرارة في قلب عبد الناصر شديدة ٠٠٠٠ يعتبر أن موقف العداء الذى اتخذه البعث والشعارات التي رفعها هي التي مهدت للانفصال ٠

ويقول جمال عبد الناصر : (أنا شفت من البعث السورى ما لم يره أى انسان) ٠

وعندما علم جمال عبد الناصر فى مقابلة خاصة مع عبد الكريم زهور عضو الوفد السورى ووزير الاقتصاد أن توزيع مقاعد المجلس ستتم على أساس سبعة من البعث وثلاثة من بقية القيادات القومية والوحدوية شعر أنه يدخل من جديد الى ميدان المناورات الحزبية •

واقترح على صالح السعدى فى الجلسة الرابعة للمباحثات حضور قيادة حزب البعث السورى الى القاهرة فى محاولة لتصفية الجو بينها وبين عبد الناصر •• وفى الجلسة الخامسة تقرر ذلك وانتهت المرحلة الأولى لمباحثات يوم السبت ٦١ مارس ١٩٦٢ ببيان يقول ان المباحثات قد وصلت الى مرحلة تستوجب رجوع وفدى العراق وسوريا الى بغداد ودمشق ثم الاجتماع مرة أخرى فى القاهرة •

وبدأت المرحلة الثانية يوم ١٩ مارس بوفد مصرى مشكل من جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وعلى صبرى ووفد سورى مشكل من صلاح البيطار وميشيل عفلق ولؤى الاتاسى وفهد الشاعر •

المواجهة أصبحت مباشرة بين عبد الناصر وقادة البعث فى جو تحيط به أزمة ثقة •

وجمال عبد الناصر يعترف بأن حل الأحزاب السورية على اختلاف مشاربها سار بسرعة شديدة (وما كانش صح) على حد تعبيره ••• ويقول (احنا فى سنة ١٩٥٨ كان لازم اتبعنا أسلوب آخر وهو حل الأحزاب التى لاتتفق فى الهدف ، ثم جميع الأحزاب الأخرى التى تجمعها وحدة الهدف •• الأحزاب القومية تكون هى الطلائع الثورية فى جبهة قومية تسير على هدف واحد) •

غيبة التنظيم السياسى كانت عامل ضعف شعر به عبد الناصر عندما تهاوت الوحدة ولم تجد أحدا يدافع عنها •

وتثبت المحادثات أن حزب البعث لم يدافع عن فكرة عدم الغاء الأحزاب ، وقال ميشيل عفلق تبريرا لذلك (باعتقد أنه بدون الحل ما بتكون تصير وحدة) •

وميشل عفلق وصلاح البيطار يدينان موقف أكرم الحورانى الذى اعتبراه اقليميا فى تصرفاته بعد الانفصال ، ويقولان أنهما تصورا أن الاتحاد القومى كان يمكن أن يؤدى دور الحزب اذا كانت قد استبعدت منه العناصر الرجعية •

ويتدرج النقاش الى موقف الوحدة من الانقلابات العسكرية وعلاقة البعث بضباط الجيش ... وجمال عبد الناصر يصرح بأنه رفض عرضا تقدم به ضابط سورى اسمه فايز الرفاعى من ضباط الانفصال للقيام بانقلاب يعلن الوحدة قائلا :

(أنا لا أستطيع أن أقبل وحدة بانقلاب ... الوحدة أولا ثقة كاملة .. محصنة ضد الغدر) .

الحرص واضح على ابعاد حركة الوحدة عن انقلابات الجيش حتى لاتنتشر العدوى الى مصر بعد استقرار للثورة زاد عن عشر سنين ... تدخل الجيش أو الرضوخ لحركة الانقلابات أمر مرفوض .

(العملية الى فاتت تجربة رائدة وانتهت ... وأى عملية جديدة لازم تقوم على أساس سليم) .

هكذا أعلن جمال عبد الناصر .

وقال عبد الحكيم عامر (الانفصال لم يظهر خطورة الرجعية فى سوريا فقط .. ولكن أظهر خطورة الرجعية فى مصر أيضا .. فهى كلها تجارب) :

ويدور حديث عن المباحث وبذر العملاء ، ويقول جمال عبد الناصر انه أعطى ميشيل عفلق ٧٠,٠٠٠ جنيه مساعدة لبعث العراق وأنه لم يطلب منه أن يكونوا عملاء ... وأيد على صالح السعدى الواقعة وقال ان المبلغ كان لمساعدة المناضلين .

العتاب والنقد مستمر حول بعض التصرفات الشخصية التى أشعرت البعثيين أنهم فى عزلة وأشعرت عبد الناصر أنهم مستمرون فى المؤامرات الحزبية ... ومجابهة الموقف الحالى بعد ثورة العراق تضع على مائدة النقاش فكرة الوحدة الاتحادية ... وفكرة الجبهة أيضا .

الوحدة الاتحادية تحتاج الى قيادة سياسية تضمن استقرارها ... وجمهوريات الاتحاد السوفيتى لها حق الانفصال دستوريا ولكن واحدة منها لم تنفصل لوجود القيادة السياسية الواحدة ... وهى اذا كانت شكلية ولدت ميتة مثل اتحاد الجمهوريات العربية مع اليمن ،

وجمال عبد الناصر يعلن حذره من وحدة اتحادية يلعب فيها البعث دور القيادة السياسية فى سوريا والعراق .. ويتساءل عن نتيجة حدوث خلاف بين مصر واحدى دول الاتحاد واحتمال تطبيق المثل الشعبى (أنا وأخويا على ابن عمى) .

والجبهة قضية مطروحة ٠٠٠ ولكن مع استبعاد الشيوعيين والاخوان المسلمين ٠

النظرة القديمة لم تتغير ٠٠٠ ونظرة حزب البعث تتفق مع نظرة عبد الناصر ٠

صلاح البيطار يقول انه لا ينظر فى الجبهة للحزب الشيوعى على أساس أن له فلسفة اشتراكية خاصة فقط ٠٠ ويقول جمال عبد الناصر (القومية بالنسبة لهم رجعية) ويعود صلاح البيطار للتأكيد (بالنسبة لنا هم أعداء للوحدة ماهم بس أعداء القومية) ٠٠٠ ويوافق ميشيل عفلق على ذلك قائلا (لا بالنسبة لنا فقط وانما بالنسبة للجماهير) ٠

الجبهة فى نظر المجتمعين تستبعد الأحزاب الشيوعية ٠٠ جمال عبد الناصر يتساءل فى خشية عن سبب اعطاء الاخوان المسلمين فى سوريا تصريحا باصدار جريدة ٠٠٠ ويقول لؤى الاتاسى بأنهم لا يريدون أن يفتحوا حربا عليهم الآن ولكن لا يفتحون أبواب الجبهة لهم ٠

الجبهة فى سوريا تقتصر على تفكير ميشيل عفلق فى تعدد الأحزاب غير المعادية للاشتراكية التى تتنوع خططها ، حتى يكون فى ذلك (ضمانة لحد ما للحرية السياسية) ٠٠٠ ويقول صراحة (الحزب الواحد مهما كان فيه ديموقراطية يبيقى فى كونه حزب واحد نوع من القمع ٠٠٠ نوع من التضييق على الحريات) ٠٠٠ وينتهى الأمر الى اقرار ثلاثة تنظيمات رئيسية يمكن أن تنضوى تحت لواء الجبهة وهى « البعث » و « القوميين العرب » و « الوحدويين الاشتراكيين » ٠

التصور عند جمال عبد الناصر مازال هو تكوين جبهة ـ كما اقترح على وفد العراق ـ (تضم كل القوميين والوحدويين حتى يمكن الوقوف أمام الرجعيين والشيوعيين) ٠

أحزاب الطبقة الوسطى مازالت تريد أن تنفرد وحدها بالسلطة بعيدا عن أحزاب الطبقة العاملة ٠٠٠ والاتحاد الاشتراكى الذى يضم تحالف قوى الشعب العاملة يضع العمال والفلاحين بثقلهم الحيوى الكبير تحت قيادة الطبقة الوسطى الممثلة فى العسكريين والتابعين لهم من المثقفين وأبناء الرأسمالية الوطنية ٠

ورغم القول بتمثيل العمال والفلاحين بنسبة (٥٠) فى المائة فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى ومجلس الأمة ومجلس الادارة ٠٠٠ ومع ما فى ذلك من خطوة ايجابية لمشاركة هذه الطبقات وظهورها على مسرح

الأحداث السياسية ، إلا أنها تظهر لتؤدى دورا ثانويا (كومبارس) بينما أدوار البطولة تنعقد لأبناء الطبقة الوسطى القابضين على السلطة .

المشاركة تأخذ طابعا شكليا أكثر منها حقيقة موضوعية .

والاصرار على عزل التنظيمات الشيوعيـة يؤدى فى النهاية الى عزل للتيار الفكرى التقدمى .

والحوار يدور حول التنسيق بين الاتحاد الاشتراكى وبين الجبهة المقترحة ... أو المنتظر تشكيلها فى كل من العراق وسوريا .

وتنتهى المرحلة الثانية من المحادثات بعد خمس جلسات فى ٢٠ مارس ١٩٦٣ ، ولكن الرأى مازال غير موحد وغير متطابـق ، وصفحـة الحساب القديم لم تطو لتفتح صفحة جديدة بيضاء ...

وتبدأ المـرحلة الثالثـة من المحـادثات يوم ٦ ابريل لتستمـر عشر جلسات (١) .

الصراع مازال يـدور بين جريـدة البعث التى تحدثت عن أخطـاء الوحدة ، وجريدة الأهرام التى انبرى فيها محمد حسنين هيـكل بكتابة مقال تحت عنوان (انى أعترض) أذيع ١٢ مرة فى الاذاعة واستهدف كما قال صلاح البيطار (اثارة الناس على حزب البعث وعليه يقصـد اسـقاط حكومته) .

وتقرر سفر بعثة مصرية للعزاء يرأسها المشير عبد الحكيم عامر وتضم عبد الحميد السراج وأمـين هويـدى وعبد المجيد فريـد . وحـدد جمال عبد الناصر موعدا يلتقى فيه بالمشير والسفير السابق بالعراق أمين هويدى الذى أصبح وزيرا للاعلام ... ولكن المشير لم يحضر فى الموعـد ، رغـم انتظار جمال عبد الناصر وهويدى لمدة تزيد على الساعة .

---

(١) الوفد المصرى شكل من : جمال عبد الناصر ـ عبد اللطيف البغدادى ـ عبد الحكيم عامر ـ كمال الدين حسين ـ على صبرى ـ كمال الدين رفعت ـ أمين هويدى ـ عبد المجيد فريد .

والوفد السورى شكل من : الفريق لؤى الأتاسى ـ صلاح البيطار ـ نهاد القاسم ـ الفريق محمود الصوفى ـ عبد الكريم زهور ـ هانى الهندى ـ سامى صوفان ـ عبد الحليم سويدان ـ ميشيل العيسمى ـ سامى الجندى ـ اللواء راشد قطينى ـ العميد درويش الزونى ـ العميد غسان حداد ـ العقيد كمال هلال ـ العقيد فهد الشاعر ـ العقيد محمد عمران ـ المقدم فواز محارب .

والوفد العراقى شكل من : أحمد حسن البكر رئيس الوزراء ـ على صالح السعدى ـ صلاح مهدى عماش ـ طالب حسن شبيب ـ عبد الستار عبد اللطيف ـ محمود خطاب ،

انتهت المقابلة دون حضور المشير وعبد الناصر يردد (أقمل ايه في المشير بتاعكم ده ... حتى المواعيد لا يحترمها) .

كانت هذه ظاهرة من الظواهر التي توضح مناطحة المشير للرئيس ودخوله مرحلة عدم الاكتراث وفرض سلطته الذاتية .

سافر الوفد الى العراق بغير خطة منسقة ...

وكان موضوع خلافة عبد السلام عارف في قائمة الموضوعات المطروحة .

واستقر رأى المشير والسراج على تعيين عارف عبد الرازق رئيساً لجمهورية العراق ... وأرسل المشير برقية الى القاهرة يطلب ارسال طائرة خاصة حيث كان يقيم فيها بعد انقلابه الفاشل .

ولم يكن هذا الرأى متفقا مع تفكير السفير السابق أمين هويدى فبادر بارسال برقية الى عبد الناصر يحذر فيها من هذا التعيين ويوضح أخطاره ويطلب عدم ارسال عارف عبد الرازق تفاديا لحدوث كارثة على حد تعبيره .

وافق عبد الناصر على فكرة أمين هويدى التى عرضت عليه بعد نومه في الثانية بعد منتصف الليل . وبعد أن كان سامى شرف قد أبلغ عارف عبد الرازق الذى استعد فعلا للسفر ثم عاد فتراجع عن الاتصال به .

... ووافق جمال عبد الناصر أيضا على تعيين عبد الرحمن عارف في منصب شقيقه .

وعندما بلغ المشير عامر ثار وقرر مغادرة بغداد قبل وصول عبد الرحمن عارف من موسكو حيث كان في زيارة لها ... وعند وصوله العاصمة القاهرة ... والاسلام دين الدولة ... واللغة العربية لغتها الرسمية .

ومجلس الأمة يتشكل من مجلس نواب مدته ٤ سنوات بالاقتراع حر مباشر بأعداد تتناسب مع سكان كل قطر ... ومجلس اتحاد يتكون من عدد متساو من الأعضاء من كل قطر وينتخب انتخابا حرا مباشرا بالاقتراع السرى العام ومدته ٤ سنوات . ويكون عدد أعضائه ربع مجلس النواب على الأقل أو ثلثه على الأكثر .

يختص مجلس الأمة بنظر طلبات الانضمام للدولة الجديدة والموافقة بثلاثة أرباع الأصوات .

رئيس الجمهورية ينتخبه ثلثا أعضاء مجلس الأمة ويكون له ٣ نواب واحد من كل قطر ... ويكون لكل قطر رئيس ومجلس تشريعى منتخب ووزارة لها رئيس ومسئولة أمامه .

ويشكل مجلس رئاسة من عدد متساو من كل قطر يختارون بوساطة السلطة التشريعية ٠

كما تكون هناك وزارة اتحادية تضم وزارات الخارجية والدفاع ووزارة الاعلام والثقافة ووزارة التربية والتعليم والتعليم العالى والبحث العلمى ووزارة الخزانة والمالية ٠

تغير العلم ٠٠٠ وأضيفت نجمة خضراء ثالثة لاعلام سوريا والعراق ظلت حتى الآن بعد أكثر من عشر سنوات دون أن يربط ذلك بين الدول الثلاث للتى كان مفروضا أن تجرى استفتاء على غرار الولايات المتحدة بعد عشرين شهرا ٠٠٠ ولكن ذلك لم يحدث ٠

أثبتت مباحثات الوحدة أن تناقضات كثيرة مازالت تسيطر على العلاقات بين القيادات السياسية فى الدول الثلاث ٠٠٠ وأنها ترجع فى معظمها الى عدم امكان الوصول الى صيغة مناسبة للتعاون بين نظام الحكم فى مصر وبين حزب البعث ٠٠٠

فكل منهما كان يعتبر نفسه المؤهل للقيادة ، والأكثر أحقية بالانفراد فى السلطة ٠

وأثبتت أيضا أن العسكريين فى سوريا قد وثبوا بملابسهم الرسمية الى الصفوف الأولى بعد انقلاب ٨ مارس الذى انتهى الى تشكيل مجلس وطنى لقيادة الثورة معظمه من العسكريين ٠

وأظهرت المحادثات أيضا أن هناك تناقضات داخل سوريا بين البعثيين وبين غيرهم من القوى الوطنية والتقدمية ٠٠٠

وكان ذلك واضحا فى المناقشات التى أظهرت بصورة واضحة أن التيار الرئيسى فى السياسة السورية كان تيارا بعثيا ٠٠٠ بل كانت هناك تناقضات أيضا فى صفوف البعث ٠

وعند انقلاب ٨ مارس تحددت اقامة مصطفى حمدون وعبد الغنى قنوت من ضباط البعث السابقين وهرب أكرم الحورانى ٠

وبدأ صراع بين الضباط البعثيين وغير البعثيين من الناصريين والقوميين ٠

لعب لؤى الاتاسى وزياد الحريرى دور التعاون مع البعثيين لتصفية القوميين أو الناصريين ٠

خرج محمد الصوفى وزير الدفاع ورشاد قطينى معاون رئيس الأركان ٠

وأرسل وفد عسكرى الى بغداد يوم ٢٨ ابريل لمناقشة الشئون العسكرية وعند عودته وجد أفراده انهم اما قد تعينوا فى مناصب خارج الجيش أو حددت اقامتهم ٠

وشعر الوحدويون أن تناقضات حادة قد بدأت تظهر بينهم وبين البعثيين ٠٠٠ واستقال من الوزارة نهاد القاسم نائب رئيس الوزراء ، وعبد الوهاب حومد من الجبهة العربية المتحدة ، وسامى صوفان من الوحدويين الاشتراكيين وهانى الهندى من القوميين العرب ٠

التنظيمات القومية متعددة ٠٠ وهى تزداد انقساما وتشرذما ٠٠٠ بينما البعث يسعى لتوحيد صفوفه وتماسك تنظيماته ٠

الشارع فى سوريا مازال مع الوحدة ٠٠٠ والفرصة ليست مهيأة تماما لانفراد البعث بالحكم ٠٠٠ ولؤى الأتاسى فى القاهرة يوم ٨ مايو ١٩٦٣ فى محاولة لتهدئة الأمور ٠٠ ويذهب الى بغداد فى ٤ يونيو حيث يلتقى ضمن مقابلته بالسفير المصرى أمين هويدى حيث يصارحه بأهمية تعديل الاتفاقية ليكون حزب البعث فى مكان الجبهة ٠

انحاز لؤى الأتاسى للبعث ٠

وساعدت سياسة القاهرة الحادة فى رفض التعاون مع البعث على اقتراب الموقف من الانفجار ٠

وخطب جمال عبد الناصر يوم ٢٣ يوليو قائلا (يعز على أن يكون العيد هنا والحزن هناك فى دمشق) ٠٠٠ كان خطر التجول فى يومه الخامس واعتقالات القوميين مستمرة ٠٠ وقال جمال عبد الناصر انها قد تحولت الى معسكر اعتقال كبير ٠

وحسم عبد الناصر بكلماته قضية الوحدة ، ومزق لتائجها عندما خطب يوم ٢٦ يوليو قائلا (ج ٠ ع ٠ م ليست مستعدة للوحدة مع حكومة ساحات الاعدام الفاشستية ، ج ع م ليست مستعدة للوحدة مع حكومة حظر التجول الفاشستية ٠ وكانت اتفاقية الوحدة مع الشعب السورى ولم تكن أبدا مع حزب البعث الفاشيستى ٠٠ شعب سوريا الآن فى معسكر اعتقال كبير ، والوحدة هى عملية تقرير مصير ولا يمكن أن تتم عملية تقرير المصير تحت ظلال المشانق ، أو فى معسكرات الاعتقال) ٠

وفى ٢٧ يوليو انتهى دور لؤى الأتاسى وزياد الحريرى وحدث تغيير انقلابى وضع أمين الحافظ رئيسا للدولة واستمر صلاح البيطار رئيسا للوزارة ومحمد عمران الذى استمر قائد اللواء المدرع حتى تحرك به ليفرض ارادته ٠٠٠ وزيرا للدفاع ٠

حدوث هذا التغيير ووثوب عسكرى سورى الى مركز السلطة أبعد فكرة الوحدة ، وجعلها تتراجع الى الخلف ··· وكان فى هذا التغيير بداية اضعاف سلطة البعث كحزب سياسى ، وظهور العسكريين فى صفوفه كقوة رئيسية محركة ·

يقول أمين الحافظ ان ما تعرض له حزب البعث خلال فترة الوحدة من حل وما تعرض له بعدها من تمزق ، خلق وجهة نظر بين البعثيين والعسكريين تقضى بازاحة كبار قادته بطريقة عسكرية ··· أى عن غير طريق لائحة الحزب ودستوره ·

وكان وصول العسكريين للسلطة فى دمشق تحت واجهة حزب البعث بمثابة النهاية لأحلام الوحدة بين مصر وسوريا ·

كان حذر جمال عبد الناصر من الانقلابات العسكرية وخشيته من وصول عدواها الى مصر ، ورفضه أسلوب التعاون معها ، هى العوامل التى جعلت تيار الوحدة العربية مع سوريا ينحسر ··· بل ويجف ·

وهكذا بدأت علاقة العسكريين فى مصر مع العسكريين فى سوريا خلال حكم أديب الشيشكلى ··· وتحققت الوحدة بارادة العسكريين السوريين من مختلف الاتجاهات ··· ثم حدث الانفصال بعودة الجيش السورى الى أسلوب الانقلابات العسكرية التى أنهت الرغبة فى عودة الوحدة ·

الوحدة والانفصال ··· لعب فيها العسكريون السوريون والمصريون الدور الأول والأخير أيضا ·

واستمر حكم أمين الحافظ الى ٢٣ فبراير ١٩٦٦ حيث انتهى بانقلاب عسكرى بعثى قال عنه بيان الحزب (ان حركة ٢٣ شباط كانت الوسيلة الوحيدة التى بقيت بين أيدى الرفاق لانقاذ الحزب والثورة ، وهى وان كانت حلا غير نظامى لتقاليد الحزب الديموقراطية الا أنها تأخذ مبرراتها الثورية من تصديها النضالى للمؤامرات الفعلية التى كانت تحاك لسحق الثورة والغاء دور الحزب) ·

هذا هو الانقلاب الخامس عشر فى سوريا بعد الحرب العالمية الثانية ·

وثبت الانقلابات العسكرية مرة أخرى الى ساحة العمل السياسى فى سوريا ، مرتدية ثياب حزب البعث العربى الاشتراكى واتجهت خطوات

قادة هذا الانقلاب ـ نور الدين الأتاسى رئيس الجمهورية ويوسف زعين رئيس الوزراء وابراهيم ماخوس وزير الخارجية ـ الى التقارب مع مصر ، الأمر الذى انتهى الى عقد اتفاقية (الدفاع المشترك) .

(اتفاقية الدفاع المشترك) كانت البداية لفترة هامة فى تاريخ مصر وسوريا ، ترد تفصيلا فى الجزء الرابع من قصة ثورة يوليـو (خريف عبد الناصر) .

الباب الثالث

القاهرة .. وبغداد

(اذا اتحدت القاهرة وبغداد في المعركة ضد الامبريالية ، تعاظمت فرص قوى التحرر الوطني العربي في تحقيق اهدافها القومية والاجتماعية)

الفصل الأول

الانقلابات العسكرية فى العراق

(كان انقلاب بكر صدقى فى
اكتوبر ١٩٣٦ فاتحة دخول
العسكريين لميدان السياسة فى
الوطن العربى)

كان ذهاب بعض الجماهير الى السفارة المصرية فى بغداد يوم ٢٢ مايو ١٩٥٣ لمطالبة حكومة الثورة فى مصر بأن ينص فى الدستور الجديد على أن مصر دولة عربية ، كما نشرت جريدة المصرى فى ذلك الوقت ، باعثا من بواعث الاهتمام بالقومية العربية لدى قادة ثورة يوليو ٠

وكانت زيارة نورى السعيد للقاهرة عام ١٩٥٣ ، وعرضه على المسئولين فيها مشروعا لتوحيد البلاد العربية على الأساس التالى : العراق وسوريا والأردن وفلسطين فى دولة واحدة ومصر والسودان فى دولة ثانية ، والمغرب العربى فى دولة ثالثة والسعودية واليمن والخليج فى دولة رابعة ٠٠٠ بداية أهتمام بموضوع الوحدة ، رغم رفض جمال عبد الناصر فكرة مناقشة الموضوع وقوات الاحتلال البريطانى مازالت فى القاهرة ٠

وعندما قام صلاح سالم بجولته الأولى فى البلاد العربية ، زار العراق فى أغسطس ١٩٥٤ ، واستقبله الوصى على العرش الأمير عبد الاله ونورى

السعيد فى مصيف سرسنك بشمال العراق ، واحتفى به احتفاء شديدا فى محاولة لاجتذابه الى أفكاره ، التى اشتهر بها فى الوطن العربى ٠٠ زار معه عرسا كرديا ، وعقد معه عدة جلسات ، صرح بعدها صلاح سالم عدة تصريحات لم يرحب بها جمال عبد الناصر ٠

قال صلاح سالم انه من حق أية دولة عربية أن تنضم الى أخرى فى وحدة واحدة ، وكان فى ذلك موافقة غير مباشرة على مشروع الهلال الخصيب الذى بذر البريطانيون فكرته وتعهدها بالنمو نورى السعيد وغيره من الساسة المتعاونين باخلاص مع بريطانيا ٠

وقال صلاح سالم أيضا أنه يؤيد دعم الجامعة العربية وميثاق الضمان الجماعى ، على أن يتم التشاور مع الولايات المتحدة وبريطانيا فى هذا السبيل ٠

واعتبر جمال عبد الناصر هذه التصريحات سابقة لاوانها ، ومضعفة لموقف المفاوض المصرى فى مواجهة الاحتلال البريطانى ، ومؤيدة بطريقة غير مباشرة لمشروعات استعمارية مشبوهة ، فاستدعى السفير العراقى فى مصر ، وأوضح له أن سياسة مصر لا تتفق مع وضع ميثاق الضمان الجماعى تحت الرعاية الانجلو أمريكية ، ولا تؤيد مشاريع الوحدة قبل اكتمال التحرر الوطنى ٠

كانت مقابلة صلاح سالم مع نورى السعيد هى مقابلة عسكريين من جيلين مختلفين ، فنورى السعيد كان ضابطا سابقا متخرجا فى الأكاديمية العسكرية باستنبول عام ١٩١٠ وعمره ٢١ سنة ، وحارب فى صفوف الجيش العثمانى فى حرب البلقان عام ١٩١٢ ، وانضم لجمعية العهد التى ضمت عددا من الضباط والمدنيين العرب من دول مختلفة دفاعا عن القومية العربية عام ١٩١٤ ، ثم هرب فى نفس العام الى مصر ثم البصرة ، حيث اعتقله البريطانيون عند غزوهم لها فى نوفمبر من نفس العام ، وأمضى عام ١٩١٥ أسير حرب فى الهند ، ثم انتقل فى نهاية العام الى مصر حيث حارب فى صفوف الحلفاء ، وانتقل عام ١٩١٦ الى الحجاز حيث وصل الى منصب رئيس أركان حرب فى جيش الشريف حسين تحت قيادة جعفر العسكرى ٠٠٠ وكان كل من نورى وجعفر متزوجا من شقيقة الآخر ٠

شارك نورى السعيد فى هجوم الحلفاء على دمشق ٠٠٠ وعاد الى العراق مع الملك فيصل الذى عينه الحلفاء ملكا عليها بعد خروجه من سوريا عام ١٩٢٠ بعد ثورة العراق ضد الاحتلال البريطانى والتى بلغ عدد القتلى والجرحى فيها حوالى ١٢٫٠٠٠ ٠

تكون الجيش العراقى لأول مرة فى ٦ يناير عام ١٩٢١ ، وكان (اللواء) نورى السعيد أول رئيس أركان حرب لهذا الجيش ، بينما تولى جعفر العسكرى منصب وزير الدفاع ··· ثم تولاه بعده نورى السعيد من عام ١٩٢٢ الى عام ١٩٢٤ ··· وأصبح رئيسا لوزراء العراق عام ١٩٣٠ ·

كانت مقابلة صلاح سالم مع نورى السعيد لقاء بين جيلين ·· شاب فى الرابعة والثلاثين ، وشيخ فى الرابعة والستين ·· عسكرى لم يمارس السياسة الا من عامين ··· وعسكرى شغلته السياسة منذ أربعين عاما ·

كان الفرق بعيدا ومتنافرا بين أهداف العسكريين المصريين الذين تحركوا ليلة ٢٣ يوليو ، وبين أهداف العسكرى العجوز والسياسى المخضرم ·

مقاومة الاحتلال البريطانى والكفاح المسلح ضد قواته أمور لم تكن واردة فى رؤية نورى السعيد ، الذى حاول التوسط مع الحكومة الوفدية لوقف الكفاح المسلح فى القناة قبل الثورة ··· والذى يحاول اليوم ممارسة دوره فى احتواء العسكريين المصريين ·

كان نورى السعيد معروفا بأنه ربيب البريطانيين والداعية الأكبر لسياستهم فى المنطقة والمنفذ لها باخلاص شديد ·

اول انقلاب عسكرى فى الوطن العربى :

لجأ نورى السعيد الى السفارة البريطانية عندما قام اللواء بكر صدقى نائب رئيس أركان حرب بأول انقلاب عسكرى شهده الوطن العربى فى القرن العشرين ·

انتهز بكر صدقى فرصة ذهاب رئيس أركان الحرب اللواء طه الهاشمى الى تركيا والقى فى الثامنة والنصف من صباح يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٣٦ منشورات موقعة منه ومن الزعيم (الاميرالاى) عبد اللطيف نورى ، تطلب استقالة وزارة يس الهاشمى وهو ضابط أقدم من نورى السعيد الذى كان وزيرا للخارجية فى وزارته ، وكان رشيد عالى الكيلانى وزيرا للداخلية ·

المنشورات حملت انذارا يقضى بضرورة الاستقالة خلال ثلاث ساعات ، وتعيين وزارة جديدة يرأسها حكمت سليمان :

رفض يس الهاشمى وقرر المقاومة ·

لم يكن الانقلاب موجهـا ضـد الملك غازى الذى خلف والده الملك فيصل بعد وفاته فى ٨ سبتمبر ١٩٣٢ ·

بل قيل انه كان يعلم به ، وشـجع عليه ضد طموح يس الهاشمي ورغبته فى اقامة نظام جمهورى بدل النظام الملكى ·

وعجز الملك عن اقالته بحكم الدستور مادام حائزا لثقة البرلمان ·

وفى الحاديـة عشرة والنصف تمامـا انطلقت خمس طائرات تلقى قنابل بجوار مكتب رئيس الوزراء والبرلمان حيث قتـل عدد من المـارة ، بينما كانت قوات بكر صدقى تقترب من دخول بغداد ·

عقد مجلس الوزراء اجتماعا برئاسة الملك ، حضر السفير البريطانى جانبا منه ، وانتهى الأمر بتقديم الاستقالة ، وتعيين حكمت سليمان خريج حقوق استنبول رئيسا للوزراء ··· وذلك بعد قتـل بكر صـدقى لوزير الدفاع جعفر العسكرى بمسدسه ، وهو الرجل الذى كان يعتبر أبا للجيش العراقى ، والذى حاول التدخل لتهدئة الحال ·

ودخل بكر صدقى بغداد فى الخامسة مساء ··

نفى يس الهاشمى الى سـوريا حيث مات بعد عـدة شهور ؛ ولجـأ نورى السعيد للسفارة البريطانية حيث نقل منها الى مصر ولم يعد الا بعد تعيين جميل المدفعى ·

كان انقلاب بكر صدقى هو فاتحة دخول العسكريين لميدان السياسة فى الوطن العربى ، وقد تشكلت الوزارة الجديـدة وفيها بعض العنـاصر التقدمية مثل كامل الجادرجي الذى عين وزيرا للاقتصاد ، وكان بكر صدقى على صلة سابقة بجمعية (الأهالى) اليسارية · ولم يدخـل الوزارة سوى وزير عسـكرى واحد هو الاميرالاى عبد اللطيف نورى الذى عـين وزيرا للدفاع ، والذى كان يمثل الرجل القوى فى الوزارة ، الذى يوجه خطابات الى رئيس الوزراء بأن يعاملوا الناس بالعدل والعطف ، الى غـير ذلك من التوجيهات ··

استقبل الشعب العراقى انقلاب بكر صدقى باعتباره حركة معادية للاستعمار البريطانى ، وأيدهـا لما ظن فى الوزارة من اتجاهـات تقدميـة اشتراكية ··· ولكن بكر صدقى لم يكن اشتراكيا ·

ولم يعش قائد أول انقلاب عسكرى مدة طويلة فقـد قتله شـاويش عراقى فى الموصـل يوم ١١ أغسطس ١٩٣٧ وهو فى طريقـه الى الحدود التركية لحضور مناورات عسكرية ·

القادة العسكريون الجدد :

الذين تآمروا ضد بكر صدقى كانوا سبعة ضباط ۰۰۰ وقد واصلوا تدخل العسكريين فى السلطة عندما ثار الضباط ضد محاولة الوزارة محاكمة المتهمين باغتيال بكر صدقى ۰۰۰ واضطر حكمت سليمان للاستقالة يوم ١٧ أغسطس ١٩٣٧ حيث خلفه جميل المدفعى بارادة الضباط أيضا ۰

ورسم جميل المدفعى لوزارته هدفين :

اولا : ابعاد الجيش عن السياسة ۰

ثانيا : اسدال الستار على أحداث الماضى وقتل جعفر العسكرى وبكر صدقى ۰

نجح المدفعى فى الهدف الثانى ۰۰ أما الهدف الأول فقد عجز عن تحقيقه لأن الادارة العسكرية أصبحت هى الأقوى وصاحبة اليد العليا فى السياسة العراقية ۰

وتواجد الضباط فى ميدان السياسة العراقية ، ووصولهم الى مناصب الوزارة كان أمرا طبيعيا مقترنا بظروف العراق الخاصة حيث خلت العراق من الكليات التى تخرج المثقفين ۰ واعتمد فيصل فى بداية حكمه على العسكريين الذين تعاونوا معه والذين درس أغلبهم فى استنبول فكانوا من أكثر الناس ثقافة فى العراق ۰۰۰ وكانت الأكاديمية العسكرية تقبل كل عام من ٦٠ الى ٧١ طالبا من القادرين ماديا ۰

كانت هناك ٣ مدارس ثانوية فى بغداد والموصل والبصرة فقط ۰

وكانت هناك مدرسة حقوق أنشأها الأتراك ومدة الدراسة فيها ستة أشهر ولم تكن هناك مدارس طب أو هندسة أو زراعة أو علوم ۰

المدرسة الحربية انشئت عام ١٩٢٤ ۰۰۰ وكان يدخلها كل من يعرف القراءة والكتابة دون حاجة الى شهادة مدرسية ۰۰۰ ادخل فيصل اليها أولاد رؤساء العشائر دون تفرقة بين العرب والأكراد والتركمان والأشوريين فى محاولة لدمج القوميات المختلفة فى وطن واحد ۰ كما أدخل اليها بعض أولاد الضباط وبعض أولاد الأسر الثرية ۰

كان فيصل مهتما بالجيش ، ويعتبر وحدته هى الأساس لوحدة الوطن الجديد ۰۰۰ سجل نفسه عند انشاء الجيش باسم الجندى المتطوع فيصل بن حسين وحصل على رقم ١ ، ومعروف أن لكل جندى فى الجيش رقما خاصا ۰

المدرسة الحربية لم تحول الى كلية يدخلها حامل البكالوريا أو الثانوية العامة الا عام ۱۹۳۲ وهى السنة التى دخل فيها عبد الكريم قاسم ٠٠ وكانت مدة الدراسة سنتين يحصل خلالها الطالب على راتب جندى متطوع دينار ونصف ، راتب الجندى العادى كان ٤٠٠ فلس فى ذلك الوقت ٠

لم تكن الكلية الحربية مثل نظيرتها فى مصر ، يدفع الطالب اليها مصاريف كبيرة تعجز الكثيرين عن دخولها ، وتحدد الطبقة التى ينتمى اليها الضباط ، المجانية فتحت الأبواب لأبناء الأسر البسيطة ، فعبد الكريم قاسم كان ابن نجار فى بغداد ٠

ومع هذا فقد كان الجيش يضم عددا كبيرا من أبناء رؤساء العشائر والأسر الثرية لعدم وجود مجال آخر للتعليم أولا ، وثانيا للمركز التاريخى التقليدى للضباط الذين درسوا فى استنبول ٠٠٠ فكان هناك ضباط من عائلات كبيرة مثل العمرى والسويدى والراوى والداغستانى وغيرها ٠

وهكذا ظل العراق فترة طويلة يقف الضباط فيه على السطح ، يتولون مناصب المتصرفين ـ المحافظين ـ والمناصب الادارية الكبرى بالوزارات أيضا ، حتى بدأت الجامعة العراقية التى أنشاها فيصل عام ١٩٢٤ فى تخريج دفعاتها فى مختلف مجالات الثقافة ٠

وأدت هذه الظاهرة الى خلق روح عسكرية فى المجتمع ، وبعث روح من الجدية فى صفوف الجيش ، الذى استمر فارضا ارادته وسيطرته رغم مصرع بكر صدقى ٠

الضباط السبعة هم الذين فرضوا جميل المدفعى ، وهم الذين أجبروه على الاستقالة عندما ترك وزارة الدفاع لاحد ضباط جمعية العهد ، صبيح نجيب الذى استخدم سياسة « فرق تسد » وفكر فى فصل بعض ضباط الجيش ٠

استقال جميل المدفعى ، وكانت المفاجأة أن الضباط السبعة الذين اجتمعوا على معاداة الاحتلال ، قد فرضوا نورى السعيد ربيب الانجليز رئيسا للوزراء فتعين فى ديسمبر ١٩٣٨ ٠

ولعل قرارهم ذلك كان يخفى الرغبة فى التخلص من بقايا الضباط المؤيدين لبكر صدقى ٠٠ ويضع فى مركز رئاسة الوزراء رجلا معاديا له ، ولصبيح نجيب الذى حاول تمزيق وحدتهم وفصل بعضهم أيضا ٠

وتدخل الضباط السبعة مرة أخرى بعد فترة لا تزيد عن أربعة أشهر عندما قتل الملك غازى فى حادث سيارة مشبوه داخل القصر يوم ٤ ابريل

١٩٣٩ وأصابـع الاتهام كانت تشير للقوات البريطانية التى وجدت فيـه شخصية وطنية غير طيعة ٠

فرض الضباط السبعة الأمير عبد الاله خـال الملك الجديد فيصـل الثانى ـ ٢٦ سنة ـ بدلا من الأمير زيد شقيق الملك فيصـل وصـيا عـلى العرش ، ليكون أكثر طواعية فى أيديهم ٠

وفى أكتوبر ١٩٣٩ وصل الحاج أمين الحسينى الى بغداد بعد شهر من قيام الحرب العالمية ليقيم فيها وعقـد صلة وثيقـة مع هؤلاء السبعة ، بحيث أصبح منهم فى مركز الموجه والمرشد ٠

أشهر السبعة كان الزعيم صلاح الدين الصباغ مدير العمليات برئاسة الأركان الذى ولد فى الموصل عام ١٨٩٩ وأسرته كانت تنتمى الى دمياط ٠٠ وكان ضابطا فى الجيش العثمانى ثم عمل مع فيصل ، وزملاؤه هم مقـدم محمود سليمان وكمال شهيب وفهمى سعيد وعزيز بمولكى ومعهـم لواء حسين فوزى وأمين العمرى قائد الفرقة الأولى ٠

وفى منتصف فبراير ١٩٤٠ فاجأهم نورى السعيد برغبتـه فى أن يكون وزيرا للخارجية وأن يصبح رشيد عالى الكيلانى رئيسا للوزراء ٠

كان نورى يستهدف من ذلك دخول رشيد عالى الكيلانى فى دائرة الحكم التى تؤيد البريطانيين ، وخاصة بعد اغتيال وزير ماليته رستم حيدر لأسباب شخصية فى يناير ومحاولة نورى السعيد تصوير الموقف وكأنه مؤامرة نازية ٠

انقسم الضباط السبعة أمام هذه المفاجأة الى قسمين ٠٠ أقلية من حسين فوزى وأمين العمرى وعزيز بمولكى توافق على تعيين رشـيد عالى وعدم دخول نورى السعيد أو طه الهاشمى الى الوزارة الجديدة ٠ والأغلبية يقودها صلاح الصباغ تطالب باستمرار نورى السعيد ٠

وبقى نورى فى موقعـه رئيسا للوزراء ، وأصـدر قـرارا باخـراج الضباط الثلاثة الذين أخذوا منه موقف المعارضة ٠

واختزل السبعة الى أربعة ٠ البعض كان يطلق عليهم اسم الفرسان الأربعة والبعض اسم المربع الذهبى المتوج ٠

وبدأ نورى فى تنفيذ سياسته حتى أقنع رشيد عالى بقبول رئاسة الوزارة فى ٣١ مارس ١٩٤٠ ٠

وخلال هذه الفترة أمد الانجليز الجيش العراقى بأسلحة حديثة شملت الطائرات والدبابات المتوسطة والخفيفة ·· عكس ما حدث فى مصر عندما صادروا اعطاء الجيش المصرى أسلحة حديثة ·

كان للانجليز أصدقاء مخلصون فى مركز السلطة النافذة المؤثرة ·

وكان للألمان أيضا أصدقاء مخلصون ·· بعد انتصاراتهم المتكررة فى أول الحرب زاد عدد المؤيدين لهم ·

واقترح نورى السعيد ارسال فرقتين من فرق الجيش الأربع الى ليبيا أو البلقان ، واقترح أن يكون صلاح الدين الصباغ قائدا للحملة ·

وكان نورى السعيد يسير فى ذلك على نهج القوات السودانية والليبية والهندية وغيرها من التى أسهمت بالحرب مع الحلفاء ·· على عكس القوات المصرية التى تعاونت مع الحلفاء تعاونا محدودا لخشية الحلفاء من الموقف الوطنى الكامن فى صفوف الجيش المصرى منذ بدء الاحتلال البريطانى ·

وعندما بدأت كفة النازية تبدو راجحة ، استبد القلق بالبريطانيين وبدأ رشيد عالى يتعرض لضغوط تطالبه بقطع العلاقات مع ايطاليا واعطاء مزيد من التسهيلات للبريطانيين ·· ولاحظ فى شهر يناير ١٩٤١ أن أغلبية البرلمان قد أصبحت مهيأة ضده ، فطلب من الوصى حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة ·

ولم يقف الضباط الأربعة مع رشيد عالى ، وفضلوا استقالته وتعيين طه الهاشمى رئيسا للوزراء الذى اعتقدوا أنه سوف يكون أكثر ممالأة لهم ·

ولكن طه الهاشمى أصدر قرارا بنقل أحد الأربعة ، كامل شبيب ، من قيادة الفرقة الأولى فى بغداد الى الفرقة ٤ فى الديوانية جنوبا ، وأصبح واضحا أن الخطر يقترب من صلاح الدين الصباغ ·

حركة رشيد عالى الكيلانى :

وبوم ٢ ابريل ١٩٤١ أجبر اللواء أمين زكى رئيس أركان حرب وفهمى السعيد أحد الأربعة ، وقائد القوات المدرعة ـ طه الهاشمى على الاستقالة بعد ابلاغه أن الجيش يحاصر القصر الملكى وأنه فى شوارع بغداد ·

هرب الوصى من القصر بمساعدة الأمريكيين الى الحبانية ثم الى البصرة فشرق الأردن وكان معه نورى السعيد ·

ويوم ٣ ابريل أعلن رئيس أركان الحرب أن الجيش قد كلف رشيد عالى بتولى رئاسة الوزارة ٠

كان هذا هو التدخل السادس من جانب الجيش خلال خمس سنوات منذ ١٩٣٦ الى ١٩٤١ ٠

وجمع رشيد عالى البرلمان الذى أصدر موافقتــه على تعيين الشريف شرف وصيا بدلا من عبد الاله ٠

ورشيد عالى من سلالة عبد القادر الكيلانى أحــد الفلاسفة البارزين فى القرن الثانى عشر ٠٠ قبره فى بغداد ٠٠ وله طريقة معروفــة باسمه (القادرية) ٠٠ تولى رئاسة الوزارة لأول مرة عــام ١٩٣٣ ثم عين رئيسا للديوان الملكى عام ١٩٣٩ ٠

وكانت صلة رشيد عالى بالحاج أمين الحسينى وثيقة ٠٠ ولذا فقد اثارت حركته اهتمام كثير من الوطنيين فى العالم العربى الذين وجــدوا فيها انتفاضة ضد الاستعمار البريطانى ٠٠ وحاول عزيز المصرى اللحاق بها عن طريق الهرب جوا لولا سقوط طائرته واعتقاله ٠٠ وهرع الى بغداد أكرم الحورانى ومعه عدد من ضباط الجيش السورى ٠٠ وتشكلت لجنة لقيادة النضال فى سوريا وفلسطين والعراق كان فيها شكرى القوتلى وممثل للملك ســـعود ٠

واتخذت بريطانيا موقفا معاديا من رشيد عالى ٠٠ الذى ظهر تأييد المانيا النازية له فى اذاعاتها ، وامداد حكومة فيشى له ببعض الأسلحة من سوريا ٠

وفى يوم ٢٨ ابريل أعلن السفير البريطانى عن وصول قوات بريطانية الى البصرة ، نزلت فعــلا فى اليوم التــالى رغم معارضــة رشيد عالى الذى ارسل القوات العراقية لمحاصرة قاعدة الحبانية البريطانية ٠

وبدأت الحرب فعلا بين انجلترا والعراق ٠٠ الطائرات البريطانيــة تقصف مواقع القوات العراقيـــة ٠٠ وصلاح الصباغ الذى عين قائدا للجبهة الغربية أعلن عن قدرته مقاومــة الزحف البريطانى لمدة ٣ شهور حتى تصل الامدادات النازية ٠

ولكن هتلر لم يكن على استعداد لارسال قوات أو أسلحة كثيرة الى العراق ٠٠ كان يستعد لتنفيذ خطة (باربازوسا) لغزو الاتحاد السوفيتى ٠ يوم ٢٣ مايو ١٩٤١ ٠٠ وصلت الى الموصل ٣٠ طائرة فقط من قوات فيشى بسوريا ٠

حاولت تركيا التوسط على أساس بقاء رشيد عالى الكيلانى رئيسا للوزراء وبقاء القوات البريطانية فى البصرة ٠٠ وكاد رشيد عالى يوافق على ذلك ، ولكن صلاح الدين الصباغ رفض العرض وقرر المقاومة ٠

وقرر تشرشل ضرورة انهاء النفوذ الألمانى فى العراق ٠٠ وأرسل قوات بحرية من شرق الأردن وطائرات من مصر ٠

ولم تدم المقاومة العراقية طويلا ٠٠ وهرب رشيد عالى الكيلانى والحاج أمين الحسينى والضباط الى ايران يوم ٢٩ مايو ، ودخل الجيش الانجليزى بغداد يوم ٣١ مايو ثم وصل الموصل يوم ٤ يونيو ٠

بلغت الخسائر العراقية ٤٩٧ قتيلا ، ٦٨٩ جريحا ، ٥٤٨ مفقودا ، ١٠٠٠ أسير ٠٠ كانت الهزيمة أسرع مما توقع العراقيون ، ومما توقع العرب أيضا ٠

هرب رشيد عالى وأمين الحسينى الى ألمانيا ثم ايطاليا وأخيرا الى السعودية ٠٠ أما الضباط فتساقطوا فى أيدى القوات البريطانية وحوكموا على مراحل ٠

فهمى السعيد ومحمود سليمان أعدما فى ٥ مايو ١٩٤٢ ٠

أمين زكى رئيس الأركان السابق حكم عليه بالسجن ٥ سنوات ٠

كامل شبيب أعدم فى ١٦ أغسطس ١٩٤٤ ٠

صلاح الصباغ هرب من ايران الى تركيا حيث قبض عليه وتسلمه البريطانيون فى سوريا فى سبتمبر ١٩٤٥ وأعدم فى ١٦ أكتوبر من نفس العام فى بغداد ٠

كتب صلاح الدين الصباغ مذكراته أثناء وجوده بالسجن فى تركيا وقد نشرت فى لبنان عام ١٩٥٦ ٠

وانتهت بهزيمة ثورة رشيد عالى مرحلة التدخل العسكرى فى الشئون السياسية بالعراق ٠ وضعفت احتمالات القيام بانقلاب عسكرى بعد أن عاد الوصى ونورى السعيد وانتصر البريطانيون ٠

العسكريون المصريون والعراقيون ٠٠ وجها لوجه :

وقد تمت مقابلة صلاح سالم مع نورى السعيد فى سرسنك بعد هذا التاريخ الحافل الطويل وبعد أن استقرت الأمور فى العراق استقرارا كاملا لمدة ١٣ عاما قبل تاريخ اللقاء ٠

كان شبح الانقلابات العسكرية الذى عاد الى المنطقة فى سوريا عام ١٩٤٩ بانقلاب حسنى الزعيم وما تلاه ، يبعث السلطة العراقية على مزيد من الحذر ، ومزيد من الضغط أيضا ٠

ولكن حدوث هذا الانقلاب فى بلد ليس تحت الاحتلال البريطانى يبعث على الاطمئنان نوعا ما ٠٠ أما وقد وصلت الانقلابات العسكرية الى مصر ، والقوات البريطانية مازالت فيها ، فان هذا هو الأمر الذى كان يثير القلق فى نفس نورى السعيد ٠

والثوار العسكريون فى مصر ليسوا من القادة والجنرالات ولكنهم من البكباشية (المقدمين) وصغار الضباط ٠٠ وهذا مما يزيد فى قلق نورى السعيد ٠

والعسكريون فى مصر يجمحون فى العداء مع بريطانيا ، ويكررون نفس الدور الذى لعبته مجموعة صلاح الدين الصباغ فى ظروف زمنية وسياسية مختلفة ٠

واتفاقية الجلاء التى وقعت بالحروف الأولى قبل الزيارة لم تكن تعنى التسليم بمطالب البريطانيين ٠

ونورى السعيد يبدو ساحرا فى حديثه ، يستجمع ذكرياته ، ويستعرض تجاربه ، ويؤكد لصلاح سالم أن معاداة انجلترا هى بمثابة مناطحة الصخر ٠٠ وأن من حسن السياسة أن تكون مرنا مع البريطانيين لتكسب منهم الود والتأييد ٠

ولكن العسكريين فى مصر ، وقادة الثورة فيها ، لم يتجاوزوا الستين من العمر مثل نورى السعيد ، ولم ترتبط حياتهم بمصير الانجليز ٠٠٠ وهم قد شبوا متأثرين بهتاف الشعب ضد الاستعمار وقوات الاحتلال ٠

وزيارة صلاح سالم اقترنت بمحاولة تكوين حلف عسكرى غربى ، مرتبط بحلف الأطلنطى ، ويضم مصر والعراق ٠

وقال نورى السعيد أن العراق مهدد بخطر تسرب الشيوعية وأن حدوده قريبة من الاتحاد السوفيتى ٠٠

وقال صلاح سالم ان الارتباط مع الغرب يضاعف خطر انتشار الشيوعية ٠٠ وأنه من الأفضل أن يتم تعاون عربى وثيق ٠

عقليتان متنافرتان ٠

معركة حلف بغداد :

وبعد زيارة صلاح سالم للعراق ، تبين لجمال عبد الناصر أن مشروع الحلف العسكرى يقترب ، وأنه أصبح خطرا يهدد مصر ·

وانطلقت اذاعة (صوت العرب) تدعو كافة المواطنين العرب الى اتباع نموذج القاهرة ، والتحرر من القوات الأجنبية كما فعلت مصر بعد عامين فقط من ثورة ٢٣ يوليو ·· وعواطف الجماهير على امتداد الوطن العربى وخاصة فى العراق تلتهب مع هذه الاذاعات المثيرة·

.. واتبع نورى السعيد أسلوبا جديدا فى مقاومة هذا الهجوم الاعلامى عندما أعلن وزير خارجيته موسى شهبندر فى مؤتمر صحفى أثناء اجتماع لوزراء الخارجية العرب فى القاهرة ، بأن العراق لن ينضم لحلف مع تركيا والباكستان ، وانما سيستبدل ذلك بعقد اتفاقية مع بريطانيا تشابه اتفاقية مصر لمعها على أن يسمح بعودة القوات البريطانية الى العراق اذا هوجمت ايران وتعرضت لخطر الغزو ·

.. وأكد نورى السعيد أقوال وزير خارجيته أمام البرلمان العراقى يوم أول يناير ١٩٥٥ ، ولكن محاولته لوقف الهجوم على العراق لم تستمر فقد هبط بغداد بعد خمسة أيام فقط من خطبته عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا مع وفد كبير ، أمضى أسبوعا فى العراق ، وانتهى الأمر الى صدور بيان ١٢ يناير ١٩٥٥ يفيد بأن اتفاقا قد تم بين الدولتين على توقيع حلف دفاعى مشترك فى أقرب وقت ممكن ، وأنهما يتطلعان الى انضمام الدول الأخرى التى تفكر بمثل أسلوبهما ·

وكان هذا الاعلان صدمة حقيقية لجمال عبد الناصر ·· اذ تأكد ارتباط العراق بحلف الأطلنطى عن طريق تركيا التى كانت أول دولة من دول الشرق الأوسط ترتبط بهذا الحلف ·· ليس هذا فقط ·· بل ان الدولتين تسعيان لضم دول عربية ·

بدأت معركة الأحلاف ، التى دخلها جمال عبد الناصر بكل الثقل السياسى والاعلامى الممكن ·

كان حكام العراق يهتزون أمام الحملة الدعائية الواسعة ·· وعندما زار أنطونى ايدن رئيس وزراء بريطانيا مصر فى فبراير ١٩٥٥ طلب من جمال عبد الناصر أن يوقف حملات العداء ضد الأسرة الهاشمية ونورى السعيد ·· ولكن الحملات لم تتوقف ، فان حكومة العراق لم تتراجع عن انزلاقها للارتباط بالاحلاف ، فوقعت مع تركيا وثيقة حلف عراقى تركى

مشترك كانت هى خميرة حلف بغداد الذى انضمت اليه بريطانيا بعد مؤتمر باندونج فى شهر ابريل ١٩٥٥ ومعها ايران وباكستان بعد أن أنهت معاهداتها المعقودة مع العراق عام ١٩٣٠ ٠

العراق ، أول دولة عربية ، بل أول وآخر دولة عربية ترتبط بأحلاف الغرب العسكرى ٠

قبضة السلطة تشتد على الجماهير العراقية ٠٠ ولكن الموقف لا يبعث على اليأس ٠٠ وتحت السطح تتوهج الادارة والتنظيمات الشعبية والعسكرية أيضا ٠

الحزب الشيوعى العراقى الذى تأسس عام ١٩٣٤ كان قد أصبح له نفوذ كبير فى مختلف المجالات الجماهيرية ٠٠ ومنها القوات المسلحة ٠

ووقع العسكريون العراقيون تحت تأثير عدة عوامل جوهرية فى هذه المرحلة التاريخية :

أولا : التأثر بالنضال الشعبى المضاد للاستعمار داخل العراق علنيا أو سريا ٠

ثانيا : النموذج الحى الماثل أمامهم فى انقلابات سوريا المتكررة ، وفى ثورة يوليو التى صعدت بالعسكريين الى قمة السلطة ٠

ثالثا : تقاليد التدخل العسكرى فى محيط السياسة العراقية والذى استمر خمس سنوات كاملة من ١٩٣٦ حتى ١٩٤١ ٠

رابعا : حرب فلسطين وما كشفت من ذهاب الجيش العراقى للمعركة وهو غير متأهب لها ، وخضوع قيادة القوات (لواء طاهر الزبيرى وزعيم رفيق عارف) لتعليمات الاستعمار ، الأمر الذى انتهى الى تكوين دولة اسرائيل ٠

خامسا : موجة المد الوطنى والشعبى التى اجتاحت المنطقة بعد تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس ، ومواجهة العدوان الثلاثى ثم انسحاب القوات المعتدية ٠

الفصل الثانى

ثـورة ١٤ يوليـو ١٩٥٨

(ان الثـورة العراقيـة نصر عظيـم للقومية العربية)

جمال عبد الناصر

فى حديث مع الصحفى الهندى كارانجيا

(ثورة العراق هى اول ثورة حقيقية فى العالم العربى)

مكسيم رودنسون

الكاتب الفرنسى

كل هذه العوامـل دفعت الضبـاط الى محاولة تشـكيل تنظيمـات عسـكرية متفرقة بدأت على حذر ، ولم ترتبط بالأحزاب السياسية اذا استثنينا الحزب الشيوعى ٠

وكان موقف العراق قريبا من السعودية فى ذلك الوقت ٠٠ اجتمع الملكان سعود وفيصل العراق فى مايـو ١٩٥٧ وأصـدرا بيانا جاء فيه (ان الاتحاديين السعوديين والهاشميين قدوة للعـالم العربى وكل عدوان على العراق يعتبر عدوانا على السعودية) ٠

تعددت تنظيمات الضباط ولم تتح الفرصة لحصرها حصرا كاملا ، أو التعرف على حقيقة حركتها ، الا من أقوال بعض الضباط مثل اللواء حميد سيد حسين .

من التنظيمات الأولى تنظيم مقدم مهندس رفعت الحاج سرى (ابن أخت جميل المدفعى رئيس الوزراء السابق) الذى نقل الى ضابط تجنيد بالجنوب فى منطقة العمارة قرب البصرة ، ثم أحيل الى التقاعد فضعفت حركته .

وتنظيم قام به عقيد شاكر محمود شكرى آمر اللواء ١٤ ، الذى نقل رئيسا لبعثة العراق العسكرية فى ليبيا .

وتنظيم ثالث قام به عقيد عبد الغنى الراوى فى البصرة .

وتنظيم رابع للعقيد اسماعيل على فى الديوانية .

ولكن أهم هذه التنظيمات وأكثرها قدرة على اجتذاب غيرها ، كان تنظيم عبد الكريم قاسم الذى ضم رجب عبد المجيد وصبحى عبد الحميد وعبد السلام عارف وكان مفروضا أن يعين عبد الكريم قاسم آمرا لأحد الألوية .

ولكن رفيق عارف رئيس أركان حرب الجيش عين شقيقه بدلا منه .

ولم يخضع عبد الكريم قاسم .. وانما ذهب الى نورى السعيد الذى أصدر الأوامر بتعيينه ، فصدر قرار تعيينه آمرا للواء ١٩ مشاة الذى ظل قائدا له حتى ثورة ١٤ يوليو .

واستلطف نورى السعيد شخصية عبد الكريم قاسم فقربه اليه وكان يدلله باسم (كورمى) كما أكد لى زميله اللواء حميد .. ويبدو أن وصفى طاهر ياور نورى السعيد قد لعب دورا فى دعم هذه العلاقة ، لأنه كان منضما لتنظيم صبحى عبد الحميد ، وقد ساعده منصبه على الحركة وجمع المعلومات وتضليل أجهزة الأمن أيضا .

وقد أسهم وصفى طاهر فى وحدة تنظيم صبحى عبد الحميد مع تنظيم قاسم تحت قيادة الأخير فى نهاية ١٩٥٧ كما جاء فى محاضر محكمة الشعب .

واستغل عبد الكريم قاسم علاقته بنورى السعيد فى مواصلة نشاطه السرى ، ولكن رفيق عارف كان يرصد حركته وأبلغ نورى السعيد الذى صارح عبد الكريم قاسم بمعلوماته وشكوكه .. ولكن قاسم قال له انه

يعانى من اضطهاد رفيق عارف لأنه محسوب على نورى السعيد بعد تعيينه آمرا للواء ١٩ ، ولذا فهو يريد الايقاع والتفرقة بين الرجلين ..

وخلال هذه الفترة اقترح عبد الكريم قاسم ادخال عبد السلام عارف الى التنظيم الموحد .. ورغم اعتراض البعض فان قاسما أصر على دخوله وكانت هذه هى بداية العلاقة بين الرجلين .. عبد الكريم قاسم آمر للواء ١٩ مشاة ، عبد السلام عارف آمرا لأحد أفواج اللواء ٢٠ مشاة والاثنان تجمعهما الفرقة ١٣ مشاة .

لم تكن هناك منشورات تصدر باسم الضباط الأحرار من باب الحذر والسرية ، حيث كانت قبضة أجهزة الأمن فى السلطة العراقية اشد وأعنف منها فى مصر ، التى كان النظام الملكى قد بلغ فيها جوا من التفسخ يصعب علاجه ولأن أجهزة أمن حلف بغداد كانت منتشرة فى العاصمة التى اختيرت مقرا له .

كانت ظروف العمل داخل الجيش صعبة ومعقدة ، وكانت الشكوك اذا لاحقت أحدا أبعدته فورا عن المناصب القيادية الحساسة أو عن الجيش كلـه .

لم تقتصر حركة هذه التنظيمات داخل حدود العراق .

العسكريون المصريون كانوا يعقدون الصلات مع غيرهم من العسكريين فى المنطقة كلما أتيحت الظروف المناسبة .

جمال عبد الناصر أبلغ خالد محيى الدين أنه على اتصال بالضباط الأحرار العراقيين ، وذلك فى شهر ابريل ١٩٥٨ قبـل اشتعال ثورة ١٤ يوليو .

وقال عبد الناصر لخروشـوف فى موسكو حسب رواية هيكل ان (قاسم وعارف) قد اتصلا بعبد الحميد السراج فى مدينة (الرقعا) على الحدود وأبلغاه بأنهما فى حركة ما .

وكان سفير مصر فى السعودية (عبد الحميد صبور) وهو ضابط على اتصال بعبد الكريم قاسم قائد اللواء ١٩ مشاة وعبد السـلام عارف أثناء وجودهما فى منطقة H_3 بالاردن عام ١٩٥٦ عقب استدعاء الأردن لهم بعد الغزو الثلاثى لمصر ، اعرف أن هناك تنظيما عراقيا ، وقد أمدهما ببعض المتفجرات .

ويقول أمين هويدى انه كان هنـاك اتصـال خـاص مع صبحى عبد الحميد .

وكان سفير مصر في السعودية (عبد الحميد صبور) وهو ضابط سابق على اتصال وثيق بنجيب الربيعي سفير العراق في السعودية أيضا وهو ضابط سابق مثله سبق له أن قدم استقالته أثناء حرب فلسطين احتجاجا على عدم قدرته على حماية قواته ثم سحبها تحت ضغط القائد العام .

كان نجيب الربيعي على اتصال بالضباط العراقيين في تنظيم عبد الكريم قاسم الذي اختار اسم (الضباط الأحرار) أيضا ، ويقول عبد الحميد صبور أنه كان هناك اتصال دائم بينهما محوره الرئيسي حركة الضباط الأحرار في العراق .. وأنه قد أبلغه أن انقلابا سيتم في العراق يوم ١١ مايو ١٩٥٨ فأسرع بابلاغ ذلك الى مكتب جمال عبد الناصر ولكنه أبلغه بالتأجيل في آخر لحظة .

ويقول عبد الحميد صبور أيضا ان نجيب الربيعي قد تراجع خلال فترة ما من اتصالاتهما بدعوى أن مصر تأخذ اتجاهات يسارية متطرفة .

ولكن الصلة بينهما عادت الى طبيعتها بعد اعلان الجمهورية العربية المتحدة .

يؤكد هذه الحقيقة ما يقوله صبور من أنه عند اعلان ثورة العراق قفل الربيعي السفارة ، ورفع سماعة التليفون ، وأبقى علم فيصل مرفوعا لمدة ٣ أيام حتى حضرت طائرة عراقية خاصة لتحمله الى بغداد رئيسا لمجلس السيادة .

خطة الانقلاب أعدت تحت الاسم الكودي (صقر) .. وكان التوقيت مناسبا .. الحرب الأهلية في لبنان تزداد اشتعالا .. والأردن والعراق انضما في اتحاد واحد .. والأمير عبد الاله ونوري السعيد كان قد تحدد سفرهما الى إستنبول يوم ١٤ يوليو .. واللواء ٢٠ الذي يقوده عبد السلام عارف فوجا (كتيبة) منه كان مقررا أن يسافر الى الأردن عابرا بغداد .. آمر اللواء الزعيم (الأميرالاي) أحمد حقي محمد علي كان في مقدمة اللواء ، الذي كان توقيت تحركه يقضي بأن يعبر بغداد ليلة ١٣/١٤ يوليو .

وعندما وصلت واحدات اللواء الى الفالوجا تولى قيادته عبد السلام عارف وتعاون معه قائد الفوج الثاني عبد اللطيف الدراجي .. وآمر الفوج الثالث المقدم الركن يس محمد رفض التعاون فضربه عبد السلام عارف ووضعه في الايقاف .

... وكان قائد الفرقة الثالثة اللواء غازي الداغستاني قد استدعى الى بغداد لتولى قيادة الفرقة مكانه الزعيم (الأميرلاي) عبد الكريم قاسما قائد

اللواء ١٩ الذى كان هو ورئاسة الفرقة فى (بعقوبة) نفس المدينة التى تحرك منها بكر صدقى فى زحفه الأول نحو بغداد منذ ٢٣ عاما .

وأمد الزعيم (أميرالاى) ناجى طالب مدير التدريب بالأركان وحدات اللواء ٢٠ بذخيرة أكثر مما كانت تسمح به التعليمات التى صدرت عام ١٩٥٥ مع اشتداد الهجمة الدعائية ضد حلف بغداد ، وشعور المسئولين بأن حالة من الرفض قد بدأت تتسرب الى صفوف الجيش .

لواء عبد السلام عارف تتوزع أفواجه وسراياه على القصر الملكى والاذاعة ودار نورى السعيد ، ووزارة الدفاع ، واعتقال بعض المسئولين .

واحتشدت الجماهير حول القصر مع الجيش .. وخرج الملك والوصى يستفسران عن الموقف ، فعاجلتهما رصاصات سبع وتدفقت الجماهير داخل القصر وقتلت معظم أفراد الأسرة المالكة .

لم تتم حركة الجيش فى معزل كامل عن الشعب .. وكما عرف الشيوعيون والاخوان المسلمون فى مصر موعد الحركة بالتحديد ، عرف كل من الحزب الشيوعى العراقى وحزب البعث العربى الاشتراكى موعد ثورة العراق بصلات خاصة بين أعضائهما الملتزمين الذين تعاونوا مع تنظيم الضباط الأحرار .. تماما كما كان الحال فى مصر .

ولكن الحركة عسكرية والقبضة العليا للضباط ، وعبد الكريم قاسم يعلن فى مؤتمر صحفى بعد خمسة أيام انهم يعرفون الذين تعاونوا معهم من المدنيين .

جثة الوصى عبد الاله ربطت من الأقدام فى عربة سارت به فى شوارع بغداد .. ونورى السعيد حاول الهرب عبر دجلة فى ثياب امرأة فكشفه صبى ، وانتهت حياته .. وحرقت السفارة البريطانية .

وسحلت فى الشوارع جثث بعض المسئولين فى العهد الملكى . وخاصة رجال الأمن وسط زغاريد وصيحات ابتهاج ، وقد علقت الجثث على أعمدة النور .

سقط الحكم الملكى فى بغداد واستقبلت الثورة استقبالا عاصفا من تأييد الشعب .. وتشكل يوم ١٤ يوليو مجلس الوزراء برئاسة عبد الكريم قاسم الذى تولى وزارة الدفاع ، وعين عبد السلام عارف نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية ، وناجى طالب وزيرا للشئون الاجتماعية .. وعين ١٢ وزيرا مدنيا يمثلون الاتجاهات والتنظيمات السياسية المختلفة التى اجتمعت على معاداة النظام الملكى .

واختلفت ثورة العراق عن ثورة مصر فى تقديرها لدور الأحزاب الوطنية المعادية للاستعمار وهى أساسا أربعة : الحزب الشيوعى والوطنى الديموقراطى والبعث والاستقلال ، وتعاونها معهم منذ اللحظة الأولى • وكل منها كان له ارتباط ببعض الضباط •• وكان محتملا أن يصل وحده الى السلطة عن طريق مؤيديه فى الجيش •

ولكن ولاء كثير من الضباط المرتبطين بهذه الأحزاب كان تابعا للجيش وحركة الضباط الأحرار •• والذين احتفظوا بالولاء الأول لأحزابهم تمت تصفيتهم عبر مراحل الثورة •

كانت ثورة ١٤ يوليو انفجارا مدويا فى الشرق الأوسط اهتزت له أرجاء العالم وبادرت القوى المختلفة تراجع حساباتها وتواجه الموقف الجديد الذى نشأ بعد ست سنوات من ثورة مصر المحتملة والمتوقعة وفى أقل من سنتين على العدوان الثلاثى على مصر •

كان وقوع الانفجار فى مقر حلف بغداد أكثر مما تحتمله أعصاب الامبريالية لأنه كان يعنى بالتأكيد رجحان كفة الحرب الأهلية فى لبنان لصالح الوطنيين وانهيار الحكم فى الأردن • ولذا نزل الاسطول الأمريكى فى بيروت يوم ١٥ يوليو •• وهبطت قوات المظلات البريطانية فى الأردن قادمة عبر اسرائيل لتنقذ عرش الملك حسين بعد تمزق الاتحاد بين الأردن والعراق •

وكان جمال عبد الناصر فى زيارة ليوغوسلافيا عندما شبت الثورة ووصل الأسطول الأمريكى السادس الى بيروت •• وبعد مراجعة سريعة للموقف عاد باليخت الحرية الى يوغوسلافيا بعد أن كانت الباخرة فى طريقها الى الاسكندرية ومنها بالطائرة الى موسكو التى رتبت له الرحلة يوم ١٦ يوليو •

كان انهيار النظام الملكى فى بغداد ، بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ، تصاعدا فى انتصارات جمال عبد الناصر الذى هاجم نورى السعيد والعرش العراقى فى عنف خلال معركة الأحلاف •• وشعر أن من واجبه ومسئوليته مساندة هذه الثورة التى قادها العسكريون أيضا •

وقبل وصوله الى موسكو كان قد أعطى تعليمات لاسلكية للمشير عامر فى القاهرة بارسال بعثة عسكرية مصرية يرأسها ضابط عمليات لتدعم ثورة العراق •• فقد كان جمال عبد الناصر يخشى تحرك القوات البريطانية المعسكرة فى مطار الحبانية بالعراق ••

كلف المشير عامر البكباشي عبد المجيد فريد بالسفر فورا الى بغداد فتحرك اليها من سوريا (الاقليم الشمالي في ذلك الوقت) ومعه أجهزة لاسلكية واحد الضباط السوريين وبعض الفنيين حيث سلكوا الطريق الصحراوي فوصلوا صباح ١٥ يوليو بعد سفر ١٤ ساعة ٠

حمل عبد المجيد فريد معه تعليمات أبلغها لقادة ثورة ١٤ تموز وتتلخص في :

أولا : استعداد القوات المسلحة والقوات الجوية العربية للوقوف بجوار القوات المسلحة العراقية دعما وتأييدا للثورة ٠

ثانيا : تقديم كل الدعم الاعلامي والمادي الذي يطلبه قادة الثورة العراقية ٠

لقد كان الخطر يهدد ثورة ١٤ تموز من قاعدة الحبانية البريطانية ومن احتمالات تقدم القوات البريطانية التي هبطت بالمظلات في الأردن قادمة من قبرص ٠

وأصدر جمال عبد الناصر بيانا أدان فيه التدخل الأمريكي في لبنان واتخذ قراره بالذهاب الى موسكو للتعرف على موقف الكتلة الشرقية ٠٠ وصحبه في الرحلة الدكتور محمود فوزي ومحمد حسنين هيكل رفاقه في زيارة يوغوسلافيا ٠

وطلب عبد الناصر من خروشوف أن يوجه انذارا الى الغرب مثل انذار ١٩٥٦ للتحذير من أي تحركات غربية ضد العراق أو سوريا ٠٠ ولكن خروشوف كان يخشى حماقات دالاس وزير خارجية أمريكا مما قد يجنح بالعالم الى خطر حرب عالمية ثالثة ، ومع ذلك ـ وبعد ساعتين من مقابلة عبد الناصر ـ ذهب خروشوف الى اجتماع المكتب السياسي حسب رواية محمد حسنين هيكل ٠

وتقرر القيام بمناورات عامة على الحدود البلغارية التركية أعلنها الماريشال مالينوفسكي مصحوبة بدعاية ضخمة ، وأصدر خروشوف بيانا هاجم فيه الغرب ، وطلب المندوب السوفيتي في الأمم المتحدة انسحاب الجنود الأمريكيين والبريطانيين من لبنان والأردن ٠

وعاد عبد الناصر جوا عبر ايران والعراق الى دمشق يوم ١٨ يوليو ووقف يخطب في الجماهير قائلا (ان الاتحاد السوفيتي يدعمنا تدعيما كاملا ٠٠ ولكننا نطلب السلام من مركز القوة) ٠

وقدم خروشوف فى نفس الوقت اقتراحا بعقد مؤتمر قمة عالمى من زعماء الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا والهند والاتحاد السوفيتى لمناقشة أزمة الشرق الأوسط .

ووصل وفد عراقى برئاسة عبد السلام عارف الى دمشق يوم ١٩ يوليو حيث خطب عارف مشيدا بعبد الناصر والقومية العربية .. ووقعت اتفاقية صداقة ومساعدة متبادلة بين مصر والعراق .

وعاد عبد الناصر سرا الى القاهرة .. حذرا مما حدث للطائرة المرافقة للمشير عبد الحكيم عامر التى سقطت فى طريق عودتها من سوريا بعد العدوان .. وكان مفروضا أن يكون بين ركابها لولا تغيير حدث فى آخر لحظة .

واكتملت مشقة الرحلة على عبد الناصر عندما وصلت الطائرة فوجدت مطار القاهرة مغلقا ، فهبطت الطائرة السوفييتية فى مطار أبو صوير الحربى حيث عاد الى منزله بعد رحلة شاقة امتدت ما يقرب من أسبوع .

استقرت الأوضاع العالمية وموازنات القوى الجديدة على حماية ثورة ١٤ يوليو ، وعلى انقاذ عرش الملك حسين فى الأردن والنظام فى لبنان .. وكان تدخل الاتحاد السوفيتى بالمناورات وبيانات الادانة واقتراح مؤتمر القمة واثارة القضية فى الأمم المتحدة والاعتراف السريع بنظام العراق والنشاط الدبلوماسى الموسع مع الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز .. الى جانب الانتصار الرائع لشعب العراق ، والمبادرة السياسية لجمال عبد الناصر ، والتأييد الجماعى من جماهير الأمة العربية كل هذا أدى الى استقرار سريع للموقف ، وعدم حدوث سلسلة من الانفجارات تعقب ما حدث فى بغداد .

كان لرحلة عبد الناصر الى موسكو صدى بعيد فى أنحاء العراق . شعبيته التى اكتسبها فى العراق خلال نضاله ضد حلف بغداد ، وموقفه الجازم فى قضية التأميم والعدوان وكسره احتكار السلاح جلبت له رصيدا هائلا عند الناس هناك ، الذين خرجوا يهتفون لثورة ١٤ يوليو ولعبد الكريم قاسم ولجمال عبد الناصر أيضا .

وكان جمال عبد الناصر يتطلع قطعا الى نوع من اللقاء والوحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة .. ولكن السلطة الثورية الجديدة لم تكن منجذبة فى هذا الطريق .

يقول عبد المجيد فريد الملحق العسكرى الجديد ان عبد الكريم قاسم وزملاءه قد استقبلوا فى البداية موقف جمال عبد الناصر بترحيب شديد ، وأنهم أعطوا له مكتبا مجاورا لمكتب عبد الكريم قاسم فى وزارة الدفاع ليكون مقرا له ، وقد بقى به لمدة ثلاثة أشهر ٠

وخلال هذه الفترة قدمت الجمهورية العربية المتحدة كل مطالب العراق : الرجال والخبراء والسلاح والذخيرة التى توافرت للجيش المصرى منذ كان تسليحه بريطانيا ٠

ويقول عبد المجيد فريد ان صداقة عبد الكريم قاسم وعلاقته به كانت متسمة منذ البداية بالحذر الشديد ، وذلك حرصا منه على عدم زيادة النفوذ المصرى فى العراق ، بينما يقول عبد المجيد أنه شعر منذ البداية أيضا بتقارب شديد من عبد السلام عارف ورفعت الحاج سرى مدير المخابرات ٠

ولكن عبد المجيد فريد يعترف بانهم قد أخطأوا فى زيادة اتصالهم بعبد السلام عارف الى الحد الذى أثار عبد الكريم قاسم وضاعف الحذر فى صدره ٠

وحضر الى مصر وفد من الساسة العراقيين رأسه كامل الجادرجى رئيس الحزب الوطنى الديمقراطى وقال لعبد الناصر أن عنده قدرة التأثير على عبد الكريم قاسم وأن ملاحظته الوحيدة هى تعطيل الحريات السياسية فى مصر وطالب بالغاء الاتحاد القومى واعادة الأحزاب حتى يمكن قيام اتحاد فيدرالى ، ولكن عبد الناصر رفض الفكرة ٠

أول مؤتمر صحفى لعبد الكريم قاسم لم يشد فيه بعبد الناصر كزعيم للعروبة ٠٠ وان كان قد تحدث عن دوره الكبير فى تأييد ثورة العراق ٠

عبد الكريم قاسم كان أكبر سنا من جمال عبد الناصر ٠٠ ولد فى ٢١ ديسمبر ١٩١٤ ، وتخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٣٤ ودخل كلية أركان حرب عام ١٩٤١ ، واشترك فى الحرب ضد الأكراد عام ١٩٤٥ ، وكان فى فلسطين خلال فترة الحرب ، ثم ذهب للدراسة فى انجلترا عام ١٩٥٠ ، وحصل على رتبة الزعيم (الأميرالاى) عام ١٩٥٥ ٠

كان كل من جمال عبد الناصر وعبد الكريم قاسم متخرجا فى كلية أركان الحرب ٠٠ مستوى الدراسة واحد تقريبا ٠٠ ولكن رتبة عبد الكريم قاسم يوم الثورة كانت تفوق عبد الناصر بدرجتين ٠٠ وعمره أيضا كان يزيد حوالى أربعة أعوام فجمال عبد الناصر ولد فى ١٥ يناير ١٩١٨ ٠

صراعات داخلية :

لم يكن عبد الكريم قاسم مثل عبد السلام عارف مندفعا الى القومية العربية والناحية الدينية •• ولم يكن مثله أيضا مرتبطا من بعيد بحزب البعث الذى يضع الوحدة العربية فى مقدمة أهدافه •

رشح عبد السلام عارف صاغ المخابرات صالح مهدى عماش المسئول بحزب البعث ليكون مندوبا عن العراق فى هيئة الأمم المتحدة بدلا من اسماعيل عارف أحد قادة الضباط الأحرار •

كانت مشاكل العراق الداخلية تفرض عليهم الاهتمام بها أولا ••• ولكن عبد السلام عارف بدا فى الموقف كما لو كان ممثلا لاتجاه الوحدة مع مصر •• يخطب كثيرا بما لا يتفق مع رأى زملائه •• الأمر الذى أدى الى اثارة البلبلة فى العراق • وخاصة بعد أن عقد الملحق العسكرى المصري عبد المجيد فريد صلات خاصة به ، أوحت الى زملائه والى قاسم بأنه أصبح مصدر خطر عليهم وعلى الثورة •

وزاد فى تجسيم هذه الحالة وصول رشيد عالى الكيلانى فى أول سبتمبر من القاهرة واعلانه عن معارضته للاصلاح الزراعى •

وفى ١٢ سبتمبر أى قبل مضى شهرين من الثورة أعفى عبد السلام عارف من منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة وزاد ذلك من هوة الجفاء والتوتر ، ووصل الأمر غايته فى ٣٠ سبتمبر عندما صدر أمر باعفائه من منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وتعيينه سفيرا للعراق فى بون •

رفض عبد السلام عارف تنفيذ الأمر أو السفر متعللا بعدة حجج شخصية ، وفى ١١ أكتوبر عقد عبد الكريم قاسم اجتماعا لقادة الضباط الأحرار ومعهم قادة الفرق الأربع بالجيش العراقى فى وزارة الدفاع لاقناع عارف بالسفر وتفادى انفجار أزمة بين الزملاء •

وفى هذا اللقاء أخرج عارف مسدسه وحاول الاعتداء على عبد الكريم قاسم الذى عاجله بالقبض على يده وأخذ المسدس منه •• وقال عبد السلام انه كان يحاول الانتحار •• وسأله قاسم عن السر الكامن وراء تنفيذ هذه الرغبة لو صحت فى مكتبه •

عفا عبد الكريم قاسم عن حركة عبد السلام عارف فى مقابل سفره فى اليوم التالى مباشرة الى بون وودعه فى المطار ، ولكن عارف أمضى يوما واحدا فقط فى بون ، وثلاثة أسابيع فى جولة بعواصم أوروبا ، عاد

بعدها فجأة الى بغداد يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٨ حيث اعتقل وقدم للمحاكمة يوم ٢٧ نوفمبر .

كانت شخصية عبد السلام عارف تدفعه الى تصرفات غير محسوبة معتمدا على رصيد القومية العربية وجمال عبد الناصر الكبير فى العراق .

وكانت صلة القاهرة ببغداد قد بدأت تدخل دائرة الحساسية نتيجة تصرفات بعض أجهزة الأمن المصرية .. كانت لهفتهم للوحدة مهربة للعناصر التى لم تجد فى ثورة ١٤ يوليو متنفسا لتعبيرها .

وكان فى حركة هؤلاء الأفراد غير المسئولين تشويه للصورة التى تصل الى جمال عبد الناصر ، وتشويه أيضا لصورة جمال عبد الناصر فى نظر المسئولين العراقيين .

كانت تجربة الوحدة مع سوريا قد مضت فى الطريق عدة شهور ، وكان مفروضا فيها أن تكون قوة جذب للدول العربيـة المتحررة .. ولكن كما أن الثورة لا تصدر فان الوحدة لاتفرض .

وبدأت صحافة القاهرة ، وخاصة صحف أخبار اليوم ، تلمح الى أن تيارا شيوعيا قد بدأ يأخذ مجراه فى العراق .. ولكن جريدة المساء التى كان يرأس تحريرها خالد محيى الدين نشرت مقالا للدكتور عبد العظيم أنيس تحت عنوان (الحركة الوطنية العربية) واتصل جمال عبد الناصر بخالد محيى الدين غاضبا على ذكر كلمة (الوطنية) بدلا من (القومية) ، وأصدر تعليماته بمنع الدكتور عبد العظيم أنيس من الكتابة .

واذا كان مكسيم رودنسون قد كتب يقـول (ان ثورة العـراق هى أول ثورة حقيقية فى العـالم العربى) فانه كان يعنى بذلك أنها حركة عسكرية متفتحة على الشعب بتنظيماته المختلفة .

ثورة العراق كانت تمضى فى طريق يخدم الشعب المتحرر من قبضة النظام الملكى الرجعى وحلف بغداد .. ولكنها لم تتحرك نحـو الوحـدة حركة سريعة أو ملحوظة .. وبدا الأمر بالنسبة للقوميين كأنه نوع من التردد أو الخيانة .

حركة الشواف .. بين القاهرة وبغداد :

كان الموقف المنفتح على الشعب لثـورة العـراق دافعا الى ظهـور حساسيات مع القاهرة التى وصلت اليها الصورة كما لو أن العراق قـد أصبح خاضعا تماما للنفوذ الشيوعى ، وخاصة بعد استقالة صديق شنشل الذى حاول مصادرة جريدة الحزب الشيوعى فى فبراير .

وهى صورة لم تكن دقيقة أو صحيحة .. فالحزب الشيوعى كان يمارس نضاله ولكن بطريقة غير قانونية ، وكانت هناك متناقضات بين قيادته وبين السلطة .

صحيح .. أن حرية نسبية قد توافرت لحركته ، ولكنها كانت حرية مرصودة .

وبدأت بعد ظهور حملات نقد محدودة في الصحف المصرية ضد العراق .. مهاجمة صريحة من جمال عبد الناصر للشيوعيين فى خطابه يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ ببور سعيد .

وذهب جمال عبد الناصر الى سوريا فى مارس ١٩٥٩ وهو فى خطبه يهاجم أعداء القومية العربية تعميما .. حتى قامت محاولة المقدم عبد الوهاب الشواف ابن مفتى بغداد يوم ٨ مارس ١٩٥٩ فى الموصل .

وكما يقول أنتونى ناتنج فى كتابه (ناصر) فانه سواء عرف عبد الناصر أو لم يعرف بأسرار هذا التدبير .. فالأمر الذى لاشك فيه أن أخبار الانقلاب المحتمل كانت قد تسربت إلى الناس وعلم بها السفير البريطانى همفرى تريفليان ، وعلى قدر ما شعر السراج بضمان النجاح ، على قدر ما ضعفت السرية .. وقلت اجراءات الأمان .. مما أوقع بعض السوريين بملابسهم العسكرية فى الموصل .

ويقول أنتونى ناتنج أيضا ان جمال عبد الناصر قد عاتب السراج على تدبيره للانقلاب ، ولكن لم يكن أمامه خيار .. التورط قد حصل والهجوم خير وسائل الدفاع .

وقال لى عبد اللطيف البغدادى ان حوارا دار بين بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة عن احتمالات تدخل مصرى لتأييد ثورة ضد نظام عبد الكريم قاسم اذا ما طلب منهم ذلك .. وأنه قد أثيرت احتمالات انتهاز اسرائيل الفرصة لمهاجمة سوريا ، أو مبادرة الاتحاد السوفيتى لمساندة قاسم ، أو تدخل قوات الحلف المركزى أو الولايات المتحدة .. ومع ذلك فان عبد الناصر أعلن أنه لن يتردد اذا ما حدث ذلك فى اهمال كل هذه الأخطار والقيام بواجبه القومى .

ويؤكد الملحق العسكرى عبد المجيد فريد أنه لم يكن على علم بحركة الشواف ، ويقول انها دبرت بمعرفة السراج .

كان هناك اجتماع لأنصار السلام فى المدينة ، واحتشدت الجماهير ومضى الاجتماع هادئا ثم خرجت بعض المظاهرات السلمية ، فأرسل لها

الشواف قواته لتفريقها عنوة معتقدا أن هذه الحشود قد أعدت للمبادرة بالهجوم عليه ، وبدأت مجزرة دامية لم يكن هناك من سبيل لتفاديها ·· اذ اندفع الشواف في مقامرة للسيطرة على الموقف بعيدا عن بغداد ·

لم يكن الشواف قائد اللواء الخامس من الفرقة الثانية وحده ·· وانما كان مرتبطا مع ناظم الطبقجلي قائد الفرقة ورفعت الحاج سرى مدير المخابرات الذى كان يدبر اعتقال عبد الكريم قاسم ·

ولم يجد رفعت الحاج سرى الموقف مواتيا فأرسل الى الشواف يطلب التأجيل ·· ولكن الاندفاع الأهوج جعله يعلن الانقلاب في ذلك اليوم الذى احتشد فيه أنصار السلام ·

استمرت الحركة يومين ·· خاضها الشيوعيون والأكراد الديموقراطيون دفاعا عن أنفسهم ·· واتخذ ضباط الصف المنضمون للحزب الشيوعي موقف الرفض من حركة الشواف ·· واستمرت المعركة في المدينة يومين ·

لم يقدر الشواف أن طائرات بغداد تستطيع الوصول إلى الموصل وضرب التجمعات العسكرية فيها ، وهو ما حدث فعلا ·

أجهزة الدعاية المصرية والسورية تعلن عن قيام « ثورة الشواف » وصوت العرب يلهب حماس الناس ·· والقتلى يتساقطون ·· وبغداد تعلن عزل الشواف ، وهو يواصل المعركة حتى يسقط جريحا وينقل للمستشفى فيهجم عليه الناس وتنتهى حياته ومحاولته ·· وفي المدينة مئات من القتلى والجرحى ·· وقام بعض الشيوعيين بأعمال غير إنسانية أساءت اليهم ، وجعلتهم يكتبون عنها نقدا ذاتيا فيما بعد ·· ولو أنهم في الحقيقة قد دفعوا اليها دفعا باستفزاز الشواف لهم عندما اعتقل قادة الحزب ووضعهم في السجن ·

كان عبد الناصر ينتظر أخبار انتصار الثورة التى دبرت مع بعض أعضاء أجهزة المخابرات · ولكنه بدلا من ذلك سمع أخبار فشلها ومصرع الشواف ·

وأصدر عبد الكريم قاسم قرارا بإبعاد الملحق العسكرى عبد المجيد فريد والمستشار بالسفارة محمد المصرى وهو ضابط سابق من رجال رئاسة الجمهورية ، وليس من موظفى وزارة الخارجية ، واثنين من الموظفين الاداريين خلال ١٢ ساعة على ألا يخرجوا من باب السفارة حيث ان الدولة لن تكون مسئولة عن حياتهم ·

ومع ذلك يقول عبد المجيد فريد انه تسلل من السفارة ليلا وذهب الى رفعت الحاج سرى فى مكتبه بوزارة الدفاع وحذره من انكشاف أمره ، ويقول عبد المجيد فريد ان رفعت كان مرتبكا ٠

ويبدو أن هذه الزيارة المتعجلة البعيدة عن قواعد الأمان قد أكدت شكوك قاسم فى رفعت الحاج سرى فاصدر أمرا باعتقاله بعد ٣ ساعات من خروج عبد المجيد فريد من عنده ٠

وعندما وصلت أخبار الفشل بدأ جمال عبد الناصر حملة فى غاية العنف ضد العراق خلال جولته وخطبه فى سوريا منذ يوم ١١ مارس ٠

عبد الكريم قاسم أصبح قاسم العراق ٠٠ الشيوعيون عملاء وملحدون لايؤمنون بحرية بلدهم ٠٠ الحزب الشيوعى السورى يعمل بتعليمات من الخارج ٠٠ لن نسمح بقيام حزب شيوعى فى مصر ٠ الحزب الشيوعى فى مصر يتلقى تعليماته من الحزب الشيوعى ايطالى منذ عام ١٩٥٢ ٠

الهجوم يشتد ويتضاعف ضد حكومة العراق ٠٠ ورد الفعل ضد مصر يزداد عنفا ٠

وتمزقت العلاقة بعد شهور معدودة بين ثورة ٢٣ يوليو وثورة ١٤ يوليو ، ولم يعد هناك جو مناسب لخلق علاقة صحية مشتركة بين الأفكار القومية والأفكار الوطنية أو العاطفية ٠٠

وبدأت فى آخر مارس ١٩٥٩ حملة اعتقالات ثانية ضد الشيوعيين المصريين والسوريين الذين سبق أن وجهت ضدهم حملة اعتقالات شملت المئات فى ليلة رأس السنة ١٩٥٨/١٩٥٩ ٠

الانفعال واضح فى موقف جمال عبد الناصر ٠٠ وفى موقف الحكومة العراقية التى جعلت من محكمة المهداوى ساحة للقذف والسباب والدعاية ولفضح الأسرار ٠

وكانت محكمة الشعب برئاسة العقيد فاضل المهداوى قد بدأت فى محاكمة عبد السلام عارف ورشيد عالى الكيلانى ورفعت الحاج سرى وغيرهم على امتداد شهور طويلة ٠

طرد عبد الكريم قاسم بعد ثورة الشواف ٢٠٠ ضابط من الجيش منهم ٧٠ (أميرالاى وقائمقام) ٠

وفى يوم ٧ أكتوبر ١٩٥٩ حدثت محاولة اعتداء على حياة عبد الكريم قاسم قام بها بعض البعثيين فى شارع الرشيد ٠٠ قتل السائق وجرح

عبد الكريم قاسم وتمت حركة اعتقالات كبيرة ، وذلك بعد أن كانت أحكام الاعدام قد نفذت على ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري ضمن ١٣ ضابطا ، ٤ مدنيين يوم ٢٠ سبتمبر .

هجمة على الشيوعيين :

وعندما نشرت جريدة المساء في مصر أن الثورة قد انتهت ذهب أنور السادات يوم ١٢ مارس ١٩٥٩ الى خالد محيى الدين وأبلغه قرار جمال عبد الناصر بعزله ، وتعيين ضابط مخابرات رئيسا للتحرير بدلا منه هو مصطفى المستكاوى .. كل الجرائد المصرية ظلت تخلق جوا من الاثارة حول ما حدث في الموصل .. وتنشر خطب عبد الناصر الملتهبة في سوريا والتى ظل يواصلها حتى شهر أبريل ١٩٥٩ .

وفى حديث مع الصحفى الهندى كرانجيا يوم ١٧ ابريل قال عبد الناصر :

(ليس بالقومية العربية اى خطأ ، الا أنها معرضة في الوقت الحاضر لهجوم من الحركات الهدامة ، اننا نقاتل معركة دفاعية ضد الشيوعية ومطامعها تماما كما سبق أن قاتلنا ضد الاستعمار الغربى) .

وصرح بأنه طلب مقابلة عبد الكريم قاسم ولكنه اعتذر بحجج واهية لأنه كان أسيرا للشيوعيين .

وفى ختام الحديث قال انه يتوقع كفاحا طويلا بين الشيوعيين والقوميين العرب .

وكان قد سبق لجمال عبد الناصر أن قال لخالد محيى الدين قبل عزله من رئاسة تحرير (المساء) ، ان القومية العربية قد انتهت بقيام ثورة العراق .

كانت الصورة عند عبد الناصر أن قاسما كان أسيرا في يد الشيوعيين يتحرك بأمرهم وينفذ اراداتهم .. ولكن الحقيقة كانت غير ذلك .. فالشيوعيون في العراق كانوا يصارعون من أجل حقوقهم في الوجود .. والسلطة لم تكن فى أيديهم .. ونضالهم الطويل منذ تاسيس الحزب الشيوعى العراقى عام ١٩٣٤ ، واعتقال سكرتير الحزب يوسف سليمان (فهد) وزميليه عضوى المكتب السياسى زكى محمد بسيم وحسين محمد الشبيبى فى يناير ١٩٤٧ وصدور الحكم عليهم بالاعدام فى يونيو من نفس العام ثم وقف التنفيذ تحت ضغط الرأى العام العالمى في كل البلاد، وأخيرا العودة الى اتهامهم بالتآمر من داخل السجن ومحاكمتهم واعدامهم يوم ١٤ فبراير ١٩٤٩ قبل اذاعة النبأ .

كان اعدام هؤلاء القادة يمثل عند الشيوعيين العراقيين مأساة عنيفة وذكرى مؤلمة ·· ولذا فانه فى التاريخ الأول لاعدامهم بعد الثورة ١٤ فبراير ١٩٥٩ سارت مواكب شعبية حاشدة تحيى ذكرى الشهداء الثلاثة وكانت لجنة العفو عن المسجونين السياسيين قد أصدرت قرارا فى ٢٤ يناير باعتبار الأعمال التى حوكموا بسببها من أعمال الكفاح الوطنى التى تستأهل التقدير ·· واعتبارهم شهداء الشعب ·

كان هذا القرار طبيعيا اذ أعدم الثلاثة فى مرحلة النضال ضد الاستعمار البريطانى ·· ولم يكن قيام المظاهرات دليلا على وثوب الشيوعيين على السلطة ·

ولكن الصورة المشوهة التى خرجت من بغداد عن طريق عملاء المخابرات المصرية ·· والفكرة العدائية الثابتة ضد الشيوعية والشيوعيين ·· والتناقض غير المبرر وغير العلمى بين التنظيمات القومية والشيوعية ·· وانحراف بعض الصحف العراقية والمصرية الى الهجوم غير الموضوعى ·· وساحة محكمة الشعب التى تحولت الى مسرح اثارة واتهام للقيادة المصرية ·

كل هذا أدى الى وقوف جمال عبد الناصر موقفا عدائيا من الشيوعيين العراقيين ·

ولم تكن الحقيقة أن الحزب الشيوعى كان قد قبض على السلطة · فانه فى يوم ٢٩ ابريل أصدر الحزب بيانا يطالب بالمشاركة فى الحكم ·· وقاسم يجيب بأنه يريد حزبا يقضى على كل الأحزاب ·· قائلا أن الشعب هو حزبه ·

وفى النصف الثانى من يوليو فصل بعض الضباط الشيوعيين من الجيش ·

وفي العيد الأول للثورة ١٤ يوليو ١٩٥٩ أعلن عبد الكريم قاسم أنه سيصرح بتكوين أحزاب خلال ستة أشهر ·· وبالتحديد فى يوم تأسيس الجيش العراقى أى ٦ يناير ١٩٦٠ ·

وشكل عبد الكريم قاسم وزارة جديدة ضمت ٦ من العسكريين ، ١١ مدنيا ·· مما اعطى الحكم لونا عسكريا ·· رغم دخول دكتورة نزيهة الدليمى الى الوزارة وهى ماركسية وتعتبر أول وزيرة تعين فى العالم العربى والاسلامى معا ·

تكوين الأحزاب كان يعتمد على موافقة وزير الداخلية ·· القانون شبيه بقانون الأحزاب الذى سبق أن صدر فى مصر عام ١٩٥٢ وحلت الأحزاب القديمة بموجبه ، على أن تتقدم بطلبات تكوين جديدة ·

وفى اليوم المحدد لتقديم الطلبات ، تبين أن حزبا شيوعيا آخر يرأسه انتهازى يسمى داود صايغ يضم مجموعة محدودة من الأعضاء تباركهم الحكومة لقسم الحزب الشيوعى الأصلى ـ قد تقدم بطلب تكوين أيضا ٠

ورفضت الحكومة أن تعطى اسم الحزب الشيوعى للتنظيمين ٠٠ واكتفت بحزب داود صايغ ٠

وبادر الحزب الى تغيير اسمه الى (اتحاد الشعب) وهو اسم صحيفته ، ولكن طلبه رفض أيضا يوم ٢٢ يناير ١٩٦٠ ٠٠ وكان هدف عبد الكريم قاسم من ذلك هو قسم الحزب الشيوعى واجباره على أن يظل سريا لا يمارس نشاطه بصورة علنية ٠

رغم الشعارات اليسارية والصورة الحمراء التى اكتست بها العراق كان عبد الكريم قاسم لايزيد عن كونه ضابطا عسكريا بعيدا عن الطبقة الوسطى ، يريد أن ينفرد بالسلطة فى يده ويلعب لعبة التوازن ، ويرفض التعاون المخلص مع الطبقة العاملة لتحقيق وحدة وطنية كاملة فى مواجهة أخطار الامبريالية والرجعية ٠

هكذا هاجم عبد الناصر الشيوعيين فى نفس الوقت الذى كانوا يعانون فيه من تصرفات عبد الكريم قاسم ٠

وهكذا فقد أيضا عبد الكريم قاسم تأييد اليسار المطلق ، ولم يكسب اليمين ٠

وضاعف جمال عبد الناصر حملته على العراق ٠٠ فى السياسة الخارجية بدأ هجومه على الاتحاد السوفيتى وتحسنت العلاقات مع الولايات المتحدة التى أعادت لمصر المعونات ، واستقبلت الجامعات الأمريكية ٢٤٠ طالبا كانوا يدرسون فى الاتحاد السوفيتى ٠

وفى السياسة العربية استقبل عبد الناصر اللواء فؤاد شهاب سرا ، خلال وجوده فى سوريا بعد ثورة الشواف وتم الاتفاق على تأييد لبنانى كامل لمصر ٠٠ وفى أغسطس عادت العلاقات الدبلوماسية المقطوعة مع الملك حسين ، وفى سبتمبر التقى عبد الناصر مع الملك سعود الذى سبق أن تآمر على حياته وعلى الوحدة ٠

وخلال عام ١٩٥٩ زادت قبضة العنف فى مصر وضمت المعتقلات كل صوت معارض ، وجاءت استقالة وزراء البعث فى نهاية العام تكملة لحلقة الضغط ومصادرة الحريات والمعارضة ٠

ولكن الموقف فى العراق مازال بعيدا عن يد جمال عبد الناصر ٠٠٠

والأمور هناك تمضي في حملة العداء ضد القاهرة ، ولكن عبد الكريم قاسم لا يهاجم مصر ولا عبد الناصر • ولكن توجيهاته للمسئولين جميعا كانت ضد مصر وجمال عبد الناصر •

سلطات العراق تلغي حكم الاعدام على فاضل الجمالي وزير الخارجية في عهد حلف بغداد •• وتواصل رفضها حضور اجتماعات مجلس الجامعة العربية اذا عقد في اقليمي الجمهورية العربية المتحدة • وعندما ذهب الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية مع عبد الخالق حسونه أمين عام الجامعة العربية الى بغداد في يناير ١٩٦١ عومل الأول معاملة المسافر العادى بينما دخل عبد الخالق حسونه من باب كبار الزوار •

الأمل ضئيل في تقريب الثغرة بين بغداد والقاهرة أو بين قاسم وعبد الناصر •• وتعيين همفري تريفليان الخبير في الشئون المصرية والعراقية منذ الأربعينات سفيرا لبريطانيا في بغداد قد لعب كما قال عبد الناصر دورا في زيادة الثغرة بين الدولتين العربيتين •

ووضع الشقاق والخلاف على المائدة مرة أخرى عندما طالب عبد الكريم قاسم بضم الكويت الى العراق عقب اعلان استقلالها في يونيو ١٩٦١ ، باعتبارها كانت ضمن ولاية البصرة في عهد العثمانيين •• وصاحب اعلان عبد الكريم قاسم حشد للقوات العراقية كما لو كان يريد تنفيذ الأمر بالقوة العسكرية •

واستنجد أمير الكويت ببريطانيا التى أسرعت بارسال قواتها الى الكويت ، ولم يظهر عبد الناصر أى اعتراض على ذلك عندما أبلغه السفير البريطاني سير هارولد بيلى حسب رواية أنطونى ناتنج •

ولكن مجلس الجامعة العربية اعترض على دخول الكويت الى الجامعة العربية مادامت القوات البريطانية ترابط على أرضها •• فقد كان في ذلك مثل ونموذج يمكن أن يتكرر بوساطة بعض الدول العربية الأخرى مثل الأردن ••

واقترح جمال عبد الناصر أن تطلب الكويت رحيل القوات البريطانية وأن تستبدل بقوات عربية مشتركة •• وعندئذ تفتح أبواب الجامعة العربية للدولة الجديدة •

وبدأت القوات البريطانية في الانسحاب فعلا يوم ٢٠ يوليو ١٩٦١ ودخلت الكويت الجامعة العربية •• ووصلت قوات عربية مسلحة من مصر والسعودية والأردن وتونس والسودان •

ولكن القوات المصرية لم تبق طويلا ·· قرر جمال عبد الناصر سحبها للأثر العكسى الذى أحدثه وجودها فى الكويت بين الرأى العـام العراقى الذى كان قد أخذ موضوع ضم الكويت مأخذ الجد والاهتمام ·

وعندما تمزقت وحدة الجمهورية العربية المتحدة فى سبتمبر ١٩٦١ كان فى ذلك انحسار لموجة القومية والوحدة العربية التى طغت على المنطقة مع منتصف الخمسينات ·· وانجذب اهتمام جمال عبد الناصر الى ما يدور فى سوريا أكثر مما يدور فى العراق ·

ولم يؤد الانفصال الى تقارب حقيقى بين سـوريا والعراق ·· وان كانت حكومة قاسم قد اتجهت لهذا الحدث الذى أيد وجهـة نظـرها فى ضرورة التريث قبل اتخاذ قرارات علوية فى موضوع الوحدة ·

وعند اجتماع مجلس الجامعـة العربية فى شتـورا تغيبت حكومـة العراق ولم تشأ أن تنسحب الى النزاع الملتهب بين مصر وسوريا ·

وخلال هذه الفترة كان حزب البعث قد انتعش قليلا فى سـوريا ، وبدأ التفكير فى اعادة تنظيمه ، وتشكلت قيادة قومية خاصة فى سـوريا من حزبين غير سوريين بقيادة منيف الرزاز وعضوية على صالح السعدى من العراق ·· فى الوقت الذى تكونت فيـه قيادة سورية رافضة بقيادة رياض المالكى ·

وبدأ الحزب العراقى يتماسك تنظيميا ، ويحاول اعادة تنظيم قواته فى الجيش وخارج الجيش بعد ضربات عنيفة وجهت له فى عهد قاسم ·

وتم تدبير انقلاب عسكرى جديد ·· قبـل أن تنقضى خمس سنين على ثورة ١٤ يوليو ·

الفصل الثالث

سقوط عبد الكريم قاسم

(الحمد لله)

مانشيت جريدة الأهرام فى عيد الوحدة ٢١ فبراير ١٩٦٣ وهى الكلمات التى بدأ بها جمال عبد الناصر خطبته تعبيرا عن ارتياحه لانتصار ثورات اليمن والجزائر وسقوط قاسم بعد ماساة الانفصال ٠

تم تدبير البحث للخطة على أساس التنسيق بين المدنيين والعسكريين :

وكان الهدف هو الاستيلاء على الإذاعة ووزارة الدفاع حيث كان يقيم قاسم معظم الوقت فيما يشبه حصنا يضم ٣ كتائب مشاة ، ١٨ مدفعا مضادا للدبابات ، ومدفعية مضادة للطائرات ٠

نقطة الانطلاق كانت من الحبانية وساعة الصفر كانت التاسعة صباحا وهو توقيت يتناسب مع أسلوب عبد الكريم قاسم الذى كان لاينام الا فى الخامسة صباحا ٠

وفى يوم ٨ فبراير الموافق ١٤ رمضان وهو يوم جمعة كان عبد الكريم قاسم نائما فى منزل والدته ٠

وفى الثامنة والنصف صباحا ، اندفع بعض الضباط الى منزل الزعيم (الأميرالاى) الأوقاتى قائد القوات الجوية وقتلوه أمام أولاده ٠٠ وفى نفس الوقت تحركت بعض المدرعات الخفيفة حيث احتلت الاذاعة ، وقصفت الطائرات مبنى وزارة الدفاع بالصواريخ ٠

أعلنت القوات التى احتلت الاذاعة فى التاسعة والأربعين دقيقة صباحا خبر اعدام عبد الكريم قاسم بعد أن شوهد يعبر شوارع بغداد من منزل والدته حيث كان ينام ، الى مبنى وزارة الدفاع والناس تصفق له فى الشارع ٠

وبدأت معركة بين المعتصمين فى مبنى وزارة الدفاع بقيادة قاسم وبين الزاحفين على بغداد من الخارج ٠٠ ولم يقف الى جانب قاسم الا الشيوعيون الذين حاول تمزيق وحدتهم ولم يتعاون معهم فى اخلاص كامل ٠٠ وأطلقوا نداءات الى جماهيرهم تقول (الى السلاح للقضاء على مؤامرة الامبريالية والرجعية ٠٠ استقلالنا الوطنى ومنجزات ثورتنا فى خطر جسيم ٠٠ خذوا السلاح من مراكز الشرطة أو من أى مكان واضربوا المتآمرين عملاء الاستعمار) ٠

المعركة مستمرة بين قوات الجيش الزاحفة والمدافعة ٠٠ ومستمرة أيضا بين مليشيا الشيوعيين وحرس قومى البعثيين وخاصة فى الأحياء الشعبية ٠

سقوط الاذاعة جعلها تثير الفزع فى نفوس الجماهير اذ تعلن أن المجلس الوطنى لقيادة الثورة يطالب بابادة الشيوعيين ٠٠ والاذاعة المصرية تذيع بيانات المجلس الوطنى الجديد فى حماس شديد ٠

الحرب الأهلية المحدودة لم تكن كافية لحسم الموقف ٠٠ قوات الجيش وحدها هى القادرة ٠٠ والقتال يشتد فى الشوارع وفى وزارة الدفاع ٠

الثوار معهم عبد السلام عارف الذى أفرج عنه عبد الكريم قاسم بعد تخفيف حكم الاعدام الى المؤبد ٠ وكان قد أمضى ليلة الجمعة فى منزله ثم خرج فى الثامنة صباحا الى معسكر أبو غريب حيث ركب هو وأحمد حسن البكر دبابة فى قيادة الطابور المدرع كما تقول بعض الأخبار التى نشرت ، بينما يقول البعثيون أنه خرج من منزله فى الحادية عشرة صباحا دون أن يكون على علم كامل بما يدور ٠

وفى المساء اتصل قاسم تليفونيا بعبد السلام عارف وأبلغه استعداده للتسليم على أن يخرج بملابسه العسكرية من وزارة الدفاع ليغادر العراق ·· ولكن عارف طالبه بتسليم غير مشروط ·

كان قاسم يريد أن يحتفظ بكرامته العسكرية الى اللحظة الأخيرة · ولكن عارف قال له انه لن يكون مثل تشومبى ولن تكون العراق مثل الكنغو ·

واستمرت المقاومة طوال يوم الجمعة وليلة السبت ·· وفى الصباح اتصل عبد الكريم قاسم بعبد السلام عارف وتم الاتفاق بينهما على أن يكون التسليم فى مبنى مجلس الشعب الملاصق لوزارة الدفاع ·

ووصل قاسم الى الاذاعة فى مدرعة ومن خلفه فى سيارة مصفحة فاضل المهداوى وطه الشيخ أحمد مدير المخابرات وضابط رابع ·

وحدثت مواجهة بين عبد الكريم قاسم وزملائه وبين عبد السلام عارف وأعضاء المجلس القومى لقيادة الثورة ، انتهت الى صدور قرار باعدامه واطلاق الرصاص على الأربعة فى احدى غرف الاذاعة ، ونقل صورة الجثث الى المشاهدين فى التليفزيون · وعندما وصلت الصور الى القاهرة وظهرت على شاشة التليفزيون أصدر جمال عبد الناصر أمرا بوقف اذاعتها لبعدها عن الانسانية ·

المجلس الوطنى لقيادة الثورة يستمر فى الحكم من الاذاعة لمدة ثلاثة أيام ثم ينتقل الى الجامعة ومنها الى المجلس الوطنى ·

عين عبد السلام عارف رئيسا للجمهورية ، وأحمد حسن البكر رئيسا للوزراء ، والمقدم مهدى صالح عماش وزيرا للدفاع وهم جميعا من العسكريين ·· وعين على صالح السعدى أحد قادة البعث نائبا لرئيس الوزراء واللواء طاهر يحيى رئيسا لأركان الحرب وعلى رشيد مصلح حاكما عسكريا ·

فرض المجلس الوطنى الذى لم تعن أسماء أعضائه منذ البداية حظر التجول من الثالثة مساء حتى الفجر واستمرت الفترة تتناقص حتى ألغى الحظر فى أول مارس ١٩٦٣ ·

عمليات تصفية واعتقال الشيوعيين مستمرة والاذاعة تطالب باطلاق النار عليهم فى كل مكان ·· واعتقل عزيز شريف الحائز لجائزة لينين للسلام عام ١٩٦٠ ·· ونشرت برافدا بيانا تهاجم فيه قمع الشيوعيين فى العراق ، وثارت المنظمات العالمية والصحافة التقدمية والأحزاب الشيوعية والاشتراكية ضد ما يدور فى العراق ·

البعث يحكم العراق :

كان انعكاس الموقف فى مصر تأييدا كاملا وسريعا للموقف .. واعترفت سوريا والأردن بعد ذلك ، رغم الشعور بأن نظام الحكم الجديد فى العراق يظهر فى مظهر متعارض مع نظام الحكم فى البلدين وقتئذ .

أول خطاب لعبد الناصر بعد الثورة كان فى عيد الوحدة ٢١ فبراير ١٩٦٣ وظهر مانشيت الأهرام (الحمد لله) بخط أحمر كبير .. فهكذا بدأ جمال عبد الناصر خطبته ، وكرر نفس التعبير وهو يتحدث عن انتصارات ثورة اليمن والجزائر ثم العراق بعد الانفصال .

وحضر من العراق وفد برئاسة على صالح السعدى وصالح عماش وطالب شبيب وزير الخارجية وفؤاد عارف (كردى) وعقيد خالد مكى الهاشمى معاون رئيس أركان الحرب ومقدم جوى حردان التكريتى .. وحضر أيضا وفد شعبى عراقى برئاسة حسين جميل .

خطب فى عيد الوحدة على صالح السعدى ، ثم سافر الوفد العراقى الى الجزائر لمدة ليلة واحدة عاد بعدها الى القاهرة .

وطلب على صالح السعدى من جمال عبد الناصر أن يناقش مع الأكراد الحاضرين مع الوفد الشعبى مشكلتهم .. وبعد عودته من الجزائر أبلغه عبد الناصر بأنه يرى أن يكون هناك تفكير فى نوع ما من الحكم الذاتى .

واعتبر على صالح السعدى بينه وبين زملائه أن ذلك نوع من التفكير الانقسامى .

وأهدى عبد الناصر الى الحرس القومى الذى كان برأسه على صالح السعدى ٢٠٫٠٠٠ مدفع رشاش مصرى سافرت فورا الى العراق لتسليح الحرس القومى بعد أن بدأ يلعب دورا هاما وبارزا فى اشاعة الارهاب بين الجماهير .

كان الحرس القومى تنظيما عسكريا بلا ضبط ولا ربط .. تولى قيادته منذر الونداوى أحد قادة البعث .

وصدر قرار بتعيين أمين هويدى سفير مصر فى الرباط سفيرا فى العراق وكان قد سبق له أن عمل نائبا لرئيس المخابرات ثم قدم استقالته لتناقضات فى التفكير والأسلوب بينه وبين صلاح نصر ، وبقى فى منزله ستة شهور قبل تعيينه سفيرا فى المغرب .

وكان تعيين أمين هويدى وهو واحد من الضباط الأحرار الذين وثق بهم عبد الناصر دليلا على الاهتمام بالعراق فى مرحلته الجديدة ٠

المجلس الوطنى لقيادة الثورة كان يضم ١١ منهم ٩ بعثيين وعبد السلام عارف وطاهر يحيى ٠٠ وكان عارف فى البداية يؤدى دورا قريب الشبه من الدور الذى قام به محمد نجيب فى ثورة يوليو ٠

وتشكلت الوزارة من ١١ بعثيا ، ٩ قوميين مستقلين ، ٢ من الأكراد ٠

كان البعث هو العنصر المسيطر فى الحركة ، ولكن كانت هناك عناصر أخرى من خارج البعث سبق لها أن ارتبطت بالعمل السياسى ٠

اللجنة الأولى للحركة كانت مشكلة من الضباط أحمد حسن البكر وصالح مهدى عماش وحردان التكريتى وصبحى عبد الحميد وعبد الستار عبد اللطيف وابراهيم جاسم وخالد حسن فريد وخالد مكى الهاشمى وعبد الكريم فرحان ٠

انسحب صبحى عبد الحميد من هذه المجموعة فى نهاية عام ١٩٦٢ وكون تنظيما آخر شكلت قيادته منه ومن عارف عبد الرازق ومحمد مجيد وعبد الكريم فرحان وجاسم العمراوى وهادى خماس وعرفان وجدى وعدنان أيوب صبرى وفاروق صبرى ٠٠ وحددت آخر رمضان توقيتا للانقلاب ٠

عين المجلس الوطنى لقيادة الثورة صبحى عبد الحميد مديرا للتحركات فى الجيش وهو من المناصب الهامة بينما أحال عارف عبد الرازق الى المعاش رغم ما قدمه من مساعدة بالطيران من قاعدة الحبانية ٠

كان انتصار ثورة البعث فى العراق باعثا للبعثيين فى سوريا على الحركة وضرب الانفصال فكانت حركة ٨ مارس ٠٠ وبادرت العراق بارسال وفد برئاسة على صالح السعدى الى دمشق للتهنئة ٠٠ بينما لم ترسل مصر وفدا ٠

بعد ذلك بدأت مباحثات الوحدة الثانية بالقاهرة يوم ١٧ وانتهت الى البيان المعروف الذى سبق عرضه فى الباب السابق ٠٠

كان جمال عبد الناصر يرغب فى أن تكون خطوات الوحدة مع جبهة تمثل الشعب كله وليس مع البعث وحده ٠٠ وكان قادة العراق يرسمون خطتهم على أساس انفراد البعث بالحكم ، ولذا فانهم لم يرتاحوا لاصرار القاهرة على زيادة العناصر القومية فى اللجان المختلفة ٠

عندما حاول فؤاد الركابى العودة الى العراق يوم ٢٣ مارس أعيد من مطار بغداد ٠

وعندما نشر محمد حسنين هيكل مقالا فى الأهـرام بعنوان (انى اعترض) دعى أمـين هويدى لمقابلة عبد السلام عارف واحمد حسن البكر وطالب شبيب فى الواحدة بعد منتصف الليـل ، حيث استمر الاجتماع الى الرابعة صباحا ، وكانت الدعوة من أجـل الاحتجاج على المقـال لنشره هجوما على البعث ٠

وشعر القوميون بضعف موقفهـم فى حركة النظام فآثر بعضـهم الاستقالة ، وأعيد تشكيل الوزارة ، وأصبـح على صالح السعدى وزيرا للارشاد بدلا من الداخلية ، وتألفت وزارة لشئون الوحدة ٠

وفى يوم ٢٠ مايو قرر جمال عبد الناصر أن يلقى خطابا يهاجم فيه بعض تصرفات سوريا ، ولما علم عبد السلام عارف بذلك اتصل به تليفونيا ورجاه تأجيل ذلك ، فاستجاب عبد الناصر ٠٠ ولكن لم تكد تمضى عـدة أيام حتى أعلن عن مؤامرة فى مايو اعتقل فيها كثير من القوميين ٠

المقاومة للنظام الجديد مستمرة أيضا من جانب الشيوعيين الذين حاول بعضهم يوم ٣ يوليو الاستيلاء على معسكر الرشيد واقتحام السجن رقم (١) للافراج عن ٣٠٠٠ سجين ٠٠ وأثناء المحاولة التى قتل فيها ٢٣ شخصا واعتقل المئات فى النادى الاوليمبى وصل عبد السلام عارف بنفسه حيث انتهت المحاولة ٠

ويقول أمين هويدى أنه عند الاحتفال بعيد الثورة فى سفارة الجمهورية حضر جميع المدعوين عدا الضباط الذين تنبه عليهم بذلك ٠

وكان القتال مع الأكراد قد استؤنف فى شهر يونيو وأعلنت الحكومة أن الهدوء يعود الى الشمال فى نهـاية الخريف ٠٠ ولكن ذلك كان حلما وخيالا ٠٠ فقد طلب وزير الدفاع صالح مهدى عماش فى شهـر سبتمبر معونة عسكرية من سوريا ، وأعد مشروع لوحدة عسـكرية بين البلدين تعقبها وحـدة دستورية بعد شهرين أو ثلاثة ٠٠ وعندمـا عرض المشروع على اجتماع مشترك للمجلس الوطنى لقيادة الثورة ومجلس الوزراء طلب وزير الصناعة ضرورة عرض الأمر على جمال عبد الناصر ، وسافر الى مصر يوم ٢ أكتوبر وفد برئاسة محمود شبيب خطاب وعضوية صبحى عبد الحميد وحردان التكريتى ، ولكن عبد الناصر كان غاضبا من اصدار البعث لبيان يوم ١٧ سبتمبر يتهم فيه مصر بالانفصالية وهو اليوم الذى كان محددا لاستفتاء الاتحاد ٠

كانت اذاعة صـوت الجماهير العراقيـة تتبادل الهجمات مع اذاعة صوت العرب ٠٠ واستدعى السفير المصرى الى القاهرة ٠

ويوم ٨ أكتوبر ١٩٦٣ أعلن عبد السلام عارف الوحدة العسكرية بين سوريا والعراق وتشكيل مجلس دفاع أعلى مؤلف من القائد العام للجيش الموحد الذى تولى منصبه صالح مهدى عماش ، وثلاثة من كل قطر واتخذت دمشق مقرا للقيادة العامة ٠

ووصلت الى العراق فعلا قوات سورية محدودة بقيادة المقدم فهد الشـاعر ٠

لم تكن مشكلة الأكراد والحرب معهم هى الهم الوحيد لنظام الحكم فى العراق ٠٠ تكاثفت الهمـوم فى التناقضـات المتزايـدة مـع القوميين والمقاومة المستمرة من الشيوعيين ، والخـلاف المتزايد وتبادل الحمـلات الاعلامية مع مصر ٠

الانقضاض على البعث :

ولم تكن هذه هى الهموم الوحيدة أيضا ٠٠ نبتت فى صفوف البعث نفسه تناقضات حادة تجسمت بين الجيش والحرس القومى ٠

ونظام الحكم كان يحاول أن يخلق جيشا عقائديا عن طريق الحاق دفعات كاملة من الطلبة البعثيين بالكلية الحربية ، وترقية الضباط البعثيين وتوليتهم المراكز القيادية ، فقد فصـــل عارف عبد الرازق الذى أسـهم فى ضرب وزارة الدفاع بالطائرات ، وعين بدلا منه حردان التكريتى لأنه بعثى ٠٠ كما كانت تمنح الرتب العسكرية لبعض المدنيين ٠

ولكن الفترة لم تكن كافية لتكوين عقائدى ٠ وظروف الجيش تختلف عن الحرس ، حيث يسود فى الجيش الانضباط والضبط والربط والتقاليد العسـكرية ٠٠ أما فى الحرس القومى الذى أعطيت له مهمتان رئيسيتان هما معاونة القوات المسلحة للدفاع عن الوطن وصيانة الأمن الداخلى فان الأمور كانت تمضى بطريقة عفويـة ارتجاليـة تستهدف ارهـاب الناس وتجميع عناصر تتدفق فى تيار الموالاة للحزب بلا فكر ولا وعى عميق ٠

وبدأت الخلافات تنمو بين الجيش والحرس القومى حتى أرسـل صالح مهدى عماش برقية فى ١١ يونيو ١٩٦٣ يمنع فيها منعاً باتاً تدخل الحرس القومى فى أى قضية اطلاقا مهما كان موضوعها الا اذا طلب منه ذلك ٠٠ وكان ذلك ردا على اجبار الحرس القومى لبعض مديرى البلديات على الاستقالة ورفض الوزير لذلك ٠

وأصدر الحاكم العسكرى الزعيم رشيد مصلح بيانا فى ١٩ أكتوبر ٦٣ يقول فيه (كثرت الشكايات من جـراء التصرفات اللا قانونية من قبل التحقيق الخاص للحرس القومى) ٠

كان هذا تعبيرا عن الانقسام داخل حزب البعث .. علي صالح السعدي يعتمد على منذر الونداوي والحرس القومي .. وحازم جواد يعتمد على الجيش .

وكانت انتخابات القيادة القطرية للبعث تجرى يوم ١١ نوفمبر عندما هجم ٢٠ ضابطا من سرية الانضباط العسكري واقتحموا قاعة الانتخابات مهاجمين على صالح السعدي .

كان هؤلاء الضباط يتحركون بتعليمات من حازم جواد وطالب شبيب وبمعرفة صامتة من عبد السلام عارف وأحمد حسن البكر وطاهر يحيى .

وكانت نتيجة الاقتحام ترحيل علي صالح السعدي وحمدي عبد المجيد وهاني الفكيكي ومحسن الشيخ راضي وعبد المطلب الهاشمي أعضاء القيادة القطرية للحزب الى مدريد .

كانت الظروف تخدم عبد السلام عارف دون جهد .

حزب البعث يمزق نفسه بتناقضاته وصراعاته الداخلية .

عندما علم الحرس القومي بترحيل علي صالح السعدي وزملائه خرج الى الشوارع بأسلحته واحتل الكباري والجسور ، وحاصر قاعدة الحبانية مصرحا للقوات بالتحرك منها الى بغداد معترضا طريق المتحركين الى القاعدة من بغداد .. وتطورت الأمور الى حد قصف وزارة الدفاع والقصر الجمهوري ومعسكر الرشيد واحراق طائرات ميج ١٩ .

انقلاب على الانقلاب .. والموقف في الجيش لم يعد يحتمل تحركات الحرس القومي .. وعبد السلام عارف يصدر قرارا بمنع التجول في بغداد وبحل الحرس القومي وتجريده من السلاح ونزول الجيش الى الشوارع .

رفض صالح مهدي عماش تنفيذ الأمر طالبا عرضه على أحمد حسن البكر الذي اتصل بقيادة الحزب في بغداد التي أصرت على ابعاد كل من حازم جواد وطالب شبيب كشرط لاعادة الحرس القومي الى مقره .

وافق عبد السلام عارف وأبعد الاثنين الى بيروت تحت وعد منه بعودتهم بعد أيام .

وهرع الى بغداد يوم ١٣ نوفمبر كل من ميشيل عفلق وأمين الحافظ وصلاح جديد ونسيم مجدلاني وأدانوا حازم جواد وطالب شبيب .

كانت الفرصة متاحة أمام عبد السلام عارف لضرب ضربته وامتلاك السلطة بين يديه ، وابعاد سيطرة حزب البعث ٠٠ فكلف صبحي عبد الحميد مدير التحركات العسكرية بوضع خطة تدخل الجيش تحت اسم كودى - (سلام) وافق عليها طاهر على وكردان التكريتي وسعيد صليبي آمر الانضباط العسكرى ٠

تم اعتقال صالح مهدى وعماش فى مكتبه بوزارة الدفاع بوساطة سعيد صليبي وسكرتيره الخاص ٠٠ وعين عارف نفسه رئيسا للمجلس الوطنى لقيادة الثورة وقائدا عاما للقوات المسلحة وشكل وزارة برئاسة طاهر يحيى وعين حردان التكريتي نائبا للقائد العام ٠٠ وأصدر أمرا بحل الحرس القومى وكافة الانظمة والتعليمات التى أصدرها ٠٠ ومصادرة الأسلحة التى كانت فى يده والتى صنعت فى مصر باسم رشاش بورسعيد٠

واعتقد حازم جواد وطالب شبيب أن الفرصة قد عادت لهما فرجعا من بيروت ولكنهما أعيدا على نفس الطائرة ٠

وانتهت صفحة فى تاريخ ثورة ٨ فبراير ١٩٦٣ ٠

وانتهت أيضا للمرة الثانية مشاركة حزب البعث فى حكم العراق ٠٠ وتشتت أعضاؤه انقسامات وخلافات ٠

وحزب البعث فى حياة المشرق العربى السياسية يشكل المصدر الذى تفرعت منه التنظيمات المسماة بالقومية ٠٠ معظم المنشقين عليه لم يطلقوا السياسة وانما شكلوا تنظيمات متعددة اعتمدت أساسا على جماهيره ٠

واصبحت الحياة السياسية منقسمة تقريبا الى ثلاثة أقسام ٠٠ أحزاب تقليدية تأسست على أفكار وطنية بلا مضمون اجتماعى مثل حزب الشعب والحزب الوطنى فى سوريا وحزب الاستقلال فى العراق ٠٠ وأحزاب قومية فى مقدمتها البعث ٠٠ وأخيرا الأحزاب الشيوعية واليسارية ٠٠

وما كاد الحكم يستقر لعبد السلام عارف رئيسا للمجلس قيادة الثورة حتى سعى الى انهاء دور البعثيين الذين تعاون معهم ٠٠ فأقال حردان التكريتي كوزير للدفاع وعينه سفيرا فى السويد ٠

ولم يركن حزب البعث الى السكون ٠٠ بدأت محاولات جديدة لتكوين الحزب بعد عشرة شهور فى مايو ١٩٦٤ عندما أعيد تكوين القيادة القطرية بعبد الكريم الشيخلى أمينا للسر وصدام حسين عضوا ومسئولا عن الجناح العسكرى وحسن العامرى عضوا عن فرع بغداد ٠

اتجهت القيادة الجديدة الى الجيش وركزت عليه بعدة تنظيمات : مكتب عسكرى مركزى ، وتنظيم للضباط ذوى الرتب الكبيرة ، وتنظيم ثالث للضباط ذوى الرتب الصغيرة ، ثم تنظيم لضباط الاحتياط يضم الضباط الاحتياط المسرحين وطلبة الكلية العسكرية المطرودين .

اكتشف الحزب أن الطعنة قد وجهت اليه من الجيش الذى مازال يعيش فى ظل النظام والعقلية السابقة .. وأن فرصتهم المتاحة فى الحكم لم تكن كافية لتحويله الى عقائدى لنفور أغلبية الضباط من الالتزام بأى تنظيم خلاف الجيش .. ولاقتناع معظمهم بأن دورهم الرئيسى فى العسكرية وليس فى السياسة ، وأخيرا لما تعرض له الجيش من صدامات مسلحة بذرت فى النفوس نفورا من السبب الذى يدفع الى ذلك .

حكم عبد السلام عارف :

وخلال فترة محاولة البعث اعادة تنظيم قواته ، بدأت التنظيمات القومية التى طفت على السطح تحاول تشكيل جبهة موحدة ثم انتهى الأمر الى تشكيل الاتحاد الاشتراكى فى اجتماع عقد بقاعة الخلد فى بغداد فى الفترة من ١٤ الى ٢٤ يوليو ١٩٦٤ .

تولى الأمانة العامة عسكرى هو عبد الكريم فرحان ، وانتخب فؤاد الركابى أمينا مساعدا .. وصدر له ميثاق يكاد يكون صورة طبق الأصل من ميثاق مصر .

وبدأ الاتحاد الاشتراكى العربى فى العراق نشاطه بلقاء مع الاتحاد الاشتراكى فى مصر خلال ابريل ١٩٦٥ ... كان الوفد المصرى مشكلا من أربعة من العسكريين هم كمال رفعت رئيسا وشعراوى جمعة وكمال الحناوى وفتحى الديب وأربعة من المدنيين هم الدكتور حسين خلاف والدكتور ابراهيم سعد الدين وعلى السيد على وجميعهم أعضاء فى الأمانة العامة ثم أحمد بهاء الدين عضو أمانة الصحافة .

كان تنظيم الاتحاد الاشتراكى شكليا وغير مؤثر وعاجزا عن توحيد التنظيمات القومية التى كانت تتشرذم وتتضاعف مع مرور الوقت .

كان عبد السلام عارف يحاول الاعتماد على شخصيته دون الاعتماد الجدى على تنظيمات مكتفيا بسيطرته على الجيش والشرطة وأجهزة الأمن ولو أنه لم يبالغ نسبيا فى استخدامها .

كما أن عبد السلام عارف كان يتعثر فى خطواته نحو الوحدة وهو الذى هرع يروج لها فى الأيام الأولى من ثورة ١٤ يوليو .

صحيح أنه بدأ تنسيق سياسى بين مصر والعراق يوم ٢٦ مايو ١٩٦٤ بعد زيارة عارف لمصر لحضور احتفال تحويل مجرى النيل عند السد العالى فى أســوان مع خروشوف وأحمد بن بيللا وهى الزيارة التى تهجم فيها خروشوف على عارف متهما اياه بشنق الشيوعيين ، وما تبع ذلك من حوار طويل عن قضية وحدة الطبقة العاملة والوحدة العربية كلها كما روى محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) .

وصحيح أنه شكل لذلك مجلس رئاســة من جمــال عبد الناصر وعبد السلام عارف كان مفروضا أن يجتمع مرة كل ٣ شهور .... وكان الأعضاء من الجـانب المصرى هم عبد الحكيم عامر وعلى صبرى والدكتور محمود فوزى ومحمود رياض وأمين هويدى (وهم جميعا عسكريون عـدا واحـد فقـط) ومن الجـانب العراقى صبحى عبد الحميـد وعبد الرازق محى الدين وشكرى صالح زكى (وهم جميعا عسكريون) .

كما عين ٣ وزراء للوحدة مع العراق ... من مصر شعراوى جمعـة وكمال الحناوى وعلى السيد على ... ومن العراق ناجى طالب وأديب الجادر وعبد الستار الحسين .. وعين فتحى الديب أمينا عاما للمجلس .

وفى ١٦ أكتوبـر انبثقت قيـادة سياسيـــة موحـــدة من رئيسى الجمهوريتين .

ولكن ظلت هذه التنظيمات شكلية المظهر محدودة الأثر ... الوحدة الوطنية فى العراق لم تكتمل .

عدم اعتماد نظام الحـكم على حزب ثورى ، والتمـزق الذى شمــل القوميين ، والضعف النسبى لشخصية عبد السلام عارف ، واشتعال العداء ضده من جانب الحزب الشيوعى وحـزب البعث ... كل هذه العوامـل أخرت تحقيق الوحدة الوطنية ، وكانت بالتالى دافعا الى شكلية اجراءات الوحدة مع مصر .

ولم يقف الخلاف والتناقض بين عبد السلام عارف وأعوانه من جهة والمختلفين معه من جهة أخرى .... وانما امتد الى دائرة السلطة ، تماما كما حدث مع البعث ولكن بصورة أخرى .

كان عبد السلام عارف قد تأخر متعمدا فى تشكيل مجلس قيـادة الثورة ، الأمر الذى أثار حفيظة المقربين اليه ..

وعندما قــرر عبد السلام عارف تعيين شقيقه عبد الرحمن رئيسا للأركان اعترض على ذلك كل من صبحى عبد الحميد وعارف عبد الرازق

وعبد الكريم فرحان وهادى قماش (رئيس المخابرات) لأنه لم يكن مؤهلا أو حاصلا على شهادة كلية أركان الحرب ٠

وزادت التناقضات بين الشخصيات الملتفة حول عارف ٠٠٠ واستقال وزير الاعلام عبد الكريم فرحان فيما سمى بأزمة الاذاعة عندما رفض مدير الاذاعة عمل دعاية سافرة لعبد السلام عارف وتضامن معه الوزير ٠

سافر عبد الكريم فرحان الى مصر يوم ٣٠ يونيو واستقال تضامنا معه دون وجود أية رابطة تنظيمية كل من صبحى عبد الحميد وزير الداخلية ، وأديب الجادر وزير الصناعة وفؤاد الركابى وزير الشئون البلدية وعزيز الحافظ وزير الاقتصاد وعبد الستار الحسين وزير العدل ٠

لم يكن هذا التضامن قائما على أسس تنظيمية وانما كان عفويا وحماسيا ٠

وعندما رفض المستقيلون العودة شكل عبد السلام عارف وزارة جديدة برئاسة طاهر يحيى يوم ١١ يوليو ١٩٦٥ ٠

ولم يلبث عبد السلام عارف أن كلف عارف عبد الرازق بتشكيل وزارة جديدة مستهدفا ابعاده عن قيادة القوات الجوية أولا وعزله عن الفئات القومية ثم تصفيته ثانيا ٠

رفضت التنظيمات القومية الاشتراك فى وزارته ٠

وكان عارف عبد الرازق قد قرر القيام بانقلاب ضد عبد السلام عارف ، ولذا قبل الوزارة واستجاب لطلبات عبد السلام عارف بنقل عدد من الضباط خارج بغداد وذلك تفاديا للاصطدام ، وكشف خطة الانقلاب مبكرا ٠

ولكن استمرار نقل الضباط كان يعنى ابتعاد العناصر التى يمكن الاعتماد عليها ، ولذا قرر الاسراع بالانقلاب ليكون ليلة ١٤ ــ ١٥ سبتمبر ١٩٦٥ أثناء وجود عبد السلام عارف فى الدار البيضاء بالمغرب بعد أسبوع واحد من تعيينه ٠

كانت شخصية عارف عبد الرازق لا تؤهله لمثل هذا العمل رغم أنه كان رئيسا للوزراء ٠٠٠ فهو لم يبلغ صبحى عبد الحميد ، وأفرج عن سعيد صليبى آمر الانضباط العسكرى بعد صدور الأمر باعتقاله ٠٠٠ الأمر الذى كتل ضده قوات الانضباط ، وعزله عن أصدقائه الذين انفرد دونهم بالعمل ٠

وعندما شعر عارف عبد الرازق بفشل خطته ركب طائرة حربية صباح يوم ١٥ سبتمبر وهرب الى القاهرة •

لم يكن عبد السلام عارف يعرف شيئا عما يدور في بغداد الا بعد ان ابلغه جمال عبد الناصر من القاهرة •

ورتب السفير المصري أمين هويدي اجراءات عودة عبد السلام عارف الى العراق في طائرة حربية ••• ويقول أمين هويدي أنه لم يبلغ عبد الرحمن بخبر عودة شقيقه الا في المطار عند وصوله عصر يوم ١٦ •

أول قرار لعبد السلام عارف كان تحديد اقامة صبحي عبد الحميد وعبد الكريم فرحان في منزليهما وتكليف الدكتور عبد الرحمن البزاز بتشكيل الوزارة الجديدة •

كانت هذه التغييرات قد اضعفت قدرة النظام في نظر الجماهير ولم تحله شعبية مطلقا •• التنظيمات القومية مشغولة بخلافاتها الخاصة •• الحزب الشيوعي يحاول استجماع قوته ومواصلة نضاله •• وحزب البعث يعيد تنظيم نفسه وخاصة بعد الضربة التي وجهتها له أجهزة الأمن في سبتمبر ١٩٦٤ ، عندما اكتشفت محاولة اعادة التنظيم الحزب واعتقال عدد كبير من الأعضاء •

كان موقف القاهرة من عبد السلام عارف موقف التأييد المصحوب بالحيرة ، فهو في تصرفاته الداخلية يتناقض مع بقية القوميين ويعطي الفرصة لضعف النظام لاعدائه وأعداء القاهرة •

وحدث انقلاب عسكري في سوريا في فبراير ١٩٦٦ أطاح بأمين الحافظ ، وأصبح نور الدين الأتاسي رئيسا للجمهورية ويوسف زعين رئيسا للوزراء وابراهيم ماخوس وزيرا للخارجية وحافظ الأسد وزيرا للدفاع •

وكان الانقلاب في حقيقته انفجارا داخل حزب البعث وتغليبا للاتجاه الحزبي ••• وقد انعكس ذلك على حزب البعث في العراق فأضعف من موقفه ، وخلق له جناحين ، الضعيف منهما مرتبط بسوريا وعطل بالتالي فرصة انقضاضه على النظام الضعيف •

عبد الرحمن ••• بدلا من عبد السلام :

ولم تكد تمضي عدة أسابيع حتى لقي عبد السلام عارف حتفه في حادث سقوط طائرة هليوكبتر في ابريل ١٩٦٦ أثناء جولة فوق منطقة البصرة ، وانتهت حياة الرجل الذي بدأ مع ثورة يوليو نائبا لرئيس مجلس

الثورة ثم أمضى فى السجن ثلاث سنين وعشرين يوما بعد تغيير حكم الاعدام حتى عاد رئيسا للجمهورية مع ثورة ٨ فبراير ١٩٦٣ ·

كان اختفاء عبد السلام عارف صدمة مفاجئة لجمال عبد الناصر وضعت النظام كله فى وضع حرج ، وتحملت القاهرة جانبا من مسئولية استمرار النظام فقد كانت هناك قوات عسكرية مصرية استدعاها عبد السلام عارف · وبلغت حوالى ١٢٠ طقما كاملا للدبابات ولواء مشاة وعددا من الطيارين ·

وتقرر سفر بعثة مصرية للعزاء يرأسها المشير عبد الحكيم عامر وتضم عبد الحميد السراج وأمين هويدى وعبد المجيد فريد · وحدد جمال عبد الناصر موعدا يلتقى فيه بالمشير والسفير بالعراق أمين هويدى الذى أصبح وزيرا للاعلام ··· ولكن المشير لم يحضر فى الموعد ، رغم انتظار جمال عبد الناصر وهويدى لمدة تزيد على الساعة ·

انتهت المقابلة دون حضور المشير وعبد الناصر يردد (أعمل ايه فى المشير بتاعكم ده ·· حتى المواعيد لا يحترمها) ·

كانت هذه ظاهرة من الظواهر التى توضح مناطحة المشير للرئيس ودخوله مرحلة عدم الاكتراث وفرض سلطته الذاتية ·

سافر الوفد الى العراق بغير خطة منسقة ·

وكان موضوع خلافة عبد السلام عارف فى قائمة الموضوعات المطروحة ·

واستقر رأى المشير والسراج على تعيين عارف عبد الرازق رئيسا لجمهورية العراق ··· وأرسل المشير برقية الى القاهرة يطلب ارساله على طائرة خاصة حيث كان يقيم فيها بعد انقلابه الفاشل ·

ولم يكن هذا الرأى متفقا مع تفكير السفير السابق أمين هويدى لاعتقاده أن عارف عبد الرازق عاجز عن ادارة الدولة الى جانب أنه رجعى ويمينى بالسليقة ··· فبادر بارسال برقية الى عبد الناصر يحذر فيها من هذا التعيين ويوضح أخطاره ويطلب عدم ارسال عارف عبد الرازق تفاديا لحدوث كارثة على حد تعبيره ·

وافق عبد الناصر على فكرة أمين هويدى التى عرضت عليه بعد نومه فى الثانية بعد منتصف الليل ، وبعد أن كان سامى شرف قد أبلغ عارف عبد الرازق الذى استعد فعلا للسفر جاء فتراجع عن الاتصال به ·

ووافق جمال عبد الناصر أيضا على تعيين عبد الرحمن عارف فى منصب شقيقه •

وعندما بلغ المشير عامر ثار وقرر مغادرة بغداد قبل وصول عبد الرحمن عارف من موسكو حيث كان فى زيارة لها ••• وعند وصوله الى مطار بغداد أبلغه عبد المجيد فريد عضو بعثة العزاء المصرية أنه مرشح للرئاسة ، فغادر المطار الى القصر الجمهورى فورا •

وهكذا انتهت صفحة عبد السلام عارف الذى لم تعلن دمشق وتونس الحداد عليه من كل الدول العربية •

وبدأت صفحة جديدة فى حياة الجمهورية العراقية ••• كانت أكثر ضعفا ••• فشخصية عبد الرحمن كانت أقل لمعانا من شخصية شقيقه •

دور مصر المؤثر خلال هذه المرحلة على السياسة العراقية كان ناتجا من ضعف رؤساء الجمهورية وعدم اعتمادهم على تأييد شعبى جارف أو تنظيم حزبى صلب ••• ووجود تناقضات وخلافات حادة بين جهاز الحكم وبين الأحزاب والتنظيمات الثورية مثل الحزب الشيوعى وحزب البعث •• وعدم القدرة على ربط كافة الخيوط فى قيادة واحدة متماسكة ••• الأمر الذى اقتضى وجود قوات عسكرية مصرية فى العراق ، لم يقبل جمال عبد الناصر أن تشترك فى أى عمليات ضد الأكراد فى الشمال ، كما أنه أعطى لها تعليمات بألا تستفز مشاعر المواطنين بالظهور بالملابس الرسمية أو الاقامة فى معسكرات داخل بغداد ••• ولكنها فى النهاية كانت تحت تصرف رئيس الجمهورية لحمايته •

هكذا كانت العلاقة وثيقة بين السلطة فى القاهرة والسلطة فى بغداد ، ولكنها كانت تعتمد على جسر عسكرى وليس على جسر تنظيم شعبى •

لم يكن سهلا عقد صلة تنظيمية من أى نوع بين مصر والعراق ، فان شرذمة وتمزق التنظيمات القومية كان قد وصل الى حد مذهل اذ بلغت ٢٨ تنظيما مختلفا حتى أصبح اختيار الأسماء لها عملية معقدة متشابكة ••

والحساسية من البعث مازالت قائمة ••• والعداء للحزب الشيوعى لم يتغير •

واستمر الموقف كذلك حتى اقترب عام ١٩٦٧ وهو ما نتحدث عنه فى الجزء الرابع (خريف عبد الناصر) •

الباب الرابع

● اليمن السعيد

(عندما زرت الكونغو شاهدت جريمة الاستعمار ، ولكن عندما وصلت الى اليمن آمنت بأن من سوء الحظ انها لم تعرف ولو قدرا ضئيلا من الاستعمار)

رالف بانش

الأمين العام المساعد لهيئة الأمم المتحدة

الفصل الأول

الامـامـة فى اليمـن

امتد حـكم اليمن ما يقـرب من ١١٠٠ عام ، وقتل خلال هذه الفترة ١٨ اماما .

لم يثر خلاف حول موضوع ، مثل الخلاف حول مساعدة ثورة يوليو المصرية لثورة سبتمبر اليمنية .. وهو خلاف يعبر عن التنافر فى وجهات النظر حول التعاون بين حركات التحرر الوطنى فى مختلف الدول .

والعلاقة بين مصر واليمن لم تبدأ فجـأة يـوم الثـورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ... ولم تكن أيضا هى العلاقة الرئيسية الوحيدة مع اليمن .

وعلاقات اليمن مع الدول الأخرى ذات طبيعة فريدة .

عقد الامام يحيى معاهدة صداقـة مع ايطاليا عام ١٩٢٦ لمواجـهة انجلترا فى جنوب اليمن ، وعقـد معاهدة صداقة وتجـارة مع الاتحـاد السوفيتى عام ١٩٢٨ وعقد معاهدة مع بريطانيا عام ١٩٣٤ لم تحدد فيها حدود اليمن الجنوبية ، وظلت هناك بعثة تجارية سوفيتية فى اليمن حتى عام ١٩٣٨ ... ووصلت بعثة أمريكية للتنقيب عن البترول عام ١٩٧٢ ولكنها بقيت خمس سنوات بـلا اذن حتى انتقـلت الى السعوديـة عـام ١٩٣٢ ... وعقد الامام معاهدة صداقة مع الأمريكيين أيضا عام ١٩٤٦ .

وعقد الامام يحيى أيضا معاهدة صداقة مع العراق عام ١٩٣٦ لتربط بين الحكام الهاشميين فى كلتا الدولتين لمواجهة حكام المملكة السعودية ٠

ولكن لم تكن هناك معاهدات مع مصر ٠٠٠ فالاحتلال البريطانى لم يكن يشجع حركة مصر فى المجال العربى ٠٠٠ كل ما أرسلته مصر كانت بعثة تعليمية كبيرة أرسلت عام ١٩٤٧ ووقع معظم أعضائها تحت نفوذ الاخوان المسلمين الذين كان ضابط اتصالهم فى اليمن جزائريا كان عضوا فى مكتب الارشاد هو الفضيل الورثلانى ٠

وقد اشترك الفضيل الورثلانى فى انقلاب دبره الأحرار اليمنيون ضد الامام يحيى حيث قتلوه عام ١٩٤٨ وتولى الحكم عبد الله الوزير باسم (امام الشورى والدستور) ٠

الذين دبروا الانقلاب كانوا أعضاء فى حزب الأحرار اليمنيين الذى تكون بتشجيع البريطانيين عام ١٩٤٤ فى عدن ٠ وتغير اسمه عام ١٩٤٦ الى (الجمعية اليمنية الكبرى) عقب احتجاج الامام على الحزب الذى كان تحت قيادة محمد محمود الزبيرى وأحمد محمد النعمان ٠ وهما اللذان دبرا الانقلاب ضد الامام يحيى مع بعض العناصر العسكرية مثل الضابط العراقى جمال جميل أحد المشاركين فى انقلاب بكر صدقى فى العراق ٠ وأحد أعضاء البعثة العسكرية العراقية التى حضرت لليمن عام ١٩٣٦ ٠ والضابطان اليمنيان عبد الله السلال وحسن العمرى ٠

ولكن الانقلاب لم يدم أكثر من شهر واحد فقد جمع الامام أحمد قبائل تعز والحديدة وحجة وحاصر صنعاء بمساعدة السعودية حتى استسلمت فأعدم عبد الله الوزير وجمال جميل واعتقل النعمان والسلال والعمرى ٠

وأصبح أحمد اماما لليمن ٠٠٠ وضعف حزب الأحرار اليمنيين ٠

وكان الامام أحمد شخصية أسطورية ٠ يعزل بلده تماما عن حضارة العصر ، ويستفيد من الأجانب فى حدود مصلحته الذاتية ٠٠٠ فقط ٠

قال رالف بانش عقب عودته من اليمن بعد زيارته لها موفدا من الأمم المتحدة كما يروى محمد حسنين هيكل (عندما زرت الكونغو شاهدت جريمة الاستعمار ٠٠ ولكن عندما وصلت الى اليمن آمنت بأن من سوء الحظ أنها لم تعرف ولو قدرا ضئيلا من الاستعمار) ٠

وقال لى الفريق صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية الذى رافق رالف بانش فى رحلته الى اليمن أنه سأله مبتسما بعد وصوله الى المطار ٠ هل أطلقتم قنبلة ذرية ؟

وضاعت دهشـــة الحديدى عندما تبين أنه يقصد عواصف التراب التى تثيرها العربات التى تسير فى طريق غير ممهد •

ويروى الحديدى أيضـــا أن رالف بانش سأله عقب خروجه من الحمام : هل تشربون الشاى فى الحمام ؟

كان هناك أبريق شاى للاغتسال فى الحمام •

وقد انعكست عزلة اليمن على مختلف مظاهر الحياة •

الجيش فى اليمن :

وكانت مظاهر التخلف واضحة تماما فى الجيش اليمنى •

عندما خرج الأتراك من اليمن عام ١٩١٨ تركوا وراءهم قوات يمنية مقسمة الى بلوكات وطوابير سرايا وكتائب) ••• الجنود فيهـا دائمون مثل الشرطة لا يخرجون الى الاحتياط ، وعهدة كل جندى بندقية وخمسون طلقة رصاص ، وسترة وزمزمية وحصيرة متران فى نصف متر وسجادة صغيرة من صوف الغنم •

الجندى يحتفظ بعهدته الى أن يموت فتتسلمها الحكومة من الورثة واذا أراد أحد الجنود ترك الجيش استبدل نفسه برجل آخر يدفع له مبلغا من المال ليحل محله ••• واذا مات الجندى لا يجند بديل له •

الجندى يحصل على مرتب شهرى ٦ ريالات يمنية وأربعـة أرغفة خبز فى اليوم دون ادام ••• والملابس غير موحدة ••• كل يلبس على مزاجه الا فى أيام الأعياد والاستعراضات فقط فيكون هناك حد أدنى من الوحدة فى الملابس •

هذا الجيش التاريخى القديم يطلق عليه اسم (الجيش المظفر أو الأزكى) وهو ما زال موجودا حتى اليوم •

أول تغيير حضارى عرفه الجيش كان عقب المعاهدة مع العراق عام ١٩٣٦ عندما ذهب الضابطان أحمد الثلايا وحمود الجائفى للدراســـة العسكرية الكاملة ، وذهب عدد آخر لدراســـة الاشبـــارة ومنهم المشير عبد الله السلال •

وقامت البعثة العسكرية العراقية بقيادة العقيد اسماعيل صفوت بفتح مدرسة عسكرية وبدأت تعد نوعا جديدا من التنظيم والتجنيد تحت اسم (الجيش الدفاعى) مدة الخدمة فيه ٤ سنوات ويســير على أسس موحدة فى اللبس والنظام •

كان يدرس فى المدرسة الحربية ضباط عراقيون وأتراك ويمنيون • وعندما انتهت مدة البعثة العسكرية العراقية لم يبق الا الضابط العراقى جمال جميل الذى اشترك فى انقلاب ١٩٤٨ ضد الامام يحيى ، وبعد انتصار الامام أحمد أغلق المدرسة الحربية •• وان كان (الجيش الدفاعى) الذى كانوا يطلقون عليه اسم (التامونة) ظل قائما •

وكان هناك جيش ثالث الى جانب الجيش المظفر والجيش الدفاعى • هو (الجيش البرانى) الذى يتكون من جنود تابعين للقبائل ، يدفع لهم الامام مرتبا ربع ريال فى اليوم • وكان جنود هذا الجيش فى خدمة المحافظين الذين يعينهم الامام فيرسل الجنود الى الفلاحين ليبقوا معهم فى الأرض يأكلون ويشربون على حسابهم ويضمنون دفع الفلاحين للضرائب العينية التى يقدرها عليهم (المخمنى (وهو رجل يتنبأ أو يخمن بالحاصلات الزراعية قبل نضجها •

وأخيرا كان هناك جيش رابع باسم (فوج البدر) كان تابعا للامام البدر ولى العهد • وكان جيشا نظاميا فى ملابسه وتحركاته ويتولى قيادته العقيد عبد الله السلال بعد خروجه من السجن عام ١٩٥٣ بعد خمس سنوات قضاها فى ظروف معيشية قاسية •

وهكذا اجتمعت فى اليمن أربعة أنواع من الجيوش •

الجيش المظفر وكان أميره أو قائده رجلا عجوزا اسمه على بن ابراهيم لفت اليه الأنظار عندما حضر ممثلا للجيش اليمنى فى اجتماعات الجامعة العربية وهو يلبس العمامة • وقد خلفه قائد آخر من نفس الطابع اسمه الشريف الضمين • ويقدر عبد الله جزيلان رئيس أركان الجيش اليمنى ــ فيما بعد ــ هذا الجيش بحوالى ٣٠ر٠٠٠ جندى •

والجيش الدفاعى ويقدر عدده بحوالى ١٥ر٠٠٠ جندى •

أما عدد الجيش البرانى فيصل الى ٢٠ر٠٠٠ جندى •

ووصل فوج البدر إلى ما يقرب من ١٠ر٠٠٠ جندى •

الوحيد الذى كان يعرف الأرقام بدقة هو الامام أحمد الذى كان يدفع لها المرتبات ويحتفظ فى خزانته بكشوف الأعداد •

أسلحة هذه الجيوش كانت متنوعة • بنادق تركية قديمة ، ومدفعية ميدان من الحرب العالمية الأولى ، وأسلحة بريطانية من العراق ، ثم أسلحة فرنسية من البنادق والرشاشات أهدتها بعثة فرنسية الى الامام عام ١٩٤٧ •

رغم تعدد هذه الجيوش وكثرة عدد أفرادها ، فانها كانت لا تصلح للقتال الحديث • فالضباط بالكاد يعرفون القراءة والكتابة ، ومعظمهم غير مؤهلين بالدراسة الحديثة ، والظروف المعيشية للجنود قاسية •

عندما حاول الامام غزو اليمن الجنوبيـة فى أواخر ١٩٤٨ قضت الملاريا على الجنود بمعدل ٣٠ الى ٤٠ جنديا فى اليوم ، وأصـبح ذلك موضعا لتندر الأغانى الشعبية •

الله يخليك يا جيش يا نظامى •

القبر مفتوح والكفن مراعى •

بلد ذو طبيعة خاصة تتعدد فيه الجيوش ، وجميعها تتحرك بأصابع الامام الذى يجيد خلق التناقضات بين القبائل واستغلال الثغرات بينها •

ومع ذلك لم تكن الامامة بعيدة عن محاولات الانقلاب •

محاولات الانقلاب :

وكان العسكريون موجودين دائمـا فى محاولات الانقضـاض على الامام •

انقلاب ١٩٤٨ الذى قتل فيه الامام يحيى وتولى بدلا منه عبد الله الوزير شارك فيه كما ذكرنا الضابط العراقى جمال جميل والضابطان اليمنيان عبد الله السلال وحسن العمرى •

واسترداد الامام أحمد للعرش بعد ٢٥ يوما من الانقلاب تم بعمل عسكرى حوصرت فيه صنعاء حصارا تاما بعد التجمع فى حجة • واعتمد أحمد فى ذلك على الجيشين (المظفر والبرانى) •

وفى مطلع الخمسينيات بدأت تنشأ تنظيمات حزبيـة معارضـة للاحتلال فى جنوب اليمن مثل حزب رابطة أبناء الجنوب والجمعية اليمنية الكبرى وحزب الأمة والحزب الوطنى • وهى أحزاب كانت تتطلـع الى استقلال ولو شكليا للمحميات ، ويقتصر نشاطها على عدن وحدها •

كما ظهرت فروع لحزب البعث العربى الاشتراكى • ولحركة القوميين العرب • ثم أطلق فرع البعث على نفسه حزب الطليعة الشعبية •

وكانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد فرضت نفسها على الأمة العربية • ووجد الامام أحمد فيها سندا له ضد الوجود البريطانى فى الجنوب • فطلب بعثة عسكرية مصرية ، تواصل لنشاط البعثة العسكرية العراقية التى انتهت آثارها باغلاق المدرسة الحربية وقتل جمال جميل بعد فشل انقلاب ١٩٤٨ •

ورأس هذه البعثة اليوزباشي أحمد كمال أبو الفتوح الذى كان من قوة المخابرات ثم أصبح محافظا للقليوبية فيما بعد ، وكانت معه بعثة أيضا من ضباط الشرطة المصريين ٠

لم تحاول هذه البعثة القيام بأى نشاط سياسى ، فلم يكن من أهداف الثورة المصرية فى سنواتها الأولى الاهتمام بواقع الدول العربية اهتماما كبيرا ٠٠ كان التركيز على تحقيق الجلاء عن مصر ، ومقاومة الضغوط الاستعمارية لانشاء أحلاف عسكرية فى المنطقة ٠

ومضت أحوال البعثة هادئة ، ويقول أحمد كمال أبو الفتوح أنهم قد أقاموا علاقات طيبة مع اليمنيين واكتسبوا ثقة الامام نسبيا ٠ وفى مصر دخلت الكلية الحربية أول بعثة يمنية عام ١٩٥٢ من الطلبة الذين حضروا للتعليم منذ عام ١٩٤٨ قبل الثورة ٠ وتخرجت أول دفعة فى الكلية عام ١٩٥٥ ٠

وعقب توقيع اتفاقية الجلاء وبدء النشاط المصرى فى الدول العربية وزيارة صلاح سالم لسوريا وتوقيع اتفاقية الجيش فى مارس ١٩٥٥ ٠ زار اليمن ٠ ورقص مع القبائل رقصتها التقليدية كما فعل فى السودان ٠

وخلال هذه الفترة كانت تتصارع الاتجاهات السياسية وتصطدم المصالح الامبريالية ٠ وبرز دور الولايات المتحدة كقوة عالمية رئيسية ٠ وانتهزت فرصة الحياة الرجعية التى يفرضها الامام أحمد على اليمن فشجعت انقلابا ضده من عناصر من داخل الأسرة المالكة ، فقام الأمير سيف الاسلام عبد الله بمحاولة انقلاب على شقيقه الامام أحمد بالاشتراك مع المقدم أحمد يحيى الثلايا أول ضابط يمنى تخرج فى الكلية الحربية العراقية ٠

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) ان الامام أحمد قد روى لجمال عبد الناصر قصة احباطه للانقلاب ٠ عندما شاهد وهو محاصر فى قصره حارسا يفتش احدى جواريه فصاح (والله لن تفتش النساء ما دام حيا) وقفز على صهوة حصان وفى يده مدفع رشاش أخذ يطلقه من برج القصر ولما شاهده الناس أخذوا يهتفون (انتصر الامام ٠٠ انتصر الامام) ٠

وفعلا وبعد أن نشرت جريدة الأخبار فى صدر صفحتها الأولى يوم ٣ ابريل ١٩٥٥ مانشيت يقول (تنازل الامام أحمد عن العرش) ٠٠ انقلب الحال مرة أخرى وانتصر الامام أحمد وقتل شقيقه عبد الله والعباس ومعهما المقدم أحمد يحيى الثلايا الذى كان منضما لتنظيم اليمنيين الأحرار ٠

وسافر حسين الشافعي عضو مجلس قيادة الثورة الى اليمن لتهنئة الامام بنجاته حرصا على بقاء العلاقات الودية بين الدولتين لما أشيع فى ذلك الوقت من أن الضباط الثائرين كانوا على صلة بمصر ٠

ولكن أحمد كمال أبو الفتوح ينفى ذلك ويقول انه كان حريصا أشد الحرص على خلق علاقات ودية مع الجميع دون تشجيع أحد على ثورة أو انقلاب فى بلد عاش فيها سنوات ثم خرج منها وهو مازال تائها فى علاقات أهلها المتشابكة على حد قوله ٠

وفى عام ١٩٥٧ ذهبت بعثة عسكرية مصرية برئاسة العقيد حسن فكرى الحسينى مشكلة من خمسة ضباط وبعض ضباط الصف ٠ وكان عملها قاصرا ومحدودا على التدريب العسكرى ٠ فقد كان رئيس البعثة ضابطا ليست له خلفية أو اهتمامات سياسية ٠ بينما كانت مصر موضع انبهار الدول العربية جميعا عقب تاميم قناة السويس ٠ ومقاومة العدوان الثلاثى ٠ واجبار القوات المعتدية على الانسحاب بضغط حسابات سياسية ناجحة ٠ وكان جمال عبد الناصر قد أصبح شخصية لامعة تجذب الاهتمام واحترام الملايين من أبناء الأمة العربية ٠٠ حتى فى اليمن ، حيث كان الناس ما زالوا يعيشون حياة بعيدة عن حضارة العصر ٠

ولذا فانه ما أن تحققت الوحدة مع سوريا حتى بادر الامام يطلب الانضمام لها وأعلن الاتحاد بين مصر وسوريا واليمن عام ١٩٥٨ ٠

تطورات فى اليمن :

إقتراب مصر من اليمن حمل اليها بعض مظاهر الحضـارة ، وعلى سبيل المثال فان الضباط اليمنيين الذين دخلوا الكلية الحربية المصرية : درسوا وتدربوا على الأسلحة السوفيتية التى كانت قـد بدأت ترد الى القوات المسلحة المصرية بعد صفقة الأسلحة المعروفة باسـم التشيكية عام ١٩٥٥ ٠

وتدارس هؤلاء الضباط فى شئونهم وانتدبوا أحدهم وهو (عبد الله جزيلان) ليعود الى اليمن للاطلاع على ظروفها بعد فترة دراسة طويلة فى لبنان ومصر غاب فيها عن وطنه ٠

وعندما ذهب جزيلان الى اليمن وجد فى الجيش اليمنى أسـلحة لا يعرف عنها شيئا ٠ ووجدهم فى اليمن لا يعرفون شيئا عن الأسـلحة التى تدرب عليها فى مصر ٠ واضطر الى الخروج هاربا من اليمن عن طريق عدن ليطلع زملاءه من الضباط على هذه الحقيقة ٠

ولكن الأمور تطورت · وفى عام ١٩٥٧ أعيد افتتاح المدرسة الحربية وتولى قيادتها العميد حمود الجائفى ·

وانتهت الأمور الى اتفاق الامام مع السوفييت عام ١٩٥٧ على توريد أسلحة لليمن وايفاد بعثة عسكرية سوفيتية للتدريب عليه ·· ووصلت البعثة فعلا الى صنعاء · وافتتحت مدرسة للأسلحة بدأ تدريب اليمنيين فيها على أسلحة متطورة مثل الرادار والمدرعات وصيانة هذه الأسلحة ·

ويقول عبد الله جزيلان أنه عندما حدث النزاع المصرى السوفيتى عام ١٩٥٩ طلب حسن فكرى الحسينى ابعاد السوفييت ولكن جزيلان طالب ببقائهم ، فرفع حسن فكرى تقريرا الى البدر يتهم فيه الضباط اليمنيين بالشيوعية · ولكن البدر لم يأخذ التقرير مأخذ الجد ، لأنه كما يقول جزيلان كان يسخر من المظاهر العسكرية التى كان حسن فكرى يتظاهر بها ويريد أن يفرضها على الضباط اليمنيين · وكثيرا ما تندر عليه فى مجالسه ·

ونبتت منذ ذلك الوقت بعض الخلافات بين البعثة المصرية والضباط اليمنيين ، وصلت الى حد الصدام المكشوف بين حسن فكرى وجزيلان · عندما تكاسل صف ضابط مصرى عن تعظيم ضابط يمنى ، فأمر جزيلان ضباط الصف اليمنيين بالا يعظموا حسن فكرى قائد البعثة المصرية ·

وحدث عندما ذهب الامام أحمد الى روما للعلاج خلال عام ١٩٥٩ أن قامت حركة تمرد داخلى ومحاولة انقلاب قبلية تستهدف اعلان جمهورية يرأسها فعليا الشيخ حسين بن ناصر الأحمر · وكانت الحركة مساندة من الأحرار اليمنيين ·

وتصادف خلال هذه الفترة أن كانت مصر قد أرسلت أعدادا من العسكريين تزيد عن العدد المقرر للبعثة ، وذلك بناء على طلب البدر الذى كانت تربطه علاقة طيبة مع القاهرة ، وذلك لحمايته فى حالة موت الامام ·

بذر ذلك الشبهات فى صدر الامام أحمد ، ويقال أنه احتج لدى جمال عبد الناصر أثناء مقابلته له خلال عودته من روما بحرا فى قناة السويس · وعندما وصل الى الحديدة عامل ابنه البدر بقسوة وأعاد الى مصر كل الذين وصلوا فوق العدد المقرر للبعثة ·

ولكن البعثة نفسها لم تبق طويلا فى اليمن ·

ويقول الدكتور عبد الرحمن البيضانى أن الامام كان قد وصل فى هذه الفترة الى درجة من التوتر جعلته يأمر باعدام أربعة من جنود الحرس الامامى لأنهم جرءوا على المطالبة بمرتباتهم المتأخرة أو السماح لهم بالاستقالة ·

وفى السادس من مارس ١٩٦١ قام الملازم عبد الله اللقية والملازم محمد بن عبد الله العلفى بمحاولة اغتيال الامام أحمد فى الحديدة • وأصيب الامام ولم تنجح المحاولة • وكان العميد عبد الله السلال قائدا لميناء الحديدة فى ذلك الوقت •

وشكل الامام محكمة لمحاكمة الضباط الذين كانوا مثالا للشجاعة والسرية • وصدر الحكم بالاعدام على الضابطين اللذين أعدما علنا بقطع الرأس فى ميدان الشهداء •

وهكذا اقتربت الفترة الزمنية بين محاولات الانقلاب أو الاغتيال المتعددة • وتجمعها جميعا ظاهرة واحدة هى أن الذين يقومون بالتدبير والتنفيذ هم العسكريون •

والنقمة على النظام الامامى • وعلى الامام أحمد بالذات تزداد وتشتد • ويلاحظ أن عددا كبيرا من أئمة اليمن على امتداد حكم استمر ما يقرب من ١١٠٠ عام قد ماتوا قتلى من جور الظلم والاستبداد • قتل ١٨ اماما منذ القرن الرابع الهجرى •

كانت هذه هى الحال فى اليمن •

وكانت الأوضاع العربية تتغير أيضا •

العلاقات بين مصر والسعودية تحولت الى جفاء وعداء بعد اكتشاف محاولة الملك سعود لضرب الوحدة عن طريق رشوة عبد الحميد السراج الذى أبلغ جمال عبد الناصر بذلك •

الحكم العسكرى فى السودان أحاطها بعزلة شديدة عن الدول العربية المتحررة ، وخاصة الجمهورية العربية المتحدة •

الخلافات بين مصر والعراق تزداد يوما بعد يوم •• ولم يعد هناك أمل فى لقاء جمال عبد الناصر وعبد الكريم قاسم •

اتحاد الدول العربية (مصر ــ سوريا ــ اليمن) الذى وقع ميثاقه بعدم قيام الجمهورية العربية المتحدة فى فبراير ١٩٥٨ تحول الى اتحاد شكلى ليس له مضمون حقيقى •

وبعد الشكوك التى نمت فى صدر الامام أحمد أثناء وجوده فى روما وحدوث المحاولة الانقلابية فى اليمن وابعاد العسكريين المصريين الزائدين الى مصر ، حدث الخلاف المعروف بين العراق والكويت فى يوليو ١٩٦١ عندما طالب عبد الكريم قاسم بضم الكويت الى العراق فور اعلان استقلالها باعتبارها كانت ولاية تابعة للعراق فى عهد العثمانيين •

ولم يقف الامام أحمد مع جمال عبد الناصر فى موقفه المضـــــاد لعبد الكريم قاسم ، بل اظهر تعاطفا مع موقف العراق .

وعندما أعلنت القوانين الاشتراكية فى الجمهورية العربية المتحدة ـ يوليو ١٩٦١ ـ زادت حساسية الامام من مصر ، وكتب قصيدة شعرية هزيلة هاجم فيها مصر والاشتراكية .

وقررت مصر سحب بعثتها العسكرية ، فعادت فى سبتمبر ١٩٦١ بعد حوالى ثمانى سنوات قضتها هناك . وعاد أيضا الضباط وطلبة الكلية الحربية اليمنية الى بلادهم .

وتحلت محل البعثة المصرية بعثة عسكرية اردنية .

وهدأت الخلافات بين اليمن والسعودية .

ومع ذلك فان البعثة العسكرية السوفيتية التى كانت تشرف على مدرسة الأسلحة موجودة تواصل عملها فى هدوء ، ودون محاولة للتدخل فى الشئون الداخلية الغامضة والوعرة معا .

ويقول اللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية فى ذلك الوقت أن العلاقات بين مصر واليمن كانت ضامرة تماما خلال هذه المرحلة فلم تعد هناك بعثة عسكرية ، والسفارة فيها عدد محدود من الموظفين فى تعز والسفير غائب مسحوب فى مصر ، وعدد المصريين فى اليمن قليل .

وقد أدى التوتر بين مصر واليمن الى اشتعال رغبة اليمنيين الأحرار فى مقاومة نظـام الامامة الرجعى المتخلف . وبدأت تتشـــكل محـاولة الانقضاض عليه استمرارا للمحاولات السابقة التى بدأت فى الأربعينيات وظلت تكرر بلا توقف . ولكن البيضانى استطاع أن يعقد صلة مع أنور السادات وكان رئيسا لمجلس الأمة فى ذلك الوقت ، وكتب أنور السادات مذكرة الى الرئيس جمال عبد الناصر بالتوقعات المحتملة فى اليمن ... فأصدر الرئيس قرارا بتكليف أنور السادات بان يكون مسئولا سياسيا عن هذه العملية .

واستدعى أنور السادات اليه أمين هويدى وكان وقتهـا قد عـين سفيرا فى المغرب وقابله فى منزله بالهرم بحضور عبد الرحمن البيضانى ، وطلب منه أن يعد نفسه لتولى المسئولية التنفيذية لعملية اليمن ... واستمر الاجتماع حتى الثالثة بعد منتصف الليل .

ويقول أمين هويدى أنه طلب مقابلة أنور السادات فى صباح اليوم التالى ليبلغه أن انشاء جهاز خاص لهذه العملية ، يعتبر نوعا من الازدواجية حيث يتوافر لدى المخابرات العـامة تنظيمات خاصة لمثل هذه العمليات .

والواقع أن علامات استفهام كثيرة كانت تلاحق عبد الرحمن البيضانى ... فهو رجل شديد النشاط ، كانت له صلات وثيقة بالطلبة اليمنيين فى الخارج خلال الخمسينيات .. درس فى مصر وتخرج فى الجامعة ثم حصل على الدكتوراه من بون ، وعمل بها وزيرا مفوضا ثم نقل الى الخرطوم بعد أن اعتذر عن عدم العمل مدعيا عاما فى محاكمة ثوار ١٩٥٩ ، واستدعاه الامام الى اليمن ، وعندما شعر أن يد القصاص تقترب منه هرب عام ١٩٦٠ على طائرة مصرية .

ويقول الدكتور البيضانى انه انضم لتنظيم الأحرار اليمنيين وعندما تمت الانتخابات أصبح أحمد النعمان رئيسا للاتحاد ومحمد محمود الزبيرى والدكتور عبد الرحمن البيضانى نوابا للرئيس .

ولكن سرعان مادب الخلاف بينهم حول استراتيجية المعارضة ، فهم كانوا قد اتفقوا على السعى لذلك الارتباط بين مصر واليمن المتمثل فى الاتحاد ، ثم يتم البحث بعد ذلك فى مصير الامامة .

ولكن ما أن أعلن جمال عبد الناصر حل الاتحاد مع اليمن فى خطابه ببورسعيد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦١ حتى فرض الخلاف حول مصير الامام نفسه فورا ، وأصدر النعمان قرارا فى بداية يناير ١٩٦٢ باقالة البيضانى باعتباره طائفيا خطيرا (يريد أن يعالج وباء فى بلد بالقاء قنبلة ذرية عليه) .

ولكن الدكتور البيضانى لم يبتعد عن ميدان السياسة ... كانت صلته قد توطدت بأنور السادات رئيس مجلس الأمة فى ذلك الوقت بعد تعارفهما فى بون .

وكانت له صلات قديمة ببعض الثوار أيضا داخل اليمن وخارجها .

وعندما أشيع خبر الانقسام وانتشر خبر اقالة البيضانى ، حضر وفد من حركة الأحرار اليمنيين فى عدن ... والتقى المتخاصمون لنقاش جديد مرة أخرى .

ويقول الدكتور البيضانى أنهم قد اجتمعوا فى كازينو النهر بجزيرة الزمالك واتفقوا على جمع الشمل واعادة الوحدة للاتحاد اليمنى والغاء قرار اقالة البيضانى ، ووقعوا جميعا وثيقة تتضمن يأسهم من النظام الامامى وضرورة اقامة نظام جمهورى .

أذيعت هذه الوثيقة من صوت العرب .. ولكن مضمونها لم ينفذ طويلا .

كانت القاهرة خلال أنور السادات قد صرحت للدكتور البيضانى بأن يذيع من صوت العرب مساء كل اثنين وخميس مقالات أوصى السادات بأن تظهر فى روزاليوسف ٠

وكانت بداية هذا النشاط محاضرة ألقاها البيضانى فى دار نقابة المحامين يوم ٢٠ يناير ١٩٦٢ ٠ وحدثت فيها مشادة بينه وبين محمد أحمد النعمان ابن رئيس الاتحاد اليمنى ٠

كانت مقالات البيضانى فى روز اليوسف واذاعاته فى صوت العرب عوامل اثارة حقيقية ضد النظام الامامى ٠٠٠ وساعد على انتشارها الراديو الترانزيستور الذى كان يصل الى اليمنيين فى أبعد بقاع الصحراء ٠

نحـــو الثـــورة :

بدأت خيوط المقاومة تتجمع ضد الامام من المدنيين والعسكريين ٠٠ فى الداخل والخارج ٠

وانتهاء الحساسية من وجود علاقات طيبة بين مصر واليمن أدى الى مضاعفة السير فى طريق الثورة ٠

وكان هناك نوع من الارتباط بين المدنيين والعسكريين ٠٠ فقـد أسهم على سبيل المثال بعض التجار فى التبرع بالأموال سرا والمساعدة فى الامداد بالأسلحة ٠٠٠ وليست هناك فروق حادة واضحة بين المدنيين والعسكريين فى اليمن ٠

وتظاهر الطلبة فى يوليو وسبتمبر ١٩٦٢ ٠

وخـلال هذه الفترة كان كثير من العسكريين اليمنيين يصلون الى مصر ويتصلون بالقادة اليمنيين فيها ومنهم طيار الأسرة المالكة عبد الرحيم عبد الله الذى أصبح بعد الثورة سفيرا لليمن فى مصر ، ومحمد قائد سيف ٠٠٠ ولم يكن هناك طيارون عسكريون من اليمن فى ذلك الوقت ٠

وكانت هناك صلة وثيقة قد بدأت بين العسكريين فى مصر والقادة اليمنيين ٠٠ ٠كانت المخابرات الحربية فى مصر قد أعدت معسكرا لتدريب اليمنيين على الأسلحة الصغيرة ، وكان من بينهم الدكتور عبد الرحمن البيضانى كما يقول الفريق صلاح الحديدى الذى كان يتسلم الأسلحة أيضا ، ويقوم بترحيلها الى اليمن ٠

ولم يكن البيضانى هو حلقة الاتصال الوحيدة ٠

كانت هناك اتصالات أيضا بين العسكريين اليمنيين والمصريين الذى ربطتهم علاقات زمالة أثناء دراستهم فى مصر ٠

وتدفقت الأسلحة المصرية الصغيرة سرا الى اليمن ... ذلك أن الامام كان يحتفظ عنده بمفاتيح مخازن الذخيرة ويترك الأسلحة جامدة فى العراء حتى يأكلها الصدأ وتعبث بها الفيران ... ويقول عبد الرحيم عبد الله طيار الأسرة المالكة الذى لعب دورا كبيرا فى نقل الأسلحة أن السلاح الجوى على سبيل المثال كان مكونا من ١٠ طائرات ياك ، ٣٥ طائرة اليوشن صغيرة ، ولكنها جميعا غير مصرح لها بالطيران .

وظلت هذه الاتصالات سرية وفى أضيق الحدود .. لا يعرفها الا جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأنور السادات وصلاح نصر وصلاح الحديدى قائد المخابرات الحربية فى ذلك الوقت .

وكان المشير مسئولا عن المساعدات العسكرية ومناقشة تنفيذ الخطة .. وكان أنور السادات مسئولا سياسيا .

وبقيت هناك علامة استفهام كبيرة تحيط بموعد الثورة ضد الامام أحمد .

ولكن القدر لحقه فتوفى يوم ١٩ سبتمبر ١٩٦٢ وخلفه ابنه الامام البدر ولى العهد .

ونتج عن هذه الوفاة المفاجئة انقسام فى الرأى .

وكان البدر قد أرسل برقية الى جمال عبد الناصر ينعى فيها والده يوم ٢٠ سبتمبر ، وكانت هذه مبادرة منه تشير الى احتمال تحسن العلاقات بين الدولتين .

واشتد ضغط النعمان والزبيرى فى اتجاه اقناع المسئولين بالسير فى طريق التعاون مع البدر الذى تغاضى عن قسوة الاذاعات والهجمات التى وجهت لوالده .

وأصدر جمال عبد الناصر قرارا بوقف الاذاعة والنشر ضد الامام البدر أو معه .. وبلغ ذلك الدكتور عبد الرحمن البيضانى يوم ٢١ سبتمبر .

وكان عبد الله جزيلان قائد الكلية الحربية فى صنعاء قد أرسل يطلب وقف اذاعات البيضانى لأنها تهاجم الهاشميين بينما ٨٠ فى المائة من ضباط الكلية وطلبته المؤهلين للانقلاب كانوا من أتباع هذا المذاهب .

وكان أحمد النعمان ومحمد الزبيرى قد اجتمعا فى منزل أمين هويدى بمصر الجديدة ، وكتب النعمان برقية الى البدر .

وقع البرقيـة أحمد محمد النعمـان ورفض التوقيع محمد محمود الزبيرى ٠

وكان ذلك ترجيحا للرأى القائل باحتمال اصلاح النظام الامامى ٠

وأسقط فى يد الدكتور البيضانى الذى استمر ثمانية شهور يكتب ويذيع مبشرا بالثورة ٠٠ ويقول انه هرع الى أنور السادات يطلب توجيه اذاعـــة واحدة تكون هى الأخيرة للثوار المتربصـــين فى اليمن ، حتى لا يتصوروا أن الأمور قد انتهت بعد برقية عبد الناصر فى تعزية البدر ، وبعد برقية أحمد النعمان ٠

واتصل أنور السادات بجمال عبد الناصر الذى صرح باذاعة واحدة تكون هى الأخيرة ٠

وتصادف ان كان موعد هذه الاذاعة هو يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢؛ ٠

الفصل الثانى

ثـــورة اليمـــن

(باسم الله وباسم الشـــعب تعلن قيــادة الجيش سقوط الملكيــــة فى اليمن وقيـــام الجمهورية العربيـــة اليمنية ابتداء من الساعة الخامســة يوم ٢٦ سبتمبر) •

البيان الأول للثورة ••

وفى ذلك الوقت كانت الأمور فى اليمن تندفع فى سرعة الى مصير جديد ••• وكانت غيبة الامام أحمد قد فرضت على الثوار وخاصـــة العسكريين مسئولية خاصة •

كانت حالة الطوارىء معلنة فى اليمن قبل وفاة الامام أحمد •

وكانت الأسلحة المصرية التى وصلت اليمن تعتبر كافية للحركة الانقلابية •

وبقى تحديد ساعة الصفر •

يقول عبد الرحيم عبد الله أن ســـاعة الصفر كانت قد تحـددت لتكون يوم ٢٣ يوليو حتى يعلن جمال عبد الناصر خبر الثورة فى خطبته للجماهير ••• ولكن الدكتور البيضانى يؤكد أنه لم يتم الاتفاق على ذلك •

ثم يقول عبد الله جزيلان ان برقية وصلت من القاهرة تطلب أن تكون ساعة الصفر هي موت الامام أحمد ... وأنه قد رد على ذلك – حسب قوله – بأن ساعة الصفر لا تحدد الا مرتبطة بالظروف القائمة في اليمن .

وكان تحريك القوات العسكرية للانقلاب يعتمد على الضباط اليمنيين أكثر مما يعتمد على غيرهم ... فقد أدت الاثارة دورها كاملا وبقى التنفيذ .

كان عدد محدود من الضباط قد بدأ يعقد اجتماعات لبحث الموقف والتأهب لاحتمالات المستقبل ، دون أن يأخذ ذلك شكل تنظيم ثابت مثل الضباط الأحرار في مصر .

وكان هناك اتجاهان بين الضباط ... فريق يؤيد البدر ، وفريق يؤيد الحسن ... بينما الثوريون يتأهبون لاقامة نظام جمهوري جديد .

وقد اجتمع الضباط الحاضرون على هذا الاتجاه الثوري .. ونشط المقدم عبد الله جزيلان الذي كان مديرا لكل من الكلية الحربية ومدرسة الأسلحة ... وبدأ يقوم باتصالات مع الأسماء الكبيرة من الضباط لتحييدهم أو ضمهم .

سافر الى الحديدة سرا خلال الليل ليتصل بالعميد حمود الجائفي الذي كان قائدا لحامية الميناء واتفق معه على الاشتراك معهم وهو اسم معروف لدى اليمنيين اذ كان في ثاني دفعة عسكرية درست في العراق وكان معروفا باطلاعه وله مركز قبلي مرموق .

واتصل أيضا بالسلال الذي كان قائدا لحرس البدر ... ووافق السلال على الاشتراك في قلب النظام الامامي .

وخلال هذه الفترة الحرجة أرسل الامام أحمد قبل أن يموت بأيام قليلة رسولا في طائرته الخاصة من تعز الى صنعاء ليبلغ البدر بأن هناك تدبيرا خطيرا ضد الامامة يقوده جزيلان .

واستدعى البدر جزيلان الى قصره ، وقد أعد له كمينا لقتله ، ولكن أمكن لجزيلان خلال الحوار أن يقنع البدر بأن هناك خطرا يتهدده شخصيا من الأمير الحسن وأحمد الشامي بالتعاون مع الأمريكيين في تعز ... وأن من خيوط الخطة المعادية له تدبير مؤامرة وهمية يتخلص فيها البدر من الضباط المخلصين له ، وكان جزيلان ومجموعة الثائرين يتظاهرون بأنهم من أنصار البدر ثم ينفردون به بعد ذلك وحده .

وعندما بلغ البدر خبر زيارة جزيلان للحديدة هرع فى التاسعة صباحا ليتأكد من صحة ذلك بنفسه ··· فوجد جزيلان فى الكلية يمارس عمله مبكرا فى موعده المعتاد مع نوبة صحيان ·· فالرحلة تمت ليلا تحت ظروف طبيعية قاسية ·· ولم يفاتح البدر أحدا بشكوكه ··· ولكن ما بذره جزيلان فى نفسه من خطة مدبرة ضده كاد يصبح يقينا ··· اذ اعتقد أن خبر الزيارة كان مكذوبا والمستهدف منه هو التخلص من الضباط الموالين له ·

وخرج البدر من الكلية الحربية مطمئنا ·

وتحددت ساعة الصفر ليلة ٢٥ ـ ٢٦ سبتمبر بعد أن شعر الضباط أن هناك خطرا يتهددهم وعيونا شريرة ترصدهم ·

كانت الوزارة قد اجتمعت برئاسة البدر ، وحضر القاضى محمد الشامى نائب الامام فى صنعاء ومعه كشف بأسماء عدد من الضباط قال للامام أنهم يريدون الانقضاض عليه ·

وهكذا أصبحت المسألة سباقا مع الزمن ··· تماما كما حدث فى حركة ٢٣ يوليو عندما أجبرت الظروف الضباط الأحرار على سرعة التنفيذ ، تجنبا لاعتقال الملك لهم ·

ويقول الدكتور عبد الرحمن البيضانى أنه كان قد تلقى معلومات أيضا بخبر اكتشاف البدر للحركة فبادر بارسال برقية الى المتصلين به يقول لهم فيها ما معناه : اما تنفيذ الخطة أو النجاة بأنفسهم من اليمن ·

يقول عبد الله السلال ان البدر بعد أن تولى السلطة احتفظ بجهاز الحكم فى عهد والده وخطب الجمعة قائلا أنه سيمضى على طريق والده وأجداده ··· الأمر الذى أقنع المترددين فى الثورة على الامام بأنه لم يعد أمامهم أمل فى اصلاح النظام الامامى ·

أبلغ عبد الله جزيلان موعد الحركة لمحمد عبد الواحد القائم بالأعمال المصرى فى صنعاء ··· وأرسل حسن العمرى الخبر عن طريق اللاسلكى الى القاهرة ، فقد كان هو مسئول الاتصالات أو مدير الاشارة فى اليمن ·

ويقول عبد الرحمن البيضانى أن الاشارة قد وصلت من حسن العمرى بتحديد ساعة الصفر ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ·

الخطة كانت تقضى بالاستيلاء على قصر البدر والاذاعة وقصر السلاح واعتقال قادة الحرس ·

يقول جزيلان أنهم كانوا يشعرون أنهم مقدمون على مغامرة لا تتجاوز نسبة النجاح فيها ٥ في المائة فقط ٠

وبدأ التحرك في منتصف الليل ٠٠٠ ولكن الذخيرة لم تكن متوافرة ، كان هناك ٣٠ دانة مدفعية ، ٣٠ طلقة دبابات الى جانب القنابل اليدوية والأسلحة الصغيرة ٠

ووضعت الخطة على أساس اطلاق دانة مدفعية ودانة دبابات واحدة كل ربع ساعة أى تستمر فى الضرب لمدة سبع ساعات ونصف ٠

أطفئت الأنوار وقطعت الكهرباء ٠٠٠ وبدأ القصف حسب الخطة الموضوعة ٠٠٠ ويقول جزيلان أن البدر دافع عن قصره دفاعا مجيدا ٠ ولكن قصر السلاح لم يستسلم وهو القلعة التى تضم كل الأسلحة والذخيرة والبدر يتصل به تليفونيا لأن خطوط المواصلات لم تقطع ٠٠٠ وبيان الاذاعة لم يعلن ٠

الأخطار تتهدد الثورة فى لحظاتها الأولى ٠

السلال لم يكن موجودا خلال الليل ٠٠٠ لم يحضر الا فى الثامنة صباحا ، ولكنه فور حضوره أدى دورا كبيرا فى نجاح الثورة ٠

وعبد الله السلال كان ضابطا من ضباط انقلاب ١٩٤٨ وقد اعتقل فى سجن حجة لمدة تزيد عن سبع سنوات عانى فيها من العذاب ما يسجل صفحات تنضح بالعار والتخلف ، ثم أفرج عنه بعد انقلاب ١٩٥٥ وعين رئيسا لحرس البدر ٠

ويقول بعض الضباط الذين شاركوا فى الحركة أو السلال قد حضر باعتباره مفوضا للبدر لمعرفة مطالب جزيلان وغيره من الضباط ٠

ويتمادى البعض فى القول بأنه أسهم فى تهريب البدر من منزل مجاور لقصره فى ثياب امرأة ٠

وسواء صحت هذه المعلومات أم لم تصح ٠٠٠ فان عبد الله السلال وضع نفسه فى خدمة الثورة منذ وصوله الى الكلية الحربية ، وذلك قبل اذاعة بيان الثورة الذى تأخرت اذاعته لتردد الضابط المكلف بذلك ٠ بدعوى أن قصر السلاح لم يسقط ٠ مما دفع جزيلان الى الاتصال به غاضبا ٠

وبادر السلال بصفته قائدا لحرس البدر الى الاتصال بقصر السلاح ، وطلب من حرسه أن يستسلموا ، فوافقوا على ذلك ٠٠٠ وانهارت قلعة البدر فى صنعاء ٠

وأذيع البيان فى الثامنة والنصف صباحا ··· يعلن (باسم الله وباسم الشعب تعلن قيادة الجيش سقوط الملكية فى اليمن وقيام الجمهورية اليمنية ابتداء من الساعة الخامسة يوم ٢٦ سبتمبر) ·

واعتقل قادة الحرس الذين حاولوا اخراج المدفعية ··· ووجد البدر طريقه فى الهرب بمساعدة بعض العناصر المترددة التى اتهمها جزيلان بخيانة الثورة ، ويقول أنه ذبح أحد الشيوخ من حمدان ، لأنه ثبتت مشاركته فى عملية التهريب ·

لم تنته الأخطار بتهريب البدر ··· بل حاول بعض رجال القبائل الاستيلاء على صنعاء فى اليوم الثالث للثورة بعد دخولها تحت ستار التهنئة ·

الأخطار تهدد الانقلاب لأنه كان مفروضا أن يدعم منذ اليوم الأول بطائرات مصرية خشية قيام الطائرات السعودية أو البريطانية بهجمات مضادة على مقر القيادة فى صنعاء ·

وكانت القاهرة قد أعدت طائرة داكوتا فى أسوان وفيها محطة ارسال وصواريخ ، على استعداد دائم للتحرك الى اليمن ·

وصلت الطائرة المصرية الأولى فى اليوم الثالث ، وعلى متنها محمد محمود الزبيرى والدكتور عبد الرحمن البيضانى · والضابط المصرى على عبد الخبير ·· وكان يقودها قائد الجناح أحمد نوح الذى أصبح وزيرا للطيران فيما بعد ·

ويقول الدكتور البيضانى ان سبب التاخير هو طلبه من عبد الناصر ٥٠٠ جندى وثلاث طائرات وخبير عسكرى أثناء مقابلته ليلة ٢٦ سبتمبر ·· والى ان اختير الخبير العسكرى فى اليوم التالى وصلت الطائرة فجر يوم ٢٨ ·

ويقول عبد الله جزيلان انهم قد عينوا البيضانى وزيرا للاقتصاد ، ولكنه عندما وصل وسألوه عن موقف مصر من ناحية المساعدة العسكرية ، قال لهم ان شيئا لن يحضر من مصر الا اذا عين نائبا لقائد مجلس الثورة ، وأخرج من جيبه بيانا مكتوبا ومعدا للتوقيع بامضاء كل من السلال وجزيلان ·

ويقول جزيلان ان هذا الأمر قد ترك فى نفوسهم مرارة شديدة ولكن الرغبة فى نجاح الثورة لم تدعهم يتوقفون عند هذه المشكلة المحدودة ··

هذا بينما يقول البيضاني ان تعيين السلال رئيسا لمجلس قيادة الثورة قد دفع بعض أصدقائه الى اشتراط ان يكون نائبا له ... ولذا فقد عين نائبا لرئيس مجلس القيادة ، ونائبا للقائد العام للقوات المسلحة رغم أنه مدنى لا يحمل رتبة عسكرية .

ولكن واقع الحال يشير الى أنه عين فى هذه المناصب اعتقادا منهم بأن له صلة مؤثرة ونافذة مع مصر .

عدم وجود تنظيم للضباط الأحرار ، وعدم توافر حد أدنى من العلاقة التنظيمية خلق منذ اليوم الأول حساسيات ذاتية وأظهر خلافات فردية .

ومن أمثلة ذلك ما اذاعه ضابط له ميول بعثية كان موجودا فى الاذاعة من تشكيلات لمجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء لم يكن الاتفاق قد تم عليها نهائيا .

والواقع اليمنى المتخلف كان يفرض نفسه على طبيعة الحركة ، فلم يكن هناك انضباط يتناسب مع انقلاب عسكرى ، والنجاح السريع غير المتوقع فرض على القائمين بالحركة مسئوليات عديدة متشعبة لم تترك لهم فرصة التركيز .

وهكذا تفجرت الخلافات الشخصية الممتدة من واقع قبلى وطائفى أو غير حضارى منذ الأيام الأولى .. ولكنها لم تطف الى السطح الا بعد حين .

نجحت الثورة بحركة الضباط اليمنيين ، وتعاون الثورة المصرية ببيانها الأول الذى صدر صباح ٢٧ سبتمبر وحذرت فيه من تدخل أى قوات أجنبية ... وبوصول طائراتها الى مطارات اليمن المغلقة .

ومع ذلك فقد حدث تدخل بريطانى فى الأيام الأولى للثورة .

الجيش الخاضع للبريطانيين فى عدن دخل من الجنوب واعتقل بعض الضباط الخبراء السوفييت ونقلهم الى لندن .

والحقيقة أنهم كانوا بعيدين تماما عن المشاركة فى الثورة ... بل ان عبد الله جزيلان يقول أنهم عندما حاولوا الاتصال برجال البعثة السوفيتية فى مدرسة الأسلحة قوبلوا منهم بحذر شديد وموقف صارم من ناحية عدم الرغبة فى التدخل فى الشئون الداخلية وخاصة ان علاقتهم بالبحر لم تكن سيئة ...

وقد أرسل السوفييت برقية مقيادة الثورة بضرورة المحافظة على

حياة الخبراء السوفييت الذين كانوا يقيمون فى منزل خلف قصر الامام البـــدر ٠

هذا ينفى مشاركتهم الايجابية فى الثورة ، كما حاولت أجهزة الدعاية الغربية وقتها أن تشيع ٠

وقد تدخلت السعودية أيضا باحتضانها للحسن الذى أعلن نفسه اماما قبل وصول البدر هاربا من صنعاء ٠

ارتفعت نسبة النجاح التى قدرها المدبرون للثورة من ٥ فى المائة الى ١٠٠ فى المائة تدريجيا يوما بعد يوم ٠٠٠

ولكن الأخطار قد بدأت تهدد الانتصار ٠

وكان الموقف فى صنعاء مطمئنا من الناحية الجماهيرية ومن الناحية العسكرية ٠٠ فقد غمر الأهالى شعور شديد بالفرح والغبطة لزوال النظام الامامى المتخلف ، الذى عبروا عن ارادتهم ضده بمظاهرات الطلبة أثناء وجود الامام فى روما ١٩٥٩ ، ومرة أخرى فى يوليو ، ١٨ سبتمبر ١٩٦٢ ، حيث تظاهر الطلبة وأطلق عليهم الجيش الرصـــاص وتساقط عدد من الجرحى ٠

وآثر الثوريون فى الجيش ـ كما يقول جزيلان ـ ألا ينتهزوا فرصة المظاهرات للانقضاض لأن الموقف لم يكن مهيأ تمـاما ، هذا الى اعتقادهم ان الدم الســائل فى المظاهرات يمــكن أن يزيد من ثورة الجماهير ضد الامامة ، ويكون دافعا وحافزا على مساندة الانقلاب ٠٠٠ وهو ما حدث فعـــلاً ٠

نجح الانقلاب ٠٠٠ وتحققت الثورة اليمنية ٠٠٠ وانتهى عهد أسرة حميد الدين ٠

وكانت مصر أول دولة تعترف بالنظام الجديد ، ثم سوريا ٠٠٠ من الدول العربية ٠

وكان الاتحاد السوفييتى أول دولة أجنبية تعترف بالجمهـــورية اليمنية ٠

أما العراق فقد طلب سـفيرهم فى صنعاء السماح بنزول طائرات عراقية لاجلاء المواطنين العراقيين ، وقد فسر سفيرهم لجزيلان هذا الموقف بأنه تصور من عبد الكريم قاسم بأن الثورة تابعة لمصر ٠٠٠ ولكن جزيلان أقنعه بأنها ثورة تحررية تؤيدها مصر ٠

أرسل قادة الثورة اليمنية وفدا الى مصر لطلب المساعدة من جمال عبد الناصر فى الأيام الأولى للثورة ... ووصل أنور السادات الى اليمن فى الاسبوع الثانى من أكتوبر حيث وقع معاهدة دفاع مشترك بين مصر واليمن ، وكانت قد وصلت قبله ٣ طائرات حربية وقوات من الصاعقة المصرية تحركت من السويس يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٢ ، وكان أفرادهـــا يلبسون قمصانا بيضاء وبنطلونات رمادية .. وتشكلت أول قيادة مصرية فى اليمن .

لم يكن أمام الحركة الانقلابية فى اليمن من سبيل لدعم موقفهـــا الا باللجوء الى ثورة يوليو وقائدها جمال عبد الناصر .

ولم يكن أمام جمال عبد الناصر من سبيل أيضا الا دعم هـــذه الحركة الثورية التى جاءت فى وقت كانت فيه القوى الامبريالية والظروف الموضوعية قد نجحت فى شق الحركة الثورية العربية بعد الخلاف مـــع العراق والانفصال سوريا .

كانت فرصة أمام جمال عبد الناصر لوقف المد الرجعى فى المنطقة . ومنع السعودية من السيطرة على الخليج العــربى وتحطيم نظـــام رجعى متهالك .

ليس هذا فقط ، بل ان تغيير طبيعة الحكم فى اليمن وارتبـــاطه بالنظام التقدمى فى مصر يتيح الاقتراب من حدود اليمن الجنوبية لمساعدة العناصر الثورية المناضلة ضـــد البريطـــانيين فى عدن ، ويعطى للنظم التحريرية فرصة السيطرة على طرفى البحر من الشمال والجنوب .

يقول حسن ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة أن جمال عبد الناصر عندما عرض عليهم القضية قال أن هناك خوفا من تدخل الســـعودية ضد النظام الجديد ، وانه اذا أرسلت مصر قوات رمزية فان هذا سوف يجعلهم يفكرون مرتين قبل الاقدام على أى تحرك مضاد .

ويقول حسن ابراهيم ان جميع أعضاء مجلس القيادة بلا استثناء بما فيهم كمال الدين حسين قد وافقوا على مساعدة الثورة اليمنية .

ويؤكد زكريا محيى الدين هذه الحقيقة ، ويقول : انه لم تكن هناك مناقشة مطلقا حول ارسال القوات وانما كان هناك حديث فقط عن بعض محاذير التورط فى الحرب .

وقد تحدث عبد اللطيف البغدادى عن تجربته فى اليمن عندما سافر اليها قبل الثورة .

تبلورت المشكلة فى مســـاعدة الحركة الثورية من جانب مصر ، ومساندة النظام الامامى المتخلف من جانب السعودية ٠

النظام التحررية التقدمية تواجـه النظم الرجعية فوق أرض أكثر الدول تخلفا ٠

تفجر الخلافات :

بدأت الثورة اليمنية تدافع عن نفسها ٠

ألغت فى أكتــوبر ترخيص البنك السعودى واستولت عليه بحجة عدم توافر سيولة نقدية ٠

وأنشىء أول بنك يمنى فى التاريخ برأس مال قدره عشرة ملايين ريال تسهم فيه الحكومة بنسبة ٥١ فى المائة ، وارتفع رأس المال أثناء فترة الاكتتاب الى ٢٠ مليون ريال نتيجة الاقبال الشديد الذى رفع سعر السهم من عشرة ريالات الى عشرين ريالا كما يقول الدكتور البيضانى ٠

وكانت ظاهرة غريبة ٠٠٠ اقبال الناس على شراء الأسهم رغم الحرب وأخطارها وتوقعاتها ٠٠٠ ولكن ذلك أعطى دليلا على تأييد الجماهير للثورة وتطلعهم الى حياة أفضل ٠

وفى المجال العسكرى بدأ تشكيل الحرس الوطنى ٠ وأقبل الناس على التطوع فيه حتى بلغت أعدادهم ١٥٠ ألفا ، كان مفروضا أن يختار منهم ٣٠٫٠٠٠ يكونون نواة لجيش وطنى نظامى جديد ٠

ولكن تكوين الحرس الوطنى لم يستمر ٠٠٠ توقف بعد ثلاثة أشهر نتيجة الخلافات التى كانت قد بدأت تنشأ وتشتد ٠

كان هناك اتجاهــان رئيســـيان فى التفكير ٠٠٠ الأول يدعو الى الاعتماد المطلق على القوات المسلحة المصرية اقتناعا منهم بأن هـذا هو السبيل الأفضل والأسرع لنقل اليمن الى عالم الحضارة ٠٠٠ والثانى كان يؤمن بأن المساعدة المصرية يحسن أن تقتصر على الطـائرات والمدفعيـة الثقيلة دون المشاة حتى لا يتورط الجنود المصريون فى معارك مفروض أن يحاربها اليمنيون ، وخاصة ان الميزانية المصرية تتكلف كثيرا فى نفقات الجنود وتعويضات القتلى ، وكان هذا الاتجاه هو الذى اتفق عليه الجميع رغم الخلاف الجذرى فى مجالات أخرى كثيرة ٠

ويفسر عبد الله السلال ذلك بقوله : ان الاتفاق قد تم مع المصريين أساسا على المساعدة بالطيران وقوات محدودة من الصاعقة وكان ذلك كافيا لتامين الثورة فى حدود طبيعة الموقف داخل اليمن ٠

وأوضح ان الاستعانة بالقوات المسلحة المصرية منذ البداية كانت ضرورة يستلزمها الموقف لأنه ـ حسب قوله ـ لولا مساندة جيش مصر ما كانت ثورة اليمن لتنجح قياسا بالحركات التى سبقتها ٠

ويؤكد ان مصر ما كانت لترسل قوات اضافية وان اليمنيين ما كانوا ليطلبوا مزيدا من القوات لو ان المشكلة حصرت فى اطار الواقع اليمنى ، ولكن التدخل والمساعدات الخارجية من البريطانيين والسعوديين والأردنيين هى التى دفعت البلاد الى هذه الحرب الأهلية ٠٠٠ وأدت الى تطورات غير منتظرة فى الموقف ٠

والى جانب الاتجاهات الفكرية المتباينة كانت هناك عدة قيادات تعمل فى غير تناسق ، ويوجد بينها نوع من المنافسة الخفية ٠٠٠ وذلك مثل رئاسة الجمهورية اليمنية ٠٠٠ وتجمع المعارضين للرئاسة ٠٠٠ والسفارة المصرية ٠٠٠ وقيادة القوات المسلحة ٠٠٠ وادارة المخابرات الحربية ٠٠٠ وادارة المخابرات مساعدة القبائل ٠

كان كل جهاز من هذه الأجهزة يتبنى رأيا خاصا ٠ وينظر الى الأمور من وجهة نظر مختلفة ٠

صحيح ان المعلومات كانت تصب عند القيادة السياسية ، والقيادة العسكرية فى القاهرة ، أى عند جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ٠٠٠ ولكن البعد عن الواقع الحى كان يعطل حل المشاكل فى حينها ٠ ولا يساعد على تذويب الفوارق ، وتحقيق تناسب وثيق ٠

وصحيح أيضا أن القائد العسكرى فى اليمن كان يعتبر مسئولا عسكريا وسياسيا فى وقت واحد ٠٠٠ ولكن القادة الذين عينوا كانوا أبعد ما يكونون عن الاهتمام بالسياسة أو الارتباط بها ٠٠٠ وكان بعضهم ممن القيت عليهم مسئولية موقف العسكريين المصريين فى سوريا ، وقيل أنهم تصرفوا تصرفات انتهت الى مأساة الانفصال ٠

والفريق أنور القاضى الذى عين فى اليمن مثلا كان أحد الذين أمضوا سنة كاملة تقريبا بلا عمل بعد انفصال سوريا حتى عادت به الظروف الى اليمن من جديد ٠

ويقول الدكتور عبد الرحمن البيضانى بأنه فوجىء يوما بأن بعض مكاتب الوزراء قد نقلت من الغرف الى ساحة القصر واستبدلت بسراير قال عنها الفريق القاضى انها أعدت الطيارين المصريين ٠٠٠ وكان التصرف فى رأيه مجافيا للذوق فوق أنه يتم فى قلب المكان الذى يعتبر مظهرا لسيادة الدولة ٠

وبعد نقاش مع الدكتور البيضانى أصر على نقل المكاتب الى الغرف خلال ٦ ساعات قبل اجتماع مجلس الوزراء ٠

ويقول الدكتور البيضانى انه فوجىء بحضــور المشير عبد الحكيم عامر وأنور الســادات فى صـباح اليوم التالى ٠٠٠ وقال له المشير : (ان الحكومة البريطانية أعطتنا انذارا ١٢ ساعة قبل العدوان الثلاثى ، أما أنت أعطيت الفريق القاضى انذارا بست ساعات فقط) ٠

وصفى الموضوع بعد مواجهة بين القاضى والبيضانى ٠

وينفى الفريق القاضى وقوع هذه الحادثة تماما ، وينفى أن القصر الجمهورى كانت فيه مكاتب للوزراء ٠٠٠ بل يؤكد ان مجلس الوزراء فى اليمن لم يأخذ شكل مجالس الوزراء فى الدول الأخرى ٠

ويروى ناتنبج فى كتابه (ناصر) ان جمال عبد الناصر قال لجون بادو السفير الأمريكى : (أنت لا تتخيل ما يحدث فى اليمن ، نصف الوزراء لا يذهبون الى مكاتبهم ، والنصف الآخر اذا ذهب لا يعرف ماذا يفعل) ٠

ولم يكن هذا هو الخلاف الوحيد ٠

لم تكد تمضى عدة أسابيع حتى أصدر الفريق أنور القــاضى أمرا بانسحاب القوات المصرية من منطقة بنى هبيرة حيث كان قد قتل أحــد كبار الضباط المصريين ــ العميد سند ــ الى منطقة رأس جسر العرقوب التى تبعد عنها حوالى ٣٠ كيلو ٠٠٠ وقد وضع تنفيذ هذا الأمر الحكومة اليمنية حسب قول البيضانى فى مأزق تدفق القبــائل من المنطقة الى صنعاء ٠٠٠ وعندما عرض الأمر على مجلس الوزراء تقرر ارسال برقية للقاهرة تطلب محاكمة القائد المسئول عن أول انسحاب تقوم به قــوة مصرية ٠

وحضر فى اليوم التالى مبــاشرة المشــير عبد الحكيم عامر وأنور السادات أيضا ، حيث تبين أن البرقية قد كتبت بخط الدكتور البيضانى ، وأن أوامر الانسحاب قد صدرت من القاهرة وليس من القائد المحلى ٠

خلافات تتجدد ، وليس هناك من سبيل لحلها ما دام مركز اصدار القرارات بعيدا عن أرض المعركة ٠

ثم وصلت الخلافات الى مجلس الوزراء عندما عاد القاضى عبد الرحمن الايريانى من جولة فى البلاد العربية وكان قد أصبح وزيرا للعدل ، وأعلن للمجلس أن أحمد بن بيللا قد أبلغه أثنــاء زيارته للجزائر باستعداده لارسال قوات جزائرية تحارب دفاعا عن الجمهورية ، على ان تتحمل الجمهورية العربية المتحدة نفقات التموين والذخيرة ٠

وأعلن أحمد المرونى وزير الاعلام بعد عودته من العراق استعداد عبد الكريم قاسم لارسال ١٠٠٠٠ جندى عراقى بالذخيرة والسلاح والتموين دفاعا عن الجمهورية ٠

ودارت مناقشة واسعة انتهى فيها الرأى الى ارسال وفد الى مصر برئاسة الدكتور عبد الرحمن البيضانى لاطلاع مصر على هذه الأخبار ومعرفة رأيها فى الموضوع ٠٠٠ وسافر الوفد فعلا يوم ١٣ يناير ١٩٦٣ ٠

وكان هناك اتجاه لقبول القوات العراقية أو زيادة القوات المصرية ٠

وقال جمال عبد الناصر للدكتور البيضانى عند مقابلته له أنه قد أرسل كتيبتين اضافيتين فعلا ٠

وهكذا كانت المواقف العسكرية والتدخلات السعودية ، تشكل ظروفا ضاغطة على مصر تجبرها على ارسال مزيد من القوات ٠

كانت القوات المصرية قد بلغت حتى ذلك الوقت عشرين ألف جندى تقريبا ٠

ورغم أن عبد الرحمن البيضانى كان يأخذ جانب المعارضة لوصول قوات جزائرية أو عراقية الا أنه لم يعد لليمن مرة أخرى ٠٠ لحقته برقية من السلال الى عبد الناصر تطلب عدم عودته وابقاءه فى مصر بناء على اجماع مختلف القوى اليمنية التى كانت تحيطه بالشكوك ٠٠٠ ورضخ البيضانى لذلك حتى أعلنت استقالته التى كتبها فى أواخر يناير ١٩٦٣ ، وكتب فيها خطابات الى أصدقائه يطلب منهم فيها الاحتشاد حول الجمهورية وحول السلال ٠

وهكذا طويت صفحة البيضانى نائب رئيس الجمهورية ونائب القائد العام للقوات المسلحة بعد فترة عمل لم تتجاوز ثلاثة شهور ٠

وكان المعروف عن البيضانى أن له علاقات طيبة مع أعضاء السفارتين الأمريكية والانجليزية فى اليمن ، وقد سمح لهما بالبقاء رغم عدم اعترافهما بالنظام الجديد ، الأمر الذى يشكل سابقة فى القانون الدولى العام ٠ ويبرر البيضانى ذلك بقوله انه كان محتاجا لوسيلة اتصال مع كنيدى وماكملان ٠

وقد اعترفت حكومة الولايات المتحدة بالثورة اليمنية فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ ، وكانت المانيا الغربية قد اعترفت بها فى ٢٢ آكتوبر ، وأوشكت السفارة البريطانية أن تعترف بعد خطوات وصلت الى حد اتفاق البيضانى مع السفير البريطانى على صيغة الخطابات التى يتم تبادلها بعد الاعتراف . ولكن توقفت هذه الخطوة لفترة بعد استقالة البيضانى .

وكان جمال عبد الناصر قد هاجم انجلترا فى خطبته يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢ ببور سعيد لمحاولتها التدخل فى شئون اليمن .

الفصل الثالث

العسكريون المصريون فى اليمن

(ان عملية الجيش المصرى فى اليمن عملية تاريخية ٠٠٠ هى اللحظة فى مستوى التاريخ)
ميشيل عفلق

مباحثات الوحدة ١٩ مارس ١٩٦٣
(درب العسكريون المصريون المتطوعين اليمنيين فى تعز استعدادا للكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطانى فى عملية سميت باسم (صلاح الدين)

وقال عبد الفتاح اسماعيل أمين الجبهة القومية فى تقريره امام المؤتمر الخامس فى مارس ١٧٩٢

(بعد سنة من انتصار ثورة ٢٦ سبتمبر اخذت جماهير الشعب اليمنى فى الشطر الجنوبى تفجر النضال المسلح ضد الاستعمار البريطانى وعملائه)

(ان شعبنا اليمنى باجمعه لن ينسى مدى التاريخ بأن ثورته لم تكن لتقف على قدميها اسبوعا واحدا لولا الزعيم الخالد جمال عبد الناصر والشعب المصرى الشقيق)
على ناصر محمد

عضو المكتب السياسى للجبهة القومية
القاهرة ـ ٢٨ سبتمبر ١٧٩١

كان تدفق القوات العسكرية المصرية مرتبطا بعدة عوامل لم تكن محسوبة أو مدروسة ٠

كانت قيادة ثورة سبتمبر اليمنية لا تجد لها نصيرا الا فى جمال عبد الناصر وثورة يوليو ٠٠٠ وكان جمال عبد الناصر يجد فى هذه الثورة

الوليدة فرصة لاذكاء الروح الثورة والقومية العربية ، والتغلب على الانحسار الذى نتج عن الانفصال ، ولكن اليمن كانت أرضا غريبة تماما عن المصريين ••• بل غريبة أيضا عن اليمنيين •

لم تكن هناك خرائط طبوغرافية لطبيعة الأرض ••• ولم تكن هناك معلومات يمكن الاسترشاد بها فى حركه القوات ••• ولم تكن هناك مطارات ولا طرق •

والقوات الأولى التى أرسلت الى اليمن كانت من قوات المظلات والصاعقة ، واستقرت فى صنعاء العاصمة •

ولم يكن مفروضا ولا محسوبا أن تستمر القوات المصرية فى التدفق الى اليمن •• بل ان بعض التقارير المصرية التى وصلت من السفارة قد أشارت الى أنه يمكن تامين الثورة بعدد محدود من الوحدات المقاتلة •

ولكن قدرة بعض قادة الثورة اليمنية فى السيطرة على اليمن كانت محدودة ، ورغبتهم فى الاعتماد على المصريين كانت بلا حدود ••• والأصوات التى نادت بتعاون خاص من بعض الأسلحة المصرية مع استثارة همة اليمنيين تلاشت أمام الرغبة الجارفة فى الاعتماد على القوات المسلحة المصرية ، أكبر قوة ضاربة فى الوطن العربى •

وقد فسر جمال عبد الناصر للجماهير فى خطابه يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢ حقائق هذا التدفق ، ولعله كان حريصا على مشاركة الشعب معه فى التعرف على طبيعة الأمور •

قال جمال عبد الناصر (يوم ٥ أكتوبر كان لنا مائة صف ضابط وعسكرى بس اللى بعتناهم ، يوم ٩ أكتوبر بقوا ٥٠٠ ، يوم ١٦ أكتوبر بقوا ألفين ، يوم ١٠ أكتوبر بعتنا أول قوة من سلاح الطيران •• طيارتين ، وقعدنا تقريبا لغاية آخر أكتوبر بنشتغل ومعانا الألفين وهى القوة اللى شالوا جزء كبير من المعارك) •

وفى هذا الخطاب التاريخى الكبير تحدث جمال عبد الناصر عن خسائر قواتنا فحددها حتى موعد الخطبة بأنها ٢١ ضابطا ، ١١٥ جنديا (كل واحد منهم جزمته أشرف من تاج الملك سعود والملك حسين) على حد تعبيره •

وعندما أوفد اللواء أنور القاضى الى اليمن لم يصدر أمر بتعيينه قائدا للقوات المصرية ••• وانما أوفد للتحقيق فى مشكلة ضياع وحدة من قوات المظلات أسقطت فى صرواح ثم اختفى أثرها تماما واستشهد قائدها الملازم نبيل الوقاد • وكان ذلك بصفته نائبا لرئيس هيئة العمليات الحربية •

وصدر قرار تعيينه قائدا للقوات أثناء زيارة للمشير عامر ٠٠٠ وكانت هذه هي بداية تثبيت الوجود العسكرى المصرى بناء على الحاح السلال ٠

ويقول الفريق القاضى أنه وجد نفسه فى فراغ كبير ٠٠٠ المعلومات ناقصة والخرائط غير موجودة ومعرفته هو وقادته باليمن معدومة والخطة الاستراتيجية غير واضحة ، وتدريب القوات على حرب الجبال لم يكن واردا ٠

والغريب أن القيادة المصرية لم تستعن بمعلومات وخبرة قادة البعثات العسكرية المصرية السابقين فى اليمن ٠٠٠ فعندما وصلت أخبار الثورة عرض كمال أبو الفتوح الذى كان قد أصبح محافظا للقليوبية خدماته ، ولكن أحد لم يتصل به رغم أنه أمضى فى اليمن ثلاث سنوات فى بداية ثورة يوليو ٠

ويقول الفريق القاضى أن المرحلة الأولى كانت تتمثل فى استقرار القوات فى صنعاء وحمايتها مع مثلث يشملها هى وتعز والحديدة ، ولكن كل ما هو خارج هذا المثلث كانوا لا يعرفون عنه شيئا ٠٠٠ تسيطر عليه القبائل ولا يدرك أحد مدى تأييدها للجمهورية أو معاداتها لها ٠

ويقول أيضا أنه قد وضع خطته على أساس تأمين ربوع اليمن للثورة ، وانه بدأ ينفذ خطته عسكريا بالتعاون مع بعض قادة القبائل عبد الله الأحمر وسنان أبو لحوم وغيرهما ٠

وتطلب تنفيذ هذه الخطة التى صدقت عليها القيادة فى مصر ، والتى كان تنفيذها يعتبر ضرورة هامة لحماية الثورة بسبب تقاعس اليمنيين أنفسهم عن أداء دورهم الرئيسى فى تأمين ثورتهم الى استدعاء وحدات مقاتلة مصرية تزايد عددها تدريجيا ٠

ولم يكن من اليسير وقف هذا التدفق بعد انطلاق القوات فى الجبال خارج المدن ٠٠٠ وهو الخطأ الذى انزلقت اليه القيادة العسكرية دون تفكير عميق ٠

ويقول الفريق القاضى ان معاناته الرئيسية لم تكن فى المعركة ذاتها ، بل كانت فى معرفة العدو من الصديق ٠٠ فالامامة كانت مازالت لها رهبة فى نفوس اليمنيين حيث يسود التخلف والامية والخضوع الأعمى لبعض المظاهر الدينية التى تفرض رهبة وقدسية خاصة على الامامة بصفته أميرا للمؤمنين ٠

ويعلق الفريق القاضي على الحادث الذى أشار اليه الدكتور البيضانى عن انسحاب القوات المصرية لأول مرة من منطقة بنى هبيرة بعد مصرع العميد سند ، ويقول أن ذلك كان نتيجة لاشتراك بعض أهالى مدينة (البيضاء) التى ينتمى اليها عبد الرحمن البيضانى فى عملية اغتيال بعض الجنود المصريين .

ولكن هذا لم يكن يعنى فى مضمونه الحقيقى سيطرة كاملة فعلية للبيضانى ولم يعد يطلع أحدا على خطط القوات المصرية .

ومع ذلك يقول أن المرحلة الأولى قد انتهت فى مايو ١٩٦٣ بوصول القوات المصرية الى الحدود الشمالية والشرقية وسيطرتها على اليمن بصفة عامة .

ويقول أنه اتخذ بعد ذلك جانب الحذر المطلق من الدكتور عبد الرحمن على اليمن ... لأنها بلد ذات طبيعة جغرافية خاصة ... ولأن القبائل وجدت فى وجود القوات المسلحة المصرية مصدرا للرزق

كان مشايخ القبائل يحصلون على الأموال والأسلحة من القوات المصرية بهدف مساعدتهم ... ولكن معظمهم كان يتعامل على وجهين .. اذا اتيحت له فرصة أخذ أموال من الملكيين أخذ وغير موقفه ... ثم يعود مرة أخرى الى المصريين ويأخذ منهم ليغير موقفه مرة ثانية .

وهكذا أصبح وجود القوات المصرية محل تأييد وحرص من بعض قادة الثورة المتقاعسين عن أداء دورهم الطبيعى فى السيطرة على الجماهير . وأصبح محل حرص القبائل أيضا باعتباره مصدر رزق وفير لها ... وقد بلغت ميزانية شئون القبائل ما يقرب من ٦٠ مليون جنيه استرلينى .

وعندما انتهت هذه المرحلة الأولى سحبت مصر قواتها فى مايو ١٩٦٣ من اليمن لأول مرة ... وأعدت لأبنائها العائدين استقبالا حافلا انتظرهم فيه المشير عبد الحكيم عامر فى مدينة السويس وانتظرهم جمال عبد الناصر وضيفه فى ذلك الوقت أحمد بن بللا فى محطة القاهرة ، وحضر استعراضا لهم فى ميدان عابدين ... وحصل اللواء أنور القاضي على رتبة الفريق .

كانت هذه المرحلة من سبتمبر ١٩٦٢ الى مايو ١٩٦٣ من أقسى المراحل على الجنود المصريين ، فلم يكن مصرحا لأحد منهم بمغادرة اليمن مطلقا فى أجازات ، ويقول الفريق القاضي أنهم لم يكونوا يحصلون مطلقا على أية علاوة فوق المرتبات التى كانت تصرف لأهلهم فى مصر ، بينما يحصلون فى اليمن على الأكل والشرب والسجاير والرعاية الصحية

والاجتماعية ••• ولم يكن هناك جندى يعرف شكل الريال اليمنى — على حد تعبير الفريق القاضى •

ولكن الوصول للحدود الشمالية والشرقية وانتهاء هذه المرحلة لم يؤمن بالصورة المرضية •

وكانت عودة بعض الوحـدات الى مصر بداية مرحلة جديدة أصبـح مصرحـا فيها للجنـود بالعـودة الى مصر فى أجـازات لمـدة شهرين كل سنتين ••• وكانت خدمـة الجنود تتم فى دائرة بين سيناء واليمن ، ثم الأجازة والعودة الى سيناء من جديد وهكذا •

وتقرر أيضا صرف علاوات اضافية للجنود والضباط حيث تميزت هذه المرحلة التى امتدت من مايو الى نوفمبر ١٩٦٣ بواجب تطهير الجيوب المعادية التى كانت تظهر وتختفى تبعا للتمويل •

ويقول الفريق القاضى ان مهمة التطهير كانت تستهدف تثبيت الثورة نهائيا فوق أرض اليمن ••

ويقول أيضـا أنه اعتبر بتحقيقـه هذا الهـدف أن مهمـة الجيش المصرى قد انتهت فى نوفمبر ١٩٦٣ ، وأن ما تم من عمليات عسكرية بعد ذلك يعتبر من وجهـة نظره عبئا ثقيـلا تحمله الجنود المصريون فى صبر شديد ولكنه لم ينفذ عمليا ما قال انه كان عقيدته •

ويقول ان القوات اليمنية التى دربت فى مصر وكانت نواة لجيش اليمن الحديث لا تؤدى الدور المطلوب منها اذا عادت ••• ويضرب مثـلا لذلك بمنطقة (الجوف) المحدودة بالربع الخالى وحضرموت والتى قتل فيها كثير من المصريين بينما لم تشترك القوات اليمنية فى عملية التطهير حيث القبائل هناك شديدة المراس •

وكان موقف القادة اليمنيين خلال هاتين المرحلتين غير مستقر تماما • عبد الله جزيلان العنصر الرئيسى فى الثورة كان يتردد كثيرا على مصر ••

وكان عبد الله جزيلان مثاليا فى تصرفاته ••• زاهدا فى المناصب لاتدفعه حوافز السلطة للمشاركة فى لعبة السياسة ••• وهذا فى الوقت الذى ظهر فيه بعض العسكريين اليمنيين وشاركوا فى المعركة الدائرة على أرضهم مثل حسن العمرى الذى يقول الفريق أنور القاضى أنه حارب بجانب المصريين وساعدهم عسكريا •

وقد لاحقت الشائعات عبد الله جزيلان لانه كان من أنصار التركيز على استثارة همم اليمنيين لمساندة الجمهورية : والاقتصار على مساعدات

مصرية محدودة ٠٠٠ فقيل عنه أنه (قاسم اليمن) تشبيها بعبد الكريم قاسم الذى أطلق عليه جمال عبد الناصر اسم (قاسم العراق) ٠

ولكن موقف جزيلان بالتاكيد لم يكن فى البداية متناقضا مع موقف القوات المصرية ولا مع السلال ٠٠٠ وانما كان (يحرن) اذا صح استخدام الكلمة كلما واجه أمرا لا يرضيه ٠

والواقع أن القيادة المصرية كانت تتصرف بمبادرتها الخاصة ورؤيتها الذاتية ٠٠٠ ولكنها فى نفس الوقت كانت تبذل جهدا بالغا فى تنظيم وتدريب وتسليح القوات اليمنية المسلحة على أساس عصرى ٠٠ الأمر الذى جعل هذه القوات السند الحقيقى لجمهورية اليمن رغم كل ما مر عليها من تقلبات بعد ذلك ٠

ويمكن القول أنه مع نهاية عام ١٩٦٣ كانت القوات المسلحة المصرية قد قامت بدورها الفعال فى تثبيت الجمهورية اليمنية وتركت على أرضها ألوف الشهداء الذين قضوا فى سبيل قضية الحرية والتقدم ٠

وكان عام ١٩٦٤ الذى وصل فيه الفريق عبد المحسن مرتجى ليحل محل الفريق أنور القاضى بداية مرحلة جديدة هى مرحلة التعمير ونشر مبادىء الثورة ٠

ولم يكن جمال عبد الناصر راغبا فى دفع القوات المصرية الى اليمن ، بل أنه كان حريصا على الا يتحول تأمين الثورة الى نزيف يستنزف جهد مصر الاقتصادى ٠

اذكر أن جمال عبد الناصر قال لى أثناء مقابلة معه بعد عدوان ١٩٦٧ (لقد أرسلت سرية الى اليمن واضطررت الى تعزيزها بسبعين ألف جندى) ٠

كانت حركة القوات المسلحة المصرية الى اليمن مرتبطة بمحاولات الملكيين المؤيدين من السعودية للانقضاض على الثورة والجمهورية ، واستنجاد القادة اليمنيين بجمال عبد الناصر ، الذى لم يتردد فى اللجوء الى أى سبيل يهدىء الحالة فى اليمن ويجعلها تستقر ٠٠٠ بما فى ذلك الاتصال بحكومة الولايات المتحدة ٠

ولم تكن العلاقات مع الولايات المتحدة سيئة فى بداية الحملة ٠٠٠ بل ان أنطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) يقول ان جمال عبد الناصر قد طلب من السفير الأمريكى جون بادو أية ملفات عن اليمن ، ولم يجد السفير الا ملفا قديما من السفارة الأمريكية فى صنعاء ٠

وكان ظهور البدر فى السعودية لمحاربة الحكومة الجمهورية بداية لحرب أهلية ، تهدد النظام الوليد الناشىء •

ويقول عبد الله السلال انه لم يكن ممكنا لقوات الثورة وحدها أن تنتصر نهائيا على القبائل الموالية للبدر والسعودية •

وأنه كان يؤمن بضرورة الاستعانة المباشرة بقوات مسلحة مصرية •

ويؤكد أيضا أنه لولا التدخل الخارجى من السعودية لأمكن تسوية الموقف داخل اليمن بقوات محلية •

ولكن السعودية كانت قد اختارت الطريق •

وقد أخذ بعض الضباط الوطنيين فى الجيش السعودى موقفا ايجابيا ضد العدوان على الحركة الثورية فى اليمن ، فقد هرب ثلاثة من الطيارين السعوديين بطائراتهم الى مصر طالبين حق اللجوء السياسى فى ٢ أكتوبر ١٩٦٢ ، ومعهم صناديق أمريكية محملة بالسلاح والذخيرة •

ويقول محمد حسنين هيكل أن جمال عبد الناصر قد احتج لدى السفير الأمريكى قائلا (ان هذه ليست بالطريقة السليمة للمساعدة وان هذا النوع من المساعدات ينطوى على تقديم الموت على الصداقة) •

وأصدرت الحكومة السعودية أوامرها بعدم طيران القوات الجوية السعودية ، وخاصة أنه هرب الى مصر أيضا بعد أسبوع واحد ثلاث طائرات أردنية كانت مرابطة فى جدة ومعها قائد سلاح الجو الملكى الأردنى •

ولكن السعوديين شجعوا القوات والقبائل الأمامية لاحتلال سبأ وصعدة فى الشمال وأصبحت تطرق أبواب صنعاء ••• ولم يعد هناك من أمل لانقاذ الموقف الا بارسال مزيد من الوحدات المحاربة المصرية •

ويقول أنه لم يكن فى خطة المصريين استفزاز السعوديين •

ويقول البيضانى أن عبد الناصر قد أوصاه قبل سفره بأن يتجنب اثارة الخلافات المصرية السعودية •

وخلال هذه الفترة كانت هناك رسائل متبادلة بين جمال عبد الناصر وجون كيندى الذى كتب رسالة يوم ١٧ نوفمبر ١٩٦٢ الى عبد الناصر وكتب منها صورتين الى الملك حسين والأمير فيصل كما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه :

واقترح كنيدى العناصر الأساسية الآتية :

١ ـ الاجلاء المرحلى والسريع للقوات الأجنبية عن اليمن ·

٢ ـ انهاء العون الخارجي للملكيين ·

٣ ـ الاجلاء المرحلى والسريع للقوات التى أدخلت بعد الثورة فى اليمن ، الى منطقة الحدود السعودية اليمنية ·

واقترح أن تصدر الجمهورية العربية اليمنية المتحدة بيانا تعلن فيه استعدادها للقيام بفك اشتباكها على أساس المقابلة بالمثل اذا سحبت القوات السعودية والأردنية من الحدود واذا أوقف العون السعودى والأردنى عن الملكيين اليمنيين ·

وقد رد عليه جمال عبد لناصر فى نفس اليوم بخطاب جاء فيه أنه يخرج بالخلافات العربية عن نطاقها المحلى لأول مرة · ويشير الى الطائرات الأمريكية التى هربت الى مصر بطياريها السعوديين ومعها أسلحة وذخائر أمريكية الصنع ·

ويقول بالتحديد (ومن ثم كانت الاستجابة الضرورية لطلب حكومة الجمهورية العربية اليمنية ، بوضع بعض قواتنا تحت تصرفها لتشترك معها فى الدفاع ضد الهجمات العنيفة التى تتعرض لها حدودها الشمالية فى منطقة صعدة فى ذلك الوقت والتى اتخذت من منطقة نجران فى السعودية قاعدة لها) ·

ويؤكد جمال عبد الناصر فى خطابه انه يمكن فرض انقلاب على شعب آخر من الخارج ، ولكن لا يمكن فرض الثورة لأنها طاقة داخلية تفجرها الشعوب فى أعماقها ·

وكان السفير الأمريكى فى مصر بمشاعره مع ثورة اليمن ، وقد قال لجزيلان فى شهر ديسمبر ١٩٦٢ أن أمريكا سوف تعترف بثورتهم وأن فيصل سوف يخلف سعود ··· وكان ذلك ردا على تغطيته لموقف أمريكا من الثورة ·

وما لبثت حكومة الولايات المتحدة أن اعترفت بجمهورية اليمن ، بينما رفضت بريطانيا الاعتراف ، وذلك لأن ثورة اليمن كانت فى أبعادها الحقيقية تهدد الاحتلال البريطانى فى عدن ، كما تهدد النظام الرجعى فى السعودية ··· بينما كانت الولايات المتحدة تحاول تثبيت أقدامها فى المنطقة ·

واستمرت المراسلات بين كينيدى وعبد الناصر حول ثورة اليمن مدة أطول من عام ــ حسب ما كتب هيكل فى كتابه ــ ووصل خلال هذه الفترة الى القاهرة السفير ايلسووث بنكر مندوبا عن كنيدى يدعو الى السلام بينما كان هناك ضابط مخابرات أمريكى سابق اسمه (روبرت كومر) يرتب ويقود ما عرف باسم (حرب كومر) التى كان يقود فيها عددا من الجنود المرتزقة لصالح السعوديين والملكيين ..

ترك جمال عبد الناصر للرئيس كنيدى فرصة تنفيذ خطته يفك الاشتباك ، مع حذره من وقف المعونة العسكرية للثورة اليمنية حتى لاتسقط فريسة التدخل الخارجى ...

وقد استجاب الى رجاء السفير الأمريكى جون بادو بعدم مهاجمة الأراضى السعودية خاصة أثناء عمل لجنتى الزورت بنكر ورالف بانش مندوب الأمم المتحدة الذى فرضته بعد عرض القضية عليها فى مارس ١٩٦٣ .

ولكن الاطمئنان لم يستقر أبدا فى قلب عبد الناصر من السياسة الأمريكية ، التى أمدت اسرائيل فى ذلك الوقت ــ ٢٧ سبتمبر ١٩٦٣ بصواريخ الهوك ، واستخدموا فى ذلك خدعة سياسية اذ طلب السفير الأمريكى جون بادو مقابلته وأبلغه بالصفقة قبل اعلانها ، وعندما أعلنت واحتجت مصر قالت أبواق الدعاية الأمريكية انه لا حق لعبد الناصر فى أن يحتج مادام قد استشير فى أمرها .

وزادت الشكوك فى قلب عبد الناصر عندما طلب منه كينيدى التفتيش على المفاعل النووى المقدم لمصر من الاتحاد السوفييتى ، ورفضت مصر ذلك .

وطويت صفحة الاتصالات الشخصية حول القضية اليمنية بين مصر وأمريكا باغتيال جون كنيدى ليلة ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ ... وبعد أن كان يوثانت قد أعلن فى سبتمبر ١٩٦٣ عجز هيئة الأمم المتحدة عن تقديم حل عملى للمشكلة .

وكان هذا هو الشهر الذى انتهت فيه القوات المصرية من تنفيذ واجبها كما يقول الفريق القاضى وسحبت عددا آخر من القوات الى مصر .

مواقف عربية متنافرة :

كان الأمير فيصل شديد العناد فى موقفه ... وكان صاحب نفوذ متزايد فى المملكة .

عندما قررت جامعة الدول العربية ارسال بعثة خاصة في أكتوبر ١٩٦٣ لمقابلة الملكيين ، عجزت عن مقابلتهم .

وعندما أرسل يوثانت مندوبا آخر من هيئة الأمم في محاولة أخيرة لحل المشكلة في ديسمبر ١٩٦٣ رفض الأمير فيصل مقابلته .

كان جمال عبد الناصر على استعداد دائما لفض الاشتباك في اليمن واعادة القوات المصرية من هناك ، اذا ضمن تماما عدم وجود احتمال تدخل خارجي ضد الثورة اليمنية .. ولكن الأمير فيصل لم يعطه الفرصة أبدا بتدخله المستمر لمساعدة الملكيين بالأموال والأسلحة والقواعد .

وكان جمال عبد الناصر مدركا أنه ينجذب الى ساحة المعركة بأكثر من توقعاته ، ولكنه لم يكن يملك حيلة أخرى لمساندة الثورة اليمنية ... والسلال كان حريصا على شد مصر الى اليمن كما ذكرنا ادراكا منه للأخطار القبلية والرجعية التي تهدد محاولته نقل اليمن الى حضارة القرن العشرين .

وكان موقف مصر قد طرأ عليه تحسن ملحوظ بعد نجاح ثورة فبراير ١٩٦٣ في العراق ومارس ١٩٦٣ في سوريا وبدء محادثات الوحدة الثلاثية في القاهرة التي كانت في واقعها تعبيرا عن ارادة الجماهير العربية .

أثناء محادثات الوحدة قال ميشيل عفلق الأمين العام لحزب البعث الاشتراكي في جلسة ١٩ مارس ١٩٦٣ بعد أربعة شهور من بدء الوساطة الأمريكية لحل المشكلة اليمنية (الحقيقية ياسيادة الرئيس ان عملية الجيش المصري في اليمن عملية تاريخية ... هي اللحظة في مستوى التاريخ) .

وقال له جمال عبد الناصر معقبا لا ان رالف بانش قال انها عملية انسانية ... أنا لمست ذلك بعد ما رحت هناك ولقيتها متاخرة عن أي بلد في أفريقيا) ... وكان رالف بانش قد غادر مصر في طريق عودته من اليمن قبلها بأيام . وكان التناقض بين مصر والسعودية يظهر في شكال مختلفة .

السعودية تستضيف بقايا الاخوان المسلمين ، وبعض المصريين الهاربين المتعاونين مع وكالات المخابرات الغربية ...

ومصر تستضيف الأمير طلال بن عبد العزيز الذي كان يطالب بحد أدنى من الديموقراطية في السعودية ، وذلك بعد الطيارين اللاجئين الى مصر والذين وصلوا الى اليمن واستقبلهم السلال في المطار يوم ١٩ نوفمبر ١٩٦٢ .

وتصادف فى ذلك الوقت وقوع خلاف بين المغرب والجزائر حول الحدود فى الصحراء ، وأرسل أحمد بن بيللا يطلب المساعدة من جمال عبد الناصر ، الذى بادر بإرسال كتيبة من المدرعات الثقيلة وصلت اليه فى الوقت المناسب .

وهكذا كانت القوات المسلحة المصرية منتشرة بين الجزائر واليمن وسيناء فى وقت واحد .

وكانت السعودية قد أعلنت رفضها قبول المحمل وكسوة الكعبة وهو تقليد مصرى قديم ... محاولة بذلك اثارة المشاعر الدينية ضد جمال عبد الناصر ...

وكان صوت العرب فى هذه الفترة يؤدى دوره المعروف فى استثارة الجماهير ضد نظام الحكم السعودى والأردنى خاصة بعد لقاء الملك حسين والأمير فيصل فى الطائف أثناء اجتماعات شتورا ، وما قيل عن اتفاقهما على تكوين قيادة مشتركة ، وقد وزعت القوات المصرية ما يقرب من ١٠٠٠٠٠ جهاز راديو ترانزستور على رجال القبائل ... وكان هذا الجهاز الصغير قد لعب دورا كبيرا فى تهيئة الأذهان للثورة ، وأصبح مطلوبا منه أن يسهم فى تأمينها عن طريق اقتناع الناس بما يسمعونه من سيئات الحكم الملكى فى صوت العرب ... كان للدعاية دور مثل دور القوات المسلحة .

وكانت بداية حكم جونسون فى الولايات المتحدة تعبر عن تغيير فى علاقات مصر ، فقد توقفت المراسلات التى كانت تتم مع كنيدى .. واتخذ جونسون موقفا أكثر صراحة فى تأييد السعودية .

وعندما أهل عام ١٩٦٤ كانت اليمن تدخل مرحلة جديدة سياسيا وعسكريا واجتماعيا .

معالم جديدة فى طريق الثورة اليمنية :

قال الفريق عبد المحسن مرتجى ان عام ١٩٦٤ قد تميز بالبدء فى مرحلة التعمير والتطور الاجتماعى بعد استقرار الوضع العسكرى نسبيا .

وكانت معالم الحياة العصرية قد بدأت تدخل اليمن ... فى بداية عام ١٩٦٣ صدر أول قانون للتجنيد والخدمة العسكرية والوطنية ، ونص على أن الخدمة العسكرية شرف لكل يمنى من الذكور ابتداء من سن الثامنة عشرة حتى الثلاثين ... وعرف الجيش اليمنى تنظيم الأسلحة لأول مرة فى تاريخه .

وصدر دستور مؤقت لليمن فى أغسطس ١٩٦٣ تنص مادته الأولى على أن (اليمن دولة اسلامية عربية مستقلة ذات سيادة وهى جمهورية ديموقراطية والشعب اليمنى جزء من الأمة العربية) • وتنص مادته التاسعة على أن (الملكية الخاصة مصونة وينظم القانون أنواعها ووظيفتها الاجتماعية) •

وقد صدر الدستور بعد ذلك فى يوليو ١٩٦٤ ونص على أن تكون السلطة التشريعية مشكلة من مجلس شورى يختار أعضاؤه ومدته ٣ سنوات من أول اجتماع له وهو الذى يرشح رئيس الجمهورية بتوقيع ثلث الأعضاء ، ويتم الانتخاب بأغلبية الثلثين •

وكان اعلان الثورة عن الغاء الرق والفوارق القبلية والدينية والمساواة بين الطوائف والغاء التفرقة بين الزيود والشوافع ومنع الرق والاستعباد والرهائن ••• كان هذا الاعلان خطوة تقدمية كبيرة •

وخلال عام ١٩٦٤ وضعت خطة كبيرة لنشر المدارس والتعليم وتعبيد الطرق والرعاية الصحية •• وكان الناس قد شاهدوا السينما لأول مرة فى حياتهم • ويذكر أن الجماهير قد تظاهرت ضد أول عرض سينمائى باعتبار أن ذلك خارج على الدين •

وكان الفريق عبد المحسن مرتجى القائد الجديد الذى أشرف على هذه التطورات مقتنعا بأن أخطر قرار كان ارسال قواتنا فى كل أنحاء اليمن • لأن ذلك كان يدفعها الى التورط فى معارك غير متكافئة بين قوات نظامية دربت على تكتيكات الحرب التصادمية وبين قوات قليلة بدائية تستقر فى قمم الجبال وتسيطر على دروبها ، وتختفى فى الكهوف والحفر من قصف الطائرات •

كل القادة يقولون بذلك ولكنهم فى الحقيقة يتحملون مسئوليته الفعلية •

ورغم وصول القوات المصرية الى حدود اليمن الشمالية والشرقية • ورغم السيطرة الشكلية العامة على اليمن ••• فان الجيوب والقبائل المعادية ظلت عاملا مؤرقا للقوات المسلحة المصرية ••• ولكن بدرجة أقل • وقد ثبت اسهام بعض المرتزقة من الأوربيين الذين سبق لهم أن حاربوا فى كاتانجا بالكونغو ــ تحت علم الملكيين •

ويقول الفريق مرتجى أنه كتب تقريرا للقيادة فى القاهرة يقول فيه أن مشكلة اليمن لن تحل عسكريا وانما سياسيا •

ووجد هذا التقرير استجابة من عبد الناصر الذى كان أكثر الناس ادراكا لخطورة النزيف المستمر للقوات المسلحة ••• التى كانت قد بدأت تعامل معاملة أخرى مختلفة عن الشهور الأولى ••• زادت المرتبات والعلاوات ••• وقلت العمليات الحربية ••• واستكانت معظم الوحدات فى المعسكرات بلا تدريب ••• وأصبح الضباط يرغبون فى الذهاب الى اليمن للفوائد المادية التى يحصلون عليها •

وتطورت معاملة الضباط الى حد احضار الطعام لقياداتهم الكبيرة أحيانا من محلات جروبى بالقاهرة ••• بينما عامة الجنود تحت ضغط ظروف شديدة القسوة •

وكان مؤتمر القمة الأول الذى عقد فى القاهرة فى ٢٣ يناير ١٩٦٤ قد أخذ توصية بتصفية الجو بين مصر والسعودية ، بعد أن كانت العلاقات قد اقتربت بين القاهرة وعمان قبل المؤتمر ، ولكن مضت الشهور دون أخذ خطوات ايجابية فى هذا السبيل •

وقام جمال عبد الناصر بزيارته الأولى لليمن بعد ثلاثة شهور من انعقاد المؤتمر فى ٢٣ ابريل ١٩٦٤ وصحبه فى هذه الزيارة المشير عامر وزكريا محيى الدين وأنور السادات •

ويقول زكريا محيى الدين أنه لاحظ أهمية الدور الذى تلعبه القوات المسلحة المصرية فى تأمين الثورة اليمنية ، بما ترك انطباعا عنده بأن انسحاب القوات دفعة واحدة يؤدى الى انهيار الجمهورية •

وكانت علاقاته القاهرة مع بغداد قد وصلت الى حد اعلان الوحدة فى ١٦ مايو ١٩٦٤ وتعيين ثلاثة وزراء مصريين كوزراء وحدة (شعراوى جمعة وعلى السيد وكمال الحناوى) •

الهدوء يسود العلاقات العربية بعد مؤتمر القمة ••• وتكوين القيادة العربية المشتركة يغير طبيعة العلاقات بين مصر والأردن أيضا •• والملك حسين يبلغ المشير عبد الحكيم عامر أثناء زيارته لعمان فى شهر يوليو ١٩٦٤ لمهمة عسكرية بأنه سوف يسحب مساعدته للملكيين ، وكان ذلك عقب تصريح أصدرته الحكومة البريطانية فى نفس الشهر تعلن فيه أن اليمن الجنوبية سوف تحصل على استقلالها ليس متأخرا عن عام ١٩٦٨ ••• وجمال عبد الناصر يذهب الى تونس لمشاركة بورقيبة فى احتفالات جلاء آخر جندى فرنسى عن بنزرت •

وبدأ الموقف أمام السعودية يتغير •

كانت هناك خلافات داخلية لا تغلفها السرية المطلقة بين الملك سعود وولى العهد الأمير فيصل ٠٠٠ وقد احتدت هذه الخلافات بينهما الى درجة كبيرة ، ولعب فيها الأمير فيصل دوره بمهارة السياسى المتمرس على الاحتكاك بالمجالات الدولية ، صاحب العلاقات الطيبة مع الولايات المتحدة •

وقدر الأمير فيصل ضعف السعودية بعد انسحاب الأردن من قضية اليمن ، وعجز الملكيين عن تحقيق انتصار كامل على الجمهوريين ، واستجاب فى نفس الوقت الى روح مؤتمر القمة التى كانت تتعارض مع ارادة الملك سعود ، فأرسل رسالة الى عبد الناصر فى شهر سبتمبر ١٩٦٤ يبدى فيها استعداده لمناقشة وقف اطلاق النار ٠٠٠

كان الملك حسين قد قابل جمال عبد الناصر بالاسكندرية فى زيارة خاصة خلال أغسطس ١٩٦٤ سبقت مؤتمر القمة الثانى الذى عقد فى فندق فلسطين فى المنتزه بالاسكندرية لعب فيها دور الوسيط بين القاهرة والرياض لمحاولة تهدئة الموقف وتصفيته ، وهو الأمر الذى انتهى برسالة الأمير فيصل الى عبد الناصر •

وعندما اجتمع مؤتمر القمة فى سبتمبر كان الأمير فيصل هو الذى يرأس وفد السعودية بعد أن كان الملك سعود قد رأس المؤتمر الأول وكان المشير عبد الله السلال هو رئيس الوفد اليمنى والتقى الاثنان معا •

وأبلغ الأمير فيصل جمال عبد الناصر بقرب عزل الملك سعود من منصبه ، الأمر الذى نفذ فعلا فى ٣ نوفمبر ١٩٦٤ ، وأصبح الأمير فيصل ملكا للسعودية ، وسافر زكريا محيى الدين لتهنئته بمنصبه فى محاولة من جمال عبد الناصر لتهدئة الموقف وبعدها بيومين فقط فى ٥ نوفمبر أعلن الطرفان قبول وقف اطلاق النار ، بعد أن كانت قد تمت فى أركويت بالسودان اجتماعات خلال شهر أكتوبر بين الملكيين والجمهوريين لدراسة اتفاقية هدنة كان قد تم الاتفاق عليها فى الاسكندرية •

ولكن الأمر لم يتحقق فى سهولة ٠٠٠ فان غلاة الجمهوريين أعلنوا رفضهم الجلوس مع أحد من الأسرة المالكة لجرائمهم السابقة التى ارتكبوها ٠٠٠ والبدر لم يقبل من الجهة الأخرى وقف اطلاق النار •

لهذا فانه لم يكد يمضى شهر واحد حتى خرج على اتفاق وقف اطلاق النار الملكيون من الجبال وهاجموا الجيش المصرى فى مواقعه التى كان يعسكر فيها قرب الحدود •

وعاد الملكيون للقتال من جديد •

الثورة فى جنوب اليمن :

ولكن أيام القتال الصعبة قد مضت بانتهاء عام ١٩٦٣ ولم تعد هناك سوى دوريات قتال تتحرك الى مناطق بعض القبائل التي كانت تعتبر مثل الرمال المتحركة ، مواقفها غير مستقرة ، قد تجدهم جمهوريين فى النهار ويتحولون فى الليل لمساعدة الملكيين .

كان اتساع مساحة اليمن وانتشار القوات العربية عليها يسمح بتعكير صفو الأمن والسلام عن طريق الكمائن أو التعرض للقوات العابرة من قمم الجبال .

ومع ذلك يمكن القول اجمالا بأن الموقف العسكرى فى اليمن لم يكن شديد الالتهاب ولم يكن قتالا مستمرا لا يتوقف ... وأنه لم يكن هناك من شيء يحول دون تقدم المجتمع اليمنى بقوة دفع ثورته الا تناقضات وخلافات مشايخ القبائل ورجال السياسة .

ومع اتجاه الموقف للهدوء النسبى ظل الوجود البريطانى فى الجنوب يشكل خطرا دائما على الثورة ..

وكان سلاطين يافع والفضلى والضالع وبيحان والعوالق العليا والعوازل قد اتفقوا عام ١٩٥٩ على تشكيل (اتحاد امارات الجنوب) على أن يرتبط الاتحاد بمعاهدة حماية وصداقة مع بريطانيا كما تعهدوا بألا يدخلوا فى أية علاقات خارجية من أى نوع دون موافقة بريطانيا ، وكان ذلك بعد هروب جيش لحج بأكمله الى اليمن عام ١٩٥٨ وعزل بريطانيا للسلطان على عبد الكريم وتولية السلطان فضل بن على مكانه .

وبدأت المقاومة فى جنوب اليمن ، ودعا حزب الشعب الاشتراكى (عبد الله الأصنج) الى التظاهر احتجاجا على تشكيل المجلس التشريعى بعدن والمطالبة بعقد انتخابات عامة وتكوين حكومة منتخبة فى عدن قبل البحث فى موقفها من الاتحاد ، وكانت بريطانيا قد أصدرت كتابا أبيض عام ١٩٢٦ جاء فيه (أن تصبح محمية عدن ضمن ولايات الاتحاد ابتداء من مارس ١٩٦٣) .

وكان اندلاع ثورة ٢٦ سبتمبر فرصة فريدة لمساندة النضال الثورى فى الجنوب .

وقد أسهمت مصر فى ذلك اسهاما كبيرا ... قال جمال عبد الناصر فى خطابه للشعب يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٣ فى بور سعيد موجها الحديث عن البريطانيين « همه يروحوا يحتلوا عدن والجنوب والمحميات والخليج

ويعتبروا ده حقهم واحنــا لما الثورة اليمنية تطلب منا أن نساندها ضــد العدوان يزعلوا قوى الانجليز » ٠٠ ثم يوجه لهم الاتهام بأنهم يساعــدون الملك سعود بالسلاح وبعثة عسكرية من ٣٧ ضابطا لتنظيم الجيش وبعد أن كانت العلاقات مقطوعة بينهما تحسنت ٠

ثم يقول جمال عبد الناصر ان « احتــلال بريطانيا لعدن والجنوب المحتل رغم ارادة الشعب » ثم يعلن صراحة « احنا بنؤيد أحرار عدن وأحرار الجنوب المحتل بكل قوتنا ، وأن كل امكانياتنــا ستستخدم للتخلص من الاستعمار البريطانى فى هذه المنطقة » ٠

ويقول عزت سليمان وكيل المخابرات العامة وأحد الضباط الذين اسهموا فى التعاون مع حركات التحرير فى عدد من الدول العربيــة انهم كانوا قد فتحوا معسكرا فى تعز لتدريب المتطوعين واعدادهم للكفاح المسلح فى الجنوب ٠٠٠ وانهم أطلقوا على هذه العملية اسم (صلاح الدين) ٠

وقبل خطاب جمال عبد الناصر بأيام فى ديسمبر ١٩٦٣ ألقيت قنبلة يدوية على المندوب السامى البريطانى وجماعة من قادة الاتحاد كانوا على وشك مغادرة مطار عدن الى لندن لاجراء مباحثات دستورية ٠٠٠ واعتبر هذا الحادث الذى قتل فيه اثنان وجرح خمسون شخصا ذروة اضطرابات عام ١٩٦٣ ٠

وخلال زيارة جمال عبد الناصر الأولى لليمن قال فى المؤتمر الشعبى بصنعاء يوم ٢٣ ابريل ١٩٦٤ « ان بريطانيا لا بد أن تجلــو عن عــدن ٠ وأن كلا من عدن والجنوب العربى أرض عربية ، وأنه من المستحيل تماما على بريطانيا أن تفرق عربا عن عرب أو يمنيــين عن يمنيــين ٠٠٠ اننا لن نسمح للاستعمار بأن يبقى فى أى جزء من أجزاء الوطن العربى » ٠

وفى الشهر التــالى قام وزير المستعمرات البريطانى بزيارة عــدن وأعلن أن مؤتمرا يتم عقده فى لندن مع منتصف يونيو لمعرفة وجهة نظر المنظمات السياسية فى وضع عدن وعلاقتها مع الاتحاد ٠٠٠ وهو المؤتمر الذى انبثق منــه الاعلان بأن الجنوب ســوف يحصل على استقلاله ليس متأخرا عن عام ١٩٦٨ ٠

وكانت الحركة الوطنية فى الجنوب غير محتشدة فى تنظيم أو جبهة واحــدة ٠٠٠

وكان هناك تضارب شديد فى وجهات النظر ، وفى أسلوب النضال ٠

وأطلقت الطلقات الأولى لثورة الجبهة القومية فى ردفان يوم ١٤ أكتوبر ١٩٦٤ وصحب ذلك اعلان أصدرته عن نفسها كمنظمة للكفاح المسلح حتى تتحقق الأهداف الوطنية ٠

وتعرضت القاهرة نتيجة الخلافات بين القوى الوطنية فى اليمن الى مواقف حرجة لم تتعرض لها فى الشمال حيث لم تكن هناك تنظيمات سياسية مؤثرة ، وحيث كان التخلف أكثر تأثيرا فى الشمال عنه فى الجنوب ٠

والأسلوب الذى انتهجته القاهرة للتعاون مع القوى الثورية كان استمرارا لأسلوبها السابق على ضباط المخابرات المسئولين عن الشئون العربية ، وهو أسلوب يثير كثيرا من الحرج فى معاملة الثوريين ، ورغم نواحيه الايجابية فى المساعدة ، الا أنه غالبا ما يكون ضامرا فى النواحى السياسية وله تاثير عكسى ٠

وكانت عقيدة عبد الناصر هى تشكيل جبهة شعبية تضم كل القوى ، ولكن الخلافات كانت أشد عنفا ، الأمر الذى وضع ضباط المخابرات فى وضع الاختيار اضطراريا ٠

وكانت الجبهة القومية قد هددت بالعنف كل من ينوى حضور المؤتمر الذى دعت له بريطانيا ٠٠٠ وأعلن حزب الشعب الاشتراكى مقاطعته أيضا للمؤتمر ٠

وفى مارس ١٩٦٥ تولى عبد القوى مكاوى الوزارة كأول عربى وبدأ بمطالبة بريطانيا بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة ٠

وبدأت أيضا محاولة الجامعة العربية لتوحيد جهود المنظمات الوطنية والثورية فى الجنوب لتوحيدها فى منظمة واحدة ولكن الجهود لم تنجح ٠

وفى شهر مايو دعا عبد الله الأصنج الى مؤتمر فى تعز أعلن فيه قيام منظمة تحرير الجنوب كمنظمة تؤمن بالكفاح المسلح وسيلة لتحقيق الأهداف الوطنية ٠٠٠ وطالب القاهرة بالعون المادى ٠

وقد أجبرت هذه المواقف بريطانيا على الغاء المؤتمر ، وأعلنت عن ارسال بعثة دستورية للنظر فى نوعية الكيان الدستورى للدولة الجديدة ، وأعلن عبد القوى مكاوى أنه سيمنع البعثة من دخول عدن ٠٠٠ وتراجعت بريطانيا مؤقتا عن فكرة البعثة وأرسلت جرينوود وزير المستعمرات فى شهر يوليو الذى أعلن تحفظ بريطانيا فى سحب قواتها تحت ضغط أعمال العنف والثورة التى تجتاح كل مدن اليمن ٠٠٠ وقد رفض مكاوى فكرة تشكيل حكومة تمثل فيها منظمة التحرير بنسبة ٦٠ فى المائة ٠

وفى سبتمبر وصلت البعثة الدستورية الى اليمن ورفض مكاوى استقبالها .. فأنهى المندوب السامى سلطات الحكومة فى عدن وبدأت حملة اعتقالات واسعة .

وفى يناير ١٩٦٦ اتحدت منظمة التحرير مع الجبهة القومية وكونتا معا (جبهة تحرير اليمن المحتل) .

واستمرت عمليات الكفاح المسلح فى الجنوب تزداد عنفا وضراوة . المصدر الرئيسى لها فى السلاح والتدريب كانت مصر التى اعتمدت خطة صلاح الدين ... وما كان ذلك ليتحقق لولا ثورة ٢٦ سبتمبر التى حولت أرض الشمال فى اليمن الى ساحة تدريب لثوار الجنوب ... التى أصبحت سياجا يحمى ظهورهم ويمدهم بكافة ما يحتاجون اليه من أسلحة وامدادات .

الكفاح المسلح الذى قهر الوجود والاستعمار البريطانى فى عدن والجنوب ، كان ثمرة من الثمار الرئيسية العديدة لثورة ٢٦ سبتمبر .

ورغم وجود وبقاء الخلافات بين تنظيمات الجنوب التى لم تنته بالوحدة التى تمت فى (جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل) ... فان خطوات الكفاح المسلح لم تتوقف حيث انتهت بالنصر النهائى وجلاء الاستعمار عن عدن . قال عبد الفتاح اسماعيل أمين عام الجبهة القومية فى تقريره أمام المؤتمر الخامس فى مارس ١٩٧٢ (بعد سنة من انتظار ثورة ٢٦ سبتمبر أخذت جماهير الشعب اليمنى فى الشطر الجنوبى تفجر النضال المسلح ضد الاستعمار البريطانى وعملائه) .

وقال على ناصر محمد عضو المكتب السياسى للجبهة القومية فى خطابه أمام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧١ « ان شعبنا اليمنى بأجمعه لن ينسى مدى التاريخ بأن ثورته لم تكن تقف على قدميها أسبوعا واحدا لولا الزعيم الخالد جمال عبد الناصر والشعب المصرى الشقيق » .

الخلافات أيضا فى الشمال :

واذا كانت الخلافات فى الجنوب قد أخذت هذا الشكل الحاد الذى انتهى بصدام بين القوى المختلفة وصل الى حد التصفيات البدنية من الطرفين ... فانها فى الشمال أيضا كانت موجودة وقائمة ... ولها طابع قبلى وطبقى خاص .

ومنذ قامت ثورة ٢٦ سبتمبر وهدفها الأكبر هو تصفية نظام الامامة ووقف هجمات الملكيين المعتمدة على السعودية .

ولكن كافة القوى الداخلية من العسكريين أو رجال القبائل لم تكن متحدة الهدف ··· والتنظيمات السياسية على اختلاف اتجاهاتها لم تكن ذات نفوذ واضح قوى يمكن التأثير من خلاله على الجماهير وأفراد القبائل المنتشرين فى أرجاء اليمن الواسعة ·

وكان وجود السلال فى قمة ثورة سبتمبر دافعا لاتخاذ موقف مضاد له من بعض القبائل التى كانت تعيش أسيرة نفوذ وتقاليد بالية ، وتزن الرجال بميزان الأصل والنسب ·

واخذت هذه الاتجاهات المتخلفة تتبلور فى شكل جناح عقد عدة مؤتمرات فى عمران ١٩٦٣ ، والخمر ١٩٦٥ ، والجند فى أواخر نفس العام ·

ضمت المؤتمرات العناصر الرجعية المتخلفة التى استترت خلف ستار « تجنيب اليمن ويلات الحرب الأهلية » واتصل بعض أفرادها سرا بالسعوديين والأمريكيين ووقفوا موقف التحفظ من وجود القوات المصرية المسلحة ·

كان أبرز أهداف هذه الفئة هو الرغبة فى تنحية عبد الله السلال ومحاصرة دور مصر والتشهير بمن يتعاون مع القوات المصرية باعتبارهم عملاء وليسوا وطنيين ·

وكانت القاهرة تستقبل هذه الخلافات بضيق شديد ··· فظهور العلماء فى صفوف الجمهوريين كان يشكل خطرا أشد من مجابهة الملكيين ، ولكنها لم تأخذ خطوات سياسية لتصفية المشاكل فى مهدها ·

كان العمل السياسى يكاد يكون محظورا على اليمنيين وعلى القوات المصرية ، أيضا الأمر الذى أضعف فرصة وجود تفاعل سياسى عميق مع الجماهير المتعطشة الى التحرير من تخلف الامامة بشكل موضوعى فعال ·

وكثيرا ما أعيد الى القاهرة بعض الضباط الذين دفعتهم روحهم الوطنية الى اقتحام حديث السياسة ، وأصبح هناك تعبير شائع بأن فلان (اتأنتف) بمعنى أن الطائرة السوفيتية الجبارة حاملة الدبابات والطائرات (الانتينوف) قد عادت به الى مصر ·

كانت قبضة المخابرات فى اليمن شديدة أيضا ··· وكانوا هم العنصر المؤثر فى اعطاء الصورة للقيادة السياسية فى القاهرة ، والعنصر الرئيسى فى تحديد موقف الزعماء اليمنيين ·

وعندما بلغت الخلافات السياسية درجة عنيفة عقد جمال عبد الناصر اجتماعا فى قصر الأمير عبد المنعم بمصر الجديدة فى يناير ١٩٦٥ حضره عبد الله السلال وحسن العمرى وعبد الحكيم عامر وأنور السادات وأنور القاضى ··· وفى هذا الاجتماع تقرر عودة الفريق أنور القاضى لليمن مفوضا سياسيا وعسكريا معا ، لحل المشاكل الداخلية بين الجمهوريين دون انتظار الرجوع الى القاهرة فى كل صغيرة وكبيرة ·

ولكن هذا الأسلوب الجديد لم يفلح أيضا فى حسم الخلافات الداخلية ·· وانحازت معظم الأجهزة المصرية الى مجموعة الأريانى والنعمان وحسن العمرى باعتبارهم القوة الرئيسية القادرة على توجيه الأمور وقيادتها ··· وكان الزبيرى قد لقى مصرعه بعد مؤتمرهم الأول فى عمران ·

وخلال هذه الفترة حدثت عدة وساطات للتهدئة بين مصر والسعودية قامت بها الأردن والكويت والجزائر ·

وبادر جمال عبد الناصر بالذهاب يوم ٢٤ أغسطس ١٩٦٥ الى جدة لمقابلة الملك فيصل وصحبه زكريا محيى الدين · ويقول زكريا محيى الدين أن جمال عبد الناصر كان حريصا على عودة السلام الى اليمن ، وأنه لم يتردد مطلقا فى الذهاب الى السعودية عندما وجد أن ذلك قد يحقق هدفه الكبير ·

ويقول زكريا محيى الدين ان جمال عبد الناصر كان يود أن يذهب الى مؤتمر القمة الثالث فى الدار البيضاء الذى كان مقررا عقده بعد ثلاثة أسابيع من الزيارة ، ومشكلة اليمن لامكان لها فى جدول الأعمال ولا فى مناقشات المؤتمر الجانبية ·

وكانت الزيارة قد تمت بعد نقض الملكيين لاتفاق وقف اطلاق النار السابق المعلن فى ٧ نوفمبر ١٩٦٤ ··· وانتهت باتفاق جديد للهدنة على أن تسحب مصر جنودها خلال عام ، ويسحب البدر جنوده أيضا ··· وتوضع نقطة مراقبة أمام امارة بيجان ··· وينعقد مؤتمر فى حرض ·

وقبل أن ينعقد المؤتمر وحتى يزيل جمال عبد الناصر أية مصاعب يمكن أن تعترض طريق الاتفاق استدعى السلال الى القاهرة فى أكتوبر ١٩٦٥ ليمنح المجموعة الأخرى فرصة الانفراد بالحكم اختبارا لنواياهم ومحاولة لتقليل الخلافات ورغبة فى الوصول الى اتفاق ·

واستجاب السلال لارادة عبد الناصر رغبة منه فى البرهنة على حسن نيته وعن استعداده لقبول أية تضحيات أو تنازلات تمهد للسلام ، وبقى

فى القاهرة وعين أحمد محمد النعمان رئيسا للحكومة ، ومنح حسن العمرى رتبة الفريق وعين نائبا لرئيس الجمهورية وقائدا عاما للقوات المسلحة ، وأصبح العمرى يمارس كل صلاحيات المشير السلال .

ولم ينعقد مؤتمر حرض الذى مثل مصر فيه الفريق محمد فريد سلامة رئيس هيئة العمليات ، ومثل السعودية الأمير عبد الله ، لخلافات بين اليمنيين .

وتغير الفريق أنور القاضى القائد العام للقوات المصرية وعين اللواء أركان الحرب طلعت حسن على فى يوليو ١٩٦٦ ... وقد استدعاه المشير عامر قبل سفره الى اجتماع حضره حسن صبرى الخولى والسيد أحمد شكرى ... وعندما تساءل اللواء طلعت عن طبيعة مسئوليته قيل له انها تفويض سياسي وعسكرى يمثل فيه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ويخضع لتعليماته حسن صبرى الخولى المسئول عن الاعانة فى اليمن وكذلك السفير وكل الأجهزة بما فيها المخابرات العامة .

ويقول اللواء طلعت أنه سرعان ما اكتشف أن المجموعة الحاكمة تتآمر على الوجود المصرى بصلات سرية مع السعوديين والأمريكيين وانها تمثل ردة رجعية عن أهداف الثورة ، ولذا طالب بعودة السلال الذى ما ان عرفت هذه المجموعة أنه فى طريق العودة حتى أخرج حسن العمرى بعض الدبابات اليمنية لمحاولة منع السلال من الحضور ، ولكن اللواء طلعت واجهه صراحة بأنه سيحطم كل دبابة لا تعود الى موقعها خلال ساعتين ، وتراجع العمرى ووصل السلال وحدثت مشادة بينه وبين العمرى فى المطار .

وكان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأنور السادات قد قاموا بزيارة السلال فى منزله بالاسكندرية لمناقشة موضوع عودته والاتفاق على الخطوط الرئيسية للمستقبل .

وهنا طلبت هذه المجموعة التى شملت الاريانى والنعمان ومعظم الوزراء تقريبا الذهاب الى القاهرة للمناقشة حول موقفها من السلال ووجود القوات المصرية وتحميل مصر ما يحدث فى اليمن من مشاكل ..

ويقول اللواء طلعت أنهم كانوا قد دبروا أمرهم على الذهاب الى هيئة الأمم المتحدة للمطالبة باخراج القوات المصرية من اليمن ... ولكنه وضعهم فى طائرة مصرية هبطت فى القاهرة ... وعندما وصلوا لم يجدوا أحدا من المسئولين فى انتظارهم ، وذهبوا الى شمس بدران مدير مكتب عبد الحكيم

عامر الذى خرجوا من مكتبه الى المعتقل بناء على أوامر عبد الناصر عدا القاضى عبد الرحمن الاريانى الذى ظل طليقا ولم يسمح له بمغادرة مصر ·

ولم يكن احتجاز هذه المجموعة فى مصر خارجا على تقاليد اللعبة السياسية فى الوطن العربى ·

ويقول عزت سليمان إن جمال الناصر سبق أن استجاب لطلب أحمد بن بيللا فى اعتقال اثنين من الجزائريين وقد انقذهما ذلك من شر أكبر ·

واعتقال هذه المجموعة فى مصر لاشك أنه أنقذها من عسف السلال بعد عودته مؤيدا من القاهرة ومحميا بالقوات المسلحة ·

يقول الدكتور محمد على الشهارى مدير مكتب السلال أنه كان ينوى الفتك بهم بعد مشادته مع حسن العمرى لولا السفير المصرى أحمد شكرى الذى تدخل لمنع ذلك حتى لا تقع المسئولية على مصر ، وخاصة بعد أن كانوا قد أصدروا منشورات معادية لمصر وزعت فى بيروت ·

ويقول عبد الله السلال أن السفير المصرى أحمد شكرى لم يكن خير مثال لثورية عبد الناصر وأفكاره التقدمية ، وأنه كان يتصرف بطريقة مثيرة ، يفتح أبوابه لمشايخ القبائل ويرتاح للتعامل مع الأثرياء منهم ، وان ذلك كثيرا ما كان يبعث الضيق فى نفس السلال الذى نبت فى أسرة متواضعة وتشربت نفسه بروح الثورة منذ انتفاضة عام ١٩٤٨ ، والذى امضى أيامه فى السجن حانقا على الامام والمرتبطين به من مشايخ القبائل ·

وفى لقاء للسلال مع عبد الحكيم عامر شكا له تصرفات السفير المصرى وساله (هل هو ابن باشا) وضحك عامر وأجابه (لا ·· ولكنه متزوج من بنت باشا) ·

وأحمد شكرى كان ضابطا فى الجيش ورئيسا لعمليات الفريق القاضى وحصل على ترقية استثنائية برتبتين ثم أصبح سفيرا ·

ولم يستمر أحمد شكرى طويلا بعد ذلك فقد نقل بعد توصية من القائد العام الجديد ·

وكان أسلوب اللواء طلعت حسن يختلف عن أسلوب القادة السابقين وخاصة بعد استقرار الأمور نسبيا بعد عودة السلال ·

من الناحية الداخلية أوقف صرف معونات القبائل التى كانت تشكل نزيفا للمالية المصرية ، واتخذ موقفا حاسما من المتآمرين والمتلاعبين على

امن الثورة فشكل فى أكتوبر ١٩٦٦ أول محكمة عسكرية علنية حاكمت وزير شئون القبائل الدعيني الذى كان يطلق قذائف البازوكا على المواقع المصرية ليلا ويعمل فى النهار وزيرا ·

رأس المحكمة وزير الداخلية الضابط السابق محمد الدهنومي وكانت علنية صرح للسفراء بحضورها ·

وحاكمت أيضا ضابطا يمنيا اسمه هاوى عيسى كان يؤدى دور قاطع طريق يحرسه ٥٠٠ جندى ويرهب الناس بسطوته ·· يسرق الجمارك ··· ويقول اللواء طلعت أنه ذبح محافظ تعز ليحل محله ، وقطع لسان شخص جرؤ بالتحدث عن بعض جرائمه ·

ويقول اللواء طلعت انه عندما صارح جزيلان بأنه سيحاكمه تردد قائلا انه يفضل اغتياله سرا ، ولكن طلعت أصر وقدمه للمحكمة نفسها أيضا ·

وحكمت المحكمة بعد محاكمة علنية باعدام سبعة متآمرين منهم الوزير والضابط هاوى عيسى ·

ولم تكن هذه المحكمة هى المحكمة الوحيدة بل شكلت محاكم علنية أخرى فى مختلف القطاعات ·

وانتهى عهد الاخلال بالنظام واستتب الأمن بعد أن كان الجنود المصريون يتعرضون كثيرا لأعمال الغدر ·

ومن الناحية السياسية كون ما سماه (مكاتب سياسية) تتشكل من ضابط صاعقة واثنين من ضباط الصف وتمرجى يعيشون مع القبائل الموالية حياتهم الخاصة بكل تقاليدها ويتناقشون معهم في مختلف القضايا السياسية والفكرية ··· وكان هذا أول نسيج بين الناحية السياسية والعسكرية ·

تكونت هذه المكاتب السياسية فى شتى أنحاء اليمن ··· الجوف وصعدا ·

ومن الناحية العسكرية واصل تركيز القوات فى مثلث تعز صنعاء الحديدة ··· بل وبدأ عملية تخفيف للوحدات نزلت بعدد القوات المصرية التى كانت قد بلغت ٧٠٫٠٠٠ جندى عام ١٩٦٥ لتصبح حوالى ٢٠٫٠٠٠ جندى فقط عند حدوث العدوان على مصر فى يونيو ١٩٦٧ ·

ولا شك أن انسحاب القوات المصرية الى هذا المثلث مع استتباب الأمن انما يثبت خطأ الاندفاع منذ البداية لكافة أرجاء اليمن ·

ويضرب اللواء طلعت دليلا على ذلك بأنه أمكن تطهير طريق صنعاء صعدة بعد أن قطعته قوات الملكيين بخمسة آلاف جندى يمنى فقط تساعدهم الطائرات والمدفعية المصرية بلا جنود مصريين مطلقا ، ونتيجة ذلك استولت القوات على كميات من الأسلحة والذخائر الأمريكية ٠

ومن ناحية التعمير ألغى استيراد الخضر من مصر وكلف الوحدات بزراعتها فى اليمن ، وبدأ فى تكوين شركة مصرية يمنية لاصلاح الأراضى وزراعتها ، كما حصل من هيئة الأمم على معونة قدرها ٢٠ مليون دولار كان يحرص على وصولها للقبائل مع قوافل ثقافية تضم الكتب والسينما والندوات العلمية ، وأنشأ مجلسا اقتصاديا على رأسه جزيلان وكان طلعت يحضر اجتماعاته للنهوض باليمن ٠

عدوان ١٩٦٧ :

وخلال هذه الفترة التى عاد فيها السلال الى اليمن ، وعين اللواء طلعت حسن قائدا للقوات ، وعزلت المجموعة الرجعية الاقطاعية فى مصر ، أصبح الموقف الاجتماعى فى اليمن أكثر وضوحا وتحديدا ، والموقف السياسى فى الشمال أكثر استقرارا بينما التهب الموقف فى الجنوب واشتعلت المقاومة المسحة ٠

وكانت العلاقات قد تردت الى الغاية بين مصر والسعودية أمام الاصرار على عدم المساعدة فى تسوية نهائية للمشكلة ٠ .

وكان الملك سعود قد طلب الحضور الى مصر مع بعض أبنائه ٠٠ وبشهامة العرب فتح جمال عبد الناصر له أبواب مصر وهو الذى سبق له أن تآمر على حياته الشخصية ، ثم تآمر على وحدة الجمهورية العربية المتحدة ٠

وطلب الملك سعود الذهاب الى اليمن ليكفر عن مساعداته للبدر وليرد لأخيه الملك فيصل مؤامراته عليه ٠

وصل الملك سعود ومعه المشير عامر وأنور السادات وشمس بدران الى اليمن يوم ٢٤ ابريل ١٩٦٧ وأعلن فور وصوله الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية ٠٠٠ وقال بعد زيارته لمناطق التعمير (الحكم الثورى فى اليمن حقق منجزات ضخمة) ثم أعلن الملك سعود (لا أعترف بفيصل ملكا للسعودية) ٠٠ وقرر أن يترك ابنيه خالد ومنصور فى صعدة شمال اليمن قرب حدود السعودية ليؤثرا على الملكيين ويضعفا الموقف الداخلى فى السعودية ٠

وفى هذه الزيارة خطب عبد الحكيم عامر قائلا (سنبقى فى اليمن عشرين عاما حتى لا يعود الى الوراء) ٠

ولكن الأحداث بدأت تتجمع فى الأفق بالغة من التوتر حدا لم تصل اليه من قبل ٠

يقول اللواء طلعت حسن أنهم أعلنوا لدواعى الأمن أن الملك سعود والمشير عامر والسادات سيصلون الى تعز ٠٠٠ ولكن الطائرة انطلقت بهم عائدة الى القاهرة ٠

وفوجىء اللواء طلعت بخبر من تعز يبلغه أن صواريخ قد انطلقت من معسكر النقطة الرابعة تجاه معسكر كتيبة مظلات مصرية وأنها فجرت مخزنا للذخيرة ٠٠ وذلك فى الموعد المعلن عنه لوصول طائرة الملك ، وهرع اللواء طلعت ومعه وزيرا الداخلية والخارجية اليمنيان وأمر بمحاصرة معسكر النقطة الرابعة ومنع خروج أحد منه ٠٠٠ وقام بتفتيشه حيث قبض على ثلاثة من الأمريكيين أرشدت عنهم الكلاب البوليسية ٠

حاول الأمريكيون اقناعهم بأنهم ديبلوماسيون ، ولكن وزير الخارجية أبلغه أنهم لا يحملون هذه الصفة ٠٠٠ فقرر السلال الغاء النقطة الرابعة الأمريكية نهائيا وترحيل أفرادها خلال ٤٨ ساعة ٠٠٠ وفتح خزينتهم الكبيرة فى صنعاء وكانت مليئة بأوراق سرية أرسلت كلها للقاهرة ٠

وتولى المهندسون المصريون ادارة مشروعات المياه التى تختفى خلف ستارها عملاء المخابرات المركزية الأمريكية ٠

وأقيم جسر جوى نقل أفراد ومهمات النقطة الرابعة الى أسمرة ، وتدخلت القاهرة لمنع محاكمة الأمريكيين الثلاثة المعتقلين الذين أفرج عنهم الى المطار للسفر الى الخارج فورا ٠

كان الموقف فى اليمن يدخل مرحلة استقرار مبشر بتطور سريع ٠٠ بينما كان الموقف الداخلى فى السعودية قد اهتز بوجود سعود فى اليمن ، ومشروعات التعمير قد بدأت تؤتى ثمارها ٠

وأخذت مؤامرات الامبريالية الأمريكية تتجمع محاولة ابعاد الخطر المصرى التقدمى عن هذه المنطقة الحيوية القابضة على عنق البحر الأحمر والقريبة من دول الخليج ٠٠ وكان انقلاب اليونان العسكرى قد وافق حدوثه هذه الفترة الهامة ، ابريل ١٩٦٧ ٠

وبينما كان الوضع يستقر فى اليمن ويجنح الى الهدوء ، اذا به يتوتر فى سوريا ٠٠٠ وتغالى اذاعات السعودية فى الحديث عن وجود

قوات الطوارىء بين القوات المصرية والاسرائيلية وفى شرم الشيخ ..
الأمر الذى يحاول اظهار جمال عبد لناصر بمظهر التهادن مع الصهيونية .

وبدأت الأزمة تدخل مرحلتها الحرجة وليس فى اليمن أكثر من ٢٠٫٠٠٠ جندى كما سبق أن ذكرنا .

ونفذت مؤامرة الامبريالية الأمريكية والصهيونية التوسعية بعدوان يونيو ١٩٦٧ المباشر بعد أن عجزت عن اسقاط النظام التقدمي فى مصر بكل مؤامرات التخريب والاغتيال أو استنزاف قوة مصر فى حرب اليمن .

ولم يعد ممكنا للقوات المصرية المسلحة أن تواصل البقاء فى اليمن بينما قواتها فى مصر قد تبعثرت وضاعت الأسلحة بعد الضربة الاسرائيلية الخاطفة .

وانعقد مؤتمر القمة فى الخرطوم خلال أغسطس ١٩٦٧ بعد أن كان اللواء طلعت حسن على قد استدعى للعمل مديرا لهيئة العمليات فى القاهرة وحل محله اللواء عبد القادر حسن ... وهناك استقر الرأى بين مصر والسعودية على انسحاب القوات المصرية ، وترك الأمور لأبناء اليمن يرسمون مستقبله .

وتجمعت القوات المصرية فى الحديدة بعد مظاهرات تعرضت لها يوم ٣ أكتوبر وهاجم فيها المتظاهرون القيادة المصرية وقتلوا ١٠٠ جندى قبل أن يستطيعوا تفريق المظاهرات واستتباب الهدوء .

وقد كانت هذه المظاهرات استجابة لدعوة مشتركة من بعض الذين أرادوا المزايدة برفع شعار اخراج الجنود المصريين .. والذين كان منهم للاسف بعض الشباب المثقف الذين اجتمع بهم اللواء عبد القادر حسن بعد ذلك لتوضيح الموقف لهم . ويقول اللواء طلعت حسن أن بوادر هذه الصورة كانت قد ظهرت خلال وجوده ، وانها وضحت فى مجموعة تلتف حول جزيلان وتؤثر ضمنيا على السلال .

ويقول فى ذلك أنه منع اجتماعا كان مفروضا أن يعقد فى احدى دور السينما لهذه المجموعة .

ولا شك أن غياب العمل السياسى كان عاملا مؤثرا على تنمية اتجاهات خاطئة حتى بين أصحاب النوايا الطيبة الذين قد تجذبهم عوامل الاثارة الوقتية دون التعمق فى ابعاد الصورة الشاملة .

انسحبت القوات المصرية من اليمن تماما بعد أن تجمعت فى ميناء الحديدة .

وغادر السلال اليمن فى زيارة للقاهرة ثم بغداد وبعدها الى موسكو لحضور احتفالات الاتحاد السوفيتى بالعيد الخمسين للثورة الاشتراكية العظمى ... فى وقت كانت فيه الأمور غير مستقرة .

وقبل أن يصل السلال الى موسكو وأثناء وجوده فى بغداد يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٧ تحركت بعض وحدات الجيش اليمنى فى الساعة الأولى بعد منتصف الليل واحتلت قصر السلال والاذاعة وبعض الأماكن الحيوية واعلنت سقوط السلال ، وقيام نظام جديد للحكم على قمته مجلس رئاسة يضم القاضى عبد الرحمن الاريانى (٦٧ سنة) رئيسا وعضوية أحمد محمد النعمان ومحمد على عثمان .

وما لبث النعمان أن استقال وحل محله الفريق حسن العمرى والاثنان كانا محتجزين فى مصر ولم يفرج عنهما الا بعد سقوط السلال .

وكما جاء السلال بانقلاب عسكرى ذهب أيضا بانقلاب عسكرى .

ولكن ذهب السلال وبقى النظام الجمهورى ... فان قوات الملكيين ما ان استشعرت بأن فى قدرتها اقتحام صنعاء بعد خروج المصريين وسقوط السلال حتى تجمعت قبائلهم تحاول دخول العاصمة .

ولكن جيش اليمن الحديث ابن ثورة ٢٦ سبتمبر لم يسلم المدينة ويرجع شعبه الى نظام الامامة المتخلف ، بل قاوم قبائل الملكيين الزاحفة لمدة ٧٠ يوما تراجعت بعدها رغم أن القاضى الاريانى قد هرب الى تعز وترك الجيش وحده .

وقال جمال عبد الناصر لسفير العراق فى القاهرة (لقد أمضيت أياما مليئة بالقلق وأنا أرقب وأتابع الحالة حول صنعاء .. ولم يعد الهدوء الى نفسى الا بعد أن انتصر جيش اليمن والنظام الجمهورى أيا كانت قيادته) .

وكانت مصر قد اعترفت بالنظام الجديد فور سقوط السلال ...

ورافق ثبات ثورة اليمن فى الشمال انتصار الثورة فى الجنوب وخروج البريطانيين واعلان استقلال جمهورية اليمن الديموقراطية تحت قيادة الجبهة القومية فى ٣١ نوفمبر ١٩٦٤ .

خمس سنوات تقريبا غيرت معالم هذه المنطقة التى سادها التخلف أكثر من ألف عام فى الشمال ، وسيطر عليها الاستعمار البريطانى ما يقرب من قرن كامل .

واذا أرجعنا الامر الى أصوله لوجدنا انه الى جانب الدور الهام والحيوى لأبناء المنطقة فقد كان هناك أيضا الدور الفعال والمؤثر لثورة يوليو المصرية وقواتها المسلحة .

حصـــاد الثورة :

ويحاول البعض تصوير النتيجة النهائية لثورة اليمن بعد انسحاب القوات المصرية المسلحة عقب العدوان بأنه هزيمة لثورة يوليو بعد نزيف شديد تعرضت له فى اليمن ٠

والواقع أن أحدا لم يتصور فى البداية أن الموقف يمكن أن يتطور الى هذا الشكل المعقد ٠

وجمال عبد الناصر كان حريصا منذ البداية على ابعاد الثورة اليمنية عن التناقضات والخلافات القائمة بين مصر والسعودية ٠٠٠ وذلك حسب توجيهاتــه للدكتور عبد الرحمن البيضانى قبــل سفــره من القاهرة الى اليمــن ٠

ولكن انفجار الثورة فى اليمن كان يهدد النظام الملكى فى السعودية بشكل مباشر لأنه يقضى على نظام الامامة التى استغلت الدين فى تجسيد أمير للمؤمنين لا يطبق تعاليم الدين الانسانية السمحة ٠

ولذا فان تدخــل السعودية الفــورى والمباشر لمسانــدة أمام اليمن المخلوع كان دفاعا عن نظامهم ، ووجدت الامبريالية الأمريكية والبريطانية الفرصة فى هذا التناقض لاشعال الموقف وتحويله لتحقيــق أهدافهــا فى ضرب النظام التقدمى فى مصر ٠

ولم يقدر حكام السعودية ما قاله السلال أمام مؤتمــر القمة الأول من أنهم كان يجب أن يؤاخذوا ليس على الثورة ضد الامام ٠٠٠ ولكن على التأخر فى تنفيذ هذه الثورة ، وذلك بعد أن أوضح لهم صورا من بشاعة الحكم الامامى ٠

يكفى أن ثورة اليمن قد أطاحت نهائيا والى الأبد بنظام حكم رجعى ومتخلف ضغط على الجماهير وقهرها أكثر من ألف عام ٠

ومع ذلك فانه يجب القول بأنه كانت هناك أخطاء فى التنفيذ ٠٠٠ وليس فى الفكرة ٠٠٠ أخطــاء فى شــخصية المسئولين وليس فى هدف القيادة السياسية ٠

وكانت مساعدة الثورة اليمنية دون أن تكون هناك معرفــة عميقــة سابقة لطبيعة البلد والشعب ٠٠٠ ودون أن تكون هنـــاك مساعدات من المعلومات الطبوغرافية ٠٠٠ ودون أن يدخــل فى تدريب القوات المسلحة حروب الجبــال ومقاومــة العصابــات ٠٠٠ ودون أن تكون هناك طــرق

أو مواصلات برية ... ودون أن تكون هناك مطارات صالحة كافية ... الى غير ذلك . كانت مساعدة الثورة اليمنية رغم كل نواحى النقص المذكورة تعبيرا عن ادراك جمال عبد الناصر ووعيه بأن المشاكل الادارية لا يجوز أن تقف حائلا دون اتمام المسئوليات الثورية التضامنية بين قوى التحرر الوطنى .

ولم يكن واردا فى تفكير جمال عبد الناصر أن بعض المشاكل الادارية يمكن أن تكون عقبة فى سبيل المهمة الثورية التى كلفت بها القوات المسلحة .

وكل هذه العقبات فعلا رغم أنها سببت مزيدا من الخسائر ولكنها لم تتجاوز حدود المعقول ولم تعطل القوات المسلحة ولا ثورة يوليو عن تحقيق أهدافها .

خسرت القوات المصرية فى اليمن ما يقرب من ١٠٫٠٠٠ جندى خلال معارك استمرت خمس سنوات تقريبا ... بينما خسر محمد على فى حربه ضد الوهابيين فى يناير ١٨١٢ وأثناء حركته من ينبع الى المدينة حوالى ٨٠٠٠ جندى كما ورد فى كتاب لوتسكى (تاريخ الأقطار العربية الحديث) فى وقت لم تكن الأسلحة فيه قد تطورت الى هذه الدرجة ، وفى عهد كان سكان مصر فيه ثلاثة ملايين ، بينما سكان مصر خلال ثورة اليمن كانوا يقتربون من ثلاثين مليونا ... وخلال حرب لم تمتد كل هذه السنين .

خسائر القوات المصرية أثناء اداء دورها البطولى لا تمثل كارثة كما تحاول بعض الأقلام تصوير الموقف .

واذا انتقلنا للناحية الاقتصادية لوجدنا أن ثورة اليمن قد كلفت الاقتصاد المصرى كثيرا واستنزفت الملايين ، ولكن ذلك لم يكن أمرا اختياريا ... فقد كانت هذه هى خطة الامبريالية لحصار النظام فى مصر واجباره على الخضوع .

ولا شك أن أسلوب التعامل مع القبائل ورشوة مشايخها بالمال قد فتح على مصر بابا لم يغلق ، ورفع ميزانية مساعدتها الى ما يقرب من ٦٠ مليون جنيه استرلينى سنويا ... وتعرضت هذه الأموال لسرقات بعض من فقدوا الشرف والضمير .

كما أن ميزانية بدل السفر التى كانت تصرف للجنود كانت تحمل الميزانية العامة عبئا كبيرا .

كان الجندى يصرف جنيها واحدا فى اليوم .

وكان صرف هذه الأموال ضرورة لجنود يعرضون حياتهم للخطر فى كل لحظة ٠٠٠ ولو أن ظروف المعركة قد أدت الى بقائهـم فى أحيان كثيرة ينتظرون المعركة ولا يخوضونها ٠٠٠ ومع ذلك لم يكن سهلا اصدار القرار بانسحابهم أو تخفيضهم وذلك لخطر القوات الملكية المتربصة بالثورة ٠٠٠ والدليل على ذلك ما أشرنا اليه من هجومهـم على صنعاء ومحاصرتهم لهـا سبعين يوما بعد انسحاب الجيش المصرى وسقوط السلال ، لولا الجيش اليمنى الحديث الذى نشأ فى أحضان الجيش المصرى ٠

ومع ذلك فـان زكريا محيى الدين عندمـا تولى رئاسة الوزارة فى أكتوبر ١٩٦٥ ، وخلال معاناته من المشكلة الاقتصادية أثار مشكلة وجود القوات المصرية فى اليمن ٠٠٠ وعبر عن أفكاره بقوله انه لتحقيق الهدف المفترض وهو المحافظة على حكومة صنعاء ، فان الاستنزاف المستمر لموارد مصر يعتبر فى النهاية وسيلة لتحقيـق أهداف العدو فى اضعـاف النظام المصرى ٠

ويقول زكريا محيى الدين ان عينه فى ذلك الوقت كانت على فيتنام ، حيث تعرضت القوات الأمريكية لظروف تشابه الظـروف التى تعرضت لها قواتنا مما أجبرها على اللجوء الى المدن الكبيرة والموانى فقط ٠

ولذا طالب بتخفيض القوات المصرية الى أقل عدد ممكن على أن تحتل فقط مثلث تعز صنعاء الحديدة لتخفيض الاعباء حيث لم يكن هناك تصور لنهاية حرب اليمن ٠

وكان هذا هو الاقتراح الذى أشار اليه الفريـق أنور القاضى والذى كان مفروضا فى رأيه أن ينفذ من نوفمبر ١٩٦٣ ، ولكنه لم يدافع عن وجهة نظره بما يجعلها تنتصر ٠٠٠ بل انه وافق منذ البداية على خطة الوصول الى الحدود الشمالية والشرقية ٠

ويقول زكريا محيى الدين ان الاقتراح قد رفض وقتها ٠

ويقول اللواء طلعت حسن انه لم يجـد صعوبة فى تنزيل وحدات كثيرة الى مصر وتخفيف القوات الى أقل حد ممكن بعد اتخاذ أسلوب حاسم وجاد فى محاكمات المتآمرين علانية ، وفى الاعتماد على المكاتب السياسية المبذورة بين القبائل ٠

والواقع أن هناك فرقا هائلا بين وجود القوات المسلحة المصرية فى اليمن ، ووجود القوات الأمريكية فى فيتنام ٠٠ وهو ما صوره ناتنج فى كتابه (ناصر) ٠

القوات المصرية كانت تساند ثورة شعب ضد نظام متعفن ... بينما القوات الأمريكية كانت تقهر ثورة شعب فيتنام ورغبته فى التحرر الوطنى واختيار طريقه لبناء مستقبله الاجتماعى .

الفرق كبير ، وليس هناك مجال للمقارنة من الوجهة السياسية ولا من الوجهة العسكرية أيضا ... فقبائل اليمن المتأرجحة فى موقفها كبندول الساعة والمساندة بمرتزقة الكونغو السابقين لا وجه للشبه بينها وبين قوات جبهة التحرير فى فيتنام الجنوبية حيث كان الأمريكيون يواجهون أعلى مستوى من الكفاءة القتالية والمهارة والشجاعة الفردية المندفعة الى المعركة بوعى وطنى واجتماعى عميق .

ولو كانت القوات المصرية قد مارست عملا سياسيا ناجحا فى اليمن لساعد ذلك على تعبئة وحشد الشعب اليمنى دفاعا عن ثورته ، وأدى أيضا الى تخفيف أعداد الجنود المقاتلين هناك .

ولكن ما حدث فى مصر خلال السنوات الأولى لثورة يوليو حدث فى اليمن أيضا ، فقد أخذت السلطة هناك موقفا مضادا معاديا للأحزاب والحزبية ، رغم أنها بالتأكيد كانت تمثل تجمعا تقدميا عن نظام الامامة الرافض أصلا لكل عمل سياسى .

الأحزاب فى اليمن كانت تلعب دورا تقدميا ، وكان بعضها امتدادا لأحزاب وحركات سياسية تقدمية فى الوطن العربى مثل البعث والقوميين العرب الى جانب ارهاصات لتنظيمات شيوعية .

ولذا كان ضرب هذه الأحزاب وحظر نشاطها خسارة سياسية كبيرة أدت الى ضعف جبهة التماسك حول الثورة .

ولاشك أن من دوافع هذا الموقف الصراع الذى كان موجودا فى الساحة العربية بين الناصريين والبعثيين الذين توافر لهم قدر من النشاط السياسى فى اليمن كان يمثله محسن العينى .

ورغم أن حركة القوميين العرب قد وقفت مع عبد الناصر ضد البعث الا أنه حدث انشقاق فى مطلع عام ١٩٦٦ عندما فكر عبد الناصر فى توحيد قوى النضال فى جنوب اليمن فى جبهة واحدة ، ومنع قحطان الشعبى وعبد الفتاح اسماعيل من العودة الى اليمن .

ويقول عزت سليمان أن جورج حبش ومحسن ابراهيم كانا يقابلان عبد الناصر وأنهما قابلاه لمناقشة الموقف معه بعد هذا المنع .

أما الشيوعيون فقد ضربوا أيضا رغم مساندتهم لثورة يوليو وموقفهم من ثورة اليمن .

كل القوى والأحزاب السياسية حظر نشاطهـا فى اليمن ٠٠٠ وتم تقليد تجربة مصر بمحاولة اقامة تنظيم واحـد فى اليمن اسمه (الاتحاد الشعبى اليمنى) وفتحت أبوابـه للجميـع عـدا كل الحزبيين أو الذين اشتغلوا بالسياسة سابقا ٠

ومع ذلك لم يفلح هذا التنظيم فى اقامة الوحدة الوطنية أو ضم قوى الثورة الوطنية ٠٠٠ وانما بقى تنظيما مؤقتا وشكليا مماثلا لتنظيم الاتحاد القومى ، وليس الاشتراكى ، فى مصر ٠٠ ولكن بصورة باهتة ٠

وهكذا اقتصر الوجـود المصرى فى اليمن على المساعـدة العسـكرية فقط ، دون استثارة طاقات الجماهير وتقويتها فى تنظيم سياسى قوى ٠٠٠ ولا نود التطرف فى القول بأن فاقد الشىء لا يعطيه ، ولكننـا نقـول ان العمليات العسكرية قد شغلت اهتمام القيادة فى مصر ، وأن القادة الذين أعطتهم المسئولية هناك كانوا من العسـكريين الذين لم يكونـوا حتى من الضباط الأحرار ، أى لهم حـد أدنى من الصلة بالسياسة ، وانمـا كانوا ضباطا محترفين فقط لا يهتمون بالسياسة أصلا ولا يتابعون أحداثها ٠

ولذا اقتصر الدور المصرى فى اليمن على الدور العسكرى مع التأثير السياسى على السلطة فقط دون الجماهير ٠٠٠ الأمـر الذى أدى الى عـدم محاربة الاقطاع أو النظام القبلى حربا مباشرة وانما تحقق ذلك خلال نشر الحضارة والثقافة والتعليم وانشاء الطرق والمواصلات ، واقامة المستشفيات ومختلف أنواع الخدمات ٠

ومع كل هذه التحفظات فان جانبا كبيرا من شعب اليمـن وخاصـة الشباب المثقف كان معارضا لخروج الجيش المصرى بعد العدوان ، وقـد عقد اللواء عبد القادر حسن اجتماعا بعد مؤتمر الخرطوم مع هؤلاء الشباب أوضح لهم فيه الظروف السياسية الضاغطة ٠ ولم تنته صلة ثورة يوليو المصرية بثورة سبتمبر اليمنية بخروج القـوات المسلحة بعد عدوان يوليو الذى تآمرت وخططت لتنفيذه الامبريالية الأمريكية والصهيونية التوسعية ، وانما استمرت هذه الصلة قائمة بنمو القيم والأهداف التى بذرتها الثورة العربية المشتركة ٠

ان النظام الجمهورى الذى رأسه الاريانى بعد سقوط السلال لم يكن امتدادا لنظام الامامة المنهار ، ولم يكن صورة مطابقة من حيث الجوهـر الطبقى والايديولوجية الاجتماعية والنظرة السياسية لنظام الامامة ٠٠ وانما كان جمهورية جديدة قد تكون لها نظرة للأمور أقـل تقدميـة من نظـرة جمهورية السلال ، ولكنها بالتأكيد ليست صورة مكررة لنظام الامامة ٠٠٠

وهذا في ذاته دليل على أن ثورة سبتمبر لم تطبو صفحتها مع سقوط السلال ، ولم يتوقف تأثيرها بعد خروج القوات المصرية ٠٠٠

انتقلت اليمن الى حضارة العصر ٠٠٠ ويشق اليوم ابناؤها الطريق باسلوبهم ونظرتهم الخاصة ٠

وظهرت الى الوجود جمهورية اليمن الديموقراطية التى يعترف أبناؤها صراحة بدور ثورة ٢٦ سبتمبر ودور جمال عبد الناصر والشعب المصرى وقواته المسلحة فى دعم كفاحهم البطولى ٠

ولاشك أن ظهور هذه الدولة التقدمية الناشئة جنوب جمهورية اليمن هو حافز فى ذاته على توحيد نضال الشعب اليمنى فى الشمال والجنوب ضد الامبريالية المتربصة بهذه المنطقة الحيوية العامرة بالثروة البترولية ٠

واذا كان عدوان يونيو ١٩٦٧ قد وجه ضربة شديدة الى النظام المصرى ، فان الأحداث قد أثبتت أن سقوط شرم الشيخ فى يد الاسرائيليين لايمنع حصارهم — مؤقتا والى أن تتحرر — بالسيطرة على مضايق البحر الأحمر من الجنوب بالتعاون مع جمهورية اليمن الديموقراطيــة ، وهو ما تحقق بعد ذلك فعلا خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

كلمـة انصاف :

واخيرا فلا بد من كلمة انصاف لدور ثورة يوليو فى مسانـدة ثورة سبتمبر ٠

وقرار جمال عبد الناصر بالاعتراف الفورى والموافقة غـير المترددة فى مساعدة الثورة اليمنية بالقوات المسلحة المصرية كان نقطة البداية ٠

وكان فى ذلك الرد على محاولات الامبرياليـة فى تطويـق الثورة العربية ٠ ونجاحها فى تحطيم الجمهورية العربية المتحدة لم يؤد الى انحسار دائم ، وانما ظهر البعث الجديد فى أكثر الدول العربية تخلفا ضـد أشد النظم انحطاطا ٠

كان رفض المعاونة أمرا غـير مقبول ولا وارد سياسيا ٠٠٠ فليس من منطق الثورة التقاعس عن مساعدة حركات التحرر الوطنى ٠ والا كانت نتيجة ذلك العزلة التامـة عن ساحة الثورة العربية ، وتسهيل فرصـة الاطاحة بنظام الحكم التقدمى فى مصر ٠

وعلى الذين يفصلون بين سلامة مبدأ المساعدة واخطاء التطبيق أن يقدروا فزع الامبريالية من ظهور عبد الناصر فى الجزيرة العربية ليطوق

النظام السعودي ، ويقترب من آبار البترول فى الخليج ، ويسيطر على مفتاح البحر الأحمر من الجنوب ... ومابذلته بعد ذلك من جهود ومساعدات لدفع نظام الحكم السعودي لمساعدة بقايا النظام الملكى فى اليمن خلف أموال (أمير المؤمنين) البدر .

ورغم جهود جمال عبد الناصر المخلصة لاقرار السلام مع عدم التفريط فى تأمين وسلامة الثورة والجمهورية ، فان هذه الجهود قد تبددت واحدا بعد الآخر أمام تعنت الملكيين مدفوعين بمساعدات الامبريالية وجنودها المرتزقة .

ولم يكن ممكنا لجمال عبد الناصر أن يقبل انصاف الحلول لما يحمله ذلك من تعريض الجمهورية للخطر وسط قبائل تعيش فى تخلف رهيب ، وتسيطر عليها معتقدات دينية ليست من صلب الدين ولكنها من صنع البشر ... ومثال ذلك ما رواه لى الفريق أنور القاضى من أن بعض الطائرات قد قامت بغارات استكشاف ليلية مستخدمة الأنوار الكاشفة فأطلق انصار الامام اشاعة بأن أنواره تهل من السماء وأن هذه علامة من الله .. وكبر الناس وسجدوا وغيروا مواقعهم لتكون مع الامام .

والتراجع كان يعنى فى مضمونه تعطيلا لتنفيذ حركة الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطانى فى الجنوب ، وهى التى بدأت فى تعز كما ذكرنا تحت اسم (صلاح الدين) ، واستمرت تشتعل وتزداد اشتعالا لوجود القوات المصرية فى اليمن واستقرار النظام الجمهورى .

وعلى الذين يفصلون بين سلامة مبدأ المساعدة وأخطاء التطبيق أن يقدروا أيضا غموض الموقف فى اليمن وطبيعة الحياة المتخلفة ، واختلاف طبيعة الأرض الى جانب طبيعة الحكم فى مصر حيث انفردت زعامة جمال عبد الناصر بالتأييد الجماهيرى المطلق ، وغابت الكيانات التنظيمية والكادرات السياسية القادرة على التعاون السياسى والتوجيه الفكرى بطريقة نظرية وعملية سليمة ، ولا يمكن مناقشة الأمور قفزا فوق الواقع ، ولكن يجب مناقشتها فى حدود الامكانيات المتاحة ، والأخطار المحتملة .

وما تحقق فى اليمن لا يمكن قياسه بخسائر عشرة آلاف بطل فوق أرض اليمن ، ولا فى سقوط عشرات الألوف من اليمنيين فى الحرب الأهلية التى فرضها الملكيون فرضا ... ولا يمكن قياسه أيضا بما صرف من ملايين الجنيهات على العمليات العسكرية .

كل هذه الأشياء تعتبر صغيرة اذا قيست أو قورنت بالانجاز الأعظم وهو انقاذ شعب اليمن من أبشع نظام متخلف ، واخرج جنوب الجزيرة العربية من حصار طويل الى نور الحضارة العصرية .

ان مجرد دخول الكهرباء والمصانع وتعبيد الطرق وفتح المدارس والمستشفيات في مجاهل هذا البلد يضم ما يقرب من خمسة ملايين ، قد اختصر الزمن الذى كان يمكن أن يعيش فيه الشعب اليمنى عشرات أو مئات من السنين فى هذا التخلف الشديد ٠

وعلى الذين ينظرون فى بساطة واستخفاف الى واجب التعاون بين حركات التحرر الوطنى ، أن ينظروا الى موقف مصر لو أن الاتحاد السوفيتى لم يقدم لها الأسلحة والمساعدات الاقتصادية والصناعية وتركها فريسة فى يد الامبريالية العالمية تسيطر عليها وعلى نظام الحكم فيها وتمتص خيراتها وتترك شعبها غارقا فى تعاسته ٠

ان واجب التعاون والمساعدة بين حركات التحرر الوطنى هو أمر لا يجوز النظر اليه باقليمية محدودة أو سطحية متعجلة ٠٠٠ فسير التاريخ وحركته تفرض التعاون بين مختلف حركات التحرر الوطنى ٠٠٠ فما بالنا وثورة سبتمبر هى حركة تحرر فى اطار الوطن العربى ٠

والقول بأن مساعدة ثورة اليمن قد استنزفت مصر وكبدتها خسائر اقتصادية كبيرة ، هو قول مبالغ فيه كثيرا ٠٠ فان مساعدات الأسلحة كانت من الاتحاد السوفيتى ، ووسائل النقل السريع أيضا ، قد اعطيت كلها مجانا ٠٠ والأمور لم تصل بمصر الى حد الأزمة ، بل ولم تقترب منها أبدا ٠٠ لنمو خطط التنمية ٠

والذين يثيرون القول بأن ما صرف من أموال فى اليمن كان كافيا لرفع مستوى الشعب المصرى يعيشون فى وهم التصور بأن النظام المصرى كان يمكن له أن يواصل عمليات التخطيط والبناء والتنمية وهو مغلق أبوابه على نفسه ٠

ويقول زكريا محيى الدين أحد دعاة الاهتمام بالأمور الاقتصادية وعدم نسجها بالقضايا السياسية أن صعوبة الموقف الاقتصادى لم تكن كلها كامنة فى اليمن ، وانسحاب القوات المصرية جميعها لم يكن يحقق فى ذاته انفراجا حقيقيا للاقتصاد المصرى ٠

ان ملحمة القوات المسلحة المصرية فوق أرض اليمن ، هى من أعظم أمجاد ثورة يوليو التى حارب جنودها النظام الملكى الاقطاعى حتى انهار داخل الحدود ، وحاربوا النظام الامامى المتعفن حتى انهار خارج الحدود ٠

كان خروج الجنود المصريين للحرب فى اليمن عملا له دلالة تاريخية عظيمة فى وحدة الثورة العربية ٠

وليست نتائج هذه الثورة فى حاجة الى كلمة انصاف بقدر ما هى فى حاجة الى كلمة تقدير ٠

الباب الخامس

● مصر والسودان

(ان السـودان كفطاس ، مصر الانبوبته التى يستنشق منها الهواء ، فاذا فصل السودان عن مصر انقطع عنه الهواء فمات مختنقا)

ونستون تشرشل

رئيس وزراء بريطانيا

الفصل الأول

نضال مشترك ضد الاستعمار البريطاني

(ان الحكومة لتشعر بشعور الأمة لقاء هذه الحوادث المشئومة ، وهى ساهرة على معالجتها بما يحفظ كرامة البلاد ويصون حقوقها) .

سعد زغلول
فى رسالة الى الحاكم العام
٢٢ أغسطس ١٩٢٤

(يجب ان يتم جلاء البريطانيين عن وادى النيل) .

الملازم أول على عبد اللطيف
مؤسس جمعية (اللواء الأبيض)

علاقة مصر بالسودان تتميز عن علاقتها بأى قطر عربى آخر ... ومنذ دخل الجيش المصرى السودان فى أكتوبر ١٨٢٠ خلال عهد محمد على لم يخرج منه بصفة نهائية الا بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وقد نمت العلاقات بين الشعبين المصرى والسودانى خلال نضالهما المشترك ضد السلطة العثمانية والاحتلال البريطانى ، وتوثقت

العلاقة الى الدرجة التي جعلت من وحدة وادى النيـــل شعارا ترفعـــه الجماهير في الشمال وفي الجنوب ٠

وقد لعب الجيش المصرى دورا رئيسيا في العلاقة بين الدولتين ، منذ اهتمت الادارة المصرية في أيامها الأولى بالسودان ـ بتنظيم تجـارة الرقيق باعتباره موردا رئيسـيا لتكوين الجيش ، وأرسلت الحمـــلات الحربية الى الجنوب والشرق لاصطياد الرقيق من الرجال وارسالهم الى مصر ، كما يقول الدكتور زاهر رياض في كتابه (الســـــودان المعاصر) ، حتى تبين عقم هذه المحاولات فتوقفت نهائيا عام ١٨٣٩ ٠

منذ ذلك الوقت البعيد الذى تبدلت فيه الظروف أكثر من مرة ٠٠٠ من تقييم لـــدور الجيش في عهد محمد على ، الى تهبيط رتبة حـكمدار السودان في عهـــد عبـاس بحيث لا تزيد عن أميرالاى ، واتخـاذ منفى للوطنيين مثل الشيخ رفاعه رافع الطهطاوى الذى كانت لـه رتبـة في الجيش أيضـا ٠٠٠ ثم استخدامه في عمليات الاستكشـــاف خلال عهـد اسماعيل ٠٠ وكان أول المستكشفين الذين ارتادوا هـذا الســـبيل هـو البكباشى محمد سليم قبطان الذى قاد حملات الكشف عن منـابع النيل الأبيض ومناطق النيل العليا بين سنة ١٨٣٩ و ١٨٤٢ وصحبه في رحلته علماء فرنسيون وبريطانيون ٠

وأخـيرا جـاء حكم الخديوى توفيق الذى واكب ثورة المهـدى في السودان عام ١٨٨١ اذ جاهر المهدى بدعـوته في شـــهر اغسطس وقام عرابى بمظاهرة الجيش في عابدين يوم ٩ سبتمبر من نفس العام ٠

وعندما وصلت أخبار دعوة المهـدى بأنه نبى الله الى رءوف باشـا حكمدار الســـودان أرســل اليه الضابط محمد بك أبو السعود وكان على صلة بأخـوه المهدى لمحاولة اقناعه بالتخلى عن دعوته ، وحضر الاجتمـاع ثلاثة من علماء المسلمين ، ولكن المهدى رفض وأصر على موقفه ؛ فسـير اليه سريتين من المشاة تحت قيادته الى جزيرة آبـا حيث قـابلهم الأنصار والحقوا بهم هزيمة وصلت أخبارها الى القاهرة وكانت تحمـــل أخطـار ثورة المهدى لأول مرة ٠

وغادر المهدى جزيرة آبـا توقعا منه لحملة ثانية واستقر في جبـل قدير حيث هزم حملة ثانية قادها مدير فاشـودة دون اذن حكمـــدار الســـودان ٠

وعنـــدما وصلت أخبـار الهزائم قررت الحكومة المصرية ارســـال

قوة من الجيش ، ولكن القادة العسكريين اعتبروا أن ذلك محاولة لتشتيت الجيش المصرى ... وفى فبراير ١٨٨٢ عندما وصل العسكريون الى مراكز السلطة ركزوا اهتمامهم على محاربة الخديوى واعتبروا السودان ميدانا ثانويا لا يستحق ارسال مزيد من القوات واكتفوا بعزل رءوف باشا حكمدار السودان وتعيين عبد القادر حلمى الذى وصل فى مايو ١٨٨٢ ، والذى كان من أنصار أحمد عرابى .

ولكن ما لبث الموقف أن تعقد فى مصر ، واحتل البريطانيون القاهرة فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ ، وحل الخديوى توفيق الجيش المصرى بمرسوم صدر بعد خمسة أيام فى ١٩ سبتمبر .

وصدر قرار عزل عبد القادر باشا حلمى من حكمدارية السودان يوم ١٧ يناير ١٨٨٣ وتعين بعده الجنرال هكس البريطانى الذى فشل فى القضاء على الثورة المهدية ، ودحرت قواته يوم ٥ نوفمبر ١٨٨٣ ، وهنا بدأت بريطانيا عملية ضغط على الحكومة المصرية لاجلاء قواتها عن السودان .

ولكن شريف باشا رفض تنفيذ الاقتراح .

وهنا أرسل اليه اللورد جرانفيل وزير المستعمرات البريطانية برقية شهيرة فى يناير ١٨٨٤ يقول فيها (لا أرى حاجة الى أن أوضح لكم أنه من الواجب مادام الاحتلال البريطانى المؤقت قائما فى مصر أن تتأكد حكومة جلالة الملك من ضرورة اتباع النصائح التى ترى اسداءها للخديوى فى المسائل الهامة التى تستهدف فيها ادارة مصر وسلامتها من الخطر ... ويجب على الوزراء والمديرين المصريين أن يكونوا على بينة من أن المسئولية الملقاة الآن على عاتق الحكومة البريطانية تضطرها أن تصر على اتباع السياسة التى تراها ، ومن الضرورى أن يتخلى عن منصبه كل وزير أو مدير لا يسير وفقا لهذه السياسة) .

واستقال شريف باشا فى ٧ يناير ١٨٨٤ قائلا (اذا تركنا السودان فالسودان لن يتركنا) ... وجاءت وزارة نوبار باشا فى ١٠ يناير خاضعة للاحتلال البريطانى ساجدة لأوامره مصدرة تعليماتها باخلاء السودان وترحيل الموظفين وسحب الحاميات المصرية التى بلغت ٢٥٫٠٠٠ جندى . وصدر مرسوم فى ١٥ يناير بالحاق ادارة السودان بوزارة الحربية بدلا من رئاسة الوزراء ... وعين غوردون حكمدارا عاما للسودان بقرار من مجلس الوزراء البريطانى لارجاع الجنود والموظفين المدنيين والتجار الى مصر .

كان اتخاذ هذا القرار غريبا ودليلا على وجود نية مبيتة ضد مصر من جانب انجلترا لأنه لم يكن معقولا أن ينتصر دراويش بالرماح على جنود يملكون المدافع والبنادق .

وحوصر غوردون في الخرطوم التي سقطت في يد المهدى يوم ٢٦ يناير ١٨٨٥ وقتل الجنرال البريطاني على سلالم قصره قبل أن تصله الامدادات العسكرية لانقاذه والتي قادها الجنرال ولسلى الذي استطاع أن يشهد سقوط الخرطوم بمنظاره المعظم ثم يرتد عنها دون محاولة لإنقاذها .

وتحيط الشبهات التاريخية بموقف الحكومة البريطانية التي تقاعست في انقاذ غوردون والتي حاولت الاساءة الى الحكومة المصرية وإظهارها بمظهر العجز عن معالجة الموقف في السودان .

واستغلت بريطانيا فرصة مصرع غوردون وأنهت الادارة المصرية في السودان رغم اصرار حكومة مصر على استمرار العلاقة بين القطرين ... واعتبرت السودان قطرا خاليا لا سيد له ودعت الدول الأجنبية الى احتلاله وبادرت هي الى النزول في ثغرى زيلة وبربرة نواة الصومال البريطاني فيما بعد ، ونزلت ايطاليا في مصوع حيث عقدت فيها معاهدتان في ١٥ أبريل ١٨٩١ ، ٥ مايو ١٨٩٤ ، وضمت جانبا من السودان (منطقة لادو في أعالي النيل) الى الكونغو البلجيكي بعد معاهدة مع الملك ليوبولد في ١٢ مايو ١٨٩٤ ، وأدت تناقضات القوى الاستعمارية في افريقيا الى معاهدة أخرى مع المانيا في أول يوليو ١٨٩٠ .

استهدفت بريطانيا من ذلك اخراج الجيش المصرى من السودان وقطع العلاقة التاريخية بين الشعبين والدولتين ، وأصبحت سياسة حكومة اللورد سالسبرى المحافظة في لندن ووزير خارجيتها تشمبرلين ترك دراويش المهدية في السودان حيث يصعب عليهم اقامة سيادة فعلية لأنهم لا يملكون من أسلحة القتال سوى الدروع والحراب كما ذكرنا .

ويحاول بعض المؤرخين الاشارة الى وجود علاقة ما بين البريطانيين والقوات المهدية منذ البداية لاستنكارهم أن يكون قرار انسحاب القوات المصرية مبنيا فعلا على ظروف موضوعية قوية ... ولاعتقادهم أن بريطانيا كانت تخطط سياستها على أساس احتلال دائم لمصر وانفرادها بحكم السودان ...

كانت بريطانيا تريد أن تقيم عازلا زمنيا بين مصر والسودان .. يظل فيه الفراش دافئا في السودان بحكم دراويش المهدية الى أن تعود في اللحظة التي تهيئها الظروف السياسية .

ولكن الأمور فى أفريقيا لم تكن تسير وفق الارادة البريطانية وحدها ٠٠٠ فرنسا كانت تزحف على أفريقيا من الغرب ، ولما كان السودان قد أصبح يعتبر بعد عام ١٨٨٥ دولة مستقلة خالية من سيادة دولة أوربية فانها قررت أن تحتله وزحفت عليه حملة مارشان حتى وصلت الى حدوده عام ١٨٩٧ ٠

واضطرت بريطانيا الى تغيير خططها والاستعانة بالجيش المصرى للزحف على السودان من جديد ، وذلك لسببين ، أولهما صعوبة التحرك من الجنوب لصعوبات النقل والمواصلات ، وثانيا اظهار الأمر أمام الفرنسيين كما لو أن مصر هى التى تعود الى السودان ٠

وتمت موافقة سلطان تركيا على الحملة بعد خطاب أرسله اليه الخديوى عباس حلمى تحت ضغط القنصل البريطانى فى مصر مبينا فيه أن غرض الحملة هو سحق الحركة المهدية ٠

وتحملت مصر كافة تكاليف الحملة بعد خطاب كتبته الحكومة البريطانية باعتبارها المتصرفة فى الشئون المصرية الى صندوق الدين تعلن فيه الأخطار التى تحدق بمصر اذا لم تتحرك الى السودان ، وقدرت المبلغ بنصف مليون جنيه ٠

وافقت ألمانيا والنمسا وايطاليا من الدول الأعضاء فى صندوق الدين ، واعترضت فرنسا وعضدتها روسيا ٠٠٠ وأسرعت حكومة مصر فسحبت المبلغ حسب قرار الأغلبية ٠٠٠ ولكن الدولتين المعترضتين رفعتا الأمر الى المحكمة المختلطة لمنع مصر من سحب المبلغ بدعوى أنها ستدفعه على حملة حربية لا داعى لها ٠٠٠ وحكمت المحكمة فى صالح هذا الرأى فى يونيو ١٨٩٦ ٠٠٠ وأسرعت الحكومة البريطانية استعجالا لتنفيذ الحملة خشية دخول قوات فرنسا للسودان فأقرضت مصر ثلاثة أرباع مليون جنيه بفائدة قدرها اثنان وثلاثة أرباع فى المائة ٠

عين اللواء كتشنر سردار الجيش المصرى قائدا للحملة التى اشترك فيها الجنود المصريون مسخرين وبدأت يوم ٣ مارس ١٨٩٦ وانتهت بدخول أم درمان يوم ٢ سبتمبر ١٨٩٨ بعد أن لحقت الكوليرا بالحملة وقتلت أكثر من ألف جندى خلال شهر واحد ٠

صحب الحملة مد خط للسكة الحديدية من وادى حلفا الى الجنوب ٠

واذا كانت المعركة قد أنهت حكم السودانيين لأنفسهم فان هدفها الآخر قد تحقق أيضا وهو منع انتشار النفوذ الفرنسى فى وادى النيل وخاصة بعد وصول مارشان الى فاشودة فى سبتمبر ١٨٩٧ ورفعه

العلم الفرنسي عليها، ثم اضطراره الى الانسحاب شرقا في ديسمبر ١٨٩٨ لصعوبة مركزه الحربي وتعذر اتصاله بالحكومة الفرنسية •

أدى انسحاب مارشان الى تحسن الجو بين انجلترا وفرنسا وعقد اتفاق بين الدولتين في مارس ١٨٩٩ لتحديد الحدود انتهى الى حصول فرنسا على منطقة الصحراء الكبرى حتى السواحل الغربية لافريقيا ، وحصول انجلترا على النفوذ في السودان الذى تشكل فيه أول (احتلال مشترك) في التاريخ تحت اسم « السودان المصرى البريطاني » وصدر تبليغ بريطاني يقضى (برفع العلم البريطاني بجانب العلم المصرى في البر والبحر بجميع أنحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يرفع الا العلم المصرى) وذلك لأن القوات المصرية لم تنسحب مطلقا من هذه المدينة •

ووقعت اتفاقية السودان التى كانت تقرن دائما باسم المشئومة في ١٩ يناير ١٨٩٩ ٠٠٠ وقع عليها اللورد كرومر عن الجانب البريطاني وبطرس باشا غالى عن الجانب المصرى •

ونصت الاتفاقية على أن يعين الخديوى حاكما عاما بريطانيا لا يفصل الا بموافقة الحكومة البريطانية ، ويصدر أوامر لها قوة القانون ، كما نصت الاتفاقية أيضا على عدم سريان القوانين المصرية ، وعدم تعيين قناصل للدول الأجنبية في السودان ، وكان الوضع في السودان فريدا بالنسبة للمستعمرات فهو لم يكن تابعا لوزارة المستعمرات وانما كان تابعا لوزارة الخارجية الأمر الذى جعل الموظفين البريطانيين لا يتنقلون بين المستعمرات المختلفة وانما يستقرون طوال مدة خدمتهم أو حياتهم في السودان •

بداية النضال المشترك :

وما ان وقعت هذه الاتفاقية حتى بدأت روح النضال المشترك بين المصريين والسودانيين تتبلور ضد الاحتلال البريطاني •

كانت الوحدات السودانية يقودها ضباط مصريون ويوجد بها بعض ضباط الصف من المصريين أيضا ٠٠٠ ولم تكن فئة الضباط السودانيين قد ظهرت بعد في ذلك الوقت ٠٠

قاد الحزب الوطني بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد المعارضة السياسية للاتفاقية الأمر الذى أدى الى اغتيال بطرس باشا غالى وزير الخارجية ٠٠٠ واستجاب الضباط المصريون لهذه المعارضة ، وأرسل ٣٢ ضابطا من حامية سواكن برقية تأييد الى مصطفى كامل الذى كان شقيقه على فهمى ضابطا في هذه الحامية ، قالوا فيها (ان قلمك الحق أمضى من سيوفنا وحججك القوية أمضى من رصاصنا) •

. ولكن مصطفى كامل كانت له وجهة نظر خاصة فى دور الجيش فى العمل الوطنى خلال هذه المرحلة فأرسل لهم ردا قال فيه (من الحكمة ألا نمكن العدو من رقابنا ، وأنا لا أود أن يدخل ضباط الجيش فى حركتنا السياسية دخولا ظاهرا لأن هذا يضر بالمسألة ضررا بليغا حيث يجد الاحتلال مسوغا لخلق التهم الثورية بمصر وغير ذلك مما لايخفى عليكم) .

ومع ذلك تحرك الضباط المصريون والقوات السودانية فى الأورطة الرابعة عشرة فى أم درمان وهجموا على غرفة الحرس حيث استولوا على الذخيرة وطردوا الضباط البريطانيين احتجاجا على الاتفاقية وما نتج عنها من احتكار البريطانيين لمعظم الوظائف الرئيسية فى الادارة الجديدة ، والاستيلاء على جانب من ذخيرة الجيش المصرى وارسالها الى الانجليز لمساعدتهم فى حرب البوير بجنوب أفريقيا ، واصدار كتشنر قرارا بقطع بدل الميدان عن مرتباتهم .

حوكم الضباط وطرد سبعة منهم من خدمة الجيش وأحيل واحد الى المعاش ، وآخر الى الاستيداع .

وقررت الحكومة البريطانية نقل كيتشنر ليشترك فى حرب البوير، وتعيين السير ريجنالد وينجت عام ١٩٠٠ وكان مسئولا عن ادارة المخابرات والتجسس على السودانيين خلال حملة استعادة السودان .

وقد بدأ وينجت عهده بالاستغناء تدريجيا عن العسكريين وتعيين المدنيين فى وظائف المديرين ، كما فتح كلية غوردون عام ١٩٠٣ . ومما يذكر أن دفعتها الأولى كانت تضم ٩١ طالبا سودانيا، ٥٨ طالبا مصريا .

وبدأ أسلوب الحكم البريطانى يواجه مقاومة متزايدة تنسج بين المصريين الذين يعايشون السودانيين فى حياتهم الاجتماعية وتربطهم روابط اللغة والدين ضد البريطانيين الذين كانوا يعيشون حياة مرفهة متعالية ومنعزلة عن الجماهير .

قال لى اللواء محمد نجيب أن المصريين فى السودان كانوا يقاومون البريطانيين فى مختلف المجالات ... ويذكر أنه تعرض للجلد عشر جلدات عندما أملى عليه المدرس البريطانى قطعة املاء جاء فيها (ان مصر يحكمها البريطانيون) ورفض محمد نجيب الكتابة قائلا (لا يا سيدى مصر تحتلها بريطانيا دون حق ولكنها دولة مستقلة) ، ويقول محمد نجيب أنه كان متأثرا فى ذلك الوقت مثل غيره من الضباط المصريين بكلمات مصطفى كامل التى كانت تهرب اليهم حيث كانت محظورة التداول فى السودان .

وتشير ظواهر الأمور الى الدور الحضارى الذى قام به المصريون عامة والجيش المصرى خاصة فى أرجاء السـودان ، فقد مد الجيش المصرى خطوط السكك الحديدية من مصر الى مدن السودان ، وكانت هناك كتيبة عسكرية خاصة لمد السكك الحديدية تحت قيادة اللواء محمد فاضل ، وتحملت مصر أموالا بلغت ٣٥٤ الف جنيه رغم الأزمة الطاحنة التى كانت تعانى منها .

وكان رجال الجيش المصرى أيضا هم الذين شيدوا ثكنات الجيش وأطلقوا عليها أسماء سعيد واسماعيل وتوفيق وعباس ، وأعادوا بناء قصر الحاكم العام وبناء الادارات الحكومية وغير ذلك من المبانى ..

ويقول الدكتور زاهر رياض ان المصريين قد أقاموا حواجز لمقاومة فيضان النيل الأزرق الذى كان يهدد الخرطوم الأمر الذى رفع ثمن المتر من الأرض من مليمين الى جنيهين ونصف فى مدى الخمس سنوات الأولى من الحكم الجديد .

وقد صور لى اللواء محمد نجيب هذه الحالة بقوله ان ابراهيم عرابى صديق والده وابن الزعيم أحمد عرابى وكان مقيما فى السودان أراد أن يثنيه عن رغبته فى الالتحاق بالمدرسة الحربية قائلا له (يا ابنى .. ان الضابط فى بلد محتل ليس سوى مقاول أعمال أو رئيس فعلة لا يتعدى عمله الحفر والردم) .

ويقول محمد نجيب أنه استرجع هذه الكلمات عندما تخرج فى المدرسة الحربية وعين ضابطا فى السودان ، وأخذوا كتيبته بعد يومين من وصوله لانشاء خط سكة حديد وانشاء جسور حوله تقيه من فيضان النيل .

قال اللورد كرومر أنهم مدوا ٣٢٥ ميلا من خطوط السكة الحديد خلال ١٠٤ شهرا ... وقال أحد الضباط المصريين (انه توجد تحت كل شبر منها جثة جندى مصرى) .

ومع ذلك قررت الحكومة البريطانية انقاص الوحدات المصرية البحتة فى السودان وضمت سواكن الى بقية السودان حيث رفع عليها العلم البريطانى أيضا ، وشتت الجيش المصرى فى السودان الى حاميات صغيرة مبعثرة فى المدن البعيدة بينما تمركزت الحامية البريطانية فى الخرطوم .

كما أوقفت الحكومة البريطانية ترقى ضباط الصف الى رتب الضباط فى الجيش المصرى تحاشيا لتكرار ظهور عرابى جديد .

وبدأ النضال ضد الاحتلال البريطاني يتبلور في صورة حركات سرية استمدت وحيها من ثورة ١٩١٩ التي اجتاحت مصر وظهرت عام ١٩٢٠ في تنظيم أطلق عليه اسم (الاتحاد السوداني) طالب بجلاء الانجليز عن مصر والسودان ، وقاوم محاولة الحاكم البريطاني سيرلى ستاك في ارسال وفد سوداني من القيادات الدينية والعشائرية والقبلية لتهنئة ملك انجلترا كحركة مواجهة مضادة لحركة سعد زغلول الذي سافر الى فرساي لعرض قضية تحرير مصر والسودان على مؤتمر الصلح المنعقد هناك .

وظهر موازيا لجماعة الاتحاد السوداني السرية انتفاضة عبد الله السجيني في نيالا عام ١٩٢١ حيث احتل الطابية بعد قتل المفتش البريطاني والبكباشي الطبيب البريطاني .

وفي عام ١٩٢٢ حدث انشقاق في جمعية (الاتحاد السوداني) حول ارادتين : متطرفون يطالبون بالعمل العلني ومعتدلون يفضلون السرية ، وظهر في ذلك الوقت الملازم أول السوداني على عبد اللطيف في مدني داعيا لجلاء البريطانيين معبرا عن رأيه بمقال أرسله الى جريدة الأخبار القاهرية التي كان يرأس تحريرها أمين الرافعي تحت عنوان (مطالب الأمة السودانية) .

وعقب نشر المقال حوكم الملازم على عبد اللطيف وصدر الحكم بفصله من الجيش المصري وسجنه لمدة عام ، وما ان خرج على عبد اللطيف من السجن في أبريل ١٩٢٣ حتى بدأ في تكوين جمعية اللواء الأبيض ، بعد شهر واحد من خروجه ـ في اجتماع عام لم يحضره مصريون ، وذلك دليل على أن أهداف الجمعية في الارتباط مع مصر كانت بوحي سوداني كامل .

اختارت الجمعية علما أبيض رسمت عليه خريطة النيل وفي ركن منها العلم المصري الأخضر وعلى الارضية البيضاء كلمتي (الى الامام) .

وانتشرت الجمعية في معظم مدن السودان واتصل بها الضباط من زملاء على عبد اللطيف ، كما قامت بارسال وفد الى مصر مكون من ملازم زين العابدين عبد الدائم بالجيش المصري ومحمد المهدي التعايشي ولكنه لم ينجح في الوصول اليها فقد اعتقله البريطانيون في حلفا وعاد تحت حراسة شديدة الى الخرطوم حيث استقبله في المحطة حشد كبير من المواطنين على رأسهم على عبد اللطيف .

وأمام هذا الموقف ناقش البرلمان المصرى قضية احتجاز الوفد السودانى فى جلسة عاصفة ، وانتقلت المناقشة أيضا الى مجلس اللوردات البريطانى فى جلسة ٢٥ يوليو ١٩٢٤ مما وضع القضية أمام الرأى العام العالمى ٠

ولم تنته جمعية اللواء الأبيض مع الزعماء المصريين باعتقال وفدها فى حلفا وانما استمرت سرا مع بعض أعضاء الحزب الوطنى كما جاء فى كتاب محمود عبد الرحيم (مؤرخ السودان) باسم (الحقيقة عن حوادث ١٩٢٤) ومع حمد الباسل وحمدى سيف النصر رئيس لجنة السودان فى البرلمان المصرى والضابط السابق كما كتب الدكتور محمد أنيس فى الأهرام بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٧٣ ، وكذلك مع حافظ رمضان الذى زار السودان عام ١٩٢٣ ٠

وكانت وزارة سعد زغلول الأولى فى مصر التى شكلت فى عام ١٩٢٣ ترقب هذه الأحداث فى قلق ٠٠٠ وأبلغت الحكومة البريطانية فى ٢٥ يوليو ١٩٢٤ عن طريق مفوضها فى لندن أن بعض الموظفين البريطانيين فى السودان يشجعون حركة مصطنعة ترمى الى انفصاله عن مصر وأنهم يقمعون ـ بقسوة وشدة ـ المظاهرات التى يقوم بها المواطنون الموالون لمصر ، وطلب سعد زغلول من رئيس الحكومة البريطانية أن يساعده فى القضاء على تلك الأعمال التى تجرح الشعور المصرى وتمس حقوقه ٠

وأرسل سعد زغلول برقية بنفس المعنى الى الحاكم العام ٠

لم يجب الحاكم العام للسودان على البرقية ٠٠٠ أما وزير الخارجية البريطانية فقد أجاب بأن حكومته تؤيد الحاكم العام للسودان فى أخذ المشاغبين الذين يثيرون الاضطرابات عمدا بالشدة ٠

وعندما سافر سعد زغلول فى ٢٥ يوليو ١٩٢٤ لمفاوضة رمزى ماكدونالد رئيس حكومة العمال ، بدأ الضباط المصريون فى تجميع توقيعات تأييد له كما روى لى اللواء محمد نجيب الذى كلف بجمع التوقيعات أمام باب نادى الضباط مما أدى الى اغلاق النادى ووضع بعض الضباط تحت التحفظ حتى أفرج عنهم بضغط زملائهم ٠

ولم تنجح مفاوضات سعد ـ ماكدونالد ، اذ رفضت الحكومة البريطانية كل مطالبه وخاصة فيما يتعلق بالسودان التى تكلم عنها اللورد بارمور فى البرلمان البريطانى قائلا (ان الحكومة البريطانية لا تترك السودان بحال وهى تقدر التعهدات الواجب تحملها والتى لا يمكن تركها من غير أن تصاب سمعة بريطانيا بخسارة عظمى) ٠

وانفجر الموقف فى السودان .

وتحول النضال المشترك ضد الاحتلال البريطانى من السرية الى العلانية ، وتجسد فى عدة مظاهر منها قيام مظاهرة فى أم درمان بعد تشييع جنازة مأمورها المصرى عبد الخالق حسن الذى كان محبوبا من السودانيين . ومظاهرة أخرى يوم ٢٣ يوليو ١٩٢٤ فى الخرطوم هتفت بخروج الانجليز واصطدم بها رجال الأمن .

ووصلت المظاهرات ذروتها فى شكل صدام مسلح يوم ٩ أغسطس ١٩٢٤ عندما تظاهر طلبة المدرسة الحربية بزيهم العسكرى وهم يحملون البنادق وخمسين طلقة رصاص ويحملون صور الملك فؤاد وسعد زغلول ومروا بمحطة السكة الحديد ليرى المسافرون الى الأقاليم أن الخرطوم تتظاهر ضد البريطانيين ، ثم اتجهوا الى منزل الزعيم على عبد اللطيف وهتفوا بحياته وسقوط الانجليز والحاكم العام ثم مروا أيضا خارج سجن كوبر .

خلع طلبة المدرسة علامات الرتب حتى يتجنب الصف ضباط مسئولية ما يحدث . وصاحبهم فى المظاهرة ضباط المدرسة وكان من بينهم اليوزباشى حسن حسنى الزيدى الذى أبلغ القائد البريطانى عن المظاهرة ليخلى مسئوليته والذى أصبح مفتشا عاما للجيش المصرى بعد معاهدة ١٩٣٦ .

وعقب عودة الطلبة الى المدرسة حاصرتهم فصيلة بريطانية وطالبتهم بتسليم سلاحهم ولكنهم رفضوا الا اذا وصلتهم برقية من الملك فؤاد .

وأبلغهم قائد الأورطة الرابعة المصرية أن برقية قد وصلته من الملك تطالبهم بتسليم السلاح الى أقرب وحدة مصرية ، فسلموا سلاحهم اليه فعلا ، ولما علم الانجليز بذلك عادوا الى حصار المدرسة الحربية .

وكان ممكنا حدوث معركة رهيبة اذا حدث التحام أو تلاحم ، ولكن البريطانيين تحايلوا عليهم حتى نقلوهم الى بواخر فى النيل ثم الى أحد السجون .

ولم يقف الأمر عند حدود الكلية الحربية ، بل ان أورطة السكة الحديد التى أنشئت مع دخول الجيش المصرى الى السودان وقامت بانشاء طرق عديدة ــ أسهمت فى المظاهرات حتى أطلق عليهم الرصاص بأمر الانجليز من بعض وحدات الفرسان فقتل خمسة جنود وانتهى الأمر الى ابعادهم الى أسوان .

وحوكم على عبد اللطيف زعيم جمعية اللواء الأبيض وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات حيث تعرض لمأساة شديدة بعد دخوله سجن كوبر اذ اعتدى عليه أحد المساجين بضربة على رأسه أدت الى ارتجاج في المخ هز قواه العقلية ... والغالب أن الحادث كان مدبرا ٠

عقب هذه الأحداث أرسلت وزارة سعد زغلول خطابا فى ١٥ اغسطس الى الحكومة البريطانية تقول فيه انها تتابع بمزيد الحزن والأسف الحوادث الأليمة التى تتوالى فى السودان منذ بضعة أسابيع والتى اعتبرتها نتيجة طبيعية لخطة الموظفين البريطانيين فى السودان ٠

وأجابت الحكومة البريطانية فى نفس اليوم بأنها (تريد أن تعلن الحكومة المصرية بأتم الصراحة بأنها تعد نفسها مسئولة عن حفظ النظام فى السودان) ٠

واضافت القول بانها قد اتخذت العدة لتعزيز الحامية البريطانية وأجازت لحكومة السودان أن تبعد فى الحال عن السودان أورطة السكة الحديد وأى وحدة أخرى من الجيش المصرى قد يرى فيها عدم الولاء ٠ كما هددت بأنها (لن تتردد فى اتخاذ أى تدابير اخرى لحماية الأمن) ٠

ورد سعد زغلول فى ٢٢ أغسطس : ... رفض أن يكون للحاكم العام حق اتخاذ قرار بابعاد جنود مصريين أو تعزيز الحاميات الموجودة هناك قبل الرجوع للحكومة المصرية ... وقال احتجاجا على التصادم المسلح (ان الحكومة لتشعر بشعور الأمة تلقاء هذه الحوادث المشئومة وهى ساهرة على معالجتها بما يحفظ كرامة البلاد ويصون حقوقها) ٠

مصرع السردار والصدام المسلح :

كانت هذه الكلمات تعبيرا عن موقف الحكومة المصرية الوطنى وتأكيدا لمشاعر النضال المشترك ضد الاستعمار البريطانى ٠

ولكن ظروف الاحتلال لم تسمح للحكومة المصرية بتوفير مساندة ايجابية للقوات والشخصيات التى أنبرت للنضال ٠

ومع ذلك فقد وقع حادث تحيط به الشكوك وهو مصرع سردار الجيش المصرى وحاكم عام السودان سيرلى ستاك ظهر يوم ٢١ نوفمبر ١٩٢٤ أثناء خروجه من منزله ٠

انتهزت انجلترا الفرصة وقدمت يوم ٢٢ نوفمبر انذارين الى الحكومة المصرية حملهما اللورد اللنبى الى سعد زغلول فى موكب من ٦٠٠ فارس بريطانى بهدف اشعال التوتر والوصول به الى غاية مداه تطالب بالآتى :

أولا : اعتذار الحكومة المصرية عن الجناية .

ثانيا : البحث عن الجناة وانزال أشد العقاب بهم .

ثالثا : منع وقمع كل مظاهرة شعبية سياسية .

رابعا : دفع نصف مليون جنيه غرامة للحكومة البريطانية .

خامسا : سحب الجيش المصرى من السودان وتحويل الوحدات السودانية التابعة للجيش المصرى الى قوة سودانية تكون خاضعة وموالية للحكومة السودانية وحدها .

سادسا : اطلاق يد حكومة السودان فى أرض الجزيرة من ٣٠٠,٠٠٠ فدان الى قدر غير محدود .

سابعا : أن تعدل الحكومة المصرية عن كل معارضة لرغبات الحكومة البريطانية فيما يتعلق بحماية مصالح الأجانب فى مصر ، وابقاء منصب المستشار المالى والقضائى ، واحترام نظام القسم الأوربى فى وزارة الداخلية .

وهكذا أسفرت الحكومة البريطانية عن كافة أطماعها بعد مقتل السردار ، وانتهزت الحادث فرصة لا تعوض لتحقيق أهدافها ... واستندت بمظاهرة اللورد أللنبى الى اثبات احتمال لجوئها الى القوة العسكرية .

قبل سعد زغلول البنود الأربعة الأولى من الانذار ، ورفض الباقى فى محاولة منه لعبور الأزمة التى قال عنها (ان جريمة اغتيال السردار قد أصابت مصر وأصابتنى شخصيا) .

ولكن الحكومة البريطانية لم تقبل ذلك ، واستندت الى عدم قبوله الانذار كاملا ، واحتلت القوات البريطانية جمرك اسكندرية ، فقدمت الوزارة الوطنية استقالتها فى ٢٣ نوفمبر ١٩٢٤ بعد عشرة شهور فقط من توليها الحكم . وجاء زيوار باشا رئيسا للوزراء قابلا للانذار متساهلا فى كل شىء قائلا كلمته المشهورة التى جعل منها أساسا لسياسته (أنقاذ ما يمكن انقاذه) .

أسرعت الحكومة البريطانية فى تنفيذ مخططها ، فحاصرت القوات البريطانية القوات المصرية فى الخرطوم ... وأصدرت حكومة زيوار باشا أوامرها للقوات المصرية بعدم المقاومة لأنه (ليس من ورائها سوى سفك الدماء بغير جدوى) .

ووصل الموقف في السودان الى درجة الغليان ، وثارت الكتيبة « الأورطة » الحادية عشرة السودانية بقيادة عبد الفضيل ألمظ ، وقررت التحرك الى كوبرى الخرطوم الشمالى حيث قررت الاتحاد مع الجيش المصرى بالخرطوم بحرى ، وهنا خرجت قوة بريطانية لمنعها من الوصول . فأصدر عبد الفضيل الماظ أمرا بالضرب فى البريطانيين الذين تعرضوا لها واستمر القتال حتى انتهت ذخيرتها عند منتصف الليل ... وهنا هجمت على المستشفى العسكرى البريطانى وقتلت بعض ضباطه ، واحتلوا نادى الضباط المصريين خلال الليل ، ولكن القوات البريطانية حاصرتهم وأطلقت عليهم النيران كما نسفت المستشفى الذى أخذته القوات السودانية حصنا لها .

استمرت مقاومة الأورطة الحادية عشرة حتى صباح ٢٩ نوفمبر واستشهد قائدها عبد الفضيل ألمظ أثناء القتال ، ثم اضطرت للتسليم حيث أصدرت قوات الاحتلال البريطانية حكما باعدام ثلاثة ضباط شهداء هم حسن فضل الخولى وسليمان محمد وثابت عبد الرحيم وكان رابعهم على البنا الذى استبدل الحكم عليه الى السجن المؤبد .

واعتبر يوم الاعدام ٢٥ ديسمبر يوم حداد عام فى السودان .

وفصل الاستعمار ١٧ ضابطا رفضوا أن يقسموا يمين الولاء للحاكم العام وفروا الى مصر كما حضر اليها عدد من طلبة المدرسة الحربية حيث عملوا جميعا فى الجيش والبوليس .

ودخلت الثورة سجن كوبر مرة أخرى عندما علم المسجونون السياسيون بالحوادث فقدموا الى المحاكمة بتهمة محاولة قلب نظام الحكم ، وصدر حكم ثالث بالسجن على على عبد اللطيف لمدة سبع سنوات وانتقل من سجن كوبر الى سجن واو .

وثارت الأورطة العاشرة السودانية فى ديسمبر ١٩٢٤ عقب سماع أحكام الاعدام واستولت على مدينة واو ، وثارت الكتيبة ١٣ فى الأبيض ولكن الاستعمار البريطانى استطاع فى النهاية أن يفرض نفوذه على الموقف ... ومع ذلك قبلت حكومة زيوار باشا أن تشترك فى نفقات القوات العسكرية فى السودان بمبلغ ثلاثة أرباع مليون جنيه سنويا .

وهكذا اكتملت مؤامرة الاستعمار البريطانى ضد الوجود المصرى فى السودان ...

الجيش بعد نكسة ١٩٢٤ :

خرجت الوحدات المصرية كلهـا من السودان ، وحولت الوحدات السودانية التابعة للجيش المصرى الى قوة مسلحة سودانية تابعة للحكومة السودانية وحدها ٠

وصدر قرار من الحاكم العام السودانى بانشاء قوة دفاع السودان يوم ١٧ يناير ١٩٢٥ يكون له فيها حق منح العرائض للضباط وتعيينهم وعزلهم مع تحمل حكومة السودان لكل التزامات المرتبات ٠

ولم يجد زيوار باشا أمام هذا القرار الذى يفصل بين وحدة المصريين والسودانيين فى وحدات الجيش قسرا وبحد السكين الا أن يرسل الى الحاكم العام معلنا (اسف) الحكومة المصرية لهذا الموقف الذى (سبب للحكومة المصرية قلقا حقيقيا كما أحدث انزعاجا عظيما للرأى العام فى مصر) ٠

وانهى خطابه قائلا : (لا يسعنى بحق الا أن أقرر فى هذا الشأن تحفظات مصر القانونية ، وأن أؤكد فى الوقت نفسه بصفة خاصة أن الحكومة المصرية تعتبر أن الظروف العارضة التى قضت بعودة الجنود المصريين وكذلك الظروف الخاصة بتاليف قوة الدفاع عن الأقاليم السودانية ، كل هذا لا يمكن أن يؤثر فى حل مسالة نظام السودان النهائى ، تلك المسالة المحتفظ بها للمفاوضات المقبلة كما أنها لا يمكن أن تضعف ما بين مصر والسودان من الروابط التى لا انفصام لها) ٠

ولكن خطاب زيوار لم يمنع من تنفيذ أخطر قرار فى تاريخ العلاقات بين الدولتين حيث أنهى الصلة الوطيدة التى كانت قائمة بين المصريين والسودانيين فى اطار الجيش ٠

وأصبح الجيش المصرى لأول مرة من عهد محمد على مكونا من المصريين فقط ولم يعين له سردار بريطانى بعد مقتل سيرلى ستاك ٠٠ وكان سردار الجيش المصرى يعين فى منصب الحاكم العام كما كان الأمر مع كيتشنر ووينجت ولى ستاك ٠

انفصل المنصبان بتعيين سير جيفرى آرثر حاكما عاما للسودان بدلا من سيرلى ستاك ٠

وانشئت وظيفة (مفتش عام الجنود المصريين) باعتبارها أكبر منصب عسكرى فى مصر ، يعادل وظيفة السردار التى اقتصرت على السودان ٠٠ وعين اللواء سبنكس باشا فى هذا المنصب فى يناير ١٩٢٥ ٠

ومع ذلك فقد ظهرت تحت ضغط المعارضة المصرية فكرة تعيين سردار مصرى للجيش .. ولكن الحكومة البريطانية عارضت ذلك بشـدة حتى لا يصبح هناك نفوذ مصرى على الجيش ، واستبدلت ذلك بالاتفاق مع حكومة زيوار باشا على انشاء مجلس للجيش ولجنة للضباط تكـون لهـا مسئولية برلمانية .

وكان سبنكس باشا عضوا فى هذه اللجنة التى أصبح تشكيلها بمثابة عامل اضعاف لنفوذ أى سردار للجيش فى حـالة تعيينه .. هذا فى الوقت الذى زاد فيه التركيز على دعم المركز للمفتش العام البريطانى .

وقـد أدت عـودة الجيـش المصرى من السـودان الى خفض عـدد قـواته الى أقل من النصف وزيادة نسبة الضباط فيـه وهم الذين كان بعضهم يقود وحدات سودانية .. كمـا نشر الدكتـور عبـد العظيم رمضان فى مجلة السياسة الدولية عدد يناير ١٩٧٥ نقلا عن جريدة المقطم الصادرة فى ٢٤ ديسمبر ١٩٢٤ التى نشرت ان عدد الجنـود كان ٨٠٠٠ وعدد الضباط يربو على ٥٠٠ منهم ٣٠٢ عائدين من السودان .

وحاولت حكومة زيوار معالجة ذلك بزيادة عدد القـوات المصرية ونقل عدد من الضباط الى البوليس والمصالح الاخرى .

اما التسليح فقد انهار وتخلف تنفيذا للخطـة البريطانية التى كانت تحتفظ بمسئولية الدفاع عن مصر .

لم يكن هناك سلاح الطيران ولا مدرسة بحرية ؛ وقال اللـواء صالح حرب باشا فى مجلس النواب ، جلسة ٢١ يونيو ١٩٢٧ (ان الفرق بـين مدافع الطوبجية (المدفعية والاخشاب يسير للغاية) .. ولم يكن عدد المدافع التى يملكها الجيش فى ذلك الوقت يزيد عن٢٤ مدفعا .

وقال عبد الرحمن عزام الذى سبق له الإشتراك مع العثمـانيين فى حرب ليبيا فى جلسة مجلس النواب يوم ١٦ فبراير ١٩٢٧ (لا يمكن أن يوجد فى مملكة واحدة جيشان . الجيش المصرى وجيش الاحتلال ، لأنه مع بقائه يتعذر اصلاح الجيش وتكون كل زيادة فى عدده عبثا) ... ثم يتمادى فى رأيه فيقول : (ورأيى أنه اذا تعـذر اصـلاح الجيش وجب الغاؤه) .

واعترض عبد الحميد سيد عضـو الحـزب الوطنى وعضو مجلس النواب فى جلسة ٦ سبتمبر ١٩٢٦ على بقاء مبلغ ثلاثة أرباع مليون جنيه ضمن الميزانية كمصروفات على الجيش فى السودان فى وقت أن (أنشـأ حاكم السـودان بأمر من الحكومة الانجليزية جيشـا منفصلا عن الجيش المصرى تمام الإنفصـال) .

وكان ابتعاد الجيش المصرى عن السودان · وقصر التجنيد فيه على المصريين أمرا جديدا يتم لاول مرة بعد أكثر من قرن كامل اختلط فيه أفراد الشعبين فى وحدات عسكرية مشتركة · ونسجت علاقات اجتماعية دينية بين الضباط المصريين والسودانيين ·

وعلى سبيل المثال فان جد محمد نجيب لوالدته ووالده وخاله كانوا جميعا من المصريين الذين عاشوا فى السودان وحاربوا ودفنوا هناك ·

ولذا كان تصور المصريين بأن ابتعاد الجيش المصرى عن السودان هو أمر مؤقت لايمكن أن يستمر ويدوم · هو الشعور السائد ، وهو مادفع فكرى أباظة الى المطالبة فى مجلس النواب بالاحتفاظ بالمبلغ المدرج فى الميزانية لمصاريف الدفاع عن السودان أو تخفيضه كرمز للعلاقة الوثيقة الخالدة بين الشعبين ·

وخلال هذه الفترة لم تستطع قوات الاحتلال أن تقيم سدا عازلا بين مصر والسودان ·· فقد ظلت العلاقات حية ومتجددة ، على الصعيد الشعبى والسياسى ، واستمر موضوع السودان نقطة أولى فى المفاوضات المتكررة بين الحكومتين المصرية والسودانية وموضوع مناقشة دائمة تحت قبة البرلمان ·

وحضر الى مصر الزعيم السودانى على عبد اللطيف بعد الافراج عنه حيث دخل مستشفى الامراض العقلية متاثرا باصابته فى رأسه داخل سجن كوبر ·· وظل محل رعاية الحكومة المصرية حتى وافاه الأجل فى ٢٩ مايو ١٩٤٨ ·

وتدفق عدد من الضباط السودانيين الوطنيين الرافضين لمحاولة الاستعمار البريطانى عزل وطنهم عن مصر والانفراد بالسيطرة عليه · ووجد هؤلاء الضباط فى مصر ترحيبا وتأييدا من معظم الجهات وخاصة من الوفد ·

وفى ذلك يقول محمد عبد الرحيم فى كتابه (الصراع المسلح على الوحدة فى السودان) انه قابل النحاس باشا رئيس الوفد الذى قال له انه قرأ فى الصحف أن فريقا من الضباط السودانيين بلغوا القاهرة عقب نكسة ١٩٢٤ بعد عناء وشقاء ولم تصرف لهم مرتباتهم عدة شهور ··· واتصل بهم النحاس باشا كحاكم وطلب منهم تفويضا له لمطالبة الحكومة بحقوقهم فأجابوه الى ذلك ورفع لهم قضية طلب فيها لكل ضابط ١٣٠٠٠ جنيه وعندما بلغت الجلسة الأخيرة التى ينطق الحكم فيها لصالحه كلفه الملك فؤاد بتشكيل وزارته الأولى عام ١٩٢٨ · فكان أول قرار أصدره

بصفته رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية هو الحاق هؤلاء الضباط ببلكات الخفر وصرف مرتباتهم وعلاواتهم المتأخرة .. مع ترقية الذى يستحق الترقية منهم .

وكان الضابط السودانى على البنا الذى صدر ضده حكم الاعدام فى نوفمبر ١٩٢٤ ثم استبدل بالسجن المؤبد قد أمضى ١٠ سنوات فى سجن واو ، ثم أفرج عنه وسافر فورا الى مصر حيث ساعده الأمير طوسون على التعيين فى وظيفة مدنية الى أن تولى النحاس باشا رئاسة وزارته الثانية حيث كان حمدى سيف النصر وزيراً للحربية فأعاد على البنا الى الجيش برتبة اليوزباشى حيث صار يتدرج فى سلم الترقيات الى أن أصبح كبيراً للياوران بعد ثورة ١٩٥٢ فى عهد محمد نجيب .

وظلت الأمور على ما هى عليه ١٢ عاما كاملة رغم محاولة حكومة الوفد اقرار بعض القواعد الاصلاحية للجيش عام ١٩٢٨ فوصلت الى الاسكندرية ثلاث بوارج حربية بريطانية للتهديد .. وخرجت حكومة الوفد . ورقى سبنكس باشا الى رتبة (فريق) .

وأخيرا .... وقعت معاهدة ١٩٣٦ ....

الحركة السياسية قبل ثورة يوليو :

نصت معاهدة ١٩٣٦ على عودة الجيش المصرى الى السودان بعد أن انتهت خدمة الضباط البريطانيين فى الجيش المصرى وعلى رأسهم المفتش العام واستبدالهم ببعثة عسكرية بريطانية كان مقرها فى كوبرى القبة .

واستقبل الجيش السودانى عودة الجيش المصرى بترحيب صادق وغمر جنوده بالورود والهتافات والزغاريد فقد وجد فيه باعثا على حيوية الكفاح المشترك ضد الاستعمار البريطانى .

عاد الجيش المصرى الى السودان بقيادات مصرية غير خاضعة للبريطانيين ، وموقفها من الحاكم العام يختلف عن موقفها سابقا حيث كان سردار الجيش المصرى هو الحاكم العام فى نفس الوقت .

عاد الجيش المصرى بينما لم يزر السودان واحد من رؤساء الأحزاب المصرية أو كبار السياسيين سوى على ماهر وحافظ رمضان .

وكانت الروح السائدة أن معاهدة ١٩٣٦ هى كما أطلق عليها مصطفى النحاس (معاهدة الشرف والاستقلال) وأن عودة الجنود المصريين تشكل انتصارا وطنيا للنضال المشترك ضد الاستعمار البريطانى .

وانتهز المثقفون السودانيون فرصة عقد معاهدة ١٩٣٦ وعودة العلاقات بين البلدين الى صورة شبه طبيعية وكونوا مؤتمر الخريجين عام ١٩٣٧ وضموا اليه صغار الموظفين والبرجوازية الوطنية والطلاب ، وعقد المؤتمر الأول فى فبراير ١٩٣٨ حضره ١١٠٠ خريج وتكون له مجلس ادارة من ٦٠ عضوا انتخبوا من بينهم ١٥ عضوا لهيئة تنفيذية انتخبوا اسماعيل الأزهرى سكرتيرا عاما له ٠

ومع ذلك فان الفصل قد تم بطريقة عملية فلم يكن هناك ضباط مصريون فى قوة الدفاع السودانية ولم يعد الجيش المصرى مطعما بقوات سودانية اللهم الا الذين هربوا من السودان احتجاجا على أحداث ١٩٢٤ أو سافروا الى مصر بعد الافراج عنهم من السجون السودانية ٠ واقتصر دخول المدرسة الحربية فى الخرطوم على السودانيين ٠

كما أن الجيش المصرى لم يكلف بواجبات دفاعية ولم تكن قد تكونت فيه حتى هذه المرحلة تشكيلات قتالية ، بل كان أسلحة منفصلة يكاد كل منها لايعرف شيئا عن طبيعة الآخر حيث انعدم التدريب المشترك والمناورات أيضا ٠

وخلال هذه الفترة تدفق جيل جديد من الضباط لم يخدم فى السودان من قبل ولم تتوافر له الصلات التى توافرت للجيل السابق من الضباط ٠ جيل محمد نجيب ومن سبقه ٠

وانتقل جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ضمن ضباط الكتيبة (الأورطة) الرابعة المشاة الى السودان فى ديسمبر ١٩٣٩ حيث بقى هناك سنتين الى ديسمبر ١٩٤١ وهى المدة التى كانت مقررة لبقاء الكتيبة المصرية فى السودان ٠

وتنوعت واجبات القوات المسلحة خلال الحرب ٠٠٠ واعتمد البريطانيون على قوة الدفاع السودانية وحدها فتحركت بعض الوحدات الى ساحة القتال فى ليبيا وأثيوبيا وشرق أفريقيا ٠ ويقدر عددها بحوالى ٧٠٫٠٠٠ جندى ، وكانت بذلك أكبر قوة عسكرية من الجنود الافريقيين اعتمد عليها البريطانيون ٠

أما الجيش المصرى فلم يضع البريطانيون له دورا أو واجبا فى خطة قتالهم الا ضمن خطة الدفاع الجوى عن القاهرة والاسكندرية ومدن القناة فقط ٠٠٠ وذلك أنهم كانوا يخشون تزويدهم بالأسلحة الحديثة مع وجود خميرة من العناصر الوطنية المعادية للاحتلال البريطانى المتأثر بالحركة السياسية خارج الجيش ٠ وخاصة بعد دخول أبناء البرجوازية الصغيرة الى الجيش بعد معاهدة ١٩٣٦ ٠

وقد نجم عن تجنيد أعداد كبيرة من السودانيين أزمة شديدة عام ١٩٤٥م عندما انتهت الحرب وقررت الحكومة البريطانية تسريح الجنود بلا مكافأة ، الأمر الذى أدى الى اعلان قوة الدفاع السودانية للعصيان وكانت هذه أول حركة معادية بعد أحداث ١٩٢٤ .

واضطرت الحكومة البريطانية الى تسوية الموقف بدفع مكافآت للجنود وتشكيل مجلس استشارى للحاكم العام من رؤساء القبائل والطوائف الدينية .

ولكن مؤتمر الخريجين قاطع المجلس الاستشارى ، بعد رفض الحاكم العام البريطانى للمذكرة التى كان قد تقدم بها مؤتمر الخريجين عام ١٩٤٢ يطالب فيها بحكومة سودانية بعد انتهاء الحرب ، والغاء احتكار الحكومة للتجارة الخارجية .

رفض الحاكم العام البريطانى المذكرة ، ورفض أيضا الاعتراف بالمؤتمر كممثل للشعب السودانى .

وبدأت مع عام ١٩٤٥ ومن مواجهة مؤتمر الخريجين للمجلس الاستشارى فكرة تكوين الاحزاب . فتشكل حزب (الأشقاء) برئاسة اسماعيل الأزهرى سكرتير مؤتمر الخريجين . وحزب (وادى النيل) الذى أسسه الدرديرى اسماعيل وحزب (الأحرار الاتحاديين) ، وقد اندمجت جميعا فى الحزب الوطنى الاتحادى عام ١٩٥٢ .

كما تشكل حزب الأمة فى ٢٨ يناير ١٩٤٥ تحت رعاية السيد عبد الرحمن المهدى ويضم نظار العشائر وشبه الاقطاعيين ، وبعض المثقفين المرتبطين فكريا وماديا بالثقافة الغربية .

ولم تكد تنتهى الحرب العالمية الثانية حتى تفجر النضال الشعبى فى مصر والسودان ضد الاستعمار البريطانى .. ولم تشهد مصر فترة زاخرة باضرابات ومظاهرات واعتصامات الجماهير الشعبية من عمال وطلبة ومهنيين مثلما شهدت فى هذه الفترة التى برز فيها ٢١ فبراير ١٩٤٦ كيوم من أمجد أيام نضال الشعب المصرى ، عندما تصادمت جماهير الشعب مع قوات الاحتلال القابعة خلف ثكنات قصر النيل فى ميدان الاسماعيلية (التحرير فيما بعد) وسقط ٢٣ قتيلا ، و١٢١ جريحا ، وذلك خلال حكم اسماعيل صدقى الذى خلف وزارة محمود فهمى النقراشى التى ارتكبت جريمة الاعتداء على الطلبة المشهورة بحادث كوبرى عباس يوم ٩ فبراير .

كان الضباط المصريون قد بدأت صلاتهم تنعقد خلال هذه الفترة الباهرة من فترات النضال الوطنى مع التنظيمات السياسية وخاصة

الاخوان المسلمين ، والحركة الديمقراطية للتحرر الوطني وهي تنظيم الشيوعيين .

ولم تستطع الأحزاب (الوفد وأحزاب الأقلية) اجتذاب الضباط الي صفوفها لأسباب كثيرة أوضحناها في الجزء الأول (قصة ثورة ٢٣ يوليو) .

أما في السودان فالموقف كان يختلف ، كانت هناك صلات قبلية وطائفية وعائلية تربط ضباط الجيش بالأحزاب التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية وذلك انعكاسا لطبيعة المجتمع السوداني البسيط .

والي جانب الأحزاب التي أشرنا اليها والتي انبثقت عن مواجهة مؤتمر الخريجين للمجلس الاستشاري ، ظهر التنظيم الشيوعي (الحركة السودانية للتحرر الوطني) والذي نبت في أحضان (الحركة المصرية للتحرر الوطني) ثم انفصل عنها بعد ان اكتمل نضجه واستوت عناصره .

وكان الخط السياسي للحركة الجديدة الناشئة يدعو الى (الكفاح المشترك للشعبين المصري والسوداني ضد الاستعمار مع حق تقرير المصير للشعب السوداني) .

كان اقتران الهدفين معا ذا مغزى سياسي هام . لأن الاستعمار البريطاني كان يشجع فكرة (حق تقرير المصير للشعب السوداني) مفرغة من محتواها الوطني ، اذ أنه كان يود اعطاءه هذا الحق في ظل النفوذ والسيطرة الاستعمارية ، كما أن بعض المصريين تسرعوا في مهاجمة فكرة تقرير المصير باعتبارها تنفيذا لما يطمع فيه الاستعمار .

هذا بينما كان رفع شعار (الكفاح المشترك) ضربة شديدة موجهة للتخطيط الاستعماري الذي كان يثير عواطف السودانيين ضد شعار (وحدة وادي النيل) باعتباره محاولة للتسلط في الشمال على الجنوب .

وبدأت الحركة السودانية للتحرر الوطني تظهر ايجابيتها عندما قادت الشعب السوداني في مظاهرات عنيفة يوم ١١ مارس ١٩٤٦ تأييدا لنضال الشعب المصري ضد الاستعمار ، وفي أعقاب مظاهرات الاسكندرية في يوم الحداد ٤ مارس ١٩٤٦ .

كانت هذه أول مظاهرات يشهدها السودان بعد ٢٢ عاما منذ أحداث ١٩٢٤ .

وكانت الحركة السودانية للتحرر الوطني التي تكونت في مطلع ١٩٤٦ من خلية صغيرة من المثقفين وبعض الطلبة وعناصر قليلة من العمال قوة ناشئة ذات أفكار جديدة نابعة من الماركسية اللينينية .

وكان لهذه الحركة نظرة للنضال السابق في السودان كما ورد في كتاب (لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني) الطبعة الثانية الذي جاء فيه (إن الشعار الرئيسي لحركة وحدة وادي النيل يعبر عن العجز السياسي والاقتصادي للطبقة الوسطى السودانية أكثر من التعبير عن رغبة الجماهير الشعبية في الانعتاق من عسف الاستعمار البريطاني ، يدل على هذا أن أقساما كثيرة من جماهير الشعب السوداني كانت ترى - على حق - في الجنود المصريين المسخرين والموظفين المصريين جزءا من القسوة التي سحقت استقلال البلاد قبل سنوات ، وقامت بأعمال شائنة ضد المواطنين ، وكذلك كان المأمير المصريون أمام أعينهم ينفذون في قسوة تعاليم الاستعمار وأوامره ، لهذا فان شعار وحدة وادي النيل كان عاجزا عن تعبئة الجماهير في حركة ضد الاستعمار .

وتتبلور نظرة الحركة السودانية للتحرر الوطني في القول بأن ممثلي الطبقة المتوسطة الذين تكون منهم مؤتمر الخريجين ورفعوا شعار وحدة وادي النيل تحت التاج المصري والذين ادعوا أنهم تحت هذا الشعار يضمنون تأييد مصر ، ونسوا أن الدوائر الحاكمة المصرية كانت تمنح التأييد لشعب السودان على أمل زحزحة النفوذ البريطاني ونيل مكاسب استقلالية في السودان .. وأن قوة القضية السودانية لاتنبع من تأييد البلاط الملكي المصري بل من عدالة هذه القضية واستعداد شعب السودان للنضال في سبيلها .

وهكذا نشأ اتجاه سياسي جديد في السودان لا يتطابق مع الاتجاهات التي انطلقت عن مؤتمر الخريجين وتركزت في حزب الأمة أو الوطني الاتحادي .

وبعد انتفاضة ١٩٤٦ في مصر ، واضراب الطوائف المختلفة عام ١٩٤٧ وفشل مشروع صدقي بيفن ، وحيرة الأحزاب السودانية في مجابهة الموقف ، حدث خلاف في وجهات النظر داخل الحزب الشيوعي السوداني نتيجة موقف بعض عناصره القيادية التي رددت شعار (وحدة وادي النيل تحت التاج المصري) ولم تجرؤ على اعلان برنامج الحزب والوثيقة المشتركة التي وضعت مع الشيوعيين المصريين ونادت بالجلاء عن مصر والسودان وحق الشعب السوداني في تقرير مصيره ، كما أن البعض منهم قد تمادى فخطب مؤيدا التاج المصري ، حتى أطلق على بعضهم اسم (الشيوعيون الملكيون) .

وحسم هذا الموقف في صيف عام ١٩٤٧ اذ تقرر فصل العناصر المسيطرة على الحزب .

وانطلقت الحركة الجماهيرية بعد ذلك فى مسارها الجديد ووصلت الى الطبقة العاملة التى اتسع نطاق اضراباتها حتى أصبح عام ١٩٤٨ عام تحول فى الحركة الوطنية السودانية ووضع الأساس لاستقلال البلاد فيما بعد ٠

ولكن الحزب الشيوعى ظل مع ذلك غير بارز كقوة منفردة فى الحياة السياسية واتجه بعض أعضائه للعمل داخل الأحزاب الأخرى ٠

ودخل الحزب أزمة جديدة فى مطلع عام ١٩٤٩ عندما بدأ المد الجماهيرى ينحسر بعد حرب فلسطين ، ويخرج من صفوف الحزب عشرات من المثقفين ، وعقد أول اجتماع تداولى وأدينت فيه سياسة عوض عبد الرازق سكرتير الحزب وتقرر فصله وانتخاب الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب سكرتيرا عاما للحزب ٠

وانفتح الحزب بعد ذلك على مختلف الطوائف والفئات ، ووصل الشهيد المناضل الشفيع أحمد الشيخ الى مركز سكرتير اتحاد نقابات عمال السودان ، وحاول الاستعمار أن يحل الاتحاد عام ١٩٥١ ولكن تطور الحركة الوطنية فى السودان أدى الى تكوين الجبهة المتحدة لتحرير السودان فى أوائل عام ١٩٥٢ ، وفيها اتحاد النقابات الذى دعا الى الأحزاب فى أبريل ١٩٥٢ ردا على محاولة الاستعمار تعديل قوانين النقابات ٠

وقد أدى ضعف نظام الحكم الملكى فى مصر بعد حريق القاهرة وسرعة تغيير الوزارات الى تركيز القوى الحزبية السودانية على العمل فى صفوف الجماهير ، ونمو فكرة النضال المشترك ضد الاستعمار فى مصر والسودان ٠

وكما كانت حركة الجيش تختمر فى مصر كانت الحركة الجماهيرية فى السودان تزداد اشتعالا ٠

الفصل الثانى

السودان .. وحركة الجيش المصرى

(لم أقرأ فى حياتى قبل ٢٣ يوليو
عن السودان سوى النزر اليسير)
« صلاح سالم »

(انك لتعلم انتمائى الى مصر ، ولكن
هل يرضيكم ان يحكمنا صلاح سالم
والعسكريون فى مصر ؟)
« اسماعيل الأزهرى »

كان انتصار حركة الجيش فى يوليو ١٩٥٢ موضع تأييد شامل من جماهير الشعب السودانى ، وكان تعيين محمد نجيب قائدا عاما للقوات المسلحة ثم رئيسا للوزراء فرئيسا للجمهورية محل حفاوة وترحيب الكثير من السياسيين الذين كانت تربطه بهم علاقات شخصية وثيقة .

عندما مر وفد السودان بالقاهرة فى طريقه الى لندن عام ١٩٣٦ لعرض قضية السودان زار أعضاء الوفد جميعا منزل محمد نجيب .. وكان مايزال ضابطا برتبة اليوزباشى .. وكان الوفد يضم محمد عثمان الميرغنى والصديق المهدى قطبا الطائفية فى السودان : الختمية والأنصار .

ومحمد نجيب أمضى طفولته وصباه فى السودان مع والده يوزباشى يوسف نجيب الذى خدم ومات هناك حيث دفن مع جد محمد نجيب

لوالدته ،وخاله أيضا ، وعندما ذهب محمد نجيب الى المدرسة الحربية فى القاهرة فى ابريل ١٩١٧ لم يبق بها سوى شهور عاد بعدهـا ضابطا فى الكتيبة ١٧ مشاة بالسودان فى فبراير ١٩١٨ وهى نفس الكتيبة التى كان والده يخدم بها ٠

وبقى نجيب فى الجيش المصرى بالسودان حتى ٢٣ ابريل ١٩٢٣ حيث نقل ضابطا فى الحرس الملكى بمصر ٠ ولم يمنعه ذلك من الاتصال بالمناضلين السودانيين الذين هربـوا من السودان الى مصر ، ولذا نقـل من الحرس الملكى فى مايو ١٩٢٥ ، وأتاح له ذلك مزيدا من حرية الحركة والاتصال بزملائه الضباط السودانيين ومنهم السيد فرح الذى هرب بعد الحـكم عليه بالاعـدام وترقى فى الجيش المصرى حتى أصبـح محـافظا لمطروح فى سـلاح الحدود ، واللـواء عبد العزيز عبد الحى الذى عـين مديرا لأسوان ٠

لم تكن هناك حساسيات ولا فروق فى تعيين السودانيين فى المناصب الكبرى حتى فى السراى مثل عبد الله النجومى الذى كان ياورا للملك ٠

لم يعد محمد نجيب للسودان بعد ذلك الا فى بعثـة كان يرأسهـا اللواء ابراهيم خيرى وكيل وزارة الحربية عام ١٩٣٦ لتنظيم اعادة الجيش بعد توقيع المعاهدة وهناك قام بزيارة أسر الضباط الهاربين الى مصر ٠

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية ووفدت الى الصحراء الغربيـة وليبيا بعض وحدات قوة الدفاع السودانى وعسكرت فى منطقة بنى يوسف بمحافظة الجيزة وكان محمد نجيب كثير التردد عليهم عاقدا لصلات الود معهم ، مستعينا بالأمير عمـر طـوسون وبنك مصر والجمعيـة الزراعيـة لمساعدتهم وتقديم الهدايا لهم ٠

وعندما بلغ ذلك ادارة المخابرات البريطانية أصدرت أوامرها لضباط القوات السودانية بعدم النزول الى القاهرة أو قبول دعوات المصريين ٠

وخلال عام ١٩٤٦ لعب محمد نجيب دور الوسيط بين مجموعات من السودانيين فلفت ذلك نظر السفارة البريطانيـة التى أرسلت خطابا الى محمود فهمى النقراشى تلفت فيه نظره الى (ان القائمقام محمد نجيب قد اعتاد على عقد اجتماعات مع بعض السودانيين بمنزل رقم ٧ شارع سكة الميدانين بسراى القبة للتباحث فى الشئون السياسية) ٠

ويقول محمد نجيب ان النقراشى باشا قد استدعاه لمناقشته ، وعندما علم منه أنه قدم عدة أبحـاث ودراسات عن السودان بدأها عـام ١٩٤٣

بعنوان (ماذا يجرى فى السودان) ، (يد الاستعمار على حدود السودان)، (اللغة والأدب فى جنوب الوادى) ومقالات فى مجلة الجيش ٠

وعندما علم النقراشى باشا بذلك طلب منه بحثا عن قضية السودان ليحمله معه الى نيويورك أثناء عرض قضية مصر على مجلس الأمن ٠٠٠ وانعقدت الصلة بين الرجلين حتى قتل النقراشى ، وخلال حرب فلسطين كانت هناك فصيلة من المتطوعين السودانيين بالمجدل ضمن وحدات قيادة نجيب الذى كان قد وصل الى رتبة الأميرالاى « العميد » ٠

هكذا كان محمد نجيب وهو على قمة ثورة يوليو مؤهلا بحكم تاريخه وعلاقاته لاكتساب ثقة السودانيين ودعم روح النضال المشترك بين الشعبين ضد الاستعمار البريطانى ٠

وعندما حل الملك فاروق مجلس ادارة نادى الضباط وعزل محمد نجيب الرئيس المنتخب لجأ الى محمد أحمد محجوب بصفته محاميا لرفع الأمر الى القضاء ٠ ويقول محجوب ان ذلك لم يتحقق لسبب بسيط هو قيام الثورة بعد يومين من الحديث ٠

ولم يكن محمد نجيب هو صاحب الصلة الشخصية الوحيدة بالسودان من أعضاء مجلس قيادة الثورة ٠٠ كان هناك أيضا الصاغ صلاح سالم الذى ولد فى قرية سنكات عام ١٩٢١ ولكنه كما روى الدكتور محمد المعتصم فى كتابه « صلاح سالم » كان بعيدا عن أية صلة بالسودان اذ يقول على لسانه (لم أقرأ فى حياتى قبل ٢٣ يوليو عن السودان سوى النزر اليسير ٠٠ لم أقرأ سوى كتابين أحدهما استخفنى عنوانه عن الصيد والمغامرات فى غابات جنوب السودان لعطا اثنا سيبويهى ، والآخر لتشرشل بعنوان (حب النهر) ٠٠ ولم يكن لى صديق سودانى واحد يحدثنى واتحدث معه فى شئون بلاده وأهله ٠٠ لم أسمع شيئا عن السودان الا من والدى الذى أمضى زهرة شبابه وحياته فى ربوع هذا القطر) ٠

وقد ارتبط صلاح سالم بقضية السودان بمصادفة ومن غير قصد ، فقد كان مكلفا بشئون الجيش فى بداية الثورة الى جانب اللواء محمد نجيب كل من الصاغ عبد الحكيم عامر مدير مكتبه الصاغ كمال الدين حسين والصاغ صلاح سالم ٠

وتصادف أن تلقى صلاح سالم مكالمة من البكباشى عبد الفتاح حسن الياور المصرى للحاكم العام فى الخرطوم يبلغه فيها أن بعض الجنود السودانيين الذين جندوا بعد حريق القاهرة ثم سرحوا وأرسلوا الى السودان

قد تظاهروا ضد مصر لانهم لم يحصلوا على مكافأة ترك بخدمة ورغم أن القانون لا يسمح بصرف هذه المكافأة فان صلاح سالم أصدر قراره بصرفها باعتباره مكلفا بمسئولية قوات الجيش فى السودان ·

وفى أغسطس ١٩٥٢ كلف المجلس صلاح سالم بالاشراف على شئون السودان بعد أن كان هناك اتجاه لتكليف خالد محيى الدين بذلك ·

وتوافدت على القاهرة وفود الأحزاب السودانية للتعرف على رجال مجلس قيادة الثورة الذين لم يعرفوا منهم الا محمد نجيب ·

حضر ممثلو كافة الأحزاب المؤيدة للاتحاد مع مصر ، والمعارضة له أيضا ·· حضر السيد عبد الرحمن المهدى واعتذر عن عدم الحضور السيد على الميرغنى لمرضه ·

وبدأت مفاوضة قادة حركة الجيش مع مندوب الأحزاب بوفد مصرى مشكل برئاسة اللواء محمد نجيب رئيس الوزراء ، وعلى ماهر وعبد الرازق السنهورى والصاغ صلاح سالم وقائد الجناح حسين ذو الفقار صبرى ·

ورغم أن مندوبى هذه الوفود كانوا يلتقون بجمال عبد الناصر الا أنه لم يكرس جانبا كبيرا من وقته لموضوع السودان ، حيث استغرقته المشاكل الداخلية فى مصر خارج الجيش وداخله ·

ولكن استبان من اللحظة الأولى أن موقف حركة الجيش لم يكن جامدا فى مواجهة مشكلة السودان التى تحطمت عليها معظم المفاوضات بين الحكومتين المصرية والبريطانية ·

كانت حركة الجيش فى مضمونها الحقيقى حركة تحرر وطنى لا تستطيع رفض مبدأ تقرير المصير لشعب شقيق ·

ويؤكد هذه الحقيقة محمد أحمد محجوب فى كتابه (محاكمة الديمقراطية) قائلا أنه قد سمح لهم لأول مرة بالنشر فى الجرايد المصرية دفاعا عن فكرتهم الاستقلالية وأنهم وجدوا من حركة الجيش تحولا فى النظرة الى مشكلة السودان ·

وعبارة (تقرير المصير) كانت محل خلاف شديد ·· اذ كان ينادى بها البريطانيون قبل الحركة لثقتهم من قوتهم ونفوذهم على السراى وأحزاب الأقلية فى مصر وانفرادهم بحكم السودان حكما غير ديمقراطى ·

وقد أيد الاتحاد السوفيتى جلاء الاحتلال البريطانى عن مصر والسودان عند عرض قضية مصر أمام مجلس الأمن كما أيد مبدأ تقرير المصير لشعب السودان بعد جلاء البريطانيين ·

وكانت دعوة البريطانيين لذلك تستهدف فصل مصر عن السودان فصلا نهائيا ، وقد بادر الحاكم العام فى أوائل ١٩٥٢ بعد الغاء مصطفى النحاس لمعاهدة ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ باعلان دستور للحكم الذاتى للسودان .

ومن الجانب الآخر كانت الأحزاب المصرية ترفض تماما فكرة تقرير المصير .

قال لى فؤاد سراج الدين أن محمد صلاح الدين وزير الخارجية الوفدى فاجأهم قبل سفره الى باريس فى يناير ١٩٥٢ لحضور اجتماعات هيئة الأمم بأنه يريد القاء قنبلة يتحدى بها البريطانيين على أساس قبول الاستفتاء اذا خرج الموظفون البريطانيون من هناك .

ولكن الحكومة لم توافق لمخالفة ذلك لسياسة الوفد وخشيتهم من التدحرج لقبول مبدأ الاستفتاء وما قد يصحب ذلك من تعثر الضمانات المطلوبة لاستفتاء حر سليم .

وقد تراجع محمد صلاح الدين عن رأيه ولكن الوزارة الوفدية فوجئت بخطابه يوم ٢٣ يناير يكرر ما سبق أن قاله لسراج الدين ... واجتمع مجلس الوزراء فورا لمناقشة خطاب صلاح الدين وانبرى بعض الوزراء لمهاجمته وفى مقدمتهم الدكتور طه حسين الذى تحدث عن (الخيانة الوطنية العظمى) التى ارتكبها وزير الخارجية .. وأمر النحاس باشا باستدعائه على أول طائرة ولكنه وصل يوم ٢٧ يناير بعد اقالة الحكومة الوفدية .

التنظيمات الوحيدة التى أيدت (حق تقرير المصير) للسودان قبل حركة ٢٣ يوليو كانت التنظيمات الشيوعية التى ورد ضمن برنامجها المنشور فى ١٧ ابريل ١٩٥١ بمجلة روزاليوسف (حرية الشعب السودانى وحق تقرير مصيره بنفسه وتأييد كفاحه من أجل التحرر الكامل وجلاء جميع القوات الاستعمارية البريطانية والمصرية من أراضيه) .

لم تستمر المفاوضات بين مجلس القيادة ومندوبى الأحزاب السودانية لفترة طويلة فسرعان ما تم الاتفاق يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٥٢ على قبول أمرين :

أولهما توحيد الأحزاب السودانية عدا حزب الأمة عن طريق تفويض لجنة ثلاثية من الدرديرى أحمد اسماعيل وخضر حمد وميرغنى حمزه لوضع ميثاق تأليف حزب واحد انتهت الى تشكيل (الحزب الوطنى الاتحادى) مع اختيار اسماعيل الأزهرى رئيسا له ومحمد نور الدين نائبا .

وثانيهما قبول مبدأ تقرير المصير والخضوع لنتيجة الاستفتاء الذى يتم حوله .

وهكذا أمكن لحركة الجيش مواجهة البريطانيين بأسلوبهم مع ضمان توحيد الأحزب السودانية فى حزب واحد برأى موحد هو (الاتحاد مع مصر) .. مع ضمان موافقة حزب الأمة على نتيجة الاستفتاء أيا كانت .

وهذا مما يفسح الطريق للاتحاد مع مصر حيث كان حزب الأمة يمثل الاقليمية فى رأى مجلس القيادة .

وبعد ما وصلت المفاوضة مع الأحزاب السودانية الى هذه النتيجة فى ٢٨ أكتوبر تشعب النشاط السياسى الى شعبتين .

اتفاقية فبراير ١٩٥٣ :

سافر صلاح سالم الى السودان لأول مرة فى نوفمبر ١٩٥٢ حيث استقبل بترحاب شديد وعقد صلات متعددة مع زعماء الأحزاب هناك

وأرسل محمد نجيب مذكرة الى الحكومة البريطانية اقترح فيها:

أولا : تمكين السودانيين من ممارسة الحكم الذاتى الكامل .

ثانيا : تهيئة الجو الحر المحايد الذى لا بد من توافره لتقرير المصير .

وبدأت المباحثات فى ٢٠ نوفمبر ١٩٥٢ وكانت هذه هى التجربة الأولى التى يجلس فيها الضابط المصرى فى مقعد المفاوضات .

ويلاحظ أن الوفد المصرى قد تشكل من الوفد الذى فاوض الأحزاب السودانية بعد استبدال على ماهر وعبد الرازق السنهورى بالدكتور محمود فوزى والدكتور حامد سلطان وعلى زين العابدين .

ويلاحظ أيضا أن جمال عبد الناصر بقى بعيدا عن مائدة المفاوضات مركزا جهده على الشئون الداخلية للحركة فى تفاعلها مع القوى السياسية المختلفة .

وسافر صلاح سالم الى السودان للمرة الثانية فى ١ يناير ١٩٥٣ حيث اتفق مع ممثلى الأحزاب السودانية (الأمة والوطنى الاتحادى والجمهورى الاشتراكى) على توقيع وثيقة تؤيد نظر المفاوض المصرى فيما يتعلق بموضوعات جنوب السودان واختصاصات الحاكم العام وسودنة الوظائف وجلاء الجيوش الأجنبية وان تكون هذه الوثيقة هى أساس دستور الحكم الذاتى والا فان الأحزاب تقاطع الاستفتاء .

وعندما وضعت هذه الوثيقة أمام المفاوضين السودانيين أسقط في يدهم وسدت عليهم سبل المناورة ووقعوا اتفاقية السودان في ١٢ فبراير ١٩٥٣ قبل أن يمضى ثلاثة شهور على بدء المفاوضات ٠

وقع عن الجانب المصرى محمد نجيب وعن الجانب البريطانى السفير سيررالف سيتسون ٠

وذكر محجـوب أن على ماهر قال له (مبروك ٠٠ السودان حصـل على استقلاله) وكانت وجهة نظره ان الاختيـار بين الاستقلال والاتحاد لابد أ نيكون في جانب الاستقلال ٠

ونصت الاتفاقية على تحديد فترة انتقال مدتهـا ثلاث سنوات يتم فيها تصفية الادارة الثنائيـة (الانجلو مصرية) ، ويكون للحاكم العـام اثناء فترة الانتقال السلطة الدستورية العليا وفقا لقانون الحـكم الذاتى تعاونه لجنة خماسية مؤلفـة من عضوين سودانيـين ومصرى وبريطانى وباكستانى ٠٠ مثل مصر فيها قائد الجناح حسين ذو الفقار صبرى ٠

وتقرر أيضا تاليف جمعية تأسيسية منتخبة لتقرير مصير السودان على أساس :

أولا : ارتباط السودان بمصر على أية صورة ٠

ثانيا : الاستقلال التام ، أى الانفصال عن مصر ٠

وكانت كل الظروف والملابسات تشير الى نجـاح الأساس الأول ، فقد كانت العلاقات بين زعماء الأحزاب السودانية وقادة الحركة في مصر طيبة وليس هناك ما يشوبها ، غير أن بعض ما صحب الثورة في شهورها الأولى خلق بعض الحذر في نفوس السودانيين ٠

سبق التوقيع على الاتفاقية الغاء الدستور وحل الأحـزاب واعتقال ضباط المدفعية كما سبق توضيحه في الجزء الأول (قصة ثورة ٢٣ يوليو) وانعكس ذلك في السودان بتأثيرات مختلفة ٠

نشر محمد أحمد محجوب قطب حزب الأمة مقالا في جريدة المصرى اعتبر فيه رأى سليمان حافظ في تنحية النحاس عن رئاسة الوفـد عمـلا مخالفـا للقانون وكان للوفـد أعضـاء كثيرون في السودان منـذ أيـام سعد زغلول وبعدتولى مصطفى النحاس ٠

وكان اسماعيل الأزهرى مقربا من الوفد ومرتبطا بزعمائه ٠

وقد حاول صلاح سالم خلال زياراته المتعددة طي صفحة الأحزاب المصرية في السودان ، وساعده على ذلك ثقة السودانيين في محمد نجيب وارتباطهم به واعتباره نصف سوداني .

وقد أحيط بعض ما قام به بدعاية هائلة فعندما قرر زيارة الجنوب لم يحصل على التصريح الخاص الذى اعتاد أبناء الشمال أن يحصلوا عليه اذا أرادوا السفر الى الجنوب .

ويقول يوزباشي محمد أبو نار مدير مكتبه أن مستر كافرى السفير الأمريكي ومستر سوبنى ضابط اتصال السفارة قد ساعدا فى عدم حدوث أزمة من زيارة صلاح سالم دون تصريح .

وقد نجحت الرحلة تماما ، وكان للمناقشة العنيفة التى دارت بين صلاح سالم والمحافظ البريطانى حول أسلوب معاملة الناس فى الجنوب أثر سحرى بين الجماهير التى تعرض فيها المعبود البريطانى أمامهم للنقد والهجوم .. وكذلك فان مشاركته لقبائل الدنكا بالرقص معهم (رقصة الحرب) عاريا قد جذبت اليه قلوب الجنوبيين .. وأطلقت عليه الصحافة البريطانية اسم (الصاغ الراقص) .

وحدثت عدة مساجلات بين ايدن وصلاح سالم .. فقد قال ايدن فى مجلس العموم فى أكتوبر ١٩٥٣ أن صلاح سالم ذهب الى السودان لاقناع السودانيين بتقسيم مقاعد البرلمان ولكنه لم ينجح ـ حسب تعبير ايدن .

ولم يتردد صلاح سالم فى مهاجمة ايدن علنا مؤكدا هزيمة السياسة البريطانية فى السودان .

وكانت كل الدلائل تشير الى نجاح التعاون المصرى السودانى .. فقد أجريت أول انتخابات فى ظل الاتفاقية .. وفاز الوطنى الاتحادى بأغلبية ساحقة ، وتولى اسماعيل الأزهرى رئاسة أول وزارة سودانية يوم ٩ يناير ١٩٥٤ ، وتولى محمد أحمد محجوب زعامة المعارضة فى برلمان مكون من ٥١ عضوا للوطنى الاتحادى ، ٢٢ حزب الأمة ، ١١ مستقلين ، ٩ جنوبيين ، ٣ جمهورى اشتراكى ، نائب عن الجبهة المعادية للاستعمار .

انعكاس خلافات مجلس الثورة :

ولكن الأمر لم يمض حسب الخطة المرسومة ، ولم يتحقق الهدف المنشود .

كانت الخلافات قد بدأت تتفجر داخل مجلس قيادة الثورة بين

معظم أعضائه من جهة وبين محمد نجيب من جهة أخرى كما شرح تفصيلا فى الجزء الأول (قصة ثورة ٢٣ يوليو) .

وانعكس هذا الخلاف على نفوس السودانيين الذين وجدوا فى بقاء نجيب على قمة السلطة ضمانا واطمئنانا على حقوقهم .. والذين تنفر نفوسهم من أسلوب الضغط والحكم العسكرى الذى يتنافر مع ديموقراطيتهم البدائية وبساطتهم القبلية التى ترفض الهالة الصناعية التى تحيط بمراكز السلطة .

وأضعفت ردود الفعل من هالة النظام المصرى الناشىء الذى كان فى قوته وتماسكه عاملا من أهم العوامل المؤثرة لنجاح الاتفاقية وانتهائها الى نوع من الاتحاد أو الوحدة مع مصر .

وتجاوبت هذه الحالة مع تحول فى موقف اسماعيل الأزهرى الذى تولى رئاسة الوزارة فى وقت كانت تتجمع فيه سحب الخلافات والذى شعر أن أى نوع من الارتباط مع مصر سوف يضعف من سلطته كرئيس للوزراء ، وهو الذى عاش حياته مناضلا من أجل حرية السودان .

وسافر عبد الحكيم عامر وصلاح سالم الى السودان لتهنئة الأزهرى برئاسة الوزارة فى نفس الشهر ، يناير ١٩٥٤ وصرح قائلا : (ان الاتفاقية سوف توضع موضع التنفيذ نصا وروحا) .

ولكن تنفيذ الاتفاقية بدأ يتعثر واتجاهات الأزهرى السياسية بدأت تتغير مستغلا فى ذلك فرصة تشابك أعضاء مجلس قيادة الثورة فى خلافات ومشاكل محلية جانبية .

ووصلت المشكلة الى الذروة عندما فوجئت الجماهير السودانية باستقالة محمد نجيب فى فبراير ١٩٥٤ .

وسافر الى القاهرة فور اعلان الاستقالة وفد سودانى فى محاولة لرأب الصدع ولكن نجيب كان قد عاد إلى موقعه رئيسا للجمهورية ولمجلس قيادة الثورة تحت ضغط المظاهرات فى الشوارع ، وتأييد بعض وحدات الجيش لموقفه .. ونتيجة أيضا لمظاهرات خرجت فى الشوارع فى الخرطوم تهتف لمحمد نجيب (التفاصيل كاملة فى الجزء الأول) قصة ثورة ٢٣ يوليو .

وما ان عاد محمد نجيب الى موقعه حتى قرر تلبية دعوة حكومة السودان لحضور احتفالات افتتاح أول برلمان سودانى فى أول مارس ١٩٥٤ ، وصحبه فى الرحلة صلاح سالم الذى كانت التناقضات بينهما قد

دفعت به الى تسليم نفسه الى أحمد أنور قائد البوليس الحربى قائلا انه يفضل دخول السجن عن التعاون مع نجيب .

ولم يتورع صلاح سالم عن اعلان هذه الحقيقة للصحف فى بساطة شديدة مع اتهامات لنجيب فى محاولة لتقليل دوره فى نجاح حركة ٢٣ يوليو .

وقد أدت الأيام التى مضت بين استقالة نجيب وقبول مجلس الثورة للاستقالة ثم عدوله عنها وعودة نجيب رئيسا للجمهورية — الى حدوث انفجارات سياسية غير متوقعة .

سقطت هيبة النظام فى مصر أمام السودانيين ، وتمزقت علاقات الاخوة والتماسك التى ظهرت بين أعضاء مجلس القيادة . وفتحت الأبواب أمام المؤامرات المعادية لوحدة الشعبين .

وما كاد وفد مصر برئاسة محمد نجيب يصل الى مطار الخرطوم حتى فوجىء بوجود مظاهرات حاشدة أطلقها حزب الأمة الذى حصل على أقلية فى البرلمان لم تسمح له بالمشاركة فى الحكم وهى تهتف (لا مصرى ولا بريطانى .. السودان للسودانى) .

وكان حزب الأمة له رأى عبر عنه محمد أحمد محجوب فى كتابه بقوله (وربما كان الحكم البريطانى أقل شرا من الحكم المصرى لأنه اذا كانت مصر قد حكمت فانها ما كانت لترغب فى ترك السودان مطلقا) .

وحدثت اشتباكات دموية قتل فيها ٣٣ شخصا وجرح ١٠٧ وتقرر تأجيل افتتاح البرلمان السودانى . وعاد محمد نجيب الى القاهرة فجر اليوم التالى .

وقد أكد لى محمد نجيب أن السيد عبد الرحمن المهدى كان قد أرسل ابنه الصديق لاستقباله فى المطار وابلاغه تحيات والده وأنه حاول الاتصال بالمهدى سبع مرات من تليفون قصر الحاكم العام ولكن الاتصال لم يتم لقطع الخط بعد تبادل التحية بأمر واضح التدبير .

وحاول الحاكم العام تجسيد خطر المظاهرات لمحمد نجيب ولكنه أصر على مخاطبتهم من شرفة القصر ولكن ما أن اتجهت الجماهير الى الهدوء حتى فوجئت بهراوات الجنود .

ويقول محمد نجيب أنها كانت مجزرة دموية رتبها الحاكم العام ليفشل تنفيذ الاتفاقية ويظهر الأمر كما لو أن العداء قد انفجر ضد مصر فى السودان .

ويقول محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان فيما بعد في كتابه « محاكمة الديمقراطية » أن الأنصار عندما خرجوا للمظاهرة كانوا يؤيدون محمد نجيب ولكنهم لم يستهدفوا العدوان عليه وانما استفزتهم قوات البوليس عندما حاولت تفرقتهم ٠

وكان وزير الخارجية البريطاني سلوين لويد قد وصل الخرطوم أيضا للمشاركة في الاحتفالات ولكنه لم يبرح مكانه حتى حملته الطائرة الى لندن ٠

ولا شك أن هذه المظاهرات قد صدمت الانتصار الذى حققه محمد نجيب على أعضاء المجلس وأضاعت تأثيره وهزت الى حد ما ثبات موقفه الذى كان يستند في شعبيته الى حب السودانيين له وتمسكهم به ٠

ولم تكن عودة محمد نجيب من موقعه نهاية ٠٠ فسرعان ما تحولت الريح ضده وحدثت أزمة مارس ١٩٥٤ التي حاصرته في منصب شكلي هو رئيس الجمهورية فقط بينما اصبح جمال عبد الناصر رئيس الوزراء في ١٧ ابريل الى جانب عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة ٠

وضعفت فرصة حركة الجيش بعد ذلك في التعاون المؤثر الوثيق في الحركة السياسية السودانية الأمر الذى دفع اسماعيل الأزهرى الى اتخاذ عدة خطوات غير موفقة :

أولا : أوقف الصحف الاتحادية ففصل أسرة تحرير جريدة العلم وأغلق جريدة الاتحاد ٠

ثانيا : رفض هدية من الأسلحة عرضتها مصر في أوائل ١٩٥٤ ٠

ثالثا : رفض ارسال ضباط سودانيين للتدريب في مصر على نفقتها وأصر على تدريبهم في بريطانيا ٠

رابعا : لم يوافق على رصد مصر لمبلغ ثلاثة ارباع مليون جنيه لتنفيذ مشروعات ثقافية وصحية واجتماعية في السودان ٠

وسافر اسماعيل الأزهرى بعد ذلك الى لندن يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٤ حيث استقبلته الملكة اليزابيث وأقام له تشرشل حفل غداء وعقد اجتماعا مع لجنة الشئون الخارجية لحزب المحافظين ٠

ولحق ذلك بأيام اقالة محمد نجيب وتحديد اقامته يوم ١٤ نوفمبر واشارت الصحف الى احتمال محاكمته لارتباطه بالاخوان المسلمين ، الذين كانوا قد حاولوا الاعتداء على حياة جمال عبد الناصر أثناء القائه خطابا في ميدان المنشية يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ ٠

وهرع الى مصر وفد سودانى لانقاذ نجيب من المحاكمة ، مشكل من السيد على الميرغنى واسماعيل الازهرى ومحمد نور الدين وعلى عبد الرحمن ويحيى الفضل وابراهيم المفتى. واستقبل الوفد جمال عبد الناصر وصلاح سالم وتم الاتفاق بينهما على اصدار هذا البيان الذى نشر فى الأهرام يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٥٤ وجاء فيه :

اطلع وفد الحزب الوطنى الاتحادى على دقائق الأمور ، وكان متتبعا لسير الحوادث التى قادت الى الظروف الراهبة فى مصر ، وهو مقتنع تماما بأن اجراء تنحية اللواء محمد نجيب عن منصبه كان اجراء لا مفر منه روعيت فيه مصلحة البلاد العليا أولا وأخيرا فى تلك المرحلة التى ما كانت لتحقق خيرا للبلاد لو سارت الأمور على ما كانت عليه . ولقد تلاقت وجهات النظر مع الحسيب النسيب السيد على الميرغنى ووفد الحزب الوطنى الاتحادى والمسئولين فى مصر على قفل هذا الموضوع نهائيا بعدم تقديم اللواء محمد نجيب للمحاكمة حتى لا تعطى الفرصة لأعداء البلاد الذين يتربصون للنيل من وحدة الصفوف وتدمير أهداف البلاد .

هكذا كان للسودانيين دور فى منع محاكمة محمد نجيب وطى صفحته من تاريخ مصر سلميا .

المحاولة الأخيرة :

ولكن عزل نجيب من منصب رئاسة الجمهورية كان غلقا لباب الأمل فى الوصول الى اتحاد مصرى سودانى عن طريق الاستفتاء وهو ما سبق تفصيله فى الفصل الأول من الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) وما ننقل هنا منه صفحات لارتباطه بسرد الحوادث وترابطها .

لم تحسب المسألة بدقة .. والتدهور الذى حدث فى العلاقات بين نجيب وبين أعضاء المجلس والذى تبادل فيه الطرفان الاتهامات لم تنجح المحاولات لتصفيته وتفادى أبعاد أخطاره فى الداخل والخارج .

ووجد اسماعيل الازهرى فى عزل نجيب تكأة يستند عليها فى تغيير موقفه من قضية الوحدة أو الاتحاد .. وساعده على ذلك ما أحيطت به محاكمات الاخوان المسلمين من قسوة وهم فى السودان كانوا يفرخون فى أحضان حزب الأمة .

كما أن الشيوعيين السودانيين كانوا قد اتخذوا موقفا معارضا لحركة الجيش فى اعتقالها للشيوعيين المصريين .. وهم فئة نامية متطورة فى أوساط العمال والمثقفين السودانيين .

وأسفر اسماعيل الازهرى عن موقفه فى باندونج فابتعد عن مصر

واقترب من العراق التي كانت تهيىء نفسها لدخول حلف بغداد ..
كما أسفر عن موقفه في السودان عندما شكل لجنة من أعضاء الوطني الاتحادى قررت التخلي عن مسألة الاتحاد عن مصر ووافقت الهيئة العامة للحزب على ذلك .

ولم يكن في تصرف اسماعيل الازهرى من قضية الاتحاد ما يعيب سوى اقترابه وارتباطه بالسياسة البريطانية التي طالما ناضل ضدها .. ذلك أنه اذا وضع أي مواطن سوداني أمام اختيارين هما الاستقلال أو الاتحاد مع مصر ، فانه قطعا وفي هذه الظروف المتفجرة بالخلافات في مصر كان سيختار الاستقلال ، لأنه لا يطمئن اطمئنانا كاملا لفوائد الاتحاد ومنفعته له وثقته في قيادته . وخاصة أن هذا الاختيار يتم بعد رحلة طويلة من الاستعمار لم ينعم فيها الشعب السوداني بحريته ويمارس فيها حكم نفسه بنفسه .

وانتهى موقف الازهرى الى تناطح حاد بينه وبين صلاح سالم الذى وجد أن ثمار سياسته قد تحولت الى ماء يتسرب من بين أصابعه .

وكان صلاح سالم قد اتبع في سياسته بالسودان أسلوبا يخرب علاقات القوى السياسية ويمزق صلابة الأفراد ، اذ استخدم الأموال وسيلة للاقناع واجتذاب زعماء القبائل والطوائف والأحزاب وهي وسيلة لها بداية وليست لها نهاية .

وهي وسيلة لا تفيد أيضا اذا استخدمت مع عناصر وطنية مناضلة ذات مبادىء .

ولم يجد صلاح سالم سوى محاولة حصار اسماعيل الازهرى بتأليب بعض أعوانه ضده ونشر بعض الحقائق القديمة عنه .

وطفت المعركة الى السطح .. وخطب اسماعيل الازهرى في الجماهير يقول (ان لحم أكتافي من مصر وقد دخلتها لابسا حذاء كاوتش .. ولكن هل يرضيكم أن يحكمنا صلاح سالم والعسكريون في مصر ؟) .

وتصرخ الجماهير بصوت عال (لا .. لا) .

ونجح صلاح سالم في اثارة فريق من أعضاء الحزب الوطني الاتحادى بزعامة محمد نور الدين ، كما أثار الجنوبيين ضده كقوة ضغط .

وأراد صلاح سالم أن يشدد حصاره على الأزهرى وأن يبذل محاولته الأخيرة في انجاح الاتفاقية لصالح الاتحاد بين مصر والسودان فقرر الاتصال بالحزب الشيوعى السودانى وهو الحزب الذى لم يحصل وقتها

على أية أموال من مصر ولم يدخله صلاح سالم فى حساباته رغم نفوذه الناشيء وذلك لاعتقال الشيوعيين ومطاردتهم فى مصر .

اتصل صلاح سالم بالشهيدين المناضلين عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعي السوداني والشفيع احمد الشيخ سكرتير عام اتحاد العمال وعضو المكتب السياسى بالحزب .. وعندما علم ان الحزب الشيوعي السوداني هو نواة انفلقت عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) فى مصر قرر أن يتصل بالشيوعيين المصريين ليساعدوا فى اقناع زملائهم بالسودان .

وكان موقفا غريبا ومتناقضا .. الشيوعيون المصريون معتقلون والبعض منهم قدم الى المحاكمة وصدرت ضده أحكام بالسجن ، وأجهزة الدولة تطاردهم مثل كلاب الصيد .

ومع ذلك لم يتردد صلاح سالم فى معركته الحامية يوم أول سبتمبر ١٩٥٥ فى استدعاء البعض منهم : الدكتور يوسف ادريس من سجن القناطر والكاتب ابراهيم عبد الحليم والكاتب فتحى خليل والفنان زهدى وكانوا معتقلين فى سجن أبى زعبل .

وصل الأربعة الى قصر عابدين ، حيث كانت مكاتب وزارة الارشاد فى ذلك الوقت ، بثياب ممزقة وأجسام هزيلة بعد معاملة بوليسية قاسية أعقب اضرابا عن الطعام استمر ١٨ يوما من أجل مطالب انسانية خاصة .

دخل الأربعة على صلاح سالم فى مكتبه ، فاستقبلهم استقبالا حارا وأبدى استنكاره لمظهرهم واتصل تليفونيا ــ حسب رواية فتحى خليل ــ بزكريا محيى الدين وزير الداخلية طالبا منه وقف المعاملة الشاذة للمعتقلين فى سجن أبو زعبل .

وقدم لهم صلاح سالم تحليلا سياسيا استمر ثلاث ساعات ركز فيه على النقط الآتية :

١ ــ المفهوم العام لقيادة الثورة وتصور خط سيرها مع تحفظ بعض العناصر على الاتحاد السوفييتى بتأثير دعاية الغرب .

٢ ــ أرجع غموض موقف الثورة من الشيوعيين الى خشية البعض من اتهام الحركة بأنها شيوعية .

٣ ــ أبرز نقط الخلاف مع الولايات المتحدة وخاصة رفضها امداد مصر بالسلاح .

وتخلص صلاح سالم من ذلك الى أن هناك تغييرا فى الخط السياسى للثورة يتلخص فى :

أولا : فى السياسة الخارجية • استقرار الثورة على توثيق العلاقة مع الاتحاد السوفييتى والصين والدول الاشتراكية •

ثانيا : فى قضية الديموقراطيــة • وضع دستور جديد واعداد انتخابات عامة وتشكيل برلمان •

وأكد لهم صلاح سالم أن هذين الاتجاهين سوف ينطلقان بأقصى قوتهما فى منتصف عام ١٩٥٦ •• ولعله كان يقصد بذلك تحديد موعد جلاء القوات البريطانية عن منطقة القنال •

وفاجأهم صلاح سالم بخبر لم يكن قد أعلن بعد •• وسر لم يعرفه أحد •• وهو تعاقد مصر مع الاتحاد الســوفييتى على توريد صــفقة ســلاح •• كما وعدهم بالافراج عن جميــع الشــيوعيين قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٦ •

وعرض موقفه بعد ذلك فى قضية السودان ، ونقد نفسه نقدا ذاتيا لاضــطراره الى السير بأســلوب حكام ما قبل الثورة ، أى دفع النقود للزعماء وتردى الحال بعد ذلك حتى فى صفوف حزب الوطنى الاتحادى ، ومع اسماعيل الازهرى خاصة •

ثم انتقل الى الحديث عن (الحزب الشيوعى السودانى) •• وقال أننــا تجنبناه لموقفنــا من الشيوعية فى مصر •• وأنه كان فى التأييــد والمعارضة حزبا مبدئيا شريفا •• وأنه على حد تعبيره (حزب حقيقى وجاد وغير ملوث) •

وقال لهم صلاح سالم انه عندما اتصــــل بالشهيدين عبد الخالق والشفيع وعرض عليهما مســاعدات فى حدود العمل الوطنى مثل اقامة السرادقات أو الامداد ببعض الأموال ، رفضوا بشدة •

وقال صلاح سالم انه تدور فى صفوف الحزب مناقشة حول الموقف فى مصر ويتارجح الرأى بين التأييد والمعارضة ، وموقف الحكومة المصرية من الشيوعيين المصريين يلعب دورا كبيرا فى ترجيح جانب على آخر •• وأنه لو تحول الموقف داخل قيادة الحزب الى التأييد فان هذا قد يخرج الموقف فى السودان من دائرة اليأس •• ولم يخف صلاح سالم مرارته ويأسه نتيجة تغير موقف الأزهرى •

وصارحهم بأنه استأذن مجلس القيادة فى الاتصــال بهم فوافقوا وأنه يطلب منهم اذا اقتنعوا بصدق تحليله السياسى فانهم عندئذ يصبحون مطالبين بالسفر الى السودان لاقناع قيادة الحزب هناك بتأييد القاهرة وخط الاتحاد مع مصر •

وتداول الأربعة على جانب ووجدوا أنه لابد من شيئين : الاستيثاق من حديث صلاح سالم ، والاتصال بزملائهم الهاربين خارج المعتقل •

واتفق صلاح سالم معهم على الخروج لفترة محدودة مدتها أسبوع يعودون بعدها الى مكتبه •

ولكن الأربعة لم يعودوا الى مكتب صـلاح سالم •• لأن الصحف نشرت في اليوم الخامس للمقابلة خبر استقالته واعتكافه فى منزله •

ولم تكن استقالة صلاح سالم مفاجأة للقريبين من مجلس القيادة ، فان سياسة صلاح سالم في السودان كانت موضع خلافات ومناقشـات داخل المجلس ، وحدوث حريق اشتعل فى الجنوب بتدبير من الاستعمار ومطالبة صلاح سالم بأن تطلق يده فى العمل بصورة كاملة •

وقد حدث نوع من التحقيق مع صلاح سالم فى تدهور العلاقة بين مصر والسودان فى مارس ١٩٥٥ ، ولكن صلاح كان عنيفا فى مناقشاته وسفه آراء بعض الذين اشتركوا فى المناقشة من غير علم كاف • وانتهى حديثه بتقديم استقالته •• ولكن المجلس لم يقبل الاستقالة •

وسافر صلاح سـالم ضـمن الوفد المصرى الى باندونج والخلاف يثقل صدره ، ومعاملة جمال عبد الناصر له يتسرب اليها البرود •

وكان صلاح سالم فى وقت من الأوقات وبقوة اندفاعه وحيويته ، وبموقفه كوزير للارشاد ، وبقدرته على تلوين الحديث ، يتطلع الى رئاسة جمهورية الاتحاد •• ولم يكن ينظر الى جمال عبد الناصر كمنافس له وانما كان يخشى منافسة نجيب فى الاستفتاء •

ولكن هـذه التطلعات سواء كانت حقيقية أو غير حقيقية ، تلاشت وذبلت بعد اقالة محمد نجيب •• وبدأ صلاح سالم نفســه يتعرض لهجمات زملائه • بل وبعض ضباط الصف الثانى ، وهو الذى كان عنيفا فى هجومه على محمد نجيب •

وبدأ مجلس القيادة يحاصر صلاح سالم •• وخاصة بعد اتصاله بالشيوعيين المصريين :

زكريا محيى الدين قال ان الفريق الذى يعتمد عليه صلاح سالم ليس هو القوة الأساسية فى السودان •

وجمال عبد الناصر انتقد سياسة التعامل مع الزعماء السودانيين بأسلوب غلبت عليه روح المنفعة الذاتية •

وحسين ذو الفقار صبرى اضطر الى مسايرة حزب الأمة لينقـــذ ما يمكن انقاذه ٠

ووصل الخلاف الى ذروته عندما تصـــادم صلاح سالم مع جمال عبد الناصر ٠٠ ولم يستطع صلاح أن يجتذب زملاءه الى صفه لانفراده بالعمل طوال الفترة الماضية وسخريته من بعضهم وتفوق جمال عبد الناصر فى قدرته على اقناع زملائه برأيه ٠

وقدم صلاح سالم استقالته للمرة الثانية فى سبتمبر ١٩٥٥ متصورا أنها لن تقبل مثل استقالته السابقة ، ولكن المجلس قبلها فورا ، وكان شقيقه جمال سالم وقتها فى زيارة خارج مصر ٠

الفصل الثالث

الاستقلال .. وانقلاب الجنرالات

(اصبح السودان رجل افريقيا المريض)
احمـــد سيكوتورى

وطويت صفحة صلاح سالم أيضا فى تاريخ علاقات مصر والسودان بعد أن طويت صفحة محمد نجيب .. وتولى زكريا محيى الدين مسئولية السودان .. ونقل محمد أبو نار الى وزارة الخارجية حيث عمل مديرا للادارة الافريقية لشئون السودان .

وأصبح واضحا بعد خلع صلاح سالم من موقعه أن الموقف السياسى بين القاهرة والخرطوم قد فقد كثيرا من نشاطه ، وأنه دخل مرحلة جديدة تبدد منها الأمل فى انتهاء فترة الإنتقال الى ظهور الإتحاد بين دولتى وادى النيل القريبتين .

.. وبعد أن أخذت اجراءات السودنة مداها ، وأوشكت ثلاث سنوات الاتفاق على النهاية ، أبلغت الحكومة السودانية برئاسة الأزهرى حكومتى مصر وبريطانيا برغبة الجمعية التاسيسية وطالبت بسحب جيش الاحتلال لاجراء الاستفتاء (فى جو حر محايد) .

وحدثت انتفاضة فى الجنوب ضد القوات الشمالية هناك فى

١٨ أغسطس ١٩٥٥ قتل فيها ٣٠٠ شخص من الطرفين ، وكانت الحركة نتيجة الدعاية المصاحبة لجلاء القوات البريطانية وخوف الجنوبيين من ذلك٠

سحبت بريطانيا جيوشها فى أواخر أغسطس وسحبت مصر جيوشها ، وتركت كل الأسلحة الثقيلة التى كانت تخص جيشها فى السودان وتم الجلاء فعلا فى نوفمبر ١٩٥٥ ٠

ووجدت حكومة السودان بعد الجلاء أن الأمر لا يحتاج الى استفتاء بشأن تشكيل الحكم بعد اتفاق كل الأطراف الحاكمة على معارضة الاتحاد ٠٠ وأعلنت قيام الجمهورية السودانية فى ١٩ ديسمبر ١٩٥٥ وتشكيل مجلس سيادة لرئاسة الدولة ٠

وهكذا تم استقلال السودان وجلاء قوات الاحتلال نهائيا بعد ١٣٤ عاما من حكم أجنبى متصل ٠

ولم يجد مجلس قيادة الثورة فى مصر فرصة للمطالبة باتمام الاستفتاء ٠٠ وأعلن استقلال السودان رسميا فى أول يناير ١٩٥٦ ٠ وذهب صلاح سالم الى هناك مدعوا كشخص عادى ، ورفض الأزهرى اقتراحا بقبوله أول سفير مصرى هناك ٠

وكان اعلان الاستقلال ايذانا ببدء صراع جديد داخل السودان ، صراع اجتماعى سياسى ٠

وكان مجلس قيادة الثورة فى مصر قد اتخذ موقف الحرص على عدم التدخل فى شئون السودان الداخلية ٠٠ وتحول جموح صلاح سالم واندفاعه فى ميدان العمل السياسى الى تحفظ من زكريا محيى الدين ٠

وعين اللواء سيف اليزل خليفة سفيرا فى السودان وهو من الضباط الذين خرجوا من الجيش مع ثورة يوليو ، ولم يكن له ماض سياسى ٠٠ واشتهر عنه حرصه على المجاملة فى المناسبات الاجتماعية الأمر الذى جعله يمارس منصبه بلا حساسيات ٠

واعتمد زكريا محيى الدين على الملحق العسكرى على خشبة ليكون وسيلته فى الحركة السياسية هناك ٠

وبدأ السودان الاستقلال بأحزاب ايديولوجيتها تعبير عن الطبقة البرجوازية التى كونتها من الذين أتيحت لهم فرصة التعليم ، وبذرت فى نفوسهم التطلعات الذاتية ٠

ولم يستمر الحزب الوطنى الاتحادى منفردا بالحكم فقد تشكلت حكومة التلافية من الحزبين المتنافرين أصلا ٠٠ الأمة والشعب

الديموقراطى ، فى ٥ يوليو ١٩٥٦ برئاســة عبد الله خليل الضـابط السودانى السابق وقطب حزب الأمة ٠

وقد عاصرت هذه الحكومة أحداثا بارزة فى مصر ٠٠ فقد أعلن جمال عبد الناصر تأميم القناة فى ٢٦ يوليو ، وفشل العدوان الثلاثى واضطرت قواته للانسـحاب ، وانتصرت حركة الجيش فى معركة رفض الأحـلاف العسكرية الغربية ، وعقدت صفقة الأسلحة التى كسرت احتكار السلاح ورفضت مشروع أيزنهاور عام ١٩٥٧ لملء الفراغ ، وتحسنت العـلاقات الاقتصادية بين مصر والدول الاشتراكية ٠

سنوات صعود ثابتة نحو التقدم وصلت الذروة باعلان الوحدة بين مصر وسوريا فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ وظهور الجمهورية العربية المتحدة ٠

ولم يواكب هذه الانتصارات الوطنية انجازات فى السودان ، وكما عجزت حـــكومة الوطنى الاتحادى عن تحقيق الوحدة الوطنية ، فشلت الوزارة الائتلافية الثانية فى اشعار المواطنين باهمية الاستقلال ، وفتحت أبواب السودان للاستعمار الجديد ، وخضعت خضـــوعا واضحا للنفوذ الأمريكى المتربص بالمنطقة ، والذى أبدى اهتمــاما بالســودان من قبل الثورة ، وأرسل اليها بعثة أمريكية فى أوائل عام ١٩٥٢ فى وقت لم يكن سهلا على أية بعثة أجنبية دخول أرضه بدعوى (بحث مشكلة السودان) ٠

ولم تكن مصر بعيدة عن هذه الاتجاهات ٠

وخلال فترة الاستفتاء على الوحدة وقعت أزمة شديدة بين حكومة مصر وحكومة السودان حول الحدود الفاصلة بين البلدين ، فقد تصادف أن كان استفتاء الوحـدة يوم ٢٢ فبراير ١٩٥٨ والتخابات البرلمـــان الســودانى الجديد يوم ٢٧ فبراير ٠٠ وأرسلت مصر لجنة لأخـذ رأى المواطنين فى منطقة حلايب تحرسها قوة عســكرية صـغيرة ، واحتجت حكومة السودان ، ووصل الأمر الى حد رفع القضية الى مجلس الأمن يوم ٢٠ فبراير ولكنه لم يتخذ قرارا لأن مسألة الحدود بين الدولتين لم تكن محل خلاف من قبل ولم يكن الحديث حولها حادا مطلقا ٠

ولما وجد جمال عبد الناصر أن موقف الحكومة السودانية قد وصل الى هذه الدرجة من التردى لم يتجاوب معها فى العنف والصدام ، وآثر أن يسحب اللجنة والقوة العسكرية ويفوت على الحكومة السودانية هدفها من اشعال نيران الكراهية ضد مصر فى المظاهرات التى أطلقها حزب الأمة فى شوارع الخرطوم ٠

ونتيجة لهذه الاثارة المتعمدة حصل حزب الأمة المعادى لمصر القريب

من البريطانيين والأمريكيين على ٧١ مقعدا من ١٧٣ بينما حصل الوطنى الاتحادى على ٤٤ مقعدا ٠

ونتيجة لذلك أيضا فأن حكومة القاهرة عندما أرسلت على خشبة الملحق العسكرى السابق ليعمل مستشارا مدنيا بعد نقله لوزارة الخارجية فى أول ١٩٥٨ طردته الحكومة السودانية بعد أربعة أيام من وصوله ٠

ويقول زكريا محيى الدين ان مصر قد مضغت الصبر ولم تتخذ اجراء مضادا يزيد من التهاب الموقف ٠٠ وكانت صلة زكريا بالسودان لم تنقطع ، ولو أنه يثير تحفظا مضمونه أنه كان يباشر مسئوليته بدافع التكليف القديم ، وليس نتيجة تنظيم ثابت مستقر ٠٠ والواقع أن استمرار بعض أعضاء مجلس القيادة فى مباشرة بعض مسئولياتهم القديمة دون ربط ذلك فى اطار تنظيم سليم كان يشكل أحيانا ازدواجية تعرقل العمل ولا تسمح بتخطيط سليم ، كما كان يضع بعض المهمات الكبيرة فى يد فرد واحد بعيدا عن المناقشة الجماعية فى حدود المسئولية الوزارية ٠

ولذا تضاربت الآراء والاتجاهات ٠٠ واعتبر كل من زكريا محيى الدين وحسين ذو الفقار صبرى أن صلاح سالم كان يلعب على أحصنة خاسرة ، وخاصة بعد اتصاله بالشيوعيين ٠

ولكن جمال عبد الناصر الذى تابع موقف زعماء حزب الأمة تاريخيا ، وبعد الثورة وعقب حادث حلايب لم يكن مستريحا لوجود وزارة عبد الله خليل الائتلافية فى الحكم ، وكان يعتقد أنه يمكن تشكيل ائتلاف جديد فى السودان يخلق نوعا من التناسق مع سياسة مصر التقدمية ٠

والتقى جمال عبد الناصر فى القاهرة باسماعيل الأزهرى والشيخ على عبد الرحمن بحضور زكريا محيى الدين فى محاولة لتغيير الائتلاف لينضم حزب الوطنى الاتحادى مع الشعب الديموقراطى ويعود حزب الأمة للمعارضة من جديد ٠٠ وبلغ يوسف التنى سفير السودان فى القاهرة وعضو حزب الأمة خبر هذا اللقاء فبادر الى ابلاغ عبد الله خليل رئيس الوزراء ٠

ولم يجد عبد الله خليل أمامه سوى تسليم الحكم للعسكريين حتى لا يضع حزبه فى حصار العزلة ، ويقضى على كل محاولة ديموقراطية تقلب الشعب ضد اتجاهاته ٠٠ ولا شك أنه قد نسق ذلك مع الأمريكيين أصحاب النفوذ المتزايد ، وعبد الله خليل ضابط سابق فى القوات

السودانية بالجيش المصرى حارب تحت قيادة الضباط البريطانيين فى الحرب العالمية الثانية ·

وكانت المعارضة الشعبية لحكومة عبد الله خليل قد زادت الى الدرجة التى احتشدت فيها الجماهير الثورية خارج البرلمان للضغط على أعضائه من أجل الغاء المعونة الأمريكية المتسللة بالنفوذ الامبريالى · وخاصة بعد نجاح الاضراب التاريخى الذى دعا اليه اتحاد نقابات العمال يوم ٢١ أكتوبر ·

وفجاة ·· وفى اليوم المحدد لاجتماع البرلمان السودانى تخلى عبد الله خليل عن الحكم لكبار ضباط الجيش ، بعد أن اكتشف أن عددا من نواب حزب الأمة كانوا قد اقتربوا من الخط الوطنى وكانوا سيصوتون ضد حكومته من أجل اقامة حكومة ائتلافية جديدة ·

تسلم كبار ضباط الجيش السلطة ·· واتخذت العملية صورة انقلاب عسكرى ، فقد أصدر رئيس أركان الحرب اللواء ابراهيم عبود أمرا بدخول بعض الوحدات الى العاصمة يوم ١٦/١٧ نوفمبر واستولت على مبانى الوزارات والمنشآت الحيوية ، ووضعت الوزارة فى الاعتقال · وأعلن اللواء ابراهيم عبود بيان رقم (١) صباح يوم ١٧ نوفمبر يقول فيه : ان الجيش قد تدخل ليضع حدا لحالة الفوضى التى تجتاح البلاد ·

وظهر الأمر فى صورة انقلاب عسكرى جديد ·· وأصدر الحزب بيانا فى ١٨ نوفمبر جاء فيه (أحس الاستعماريون والرجعيون بالخطر المحدق بمصالحهم وخشوا أن تسير البلد فى خطوات جريئة نحو بناء الديموقراطية وتأسيس نظام برلمانى ديموقراطى على أسس سليمة ، وعند هذا سلم عبد الله خليل – بالتعاون مع الاستعماريين الأمريكان والانجليز – السلطة للقيادة الرجعية فى الجيش بهدف المحافظة على كل المصالح الاستعمارية ووقف التطور الديموقراطى فى البلاد : هذا هو انقلاب ١٧ نوفمبر الرجعى) ·

ولم تلبث الحقيقة أن تكشفت ·· أعلن عبد الله خليل أنه كان يعرف أخبار الانقلاب ·· وأنكر اللواء ابراهيم عبود ذلك محاولا الاحتفاظ للانقلاب بهيبته ·· ولكن الرجل الثانى ، اللواء أحمد عبد الوهاب كتب فيما بعد قائلا : (اننا لم نفعل بوحى من أحد ، حتى عبد الله خليل نفسه فانه لم يكن يعلم بتشكيل حكومة الانقلاب ولم يشترك حتى فى الحديث عنها ·· ولكن لما يتمتع به من مكانة واحترام فى قلوب أبنائه الضباط كان يعلم بالانقلاب وأن الوقت مناسب جدا فباركه وكل ما قاله : ربنا يوفقكم) ·

الانقلاب السودانى كان مثالا على الانقلابات الرجعية التى يلجأ الى قبضتها العنيفة أى نظام تفسخت أوصاله وتهاوت دعائمه وأصبح معرضا للانحراف فى طوفان ثورة شعبية .. وقد قال اللواء أحمد عبد الوهاب أيضا : (ان ما حدث كان انقلابا لا ثورة لسبب واحد هو أنه لم يكن هناك ما يدعو للثورة) .

رئيس الوزراء يعلم بالانقلاب الذى هو تمرد على الدستور والسلطة الشرعية ثم لا يفعل شيئا سوى مباركته والدعوة لقادته بالتوفيق .

عملية تسليم وتسلم غيرت شكل المجتمع السودانى فورا بعد قرارات عنيفة صاحبت انتقال السلطة الى المجلس الأعلى للقوات المسلحة :

أولا : حل جميع الأحزاب السياسية .

ثانيا : منع الاجتماعات والتجمعات والمواكب والمظاهرات فى جميع أنحاء السودان .

ثالثا : وقف صدور الصحف الى أن يصدر بذلك أمر من وزير الداخلية .

وفى نفس اليوم صدر ما سمى بالأمر الدستورى رقم (١) الذى يعلن الأحكام العرفية فى البلاد ، ثم الأمر الدستورى رقم (٢) الذى يقضى بايقاف العمل بدستور السودان وحل البرلمان السودانى اعتبارا من ١٧ نوفمبر .

وتشكلت الوزارة السودانية من ١٢ عضوا ستة منهم من العسكريين أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، ولوحظ أن معظم المدنيين منهم كانوا من الأنصار أو من المقربين اليهم ، كما أن بعض العسكريين من ضباط المجلس الأعلى كانوا قريبين من الوطنى الاتحادى وكأنما أراد عبود وسادته من الامبرياليين توفير نوع من التوازن السياسى الذى يضمن تهدئة الأحوال فى صفوف القوى الطائفية والسياسية .

وفى الأسبوع الأول للحكم العسكرى صدر قانون دفاع السودان ، ولائحة دفاع السودان .

والوثيقة الأولى تتيح توقيع عقوبة الاعدام والسجن الطويل (لكل من يعمل على تكوين أحزاب أو يدعو الى اضراب أو يعمل على اسقاط الحكومة أو يبث الكراهية ضدها) والوثيقة الثانية تتيح لوزير الداخلية فرض الرقابة على الصحف والبريد والمطبوعات واعلان حظر التجول ومنع السفر .

وبعد ذلك حلت كافة التنظيمات .. حتى مجالس ادارة الأنـــدية الرياضية .

جو كئيب يزحف على السودان فى وقت كانت الحياة فيه تشرق على مصر بانتصارات وطنية وقومية كبيرة .

ولم تجـد مصر سبيلا الا الاعتراف بحكومة عبود وابقاء السفير سيف اليزل خليفة فى منصبه فهو جنرال مصرى يمكن أن يتفاهم مع الجنرالات السودانيين الذين أعلنوا أن ما حدث بين البلدين كان جفوة خلقها السادة المدنيون .

ومع ذلك لم تسر الحرارة فى أوصال العلاقات بين البلدين .

انقلابات مضـــادة :

الانقلابات العسكرية فى مصر وسوريا والعراق كانت تملك منـذ لحظتها الأولى بعض ما يمكن أن تدين به النظام المنهار وتلوث سمعته .. ولكن الأمر فى السودان كان يختلف ، فان الشعب السودانى لم يكن قد نسى ـ خلال أزمة اقتصادية امتدت ثلاث سنوات بعد الاستقلال ـ نضال الزعماء الذين حصلوا على الاستقلال بعد نضـــال طويل ... والحـكم البرلمانى رغم أخطائه والحرافات بعض المسئولين فيـــه لم يكن قد قدم حججا كافية يمكن أن تدينه وتجعل منه نظاما معاديا للجماهير .

النظام السابق الذى ورثه الحكم العسكرى لم يتجاوز عمره ثلاث سنوات فقط ، وضـــباط الجيش لم تجتمع كلمتهم على معـــاداة أمور واضحة ... ولذا بدأت الخلافات ووجهات النظر المتباينة تظهر مبكرا فى صفوف الجيش .. بل وبين أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة .

بعد أيام قليلة من الانقلاب .. وبالتحديد يوم ٢٩ نوفمبر أصـدر مجلس الوزراء قرارا جاء فيه أن اللجنة التى كونهـــا المجلس قد رأت باجماع الآراء (أنه لا يوجد فى اتفاقيـــة المعونة الأمريكيـة ما يحد من استقلال السودان أو يخدش كرامته وانهـا كانت لســوء الحظ هدفا للمناورات الحزبية فى الماضى) .

ويعيب المجلس أيضا على البرلمان المنحل تحديده لمجالات نشاطهـا فيصدر قراره بعودتها دون تحديد للميادين التى تنشط فيها .

وقد أثر هـــذا القرار المتعجل وغـيره من القرارات التى تكرس الديكتاتورية العسكرية ـ على عدد من الضباط الوطنيين فى الجيش فهبت فى ٤ مارس ١٩٥٩ وحدات من الجيش بقيادة الاميرالاى عبد الرحيم محمد

نجير شنان قائد المنطقة الشمالية ، والاميرالاى محيى الدين أحمد عبد الله قائد المنطقة الشرقية ومعهما الصاغ محمد أبو الدهب والبكباشي حسن ادريس وتحركت مطالبة بحل المجلس الأعلى الحاكم واطلاق سراح المسجونين السياسيين وعودة بعض الضباط المحالين الى الاستيداع بعد محاصرة بيت عبود واعتقال ثلاثة من أعضاء المجلس الأعلى .

وانتهت أزمة ٤ مارس الى خروج اللواء أحمد عبد الوهاب الذى دبر الانقلاب ، واعادة تشكيل المجلس الأعلى للقوات المسلحة بادخال عبد الرحيم شنان ومحيى الدين أحمد عبد الله والمقبول الأمين الحاج واخراج خمسة آخرين هم عوض عبد الرحمن ومحمد نصر عثمان وحسين على كرار ومحمد أحمد الخواص ومحمد أحمد التيجانى .

منحت الحكومة اللواء أحمد عبد الوهاب أرضا مساحتها ٣٠٠٠ فدان بعد خروجه من المجلس الى المعاش .

وتشكلت وزارة جديدة يوم ٩ مارس من ١٥ وزيرا ، عشرة منهم هم الأعضاء الذين بقى المجلس الأعلى مشكلا منهم (الوزارة السابقة كانت ١٢ وزيرا منهم ٦ ضباط فقط) .

استقبل الشعب السودانى انتفاضة ٤ مارس استقبالا طيبا ، ورغم أنها لم تصل الى نتائجها المنطقية فى توفير حكم وطنى فى البلاد وارجاع حقوق الشعب الديمقراطية الا أن الطريق قد أصبح مفتوحا للشعب السودانى والعناصر الوطنية فى الجيش التى عاد بعضها من الاستيداع الذى أحيلت اليه عام ١٩٥٧ .

وحاول الاميرالاى عبد الرحيم شنان تكملة ما بدأه فى ٤ مارس يوم ٢٢ مايو ولكن محاولته فشلت ، وانتهز عبود وقادة الانقلاب الرجعى الفرصة فقاموا بعمليات اعتقال واسعة داخل الجيش وخارجه ، وقدموا عددا من الضباط الى المحاكمة العسكرية فى أول يوليو انتهت الى أحكام مدتها ١٥٠ عاما على عشرة ضباط ... المؤبد على عضوى المجلس الأعلى المتضمنين فى مارس : الاميرالاى عبد الرحيم شنان والاميرالاى محيى الدين عبد الله وعلى كل من البكباشية حسن ادريس وعبد الحفيظ شنان ومحمد على السيد والصاغ أحمد أبو الدهب والسجن ١٥ عاما على اليوزباشى محجوب بابكر سوار دهب وطرد ١٧ ضابطا من الجيش ، وسجن المحامى رشيد طاهر بكر ٥ سنوات .

وخلال هذه المحاكمات ظهرت علامات الشجاعة على الضباط وكشفت أيضا بعض الأسرار ، منها ما قاله الاميرالاى عبد الرحيم شنان من أن تدبيره للانقلاب كان نتيجة للقائه مع خبراء أمريكيين يدرسون اقامة قاعدة

أمريكية في منطقة حلايب قريبا من حدود مصر الجنوبية وذلك أثناء قيادته لمنطقة شمال السودان ، وكشف أيضا ما قاله عبد الله خليل بعد انقلاب ١٧ نوفمبر (عندما سلمت الحكم للرئيس عبود كنت مطمئنا اليه) .

وعدد البكباشي عبد الحفيظ شنان أخطاء الحكم العسكري واضطهاد السلطات للقوى الشعبية من العمال والمثقفين والمزارعين ... أثناء دفاعه عن نفسه ، الأمر الذي أوضح وعى هؤلاء الضباط سياسيا وثقافيا .

وانتهز عبود وأعضاء المجلس الأعلى وخاصة حسين بشير قائد الجيش فرصة فشل محاولة ٢٢ مايو فضاعفوا ارهابهم واعتقالهم المواطنين الذى كان قد بدأ في يناير ١٩٥٩ بمحاكمة الشهيد المناضل الشيخ أحمد الشيخ سكرتير اتحاد نقابات عمال السودان وعضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي بمجلس عسكري وحكم عليه بالسجن خمس سنوات ومعه أيضا عدد من القادة النقابيين .

اعتقل عدد من قادة الحزب الشيوعي السوداني في معسكر (ناجيشوط) وهو على قمة جبل ارتفاعه أكثر من ٦٥٠٠ قدم وجوه شديد الرطوبة ... وكان من بين المعتقلين الدكتور عز الدين على عامر وجوزيف جرنجر والمحامي أحمد سليمان وكانوا أعضاء في المكتب السياسي للحزب ولم يفرج عنهم الا بعد اضرابهم عن الطعام في أكتوبر ١٩٥٩ .

ولم تحل المحاكمات العسكرية دون نشاط العناصر الوطنية داخل الجيش .

وكان الضباط خلال هذه المرحلة يتجهون الى قادة الحزب الشيوعي سرا لمناقشتهم والتعرف على آرائهم . ذلك أنه كان هو الحزب الوحيد الذى بقى يناضل الحكم العسكري ، ويربط بين الشعب والعناصر الوطنية في الجيش ، ويؤيد حركة ٤ مارس ويقاوم محاكمات مايو بالمقالات في مجلاته السرية والمنشورات أيضا .

وفي نوفمبر تجمع عدد من الضباط الثائرين ومعهم عدد من الضباط أصحاب الاتجاهات التقدمية . ودبروا خطة انقلاب بدأت في مدرسة المشاة بأم درمان ... وقد قال لى المحامي أحمد سليمان عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي في ذلك الوقت أنهم اتصلوا به لعجزهم عن الاتصال بقادة الحزب المختفين ، وأخذوا رأيه فوافقهم في تسرع لا يتناسب مع الفكر الماركسي الذى يعادى الانقلابات العسكرية مهما كان نوعها ويؤيد تسبح الحركة الشعبية الديمقراطية بالعناصر الوطنية التقدمية داخل الجيش حتى يكون فصيلة من فصائل الشعب وليس قوة تفرض عليه وجودها بقوة السلاح من أعلى .

نصيحة المحامى أحمد سليمان المتعجلة أدت الى كارثة فشل المحاولة رغم نجاح خطوتها الأولى وأعدم خمسة من شباب الضباط هم الطيار الصادق محمد والبكباشى يعقوب كبيرة والبكباشى على حامد والصاغ عبد البديع على كرار واليوزباشى عبد الحميد عبد الماجد .

وأعدم الضباط شنقا رغم مخالفة ذلك لتقاليد الجيش خوفا من عصيان الجنود لتنفيذ الأوامر .

وحكم بالسجن المؤبد على الصاغ عبد الرحمن كبيرة والملازم ثانى محمد محجوب عثمان وطرد عدد من ضباط القوات المسلحة .

وبقيت انتفاضة ٤ مارس ، ١٠ نوفمبر موضعا لاحتفال وتقدير الوطنيين فى السودان كرمز على مقاومة الديكتاتورية العسكرية .

الرجل العربى فى افريقيا :

ورغم أن حكام مصر خلال هذه الفترة كانوا من العسكريين أصلا ، ورغم أن جمال عبد الناصر كان قد جنح الى مهاجمة الشيوعيين واعتقالهم فى أول يناير ١٩٥٩ ... الا أن ذلك لم يخلق بين البلدين علاقات وثيقة .

كان رجال الانقلاب فى السودان حريصين على الابتعاد عن النظام المصرى وعدم التورط فى مشاكل تضعف من كيانهم الداخلى .

عندما بدأت دراسات السد العالى توصل زكريا محيى الدين مع حكومة السودان فى نوفمبر ١٩٥٩ الى اتفاقية المياه دون مشاكل تهز محاولتهم للاستقرار الداخلى ، وتعتبر اتفاقية مثالية للاتفاق السلمى على مشاكل معقدة تركها الاستعمار البريطانى بعد اتفاقية مياه ١٩٢٩ التى عقدت بين البلدين بوساطة بريطانيين يمثلون الجانبين .

وافقت حكومة عبود على الحصول على ١٥ مليون جنيه تعويضا عن خسائر طغيان المياه على أرض حلفا بدلا من ٣٥ مليون جنيه كانت تطالب بها حكومة عبد الله خليل ... ووافقت على أن يكون للسودان ١٨٫٥ مليار متر مكعب . وكانت سياسة مصر منذ الانقلاب تميل الى التحفظ المطلق واعتبار السودان أرضا بيضاء فى الساحة العربية .. وكادت تخلو الصحف المصرية من أية اشارة هامة الى أنباء السودان .

وكان حكام السودان فيما يبدو سعداء بعزلتهم الشديدة التى تمثلت فى عدة مظاهر هامة منها أن السودان لم يكن ممثلا فى مؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى ، ولا فى اتحاد العمال العرب ، واعتذر كثيرا من عدم الاشتراك فى المؤتمرات العربية .

كتمت حكومة الجنرالات وجه السودان العربى ، فأخفت حقيقته .
قال طلعت فريد وزير الاعلام السودانى فى مؤتمر صحفى عقد فى فبراير ١٩٥٩ (لا معنى لأن تهاجم صحافتنا فرنسا ... فكما تقتل فرنسا الجزائريين ، فان الجزائريين يقتلون الفرنسيين .. ولذا فان وفود الحكومة الجزائرية زارت كل الدول العربية عدا سودان عبود) .

ومنعت حكومة عبود الطائرات العربية من النزول فى بورسودان لمساعدة الثورة اليمنية ، بينما فتحت الميناء للأسطول البريطانى .

ورفضت مرور القوات المصرية الى الكونغو لمساعدة لومومبا كما رفضت امداده بالأغذية ، حتى اتهم الشعب السودانى أعضاء المجلس الأعلى بأنهم قتلة لومومبا .

وأكدت صحيفة الواشنطون بوست الأمريكية ذلك فى عددها ٦ أكتوبر ١٩٦٠ عندما ذكرت أن السودان رفض السماح بحق الطيران فوق سمائه أو الهبوط فى أرضه لشحنات الامدادات السوفيتية .

وأرسل أحمد خير وزير خارجية الانقلاب مذكرة الى السفارة البلجيكية فى الخرطوم (ان حكومة السودان لا تقر الفوضى وعدم احترام القانون وستعمل على اعادة الأمور فى نصابها) ... وكان اللواء حسن بشير قد أدلى بتصريح فى لندن يشكو فيه حكومة الجمهورية العربية المتحدة لأنها تضغط على السودان ليسمح لها بارسال المساعدات .

ويكمل ميتن ويليمز وكيل الخارجية الأمريكية لشئون افريقيا صورة الأحداث بتصريح فى مطار الخرطوم يوم ١٧ فبراير ١٩٦١ بقوله (ان حكومة السودان قد بذلت جهدا شاقا لتحول دون عبور الأسلحة الى الكونغو) .

وقام عبود بزيارة للولايات المتحدة وألمانيا الغربية وبريطانيا ...

وقال كنيدى وهو يستقبل عبود فى أكتوبر ١٩٦١ بعد أيام قليلة من انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة : (الرئيس عبود هو أحد الرجال الأقوياء الذين يظهرون على مسرح السياسة الافريقية) ..

وأضاف مادحا موقف السودان فى منع المعونات عن ثوار الكونغو قائلا (لقد لعب السودان خلال عام ١٩٦١ وخاصة فى الشتاء والربيع دورا هاما وبارزا فى المحافظة على الحرية فى أفريقيا) .

وكان اللواء عبود قد سبق أن أرسل برقية الى ايزنهاور بمناسبة يوم الجيش الأمريكى عام ١٩٥٩ يقول فيها (ان السودان كجزء من العالم

الحر يهنىء بهذه المناسبة القوات التى تعمل حقيقة من أجل السلم والحرية) .

وهكذا توثقت العلاقات بين قادة الحكم العسكرى والدول الغربية ، مما دفعهم الى اتخاذ مواقف غير وطنية ، عندما لم يسمحوا للطائرات المصرية عامى ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ بالهبوط فى بورسودان لمساعدة الثوار فى جنوب اليمن بينما فتحوا ميناء المدينة لقطع من الأسطول البريطانى وسمحوا للطائرات البريطانية بالتزود بالوقود والتموين وهى متجهة لضرب الثوار اليمنيين .

ومع ذلك فان نظام عبود رغم أنه عسكرى ومتعاون مع الدول الغربية فانه لم يرفع ميزانية الجيش ولم يعمل على تقويته وظل على ما كان عليه قبل الإستقلال بلا تسليح حديث ... وبدأ الفرق يزداد ويتسع بشكل واضح بينه وبين الجيش المصرى بعد التسليح السوفيتى .

كان الجيش السودانى ١٢,٠٠٠ جندى عام ١٩٥٨ لم يزد سنوى ٣٠٠ خلال فترة الانقلاب ... وللمقارنة فانه رغم أن السودان نصف سكان مصر الا أن جيشه بعد الانقلاب لم يكن يصل الى ١٠٪ من عدد الجيش المصرى .

لم يكن من أهداف انقلاب الجنرالات تكوين جيش وطنى .

ولذا لم يكن غريبا أن يشتهر السودان بين الشعوب الافريقية بكلمة سيكوتورى زعيم غينيا (الرجل المريض فى افريقيا) .

المواجهة الشعبية :

المواقف التى اتخذها الحكم العسكرى أدت الى عزلة السودان ، والانهيار الاقتصادى السريع الذى لمس الحياة اليومية للجماهير ، وفتح الأبواب بلا حساب للاستعمار الجديد ، واهدار الديموقراطية اهدارا كاملا ، وملاحقة الوطنيين والأحرار .

كل ذلك كان دافعا لمقاومة هذا النظام والاصرار على اسقاطه من جانب القوى والتنظيمات السياسية ، وتشكلت جبهة وطنية ضمت أحزاب الأمة والوطنى الاتحادى والشيوعيين ، وبدأت خطوات الالتقاء فى صلاة عيد الفطر عام ١٩٦٠ وكان تشكيل هذه الجبهة سابقة سياسية هامة فى كل بلاد منطقة التحرر الوطنى ، اذ لم يسبق الاعتراف بالشيوعيين كقوة سياسية فى أى بلد عربى .. وكان ذلك دليلا على قدرة الشيوعيين السودانيين فى كسب احترام وتأييد القوى الأخرى رغم انتماءاتها القبلية والطائفية .

ويرجع ذلك أساسا الى مقاومتهم للحكم العسكرى منذ اليوم الأول وصلابتهم فى مهاجمة القوانين والقرارات التى قيدت الجماهير وحرمتهم من حرياتهم الديموقراطية .

عندما انعقد المؤتمر الحادى والعشرون للحزب الشيوعى السوفييتى فى فبراير ١٩٥٩ وقف ابراهيم زكريا مندوب الحزب الشيوعى السودانى يدين الديكتاتورية العسكرية ، وكان رد الفعل تصريحا للواء طلعت فريد وزير الاعلام قال فيه (من المؤسف أن ينخدع حزب شيوعى مثل الحزب الشيوعى السوفييتى باكذوبة وجود حزب شيوعى سودانى ، فلا يوجد حزب من هذا النوع فى السودان اطلاقا) .

ويلاحظ أن حزب الشعب الديموقراطى المرتبط بالختمية الطائفية القريبة من مصر نسبيا لم يكن مشتركا فى الجبهة ، وكان متعاونا الى حد ما مع الحكم العسكرى ... وهكذا يوضح موقفه المتأرجح الذى انفصل فيه عن الوطنى الاتحادى ثم ارتبط فى تحالف مع حزب الأمة فى تشكيلة وزارية ، وأخيرا خضع فى هدوء للحكم العسكرى .

ويلاحظ أيضا أن حزب الأمة كان شديد التردد فى الارتباط بالجبهة ، فانه بعد أن توفى السيد عبد الرحمن المهدى فى ٢٤ مارس ١٩٥٩ وتولى امامة الأنصار الصديق المهدى أصدر منشورا بتاريخ ١٨ مايو ١٩٦٠ يقول فيه (لازال السيد الامام سائرا على تاييد الإمام الراحل للوضع الحاضر واننا متعاونون معه على ما يحقق المصلحة العامة للبلاد باذن الله) .

ورغم حظر الأحزاب ومنع صحفها ووضع الصادرة منها تحت الرقابة فقد بدأ نوع من التنسيق العلنى بين أحزاب الجبهة ... وكان الشيوعيون يتكفلون باصدار وتوزيع المنشورات فى كل مناسبة دون توقف .

وفى الأسبوع الأخير من أكتوبر ١٩٦٠ قامت مظاهرات فى حلفا ضد سياسة التهجير الى خشم القربة امتدت الى أنحاء السودان وأظهرت ارادة الجماهير فى مقاومة الحكم العسكرى .

وبعد ذلك بأيام قام جمال عبد الناصر بزيارة السودان بدعوة من ابراهيم عبود ، وكان ذلك موقفا ضروريا بعد عقد اتفاقية المياه مع السودان وهى التى سهلت خطوات بناء السد العالى .

وبدأ جمال عبد الناصر زيارته يوم ١٥ نوفمبر ١٩٦٠ وحاول الحكم العسكرى بوجوده هناك أن يكسب رصيدا حاول به تثبيت قواعد نظامه ..

ولكن الأمر من الوجهة الأخرى أثار نشـاطا سياسيا شـديدا بين القوى التقدمية والوطنية ، فقد خطب جمال عبد الناصر معلنا أن الشعب المصرى يمارس (ثورة سياسية حفزته وتحفزه دائما الى مقاومة الاستعمار بكل صوره باعتباره خطرا داهما يهدد حياة الشعوب فضلا عن حريتها وكرامتها ... ومن عمق هذا الايمان يشـعر شعبنا أن قضية الحرية لا تتجزأ ، ومن ثم فان معاركها الكبرى سواء على أرضه أو أراضى غيره من الشعوب هى فى صميم الأمر معارك كل الشعوب) .

أراد جمال عبد الناصر أن يستثير قضية العزلة السـودانية بقدر ما تسمح به ظروف وتقاليد الضيافة ملمحا الى ثورة الكونغو التى وقف منها قادة الانقلاب موقفا سلبيا لما سبق شرحه قائلا (بهذا القدر شعرنا أن عدوان السويس لم يكن علينـا وحدنا كمـا أن العدوان فى الكونغو لا يهدد شعب الكونغو وحده) .

وتطرق جمال عبد الناصر بعد ذلك دون تردد الى قضـية الثورة الاجتماعية التى قال ان الشعب المصرى يمارسها (ذلك لأن حرية الوطن هى تجميع لحرية المواطنين ، ولا يمكن أن تكون حرية المواطن فى بلـده الا بقيام تكافؤ اجتماعى يمنح الفرصـة المتسـاوية للجميع ويمد خير الأرض الى جميع الأحياء عليها) .

ولم يشأ جمال عبد الناصر أن تنتهى خطبته عند هذه الحدود فقد طعن عزلة السودان طعنة مباشرة بقوله (يمارس شـعبنا اليوم ثورة عربية دفعته وتدفعه دائما الى رفع صـوته ايمانا بالقومية العربية) واستطرد قائلا (هكذا فان شعبنا فى نضاله العنيد من أجل استرجاع حقوق شعب فلسطين انما ناضل من أجل قطعة سليبة من وطنه ، وكذلك يستقر فى ضمائر شعبنا نفس المفهوم ... فى النضال العنيد من أجل حق شعب الجزائر فى وطنه الحر) .

فلسطين والجزائر قضيتان كانتا بعيدتين تمـاما عن تفكير قادة الانقلاب العسكرى ، وتصريحات طلعت فريد التى ذكرتها كانت ما زالت تتردد فى أرجاء السودان .

وختم جمال عبد الناصر خطابه بقوله انه يؤمن بأن شعب الجمهورية العربية المتحدة وشعب السودان سوف يلتقيان فى معارك الكفـاح من أجل أوطان ترفرف عليها أعلام الحرية ، وفى معركة التطور الاجتماعى الذى يمهد له ويحققه تطوير الزراعة والصناعة والخدمات .. وفى معركة القوميـة العربيـة تعبير عن شرف كل وطن عربى واستقلاله ، ودفاع عن كرامة كل وطن عربى وعزته .

قال لى زكريا محيى الدين الذى صاحب جمال عبد الناصر فى رحلته التى حضر فيها احتفالات العيد الأول للثورة وطاف فيها بأرجاء البلاد حتى غادرها يوم ٢٦ نوفمبر أن الشعب السودانى كان يلتهب حماسة لرؤية جمال عبد الناصر وسماع خطبه ٠

ورغم ما كان فى كلماته من بعض العبارات التقليدية التى تفرضها واجبات اللياقة الا أن معانيها وأهدافها السياسية كانت تصل الى قلوب المواطنين فترفع عنها قبضة اليأس وتشعل فيها الأمل ٠

ويؤكد زكريا محيى الدين ان جمال عبد الناصر كان يستهدف من رحلته اثارة المشاعر للجماهير ٠

وقد تحقق ذلك فعلا فلم تكد تمضى عدة أيام على مغادرته الخرطوم عائدا الى مصر حتى نشطت الجبهة وانتهى الرأى عندها الى اعداد مذكرة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٦٠ مرفوعة الى المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، وقعها قادة الأحزاب وعدد من الشخصيات البارزة وطالبوا فيها (مدفوعين بالرغبة الصادقة فى التفاهم والتعاون) بالأسس الآتية :

١ ـ أن يتفرغ الجيش لمهمته الوطنية الأساسية وهى حماية البلاد ٠

٢ ـ تتولى الحكم هيئة قومية انتقالية لتحقق الآتى :

(أ) تمارس سلطات الحكومة فى فترة الانتقال ٠

(ب) تضع التخطيط السليم والأسس الواضحة الديموقراطية فى السودان وعلى ضوء تجارب الماضى ٠

(جـ) تضع قانون انتخابات عادل يجرى الانتخابات لايجاد ممثلى الشعب الذين سيتولون الحكم فى صورته النهائية ليضعوا الدستور ٠

٣ ـ رفع حالة الطوارىء فورا وكفالة حريات المواطنين وضمان حرية الصحافة ليستطيع الشعب أن يعبر عن ارادته فى حرية ولتستطيع الحكومة القومية تحسس رغباته والتجاوب مع اتجاهاته ٠

كان نتيجة هذه المذكرة كما يذكر محمد أحمد محجوب فى كتابه (محاكمة الديموقراطية) حرمان اسماعيل الأزهرى وعبد الله خليل من معاشهما البالغ ١٠٠ جنيه شهريا ٠

هكذا حققت زيارة جمال عبد الناصر خطوة إيجابية فى طريق الوحدة الوطنية والنضال ضد العسكريين ٠

ولما ذهبت المذكرة الأولى بلا صدى وجه قادة جبهة الأحزاب المعارضة مذكرة ثانية في يناير ١٩٦١ ، كانت نتيجتها قيام اتصالات منفردة بين بعض أعضاء المجلس الأعلى (اللواء طلعت فريد وأميرالاي المقبول الأمين) وبين الصديق المهدى فى محاولة للوصول الى نتيجة فيما يتعلق بمستقبل السودان .

ولكن هذه الاتصالات قد انتهت الى غير نتيجة عندما أصر ممثلو المجلس الأعلى أنهم قد استولوا على الحكم بالقوة ، ولن يتركوه الا بالقوة .

ورد الصديق المهدى على ذلك بمذكرة فى ١٢ مارس ١٩٦١ نشرت فى كتاب (ثورة شعب) وجاء فيها أنه (ليس صحيحا أن الجيش قد جاء الى الحكم بالقوة وان هذه حقيقة تاريخية سافرة لا تقبل الجدل) وانتهى الى نفس مطالب مذكرة ٢٩ نوفمبر ١٩٦٠ .

بعد فشل الاتصالات بدأ الحكم العسكرى فى حملة استفزازات ضد الأنصار فجدد فى شهر مايو ١٩٦١ اقامة الصادق المهدى وأحمد المهدى بعد رحلة الى غرب السودان ومنع الأنصار من رفع الاعلام وترديد الأناشيد .

وأرسل الصديق المهدى مذكرة يوم ٢٨ مايو ١٩٦١ الى اللواء ابراهيم عبود يحتج فيها عن ما حدث ، محملا اياه (مسئولية ما قد يترتب على تصريحات الحكومة الاستفزازية ضد الأنصار من فئات الشعب) .

وفى منتصف يونيو ١٩٦١ حدث اضراب شامل لعمال السكة الحديد شكل نقطة انطلاق جديدة فى نضال القوى الثورية وأعقب ذلك محاكمة مناضل شيوعى فى الأبيض وتعرضه للتعذيب واعتقال محاميه .

وبادر زعماء الأحزاب فى ١١ يوليو بارسال برقية الى المجلس الأعلى تدين هذا التصرف وتطالب بتنحى الحكومة وعودة الحياة الديموقراطية .

ووضح للحكومة أن هناك تحفزا شعبيا عاما وأن الجماهير قد وصلت الى درجة كبيرة من السخط فاصدرت قرارها باعتقال ١٢ من زعماء الأحزاب ونفيهم الى جوبا وهم الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب واسماعيل الأزهرى وعبد الله خليل ومحمد احمد المحجوب ومبارك زروق ومحمد أحمد المرضى وابراهيم جبريل وأمين التوم وعبد الله عبد الرحمن نقد الله وعبد الله ميرغنى وعبد الرحمن شاخور وأحمد سليمان .

ويقول محمد أحمد محجوب فى كتابه (محاكمة الديموقراطية) أنه كان ينام فى غرفة واحدة مع عبد الخالق محجوب وعبد الرحمن نقد الله

وأحمد سليمان • وهكذا اجتمع ممثلو الأنصار مع الشيوعيين فى غرفة شديدة الضيق فى جوبا حيث تكاد الأمطار لا تنقطع •

ويقول محمد أحمد محجوب أنه كان قـد بدأ يدرس الماركسـية ويترجم مع الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب كتابا لبليخانوف •

أحدثت هذه الاعتقالات صدى محليا وعالميا واسعا وبادر الشيوعيون فى أم درمان والأبيض بتنظيم مظاهرات حوكم فيها عدد من أعضاء الحزب أمام محاكم عسكرية •

وتوالت البيانات والمنشورات من الجبهة الى أن أضرب الزعمـــاء عن الطعــام بعد ٢٠١ يوم من الاعتقال حتى يتم الافراج عنهم وفزعت الحكومة لذلك وأصدرت قرارها بالافراج عنهم فى اليوم التالى للاضراب عن الطعام مباشرة : ٢٨ يناير ١٩٦٢ •

ارتفعت الروح المعنوية عند الجماهير بعد الافراج عن زعمائهم ، ولكن جبهة الأحزاب المعارضة بدأت تتراجع متأثرة بوفاة الامام الصديق المهدى كما جاء فى كتاب الحزب الشيوعى (ثورة شعب) والتى حدثت يوم ٢ أكتوبر ١٩٦١ أثناء وجود الزعماء فى معتقل جوبا •

وافقت الجبهة صاغرة لقرار الحكومة بالغاء احتفالها بعيد الاستقلال فى أول يناير ١٩٦٢ ، كما وافقت على الغاء الاحتفال الذى قررت اقامته بمناسبة الافراج عن زعمائها •• وركنت الأحزاب الأخرى عدا الحزب الشيوعى الى الهدوء والاستكانة ، مما جعل الحزب الشيوعى لا يجد سبيلا للتغلب على سلبيته الا بالخروج من الجبهة بعد رفضهم الدعوة الى الاضراب السياسى العام •

وانسحب الحزب الشيوعى من تجمع المعارضة فى نهاية عام ١٩٦٢ معبرا عن رأيه فى ضرورة دفع حركة الطبقات الثورية للحد الأقصى عن طريق تجميع كل القوى الوطنية والديموقراطية وتوحيدهـــا فى اتحاد أوثق •

الفصل الرابع

ثورة ٢١ اكتوبر ١٩٦٤

(اول ثورة فى التاريخ ينتصر فيها الشعب الأعزل على انقلاب عسكرى مسلح) .

(ثورة اكتوبر ثورة وطنية مناهضة للاستعمار القديم والحديث ، ويعتمد مستقبلها على مقدرة القوى التى اشعلتها فى التعبير عن ارادتها تعبيرا ديموقراطيا) .

الشهيد المناضل
عبد الخالق محجوب

ثورة ٢١ اكتوبر :

جنحت الأحزاب التقليدية للصمت والاذعان لواقع الحياة ، بينما واصل الحزب الشيوعى نضاله بين مختلف الفئات والطبقات الثورية بما فيهم ضباط القوات المسلحة الذين شكل لهم تنظيما سريا خاصا يشرف عليه سكرتير الحزب الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب .

لم يتهاون الحزب الشيوعي مع الديكتاتورية العسكرية مطلقا ٠٠ وعندما قام بريجنيف وكان رئيسا لاتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية بزيارة السودان ، لم يصدر الحزب الشيوعي بيانا يرحب بالزيارة ، ولكنه أصدر منشورا يهاجم فيه بعنف الحكومة العسكرية ٠

وتبنى الحزب الشيوعي السوداني شعار الاضراب السياسي العام وأصدر مكتبه التنظيمي في أغسطس ١٩٦١ الخطة التنظيمية التي يسير عليها الحزب لتنفيذ الشعار ٠

وأوضح التقرير مضمون هذا الاضراب السياسي العام بهذه الفقرة (انه توقف الجماهير الثورية عن العمل ويتم تنفيذه عندما تصل الجماهير الثورية الى وضع لاتحتمل فيه العيش تحت ظل النظام الراهن) ٠

وترك الحزب توقيت الاضراب (مرهونا بالحدود التي تصل اليها الحركة الجماهيرية الصاعدة) ٠٠ وعن مكانه قال : (قد تكون البداية للطبقة العاملة وقد تكون للطلاب أو الزراع ، وقد تكون البداية في الخرطوم أو عطبرة أو بورسودان أو الجزيرة ٠٠ ليس المهم أو الأمر الجوهري تحديد تبعات الاضراب أو في أى منطقة يبدأ ، وانما الأهم والذي تتطلبه الظروف الراهنة هو الارتقاء بالنضال الجماهيري وتنظيمه ليصل الى نقطة التنفيذ الشاملة) ٠

وخلال فترة الحكم العسكري كانت هناك بعض العناصر تدعو الى الاضراب السياسي قبل نضج الظروف المهيئة لذلك ٠٠ وعلى سبيل المثال تقرر عقد مؤتمر النقابات للعمال السودانيين في أغسطس عام ١٩٦٣ تحت اشراف ضباط الجيش البكباشي محمد عبد الحليم الذي تخرج في الكلية الحربية المصرية وتخرج فيها ضابطا بالمدفعية المضادة للطائرات عام ١٩٤٢ ثم نقل الى القوات السودانية ، والذي عينه الحكم العسكري مديرا لمكتب العمل ، وصاغ قرارات تهاجم الحزب الشيوعي بلا مبرر ٠

وأصدر الحزب بيانا قال فيه : (ان الاستعمار الأمريكي الذي تشرف على مؤامراته بالخرطوم السفارة الأمريكية هو صاحب المصلحة الأولى في قسم الحركة النقابية ٠٠ ان هذا يخدم الأغراض التي من أجلها جاءت المعونة الأمريكية للسيطرة على اقتصاد البلاد واستغلال الأيدي العاملة ، وليس البكباشي محمد عبد الحليم الا أداة في يد القوى الاستعمارية لتنفيذ المؤامرة) ٠

وحاول البعض اثارة فكرة الاضراب السياسي ولكن الحزب الشيوعي عارض ذلك لأنه كان مقدرا له لو تم أن يعود على الحركة بنفس الانتكاسة التي تسبب فيها اضراب عمال السكة الحديد في يوليو ١٩٦٠ ٠٠

ونضجت الظروف للاقتراب من الاضراب السياسى عندما ارتفعت الأسعار ارتفاعا جنونيا ، وبلغ عدد العاطلين المسجلين فى مكاتب الخرطوم ٦٠ الفا فى مدينة لايزيد سكانها عن ثلث مليون ، وارتفعت الضرائب غير المباشرة خلال خمس سنوات الى نسب تتراوح بين ٥٠ و ٦٣ فى المائة .

وبدأت الأحداث تتحرك .

فى صيف ١٩٦٣ أضرب المزارعون فى مشروع شمال الجزيرة .

وفى بداية ١٩٦٤ تمت الانتخابات بين المزارعين على الأسس التى وضعتها الحكومة وكانت النتيجة نجاح ١٥٤ عضوا كلهم من المعارضين لسياسة الحكومة .

وفى صيف ١٩٦٤ وافقت الحكومة تحت ضغط العمال على مبدأ تكوين اتحاد لنقابات العمال وشددت من أجل ذلك قبضتها وضاعفت رقابتها ، ولكن ٥٥ نقابة من ٦٣ قررت انتخاب الشهيد المناضل الشفيع أحمد الشيخ سكرتير عام اتحاد النقابات المساعد الذى أمضى فى السجن خمس سنوات .

وفجأة .. فى يوم ١٢ اغسطس قررت الحكومة منع عقد المؤتمر الذى كان مقررا أن ينعقد بعد ثلاثة أيام ، وذلك بعد وصول أفواج المدعوين من العمال من مختلف الدول ومنهم ممثلون لاتحاد نقابات العمال العرب ، واتحاد عمال الجمهورية العربية المتحدة .. وصاحب الالغاء حملة اعتقالات شملت مئات النقابيين .

ووصل غضب الجماهير الى الذروة وخرجوا الى الشوارع يتظاهرون ويهتفون ضد نظام عبود ، وخاصة عندما فكرت الحكومة فى تتبيع الجامعة الى وزارة التربية والتعليم فتظاهر الطلبة احتجاجا .

وكانت الشرارة الأولى يوم الأربعاء ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ عندما استقرت رصاصة فى قلب الشهيد أحمد قرشى عضو رابطة الطلبة الشيوعيين فحمله زملاؤه الى مبنى الجامعة ، وناموا حول جثته لحراستها .

وفى اليوم التالى حمل الجثمان أساتذة الجامعة وهم يلبسون الأرواب واجتمع أكبر حشد للجماهير فى تاريخ السودان ، وأحاطت الجماهير بالدبابات وعربات الجيش المصفحة وهى تهتف بسقوط الحكم القائم .

وسرت الشرارة بين الجماهير كاللهب .. ووقف القضاة يشاركون أساتذة الجامعة وطلابها موقفهم وفى مقدمتهم القاضيان بابكر عوض الله وعبد المجيد امام .

وبرزت خلال الأحداث الملتهبة المتلاحقة فكرة تجمع يضم نقابات الأطباء والعمال والمحامين والقضاة وأساتذة الجامعة والمعلمين واتحاد الطلبة ·

الظروف أصبحت ناضجة تماما لتحقيق الفكرة التى تبناها وبلورها الحزب الشيوعى السودانى وناضل أعضاؤه ببسالة من أجل تحقيقها : فكرة الاضراب السياسى العام ·

وأعلن عابدين اسماعيل نقيب المحامين أمام المحكمة العليا بالخرطوم تكوين (الجبهة القومية الموحدة) واعلان الاضراب السياسى العام يوم ٢٤ أكتوبر ·

واهتزت السماء بصيحات الشعب وهو يؤيد النداء ·· وبدأت خطوات عملية لتنفيذ الاضراب ·

وعاشت الجماهير فى شوارع الخرطوم ، وأعلن اللواء حسن البشير عضو المجلس الأعلى ووزير الدفاع بأنه قرر تشكيل محاكم عسكرية لمحاكمة أعضاء الجبهة ، والمتظاهرين بالمادة ٤ من قانون الدفاع التى تنص على الحكم بالاعدام ·

وحددت اقامة القاضيين بابكر عوض الله وعبد المجيد امام وأعلن قرار بحظر التجول ليلا ·· ولكن الجماهير لم تتردد لحظة فى الخروج الى الشوارع والتظاهر والاضراب ، وتم نزول قوات الجيش ·

المزارعون فى الجزيرة رفعوا أيديهم عن الزراعة ·

فى مدينة الدويم أطلقت الجماهير سراح المسجونين وكان فى السجن الأميرالاى عبد الرحيم شنان الذى قاد انقلاب مارس ١٩٥٩ ودخل السجن فى مايو من نفس العام ·· ولكن الأميرالاى شنان رفض الخروج منتظرا قرار الافراج عنه من أعضاء النظام الجديد ·

وفى مدنى سلم الحاكم العسكرى السلطة الى القضاة المدنيين ·

وفى عطبرة انسحبت قوات الجيش الى الثكنات ·

· وفى يوم ٢٦ أكتوبر تحرك عدد من ضباط الجيش التقدميين والوطنيين الى القصر الجمهورى حاملين عريضة موقعا عليها من حوالى ١٦٠ ضابطا فى مقاومة منهم لمنع انفراد اللواء حسن البشير بالسلطة ، ومنع استخدام الجيش لضرب الشعب ·

·· طالبت المذكرة بحل المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، ومجلس الوزراء ووقف المجازر وتطهير الجيش من الفساد ·

وفى التاسعة من مساء نفس اليوم اذيع بيان عبود الذى أعلن فيه تخلى المجلس عن سلطاته وعزل الوزارة ، وحل المجلس الأعلى .. وانفجرت فى الخرطوم عاصفة من التأييد الشعبى الجارف استعدادا لاستقبال نظام حكم جديد ، انتصرت فيه ارادة الشعب الأعزل على قوة الديكتاتورية العسكرية المسلحة .

وبدأت المفاوضات من أجل تكوين الوزارة الجديدة مع (الجبهة القومية الموحدة) التنظيم الوحيد المعلن الذى قاد الجماهير خلال أيام الثورة .

واستقر الرأى على تعيين سر الختم خليفة رئيسا للوزراء بعد اعتذار بابكر عوض الله ، وهو من رجال التعليم وكان وقتها مديرا للمعهد الفنى وليس له صلة بالسياسة .

وتشكلت الوزارة من ممثل واحد لكل حزب من الأحزاب .. محمد أحمد محجوب عن الأمة وزيرا للخارجية ومبارك زورق عن الوطنى الاتحادى وزيرا للمالية ، وأحمد سليمان عن الشيوعى وزيرا للزراعة ، وبقية الوزراء من الأسماء الجديدة التى لم تتول مناصب وزارية سابقة ، يمثلون النقابات والهيئات التى كانت تتعاون مع الحزب الشيوعى تعاونا وثيقا .. وضمت الوزارة أيضا الشهيد المناضل الشفيع أحمد الشيخ وزيرا للدولة للعمال ، كما ضمت ثلاثة وزراء من الجنوبيين .

وكانت هذه هى أول مرة تصل فيها القوى الديموقراطية للسلطة بعيدا عن الأحزاب التقليدية .

أول قرار للوزارة كان الافراج عن المعتقلين والمسجونين السياسيين وخرج الأميرالاى عبد الرحيم شنان وزملاؤه من سجن الدويم .

ولم تكد تمضى عدة أيام على تأليف الوزارة حتى فوجىء الناس ليلة ٩ نوفمبر ١٩٦٤ بمن يدعوهم من الاذاعة للخروج الى الشوارع لحماية الثورة من انقلاب عسكرى محتمل .

كان المتحدث هو فاروق أبو عيسى المحامى وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى وسكرتير الجبهة الوطنية للهيئات وهو الاسم الذى استقرت عليه الجبهة القومية الموحدة .

وفوجئت ليلتها وكنت هناك فى الخرطوم بأن الجماهير قد خرجت الى الشوارع وأقامت المتاريس واحتلت الشوارع مدافعة عن انتصارها وهى تدق الطبول وتهزج بالأناشيد .

وكان السر وراء هذا الحذر هو اعتقال ثمانية من الضباط الوطنيين منهم الشهيد فاروق عثمان حمد الله والبكباشي جعفر نميري أفرج عنهم فورا .

وفي هذه الليلة كانت اذاعة القاهرة تردد ما تذيعه اذاعة أم درمان وهي تطالب الشعب بالخروج لحماية مجلس الوزراء ومبنى الاذاعة حتى أستقر الأمر وعاد الهدوء .

وعقدت الوزارة اجتماعا يوم ١٠ نوفمبر قررت فيه اعتقال أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة السابق وترحيلهم يوم ١١ نوفمبر الى زالنجي في غرب السودان .

وأصدر سر الختم خليفة بصفته وزيرا للحربية قرارا بتعيينات جديدة في الجيش .

وفي يوم ١٥ نوفمبر أعدت الوزارة بيانا للواء عبود ليذيعه معلنا استقالته باعتباره آخر مظهر من مظاهر الحكم العسكري المنهار .

وذهب أعضاء مجلس الوزراء جميعا الى القصر الجمهوري لمواجهته بذلك ، وكانت آخر رغباته كما وصفها محمد أحمد محجوب في كتابه (الديموقراطية في الميزان) هي أن تؤخذ له صورة مع مجلس الوزراء ، وقد تم ذلك فعلا ، ثم طلب منهم أن يبقى ابنه مقيما في منزل سفير السودان في لندن حيث يدرس هناك ، وأخيرا طلب معاشا مناسبا له باعتباره رجلا فقيرا لايمتلك ما يؤمن حياته ، وقد أجيب الى كافة طلباته ..

وهكذا انتهى عهد الحكم العسكري للجنرالات في السودان وطويت صفحة ستة أعوام سوداء بعد أن سجل الشعب السوداني حدثا تاريخيا لايتكرر كثيرا هو قهر نظام عسكري رجعي تطارده صيحات الجماهير الغاضبة (الى الثكنات .. يا حشرات) .

وتثبت الأحداث أن ثورة ٢١ أكتوبر لم تكن وليدة انفجار مرتجل ، ولم تكن يقظة مفاجئة .. وانما كانت ثمرة ناضجة لنضال طويل قادته جبهة المعارضة حتى نهاية ١٩٦٢ ثم الحزب الشيوعي السوداني مع العناصر الوطنية والديموقراطية في مختلف النقابات والهيئات لتحقيق الشعار المرشد لهم وهو الاضراب السياسي العام .

ولا شك أن من العوامل الحاسمة في انتصار ثورة ٢١ أكتوبر انحياز بعض الضباط الوطنيين الى جانب الشعب يوم ٢٦ أكتوبر وتقديم مطالبهم التي تصدرها حل المجلس الأعلى للقوات المسلحة وحل مجلس الوزراء ..

وكانت القاهرة ترقب أحداث السودان بقلب مشوق لتغيير الوضع هناك ، فانه رغم العلاقات التقليدية الطيبة بين الدولتين ورغم الوصول الى اتفاقية مياه النيل ، فان جمال عبد الناصر لم يكن سعيدا لعزلة السودان ، ولم يكن راضيا عن تقريب الحكم العسكري للدول الغربية وفتح الأبواب للاستعمار الجديد ، في وقت كانت مصر فيه تقاوم مؤامرات الامبريالية الأمريكية وخططها في انفصال سوريا ، ومقاومة الثورة اليمنية من السعودية .

ولذا فانه ما ان وصلت الأخبار الأولى للثورة الى مصر حتى شاع نوع من التأييد الرسمي والشعبي للثورة المتفجرة يوما بعد يوم .

وسافرت في الأيام الأولى للثورة مندوبا عن مجلة روز اليوسف التي كنت قد بدأت الكتابة فيها من شهور رغم انى كنت مازلت أعمل مديرا لمؤسسة المسرح التي كان عبد القادر حاتم وزير الارشاد القومي قد اعتدى عليها وحل تنظيمها المتماسك وجعلها تابعة للاذاعة رغم ابتعاد الصلة بين المجالين .. مما خلق تناقضات ومتاعب تصعب العمل وتعرقله .

وكانت صلتي الوثيقة السابقة بالشهيد المناضل عبد الخالق محجوب منذ كان طالبا في كلية الآداب بجامعة القاهرة ومنتميا الى الحركة الديموقراطية للتحرر الوطني (حدتو) ، ومقابلتي له فور وصولي هناك — عاملا رئيسيا في رؤيتي لحقيقة الوضع في السودان ، وكتابة عدة تحقيقات عن ذلك في مجلة روز اليوسف خلال شهر نوفمبر ١٩٦٤ .

كان الشهيد عبد الخالق حريصا على نفي الصفة التي اطلقها مندوب للاسوشيتد برس يسمى ماكارتي من قوله بأن ثورة أكتوبر شيوعية (يملك زمام الموقف فيها رجل غامض ، يسمى عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعي) .

كما كان الشهيد عبد الخالق واضحا تماما في قوله بأن (ثورة أكتوبر ثورة وطنية مناهضة للاستعمار القديم والحديث .. ويعتمد مستقبلها على مقدرة القوى التي أشعلتها في التعبير عن ارادتها تعبيرا ديموقراطيا) .

وقد سجلت وقتها قوله (ان الظروف التي احاطت بثورة ٢١ أكتوبر والعوامل التي أثرت في الشعب السوداني خلال سنوات الحكم الرجعي الست قد فتحت الآفاق لطريق واسع لبناء الاشتراكية في السودان .. صحيح ان الحزب الشيوعي ظل خلال هذه المدة يدعو للاشتراكية ولكن

على اقسام من جماهير الشعب ، ولكن من غير الصحيح اعتبــار المطامع الاشتراكية لكل قطاعات الشعب المناضــل وقفا عليه وحـده ٠٠ وهــذه حقيقة لاتفــوت على بال الشيوعيين فى السودان لانهـا موضوعيــة وذات صلة بالحياة المعاصرة لشعب السودان) ٠

وقال الشهيد عبد الخالق أيضا (على الرغم من أن الحزب الشيوعى السودانى قد أبرز تنظيمه علنا بعد انتصــار ثورة ٢١ أكتوبر الا أنه لم يعتبر هذا التنظيم وحده معبرا عن الاتجاهات الاشتراكيــة المختمرة فى أذهان ثوار ٢١ أكتوبر) ٠

الاشتراكية برزت كشعار جديد للجماهير ٠٠ ووجد ذلك ترحيبــا شديدا من جمال عبد الناصر ، جعله يفوت فرصــة تخريب جسر التعاون بين القاهرة والخرطوم على بعض العناصر الرجعية ٠

وكان ذلك عندما ثارت الجماهير فى السودان على مقالـين ، أولهمــا كتبه محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهــرام ٠ والثانى كتبـه موسى صبرى وارسله من الخرطوم حيث أضاف اليه بعض المحررين كلمات تقول بأن الجماهير كانت تهتف لمصر ولجمال عبد الناصر فى محاولــة ساذجــة لتصوير الثورة وكأنها من صنع مصر ٠

واستغلت بعض العناصر ظهور هذين المقالين ، والحساسية الشديدة عند السودانيين من كل كلمة تنشر عن مصر أمر معروف وشديد الوضوح فوجهت عددا محدودا من المتظاهرين الى السفارة المصريــة حيث اعتــدوا عليها وحرقوا العلم المصرى ٠

وأسرع وقتها وزير الخارجية محمد أحمد محجوب وعــدد من الوزراء الى السفارة المصرية يقــدمون الاعتذار للسفير الذى حاول أن يجعل منها مشكلة ، ولكن ما أن وصل الأمر الى جمال عبد الناصر حتى أدرك أن هــذا العمل لايمكن أن يمثل التيار الرئيسى للثورة ولا بد أنه من تدبير بعض العناصر التى هالها وضوح الاتجاه الاشتراكى لثــورة أكتوبر ، ونتيجة ذلك الحتمية ارتباط جديد وثيق مع مصر والدول العربية المتحررة ٠

وطلب جمال عبد الناصر من السفير عــدم تقديم احتجــاج ، وأمـره برفع العلم المصرى فى هدوء ٠

ولم تقف محاولة تخريب اتجاه الثورة عند هذا الحد ، فقد حــدث يوم ٦ ديسمبر الذى أطلق عليه اسم (الأحد الحزين) حادث مروع اذ كان حشد من أبناء الجنوب ينتظر الوزير الجنوبى كليمنت امبــورو فى مطار

الخرطوم وتأخرت الطائرة وسرت بين المستقبلين اشاعة تعرض الوزير للخطر وبدأ القلق والغضب يسرى في صفوفهم ، ولما طالبهم البوليس بالتفرق والعودة رفضوا وحدث اشتباك بين الطرفين ، انتهى الى اشتباك عام بين الشماليين والجنوبيين قتل فيه ١٣ شخصا وجرح كثيرون ٠

كان جمال عبد الناصر يرقب الموقف في السودان بنظرة الزعيم الوطنى المتفتح ، الذي يساند بحكم ثوريته ومبادئه حركات التحرر الوطنى في كل موقع ٠

ولذا بادر الى عقد صلة مع القوات الثورية السودانية التي كان الحزب الشيوعي يقف منها خلال هذه المرحلة في موقف الطليعة ٠ عندما كتبت تحقيقاتي الصحفية عن ثورة أكتوبر في السودان في مجلة روز اليوسف ، أصدر جمال عبد الناصر قراره بتعييني رئيسا لتحريرها في أول ديسمبر ١٩٦٤ في الوقت الذى كان فيه أحمد فؤاد رئيس مجلس ادارة بنك مصر قد عين رئيسا لمجلس ادارتها وبدأت صلة جديدة بين جمال عبد الناصر وبين الحزب الشيوعي السوداني الذى سبق له أن ساند ثورة يوليو خلال فترة العدوان الثلاثي وأرسل عددا من المتطوعين ، وناضل نضالا طويلا من أجل تحسين سمعة الحكم في مصر بعد عزل نجيب واستقلال السودان وركوب الأحزاب التقليدية وخاصة حزب الأمة موجة التناقض مع مصر ٠

وأصبحت الجماهير في السودان تهتف بحياة جمال عبد الناصر وتنظر اليه نظرتها الى بطل مرموق تتطلع اليه وهو يقود مصر في خطواتها التحررية بينما رجال الانقلاب العسكرى الرجعى في السودان يقيدون خطوات الشعب بالعزلة والاغلال ؛

وكان أول مندوب يقابل جمال عبد الناصر من الحزب الشيوعى فى هذا الوقت هو محجوب عثمان عضو اللجنة المركزية الذى حضر اليه حاملا رسالة الحزب ، وقد حضرت هذه المقابلة مع أحمد فؤاد وتم الاتفاق فيها على قيام صلة سياسية بين القاهرة والحزب في الخرطوم عبر بعض المسئولين هناك ٠

ووافق جمال عبد الناصر في هذا اللقاء على طبع كتاب عن تاريخ الحزب ونضاله ضد الانقلاب العسكرى باسم (ثورة شعب) ٠

أصدر جمال عبد الناصر أوامره لخالد محيى الدين رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم في ذلك الوقت بطبع الكتاب في المؤسسة على ألا يتحمل الحزب تكاليف الطباعة ٠٠ وعلى الا يوزع الكتاب في مصر ٠

وعندما صدر الكتاب قامت حوله مناقشة فى الاجتماع العاشر الذى عقده جمال عبد الناصر مع أمانة الاتحاد الاشتراكى العربى يوم ٢٣ فبراير ١٩٥٦ اذ أثار أحد الأعضاء قضية نشر الكتاب قائلا أن هذا الكتاب يجعل الأحزاب الأخرى تتساءل ان كنا نؤيد وضعا معينا فى السودان : ونتساءل هل نحن فعلا نشجع وضعا معينا هناك ؟

واستطرد العضو قائلا : ان كان الأمر كذلك فانه كان لاداعى لأن يكتب على الكتاب انه طبع فى أخبار اليوم ٠

وأجاب جمال عبد الناصر فى صراحة تامة قائلا : (لقد وافقت على طبع هذا الكتاب ولو ان الأخ على حق فيما قاله ٠٠ وبالنسبة للوضع فى السودان فان الحزب الشيوعى أفضل لدينا ألف مرة من الأحزاب الرجعية ، والحقيقة أن الحزب الشيوعى فى السودان يقف فى خط وطنى ويتعاون مع حزب الشعب الديموقراطى وجبهة الهيئات والعمال ونحن لانعادى الحزب الشيوعى فى السودان) ٠

هذه الصلة التى بدأت لم تنقطع مطلقا طوال حياة جمال عبد الناصر ولم تشبها المحاذير أو الشكوك ٠

وقامت هناك صلة أخوة نضالية بين عبد الناصر وبين الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب الذى لم يحضر مرة الى القاهرة الا واستقبله جمال عبد الناصر وعقد معه جلسة مناقشة ودودة وطويلة ٠

اجهاض ثورة اكتوبر :

كانت الأحداث تلاحق الوزارة الجديدة التى شكلها سر الختم خليفة والتى بدأت تتخذ اجراءات ترفع عن المجتمع قبضة الحكم العسكرى وتطهر آثاره ٠

أصدرت قرارات بمنع الطائرات البريطانية فوق مجالها الجوى ٠

صادرت أموال رجال المجلس الأعلى السابق وبعض الذين أثروا عن طريق الاتصال المريب منهم ٠

غيرت فى قيادات الجيش وأحالت الى التقاعد بعض كبار الضباط ٠

أعادت الحقوق الديموقراطية لتكوين النقابات المهنية والاتحادات العماليــــة ٠

وقام سر الختم خليفة بزيارة مصر فى يناير ١٩٦٥ حيث استقبله الرئيس جمال عبد الناصر ، وكان لهذه الزيارة التى صحبه فيها محمد

أحمد محجوب وأحمد سليمان وكليمنت إمبورو صدى كبير في تحسين العلاقات بين البلدين .

ولكن الوزارة الجديدة بدأت تصطدم باصرار الأحزاب التقليدية على اجراء الانتخابات بعد ستة شهور كما ورد في البيان الأول للوزارة والذى صدر دون دراسة متأنية شاملة للأوضاع في السودان .

وكان الجنوب مشكلة تفرض نفسها على الموقف .. فأصدرت الحكومة قرارا باطلاق سراح المسجونين السياسيين من أبناء الجنوب والاعتراف بعطلة يوم الاحد والبدء في المفاوضات مع ممثلي أحزاب الجنوب .

ولكن اجراء الانتخابات عندئذ كان يمثل مشكلة .. وقد أرسل اتحاد السودان الوطنى الافريقى ، أو حزب (سانو) ، خطابا مفتوحا الى رئيس الوزراء يقول له فيه أن آلافا من اللاجئين من مواطنى جنوب السودان موجودون حاليا فى بلاد افريقية مجاورة خاصة فى الكونغو واثيوبيا وجمهورية أفريقيا الوسطى وكينيا ، وهم يمثلون قسما هاما من شعب جنوب السودان .. ومنهم الزعماء السياسيون والمهنيون وزعماء القبائل والطلاب ، وقد اضطروا لمغادرة البلاد أثناء الحكم العسكرى المنهار .

ولذا طالب زعماء الجنوب بتأجيل اجراء الانتخابات بينما طالب الصادق المهدى واسماعيل الأزهرى باجراء الانتخابات فى الموعد المحدد لها : مارس ١٩٦٥ دون نظر الى مشكلة الجنوب .

وأصبحت الانتخابات هى محور الخلاف .. الجبهة الوطنية للهيئات التى حضرت وقادت الثورة ترفض اجراء يثير الجنوبيين ويؤدى الى عزلتهم عن الشمال ، ويساندها فى ذلك الحزب الشيوعى والشعبى الديموقراطى بينما يصر حزب الأمة والوطنى الاتحادى على سرعة اجراء الانتخابات مستندين الى نفوذهم التقليدى ووجود عناصر موالية لهم فى المناصب الادارية .

وحدثت بعض المصادمات بين أنصار حزب الأمة الذين حضر منهم ٣٠٫٠٠٠ ليقيموا فى أم درمان ، وبين الجماهير المؤمنة بقيادة الجبهة التى أنقذتهم من الحكم العسكرى .

وخلال هذه الفترة حضرت اليزابيث ملكة بريطانيا لزيارة السودان فى ٨ فبراير ١٩٦٥ تدعيما للعلاقات القديمة بين البلدين .

وبعد ذلك بأيام قام الصادق المهدى واسماعيل الأزهرى ومحمد أحمد محجوب بزيارة رئيس الوزراء سر الختم خليفة فى منزله سرا فى الثانية بعد منتصف الليل حيث ضغطوا عليه من أجل تقديم استقالة الوزارة رغم انه فى نفس الليلة ١٧ فبراير كان هنـــاك اجتماع لمجلس الوزراء تم الاتفاق فيه على استمرار الوزارة فى موقعها حتى يتم تمهيد الظروف المناسبة لاجراء انتخابات سليمة تحقق وحدة الشمال والجنوب . وتقدم تعبيرا صحيحا عن ارادة الشعب .

كان موقف سر الختم خليفة غريبـــا طعن به الثـورة التى اختارته رئيسا وخان الجماهير التى منحته ثقتها .. وكان فى ذلك خاضعا لنفوذ الأنصار وأصهاره أسرة المهدى .

وقد أسفرت الانتخابات المتعجلة التى تمت فى أبريل ١٩٦٥ وقاطعها الجنوبيون وحزب الشعب الديموقراطى عن حصـــول حزب الأمة على ٧٥ مقعدا من ١٧٣ والوطنى الاتحادى على ٥٢ مقعدا ، والحزب الشيوعى على ٨ مقاعد كما أسفرت انتخابات الخريجين على حصـــول الحزب الشيوعى على ١١ مقعدا من ١٥ .

كان رفض حزب الشعب الديموقراطى دخـول الانتخابات عملا غير مبرر ، فقد حرم (التجمع الشعبى الديموقراطى) الذى ربط بينه وبين الحزب الشيوعى وتنظيمات الجبهة من فرصة الحصول على مقاعد كافية تؤدى الى تكوين معارضة قوية نشطة كما أنه ســـهل من حصول حزب الأمة على أغلبية كبيرة .

تولى محمد أحمد محجوب رئاسة وزارة ائتلافية من الأمة والوطنى الاتحادى ، وعين اسماعيل الأزهرى رئيســـا دائما لمجلس الرئاسة ، واجتمعت الجمعية التأسيسية بلا ممثلين للجنوبيين فى ١٠ يونيو ١٩٦٥ لوضع دستور البلاد .

وسرعان ما بدأت الخلافات فى الظهور ، فقد دفعت عناصر الحكومة طالبا فى أحد المعاهد يأم درمان كان منتسبا فى الماضى للحزب الشيوعى الى التهجم على الدين الاسلامى ، وأتخذت من هذا الموقف مشكلة استندت اليها فى حل الحزب الشيوعى قانونا وفصـــل أعضـــائه من الجمعية التأسيسية .

ورفع الحزب الشيوعى ذلك القرار الجائر الى المحكمة التى أصدرت حكمها بعدم شرعية تعديل الدســـتور الذى تم بموجبـــه حل الحزب الشيوعى وطرد أعضائه من الجمعية التأسيسية .

وأصبحت الحكومة محاصرة بين حكم المحكمة العليا ووزير الداخلية والجمعية التأسيسية لرفضها تنفيذ حكم المحكمة .

ولم يكن هذا هو التناقض الوحيد .

ظهرت تناقضات داخل تحالف الحزبين الحاكمين عندما نشب صراع على منصب رئيس الجمهورية بين اسماعيل الأزهرى الذى كان يتولى هذا المنصب بصفته رئيسا لمجلس السيادة وبين الهادى المهدى امام الأنصار الذى كان يتطلع الى المنصب أيضا :

وانفك التجمع الاشتراكى الديموقراطى عندما مارس حزب الشعب الديموقراطى لعبته فى عقد تحالفات انتهازية متناقضة والدمج مع الحزب الوطنى الاتحادى فى حزب جديد باسم الحزب الاتحادى الديموقراطى ، بعد أن كان متحالفا مع حزب الأمة قبل الحكم العسكرى ثم متعاونا مع الحكم العسكرى ثم متحالفا مع الحزب الشيوعى واخيرا مع الوطنى الاتحادى .

ولم تقف التناقضات والخلافات عند حدود الأحزاب بل تسربت الى داخل صفوف حزب الأمة ، اذ قام نزاع بين الصادق المهدى الشاب الطموح خريج اكسفورد ابن شقيق الامام الهادى وصهر الدكتور حسن الترابى زعيم الاخوان المسلمين وبين محمد أحمد محجوب رئيس الوزراء لأنه كان يطمع فى تولى منصب رئاسة الوزراء رغم عدم بلوغه سن الثلاثين بعد .

كان الهادى المهدى يساعد محمد أحمد محجوب مما أدى الى انقسام حزب الأمة الى كتلتين متنافرتين ووصل الخلاف الى الحد الذى جعل نائبا من الأمة يضرب وزير الصحة وهو من حزبه أيضا حتى نقل الى المستشفى .

وما أن بلغ الصادق المهدى سن الثلاثين وأصبح صالحا دستوريا لمنصب رئيس الوزراء حتى بادر لتنفيذ خطته بالضغط على محمد أحمد محجوب لاجباره على الاستقالة ولكن محجوب رفض ذلك تماما معلنا أنه انتخب بواسطة الجمعية التاسيسية ، وهنا بدأ اتجاه الصادق لاعضاء الجمعية ولاسماعيل الأزهرى الذى أيده ، وهنا لم يجد محجوب بدا من الاستقالة وتولى الصادق المهدى رئاسة الوزراء فى ٢٦ يوليو ١٩٦٦ .

وانقسم حزب الأمة انقساما حادا لأول مرة فى تاريخه ، ولم تمكث حكومة الصادق المهدى أكثر من شهور حيث حجبت عنه الجمعية التاسيسية ثقتها فى ١٥ مايو ١٩٦٧ بعد خلاف بينه وبين وزرائه .

وعاد محمد أحمد محجوب رئيسا للوزراء يوم ١٨ مايو ١٩٦٧ .

خلال هذه الفترة التى وثبت فيها الأحزاب التقليدية الى مقاعد السلطة وافتعلت الخلافات مع الحزب الشيوعى والقوى التقدمية وحاولت

فرض ما أسمته (الدستور الاسلامى) بعد أن تحولت جامعة أم درمان الإسلامية التى كانت تمولها بعض الدول الأخرى الى مقر لبعث الدعاية المضادة للتقدم والاشتراكيــة والحريات الديموقراطية واستجلبت لها أساتذة من عتاة الرجعية والتخلف .

والحرية الدينية لم تكن اطلاقا محل خلاف بين كل الأحزاب بما فيها الحزب الشيوعى الذى اعتاد أن يبدأ اجتماعاته بتلاوة من آيات الذكر الحكيم ، والذى استنكر تصريحات الطالب المدسوس التى أدت الى الغاء الحزب وفصل أعضائه من الجمعية التأسيسية ، وقد انتهى الأمر بهذا الطالب الى الذهاب فى منحة دراسية الى الولايات المتحدة .

والواقع أن محاولات طعن ارادة التقدم والتغيير الاجتماعى وبناء المجتمع الاشتراكى عن طريق الدين قد وصلت فى الســودان الى طريق مســدود بعد أن ثبت أن كبار رجــال الدين والطائفيــة لا يتنزهون ولا يترفعون عن المشاكل الشخصية الدنيوية ، وأن الحزب الشيوعى قد حرص فى مؤتمره على دعم القيم والفضائل الدينيــة التى تؤكد العدالة الاجتماعيــة .

هكذا كانت الحالة فى السودان .. حكومة تهتم بفرض ديكتاتورية مدنية عن طريق ما يسمونه « الدســتور الاســلامى » ، وجماهير ضاقت بالوعود الطائفية وكشفت تماما خديعة كبار الرجال المستغلين للدين .

تجمع لكل القوى التقليدية فى موقع السلطة .. وتجمع لكل قوى التقدم والاشتراكية فى موقع المعارضة .

.. جامعة اسلامية يحيط بها اخوان مسلمون تتاح لهم فرصة التهجم على الاشتراكية .. وقوات واتحادات جماهيرية اشتراكية تقدمية تناضل فى مواجهة هذا الهجوم وتكسب كل يوم مواقع وأنصارا جددا .

أجهضت ثورة أكتوبر وضاعت شعاراتها ولكنها لم تذهب أدراج الريــاح .

حققت ثورة أكتوبر نهاية الحكم العسكرى الدكتاتورى الذى حارب كل القيم الديموقراطية .

كسرت القضبان التى عزلت شعب السودان عن الدول العربيــة والافريقيــة .

جعلت الاشتراكية كلمــة مباحة يقتنها البعض عن ايمــان على وتدرجها الأحزاب فى برامجها حتى حزب الأمة لاغراء وخداع جانب من الجماهير المتطلعة اليها .

نقلت الحزب الشيوعي السوداني من العمل سرا الى الظهور والنضال علنا كحقيقة واقعة ·

بدأت التفكير جديا في تكوين جبهة وطنية ديمقراطية ·

لم تمض ثورة أكتوبر في حياة السودان بلا أثر ، ولم تكن حرثا في الماء ·

العسكريون يستعدون :

كان الضباط الوطنيون الذين احتشدوا حول القصر الجمهوري يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٦٤ من أكثر الناس ضيقا بتردي الحالة واجهاض أهداف ثورة أكتوبر ·

وانكفأ الضباط على تنظيماتهم في الجيش يعيدون اليها الحياة ويتاهبون لدور جديد ·

وفكرة الضباط الأحرار في مصر كانت عالقة بأذهان الضباط السودانين وتأثروا بها تأثرا شديدا ، فقد تشكل أول تنظيم للضباط الأحرار السودانيين عام ١٩٥٣ قبل الاستقلال كان من منظميه محمود حسيب الضابط بسلاح الاشارة والذي أصبح وزيرا للمواصلات فيما بعد والذي أوضح أهدافه في حديثه لعبد المنعم الغزالي المنشور في مجلة الطليعة عدد اغسطس ١٩٦٩ « أحس الضباط أن لهم دورا ايجابيا وأنه لابد لهم من أن ينظموا أنفسهم ليكونوا على الأقل صمام أمان في المستقبل اذا انحرف القادة السياسيون عن الطريق القويم وكان المهم أن يشعروا المستعمر الانجليزي أن الجيش لن يستمر مطية يسخرها لأغراضه الخاصة » ·

وقد ارتبط بعض أعضاء هذا التنظيم بالملحق العسكري المصري على خشبة ، وارتبطت حركتهم بالسياسة المصرية ، ولكن الاتجاه العام السائد في السودان نحو الاستقلال أضعف من قدرات قادة هذا التنظيم على اقناع الضباط السودانيين بحقيقة دورهم ·

وفي عام ١٩٥٧ جرت محاولات جديدة لاعادة الحياة الى التنظيم وتقويته ، وكان الصاغ عبد الرحمن كبيرة مسئولا عن ذلك في الخرطوم ولكن سرعان ما اكتشف الأمر وحوكم مجموعة من الضباط وأحيل وقتها اليوزباشي جعفر نميري الى الاستيداع لارتباطه بهذا التنظيم ·

ولعل هذه الضربة كانت سببا في تسهيل استيلاء الجنرالات على الحكم دون مقاومة من داخل الجيش ·

وبعد انقلاب ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ بدأ الضباط يتحركون من جديد وكانت محاولات مارس ومايو ونوفمبر ١٩٥٩ التى سبقت الاشارة اليها ، والتى أثبتت أن هؤلاء الضباط الوطنيين لم يكونوا بعيــدا عن مجــال الاتصالات السياسية مع القوى الحزبية خارج الجيش ، بما فيها الحزب الشيوعى الذى كان يعمل داخل الجيش بأسلوب شديد السرية له نظرة خاصة لتركيب الجيش من ناحيته الطبقية فهو يفرق بين كبار الضباط الممالئين للاستعمار أصحاب الأفكار الجامدة والمحافظــة وبين شــباب الضباط المثقفين وصف الضباط والجنود أبناء الفلاحين والطبقة العاملة.

وكما بدأت الحركة المصرية للتحرر الوطنى ثم الحركة الديمقراطية نشاطها داخل الجيش وسط ضباط صف مدارس الطيران والصــيانة وغيرها من المدارس الفنية ، بدأ الحزب الشيوعى نشاطه داخل الجيش أيضــا .

وكان الحزب الشيوعى قبل ظهــور « صــوت القوات المسلحة » لا يتخلف مطلقا عن توجيه المنشــورات الى « الضــباط الأحرار » مفسرا لهم الأحداث السياسية معلنا موقفه مؤيدا حركاتهم الثورية .

وفى يوم الذكرى الأولى لحركة ٤ مارس وحـركة نوفمبر صــدر منشور من المكتب السياسى للحزب يقول « فى هذا اليوم نخاطب مواطنينا فى الجيش من كل الرتب واضعين أمامهم حقيقة هذا العهد المظلم الذى لن يعيش طويلا ولا يملك سبيلا واحدا من أسباب البقاء » .

وفى الذكرى الأولى لحركة نوفمبر صدر منشور آخـر يقول « ان ثورة الجيش والشعب الحقيقية هى التى دق ناقوســها اليوم وبدأت تلوح نذرها وبشائرها حاملة معها تراث محمد أحمد المهدى وودحبوة وعلى عبد اللطيف وعلى حامد والصادق وزملائهم الأبطال » .

وفى الذكرى الثانية أيضا صدرت منشورات من الحزب الشيوعى. ويمكن لمزيد من البحث الرجـوع الى كتــاب ثورة شعب الذى أصــدره الحزب عام ١٩٦٥ .

وقد تبلور هذا النشاط فى أقسى ظروف الحكم العسكرى عام ١٩٦١ عندما صدرت مجلة سرية خاصة بالتنظيم اسمها «صوت القوات المسلحة» استطاعت أن تلعب دورا رئيسيا فى تجميع الضباط الوطنيين من مختلف الاتجاهات وجذب أفكارهم الى القضــايا الاجتماعية باعتبــارها عنصرا رئيسيا لا ينفصل عن القضايا الوطنية .

وفى العدد الثامن من المجلة تفسير لحركة الضباط الأحرار وأهدافها هو ما يلى :

(طالما تردد داخل الجيش وخارجه اسم الضباط الأحرار وتساءل الكثيرون عن أهدافنا وبرامجنا نحن الذين صمدنا فى اباء وقوة أمام المحاكم العسكرية أيام الاعدام والسجن المؤبد والتشريد والعذاب نرفع دائما راية التفاؤل ونقدم كل تضحية مهما كلفت فى سبيل بلوغ أهدافنا وأهداف شعبنا) ٠

واليوم وبعد أن انتظم صدور مجلتنا تمكنا من تذليل جميع الصعاب التى كانت تعوق مخاطبتنا لكم فى ظروف العمل السرية فاننا نرى أن من واجبنا أن نطرح أهدافنا لكم وندعوكم لوزنها ومناقشتها ونقدها ان أردتم واضافة أى بنود ترون أن أهدافنا لم تتضمنها ٠

اننا نود أن نؤكد أننا لسنا هيئة للثرثرة والقطيعة حول مخازى النظام الراهن وعيوب الضباط الكبار ، بل اننا تنظيم عامل جاد اقتنعنا وقررنا عن رضى وطيب خاطر أن نسخر مجهودنا وأرواحنا وعقولنا لخدمة بلادنا وشعبنا الذى منحنا الحياة والعلم ووضعنا فى هذا المكان لنحمى سيادته ونصون حقوقه وندافع عن كيانه واستقلاله من أى عدوان وأى عبث ٠

اننا لا نعتبر أنفسنا نخبة ممتازة أو أننا مبعوثو العناية الالهية لتخليص شعبنا من الظلم الذى حاق به ولكننا نعتبر أنفسنا جزءا منكم ومن هذا الشعب ودعوانا هى دعواكم وأهدافنا هى أهدافكم ٠

انكم تعلمون أن الجيش — أى جيش — يفقد وضعه واحترامه ومكانته فى نفوس المواطنين اذا ما استعمل لخنق الحركات الوطنية ولكبت حريات المواطنين ، ولا نظن أن ذلك يخاف علينا جميعا ، وهذا الطريق هو الذى أرادت العصابة الراهنة أن تسوقنا اليه ونحن الذين تقدمنا عن طواعية للعمل فى القوات المسلحة لتصير درعا واقيا لشعبنا لايمكن أن نقبل أن نصبح خنجرا تغمده الرجعية والاستعماريون فى صدر شعبنا وتطعن به شرف شعبنا ، كما أننا كضباط وجنود فى القوات المسلحة لايمكن أن نقبل للجيش أن يتردى فى هذا الفساد والفوضى وضعف التدريب والامكانيات حتى نصل الى درجة عدم المقدرة فى أداء مهمتنا المقدسة فى الحفاظ على استقلال بلادنا وحماية حدودنا والذود عن كرامة وطننا ٠

اننا نلخص أهدافنا فى التالى ، وسنوالى مناقشتها متى سمحت الظروف معكم فى هذه المجلة أو مشافهة والعمل على تنظيم الصفوف من أجل

١ ـ الاطاحة بالوضع الحاضر .

٢ ـ تقديم كل من اشترك فى الوضع الراهن أو استفاد منه او اضر بقضية الشعب والجيش الى محكمة شعبية وعسكرية .

٣ ـ اعادة الحياة النيابية .

٤ ـ وضع دستور جديد يتمشى مع مقتضيات الظروف الاقتصادية والسياسية والجغرافية فى البلاد ويقوم على مبادىء كفالة الحريات العامة للمواطنين وتطهير القضاء واعادة النظر فى وضع القوانين التى فرضها علينا الاستعمار والنظام الرجعى الراهن وتطهير جهاز البوليس والخدمة المدنية من الفاسدين والمفسدين .

٥ ـ تكوين مجلس دفاع وطنى .

٦ ـ اعادة كل الضباط المفصولين والمسجونين للخدمة بنفس أقدميتهم) .

تعمدت نشر هذا المقال الذى نشر تحت عنوان (نحن وأهدافنا) لأوضح فكرة الضباط المنتمين للحزب الشيوعى والمتعاطفين معه من أنهم لا يناضلون من أجل ديكتاتورية وانما يناضلون باعتبارهم من الفصائل الشعبية لتحقيق الحرية والديموقراطية .

هذا الموقف الفكرى هام جدا فى أية حركة سياسية داخل الجيش ، حتى لا تتغلب لغة السلاح على لغة العقل ، ويسيطر الجيش على ارادة الشعب .

وفى مقال آخر نشرته (صوت القوات المسلحة) فى ٢٥ يوليو ١٩٦٣ (ان بلادنا لا تطلب بديلا غير الديموقراطية والحرية الكاملة وصيانة الاستقلال وهذا ما سيتحقق بانتصارنا مع الشعب فى الاطاحة بهذا الحكم الرجعى) .

وهكذا لم تتحطم القوى الوطنية داخل الجيش ولم تستطع الدكتاتورية تصفيتها ، وأثبتت وجودها يوم ٢٦ أكتوبر عندما حاصرت قوات الضباط الأحرار القصر الجمهورى وأجبر عبود على حل مجلسه الأعلى ومجلس الوزراء .

والضباط الذين اعتقلوا يوم ٨ نوفمبر ١٩٦٤ وجهت اليهم تهمة أنهم فى الفترة بين ٢٢ ، ٣١ أكتوبر لم ينفذوا أوامر اطلاق الرصاص .

وكانت الأوامر قد صدرت فعلا باطلاق الرصاص ولكن الضباط الأحرار اتفقوا على عصيان هذه الأوامر ، كما اتفقوا أيضا على احباط

مؤامرة كبار الضباط الرجعيين الذين حاولوا فى مفاوضات يوم الخميس ٢٩ أكتوبر أن يفرضوا أحدهم وزيرا للدفاع تمهيدا للانتكاس بالثورة ، ولكن الضباط الأحرار حاصروا مبنى رئاسة القوات المسلحة وفرضوا ارادتهم وارادة الشعب ، وتعين سر الختم خليفة رئيس الوزراء وزيرا للدفاع ٠

والواقع أن الضباط الأحرار لم يكونوا جميعا من أنصار العودة للثكنات نهائيا ٠٠٠ البعض منهم كان من أنصار استبدال حكم ديكتاتورى عسكرى رجعى بحكم عسكرى جديد وطنى ، ومن هؤلاء جعفر نميرى ، ولكنه فى ذلك الوقت لم يكن وحده يمثل قوة قادرة على فرض رأيه فان تنظيم الضباط الأحرار كان يضم رفاقا شيوعيين ورفاقا وطنيين فى تكوين جبهوى مشابه لتكوين الضباط الأحرار فى مصر ٠

وعندما اعتقل بعض الضباط الأحرار فى يوم ٨ نوفمبر المشهود ومنهم بكباشى جعفر نميرى ويوزباشى فاروق عثمان حمد الله ويوزباشى رشيد نور الدين ، والذى حررتهم فيه المظاهرات التى اجتاحت شوارع الخرطوم بدعوة فاروق أبو عيسى سكرتير الجبهة الوطنية للهيئات من الاذاعة صدر فى نفس اليوم منشور من الضباط الأحرار يصف فيه هذا العمل بأنه (خطوة فى سبيل تطهير الجيش من العناصر الوطنية التى شاركت فى ثورة الشعب) وبذلك تمهد الأرض للسيطرة الكاملة على الجيش بوساطة العناصر الرجعية ٠

وتضمن المنشور أيضا (أن الدوائر الرجعية تحاول أن تردد الاتهام للضباط الأحرار المذكورين بأنهم يعملون لحساب مصر ، وهذه محاولة رخيصة لستر الحقيقة ، تقصد من ورائها الرجعية أن تبرر موقفها فى تصفية الجيش من العناصر الوطنية وفرض سيطرة العناصر الرجعية عليه) ٠

والحقيقة أن أحدا من الضباط الأحرار السودانيين لم تكن تربطهم أية علاقة بمصر على عكس بعض الضباط الذين استند اليهم الحكم العسكرى مثل البكباشى محمد عبد الحليم الذى رأس مكتب العمل فى مهدهم ثم عمل موظفا فى بنك مصر فرع الخرطوم بعد ذلك ٠٠ ولكنهم كانوا يؤمنون بضرورة تعاون ثورات التحرر الوطنى وخاصة ثورة يوليو ويثقون فى جمال عبد الناصر باعتباره زعيما عربيا مخلصا ٠

. الصلة الوحيدة كانت بين جمال عبد الناصر وقيادة الحزب الشيوعى ٠

وقد بدأ الضباط الأحرار يعبرون عن أفكارهم في مجلة الأحرار التي صدرت بدلا من (صوت القوات المسلحة) والتي جاء فيها يوم ٤ يناير ١٩٦٥ :

(نحن ندرك اليوم كما يدرك العمال والمزارعون والمثقفون بأن طريق الرأسمالية الذى سرنا فيه بعد الاستقلال والذى أدى الى انقلاب ١٧ نوفمبر لترسيخه انما هو طريق شقاء لا حدود له بالنسبة للشعب وهو لا يقود الى التقدم بل الى التخلف والتبعية التامة للاستعمار ولفقدان الاستقلال نفسه) •

(ونحن ندرك ذلك فنتلفت حولنا فنرى بلادا عانت من الاستعمار مثلنا بل أشد ولكنها شقت طريقها ونجحت فى حماية استقلالها لأنها رفضت الطريق الرأسمالى واتخذت الاشتراكية هدفا لها) •

هكذا أصبحت الاشتراكية هدفا للمواطنين في القوات المسلحة السودانية فى طريق نضال سليم من أجل الحرية والديموقراطية والاشتراكية •

ولكن ما أن انتكست ثورة ٢١ أكتوبر سنة ١٩٦٤ وعادت الأحزاب التقليدية للحكم بعد ابعاد الجبهة الوطنية للهيئات حتى بدأ الضباط يراجعون موقفهم ويقدرونه تقديرا جديدا ، فقد ظهر اتجاه جديد أدى الى نقل عدد كبير من الضباط الذين كشفت ثورة أكتوبر اتجاهاتهم الوطنية الى الجنوب ووضعهم تحت رقابة شديدة •

وهنا احتج هؤلاء الضباط الوطنيون وتمردوا ضد الأوضاع المتخلفة للقوات المسلحة السودانية من ناحية التسليح والتدريب والاعاشة والمرتبات التى كان يتأخر صرفها أحيانا عدة شهور •

حدث في مدينة كبالة أن استشهد ١٧ صف عسكرى أثناء محاولتهم الحصول على المياه وتعذر احضار الجرحى لعدم توافر الوقود وقرر الضباط الأحرار ضرورة مجابهة هذه الأوضاع المتخلفة التى أثارت مشاعر الجنود والضباط عموما ، واستطاعوا تجميع ٨٤ ضابطا من رتب مختلفة فى جوبا وقرروا التقدم بمطالب الجيش للقيادة العامة في الخرطوم فى نوفمبر ١٩٦٥ ، وذلك بعد مرور القائد العام فى جولة بالجنوب فى أغسطس وعد فيها بتخفيض مدة الخدمة الى سنة واحدة •

تلخصت المطالب فى الآتى :

١ ــ تحسين حالة ضباط الصف والجنود ورعاية أسر الشهداء •

٢ ــ تطهير القوات المسلحة واعادة تسليحها وتنظيمها •

وانتقل الى هناك وزير الدفاع والقائد العام وبعد مفاوضات أقسم خلالها القائد العـام بأن ضررا لن يمس قادة هذه الحركة ، اسـتدعى الضباط الىالخرطوم .حيث صـدر قرار بفصلهم من الجيش وكان فى مقدمتهم اليوزباشى الشهيد المناضل فاروق عثمان حمد الله وزير الداخلية فيما بعد الذى عين فى وظيفة مدنية ببلدية أم درمان .

وقد أثرت حادثة جوبا على تفكير الضباط الأحرار وأظهرت لهم أن موقف حكام ما بعد نكسـة ثورة أكتـوبر ١٩٦٤ لا يختلف كثيرا فى مضمونه عن موقف جنرالات عبود .

ويلاحظ أن الحكم المدنى قد بدأ فى هذه الفترة يهتم بزيادة القوات المسلحة لمقاومة الحركة المضادة فى الجنوب ... ويقول (هيروتز) فى كتابه (الابعاد العسكرية لسياسة الشرق الأوسط) ان ميزانية الجيش زادت عام ١٩٦٥/١٩٦٦ بمبلغ ٢١ مليون جنيه أى بزيادة ٤٢ فى المائة عن أيام الانقلاب ، كما زاد عدد القوات الى حوالى ٠٠٠ر٢٥ جندى .

قال فاروق عثمان لمراسل جريدة الموند بعد ثورة مايو (لو كنـا قد نسقنا عملنا مع المنظمات الشعبية لما كانت ثـورة أكتوبر قد فشلت وذلك لأن التحالف بين المدنيين والعسـكريين التقدميين وهو وحده الذى يمكن أن يؤدى الى اصلاحات جديدة ودائمة ومقاومة حملات الرجعية) .

الضربة التى وجهت للضباط الأحرار دفعت بعضهم الى التركيز على أهمية دور القوات المسـلحة قفزا فوق دور الشعب . وبدأ هذا التفكير ينمو فى نفوس بعضهم وخاصة جعفر نميرى والشهيد المناضل فاروق عثمان حمد الله الذى كان يتولى سـكرتارية التنظيم ، ولكن الضباط المنتمين للحزب الشيوعى كان لهم موقف فكرى ثابت لا تؤثر فيه الأحداث المؤقتة ، وهو اعتبار الجيش فصيلة من فصائل الشعب تعمل بالتنسيق مع القيادة السياسية للجماهير .

ونتيجة لهذه الروح الجديدة التى لم تعد خافيـة داخل القوات المسـلحة ، والتى أصبحت تنذر بالخطر على حكم الأحزاب التقليدية ، بادر محمد أحمد محجوب رئيس الوزراء بالاتصـال بالسفير الأمريكى راونترى للحصول على طائرات هليكوبتر وذلك فى بداية عام ١٩٦٦ ، وبعد أن وعده السفير عاد فتراجع عن موقفـه قائلا ان الجيش الأمريكى فى حاجة الى كل الطائرات .

ويعلق محجوبفى كتابه (الديموقراطية فى الميزان) ان ذلك كان لحرب فيتنام .

وعرض عليه السفير شراء نوع جديد من الطائرات على أســـاس تجارى خالص وهو تسديد الثمن خلال ســـبع سنوات بفائدة سنوية مقـــدارها ٧ فى المائة ، وعنـــدما وافقه محجوب تبين له أن الأمريكيين يقدمون الطائرات بلا تسليح وأن على السودانيين أن يبحثوا عن أسلحة للطائرات فى مكان آخر مما دفعه الى صرف النظر عن ذلك ٠

وهكذا بقى الجيش السودانى فى تخلفه الملحوظ ولم ترفع عنـــه قبضة الاحتكار الا بعد طلب محجوب من اليكسى كوســـيجين فى يوليو ١٩٦٧ بعد مقابلتـــه مرتين فى هيئة الأمم المتحدة اســـتيراد طائرات ودبابات ٠

وافق الاتحاد السوفيتى على الطلب وكان العرض ـ على حد تعبير محجوب ـ كريما جدا اذ يسدد الثمن على ١٢ سنة بفائدة قدرها ٢ر٥ فى المائة فقط ٠

ومضت عمليات التسليح السوفيتى للسودان فى طريقها كما مضت حركة الضباط داخل الجيش السودانى فى نشاطها ، كما سيرد تفصيلا فى الجزء الرابع من الكتاب (خريف عبد الناصر) ٠

● الجزائر .. عربية

(عرقلت الحكومة الفرنسية كل محاولة للأمم المتحدة تستهدف وضع حد للمجازر الاستعمارية فى الجزائر، وراحت هذه الحكومة تتصور انهـا قادرة بالمدافـع على أن تغير ارادة الله الذى جعل الجزائر قطعة من القارة الافريقية ، وجعل شـعبها جزءا من الأمة العربيـــة)

جمال عبد الناصر
من خطاب امام هيئة الأمم المتحدة
٢٧ سبتمبر ١٩٦٠
قبل استقلال الجزائر

الفصل الأول

الجزائر قبل الاستقلال

(انت تعرف اننا لسنا بالأغبياء لنعرض أنفسنا لطعنات جيشك ، وسنحاول انهاكه وتمزيقه وتدميره قطعة فقطعة)

الأمير عبد القادر الجزائرى
فى رسالة للماريشال الفرنسى عام ١٨٣٩

(اننا نريد أن نخضع الجزائر عن طريق القاهرة) .

وزير الحربية الفرنسية فى وزارة جى مو ليه ـ عام ١٩٥٦

فى تاريخ الجزائر الحديث ما يختلف عن تاريخ معظم الدول العربية فالثورة وحروب العصابات والأنصار والمقاومة المسلحة للغزاة والمحتلين نسجت فى حياة شعب الجزائر .

وعلاقة مصر بالجزائر فى عهد جمال عبد الناصر لم تكن مثل العلاقة فى عهد محمد على الذى اتفق مع الفرنسيين أخلص أصدقائه على غزو

الجزائر عام ١٨٢٩ ، ولكن الاتفاق لم ينفذ بسبب ضآلة التعويض الذى عرضه الفرنسيون •

وقد تعرضت الجزائر لمؤامرات فرنسا قبل الغزو بوقت طويل اذ اعتبر نابليون الجزائر سوقا خارجية ضرورية لتطوير الصناعة الفرنسية ، وكان يضيفها دائما الى قائمة ممتلكاته المقبلة عندما تثار مسألة تجزئة الامبراطورية العثمانية •

ووجدت فرنسا العذر المنتظر فيما سمى (ضربة المروحة) وذلك عندما أهان القنصل الفرنسى (بيير ديفال) الذى كان يعتبر حسب تعبير أحد المؤرخين الفرنسيين كما ورد فى كتاب لوتسكى (تاريخ الأقطار العربية الحديث) ـ ذا سمعة مشبوهة ونذلا وسافلا ومدبرا للمكائد •

أهان هذا القنصل (الداى) فى صبيحة يوم قائظ هو ٢٩ أبريل ١٨٢٧ اهانة شديدة ، فضربه الداى بمروحة كان يهوى بها ويطرد عن نفسه الذباب للجوج •

واعتبرت فرنسا (ضربة المروحة) مبررا كافيا لغزو الجزائر ، فأصدرت حكومة بوليفيباك فى عهد الملك شارل العاشر وأومرها بنزول جيش فرنسى من ٣٧ ألف مقاتل يوم ١٤ يونيو ١٨٣٠ على شاطىء خليج سيدى فرج الواقع على بعد ٢٣ كيلومترا الى غرب الجزائر تحت قيادة الجنرال دى بورمون •

كانت المقاومة الجزائرية شديدة الا أنها عديمة الجدوى ، وفى ٤ يوليو ١٨٣٠ سقط حصن الامبراطور ووقع (الداى) فى المساء على وثيقة الاستسلام دون قيد أو شرط •

وفى اليوم التالى ٥ يوليو دخل الفرنسيون مدينة الجزائر ، وفى ٢٣ يوليو ١٨٣٠ أقصى (الداى) عن البلاد وغادر الانكشارية الذين فقدوا ١٠٫٠٠٠ جندى فى مقاومة الغزو أمام ٤٠٠ فرنسى فقط ••• غادروا الجزائر الى تركيا ••• وبدأ الفرنسيون عملية نهب للأرض والخزائن والممتلكات •

وأعلن لويس فيليب الذى خلف شارل العاشر بعد انهيار عرشه ضم الجزائر الى فرنسا عام ١٨٣٤ رغم أنه لم يكن فى حيازة فرنسا الا المدن الساحلية •

ورغم أن القائد الفرنسى دى بومون كان قد أعلن بأنه (ستخضع الينا المملكة خلال ١٥ يوما وبدون طلقة واحدة) الا أنه أخطأ الحساب تماما ، فقد اضطر للهرب الى البرتغال بعد مقاومة جنوده لمحاولته

انقاذ أسرة البوربون فى فرنسا ... ولم تخضع الجزائر للحكم الفرنسى الا بعد ٤٠ عاما شنت فيها فرنسا حربا دموية متصلة ضد الشعب الجزائرى ، وقاد نضال الشعب البطل عبد القادر الذى ولد عام ١٨٠٨ وحج الى مكة وزار مصر وتأثر باصلاحات محمد على قبل الغزو الفرنسى .
واستخدم عبد القادر تاكتيك حرب الأنصار والأرض المحروقة ، الأمر الذى كبد القوات الفرنسية خسائر كبيرة ، ودفعتها الى عقد معاهدة (دى ميشيل) فى فبراير ١٨٣٤ ، اعترفت فيها بأن كل غرب الجزائر عدا ثلاث مدن ساحلية هى أرض تابعة للدولة العربية الجديدة برئاسة عبد القادر الذى لقب بأمير المؤمنين .

كان الأمير عبد القادر مثالا للقائد العربى البسيط الذى يعيش حياة متواضعة ، ويشارك شعبه آلامه ونضاله ، واستطاع أن يحشد من رجال القبائل المتطوعين ٧٠٫٠٠٠ ، وكون جيشا نظاميا من ١٠٫٠٠٠ جندى .
واستخدم الأساليب الحديثة الى جانب الأساليب التقليدية فى قيادة دولته ، وقاوم عسف الإقطاع ، وقسم البلاد الى ٩ مناطق .

ولم يقبل الشيوخ الاقطاعيون فى الشرق التعاون مع الأمير عبد القادر أمير المؤمنين حتى لا تلحقهم اصلاحاته ، وفضلوا مقاومة الفرنسيين تحت قيادة (الباى أحمد) .

ونقض الفرنسيون معاهدة دى ميشيل فى عام ١٨٣٥ بعد عام واحد وخاضوا حربا عنيفة ضد الشعب الجزائرى انتهت بفشل الفرنسيين وعقد معاهدة ثانية عام ١٨٣٧ اعترفوا فيها بسلطة الأمير عبد القادر فى غرب الجزائر وفى وسطها أيضا .

أما فى الشرق فقد هاجمت القوات الفرنسية مدينة قسنطينة المنيعة واستطاعوا احتلالها بعد مقاومة شعبية عنيفة فى الشوارع والدور ، ولجأ (الباى أحمد) الى الجبال النائية للمقاومة ، ولجأت قبائل شرق الجزائر الى الأمير عبد القادر تعترف به قائدا لها فى حربها الشعبية .

وانتهز الفرنسيون هذا الموقف لخرق معاهدة الصلح وأشعلوا حربا جديدة فى عام ١٨٣٩ حشدوا لها جيشا من ٧٠٫٠٠٠ جندى زادوا الى ٩٠٫٠٠٠ عام ١٨٤٤ مسلحين بأسلحة حديثة ، ومع ذلك استطاع جيش الأمير عبد القادر الذى أعلن الجهاد المقدس مقاومة المعتدين بمعنويات الجزائريين المرتفعة ، وقدرته القيادية الهائلة فى حرب العصابات والأنصار .

ويقول لوتيتسكى فى كتابه (تاريخ الأقطار العربية الحديث) ان الأمير عبد القادر أرسل الى الماريشال الفرنسى يقول (عندما يهجم جيشك

نتراجع ، وعندها يضطر جيشك للتراجع ، وسنعيد الكرة ونقاتل عندما نرى لزوم ذلك ، وأنت تعرف أننا لسنا جبناء ، الا أننا لسنا بالأغبياء لنعرض أنفسنا لطعنات جيشك ، وسنحاول انهاكه وتمزيقه وتدميره قطعة فقطعة ، وعلى الطقس أن يقوم بالباقي) •

مبادىء عسكرية صحيحة وضعها الأمير عبد القادر لتكتيكات حربه الشعبية التي امتدت سنوات طويلة •

وغير الفرنسيون أسلوبهم ••• استمالوا مشايخ الاقطاع بتوليتهم مناصب في أشد مناطق البلاد تأخرا ، وغيروا تكتيكهم العسكري الى ما عرف باسم (الطوابير المتحركة) التي انتهجت أسلوبا أقرب الى (حرب الأنصار) منه الى الحرب النظامية ، واستطاعت أن تستولي على عدد من الحصون والمدن التي كان يستند اليها الأمير عبد القادر ويقيم مصانعه الحربية فيها •

واستخدم الفرنسيون أبشع الوسائل الوحشية لابادة القبائل الموالية للأمير عبد القادر ، ويقول لوتسكي في كتابه أيضا أن أحد المعاصرين قد كتب (ان قطع رأس الأسير علانية لتلقين العرب درسا لاحترام السلطة كان أمرا هينا لدى الفرنسيين) •

وتمكن الفرنسيون بعد أربع سنوات من النضال المرير من اخضاع الأراضي الموالية للأمير عبد القادر الى سلطتهم ولجأوا مع جماعة من زملائه المخلصين الى مراكش التي كانت تساعدهم خلال حربهم مساعدة فعالة •

رفض سلطان مراكش مولاي عبد الرحمن الذار الجنرال بيجو الفرنسي بتسليم الأمير عبد القادر ، فما كان من الجنرال الفرنسي الا أن هاجم مراكش في ١٤ اغسطس ١٨٤٤ ودحر جيش السلطان وضرب طنجة والصويرة بقنابل الاسطول •

وهدد الانجليز بالتدخل مما أنقذ مولاي عبد الرحمن الذي عقد معاهدة صلح في طنجة يوم ١٠ سبتمبر ١٨٤٤ اعتبر فيها الأمير عبد القادر خارجا على القانون •

ولم يصب اليأس الأمير عبد القادر ، بل اتجه الى بلاده الجزائر يقاوم في ظروف قاسية وصعبة ، ساعدة فيها قيام انتفاضة شعبية ضد استيلاء الفرنسيين على الأرض وتحويلهم الفلاحين أصحاب الأرض الى أقنان في الاقطاعيات الفرنسية الجديدة ، وكذلك مصادرتهم لأراضي الأوقاف الموقوفة على الأعمال الخيرية •

قاد الانتفاضة الراعى أبو معزى الذى استغاث بالأمير عبد القادر وسلمه قيادة النضال الشعبى الذى عم غرب الجزائر ، وأسرع الفرنسيون بتعزيز قواتهم حتى بلغت ١٠٨ر٠٠٠ جندى قاموا بأبشع أعمال العنف والابادة الجماعية للسكان شيوخا ونساء وأطفالا ٠

واستمرت مقاومة الأمير عبد القادر حتى عام ١٨٤٧ حيث سقط فى أيدى الفرنسيين أثناء مقاومتهم فى الواحات الصحراوية ، وذلك نتيجة لخيانة مدبرة مع سلطان مراكش ٠

وبعد خمس سنوات سمحت السلطات الفرنسية للأمير عبد القادر بالذهاب الى المشرق العربى حيث استوطن دمشق وعاش بها حتى فارق الحياة بطلا مرموقا له تاريخ نضالى نابض بالبطولة والشجاعة والعروبة ٠

ورغم أسر الأمير عبد القادر فقد ظلت روح المقاومة الشعبية تنبض فى الجزائر خلال الخمسينيات فى واحات الصحراء ومناطق القبائل حتى عام ١٨٥٧ ٠

ويقول لوتسكى فى كتابه « ان الحرب الجزائرية كانت مدرسة لجلادى الطبقة العاملة الفرنسية (خلال كميونة باريس عام ١٨٧٠) حيث برز كافينياك وسانت أرنو ومكماهون ، وطبقوا فيما بعد على البروليتاريا الثورية فى باريس الأساليب التنكيلية الدموية نفسها التى كانوا قد قد استخدموها فى الجزائر ضد العرب المحبين للحرية » وظلت القوات الفرنسية تفرض قوانينها الجائرة على القبائل وتستولى على الأرض التى يمتلكها مئات الألوف من الفلاحين لصالح الشركات والرأسمالية الفرنسية ، وتواجه مع كل اجراء انتفاضات شعبية آخرها عام ١٨٧١ التى قادها الشيخ محمد المقرانى ٠

أربعون عاما متصلة من النضال الشعبى المسلح قبل أن يتمكن الغزاة الفرنسيون من فرض سيطرتهم على أرض الجزائر ٠

وبقى هذا التراث الشعبى الأصيل يتوارثه الأبناء جيلا بعد جيل بشكل أساطير شعبية خالدة ، تبعث فى دماء الجماهير روح المقاومة ضد الاحتلال والاستعباد وكل أنواع الاستعمار ٠

العروبة والاسلام :

طوال هذه الحروب التى استخدم فيها الفرنسيون كل الوسائل الوحشية القذرة التى اعترف بها الجنود الفرنسيون أنفسهم ٠٠٠ فقد قال الجنرال بيجو عندما تعرض لهجوم بعض الصحف الفرنسية (لقد حرقنا كثيرا وخربنا كثيرا ، ولكن مادمت مقتنعا بأنى فعلت شيئا لبلادى فاننى أعتبر نفسى فوق علامة الصحافة) ٠

ووصف المؤرخ الفرنسي بوديكور حالة الجنود بعد الحملة الفرنسية ضد بلاد القبائل بقوله (ان جنودنا كانوا خجلين من أنفسهم عند عودتهم من الحملة) .

ولم يكن سهلا لمثل هذا الشعب أن يموت نضاله بارادته ... ولم يجد الفرنسيون سبيلا الا بمحاولة خلع جذوره من أرضه .

قال الأب شارلس زكولد (مالم ننجح فى تحويل هؤلاء الناس الى فرنسيين فسيطردوننا خارج هذه البلاد ، والطريق الوحيد لجعلهم فرنسيين هو اعتناقهم المسيحية) .

أصبحت محاولة القضاء على الاسلام هدفا شرعيا للفرنسيين ... حولوا المساجد الى كنائس ، وأشرفوا على تعيين الأئمة والمؤذنين ، وباشروا بأنفسهم ادارة الشئون الدينية .

وأصدر نابليون الثالث قراره المعروف باسم (سان توركونسلت) الذى نص على أن الجزائريين رعايا فرنسيون ولكنهم يخضعون لأحكام الشريعة الاسلامية فاذا طلب أحدهم الجنسية الفرنسية فانه يحصل عليها بشرط خضوعه للقانون الفرنسي أى تخليه عن دينه الاسلامى .

والاسلام يقترن أساسا باللغة العربية ، وبدأت الخطة الاستعمارية لاحلال الفرنسية محل العربية والمكاتبات الرسمية فى الحكومة والبنوك والشركات .

ويقول حسين عبد الرازق فى كتابه (الجزائر ... أزمة الطريق الثالث) ان الفرنسيين لم يبذلوا جهدا فى تعليم الجزائريين حتى بالفرنسية (وكانت النتيجة أن الجزائر فقدت لغتها أو كادت ولم تكتسب لغة جديدة فتصل الى عام ١٩٤٨ (بعد ١١٨ سنة من الاستعمار الفرنسى) فنجد أن عدد الجزائريين الذين يستطيعون التكلم بالفرنسية قليلا ١٥ فى المائة بين الرجال ، ٦ فى المائة بين النساء ، أما القادرون على الكتابة بالفرنسية فنسبتهم ٦ فى المائة من الرجال ، ٢ فى المائة من النساء) .

اذا صحت هذه الأرقام فان هذا يعنى أن مؤامرة استعمارية محكمة قد فرضت على شعب الجزائر لابقائه فى حالة من التخلف الذى يعزله عن روح العصر ، بعد محاولة سلبه من رباطه المقدس بدينه ولغته بعد اغتصاب أرضه . . .

ولا شك أن راية الاسلام التى رفعها الأمير عبد القادر فوق الانتفاضات كانت هى الباعث الأصيل على ذعر الفرنسيين واصرارهم على اضعاف العامل الدينى .

ويلاحظ فى الدول العربية الاسلامية التى خضعت للحكم الفرنسى فى شمال أفريقيا أن مؤامرة عزلها عن جذورها الدينيـة والقومية كانت تقاوم بالارتداد الى الدين والتمسك بتقاليـده ، والتشبث بالرداء الوطنى حتى أصبح الرداء فى ذاته يعتبر نوعا من أنواع الاصرار على مقاومة الغزاة الفرنسيين ، واعلانا عن استمرار الصلابة القومية ٠

وظل الاسلام بكل تقاليده يلعب دورا رئيســيا فى حشد الشعب الجزائرى طوال سنوات الاحتــلال المظلمة ، ولذا كان ضروريا أن يقف أحمد بن بيللا بعد الثورة معلنا (أن الاسلام لا يتناقض مع الاشتراكيـة العلمية ، فهو جزء من الواقع الجزائرى الذى لا يمـكن للاشتراكيـة فى الجزائر أن تتجاهله ، فنحن فى حاجة لبناء الاشتراكية الثورية متلائمـة مع التقاليد العربية والاسلامية) ٠

نحــو الثورة :

كانت هذه هى كلمات أحد قادة الثـورة الحديثة لشعب الجزائر الذين واصلوا نضال (أمير المؤمنين) الأمير عبد القـادر الجزائرى ، بعد مائة عام تقريبا من استقراره فى دمشق ٠

ولم تكن هذه السنوات الطويلة خاليـــة من الانتفاضـات المسلحة المحدودة ٠٠٠ ولم تكن خالية من روح المقاومة ٠

رفض أغلب الجزائريين اغراء التجنس بالجنسية الفرنسية والتخلى عن اللغة والدين ، رغـم الميزات التى يحصـــل عليها الجزائرى بهـذا الانتقـــال ٠

وفشلت سياسة الاندماج أمام تشبث الجزائريين بدينهم وتقاليدهم وقانون الأحوال الشخصية الخاص بهم ٠

وحاول بعض الجزائريين كسر قيود الاحتـــلال الفرنسى عن طريق الارتباط بالحزب الشيوعى الفرنسى الذى يناضل ضد الامبريالية بكافة أشكالها ، ونشأت أول حركة جزائرية وطنيـــة فى التاريخ الحديث فى باريس تحت اسم (نجمة شمال أفريقيا) وكان مؤسسها الحاج عبد القادر الذى وصل الى عضوية اللجنـــة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى ثم خلفه مصالى الحاج الذى انضم أيضـا للحزب الشيوعى وحضر اجتماعات الدوليـة الثالثـة فى موسكو عام ١٩٣٠ ، وأصـدر جريدة (الأمة) ثم انفصل بعد ذلك عن الحزب الشيوعى الذى نقد تصرفاته وآراءه نقـــدا شـديدا ٠

وظلت مع ذلك رابطـــة وثيقة بين الحزب الشيوعى الفرنسى وبين عدد من الجزائريين الذين انضموا اليه وناضلوا فى صفوفه ٠

وبعد الحرب العالمية الثانية وما بعثته في العالم من روح تحررية للمستعمرات في حضانة هيئة الأمم المتحدة ، وما نشب في بعض دول منطقة التحرر الوطني من ثورات وطنية ، أخذ الشعب الجزائري يتأمل حياته وواقعه ، وتدرس العناصر الثورية ظروف الوطن العربي والاتجاهات العالمية ، وتحاول الارتباط والاستناد الى القوى الوطنية في البلاد العربية الأخرى .

وافتتح في القاهرة عام ١٩٥٠ خلال حكم الوفد (مكتب المغرب العربي) يضم ممثلين لعدد من الأحزاب الوطنية في المغرب العربي ... حزب الحر الدستوري في تونس ويمثله الحبيب بورقيبة ، وحزب الاستقلال المغربي ويمثله علال الفاسي ، وحركة انتصار الحريات الديموقراطية التي يقودها مصالي الحاج .

وعندما انتصرت ثورة يوليو ١٩٥٢ دعمت نضال هذه القوى السياسية .

ونشرت الصحف يوم ١٦ اغسطس ١٩٥٣ أن علال الفاسي قد استنجد بمحمد نجيب لوقف مؤامرة فرنسا التي دبرتها لخلع السلطان محمد الخامس من المغرب ، في نفس اليوم الذي تآمرت فيه القوات الأمريكية في ايران لاعتقال مصدق وأنصاره وقلب حكومته بوساطة الجنرال زاهدي الذي أعدم حسين فاطمي وزير الخارجية .

وبادر محمد نجيب الى اعلان تأييد مصر للسلطان محمد الخامس ، وتأييده أيضا لحكومة مصدق الشرعية معاديا بذلك الانقلاب العسكري الرجعي لزاهدي .

موقف ثورة يوليو منذ اليوم الأول كان واضحا تماما في مساندة حركات التحرر الوطني ... ولذا هرع اليها زعماء النضال العربي يستظلون بحمايتها ، ويأخذون القوة من تشجيعها المادي والأدبي .

وخلال هذه الفترة عام ١٩٥٤ وفد الى مصر مجموعة من الثوريين الجزائريين ، كان من بينهم أحمد بن بيللا الشاويش السابق في الجيش الفرنسي الذي حارب في صفوفه خلال الحرب العالمية الثانية وحصل على أوسمة لشجاعته .

وصل بن بيللا الى القاهرة في البداية مندوبا لمصالي الحاج ، والتقى ببعض ضباط المخابرات المصريين الذين كانوا يتولون مسئولية الاتصالات السياسية العربية ومنهم فتحي الديب وعزت سليمان .

وكانت القوى الجزائرية فى ذلك الوقت تجتمع الى النضال السياسى من أجل اقرار حقوق الشعب ... ولكن هذا الاتجاه الاصلاحى الوديع لم يرض المستعمرين الفرنسيين ... وما حدث فى مايو ١٩٥٤ وضع حدا نهائيا لتفكير المقتنعين بأن العمل السياسى وحده يمكن أن يحرر الجزائر ، وحول الاتجاه الى تقاليد الشعب الجزائرى العريقة وهى المقاومة المسلحة وحرب الأنصار .

كان الجزائريون فى ذلك اليوم من أيام مايو ١٩٥٤ يتظاهرون تأييدا لذكرى انتصار الحلفاء على النازى بمناسبة مرور عشر سنوات على انهاء الحرب العالمية الثانية ، ولكنهم كانوا يرفعون علم الجزائر وهو من المحرمات ... وبدأ الصدام بين القوات الفرنسية والشعب الاعزل بصورة شاملة امتدت الى المشرق وخاصة المنطقة المحاصرة بين بوجى وبجاية وستيف وبين عنابة وسوق الأهراس حيث قتل ٤٥٫٠٠٠ قتيل وحرقت آلاف الدور ، وذلك بناء على اعتراف الحكومة الفرنسية .

كانت هذه المذبحة التى عرفت باسم (مذبحة ستيف) عودة الى أساليب القرن التاسع عشر البربرية وجنوحا الى العنف الشديد فى مقاومة الحركة الوطنية الجزائرية ، ونهاية لأفكار الاصلاحيين الذين هالتهم قوة الاستعمار الفرنسى وسطوته فآثروا المعارضة تحت جناحيه بأسلوب قانونى لايثير ولا يستفز .

ولكن الثوريين اتخذوا منهجا جديدا كانت بوادره قد ظهرت فى تجمع وحدات للمقاومة فى الجبل منذ عام ١٩٤٧ ، تحت زعامة كريم بلقاسم ، ولكنها لم تكن ذات تأثير واضح عند الشعب الجزائرى ، كما أنها لم تكن قد وصلت بعد الى حد تشكيل خطر جدى على الوجود الاستعمارى الفرنسى .

ولكن براعم المقاومة التى بزغت عام ١٩٤٧ ، سرعان ما التقت بعد (مذبحة ستيف) بارادة شعبية جماعية تستهدف تحرير الأرض عن طريق النضال المسلح .

وكان أحمد بن بيللا قد وصل الى القاهرة فى اغسطس ١٩٥٣ ، بعد الحكم عليه فى حادث بريد وهران .

وتم الاتفاق خلال هذه الفترة بين أحمد بن بيللا وجمال عبد الناصر الذى كان يفتح أبوابه للقاء الثوريين العرب ، على مساندة الحركة الثورية فى الجزائر بلا حدود أو شروط .

وكانت قد شكلت فى الجزائر (اللجنة الثورية للوحدة والعمل) من تسعة هم (أحمد بن بيللا ، حسين آية أحمد ، العربى بن مهيدى ،

محمد بوضياف ، مصطفى بن بولعيد ، رابح بيطاط ، ديدوش مراد ، محمد خضير ، كريم بلقاسم) .

وقد أعلن صوت العرب ساعة الصفر فى أول نوفمبر ١٩٥٤ ، باذاعة بيان جبهة التحرير الجزائرية المصاحب لتفجير ٢٤ قنبلة فى أماكن مختلفة ... ويقول أحمد سعيد أن جهاز اذاعته الناشىء كان تابعا لادارة المخابرات العامة وأنه كان يتلقى التوجيهات بالنسبة لمعركة الجزائر من عزت سليمان ، وفتحى الديب ، وأنه عقد صلات مع كثير من المناضلين الجزائريين .

ويقول أيضا أن جمال عبد الناصر كان يتابع الاذاعة شخصيا ويعطى بعض التوجيهات والتعليمات .

وصوت العرب بدأ ارساله فى البداية عام ١٩٥٣ ، بمدة ارسال ساعة و ٤٥ دقيقة ، زادت فى العام الأول بعد مناقشة دعا اليها صلاح سالم وزير الارشاد عقب عودته من رحلة فى السودان كلا من حسين ذو الفقار صبرى وعبد الفتاح حسن المسئولين عن السودان ، وأحمد سعيد زادت الى ثمانى ساعات فى اليوم خلال السنة الأولى ، ثم تضاعفت الى ٢٢ ساعة فى اليوم فى عهد صلاح سالم واستمرت كذلك حتى الآن .

وقد انشئت فى نوفمبر ١٩٥٥ اذاعة سرية خاصة للجزائر ظلت تذيع حتى انتصار الثورة ، ويقول أحمد سعيد أنها الموجة التى انتقلت اليها موجة الاذاعة المصرية خلال عدوان ١٩٥٦ ، بعد ضرب محطة الارسال فى أبى زعبل .

الثورة :

ما كادت القنابل الأولى للثورة تنفجر فى أول نوفمبر مع بيان جبهة التحرير حتى وجدت أرضا خصبة وشعبا متعطشا للقتال والتضحية . ووجدت الأحزاب والقوى السياسية الجزائرية التى تبنت الاتجاه الاصلاحى أنه لم يعد أمامها من سبيل الا الارتباط بالعمل الثورى حتى لاتنعزل وتتخلف عن ارادة الشعب .

وأعلن فرحات عباس عام ١٩٥٥ ، انضمام حزبه (حزب البيان العربى) الى جبهة التحرير ، وانضم أيضا المترددون من حزب مصالى الحاج (حركة انتصار الحريات الديموقراطية) وهم الذين عارضوا (اللجنة الثورية للوحدة والعمل) فى البداية ... وأخيرا جمعية العلماء التى حافظت على تراث الشعب الجزائرى وتقاليده ، والتى أعلن زعيمها (بن باديس) عام ١٩٣٩ ، عندما قويت دعوة الارتباط بين الجزائر

وفرنسا ومشاركة الجزائر فى الحياة السياسية والثقافيـة الفرنسـية قوله (الشعب الجزائرى ليس هو فرنسا ، ولا يرغب فى أن يكون فرنسا ، وحتى لو أراد لما استطاع لأنه شعب بعيد جدا عن فرنسا بلغته وعاداته وأصله ودينه) .

ثم حاول الجنرال سوستيل الذى عين حاكما للجزائر عام ١٩٥٥ .. الاعتماد على بعض عناصرها لتكوين قوة ثالثة ، ولكن رفض بعض زعمائهم واغتيال الذين قاموا بالاتصالات بيد عناصر من الجبهة أوقف محـاولة سوستيل وحشد كافة القوى فى جبهة التحرير .

لم يكن ممكنا لهذه الأحزاب أن تقف فى اتجاه مضاد للتيار الثورى الذى وجد صدى عالميا وعربيا ... ولم يكن سـهلا عليهم الحصول على أنصار بين شعب الجزائر فى الوقت الذى كانت تسـيل فيه الدماء يوما بعد يـوم .

وكانت قرارات مؤتمر الصمام الذى انعقد فى ١٨ أغسطس ١٩٥٦ ، هى الأساس الذى قامت عليه أفكار الثورة .

وبدأت ثورة يوليو تؤدى دورها التاريخى فى مساندة ثورة الجزائر ، وحرص جمال عبد الناصر على توفير كافة الامكانيات المتاحة للمقاتلين فوق أرض الجزائر .

وكانت الأسلحة تتدفق من مصر الى ثـورة الجزائر قبـل اعلانها والى الجيش المغربى أيضا بعد عزل السلطان محمد الخامس .

يقول عزت سليمان ضابط المخابرات المسئول عن مسـاعدة ثورة الجزائر فى ذلك الوقت وسفير مصر فى ايران حاليا ، إن الأسلحة كانت تأخذ طريقين : البر خـلال ليبيا بسـماح من الملك السنوسى المولود فى تلمسان ، والذى كانت تشجعه الحكومة البريطانية على ذلك لأنه كان من مصلحتها اخراج فرنسا واضعاف نفوذها بعد تصفية معظم المستعمرات البريطانية ...

وطريق البحـــر .

ويروى عزت سليمان موقفا تعرضت فيـه القوات البحرية المصرية لكشف أمرها ... عندما أرسلت شـحنة على اللنش (فخر البحار) ، وحدث خلاف فى موعد ونظـام لقـاء ثوار الجزائر مع اللنش ، وخاصة بعد غرق لنشين صغيرين وهما محملان بالسلاح قبل أول نوفمبر ١٩٥٤ .

واضطر عزت سليمان الى التوجه لمينـاء برشلونة الاسبانى ، حيث وجد (لمفاجأته الشديدة) استقبالا رسميا من البحرية الاسـبانية ، بعد

ان أبلغهم الملحق العسكرى فى ذلك الوقت البكباشي عبد المنعم النجار سفير مصر بالعراق حاليا بأن قطعة بحرية مصرية تتجول فى البحر الأبيض وتزور أسبانيا ضمن جولتها .

امداد مصر لثورة الجزائر بالأسلحة لم يتوقف ، ودعمها ماديا واعلاميا لم يتوقف أيضـــا .

وعندما زار كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا مصر فى مطلع عام ١٩٥٦ ، طلب من جمال عبد الناصر التوسط لايجاد حل سلمى ، كمـــا أعلن جمـــال عبد الناصر ذلك أمام هيئـــة الأمم المتحـــدة فى الدورة الخامسة عشرة يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٦٠ .

ويقول جمال عبد الناصر : « كان ردى اننى على استعداد للتوسط صيانة للحقوق وصيانة للدماء ، وأنه ليس أحب الينا من عقد سلم شريف يصون لكل صاحب حق حقه . وأبدت الحكومة الفرنسية فى ذلك الوقت رغبتها فى ارسال وفد الى القاهرة ليتولى المفاوضات مع زعماء المقاومة فى الجزائر ، ولقد أرسلت فعلا الى هؤلاء الزعماء أدعوهم الى القاهرة ليلتقوا بالوفد الفرنسى حين يجىء لعل المحاولة قد تسفر عن بارقة رجاء ... ومن المؤسف ان الوفد الفرنسى وصل الى القاهرة والتقى بالوفد الجزائرى ، ثم سافر هذا الى فرنسا لاجراء مشاورات مع حكومته ... وظل الوفد الجزائرى فى انتظاره فى القاهرة ، ولكن الوفد الفرنسى لم يعد حتى هذه اللحظة الى القاهرة ، بل كان ما هو أكثر مدعاة للأسف ، فظلت فرنسا تتحين الفرص لهؤلاء الزعماء حتى استطاعت ان ترغم طائرة مدنية كانوا بين ركابها فوق البحر على النزول فى أحد المطارات الخاضعة لسيطرتها ثم القت القبض على هؤلاء الزعماء » .

تمت عملية القرصنة الجوية التى اشار اليها جمال عبد الناصر يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٥٦ ، أثنـاء سفر الزعماء الخمسـة أحمد بن بيللا ومحمد خيضر وحسين آية أحمد ورابح بيطاط ومحمد بوضـياف من المغرب فى طائرة فرنسية ، حيث وضعوا بعد ذلك فى ثاتو دونوى فى جزر الأنتيل .

ويقول أنتونى ناتنج فى كتابه (ناصر) أن جمال عبد الناصر طلب من كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا وقف تسليح اسرائيل ـ وكانت هى أكثر الدول امدادا لها بالسلاح فى ذلك الوقت ، كما أنها كانت تفتح معسكرات تدريب لقوات الهاجاناه ـ نظير أن يوقف هجومه على الاستعمار الفرنسى ... ولكن بينو طلب وقف مساعدة الجزائريين ... ورفض ناصر فى حسم .

ويقول ناتنج أن بينو وجد فى عبد الناصر قائدا وطنيا وليس نظيرا لهتلر كما حاول جى موليه زعيم الحزب الاشتراكى أن يصـــوره للناس خلال الدعاية الفرنسية المضـــادة التى حاولت تصـــوير عبد الناصر بأنه المسئول عن ثورة الجزائر ٠

وجاك سوستيل الحاكم العسكرى الفرنسى للجزائر عام ١٩٥٥ صرح بأن (مصر هى رأس الأخطبوط الذى كانت خطاطيفه تخنق لمدة شهور شمال أفريقيا الفرنسى) ٠

ولم يتردد جمال عبد الناصر فى اجابة كينيث لف فى حديث صحفى بأنه أرسل أسلحة للثورة الجزائرية ٠

ارتبط مصير ثورة يوليو بثورة الجزائر ، وربطت الحكومة الفرنسية بين معاناتها فوق أرض الجزائر وبين التأييد الواضح الحاسم لمصر ٠

وقبضت السلطات الفرنسية عام ١٩٥٦ على السفينة (أتوس) وفيها شحنة من السلاح المصرى فصادرت السفينة وحاكمت طاقمها ٠٠٠ وأعلن ذلك جمال عبد الناصر فى يوليو ١٩٦٢ أمام أعضاء المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية المنعقد بشأن الجزائر ٠

وكان اعلان جمال عبد الناصر تأميم قنـاة السويس فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ مثيرا لحقد الحكومة الفرنسية التى شـــاركت فى تدبير العدوان الثلاثى على مصر كما ورد تفصيلا فى الباب الأول من الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ، بعد أيام قليلة من عملية القرصنة الجوية التى عزلت زعماء الثورة عن جماهيرها ٠

أعلن وزير الحربية فى وزارة جى موليـــه (اننا نريـــد أن نخضع الجزائر عن طريق القاهرة) ٠٠٠ وفرقة المظلات الفرنسية التى نزلت فى بورفؤاد كان يقودها الجنرال ماسو قائد معسكرات الاعتقال الرهيبة فى الجزائر وقائد المظليين الفرنسيين فى الجزائر ٠

∴ كانت المعركة فى جوهرها واحدة ؟

فى كواليس الثورة :

ولا شك أن اعتقال زعماء الثورة الجزائرية قد أدى الى بروز المنازعات الشخصية بين القيادات الأخرى ٠٠٠ فكانت الولايات المتباعدة تحاول الانفراد بالسلطة وعدم الرضوخ فى سهولة لقيادات أعلى ٠

كما أن اعلان حكومة الجزائر الحرة المؤقتة التى أعلنت من القاهرة فى ١٩ سبتمبر عام ١٩٥٨ والتى قال جمال عبد الناصر عنها فى حديث له

مع الصحفى كارانجيا فى ٢٩ سبتمبر ١٩٥٨ أن اعلانها فى القاهرة (هو الدليل الواضح على تاييدنا الكامل لها ٠٠٠ واننا نثق فى أن اعلانها سيكون عاملا يبعث المزيد من القوة والشجاعة فى قلوب اخواننا الجزائريين الشجعان الذين يحاربون نصف مليون جندى مسلحين بأسلحة حلف الاطلنطى) ٠

تشكلت هذه الحكومة برئاسة فرحات عباس رئيس حزب البيان العربى السابق وكان لها نائبا رئيس هما كريم بلقاسم الذى كان وزيرا للدفاع أيضا وأحمد بن بيللا ، ووزراء الدولة حسين آية أحمد ورابح بيطاط ومحمد بوضياف ومحمد خيضر ٠

واقتصرت مسئولية هذه الحكومة عند بدء تشكيلها على جمع الاعانات والمؤن والتزويد بالسلاح ، ولم تبدأ عملها كقيادة مقنعة راسخة للمقاتلين ٠

وصحب تكوين الحكومة خلق شائعات وانحرافات أدت الى حساسيات بين المقاتلين فى الداخل وبين مناضلى الخارج ٠ ونبت تناقض آخر بين الحكومة المؤقتة وجيش التحرير فى كل من تونس والمغرب ٠

كما ظهرت تناقضات ثانوية وجانبية اقليمية وعشائرية وشخصية ، أدت الى ارتكاب جرائم مأساوية ٠ ليس هذا الكتاب هو مجال الافاضة فيها ، وانما نذكر بعضها تدليلا على وجود صراعات رهيبة فى حدود النضال المشترك ٠

وكانت هذه التناقضات تنتهى غالبا الى الاغتيال والتصفية البدنية ٠٠٠ وسيادة لغة السلاح على لغة السياسة ٠

اعلن بعد الاستقلال تغيير فى أسماء خمسة من أسماء الشوارع الرئيسية فى الجزائر لتحمل أسماء أبطال الثورة الشهداء بدلا من الأسماء الفرنسية ٠

وحملت الشوارع أسماء بن مهيدى ، والكولونيل عمروش ، وبن بولاد وديدوش مراد وعبات رمضان ٠ ولكن الحقائق التى يعرفها الجميع تشير الى أن الاثنين الأولين فقط هما اللذان قتلا فى معارك التحرير ، وأن الآخرين قد قتلوا بأيدى رفاقهم فى النضال ٠

ونشب صراع بالسلاح بين أعضاء جبهة التحرير وبين أعضاء (الحركة الوطنية الجزائرية) الاسم الجديد لحزب مصالى الحاج السابق (حركة انتصار الحريات الديموقراطية) بلغ من الوحشية والعنف درجة مذهلة ٠

وفى ظل هذا الجو استطاعت حكومة فرنســا كما يقول (أرسلان همبراكى) فى كتابه (ثورة فشلت) أنه أمكن تجنيد ٢٠٠٫٠٠٠ جزائرى يعملون لحساب مخابراتها وتنفيذ مخططاتها •

قال لى عزت سليمان أن تفاصيل حركات الخيانة والاغتيال والتصفية البدنية ، يمكن أن تملأ مجلدات ••• تماما كما تستطيع قصص البطولة والتضحية والفداء لبسطاء الناس أن تملأ مجلدات أخرى •

هذه حقائق يعرفها المناضلون الجزائريون ، ولكنهـا أبدا لم تقف عائقا دون نمو المد الثورى وحركة الكفاح المسلح •

وفى ذلك قال بومدين فى مؤتمـر جبهة التحرير فى أبريل ١٩٦٤ (يطالب البعض بأن يكون الحزب مطهرا لا يضم فى عضويته أيا من هؤلاء الذين تثقل الجرائم ضمائرهم ••• ولكن من منا فى هذا المؤتمر يدعى الطهر والنقاء) •

ظاهرة تفشت خلال ســنوات الثورة الجزائرية كنتيجة رئيســية لغيبة الزعماء الحقيقيين للثورة ، ولغيبة التنظيم الحزبى الحديدى الذى يعبر عن أيديووجية ثورية واضحة •

كان تيار الوطنية الجزائرية المتدفق ضــد الاحتلال الفرنسى هو الذى يجمع كل المناضلين ••• ولكن الوحدة الفكرية والنظرة السياسية والأهداف الاجتماعية لم تكن أبدا محل اتفاق جماعى •

ولم يستطع نفوذ جمال عبد الناصر واحترام شخصيته التأثير فى الجبهة بحيث تتوافر لهـا قيادة موحدة متجانسة مسلحة بعقيدة وفكرية ثورية واضحة ••• وذلك لسببين : أولهما أن صلات ثورة يوليو مع ثوار الجزائر كانت تنعقد عن طريق ضباط المخابرات الذين ســبق توضيح دورهم الرئيسى فى الحركة السياسية العربية ، الذى كان يقوم أساسا على واجبات ومهمات تنفيذية وليست سياسية ••• وثانيهما أن مصر حتى ذلك الوقت كانت تعيش فى فترة الإتحــاد القومى حيث كانت الحيرة مازالت تغلف الوضوح السياسى الذى نبت مع صدور الميثاق عام ١٩٦٢ •

وهكذا كان الاعتماد على ضباط المخابرات وحدهم فى عقد الصلات السياسية ••• وغيبة الايديولوجية الثورية فى مصر ، عاملين من أهم العوامل التى لم تؤثر فى ثورة الجزائر التى كانت تربطها بمصر وزعيمها جمال عبد الناصر أوثق الصلات •

وظلت التناقضات الثانوية تنمو بلا حســم فى صفوف الثــورة الجزائرية ، وأعيد تشكيل الوزارة برئاســة فرحات عباس فى طرابلس

يوم ١٨ يناير ١٩٦٠ وبقى كل من كريم بالقاسم فى منصبه نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للشئون الخارجية بدل الحربية وبقى أيضا أحمد بن بيللا نائبا لرئيس الوزراء وزملاؤه الأربعة المعتقلون وزراء للدولة .

ونقص عدد الوزراء من ١٩ وزيرا فى الوزارة الأولى الى ١٢ وزيرا فقط .

واستمر تشكيل الوزارة على ما هى عليه حتى ٢٧ أغسطس ١٩٦١ عندما عين يوسف بن خده رئيسا للوزراء ومسئولا عن المالية ، وكريم بلقاسم نائبا للرئيس ومسئولا عن الداخل وأحمد بن بيللا ومحمد بوضياف نواب رئيس أيضا ، وبقى محمد خيضر ورابح بيطاط وزراء دولة .

وتشكلت الوزارة أيضا من ١٢ وزيرا مثل الوزارات السابقة .

ولم يكن يوسف بن خده يمثل قوة سياسية رئيسية فى اتجاه الثورة الجزائرية .

الجزائر ... ومصر ... وفرنسا :

كان جمال عبد الناصر ينظر الى أحمد بن بيللا باعتباره الزعيم الغائب .

عندما سأله محرر مجلة (كل شىء) اللبنانية بتاريخ ١٣ مايو ١٩٦٢ عما اذا كان قد قرأ الحملة المتطرفة التى شنتها مجلة (بارى ماتش) على أحمد بن بيللا لأنه أعاد الى عبد الناصر الفضل الأول فى انتصار ثورة الجزائر ، ولأنه قام بزيارة عبد الناصر قبل زيارة أى بلد أو رئيس عربى بعد الأفراج عنه .

قال عبد الناصر (ان علاقتى بالصديق بن بيللا علاقة قديمة تعود الى ما قبل الثورة ... الى عام ١٩٥٤ عندما كان يقيم فى القاهرة كلاجىء سياسى ... وقد توطدت علاقتى الأخوية به وزملائه زعماء الجزائر وأعضاء حكومتها ، ولم تنقطع الاتصالات بيننا فى أى وقت) .

وعندما سأله المحرر (وهل ظلت هذه الصلة قائمة عندما كان بن بيللا فى السجن) .

ضحك عبد الناصر وقال (وهو فى السجن فى باريس ... كانت الاتصالات مستمرة بيننا ولم تنقطع أبدا) .

ويروى هنرى كورييل السكرتير السابق للحركة المصرية للتحرر الوطنى ثم الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ، والذى طرد من مصر

عام ١٩٥٠ نهائيا لموقفه السياسى ، ومع ذلك ظلت تربطه بمصر علاقات وثيقة عن طريق ثروت عكاشة الملحق العسكرى فى باريس .

يقول هنرى كورييل أن هدف جى موليه كان التخلص من جمال عبد الناصر للتغلب على الثورة الجزائرية ، ولكن الموقف تغير بعد وصول ديجول الى الحكم فى ١٣ مايو ١٩٥٨ لتكملة الحرب الجزائرية .

حدثت اتصالات بين فرنسا ومصر بعد عدوان ١٩٥٦ قام بها بييركوت رئيس الاتحاد التقدمى وأحد وزراء الجبهة الشعبية عام ١٩٣٩ ومن الذين اشتركوا فى الحرب الأهلية الأسبانية ضد الفاشية ومعه أندرية فيليب وزير اشتراكى سابق ، وكان الهدف من ذلك اعادة العلاقات مع مصر .

ولكن جمال عبد الناصر رفض اعادة العلاقات مع استمرار الحرب الجزائرية . ويقول أنطولى لاتنج أنه بعد فشل هذه الاتصالات زاد عدد الجنود الفرنسيين فى الجزائر حتى وصل الى ربع مليون جندى .

وبعد اعلان الحكومة الجزائرية المؤقتة تم اتصال سرى آخر فى أواخر عام ١٩٥٨ بين وزير الخارجية الفرنسى كوف دى مور فيل وثروت عكاشة سفير مصر فى روما .

تمت المقابلة سرا فى سويسرا حيث كان كوف دى مورفيل يمثل فرنسا فى مؤتمر هناك ... وخلال المقابلة قال ثروت عكاشة ان مصر لا تستطيع اعادة العلاقات مع فرنسا مادام شعب الجزائر يتعرض لطغيان التدخل الفرنسى ، وأحمد بن بيللا ورفاقه محتجزين فى سجون فرنسا .

شارك فى اعداد هذه المقابلات هنرى كورييل ، كما شارك أيضا فى ايجاد صلة مستمرة بين مصر وبين بيللا داخل السجن ساعده فى ذلك عدد من أصدقاء الشعب المصرى التقدميين ، الأمر الذى انتهى باعتقال السلطات الفرنسية لهنرى كورييل فى أكتوبر ١٩٦٠ وادخاله السجن بتهمة مساعدة الثورة الجزائرية وبقي به حتى يوليو ١٩٦٢ .

موقف جمال عبد الناصر فى تأييد ثورة الجزائر لم يعرف التردد أو المساومة ، واقتناعه بزعامة أحمد بن بيللا كان مؤشر اتجاهه وحركته .

وعندما مضت على العدوان الثلاثى سنوات ، وبدأت العلاقات تعود تدريجيا الى طبيعتها القديمة ... كان موقف مصر من انجلترا يختلف عن موقفها من فرنسا .

عادت العلاقات الديبلوماسية مع انجلترا بصورة محدودة فى ديسمبر ١٩٥٩ وعين كولين كرو الذى كان رئيسا للجنة المقتنيات البريطانية

التى نجمت عن تأميم قنــاة السويس وزيرا مفوضا حتى عادت العلاقات كاملة بتعيين سير هارولد بيلى سفيرا فى مارس ١٩٦١ ٠

ورغم أن صلة كولين كرو كرئيس للجنة المقتنيات كانت بعيدة عن وزارة الخارجيـــة ومرتبطة بوزارة الخزانة ، الا أن جمــال عبد الناصر لم يأخذ موقفا جامدا فى ايجاد قنوات للعلاقات مع لندن ، فكلف محمــد حسنين هيكل ـ كما يقول أنتونى ناتنج ـ بالاتصــال بكولين كرو بصفة دورية ، الأمر الذى جعله أكثر اطلاعا على مجــريات الأمور من كثير من السفراء كما كتب ناتنج فى كتابه (ناصر) ٠

وظهرت هذه الصلة الطيبة بصورة عمليـــة عند رحيل كولين بعد تعيين السفير البريطانى ، وكانت هدية عبد الناصر رغم عدم مقابلته له مطلقا هى الافراج عن الجاسـوسين البريطانيين جيمس زارب ، وجيمس سوينبون بعد الحكم عليهما بعشر سنوات ٠

الموقف مع فرنسا كان يختلف ٠٠٠

لجنة المقتنيات لم تكن لها قنوات موصلة الى جمال عبد الناصر ٠٠٠ وفى نوفمبر ١٩٦١ اعتقل رئيس اللجنــة أندريه ماتى بتهمة التجسس والتخريب مع أربعة من زملائه أعضاء اللجنة وستة من المصريين المتعاونين معهم ٠٠٠ وكان جواب فرنسا حظر التعامل التجارى مع مصر ٠

لم يفرج عن هؤلاء الفرنسيين الا بعد خمســـة شهور عقب توقيع اتفاقية افيان فى ١٨ مارس ١٩٦٢ واعلان ديجول لاستقلال الجزائر ٠

طوال سنوات الثورة الجزائرية وجمــال عبد الناصر يحمل لواء الدفاع عنها فى كل مكان ٠٠٠ فى رشيد يوم ٢٨ يوليـــو ١٩٥٩ أثناء الاحتفال بمرور ١٥٠ سنة على طرد الانجليز قال عبد الناصر (ان فرنسا بعد خمس سنوات تئن من شعب الجزائر الاعزل أكثر مما يئن شعب الجزائر الذى فقد مليونا من الشهداء فى هذه الحرب المقدسة) ٠

وأمام برلمان الهند فى ٣٠ مارس ١٩٦٠ بلور هموم الأمة العربية فى حالة شعب فلسطين الذى شرد من دياره ، وحــالة شعب الجزائر الذى يحمل السلاح مرغما للدفاع عن حقه فى الوجود على أرض بلاده ٠

ومن فوق منبر الأمم المتحدة فى ١٧ سبتمبر ١٩٦٠ ٠٠٠ وفى احتفال الاتحاد القومى بيوم الجزائر فى نوفمبر ١٩٦٠ ٠

فى كل هذه المواقع وغيرها ٠٠٠ وفى كل أحاديثه الصحفية ٠٠٠ كان جمال عبد الناصر المدافع الصلب عن حــرية الشعب الجزائرى وحقــه فى النضــــال ٠

وأنقل هنا نص حديث دار بين جمال عبد الناصر وبعض الصحفيين الأجانب في ٢٥ أبريل ١٩٦٠ عقب أزمة الباخرة كلنيوباترة التي رفض عمال الشحن في أمريكا تفريغها تأييدا لاسرائيل ٠

سأل أحد الصحفيين عبد الناصر هذا السؤال :

على ذكر مسالة التسلل الشيوعي بالشرق الأوسط ، فان هناك مظهرا آخر أود أن أعرضه على سيادتكم ذلك أن حكومة الجزائر الحرة طلبت متطوعين لينضموا الى جيشها كما تعلمون ٠٠٠ فهل سيكون لحكومتكم موقف معين حيال أى متطوعين من الصين الشعبية يريدون المجيء الى الشرق الأوسط لينضموا الى الجيش الجزائرى ؟

وأجاب عبد الناصر (من رأيى أنه يجب أن يتمتع الشعب الجزائرى بالاستقلال ولن نعترض على الطريقة التى يتبعها فى سبيل الظفر بهذا الاستقلال) ٠

وأعاد الصحفى السؤال قائلا : (انا لا أثير ياسيدى الرئيس مسالة استقلال الجزائر وانما أثير مسالة مجيء الصينيين كمتطوعين واشتراكهم فى حركة الاستقلال الجزائرية ؟) ٠

وقال عبد الناصر (أرجو أن تنظر الى الجيش الفرنسى فانه يضم جنودا من ألمانيا ومن دول أخرى كثيرة ، فلماذا تعترض على حق الجزائريين فى أن يضم جيشهم متطوعين من كل الدول بما فيها الصين ٠٠٠ انى لا أرى سببا يدعو الى الاعتراض) ٠٠

وألح الصحفى فى سؤال ثالث : ألا ترى ياسيادة الرئيس ٠٠٠ أن فى ذلك ما يدعو الشرق الأوسط الى القلق بشأن هذه المسألة ؟

وكان الجواب : انى متأكد أنه لن تتمكن أى عناصر شيوعية من التأثير مهما حدث على القومية العربية فى البلاد العربية بما فيها الجزائر ٠ بل العكس ، أعتقد عن يقين أن أفكار القومية العربية هى التى ستسود فى النهاية وستظل دائما سائدة ٠

ويلاحظ أن جمال عبد الناصر كان يجيب على هذه الأسئلة فى فترة وجود الشيوعيين المصريين داخل المعتقلات بعد أزمة أول يناير ١٩٥٩ ٠

وواصل الصحفى الحاحه فى السؤال قائلا : ألا ترون ياسيادة الرئيس أن هذه تعتبر محاولة تسلل عسكرى شيوعى قوامه متطوعون للجزائر من الصين الشعبية أو من الاتحاد السوفيتى فهل مثل هذا التسلل الشيوعى العسكرى ينطوى على خطر على العالم الغربى ؟

وكان جواب عبد الناصر : انظر الى مشكلة الجزائر باعتبارها بلاد الجزائر وشعب الجزائر . لقد قتل من هذا الشعب مليون شخص منذ نشبت الثورة الجزائرية ، أى أن عشر الشعب الجزائرى قد لقى حتفه . لهذا أظن أنه لو تلقى الشعب الجزائرى مساعدة من أى جهة فان هذه المساعدة ستنقذ مليونا من أبناء هذا الشعب من الهلاك ... وأما فيما يتلعق برأيى فى مسألة التسلل الشيوعى فانى أرجو أن تنظر مثلا الى مصر وسوريا . أين هو ذلك التسلل الشيوعى ؟ لقد نشرت الصحف الأمريكية لفترة طويلة أننا نخضع للنفوذ الشيوعى وراحت تعيد وتزيد فى أننا نواجه التسلل الشيوعى بسبب صفقات الأسلحة التى عقدناها مع الدول الشيوعية ، وبسبب علاقاتنا الاقتصادية مع هذه الدول . ولكن هل كان ما نشرته الصحف الأمريكية عن هذه المسألة حقيقيا ؟

هكذا حاول الصحفيون الغربيون حصار جمال عبد الناصر وبذر بذور التناقض أو الخلاف بينه وبين الثورة الجزائرية فى وقت كانت علاقته فيه مع الاتحاد السوفيتى ليست أفضل حالاتها ... وفى وقت كانت الثورة الجزائرية فيه تعتمد على مصر أساسا . وشخصيته تلعب دورا رئيسا فى هذا المجال ... ولكن جمال عبد الناصر بكلماته الواضحة حطم كل محاولات التسلل الغربى الى صفوف الثورة العربية مصرية كانت أم جزائرية ... وحسم قضية التعاون المطلق الوثيق بينهما .

ولذا لم يكن غريبا أن يعلن أحمد بن بيللا فور الافراج عنه بأن جمال عبد الناصر صاحب دور رئيسى فى انتصار الثورة ، وأن يتجه مع زملائه الى القاهرة ليكون أول لقاء لهم معه قبل بقية الدول والزعماء العرب الذين ساندوا ثورة الجزائر .

وقد أعدت خطة وصول بن بيللا ورفاقه الى مصر فى القاهرة حيث كانوا قد وصلوا الى سويسرا وترصدتهم عيون رجال المستوطنين الفرنسيين فى الجزائر الذين كان يقودهم الجنرال سالان ، تبغى قتلهم فى أى مكان ، ولكن فتحى الديب سفير مصر فى برن أخفاهم عن العيون تماما .

كان رجال الجنرال سالان منتشرين فى مطارات سويسرا ليل نهار للقيام باغتيال الزعماء الجزائريين فى محاولة انتحارية ، ولذا قامت من القاهرة طيارة مصرية يقودها الكابتن شمس على أنها فى طريقها الى لندن وليس فيها الا راكب واحد هو عبد المجيد فريد سكرتير رئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت . ويقول عبد المجيد فريد أنه طلب من الكابتن شمس السماح للطائرة بالنزول اضطراريا فى مطار زيورخ ، فسمح لها وهبطت فعلا فى أول الممر الجوى قرب منتصف الليل .

كان فتحي الديب سفير مصر الذى دبرت الخطة معه ينتظر هبوط الطائرة المصرية فى الأرض الزراعية خارج المطار ومعه الزعماء الخمسة وأحد رجال المخابرات السويسرية الذين استطاع فتحي الديب أن يستميلهم اليه ٠

أعطى عبد المجيد فريد اشارات ضوئية من سلم الطائرة فأسرعت عربتان مرسيدس بالدخول الى الطائرة مباشرة تحملان زعماء الجزائر وسفير مصر ٠

أديرت محركات الطائرة بعد أن ركبها الزعماء الجزائريون وعادت الى القاهرة ، ورجع السفير المصرى الى برن ، ولم تستغرق العملية أكثر من ربع ساعة ٠

وصلت الطائرة الأجواء المصرية فى الخامسة صباحا ، ولما كان جمال عبد الناصر يريد أن يستقبلهم استقبالا شعبيا فقد هبطت الطائرة فى مطار أنشاص حيث استراح الزعماء وحلقوا ذقونهم وتناولوا الفطور مع ضباط القوات الجوية المصرية ٠

وبدأت الاذاعة منذ نشرة السابعة صباحا تذيع نبأ وصولهم وتعلن عن استقبال عبد الناصر لهم فى المطار وخط سير موكبهم ٠

هبطت الطائرة فى الماظة فى الواحدة ظهرا وبدأ الموكب الشعبى مع عبد الناصر فى عربة مكشوفة الى ميدان العتبة خلال شارع الجيش ثم العودة الى سراى القبة خلال شارع رمسيس ، ومصر والسودان ٠

وأفرج بعد ذلك عن هنرى كورييل ورفاقه فى يونيو ١٩٦٢ ، وخلت سجون فرنسا بعد ذلك من المناضلين الجزائريين ٠

وتم الاستفتاء فى أول يوليو ١٩٦٢ على تقرير المصير ، وأصيب التمرد الذى دبره المقيمون الفرنسيون وبقايا الجيش الفرنسى بالشلل عشية نفس اليوم ، وتشتت الفرنسيون هاربين ٠

وبدأت صفحة جديدة فى تاريخ الجزائر ٠٠٠ صفحة التحرر والاستقلال الوطنى ٠

الفصل الثانى

الجزائر .. بعد الاستقلال

(لقد انتهى الجهاد الأصغر ،
وبدأ الجهاد الأكبر : جهاد النفس)
جمال عبد الناصر
الى يوسف بن خده
الدار البيضاء - يونيو ١٩٦٢

أثمرت ثورة الجزائر ، وتضحيات الشعب المناضل ، وحياة مليون شهيد ، وطنا حرا مستقلا ، تغنى الشعراء ببطولة شهدائه وأبنائه .

وعبر الشعب عن فرحته بالانتصار في مظاهرات غمرت شوارع المدن الجزائرية .. واعتبرت الأمة العربية هذا الحدث عيدا لها .

ولكن التناقضات التى ظهرت فى كواليس القيادة الجزائرية بدأت تفرض نفسها على الموقف ، وتظهر فى العلن ما كان يدور سرا طوال سنوات الثورة .

كان أحمد بن بيللا يعتبر نفسه الشخص المؤهل تاريخيا لزعامة الثورة بعد الاستقلال ، وأن مكانه فى القمة لابد أن يكون محجوزا بعد الافراج عنه من سجون فرنسا .

ولكن الحكومة المؤقتة التى يرأسها يوسف بن خده كان لها رأى آخر :

ولم يكن الخلاف شخصيا فى مضمونه ... وانمـا كان خلافا بين اتجاه ثورى له طابع وميول اشتراكية وأصالة عربية يمثله أحمد بن بيللا ... واتجـاه يطلب استقرار الأحوال على ما كانت عليـه من علاقات مع فرنسا بعد الاستقلال دون جموح ثورى أو تطلع اشتراكى .

وظهر الخلاف مبكرا .

وكان جمال عبد الناصر يدرك أن الأمور قد تنتهى الى خلاف ولكنه حاول بكل ما فى وسعه أن يتفادى التدخل فى شـئون الجزائر فأرسل برقية الى زعماء الجزائر الخمسة بمناسبة توقيع اتفاقية أفيان ووقف اطلاق النار يوم ١٩ مارس قال فيهـا (اننى أبعث اليكم بتقدير شـعبنا كله لتضحياتكم فى مرحلة من النضال سبقت ، وأجدد تأييده فى مراحل من النضال قاسية) .

وبعث فى نفس اليوم الى يوسف بن خده برقيـة أخرى جاء فيها (ان النصر الأول الذى أحرزه كفاحكم بارغـام الاسـتعمار على الاعتراف باستقلال الجزائر ووحدة ترابهـا لم يحول أنظاركم عن المراحل الصعبة القادمة من استكمال الحرية) .

الموقف لم يتحـدد بعد والسلطـة لم تتفـق على اليـد التى تقبض عليها ... وعبـد الناصر ينظر بعينه الى المستقبـل والمراحـل الجديـدة القادمة .

رحل الفرنسيون سياسيا فى يوليو بعد استفتاء تقرير المصير ... خرج حوالى ٨٥٠ر٠٠٠ فرنسى يشكلون ٩٠ فى المائة من الخبرة الادارية والفنية العاملة فى الجزائر ... وتوقفت معظم البنوك والمصانع والمزارع التى كانت تعتمد عليهم ... وبدا الأمر فى صورة مؤامرة على الحكومـة الجديدة التى تسلمت بلدا حطم الاستعمار قدرات أبنائه الفنية والادارية خلال ١٣٢ سنة طويلة من سنوات القهر .

المشاكل التى تجابه الحكومة حادة وكثيرة .

الفراغ الذى تركته الهجرة الجماعية الفرنسية زحفت اليه عناصر من البرجوازية الجزائرية التى تعاونت مع الفرنسـيين خلال الحرب وقال عنهم أحمد بن بيللا فى احدى خطبه (جمع عدد من الجزائريين خـلال الحرب ثروات فاحشة عن طريق المضـاربة ، واشترى آخرون بأسعار زهيدة من الفرنسيين الراحلين أملاكا وفنـادق ومطاعم ودور سينما ، وكانوا يستعدون ليعيشوا عيشة الاقطاعيين فى الجزائر المستقلة) .

وكانت جبهة التحرير قد عقدت مؤتمرهـا فى طرابلس بعيـدا عن تونس ونفوذ بورقيبة المعتدل خلال شهر مايو ١٩٦٢ .

حضر المؤتمر ٧٠ مندوبا نصفهم من المقاتلين العسكريين ٠

برنامج طرابلس هو الذى تسلحت به الجبهة لمواجهة الاستقلال ، والذى نص على (توحيد نشاط جميع المنظمات القومية داخل جبهة التحرر الوطنى) ٠

المنطق الذى صاغ هذه الفقرة من برنامج طرابلس ، قريب الشبه من منطق الميثاق المصرى الذى صدر فى نفس الشهر ، والذى نص على تحالف قوى الشعب العاملة (العمال والفلاحين والجنود والرأسمالية الوطنية والمثقفين) باعتبار وحدتهم فى الصراع ضد سيطرة الرأسمالية الأجنبية والبرجوازية المحلية المرتبطة بها أقوى من بواعث الصراع الطبقى داخل صفوفهم ٠

كان أحمد بن بيللا وكثير من زعماء الجبهة شديدى التأثر بتفكير جمال عبد الناصر ٠

ويقول هنرى كورييل صديق بن بيللا الشخصى والمتعاون معه الى حد دخول السجن أنه كان يكتسب رصيدا كبيرا لشخصيته من ارتباطه بعبد الناصر ٠

وقد بدأ الخلاف عقب اعلان برنامج طرابلس بعد اصرار اتحاد نقابات العمال الجزائرى على أن يبقى خارج الجبهة تشبها بواقع الدول الرأسمالية الغربية ٠٠٠ وقد استغلت فرنسا هذا الموقف لشق الصفوف وكان برنامج طرابلس قد أشار الى (ان الحكومة الفرنسية لن تعتمد فقط على قوتها المسلحة وعلى الأقلية الفرنسية لتحويل اتجاه تطور الجزائر ، فهى تستغل قبل كل شىء التناقضات السياسية والاجتماعية لجبهة التحرير الوطنى) ٠

وفى أول يوليو ١٩٦٢ تلقى عبد الناصر رسالة من الرئيس بن خده ورسالة أخرى من أحمد بن بيللا ورسائل أخرى من زعماء الثورة الجزائرية ٠

وأعلن جمال عبد الناصر هذا الخبر أمام المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية بشأن الجزائر المنعقد يوم ٢ يوليو ثم علق عليه قائلا (لقد واجهت قرارات كثيرة فى حياتى السياسية برغم الأخطار وبرغم المواقف الصعبة التى كانت تستدعى هذه القرارات ، فقد كان من السهل على دائما أن أنزع عواطفى بعيدا عنى وأتخذ من القرارات ما أومن أنه الواجب ٠٠٠ وأمس لأول مرة واجهت أزمة الحيرة عندما علمت بهذه

الخلافات ... انى واثق فى وعلى الحكومة الجزائرية وفى مقدرتها على مواجهة مسئولياتها) .

وبعد أن أشار عبد الناصر الى معرفته الوثيقة لبن خده وبن بيللا وتقديره لهما قال (لست أريد أن أدخل ولا أريد أن تدخل الجمهورية العربية المتحدة فى هذا الخلاف طرفا فيه ، ولكن من هنا وأطلكم معى ، نكون دخل حدودنا تماما اذا توجهنا اليهم كلهم برجاء حار وصادق صادر من أعماق القلب ليفعلوا شيئا مهما كلفهم كأشخاص ، حتى يحتفظوا بوحدة الثورة الجزائرية) .

وروى جمال عبد الناصر أنه التقى ببن خده قبل ذلك بأيام فى مؤتمر القمة الثانى بالدار البيضاء وقال له (لقد انتهى الجهاد الأصغر ، وبدأ الجهاد الأكبر ، جهاد النفس) .

وكان جمال عبد الناصر قد قام بمحاولة جادة لتخفيف حدة الخلاف بين بن خده من جهة وبن بيللا وبومدين من جهة أخرى .

تشكل وفد من على صبرى ومحمد حسنين هيكل وعبد المجيد فريد وفتحى الديب حيث ذهب بطائرة خاصة لمقابلة بن خده فى مقر الحكومة المؤقتة فى (الصخرة السوداء ـ روشيه نوار) .

وكان هذا الوفد يضم أول مصريين ينزلون فى أرض الجزائر بعد الاستقلال .

تم الاجتماع مع بن خده ثم طاروا الى تونس لمقابلة بومدين حيث كان هناك فى ذلك الوقت ، ثم عادوا مرة أخرى لبن خده ، ونزلوا فى طرابلس لمقابلة بعض القادة الجزائريين .

استمرت الرحلة ٢٤ ساعة متصلة ولكنها لم تنجح فى مساعيها .

وكان الخلاف قد وصل بين الحكومة والزعماء المعتقلين الى الحد الذى أصدرت فيه الحكومة المؤقتة قرارا بعزل رئاسة أركان حرب الجيش الخارجى يوم ٣٠ يوليو ١٩٦٢ لنشاطات اجرامية على حد تعبيرهم .

ولكن أحمد بن بيللا رفض هذا الإجراء رفضا كاملا ، كما رفض تكوين المكتب السياسى الذى تشكل تحت رئاسة بن خده عقب مقررات طرابلس وطالب بتشكيل مكتب سياسى جديد يضم المعتقلين الخمسة .

يقول هارويتز فى كتابه (الأبعاد العسكرية فى سياسة الشرق الأوسط) أن أحمد بن بيللا منذ لحظة الافراج عنه رفض التعاون مع السياسيين المدنيين إلا اذا جلس فى مقعد السائق .

الجيش يدخل المعركة :

كان رفض بن بيللا لقرار الحكومة المؤقتة بعزل رئاسة أركان حرب الجيش في الخارج معتمدا على رفض القادة العسكريين في الجيش للقرار ، ونابعا من أصوله العسكرية التي بدأت في الجيش الفرنسي .

وأحمد بن بيللا لم يبلور زعامته في صفوف الجيش ، ولا في صفوف الحكومة المؤقتة ... وانما بلورها في السجن .

كان قائد الجيش هواري بومدين طالبا للعلم في الأزهر الشريف بالقاهرة ولم يسبق له أن كان جنديا محترفا ، كما سبق له أن خدم في الجيش الفرنسي مثل أحمد بن بيللا .

كان الجيش الجزائري قد تكون أساسا من الأنصار المتطوعين ، وعدد قليل من الجنود الوطنيين الذين سبق لهم الخدمة في الفرقة الأجنبية أو الجيش الفرنسي ... وكان موزعا في ثلاث جبهات رئيسية ... وصل عدده حسب ما سجله هرويتز تسعين ألفا يشكلون جيش الداخل في الولايات ، ٢٥٫٠٠٠ في تونس ، ١٥٫٠٠٠ في أوجدا بالمغرب ... ومن الجميع شكل جيش التحرير الجزائري .

خلال سنوات الثورة التحق بعض الجزائريين بالكليات والمدارس العسكرية في مصر ، ودرسوا وتدربوا على أحدث الأسلحة التي أمدتهم بها مصر .

وقد أسهمت قوات الأنصار في الداخل ، وقوات الجيش النظامية في الخارج بدور كبير في الكفاح المسلح المستمر ضد المستعمرين الفرنسيين ... ولكن الصلة التنظيمية بين قادة الولايات لم تكن سهلة ، فكان هناك شبه انفراد ذاتي بالحركة في كل ولاية ، ومحاولة من جانب كل قائد ولاية لدعم سلطته ونفوذه ، في غيبة تنسيق سليم بفرض ارادته ... والسبب في ذلك صعوبة المواصلات أساسا .

وكان يوم ١٩ مارس يوم اعلان اتفاقية افيان ووقف اطلاق النار ... يوما فاصلا ... عبرت عنه مجلة الجندي الجزائري بحديثها عن الذين هرعوا للانضمام الى صفوف جيش التحرير وقولها « انهم من العناصر التي تعاونت مع الاستعمار ولم تعر أي اهتمام لثورة ١٩٥٤ ، وراحت تتعاون مع الأجنبي على حساب شعب كامل ولم تهتم بسمعة الوطن المضرج بالدماء ، ولم ترحم أرملة ولم تعطف على يتيم » .

كان الاندفاع المبالغ فيه للانضمام للجيش تعبيرا عن رغبة بعض القادة فى دعم نفوذهم الفردى ، حتى أنه بعد ١٩ مارس مثلا قفز عدد قوات ولاية الجزائر من ٨٠٠٠ الى ٣٥٠٠٠ ٠٠٠ ولعب (جنود ١٩ مارس) وهو الاسم الذى اشتهروا به دورا كاد يؤدى الى اشتعال حرب أهلية بين المكتب السياسى وقيادة الولاية الرابعة فى مدينة الجزائر ٠

وكان قرار ٣٠ يونيو الذى أصدرته الحكومة المؤقتة بعزل رئاسة أركان الجيش فى الخارج ، ورفض بن بيللا وبومدين له ، أقسى صورة وصل اليها الخلاف ، وهى التى تضمنتها البرقيات التى وصلت الى جمال عبد الناصر فى اليوم التالى مباشرة ٠ وبدأت احتمالات الصدام بين الثوار تقترب ٠

وكان واضحا أن كفة الجيش هى الراجحة ٠٠٠ فان هوارى بومدين استطاع خلال سنوات طويلة من الجهد الشاق أن يحول جيش الخارج الى قوة منظمة لها طابع وتقاليد عسكرية وانضباط تنظيمى ٠٠٠ ونشر فيه محو الأمية والتوعية السياسية ، وأسهمت بعض وحداته فى العمل الاجتماعى متعاونة مع الفلاحين فى المناطق المحررة حيث طبقت الى حد ما تجربة المزارع الجماعية التى يشرف عليها الجيش ٠

ولذا كان طموح بومدين فى جعل جيش الخارج نواة الجيش الجزائرى طموحا طبيعيا ولو أنه كان يمضى فى طريق صعب ملىء بتناقضات قوات الأنصار فى بعض الولايات ، الذين تحدثوا عن تكوين (جيش شعبى) ٠

وقد بدأت العلاقات السياسية تربط بين أحمد بن بيللا وهوارى بومدين بصورة عملية عندما أعلن بن خده قبل استفتاء تقرير المصير بعدة أيام تشكيل مكتب سياسى لجبهة التحرير وتحت قيادته ، ورفض بن بيللا هذا القرار بمساندة بومدين وقادة جيش الخارج ، الأمر الذى انتهى الى قرار ابن خده فى ٣٠ يونيو الذى سبق أن أشرنا اليه ، ورفضه بومدين أيضا ٠

وكان هذا الموقف الصدامى هو نقطة تحول فى الموقف السياسى ٠٠٠ فاما أن ينتصر بن بيللا بمساندة الجماهير وقوات الجيش ٠٠٠ وأما ان تنتصر الحكومة المؤقتة التى اعتمدت على القوات المحلية للولايات وخاصة الولاية الرابعة (الجزائر) والولاية الثالثة (القبائل) وجزء من الولاية الثانية (قسنطينة) الذين أعلنوا ولاءهم للحكومة المؤقتة ٠

وفى مواجهة ذلك دخل بن بيلا الجزائر دخول البطل الغائب حيث استقر فى تلمسان ، وجذب بومدين الى جانبه بقية الولايات التى تحرك فيها جيش الخارج ٠

وفى ٢٢ يوليو أعلن بن بيللا من تلمسان تشكيل مكتب سياسى جديد برئاسته ، يضم الزعماء المعتقلين ، ولكن بوضياف وحسين آية أحمد رفضا العمل فى هذا المكتب واختفيا ، الى أن أعتقل بوضياف يو ٣٠ يوليو حيث قبل العمل فى المكتب السياسى بشرط أن تنشأ ادارة محددة الواجبات ، وأن تتفق قوات الجزائر وتلمسان ٠

وقبلت الحكومة المؤقتة الخروج من العاصمة يوم ٣ أغسطس لتصبح السلطة فى يد المكتب السياسى ٠

ولكن تفادى الصدام المسلح كان أمرا صعبا أمام الطموح الى السلطة ٠٠٠ ولذا فانه عندما خرج بن بيللا من العاصمة يوم ٢٥ أغسطس بدأ صدام بين أنصار المكتب السياسى وأنصار قادة الولايات كاد يهدد بقيام حرب أهلية ، لولا قرار وقف اطلاق النار وبدء المفاوضات يوم ٤ سبتمبر بين محمد خيضر وقائد الولاية الثالثة ، وهى المفاوضات التى أنهت مقاومة الحكومة المؤقتة ٠

وهكذا انتصر العسكريون على المدنيين ٠٠٠ واقتحم الجيش الجزائرى ميدان السلطة وفرض ارادته بقوة السلاح ٠٠٠ ودخل بومدين الجزائر العاصمة يوم ٩ سبتمبر ومعه ٤٠٠٠ عسكرى من جيش الخارج الموالين للمكتب السياسى ٠ وتحدد موعد انتخاب المجلس الوطنى يوم ٢٠ سبتمبر حيث أصبح أحمد بن بيللا رئيسا للوزراء يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢ بأغلبية ١٣٩ ضد ٢٣ وعين هوارى بومدين وزيرا للدفاع وقائدا لجيش التحرير الجزائرى ٠

وبذا أصبح بن بيللا رئيسا وسكرتيرا للجبهة وقائدا أعلى ٠

وأصبح الجيش هو القوة السياسية الأكثر تنظيما ووحدة فى الجزائر ، فى وقت كان ضعف جهات الدولة فيه ملموسا لغيبة الخبرة والخبراء ، وضعف التكوين والانضباط الحزبى ملموسا أيضا لغيبة الايديولوجية وتصادم التناقضات الطبقية والشخصية ٠ وقد ساعد على ذلك بدء حملة تطهير للجيش من (جنود ١٩ مارس) ومن بعض الانتهازيين الذين حاولوا التسلق فوق صفوف الجيش ٠

واعتبر الجيش من ذلك الوقت دعامة هامة من دعامات الحكم ، رغم

التأييد الشعبي الجارف الذى أحاط بحكومة بن بيللا ... ويمكن القول بأن تحالفا مدنيا عسكريا قد أرسى دعائم حكمه فى الجزائر .

بن بيللا فى موقع المسئولية :

تحول أحمد بن بيللا من ثائر تقيده قضبان السجن ، الى زعيم جماهيرى ورئيس للحكومة .

وقبل جمال عبد الناصر دعوة بن بيللا لزيارة الجزائر فى ٤ مايو ١٩٦٣ ولم تكد تمضى عدة شهور على استقرار بن بيللا فى موقعه ... وقد استقبل جمال استقبالا شعبيا حافلا لم تشهد الجزائر له مثيلا .

ومع ذلك لم يكن الطريق سهلا أمام بن بيللا للانطلاق الى تحقيق افكاره السياسية الطموحة ولكنه اندفع فيه بكل طاقته وحيويته .

واستطاع فى بداية حكمه ، ورغم فراغ البلاد بعد انسحاب الفرنسيين من الكادر الفنى الخبير الى زيادة الانتاج الزراعى عن سنوات الثورة ، وفتح ابواب المدارس للتعليم والتدريب معا فزاد عدد الطلبة زيادة ملحوظة ، وبدأ فى تكوين جهاز للدولة .

وقد استطاع أن يكسب تأييد الاتحاد العام لعمال الجزائر الى المكتب السياسى لجبهة التحرير (والمشاركة النشطة الفعلية فى تحقيق الاشتراكية) .

كما بدأ فى تأميم بعض الشركات واتخاذ اجراءات تؤدى الى التطبيق الاشتراكى مثل التسيير الذاتى .

وأصبحت لبن بيللا شهرة تقدمية جذبت الى الجزائر عددا من الماركسيين المصريين مثل لطف الله سليمان وعلى الشلقانى ، كما أعادت الى التعاون معه بعض العناصر اليسارية التى اتخذت منه موقفا معارضا فى البداية ، وعين محمد حربى مستشارا لشئون القطاع الاشتراكى فى مكتبه .

وقد عرض بن بيللا خلال هذه الفترة على هنرى كوربيل التجنس بالجنسية الجزائرية ولكنه آثر الاحتفاظ بجنسيته المصرية التى كان قد فقدها بعد اخراجه من مصر قبل الثورة ... وكان بن بيللا قد أبلغ هنرى كوربيل عقب زيارته لمصر بعد الافراج عنه أنه التقى بجمال عبد الناصر الذى وعده بالافراج عن الشيوعيين المصريين الذين ضمتهم المعتقلات منذ ليلة رأس السنة عام ١٩٥٩ ، وطلب بن بيللا ارسال المحامية الفرنسية مدام بوفيلار الى مصر حتى يتم الافراج عنهم ... ولكن ذلك لم يتحقق فى هذه الفترة .

ودعت لجنة السلام الجزائرية لعقد مؤتمر خاص لتجريد منطقة البحر الأبيض المتوسط من القنابل والأسلحة الذرية وجعلها نظيفة خالية من الانفجارات والاشعاعات ... وكان المؤتمر فى مضمونه هجوما على التواجد البحرى الأمريكى فى البحر الأبيض المتوسط .

اندفاع بن بيللا الى التطبيق الاشتراكى ومساعدة حركات التحرر الأفريقية ، فى وقت افتقرت فيه الجزائر الى الكادر السياسى الواعى القيادى . وافتقرت أيضا الى التنظيم الحديدى الملائم لاكمال عملية تحول اجتماعى بلا أخطار .

كل هذا أدى - رغم شعبية بن بيللا - الى أن تتكشف المصاعب والتناقضات ... بل وتنفجر .

حسين آية أحمد ومحمد ولد الحاج يقودان تمردا ضد الحكومة فى منطقة القبائل معلنين معارضتهم لتركيز السلطة فى يد بن بيللا ، ومقاومتهم لتفضيل جيش الخارج عن جيش الداخل ، وتجاهل النتائج الايجابية لتجربة الولايات أثناء القتال .

وكان حسين آية أحمد قد أدلى بتصريحات جاء فيها (اننا نحارب بن بيللا لأنه أخلف كلمته مع فرنسا ، ونظامه أفلس لأنه خان الكلمة ، ونحن لا يمكننا التفاهم مع أعضاء المجلس الوطنى لأنهم أجلاف ... انهم عبارة عن جماعة من ماسحى الأحذية) .

وكان بن بيللا قد أصدر بعض القرارات بالتأميم متجاوزا اتفاقية افيان التى نصت على أن التأميمات يجب أن تكون نتيجة مفاوضات مع فرنسا .

واعلن بن بيللا (لا يمكننى التفاوض مع آية أحمد الذى ظهر بموقفه العدائى الذى اتخذه ضد الوحدة الوطنية ... انه رجل مغامر قادته أغراضه الشخصية الى عدد من التناقضات) .

وكان السفير المصرى على خشبة من أنصار فكرة أن بن بيللا قد تجاوز حدوده فى الاندفاع السياسى والشخصى وأنه يجب بذل كافة الجهود لحشد كل الطاقات الثورية .

ومع ذلك كانت مصر تساند بن بيللا بكل ما تملكه من طاقات سياسية وثقافية .

أثناء احتفالات أول يوليو ١٩٦٣ توجهت الى الجزائر بعثة فنية كبيرة تضم ٤٥٠ فنانا وفنانة كلفت بركاستنها وضمت المسرح القومى

واحدى فرق التليفزيون والفرقة القومية للفنون الشعبية وموسيقيات الجيش العسكرية ٠٠٠ وخصصت لنا المركب (الجزائر) التى امتلأت على سعتها بأعضاء البعثة ٠

وهناك التقى مع البعثة حشد من المطربين والمطربات أذكر منهم عبد الحليم حافظ ونجاة الصغيرة وأعد برنامج حافل تناوبت فيه الفرق تقديم عروضها فى مختلف مدن الجزائر ٠

كان مهرجانا ثقافيا لم تشهد له الجزائر قبلا من مثيل ، ولم تسهم بمثله مصر فى الاحتفال بعيد دولة عربية أخرى ٠

واشترك فى العيد الأول أيضا المشير عبد الحكيم عامر ٠

وكان واضحا من المظهر أن بن بيللا يحرز شعبية جارفة وأن الأمور تستقر على أساس ثورى وسورى معا ، ولكن الواقع أنه كانت هناك عدة اتجاهات للمعارضة الى جانب حسين آية أحمد ٠

كان هناك بعض العناصر البرجوازية والاقطاعيين الجزائريين مثل فرحات عباس ٠٠٠ وكان هناك أيضا بعض رجال الحكومة المؤقتة السابقين ومنهم بوصوف وزير التسليح الذى تمركز فى المغرب وتعاون مع كل أعداء بن بيللا حتى المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات الفرنسية ٠

ورغم ميول بن بيللا التقدمية فان الحزب الشيوعى أيضا لم يقبل الاندماج الكامل فى حزب الجبهة ، وفضل أن يكون حزبا مستقلا فى اطار جبهة ٠٠٠ وكان بن بيللا قد أصدر قرارا بحله تنفيذا لبرنامج طرابلس ٠

وهكذا بدأ بن بيللا خطواته الأولى فى الحكم وسط تيار معارض متعدد الأهداف متشتت الاتجاهات ، عاجز عن تكوين معارضة واضحة قادرة على اسقاط نظام تحالف المدنيين والعسكريين : بن بيللا رئيسا وهوارى بومدين أصبح نائبا للرئيس ٠

وفى وسط هذا الجو تعرضت الجزائر لمشكلة خارجية ٠٠٠ هى مشكلة الصحراء التى ضمتها فرنسا الى الجزائر ومطالبة الملك الحسن بها وتصادم القوات المغربية والجزائرية صداما مسلحا فى أكتوبر ١٩٦٣ ٠

كانت أنظمة الحكم فى المغرب وتونس تخشى اشعاعات الثورة الجزائرية ، فتكررت التوترات مع تونس ، ووصل الأمر فى المغرب الى الصدام المسلح الذى تعرض فيه الجيش الجزائرى لقوة نظامية حسنة التدريب والتسليح بينما لم تكن معالم الجيش النظامى تسليحا وتدريبا

قد توافرت بعد للجيش الجزائرى ، الأمر الذى دفع بن بيللا الى مطلبة جمال عبد الناصر بارسال مدرعات مصرية آلية فى وقت كانت فيه حرب اليمن ما زالت مشتعلة ، ولم يتردد جمال عبد الناصر لحظة ، بل أسرع بارسال عدة كتائب مدرعة على باخرة مصرية ، وخلال عملية منضبطة اداريا أمكن للمدرعات المصرية الوصول الى الحدود الجزائرية فى الوقت المناسب لحمايتها ٠

وسحبت المغرب سفيرها من القاهرة ٠

وخلال أزمة التصادم الخارجى أسفر بعض قادة الثورة عن وجههم المعارض لبن بيللا ، فعندما طلب بن بيللا من محمد خيضر الاتصال بحسين آية أحمد لاقناعه بالكف عن موقفه الذى يعرض الجزائر كلها لخطر الأزمات الداخلية ٠٠٠ عقد محمد خيضر مؤتمرا صحفيا وجه فيه نقدا مباشرا لكثير من الأوضاع ٠٠٠ وانتهى الأمر بعزل خيضر وبيطاط وخروجهما من الجزائر ومع الأول أموال جبهة التحرير التى كان سكرتيرا لها ٠

وعقد أول مؤتمر عام لحزب جبهة التحرير الوطنى الجزائرى فى الفترة من ١٦ الى ٢٦ أبريل ١٩٦٤ وتقرر فيه اعادة تكوين الحزب خلال شهرين على أن تكون العضوية لمن شارك فى حرب التحرير الجزائرية أو دخل السجن أثناء حكم الاستعمار وكان ذلك شرطا ضروريا فى هذه المرحلة ٠

والميثاق الجزائرى هو مجموع النصوص التى صدق عليها المؤتمر وقد جاء فيها (ان ثورتنا كانت عند ميلادها ديموقراطية وشعبية بأوسع معانى الكلمة ٠ ان فلاحى وعمال بلدنا باحتلالهم للأراضى والمعامل الشاغرة قد خلقوا القواعد الموضوعية للاشتراكية فى الجزائر) ٠

ووجه ميثاق الجزائر وجهها الى المشرق العربى الذى فرض الاستعمار الفرنسى عزلتها عنه اذ جاء فيه (ان تطور حركة التحرير لم يجر فى دائرة مغلقة فنظريات التجديد الاسلامى التى نادى بها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده وفكرة الوحدة العربية التى حملها شكيب أرسلان ، والأفكار الاشتراكية كانت لها أصداء بعيدة فى الجزائر) ٠

وخلال الاحتفال بالعيد الأول للاستقلال خطب بن بيللا قائلا (التعريب أساس الاشتراكية) ٠

ووضعت العلاقة بين الحزب والجيش على مائدة البحث فى المؤتمر ٠

كانت المناقشات التى دارت حول طبيعة الجيش الجزائرى وتكوينه فى ذلك الوقت تنبىء عن وجود خلافات داخل كواليس المؤتمر .

وبرزت تناقضات جديدة داخل جهاز القيادة ... اذ أخذ بعض اليساريين الغربيين من بن بيللا موقف التشكيك فى أسلوب بومدين الذى نهج - على حد تعبيرهم - الى تحويل جيش التحرير الى جيش من المحترفين البعيدين عن التكوين الثورى والالتزام السياسى ... بعيدا فى صورته عما كان عليه خلال الثورة ... يأخذ كثيرا من المراكز القيادية فيه ضباط نشأوا فى الجيش الفرنسى وانطبعوا بالروح العسكرية الاستعمارية ... ويأخذ منه الجنود والضباط مرتبات عالية اذا قورنت بمستوى دخل الفلاح أو العامل الجزائرى .

وفى ايجاز كان أنصار هذا الاتجاه يعتقدون أن الجيش لا يؤدى دوره الثورى وانما يجمد فى حدود كلاسيكية تحوله مع الوقت الى قوة بوليسية فى يد النظام .

وفى مواجهة هذا الاتجاه كان يقف هوارى بومدين وقادة الجيش الذين يؤمنون بأن الجيش هو الثورة الوحيدة التى حافظت على بقائها الثورى بعد تطهيرها من جنود ١٩ مارس ومن الانتهازيين والمغامرين ، وبعد توحيد جيوش الداخل والخارج .

قال بومدين (لقد منحتنى الثورة مسئولية اعادة بناء الجيش وحققت ذلك بأكثر الناس قدرة على هذا العمل ، ومن الطبيعى أن أفضل العمل مع جزائريين مهما كان التحاقهم بالثورة متأخرا عن العمل مع خبراء أجانب) .

وانتهى هذا الحوار الجاف الى تضاعف الاحساس بعدم الثقة بين الجانبين .

وزاد هذا الاحساس عندما تقرر انشاء (مليشيا شعبية) بجانب الجيش ولا تتبع قيادته وانما تتبع الحزب .

وكان هذا سوء تقدير من بن بيللا الذى اراد أن يدخل الجيش طرفا فى لعبة التوازن السياسى ، وهو ما يتنافر تماما مع طبيعة الجيش المسلح .

وانتهى المؤتمر الى اقرار تسييس الجيش وتحويله الى منظمة سياسية ثورية ، وهو ما يتناسب نظريا ويتبع من واقع الجيش الجزائرى وأسس تكوينه وارتباط حركته بالنضال الثورى فى حرب التحرير .

وشكلت فى الجيش دائرة سياسية ، كما ضمت اللجنة المركزية وزير الدفاع ورئيس الأركان وعدداً من القادة .

وخطت الثورة الجزائرية بذلك خطوة أكثر تقدمية من مصر .. اذ انه رغم أن الميثاق المصرى قد نص على ادخال الجيش والشرطة والقضاء داخل التنظيم السياسى (الاتحاد الاشتراكى العربى) الا أن ذلك لم ينفذ مطلقا.. وظل الجيش المصرى فى عزلته سندا وحصنا لقيادة الثورة وبعيدا عن حيوية التفاعل السياسى وما قد يحمله من اهتزازات أو أخطار (انظر الجزء الثانى) - مجتمع جمال عبد الناصر - الباب الثانى .

وحاول بن بيللا أن يعيد الهدوء فى الجزائر بتعيين الكولونيل محمد شعبان عضوا فى المكتب السياسى وعضوا فى رئاسة الأركان رغم عدم موافقة بومدين ، ولكن شعبان رفض مغادرة الأوراس وواصل المقاومة حتى اعتقل فى يوليو وأعدم فى سبتمبر ١٩٦٤ .

والى جانب هذا التناقض الرئيسى فى علاقة بن بيللا مع الجيش ، كانت هناك تناقضات فرعية أخرى قد نشأت بينه وبين بعض اليساريين الذين تعرضوا لهجوم بعض المقربين شخصيا من بن بيللا مثل عبد الرحمن الشريف وزير الدولة وبوريسه الصافى وزير العمل .. الأمر الذى دفع حسين زهران عضو المكتب السياسى الى رفض مقابلة وفد الاتحاد الاشتراكى العراقى فى القاهرة ، رغم اتصال على خشبة سفير مصر فى الجزائر مع بن بيللا وابلاغه الأزمة التى نشبت فى القاهرة ، ومنعت المحادثات من أن تكون ثلاثية بين مصر والجزائر والعراق واستمرت المحادثات ثنائية فقط بين مصر والجزائر .

ومع ذلك كانت الجزائر تستعد فى يونيو ١٩٦٥ لاستقبال المؤتمر الثانى لتضامن الشعوب الأسيوية الأفريقية امتدادا لمؤتمر باندونج الذى عقد فى ١٨ ابريل ١٩٥٥ .

كانت دول مؤتمر باندونج ٢٩ دولة منها ٦ فقط من أفريقيا ، أما دول مؤتمر الجزائر فكان مفروضا أن تصل الى ٦٠ دولة حصلت على استقلالها خلال السنوات العشر السابقة .

ولكن تغييرات هامة كانت قد حدثت فى الجانب المقابل أيضا ، اذ دبت المنازعات بين دول كولمبو الخمس التى دعت الى باندونج وهى الهند وباكستان واندونسيا وسيلان وبورما .. ودبت بينها المنازعات خاصة حول كشمير .

وظهرت دول عدم الانحياز كقوة مترابطة تعمل من أجل السلام وهى الدول التى لاترتبط بأحلاف مع الغرب أو الشرق والتى تشكل ركيزة كبرى فى مؤتمر التضامن ٠٠ التى تعرض بعضها لنكسات رجعية مثل سيلان ، وعانى البعض الأخر من خلافات حادة مثل الهند والصين ، وتعرض البعض الثالث لضغوط مؤامرات استعمارية مثل اندونيسيا التى انسحبت من الأمم المتحدة واقتربت من الصين واعترضت على حضور ماليزيا للمؤتمر مهددة بالانسحاب منه ٠

وفوق ذلك كان يخيم على جو المؤتمر المرتقب النزاع الصينى السوفيتى الذى كان يتسرب فى ذلك الوقت الى كافة الاجتماعات ومختلف المنابر المفتوحة أو القاعات المغلقة ٠

واقترب موعد انعقاد المؤتمر ٠٠ ووصل شوان لاى الى القاهرة فى محادثات تمهيدية مع جمال عبد الناصر الذى قام باجراء عدد كبير من الاتصالات لانجاح المؤتمر الذى كان مقررا أن ينعقد يوم ٢٤ يونيو ١٩٦٥ ٠

وتدفق ١٢٠٠ صحفى من مختلف انحاء العالم الى الجزائر ليشهدوا المؤتمر الذى يضم ممثلين عن أكثر من نصف سكان العالم ، والذى يشكل أكبر تجمع تاريخى كان مفروضا أن يسانده قضايا التحرر والتقدم الاجتماعى ٠

وفجأة حدث فى الجزائر شىء مثير ، أدى الى تأجيل المؤتمر الكبير الى ٥ نوفمبر ١٩٦٥ ٠

سقوط بن بيللا :

كانت الساعة الثانية والنصف من صباح السبت ١٩ يونيو ١٩٦٥ عندما هجمت مجموعة مكونة من العقيد طاهر الزبيرى والكولونيل سليمان هوفمان وأحمد داريا على رئيس الدولة أحمد بن بيللا فى منزله المواجه لقصر الشعب فى فيللا جولى حيث استقبلنى مع ناصر الدين النشاشيبى فى يوليو ١٩٦٣ وجلسنا نجرى معه الحديث ٠

تحرك الجيش الجزائرى فى هذه الليلة ليفرض ارادته بانقلاب عسكرى ٠

المقاومة كانت محدودة تماما ٠٠ بضع طلقات من الرصاص ٠٠ واستسلام سريع لاحد أقسام شرطة العاصمة ٠٠ وأناشيد عسكرية فى الاذاعة ٠٠ ثم البيان رقم ١ فى حوالى السابعة والنصف صباحا ٠

هوارى بومدين رئيسا لمجلس قيادة الثورة •• وتشكيل جديد لمجلس القيادة ومجلس الوزراء •

اعتقل مع بن بيللا مجموعة من أقرب أصدقائه •• وخلت الجزائر من أية معارضة واضحة للانقلاب •• والحزب (جبهة التحرير) لم يتحرك لاعتقال سكرتيره العام •• مظاهرات طلابية قليلة ثم انتهى الأمر •

وصلت التناقضات بين بن بيللا والعسكريين الى ذروتها •• واخفقت فكرة ادخال الجيش طرفا فى لعبة التوازن •

وكان بن بيللا قد أعلن قبل اعتقاله بأيام قليلة فى خطاب بوهران انه قد (جرت اتصالات فعلا وقررت العناصر التى تسمى نفسها جبهة القوات الاشتراكية أن تكف عن كل نشاط) •• وكان هذا فى مضمونه يعنى مزيدا من التعاون والارتباط العناصر اليسارية والاتجاه التقدمى داخل حزب جبهة التحرير •

كما أن بيللا كان قد أسفر عن موقفه فى مواجهة مجموعة الضباط المقربين من نائب رئيس الجمهورية ووزير الدفاع هوارى بومدين •• وانتهز فرصة وجود بومدين فى موسكو لعقد صفقة أسلحة وعين طاهر الزبيرى رئيسا للأركان •• ولكن بومدين استطاع بشخصيته ونفوذه أن يجعل كل المسئوليات للآخرين ضامرة •

وقال بومدين أن بن بيللا كان يحاول تشويه وجه الجيش عندما طلب من بومدين محاصرة حسين آية أحمد وقتله مثل الكلب •

ولكن بومدين الذى تمكنت قواته من تنفيذ ذلك رفض قتل حسين آية أحمد وحمله الى بن بيللا ثم فوجىء به يعفى عنه •• وكأنما القتل للجيش والعفو للرئيس وحده •

وكان بن بيللا يسعى الى قص أجنحة بومدين بعزل أنصاره ، فأقال صديقه ضابط الجيش السابق أحمد مدعزى من وزارة الداخلية فى يوليو ١٩٦٤ ، كما أقال قائد أحمد من وزارة السياحة وهو زميل بومدين فى الجيش منذ البداية ، ويقول هارويتز فى كتابه (ابعاد العسكرية لسياسة الشرق الأوسط) ان بن بيللا حاول اخراج عبد العزيز بوتفليقة من وزارة الخارجية فى ربيع ١٩٦٥ وهو ضابط سابق فى الجيش أيضا ولكن بومدين وقادة الجيش اعترضوا ورضخ بن بيللا •

عندما هرعت الى الجزائر بعد الحركة العسكرية يوم ١٩ يونيو علمت من على كافى سفير الجزائر السابق فى القاهرة وقائد ولاية قسنطينة أثناء

حرب التحرير أن عبد العزيز بوتفليقة كان قد دعا سفراء الجزائر في الخارج في شهر مايو استعدادا لمؤتمر التضامن الآسيوى الأفريقى وطلب من بن بيللا حضور حفل افتتاح المؤتمر ولكن بن بيللا اعتذر عن عدم الحضور لارتباطه برحلة الى عنابة .

وتحدد يوم ٢٤ مايو موعدا لانتهاء المؤتمر وطلب بوتفليقة من بن بيللا حضور الاجتماع الأخير للسفراء الذى قرر عقده فى نادى الضباط بضاحية مدارك على مسافة ١٤ كيلو من الجزائر ، ثم يتناولون العشاء .. وتجمع ٤٢ سفيرا ولكن بن بيللا يحضر وطلب منهم الحضور لتناول العشاء فى قصر الشعب .

ويقول على كافى أن بوتفليقة شعر أن ذلك اهانة شخصية توجه له باعتباره وزيرا للخارجية ، ويقول أيضا أنهم عندما ذهبوا الى قصر الشعب رفض بن بيللا مصافحته شخصيا قائلا له (اننى لم أدعك .. لقد دعوت السفراء فقط .. وانت لست سفيرا) .

وانسحب على كافى من غرفة المائدة ، وخرج من قصر الشعب دون أن يودعه أحد من الحاضرين كما يقول .

وفى الليل كان يزوره هوارى بومدين وعبد العزيز بوتفلقه وآخرون .. ويقول أنهم أبدوا أسفهم لما حدث دون اى اضافة .. وأعلن على كافى أنه مستقيل من منصبه سفيرا بلبنان .

وهكذا كانت حوادث الصدام بين بن بيللا ومجموعة العسكريين قد تجاوزت حدود الجدران المغلقة ، وأصبحت حديث المجلس .

ولم يعد هناك من سبيل أمام بومدين ورفاقه الا الاطاحة بأحمد بن بليلا المدنى الذى حاول أن يدخل الجيش طرفا فى لعبة التوازن السياسية ، دون أن يركز اعتماده عليه كاملا كما فعل جمال عبد الناصر .

حقيقة الانقلاب :

.. لا شك أن ظواهر الأمر كانت تدفع الى احاطة انقلاب ١٩ يونيو بضباب من الشبهات .. فلم تكن أبعاد الخلافات ودرجة عمقها معروفة تماما لدى الكثيرين .

وتأجيل مؤتمر التضامن الأسيوى الأفريقى الى أجل بعيد كان فى ذاته يعطى مؤشرا سلبيا للانقلاب .

كما أن المجموعة التى بزغت فوق السطح لم تكن معروفة بالحماس الشديد للاشتراكية والتقدم الاجتماعى مثل قايد أحمد وشريف بلقاسم ، وأحمد مدغزى ٠

وحرصت أثناء وجودى فى الجزائر خلال الأيام الأولى بعد حركة ١٩ يونيو أن أتبين حقيقة الموقف ، وأتعرف على الطريق الجديد ٠ وقال لى بومدين ردا على ما أثير من اتهام العهد الجديد بأنه عسكرى ورجعى (انهم ينعتون بذلك أناسا ربما كانت جريمتهم الوحيدة أنهم رفعوا السلاح ٠٠٠ ورفعوه فى وقت كان فيه الناس لا يؤمنون بمستقبل هذا الشعب وبمصير هذه الأمة ٠٠ وأن الجزائر ليست بلد الانقلابات ، هناك أناس يقولون أنها عسكرية ٠٠ ونحن نقول أنها حركة مناضلين ٠٠ ليس ثمة عسكريون ٠٠ ولا مناضل عسكرى ومناضل فقط ٠٠ بل هناك مناضلون يؤمنون بعقيدة ثورية وبمصير ومستقبل بلادهم الاشتراكى) ٠

وكلمات بومدين تفسر فعلا التكوين الخاص لجيش الجزائر الذى لم يبدأ من طريق الاحتراف خلال قانون خاص للتجنيد ولم يتخرج معظم قادته فى مدارس عسكرية ٠٠ ولكن لمعظمهم مهن أخرى ، حتى بومدين تخرج فى الأزهر الشريف ٠

ولكن هذا الجيش بدأ مع النضال الثورى وخلال معركة التحرر ورتب القادة منحت لهم خلال القتال ٠٠ الأمر الذى فرض على صفوفه نوعا من الحركة السياسية التى تنسج بين وجوده وأهدافه ٠

ورغم أن حركة ١٩ يونيو قد تمت من الوجهة الظاهرية بأسلوب الانقلابات العسكرية الا أنها لاتمثل انتقاضا على النظام لهدمه ، ولا تمثل امتدادا للقديم بكل مظاهره ٠

واذا كان اتجاه بن بيللا الى الاشتراكية كان طموحا ومندفعا فان بومدين لا يتخلى لحظة عن محاولة التطبيق الاشتراكى ولكنه يعترض على بعض هؤلاء اليساريين الذين هرعوا الى الجزائر وأحاطوا بن بيللا ويقول عنهم « دخل فى بلادنا أناس أرادوا أن يضعوا أنفسهم فى مكانة المرشدين ٠٠ فشلوا فى بلاد أخرى ، وأرادوا أن يقوموا بتجارب جديدة فى بلادنا ٠٠ وابناء الجزائر ليسوا فى حاجة الى مرشدين أجانب ليعطوا دروسا عن كيفية بناء الاشتراكية أو بناء المجتمع الجديد » ٠ وغادر الجزائر لطف الله سليمان الى باريس ليستقر هناك ، وعاد على الشلقانى الى القاهرة ٠

ويؤكد بومدين عمق جذور الفكر الاشتراكي فى الجزائر فيقول « القصد من اثارة الحديث عن معاداة الاشتراكية هو فصل الثورة عن ماضيها لأن ثورتنا لم تخلق بعد الاستقلال ٠٠ هذا الخط الاشتراكى ، وهذه الثورة جاءت نتيجة لتضحيات جبارة ٠

ويتأكد اتجاه بومدين منذ اليوم الأول عندما يقول لرجال الدرك (الشرطة) « يجب أن تكونوا فى خدمة الشعب وحده ٠٠ ودائما فى خدمة الثورة الاشتراكية والثورة الاشتراكية وحدها » ٠

وتبقى الحقيقة التى فجرتها حركة ١٩ يوليو ١٩٦٥ وهى أن حزب جبهة التحرير الجزائرى كان حزبا من ورق ، لا تصدق عليه كلمات اللافتة الكبيرة التى ارتفعت على النفق الكبير فى شارع محمد الخامس وتقول : (حزب جبهة التحرير هو قائد الشعب) ٠

التنافس بين الحزب والجيش أصبح موضوعا رئيسيا ٠

وميثاق الجزائر يقول : (الجيش الوطنى الشعبي هو أحد أدوات الدفاع عن الثورة ، ومكاسبها لا يمكن الدفاع عنها اذا لم توجد قوة قادرة على ذلك ٠٠ ان الجيش الوطنى هو اداة فى خدمة الشعب ورهن اشارة الحكومة وهو قبل كل شىء مدرسة المواطن والمناضل ٠٠ والحزب مسئول عن التوعية السياسية للجيش) ٠

القيادة اذا للحزب ٠٠ ورئيس الحزب هو رئيس الدولة ، والتوعية السياسية للجيش مسئول عنها الحزب ٠٠ والمكتب السياسى للحزب يراقب العمل السياسى داخل الجيش ٠

العلاقة واضحة :

ولكن الجيش فى اقصاء بن بيللا انفرد باتخاذ الاجراء ٠٠ ووضع الجميع أمام الأمر الواقع ٠

ومع ذلك لم تكن هناك معارضة واضحة للاجراء كما ذكرت ٠٠ اغلبية المكتب السياسى كانت تؤيد بومدين ، واقلية طالبت بعرض الموضوع من جديد على قيادات الحزب ٠٠ وكان ذلك طبيعيا فتشكيل المكتب السياسى كان من ٨ وزراء وتسعة من الجيش ٠

ولكنه لم يكن ممكنا للجيش أن يعود بحركته العسكرية خطوة الى الوراء ٠

وبومدين أعلن فى بيانه الذى أذيع يوم عيد الاستقلال أول مايو أن مجلس الثورة أصبح السلطة العليا فى البلاد ٠

بعـــد السـقوط :

كانت حركة ١٩ يونيو مفاجأة غير سعيدة لجمال عبد الناصر ، فقد اصبح صديقه الوفى أحمد بن بيللا معتقلا مرة أخرى بعد أن كان زعيما مرموقـــا .

لم يكن جمال عبد الناصر متوقعا هذا الاجراء الخشن رغم علمـــه باخطاء صديقه من تقارير السفير على خشبة .. ولذا بادر بايفـاد المشير عبد الحكيم عامر الى الجزائر فى اليوم الأول ومعه محمد حسنين هيكـل لمقابلة هوارى بومدين .

واسرع هوارى بومدين من جهته بايفـاد عبد العزيز بوتفليقة الى القاهرة لتوضيح الموقف .

وكانت قد صاحبت الحركة العسكرية بعض الاجراءات التى دفعت الى توتر الموقف بين القاهرة والجزائر .. فقـــد تعرضت سيارة وزير الخارجية محمـود رياض والسـفير المصرى الى التفتيش أثناء مرورهـــا فى شوارع العاصمة .

وطيرت وكالات الانباء الغربية الخبـــر مستهدفة اثـارة الخـــلاف والتناقض عندما روت أنهما تعرضا للاعتقـال والاستجواب .. ثم تبين أن الأمر لم يكن يتعدى اجـراء روتينيا قام به جنـــدى صغير .. وأن الوزير المصرى لم يقدم احتجاجا رسـميا لأنه لم يعتقـــل كمـا نشرت وكالات الأنباء ولم يستجوب .. وان مثـل هذا الاجـراء قد اتخـذ مع عـدد من وزراء الخارجية وســفراء الدول المختلفة الذين اجتمعوا فى الجزائر للتحضير لمؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية الافريقية .

وانفجرت قنبلة فى نادى الصنوبر ، حيث كان مقررا أن ينعقد مؤتمر التضامن .

وكان رد الفعل السريع ، هو اعتقال عدد من المهندسين المصريين الذين يعملون في مقر المؤتمر .. وبعد التحقيق ثبت أن الكافتيريا التى تم فيها الانفجار قد انتهى العمل فيها ، وسلمت للسلطات الجزائرية ، ولم يعد يدخلها المصريون .

وأصدر هوارى بومدين قرارا بالافراج عن المهندسين المصريين بعد ساعات من صدور أمر الاعتقال .

وسرت اشاعة بأن الحـكم الجديد متحفظ من جهـة المصريين .. وأعلن جمـال عبـد الناصر استعداده الفورى لاستدعاء كل المصريين اذا

طلبت السلطات الجزائرية ذلك .. ولكن هوارى بومدين أعلن تمسكه ببقاء المصريين فى مواقع عملهم .

وساعد على اشتعال الحساسية ما كتبه محمد حسنين هيكل فى جريدة الأهرام عقب عودته مع المشير عامر .

ويشابه هذا الموقف ما سبق أن حدث فى السودان وسبق شرحه بعد ثورة ٢١ أكتوبر كرد فعل على مقال محمد حسنين هيكل .

ولكن الأمور لم تتطور الى الاسوأ حرصا من جمال عبد الناصر وهوارى بومدين على العلاقة الطيبة بين البلدين .

وهوارى بومدين أحد رواد توثيق العلاقة مع المشرق العربى منذ كان فى بيت المغرب فى مصر ، وسافر الى الجزائر مناضلا فى صفوف الجيش ، ومستقبلا لأسلحة مصر .

وقد لعب عبد المجيد فريد سكرتير رئاسة الجمهورية فى مصر دورا ملموسا فى عدم تدهور الموقف .. اذ تصادف وجوده فى الجزائر موفدا لترتيب واعداد قصر الأمم لاستقبال وفود مؤتمر التضامن الآسيوى الأفريقى وذلك لخبرة مصر السابقة فى عقد المؤتمرات وفوجىء بحركة ١٩ يونيو .

أسرع عبد المجيد فريد فى الصباح الباكر فور علمه الى بعض الذين تربطهم به علاقات صداقة من الوزراء وقادة حزب جبهة التحرير ، ولكنه لم يجد عند أحد منهم أية مبادرة للمقاومة ، وثبت لديه أن الحزب كان تنظيما شكليا من ورق ..

وبادر بارسال برقية الى جمال عبد الناصر يبلغه فيها بحقيقة الموقف ويتنبئه بأن الانقلاب قد أصبح واقعة لا سبيل لتغييرها .

وجاء الرد من عبد الناصر يطالبه بأن يبلغ ذلك للمشير عبد الحكيم عامر قبل مقابلته لهوارى بومدين ..

وصعد عبد المجيد فريد الى الطائرة حيث أبلغ المشير بما عنده من معلومات وأوضح له صورة الموقف .. الأمر الذى جعل اللقاء بين عامر وبومدين وديا وهادئا .

وقد حاولت كل من الحكومة التونسية والحكومة السورية فى ذلك الوقت رغم اختلاف ميولهما الايقاع بين القاهرة والجزائر ، وحاولوا تصوير الموقف كما لو أن سقوط بن بيللا هو سقوط لسياسة القاهرة ، متجاهلين الظروف الموضوعية لثورة الجزائر ، وطبيعة القادة الجدد .

واذا كان قد أمكن تفادى تفجر الخلاف بين البلدين ، فان حملة حارقة ضد الشيوعية قد أخذت اندفاعها نتيجة معارضة اتجاهات بن بيللا وتعاونه مع بعض العناصر الشيوعية ٠

واعتقل فى سبتمبر ١٩٦٥ بشير الحاج على سكرتير الحزب الشيوعى الجزائرى وعدد من رفاقه أثناء زيارة (قايد أحمد) للولايات المتحدة الأمريكية التى بدأت حكومتها تقترب من الجزائر بعد موقفها المعارض لأحمد بن بيللا نتيجة زيارته لكوبا عام ١٩٦٤ ، وتأييده القوى لجمهورية فيتنام الديموقراطية وجبهة جنوب فيتنام ، الأمر الذى ظهر فى تأييد أمريكا للمغرب أثناء حوادث الحدود ، واحجامها عن تقديم مساعدات اقتصادية ٠

وتعرضت حركات التحرر الافريقية التى تجمعت فى الجزائر خلال عهد بن بيللا ومنحت كل التأييد والتشجيع المادى والأدبى ، الى بعض المضايقات ٠

وانعكس ذلك فى موقف بعض الدول الافريقية المتحررة (غانا وغينيا وتنزانيا ومالى) التى دافعت عن بن بيللا ، وهاجمت النظام الجديد ٠

واستنكر نكروما وسيكوتورى أثناء مقابلتهما لعبد العزيز بوتفليقة عندما زار البلدين فى يوليو ١٩٦٥ أسلوب الإطاحة بأحمد بن بيللا وزاد توتر العلاقات مع غانا نتيجة الخلاف على موعد عقد مؤتمر أكرا للدول الافريقية واحساس الجزائر بتعارض الموعد المحدد مع موعد عقد مؤتمر تضامن الدول الافريقية والآسيوية بالجزائر ٠

وعندما أسقط الانقلاب العسكرى فى غانا نظام نكروما أثناء زيارته للصين ، ولجوئه بعد ذلك الى غينيا صرح بومدين قائلا (فى هذه الظروف الدقيقة التى تعيشها افريقيا ، وفى هذا الجو السياسى المضطرب ، وفى هذه المرحلة التى نشاهد فيها الاستعمار قائما بهجوم كبير ، يسرنى أن أعرب لكم عن فرحنا وسرورنا من أن قلب الثورة الأفريقية ـ وليس هذا من باب الافتخار لثورتنا وانما هى حقيقة تاريخية ـ يواصل نبضاته أكثر من ذي قبل ٠٠٠ ونستطيع كذلك أن نفتخر بأن نقول باننا لم نخطىء فى تحليلنا التاريخى لحركة التاسع عشر من يونيه الذى وضعنا فيه حدا لربط مصير الثورة الجزائرية بشخص ، وقد جاءت الأحداث الدولية مؤكدة صحة ما قلناه ، ومؤكدة كذلك التحليل الذى قدمناه فى ١٩ يونيو الذى نعتبره من وجهة نظرنا وجهة نظر مجلس الثورة رجوعا الى أصل الثورة الشعبية التي لا تربط مصيرها بمصير شخص ، فالثورة الشعبية

لابد أن تثق بطاقاتها النضالية ، وبوعى اطاراتها وايمان جماهيرها الكادحة ، وهذا على عكس الثورات السطحية التى بنيت على أشخاص ، والتى لم تتجاوز فى أبعادها حدود السفارات وخطب المهرجانات ، والتهريج والتدجيل ، ولنا مثال مؤلم على ذلك هو غانا ، فقد كانت غانا بالأمس القريب فقط تصد من الدول الثورية ، ومن الدول التقدمية والتحررية ، واذا بكل ما قيل منذ سنوات طويلة عن غانا يتبخر بين عشية وضحاها ، وأصبحت الصحافة الدولية واذاعات العالم تردد نهاية الثورة ، ونهاية النظام الاشتراكى فى غانا ... لهذا انتهت الثورة بنهاية نكروما) .

هكذا كان بومدين يدافع عن حركته ضد بن بيللا ، مفسرا أنها حركة نابعة من ضمير شعب الجزائر ، معبرة عن ثورته ، مستهدفة تحقيق الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى ... دون ارتباط كل خيوط المصير بيد فرد واحد مهما كانت شخصيته .

كان هجوم بومدين على نكروما صورة من صور ردود الفصل التى نتجت عن موقف بعض الدول الافريقية ضد حركته فى تسرع ودون دراسة عميقة واعية لظروف الجزائر فى ذلك الوقت .

كان جمال عبد الناصر أكثر ادراكا ووعيا بحركة التاريخ وتفهما لطبيعة هوارى بومدين وطبيعة الثورة الجزائرية عن غيره من زعماء أفريقيا . واستطاع أن يكبت عواطفه تجاه صديقه أحمد بن بيللا الذى ضمن وعدا من بومدين بالمحافظة على حياته ، وأن يرتفع بموقفه السياسى الى مستوى الواقع والحقيقة فوق العواطف .

وأثبتت الأحداث والمواقف بعد ذلك أن حركة ١٩ يونيو كانت استمرارا لثورة الجزائر وأنها تفجرت ضد انفراد بن بيللا بالسلطة وأسلوبه الشخصى فى السيطرة عليها .

وجه جديد :

تشكل مجلس لقيادة الثورة من ٢٦ عضوا برئاسة هوارى بومدين ضم عددا من القادة العسكريين للجيش والولايات سابقا يمثلون جميع المناطق الجغرافية فى الجزائر .

وتشكل مجلس الوزراء من ٢٠ عضوا برئاسة هوارى بومدين أيضا ، وعاد أحمد مدغرى الذى عزله بن بيللا وزيرا للداخلية .

كان الجميع تجمعهم رغبة الاطاحة بأحمد بن بيللا ٠٠٠ أما بينهم فكانت توجد تناقضات أخرى نابعة من طبيعة الثورة ، وتبلورت الخلافات في ظهـور مجموعتين ، الأولى عرفت باسم مجمـوعة (أوجدا) البلدة المغربية التي احتشد فيها جيش التحرير الجزائري وتضـم عبد العزيز بوتفليقة . شريف بلقاسم ، قايد أحمد ، أحمد مدعزى ، وعبد السلام بولعيد وغيرهم ، وهم من الذين كانوا يهدفون الى دعم سلطة الضـباط عموما ، ومحاولة دفع الضباط الذين خدموا في الجيش الفرنسي بحجـة الخبرة ، مع الوقوف في وجه محاولات بناء وتنشيط الحزب ، وسـحب الجزائر الى المغرب العربي فقط ، واتخاذ مواقف محافظة بالنسبة لحركات التحرر الافريقية والدول الاشتراكية ، مع السـعي لتحسـين العلاقـات مع المغرب ٠

أما المجموعة الثانية فكانت تعرف باسم مجموعة الشرق أو الاوراس وتضم العقيد طاهر الزبيرى وسعيد عبيد وصـوت العرب وعبـد العزيز تدرداني وغيرهم من الضباط الذين نشأوا ن طبقة الفلاحين وناضلوا في الداخل ، وكانت نظرتهم أكثرتقدمية من المجموعة السابقة ٠

وكان بومدين أقرب فكرا واتجاها الى المجموعـة الثـانية رغـم أنه كان قائدا على المجموعة الأولى ٠٠٠ ولكن هذا التصنيف لم يدفع بومدين الى تصفية أحد الاتجاهين حرصا منه على عدم تكرار أخطاء بن بيللا ، ورغبته في دفع الأمور الى غايتها بوسائل طبيعية ٠

ووقف بومدين صلبا في وجه محـاولات الهجوم على الأشتراكيـة ٠

قال بومدين (كثرت في الأشهر الأخيرة الدعايات التي كانت تهدف الى خلق البلبلة في النفوس ، لقد ادعى مروجو تلك الحملات بأن السلطة ستتوقف عن السـير في الطـريق الاشتراكي ، وأن الامـلاك ستعاد الى أصحابها ـ وأنا أقول بايجاز ، في هذا البلد سوف تتحقق العدالة المطلقة ، وسننتصر في هذه المرحلة الثورية الجديدة من مراحل بناء الاشتراكية) ٠

وواصل بومدين تفسيره قائلا (نبتت الفكرة الاشتراكية أثناء الكفاح ومن أجلها قدمت الجزائر مليونا ونصف مليون شهيد ٠٠٠ ان الجزائر لم تقدم هذا الثمن الباهظ من أجل الهتاف باسم شخص ، ولا من أجـل أن يرتفع العلم فقط ، لقد تجاوزت فكرة الكفاح من أجـل الاسـتقلال عند العامل والفلاح الى فكرة الكفاح من أجل الاشتراكية) ٠

وحسم بومدين قضية استمرار التسيير الذاتي قائلا (ان نظـام التسيير الذاتي ملك للشعب وللشهداء بوصـفه الطريق الذي اخترناه

لتحقيق الهدف الاجتماعى من الكفاح المسلح والذى يتمثل فى الاستيلاء على ثروات البلاد) .

وأعلن فى أغسطس ١٩٦٦ مشروعا للاصلاح الزراعى يصل بالثورة الى أعماق البلاد بعيدا عن الشريط الساحلى .

وأصدر مجلس الثورة قرارا بتأميم الثروة المنجمية للجزائر وتلاها بتاميم شركات التأمين كلها ، كما بدأ فى اعداد خطط للتنمية ، واعلان الحرب على السرقات والاختلاسات وسيادة قيم وتطلعات البرجوازية فى قيادات الدولة والحزب ، وقرر فى ٢١ يونيو ١٩٦١ تكوين محاكم خاصة للجرائم الاقتصادية .

واسترجعت الجزائر موقعها التقدمى فى الوطن العربى فتصدت للحلف الاسلامى وشاركت بدور بارز فى الخطوات الرامة لتحقيق وحدة القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العربى .

ودعا هوارى بومدين الى ندوة الاشتراكيين العرب فى مايو ١٩٦٧ والتى حضرها لأول مرة ممثلون لمختلف الاحزاب والتنظيمات السياسية التى تعتنق الاشتراكية .

واجتمع فى نادى الصنوبر بالجزائر ممثلون للاتحاد الاشتراكى العربى بمصر وحزب البعث فى سوريا والاحزاب القومية بالعراق والاحزاب التقدمية فى لبنان والاحزاب الشيوعية فى السودان ولبنان والأردن الى جانب ممثلى القوى والاحزاب الاشتراكية فى مختلف الدول العربية ، وعدد من الشخصيات .

مثل مصر فى هذه الندوة كمال الدين رفعت والدكتور لبيب شقير ولطفى الخولى والدكتور عبد العزيز الأهوانى وكامل زهيرى وكاتب هذه السطور .

ومثل الحزب الشيوعى السودانى الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب ومحمد ابراهيم نقد ودكتور عز الدين على عامر وفاروق أبو عيسى وطاهر عبد الباسط ومثل القومى الاشتراكي أمين الشبلى ومحمد سليمان .

وحضر فؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعى الأردنى ومثل الحزب الشيوعى اللبنانى نيقولا شاوى .

ونجحت الندوة التى افتتحها هوارى بومدين ورأسها عبد العزيز بوتفليقة الذى لعب دورا نشطا فى تقريب وجهات النظر التى استقرت على أن تكون هذه الندوة بداية ونقطة انطلاق لندوات ومؤتمرات أخرى .

وفى مجال العلاقات الافريقية ، فتحت الجزائر أبوابهـــا لحركات التحرر الافريقية وساعدتها مساعدات هائلة ، وأعادت علاقاتهـــا مع حكومة غينيا وحزبهـــا الحاكم ، وســافر وفـد جزائرى الى غينيا حيث قــابل سيكوتورى ، وزار نكروما وكان فى ذلك طى لصفحة الخلاف التى بدأت بعد ١٩ يونيو ، وأشير الى ذلك بوضوح فى البيان الصادر عقب انتهـــاء الزيارة •

وعادت العلاقات الطبيعية بين الجزائر والبلاد الاشتراكية ، وزار هوارى بومدين الاتحـاد السوفيتى ويوغوسلافيـــا ، وتجددت العلاقات بين جبهة التحرير ، وأحزاب الدول الاشتراكية •

واستقرت العلاقــات بين مصر والجزائر خــلال هـــذه الفترة على أسس راسخة من التعاون الوثيق ، تماما كما كانت الحال فى الماضى منذ أطلقت الرصاصة الأولى ضد المستعمرين الفرنســيين فى فاتح نوفمبر ١٩٥٤ •

وأخيرا ••• كان العدوان على مصر فى ٥ يونيو ١٩٦٧ بعــد أيـام قليلة من انعقاد ندوة الاشتراكيين العرب فى الجزائر • وأدت الجـــزائر دورا مجيدا فى التعاون العربى يظهـــر على صفحـات الجـــزء الرابـع (خريف عبد الناصر) •

الباب السابع

● الأردن ...

(الموقف ملىء بالاحتمالات ، ولكن هناك احتمالا بالذات لا نستطيع ان نسكت عليه اذا حدث ، هذا الاحتمال هو أن يتعرض الأردن للعدوان من اسرائيل ... فى هذه الحالة لن نتردد فى التدخل بكل امكانياتنا) .

جمال عبد الناصر
فى حديث للصحفى الهندى كارنجيا
٢٩ سبتمبر ١٩٥٨

علاقة الأردن بمصر علاقة فريدة ، وصلت أحيانا الى درجة ملحوظة من الصداقة والتعاون ٠٠٠ وتنافرت أحيانا أخرى الى درجـــة العــداء واستباحة الدمـــاء ٠

وقد تداخلت فى هذه العلاقة عدة عوامل ، منها الصـلة العضـــوية التى كانت تربط الأردن ببريطانيا منذ عهد الأمير ــ الملك عبد الله ــ ، وصلة القرابة بين الملك حسين ، وملك العراق فيصل ، والمنافسة التقليدية بين الأسرة المالكة السعودية فى الحجاز وبين الاسرة المالكة الهاشـــمية فى العراق والأردن ، وطبيعـــة الدولة التى جمعت بين الفلســـطينيين المهاجرين والبدو ، ومحاولات الاستعمـــار المتكررة لفرض الأحـــلاف العسكرية فى المنطقة ٠

حرص جمال عبد الناصر أثناء دخوله المعركة ضـد محـاولات تكوين حلف بغداد على عقد صلات مع الملوك والقادة العرب الذين قـد يضيفهم الاستعمار الى حلفه المرتقب ٠

يقول فتحى رضوان سكرتير الحزب الوطنى الجديد قبـل الثورة ٠٠ وأول وزير للثقافة بعد الثورة إن جمال عبد الناصر قد أوفده الى الأردن مندوبا عنه لمقابلة الملك حسين ، وتصــادف أثنــاء وجوده هناك أن قــام الاسرائيليون بغارتهم الشهيرة على غزة يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ٠

وكانت هذه الغارة قد أعقبت زيارة أنطونى ايدن لمصر بيومين وهو فى طريقه من لندن كوزير للخارجية ونائبا لرئيس الوزراء تشرشل الى بانكوك عاصمة تايلاند لحضور مؤتمر منظمة حلف جنوب شرق آســيا (ســياتو) ٠

وانعكست هذه الغارة على تفكير عبد الناصر وقرر محاربة اسرائيل بحرب عصابات من داخلها ، على أن تكون الجيوش العربية بعيدة عن هذه العمليات مع ضرورة استعدادها لأى اشتباك ٠

وتسلل الفدائيون داخـل اسرائيل من الأردن وغــزة ٠٠٠ وردت اسرائيل على ذلك بارسال طرود متفجرة الى الملحق العســكرى المصرى فى عمان البكباشى صلاح مصطفى ، والصـــاغ مصطفى حافظ ضـــابط مخابرات غزة ٠٠٠ ولقى الشهيدان مصرعهما فى يوم واحد ٠

وضاعف ذلك من حركة الفدائيين ، وظلت الصحف المصرية تكرر المانشيت الذى يشير الى (استمرار القتال على طول قطاع غزة) معظم أيام شهر سبتمبر ١٩٥٥ .

ويقول هارويتز فى كتاب (الأبعاد العسكرية والسياسية فى الشرق الأوسط) أن جمال عبد الناصر قد عقد اجتماعا فى أكتوبر مع الملك سعود وشكرى القوتلى وأقنعهما بمساعدة الأردن ماليا ، واعطائه تذكرة لدخول القيادة السورية المصرية المشتركة .

وكانت السعودية فى ذلك الوقت مرتبطة بمصر وسوريا ، وكان الملك سعود يأخذ موقفا جافا من الأردن التي كان يسيطر عليها الضباط البريطانيون لخلافه مع بريطانيا حول واحة البوريمى .

كان جمال عبد الناصر حريصا على انقاذ الأردن من براثن الاحتلال والسيطرة البريطانية ، وكان يقدر صعوبة موقفها المادى وأهمية ارتباطها العربى .

كلف جمال عبد الناصر اثنين من أقرب الضباط الاحرار اليه حيث كانا يعملان فى مكتبه ، وهما كمال رفعت وأحمد لطفى واكد بالتوجه الى الأردن فى محاولة للاتصال ببقايا المحاربين والمجاهدين خلال حرب ١٩٤٨ ، وتجميعهم من أجل وحدة النضال العربى .

لم يذهب الاثنان بشخصياتهما كضباط فى الجيش المصرى ، وانما ذهبا متخفيين بأسماء حركية .. كمال رفعت يحمل اسم (عثمان) ، وأحمد لطفى يحمل إسم (أحمد حسين نوح) :

ويقول الاثنان أنهما عندما وصلا الى الأردن فى بداية ١٩٥٦ كانت المظاهرات قد تفجرت ضد زيارة تمبلر وكيل الخارجية البريطانية دون أن يكون لهما دور فى ذلك ، وانما كان الدور الرئيسى لشعب الأردن .

وبدأت الصلة تنعقد بينهما وبين بعض السياسيين من مختلف الاتجاهات .

ويقول كمال رفعت أن هناك تساؤلات كان يصحبه فى معظم المقابلات ... يقال علنا أو همسا : لماذا يتحرك المصريون الآن ؟

وكانت محاكمات الاخوان المسلمين فى مصر تترك انعكاسات فى بعض القوى السياسية بالوطن العربى .

ولكن مواقف جمال عبد الناصر الوطنية التى بدأت مع باندونج واعلان صفقة الأسلحة ومعاداة الاحلاف العسكرية قد مهدت الطريق لعلاقات وثيقة مع القوى الوطنية وخاصة البعث والشيوعيين ... حيث

تم أول لقاء مع ميشيل عفلق وأكرم الحوراني من قادة البعث وفؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعي الأردني ، والدكتور مصطفى أمين من سوريا ، وعزيز شريف من العراق •

ونمت الحركة الثورية داخل الأردن نموا سريعا بعد المظاهرات التي قامت ضد وكيل الخارجية البريطانية تمبلر •

وحدثت مفاجأة اخراج الملك حسين للجنرال جلوب من قيادة الجيش الأردني في مارس ١٩٥٦ أثناء زيارة وزير الدولة البريطاني سلوين لويد للقاهرة •

كان الخبر مفاجأة لعبد الناصر ••• ولكن سلوين لويد اعتقد أن عبد الناصر كان يعرفه ويخفيه عنه أثناء اجتماعهما على مائدة العشاء ، كما يروي محمد حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) •

كان الضباط الأردنيون يشكلون قوة ضاغطة على الملك من أجل اخراج جلوب •

وتكونت القيادة العسكرية المشتركة بين مصر وسوريا والسعودية والأردن تحت رئاسة اللواء عبد الحكيم عامر في ٢٣ ابريل ١٩٥٦ ـ لم يكن عامر قد حصل بعد على رتبة المشير •

وصدر قرار بتعيين علي أبو نوار قائدا للجيش الأردني في ٢٤ مايو ١٩٥٦ ، وكان أول تصريح له بعد تعيينه هو (سنرد على اعتداءات اسرائيل بالسلاح) •

ويقول فؤاد هلال الملحق العسكري المصري الذي خلف الشهيد صلاح مصطفى أن اللواء عامر قام بزيارة الأردن في أكتوبر ١٩٥٦ كتأييد للقيادة المشتركة ، وانهم وقفوا على تبة شاهدوا منها البحر الأبيض المتوسط •

وغادر اللواء عامر عمان الى دمشق حيث تعرضت احدى الطائرات التي رافقته الى هجوم اسرائيلي أسقطها في البحر الى الأبد •

يقول الملحق العسكري المصري أن طائرة المشير كانت هي المقصودة بالاعتداء ، نتيجة وجود خط تليفوني مباشر بين القاهرة ودمشق كان الضباط من مرافقي اللواء عامر يتحدثون فيه مع أسرهم عن موعد عودتهم •

ويقول أيضا انه كان مفروضا أن تطير طائرة اللواء عامر أولا لولا أن بعض الزوار قد عطلوه في المطار فطلب من الطائرة الأخرى القيام على أن يلحق بها ، فكان في ذلك كارثتها ونجا عبد الحكيم عامر •

وقد أدى هذا الحادث الى اتخاذ جانب السرية المطلقة بعد ذلك فى تحرك القيادات بين القاهرة ودمشق ، حتى أنه بعد رحلة عبد الناصر الى موسكو عام ١٩٥٨ وعودته الى دمشق أعلن عن بقائه عدة أيام فى سوريا ، وعاد هيكل وحده فى الطائرة العادية الى القاهرة .

وأخيرا قامت الطائرة السوفيتية التى كانت تقل عبد الناصر فى موعد مفاجىء الى القاهرة حيث هبطت فى مطار أبو صوير لتعذر استقبال مطار القاهرة لها ، وعاد عبد الناصر الى منزله بدون استقبال رسمى ، وبدون أن يعرف حرس باب منزله أنه هو الشخص الذى يدخل المنزل فى سيارة عادية لأحد الضباط ركبها من مطار أبو صوير .

وكانت زيارة اللواء عامر للقيادة المشتركة فى الأردن قد أعقبت هجوما اسرائيليا شديدا على قلقيلية يوم ١٠ أكتوبر ١٩٥٦ ويقول (هاروتز) فى كتابه السابق ، إن الملك حسين طلب جنودا من مصر ولكن جمال عبد الناصر اعتذر عن عدم امكانية تحقيق ذلك لتوقعه هجوما بريطانيا فرنسيا بعد تأميم القناة .

وقع هذا الهجوم خلال فترة الانتخابات التى ذهب فيها كمال رفعت وأحمد لطفى واكد لمساعدة العناصر الوطنية .

ويقول لطفى واكد أن جمال عبد الناصر قد استدعاه الى قصر الطاهرة يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٥٦ حيث كان يقيم مؤقتا ، وبدأ الحديث معه بالشكوى من سكن القصور الكبيرة التى يشعر فيها بأن حركته غير طبيعية ... ثم تحدث معه فى موضوع الانتخابات الأردنية قائلا وأنه فوجىء بسماع أخبار تقول أن هناك معركة بين المخابرات المصرية التى تعمل على توحيد القوى المعادية للغرب ، وبين المخابرات البريطانية التى تحاول توحيد القوى المؤيدة للغرب .

وعلق جمال عبد الناصر على ذلك قائلا (أنا لا عندى مخابرات ولا عملت هناك ... ولكن المعركة أصبحت محسوبة لنا) .

ثم طلب من كمال رفعت ولطفى واكد السفر للأردن حيث أمضيا أسبوعا قبل الانتخابات .

ويقول كمال رفعت ولطفى واكد أن اسم جمال عبد الناصر كان له تأثير كبير على الناخبين ... ويذكر أن المرشح أنور الخطيب ألقى خطابا فى المسجد الأقصى فسمع صوتا يسأله (هل عبد الناصر معك ؟) وكان جواب المرشح (أما أعرفه) وكانت النتيجة هى سقوطه ، ونجاح مرشح مسيحى يستارى .

وكان الاتصال بالشيوعيين في ذلك الوقت يثير حساسيات شديدة ... ويذكر أن أكرم الحوراني قد أرسل يشكو لعبد الناصر من اتصالهما ببعض العناصر الشيوعية السورية ، كما أن عبد الله الريماوي قد حضر اليهما معلنا رفضه للتعاون مع الشيوعيين ... وكان الاثنان قد عقدا اجتماعا سريا مع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأردني استغرق ٧ ساعات .

ويذكر لطفي واكد أنه في أثناء تواجدهما في احدى المرات بعمان ، طلب مقابلة عبد الحكيم عامر وكان يقوم بزيارة للأردن ، ولكنه طلب منه الابتعاد لأنه يقوم بعمل سري لا يجوز أن يرتبط به .

اجريت الانتخابات وفاز التجمع الوطني في كل الدوائر عدا البادية ، وتشكلت وزارة سليمان النابلسي في ١٧ أكتوبر ١٩٥٦ .

يقول الملحق العسكري المصري فؤاد هلال أن علاقة القاهرة بالوزارة الجديدة في ذلك الوقت كانت وثيقة تماما ، وإن كثيرا من الوزراء كانوا يترددون على منزل السفير المصري والملحق العسكري يتابعون أخبار العدوان لحظة بلحظة .

وقطعت الحكومة الأردنية علاقاتها الديبلوماسية مع فرنسا ولكنها لم تقطعها مع بريطانيا لظروفها الخاصة التي لم يستطع سليمان النابلسي أن يتحرر منها .

ويبدو أن السفير المصري خلال هذه الفترة كان متشائما ومعتقدا أن مصر قد أصبحت بعد العدوان الثلاثي في موقف لا يسمح لها بالقتال ، وقال لبعض الوزراء الأردنيين أن عبد الناصر وفاء منه لمصر سيستسلم حتى لا تتعرض مصر لكارثة ... وأعلن رأيه في ضرورة تسليم الثورة لعلي ماهر .

وهرع الوزراء الأردنيون إلى الملحق العسكري مذعورين ... وكانت النتيجة هي استدعاء السفير المصري واحالته الى المعاش .

وفي يناير ١٩٥٧ قبل سليمان النابلسي مساعدة مصرية سورية سعودية بدلا من المعونة البريطانية .

ولم يلبث أن أعلن سليمان النابلسي في مارس ١٩٥٧ نهاية المعاهدة البريطانية وطلب من الحاميات البريطانية مغادرة الأردن خلال ستة شهور ، كما تخوف من المساعدة الأمريكية التي تستهدف عزل القاهرة عن الغرب ... وألح على الملك حسين في انشاء علاقات ديبلوماسية

للأردن مع الاتحاد السوفيتي مع اعلان استعداده لقبول المساعدة السوفيتية .

الجيش الأردني والانقلابات العسكرية :

سرعان ما انحسر هذا المد السياسي التقدمي في الأردن ، وعادت الأمور الى وضعها القديم ، عندما أعلن الملك حسين في ابريل ١٩٥٧ عن محاولة انقلاب كان يدبرها اللواء علي أبو نوار .

واستقال سليمان النابلسي وشكلت وزارة جديدة برئاسة سمير الرفاعي .

وأعلن ايزنهاور ووزير خارجيته في نفس الوقت موافقتهما على رأى الملك حسين من أن الشيوعية العالمية تهدد استقلال ووجود الأردن .

وتحرك الأسطول الأمريكي السادس نحو شرق البحر الأبيض المتوسط وأعلنت أمريكا أن استقلال الأردن وكيانه أمر حيوى لأمريكا .

لم تكن هناك مقدمات لهذا التغيير المفاجيء الذى عرف بأزمة ابريل ١٩٥٧ .

ولم يكن ضباط الجيش الأردني قد أعدوا أنفسهم في تنظيم يتيح لهم عمل انقلاب عسكرى ... وقصة عزل علي أبو نوار تحيط بها علامات الاستفهام .

أكد لى كمال رفعت أن اتصالهم ببعض الضباط الأردنيين كان يتم على أساس الصداقة والتقارب الفكرى فقط دون أى تدبير لانقلاب مفتعل ... وقال لى أن علي أبو نوار كان يتحدث عن تشكيل يسمى الضباط الأحرار ولكنه في الغالب كان تنظيما وهميا أو صوريا لا يصدر منشورات وليس له تأثير واضح .

وحكومة الأردن منذ تكوينها عام ١٩٤٩ لم تسمح بوجود معارضة قانونية ، ولذا اتجهت قوات المعارضة للتآمر ضد نظام الحكم .

ورغم وقوف بعض الضباط الوطنيين موقف التأييد للحركة الثورية العربية ، الا أن حادث اغتيال الملك عبد الله عام ١٩٥١ أثبت عدم وجود أية صلة لضباط الفيلق العربي به .

ولم تصل عدوى الانقلابات السورية الى الأردن رغم تعاقبها ، ولم تنعقد صلة مؤثرة بين الضباط الوطنيين في البلدين .

ورغم نشاط حزب البعث في الشرق العربي ، وتوافر عدد من

الضباط في صفوفه ، الا أنه يبدو أن صلاته مع الضباط الأردنيين لم تصل الى درجة القدرة على القيام بانقلاب عسكرى •

ولا شك أن أسباب عدم نجاح الانقلابات العسكرية فى الأردن رغم وجود جيش كبير نسبيا كان يبلغ أربعة أضعاف الجيش اللبناني فى الخمسينات مع أن سكان الأردن أقل عددا من سكان لبنان •

من أسباب عدم نجاح الانقلابات تواجد الضباط البريطانيين فى مراكز القيادة وحرصهم على عدم تعيين أى ضابط عربى الا من مصفاة بريطانية ذات ثقوب ضيقة •

ويلاحظ أن الجيوش فى مختلف دول العالم الثالث لم تتحرك للقيام بانقلابات عسكرية طوال خضوع دولها للاستعمار والاحتلال الأجنبى ، وأن ظاهرة الانقلابات كانت تقترن دائما بخروج قوات الاحتلال ، هذا اذا استثنينا حركة القوات المسلحة المصرية فى ٢٣ يوليو اذ كانت القوات البريطانية قد ابتعدت تماما عن الجيش المصرى بعد معاهدة ١٩٣٦ التى قررت خروج البعثة البريطانية ، واقتصر وجود قوات الاحتلال على شرعية منطقة القناة فقط ، وانقلاب بكر صدقى فى العراق الذى تم تحت شرعية النظام الملكى واستمراره •

يضاف الى ذلك التركيبة الخاصة للجيش الأردنى جعلت نصفه تقريبا من رجال البادية البعيدين عن الحضارة ، والذين يدينون بولاء خاص للأسرة الهاشمية الحاكمة ، والذين يصعب عليهم انطباق القول بأن الضباط هم (مثقفون فى ملابس رسمية) •

والحركات المضادة للنظام الملكى فى الأردن تستحق أكثر من علامة استفهام ، سواء عبد الله التل للضابط الذين تستقر أسرته فى اربد والذى كان مندوبا للملك عبد الله في مفاوضاته مع الاسرائيليين ثم حاكما عاما للقدس ، والذى كانت له اتصالات متعددة مع بعض البعثيين الأردنيين ، والوطنيين الفلسطينيين ، وحسنى الزعيم الذى زاره فى اليوم التالى لانقلابه مباشرة حاملا رسالة من الملك عبد الله ، وعاقدا لصلة خاصة به ، ثم اتصاله بالحناوى الذى ما ان اكتشف أنه على علاقة طيبة بأسرة الهاشمية حتى غادر الأردن هو وأسرته الى دمشق ثم القاهرة يوم ٥ أكتوبر ١٩٤٩ وذلك بعد أن كان قد استقال فى ٧ يونيو من آخر مناصبه كملحق عسكرى فى لندن حيث أراد الملك عبد الله أن يبعده عن الأردن حيث عاش فى القاهرة ١٥ عاما •

وظلت علامات الاستفهام تلاحق عبد الله التل ، حتى أعلن الملك حسين عن انقلاب على أبو نوار فى ابريل ١٩٥٧ •

وعلى أبو نوار أردني من مدينة السلط اشترك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، ثم أصبح عضوا في لجنة الهدنة برودس ، وحصل على شهادة الأركان حرب من لندن ، ثم عمل ملحقا عسكريا في باريس فياورا للملك حسين ١٩٥٥ .

ويقال انه كان له تأثير على الملك في طرد الجنرال جلوب والضباط البريطانيين في مارس ١٩٥٦ثم أصبح رئيسا لأركان الحرب بعد ثلاثة شهور في مايو وهو في الثالثة والثلاثين من عمره بعد أن رقي من رتبة صاغ الى رتبة لواء خلال عام واحد .

وافتعل الملك حسين خلافا مع وزارة سليمان النابلسي التي كان يؤيدها اليساريون والقوميون معا ، وبدأ يغلبه شعور جارف بأن النفوذ يتسرب من يديه الى العناصر المعادية للغرب والمتأثرة بشخصية جمال عبد الناصر الصاعدة والتي أجبرت قوات العدوان الثلاثي على الانسحاب من مصر .

وفي يوم ٧ ابريل تحركت نحو عمان وحدة سيارات مدرعة من الزرقا التي تبتعد عنها ١٧ ميلا ، وعندما سئل رئيس الوزراء ووزير الدفاع عن سر التحرك نفيا علمهما به ، وعندما سئل على أبو نوار أجاب بأنها تحركات تدريبية فقط .

وأصدر الملك حسين أوامره لهذه الوحدة بالعودة الى معسكرها في الزرقا .

وفي يوم ١٠ ابريل تقدمت الوزارة بطلب ابعاد ٢٠ ضابط من المعروفين بولائهم للملك ، وبدلا من الاستجابة للطلب ، أصدر الملك قراره باقالة الوزارة وتعيين وزارة جديدة برئاسة سمير الرفاعي .

ويقول الملحق العسكري المصري أنه سبق هذا القرار بعض الأحداث اذ كانت السلطات الأردنية تراقب الضابط المصري المندوب في القيادة المشتركة وسرقت منه مفتاح الشفرة ... وقد أبلغ سليمان النابلسي الملحق العسكري بذلك .

كما أنه حدث بعد الاعتداء على قلقيلية وزيارة اللواء عامر للأردن ان استدعى على أبو نوار رئيس الأركان الأردني الملحق العسكري المصري وطالبه بوقف الأعمال الفدائية الا عن طريق الملك أو السلطة الأردنية ، وذلك حتى لا تتخذ السلطات الاسرائيلية اجراء ضدهم وحتى لا تعتقلهم السلطات الأردنية أثناء عودتهم .

ويقول فؤاد أن على أبو نوار هدد باعتقال ومحاكمة الفدائيين قائلا (لا يمكن أن نقبل أن تكون الأردن حقل تجارب للمصريين) ٠

وقال له فؤاد هلال أنه سيرسل برقيـة بهذا المعنى للقاهرة فورا ، ثم فوجيء بحضور على أبو نوار الى مكتبـه ومطالبتـه بتأجيـل الارسـال ساعتين ، ثم عاود الاتصال به وطالبه بارسال البرقية فارسلها ٠

يبدو أن على أبو نوار كان يحاول التأثـير على الملك للتراجـع عن موقفـه ٠

وجاء رد القاهرة مطالبا المندوب المصرى فى القيادة المشتركـة بمنع ارسال برقيات شفرية ، ووقف العمليات الفدائية مؤقتـا ، وطلب اللواء عامر استدعاء على أبو نوار لمقابلته فى القاهرة ٠

ولكن على أبو نوار أعتذر عن عدم الذهاب ٠

ومع ذلك كانت هناك صلـة سياسية بـين على أبو نوار وبين وزراء وزارة سليمان النابلسى ٠

وما ان أعلنت استقالة النابلسى حتى انفجرت المظاهرات فى الأردن واحتشدت فى عمان يوم ١٣ ابريل ١٩٥٧ هاتفة ضد الأمريكان ومشروع ايزنهـاور ٠

وتجددت محاولة التحرك من الزرقـا بقيـادة المقـدم معن أبو نوار ابن عـم على أبو نوار رئيس الأركان ٠٠٠ ولكن احـدى كتـائب البـدو حاصرت معسكره وهرع الملك فى منتصف الليل ومعـه على أبو نوار فى سيارته الى الزرقا حيث استقبله البـدو هاتفـين بحياته مطالبـين برأس على أبو نوار ٠

وحدثت مجابهة بين على أبو نوار وبعض الضباط أمام الملك تبين بها أنه كانت هناك تحرك وانقلاب ضـد الملك ٠٠٠ وطلب على أبو نوار العفو والسماح له بمغادرة البلاد ٠٠

عزل الملك أبو نوار وسمح له بالخروج الى سوريا حيث غادرها بعد ذلك الى القاهرة ٠

وعين على الحيارى خلفا لعلى أبو نوار رئيسـا للأركان ، ولكنه لم يبق فى منصبه بسوى أيام لا تتجاوز الأسبوع ، ثم هـرب هو الآخـر الى سوريا ٠

كانت المسئولية التى القيت على على الحيارى أكبر من ان يتحملها اذ رفض أن تكون السيادة لضباط البدو ، كما رفض اتخاذ اجراءات عنيفة ضد الضباط الآخرين .

هرب الحيارى الى سوريا حيث أعلن فى دمشق (أنه لو كان هناك انقلاب فان الذى دبره هو الملك الذى أراد مبررا لتغيير سياسته) .

وبعد ذلك لجأ على الحيارى الى مصر أيضا ... وعين بدلا منه حابس المجالى الذى استمر فى منصبه حتى عام ١٩٥٦ .

وهكذا فشلت محاولة الانقلاب الذى تحيط به علامات الاستفهام والذى يقول البعض بأن على أبو نوار قد لعب فيه دورا مرسوما من الملك ، لأنه لم يكن معقولا أن يسمح له بالخروج من الأردن اذا كان متآمرا حقيقيا عليه ، بينما حاكم عددا من الضباط مثل شاهر أبو شاحوط الذى حكم عليه بالاعدام ثم خفف الى المؤبد وأحمد زعرور وأحمد الطراولة .

كان الهدف تغيير سياسة الأردن وحفظها فى قالبها الرجعى القديم .

واتجهت السياسة المضادة بعد ذلك الى افساد العلاقة مع مصر عن طريق الموجودين فى الأردن من المسئولين المصريين .

وبدأت التحركات الايجابية فى ذلك عندما تقررت زيارة الملك سعود للأردن فى ٨ يونيو ١٩٥٧ وطرد على خشبة الوزير المفوض المصرى فى السعودية يوم ٧ يونيو ، عندما وصل الملك سعود كان الملحق العسكرى فؤاد هلال فى دمشق وعند عودته أثناء الزيارة حدثت قصة مثيرة .. ذهب الى مكتبه ضابط أردنى من المتعاونين معه سابقا ، وأبلغه أن هناك خطة مدبرة لاغتيال الملك حسين وبهجت التلهونى وسمير الرفاعى .

وأخذ الملحق العسكرى المصرى الحذر لمفاجأته بحضور الضابط الى مكتبه فى وقت فرضت عليه الرقابة فيه ، وارتفع الشك فى نفسه عندما وجد أن تصرفاته تتميز بعصبية لم يعهدها فيه ... وعرف أنه أمام مؤامرة دبرتها المخابرات الأردنية وأصر على تفتيشه فرفض وأخرج مسدسه ولكن الملحق العسكرى المصرى استطاع أن يسحبه منه وأن يفتشه ويجد معه جهاز التسجيل ... وقرر احتجازه وكتابة تقرير الى القاهرة .

وفى ذلك الوقت حوصر مكتب الملحق العسكرى بالمدرعات والمشاة ووصل مدير الأمن العام حكمت مهيار فى التاسعة مساء سائلا عن الضابط الأردنى ، فأنكر فؤاد وجوده منتظرا التعليمات من القاهرة .

وعند الفجر وصل والد الضابط وبدأ يلقى الحجارة على منزل الملحق العسكرى ... واتصل الملحق برئيس الوزراء طالبا وقف القاء الطوب ورفع الحصار عن المنزل .

وكان رد القاهرة قد وصل بتسليم الضابط ،فقام الملحق العسكرى بتسليمه اليهم بطريقة قانونية بعد استحضار أطباء للكشف عليه بحضور مدير الأمن العام ووالده أيضا .

وبعد نصف ساعة اتصل به رئيس الوزراء سمير الرفاعى وطلب منه مغادرة البلاد خلال ٤٨ ساعة .

وصدر نفس الأمر أيضا الى محمد محمود عبد العزيز قنصل مصر فى القدس وهو ضابط سابق فى مدفعية السواحل المصرية .

ولما وصل الخبر الى مصر أصدر جمال عبد الناصر قرارا بطرد السفير الأردنى عبد المنعم الرفاعى على الا يغادر مصر قبل وصول الملحق العسكرى المصرى سالما .

وهكذا طويت صفحة الوفاق والعلاقات الطيبة بين مصر والأردن بحادث مفتعل .

صفحة الخلافات :

وبدأت صفحةالخلافات بين الدولتين .

أعلن الملك الأحكام العرفية .. وحدد اقامة سليمان النابلسى ... وأعلن محاكمة غيابية لعلى أبو نوار وعلى الحيارى ...وان كان قد عاد وعفا عنهما وعين الأول سفيرا فى باريس والثانى سفيرا فى القاهرة بعد ذلك بسنوات ، الأمر الذى يجسم علامات الاستفهام حول طبيعة الانقلاب الذى ألصقت تهمته بعلى أبو نوار .

وطردت الحكومة الأردنية مساعد القنصل المصرى فى القدس محب السمرة ، وهو ضابط سابق فى الجيش نقل الى الخارجية .

وأعلن الملك حسين أن مؤامرات تدبر ضده فى مصر وسوريا .. وانطلق صوت العرب يهاجم الملك حسين .

ووصلت الاتهامات المتبادلة الى ذروتها خلال خمسة شهور امتدت الى أغسطس ١٩٥٧ ، واتهم الملك حسين عبد الناصر بعمالة الشيوعية وبأنه لم يوف بالتزاماته المادية هو وسوريا قبل الأردن ، كما استمرت السعودية تقدم مساعداتها .

ووجه صوت العرب والصحف المصرية اتهامات الى الملك حسين بخيانة قضية فلسطين والتفاوض السرى مع اسرائيل ٠

وحدثت فى صيف ذلك العام التجمعات التركية على حدود سوريا وبادر الملك سعود الى تأييد موقف سوريا على عكس حكومات العراق والأردن ولبنان التى اتخذت موقفا ضد الحكومة السورية باعتبارها أداة فى يد الحكومة السوفيتية التى وقفت موقفا واضحا ضد أى محاولات للاعتداء على استقلال سوريا وسلامتها ٠٠ وكان جمال عبد الناصر قد أسرع بارسال قوات مصرية الى اللاذقية ، بعد زيارة الملك سعود لدمشق بثلاثة أسابيع فقط ٠

كان موقف الملك سعود نابعا من رغبته فى عدم الانعزال عن الصف العربى وتحاشى هجمات النظام فى مصر ، ومحاولة تجنب نفوذ شخصية عبد الناصر ، الى جانب أنه لم تكن له حدود مباشرة مع سوريا بحيث يهدد موقفها ثبات واستقرار الحكومة مثلما كان الحال فى العراق والأردن ولبنان ٠

وحدث أيضا أن ضبطت مؤامرة دبرتها المخابرات المركزية الأمريكية ضد سوريا ، عندما عثر على رجل سورى فى الحقيبة الخلفية لسيارة دبلوماسى أمريكى قادم من بيروت ٠٠٠ وكان هذا دليلا على أن سلسلة مؤامرات الامبريالية الأمريكية لم تتوقف ٠

ويقول انتونى ناتنج أن حملات الهجوم المتبادلة بين مصر والأردن قد توقفت بعد هذا الصيف الساخن الملئ بالأحداث فى شهر نوفمبر ١٩٥٧ عقب تقارير تلقاها عبد الناصر من ادارة المخابرات تشير الى أن هجمات الدعاية المصرية قد أثرت على موقف الملك حسين ، وأنه أصبح معرضا لهجوم شعبى من اللاجئين الفلسطينيين على قصره ٠

ويعلق أنطونى ناتنج على هذه الواقعة التى ذكرها بقوله أن الملك حسين لم يكن موقفه ثابتا كما كان فى هذه الفترة ، وان تقارير المخابرات المصرية لم تكن صحيحة ٠

ومع ذلك فقد أصدر جمال عبد الناصر قرارا بوقف الحملات المتبادلة بعد ثلاثة أيام من طلب مشترك من الملكين فيصل وسعود ملك السعودية موجه الى القاهرة ودمشق لوقف الحملات الاعلامية ٠

كان جمال عبد الناصر مدركا أن هناك حدودا فاصلة بين الهجوم على حسين وبين التمادى فى ذلك الى درجة تهديد عرشه بالسقوط مما قد

يدفع القوات الاسرائيلية أو البريطانية الى التدخل في وقت لم تكن القوات المصرية أو السورية فيه مهيأة تماما لمساندة موقف جديد •

وهكذا توقفت الحملات الاذاعية في نوفمبر ١٩٥٧ . ويقول أحمد سعيد مدير صوت العرب انه فوجىء بالقرار في وقت كانت فيه الحملة قد وصلت ذروتها •

ولاشك أن جمال عبد الناصر كان واثقا من أن انتصاره في معركة حلف بغداد الضارية ، قد دعم مركزه ، وجعل انتصاره في رفض مشروع ايزنهاور أكثر يقينا وخاصة بعد انتصاره في معركة العدوان الثلاثي •• ولعل هذا ما دفعه الى وقف هذه الحملة الاعلامية وبخاصة بعد موقف الملك سعود الذى أشرنا اليه ، والذى دفعه الى مساندة سوريا بدلا من الهجوم عليها •

تأثير الوحدة :

لم يتردد الملك حسين طويلا في اقامة اتحاد مع العراق رغم نفوره من سياسة نورى السعيد ، وذلك حتى لا يقف معزولا بعد وحدة مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة ، وبعد ابلاغ الملك سعود للأردن في يناير ١٩٥٨ بأنه لن يدفع الملايين الخمسة التى كان يدفعها بعد قطع المعونة البريطانية الأمر الذى كان يهدد الأردن بالافلاس •

كان انضمام الأردن الى العراق في اتحاد واحد يعنى انضمام الأردن الى حلف بغداد بصورة غير مباشرة ، رغم أن شروط الاتحاد كانت تنص على عدم الارتباط بأية مواثيق ترتبط بها الدولة الأخرى •

ولكن قيام سياسة دفاعية ومالية وخارجية واحدة كانت تتضمن هذا الانضمام غير المباشر لحلف بغداد •

وقد ترك هذا الاتحاد العراقي الأردني أثرا معاكسا على السعودية التى وجدت في اتحاد الأسرة الهاشمية عملا لا تسعد به •

ولكن عمر الاتحاد لم يدم طويلا فقد انفجرت ثورة ١٤ يوليو في العراق وتمزق الاتحاد وتصور الجميع أن نظام الحكم في الأردن سوف يتهاوى بعد سقوط حكم الأسرة الهاشمية في بغداد •

أعلن عبد الكريم قاسم حل الاتحاد في الوقت الذى أعلن فيه الملك حسين نفسه رئيسا لدولة الاتحاد •

.. ولكن حركة الامبريالية كانت سريعة .... فقد نزلت القوات البريطانية فى الأردن قادمة من قبرص ، بينما تحرك الأسطول السادس الأمريكي الى لبنان ؟

قال جمال عبد الناصر ردا على الصحفى الهندى (كرانجيا) فى حديث بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩٥٨ عندما سأله قائلا (يبدو أن الأردن التى احتلتها القوات البريطانية هي فى الحقيقة الضحية الكبرى للغرب ، فما هو حل هذه المشكلة) .

أجاب جمال عبد الناصر قائلا :

– من الصعب العثور على اجابة محددة لهذا السؤال ، ولكن المؤكد أن الشعب الأردنى هو الذى يستطيع بوطنيته وحكمته أن يرسم الطريق ، ولكن الأمر الذى اتضح ويزيد كل يوم وضوحا هو أن الحديث من عملاء عبد الناصر أو هيئات أو منظمات تعمل لحساب عبد الناصر ، أو الحديث عن عدوان مباشر ، أو عدوان غير مباشر من جانب الجمهورية العربية المتحدة قد أصبح أكذوبة لا يكاد يصدقها حتى الذين اخترعوها أنفسهم ، بل لعل العالم كله يرى الآن من الذى يستخدم العملاء ، ومن الذى يدبر الأموال فى الأردن .

ان ملك الأردن تسلم من الولايات المتحدة سبعين مليونا من الدولارات منذ قام بانقلابه المشهور على الحكم الوطنى منذ أكثر من عام فان هذا الملك الآن فى حاجة الى رجال المظلات البريطانيين لكى يحموه من شعبه .

وأجاب عبد الناصر على سؤال آخر (الى متى تستمر هذه الاوضاع) بقوله :

– ان الموقف ملىء بالاحتمالات ولكن هناك احتمالات بالذات لا نستطيع أن نسكت عليه اذا حدث ، هذا الاحتمال هو أن يتعرض الأردن للعدوان من اسرائيل ، فى هذه الحالة لن نتردد في التدخل بكل امكانياتنا .

وخلال هذا اللقاء الصحفى أيضا ، وقف الحديث عند زيارة همرشولد سكرتير الأمم المتحدة للملك حسين لتبصيره بالأمور . وعلق جمال عبد الناصر على ذلك بقوله :

– وماذا يستطيع همرشولد أن يفعل ... أن المشكلة ليست بين حسين والجمهورية العربية المتحدة ... انما المشاكل الحقيقية هى مابين حسين وشعبه أولا ثم هى احتلال بريطانيا للأردن ثانيا ، ونتيجة لخوف

الملك من شعبه واستنجاده بجنود المظلات البريطانيين لذلك قلت لك ، ماذا يستطيع همرشولد أن يفعل ؟ هل يستطيع أن يتوسط بين القصر والشعب ؟

وظلت الخلافات قائمة بين الأردن والجمهورية العربية المتحدة حتى أغسطس ١٩٥٩ بعد توتر الموقف مع العراق حيث تحسنت العلاقات نسبيا ٠

يعبر عن ذلك سؤال وجهه أحد الصحفيين الأجانب الى جمال عبد الناصر أثناء مؤتمر صحفى عقد فى ٢٥ ابريل ١٩٦٠ وقال فيه (هل تظن أن للملك حسين ملك الأردن أى مستقبل ؟) ٠

وكان جواب عبد الناصر هو (اننى فى الحقيقة لا أستطيع أن أنظر الى الأمور بهذه الكيفية فثمة فرق بين التفكير الصحفى وبين تفكير رئيس دولة مسئول عن تصريحاته بشأن المسائل الدولية ٠٠٠ اننا طبعا نتعامل مع الملك حسين بصفته ملكا للأردن ، ونحن نحاول أن تكون علاقتنا به طيبة) ٠

ولكن الهدوء لم يستمر طويلا ، فلم يكد يقتل هزاع المجالى فى أغسطس ١٩٦٠ ، وهو أحد الذين دافعوا عن دخول الأردن حلف بغداد فى عام ١٩٥٥ حتى توترت العلاقات من جديد ، وبدأت الأردن تشن هجمات على الجمهورية العربية المتحدة ٠

وكان جمال عبد الناصر قد قطع العلاقات الديبلوماسية مع ايران فى يوليو ١٩٦٠ عقب قرار الشاه الاعتراف باسرائيل مع عدم اقامة علاقات ديبلوماسية معها ٠٠٠ وايران والأردن تربطهما علاقات وثيقة ٠٠٠ وقد أدى هذا القطع الى احراج لحكومة عمان ٠

وبدأت حملة عمان جديدة أطلقت فيها اذاعة عمان على جمال عبد الناصر الفاظ (مجنون ــ عميل ــ أحمر ــ فاروق الصغير ــ ديكتاتور متعطش للدماء متآمر) ٠

وصحب ذلك اعتراف الملك حسين بنظام عبد الكريم قاسم فى ١٩٦٠ وهكذا يتبين أن الأردن كانت تلعب دورا ايجابيا نشطا فى الهجوم على مصر وعلى جمال عبد الناصر ٠

ولم يقابل جمال عبد الناصر هذه الحملة بالصمت ، شن هجوما على الملك حسين فى دمشق بتاريخ ١٧ أكتوبر قال فيه (باع الملك عبد الله العرب وفلسطين للصهيونية واسرائيل) وقال أيضا (ان الاستعمار حينما

يسيطر على بلد انما يعتمد على أعوانه الخونه ، والمثل جنبنـا بجوارنا فى الأردن ، يعتمد الاستعمار على الملك الأجير ويعتمد على حفنة قليلة من العملاء الذين يستغلون الشعب ويجمعون الأموال) •

ولكن موقف الملك حسين كان يزداد رسوخا فى الأردن فى وقت كانت تتعرض فيه الجمهورية العربية المتحدة لأخطار التمزق والتناقضات •

أفرج الملك حسين عن سليمان النابلسى رئيس الوزراء السابق بعد اعتقال استمر أربع سنوات تقريبا •

وذاعت أقاويل عن أن بعض السـوريين قد لجـأوا الى الملك حسين يطلبون منه التدخـل فى سوريا ، وعلـق جمال عبد الناصر على ذلك فى خطبته السنوية يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٠ (فين النهاردة الاتحاد العربى ؟)ـ يقصد اتحاد العراق والأردن قبل ثورة ١٤ يوليو ـ بيروحوا للملك حسين وبيقولوا له ده الشعب السورى مستنيك بس اركب حصان وعدى الحدود ••• ياريته يسمع الكلام ويركب جحـش ويعدى الحدود ، أنا مش راح أعمل له حاجة ولا الجيش الأول ••• وبيقولوا له تعال عليك الأمان بس اتفضل تعالى ورينا) •

ولكن تقدير جمال عبد الناصر للملك حسين كان أقل مما يجب ، فقد وقع الانفصال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، وتبين أن بعض الضباط الذين قاموا به كانوا على صلة بالأردن كما هو واضـح فى الباب الأول من هـذا الجـزء •

وسرعان ما أعلن الملك حسين اعترافـه بحكومة الانفصـال بعد ٤٨ ساعة من وقوعه •

من الانفصال الى العدوان (اليمن ـ القيادة المشتركة) :

وعادت العلاقات الى التـوتر من جديد ، وخاصـة بعد ثورة اليمن ، حيث اتخذت الأردن والسعودية موقف التأييد للملكيين • وعندما عـرض جمال عبد الناصر فكرة الانسحاب المصرى من اليمن فى ديسمبر ١٩٦٢ على أن يكون ذلك مقترنـا بوقف السعودية والأردن تأييدهمـا ومساعدتهما للملكيين ، لم يقبل الأمير فيصل ذلك فلم يكن أقل تفتحا من شقيقه الملك سعود ، رغم اعتقاد عبد الناصر فى مرونته والقاء كثير من الآمال عليه كما يقول المطولى ناتنج فى كتابه (ناصر) •

الأمير فيصل كان رئيسا للحكومة التى منعت المحمل المصرى ، وهو الذى ضيق الخناق على المصريين العاملين بالسعودية ، وأصر على أن يدفع الحجاج المصريون الأموال المقررة عليهم بالعملة الصعبة .

ووصل الأمر بالملك حسين أيضا الى حد المطالبة بتغيير مقر الجامعة العربية من القاهرة ، ورفض وقف مساعدة الملكيين .

وخلال هذه الفترة هرب عدد من الطيارين الأردنيين الى القاهرة لاجئين بعدد من الطيارين السعوديين .

ولكن اعتراف حكومة كنيدى الأمريكية بجمهورية السلال أحدث صدمة للملك سعود والملك حسين ... ولكنه لم يدفعهما الى وقف تأييد الملكيين .

واستمرت الأمور كذلك حتى دعا جمال عبد الناصر الى مؤتمر القمة العربى الأول واجتمع ١٣ ملكا ورئيسا فى ١٣ يناير ١٩٦٤ بالقاهرة .

وقبل افتتاح المؤتمر حرص جمال عبد الناصر على مقابلة الملك حسين مقابلة خاصة لمناقشة قضية فلسطين معه باعتباره حاكما لدولة من دول المواجهة ... واعادة العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين التى قطعت عقب اعتراف الأردن بحكومة الانفصال السورية .

كانت هذه الحركة السياسية من عبد الناصر بداية لفك ارتباط الملوك وبداية لبحث قضية القيادة العسكرية العربية الموجودة لمجابهة اسرائيل تحت قيادة اللواء على عامر ، كما كانت نقطة تحول أيضا فى مساعدات الأردن للملكيين .

وبعد شهور من مؤتمر القمة فى يوليو ١٩٦٤ أعلنت الحكومة البريطانية انها ستعطى عدن ومحميات الجنوب استقلالها ليس متأخرا عن عام ١٩٦٨ ، ورطب هذا الاعلان العلاقات بين مصر وبريطانيا الى حد كبير ، ثم أعقبه اعلان الملك حسين بعد محادثات مع المشير عامر فى عمان وقف المساعدات للملكيين فى اليمن والاعتراف بحكومة السلال .

وهكذا عادت العلاقات فى ظل مؤتمرات القمة بين مصر والأردن الى حالة طبيعية بعيدة عن التوتر والهجمات الاذاعية .

ولكن الأمور عادت مرة أخرى الى التوتر والهجوم المتبادل فى شهور ما قبل العدوان كما سيأتى تفصيلا فى الجزء الرابع (خريف عبد الناصر) .

الباب الثامن

● لبنـــان

(انى لست الشـــخص الذى
انتخبه اللبنــــانيون ، ولكنى أمثل
رفضهم لانتخاب شخص آخر) ٠

فؤاد شهاب

كانت لبنان هي الدولة العربية الوحيدة التي لم تقطع علاقاتها الديبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .

كانت حجة المسئولين في ذلك أن بريطانيا صاحبة فضل على لبنان في تحقيق الجلاء ، وأن فرنسا تربطها بلبنان علاقات صداقة تقليدية قديمة .

كان رئيس الجمهورية في ذلك الوقت هو كميل شمعون .

وكانت لبنان طرفا في معركة الأحلاف ... حاول عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا ضمها الى الحلف فزار بيروت بعد بغداد في يناير ١٩٥٥ عند اعلان الوثيقة الأولى للحلف وهو في طريقه الى القرة .

ولكن انضمام لبنان للحلف لم يكن أمرا يسيرا في وقت تصاعدت فيه معارضة سوريا له ، وهي دولة ذات تأثير كبير على لبنان ، وفي وقت برز فيه دور جمال عبد الناصر الوطني والتقدمي .

وصلة جمال عبد الناصر بالحياة السياسية في لبنان بدأت مبكرة بعد ثورة يوليو ، اذ وجدت فيه جماهير لبنان ــ وخاصة المسلمين بحكم الواقع الطائفي ــ قائدا عربيا يهتم بالقومية العربية ، ويواصل دور ابراهيم باشا بن محمد على الذي أعلن أنه سيواصل فتوحاته الى آخر بلد ينطق العربية ، رغم اختلاف الظروف التاريخية ، وأهداف كل من القائدين .

ولبنان هو البلد العربي الوحيد الذي تتحكم فيه الطائفية ، وتفرض نفسها على مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والادارية ... حتى الجيش يخضع للتقاليد الطائفية ...

والجيش اللبناني صغير العدد محدود العدة لم يكن يتجاوز ٥٠٠٠ ضابط وجندي عام ١٩٥٠ ، وكان يقوده الجنرال فؤاد شهاب خريج مدرسة سان سير الحربية الفرنسية ، والرجل الذي كان موضع احترام الجميع ...

رفض فؤاد شهاب اطلاق الرصاص على المواطنين أثناء أزمة الشيخ بشارة الخوري رئيس الجمهورية الذي قدم استقالته في ١٨ سبتمبر ١٩٥٢ وعين شهاب ليقود الدولة كرئيس للوزراء ووزير للداخلية والدفاع حتى انتخب المجلس كميل شمعون رئيسا للجمهورية في ٢٣ سبتمبر بعد رفض شهاب ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية ، فعاد الى منصبه

العسكرى فى هدوء ، بعد وساطته المؤثرة مع كمال جنبلاط فى المختارة. ورشيد كرامى فى طرابلس لتهدئة الموقف ٠

كان الجيش اللبنانى يشكل قوة مسلحة تقف من المشاكل الداخلية فيما يشبه الحياد ٠٠٠ ولم يكن لها صوت مسموع أو مؤثر فى معاداة القوات المعتدية على مصر ، كما كان الحال فى سوريا عندما قطع عبد الحميد السراج أنابيب البترول المارة بالأراضى السورية ٠

وضعف الجيش والجندرمة اللبنانية هو السبب فى اجراء الانتخابات على أربعة أسابيع متتالية يوم الأحد حتى يمكن المحافظة على الأمن والنظام فى كل منطقة ٠

ولم يكن فؤاد شهاب جانحا فى سفور الى الغرب مثلما كان كميل شمعون رئيس الجمهورية ووزير خارجيته شارل مالك الذى تميز بمعاداته لمصر منذ كان يعمل صحفيا فى القاهرة وهو من طائفة اليونانيين الارثوذكس ٠

وحاول شمعون أن يقنع فؤاد شهاب بما سمعه من عدنان مندريس عن امكانيات تركيا الواسعة فى مساعدة لبنان عسكريا واقتصاديا حيث قال لهم مندريس ان تركيا يمكن أن تساعد العرب ضد اسرائيل بجيشها الذى يضم عشر فرق ، ويمكنها أيضا أن تدعم الزراعة فى الدول العربية حيث تمتلك ٥٠٫٠٠٠ جرار تعمل فى الأرض ٠

ولكن فؤاد شهاب لم يجذبه هذا الحديث ٠٠ وآثر أن يحتفظ لبنان بجيش صغير لا ينضوى تحت جناح تركيا ومن خلفها الغرب ، حفاظا على روح الرابطة العربية التاريخية ٠٠

وفى بداية ١٩٥٧ ومشروع ايزنهاور يحاول أن يفرض نفسه لملء الفراغ فى المنطقة — حسب تعبير المسئولين الأمريكيين — كانت لبنان هى الدولة الوحيدة التى قبلت مساعدات المشروع للدفاع عن لبنان ضد ما أسمته (الشيوعية العالمية والعربية العالمية) أيضا وذلك كما ورد فى كتاب الطولى ناتنج (ناصر) ٠

أذكر فى هذه الفترة أن المسرح القومى أثناء كنت مديرا له قام بزيارة الى بيروت لأول مرة بعد ثورة يوليو ليقدم أسبوعا على مسرح اليونيسكو فى فبراير ١٩٥٧ ٠

وأذكر أن بعض المعادين لمصر قد وضعوا سرا فى صالة المسرح أنابيب تحوى (ثانى كبريتور الكربون) ذى الرائحة المزعجة ، فى محاولة لابعاد الجماهير عن المسرح ، كما استقبلت بعض الصحف الدائرة فى

فلك رئيس الجمهورية هذه الفرقة بالهجوم والنقد غير الفني ، الأمر الذي دفعني الى مواصلة الرحلة الى دمشق حيث استقبلت الفرقة استقبالا حماسيا منقطع النظير وامتلأت مقاعد الصالة كلها أسبوعا كاملا ، وواظب على الحضور سفيرنا في دمشق محمود رياض أمين الجامعة العربية حاليا ، وكبار المسئولين السوريين .

كان هناك فرق شديد الوضوح بين معاملة السلطات اللبنانية والسلطات السورية لفرقة فنية مصرية .

وخلال هذه الفترة كان كمال رفعت ينشط في المنطقة العربية لتشكيل تنظيمات مرتبطة بثورة يوليو كان يشرف عليها الملحقون العسكريون صلاح مصطفى في الأردن ، وحسن خليل في بيروت .

نشاط سياسي في دائرة المخابرات الى جانب نشاط سياسي يتم عن طريق اتصال بعض السياسيين اللبنانيين بجمال عبد الناصر شخصيا .

ومع ذلك ظلت العلاقات بين مصر ولبنان بعيدة عن الهجمات المتبادلة الى أن أعلنت الوحدة بين سوريا ومصر في الجمهورية العربية المتحدة ٢٢ فبراير ١٩٥٨ ، وتدفقت جماهير الشعب اللبناني الى دمشق كلما زارها جمال عبد الناصر لتنتظر ظهوره أمامها في شرفة بيت الضيافة ، ولو طال بها الزمن ساعات طويلة من الليل أو النهار .

شعر كميل شمعون أن دائرة الحصار تضيق حوله وتكاد تخنقه ولم يجد من سبيل لدفعها سوى السعي لتجديد فترة رئاسته فقام بزيارة الى الولايات المتحدة قابل فيها دالاس بعد زيارة جمال عبد الناصر التي تمت في أبريل ١٩٥٨ وأزعجت كميل شمعون ازعاجا شديدا .

ولكن عملية تجديد الانتخاب بما تحمله من مخالفة لروح الدستور قوبلت بمعارضة شديدة من جانب المسلمين ومن جانب البطريرك المعوشي الذي ينتمي شمعون لطائفته أيضا ، رغم ما بذله شارل مالك من محاولات مشبوهة لتهيئة الأذهان لتجديد مدة رئاسة كميل شمعون .

وتمادى شارل مالك في سياسته الى درجة توجيه الاتهام للجمهورية العربية المتحدة أمام مجلس الأمن بالتدخل في شئون لبنان الداخلية وارسال الأسلحة للتخريب داخل لبنان .

وأرسلت هيئة الأمم المتحدة لجنة من الهند والنرويج والاكوادور أبلغت همرشولد انها لم تكتشف تدفقا من السلاح على لبنان .

وزار همرشولد لبنــان فى منتصف يونيو ١٩٥٨ ووصف اتهامات شارل مالك بأنها مبالغ فيها ، كما حاولت أمريكا تهدئة مالك ولم توافق على ارسال قوات أمريكية لمساعدته ٠

وكان صائب سلام رئيس الوزراء السنى قد استقال فى نوفمبر ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثى ، وتولى منصبه سامى الصلح رئيس الوزراء المتهادن ٠

ولكن التنافر فى وجهات النظر ، والجنوح السافر للقوى الامبريالية من جانب شمعون ووزير خارجيته ، وتصميم شمعون على اعادة تجديد مدته ، واستقالة صائب سلام أدى الى مصادمات مسلحة ، يمكن القول بأنها كانت نوعاً من الحرب الأهلية بين شمعون وأعوان الامبريالية من جانب والجماهير القومية والتقدمية من جانب آخر ٠

وكانت الأسلحة تتدفق على لبنان أساسا من جانب عبد الحميـد السراج وزير داخلية الاقليم السورى فى الجمهورية العربية المتحدة ٠

وقد استنزفت هذه العملية كثيرا من الجهد والمال ، وظهرت فيهـا ألوان من الاستغلال والاستفادة التى لا تتناسب مع المبـادىء المحـركة لصراع دموى ٠

وأصبح تسليـح الطوائف والفئـات والأفراد هو الطابع الرئيسى السائد فى لبنان ٠

ووقف شهاب والجيش موقف الحياد الدقيق مع محاولة الحفاظ على الأمن فى حدود الممكن ٠

ووجد شمعون أن تيار الحرب الأهلية لا يمضى فى صالحه ، وخاصة بعد تقرير لجنة الأمم المتحدة ، وتصريح همرشولد بعد زيارته فأعلن فى ٣٠ يونيو ١٩٥٨ قراره بعدم اعادة ترشيح نفسه ٠

ووجد ذلك تجاوبا من جمال عبد الناصر والقوى القومية التى قررت الركون الى الهدوء فى انتظار ترشيح جديد لرئاسة الجمهورية ، ولكن ثورة ١٤ يوليو العراقية فرضت نفسها على الموقف فى الشرق الأوسط عامة ، وفى لبنان خاصة ، فقد استدعى شمعون السفير الأمريكى بعد ٣ ساعات فقط من اعلان أخبار الانقلاب العسكرى فى بغداد ، وطلب منه المساعدة خشية انهيار الوضع فى لبنان ٠

وأسرعت قوات الاسطول السادس الأمريكى للنزول فى بيروت فى منتصف يوليو ١٩٥٨ ، وانفجرت الاذاعات المعادية لشمعون فى القاهرة

ودمشق وبغداد ... وتوتر الموقف فى المنطقة وقام جمال عبد الناصر برحلته السرية المفاجئة المشهورة إلى بغداد ، لمساندة الثورة العراقية .

وأرسل خروشوف خطابا شديد اللهجة الى ايزنهاور فى أغسطس ١٩٥٨ يدين فيه تدخله فى لبنان ولا يعطيه الحق فى ذلك .

وأعلن ايزنهاور أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٣ أغسطس ١٩٥٨ استعداده لسحب القوات الأمريكية اذا طلبت ذلك منه الحكومة الدستورية ، كما أعلنت الحكومة البريطانية استعدادها أيضا لسحب قواتها من الأردن اذا طلبت ذلك منها السلطة الشرعية .

وشكل ذلك قوة ضاغطة على شمعون الذى كانت مدة رئاسته تقترب من نهايتها ... والذى واجه تأييدا جارفا لتأييد ترشيح اللواء فؤاد شهاب الشخصية التي حظيت بتقدير واحترام القوميين .

أعلن فؤاد شهاب عن رغبته فى خروج القوات الأجنبية فور انتخابه رئيسا للجمهورية .

وتحدد بذلك موقف القوات الأمريكية فى لبنان ، فخرجت بعد انتخاب شهاب ولم تكد تمضى أربعة شهور فقط منذ يوم نزولها بعد ثورة العراق .

وبدأ لبنان صفحة جديدة فى حياته السياسية ، وفى علاقته مع جيرانه العرب .

رفض فؤاد شهاب أن يكون دكتاتوريا عسكريا ، وأصر على أن يواصل نظام الحكم الدستورى البرلمانى ، فعين رشيد كرامى رئيسا للوزراء ، وأخرج بعض الضباط من الجيش لارتباطهم بالعمل السياسى خلال فترة رئاسة شمعون ، وخلق علاقات صداقة مع قادة الدول العربية واكتسب ثقة جماهير الشعب اللبنانى بمختلف طوائفه الى حد بعيد .

قال شهاب عقب انتخابه (اننى لست الشخص الذى انتخبه اللبنانيون ، ولكنى أمثل رفضهم لانتخاب شخص آخر) .

وكان هذا التعبير بداية وضوح زهدة فى أن يكون ديكتاتوريا ، وهو أمر ما كان يفكر فيه أو يقدر عليه فى وقت واحد ... فمحافظته على وحدة الجيش وتماسكه خلال الحرب الأهلية كان عملا من أعمال الحكمة وبعد النظر ، لأنه لو كان قد طالب الوحدات بالتدخل لتمزقت وتناثرت بدافع الطائفية ، وانتهت وحدة الجيش بصورة شبه نهائية .

ومرة أخرى ظهر زهد شهاب في فرض القبضة العسكرية بعد انتهاء مدة رئاسته عام ١٩٦٤ ، ورفضه التجديد رغم امكانية حصوله بسهولة على ثلثي أصوات البرلمان اللبناني ٠

وفي ١٨ أغسطس انتخب شارل حلو رئيسا للجمهورية حيث أقسم اليمين في ٢٣ سبتمبر ١٩٦٤ وغادر شهاب موقعه ٠

وهكذا خرج أول ضابط متخرج في سلن سير من مقعد السلطة بطريقة ديموقراطية ٠٠٠ خرج محترما من شعبه ومن قادة الدول العربية والخارجية أيضا ٠

ولكن فترة رئاسة شهاب لم تكن هادئة على خط مستقيم ، فقد اجتاحت الحزب القومي السوري الرغبة في القيام بانقلاب عسكري في لبنان من أجل انشاء (سوريا الكبرى) التي تضم سوريا ولبنان والأردن والعراق ، دولة تعادي الاقطاع والطائفية والشيوعية والمصريين أيضا كما ورد في مواثيق حزبهم ٠

وقد بدأت محاولة الانقلاب عقب انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، وذلك بعد لقاء تم بين رئيس الحزب منذ ١٩٦٠ الدكتور عبد الله سعادة والنقيب شوقي خير الله ٠

كان الانقلابيون يعرفون الأشياء التي يعادونها أكثر من معرفتهم للأشياء التي يريدونها ٠

وتحددت ليلة ٣٠ ديسمبر ١٩٦١ موعدا للقيام بالانقلاب وهو توقيت مرتبط بتواجد معظم الضباط في بيوتهم استعدادا للاحتفال بليلة رأس السنة ٠

وفي التاسعة مساء هذا اليوم تحرك النقيب فؤاد عوض بسريته المكونة من ٩٠ جنديا ، ١٣ مدرعة ، ٩ عربات جيش من الطيرة الى بيروت حيث وصلوا في الثانية بعد منتصف الليل ، وانضم اليهم النقيب خير الله ومعه ٢٠ عضوا مسلحا من أعضاء الحزب ، ثم اتجهوا الى وزارة الدفاع حيث احتلوا الدور الأول منها ، ولكن مقاومة الضباط في الدور الأعلى أجبرتهم على انهاء المعركة بعد تبادل طلقات الرصاص والهروب من بيروت في الرابعة صباحا ٠

وكما فشلت محاولة الاستيلاء على وزارة الدفاع فشلت أيضا محاولة الاستيلاء على بعض النقاط الاستراتيجية ، وانسحب الانقلابيون الى منطقة المتن ٠٠٠٠ الى منزل أسد الأشقر أحد زعماء الحزب حيث كان المخزن الرئيسي للسلاح ٠

وبعد مقاومة متعثرة سلم الانقلابيون أنفسهم بعد محاصرة المنطقة وقصف المنزل بالمدفعية وبقيت بعض قواتهم تقاوم حتى الصباح ٣ يناير ١٩٦٢ ... وان كانت الحكومة اللبنانية قد أعلنت صباح أول يناير حل الحزب القومي السوري .

ودلت الاحصائيـــات على أن عدد القتلى قد بلغ ٢٧ كما بلغ عدد المعتقلين ٢٤٠٠ شخص . وحكم بالاعدام فى نوفمبر ١٩٦٣ على ٨ أفراد منهم فؤاد عوض وخير الله ولكن الحكم استبدل بالأشــغال الشـــاقة المؤبدة .

ومن ظواهر هذه المحاولة الانقلابية ارتباط عدد من الضباط برجال تنظيم حزبى له آراء معينة تجذب له الأعضاء سواء عن صواب أو خطأ . ومن ظواهره أيضا أن ٢١ مدنيا قتلوا ليس منهم لبنانى واحد بل كلهم من السوريين والفلسطينيين الأمر الذى يفسر عقيدتهم فى الايمان بســوريا الكبرى .

وهكذا مضت محاولة الانقلاب العسكرى فى تاريخ لبنان ، والتى انفجرت خلال حكم عسكرى آثر أن يكون ديموقراطيا ودستوريا ، ورفض أن يكون ديكتاتوريا عسكريا .

ومضت الأمور بعد ذلك فى صورة هادئة سواء فى داخل لبنان أو فى علاقاته الخارجية وخاصة مع مصر .

الباب التاسع

● جمال عبد الناصر ٠٠ والعرب

بدأ جمال عبد الناصر طريق النضال ضابطا مصريا ، وانتهى زعيما عربيا .

شاءت له الظروف عام ١٩٤٨ أن يؤدى دورا ايجابيا في حرب فلسطين ، يكتشف خلاله أن سر المأساة يكمن في قصور القاهرة ، حيث يعيش الملك والسفير البريطاني والأعوان من رجال الحاشية وأحزاب الأقلية .

وعندما وصلت حركة الجيش الى السلطة ، كشفت عن اتجاهاتها التحررية في موقفها من قضية السودان ... فلم تنهج أسلوب النظام الملكي المنهار ، الذى تبلورت استراتيجيته في سيادة مصر على السودان ، وتجسيد نضاله في أن يكون فاروق ملكا لمصر والسودان .

هذا الموقف التحررى المبكر يؤكد الطابع التقدمي لحركة الجيش ، ويثبت سلامة الاتجاه الوطني لأول انقلاب عسكرى في افريقيا .

وعقد اتفاقية فبراير ١٩٥٣ هو مقياس لا يخطىء ، اذ يظهر أن ضباط حركة الجيش وقائدهم المنتخب البكباشى جمال عبد الناصر ، لم يكونوا دعاة سيطرة واستعمار ، وانما كانوا انصارا لحقوق الشعوب في الحرية وتقرير المصير .

ورغم أن أسلوب معالجة قضية السودان قد اتسم بأخطاء عديدة ، أدت الى قيام حكم مستقل في الخرطوم ، بعيد عن العواطف الحارة مع القاهرة وضاعت فرصة الاتحاد مع مصر في موقف مشترك ضد الاستعمار البريطاني ، الا ان ذلك لم ينعكس نفورا على ضباط الحركة من مواصلة السير في طريق التحرر الوطني ودعم حركاته في مختلف الدول العربية .

وساعدت التحركات الامبريالية على ذلك ، في محاولاتها الدؤوبة لربط الدول العربية بأحلاف عسكرية ، سبق للشعب المصرى أن رفضها وأعلن موقفه المعادى منها قبل حركة الجيش .

واصل جمال عبد الناصر التعبير عن ارادة الشعب المصرى في مكافحة الأحلاف ، ليس في مصر وحدها ، وانما في سائر أرجاء الوطن العربى .

وكان هذا أمرا جديدا ·

لم يتعود الزعماء المصريون أن يركزوا نضـــالهم ضد الاستعمار وخارج الحدود أيضا ·· كانت دائرة نضالهم حدود مصر والسودان ·

ولكن جمال عبد الناصر أدرك بحسه الوطنى والقومى أن ســاحة الأرض العربية هى ميدان واحد للمعركة ، وان انتصــار الاستعمار فى بلد عربى يقوى مركزه ويدعم سيطرته ، ويحاصر حركات التحرر الوطنى وخاصة فى القاهرة ·

··· ولذا بدأت صلته مع الدول العربية مبكرة ·

··· بدأت مع قادة الأحزاب والتنظيمات السياسية الوطنية والقومية ، كما بدأت مع الحكام أيضا ·

لم يفتعل جمال عبد الناصر معارك مع الملوك والحكام ، كما يحاول خصومه أن يشوهوا صورته ·· بل كان حريصا على أن يشارك فى لعبة السياسة بمهارة فائقة ، يجتذب اليه كل حاكم أو ملك يقف معه فى نضاله ضد الاستعمار ·

وثبت ذلك فى اتفاقيـــة الدفاع المشترك التى عقدت مع ســـوريا (شكرى القوتلى) والسعودية (الملك سعود) عام ١٩٥٥ ثم انضمت اليها اليمن (الامام أحمد) ·

ولم يبادر جمال عبد الناصر حكام العراق (الملك فيصل ونورى السعيد) أنصار حلف بغداد بالعداء ··· بل حاول اجتذابهم الى الصف العربى الوطنى ··· وسافر اليهم صلاح سالم ·

ولكن الموقف كان لا يســـمح لهم بالمناورة ، سقطوا بارادتهم فى شبكة الاستعمار ، وجعلوا من عاصمة الرشيد مقرا للحلف الاستعمارى البغيض ·

وتبينت الأمور وظهرت الفواصـــل يوما بعد يوم عندما احتدمت معركة الأحلاف ·

اختار جمال عبد الناصر موقعه بثبات ·

اختار جانب الشعب فى معركته ضد الاستعمار ·

وكان مؤتمر باندونج للشعوب الأســـيوية الأفريقيـة المتحررة من الاستعمار ، بداية لتوســـيع آفاق رؤيته ، وتعميق احســـاسه بنبض الشعوب ، وتوضيح صورة المستقبل له ·

تجاوب جمال عبد الناصر مع قادة التحرر الوطني في القارتين الكبيرتين ... ولم يتردد في عقد صلات ودية طيبة مع الزعيم الشيوعي المرموق في ذلك الوقت شوان لاى رئيس وزراء جمهورية الصين الشعبية .

وبدأ نسيج جديد بين حركة التحرر العربية ، وحركة التحرر العالمية ، ولعب جمال عبد الناصر في ذلك دورا بارزا .

هذه الفترة التاريخية الهامة ، منتصف الخمسينيات ، كانت فترة من فترات المجد الخالدة لجمال عبد الناصر ، الذى أدرك مسار حركة التاريخ . ولمس احتشاد القوى الوطنية (برجوازية أو عمالية) حول قيادته سواء في مصر أو الوطن العربى ، فأقدم على اجرائه الشجاع ، بتأميم قناة السويس ، واعادة حق الشعب المصرى لأبنائه .

وكانت هذه الخطوة الباسلة ، نقطة تحول في مسار حركة التحرر الوطني ، وخاصة بعد فشل قوات العدوان الثلاثى (انجلترا وفرنسا واسرائيل) في تحقيق أهدافها ، واضطرارها الى الانسحاب ، تحت ضغط الانذار السوفيتى الذى قدمه بولجانين ، وموقف ايزنهاور المتربص لوراثة المصالح البريطانية والفرنسية في المنطقة ، وقرارات هيئة الأمم المتحدة ...

كان جمال عبد الناصر قد اتخذ موقفا صلبا بعيدا عن التردد عبر به عن ارادة الشعب المصرى ، عندما أعلن اننا (سنحارب) من فوق منبر الجامع الأزهر .

وعلت الصيحة في أرجاء الوطن العربى ، وظهر التضامن العربى في أروع صوره عندما اجتاحت مظاهرات التأييد لمصر كل البلاد العربية ، وحطمت أنابيب البترول التى تحمل الوقود لبريطانيا وفرنسا في سوريا .

انصهرت الارادة العربية في بوتقة القتال ، وتجلت روح القومية العربية في صورة ايجابية وارتفعت زعامة عبد الناصر الى قمة عالية .

وأسفرت هذه الحرب عن ظاهرة هامة ، هى التعاون الوثيق بين حركة التحرر الوطنى العربية وبين الحركة الاشتراكية ... فقد كان موقف التأييد الحاسم الذى اتخذه الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية . موضع تقدير عميق في نفوس جماهير الأمة العربية .

وأصبح التعاون بين حركات التحرر الوطنى ، والدول الاشتراكية طابعا هاما للحركة السياسية في العالم ، تدخل في حسابات القوى الاستعمارية ، كما تدخل في حسابات القوى الشعبية المناضلة من أجل التحرر والاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى .

ونجم عن انسحاب قوات العدوان بعد هزيمتها السياسية التى أدت الى شللها العسكرى ، مد ثورى فى حركات التحرر فى الدول النامية .

وكانت مصر قد أسهمت منذ أول نوفمبر ١٩٥٤ فى مساعدة الشعب الجزائرى فى ثورته ، التى هددت الوجود الفرنسى فى دولة عربية حاول الاستعمار أن يضمها الى أرضه ، وينطق أبناؤها بلغة غير لغتهم .

وكانت الحكومة الفرنسية قد أرادت ضرب ثورة الجزائر عن طريق القاهرة . وعندما فشلت وانسحبت ، ارتفعت معنويات ثوار الجزائر ، وشددوا من هجومهم على قوات الاحتلال الفرنسية .

كان جمال عبد الناصر يساعد ثورة الجزائر بالمال والسلاح قبل أن تجلو قوات الاحتلال البريطانية عن أرض مصر فى ١٨ يوليو ١٩٥٦ . وظل يواصل مساعدتها ، بعد أن جلت قوات العدوان للمرة الثانية فى عام واحد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ .

تحولت خلال هذه الفترة المجيدة ، القومية العربية من كلمات نظرية وأصول تاريخية وارتباطات عرقية الى حركة نضالية ترتوى بالدماء .

ولم تكد تنتصر ثورة يوليو فى معركة القتال حتى توالت الانتصارات العربية ... تحققت وحدة الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ ، وانفجرت فى العراق ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ وطنية تقدمية نزعت حلف بغداد من أرضهـــا وغيرت اسمه ليصبح (الحلف المركزى) ، وتأثرت الأردن أيضا فسادها حكم وطنى خلال ١٩٥٧ حتى انتكس لظروف سبق توضيحها فى الباب السابع .

وكانت شخصية جمال عبد الناصر تلعب دورا رئيسيا فى جذب القوى الوطنية والتقدمية خلال هذه المرحلة الصاعدة من مراحل النضال القومى .

وهنا لابد من القول أن الاعتمـــاد المطلق على شـــخصية الزعيم المحبوب ليست أمرا كافيا اذ أن ذلك يتأثر بالعواطف والأهواء الشخصية .

لم تكن حركة الجيش حتى هذه الفترة قد استقرت على تنظيم سياسى ذى أيديولوجية واضحة وقادرة على استيعاب طاقات الجماهير ، واعتمدت على (الاتحاد القومى) بعد انتهاء دور (هيئة التحرير) .

ولم يكن الاتحاد القومى أكثر من تجمع شعبى ليست له لـــوائح تنظيمية أو ديموقراطية ... تســـيطر عليه الجهات الادارية وأجهزة الأمن .. وتنظامه كان مقتبسا من البرتغال على عهد الفاشية أثناء حـــكم سالازار ، كما سبق توضيحه فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) .

ضرب حركة الجيش للأحزاب السياسية على اختلاف مواقفها دون تميز بين الأحزاب التقليدية الرجعية والأحزاب الناشئة التقدمية . عزل عن الحركة السياسية في مصر معظم العناصر التي كانت تهتم بالعمل السياسي بعيدا عن اغراء التسلط ، مؤمنة بمبادىء مختلفة .

هذا الموقف المضاد للحزبية في مصر انعكس أيضا على علاقات مصر بالدول العربية .

كان جمال عبد الناصر مقتنعا بأن تعدد الأحزاب يؤدى الى تمزيق الوحدة الوطنية ، واثارة خلافات مصطنعة ، الى جانب تصوره بأن بعض الأحزاب يمكن أن تمتد جذورها الى خارج الحدود ... وهو موقف جديد لعبد الناصر ، فقد كان قبل حركة الجيش من المدافعين عن الوفد كحزب شعبى ، ومن المرتبطين بعدة أحزاب مختلفة (الاخوان المسلمين ومصر الفتاة والحركة الديموقراطية للتحرر الوطني) ... ولكن انتصار حركة الجيش كان حافزا لها على ضرب الأحزاب لتنفرد وحدها بالسلطة ، التي يقف هو في قمتها .

وكما كانت الحال قبل الثورة اتصل عبد الناصر بالأحزاب العربية الوطنية والتقدمية في الدول العربية خلال أنصاره من الضباط الأحرار الذين ارتبط أغلبهم بأجهزة المخابرات تحت اشراف زكريا محيى الدين .

اتصل هؤلاء الضباط أساسا بقادة حزب البعث العربي الاشتراكي ، والأحزاب الشيوعية في العراق والأردن وسوريا ، والحزب الوطني الاشتراكي (سليمان النابلسى) في الأردن والحزب الوطني الديموقراطي (كامل الجادرجي) في العراق .

الأحزاب البرجوازية القديمة كانت قد تلاشت تدريجيا أمام الانقلابات العسكرية .

الحزب الوطني وحزب الشعب في سوريا ، وحزب الاستقلال في العراق وغيرها من الأحزاب ذبلت ولم يحاول جمال عبد الناصر ان يخلق معها صلة سياسية وطيدة .

وكان لهذه الأحزاب المنتشرة في الوطن العربي رأى في الأسلوب الذى انتهجه جمال عبد الناصر في مصر معاديا به فكرة تكوين الأحزاب أصلا .

حضر الى مصر وفد من الساسة العراقيين بعد انتصار ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ في العراق وعلى رأسه كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديموقراطي الذى قال لعبد الناصر ان عنده قدرة التأثير على عبد الكريم قاسم ، وأن ملاحظته الوحيدة هي تعطيل الحريات السياسية في مصر .

طلب كامل الجادرجي من عبد الناصر الغاء الاتحاد القومي واعادة الأحزاب حتى يمكن اقامة اتحاد فيدرالي ٠

كانت الأحزاب الوطنية التقدمية في العراق تخشى أن يسلك قاسم سلوك عبد الناصر في تثبيت سيطرة عسكرية على الحياة السياسية ٠

ولكن قاسما انتهج سبيلا آخر ٠٠٠ سمح بتكوين أحزاب يقرهـا قانون أصدره ، توافرت له خـلال مواده القدرة على التدخـل وفرض ارادته على تشكيلاتها ٠٠

رفض جمال عبد الناصر اقتراح كامل الجادرجي ، فارادته كانت قد استقرت على رفض الأحزاب ، واستكانت الى تنظيمه الشكلي (الاتحاد القومي) ٠

وتبلور موقف عبد الناصر في رفض الأحزاب أيضا عندما تمت وحدة سوريا مع مصر ، وكان حزب البعث العربي الاشتراكي قـد لعب دورا رئيسيا في تحقيقها خلال ضباطه المنبثين في الجيش ، وبتأثير نوابه في مجلس الشعب الذي كان يرأسه أحد زعماء الحزب أكرم الحوراني ٠

أصر جمال عبد الناصر على ضرورة حل جميع الأحزاب في سوريا مع توقيع بيان الوحدة بجرة قلم ، ورضخ لذلك قادة حزب البعث كما قال لي أكرم الحوراني نتيجة للعوامل الآتية :

١ ــ الثقة الكبيرة في شـخصية جمال عبد الناصر وحسهـا القومي الواضح ٠

٢ ــ الرغبة الملحة في تحقيق أول انتصار لقضية الوحدة العربية ٠

٣ ــ ترجيح كفة الوحدة وظهور الجمهورية العربية المتحدة على كفة وجود الحزب اذا كان الاصرار على وجوده يمكن أن يشكل عائقا ٠

هذه هي العوامل التي أبرزها أكرم الحوراني ويمكن أن نضـيف اليها أنه حظر نشاط الأحزاب كان موجهـا أساسا الى الحزب الشيوعي السوري الذي كان نشاطه خلال هذه الفترة قد بلغ الذروة داخل الجيش وخارجه ٠

وعندما تمت الوحدة غادر خالد بكداش سكرتيره العام سـوريا ، بينما تولى أكرم الحوراني منصب نائب رئيس الجمهـورية العربيـة المتحدة ٠

وهنا يجب الاشارة الى أن فرع الحزب في العراق قد رفض قرار الحل ، وحافظ على تنظيمه ، لأن العراق لم يكن قد ارتبط بعد بالوحدة ، فلم يكن هناك مبرر يدفعه الى الحل دون مقابل ٠

وكان أمرا طبيعيا أن يندفع الأمر بين الزعيم المحبوب وبين قادة الحزب المنحل إلى صدام ... فقد اعتاد الزعيم نوعا معينا من القيادة وأسلوبا خاصا في التعامل ، لم يستطع قادة البعث أن يدربوا أنفسهم على قبوله :

وكان الصدام أمرا محتوما .

وخرج زعماء البعث من الحكم مستقيلين وحدهم بعد محاولة اظهار الاستقالة في طابع قومي يشترك فيه المصريون والسوريون ... ولكن قادة البعث لم يدركوا أن اختيار عبد الناصر للوزراء المتعاونين معه كان يمر خلال رؤية خاصة تؤكد له خضوعهم وتبعيتهم وعدم وجود رأي خاص لهم قادر على الانفراد بموقف شخصي مثل الاستقالة .

كانت المجموعة الحاكمة في مصر ، وخاصة من غير أعضاء مجلس قيادة الثورة مثل ذرات الحديد المنجذبة الى مغنطيس شديد القوة ... بينما كان القادمون من سوريا قد اعتادوا على أسلوب الحياة الحزبية ، وتوافر حد أدنى من الديموقراطية .

وعقب مأساة الانفصال التي تورط بعض قادة البعث في تأييدها (أكرم الحوراني وصلاح البيطار الذي تراجع عن موقفه) ، عاد الحزب محاولا اعادة تشكيل تنظيماته .

ومرة أخرى يعتمد جمال عبد الناصر في صلاته العربية مع أحزاب أخرى في بلاد عربية مثل القوميين العرب ، والأحزاب السودانية (الوطني الاتحادي والشعب الديموقراطي والشيوعي) وجبهة التحرير الجزائرية .

كان جمال عبد الناصر حريصا على أن تتعدد صلاته مع الأحزاب المختلفة ليكون له من بين أعضائها أنصار ، وليتسق سياسته معها .

وكان قادة هذه الأحزاب العربية يجدون فيه زعيما واسع الأفق ، عميق الاخــــلاص يخرجون من اجتماعاتهم معه وقد ازدادوا اعجابا به وتقديرا له ... ولكنهم عند التعامل كانوا يصــطدمون كثيرا بتصرفات فردية صغيرة من بعض ضباط المخابرات الذين كانوا يباشرون الاتصالات السياسية دون وعي سياسي ناضج أو حس شعبي عميق .

وليس في هذا الكلام نوع من التعميم ، ولكنه كان يشكل ظاهرة يشكو منها أغلب القادة العرب الذين تعاملوا مع ثورة يوليو من موقع مسئوليتهم الثورية بعيدا عن الارتباطات الخاصة التي يمكن أن تشوه علاقتهم وتلصق بهم شبهة العمالة .

... لم يحدث في تاريخ علاقات القـــاهرة مع حركات التحرر الوطنى العربية وتنظيماتها المتعددة أن عقدت اجتماعات تنظيمية مع وفود من هذه الأحزاب ، مثل الاجتمـاعات التى كانت تعقد أحيانا بين وفد من الاتحاد الاشتراكى العربى ، ووفود الأحزاب الاشتراكية أو الشيوعية فى دول أوربا الشرقية أو الغربية •

كانت محادثات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣ أكثر تمثيلا للحكومات منهـــا للتنظيمات ، وهى على أية حال استثناء لم يتكرر ، فلم تعقـــد اجتماعات تنظيمية بين ممثلى حزب البعث العربى الاشتراكى والاتحاد الاشتراكى بعد ذلك •

والاجتمـاعات التى عقدت بين الاتحاد الاشـــتراكى وممثلى جبهة التحرير الجزائرية وغيرها من الأحزاب العربية لم تكن ذات طابع مستمر يمكن أن يسفر حقا عن تبادل الخبرة الحزبية أو دعم الصلات النضالية • أو تأكيد وحدة القوى التقدمية والثورية ، وهو الشعار الذى رفعه جمال عبد الناصر ونادى به ولكنه لم يتحقق أبدا بالصورة المرجوة •

الخطوة العملية الأولى فى هذا المضمار ، كانت ندوة الاشتراكيين العرب التى دعا اليها هوارى بومدين وعقدت فى الجزائر فى مايو ١٩٦٧ قبل أيام محدودة من العدوان الاسرائيلى فى ٥ يونيو •

وجرف العدوان الاسرائيلى أحلام الاشتراكيين العرب الذين التقت مدارسهم المختلفة فى الجزائر لأول مرة ، فكان هناك الى جانب ممثلى جبهة التحرير الجزائرية ممثلون للاتحاد الاشتراكى العربى (مصر) وحزب البعث العربى الاشتراكى ، والأحزاب الشيوعية فى الســـودان والأردن ولبنان وسوريا والحركات القومية (خلال هذه الفترة) فى العراق •

جرف العدوان الاسرائيلى أحلام الاشتراكية فى عقد صلات تنظيمية بينهم ، تذيب الحساسية بين مدارسهم المختلفة وتوحد أفكارهم وأهدافهم النضالية •

ولكن بقى عبد الناصر رمزا لوجود القدرة الشعبية على اســـتيعاب الهزيمة وتجاوز آثارها والنضال من أجل تحويلها الى نصر ، وبقى أيضا رمزا للنضال العربى المشترك •

عندما قامت حركة الجيش السودانى فى ٢٥ مايو ١٩٦٩ وأوفدنى جمال عبد الناصر مع أحمد فـــؤاد الى قادة الثورة مندوبين عنه قال (أبلغوهم أننى على استعداد لوقف حرب الاستنزاف فى منطقة القناة ومساعدتهم لانتصار الحركة اذا دعت الحال الى ذلك) •

كانت نظرة جمال عبد الناصر لا تقف عند حدود مصر مطلقا ، بل تتجاوزها الى الساحة العربية ، وتمتد أيضا الى أرجاء العالم ، تتعرف على نبض حركات التحرر الوطنى والمبادرة لمساعدتها ٠

لم يتردد جمال عبد الناصر فى مساعدة لومومبا وثوار الكونغو ، وجعل من القاهرة مقرا لحركات التحرر الافريقية ، ولعب محمد فايق وزير الاعلام السابق دورا تاريخيا فى حشد هذه القوات وربطها بالثورة المصرية ، وأرسل مساعدات لمسز باندرانيكا فى سيلان ، ووقف فى صلابة الى جانب النضال البطولى الخارق لشعب فيتنام ٠

وأدان فى كل هـذه المواقف ، وفى جرأة وبسالة ، محـاولات الامبريالية الأمريكية ومؤامرات مخابراتها المركزية ٠

وتحول جمال عبد الناصر مع الوقت الى صرح شـامخ تلجأ اليـه حركات التحرر الوطنى وتعتمد عليه الى حد كبير فى نضالها ٠

ويمكن تشبيه موقف القاهرة من حركات التحرر الوطنى العربية فى عهد عبد الناصر (اذا تجاوزنا عن الفروق والظروف المختلفة) بموقف موسكو من حركات التحرر الوطنى فى أرجاء العالم ٠

الموقف المبدئى للدولتين كان يدفعهما الى مساعدة الحركات الثورية بلا تردد ، وتقديم المعونات لها حتى ولو على حساب الشعوب التى تنتج أيضا من أجل الآخرين ٠

وكثيرا ما التقت العاصمتان فى أسلوب مشترك لمساعدة الحركات الثورية كما حدث فى اليمن عندمـا قدم الاتحاد السوفيتى طائراته العملاقة لتنقل القوات المصرية ، وقدم أيضا كافة الأسلحة المستخدمة مجانا وبلا حسـاب ٠

وقال لى وزير حربية مصرى أن الاتحاد السوفيتى لم يتقاض مليما واحدا عن ثمن كافة الأسلحة التى قدمت لمصر منذ عقد صفقة الأسلحة عام ١٩٥٥ الى وفاة جمال عبد الناصر ، وانه كان يتنازل عن قيمة الأقساط عند حلولها ، تقديرا من الاتحاد السوفيتى للدور الكبير الذى كان يقوم به جمال عبد الناصر فى محاربة الامبريالية والصهيونية التوسعية ، وتخفيفا للعبء عن الشعب المصرى فى كفاحه من أجل التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى نحو الاشتراكية ٠

وهكذا كانت مصر أيضا ، تبادر بتقديم المساعدات للحركات الثورية والدول العربية التقدمية ، دون تردد ، أو تراجع لترشد الأرقام أحيانا ٠

وليس صحيحا ما يحاول البعض اثارته من القول بأن مساعدات مصر للدول العربية قد أثرت على دخل الشعب المصرى وخفضت مستوى حياته ... وانه كان أولى بأمواله أن تصرف على الخدمات بدلا من صرفها على ثوار الجزائر واليمن الشمالية واليمن الديموقراطية ، والسودان وغيرها .

قيمة هذه المساعدات مقارنة بدخل مصر لا تمثل نسبة كبيرة ، ولا تحقق ارهاقا ماليا شديدا ...

يقول محمد حسنين هيكل أن المساعدات التى قدمت لثورة الجزائر لم تتجاوز ٦٠ مليونا من الجنيهات ، ويقدر أن ما صرف على ثورة اليمن هو مائة مليون جنيه سنويا وهى مبالغ لا تحل مشاكل مصر ، ولم تصرف جميعها على غير أبناء مصر ، وهى نهايتها قد ساندت حركة التحرر العربى .

كان موقف جمال عبد الناصر فى دعمه للنضال العربى فى أى موقع موقفا مبدئيا لا يتزعزع وهو يعبر بذلك عن ارادة الأمة العربية التى تدرك أن المستقبل هو فى تحررها الكامل من السيطرة الامبريالية . ومحاصرة الصهيونية التوسعية داخل حدودها حتى تتمزق بتناقضاتها وعزلتها عن المنطقة .

وأخيرا ...

قد يكون الحديث عن (جمال عبد الناصر ... والعرب) حديثا له بداية ، ولكن ليست له نهاية .

وسوف تثبت الأيام أن هذا الرجل العملاق ، الذى نبت فى أرض مصر ، قد استطاع خلال سنوات حكمه المحدودة ـ وبكل ما كان فيها من مواقف واجراءات تستحق النقد والمراجعة ـ أن يجعل من القومية العربية حقيقة تؤمن بها الجماهير ، وأن ينجز أول تجربة للوحدة العربية فى القرن العشرين ، وأن يضع الأمة العربية على بداية طريق تعاون طويل ... طويل ... طويل

احمد حمروش

المراجع

العربية

الكتاب

- فلسفة الثورة — جمال عبد الناصر
- خطب جمال عبد الناصر
- الناصرية — عبد الله امام
- ما الذى جرى فى سوريا — محمد حسنين هيكل
- عبد الناصر والعالم — محمد حسنين هيكل
- صلاح سالم — الدكتور محمد المعتصم
- العالم الثالث (قضايا وآفاق) — س • جوكوف وآخرين
- تاريخ الاقطار العربية الحديث — لوتسكي
- السياسة الاستعمارية بعد الحرب العالمية الثانية — فاخروشيف
- محاضر محادثات الوحدة
- التقرير السياسى للمؤتمر القطرى الثامن لحزب البعث فى العراق يناير ١٩٧٤
- المشاكل المعاصرة للتحرر الوطنى — لينين
- مصر ميلاد الثورة — فاليكيوتس

الاجنبية :

Eleizer Be'eri. Army Officers in Arab, Politics and Society.

Bernard Vernces. Armée Et Politique Au Moyen, Orient

Miles Copeland. Game of Nations,

Jean Lacoutur. Nasser,

J. C. Hurwitz. Middle East Politics,

Anthony Nutting. Nasser,

R. Hrair Dekmejian. Egypt Under Nasir,

شكر وعرفان لشخصيات عربية جديدة

اضيف الى اسماء السادة الذين تفضلوا فمنحوني بعض وقتهم للبحث والمناقشة والذين ظهرت اسماؤهم في الجزء الأول والثاني من (قصة ثورة ٢٣ يوليو) اسماء السادة العرب الذين ساعدوني مساعدة قيمة في معرفة الحقيقة وظهور هذا الجزء الثالث (جمال عبد الناصر .. والعرب) . مرتبة بالحروف الأبجدية .

ولهم في عنقي دين من الشكر والعرفان الى الأبد .

أحمد عبد الكريم	سوريا	وزير في عهد الوحدة وسفير سوريا في فرنسا حاليا .
أكرم الحوراني	سوريا	نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة
أكرم ديري	سوريا	وزير في عهد الوحدة ومدير مكتب الجامعة العربية في جنيف حاليا .
السيد حميد	العراق	لواء بالجيش العراقي سابقا .
أمين الحافظ	سوريا	رئيس جمهورية سوريا السابق .
أنور القاضي	مصر	فريق أول قائد القوات المصرية باليمن سابقا .
صلاح البيطار	سوريا	وزير في عهد الوحدة . رئيس وزراء سوريا الاسبق .
صدام حسين	العراق	نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ونائب رئيس الجمهورية العراقية .
طارق عزيز	العراق	وزير الاعلام ورئيس تحرير (الثورة) العراقية .
طلعت حسين	مصر	لواء قائد القوات المصرية باليمن سابقا وعضو القيادة العربية المشتركة حاليا .
عبد الرحمن البيضاني	اليمن	نائب رئيس جمهورية سابقا .
عبد الرحيم عبد الله	اليمن	سفير اليمن السابق بالقاهرة .
عبد الله السلال	اليمن	رئيس جمهورية اليمن الاسبق .
عبد الله جزيلان	اليمن	قائد القوات المسلحة اليمنية .
عبد المجيد فريد	مصر	الملحق العسكري المصري بالعراق سابقا وسكرتير رئاسة الجمهورية وأمين الاتحاد الاشتراكي سابقا .

عبد المحسن مرتجى	مصـــر	فريق قـائد القـوات المصرية باليمن سابقا .
محمد على الشهارى	اليـمن	مدير مكتب الرئيس السلال سابقا .
مصطفى حمدون	سوريا	وزير فى عهـد الوحـدة ونائب وزير الاصلاح الزراعى العراقى حاليا .

الفهرس

٣٦٨١

الموضـــوع	صفحة

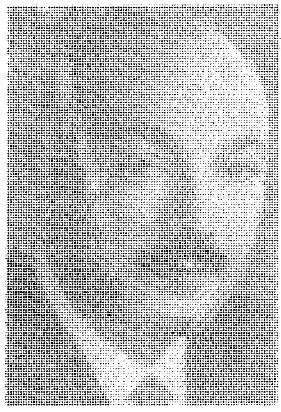
الموضــــوع | صفحة

● **عبد الناصر والعرب**

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٢/١٥٤٤٥

ISBN — 977 — 01 — 2941 — 0



مؤلف هذا الكتاب الأستاذ أحمد حمروش أحد الضباط الأحرار الذين شاركوا في صنع ثورة ٢٣ يوليو تحت قيادة جمال عبد الناصر .

وكان يعمل بالكتابة وهو ضابط في المدفعية بالجيش المصري ... فكتب مقالات في جريدة الأهرام والفصول .. وأصدر ورأس تحرير مجلة (التحرير) أول مجلة لحركة الجيش صدرت في ١٦ سبتمبر ١٩٥٢ ، ومن بعدها أصدر ورأس تحرير مجلة الهدف عام ١٩٥٥ ، والكاتب عام ١٩٦١ ، وروزاليوسف عام ١٩٦٤ ، وأصدر ١٥ كتابا في السياسة والقصة والمسرح وأدب الرحلات .

تعد دراسته عن ثورة ٢٣ يوليو التي تصدر في ثمانية أجزاء أكبر أعماله حيث تتميز برؤيته كأحد جنود ثورة يوليو ، وهي حصيلة جلسات حوار طويلة مع زملائه الذين شاركوا في صنع الثورة ، وتحملوا مسئولية مسيرتها ، ومع السياسيين الذين عايشوا أحداثها الكبرى .

والجزء الأول الذي يصدر عن هيئة الكتاب يضم ثلاثة أجزاء هي مصر والعسكريون ، ومجتمع جمال عبد الناصر ، وعبد الناصر والعرب ... ويعقبه جزآن آخران الثاني يضم خريف عبد الناصر ، وغروب يوليو ... والثالث يضم قصة ٢٣ يوليو مع الديمقراطية والاشتراكية .

٢١٠٠ قـرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب